

مُعْهَدُ الْأَحْيَاءِ وَاللَّدَائِسَاتِ لِلتَّعْرِيبِ

زَهْرُ الْكَمْرِ فِي الْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ لِلْحَسَنِ الْهَوِيِّ

مُفَقِّه
الدكتور محمد عجي و الدكتور محمد إدريس

الشركة المغربية
دار الثقافة

34-32 شارع فكتور هيكو

الهاتف 26-53-46 - 26-23-75

ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)

مُنَشُّوَاتٌ مِنْهُدِ الْإِجْتِهَاتِ وَاللَّاسِيَّاتِ لِلتَّعْرِيفِ

زَهْرُ الْكَمَالِ
فِي الْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ
لِلْحَسَنِ الْبُؤَيْيِ

*

الجزء الأول

صفحه

الدكتور محمد عجي و الدكتور محمد راغفر

المكتبة الحديثة
دار الثقافة

34.32 شارع فكتور هيكو

الهاتف 26.53.46 - 26.23.75

ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)



الطبعة الأولى 1401 — 1981

حقوق الطبع محفوظة



تقديم

تحدثنا عن الحسن اليوسي في كتابينا الزاوية الدلائية (1) والحياة الأدبية بالمغرب على عهد الدولة العلوية (2)، وعرفنا به فيهما كعالم مغربي يمثل المشاركة في عصره ويؤلف عشرات الكتب في مختلف ميادين المعرفة عقائد وفقها وأصولا وحديثا ومنطقا وبلاغة ولغة وأدبا.

ولعل مما يميز اليوسي في التأليف اقتحامه مواضيع طريفة لا صلة لها بالشروح والحواشي التي طغت على مؤلفي عصر الانحطاط، ومحاولته الرجوع إلى ينابيع الثقافة الاسلامية في عهودها المزدهرة الأولى يستقي منها بجهد الشخصي، ويضيف إليها من فكره وكده ما يغني التراث العربي الاسلامي ويجدده ويحببه الى النفوس، فكان من ذلك كتبه المحاضرات، والقانون، وزهر الأكم في الأمثال والحكم.

يرجع عهد اشتغال المسلمين بالأمثال الى العصر العباسي الأول مع الأصمعي وخلف الأحمر وعمرو بن العلاء وغيرهم من الرواة في تلك الحركة الرائدة لجمع اللغة وتدوينها، فرويت الأمثال ضمن أيام العرب وأشعارها، وأخبار فرسانها وأجوادها وأقيالها وصعاليكها. ثم أخذ اللغويون يفردون الأمثال بالتأليف في القرون التالية، واشتهر من بين ذلك كتاب مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني المتوفى عام 518 / 1124 . وقد اشار الميداني في مقدمة كتابه الى صعوبة التأليف في هذا الموضوع، ورجوعه هو إلى نحو خمسين كتابا مما كتبه من تقدمه من اللغويين.

ويجيء اليوسي في القرن الهجري الحادي عشر الذي خمدت فيه جذوة الدراسات اللغوية وطال العهد بها، لا سيما في أقصى الغرب الاسلامي ليؤلف كتابا في الأمثال يفوق

- لوقم - كتاب الميداني وغيره من المتقدمين . يشتمل زهر الأكرم - في تصميمه - على ستة وستين بابا مقسمة قسمين أو سمطين، في السمط الأول الأمثال وما يلتحق بها، في مقدمة وخاتمة وأربعة وثلاثين بابا، تسعة وعشرون بابا في الأمثال مرتبة على حروف المعجم، والأبواب الخمسة التالية في الأمثال التركيبية، والأعيان، والأمثال القرآنية، والحديثية، والتشبيهات الشعرية. ويحتوي السمط الثاني على الحكم وما يلتحق بها في اثنين وثلاثين بابا، تسعة وعشرون في الحكم المرتبة على حروف المعجم، وفي الأبواب الثلاثة الأخيرة طائفة من الحكم المجموعة، والنوادر، والأوليات.

ويشاء القدر ألا يمهل اليوسي ليحقق غرضه كاملا من الكتاب، فيموت وهو لم يكتُب منه غير المقدمة والخاتمة وأربعة عشر بابا من السمط الأول، غير أن المقدمة وحدها تدل دلالة قاطعة على ضلعة اليوسي اللغوية، وقوة عارضته وسعة تفكيره. وفيها يعجب القارئ عندما يعرف أن اليوسي ألف كتابه هذا وهو لم يطلع على أي كتاب من كُتُب المتقدمين في الأمثال، وانما رجع الى قريحته وحصيلته اللغوية الخاصة. يؤكد هذه الدعوى، فضلا عن مروءة اليوسي وعدالته، مقارنة ما كتبه في زهر الأكم بما كتبه الميداني في مجمع الأمثال، فشتان بين مُشْرِقٍ ومُغْرِبٍ ! بل حتى الأمثال القليلة التي توارد عليها المؤلفان معا يختلف أسلوبهما في طريقة شرحها والتعليق عليها.

وقد قمنا بمقارنة (3) - على سبيل المثال - بين ما كتبه الميداني واليوسي عن المثل : « أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ وَعُذَيْقُهَا الْمُرْجَبُ » فاستخلصنا الملاحظات التالية :

- نسب المؤلفان معا المثل الى الحباب بن المنذر خطيب الأنصار يوم السقيفة، إلا أن اليوسي بيّن الاطار التاريخي للمثل بتلخيص حادث السقيفة واختلاف المهاجرين والأنصار. ثم لم يقتصر على لفظ المثل - كما فعل الميداني - بل أتى بكلام الحباب كاملا : « أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ، وَعُذَيْقُهَا الْمُرْجَبُ، مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ » ليظهر وجه الافتخار والدعوى.

- أورد اليوسي معاني متعددة للجدل - بدل المعنى الوحيد عند الميداني - وذكر

(3) انظر بحثنا : « الحسن اليوسي اللغوي » في مجلة المناهل، العدد 15، يوليو 1979، ص. 211 - 229.

جموعه مستشهدا ببيت امرئ القيس، وقول الراجز، وقصة الأصمعي مع الاعرابي أبي الزيايل، وشارحا ما غمض فيها.

- أتى اليوسي بمادة ((جب)) مبينا معانيها الأصلية والفرعية، مستشهدا بالقطعتين اللتين رواهما الأصمعي عن العامري، وقد ورد في أولهما : « وَاَدِرْ مُرَجَّب » وفي الثانية : كَأَنَّ فُضُولَ الرَّقْمِ.... عُدُوقُ » مبينا كذلك اختلاف معاني العذق باختلاف فتح أوله أو كسره، في حين اقتصر الميداني على معنى اجمالي للكلمتين معا.

ولم يفت اليوسي هنا أن ينبه الى ما اشتهر عند القدماء من تشبيه البرود الملونة بالنخيل المونع، مستشهداً بابيات امرئ القيس، قبل أن ينتقل للكلام عن ترجيب النخل وطرقه المختلفة عند العرب.

- افترض اليوسي لتصغير كلمتي المثل أحد احتمالين : التعظيم على مذهب الكوفيين، أو التقريب على مذهب غيرهم، في حين جزم الميداني أن التصغير للتكبير.

- بين الميداني مضرب المثل في الأخير بجملة واحدة : « يريد أنه رجل يستشفى برأيه وعقله » وهو بيان مبتور لا ينطبق إلا على الشطر الأول من المثل. في حين أتى اليوسي بفقرة كاملة تتساقف فيها العبارات المسجعات المتكاملات، لتستوعب الشروح الضافية السابقة وتلخصها.

وقلنا في الأخير اننا لم نقصد الى التنقيص من قدر أبي الفضل الميداني أو غيره، وانما قصدنا الى بيان أصالة الحسن اليوسي في فن سبقه الميداني الى التأليف فيه بستة قرون، وسبقه غير الميداني فيه بسبعة أو ثمانية أو تسعة قرون، ومع ذلك كتب اليوسي ما كتب في الأمثال، وأواخر القرن الهجري الحادي عشر، ابتكارا على غير مثال سابق، بل ودون أن يطلع على أي كتاب في الأمثال، وكان زهر الأكم ألف في عصر ازدهار العلوم العربية أيام العباسيين، اذ المصادر مصادر ذلك العصر، والأسلوب متين سليم، والتفكير حر مبدع لا يعرف قيود التقليد والترديد.

وهناك الصبغة المغربية في زهر الأكم، تتمثل فيما اختاره اليوسي من أشعار المغاربة والاندلسيين، كقول مالك بن المرحل :

لَا تُخَالِفُ مَالِكًا فِي رَأْيِهِ فِيهِ يَأْخُذُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ
وفي الأمثال المغربية المتداولة في عصره التي أورد عددا غير قليل منها عند المناسبات في
ثنايا الأبواب، لكنه (فصَحَّها) ولم يذكرها بلسان العامة، واضطر بسبب ذلك الى تغيير
بعض ألفاظ هذه الأمثال ليستقيم تركيبها الفصيح، ولم يحتفظ باللفظ العامي الا نادرا
كالسباط مثلا في قولهم :

(امشِ بالنَّعْلَيْنِ حَتَّى تَجِدَ السُّبَّاطَ)^(3م)

في باب الباء لدى ذكر المثل العربي : يُبْلَغُ الْخُضْمُ بِالْقَضْمِ.

بقي أن نشير الى بعض مأخذ الكتاب، وهي في الواقع نتيجة حتمية لعدم تمكن
اليوسي من اتمام عمله ومراجعة ما كتب بالتهذيب والترتيب. وأكثر ما يظهر ذلك في
مجموعات الأمثال الشعرية التي لم يرتبها ترتيبا دقيقا داخل الأبواب، ولم ينتبه في الغالب
الى موطن المثل عندما تتعدد الأبيات، علما بأن بعضها يبلغ العشرة والعشرات، الى ترك
بياضات لم يسودها، وتكرار أبيات ومقطعات لم ينتبه اليها الا نادرا.

3م) أثبت أخونا محمد بن شريفة في كتاب أمثال العوام في الأندلس (القسم الأول، ص. 191-194) نحو أربعين مثلا عاميا
استخرجها من كتاب زهر الأكمل، وحاول أن يبرر ندرة الأمثال المغربية - نسبيا - عند اليوسي.

مخطوطات زهر الأكرم وطريقتنا في التحقيق :

اطَّلعنا في الخزانة العامة وفي المكتبة الملكية بالرباط على ستة عشر مخطوطاً⁽⁴⁾ من كتاب زهر الأكرم، واعتمدنا في التخريج والمقابلة أربعة من مخطوطات الخزانة العامة : عدد 178 ج. ورمزنا اليه بحرف أ، وعدد 596 ج ورمزنا اليه بحرف ب، وعدد 1001 د ورمزنا اليه بحرف ج وعدد 210 ق ورمزنا له بحرف د. وإذا ما اختلفت النسخ اخترنا ما بدا لنا صواباً دون أن نشير في الهامش الى ما ألغينا الا اذا كان له وجه، ووضعنا الكلمات والجمل أو الفقرات والأبيات الناقصة في احدى النسخ بين قوسين ونبهنا على ذلك في الهامش أيضاً. وقد قسمنا الكتاب ثلاثة أجزاء كما قسمه المؤلف أو بعض النساخ القريبين من عصره.

(4) هي المخطوطات التالية :

- 1 - مخطوط خ. ع (= الخزانة العامة بالرباط) عدد 178 ج، وهو في جزئين، ينتهي الأول بنهاية باب الناء، ويبتدىء الثاني بباب الذاك المعجمة، ففيه بتر خمسة أبواب (الناء الى الدال) وذكر الناسخ في الأخير أنه نقل من خط المؤلف.
- 2 - مخطوط خ. ع عدد 596 ج بخط مغربي دقيق، تام انتسخ عام 1134.
- 3 - مخطوط خ. ع عدد 1001 د، جيد الخط ناقص ينتهي أثناء باب الدال بقصيدة دالية لليوسي.
- 4 - مخطوط خ. ع عدد 210 ق، تام ذو خط مدمج، قابله بأصله أصل المؤلف العالم الفاسي الشهير محمد بن قاسم ابن زاكور المتوفى عام 1120، وكتب ذلك بخطه في الاخير.
- 5 - مخطوط خ. ع عدد 844 ج، ناقص ينتهي أثناء باب الدال كالمخطوط رقم 3، كتبه أحد تلاميذ المؤلف.
- 6 - مخطوط خ. ع. 388 ق، ناقص يبتدىء من باب الحاء وينتهي أثناء باب الصاد بنقص ورقة أو ورقتين من الأخير.
- 7 - مخطوط م. م (= المكتبة الملكية بالرباط) عدد 788، تام جيد الخط كتب من نسخة عن خط المؤلف عام 1158.
- 8 - مخطوط م. م عدد 798، تام جيد الخط ومذهب، دون تاريخ.
- 9 - مخطوط م. م عدد 937، تام دقيق الخط، دون تاريخ.
- 10 - مخطوط م. م عدد 2377، تام جيد الخط ومذهب، دون تاريخ.
- 11 - مخطوط م. م عدد 2591، تام جيد الخط الا أن الأرضة اكلته أو كادت.
- 12 - مخطوط م. م عدد 66/586 (الزيدانية) تام بخط دقيق جميل مذهب، انتسخ من خط المؤلف عام 1122.
- 13 - مخطوط م. م عدد 2845 (الجزء الأول فقط) ينتهي أثناء باب الناء، خط عادي دون تاريخ.
- 14 - مخطوط م. م عدد 680، ناقص ينتهي أثناء باب الدال مثل المخطوط رقم 3.
- 15 - مخطوط م. م عدد 5719 (الجزء الأول فقط) ينتهي بباب الناء، خط عادي دون تاريخ.
- 16 - مخطوط م. م عدد 1861 (الجزء الثاني فقط) يبتدىء أثناء باب الحاء، انتسخ من خط المؤلف عام 1132.

ينتهي الجزء الأول بباب التاء المثناة، ويبتدىء الثاني بباب التاء المثناة، ويبتدىء الثالث بباب الذاك المعجمة لينقطع أثناء باب الصاد ببيتتي طرفة :

كُنْتُ فِيكُمْ كَالْمُغَطِّي رَأْسَهُ فَانْجَلَى الْيَوْمَ قِنَاعِي وَخُمُرُ
سَادِرٍ أَحْسَبُ غِيِّي رَشْدًا فَتَنَاهَيْتُ وَقَدْ صَابَتْ بِقُرْ
وهو ما اتفقت عليه جميع النسخ المخطوطة التامة وكتبت : (هنا انتهى ما وجد في الأصل بخط المؤلف).

ولم نشأ أن نثقل الهوامش بالشروح اللغوية مكتفين بتوثيق الكلمات الصعبة وضبطها بالشكل التام، والتزمنا شكل الآيات القرآنية، والاحاديث النبوية، والأمثال والحكم والأبيات الشعرية، والمفردات اللغوية وأعلام الأشخاص والقبائل والأماكن، ليقراها القارئ قراءة سليمة، ويبقى المجال فسيحاً أمام الدارس للتنقيب عن المادة اللغوية والأدبية في مظانها لتتم الفائدة المرجوة.

وإننا إذ ننشر اليوم هذا الكتاب نرمي الى غايتين اثنتين، تُحَقِّقُ إحداها رغبة اليوسي الذي كتب زهر الأكم ((لينتفع به المتصرف ويتصلع منه الكاتب والشاعر وغيرهما)) (5)، وتهدف الثانية الى التعريف بانتاج عالم مغربي أسهم باضافة لبنات في صرح اللغة العربية المشيد، بهذا البلد السعيد. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الرباط في فاتح رمضان 1399/5 غشت 1979

المحققان

(5) خاتمة مقدمة زهر الأكم، ص. 40.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

سبحان الله المتعالى عن الأشباه والأمثال، والحمد لله ذي الفضل العظيم
والكرم المُنْتَال، ولا إله إلا الله المتوحد بالكبرياء والأثال، والله أكبر أن يتناول
إلى سَمِيَّ جلاله خيالاً أو مثال. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نحمده على ما
أَسْدَى مِنْ جَزِيل الرغائب، وأَجْدَى مِنْ جَمِيل المواهب، وَسَنَى مِنْ جَلِيل المآرب، وَأَسْنَى
مِنْ كَمِيل المراتب، وأَوْلَى مِنْ جَمِيل العميم. ونشكره على أفئدة بنور الايمان هداها،
وَالسَّيْنَةَ أَطْلَقَ فِي شَأْوِ الْبَيَانِ مَدَاهَا، وَبَصَائِرَ أَسَامَ سَرَحَهَا إِلَى مَرَاتِعِ الْعَبَرِ
وَحَدَاهَا، وَانْتَجَعَ بِهَا مَوَاقِعَ غَيْثِ الْفِكْرِ وَجَدَاهَا؛ حَتَّى أَصْبَحَتْ نَشْوَى مِنْ
كُؤُوسِ الْعِرْفَانِ تَهِيمٍ، وَتَجَلَّوْا بِلَوَامِعِ التَّبْيَانِ كُلِّ لَيْلٍ بِهِيمٍ. وَنُصِّلِي
عَلَى نَبِيهِ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ الْمُقْتَدِرَ حَقّاً ذُرْوَةَ الْكَمَالِ وَالْفَخَارِ، وَالْمُرْتَدِي بِيرْدَاءِ
الْأَجْلَالِ وَالْأَكْبَارِ، وَالْمُبْتَغَى مِنْ أَطْيَبِ عُنُصُرٍ وَأَكْرَمِ نَجَارٍ، فِي حَسَبِ حَسَبِ
وَشَرَفِ قَدِيمٍ. الَّذِي أَنْارَ بَطْلَعَتِهِ الْغُرَاءَ عِلْمَ الْمُهْتَدِينَ، وَسَمَكَ بِعِزَّتِهِ
الْقَعَسَاءَ مَنَارَ الدِّينِ، وَثَلَّ بِشِرْعَتِهِ الْبِيضَاءَ عُرُوشَ الْجَاهِدِينَ وَالْحَائِدِينَ،
وَاسْتَأْصَلَ بِشَوْكَتِهِ الشُّوْكَاءَ شَافَةَ الْعَادِينَ وَالْمُعَادِينَ، وَجَعَلَهُ صِفْوَةَ
الصِّفْوَةِ، وَنُخْبَةَ النُّخْبَةِ، وَسِرِّ السِّرِّ، وَخُلَاصَةَ الْخُلَاصَةِ، وَمُصَاصَةَ
الْمُصَاصَةِ، وَلُبَّابَ اللَّبَابِ، وَخِيَارَ الْخِيَارِ، وَصَمِيمَ الصَّمِيمِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
صَلَاةَ تَلُوحٍ فِي أَفْقِ مَكَانَتِهِ الْعُلْيَا قَمَرًا، وَتَفُوحٍ عَلَى طَلْعَتِهِ الْغُرَاءَ
عَنْبَرًا، وَتَنْهَمِكُ فِي جَنَابِ مَجَادَتِهِ الْفِيحَاءَ كَوْثَرًا، وَتَخْضُكُ فِي رَوْضَةِ
جَمَالِهِ الْغَنَاءَ زَهْرًا، مَا هَبَّ نَسِيمٌ، وَذَهَبَ ذُو رَسِيمٍ. وَعَلَى آلِهِ الْأَمْثَالِ، بِدُورِ
الْمَحَافِلِ، وَصُدُورِ الْجَحَافِلِ، وَيَنَابِيعِ الْفَضَائِلِ وَالْفَوَاضِلِ، وَأَعْلَامِ
الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، مَا بَدَأَ عَلَى وَجَنَاتِ الْوَرْدِ
تَخْجِيكَ، مِنْ رَشَفَاتِ النَّسِيمِ الْبَلِيكِ، وَاصْفَرَّ رَوْعَةً وَجْهَهُ الْأَصِيكَ، مِنْ

لَحَظَاتِ طَرْفِ اللَّيْلِ الْكَحِيكِ، وَآسْفَرَ الصَّبَاحُ عَنْ ثَغْرِ بَسِيمٍ، وَمَنْظَرِ
وَسِيمٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْعِلْمَ أَنْفَسُ عِلْقٍ يُقْتَنَى، وَأَحْلَى ثَمَرٍ يُجْتَنَى؛ وَأَعْدَلُ
مُحَبَّةٍ، وَأَقْوَمُ حُجَّةٍ، وَأَحْصَنُ جُنَّةٍ، وَأَضْوَأُ بَدْرٍ فِي دُجْنَةِ؛ وَأَرْبَحُ مَتَجَرٍ
يُنَابِرُ عَلَيْهِ، وَأَنْجَعُ مَرَعَى يُنْتَجَعُ إِلَيْهِ؛ وَآرْجَى بَارِقٍ يُسْتَامُ، وَأَفْضَلُ
جَنَابٍ يُعْتَامُ؛ وَأَنْوَرُ نُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ، وَأَمْنَعُ وَزَرَ يُعْتَصَمُ
بِهِ فِي الْأَزْمَاتِ؛ وَأَوْثَقُ عُرْوَةٍ يَسْتَمْسِكُ بِهَا ذَوُو الْبِصَائِرِ، وَأَعْظَمُ عُدَّةٍ
تُعْقَدُ عَلَيْهَا الْخَنَاصِرُ؛ وَأَقْوَى مَطِيَّةٍ تُرْكَبُ، وَأَتَمُّ سِلَاحٍ يُنْتَكَبُ؛ وَأَطْيَبُ
نَسْمَةٍ تُسْتَنْشَقُ، وَأَجْمَلُ مُحَبُوبٍ يُعْلَقُ؛ وَأَبْهَى زِينَةٍ يَتَحَلَّى بِهَا
الْمُتَحَلِّوْنَ، وَأَرْفَعُ مِئْصَرَةٍ يَتَجَلَّى عَلَيْهَا الْمُتَجَلِّوْنَ.

فَإِنَّ الْعِلْمَ غِذَاءُ الْعَقْلِ، وَبِهِ يَعْرِفُ الْحُكْمَ الْعَدْلُ؛ وَإِنَّ الْخِصْيَصَى الَّتِي بِهَا
شَرَفُ الْإِنْسَانِ إِنَّمَا هِيَ الْعِلْمُ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَوْ بَلَغَ فِي كَمَالِ الْجِسْمِ أَطْوَرِيَّهَ، لَا يَكُونُ
إِنْسَانًا إِلَّا بِأَصْغَرِيَّهَ:

لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ آدَنَى ضَيْغَمٍ آدَنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ⁽¹⁾
وَمَا امْتَأَزَ اللَّسِنُ الذَّكِيُّ عَنِ الْعِيِيِّ إِلَّا بِرِجَاحَةِ الْجَنَانِ، وَفَصَاحَةِ اللَّسَانِ؛
فَإِنَّ الْخَلِيقَ لِأَفْكَارٍ، عِنْدَ افْتِرَاعِهَا الْمُعَانِيَّ الْأُبْكَارِ؛ وَالْجَدِيرَ لِلْأَلْسِنَةِ عِنْدَ اقْتِطَافِهَا
أَزَاهِيرَ النَّبْيَانِ، وَاهْتِصَارِهَا آفَانِينَ التَّبَيَّانِ، أَنْ يَتَمَيَّزَ فِيهَا الْفَائِقُ مِنَ الْمَائِقِ،
وَالسَّابِقُ مِنَ السَّائِقِ؛ وَعِنْدَ السِّيَاقِ فِي مِيدَانِهَا الْوُثِيمِ، أَنْ يَتَجَلَّى الْمُجَلِّي
عَنِ اللَّطِيمِ، وَعِنْدَ مَزَاولَةِ الْغَرَضِ الْمُعْضِلِ، أَنْ يُعْرِفَ الْمُقَرَّطِسُ مِنَ
الْمُخْضِلِ. وَعِنْدَ انْتِيَاشِ مَضَارِبِ الْأَفْهَامِ، أَنْ يَمْتَأَزَ الصَّارِمُ عَنِ الْكَهَامِ؛
وَعِنْدَ اقْتِبَاسِ حِكْمَةٍ تُسْتَشْعَرُ، أَنْ يَشْرِفَ الْمُؤَرِّي عَنِ الْأُدْعَرِ؛ وَعِنْدَ اقْتِسَامِ مَزَايَا
الْفَضْلِ الْفَسِيمِ، أَنْ يَفُوزَ الْمُعْلَى دُونَ السَّفِيمِ؛ وَعِنْدَ اسْتِفْتَاكِ الْمَغَالِقِ،
وَتَغَشْيِ الْمَضَائِقِ، أَنْ يُعْلَمَ الْمُجْهِمُ مِنَ الْمُحْجِمِ، وَالْمَهْصُورُ مِنَ

(1) هَذَا الْبَيْتُ لِأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ مِنْ قَصِيدَةِ مَدْحِ بَهَا سَيْفِ الدَّوْلَةِ، مَطْلَعُهَا
الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي

الْحَصُور. فلا جَرَمَ كان من أجلّ العلوم وأفخرها، وأحقّها بالاعتناء به وأجدرها، علمُ الأدب، والتَّصْلُح من كلام العرب، إذ به تَنَحَّلُ عَقْلَةُ اللسان، وتُزَاحُ رَوْعَةُ الجَنان. وهو لسانُ نَبِيِّنا نُخْبَةِ الْعَالَم، وصِفْوَةِ وَلَدِ آدَم، وكتابِهِ الَّذِي أَخْرَسَ بِهِ مَصَاقِعَ النُّبِيَّان، مِنْ بُلْغَاءِ عَدْنَانَ وَقَحْطَانَ، حَتَّى عَدَلُوا عَنْ الْمُجَادَلَةِ إِلَى الطَّعْنِ، وَعَنِ الْمُعَارَضَةِ إِلَى الْإِذْعَان. صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مَا لَمَعَ بَارِق، وَطَلَعَ شَارِق. فَهُوَ لَعَمْرِي أَجَلُّ الْكَلَام، وَأَشْرَفُ مَا اعْتَوَرَتْهُ الْأَلْسِنَةُ وَالْأَفْهَام، وَأَبْهَى بَدْرٍ يُسْتَجَلَّى وَعَرُوس، وَأَسْنَى أَثَرٍ يُسْتَبْقَى فِي مِيَادِينِ الطَّرُوس. لَا سِيَّمَا عِلْمُ أَمْثَالِهَا الَّتِي هِيَ زِمَامُ كُلِّ مَعْنَى، وَمَنَاطُ كُلِّ مَبْنَى، وَمَنَارُ كُلِّ مَرْمَى، وَمِصْبَاحُ كُلِّ ظُلْمَا. وَبِهَا يَرْتَاضُ كُلُّ جَمُوح، وَيُصْنِحُ الْمُتَنَبِّهِمْ ذَا وَضُوح. وَبِهَا يَعُودُ الْغَائِبُ مَشْهُودًا بِكَ الْمَعْدُومُ مَوْجُودًا.

وكان الأقدمون بهذا الفنَّ مُعْتَنِينَ، وَلِنَوَادِرِهِ مُلَقَّنِينَ، وَمُدُونِينَ، يَرْدُونَ مَوَارِدَهَا، وَيَقْتَنِصُونَ شَوَارِدَهَا ؛ وَيَقْتَطِفُونَ أَزْهَارَهَا النَّضِيرَةَ، وَيَتَنَسَّمُونَ نِسْمَاتِهَا الْعَطِيرَةَ ؛ وَيَرْتَشِفُونَ ثُغُورَهَا، وَيَقْتَبِسُونَ نُورَهَا ؛ وَيَشِيمُونَ لَمَحَاتِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ، وَيَشِيمُونَ بِدُرِّهَا⁽²⁾ صَفَحَاتِ الْمَهَارِقِ. فَلَمَّا طَالَ الْعَهْدُ بِأَزْمَانِ الْعَرَبِ، وَقَضَى مَنْ تَنَاسَى أَيَّامَهَا كُلَّ أَرْبٍ، تَغَلَّبَتِ الْعُجْمَةُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَالطُّبَاعِ، فَخَلَّتْ مِنْ قَطِينِهَا هَاتِيكَ الرَّبَاعِ، وَأَصْبَحَتْ حَدِيثًا مَهْجُورًا، كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، وَعَادَتْ أَيَّامُهَا مَحْضَ أَوْهَامِ، فَكَانَهَا وَكَانَهُمْ أَحْلَامِ، وَتَقَلَّصَ ضَافِي بَرْدِهَا، وَتَكَدَّرَ صَافِي وَرْدِهَا، وَذَهَبَتِ الْمَعَارِفُ وَالْعَوَارِفُ، وَتَقَلَّصَ ظِلُّهَا الْوَارِفُ ؛ وَأَمَسَتْ رَبَاعُ الْأَدَبِ قَفْرًا، وَرَاحَةُ الْخَوَاطِرِ مِنْهُ صِفْرًا.

وَكَانَتْ نَفْسِي تَشْوُقُنِي إِلَى هَذَا الْفَنِ وَمَآثِرِهِ، وَتُنَازِعُنِي إِلَى تَتَبُّعِ دَائِرَتِهِ. فَكُنْتُ أَشْتَاقُ أَنْ أَرَى فِي هَذَا مَوْضِعًا، وَأَصَادِفُ كِتَابًا مَجْمُوعًا، مِمَّا عُنِيَ بِهِ الْأَقْدَمُونَ، وَاقْتَفَى آثَرَهُمْ فِيهِ الْمُتَأَخَّرُونَ. فَلَمْ يَسْمَحْ بِذَلِكَ الدَّهْرُ الْعَقِيمُ، وَلَمْ يُظْفِرْ بِشَيْءٍ مِنْهُ الْجَدُّ السَّقِيمُ. وَلَمَّا لَمْ أَذُقْ مِنْ ذَلِكَ لَمَاقًا، وَلَمْ يَزِدْ

(2) فِي نَسْخَةِ (أ) بِدَوْرَهَا ؛ وَفِي (ب) بِدَرِّهَا.

القلبُ إلا اشتياقا، طَفِقتُ أَجُولُ في عَرَصاتِ كُتُبِ الأدبِ، وكُلُّ ما له مَاسَّةٌ
 بِكَلَامِ العَرَبِ. ولم أزل أَتَبَّعُ ظِلَالَهَا، وَأَشْتَفُ بِلَالِهَا، وَأَرْعَاهَا قُنَنًا وَوَهَادًا،
 وَأَنْتَجِعُهَا فَتُوحًا وَعِهادًا ؛ وَأَحْتَلِبُهَا شَصَائِصَ وَشَكَارَى، وَأَعْتَقُهَا
 عُونًا وَأَبْكَارًا، حتَّى التَّقَطُّتْ مِنْ ثَمِينِ جَوْهَرِهَا، واقتَطَفْتُ مِنْ يَنْيعِ
 زَهْرِهَا، ما يَشْفِي العَلِيلَ، وَيَنْقَعُ الغَلِيلَ، وَيَمِيسُ مَيْسَ الغُصْنِ
 المَرُوحِ، وَيَسْرِي فِي الجُسُومِ مَسْرَى الثَّرُوحِ. فلما امتلأ بحمد الله من ذلك الوطابِ،
 وعاد الثَّلَمُ إلى الارطابِ، هَمَمْتُ أَنْ أَجْمَعَ ما عَلِقَ فِي هذا الوقتِ بخاطري، مما
 تَرَقَّى إِلَيْهِ نَظَرِي وَنَاطِرِي، فِي كِنِّ يُوُوءِيهِ، وَمَجْمُوعِ يَحْوِيهِ، حِذَارًا مِنْ
 النِّسْيَانِ، عِنْدَ تَطَاوُلِ الزَّمَانِ. فَالْتَفَتُ هَذَا المَجْمُوعَ فِي الأمْثَالِ، وَأَوْدَعْتُهُ كُلَّ
 دُمِيَّةٍ وَتِمْنَالٍ. ثُمَّ رَأَيْتُ أَنْ أَضْمَّ إِلَيْهَا مِنَ الحِكَمِ جُمْلَةً مِمَّا انْتَهَيْتُ
 إِلَيْهِ، وَوَقَفْتُ عِنْدَ تَطَوُّافِي عَلَيْهِ، وَتَتَمِيمًا لِلْفَائِدَةِ، وَتَكْمِيلًا لِلْعَائِدَةِ،
 مَعَ قُرْبِ ما بَيْنَ التَّوَعُّينِ جَدًّا، كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ عِنْدَ التَّعَرُّضِ لَهَا فَصلاً وَحِداً.
 فجاء بحمد الله كتاباً مُنْتَبِهاً، لِلْإِذَانِ الصَّمِّ مُسْمِعاً:

جَمَعْتُ بِهِ وَالْجَفْنَ مُغْضِبَ عَلَى التَّقْذَى

وَبِالْخَلْدِ النَّبْلَالُ أَصْبَحَ ذَا خَلْدِ

مَحَاسِنَ تَزْرِي بِالنَّسِيمِ إِذَا سَرَى

فَحَيَّى مَحْيَا السَّوْسَنِ الْغَضُّ وَالنُّورُ

وَتَزْرِي بِهَاءَ بِالْمَطِيرِ مِنَ الرَّبَى

وَبِالْعَذَابِ لِلصَّادِ وَالْكَاعِبِ الرَّادِ

لَالِيءُ مَا غَوَّاصُهَا بِمُصَادِفِ

لَهَا صَدَقَاتُ فِي مُلْتَقَى أَبْحَرِ الْهِنْدِ

وَلَا حُلِّيَتْ يَوْمًا بِهَا جِيدُ غَادَةِ

وَلَا فَصَّلَتْ بِالْعَسْجَدِ الصَّرْدِ فِي عِقْدِ

فَرَائِدُ مَا مِنْهُنَّ إِلَّا خَرِيدَةُ

أَعْرُ عَلَى الْمَرْتَادِ فِي الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ (3)

(3) فِي نَسْخَةِ (أ) : تَمِينُ بِنَاءُ مَثْنَاءُ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(4) فِي نَسْخَةِ (ب) : طَوْفَانِي بَدَلُ تَطَوُّافِي.

(5) فِي نَسْخَةِ (أ) : بِالْأَبْلَقِ أَوْ مَا لَابَقَ.

ومع هذا فإنني أعتذر لذوي النفوس الوقادة، والصيارفة النقاداة، من تقصير فيه،
 وخلل لم يتفق تلافيه. وكيف لا يُعذَرُ ذو بالٍ مُتَقَسِّمٍ، ووبالٍ مُتَكَسِّمٍ،
 وشخص لا يبين لِمَتَوَسِّمٍ، مكلِّومٍ بفاغيرٍ من الخطوبِ
 مُتَبَسِّمٍ، يَرْمُقُ النعِيشَ برُضًا، ويقطعُ بسِيطَ الحِيرةِ طولًا وعَرْضًا،
 لا يترجى مددًا، إلا كان كمدًا. ولا يَغْتَبِقُ إلا عِبْرَةً، ولا يَغْتَنِقُ إلا زَفْرَةً،
 ولا يَعْدُ إلا ذُنُوبَ الدهرِ، ولا يَعِدُ إلا ذُنُوبَ نَهْرٍ، في فِتْنَةٍ تَحُولُ بَيْنَ
 المرءِ وقلْبِهِ، وتذهلُ غِيلانَ عن حَبِيبِهِ، ودهرُ حَالٍ دُونَ القَرِيضِ،
 بِالشَّجَى والجريضِ، ورَدُّ الأوجرِ إلى الحَضِيضِ، ولم يجعلْ بُدًّا من
 مُصَادَقَةِ البَغِيضِ، وأعادَ الصُّدُورَ أعقابًا، والنَّوَاصِي أذُنَابًا، وكَدَّرَ كُلَّ
 صَفْوٍ، وأَوْرَثَ كُلَّ شَجْوٍ، وخَلَّفَ مِنْ بَنِيهِ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ، وزَبَانِي⁽⁶⁾
 العَقْرَبِ، لا يَتَجَرَّعُونَ إلا عَلاَقِمَ، ولا يَلْتَمِسُونَ إلا أَرَاقِمَ؛ أمَّا أذُنَابُهَا
 فَرَعَاةٌ، وَشَرٌّ شَعَاةٌ، وَفِتْنَةٌ وَرَدُّهَا قُعَاةٌ، وظَلْمَةٌ ليس بها مِنْ شُعَاةٍ؛
 وأمَّا ذُرَاهَا فلا تَعْدُو رَضِيْعًا تَبْكِي المَخَاضُ الجُرْبُ لِمُصَابِيهِ⁽⁷⁾، وَتَشْكُو
 الصَّفَرُ والبَيْضُ يَدَ الضِّيَاعِ لِيَصْفِرَ وَطَائِيهِ، وَخَلِيْعًا يَذْهَبُ دَهْرُهُ مَا بَيْنَ
 الرُّخِّ والرَّخَّةِ، والفَخِّ والفَخَّةِ، وَكِلَا النُّوعَيْنِ قَدْ أَنْزَلَهُمَا أَسْوَدُ الْعَيْنِ طَرْفَهُ،
 وَتَضَمَّنَهُمَا الْقَمَرَانِ الْمُشْتَبِهَانِ فِي بَيْتِ طَرْفَةٍ.

وكان الأدبُ وسائر العلوم قديمًا إنما يُخَيِّي غِرَاسَهَا، وَيُسْنِي مِرَاسَهَا،
 وَيُطَيِّبُ أَنْفَاسَهَا، وَيُحَبِّبُ نِفَاسَهَا الْفَضْلَ، النَّهَامَ، وَالنَّعْدُلَ الْحَامَ. فَمَا
 الْيَوْمَ فَلَا نَدَى يَسْتَتِمِرُ الْإِبْدَاعَ، وَلَا انْتِصَافُ يَتَلَفَّى الْإِنْصِدَاعَ. فَأَيُّ عِلْمٍ
 يَرْتَجَى، مِمَّنْ زَوَالَ الرُّوعِ عِنْدَهُ مُنْتَهَى الرَّجَا؟ قَنُوعٌ مِنَ الْغَنِيْمَةِ
 بِالْإِيَابِ، وَمِنَ الْإِيْرَابِ، بِنِفَاضَةِ الْجِرَابِ، وَمِنَ الشَّرَابِ، بِلَمْحَةِ السَّرَابِ. وَكَيْفَ
 يُمْكِنُ لِمَثَلِي أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ، فَضْلًا عَنْ فَصْلَيْنِ؟ لَكِنْ لَمَّا لَمْ
 يَكُنِ التَّجَرُّعُ عِنْدَ حُلُولِ الْأَقْدَارِ، مِنْ شَيْمِ الْأَحْرَارِ، قَبِضْتُ عَلَى أَحَرٍّ مِنْ جَمْرٍ،

(6) فِي نَسْخَةِ (أ) : وَزَبَانِي، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(7) الرضيم هنا : اللثيم. وقد فسر اليوسي عبارة بكاء المخاض الجرب في المحاضرات (ص. 55) لما أورد ضمن أشعار المعاني عند العرب :

سَتَبْكِي الْمَخَاضُ الْجُرْبُ إِنْ مَاتَ هَيْئَتُمْ وَكَلَّ النَّبْوَكِي غَيْرُهُنَّ جُمُودَ
 أي أنه كان يستحيها بخلا ولا ينحرفها للضيغان، فهي تبكي عليه ولا يبكي عليه أحد من الناس إذ لا خير فيه.

وتجلد على ما بي من ضمير، وثنيته الضلوع على آذاها، وأغضيت
الجفون على قذاها. فجمعت هذه الأحرف على حين لم يبق من العلم
إلا رسمه، ومن التحقيق إلا اسمه، من غير كبير عُدّة اعتمد
عليها، وأرجع عند المعوصات إليها، ولا وجود مصنف في هذا
الفن أهتدي بمناره، وأستضيء بضوء نهاره، وإنما اقتدحت الفكر
السادر، فاقترحنا نوادر، جمعتها من كل أوب، وحدرتها من كل صوب. ولا
أكاد مع ذلك أجِدُ مثلاً منها متكلماً عليه، ومنبهاً فيه على ما يحتاج
إليه؛ وإنما يذكرُ جُلّها مجرداً، فالتقطه مفرداً. ثم آتحمك أعباء
شرح ألفاظه ومعانيه، وآتكلف من دواوين العرب ومن بعدهم
إحضار شواهد ومبانيه. فكنت في ذلك شبه الناضع وإن سبقت،
والمخترع وإن نقلت. وأضفت إلى ذلك من نفائس النوادر درراً، ومن
نكت الفوائد غرراً. وجمعت فيه من شعر الأقدمين والمحدثين
عيوناً، وقضيت من غريبه ديوناً، وما ذكرت شعراً إلا اخترته، ولا
التمت بمنزعه إلا حرّره، ولا دفعت إلى مبهم إلا أوضحته، ولا
افتتحت باباً إلا أتممته، مع جملة وأقيرة من علم اللّغة، تكون
للمقتصر عليه كفاية وبلغة، لولا أنّي رمتُ بدلاً على تقثير،
وإنباضاً بلا توتير. فإن جاء وفق الغرض، وقضى الحقّ المفترض،
فليّ تعالى المنة، ومنه الحول والمنة؛ وإن اتفق خلك، وفرط ذلك،
فمن نفسي الغيبة، وجهالتي الريبة، وفطنتي الخامدة، وقريحتي
الجامدة. فإن مثلي ليس يكون أهلاً للتعلم فضلاً عن التعليم :

ولكن البلاد إذا اقتشعرت وصوّم نبثها رعي الهشيم

ولما تم ما أردته بحمد ذي المن والفضل، وبرز من القوة إلى
الفعل، سمّيته زهر الأكم، في الأمثال والحكم. وجعلته سمطين :

السُّمْتُ الْأَوَّلُ فِي الْأَمْثَالِ وَمَا يَلْتَحِقُ بِهَا، وَفِيهِ مَقْدَمَةٌ، وَخَاتَمَةٌ، وَأَرْبَعَةٌ
وِثْلَاثُونَ بَابًا تِسْعَةٌ وَعَشْرُونَ مِنْهَا فِي الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَا يَلْتَحِقُ بِهَا عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ،
الْبَابُ الْمُؤَوَّفِيُّ ثَلَاثِينَ فِي الْأَمْثَالِ التَّرْكِيبِيَّةِ، الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ فِي الْأَعْيَانِ،
الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ فِي الْأَمْثَالِ الْقُرْآنِيَّةِ، الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ فِي الْأَمْثَالِ الْحَدِيثِيَّةِ، الرَّابِعُ
وَالثَّلَاثُونَ فِي النَّتَشْبِيَّاتِ الشَّعْرِيَّةِ .

السُّمْتُ الثَّانِي فِي الْحِكْمِ وَمَا يَلْتَحِقُ بِهَا، وَفِيهِ اثْنَانِ وَثُلَاثُونَ بَابًا : تِسْعَةٌ
وَعَشْرُونَ فِي الْحِكْمِ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ ؛ الْبَابُ الْمُؤَوَّفِيُّ ثَلَاثِينَ فِي حِكْمِ مَجْمُوعَةٍ،
وَالْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ فِي النَّوَادِرِ، الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ فِي الْأَوَّلِيَّاتِ . فَكَانَ مَجْمُوعُ ذَلِكَ سِتَّةً
وَسْتِينَ بَابًا . وَاللَّهِ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ عِنْدَهُ دَخِيرَةً وَحَسَنَةً، وَأَنْ يَجْعَلَ لَنَا مِنْ
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَأَنْ لَا يَجْعَلَ لَنَا مِمَّنْ أَدْلَى
بِحَبْلِكَ الْغُرُورَ حَتَّى حَانَ، وَسَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ، وَأَعُوذُ
بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ مِمَّنْ إِذَا رَأَى قَبِيحًا فَارَ بَطْرَهُ، فَشَمِتَ بِالمَسَاوِي
وَأَشْمَتَ؛ وَإِذَا رَأَى جَمِيلًا ثَارَ حَسَدُهُ، فَصَمَتَ عَنِ الْمَحَاسِنِ وَأَصْمَتَ .
وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ إِطْرَاءِ الْمُدَاجِنِ، وَمَعْنَى الْمُشَاحِنِ، وَأَعُوذُ بِهِ مِمَّنْ يَتَعَرَّفُ
الْحَقَّ بِالرَّجَالِ، أَوْ يُحَدِّدُ فَضْلَ اللَّهِ بِالْأَجَالِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ
عَلَيْهِ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

السَّمَطُ الأوَّل

في الأمثال وما يلتحق بها

الكلام في المقدمات، وفيه أربعة فصول :

الفصل الأوَّل : في معنى المَثَلِ والحِكْمَةِ. أما الأوَّل وهو المَثَلُ بفتحيتين

يَرْدُ على ثلاثة أَصْرُبٍ :

الأوَّل : الشَّبَهُ، يقال : « هذا مَثَلُ ذاك » أي شَبَهُهُ ؛ ويقال أيضا : « هو مِثْلُهُ بكسر فسكون، ومَثِيلُهُ، كما يقال شَبَهُ وَشَبِيهَ وَشَبِيهَ ». فإذا قيل : « هو مِثْلُهُ، وهم أَمِثْنَالُهُم بالتصغير » فقد أريد أن المِثْلَ حَقِير، كما أن هذا حَقِير. ومن هذا قولهم : مُسْتَرَادٌ لِمِثْلِهِ، أي مِثْلُهُ يُطْلَبُ وَيُشْحَرُ عَلَيْهِ. ومنه الأمثل من الناس وهو الأفضل ، لأن معناه الأشبه بالأفاضل والأقرب إلى الخير، وأما لك القوم خِيَارُهُم. قال تعالى : إِذْ يَقُولُ أَتَمَثَّلُهُمْ طَرِيقَةً. وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى، أي التي هي أشبه بالحق والفضيلة، وهي تَأْنِيثُ أمثك - وتقول : مَثَلْتُ الشيء بالشيء إذا شَبَّهْتَهُ به تمثيلا وتمثالا بفتح التاء، كالتَّسْيَارِ والتَّطَوُّافِ. وأما التَّمْثَالُ بالكسر فالصورة المصوَّرة، جمعها تماثيل. يقال : مَثَلَهُ لَهُ أي صَوَّرَهُ له حتى كأنه ينظر إليه. وتمثَّك تصور. قال تعالى : فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. وتماتك الشَّيْئَانِ : تَشَابَها. ومَثَلُ الشَّيْءِ : مقداره. وقولهم : مَثَلْتُ بِفُلَانٍ مُثْلَةً، ومَثَلْتُ به تمثيلا : أي نَكَلْتُ به وأوقعت به عقوبة، من هذا، لأن معناه أنه جعله مِثَالًا يَرْتَدِّعُ به الغيرُ.

الضرب الثاني : الصِّفَةُ. قال تعالى : مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ، أي صفتها ونحو هذا، وهو كثير في القرآن. وقال تعالى : لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، أي لهم الصفات الذميمة وله الصفات العلى. ويقال في هذا المعنى أيضا : مثالك.

الضرب الثالث : القَوْلُ السَّائِرُ الْمُشَبَّهُ مَضْرِبُهُ بِمَوْرَدِهِ، وعلى هذا الوجه ما ضَرَبَ اللَّهُ تعالى من الأمثال في القرآن. قال تعالى : وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ الْآيَةِ. وعلى هذا شاع إطلاق اسم المثل اذا أطلق.

وقال الراغب : المَثَلُ يقال على وجهين : أحدهما بمعنى المِثْل، نحو شَبَّهَ وشَبَّهَ، ونَقَضَ ونَقَضَ، قال بعضهم : وقد يعبرُ بهما عن وصف الشيء، نحو قوله تعالى مَثَلُ الْجَنَّةِ الْآيَةِ. والثاني عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني، أي معنى كان، وهو أعم ألفاظ الموضوعة للمشابهة. وذلك أن النَّدَّ يقال فيما شاركه في الجوهرية ؛ والشَكْلُ يقال فيما شاركه في المساحة ؛ والشَّبَّهُ يقال فيما يشاركه في الكيفية فقط ؛ والمُساوِي يقال فيما يشاركه في الكمية فقط. والمِثْلُ عامٌ في جميع ذلك. ولهذا إنما أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ انتهى.

وقد ذكر غيره أن المماثلة هي المساواة من كل وجه، والمشابهة في أكثر الوجوه. والمناظرة هي المساواة من كل شيء من الوجوه ولو في واحد، فيكون كل واحد من هذه الألفاظ الثلاثة أعم مما قبله. وكل ذلك مخالف لما في متون اللغة من تفسير المثل بالشبه، والعكس كما أوردناه قبل، ومخالف لظاهر صنيع البلغاء في باب التشبيه، حيث قسموا أوجه الشبه إلى ما يرجع إلى الشكل، وما يرجع إلى المقدار، وما يرجع إلى الكيفية، وغير ذلك، وسماوا كل ذلك تشبيها وهو من الشبه، والأمر في هذا قريب. اذا عرفت هذا فاعلم أن مقصودنا من المثل بالذات في هذا الكتاب هو ثالث الأقسام السابقة وهو المثل السائر.

وللناس في تعريفه عبارات. فقل ما مرَّ من أنه القَوْلُ السَّائِرُ الْمُشَبَّهُ مَضْرِبُهُ بِمَوْرَدِهِ ؛ وقل هو قول مركب مشهور شُبَّهَ مَضْرِبُهُ بِمَوْرَدِهِ، وهما بمعنى. فقيدُ السائر والمشهور يُخرج ما لم يَشْتَهَرْ وَيَسِرْ من الأقوال كلها. وقل تشبيه المَضْرِبِ أي المحل الذي ضُرِبَ فيه الآن بالمَوْرَدِ أي المحل الذي وَرَدَ فيه آوَلًا يُخْرِجُ ما اشتهر ولم يَقَعْ فيه هذا التشبيه ككثير من الحِكَمِ والأوامر والنواهي الشرعية مثلا. وقل المَثَلُ هو الحُجَّةُ، وهو صحيح لأنه يُحْتَجُّ بِهِ كما سيتبين في فائدته.

وقال المرزوقي : المَثَلُ جملةٌ من القول مُقْتَضِبَةٌ من أصلها أو مُرْسَلِها بذاتها، تَتَّسِمُ بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح

قصدُه بها من غير تَغْيِيرٍ يلحقها في لفظها، وعمّا يُوجبه الظاهر الى أشباهه من المعاني. ولذلك تضرب وإن جُهِلت أسبابُها التي خرجت عليها، واستجيز من الحذف ومضارِع ضرورات الشعر فيها ما يُستَجَازُ في سائر الكلام.

وقال الراغب : المَثَلُ عبارةٌ عن قول في شيء، يُشَبِّهُ قولاً في شيء آخرَ بينهما مشابهةٌ لِيُبَيِّنَ أحدهما الآخرَ ويُصَوِّرُهُ، نحو قولهم : « الصَّيْفُ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ » فَإِنَّ هذا القول يشبه قولك : « أَهْمَلْتُ وَقْتَ الامْكِانِ أَمْرَكَ. »

قلت : وتلخيص القول في هذا المقام أن المَثَلَ هو قولٌ يَرِدُ أولاً لسبب خاص، ثم يتعداه الى أشباهه فيُستَعْمَلُ فيها شائعا ذائعا على وجه تشبيهها بالمَوْرَدِ الأول ؛ غير أن الاستعمال على وجهين :

أحدهما أن يكون على وجه التشبيه الصريح، سواء صُرِّحَ بالأداة كقولهم : « كَمْجِيرٌ أَمٌّ عامر. » وقولهم : « كَالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِير. » أَوْ لَمْ يُصَرِّحْ كقولهم : « تَرَكْتُهُ تَرَكَ الصَّبِيَّ ظِلَّهُ. » وهو كثير.

الثاني أن لا يكون على وجه التشبيه الصريح كقولهم : « الصَّيْفُ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ. » ؛ وقولهم : « هَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَاقَى الدَّبِيرَ » ونحو ذلك، وهو أكثر من الأول.

أما الوجه الأول فهو تشبيه من التشبيهات، إلا أنه سَارَ وذَاعَ في بابه فَعُدَّ مثلاً سائراً لِمَا عَرَفْتَ من أن التشبيه كله تمثيل. ومن ثَمَّ تجد قدماء اللغويين وأهل العربية يطلقون المَثَلَ على المَجَازِ⁽¹⁾، ويقيدون ما كان سائراً منه بالمَثَلِ السائر أو بأنه من أمثال العرب ليفهم ذلك.

وأما الوجه الثاني فهو في مَوْرَدِهِ لا تَشَبِيهِ فِيهِ، ولكن يُسْتَعْمَلُ فِي مَضَارِيهِ على وجه تشبيهها بالمَوْرَدِ من غير تصريح (بالتشبيه)⁽²⁾، بل على أن يستعار اللفظ المستعمل في المورد الأول للشيء الشبيه بذلك. فقول القائل أولاً للمرأة التي طَلَّقَهَا : « الصَّيْفُ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ » لا يريد تشبيهاً أصلاً ؛ وإنما أراد أنك فَرَطْتَ فِي اللَّبَنِ

(1) في ج المجاورة وصحح في طرته : مجاز.

(2) سقط من ج

وتسببت في ضياعه عند زمن الصيف، إذ كنت تطلبين فراقى. ثم إنك أنت اليوم إذا رأيت أحداً فرط في حاجة زمن إمكانها، ثم جعل يطلبها وقد أدبرت، ساغ لك أن تشبه هيئته بهيئة من ترك اللبن أو محله في وقت، ثم جعل يطلبه في وقت آخر، فتقول له لأجل هذه المشابهة : « الصَّيْفُ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ. » أي حالتك هذه حالة التي قيل لها : « الصَّيْفُ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ » ولأجل هذا المعنى وهذا التقدير، تَنَقَّلُ لفظ المَثَلِ كما قيل أولاً من غير تغيير، حتى إنك في هذا المثل بعينه تكسر التاء في ضيعت وان كنت تخاطب ذكراً. وهكذا سائر الأمثال، وهذا يُسمى عند الأدباء استعارة تمثيلية، ويُسمى التمثيل على سبيل الاستعارة، وهي أحد قسمي الاستعارة التصريحية التي هي أن تُشَبَّه شيئاً بشيء، ثم تَنَقَّلَ لفظُ المشبَّه به ⁽³⁾ وتطلقه على المشبه لأجل هذا التشبيه إطلاقاً كأنه وضع له من غير تصريح بالتشبيه ولا بالمشبه به على وجه يشعر بالتشبيه ؛ غير أن لفظ المشبه به قد يكون مفرداً كلفظ الأسد الذي تنقله من السبع الموضوع هو له أولاً إلى الرجل الشبيه به في الجراءة. وقد يكون مركباً كلفظ « الصيف ضيعت اللبن » الذي تنقله من هيئة من ضيَّع اللبن إلى هيئة من ضيَّع حاجة من الحوائج. وهي الاستعارة في التركيب والتمثيل على سبيل الاستعارة. والأمثال الداخلة في الوجه الثاني كلها من هذا النمط. وقد سمعت تقرير ذلك وعرفت وجه عدم تغييرها، إذ كما ان المفرد اذا نُقِلَ على وجه الاستعارة لا سبيل الى تغييره، كذلك المركب.

فان قيل : فقد ظهر في الوجه الثاني ان للمثل مورد² ومضرباً، وان الثاني يُشَبَّه بالأول ⁽⁴⁾ ؛ وأما في الوجه الأول فأنما ذلك مجرد تشبيه سائر يشترك فيه الناس كلهم، فَأَنَّى يكون به مورد خاص ؟ وفي معناه [نحو] ⁽⁵⁾ قولهم : « أَعَزُّ مِنْ مُخِّ النَّبَعُوضِ »، و « أَكْفَرُ مِنْ حِمَارٍ »، ونحو ذلك وهو كثير، فكيف يُعْتَقَلُ في هذا كله ما ذكر في تعريف المثل من تشبيه المضرب بالمورد حتى يشمل التعريف ؟

قلنا : لا يلزم من كونه تشبيهاً أن لا يسبق إليه ناطق (ينطق به أولاً في شيء من

(3) في ج زيادة ولا المشبه، وهو تحريف.

(4) في ج سقطت الباء : يشبه الأول.

(5) زيادة في ج

الأشياء، بل لا مزية في أنه لا بد أن يتقدم إليه أحد) (6) ينطق به بادية بدء كما تقول : ان قولهم كَحَاطِبٍ لَيْكُ أَوَّلُ من قاله أَكْثَمُ بَنُ صَيْفِي، وقولهم : أَمْنَعُ مِنْ عِقَابِ الْجَوِّ أَوَّلُ من قاله عَدِيُّ بْنُ نَصْرٍ اللَّخْمِيَّ فِي الرَّبَّاءِ. « وهكذا غيرهما، سواء علمنا نحن ذلك أم لا، لأن هذا شأن الوجه الثاني أيضا. فاذا قاله الأول في شيء كان ذلك (مَوْردَه فَتَشَبَّهَ به مَضَارِبُهُ، ولا فرق إلا في أن) (7) التشبيه في هذا صريح دون القسم الثاني. وها هنا نظر في أمرين :

أحدهما أنا قد بينا في الوجه الثاني، وهو التمثيل على سبيل الاستعارة أن التشبيه فيه وقع بين هئتين، وعلى ذلك قررهما علماء البيان. ونحن ها هنا (8) اذا قلنا مثلا فيمن أحسن الى من لا يَشْكُرُ أو يَضُرُّ : هو كَمُجِيرٍ أم عَامِرٍ، فظاهر اللفظ أنه تشبيه هذا الشخص بذلك الشخص، لا الصورة بالصورة، وإن كان يصح أن يقال : المراد أن حالة هذا الشخص كحالة المجير على تقدير المضاف ؛ لكننا في غنى عن هذا التقدير.

الثاني : ان المُشَبَّه به هنا مثلا أو بِحَالَتِهِ هو مُجِيرٍ أم عَامِرٍ حقيقة أعني الشخص الذي أجارها فَبَقَرَتْ بَطْنَهُ وهو عنصر المثل ومادته. لكن لفظ المثل انما وقع بعد ذلك بأن رُئِيَ شَخْصٌ شَبِيهٌ به ففيل : هو كَمُجِيرٍ أم عَامِرٍ، ثُمَّ سَارَ وَشَاعَ. فإن جَعَلْنَا الذي صَدَرَ فِيهِ هذا التشبيه أَوَّلَ صُدُورِهِ مَوْردًا، فليس هو الذي تَشَبَّهَ سائرُ المَضَارِبِ بِهِ، بَلْ هَذَا المَوْردُ بِعَيْنِهِ وَكُلُّ مَا بَعْدَهُ مُشَبَّهَاتٌ بِالمُجِيرِ الْحَقِيقِيِّ. وان جعلنا المورد هو العنصر الأول، فهو لم يقع عليه لفظ المثل حتى يُنْقَلَ منه الى شيء آخر ويقال إنه شَبَّهَ بما ورد فيه أولا، وانما وقع بعده. على أن لِقَائِلَ أن يقول أيضا : يصح أن يكون الناس في هذا مثلا سمعوا حديث مجير أم عامر، فجعلوا يُشَبِّهُونَ كُلَّهُمْ. فمن الجائز أن يَرَى ذلك جماعة أو يسمعه، ثم يُشَبِّهَ كُلُّ واحد على حِدَةٍ من غير أن يكون لذلك سابقٌ مخصوصٌ يُتَّبَعُ وَيُجْعَلُ مكانُ تَشَبِيهِهِ مَوْردًا. وهكذا كل ما يُشَبِّهُ هذا المثل. فقد عُلِمَتْ بهذا أن هذا الوجودَ مُخَالِفٌ للوجه [الثاني] (9)، وأن في التعاريف السابقة ما فيها إلا

(6) ما بين قوسين سقط من ب.

(7) ما بين قوسين سقط من ب.

(8) في ج زيادة : (لم يقع اللفظ) ولا معنى لها.

(9) سقط من ج.

على تسامح أو على أنها دائرة على الوجه الثاني فقط دون الأول، وهو بَعِيدٌ "إلا أن يَكُونُ ثَمَّ اصطلاحٌ".

وأعلم أن المثل بهذا المعنى الثالث ما خوذ من المعنى الأول وهو الشبه، لأنه تمثيل، إلا أنه سائر. وقيل من المثل وهو المقدار كما سبق، لأنه يجعل مقياساً لغيره. وهو راجع إلى ذلك أيضاً. وقيل إنما سمي مثلاً لأنه مَائِلٌ لخطر الإنسان أبداً يَتَأَسَّى به ويعظ ويأمر ويزجر. والمائل : الشاخص المنتصب من قولهم : طَلَّ مَائِلٌ، أي شاخص. وقد يقال : رسمٌ مَائِلٌ أي دارس، وهو من الأضداد. إذا عرفت هذا كله وعرفت معنى استعمال لفظ المَثَل في المَضْرَبِ تشبيهاً بِالمَوْزِد، فاعلم أن ذلك هو معنى ضَرْبِ المَثَل. يقال : ضرب الشيء مثلاً، وضَرْبَ به، وتَمَثَّلَه، وتَمَثَّلَ به ؛ وهو معنى قول بعضهم : ضَرْبُ المَثَلِ اعتِبارُ الشيءِ بغيره وتَمَثُّلُهُ به. وفسَّرَ المفسرون ضَرْبَ المَثَلِ الواقعَ في قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا الْآيَةَ، وقوله : وتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ الْآيَةَ، بالتَّبْيِينِ والجَعْلِ والوصف.

وفي الكشاف : ضَرْبُ المِثَالِ : اعتماده وصنْعه.

وقال الراغب : الضَّرْبُ : إيقاعُ شيءٍ على شيء. ويتصوَّر اختلافُ الضَّرْبِ خولف بين تفاسيرها، كضَرْبِ الشيءِ باليد والعصا والسيف ونحوها، وضَرْبِ الأرضِ بِالمِطَر، وضَرْبِ الدُّرِّهم اعتباراً بضربه بالمِطْرَقَةِ، وقيل له الطبعُ اعتباراً بتأثير السكة فيه. وبذلك شبه السَّجِيَّةَ فليل لها الضريبةُ والطبيعةُ، والضَّرْبُ في الأرضِ الذهابُ فيها وهو ضربُها بالأرجل، وضَرْبُ الفَحْلِ النَّاقَةَ تشبيهاً بالضرب بالمطرقة، كقولك : طَرَقَهَا تشبيهاً بالطَّرْقِ بالمطرقة، وضَرْبُ الخَيْمَةِ لِضَرْبِ أوتادِها بالمِطْرَقَةِ. وتشبيهاً بضرب الخيمة قال تعالى : ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ، أي التَّحَقُّقَتُهُمُ الذَّلَّةُ التَّحَافُ الخَيْمَةِ بِمَنْ ضُرِبَتْ عَلَيْهِ. ومنه استُعِيرَ فَضَرْبُنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ، وضَرْبُ اللَّبَنِ بَعْضُهُ بَبَعْضٍ بِالخَلْطِ، وضَرْبُ المَثَلِ مِنْ ضَرْبِ الدَّرَاهِمِ وهو ذِكْرُ شيءٍ أَثَرُهُ يَظْهَرُ فِي غَيْرِهِ. قال الله تعالى : ضَرْبُ اللَّهِ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا انتهى (10).

(10) تصرف اليوسي بالحذف في هذا النص الذي نقله من كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني. انظر النص بتمامه في كتاب المفردات ، ص. 294 - 295.

وقيل : ضَرَبُ المَثَلِ مأخوذٌ من الضَّرْبِ أي المَثَلِ [له]. تقول : هو ضَرَبُهُ، وهما من ضَرَبٍ واحد، لأنه يُجْعَلُ لِلأَوَّلِ مَثَلٌ. وقيل : مِنْ ضَرَبِ الطينِ على الجدار، وقيل : من ضرب الخاتم ونحوه، لأن التطبيق واقع بين المَثَلِ وَمَضْرِبِهِ كما في الخاتم على الطابع.

وأما الأمر الثاني وهو الحِكْمَةُ، فللناس في معناها أقوالٌ عدة. واعلم أولاً أن الحكمة هي فِعْلَةٌ من الحُكْمِ أو الاحكام. أما الحكم فيرد بمعنيين : أحدهما القضاء ؛ يقال : حَكَمَ الشَّارِعُ أو القاضي بكذا حُكْمًا بضم فسكون ؛ الثاني العِلْمُ ؛ يقال : حكم حكماً وحكمة. وأما الاحكام فيكون أيضاً بمعنيين : أحدهما الاتقان ؛ يقال : أحكم فلانٌ كذا إحكاماً إذا اتقنَه ؛ الثاني المنع ؛ يقال : أحكمتُ السفينةَ وحكمتُه أيضاً أي منعتَه وأخذت على يده. قال جرير :

أَبْنَيْ حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفْهَاءَكُمْ

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا

وَأَحْكَمْتُ الْفَرَسَ وَحَكَمْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ حَكْمَةً. وَالْحَكْمَةُ بفتحيتين ما أحاط بِحَنَكَيْ الْفَرَسِ وعلى أنفه من اللجام. وفيها العذاران. قال زهير :

القائد الخَيْلِ مَنكُوبًا دَوَايِرُهَا⁽¹⁾

قَدْ أَحْكَمْتُ حَكَمَاتِ الْقَدِّ وَالْأَبْقَا

وَالْقَدُّ الْجِلْدُ، وَالْأَبْقُ شِبْهُ الْكَتَّانِ. ويقال : هو الثَّقَنَّبُ وكانت تُصْنَعُ منه الْحَكَمَاتُ عند العرب، لأن غرضهم الشَّدَّةُ والشجاعة لا الزينة. إذ عرفت هذا فقل : الحكمة هي العمل، وقيل : الاتقان، وقيل : العدل، والحِلْمُ، والنُبُوَّةُ، والقرآن، والانجيل. وقيل : كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح. قال عياض في قوله صلى الله عليه وسلم : الْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، الحكمة عند العرب كل ما مَنَعَ من الجهل، وبذلك سُمِّيَ الحاكمُ لمنعه الظالم. ومنه في الحديث : إِنَّ مِنْ الشَّعْرِ

(1) في النسختين معا : دوائرها. والتصحيح من ديوان زهير بشرح ثعلب. والدوائر : مآخير الحوافر، يريد أن حوافرها تأكلت من كثرة السير.

لحكمة، أي ما يمنح من الجهل وينفع وينهى عنه. والحكم والحكمة بمعنى واحد. وقد قيل ذلك في قوله : **وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**. وقيل : **حِكْمَةٌ** أي عدلا يدعو الى الخير والرشد ومحامد الأخلاق. وقيل الحكمة إصابة القول من غير نبوءة. وقيل ذلك في قوله : **اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ**. وقيل : الحكمة العلم بالدين. وقيل : العلم بالقرآن وقيل : الفقه. وقيل : الخشية. وقيل : الفهم عن الله في أمره ونهيهِ. وهذا كله يصح في معنى قوله : **الْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ** وقوله : **عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ** لا سيما مع قوله : **الفقه يمان**. وقد قيل : الحكمة النبوءة. وقيل هذا في قوله : **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ** انتهى.

وقال ابن عطية : اختلف الناس في الحكمة في هذه الآية، فقال ابن عباس : المعرفة بالقرآن فقهه وناسخه ومنسوخه ومُحْكَمِهِ ومُتَشَابِهِهِ وغيرِيبِهِ. وقال قتادة : الحكمة الفقه في القرآن. وقال مجاهد : الحكمة الاصابة في القول والفعل. وقال ابن زيد، وأبوه زيد ابن أسلم : الحكمة العقل في الدين. وقال مالك : الحكمة المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له. وروى عنه ابن القاسم أنه قال : الحكمة التفكير في أمر الله والاتباع له. وقال أيضا : الحكمة العقل في الدين والعمل. وقال الربيع : الحكمة الخشية. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : **« رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ خَشْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى »** وقال ابراهيم : الحكمة الفهم. وقال الحسن : هي الورع. انتهى. وقال النووي : الحكمة فيها أقوال كثيرة مضطربة، اقتصر كل من قائلها على مقتضى صفة الحكمة. وقد صفا لنا منها أنها عبارة عن العمل المتصف بالإحكام، المشتتم على المعرفة بالله تعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به، ⁽¹²⁾ والصد عن اتباع الهوى والباطل ؛ والحكيم من له ذلك. وقد تطلق الحكمة على القرآن، وهو مشتمل على ذلك. وقد يطلق على العلم فقط، وعلى المعرفة فقط، ونحو ذلك. انتهى. وقال بعضهم : أصح ما قيل في الحكمة أنها وضع الشيء في محله، أو الفهم في كتاب الله. انتهى. ورد الغزالي الحكمة الى العقل. قال في كتاب تهذيب النفس من الاحياء أمهات الاخلاق وأصولها أربعة : الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل قال : ونعني بالحكمة حالا للنفس بها تدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية. وقال الراغب : الحكمة إصابة الحق بالقول والفعل. فالحكمة من الله تعالى (12) في ب : والعلم به.

معرفة الأشياء، وإيجادها على غاية الاحكام ؛ ومن الانسان معرفة الموجودات، وفعل الخيرات. وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ، ونبه على جملتها بما وصفه بها. فإذا قيل في الله هو حكيم، فمعناه بخلاف معناه اذا وصف به. ومن هذا الوجه قال : أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ. واذا وُصِفَ به القرآن، فَلِتَتَّخِذْ مِنْهُ مَعْنَى الْحِكْمَةِ، نحو : الرَّتِلِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ. وقيل : الحكيم الْمُحْكَمُ، نحو أَحْكَمْتَ آيَاتَهُ. وكلاهما صحيح، فانه مُحْكَمٌ ومفيد لِلْحَكْمِ، ففيه المعنيان. انتهى.

والعبارات عنها كثيرة، ولا حاجة الى التطويل بها، فان مرجعها شيء واحد ؛ وإنما سبب الاختلاف كثرة اللوازم والخواص، فعبر كل عنها بما حضره من خواصها. نعم، ربما يظهر من بعض العبارات السوابق ان الاختلاف حقيقي كالقول بأنها إصابة القول من غير نبوءة، مع القول بأنها النبوءة، ونحوه. لكن جلّ ما تقدم حائماً على الإصابة في الأقوال والأفعال والفهوم. وفعلها حَكَمَ بالضم ؛ يقال : حَكَمَ الرجل كَشْرَفَ، فهو حكيم قال النَّمْرُ بِنُ تَوَلَّبَ :

وَأَبْغَضَ بِغَيْضِكَ بُغْضًا رُوِيَ ۚ إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا⁽¹³⁾
أي أن تكون حكيماً. وقال النابغة :

أَحْكُمُ كَحْكُمِ فَتَاةٍ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ شِرَاعِهِ وَآرَدَ التَّمَدُّ

يقول : أصيب في أمري ولا تخطيء كإصابة الزرقاء في عَدِّ الحمام، ولا تَقْبَلْ قَوْلَ مَنْ يَسْعَى إِلَيْكَ فِيهِ. وقيل : أراد الحكم بمعنى القضاء. وفعله بالفتح كما مرّ. والحكم أعمّ من الحكمة، كما قال الراغب : فكل حكمة حكم، وليس كل حكم حكمة. قلت : وهو صحيح في الحكمة الخيرية. وقد علمت أن الحكمة تكون في الأعمال والأخلاق أيضاً كما سنبينه. فبهذا تكون أخص من وجه لا مطلقاً. وتقدمت الإشارة الى الخلاف في اشتقاق الحكمة أيضاً فقيل : من الاحكام وهو الاتقان ؛ وقيل : من المنع كما مرّ أخذاً من حَكَمَةِ اللجام. وتقدّم اللفظان معا وهو فائدة تقديمنا لشرح المادة. والكك محتمل، والأقرب المنع.

(13) النمر بن تولب صحابي مخضرم. وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

سَلَا عَنْ تَذْكُرِهِ تَكْتُمَا وَكَانَ زَهِينًا بِهَا مُعْزَمًا
وتكتمتم : اسم محبوبته. وقيل البيت الذي استشهد به اليوسي :
وَأَحْيَيْتُ حَبِيبَكَ حُبًّا رُوِيَ ۚ فَلَيْسَ يَعُولُكَ أَنْ تَصْرَمَا

ولا يبعد ان يكون الاحكام الذي هو الاتقان من المنع أيضا، كأن المُحَكَّم قد مُنِع من الاختلال والفساد، وأُبْعِدَ عن مظانّ العيب والاعتراض. وتقدم أن السُّحْم الذي هو القضاء هو أيضا منعٌ للظالم، فصارت المادة كلها من المنع، والله أعلم. فإذا تتبّعنا متفرقات المعاني المقولة في الحكمة على مامرٍ وجمعناها، تلخّص من ذلك أنها تتعلق بالقلوب وبالجوارح من الأيدي والألسنة. أما في القلوب، فعلى معنى الإصابة في اعتقاداتها وتصورها للأشياء وفي أخلاقها من الحلم، والعفو، والعفة، والعدل، ونحو ذلك. وأما في الأيدي فعلى معنى الإصابة في أفعالها وإتقان صنائعها ؛ وكذا غيرها من الأعضاء بالجري على السنن في أفعالها، وكذا القصود. وأما في الألسنة فعلى معنى الإصابة في التعبير عن المعاني بإصابة المحر وتطبيق المفصل. غير أنا نقول : لابد في هذا كله عند إطلاق لفظ الحكمة ولفظ الحكيم عند أهل كل عرف من اعتبار دقة في ذلك، ولطافة، ونوع غريبة، وعظم فائدة، باعتبار أهل ذلك العرف، حتى يكون المعنى بالإصابة المذكورة إصابة خاصة لا مطلق الإصابة، للقطع بأننا لا نسمي اليوم من قال الله واحد ومحمد رسوله صلى الله عليه وسلم حكيما وان كان في غاية الإصابة ؛ ولا من بنى بناء معتادا، أو صاغ صياغة معتادة. وقد نبه على هذا المعنى بعضهم في قوله صلى الله عليه وسلم **الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةٌ** المؤمنين. فقال : المراد بالكلمة الجملة المفيدة، والحكمة التي أحكت مبانيها بالعلم والعقل، وتدل على معنى فيه دقة. انتهى. ولأجل هذا يقال : أنزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء في الجسد : قلوب اليونان، وألسنة العرب، وأيدي أهل الصين. وما ذلك الا لاختصاص اليونان بمزية التبجر في علم الأشياء ومعرفة القوانين وإتقان البراهين، واختصاص أهل الصين بمزية عمل الصنائع العجيبة وإتقان الأعمال الغريبة ؛ واختصاص العرب بمزية إبانة المعاني العجيبة، والأمثال والمواعظ المفيدة، في أشعارها وخطبها. ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : **إِنَّ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٍ**. ودخل العجاج على عبد الملك بن مروان فقال : يا عجاج، بلغني أنك لا تقدر على الهجاء. فقال : يا أمير المؤمنين، من قدر على تشييد الأبنية أمكنه خراب الأخبية. قال : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عزّا يمنعنا من أن نُظْلَمَ، وإن لنا حِلْمًا يمنعنا من أن نُظْلِمَ، فَعَلَامَ الهِجَاءِ ؟ فقال عبد الملك :

لِكَلِمَاتِكَ أَشْعَرُ مِنْ شَعْرِكَ ؛ فَأَنْتَى لَكَ عِزٌّ يَمْنَعُكَ مِنْ أَنْ تُظْلِمَ ؟ قال : الأدب
البارع، والفهم الناصع. قال : فما الحلم الذي يمنحك من أَنْ تُظْلِمَ ؟ قال : الأدب
المستطرف، والطبع التالد. قال : ياعجاج، لقد أصبحت حكيما. قال : وما يمنعني وأنا
نجيَّ أمير المؤمنين ؟. انتهى.

وستسمع إن شاء الله من كلام حكماء العرب ما تقضي منه الأرب. والكلام المذكور هو
أيضا مصداق ما مرَّ من تعلق الحكمة بالقلوب والألسنة وسائر الجوارح، والله الموفق.
وقد اتضح من هذا الفرق بين المَثَل والحِكْمَة، وذلك فيما يحضر فكري الآن من ثلاثة
أمور : أحدها أن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال، والمثل خاص بالأقوال. ثانيها أن المثل
وقع فيه التشبيه كما مرَّ، دون الحكمة. ثالثها أن المقصود من المثل الاحتجاج، ومن الحكمة
التنبيه والاعلام والوعظ. ويرد على الأول أنه فرق بحسب أعميّة المورد، ولا مساس له
بالحقيقة. فلم يقدّر إلا أن الحكمة الفعلية تُباين المثل ولا نزاع فيه، وليس بمفيد في
الأقوال إذا تنوزع فيها أن شيئا منها حكمة أو مثلك. على أنه قد يكون التمثيل بالفعل أيضا
كتصوير شكل المثلث لمن لا يعرفه. ومن ثم يعد من جملة الرسوم المعرفات للأشياء التعريف
بالمثال. ويرد على الثاني أنه إن عُنِيَ تشبيه المَضْرَبِ بِالمُورِدِ حقيقة، فقد مرَّ أن
نوعا كبيرا من الأمثال لا يجري فيه ذلك على ما ينبغي ؛ وإن عُنِيَ مطلق التشبيه، فهو
واقِع في الحكم كثيرا، كقولهم : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَبَ بِالنِّمَاءِ.
على أنه قد عدَّ من الأمثال ما لا تشبيه فيه أصلا بوجه كقولهم : مَنْ قَرَعَ النَّبَابَ وَلَجَّ
وَلَجَّ. وقولهم : « الرَّبَّاحُ مَعَ السَّمَّاحِ » ونحو ذلك. ويرد على الثالث أن الاحتجاج
صحيح في الحكم أيضا، بل جلّها قضايا كَلِّيَّاتٌ وقوانينُ تُورَدُ بحيث تصلح في كل
أمر أن تكون حجة فيه محذوفا إحدى مُقَدِّمَتَيْهَا. فإذا قلنا : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ
كَانَ كَمَنْ غَصَبَ بِالنِّمَاءِ. أمكن أن نقول : إن فلانا فسدت بطانته، وهو المقدمة الباقية،
فيعلم أن فلانا هو كمن غصب بالماء. وهذا الاستدلال هو الكاشف عن الصواب والخطأ في
الأنظار والعلوم، وهو معنى الحكمة بالحقيقة ؛ وإنما قلنا جل الحكم قضايا، لأن ذلك هو

الصريح، وقد يكون منها غير ذلك، كالأوامر والنواهي ؛ لكنها تتخذ قضايا بحسب اللزوم. فالحكم كلها تصلح للاحتجاج، وهي بصدده كالأمثال ؛ على أن الأمثال ليست كلها بصدد الاحتجاج، بل هي بالاصالة للتصوير ؛ وانما تصلح للاحتجاج عندما يراد بها التصديق من مدح، أو ذم، أو تزيين، أو تشويه، أو إظهار رغبة في شيء، أو عدم مبالاة، أو نحو ذلك على ما ستقف عليه قريباً إن شاء الله.

ويجاب عنها، أما أولاً فبيان القصد الفرق بين المثل والحكمة مطلقاً أعم من المورد والحققي، وهذا كاف في الأول وليس مقتصر على حتى يعد قاصراً. وأما ثانياً فبياناً نعني تشبيهها خاصاً لا مطلقاً، أما في الوجه الثاني من الأمثال فهو تشبيه المضرب بالمورد كما مر. وأما في الأول فلا يخفى أن لم يكن فيها ذلك على وجهه أن فيها تشبيهها بعنصر خاص معين هو سبب جريان ذلك الكلام ووقوع ذلك التشبيه على ما تقدم توضيحه، وليس ذلك بمنظور في الحكم. وأما ثالثاً فبيان الاحتجاج في المثل واقع بالفعل حيثما أطلق على سبيل الخصوص، والحكمة انما تراد عامة على وجه الصلاح للاحتجاج بها في الخصوصيات لا على الفعل، فالاحتجاج خلاف الاحتجاج. نعم، يبقى من الأمثال ما لم يقع فيه تشبيه لا صريحاً ولا مقدراً. والحق أن من الأمثال ما لا يشتبه بالحكمة في ورد ولا صدر، نحو : الصَّيْفُ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ، ومن الحكم ما لا يشتبه بالمثل ككثير من الحكم الانشائية، ويبقى وراء ذلك وسط يتناول فيه الفريقان كالمثل السابقة. فإن كثيراً منها قد يعد مثلاً تارة، وحكمة تارة، ولا فرق فيما يظهر إلا بالحيثية، وهي أنها إن سيقت ملاحظاً فيها التشبيه فمثل ؛ وإن سيقت ملاحظاً فيه التنبيه أو الوعظ أو إثبات قانون أو فائدة ينتفع بها الناس في معاشهم أو معادهم فحكمة. وهذا معروف بالاستقراء، وشاهده الذوق بعد معرفة أن مرجع الحكمة الاصابة، ومرجع المثل التشبيه كما مر، حتى إن من يضرب للناس أمثالا غريبة ينتفعون بها يصح أن يقال إنه حكيم لأنه مصيب في ذلك المثل الذي ضربه، وهكذا يقال في التمثيل الفعلي السابق. فإن من صور صورة المسدس مثلاً عد منه ذلك تمثيلاً من حيث التشبيه، وحكمة من حيث الاصابة والاتقان، ولا تنافي بين الغرضين. ومن وسع نطاق هذا الاعتبار أمكنه في كل مثل وحكمة هذا المقدار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفصل الثاني : في فائدة المثل والحكمة وفضلهما

أما الأول وهو المثل، فلا يخفى على ذي مِيز ولا يشتبه على ذي لبّ ما جعل الله تعالى فيه من الحكمة، وأودع فيه من الفائدة، وناط به من الحاجة ؛ فإن ضربَ المثل يوضّح المُنْبَهَم، ويفتح المُنْغَلَق، وبه يُصَوِّرُ المَعْنَى في الذهن، ويكشفُ المَعْمَى عند اللبس، وبه يقع الأمر في النفس حُسْن مَوْقِع، وتَقْبِلُهُ فَضْلُ قَبُول، وتطمئنُّ به اطمئناناً، وبه يقعُ إقْنَاعُ الخصم وقطعُ تشوُّفِ المُعْتَرِض. وهذا كله معروف بالضرورة، شائع في الخاص والعام، ومتداول في العلوم كلها منقولها ومعقولها، وفي المحاورات والمخاطبات، حتى شاع من كلام [عامّة]⁽¹⁾ المتعلمين والمعلمين قولهم : بِأَمْثَالِهَا تُعْرَفُ أو تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ⁽²⁾. وسرُّ ذلك أن المثل يُصَوِّرُ المعقول بصورة المحسوس، وقد يُصَوِّرُ المعدوم بصورة الموجود، والغائب بصورة المشاهد الحاضر، فيستعين العقل على إدراك ذلك بالحواس، فيتقوَّى الإدراكُ وَيَتَّضِحُ المُدْرَكُ. وتحقيق ذلك أن العقول، وإن كانت تدرك المعلومات، لكنها غير مستقلة بنفسها غالباً في إدراك جميعها ولاجلّها استقلالاً صرفاً لا سيما القاصرة. وذلك أن العقول إنما تستقلّ بإدراك أوائل الضروريات التي توجد في غرائزها ولا تدري لها سبباً غير اختراع الفاعل المختار. وما سوى ذلك فالعقول فيها إما مفتقرة إلى الحواس، كالمعلومات التجريبية التي موادها محسوسة بإحدى الحواس ؛ وإما مستعينة بها ضرباً من الاستعانة على طريق التمثيل والتقريب ونحوه. وذلك في غير ذلك. وقد ذهب قوم من الأوائل إلى حصر العلوم في المحسوسات، وعكس آخرون، ونحن لا نقول شيئاً من ذلك، وليس هذا محل تقرير المقاتلين ولا ردّهما، ولكننا نشير إلى ما نحن بصدد نوع إشارة فنقول :

إن الإدراك، سواء قلنا أنه يكون بالعقل وبالحواس الخمس معاً، أو قلنا أنه بالعقل فقط

(1) سقطت كلمة (عامّة) من ب.

(2) من الشائع أيضاً قولهم : بِالْمَثَالِ، يَتَّضِحُ الْمَقَال.

بواسطة الحواس، لا يخفى أن ما كان من قبل الحواس الخمس هو أظهر وأسهل، ولذا شاركت فيه الحيوانات العُجُمُ الإنسان، وأن ما لم يكن من ذلك بنوع تعلق اصلاً أخفى وأصعب وأسرف، وبمزية الاختصاص به كان الإنسان أشرف. فكل ما يدركه بحسب العادة الجارية استقراءً، إما شيء وصل إليه من طرق الحواس، فيقع له فيه بعد تأدّيه إليه منها نوع من التصور ونوع من التصرف بالتحليل والتركيب؛ وإما شيء لم يتأدّ إليه بالحواس، وهو إما شيء يجده عند نفسه أو لا كعلمه بأن الموجود لا يكون معدوماً، وأن الشيء الواحد لا يكون زماناً واحداً في مكانين، ونحو ذلك؛ وإما شيء يجد نظيره عنده بنوع من التشابه، أو يتأدى إليه نظيره من الحواس، كعلمنا بأن لله علماً وقدرة وحلماً وغضباً، لما علمنا في أنفسنا من علم وحلم وغضب، وإن كان الحادث خلاف القديم، لكن بينهما ضرب من التشابه؛ ولولا ما علمناه بالوجدان من ذلك ما قدرنا أن نثبت نظيره في جانب الباري، كما قال تعالى: **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**. وقال صلى الله عليه وسلم: **مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ**. إلا أن يخرف الله تعالى العادة في العقل فانه مستعد لكل معلوم، وهكذا سائر الصفات. وكإدراكنا بحرّاً من زئبق، وجبلاً من ياقوت، فانه لم يتأدّ إلى العقل قط من الحواس لعدم وجوده ولا وجود نظيره عنده كالأول؛ ولكن تأدى إليه نظيره من الحواس، وذلك أنه تأدى إليه البحار من الماء والجبال من الأرض؛ وهو يعلم أن بحر الماء مثلاً متركب من القطرات المائية؛ فإذا أدرك قطرات الزئبق بمشاهدة الحواس جوّز أن تتركب وتجتمع اجتماع قطرات الماء، وتَصوّر من ذلك بحرّاً؛ وكذا في أحجار الياقوت التي يراها، وما تُصوّرُه القوة الوهمية من أشياء لا حقيقة لها إنما ذلك من هذا القبيل، فإنها تستند إلى الحواس فتصوّر أشياء على سبيل ما تأدّى إليها منها، إلا أنها تحلّ ذلك حيث لا محلّ، كما تصوّر للعول أنياباً وأظفاراً. فقد علم أن العقل غير واصل في العادة إلى غائب صيرف من الأمور النظرية؛ وإنما مرجع إدراكه المحسوس هو أو نظيره بالحس الظاهر أو الباطن أو ما مادّته ذلك. وكثيراً ما يقع له الغلط في البابين لاشتباه الوهم أو لاشتباه الحس حتى فرّ الفارّون إلى حصر العلوم في المحسوسات حذاراً من الوهم والالتباس الواقع بسببه، وفرّ الآخرون إلى حصرها في المعقولات حذاراً من اشتباه الحس،

وهما النوعان المذكوران آنفاً، وقد بيّن ذلك في محله. والحق حصول العلم من الجانبين، إلا أن الانسان في مبدإ فطرته ليس عنده غالباً إلا العقل التَّهْيُولَائِيّ الغريزي، وهو في إدراكاته الفعلية شبيه بالبهيمة من حيث إنه إنما يدرك غالباً الأمور المحسوسة، فلا يزال يربو عقله وينمو إدراكه، وكلما ازداد العقل نمواً ازدادت النفس من ألفة⁽³⁾ المحسوسات والاستئناس بها والركون إليها أزيد من ذلك وأكثر، كأنها هي السابقة وهي أظهر. فإذا كمل إدراكه شيئاً ما بحيث أدرك الضروريات واستعدّ للنظريات وصار له عقل بالملكة، كانت النفس إذ ذاك محيطة بمعظم المحسوسات، قوية الاستئناس بها، متمكنة من الألفه بها. فان كان صاحبها [مع] ذلك من العوام التاركين للعلوم والمعارف، وهم الأكثر، فقد اندفع في المحسوسات وأهمل عقله وخاض بنفسه في مألوفاتها، وصار شبيهاً بالبهايم في أنه لا يدرك [إلا]⁽⁴⁾ هذه المحسوسات التي تدركها؛ وإنما يفوقها بضرب من التصرف ضعيف فيها. فمتى ذُكر لهذا شيءٍ مِمَّا وراء ما يشاهد ولم يكن من الضروريات الأوائل الحاصلة له وما أشبهها، احتاج غالباً إلى أن يُضْرَبَ له مَثَلٌ بشيء مما يشاهد، ويُصَوَّرَ له بصورته إما فهمًا وإما اطمئناناً واستئناسًا. وان كان من الخواص الخائضين في العلوم وإدراك المعقولات، فقد علمت مما مرّ أن العقل عادةً إنما يدرك بنفسه الضروريات، وما سوى ذلك إنما يدركه بواسطة تَأْدِيَةٍ أو تَأْدِيٍّ نَظِيرِهِ إليه من الحواس الظاهرة أو الباطنة. ومع ذلك، فالمتأدِّي إليه إنما هو أمر جزئي بالضرورة، فمتى حاول جنسًا من ذلك لم يكن الجنس بنفسه من حيث إنه جنس متأديًا بشيء منها، فاحتاج إلى أن يُمَثَّلَ بصورة من ذلك الجنس فيدركها لأنها هي التي كانت تتأدى إليه ليقبس عليها غيرها، وبذلك يمكنه أن يدرك القاعدة والقانون، وهو الذي نعني بالجنس في هذا المحل حيث أدرك مادته إلا أن يكون له من لطف الإدراك وقوة الذكاء ما يستحضر به تلك الضوَرُ وَيَنْتَزِعُ منها مراده من غير أن يُصَوَّرَ منها شيءٌ مَخْصُوص، فهذا يستغني عن التمثيل، وقليل ما هم. ومع ذلك فالنفس قد قلنا إنها قوية الاستئناس بالمحسوسات لوضوحها وسبقها :

(3) في أ : القات بدل ألفه

(4) سقطت من ب.

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى

فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

فاذا خيض بها في شيء من غير ذلك حنَّت الى مألوفها حنين التكلَّى وقالت :

مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ⁽⁵⁾

واستصعبت ذلك وخلأت⁽⁶⁾ دونه، فاحتيج الى أن يُصوِّرَ لها ذلك بصور شيء مما كانت تألفه لتستأنس به وتطمئن. والاستئناس بالمألوف مركز في جيلة النفوس، حتى إنه ورد في حديث الاسراء أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رُجَّ به في النور وفارقه جبريل أسمع الله تعالى كلام صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه تأنيساً له به في ذلك المقام الهائل. وهذه حكمة ربانية تعجز العقول عن الاحاطة بها وحدها، فكيف بملكووت السماوات والأرض ؟ فتبارك الله أحسن الخالقين ! ثم انه كلما عرف الانسان ضرباً من العلوم ومارسه ألفته نفسه واستأنست به ؛ فإذا ارتحل عنه الى منزلة أخرى حنَّت النفس الى الأولى المألوفة أيضاً، فاحتيج الى أن يضربَ لها مَثَلٌ بشيء مما ألفته أو نظيره لتستأنس به وتطمئن إليه حتى لا يختص التمثيل بالمحسوسات الصرفة، وهكذا أبداً. فقد تبين بهذه الكلمات الاحتياج الى التمثيل ووجه الاحتياج، وأنه لا غنى عنه لعالم ولا خاص ؛ غير أن الاحتياج قد يكون ضرورياً، وذلك عند العجز عن الوصول الى المطلوب بدونه، وقد⁽⁷⁾ يكون تحسينياً، وذلك عند الاحتياج الى الاستعانة به والاستئناس والاطمئنان. هذا الأصل، وقد يكون الاحتياج لأغراض آخر ستأتي.

هذا ما ألهمني الله تعالى في هذا المقام على سبيل الاجمال، وأما بسطه كلّ التّبسُّط فلا يسعه الوقت، وفيما ذكرناه كفاية، اذ ليس من الغرض الاكثار اذا فهم المقصود وأدرك المراد. فقد ظهر بهذا عظم فائدة التمثيل، وبذلك تبين فضله. وقد ضرب الله تعالى الحكيم في القرآن ضرباً من الأمثال للخلق، وقال تعالى : إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا الآية. (وقال تعالى :

5) هذا عجز بيت لأبي تمام، وصدره :

نَقُلْ فَوَإِذَاكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى

6) الخلّ للنفق كاللاحم للجمل والحران للدواب. يقال خلَّت الناقة والحمّ الجمل وحرّن الفرس. وفي حديث الخديجة أنه بركت به راحلته فقالوا : خلَّت القصواء، فقال ما خلّت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حبس الفيل.

7) جاء في أ : (وبدونه قد يكون) وهو تحريف.

وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ (الآية 8) فَعَدَّهَا مَنَّةً عَلَى النَّاسِ لِمَا فِيهَا مِنْ عَظِيمِ الْفَوَائِدِ. وَقَالَ تَعَالَى : وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَا التَّبَاسَ وَلَا إِشْكَالَ بَعْدَ ضَرْبِ الْمَثَلِ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَعْتَبِرُوا. وَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَمْثَالَ الْكَثِيرَةَ لِلنَّاسِ، وَسَيَأْتِي مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ مَا فِيهِ غُنْيَةٌ فِي مُحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْآنَ الْمُدْرِسُونَ وَشُيُوخُ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ يَضْرِبُونَ الْأَمْثَالَ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَكَذَا غَيْرُهُمْ. وَكُتِبَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْأَنْصَارِ : عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْعَوَامَّ وَالْفُرُوسَةَ، وَرَوِّوهُمْ مَسَارَ مِنَ الْمَثَلِ وَمَا حَسُنَ مِنَ الشَّعْرِ. فَهَذَا حَضُّ عَلَى تَعَلُّمِ الْأَمْثَالِ خُصُوصًا السَّائِرَةِ، فَانْهَاقُ لِنَزَاعِ وَالشَّعْبِ، وَحَضُّ عَلَى تَعَلُّمِ الشَّعْرِ. وَلَمَّا بَعَثَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رُسُلَهُ إِلَى رُسُلَتِهِمْ صَاحِبِ جِيُوشِ فَارَسِ أَيَّامِ الْقَادِسِيَّةِ فَرَجَعُوا، وَبَعَثَ إِلَيْهِ آخَرِينَ يَدْعُونَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْ الْجَزِيَّةِ، قَالَ لَهُمْ رُسُلَتُهُمْ : إِنِّي قَدْ كَلَّمْتُ مِنْكُمْ نَفَرًا، وَلَوْ أَنَّكُمْ فَهِمُوا عَنِّي لَرَجَوْتُ أَنْ تَفْهَمُوا، وَالْأَمْثَالَ أَوْضَحُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ : وَسَأُضْرِبُ لَكُمْ مَثَلَكُمْ : أَنْكُمْ كُنْتُمْ فِي بَلَاءٍ وَجْهٍ وَجُوعٍ، فَأَتَيْتُمْ بِلَادَنَا فَلَمْ نَمْنَعَكُمْ، فَلَمَّا أَكَلْتُمْ طَعَامَنَا وَشَرَبْتُمْ شَرَابَنَا وَأَظْلَكْتُمْ ظِلَّنَا وَصَفْتُمْ ذَلِكَ لِقَوْمِكُمْ فَأَتَيْتُمْ بِهِمْ. فَمَثَلُكُمْ فِي ذَلِكَ وَمَثَلُنَا كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ كَرَمٌ فَرَأَى فِيهِ ثَعْلَبًا فَقَالَ : وَمَا ثَعْلَبُ ؟ فَانْطَلَقَ الثَّعْلَبُ فَدَعَا الثَّعْلَابَ إِلَى ذَلِكَ الْكَرَمِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ سِدٌّ عَلَيْهَا صَاحِبُ الْكَرَمِ مَدَّخَلَهَا فَقَتَلَهَا. وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا : مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ جُرْدَانٍ أَلْفَتْ جَرَّةً فِيهَا حَبٌّ وَفِي الْجَرَّةِ ثَقْبٌ، فَدَخَلَ الْأَوَّلُ فَأَقَامَ فِيهَا، وَجَعَلَتْ الْآخَرُ تَنْقُلُ وَتَخْرُجُ وَتُكَلِّمُهُ فِي الْخُرُوجِ فَيَأْبَى عَلَيْهَا، حَتَّى إِذَا انْتَهَى سِمْنُ الَّذِي فِي الْجَرَّةِ فَاشْتَاقَ إِلَى أَهْلِهِ لِيُرِيَهُمْ حُسْنَ حَالِهِ، ضَاقَ عَلَيْهِ الْمَخْرَجُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا، فَشَكَكَ الْغَلَقَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَسَأَلَهُمُ الْمَخْرَجَ فَقَالُوا : لَسْتُ بِخَارِجٍ حَتَّى تَعُودَ إِلَى حَالَتِكَ الْأُولَى. فَكَفَّ وَجُوعَ نَفْسِهِ وَبَقِيَ فِي الْجَرَّةِ حَتَّى أَتَاهُ صَاحِبُهَا فَفَقَتَلَهُ. وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا : لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ خَلْقًا أَوْلَعَ مِنْ ذَبَابٍ مَا خَلَكَكُمْ يَا مَعْشَرَ

(8) سَقَطَ مَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ مِنْ ب.

العرب ! ترون الهلاك ويد لِيَكُم فيه الطمع. ومَثَلُكُمْ في هذا مَثَلُ الذباب إذا رأى العسل طار وقال : مَنْ يُوَصِّلُنِي اليه وله درهمان ؟ حتى يَدْخُلَهُ لا يَنْهَنِيهِ أَحَدٌ إِلَّا عَصَاهُ. فلما دخله غِرَقَ وَنَشِبَ وقال : مَنْ يُخْرِجُنِي وله أربعة دراهم؟. وضرب لهم أمثالا أخرى على هذا النمط، فلما فرغ تكلم أصحابُ سعد رضي الله عنهم بما جاؤوا به من الاعتذار والانتذار. ثم قالوا : وأما ما ضَرَبْتُمْ لَنَا مِنَ الْأَمْثَالِ فَإِنَّكُمْ ضَرَبْتُمْ لِلرِّجَالِ وَالْأُمُورِ الْجِسَامَ وَلِلْجَدِ الْهَزْلَ. ولكننا سنضرب لكم مثلكم : إِنْ مَثَلَكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ غَرَسَ أَرْضًا وَاخْتَارَ لَهَا الشَّجَرَ وَالْحَبَّ، وَأَجْرَى لَهَا الْأَنْهَارَ، وَزَيَّنَّهَا بِالْقُصُورِ، وَأَقَامَ فِيهَا فَلَاحِينَ يَسْكُنُونَ قُصُورَهَا، وَيَقِيمُونَ عَلَى جَنَاتِهَا. فَخَلَفَهُ الْفَلَاحُونَ فِي الْقُصُورِ بِمَا لَا يُحِبُّ، وَفِي الْجَنَانِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَأَطَالَ نَظَرَتَهُمْ. فلما لم يستجيبوا من تلقاء أنفسهم اسْتَعْتَبَهُمْ فَكَابَرُوهُ، فدعا إليهم غيرهم فأخْرَجَهُمْ مِنْهَا ؛ فَنَ دَهَبُوا عَنْهَا تَخَطَّفَهُمُ النَّاسُ، وَإِنْ أَقَامُوا عَارُوا خَوْلًا لَهُمْ يَمْلِكُونَهُمْ وَيَسُومُونَهُمُ الْخَسْفَ أَبَدًا.

ولما تَنَظَّمَ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ، وَوَلِيَ يَزْدَجَرْدُ عَلَى فَارِسَ، وَهَالَهُ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ، بَعَثَ إِلَى رُسُتَمَ الْمَتَقَدِّمِ ذِكْرَهُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ أَنْتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ أَهْلُ فَارِسَ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَا نَزَلَ بِهِمْ ؛ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُوْجِّهَكَ فِي هَذَا الْوَجْهِ فَأَنْتَ لَهَا. فَأَظْهَرَ لَهُ رِسْتَمَ أَنَّ قَدْ قَبِلَ مِنْهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : قَدْ أَحْبَبْتَ أَنْ أَنْظَرَ فِيمَا لَدَيْكَ لِأَعْلَمَ مَا عِنْدَكَ ؛ فَصِفْ لِي الْعَرَبَ وَفِعْلَهُمْ، وَصِفْ لِي الْعَجَمَ وَمَا يَلْقَوْنَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ لَهُ رُسْتَمُ : صِفَةُ ذَبَابٍ صَادَفَتْ غِرَّةً مِنْ رِعَاءٍ فَأَفْسَدَتْهُ فَقَالَ : لَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّمَا سَأَلْتُكَ رَجَاءً أَنْ تَعْرِفَ صِفَتَهُمْ فَأَقْوِيكَ لِتَعْمَلَ عَلَى ذَلِكَ فَلَمْ تُصِيبْ، فَافْهَمْ عَنِي أَنَّمَا مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ فَارِسَ كَمِثْلِ عُقَابٍ أَوْفَتْ عَلَى مَرْقَبٍ عِنْدَ جَبَلٍ تَأْوِي فِي ذُرَاهِ الطُّيُورُ تَبِيتَ فِي أَوْكَارِهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَتِ الطَّيْرُ أَبْصَرَتِ الْعُقَابَ تَرَقَّبَهَا فَخَافَتْهَا فَلَمْ تَتَهَضَّ وَطَمَعَتِ الْعُقَابُ فَلَمْ تَرَمْ، وَجَعَلَتْ كُلَّمَا شَدَّ مِنْهَا طَائِرٌ انْقَضَتْ عَلَيْهِ الْعُقَابُ فَاخْتَطَفَتْهُ حَتَّى أَفْنَتْهَا. فَلَوْ نَهَضَتْ بِجَمِيعِهَا نَهْضَةً وَاحِدَةً لَنَجَتْ وَأَشَدُّ شَيْءٍ [يَكُونُ] فِي ذَلِكَ أَنْ تَنْجُو كُلُّهَا إِلَّا وَاحِدًا. فَهَذَا مِثْلُهُمْ وَمِثْلُ الْأَعَاجِمِ، فَاعْمَلْ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ.

وكان لبعض الملوك وزيران أحدهما كان يأمر ببذل الأموال لاجتلاب قلوب الرجال،

ويقول إنَّهم أنفعُ وأعوذُ عليك من المالك. فقام الآخر ونهاه عن ذلك وقال : أمْسِكْ مَالَك، فهو خير لك، ومتى كان عندك المالك واحتجت الى الرجال وجدتهم. فقال له الملك لابد لهذا من آية ؛ فَمَثَّلُ لي مثلاً يتضمم به ما تذكره، فإن الأمثال بها تنكشف الأشياء . فقال الوزير : علي بإناء من عسل . فجيء به فقال : خمرّوه. ثم قال للملك : هل ترى هنا من نحل ؟ قال : لا فأنتى بإناء العسل، فلم يلبث أن جاءت النحل من كل أوب. فقال : هكذا الرجال على المالك ! فقام الوزير الآخر وقال : خَمَرُوا الاناء الى الليل. فلما كان الظلام أخرج الاناء، فما تحركت نحلة أصلاً ولا وقعت عليه. وهذه تشبه قصة الهريرة والشَّمْع، وستأتيك قريباً في الأمثال، وتَتَبَّعُ الحكايات يُخْرِجُ عن الغرض ؛ وإنما ذكرنا ما تقدم تنبيهاً على شدة اعتناء الناس بالتمثيل وعِظَم فائدته. وكان الحكماء الأولون مَثَلُوا الدنيا بطائر رأسه المشرق وجناحاه اليمن والشام وذنبه المغرب، فَبَيَّنُوا بهذا المثل دناءة المغرب وخِسَّتَه، لأن أخس ما في الطائر ذنبه. فلما خرج اليونان الى الجزيرة واستخرجوا فيها المياه وغرسوا الأشجار وبنوا القصور حتى عادت الجزيرة أحسن ما يكون قالوا : رجع الطائر طاووساً ! لشرف ذنب الطاووس. وَمَنْ تأمل ما جعل الله تعالى فيما يراه النائم من أمثلة الأشياء، قَضَى العَجَبَ من حكمة الله تعالى وما أودعه في عالم المثل، وهو بحر عميق ليس من غرضنا ولسنا من رجالِ الخَوْضِ فيه، وما ذكرناه في الأمثال من حيث هي وستأتيك زيادة في الأمثال الشعرية في الفصل الذي بعد هذا ان شاء الله. وما ذكرناه أيضاً هو فائدة التمثيل الأصلية، لأن مَرَجِعَ الغرض من التمثيل تشبيه الخَفِيِّ بالجليّ، والغائب بالشاهد، وفائدته العظمى التبیین والتوضيح كما مرّ. وقد يَرْدُ لأغراض أخرى غير ذلك، كالمدح أو الذم أو التزيين أو التشويه أو غير ذلك مما قَرَّرَ في علم الأدب ؛ لكن مرجع الجميع الى الفائدة الأولى وهي التبیین والتوضيح. فإنَّ إذا مثَّلنا أحداً بالبحر قصدنا الى مدحه بالكرم، أو بالأسد قصدنا الى مدحه بالشجاعة. فالقصد الأصلي بيان هذه الخصوصية التي يبلغ بها هذه الدرجة المخصوصة من الجود والجرأة لأنها هي المُلْتَبَسَةُ علينا ؛ لكن قد يُتَنَاسَى هذا المعنى الأصلي، ويُفْهَمُ أن التمثيل سيقَ للمدح والذم حتى كأنه لا توضيح هنالك أصلاً، ومثله في النعت. وأما سَوَقُ التمثيل لبيان الامكان أو بيان المقدار فلا إشكال أنه من المعنى الأصلي.

وهذا كله في التمثيل من حيث هو في الجملة. وأما الأمثال السائرة التي نحن بصددتها فتكون هي أيضا في الجملة للبيان والتوضيح، لكن لمقاصد كثيرة وضروب من الأغراض لا تكاد تنحصر ؛ وستتلى عليك في هذا الكتاب. وأمثال القرآن كذلك بعد دلالتها على توضيح المراد وتقريبه وتصويره للعقل تكون لمقاصد كثيرة من مدح وذم ودلالة على تفاوت في الثواب، وعلى إحباط عمل وتذكير ووعظ وحثّ وزجر، واعتبار وغير ذلك مما يُسرّد على سمعك فيها ان شاء الله تعالى. وكذا أمثال الحديث النبوي، وستأتي ان شاء الله تعالى، والله الموفق.

وأما الثاني وهو الحكمة، فلا يخفى أيضا فائدتها وفضلها. وقد أثني عليها في الكتاب والسنة. قال الله تعالى : يُوتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُوتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا. وقال : وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَّ الْحِطَابَ. وقال : وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا. ونحو ذلك من الآي. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ⁽⁹⁾ ويروي : الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ كُلِّ حَكِيمٍ. فإذا وجدناها فهو أحقّ بها. وقال صلى الله عليه وسلم : كَلِمَةٌ مِنَ الْحِكْمَةِ يَتَعَلَّمُهَا الرَّجُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. وغير ذلك من الأحاديث والآثار التي يطول ذكرها. وقد أطنبَ العقلاء على مدحها والاعتناء بها، وليس الغرض إلا بيان فضلها وفائدتها فقط، وكيف يحسن منا ذلك وهي عين الفائدة والفضل ؟ :

وكَيْفَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ⁽¹⁰⁾ وإنما الغرض بيان ما هو الممدوح من مَصْدُوقِ اسم الحكمة، فإن الغلط قد وقع في هذا لكثير من العقلاء من جهة شمول لفظ الحكمة لأمر كثيرة بحسب كل عُرْفٍ واصطلاحٍ، بعضُ تلك الأمور ممدوحٌ دون بعض، فكان كل من يَحْصُلُ له شيء منها يجعله من مصدوقات الحكمة الممدوحة، فَيَتَمَدَّحُ بما انتحلّه ويثني عليه ويضيف ما ورد من

(9) رواه بهذا اللفظ كل من الترمذي في باب العلم، وابن ماجه في باب الزهد.
(10) هذا البيت مشهور لأبي الطيب المتنبّي، لكن بلفظ : وليس يصح... ولعلّ اليوسي حوّه عمدا لينسجم مع سياق كلامه : وكيف يحسن منا ذلك... وكيف يصح في الأذهان....

الثناء عليها إلى نفسه . فرأينا أن نشير إلى هذا المَقَام بِضَرْبٍ من الإشارة قريبٍ يَتَمَيَّزُ به الطَّيِّبُ من الخبيث ويُعَرَّفُ به الفائزُ من المغرور . وبسط ذلك يستدعي موضوعاً على حِدَةٍ، فَلَنَقْتَصِرُ منه على لَمَحَةٍ بَرَقَ فنقول :

قد عرفت فيما مرَّ من تعريف الحكمة أن فيها أقوالاً كثيرة مَرَّجِعُهَا فيما أوردناه من كلام السلف ضربان : خاصٌّ وعامٌّ . فالخاصُّ القولُ بأنها النبوءة والقرآن أو علمُ القرآن، أو الفهم أو الخشية لله تعالى أو فهمُ القرآن أو العملُ به والاتباعُ له، أو إصابةُ القول من غير نبوءة ونحو هذا مما تقدم . والعامُّ القولُ بأنها الإصابةُ في القول والفعل ونحوه . فأما إذا فسرناها بالوجه الخاصِّ وقلنا هي النبوءة، أو القرآن، أو العلمُ به، أو فهمه والاتباعُ له، أو الخشية، فلا خفاء في مدحها والثناء عليها في هذا المعنى وما أشبهه من كل ما يُسْتَرْضَى به الله تعالى وَيُتَقَرَّبُ به إليه كالعقل والعدل والحلم ؛ إلا أنه لا بد في ذلك من تحقيق الحقيقة وحفظ الحيثيَّة وهو تحقُّق الإصابة، إذ ذلك هو الحكمة ومَنَاطُ التَّقَرُّبِ المذكور . فاما ما يَنْتَحِلُهُ الْمُتَنَبِّئُ الكاذب من النبوءة، وما يَنْتَحِلُهُ الْمُلْحِدُ من فهم كتاب الله تعالى والبيدعيُّ مِنَ الاتِّباع، فكل ذلك قد يُسَمِّيهِ صاحِبُهُ حكمةً ويسمِّي نفسه به حكيماً، وليس من الممدوح بك ذلك مذموم غاية الذم، وليس ذلك بنبوءة ولا فهم لكتاب الله إلا في تسميته، فقط، وكذا ما أشبه هذا وإن قلنا هي إصابة القول من غير نبوءة ونحو ذلك، فحكمه بعد . وأما إذا فسرناها بالمعنى العامِّ، فقد علمت أنها مُتَنَاولَةٌ لجميع الإصابات في الأقوال والأفعال والاعتقادات، ودخل في ذلك ما تقدم وغيره . ومجموع ذلك ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الحِكْمُ الْقَوْلِيَّةُ، وهي كلها محمودة من حَيْثُ ذَاتُهَا بِقَيْدِ أن تَكُونُ حكمةً في نفس الأمر، وإلا فقد يُطَنُّ ما ليس بحكمة حكمةً، إذ قد يعدّ من الحكمة ما دلَّ على إثارة العاجلة على الآجلة أو اتباع الهوى، أو على العدوان والعُلُوّ في الأرض وسفك الدماء، وعلى اكتساب النبوءة بريضة النفس وطول المجاهدة وبلوغ كمال المعرفة وكمال النفس بذلك من غير تقييد بقانون الشرع، وعلى إثارة انقطاع الناس إلى الله تعالى بالأعراض عن نبيهم وعدم الالتفات إليه أصلاً، توهُما أن ذلك هو اللائق بتوحيد الباري والتَّعَبُّدَ له ونحو ذلك ؛ فكل ذلك وما أشبهه هَوَسٌ باطلٌ ليس من الحكمة في

ورُدَّ ولا صدَر، فان الحكمة مَرَجِعُهَا الاصابة كما ذكرنا قبل . ومن هذا النمط ما دَوَّته
 حكماءُ الفلاسفة في العلم الالهي من فنون الفلسفة من الهَوَسِّ والأباطيل، والاعتقادات
 الزائفة والحجج الواهية، وكذا ما لنظرائهم من الطبيعيين وأشباههم من قِرَقِ المعتزلة
 وطوائف المُبْتَدِعَةِ الضالِّين المُضِلِّين . وقد كان للفلاسفة في غير الالهيات حِكْمٌ
 تُقْتَبَسُ سراجاً منيراً، وتورَدُ زُلالاً نَميراً، فلما خاضوا في العلم الالهي لم يَهْتَدُوا
 غالباً الى الحق فيه، ولم يؤذَن لهم في الدخول الى ذلك الجَنَابِ النَّزْية . وَمَنْ
 يُضِلُّكَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . ثم ان هذه الحكم القولية، وإن قلنا إنها محمودة،
 فهي تختلف شرفاً وفضلاً بحسب جلالتها وما دلَّتْ عليه درجات كثيرة لا تكاد تنحصر. هذا
 بحسب ذاتها، وأما قائلها الذي صدرت منه فغير واجب أن يكون محموداً دائماً ولا أن يُعَدَّ
 حكيماً، بل قد يكون محموداً، وذلك إذا علم ما يقول وعمل به وتخلق به ولم يُكْذِبْ فعله
 وخُلُقُه قوله، وقد يكون مذموماً، وذلك إذا كان بخلاف ذلك بحيث يكون من علماء اللسان
 التَّرثَاينَ الْمُتَفَيِّهَيْنَ، حتى إنَّ المتكلمين بالحِكْمِ الشرعية من علماء الظاهر الذين
 تُخَالَفُ أفعالهم وأخلاقهم أقوالهم، ونحوهم من الوُعَاظِ والقُصَّاصِ في غاية الذم .
 وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ فيما مرَّ : الحكمة هي الفهم في القرآن والعمل به والاتباع له . وقد تصدر
 الحكمة ممن هو عن مقتضاها خال وعن فضلها بمعزك . ولذلك قال النبي صلى الله عليه
 وسلم : الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ . كما مرَّ . وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم : الْعِلْمُ
 ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ وَجَدَهُ أَخَذَهُ⁽¹¹⁾ وقال : خُذُوا الْحِكْمَةَ مِمَّنْ
 سَمِعْتُمُوهَا، فَإِنَّهُ قَدْ يَقُولُ الْحِكْمَةَ غَيْرُ الْحَكِيمِ، وَتَكُونُ الرَّمِيَّةُ
 مِنْ غَيْرِ الرَّامِي . فأشار صلى الله عليه وسلم بذلك الى أنه ينبغي للعاقل أن لا
 يَبْرَحَ مُتَتَبِعاً للحكمة طالباً لها، كما يطلب الرجل ضالَّتهُ وَيَنْشُدُهَا ؛ فان
 الحكمة هي ضالةُ العاقل لأنها غِذاءُ عقله، فهي أكبر الحاجات وأعظم المطلوبات . وفي

(11) في أ زيادة (من) قبل حيث، وهو تحريف.

الحديث تأديب الطالب المتعلم وتنبيهه على أنه لا يَأْتَفُ من أخذ الحكمة حيثما وجدها، وأنه يقبلها من كل مَنْ سَمِعَهَا منه شريفاً كان أو مشروفاً عالماً أو جاهلاً بَرّاً أو فاجراً ؛ ولا يستكبرُ عن أحد أن يتعلم منه كان فوقه أو دونه . فإنَّ طالب الضَّالَّةِ إذا وجدها فهو لا محالة يأخذها ولا يلتفت الى خِسَّةِ الآتي بها ولا شرفه، ولو ترك ضالَّته ومطلوبه الذي كان يَنْشُدُه لخسة من جاء بها كان أحق . وقد رُوِيَ أن الحجاج خطب فقال : إنَّ الله تعالى أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مَوْنَةَ الدنيا، فَلَيتَهُ كَفَانَا مَوْنَةَ الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا ! فقال الحسن : ضالَّةٌ مُؤْمِنٍ عند فاسقٍ فَلَنَأْخُذْهَا . وخطب خازمُ بَنُ خَزَيْمَةَ فقال : إنَّ يوماً أسكَّرَ الكبار، وشَيَّبَ الصغار، لِيَوْمٍ عسير، شرُّهُ مستطير . فقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : حكمةٌ من جَوْفِ خَرِبٍ، ثم أخرج ألواحاً فكتبها . ولهذا ورد : أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ . ورُوِيَ أَنَّ رجلاً في بني إسرائيل حكيمًا أَلْفَ ثلاثمائة كتاب في الحكمة واشتهر فرأى ان له عند الله منزلة، فأوحى الله الى نبي ذلك الوقت أن قل لفلان : مَلَأْتَ الدُّنْيَا نِفَاقًا . القسم الثاني في الحِكَمِ الفَعْلِيَّةِ بناء على إطلاق الحكمة عليها كما مرّ، وهي على تفصيل : فما كان منها خدمةً لله تعالى وقيامًا بوظائف تكاليفه كلّها من فعل الواجبات وأنواع القُرْبَات، فهو كلّهُ محمود . وهذا النوع إنما يُعَدُّ حكمةً بحسب ما انضم إليه من الفهم في كتاب الله تعالى كما مرّ، فهو جزء منها . وما يرجع إلى إتقان الصنائع العجيبة والحرف المهمة، فهذا كله محمود عادة، وأما شرعاً فإنما يُحْمَدُ إذا كان مُقَرَّباً إلى الله تعالى مباشرةً أو بواسطةً أو وسائط، على حكم التفصيل في سائر المباحات . ووراء هذين القسمين قسمان آخران :

أحدهما تدبير الذهب والفضة ومعالجة تبديل الأشياء وصناعة الأكْسِير، وهذا النوع هو المعروف عند كثير من الأوائل بالحِكْمَةِ، وهو محمود عندهم غاية ومن أجلّ علومهم، وإطلاق الحكمة عليه من حيث الاصابة والاتقان مع الغرابة واللطافة . وللمتكلمين في ذلك كلام وبحث في أن ذلك ممكن أم لا، وفي أنه بعد إمكانه واقع أم لا . فهي أربعة مباحث قرّرت في محلها وليس من غرضنا التعرض لها، غير أننا نقول جرباً على ما نحن بصددده :

إن قلنا إن ذلك محال أو غير موجود، فلاشغال به غير محمود لاعادة ولاشعرا، بل هو في غاية الذم لأنه تضييعٌ للعمر بلا طائل وهوَّسٌ وجنون. وإن قلنا إنه يوجد ويقع، فلا نشك بالاستقراء أنه في غاية القلة والندور، وأنه لا يقع عليه الا الفرد من الناس في الدهور. وقد اعترف أهل هذا العلم أنه أخطأ الناس طريقته ولم يعثروا على التحقيق فيه فضاء وبقي اسما بلا مسمى، فنقول : انه ينبغي أن يكون مذموما على هذا الوجه أيضا كأنه تضييع للعمر غالبا بلا طائل، وعدول عن الأسباب المنصوبة⁽¹⁾ للخلف في الاكتساب الى سبب نادر قليل الجدوى مع كثرة الايْن والتعب، مُنْبِتٌ في القلب من الحرص والطمع ما تُنْبِتُهُ الدَّيْمُ في الأرض الأريضة، ولا دَاءٌ على القلب شرٌّ من الحرص والطمع ! نعم، لو عثر على شيء صحيح منه بلا تَعَمُّك حرام ولا انجرار طمع واتَّخِذَ سببًا، كان من جملة المباحات والتَّحَقَّ بِحُكْمِ الصَّنَائِعِ السابقة.

ثانيهما خِفَةُ اليَدِ والاحتِيَالُ بِالشَّعْبَذَةِ وأنواع النَّيِّرُوجَات، فإن كثيرا من هذا النوع قد يُسمى حكمة أيضا لما فيه من الغرابة، وهو ليس بممدوح في الجملة لا شرعا ولا عادة عند العقول السليمة. نعم، فيه تفصيل من جهة الحرمة والاباحة يطول بنا التعرض له، وليس كلامنا بالقصد في الفقهيات.

الثَّالِثُ الحِكْمُ القَلْبِيَّةُ، وهي إذا عممنا فيها وتوسعنا ضربان : ما يرجع الى الأخلاق كالحلم والعدل والزهْد والعفة والصمت ونحوها، وهذا النوع كله محمود شرعا وعادة، لأن من يطلق الحكمة في هذا الضرب أخذًا مما مرَّ إنما يطلقها على المحمود من الأخلاق لا على مُطْلَقِ الخُلُقِ حتى يدخل المذموم. وفي الحديث : الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ. وقد يُذَمُّ بعضُ هذه الأخلاق المحمودَة عند غَوْغَاءِ الناس العُمِّيِّ البَصَائِرِ، كالصَّمْتِ عند المُتَشَدِّقِينَ الثَّرَثَارِينَ والعَفَافِ عند المَجَانِّينَ الفاسقين ونحو ذلك. ولا عبرة بهذا الذم، وهو في الحقيقة ذَمٌّ للمذموم لا للمحمود، إلا أنه يقع الخطأ للذَّمِّ والغلط. وذلك أن الصمت مثلا ليس بمحمود دائما، بل في محل يليق به، فقد يَرَى الجاهلُ محلَّ الصمت غيرَ مَحَلٍّ له، بل محلا للكلام فيذَمُّ الصمت وقصْدُهُ ذَمُّ الصمت المذموم، ولو عرف أنَّ ذلك مَحَلُّه ما ذَمَّهُ وما يرجع الى

(1) في ب : المنسوبة

الاعتقادات وهو كئله أيضا محمود، لأن الحكمة هنا أيضا إنما تطلق فيما كان عِلْمًا إذ هو محلّ الاصابة، والعِلْمُ كئله في نفسه محمود، أعني وصول النفس الى شيء، لأن ذلك كمال النفس. وقد يَعْرِضُ للعِلْمِ الذَّمُّ من جهة المعلوم، ولِلْعَالِمِ الذَّمُّ من جهة مخالفة عَمَلِهِ لِعِلْمِهِ وعدم جَرَّيِهِ على مُوجِبِيهِ كما قلنا في اللسان، أو من عدم طائل يعود به عليه مع إضاعة العمر النفيس فيه، أو من الاشتغال به عَمَّا هو أَوْلَى منه وجوبًا أو ندبًا أو نحو ذلك. ثم العلم يتفاوت بعد ذلك في الشرف بحسب شَرَفِ مَعْلُومِهِ وثَمَرَتِهِ. وهذا النوع هو الحكمة حقيقة، وكل ما تقدم من الأفعال والأقوال إنما هو مظهرها وعنوانها عند التحقيق، واللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

الفصل الثالث : في فضل الشعر

ذكرنا في هذا الفصل شيئًا مما ورد في فضل الشَّعْرِ، لأننا قد أوردنا في هذا الكتاب جملة وافرة من الشعر ؛ فَرُبَّ جاهلٍ أو جافي الطَّبْعِ أو مُتَنَسِّكٍ⁽¹⁾ نُسِكَ أعجميًا يَذُمُّ الشَّعْرَ فيسري ذمُّه الى ما في الكتاب ثم الى الكتاب، فرأينا أن نُنَبِّهَ على شيء من فضله، ونحن عند التحقيق في غِنَى عن ذلك، بعد ذكر فَضْلِ الْمَثَلِ والحِكْمَةِ، لأنَّ جلَّ ما أوردناه في الكتاب من هذين النوعين، وما سوى ذلك إمَّا توابعٌ وتَتِمَّاتٌ، وإمَّا شواهدٌ من كلام العرب مما اشترك في جَلْبِهَا استشهادهَا كُلُّ ذِي عِلْمٍ ؛ ولكننا نذكر ذلك تقوية.

اعلم أن الكلام العربي هو أشرف الكلام وأجلّه، كما وقع في الحديث : إنَّ سَيِّدَ الكلامِ الكلامُ العَرَبِيُّ، وسَيِّدُ الانبياءِ مُحَمَّدٌ، وسَيِّدُ الكُتُبِ القرآنُ. و [في] الحديث أيضا : القرآنُ عَرَبِيٌّ، وكلامُ أهلِ الجَنَّةِ عَرَبِيٌّ. واعلم أن كلام العرب نوعان : منثور ومنظوم، وكان كئله في أصله نثرًا. فلما احتاجت العرب الى ذكر أيامها وأعرافها، وتخليد مكارمها ومآثرها، توهموا أعاريض الشعر وأوزانه، وجعلوه آلة لذلك وعونًا على حفظ ما ذكر وإبقائه، لسهولة على الطبع وميله إليه دون المنثور. ومن ثم يقال ان ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من المنظوم، ومع ذلك لم يُحْفَظْ من المنثور عَشْرُهُ، ولم يَضِعْ من المنظوم عَشْرُهُ : فكان للشعر بهذا فضلٌ على النثر.

(1) في أ (منتسك)، وفي ب (متمسك).

ومما ورد في فضله قول النبي صلى الله عليه وسلم : **إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٍ**، وتقدم تفسير الحكمة. وروى عنه صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال : **إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**، **وإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحُكْمًا**، أي كلما نافعا يَمْنَعُ من الجهل والسفه. قيل أراد به المواعظ والأمثال التي يُنْتَفَعُ بها، وقد تقدّم أن الحُكْمَ بِمَعْنَى الْحِكْمَةِ. وقيل الحُكْمُ هنا بمعنى القضاء، بمعنى أنه يُنْفَذُ أمرُهُ وَيُتَّبَعُ ما يَقْضِي به وَيُسَلَّمُ له فيما حَكَمَ به كما يكون ذلك في حُكْمِ الْحَاكِمِ ؛ ولذلك وضع أقواما ورفعَ آخرين. ومِمَّنْ وضعَهُم بنو نُمَيْرٍ، إذ هجاهم جرير، وكانوا إحدى جَمَرَاتِ العرب قبل ذلك ؛ وبنو العَجَلَانِ، إذ هجاهم النجاشي، وكانوا قبل ذلك يفتخرون بهذه التسمية، لأن أباهم سُمِّيَ بذلك لتعجيله القِرَى للضيف، والرَّبِيعُ بنُ زيَادِ العَبْسِيِّ، إذ هجاه لبيد، وكان قبل ذلك أحد نُدَمَاءِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، وكان لا يواكل غيره إذا حضر. ومِمَّنْ رَفَعَهُ بنو أنفِ النَّاقَةِ، حيث مدحهم الحُطَيْئَةُ فَكَلَبَ هذا اللقب الذي كان يُخْزَوْنَ به مدحا وفخرا ؛ وعبد العزيز بنُ حَنْتَمَ المعروفُ بِالْمُحَلِّقِ، حيث مدحه الأعشى وكان قبل ذلك خاملا ؛ وهَرَمُ بنُ سِنَانِ، حيث مدحه زهير فشَرَفَ بذلك على أخيه خَارِجَةَ بنِ سِنَانِ، وكان خَارِجَةُ قبل ذلك أَنَبَهُ منه وإن كانا معا سيدَيْنِ ؛ وغير هؤلاء. وتفصيل هذه الوقائع يطول بنا في هذا المحل، وهي مشهورة وسيأتي كثير منها. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : **الشَّعْرُ كَلَامٌ** من كَلَامِ الْعَرَبِ جَزَلٌ **تَتَكَلَّمُ بِهِ فِي بَوَادِيهَا وَتَسْلُ بِهِ الصَّغَائِنَ**(2) وروى عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحَسَّانَ بنَ ثَابِتٍ في المسجد مِنْبَرًا يُنْشِدُ عليه الشعر. وروى أن عمرَ رضي الله عنه - مرَّ بحسان وهو يُنْشِدُ الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : **أُرْغَاءُ كُرْغَاءِ الْبَكْرِ ؟** فقال حسان : **دعني عنك ياعمر، فوالله إنك لتَعْلَمُ لقد كنت أَنشِدُ في هذا المسجد مَنْ هُوَ خَيْرٌ منك، فما يُغَيِّرُ عليَّ ذلك.** فقال عمر : صدقت !.

ويحكى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل في عمرة القضاء وعبد الله بنُ رَوَاحَةَ

(2) ورد هذا الحديث في عمدة ابن رشيقي، ج1، ص. 28.

يمشي بين يديه وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْعَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِبُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ.
فقال له عمر - رضي الله عنه - : يا ابنَ رَوَاحَةَ ! بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي حَرَمِ اللَّهِ تَقُولُ الشَّعْرُ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :
خَلَّ عَنْهُ يَا عُمَرُ ! فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ وَقْعِ النَّبِكِ . ولما هجت قريش
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي الله عنه : اهْجُئْهُمْ وَمَعَكَ جَبْرِيلُ
رُوحُ الْقُدُسِ فَلَهْجَاؤُكَ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ السَّهَامِ ، فِي غَبَشِ
الظَّلَامِ ! وقال عمر رضي الله عنه : مِنْ أَفْضَلِ مَا أُعْطِيَتْهُ الْعَرَبُ الْإِنِّيَاتُ
يُقَدِّمُهَا الرَّجُلُ أَمَامَ حَاجَتِهِ فَيَسْتَعْطِفُ بِهَا الْكَرِيمَ وَيَسْتَنْزِلُ
بِهَا اللَّئِيمَ . وقال أيضا : تَعَلَّمُوا الشَّعْرَ ، فَإِنَّ فِيهِ مَحَاسِنَ تُبْتَغَى
وَمَسَاوِيءَ تُتَّقَى . وكتب الى أبي موسى الأشعري : مَرُّ مَنْ قَبْلَكَ يَتَعَلَّمُ
الشَّعْرَ ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَصَوَابِ الرَّأْيِ وَمَعْرِفَةِ
الْأَنْسَابِ . وقال معاوية - رضي الله عنه - : يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ تَأْدِيبُ وَلَدِهِ ،
وَالشَّعْرُ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْأَدَبِ وقال : رَوُّوا أَوْلَادَكُمْ الشَّعْرَ وَاجْعَلُوهُ أَكْبَرَ
هَمِّكُمْ وَأَكْثَرَ أَدَابِكُمْ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي لَيْلَةَ الْهَرِيرِ بِصِيفَيْنِ ، وَقَدْ أَتَيْتُ
بِفَرَسٍ وَوَضَعْتُ رِجْلِي فِي رِكَابِهِ لِأَفِرَّ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ ، فَمَا حَمَلَنِي
عَلَى الثَّبَاتِ إِلَّا ذِكْرُ أَبْيَاتِ عَمْرٍو بْنِ الْأَطْنَابَةِ :

أَبَتْ لِي هِمَّتِي وَأَبَى بَلَائِي وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالْتِمَنِ الرَّبِّيمِ
وَإِقْحَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيمِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتُ وَجَاشَتْ مَكَانَكَ تَحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
لِإِدْفَعٍ عَنْ مَائِرِ صَالِحَاتِ وَأَحْمِي بَعْدُ عَنْ عِرْضِ صَاحِبِ
وقال بعضهم : كنا عند عَمَّارٍ بِصِيفَيْنِ ، وَعِنْدَهُ شَاعِرٌ يُنْشِدُهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ :
أَيُّقَالَ فِيكُمْ الشَّعْرُ وَأَنْتُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابُ بَدْرٍ ؟ فَقَالَ لَهُ عَمَّارٌ : إِنْ شِئْتَ
فَأَسْمَعْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَادْهَبْ . إِنَّا لَمَّا هَجَانَا الْمُشْرِكُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

الله عليه وسلم : قولوا لهم كما قالوا لكم، فكنا نعلمه الاماء بالمدينة . وكان ابن عباس يقول :
إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب.
وقال ايضاً : إذا أعيتكم العربية في القرآن فالتمسوها في الشعر، فإنه ديوان العرب . وكان
كلما سئل عن حرف من القرآن أو من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشد عليه شعراً .
وقيل لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ إن قوماً بالعراق يكرهون الشعر، فقال : نَسْكُوا نُسْكَاً
عجمياً ! وسئل ابن سيرين في المسجد عن رواية الشعر في شهر رمضان أنها تَنَقُضُ
الوضوء فقال :

نَبَيْتُ أَنْ فَتَاةً كُنْتُ أَخْطُبُهَا عَرُقُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطَّوْلِ
ثُمَّ قَامَ فَأَمَّ النَّاسَ. وقيل بل أنشد :

لَقَدْ أَصْبَحَتْ عِرْسُ الْفَرَزْدَقِ نَاشِزاً وَلَوْ رَضِيَتْ رُمَحَ اسْتِهِ لَأَسْتَقَرَّتْ
وسئل ابن عباس هل الشعرُ من رَفَثِ الْقَوْلِ، فأُشْد :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا إِنْ تَصَدَّقَ الطَّيْرُ نَنْكَ لَمِيْسًا⁽³⁾
وقال إنما الرَفَثُ عِنْدَ النِّسَاءِ، ثم أَحْرَمَ للصلاة. وكان أبو السَّائِبِ
الْمَخْزُومِيُّ يقول أما وَاللَّهِ لو كان الشعرُ مُحَرَّمًا لَوَرَدْنَا الرَّحْبَةَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّارًا،
يعني الرَّحْبَةَ التي تُقَامُ فيها الحدود. وقال عبد الملك لبنيه عَلَيْكُمْ بِالْأَدَبِ،
فإِنَّكُمْ إِنْ احْتَجَجْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا، وَإِنْ اسْتَغْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ جَمَالًا. وكانت
عائشة أمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وابن عباس، وعمر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ مِنْ رِوَايَةِ الشعر بالمحلِّ
الذي لَا يُدْرِكُ، حتى حُكِيَ عن عائشة أنها قالت : رَوَيْتُ لِبَيْدِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ بَيْتٍ
خِلَافَ مَا رَوَيْتُ لغيره. وكذا غير هؤلاء من الصحابة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - وَمَا مِنْ أَهْلِ
الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ إِلَّا مَنْ قَالَ الشعرَ، غيرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذا الخلفاء الأربعة.
وقد ذكر المعتنون بهذا الشأن ما ثبت عن كلِّ منهم من الشعر ؛ والتَّعَرُّضُ لذلك يطول
بنا، وليس من غرضنا نحن في هذا الكتاب إِلَّا مُجَرَّدُ التَّنْبِيهِ ؛ وما تقدم كافٍ في مدح
الشعر وإباحته والردُّ على مُنْكَرِيهِ.

(3) في كتاب الفائق للزمخشري، ج 3، ص. 215

« كان - ابن عباس - محرمًا فأخذ يذنب ناقة من الركاب وهو يقول :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا إِنْ تَصَدَّقَ الطَّيْرُ نَنْكَ لَمِيْسًا

فقال له : يا ابن عباس أتقول الرفث وأنت محرم ؟ فقال إنما الرفث ما رجع به النساء....أراد أن الرفث المنهي عنه
ما خوطب به المرأة، فأما إذا تكلم بشيء ولا امرأة ثم تسمع فلا رفث ».

وقد يحتج دأمة بقوله صلى الله عليه وسلم : لَأَن يَمْتَلِيءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْنًا حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ مِّنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْرًا. ومَحْمِلُ هذا الحديث عند العلماء أربعة أوجه :

أحدها أن المراد بهذا الشعر المذكور هنا الشعر الذي هُجِيَ به النبي صلى الله عليه وسلم. وقد وقع في رواية : شِعْرٌ هُجِيَ [بِهِ]، بهذه الزيادة. وروى أن أبا هريرة، لما رَوَى الْحَدِيثَ المذكور قالت عائشة - رضي الله عنها - لَمْ يَحْفَظْ، إِنَّمَا قَالَ شِعْرًا هُجِيَ بِهِ. ولا شك أن هذا النوع من الشعر لو كان شَطْرَ بَيْتٍ لكان كُفْرًا، فكيف إذا امتلأ الجوف به ؟!.

ثانيها أنه ورد لأقوام كانوا في غاية الاقبال على الشعر، فجاء على وجه المبالغة زجرا لهم لِيَقْبِلُوا على القرآن والذكر والعبادة.

ثالثها أنه في حق من أُولِعَ به حتى شَغَلَهُ عن الذكر والقرآن والعبادة، لأن ذلك هو معنى الامتلاء. وأما إذا كان الغالب عليه القرآن والذكر. فليس جوفه ممتلئًا. رابعها أنه في الشعر المذموم دون الممدوح، وَسَنُبَيِّنُهُ.

وقوله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، للعلماء في هذا الحديث وجهان : أحدهما أنه وَرَدَ مَوْزِدَ الذَّمِّ فشبهه بعمل السحر لَعَلَّتْهُ عَلَى الْقُلُوبِ وَجَلَّتْهُ إِيَّاهَا، وَتَزَيَّيْنَهُ الْبَاطِلَ وَتَحْسِينَهُ الْقَبِيحَ وَتَقْبِيحَهُ الْحَسَنَ. ويكتسب به صاحبُه مِنَ الْإِثْمِ مَا يَكْتَسِبُ السَّاحِرُ بِعَمَلِهِ⁽⁴⁾ كما قال صلى الله عليه وسلم : وَلَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَنْ يَكُونَ الْخَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ؛ فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ. ثانيهما أنه وَرَدَ مَوْزِدَ الْمَدْحِ بمعنى أنه تَمَالُكٌ بِهِ الْقُلُوبُ، وَيُسْتَرْضَى بِهِ السَّخَطُ، وَيُسْتَنْزَلُ بِهِ الصَّعْبُ. وَيَشْهَدُ لهذا قوله في نفس الحديث : إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٍ. وهذا قول أكثر أهل العلم والأدب، لأن الله تعالى مدح البيان، وهو شاملٌ للشعر والنثر . وقال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله حاجته فأحسن في سؤاله : هَذَا وَاللَّهِ السَّحْرُ الْحَلَالُ ! وقضى حاجته . وأما قوله تعالى : وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ الآية، فالمراد بها المشركون المشتغلون بالاذاية للنبي صلى الله عليه وسلم وهجائه . وأما الشعراء

(4) في أ : بعلمه.

المؤمنون كحَسَّانَ وكَعْبَ وابْنِ رَوَاحَةَ وغيرهم فليسوا بداخلين . ولذلك استثناهم الله تعالى فقال : **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا،** أي لم يشغلهم الشعر عن الذكر، وانتصروا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا، أي بهجومهم الكفار العاجين للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين ظلما، كما قال الله تعالى : **لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ .** والآية المذكورة هي فصل الخطاب فيما مر . نعم، قال ابن عطية : **يَدْخُلُ فِي الْآيَةِ كُلُّ مُخَلِّطٍ يَهْجُو أَوْ يمدح شهوةً وَيَقْذِفُ الْمُحْصَنَاتِ وَيَقُولُ الزُّورَ،** كما يدخل في الاستثناء كُلُّ مَنْ كَانَ بِخِلَافِهِ .

فقد بَانَ بهذا فضلُ الشعر وأنَّ لا بأسَ به أصلاً، غير أنه ليس على إطلاقه وأنَّ الشعر كلُّه محمودٌ ومَرْضِيٌّ، فإنَّ هذا خطأ وغلط، بل هو على تفصيل . فما كان متضمناً للثناء على الله تعالى، أو لمدح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، أو الانبياء والملائكة وكل من يجب تعظيمه وتوقيره والثناء عليه في الدنيا والترغيب في الآخرة، فهو مندوبٌ إليه مُرْعَبٌ فيه ؛ وما كان متضمناً للتنبيه والوعظ والتهديد في الدنيا والترغيب في الآخرة ونحو هذا فكذلك أيضاً ؛ وما كان متضمناً للهجو وإيذاء كُلِّ مَنْ عَرَضَهُ مَعْصُومٌ فهو حرام . ويتفاوتُ في القبح والشدة بحسب المؤذَى، حتى ينتهي إلى الكفر كما في حق الأنبياء، وما كان خالياً عن هذين الأمرين فهو من المباح في الجملة، إلا أنه إن اشتمل على وصف القَدِّ والخذِّ والمجون التي تحرك دواعي الشهوة والغواية، فهو قد يَحْرُمُ وقد يُكْرَهُ وقد يُبَاحُ بحسب حال القائل والمُخَاطَبِ . وتحقيق ذلك أن الشعر كلامٌ كالنثر، فكُلُّ ما يُسْتَقْبَحُ في النثر يستقبح في الشعر.

فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **إِنَّمَا الشَّعْرُ كَلَامٌ مُؤَلَّفٌ، فَمَا وَافَقَ الْحَقَّ مِنْهُ فَهُوَ حَسَنٌ، وَمَا لَمْ يُوَافِقِ الْحَقَّ فَلَا خَيْرَ فِيهِ .** وقال - صلى الله عليه وسلم - : **إِنَّمَا الشَّعْرُ كَلَامٌ، فَمِنْ الْكَلَامِ خَبِيثٌ وَطَيِّبٌ .** وقالت عائشة - رضي الله عنها - : **الشَّعْرُ كَلَامٌ فِيهِ حَسَنٌ وَقَبِيحٌ، فَخُذِ الْحَسَنَ وَدَعِ الْقَبِيحَ .** وقال ابن سيرين : **الشَّعْرُ كَلَامٌ عَقْدٌ بِالْقَوَافِي، فَمَا حَسُنَ فِي الْكَلَامِ حَسُنَ فِي الشَّعْرِ،** وكذلك مَا قَبِحَ مِنْهُ

هذا، مع أن الشعر قد حَسُنَتْ فيه أشياء لم تَحْسُنْ في النثر، وذلك مما يفضُّله به الأدباء ؛ منها الكذب الذي وقع الاجماع على حِرْمَتِهِ فإنه جائز في الشعر، إلا أن في المبالغة والايغال تفصيلا مذكورا في علم الأدب . وأفضل الأمور الصدق وما قرب منه ؛ ومنها تزكية الانسان نَفْسَهُ وَمَدْحُهُ إياها، وَمَدْحُ الانسان بحضرته، وَمَدْحُ المحرَّمات من الخمر والنساء الأجانب ونحو ذلك ؛ ومنها خطاب الممدوح مثلا باسمه وبكاف الخطاب مما يكون في النثر استنقاضا، ونحو هذا . وقصيدة كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ رضي الله عنه الَامِيَّةُ مُتَكَفِّلَةٌ بأكثرها، وقد أنشدها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه، بل أثابه بِرُذْتِهِ، فاشتراها منه معاوية بثلاثين أو عشرين ألف درهم، وبقيت يتوارثها الخلفاء ويلبسونها في الجُمع والأعياد تبركا بها . وقيل إنه أعطاه مع البردة مائة من الابل ويحكى أن الاحوص قال يخاطب عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه إذ توقف عن إعطاء الشعراء :

وَقَبْلَكَ مَا أُعْطِيَ هُنَيْدَةَ جِلَّةٌ

على الشَّعْرِ كَعْبًا مِنْ سَدِيسٍ وَبَازِلٍ

رَسُولُ اللَّهِ الْمُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ

عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ

وبالجملة، ففي كل كلام ينطق به اللسان شعرا أو نثرا، إنشاء أو حكاية، فوائد وأفات فصلها علماء الشعر وحرروها، فمن ظفر بالفائدة وسَلِمَ عن الآفات فهو الذي ينبغي له أن يتكلم إما وجوبا أو ندبا بحسب الفائدة ؛ وَمَنْ لم يظفر بالفائدة ووقع في الآفة أو تَوَقَّعَهَا فهو الذي لا ينبغي له أن يتكلم إما تحريما أو كراهة بحسب الآفة . وَمَنْ تعارضتا عنده فهو الذي ينبغي له أن يَرْجَحَ أحد الجانبَيْنِ وإلا كَفَّ، فَإِنَّ دَرَأَ الْمَفْسَدَةِ أَهَمُّ، وَمَنْ عَدِمَهُمَا معا فهو الذي يباح له الكلام، وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ .

الفصل الرابع : في الأمثال الشعريّة

اعلم أنّنا لما ذكرنا حكم الشعر عموماً كما مرّ، أردنا أن نُرَدِّفَه بما كان منه مثلاً خصوصاً . وهذا النوع داخل فيما للذي قبله وداخلٌ أيضاً فيما للمثك مطلقاً، وقد فرغنا قبلُ مِنْ شرحه وفضله ؛ غير أن هذا النوع له خصوصية كلام وبيان تَعَلَّقَ الغرضُ بذكره، وجعلنا الكلام في هذا الفصل في أربعة أمور بها يتم الغرضُ إن شاء الله تعالى :

الأول في التَمَثُّك بالشعر وما ورد فيه يقال : تَمَثَّلَ بِالْبَيْتِ إِذَا أَنْشَدَهُ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ طَرْفَةٍ : وَيَاتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودْ ؛ إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ وَيَاتِيكَ مَنْ لَمْ تَزُودْ بِالْأَخْبَارِ . وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ . وَأَمَّا غَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَتَمَثَّلُ لَهُمْ بِالشَّعْرِ شَائِعَ دَائِعَ لَا يُحْصَى ، وَهُوَ دَلِيلٌ مَا تَقَدَّمَ فِي الْفَصْلِ قَبْلَ هَذَا . وَمِمَّا تَمَثَّلَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ عَلَى الْمُنْبِرِ قَوْلُ الْغَنَوِيِّ :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرْلَقَتْ بِنَا رَجُلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ وَزَلَّتْ
أَبَوَا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّنَّا تَلَاقِي الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتْ
هُمْ أَنْزَلُونَا فِي ظِلَالِ بَيُوتِهِمْ ظِلَالِ بَيُوتِ أَدْفَاتٍ وَأَكْنَتِ
وَأَرَادَ بِذَلِكَ مَا فَعَلَ بِهِمُ الْإِنصَارُ مِنَ الْإِحْسَانِ . وَأَمَّا عَمْرٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَكَانَ لَا يَنْزِلُ بِهِ
أَمْرٌ إِلَّا تَمَثَّلَ فِيهِ بِشَعْرٍ ، وَكَذَا عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - . وَمِمَّا تَمَثَّلَتْ بِهِ قَوْلُ لَبِيدٍ :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيتُ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
وَرَأَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يَعْرِقُ جَبِينُهُ وَهُوَ فِي عَمَلٍ ، وَجَعَلَ عَرَقُهُ
يَتَلَأُّ نَوْرًا ، فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ رَأَى أَبُو كَبِيرٍ هَذَا لَعَلِمَ أَنَّكَ أَحَقُّ بِشَعْرِهِ
فَقَالَ لَهَا : وَمَا يَقُولُ يَا عَائِشَةُ أَبُو كَبِيرٍ ؟ قَالَتْ : يَقُولُ :

وَمُبَرِّإٍ مِنْ كُلِّ غَبْرٍ حَيْضَةٍ وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاعٍ مُغِيلٍ⁽⁵⁾

(5) هذه رواية ديوان المذليين الذي أورد القصيدة كاملة (القسم الأول، ص 88-100) وفي بعض نسخ حماسة أبي تمام : (معضل) بدل مغيل.

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَسِيرَةٍ وَجْهِهِ بَرَقَتْ كَبَرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّكِ

فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام إليها فقَبَّلَ ما بين عينيها وقال :
جَزَاكَ اللَّهُ يَا عَائِشَةُ خَيْرًا . مَا سُرَرْتُ بِشَيْءٍ كَسَرُورِي بِكَ ! ومما تَمَثَّلَتْ
به فاطمة⁽⁵⁾ - رضي الله عنها - يوم تُوُفِّيَ أبوها عليه الصلاة والسلام قول فاطمة⁽⁵⁾
قَدْ كُنْتُ لِي جَبَلًا أَلُودُ بِظِلِّهِ فَتَرَكْتَنِي أَضْحَى بِأَجْرَدٍ ضَامٍ
قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حَمِيَّةٍ مَا عِشْتُ لِي أَمْشِي الْبِرَّازَ وَكُنْتُ أَنْتَ جَنَاحِي
فَالْيَوْمَ أَخْضَعُ لِلذَّلِيلِ وَأَتَّقِي مِنْهُ وَأُدْفَعُ ظَالِمِي بِالرَّاحِ
وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةً شَجْنَا لَهَا يَوْمًا عَلَى فَنَنْ دَعَوْتُ صَبَاحَ
وَأَغْضُ مِنْ بَصَرِي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ بَانَ حَدٌّ فَوَارِسِي وَرِمَاحِي

ومما تمثلك به علي⁽⁶⁾ - كرم الله وجهه - وهو على المنبر، معنفاً للقوم في تقديمهم أبا
موسى الأشعري في التحكيم بعدما حذَّره من قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّة :

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى
فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

ومما تمثلك به معاوية - رضي الله عنه - قول قَيْسِ بْنِ زُهَيْر :

أُظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَى قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ

وسيأتي في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ما يكفي ويشفي في هذا النحو ؛ وإنما نبهنا

(5) هي فاطمة بنت الأخنجم الخزاعية. والشعر منسوب إليها في حسانة أبي تمام، 1 : 377، وأما أبي القاسم، 2 : 1 - 2.

على لَمْحَةٍ قليلة يزداد بها الناظر بصيرة على ما ذكرنا في المثل الأول. ولو تتبعنا ما تَمَثَّلَ به الصحابة في الوقائع، والتابعون وهَلُمَّ جَرًّا لكان وحده موضوعا.

الثاني في المثل الشعري وأقسامه . أعلم أن المثل معروف الحقيقة مما قدمنا فيه، وهو يكون نثرا تارة، وذلك أَكْثَرُهُ، وقد يكون نظما. فإن المثل، وإن كان سائرا، لكنه إذا نُظِمَ كان أَسِيرَ⁽⁶⁾ له وأسهل على اللسان وأحسن، ثم إنه قد يقع بيتا كاملا، وقد يقع نِصْفَ بيت أو رُبْعَهُ أو نحو ذلك من الأجزاء . وسئك حَمَادُ الرَّأْيَةِ بِأَيِّ شَيْءٍ فَضِّلَ النابغة، فقال : إن النابغة إن تَمَثَّلَتْ بِبَيْتٍ من شعره اكتفيت، مثل قوله :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ

بك لو تَمَثَّلَتْ بنصف بيت من شعره اكتفيت به، وهو قوله : وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ، بك لو تَمَثَّلَتْ بِرُبْعِ بيتٍ من شعره اكتفيت به، وهو قوله : أَيْ الرِّجَالِ الْمُهْذَبُ . ومن ورود المثل بيتا مستقلا قول طرفة مثلا :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَا الْفَتَى لَكَالطَّوْلِ الْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ

وقول أبي الطيب :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُ

وهو كثير . ومن وروده نصف بيت الشطر الثاني من قول الحماسي مثلا :

عَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ إِنَّ التَّخَلُّفَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ

ومن وروده رُبْعَا الرُّبْعِ الأخير من قوله :

وَلَا يَوَاتِيكَ فِيمَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ فَانْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ

والتمثيل بهذا أحسن من التمثيل بقول النابغة السابق، لأن ذلك ليس برُبْعٍ إلا على

التقريب.

(6) فِي ب : أَيْسَر.

واعلم أنه قد لا يتم المثل الا على بيتَيْن، كقول الأول :

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوْجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ

صَنِيعَةُ تَقْوَى أَوْ صَدِيقٌ تَوَافِقُهُ⁽⁷⁾

بَخِلْتِ، وَبَعْضُ الْبُخْلِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ

وَلَمْ يَبْتَذِلْكَ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقُهُ⁽⁸⁾

وقد لا يتم إلا على أكثر، كقول بعض الأدباء :

لَصَيْدُ الثَّخْمِ فِي الْبَحْرِ وَصَيْدُ الْأَسَدِ فِي الْبَرِّ

وَقَضْمُ الثَّلْجِ فِي الْقَرِّ وَنَقْلُ الصَّخْرِ فِي الْحَرِّ

وَإِقْدَامُ عَلَى الْمَوْتِ وَتَحْوِيلُ إِلَى الْقَبْرِ

لَأَشْفَى فِي طِلَابِ الْعِزِّ مِمَّنْ عَاشَ فِي الْفَقْرِ

وقد يكون في البيت الواحد مثلاً أو ثلاثة أو أربعة و أكثر . فمن الأول قول امرئ

القيس :

اللَّهِ أَنْجَمُ مَا طَلَبْتُ بِهِ

و[البرُّ] خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ

ومن الثاني قول ضابئ بن الحارث :

وَفِي الشَّكِّ تَفْرِيطٌ وَفِي الْحَزْمِ قُوَّةٌ وَيُخْطِئُ فِي الْحَرَسِ الْفَتَى وَيُصِيبُ⁽⁹⁾

(7) (توافقه) هي رواية الحصري وحده في زهر الآداب (2 : 832) وفي الروايات الأخرى كلها : توافقه.

(8) البيتان لكثير عزة من قصيدة تشتمل على أربعة عشر بيتاً . وهي في ديوانه الذي جمعه الدكتور احسان عباس . اتفقت جميع الروايات : الجاحظ في العيوان (3 : 465)، والشريف المرقضي في الأمالي (ج2، ص . 261)، وابن عبد ربه في العقد الفريد (6 : 175 - 176)، والحصري في زهر الآداب وكذلك صظم الجوهري، وأساس البلاغة للزمخشري في مادة فلذ . على رواية صدر هذا البيت هكذا : مُنَعْتُ وَبَعْضُ الْمَنَعِ حَزْمٌ.....

(9) (ولم يبتذل) التي وردت في الشطر الثاني عند اليوسي في النسختين معالم ترد عند غيره من ذكر قبل، وإنما ورد عند البعض (ولم يفتلنك) وعند البعض الآخر (ولم يفتلنك). ومعناها : انتزعه وأخذه منك .

(9) الحرّس : الدهر . وقد تكون هذه الكلمة حرّفت عن الحدس الذي هو اظهر .

ومن الثالث قول الأول :

فَالْهَمُّ فَضْلٌ وَطُولُ الْعَيْشِ مَنْقُطٌ وَالرِّزْقُ مَنْقَسِمٌ وَرَوْحُ اللَّهِ مُنْتَظَرٌ

ومما فيه خمسة قول بعض الأدباء :

خَاطِرٌ تَفِيدُ وَأَرْتَدُ تَجِدُ وَكَرُمٌ تَسُدُ

وَانْقُدُ تَقْدُ وَاصْغُرُ تُعَدُّ الْأَكْبَرُ

ومما فيه ستة قول ابن رشيق :

خُذِ الْعَفْوَ وَأَبِ الضَّيْمَ واجْتَنِبِ الْأَذَى

وَاعْضِرْ تَسُدُ وَارْقُقْ تَنْكُ واسْخُ تَحْمَدُ

الثالث فيما ينبغي له ويستحسن، وهو ثلاثة أشياء :

أحدها أن يكون مُتَزَنًا قائمًا بنفسه غير محتاج الى غيره، وذلك إما أن يكون بيتًا مستقلا، كقول طرفة السابق، وكقول السموأل :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ الثُّؤْمِ عِرْضُهُ

فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

ونحوه وهو كثير. وإما أن يكون جزءا من البيت مستقلا كقول الحماسي السابق، وكقول جميل بن عبد الله :

أَرَى كُلَّ عُودٍ نَابِتًا فِي أُرُومَةٍ أَبَى مَنَبَتُ الْعِيدِ أَنْ يَتَغَيَّرَ

فان الشطر الثاني مَثَلٌ مستقل بالوزن والمعنى، وكذا الأول، أمّا إن كان جزءا محتاجا غير مستقل، كقول النابغة المذكور :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخًا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيْ الرُّجَالِ الْمُهْذَبُ

فإن قوله : أَيْ الرُّجَالِ الْمُهْذَبُ مَثَلٌ، إلا أنه محتاج في الوزن الى ما قبله. وكذا قول الحماسي :

وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَإِنَّا مَعْشَرٌ أَنْفٌ لَا نُنْطَعِمُ الْخَسْفَ إِنْ السُّمُّ مَشْرُوبٌ

فإن قوله : إِنَّ السُّمَّ مَشْرُوبٌ مَثَلٌ ، وليس بمستقل ، فهو كله غير مستحسن .
 ووجهه فيما يظهر لي ما تقدم من أن المَثَل إنما نظم ليكون أيسرَ وأشهر . فإذا كان بيتا
 مستقلا حسن إنشاده من غير حشو هنالك ولا التباس ؛ وإن كان شطرا تامم الوزن ، حسن أيضا
 إنشاده (وحده)⁽¹⁰⁾ من غير حشو ولا فساد في النظم ولا خروج عن حكم الشعر ؛ وإن كان
 جزءا غير تام الوزن فهو إن أنشد البيت المحتوي عليه كله كان ما زاد على المثل حشوا
 مع وقوع الالتباس تارة فيما أريد من البيت إذا لم يتعين المقصود ، كما في قول النابغة :
 أَيْ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبُ ، فإنه (مَثَلٌ)⁽¹¹⁾ وباقي البيت أيضا مَثَلٌ ، وقد لا يُدْرَى
 أيُّهما المراد بعينه ، وإن كانا يرجعان إلى مقصود واحد . وأكثر الأبيات يصح التمثيل بها
 فيفع الالتباس . وإن لم يُنشد البيت كله ، بل اقتصر على المثل وحده صار نثرا
 وبطلت فائدة نظمه . أما ما لا يتم من الأمثال في بيتين أو أكثر كما مر ، فهو من التام الوزن
 دون المعنى ، وهو عيب التضمين . ويتقوى العيب بكون التضمين بين مبتدأ وخبر ، وفعل
 وفاعل ، ونحو ذلك . ويسهل بكونه بين الشرط والجزاء ، أو القسم والجواب ونحوه .
 وتفصيله مذكور في علم القوافي .

ثانيها أن يكون سالما عن التكلف سلسا ، تستلذه الأسماع ليكون أوقع له في النفس
 وأعون على الشيوخ ؛ فإن الشعر إذا كان مُتَكَلِّفًا كان المنثور أحسن منه . وقد يكون
 التكلف بالاكثار من الأمثال في البيت الواحد أو في القصيدة ، فإن تعاطي الجمع بين أربعة
 أمثال في البيت لا يخلو عن تكلف ، فضلا عن الخمسة والستة ، وكذا في القصيدة . ولذلك
 قال ابن رشيق في عمدته : وهذه الأشياء في الشعر إنما هي نبذة تستحسن ، ونكت
 تستطرف ، مع القلة وفي الندرة ؛ فأما إذا كثرت فهي دالة على الكلفة . فلا يجب
 للشعر أن يكون مثلا كله وحكمة ، كشعر صالح بن عبد القدوس : فقد قعد به عن أصحابه
 وهو يقدّمهم في الصناعة ، لإكثاره من ذلك . وكذا لا يجب أن يكون استعارة وبديعا
 كشعر أبي تمام ثم قال : وإنما هرب الحذّاق عن هذه الأشياء لما تدعو إليه من

(10) سقط من أ .

(11) سقط أيضا من أ .

التكلف (12) لا سيما إن كان في الطبع أيسرُ شيءٍ من الضَّعْفِ والتَّخَلُّفِ . وأشدُّ ما تكلفه الشاعر صعوبة التشبيه، لما يحتاج إليه من شاهد العقل، واقتضاء العيان . ولا ينبغي للشعر أن يكون أيضا خاليا مغسولا من هذه الحلى فارغا ككثير من شعر أشجع وأشباهه . ثالثها أن يكون مُتَحَرِّىً فيه الصدقُ وحسن الاصابة . وهذا لا يختص بالمثل الشعري، فإن المثلَّ كلَّه أفضلُه أصدقُه وأحكمه وأوجزه ؛ وإنما اشترطتِ الوجازة احترازاً عن التكلف والاملال : فإن قوة البشر غالباً قاصرة عن إيراد الأمثال الطوال من غير تكلف ولا موجب إملال ؛ ومن ثمَّ وردت في القرآن الذي هو درجة الإعجاز قصاراً وطوالاً، وحسَّنتْ كلها لانتفاء المانع . فمن القصار قوله تعالى : كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ونحوه، ومن الطوال قوله تعالى : إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ الْآيَةِ ؛ وقوله تعالى : مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ (أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيَاحُ الْآيَةِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا) (13) أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ الْآيَةِ، ونحو ذلك وهو كثير . وكذا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وقَعَتْ قَصَاراً وطوالاً وحسنت لصدورها عن المصطفى الذي هو أفصح مَنْ نَطَقَ بالضاد صلى الله عليه وسلم . فمن قصارها قوله صلى الله عليه وسلم : النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ، وقوله : الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً، ونحو ذلك . ومن طوالها قوله : مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنَافِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ الْحَدِيثُ ؛ وقوله : وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ لَمَّا يَقْتُلُ حَبْطاً أَوْ يُلِمُّ إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضِرِ أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا الْحَدِيثُ (14) وسيأتي الجميع في موضعه مستوفى مشروحاً إن شاء الله تعالى .

الرابع في معنى السائر . اعلم أنه يقال : مثك سائر، سواء كان شعراً أو غيره، وهو من السَّيْرِ في الأرض استعمل في ذهاب المثل وشيوعه في أسماع الناس . ويقال أيضا : مثك شارد وشَرُود، وهو من شَرُود البعير وهو نَفْوَرُه، واستعمل في شيوع المثل لأن المثل إذا شاع لا يستطيع رده ولا يمكن إخماده كما لا يستطيع ردُّ الصعب الشَرُود من الابل . ولذلك قال زهير يخاطب بني الصيِّداء، حيث ذهب الحارث بن ورقاء بإبله وغلّامه يسار :

(12) في ب : التكليف.

(13) ما بين قوسين سقط من نسخة ب.

(14) أورد ابن الأثير هذا الحديث في أكثر من موضع من النعابة، بحذف لام (لما يقتل)، وزيادة (فإنها) بين الخضر واكلت،

فَأَبْلِغْ إِنَّ عَرَضْتَ بِهِمْ رَسُولًا بَنِي الصَّيْدَاءِ إِنَّ نَفْعَ الْجَوَارِ
بِأَنَّ الشَّعْرَ لَيْسَ لَهُ مَرَدٌ إِذَا وَرَدَ الْمِيَاهَ بِهِ التَّجَارُ
وقال أيضا :

أُولَى لَهُمْ ثُمَّ أُولَى أَنْ تُصِيبَهُمْ مِنِّْي فَوَاقِرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
وَأَنْ يُعَلِّكَ زَكْبَانُ الْحَجِيجِ بِهِمْ بِكُلِّ قَافِيَةٍ شَنْعَاءَ تَشْتَهَرُ
قال ابن رشيق : وزعم قوم أن الشُّرُودَ ما لم يكن له نظير كالشَّاذِّ والنادر. فأمَّا قولُ أبي
تمام، وكان إمام الصنعة ورئيسها :

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مِثْلًا شُرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
حين عيَّبَ عليه قوله في ابن المعتصم :

إِقْدَامُ عَمْرٍ فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ
فإنه يشهد للقول الأول، لأن المِثْلَ بعمره وحاتم مضروبٌ قديما، وليس بِمِثْلٍ لا نظير
له كما زعم الآخر .

خاتمة⁽¹⁾

في اصطلاح الكتاب

اعلم اني رتبت ما ذكرته من الأمثال على حروف المعجم، جاعلا الباب الأول حروف الكلمة، فإن اشتمل المثل على كلمات اعتبرت [أولها] كلمة، ثم أول هذه الكلمة حرفا، ثم عند سرد أمثال كل باب أعتبر هذا الترتيب أيضا في جمعها وتقديم بعضها على بعض، والمعتبر من جميع ذلك أول الحروف الأصلية دون الزائدة، إلا أن يكون لها مُسَوِّغٌ يَخْطُطُهَا فِي سِلْكِ الْأَصْلِيَّةِ . فإن كان الحرفُ مما ينبني عليه التركيب كَلَا وَمَا النَّافِيَتَيْنِ، وفي الباء الجارَتَيْنِ، اعتبر أيضا . فإذا فرغت من الأمثال ذكرت شيئا مما يجري مجرى المثل وجعلته ملحقا به، ثم ذكرت بعض ما يحضر فكري من الأمثال الوقتية من غير تكلف ولا كبير تأمل ولا مراجعة، ثم شرعت في الشعر فذكرت ماهو من الشعر مَثَلٌ أو يَحْسُنُ التَّمَثُّلُ به في أمر من الأمور من شعر المتقدمين والمتأخرين، وليس في وسع أحد اليوم استقصاؤه ولا بلوغ جلّه، لكن أذكر من ذلك مقدارا يكون كفاية لمبتغيه، مع التجافي عن جانبي الاخلاق والامال، فإن كِلَا طَرَفَيَّ قَصْدُ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ . واعلم اني ربما أذكر شيئا من أمثال المولّدين ومن بعدهم، أو شيئا مما يُتَمَثَّلُ به في وقتنا من ألفاظ الحديث وغيره . ولا أقصر على أمثال العرب ولا على ما عُدَّ مثلا بالصراحة . وإذا عثرتُ على ما يحسن إيرادَه أوردته غير مبال بقاءله ولا بتصحيح السند والرواية، فإن الكتاب ليس موضوعا لِلْعَزْوِ الصَّرْفِ والحكايات المجردة، بل موضوعٌ لينتفع به الأديب ويستعين به المتصرف ويتصلّع منه الكاتب والشاعر وغيرهما إن شاء الله تعالى . وَلَا حَرَجَ عَلَيَّ مَنْ لَعِقَ الْعَسَلَ، انْ لَا يَسَلْ . وهذا حين أشرع في المقصود، مستعينا بالفتاح الخبير الودود .

(1) سقط هذا العنوان من أ . وفي نسخة ب : (الفصل الخامس) بدل خاتمة . وفي ج : (الفصل الرابع في أحكام الكتاب)

باب الألف

أَبَى الْحَقَّيْنِ الْعِذْرَةَ .

الاباية : الامتناع . يقال : أَبَى الشيء يَأْبَاهُ وَيَأْبِيهِ إِبَاءً وَإِبَاءَةً بكسر أولهما، إذا كرهه . والحقين : اللبن المحقون في السقاء . تقول : حَقَنْتُ اللَّبْنَ فِي السَّقَاءِ إِذَا صَبَبْتَهُ فِيهِ وجعلت حليبه على رائبه . واسم السقاء : المِحْقَنُ على مثال مِنْبَرٍ⁽¹⁾ .
واسم اللبن : الحقين . قال زهير يصف الخيل :

وَيُرْجِعُهَا إِذَا نَحْنُ انْقَلَبْنَا نَسِيفُ الْبَقْلِ وَاللَّبَنِ الْحَقَّيْنِ
يقول إنه يرجعها إلى ما كانت عليه من السمن ما تَنَسَفُهُ من البقل وتأكُلُهُ، وما نسقيها من اللبن المحقون . والعِذْرَةُ : العذر . قال النابغة يخاطب النعمان :
هَإِنْ ذِي عِذْرَةٍ إِلَّا تَكُنْ نَفَعْتُ فَإِنَّ صَاحِبَهَا مُشَارِكُ النَّكَدِ
ومعنى المثل أن العذرَ باطل مع وجود اللبن . وسيأتي شيء من هذا في قولهم : أَهْوَنُ
مَظْلُومٍ سَقَاءٌ مَرُوبٍ، إن شاء الله تعالى .

أَتَى الْأَبَدَ، عَلَى لُبَدَ .

الأتیان : المجيء . يقال : أتاه أُنْتِيًا وإِتْيَانَةً وإِتْيَانًا وأُتِيًّا، كما يقال مَاتَى ومَاتَاةً، إذا جاءه ؛ وأَتَى فلانٌ هذا الأمر إذا فعله ؛ وأتى الدهرُ على فلان إذا أهلكه، وهو المقصود هنا . والأَبَدُ بفتحَتَيْنِ : الدهر . يقال : أَبَدٌ أَيَّدٌ، كما يقال : دَهْرٌ دَاهِرٌ .
ولُبَدَ : بضم ففتح آخر نسور لقمان بن عاد [وبهلاكه هلك لقمان]⁽²⁾، وقصته مشهورة، وتلخيصها : أن عاداً لما بعث الله إليهم نبيهم هوداً، على نبينا وعليه الصلاة والسلام فدعاهم، كذَّبوه وَعَتَوْا واستكبروا ولم يؤمنوا، فاحتَبَسَ عنهم القطرُ ثلاثَ سنين حتى جهدوا فأوفدوا وفدًا إلى البيت الحرام يستسقون لهم، فيهم لقمان بن عاد، ورأسهم رجل يقال له قَيْلٌ . فانطلق الوفد حتى أتوا على معاوية بن بكر فنزلوا عليه وهو خارج الحرم، وهم أخواله وأصهاره . فمكثوا عنده شهرًا يكرههم، يشربون الخمر وتغنيهم قَيْنَتَانِ له يقال لهما الجرادتان . فلما طاب مقامُهم عنده تَذَكَّرَ ما نزل بقومهم من البلاء، فشق عليه مقامُهم وتركهم ما بعثهم فيه قومهم وقال : هَلَكْ أَصْهَارِي وَأَخْوَالِي، والله ما أدري ما أصنع ! إن أمرتهم بالخروج ظنوا بي أنني ضاقَ بي مقامُهم عندي فقال شعرا وأعطاه الجرادتين وأمرهما أن تغنياهم به، وهو :

أَلَا يَا قَيْلُ وَيَحَكَ قُمْ فَهَيِّنِي لَعَلَّ اللَّهَ يُصَبِّحَنَا غَمَامًا
 فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إِنَّ عَادًا قَدْ أَمْسَوْا لَا يُبَيِّنُونَ الْكَلَامَ
 وَإِنَّ الْوَحْشَ تَأْتِيهِمْ جَهَارًا فَلَا تَخْشَى لِعَادِي سَهَامًا
 وَأَنْتُمْ هَاهُنَا فِيمَا اسْتَهَيْتُمْ نَهَارَكُمْ وَلَيْلَكُمْ التَّمَامَ
 فَقُبِّحْ وَفِدْكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ وَلَا لُقُوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَ
 فلما غنتاهم بالشعر قال بعضهم لبعض : إنما بعثكم قومكم لما نزل بهم، فادخلوا هذا
 الحرم فاستسقوا لهم . وفيهم رجل يقال له يزيد بن سعد أو مرثد بن سعد ممن آمن بهود .
 فقال لهم : والله لا تَسْقُونَ حتى تطيعوا نبيكم ! وأظهر حينئذ إيمانه وقال في ذلك
 شعرا، فلم يجيبوه الى ما قال، وقالوا لمعاوية بن بكر : احبس عنا يزيد لا يدخل معنا مكة
 وهو على دين هود . فانطلقوا حتى دخلوا مكة، وخرج يزيد وراءهم، فأدركهم قبل أن يدعوا
 بشيء، فقال : اللهم لا تدخلني في شيء مما يدعوكم به وفد عاد، فقام قَيْلُ وقال :
 اللهم إن كان هود صادقا فاسقنا فقد هلكنا ! فأنشأ الله تعالى سحائب ثلاثا : بيضاء وحمراء
 وسوداء، ونودي من السحاب : يا قَيْلُ، اختر لنفسك ولقومك ! قال : قد اخترت السوداء
 لأنها أكثر السحاب ماء . فنودي : اخترت رمادا رمدا، لا يُبْقِي من آل عاد أحدا .
 فساق الله السحابة السوداء بما فيها من النقرة الى عاد، وأرسلها عليهم سَبْعَ لَيَالٍ
 وثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، فلم تَدَعْ مِنْهُمْ أحدا إلا هلك . واعتزل هود عليه السلام وَمَنْ معه الى
 حديقة، فكانوا لا يصيبهم منها الا نسيم يلين الجلود وتَلَذُّهُ الْإِنْفُسُ . وكان الوفد لما
 دعوا بمكة خَيْرُوا فاختر قَيْلُ أن يصيبه ما أصاب قومه فاقتلعت الریح فأهلكته . وسأل
 لقمانُ أن يُعَمَّرَ فخير بين عُمُرٍ سبعة بعراتٍ سُمُرٍ، من أظب عَفْرٍ، في جبَلٍ
 وَعَرٍ، لا يَمَسُّهَا الْقَطَرُ، وبين سبعة أنسُرٍ كُلُّمَا هَلَكَ نَسْرٌ خَلَفَ بعده نسر .
 فاختر النسر، فكان يأخذ فرخ النسر حين يخرج من البيضة، فيغذِّيه حتى إذا هلك أخذ
 آخر، حتى بقي السابع وهو لُبْدٌ . فكان يُغذِّيه حتى هرم ولم يستطع النهوض، فأيقن
 حينئذ لقمان بالموت، فهلكا جميعا . وذكرت الشعراء هذا النسر في أشعارها كثيرا، قال
 النابغة :

أَمْسَتْ خَلَاءَ وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ (3)

(3) في 1 : (اجنى) بدل أخنى، وهو تصحيف.

وسياتي تنمة الكلام عليه في حرف الهاء، إن شاء الله تعالى .

يضرب هذا المثل عند التآسي والاعتبار، والتعزي والاستبصار . وهو من الأمثال الحكمية.

أَتَتْكَ بِحَائِنِ رَجُلَاهُ .

اللاتيان : تقدّم . والحائِنُ : الهالك . يقال حَانَ الرجلُ يَحِينُ حَيْنًا كَبَاعَ بَيْعًا إذا هلك، فهو حائن . وأحانه الله : أهلكه .

يضرب هذا المثل فيمن سعى إلى مضرته وطلب هلاكه وجرى إلى حتفه . قاله عبيد بن الأبرص . وسببه أن المُنْذِرَ بْنَ مَاءِ السَّمَاءِ، أو النعمان على خلاف بينهم، كان قسم دهره يَوْمَيْنِ : يوم نعيم، ويوم بؤس . فكان كلَّ من لقيه في يوم النعيم أجزل صلته، ومن لقيه يوم البؤس قتله . فبينما هو في يوم من أيام بؤسه إذ طلع عليه عبيدُ بْنُ الأبرصِ . فقال له الملك : أَلَا كَانَ الذَّبْحُ لغيرك ؟ فقال عبيد : أَتَتْكَ بِحَائِنِ رَجُلَاهُ : قال الملك : أو أجلٌ بَلَغَ أَنَاهُ، ثم قال له : أَنشِدْنِي يَا عبيد، فقد كان يعجبنا شعرك . فقال عبيد : حَالُ الجَرِيضِ، دُونَ القَرِيضِ، وَبَلَغَ الحِرْزَامُ الطَّبْيَيْنِ . قال : أَنشِدْنِي :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقُطْبِيُّ أَتُ الْذَنْتُوبُ
وهو من شعر عبيد . فقال عبيد :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عبيدُ فَاليَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ
فقال : أَنشِدْنِي هَبْلَتَكَ أُمُّكَ ! قال : الْمَنَايَا عَلَى الْحَوَايَا . فقال بعض القوم :
أَنشِدِ الْمَلِكَ هَبْلَتَكَ أُمُّكَ ! فقال : لَا يَرْحَلُ رَحْلَكَ مَنْ لَيْسَ مَعَكَ⁽⁴⁾ .
وقال له آخر : مَا أَشَدَّ جَزَعَكَ عَلَى الْمَوْتِ ! فقال :

لَا غَرَوَ مِنْ عَيْشَةٍ نَافِدَةٍ وَهَلْ غَيْرُ مَأمِيَّةٍ وَاحِدَةٍ
فَأَبْلَغُ بَنِي وَأَعْمَامِهِمْ بَيَانَ الْمَنَايَا هِيَ الرِّاصِدَةُ

(4) أورده الميداني في مجمع الأمثال بصيغة : لَا يَرْحَلَنَّ رَحْلَكَ مَنْ لَيْسَ مَعَكَ، وقال إنه يروى أيضا بصيغة النفي : لَا يَرْحَلُ.....

فَلَا تَجْزَعُوا لِحِمَامِ دَنَا

فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدُ

فقال له الملك : لا بدّ من الموت، ولو لقيني أبي في هذا اليوم لم أجد بدا من أن أذبحه .
فأمّا إذ كنت لها وكانت لك فاختر مني ثلاث خصال : من الأكحل، وإن شئت من
الأبجل، وإن شئت من الوريد . فقال عبيد : ثلاث خصال مقادها شرّ مقاد،
وحاديها شرّ ماحد، ولا خير فيها لمُرتد، فإن كنت لا محالة فاعلا فاسقني الخمر
حتى إذا ذهبت لها ذواهلي، وماتت لها مفاصلي، فشأنك وما تريد !
فسقاه، فلما أخذت فيه الحميا وقرب للذبح أنشد يقول :
وخيّرني ذو البؤس في يوم بؤسه .

ثَلَاثًا أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدْ بَرَقَ

كَمَا خَيْرْتَ عَادَ مِنْ الدَّهْرِ مَرَّةً

سَحَائِبَ مَا فِيهَا لِذِي خَيْرَةٍ أَنْقَ

سَحَائِبَ رِيحٍ لَمْ تَوَكَّلْ بِبَلَدَةٍ

فَتَتَرُكُهَا إِلَّا كَمَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ

فأمر به فذبح . وفي هذه القصة أمثال يأتي شرح كل منها في محله إن شاء الله
تعالى . ولما دخل عبد الله بن زياد الكوفة، وسمع به مسلم بن عقيل بن أبي طالب، تحوّل
إلى هانئ بن عروة المُرادي، فوضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه،
فبعث محمد بن الأشعث إلى هانئ فجاءه به من هنالك . فلما نظر إليه ابن زياد قال :
أَتَتَكَ بِحَائِنٍ رَجُلَاهُ ! ثم قال :

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي

عَذِيرِكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

والقصة مشهورة في قتل الحسين رضي الله عنه، وسنلّمُ بباقيها بعد إن شاء الله تعالى .

أَتَيْتُهُ صَكَّةَ عُمِي

الأتیان مرّ والصكّ : الضرب الشديد . والصكّك : اضطراب الركبتين والعرقوبين .

يقال : صَكٌّ، يَصَكُّ، صَكَّاءٌ، كما يقال مَلٌّ، مَلَلًا . فهو أَصَكُّ ومِصَكٌّ .
 واصْطَكَّ أيضا اصْطَرَكَاكَ⁽⁵⁾ وعُمِيَّ : بتشديد الياء على مثلك سُمِيَّ، اسم رجل من
 العمالقة كان أغار على قوم ظهرا فصكَّهم واستأصلهم، فبقي مثلا لك من جاء ذلك الوقت،
 وهو وقت العاجرة وشدة الحرِّ . وقيل هو رجل كان يفتي في الحج، فجاء في ركب، ونزلوا منزلا
 في يوم حارٍّ . فقال لهم : من جاءت عليه الساعة من غد وهو حرام، بقي حراما الى قابل
 فوثبوا حتى وافوا البيت من مسيرة ليلتين جادين . وقيل عُمِيَّ اسم للحرِّ بعينه . وقيل
 المراد به الظبي، لأنه يصدر في الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك الأعمى، فصغَّر
 الأعمى تصغير الترخيم، ف قيل فيه عُمِيَّ، كما قالوا في تصغير أَدْرَدَ، وأَسْوَدَ، وأَزْهَرَ :
 دُرَيْدَ، وسُوَيْدَ، وزُهَيْرَ .

أَتَتْهُمْ فَالِيَةُ الْإِفَاعِي.

اللاتيان مرَّ . وفالِيَةُ الإِفَاعِي : خنفساء رقطاء . قال العبدى في شاعر من بني حميس:
 أَلَا يَنْهَى سَرَاةُ بَنِي حَمَيْسٍ
 شُوَيْعَرَهَا فَوَيْلِيَةَ الْإِفَاعِي
 فَصَغَّرَهَا كما صَغَّرَ الشاعر تحقيقاً له . وهذه الخنفساء تألف العقارب والحيات في
 جُحْرها ؛ فإذا خرجت أو رُؤيت في موضع عُلِمَ أن هناك العقارب والحيات، فيضرب المثل
 لأول شرٍّ ينتظر بعده شرٌّ منه .

يَأْتِيكَ كُلُّ غَدٍ بِمَا فِيهِ .

الغد معروف، وأصله غدو، ثم خُفِّفَ بحذف لامه، وقد يؤتى به على أصله قال لبيد .
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَّارِ وَأَهْلِهَا
 بِهَا يَوْمَ حَلَّوْهَا وَغَدَوْا بِلَاقِعٍ
 وهذا المثل من أمثالهم المشهورة، يعنون به : « المقادير كلها في علم الله تعالى قد قدرت،

(5) في لسان العرب : الصَّكَّةُ : شدة العاجرة، يقال لَقِيْتَهُ صَكَّةً عُمِيَّ وصَكَّةً أَعْمَى، وهو أشد العاجرة حراً . وفي الحديث :

كَانَ يُسْتَظَلُّ بِظِلِّ جَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ صَكَّةً عُمِيَّ، يريد في العاجرة .

والأحداث بأصنافها قد فصلت وقسّطت، وكلّ ما هو واقع منها فهو لا محالة كائن، وما قضيّ أن يبرز منها فهو بارز حتى يُعاینَ ، فكل غد فهو يأتيك بما فيه من خير وشر، ويسر وعسر، وفرح وترح.

إحدى حُظَيَّاتِ لُقْمَانَ

الاحدى : تأنث الاحد بمعنى الواحد . والحُظِيَّةُ تصغير حَظْوَةٍ، بفتح الحاء المهملة وسكون الظاء المشالة، وهي سهم صغير قدر ذراع . وفي الصحاح انه إذا لم يكن فيه نصل فهو حُظِيَّةٌ بالتصغير . وتطلق الحَظْوَةُ أيضا على كل قضيب ثابت في أصل شجرة . ولُقْمَانُ : هو ابن عاد . وحُظَيَّاتُهُ : سهامه ومراميه . يضرب لمن عُرِفَ بِالشَّرَارَةِ ثم جاءت منه هَنَةٌ صالحة . وذكروا في أصل ذلك أن لقمان تزوج امرأة كانت طلقها رجل يقال له عمرو، فكانت تكثر أن تقول : لا فتى إلا عمرو ! فإذا سمع منها لقمان ذلك اغتاظ فقال : وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّ عَمْرًا ! فنهته المرأة عن ذلك وقالت له : والله لئن تعرّصتَ له لَيَقْتُلَنَّكَ ! فذهب لقمان حتى صعد سَمُرَةً عند مُسْتَقَى عمرو لابلِه، واتخذ فيها عشا، وترصد عمرا ليُصِيبَ منه غِرَةً . فإذا بعمره أورد إبله، [فتجرد وأكب على البئر يسقي إبله] ⁽⁶⁾ فرماه لقمان من فوقه بسهم وأصاب ظهره. فقال عمرو: حس ⁽⁷⁾ إحدى حُظَيَّاتِ لقمان، فانتزعه ورفع رأسه الى السَمُرَةِ فإذا لقمان، فقال له : انزل فنزل . فأراد قتله فتبسم لقمان فقال : أضاحك أنت ؟ قال : والله ما أضحك إلا من نفسي، أما أني قد نُهِيتُ عما ترى قال : ومن نهاك ؟ قال : فلانة . قال : فإن وهبتك لها لَتُعْلِمَنَّهَا بذلك، قال : نعم ! فخلّى سبيله . فأتاها لقمان فقال : لا فتى إلا عمرو، فقالت : لقد لقيته، قال نعم، لقد كان كذا وكذا وأراد قتلي ثم وهبني لك، فقالت لا فتى إلا عمرو، قال : صدقت .

الْأَخْذُ سَلْجَانًا، وَالْقَضَاءُ لِيَّانًا

الأخذُ : التناول . تقول : أخذت الشيء أخذًا، وتقول خُذْ يافلان بحذف فاء الكلمة . وأصله ⁽⁸⁾ أَخْذٌ، فلما استثقل الجمع بين هزتين حذفنا، ولم تبدل الثانية حرف مدّ ولو

(6) سقط ما بين قوسين من ب .
(7م) في صحاح الجوهري : حسّ : كلمة يقولها الانسان إذا أصابه غفلة ما مَضَّهْ أو أحرقه كالجمرة . ويقال أيضا : حسّ ينس . ومن أمثال العامة في المغرب : « فعل الشيء حسّ مسّ » أي على حين غفلة من الناس .

أدخل على الفعل الواو أو الفاء . وكذا الأمرُ مِنْ أَكَلَ وَأَمَرَ ؛ إلا أن الآخر إذا دخل عليه العاطف جاز ردّ فائه . والسَّلْجَان : الابتلاع يقال : سَلَجَ اللقمة بالكسر يَسْلَجُهَا سَلْجَانًا وسَلْجَانًا إذا ابتلعها . والسَّلْجَان بكسرتين مشدّد اللام : الحقوم . وطعام سَلِيجٌ وسَلْجَلَج وسَلْجَلَج : طيب، يُتَسَلَّجُ⁽⁷⁾ ، أي يُبْتَلَعُ . واستعمل حسان رضي الله عنه السلجج في السيف الماضي الذي يَقْطَعُ الضريبة بسهولة، حيث قال يوم بدر :

زين الندى معاود يوم الوغى

ضرب الكماة بك أبيض سلجج
ولوَيْتُ أُمري عنه لِيَا وَلِيَانَا : طويته، ولوَيْتُهُ بَدَيْنِهِ لِيَا وَلِيَانَا
بكسرهما : مَطَلْتُهُ . وفي الخبر : لِيُ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ . وقال ذو الرمة :
تُرِيدِينَ لِيَانِي وَأَنْتِ مَلِيَّةٌ

وَأَحْسِنُ يَأْذَاتِ الْوَشَاحِ التَّقَاضِيَا⁽⁸⁾
وقضاء الدين والحق معروف . ومعنى المثل أن الأخذ سهل ينسأغ في الحلق بسهولة،
والقضاء بخلاف ذلك . فإذا أخذ الرجل الدَيْنَ أكله غير مبال ؛ فإذا حان القضاء تصعب
الأمر وتلوّى . وقد يقال في هذا المثل أيضا : الْأَكْلُ سَلْجَان، والقضاء لِيَان، ولا فرق
بين الأكل والأخذ في المقصد، فالمعنى واحد.

الْأَخْذُ سُرِّيْطًا، وَالْقَضَاءُ ضُرِّيْطًا

الأخذ مَرَّ . والسُرِّيْط الاستراط . يقال : سَرَطَ اللقمة يَسْرُطُهَا، كدَخَلَ يَدْخُلُ،
وَسَرَطَهَا يَسْرُطُهَا، كَفَهِمَ يَفْهَمُ، سَرَطًا إذا ابتلعها . والمِسْرَط بكسر الميم
وفتحها الحقوم . والضراط معروف . يقال : ضرط بالكسر يضرط ضَرَطًا، وضَرَطًا
كَكَتَفٍ، وضَرِيْطًا وضَرُطًا بالضم إذا فعل ذلك . وَأَضْرَطَهُ وضَرَطَهُ تَضْرِيطًا :
عمل به ما يضرط منه ؛ وأضرط به : عمل بفيه كالضارط وهزى به
ومعنى المثل أنه يأخذ الدين فيسترطه ويبتلعه سهلا ؛ فإذا طالبه صاحبه بالقضاء

(7) في النسختين معا : يَنْسَلِم

(8) ورد البيت في لسان العرب هكذا : تَطِيلِينَ لِيَانِي

أضرب به كما في الذي قبله . ويقال هنا سُرِّيْط و ضُرِّيْط، بضم أولهما وتشديد الراء ؛
وسُرِّيْطَى وضُرِّيْطَى كذلك مع الألف المقصورة ؛ وسُرِّيْط وضُرِّيْط وسُرِّيْطَى
وضُرِّيْطَى على مثال خَلِيْفَى ؛ وسُرِّيْطَاء وضُرِّيْطَاء، مضمومتَيْن مخفَّفَتَيْن،
والك واحد . وقد يقال : الأخذُ سُرِّيْط، والعطاء ضُرِّيْط ولا فرق بين القضاء
والعطاء فالمعنى واحد .

اتَّخَذَ فَلَانٌ حِمَارًا لِلْحَاجَاتِ

الاتخاذ التصيير . والحاجات : جمع حاجة ؛ وتجمع أيضا على حَاج وحِوَج وحَوَائِج،
وهذا الأخير على خلاف القياس، كأنه جمع حائجة . وكان بعض اللغويين ينكره ويقول انه
مولد . وقال آخرون هو عربي وإن كان خلاف القياس، وأنشدوا :
نَهَارُ الْمَرْءِ أَمْثَلُ حِينَ يَقْضِي حَوَائِجَهُ مِنَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ
يضرب هذا المثل فيمن يُمْتَهَنُ في الأمور كالحمار.

اتَّخَذَ اللَّيْلُ جَمَلًا

الاتخاذ مرءً، والليل معروف، وكذا الجمل من الابل . يضرب هذا المثل لمن سرى الليل
أجمع، إما لأنه بات ساريا مستيقظا عارفا بجميع ما مرَّ عليه من أجزاء الليل كان مصاحبا لليل
حقيقة، غير تارك له ولا غافل عنه بالنوم، ولا مفارق له كمصاحبة الراكب لراحلته، وإما لأنه
صار الليل له سببًا في وصوله الى (مأربه وبلوغه الى مرغوبه حين سَرَّاه، كما أن الجمل يكون
سببا في وصوله)⁽⁹⁾ الى مطلوبه حين يركبه ؛ وإما لأن الدَّلْجَةَ تُعَيِّن على السير وتقطع
المسافة البعيدة كما في الحديث فأشبهت الجملة لأنه أقوى على السير، وأبقى على الأير،
وأقطع للفلوات، وأنجح في بلوغ الحاجات . قال حبيب :

جَعَلَ الدُّجَى جَمَلًا وَوَدَّعَ رَاضِيًا بِالْهَوْنِ يَتَّخِذُ الْقَعُودَ قَعُودًا
ويحكى أن عبد الله بن سَعْدٍ لما افتتح افریقیة وقتل ملكها جَرَجِير، بعث بالفتح الى
عثمان رضي الله عنه مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما . فلما بلغ ابن الزبير قام في
الناس خطيبا فقال : الحمد لله الذي أَلْفَ بَيْنَنَا بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وجعلنا مُتَحَابِّين
بعد البَغْضَةِ، الحمد لله الذي لا تَجْحَدُ نَعْمَائُوهُ، ولا يَزُولُ مُلْكُهُ ؛ لَهُ الحمدُ

(9) ما بين قوسين سقط من ب.

كما حمِدَ نفسه وكَمَا هُوَ أَهْلُهُ ؛ ابْتَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَاخْتَارَهُ بِعِلْمِهِ وَائْتَمَنَهُ عَلَى وَحْيِهِ ؛ فَاخْتَارَ لَهُ مِنَ النَّاسِ أَعْوَانًا قَذَفَ فِي
 قُلُوبِهِمْ تَصْدِيقَهُ فَأَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَوَقَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ
 جِهَادِهِ، فَاسْتَشْهَدَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَنْ اسْتَشْهَدَ عَلَى الْمِنْهَاجِ الْوَاضِحِ،
 وَالْبَيْعِ الرَّابِحِ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمَةٌ . أَيُّهَا
 النَّاسُ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِنَّا خَرَجْنَا لِلْجُوهِ الَّذِي قَدْ عَلِمْتُمْ، فَكُنَّا مَعَ خَيْرٍ وَال
 وَلِيِّي فَحَمْدٌ، وَقَسَمَ فَعَدَلٌ، لَمْ نَفْقِدْ مِنْ بِيْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا . كَانَ
 يَسِيرُ بِنَا الْبَرِيدَيْنِ يُخَفِّضُ بَيْنَا فِي الظَّهَائِرِ، وَيَتَّخِذُ اللَّيْلَ جَمَلًا .
 يُعَجِّلُ الرَّحْلَ مِنَ الْمَنْزِلِ الْقَفْرِ، وَيُطِيلُ اللَّبَاءَ فِي الْمَنْزِلِ الْمُخْصَبِ
 الرَّحْبِ . فَلَمْ نَزَلْ عَلَى أَحْسَنِ حَالَةٍ يَتَعَرَّفُهَا قَوْمٌ مِنْ رَبِّهِمْ حَتَّى
 انْتَهَى إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ فَنَزَلَ مِنْهَا بِحَيْثُ يُسْمَعُ صَهِيلُ الْخَيْلِ، وَرُغَاءُ الْإِبِلِ،
 وَقَعْقَعَةُ السِّلَاحِ . فَأَقَامَ أَيَّامًا يُحِمُّ كُرَاعَهُ وَيُصْلِحُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى
 الْإِسْلَامِ وَالِدُخُولِ فِيهِ، فَبَعَدُوا مِنْهُ، وَسَلَّاهُمُ الْجِزْيَةَ عَنْ صِغَارٍ وَالصُّلْحَ، فَكَانَتْ
 هَذِهِ أَبْعَدَ، فَأَقَامَ فِيهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً يَتَأَنَّى بِهِمْ وَتَخْتَلِفُ رُسُلُهُ إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا
 يَخْسُ مِنْهُمْ قَامَ خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَأَكْثَرَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ فَضْلَ الْجِهَادِ وَمَا لِصَاحِبِهِ إِذَا صَبَرَ
 وَاحْتَسَبَ . ثُمَّ نَاهَدَ لِعَدُوِّهِ فَقَاتَلَهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ يَوْمَهُ ذَلِكَ، وَصَبَرَ
 الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا وَكَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةٌ، وَاسْتَشْهَدَ اللَّهُ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ،
 فَبَيْتْنَا وَبَاتُوا، لِلْمُسْلِمِينَ بِالْقُرْآنِ دَوِيٌّ كَدَوِيٌّ النَّحْلِ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ فِي
 مَلَاهِيهِمْ وَخُمُورِهِمْ . فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَخَذْنَا مَصَافِنَا الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا بِالْأَمْسِ،
 وَزَحَفَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، فَأَفْرَغَ اللَّهُ عَلَيْنَا الصَّبْرَ، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ .
 فَفَتَحْنَاهَا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ، فَأَصْبَحْنَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً، فَلَبِغَ فِيهَا الْخُمْسُ خَمْسِينَ مِائَةً أَلْفَ
 دِينَارٍ . وَتَرَكْتُ الْمُسْلِمِينَ قَدْ قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ وَقَدْ أَغْنَاهُمُ النَّفْلُ وَوَسَّعَهُمُ الْحَقُّ وَأَنَا
 رَسُولُهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالِى الْمُسْلِمِينَ، أَبَشَّرُهُ وَإِيَاهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ مِنَ الْبِلَادِ وَأُذَكِّ
 مِنَ الشَّرْكِ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى آلَائِهِ، وَمَا أَحَلَّ بِأَعْدَائِهِ، مِنْ بَأْسِهِ الَّذِي لَا يُرَدُّ

عن القَوْمِ المجرمين . وزعموا أنه لما فرغ من الخطبة نهض إليه أبوه الربير فقبَّل بين عينيه وقال [له] : يا بني، إذا نَكَحْتَ امرأةً فانكِحْها على شبه أبيها أو أخيها تَأْتِكَ بِأَحَدِهِمَا، والله ما زِلْتَ تنطِقُ بلسان أبي بكر الصَّدِّيقِ حتى صَمَتَ.

أَخَذَهُمْ مَا قَدَّمَ وَمَا حَدَّثَ :

الأخذ مرّ . وقَدَّمَ الشيء بالضم فهو قديم : ضدّ الحادث؛ وحَدَّثَ بالفتح يَحْدُثُ، كَنَصَرَ يَنْصُرُ، فهو حادث . فإذا قُرُنَ حدث بقدم كما في هذا [المثل]⁽¹⁰⁾ ضُمَّت دال حَدَّثَ للمزاوجة كما قيل : لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، وارْجِعْنِ مَا زُورَاتٍ غَيْرَ مَا جُورَاتٍ والقياس في الأول تَلَوْتِ، وفي الثاني مَوْزُورَاتٍ⁽¹¹⁾ ؛ وكما قيل : هَنَانِي الطَّعَامُ ومَرَانِي، والقياس امرَانِي ؛ وكذا يقال في غير المزاوجة بالهمز ؛ وكما قال صلى الله عليه وسلم في دعائه : اَللّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، والقياس : وَمَنْ أَضْلَوْا، فعبرَ بما وبالنون للمزاوجة.

يُضْرَبُ هذا المثل لمن يستولي عليه الهمّ، وكأنهم يريدون أنه اجتمع عليه قديمه وحديثه، والله أعلم.

خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ :

الأخذ مرّ وجِذْعٌ بكسر الجيم وسكون الذاك المعجمة اسم رجل، وهو جِذْعُ بَنٍ عَمْرٍو الغَسَّانِي . وكانت غَسَّان تَوْدِي إلى ملك سَلِيمٍ، وهي قبيلة باليمن، ديناريْن من كل رجل . وكان قابض ذلك سَبْطَةَ بَنُ المنذر السَّلِيحِي . فجاء مرة يسأل الديناريْن، فدخل جِذْعٌ مَنْزِلَهُ واشتمل بسيفه وخرج فضرب به سبطة حتى برد وقال له : خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ ! وقيل أنه أعطى بعض الملوك سيفه رهنا فلم يأخذ، فضربه حتى قتله، وقال ذلك، فذهب مثلاً يضرب في اغتنام ما وجود به البخيل.

خُذْ مِنَ الرِّضْفَةِ مَا عَلَيْهَا :

الرِّضْفَةُ، بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة : واحدة الرِّضْفِ، وهي حجارة محماة يُوْغَرُ عليها اللبن ويُنشَوَى عليها . وهذا المثل من معنى الذي قبله، والله أعلم.

(10) سقط من ب

(11) في النسختين : مزارات، وهو تحريف.

خُذْهُ وَلَوْ بِقُرْطَيْ مَارِيَّةَ

الْقُرْطُ، بضم فسكون : ما يُعَلَقُ فِي شَحْمَةِ الْأُذُنِ مِنَ الْحَلِيِّ، وَالْجَمْعُ قِرْطَةٌ، كَمَا يُقَالُ دُرْجٌ وَدِرْجَةٌ ؛ وَقِرَاطٌ كَمَا يُقَالُ رُمَحٌ وَرِمَاحٌ . وَقُرْطُتُ الْجَارِيَةَ تَقْرِيطًا : أَلْبَسْتُهَا إِيَّاهُ، فَتَقْرِطْتُ هِيَ . قَالَ اِعْرَابِي يُخَاطَبُ امْرَأَتَهُ :
قُرْطَكَ اللَّهُ عَلَى الْعَيْنَيْنِ

عَقَّارِبًا سُودًا ٢ وَأَرْقَمَيْنِ
ومَارِيَّةَ، بِالرَّاءِ وَالْيَاءِ الْمَخْفُفَةِ عَلَى وَزْنِ صَاحِبَةٍ : امْرَأَةٌ مِنْ غَسَّانَ، وَهِيَ مَارِيَّةُ بِنْتُ أَرْقَمَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَفْنَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو الْمَعْرُوفِ بِمَزِيْقِيَاءَ بْنِ عَامِرٍ (١٢) . وَكَانَ لَهَا قِرْطَانٌ كَانَ فِيهِمَا مِائَتَا دِينَارٍ . وَفِيكَ جَوْهَرٌ قَوْمٌ بَارِبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَفِيكَ كَانَ فِيهِمَا دُرَّتَانِ كَبِيضَتَيِ الْحَمَامَةِ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُمَا . فَأَهْدَتْهُمَا إِلَى الْكَعْبَةِ، فَضُرِبَ بِهِمَا الْمِثْلُ . وَفِيكَ : خُذْهُ وَلَوْ بِقُرْطَيْ مَارِيَّةَ، أَيِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَمَارِيَّةُ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ فِي قَوْلِ حَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
لِلَّهِ دُرٌّ عِصَابَةٌ نَادَمْتُهُمْ

يَوْمًا بِجِلْقٍ فِي الزَّمانِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ
قَبْرُ ابْنِ مَارِيَّةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
وَابْنُهَا الْمَذْكُورُ هُوَ الْحَارِثُ الْأَعْرَجُ ابْنُ الْحَارِثِ الْأَكْبَرِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ . وَأَوْلَادُهُ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ وَابْنُهُ عَمْرُو، وَهُوَ الَّذِي مَدَحَهُ النَّابِغَةُ الذِّبْيَانِي بِقَوْلِهِ فِي قَصِيدَتِهِ الْبَائِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ :
عَلَيَّ لِعَمْرُو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ

لِوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَّارِبِ
حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ
وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنُ ظَنٍّ بِصَاحِبِ
لَئِنْ كَانَ لِلْقَبْرِينِ قَبْرٌ بِجِلْقٍ
وَقَبْرُ بَصِيدَاءَ الَّذِي عِنْدَ حَارِدِ

(١٢) فِي أَعْلَامِ الزَّرْكَلِيِّ نَقْلًا عَنْ نَهَايَةِ الْأَرْبِ لِلْقَاشْغَرِيِّ : حَارِثَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَزِيْقِيَاءَ الْأَسَدِيِّ مِنْ قُحْطَانَ : جَدُّ جَاهِلِيٍّ يَمَنَانِيٍّ

وَالْحَارِثُ الْجَفْنِيُّ سَيِّدَ قَوْمِهِ

لَيَلْتَمِسْنَ بِالْجَيْشِ دَارَ الْمُحَارِبِ

وَتَقَتْ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ فَدَغَزَا

كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ

بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا وَعَمَرُو بَنُ عَامِرٍ

أُولَئِكَ قَوْمٌ بَأْسُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ

ولشعر حسّان قصّة ظريفة مع جبلة بن الايهم ستذكر بعدُ في باب الأعيان إن شاء الله تعالى . وقيل هي مارية بنت ظالم، وقيل هي أم ولد جفنة، والله أعلم . وقد عرف مضرب المثل مما مرّ .

آخِرُ الْبَزْرِ عَلَى الْقُلُوصِ .

الآخر بالمدّ وكسر الخاء : ضدّ الأول ؛ والبَزْرُ : أمتعة البرّاز من الثياب، والبَزْرُ أيضا : السلاح ؛ والقُلُوصُ من النوق : الفَتِيَّةُ بمنزلة الشابة من النساء . وهذا المثل قاله الزّبّان الذّهلي، وكان ابنه عمرو بن الزّبّان بينه وبين قوم تيرة، فذهب عمرو يوما هو وإخوته لأمر فراهم خوّة الغفيليّ، فدكّ عليهم أصحابهم، فأتوهم وهم قعود يتغذون . فقال لهم عمرو : لا تشبو الحرب بيننا وبينكم ! فقالوا : كلا ! بل نقتلك ونقتل إخوتك قال : فإن كنتم فاعلين، فأطلقوا هؤلاء الذين لم يلتبسوا بالحروب، فإن وراءهم طالبا أطلب مني، يعني أباهم، فقتلوهم وجعلوا رؤوسهم في مخلاة وعلقوها في عنق ناقة لهم يقال لها الدّهيم . فجاءت الناقة والزّبّان جالس أمام بيته فبركت، فقامت الجارية فجسّت المخلاة فقالت : أصاب بنوك بيض النعام فأدخلت يدها فأخرجت رأس عمرو ثم رؤوس إخوته . فأخذها الزّبّان وغسلها ووضعها على ترس فقال : آخِرُ الْبَزْرِ عَلَى الْقُلُوصِ، فذهبت مثلا، أي هذا آخر عهدي بهم فلا ألقاهم بعدها . ثم شب الحرب بينه وبين بني عقيلة حتّى أبارهم، فقالت العرب : أَشْأَمُ مِنْ خَوْتَعَةٍ، وَأَشْأَمُ مِنَ الدّهيمِ، وَأَثْقَلُ مِنْ حِمْلِ الدّهيمِ . وستأتي هذه الأمثال كلها في مواضعها إن شاء الله تعالى . وكان هذا المثل هو الذي أشار إليه حبيب بقوله :

وهرجامًا بَطِشْتَ بِهِ فَقُلْنَا خِيَارُ الْبَرِّ جَاءَ عَلَى الْقَعُودِ

آخِرُهَا أَقْلُهَا شَرُّبًا.

الآخر تقدّم . والأقلّ : ضدّ الأكثر . والشرب، بكسر الشين المعجمة : الحظ من الماء . وأصل هذا المثل في الابل، فإن أواخرها وروداً تردّ وقد نَزَفَ الحَوْضُ ولم يبق فيه إلا قليل من الماء، فيكون ما تناله من الماء شيئاً قليلاً، فيضرب المثل لمن كان كذلك في الأمور والحظوظ كلها.

أخوك أم الذئب ؟

الأخ معروف، وكذلك الذئب . والأخ والذئب على طرفيّ نقيض، فإن الأخ شأنه الوفاق والايناس والاعانة والاحسان، والذئب شأنه الاذية والمعاداة . فيضرب المثل عند سؤالك أحداً أهو صديق أم عدو، وهو مثلك مشهور.

أخوك البكريُّ ولا تَأْمَنُهُ !

هذا المثل مشهور وقديم، يُضرب في استعمال الحذر وسوء الظن، ورد في الخبر عن عبد الله بن عمرو بن الفوعاء الخزاعي عن أبيه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أراد أن يبعثني بمالك الى أبي سفيان يقسمه في قريش بعد الفتح، فقال : التمس صاحباً . قال : فجاءني عمرو بن أميّة الضمريّ، وهو أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناف، فقال : بلغني أنك تريد الخروج وتلتمس صاحباً . فقال : قلتُ أجل ! قال : فأنا لك صاحب . قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : قد وجدت صاحباً . قال . فقال : من ؟ قلت : عمرو بن أميّة الضمريّ . قال : إذا هبطت بلاد قومه فاحذره فإنه قد قال القائل : أخوك البكريُّ ولا تَأْمَنُهُ ! فخرجنا حتى إذا كنت بالأبواء قال : إني أريد حاجة الى قومي بيودان فالبث لي، قلت راشدا . فلما ولّيت ذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم، فشددت على بعيري وأوضعتُه حتى كنت بالأصافر إذا هو يعارضني في رهط . قال : وأوضعتُ فسبقته . فلما رأيته انصرفوا، وجاءني فقال : كانت لي الى قومي حاجة . قال . قلت : أجل ! ومضيّنا حتى قدمنا مكة، فدفعت المالك الى أبي سفيان . انتهى. والبكري صفة أخوك، والخبر محذوف تقديره محذورٌ أو مخوفٌ أو نحو ذلك .

والمعنى انه اخوك شقيقك وانت تحذره ولا تأمنه، فكيف بغيره ؟ والبكري، إن كان نسبته الى القبيلة، فهو بفتح الباء الموحدة . واستظهر بعضهم أن يكون بكسرها، وكأنه يرى أنه من بكر الأولاد . يقال : امرأة بكر للتي ولدت بطناً واحداً، وبكرها ولداً الأول . والذكر والانثى فيه سواء قال :

يَابِكْرَ بِكْرَيْنِ وَيَا خِلْبَ الْكَبِيدِ أَصْبَحْتَ مِنِّي كَذِرَآءٍ مِّنْ عَضُدٍ
وهو بكسر الباء، إلا أنه يوصف به، ولا يحتاج الى ياء النسبة . وعلى الاحتمال الأول يصح أن يكون البكري هو الخبر، ولا تقدير .

إِذَا دَخَلْتَ أَرْضَ الْحُصَيْبِ فَهَرُولٌ !

الدخول معروف، وكذلك الأرض . والحُصَيْب، بالحاء والصاد المهملتين مصغراً : موضع باليمن . والهرولة : الاسراع، أو بين المشي والجري . والحصيب فاقت نساؤه حسناً وجمالاً، وأحسب لذلك أمر بالهرولة عند دخوله حذاراً من فتنتهن . فإن كان الأمر كذلك، حسن أن يضرب المثل فيما يشبه ذلك من الحذر وطلب السلامة، والله أعلم.
إِذَا رَغِبَ الْمَلِكُ عَنِ الْعَدْلِ، رَغِبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الطَّاعَةِ .
هذا المثل مصنوع فيما يظهر، وهو ظاهر المعنى، وسيأتي في الحكم بسط هذا المعنى واستيفاءه من كلام الحكماء، إن شاء الله تعالى.

إِذَا أَرَجَحَنَ شَاصِيًا فَارْفَعُ يَدًا :

يقال أَرَجَحَنَ أَرْجَحَنًا إِذَا مَالَ . وَشَاصَا بَصَرُ الرَّجُلِ يَشْصُو شَصْنًا : ارتفع، وأشصاه صاحبه : رفعه . أي : إذا مال ساقطاً، ورفع رجليه، فارفع يدك عنه ولا تضربه والمعنى : إذا خضع لك فاكفف عنه وارفق به، لأن القدرة تذهب الحفيظة.

إِذَا سَمِعْتَ بِسُرَى الْقَيْنِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُصْنِحٌ .

السماع معروف والسرى على وزن هدى . يقال : سَرَى يَسْرِى سُرًى، وَمَسْرًى، وَسَرِيَّةً، وَأَسْرًى إِذَا مَشَى عَامَةً اللَّيْلِ . وَالْقَيْنُ : الحَدَّاد، وجمعه اقيان . والقين أيضاً : العبد، وجهه قيان والاصباح : الدخول في الصباح
يضرب هذا المثل في الكذب والاختلاف حيث يُعرف كَذِبُ الرَّجُلِ فَيُرَدُّ صِدْقُهُ .

وأصله أن قينًا كان باليمن، فكان إذا كسد في موضع أخبرهم أنه سيخرج غدا ليستعملوه ثم لا يخرج، فضربوا به المثل . وسيأتي تمام القصة في حرف الدال، إن شاء الله تعالى.

إِذَا اشْتَرَيْتَ فَادْكُرِ السُّوقَ.

الفاظه ظاهرة . وهو من أمثال العرب المشهورة . يريدون به أنك إذا اشتريت سلعة فادكر الصحة واطلبها، وتبصر العيوب وتجنبها، فإنك ستحتاج فيما اشتريته الى أن تقيمه في السوق يوما لتبيعه إن احتجت الى ثمنه . فتذكر ذلك اليوم فإنك إن اشتريت جيدا بعت جيدا . وفي معناه قول العامة اليوم : كَمَا تَشْتَرِي تَبِيعَ.

إِذَا طَلَبْتَ الْبَاطِلَ أَنْجَمَ بِكَ.

الباطل معروف : والنجاح والنَّجْمُ : الظَّفَرُ بالحاجة . يقال : نجحت حاجته وأنجم هو : صار ذا نُجْم . ويقال : أَنْجَمَ بِكَ إذا غلبك ؛ فإذا غلبته فقد أَنْجَحْتَ به . وكانت فتاة من العرب تزوجت شيخا، فكان يقعد لينتعل فتقول : يا حبذا المنتعلون قياما، فسمعا يوما فحاول أن ينتعل قائما فضرط، فقالت : إِذَا طَلَبْتَ الْبَاطِلَ أَنْجَمَ بِكَ، أي ظفر بك ولم تظفر أنت بشيء، فسار مثلا يضرب عند الظلم في أداء الباطل.

إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهَنْ.

العزّ خلاف الذل ؛ يقال : عزّ الرجل يعزّ إذا قوي وامتنع بعد ذلّة ؛ وعزّ عليّ أن تفعل كذا، وعزّ عليّ هذا الأمر : أي اشتدّ . وهُنْ يَرُوى بضمّ الهاء وكسرهما : فالضم من هان يهون هوانا إذا ذلّ وخضع . ومعنى المثل عليه إذا عزّ أخوك، أي عظم وتقوى، فاخضع له أنت تسلم من شره . والكسر من هان يهين إذا لان . والمعنى : إذا اشتد أخوك وتصعّب، فلن أنت . هكذا ذكر بعض الناس، وهو صحيح من جهة المعنى ؛ لكن ما ذكر من كسر الهاء، إنما يصح إن وجدت مادة ه ي ن . والمعروف في اللغة إنما هو مادة ه و ن ؛ إلا أنه إذا أريد الذلّة والخضوع، قيل الهون بضم الهاء، والهوان والمهانة ؛ وإذا أريد اللين والسكينة، قيل : الهون بفتح الهاء . قال تعالى : وَالَّذِينَ يَمَسُّونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا . ويقال رجل هيّن وهيّن كميّت وميّت، وليس يائيا بك واويا، فوقع القلب : ويقال : هوّن الله الأمر، إذا سهّله . ومما يوافق المعنى الأول قول ابن أحمر :

وقارعة من الأيام لولا سبيلهم لراحت عنك حيناً
دببت لها الضراء وقلت أبغي إذا عزّ ابن عمك أن تهونا

وهو محتمل للمعنى الثاني أيضا . ومن الصريح في الثاني قول الآخر:

بُنِيَّ إذا ما سامك الذئَّ قادرٌ عزيزٌ فلينُ فاللّينُ أولى وأحرزُ
ولا تسمُ في كلِّ الأمور تعزُّزا فقد يورثُ الذئَّ الطَّويلُ التعزُّزُ

والمثك للهذيك بن هبيرة . وسببه أنه أغار على ضبّة فغنم وأقبل بالغنائم . فقال أصحابه: اقسما بيننا . فقال : أخاف أن يدرككم الطلب، فأبوا . فعند ذلك قال : إذا عزّ أخوك فهنّ، ونزل فقسما.

إذا لم تستحي فاصنع ما شئت .

الاستحياء الانقباض والحشمة ؛ يقال : حيي منه بالكسر يحى حياء بالمدّ، واستحى، وهو حيي كغنيّ : ذو حياء ؛ وقد يقال : استحى يستحي . قال الشاعر :

تقولُ يا شيخُ أما تستحي في شريكِ الخمرِ على المكبرِ؟!

وهذا الكلام يتمك به، وليس من الأمثال . وفي الخبر : مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت . وفُسّر بمعنيين : أحدهما ظاهر، وهو المشهور : إذا لم تستحي من العيب ولم تخش عارا ولا لوما مما تفعل، فافعل ما تحدثك به نفسك، حسنا أم لا . ولفظه أمرٌ، ومعناه الخبر على وجه التوبيخ والتهديد، كأنه قيل : إذا لم يكن فيك حياء، فأنت صانع ما شئت من خير وشر . وفيه إشعار بأن الرادع للانسان عن السوء هو الحياء ؛ فإذا انزع عنه كان كالمأمور بارتكاب كل محذور، وتعاطي كل قبيح وسيئة، كما قال الحماسي :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وقال أبو دلف العجلي :

إِذَا لَمْ تَصْنُ عِرْضًا وَلَمْ تَخْشَ خَالِقًا

وَتَسْتَحْيِرَ مَخْلُوقًا فَمَا شِئْتَ فَاصْنَعِ

وقد أكثر الشعراء من هذا النحو .

ثانيهما أن يحمل الأمر على بابه، أي إذا كنت في فعلك آمنا أن تستحي لجريك على السنن وليس من الأفعال التي يُسْتَحْيَى منها، فافعل ؛ وإلا فلا . وهذا قانون كليّ، وهو مثلك ما في الحكمة : إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ .

إِذَا نَزَلَ بِكَ الشَّرُّ فَاقْعُدْ .

هذا مثلك مشهور معناه : إذا رأيت شرا مقبلا، وهولا حاصلا، وفتنة نائرة، فتربّص وتأنّ، واحلّم ولا تسارع، ولا تستهدف ولا تستشرف. وفي الحديث في ذكر الفتنة : من يَسْتَشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ .

إِذَا نَزَلَ الْقَضَاءُ عَمِيَ الْبَصَرُ :

هذا يتمثل به أيضا . والمعنى أن ما قضى الله تعالى فهو كائن، وما قدره فهو واقع، لا يُنْجِي مِنْهُ حَذَرُ الْحَذَرِ، ولا نظر البصير . يحكى أن نافعا سأل ابن عباس - رضي الله عنه - فقال له : سليمان عليه السلام، مع ما خوله الله تعالى من الملك، كيف عني بالهدد مع صغره ؟ يعني حيث تفقد الطير فسأل عن الهدد وقال : لَأَعْذِبَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . فقال ابن عباس : إنّه احتاج الى الماء والهدد كانت له الأرض كالزجاج فقال نافع : قف يا وقاف ! كيف يبصر الماء من تحت الأرض، ولا يرى الفخّ إذا غطي له بقدر أصبع من التراب ؟ فقال ابن عباس : إِذَا نَزَلَ الْقَضَاءُ عَمِيَ الْبَصَرُ . وقال أبو عمر الزاهد في هذا المعنى :

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا بِأَمْرٍ وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَبَصَرٍ
وَحِيلَةٍ يَفْعَلُهَا فِي دَفْعِ مَا يَأْتِي بِهِ مَحْتُومٌ أَسْبَابِ الْقَدَرِ
غَطَّى عَلَيْهِ سَمْعَهُ وَعَقْلَهُ وَسَلَّهْ مِنْ ذِهْنِهِ سَلَّ الشَّعْرِ
حَتَّى إِذَا نَفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ رَدَّ عَلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِرَ

وهو معنى ما في الحديث : إذا أراد الله إنفاذ قضائِهِ وقَدَرَهُ سَلَبَ عَقُولَ
الرَّجَالِ الحديث .

إِذَا لِمَ تَغْلِبُ فَاخْلِبُ .

الْخِلَابَةُ : الخِدَاعُ ، والمثلُ ظاهر المعنى .

مَأْرَبٌ لَا حَفَاوَةَ :

المَأْرَبُ : الحاجة ، والجمع مأرب وفي التنزيل : وَلِيَّ فِيهَا مَأْرَبُ أُخْرَى . وكذا
المأربة مثلث الراء . والحفاوة : الاهتمام والاهتباك بالشيء ، يقال . حَفِيتُ بالرجل بالكسر ،
فأنا به حَفِيٌّ ، أي اهتممت به وبألفت في اللطاف به والسؤال عن حاله . قال تعالى :
سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا . وقال الحماسي :

فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ

بِحَيْثُ تَنَاصَى طَلْحُهَا وَسَيَالُهَا

دَعَوْا لِنِزَارٍ وَانْتَمَيْنَا لِطِيٍّ

كَأَسَدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

فَلَمَّا التَّقَيْنَا بَيْنَ السَّيْفِ بَيْنَنَا

لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سَوَالُهَا

يضرب هذا المثل للرجل يتملقك لا رغبة فيك ولا اهتماما بأمرك ، ولكن لغرض يطلبه منك
وحاجة ينالها عندك . ومأرب يصح أن يكون مبتدأ يقدر خبره ، أي بك مأرب لا حفاوة ، وأن
يكون خبراً يقدر مبتدؤه ، أي باعثك وحاملك على الدنو مني والتملق لي مأرب لا حفاوة .
فإن قلت : هل يصح أن ينصب أو يقال إنه يقال إنه مرفوع عن منصوب في الأصل ، كما
 قيل في : سلام وحنان ، وصبر جميل ؟

قلت : لو كان منصوباً لكان معناه تقصد أو ترتاد مأرباً ، وحينئذ لا يحسن العطف بهذا
التقدير في حفاوة كما لا يخفى ، ويحتاج الى تقدير آخر كأنه قيل ترتاد مأرباً ولا تحفي
حفاوة ، وفيه بعض التكلف ، وإن كان يمكن تقدير فعل أعم كالملابسة .

أَكَلَ مِنْ أَرْضَةٍ.

الأكل معروف . والأَرْضَةُ بفتحَتَيْنِ والضاد المعجمة : دُوَيْبَةٌ صغيرة تأكل الخشب . وفي قصة الصحيفة التي كتبها قريش على بني هاشم أن الله بعث عليها الأَرْضَةَ فأكلت كل ما فيها من جور وظلم وقطيعة رحم، وبقي ما كان فيها من ذكر . ويضربون المثل بالأرضة في كثرة الأكل وقوته . وينسب إلى القاضي عبد الوهاب :

يَا أَهْلَ مِصْرَ رَأَيْتُ أَيْدِيَكُمْ

عَنْ بَسْطِهَا بِالنَّوَالِ مُنْقَبِضَةٍ

لَمَّا عَدِمْتُ النَّوَالَ عِنْدَكُمْ

أَكَلْتُ كَتَبِي كَأَنِّي أَرْضَةٌ

أَكَلَ مِنْ سُوسٍ.

الأكل مرّ . والسوس : الدود المعروف يقع في الصوف والطعام . قال امرؤ القيس⁽¹²⁾ :
الَيْتَ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمَهُ
وَالْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ السُّوسُ
يضرب به المثل أيضا في كثرة الأكل . قيل لخالد بن صفوان : كيف ابنك ؟ فقال : سيد
فتيان قومه ظرفا وأدبا . فقيل له : كم رزقه ؟ قال : درهم . فقيل : أيرتفع منه ثلاثون درهما
في شهر وأنت تستغل ثلاثين ألفا ؟ قال : الثلاثون أسرع في هلاك المال من السوس . ولهذا
قالوا : الْعِيَالُ سُوسُ الْمَالِ كما سيأتي

يَأْكُلُكَ الْأَسَدُ وَلَا يَأْكُلُكَ الْكَلْبُ.

هذا فيما يظهر مثل مولد يضرب عند اختيار المرء صولة العزيز وعقوبة الكبير على صولة
الذليل وعقوبة الحقير، فإن صولة الذليل أشدّ على النفس كما قيل : لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ
لَطَمْتَنِي وَالْمَثَلُ قَدْ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ قِرَاسَنْقَرٍ، وذلك أن شمس الدين
[بن] السلعوس كان يكرهه. فلما حضر الملك الأشرف إلى دمشق، وبلغ قراسنقر كراهية
الوزير وعمله عليه، بادر بهدية عظيمة وتقدمة حسنة إلى الملك، وأحضر ذلك بنفسه، فقال

(12) المصوب : المتكسب، والبيت من قصيدة له واردة في جملة أشعار العرب، ومختارات ابن الجعفي، والشعر والشعراء وغيرهما.

له السلطان : لأي شيء هذا ؟ قال : بلغني أن ابن السلحوس يعمل عليّ ويغير خاطر مولانا السلطان . وقد جئت أنا بنفسي يأكلني السبع ولا يأكلني الكلب . وفي هذا قال الصابي في أبي الورد البغدادي :

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنْ صُرُوفَهَا
تُسَوِّيْ امْرَأَةً مِثْلِي بِمِثْلِ أَبِي الْوَرْدِ
فِياءَ لَيْتَهَا اخْتَارَتْ نَظِيرًا وَأَنْتَهُ
رَمَانِي بِشَنْعَاءِ الدَّوَاهِي عَلَى عَمْدِ
فَكَمْ بَيْنَ مَعْقُورِ الْكِلَابِ وَإِنْ نَجَا
ذَلِيلًا وَمَقْتُولِ الضَّرَاعِمَةِ الْأَسَدِ
ونحو قول المُنْقَبِ العَبْدِي :

فَإِنْ أَكُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ أَكِلٍ
وَالَا فِدَارَكُنِي وَلَمَّا أَمَزَقَ
ويحكى أن العُجَيْرَ السُّلُوبِيَّ هجا قوما من بني حنيفة، فأقاموا عليه البيعة عند نافع بن علقمة الكنانِي، فأمر به أن يقام عليه الحدّ في ملأ من الناس . فهرب العُجَيْرُ ليلا حتى أتى نافعًا ففعد له متكرًا حتى خرج من المسجد، ثم تعلق به فقال :

إِلَيْكَ سَبَقْنَا السُّوْطَ وَالسُّجْنَ تَحْتَنَا
حُبَالِي يَسَامِينِ الظَّلَامِ وَلَقَمُ
إِلَى نَافِعٍ لَا تَرْتَجِي مَا أَصَابَنَا
تَحُومُ عَلَيْنَا السَّائِحَاتُ وَتَبْرَحُ
فَإِنْ أَكَّ مَجْلُودًا فَكُنْ أَنْتَ جَالِدِي

وإنْ أَكَّ مَذْبُوحًا فَكُنْ أَنْتَ تَذْبَحُ
فقال له : انجُ لنفسك، فإنّي سأرضي خصومك، فبعث إليهم وأرضاهم . وهذا المثل باق اليوم في السنة العوام يقولون : مَنْ أَكَلَهُ السَّبْعُ خَيْرٌ مِمَّنْ أَكَلَهُ الذَّنْبُ.

أَلَفٌ مِنْ حَمَامٍ مَكَّةَ.

يقال أَلَفٌ فلانٌ كذا، بكسر الهمزة، يَأْلَفُهُ إلثافا بكسر الهمزة وفتحها فهو أَلَفٌ، وهي أَلْفَةٌ، وهم أَلَفٌ، وهنَّ أَلِفَاتٌ وأوَالِفٌ. والأَلْفَةُ بضم الهمزة : اسمٌ من الائتلاف . إلثافُك بكسر الهمزة : الذي تألفه كما يقال : حَبٌّ وخِدْنٌ . والحمام على مثال سحاب : اسم جنس، واحده حمامة للذكر والأنثى . وقد يقال للواحد حمام، قاله في الصحاح وأنشد عليه قوله الشاعر :

حَمَامًا أَيْكَةً وَقَعَا فَطَارَا⁽¹³⁾

وقول الآخر :

وذكرَني الصَّبَا بَعْدَ التَّنَائِي حَمَامَةً أَيْكَةً تَدْعُو حَمَامًا

قلت : والأول محتمل لأن يكون تثنية جماعتين كما قال الآخر :

هُمَا سَيِّدَانَا يَزْعُمَانِ وَإِنَّمَا يَسُودَانِنَا إِنِ أَيْسَرَتْ غَنَمَاهَا

فثنى الغنم وهو اسم جمع، وهذه التثنية لا تختص بالمفرد، بل هي جارية في أسماء الجموع، وجموع التكسير أيضا، كما علم في محله، فلا دليل فيها على المفرد . والثاني يحتمل أن يكون الحمام فيه اسم جنس، لا يقال مقابلته بالحمامة عاضد للإفراد، فهو ظاهر في المراد، لأننا نقول ذلك لو سلم أن الحمامة أريد بها الأنثى ليكون المقابل ذكرا . لكننا نقول إنها للفرد من الجنس كما مر، ومقابل الفرد من حيث هو الجنس . والحمامُ قال في الصحاح : ذوات الأطواق من نحو الفَوَاحِشِ والقَمَارَى وسَاقُ حُرٍّ والقَطَا وأشباه ذلك . قال : وهي عند العامة الدواجن فقط، وأنشد على الأول لحديد بن ثور :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقُ إِلَّا حَمَامَةً

دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ تَرَحُّةً وَتَرَنَّمَا

قال : والحمامة هاهنا قمرية [قال] وقال الأصمعي في قول النابغة:

احْكُمْ كَحْكُمِ فَتَاةَ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ

إلى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَأَرْدِ الثَّمَدِ

هذه زرقاء اليمامة نظرت الى قطا . قلت : وبه جزم شارح ديوان النابغة عن أبي حاتم، وأنَّ

(13) ورد هذا الشطر في لسان العرب هكذا : حَمَامَتِي قَتَرَةً وَقَعَا فَطَارَا.

هذه المرأة كانت لها قطاة . فمر بها سرب من القطا فقالت ذلك . وأراد النابغة بالحمام ذلك القطا . ومكة البلدة الحرام ووصف حمامها بالألفة لأنه محترم لا يتعرض له أحد بمكروه ولا أذى، كما قال العجاج :

وَرَبُّ هَذَا الْبَلَدِ الْمُحَرَّمِ قَوَاطِنًا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِّ⁽¹⁴⁾
أي الحمام، فرخم للضرورة فلما كان آمنا كان ثابت الجأش غير نفور من الناس نفور الصيد، كما قال النابغة :

وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ يَمْسَحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ

وأراد بالعائذات هذه الطير، ولذا أتى بالطير بدلا منها . والمؤمن هو الله تعالى، وهو لفظ اسم الفاعل متعد إلى مفعولين بهمة النقل، والواو للقسم، والمفعول الثاني محذوف أي : أقسم بالله تعالى الذي أَمَّنَ الطيرَ العائذاتِ أن تُصَادَ أو أن تُؤْخَذَ . وقوله : يمسحها ركبَانُ مكة، أي يمسحون عليها ولا يهيجونها لألفتها لهم واستئناسها بهم . والغيل بفتح المعجمة وقيل بكسرهما، والسعد أجَمَتَانِ بين مكة ومِنَى . وقيل : الغيل بفتح الغين الماء الجاري على وجه الأرض . وهو هنا ماء يخرج من أصل أبي قُبَيْسٍ .

وأعلم أن هذه الصيغة وهي قولنا أَفْعَلْ من كذا، مستعملة في باب المثل عند إرادة منتهى التشبيه وأقصاه، كما يقال : أَعَزُّ مِنْ الْأَبْلَقِ الْعَقُوقُ، وَأَجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ، وَأَعْيَى مِنْ بَاقِلٍ، ونحو ذلك . وإنما يتم ذلك ببلوغ المضروب به غاية ذلك المعنى . لكن هذا أمر إضافي موكل إلى نظر القائل واعتباره وحكم خياله . فأیُّما شيء استعظمَ درجته ساغ له أن يَضْرَبَ به المثل . ولذا يصح له أن يضرب المثل بالحمام في الألفة، وإن كان غير الحمام أبلغ فيها وأحق، لكنه لم يلتفت إلى الغير فاستعظمها في الحمام إذ ليست الألفة من شأن الطير، فهي مستغربة، والاستغراب زائد الاستعظام كما قالوا : أَجْرًا مِنْ خَاصِيِ الْأَسَدِ . وافهم مثل هذا في كل ما يرد في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب.

(14) في لسان العرب :
وَرَبُّ هَذَا الْبَلَدِ الْمُحَرَّمِ وَالْقَاطِنَاتِ الْبَيْتِ غَيْرِ الرَّئِئِمِ
قَوَاطِنًا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِيِّ

أَلْفٌ مِنْ غُرَابٍ عُقْدَةٌ.

الألفَةُ مرّت، والغُرَابُ معروف، جمعه غِرْبَانٌ وأغْرِبَةٌ . وعُقْدَةٌ، بضم العين المهملة، وسكون القاف : موضع . وهي أيضا المكان المخصب الكثير الشجر أو النخل . وإنما وصف غراب عقدة بالألفة لأنه لا يطير لكثرة الشجر . إلا أن عقدة، إن جعلت مكانا بعينه، لم تُصَرَفْ ؛ وإن جعلت اسمًا للمكان المخصب مطلقًا صُرِفَتْ . وهما جاريان هنا معا كما يقتضيه كلام القاموس، وسيأتي في قولهم : عَيْشٌ لَا يَطِيرُ غُرَابُهُ زيادة بيان لهذا المحل إن شاء الله تعالى .

إِلَيْكَ يُسَاقُ الْحَدِيثُ.

السَّوْقُ معروف . يقال : ساق الماشية يَسُوقُهَا سَوْقًا وَسِيقًا وَسِيقَةً، واستَاقَهَا . ثم يُسْتَعْمَلُ السَّوْقُ فِي الْكَلَامِ وَالْحَدِيثِ، لَأَنَّهُ يُؤْتَى بِهِ كَمَا يُؤْتَى بِالْمَاشِيَةِ . وهذا المثل يضرب عند الاساءة في السؤال والاستعجال به قبل أوانه . وله قصة مذكورة عندهم، وقد نظمه بَشَّارٌ وَبَيَّنَّ معناه فقال :

وَمَرَّتْ فَقُلْتُ مَتَى نَلْتَقِي فَهَشَّ اسْتِيقًا إِلَيْهَا الْخَبِيثُ
وَكَادَ يَمْرُقُ سِرْبَالَهُ فَقُلْتُ إِلَيْكَ يُسَاقُ الْحَدِيثُ
وقال الآخر :

لَا تَعَجَبُوا لِسُؤَالِ رُكْبَانِ الْحِمَى فَإِلَيْكُمْ هَذَا الْحَدِيثُ يُسَاقُ
أَمْرَ مُبْكِيَاتِكَ لَا أَمْرَ مُضْحِكَاتِكَ.

الأمر معروف . والمبكيات والمضحكيات : المورثات بكاءً أو ضحكًا . وكانت فتاة من العرب لها خالات وعمات . فكانت إذا زارت عماتها ألهيئنها، وإذا زارت خالاتها أبكيئنها . فقالت لأبيها : إِنَّ عَمَاتِي يُلْهِيئَنِي، وَخَالَاتِي يُبْكِيئَنِي إِذْ زُرْتُهُنَّ، فقال لها أبوها : أَمْرَ مُبْكِيَاتِكَ لَا أَمْرَ مُضْحِكَاتِكَ، فذهبت مثلا يضرب عند الحذر والتحذير من الهوى والأمر باجتنابه.

والمعنى : أطلع من يدلك على رشادك، ويبصرك بصلاح معاشك ومعادك، وينبّهك من رقدة الغفلة والغرّة، ويفطمك عن مراضع الهوى المضرة، وإن كان ذلك يبكيك، ويتقل على نفسك ويؤذيك ؛ ولا تطع من يأمرك بما تهوى، ويحسن لك ما يشينك في العاجلة والعقبى، وإن كان ذلك يضحكك ويلهيك، ويؤنسك ويسليك .

الأمورُ مخلُوجةٌ وليستْ بسُلُكى.

الأمور جمع أمر، وهو الشأن والحال والشيء الواقع : والخنج : الجذب والنزع ؛
والمخلُوجة : المجذوبة ؛ والمخلُوجة أيضا : الطعنةُ المعوجةُ عن يمين
وشمال ؛ والسُلُكى، بضمّ الأول وألف مقصورة : الطعنةُ المستقيمة تلقاء الوجه .
قال امرؤ القيس :

نَطَعْنَهُمْ سُلُكِي وَمَخْلُوجَةٌ كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ
ثم إنهم جعلوهما في الأمور، وجعلوا المخلُوجةَ والسُلُكى مثلاً في الأمور باعتبار
اعوجاجها واستقامتها فقالوا : الأمور مخلوجةٌ وليست بسلكى، أي هي معوجة وليست
بمستقيمة، وأصله في الطعن . قيل : وأول من نطق بهذا المثل الحارث بن عباد، وذلك أن
جساس بن مرة، لما قتل كليباً على ما سيأتي خبره، قام مهلهل بن ربيعة بثأر
أخيه كليب، وكان ممن قتل بجير بن الحارث المذكور أو ابن أخته في قصة ستأتي .
وفيه يقول مهلهل :

وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتٍ بُجَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ
هَتَكْتُ بِهِ بُيُوتَ بَنِي عُبَادٍ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَشْفَى لِلصُّدُورِ⁽¹⁵⁾
فلما بلغ الحارث بن عباد مقتل بجير قال : نِعْمَ الْقَتِيلُ قَتِيلُ أَصْلَحِ اللَّهِ
بِهِ بَيْنَ بَنِي وَائِلٍ وَبَاءَ بِكَلَيْبٍ ! فقيـل له : إن مهلهلاً لما قتله قال له : بُوَيْشِشْ
نَعْلَ كَلَيْبٍ ! فعند ذلك غضب الحارث وقال : الأمـورُ مَخْلُوجَةٌ وَلَيْسَتْ
بِسُلُكِي، وقال :

قَرَبًا مَرَبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَن حِيَالِ
قَرَبًا مَرَبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي إِنَّ بَيْعَ الْكِرَامِ بِالشَّسْعِ غَالٍ⁽¹⁶⁾

(15) رواية الاغانى : وَبَعْضُ الْعَشْمِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ . والعشم : الظلم

(16) في الاغانى بدل هذا البيت :

لَا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْطٌ كَلَيْبٌ تَرَاجَرُوا عَنْ ضَلَالِ

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِيمَ اللَّهِ وَإِنِّي بِجَمَرِهَا الْيَوْمَ صَالٍ
وهي قصيدة . ونهض لحرب تَغْلِبُ حتى أبارهم . وفرَّ مُهْلِكٌ حتى هلك غريب الدار
كما سيأتي . وقلب أبو عبيد هذا المثل فأورده هكذا : الْأُمُورُ سُلُكِي وَلَيْسَتْ
بِمَخْلُوجَةٍ ، والصواب العكس ، كما أورده غيره وهو الذي قدّمنا ، لأن الأمور في قضية
الحارث ليست بسُلُكِي ، وهلم جرا . وقول امرئ القيس كَرَكٌ لَأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ ،
فيه كلام يُبَيِّنُ (بَعْدُ) في تشبيهات امرئ القيس إن شاء الله تعالى .

تَأْمِيرُ الْأَرَاذِلِ ، تَدْمِيرُ الْأَفَاضِلِ .

التَّأْمِيرُ : تولية الامارة : وَأَرَاذِلُ النَّاسِ : سَفَلُهُمْ ، والتَّدْمِيرُ ، بالذال المهملة :
الاهلاك . وَأَفَاضِلُ النَّاسِ : خيارهم .
ومعنى المثل ظاهر ، وهو فيما أظن مصنوع موجود في بعض تأليف البلغاء المصنوعة .

الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ .

قد يُتَمَثَّلُ به ، وهو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكر المحشر وأن
الناس يحشرون حفاة عراة ، فليل له : وكيف ينظر بعضهم الى بعض ؟ فقال ذلك .
والحديث معروف مشهور .

أَمِنْ مِنْ حَمَامٍ مَكَّةَ .

الأمن ضدّ الخوف ؛ والحمام ومكة تقدما . وأمن الحمام في مكة أنه لا يتعرض له ولا
يصاد ولا يقتل . ولذلك قال النابغة :

وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِدَاتِ الطَّيْرِ يَمَسُّهَا
رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ

وقال عمرو بن الحارث بن مُضَاضِ الْجُرْهُمِيِّ من قصيدة :

فَسَحَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَبْكِي لِبِلْدَةٍ بِهَا حَرَمٌ أَمِنْ وَفِيهَا الْمَشَاعِرُ
وَتَبْكِي لِبَيْتٍ لَيْسَ يُؤْذَى حَمَامُهُ تَظَلُّ بِهِ أَمْنَا وَفِيهِ الْعَصَافِرُ
وَفِيهِ وَحُوشٌ لَا تُرَامُ أَنْيَسَةٌ إِذَا خَرَجَتْ مِنْهُ فَلَيْسَتْ تُغَادِرُ

وهذا الشعر قاله عندما نَفَتَهُمْ خُرَاعَةً وأخرجوهم الى اليمن من مكة، فجعل يتذكر مكة ويحزن ويبكي لفراقها . وتقدم شيء من معنى هذا المثل.

أَمَّا الدِّينُ فَلَا دِينَ.

يُتَمَثَّلُ به كثيرا، وهو من كلام مُسَيِّلِمَةَ الحنفي الكذاب لعنه الله تعالى . وذلك أنه، لما غزاهم سيفُ الله خالدُ بن الوليد رضي الله عنه في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، التقوا فاقتتلوا قتالا شديدا . فلما اشتدَّ القتال أخرا على مُسَيِّلِمَةَ وأصحابه بني حنيفة وعظم عليهم الأمر وأيقنوا بالهلاك والدمار، قال له بعض أصحابه : أَيْنَ مَا كُنْتَ تَعِدُنَا يَا أَبَا ثُمَامَةَ من النصر ؟ فقال عند ذلك : أَمَّا الدِّينُ فَلَا دِينَ، وَلَكِنْ قَاتِلُوا عَلَى أَحْسَابِكُمْ. فجعلوا يتندَّمون ويسبُّونه، وقتل في ذلك اليوم، لعنه الله . والقصة مشهورة ومعروفة في السَّيَر لا حاجة الى سردها .

أَنَا بِالْقَوْسِ، وَأَنْتَ بِالْقَرْقُوسِ، مَتَى نَجْتَمِعُ ؟
القَوْسُ بضم القاف : صومعة الراهب . قال الشاعر يذكر امرأة : لَأَسْتَفْتَنَّيْ وَذَا الْمِسْحَيْنِ فِي الْقَوْسِ⁽¹⁷⁾ . والقَرْقُوسُ، على مثال قَرْبُوس : القاع الصلب من الأرض، وبين المكانَيْنِ بَوْنٌ بعيد . فيضرب عند التباعد في الأمكنة أو خلال أو الشيم، كما قيل :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ
فَعَزَّ الْفُؤَادَ عَزَاءَ جَمِيلًا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الْمُعُودَ
وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ
أَنَا ابْنُ بَجْدَتِهَا.

يقال بَجْدَ بِالْمَكَانِ يَبْجُدُ بَجُودًا إذا أقام به . والبجدة بفتح الباء الموحدة وضمها مع سكون الجيم، وبضمهما معا : أصل الشيء ودخلة الأمر وباطنه، فيقال عند فلان بَجْدَةُ هذا الأمر أي عِلْمُهُ، وهو ابنُ بَجْدَتِهَا أي العالم .

(17) هذا عجز بيت لجبر، وصدره : لَا وَصَلَ إِذْ صَرَفْتَ هِنْدَ وَلَوْ وَقَفْتَ.

قال أبو العلاء المعري :

إِذَا أَسْكَتَ الْمُحْتَجُّ كُلَّ مُنَاطِرٍ

فَعِنْدَ ابْنِ نَصْرٍ بَجْدَةٌ بِحَوَابٍ

وقال صَفِيُّ الدِّينِ الْحَلِيِّ رحمه الله تعالى :

لَا لَقَبْتَنِي الْمَعَالِي بِابْنِ بَجْدَتِهَا

يَوْمَ الْفَخَارِ وَلَا بَرَّ الثَّقَى قَسَمِي

ويقال أيضا للدليل الهادي . ويقال أيضا : هو عالم ببجدة أمرك وبجدة أمرك، أي

بداخلته . وقيل إنما قيل : أنا ابنُ بجدتها، وهو ابنُ بجدتها من البُجود وهو

الاقامة، لأن المقيم بالمكان عالم به . يقال : هو ابنُ بجدَةِ هَذَا الْبَلَدِ أي العالم

بأمره لإقامته به . وقيل أصله من قولهم : فلانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَجْدِ أي من أهل البادية وهم

العلماء باللسان على ما وضع به.

أَنَا تَثِقُ وَأَنْتَ مَثِقٌ فَكَيْفَ نَتَفَقُّ ؟

التَثَقُّ : الْمُثْمَلِيءُ غَضِبًا . وَأَصْلُهُ فِي الْإِنَاءِ يُقَالُ : تَثَقَّ الْإِنَاءُ يَتَثَقُّ إِذَا امْتَلَأَ

وَأَتَثَقَّتْهُ أَنَا مَلَأْتُهُ . وَيُقَالُ : التَثَقُّ السَّرِيعُ إِلَى الشَّرِّ . وَيُقَالُ : هُوَ الْحَدِيدُ قَالَ

الشاعر (18) يصف كلبا :

أَصْنَمُ الْكَعْبَيْنِ مَهْضُومُ الْحَشَا

سَرَطَمُ اللَّحْيَيْنِ مَعَّاجُ تَثَقُّ

وقال الآخر يصف فرسا :

ضَافِي السَّبِيْبِ أَسِيلُ الْخَدِّ مُشْتَرَفُ

حَابِي الضُّلُوعِ شَدِيدُ أَسْرُهُ تَثَقُّ

والمَثَقُّ : الْبَاكِي يَأْخُذُهُ شَبْهُ الْفَوَاقِ عِنْدَ الْبَكَاءِ وَالنَّشِيجِ . يُقَالُ : مَثَقَّ الرَّجُلُ وَالصَّبِيُّ

يَمَاقُ مَاقًا وَمَاقَةً بِالْتَحْرِيكِ وَامْتِاقُ . قَالَ رُؤْبَةُ.

كَأَنَّمَا عَوَّلَتْهَا بَعْدَ التَّاقِ

عَوَّلَةٌ تَكَلَّى وَلَوَلَّتْ بَعْدَ الْمَاقِ

وشأن التثقيف النزوعُ الى الشرِّ لغضبه، وشأن المثقِّ ضيقُ الصدر عن الاحتمال، فلا يجتمعان . فيضرب للمخالفين خلقاً.

أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ وَعُذَيْقُهَا الْمُرْجَبُ.

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار الى سعد بن عبادَةَ في سقيفة بني ساعدة، فأتاهم أبو بكر وعمرُ وغيرُهما من المهاجرين - رضي الله تعالى عن الجميع - فتكلم أبو بكر، والقصة مشهورة . وتكلم رجل من الأنصار، وفي رواية وهو الحباب بن المُنذر فقال : أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ وَعُذَيْقُهَا الْمُرْجَبُ، منا أميرٌ ومنكم أمير . والجذيلُ تصغير جذل بكسر الجيم وتفتح، وبالذال المعجمة الساكنة . والجذيلُ : ما عظم من أصول الشجر أو أصلُ الشجر وغيرها بعد ذهاب الفرع . والجمع أجدال وجذول وجذولة . قال امرؤ القيس :

كَانَ عَلَى لَبَاتِهَا جَمْرٌ مُصْطَلِي

أَصَابَ غَضًا جَزَلًا وَكُفَّ بِأَجْذَالِ⁽¹⁹⁾

والجذيلُ أيضًا : عودٌ يُنْصَبُ لِلْجَرْبَى لِتَحْتَكَّ بِهِ، وهو المقصود هنا . ويقال : هو عود ينصب في مبرك الابل تَحْتَكُّ بِهِ لتزيك ما عليها من قراد وكل ما لزق بها فتستشفى بذلك، ويكون كالتمرغ للدابة . قال الراجز :

لَا قَتَ عَلَى الْمَاءِ جُذَيْلًا وَاتِدَا

ويضرب مثلا للرجل فيقال : هو جذيلٌ مُحَاكَّةٌ وجذيلٌ حِكَاكٌ . قال الأصمعي : قلت لأعرابي : ألك بنون ؟ قال : نعم، وخاليقهم لم تقم على مثلهم منجبة . قلت : صِفْهُمْ لِي . قال : جهنمٌ وما جهنم ! يُنْضِي الوهنم، وَيَصُدُّ الدَّهْم، وَيَفْرِي الصُّفوف، وَيُعِلُّ السيوف . قلت : ثم من ؟ قال : غَشْمَشْم وما غَشْمَشْم ! ماله مَقْسَم، وَقِرْنُهُ مُجَرَّجَم، جِذْلٌ حِكَاك، وَمِذْرَةٌ لِكَاكَ . قلت : ثم مَنْ ؟ قال : عَشْرَبٌ وَمَا عَشْرَب ! لَيْثٌ مُحَرَّبٌ، وَسَمَامٌ مُقَشَّبٌ ؛ ذِكْرُهُ بَاهِرٌ، وَخَصْمُهُ عَائِرٌ ؛ وَفِنَاؤُهُ رَحَابٌ، وَدَاعِيهِ مُجَاب . قلت : فَصِفْ لِي نَفْسَكَ . قال : لَيْثٌ أَبُو رِيَابِك، رَكَابٌ مُعَاضِلٌ، عَسَافٌ مُجَاهِلٌ ؛ حَمَالٌ أَعْبَاءٌ، نَهَاضٌ بِيَزْلَاء.

(19) في ديوان امرئ القيس (مصطلك) بدك مصطللي

قوله : يُنْضِي الوَهْمُ أي يُهْزِلُ الوَهْمُ، وهو الجمل الضخم من قوَّته ؛ وَيَصْدُ الدَّهْمُ أي يَكْفُ الدَّهْمُ، وهو العدد الكثير من العدو . وَيَفْرِي الصَّفوف أي يَشْقُها في القتال مُقَدِّمًا . وَيُعِلُّ السِّيفُ أي يُوردها دِمَاءَ الأقران مرةً ثانية من العَلَلِ في الشرب.

وقوله : قِرْنُهُ مُجَرَّجَمُ أي مُبَارَزُهُ مُجَرَّجَمُ أي مَصْرُوعُ ؛ وَجِذْلُ حِكَاكَ أي يُسْتَشْفَى به في الأمور كالجِذْلِ المنصوب الذي تَسْتَشْفِي به الأيْلُ الجَرَبِي والمِدْرَهُ ؛ لسانُ القوم . واللِّكَاكُ : الزَّحَامُ . واللَّيْثُ المُحَرَّبُ : المُغْضَبُ، وهو أشد ما يكون ؛ والمُقَشَّبُ : المخلوط . والِبَاهِرُ : الغالب . والرِّيَابِكُ جمع رِيَابِكٍ يُهْمَزُ ولا يُهْمَزُ، وهو الأسد . والمُعَاضِلُ : الدواهي ؛ والعَسَافُ : الرِّكَّابُ الطريق على غير هداية . والمجاهلُ : الفلوات ؛ والأعباءُ : الأثقال ؛ والبَزْلَاءُ : الرأي الجيِّد، وهو مثك سيأتي . وأما العُدَيْقُ فهو تصغير عَذَقٍ، وهو بالفتح : النخلةُ بِحِمْلِها، وبالكسر القِنُومُها . والمقصود هنا الأول . والمرجَّبُ : المعظَّم . يقال : رَجَّبْتُهُ تَرْجِيًا : عَظَّمْتُهُ . ومنه رَجَبٌ لتعظيمهم إياه . ويقال : إن فلانا لَمُرْجَّبٌ أي عظيم . وحدَّثَ الأصمعي قال : مررت في بلاد بني عامر بحلة في غائط يطؤون الطريق، فسمعت رجلاً يُنشد في ظلك خيمته له ويقول :

أَحَقَّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَاطِرًا

إِلَى قَرْقَرَى يَوْمًا وَأَعْلَامِهَا الْغُبَرِ

كَأَنَّ فَوَادِي كُلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ

جَنَاحُ غُرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وَكْرٍ

إِذَا رَحَلَتْ نَحْوَ الْيَمَامَةِ رَفْقَةً

دَعَاكَ الْهَوَى وَاهْتَجَّ قَلْبُكَ لِلذِّكْرِ

فَيَا رَاكِبَ الْوَجَنَاءِ أَتَيْتَ مُسَلِّمًا

وَلَا زِلْتَ مِنْ رَيْبِ الْحَوَادِثِ فِي سِتْرِ

إِذَا مَا أَتَيْتَ الْعَرِضَ فَاهْتِفْ بِجَوْهٍ

سُقَيْتَ عَلَى شَحْطِ النَّوَى سَبَلَ الْقَطْرِ

فَإِنَّكَ مِنْ وَادِرِ الْيَمِّ مُرْجَبٍ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَزْدَارُ إِلَّا عَلَى عَفْرِ
قال فلما رأيته مُصْغِيًا إِلَيْهِ أَشَارَ إِلَيَّ فَاسْتَأْذَنَنِي وَأَنْزَلَنِي وَوَضَعَ طَعَامًا فَقُلْتُ : أَنَا إِلَى غَيْرِ
هَذَا أَحْوَجُ، قَالَ : مَاذَا ؟ قُلْتُ : تُنْشِدُنِي، قَالَ : أَفْعَلْ . فَلَمَّا أَصَبْتُ مِنَ الطَّعَامِ
قُلْتُ : الْوَعْدُ، فَأَنْشَدَنِي :

لَقَدْ طَرَقْتُ أُمَّ الْخَشِيفِ وَإِنَّهَا	إِذَا صَرَعَ الْقَوْمَ الْكَرَى لَطَرُوقُ
فِيَا كَبِيدًا يَحْمَى عَلَيْهَا وَإِنَّهَا	مَخَافَةٌ هَيْضَاتِ النَّوَى لَخَفُوقُ
أَقَامَ فَرِيقٌ مِنْ أَنْاسٍ يَوَدُّهُمْ	بِذَاتِ الْغَضَا قَلْبِي وَبِأَنْ فَرِيقُ
لِحَاجَةٍ مَحْزُونٍ يَظَلُّ وَقَلْبُهُ	رَهِينٌ بِبِيضَاتِ الْحِجَالِ صَدِيقُ
تَحْمَلُنَّ أَنْ هَبَّتْ لَهُنَّ عَشِيَّةٌ	جَنُوبٌ وَأَنْ لَاحَتْ لَهُنَّ بُرُوقُ
كَأَنَّ فُضُولَ الرَّقْمِ حِينَ جَعَلْنَهَا	غَدِيًّا عَلَى أَدَمِ الْجِمَالِ عَذُوقُ
وَفِيهِنَّ مَنْ بَخَتِ النِّسَاءَ رِبْحَلَةً	تَكَادُ بِهَا غُرُّ السَّحَابِ تَرُوقُ
هِيْجَانٌ فَأَمَّا الدَّعْمُ مِنْ أَخْرِيَاتِهَا	فَوَعَتْ وَأَمَّا خَصَرُهَا فَدَقِيقُ

فَقَوْلُهُ : فَإِنَّكَ مِنْ وَادِرِ الْيَمِّ مُرْجَبٍ أَيُّ مُعْظَمٍ . وَقَوْلُهُ فِي الْقِطْعَةِ الثَّانِيَةِ :

كَأَنَّ فُضُولَ الرَّقْمِ حِينَ جَعَلْنَهَا غَدِيًّا عَلَى أَدَمِ الْجِمَالِ عَذُوقُ

أَيُّ نَخْلَاتٍ، جَمْعُ عَذَقٍ وَهُوَ النَّخْلَةُ كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلَ، أَوْ قِنْوَانُهَا، وَهُوَ تَشْبِيهُهُ مَشْهُورٌ عِنْدَ
الْقَدَمَاءِ، يَشْبَهُونَ الْحُمُولَ وَالْبُرُودَ الْمَرْقُومَةَ فِيهَا بِالنَّخِيلِ إِذَا أَيْنَعَتْ ثَمَرُهَا فَاحْمَرَّتْ وَاصْفَرَّتْ . قَالَ
أَمْرُ الْقَيْسِ :

أَوْ الْمُكَرَعَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِنٍ	دُوَيْنَ الصَّفَا اللَّائِي يَلِينُ الْمُشَقَّرَا
سَوَامِقَ جَبَّارٍ أَثْبِتَ فَرُوعُهُ	وَعَالَيْنَ قِنْوَانًا مِنَ الْبُسْرِ أَحْمَرَا

وَقَالَ أَيْضًا :

عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ فَوْقَ عِقْمَةٍ كَجَرِمَةٍ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةٍ يَثْرِبُ

وَالْتَرَجِيبُ فِي النَّخْلِ أَنْ يَجْعَلَ لِلنَّخْلَةِ دَكَانٌ تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ أَوْ تَدْعُمُ بِشَيْءٍ إِذَا كَثُرَ حَمْلُهَا لِئَلَّا
تَنْكَسِرَ . وَيُسَمَّى ذَلِكَ الدَّكَانَ الرَّجْبِيَّةَ بِضَمِّ الرَّاءِ . وَقِيلَ أَنْ يَغْزُرَ الشُّوكُ حَوْلَهَا حَتَّى لَا
يُوصَلَ إِلَيْهَا . وَقِيلَ أَنْ تُضَمَّ قِنْوَانُهَا إِلَى سَعَفَاتِهَا وَتُشَدَّ بِالْخُوصِ حَتَّى لَا

ينفضها الريح فيقال : نَخْلَةٌ مُرَجَّبَةٌ، وعِذْقٌ مُرَجَّبٌ . ويقال : نخلة رَجِيبَةٌ
بتخفيف الجيم وتشديدها.

وينشد بهما قول الشاعر : (20)

لَيْسَتْ بِسِنْهَاءٍ وَلَا رُجْبِيَّةٍ وَلَكِنْ عَرَايَا فِي السَّنَنِ الْجَوَائِحِ
وَلَا يَرْجَبُ مِنَ النَخْلِ إِلَّا الْكَرِيمَةُ . واعلم أن التصغير في كل من الْجَذْيِكِ وَالْعُذْيَقِ
للتعظيم على ما أثبت الكوفيون من ورود التصغير للتعظيم كقول لبيد :

فَوَيْقُ جُبَيْكِ شَامِخٍ لَنْ تَنَالَهُ بِهِمَّتِهِ حَتَّى تَكَلَّ وَتَعْمَلَا
وقيل للتقريب كما في بُنْيٍ وَأَخْيٍ . وقد تحصل في معنى الكلام بجملته أنه يقول : أنا
الذي يُرْجَعُ إليه في النائبات، وَيُتَمَسَّكُ بذيله في المُلِمَّاتِ، وَيُسْتَنْدُ إلى عقله في
الحوادث المُدْلَهِمَّاتِ، وَيُسْتَشْفَى بفضل رأيه في المعضلات المعوصات، كالجُذْيِكِ
الذي تَسْتَشْفِي بالاحتكاك به الابل ؛ وأنا لى أيضا عشيرةٌ يحفظونى ويؤوونى، وعصبة
ينصرونى ويمنعونى، كالنخلة الممتنعة برجبتها، الكريمة على أهلها إذ لا يَرْجَبُ من
النخل إلا الكرام كما مر . وقد علم اشتمال الكلام على مثلَيْن وليس مثلا واحدا ؛ إلا أنهما
يقرن بينهما كثير . وفي مقامات البديع قوله : حَتَّى إِذَا مَالَ الْكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ، وَجَرَّ
الْجِدَالَ بَيْنَنَا ذَيْلَهُ، قَالَ : أَصَبْتُمْ عُدَيْقَهُ، وَوَأَفَيْتُمْ جُذَيْلَةَ الْخِ . وقيل معنى
أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ : أَنَا صَاحِبُ رَهَانٍ . وَالْمُحَكَّكُ الْمُعَاوَدُ لَهَا، كَمَا قَالَ الرَّاجِزُ :
جِذْلُ رَهَانٍ فِي ذِرَاعَيْهِ حَدَبٌ (21)

أى السير ويقال أيضا . رَجَلٌ مُحَكَّكٌ : أَيْ مُجَرَّبٌ لِلْأُمُورِ بِصِيرٍ بِخَيْرِهَا وَسَرَّهَا . وَهُوَ مَدْحٌ
فِي الرِّجَالِ، ذَمٌّ فِي النِّسَاءِ قَالَ الْحَمَاسِيُّ :

لَا تَنْكِحَنَّ الدَّهْرَ مَا عِشْتَ أَيَّمَا مُجَرَّبَةٍ قَدْ مَلَ مِنْهَا وَمَلَّتْ
ويقال أيضا : أَنَا جُحَيْرُهَا الْمُرَّابُّ، وَعُدَيْقُهَا الْمُجَرَّبُ . وَالْجَحِيرُ تَصْغِيرُ جَحْرٍ وَهُوَ
الْغَارُ ؛ وَالْمُرَّابُّ الْمَقُورُ الْمَلْمَلَمُ، وَمَعْنَاهُ وَاضِحٌ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ.

(20) هو سويد بن صامت.

(21) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : وَإِنَّهُ لَجِذْلُ رَهَانٍ أَيْ صَاحِبُ رَهَانٍ ؛ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، وَأَنْشَدَ :
هَلْ لَكَ فِي أَجُودِمَا قَادَ الْعَرَبِ هَلْ لَكَ فِي الْخَالِصِ غَيْرَ الْمُؤْتَشَبِ
جِذْلُ رَهَانٍ فِي ذِرَاعَيْهِ حَدَبٌ أَزَلَّ إِنْ قِيدَ، وَإِنْ قَامَ نَصَبٌ
يقول : إِذَا قَامَ رَأْيُهُ مُشْرِفَ الْعِنَقِ وَالرَّاسِ.

أَنَا كَلِيفٌ، وَأَنْتَ صَلِيفٌ، فَكَيْفَ نَأْتَلِفُ ؟

الْكَلِيفُ بَفَتْحَتَيْنِ العشق والولوع بالشيء . يقال : كَلِيفَ الرجل بكذا يَكْلِفُ به بالكسر في الماضي، فهو كَلِيفٌ كَكَتِف . وَالصَّلِيفُ بَفَتْحَتَيْنِ : عدم الخطوة . يقال : صَلِيفَتِ المرأة بالكسر إذا لم تكن لها مكانة عند زوجها ولا قدر وأبغضها، فهي صَلِيفَةٌ وَهْنٌ صَلَائِفٌ . قال القطامي يذكر امرأة :

لَهَا رَوْضَةٌ فِي الْقَلْبِ لَمْ تَرَعْ مِثْلَهَا

فَرُوكٌ وَلَا الْمُسْتَعْبِرَاتُ الصَّلَائِفُ

ويقال للمرأة : أَصْلَفَ اللَّهُ رُفْعَكَ أَيِ بَغَضَكَ الى زوجك . وَالصَّلَفُ أَيضاً التَّكَلُّمُ بما يكرهه صاحبك، والتَّمْدُحُ بما ليس عندك، ومجاورة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا . وهذا المثل يضرب أيضاً للمتباينين في الأخلاق كالذي تقدّم .

أَنَا أَتْلَوْصُ قَبْلَ أَنْ أُرْمَى .

التَّلَوَّصُ بالصاد المهملة : التلوي والتقلب، والأصه : أداره . والرمي معروف . وأعلم أن العقلاء من حكماء الفلاسفة والعرب وضعوا حكماً كثيرة وأمثالا جمّة على السنة الجمادات والحيوانات العجاواات باعتبار حالها تعليمًا للناس وارشادًا لهم الى مصالحهم معاشًا ومعادًا، وذلك من قبيل التمثيل الذي ذكرناه من قبل . وسيأتي في هذا الكتاب إن شاء الله كثير من هذا النوع، فكان من ذلك أن قالوا : إن الغراب وصّى ابنه فقال له : يَا بُنَيَّ، إِذَا رُمِيتَ فَتَلَوَّصْ، أي انحرف لئلا تُصاب فقال : يَا أَبَتِ، أَنَا أَتْلَوْصُ قَبْلَ أَنْ أُرْمَى يضرب في التحرز من الشيء وأخذ الحذر منه قبل كيئنتونته .

أَنَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَالِجُ بَنُ خَلَاوَةٍ .

فَالِجٌ بالفاء والجيم، على صيغة فاعل : اسم رجل من أشجع، وهو فالج بن خلاوة بفتح الخاء المعجمة بن سُبَيْع بن بَكْر بن أَشْجَع . وكان فالج هذا قيل له يوم الرِّقْمِ إِذْ قَتَلَ أَنْيْسُ الاسْرَى : أَتَنْصُرُ أَنْيْسًا ؟ فقال : إِنِّي مِنْهُ بَرِيءٌ . وَيَوْمَ الرِّقْمِ يَوْمٌ مِنْ أَيامِهِمْ، فَقَدِ فِيهِ فَرَسُ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ، فَبَقِيَ لِكُلِّ خَلِيٍّ مِنْ أَمْرِ مُتَبَرِّئٍ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ : أَنَا مِنْهُ فَالِجُ بَنُ خَلَاوَةٍ أَي أَنَا مِنْهُ خَلَاءٌ بَرِيءٌ بِمَنْزِلَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ .

أَنَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ كَحَاقِنِ الْإِهَالَةِ.

الحقن : الحبس . يقال : حقن اللبن في السقاء إذا جمعه وخط حليبه برائبه كما مرّ، وحقن البول : أمسكه، وحقن دمه : منعه من القتل . وكلُّ شيء أمسكته وحبسته فقد حقنته . والاهالة : الودك، وهو الشحم أو ما أذيب منه، أو الزيت وما يؤتدم به، فيقال : أنا من هذا الأمر كحاقنِ الاهالة، أي عالم به خير بحاله، لأنه لا يحقن الاهالة في السقاء إلا من يعلم أنها بردت لئلا يحترق السقاء بها.

أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ.

الانذار : الابلاغ مع تخويف، والاسم النذُر. قال تعالى : فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ . والنذير فعيل بمعنى مفعّل أي مُنذِر . ويكون النذير أيضا بمعنى الانذار، والقصد هنا الأول . والعريان معروف . يقال : عري الرجل بالكسر يعري عرَاء فهو عُرْيَان بضم العين وعار ؛ وجمع العريان عُرْيَانُونَ، وجمع العاري عرأة . وهذا المثل ورد بهذا اللفظ في الحديث من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مثل قديم للعرب يقال عند الانذار بقرب العدو مع المبالغة في الانذار . وأصله أن النذير الجاد المغووث يتعرى من ثوبه فيمسكه بيده ويشير به ويكلمع لتسبيق رؤية الثوب سماع صوته، وإنما ذلك عند قرب العدو وهجومهم، فكان مثلا عند الجد والتشهير في الانذار بكل أمر هائل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لقومه : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ بِالْوَادِي خَيْلًا تُصَبِّحُكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟ فقالوا : ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ مِنْ كَذِبٍ . فقال : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وقال صاحب الروض⁽²²⁾ في قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ إن وجه ارتباطه مع قوله تعالى : قُمْ فَأَنْذِرْ أن الانذار من أوصافه صلى الله عليه وسلم التي وصف بها نفسه بقوله : أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ . ومعلوم أن الانذار على هذا الشعار مخالف للتدثر بالثياب، فكان فيه من التطابق والالتئام مالا يخفى . وهو حسن ظاهر . ويقال أصل المثل في رجل من خثعم أخذه العدو وسلبوه ثيابه وقطعوا يده . فجاء قومه منذرا على تلك

(22) يقصد الروض الأنف للامام السهيلي.

الحال . ويقال إنه في يوم ذي الخَلَصَة حمل عليه عَوْفُ بنُ عامر فقطع يده ويد امرأته والله أعلم .

أَنْتَ شَوَّلَةُ النَّاصِحَةِ

شَوَّلَةُ بفتح الشين المعجمة فسكون : أمةٌ كانت لِعَدُوٍّ وَأَنْ، وكانت رَعْنَاءَ حمقاء، فكانت تَنْصَحُ لمواليها فتعودُ نصيحتُها شرًّا عليهم ووبالا لحمقها . فضرَبَ بها المثلُ لكل ناصحٍ أحقَّ يقال له : أَنْتَ شَوَّلَةُ النَّاصِحَةِ، أي بمنزلة تلك الأمة.

أَنْتَ صَاحِبَةُ النَّعَامَةِ .

النعام واحد النعَام المعروف . وصاحبة النعام امرأة من العرب وجدت ذات يوم نعامة غَصَّتْ بِصُعْرُورٍ، وهو صَمْعَةٌ، فأخذتها وربطتها بخمارها الى شجرة، وقد منعته الغصّة أن تهرب . فذهبت المرأة الى الحي فهتفت بهم وجعلت تقول : من كان يحفنا ويرفنا فليترك، أي مَنْ كان يُحسن إلينا ويلطف بنا فليقطع ذلك عنا . ثم قَوَّصَتْ خيمتها لتحمل على النعام . فجاءت إليها فوجدتها قد أساغت غُصَّتَهَا وفَرَّتْ فبقيت المرأة لا هي بالنعام ظفِرت، ولا بنصيبتها من الناس تَمَسَّكَتْ، فيضرب بها المثلُ ويقال : أنت صاحبة النعام، أو كصاحبة النعام عند التشنيع على من وثِقَ بغير ثِقَةٍ واغترَّ بغير طائل . وفي معنى هذه القصة ما تحكي العامة اليوم في الخرافات أن رجلاً وجد أرنباً في فلاة قد نامت فجاء يشتدّ حتى انتهى الى الحي فصاح بهم : ألا إنّنا قد قطعنا التذوّيقَ فيما بيننا، وهو ما يتهاداه الجيران فيما بينهم من نحو الفاكهة واللحم واللبن، وجعل يقول : قد قطعناه، حتى أسمع الناس ذلك وأسمعه مثله . فرجع فوجد الأرنب قد هبَّتْ من نومها وذهبت .

أَنْتَ غَيْرِي نَغِيرَةٍ

يقال : غار الرجل على امرأته يغار غَيْرًا وَغَيْرَةً بالفتح وغارًا، فهو غَيُورٌ وهم غَيْرٌ، وهو غَيْرَانٌ وهم غِيَارِيٌّ وَغِيَارِيٌّ، ورجلٌ مِغْيَارٌ، وقوم مِغْيَارِيٌّ ؛ وغارت المرأة تغار، فهي غَيُورٌ وَغَيْرِيٌّ، وهنَّ غِيَارِيٌّ وَالنَّغِيرَةُ : التي تَغْلِي من الغيرة كما تَنْغِرُ القِدْرُ أي تَغْلِي . يقال : نغِر الرجل بالكسرة إذا اعتاظ وغلِي جوفه من

الغيظ، فهو نَغِير وهي نَغِيرَة . فيقال هذا عند اشتداد الغيرة . ويحكى أن امرأة جاءت عليا كرم الله وجهه فذكرت أن زوجها يطأ جاريته، فقال : إن كُنْتُ صادقة رجمناه، وإن كنت كاذبة جلدناك، فقالت : رُدُونِي إلى أهلي غَيْرِي نَغِيرَة !

قيل : وأول من نطق بهذا المثل عمرو بن المنذر الذي يقال له عمرو بن أمامة، وهو الذي قتلته مراد في قضيب، وذلك أن أباه المنذر بن امرئ القيس كان تزوج هند بنت الحارث ابن أكل المرار الكندي، فولدت له عمرا، وهو الذي يقال له عمرو بن هند، والمنذر بن المنذر، وملك بن المنذر، وقابوس بن المنذر، وكان ملك أصغرهم . فلما كبرت هند عند أبيهم المنذر أعجبه بنت أخيها أمامة بنت سلمة بن الحارث، فطلق هنداً وتزوج أمامة فولدت له أمامة عمرو بن المنذر الذي يقال له عمرو بن أمامة . ثم إن المنذر جعل الأمر من بعده لابنه عمرو بن هند، ثم لقابوس، ثم للمنذر، ولم يجعل لعمرو بن أمامة شيئا . فكان ذلك سبب وقوع الشر بينه وبين إخوته لأبيه . فتملك عمرو بن هند الخوزنق والسدير، وجعل لأخيه قابوس البدو، فغضب عمرو بن أمامة وذهب نحو اليمن يطلب النصرة على إخوته، وقال في ذلك يخاطب عمرو بن هند :

ألا بن أمك مابداً ولك الخوزنق والسدير
فلأمنعن منابت الضمر أن إذ منم القصور
بكتائب تردّي كما تر دري إلى الجيف النسور
إنّا بني العلاّات نقضى دون شاهدينّا الأمور

والضممر أن يفتح الضاد : نبت من نبات البادية ؛ والرديان : الجري يقال : ردت الخيل تردّي إذا جرت ؛ وأبناء العلاّات : أبناء أمهات شتى ؛ وأبناء الأعيان : أبناء أم واحدة . ثم إن عمرو بن أمامة لحق باليمن وتبعه ناس من قيس عيلان وغيرهم، فأتى ملكها يطلب منه جنداً ليقاتل أخاه على نصيبه من الملك . فقال له الملك : من أحببت، فاختر مراداً، فسيّرهم الملك معه . فلما انتهوا معه إلى وادٍ يقال له قضيب تلاً ومّت مراداً فيما بينها وقالوا : كيف تتركون أموالكم وعشائركم وبلادكم وتتبعون هذا الأنكر ؟ فقام

هُبَيْرَةُ بْنُ عَبْدِ يَعْنُوثَ، وهو سيد مراد إذ ذاك، فتمارض وشرب ماءَ الرُّفَةِ وهي شجرة هناك، فاصفرَّ لونه. فبلغ عمرو أن هُبَيْرَةَ مريض، فبعث إليه طبيباً، فجاءه الطبيب وقد شرب المغرة وجعل يَمْجُئُهَا لما دخل عليه الطبيب. فأحمى الطبيب مَكَوِيَهُ وجعلها على بطنه، فقال له : أصبت موضع الداء ! وجعل يكويه حتى كَشَحَ بَطْنَهُ بالنار، وهو يريه أنه لا يَجِدُ مَسَّهَا، وبذلك سمي صُبَيْرَةُ المَكْشُوح. فرجع الطبيب الى عمرو وقال : وجدته مريضاً ورأيت أنه لا يُحِسُّ بالنار. فلما اطمأن عمرو بن أمانة صار إليه المَكْشُوح (في قومه) من تلك الليلة وثأر به. فلم يشعر حتى أحاطوا به، وكان عمرو تلك الليلة مع بعض حظايه . فلما سمعتُ أمُّ ولده الغَسَّانِيَّةُ جَلْبَةَ الخيل قالت : أيُّ عمرو، أَتَيْتَ ! وقالت : سَأَلَ قَضِيْبٌ حَديداً، أو جاءتك مرادٌ وفُوداً، فذهبت مثلاً . فقال لها عمرو : أَنْتِ غَيْرِي نَغْرَةَ، أي إنك إنَّما قلت ذلك غيرةً منكِ عليّ، فذهبت مثلاً . ومَرَّ به قطيع من القطا فقالت : يا عمرو أَتَيْتَ ! لَوْ تَرَكَ الْقَطَا لَنَامَ، فذهبت مثلاً . فلما انتهوا إليه وثأروا إليه، ثار إلى سيفه فخرج عليهم وهو يقول :

لَقَدْ عَرَفْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ إِنَّ الْجَبَانَ حَتَفُهُ مِنْ فَوْقِهِ
كُلُّ أَمْرٍ مَقَاتِلٌ عَنْ طَوْقِهِ كَالثَّوَرِ يَحْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ

فزعوا أنه لقيه غلام من مراد يقال له الجُعَيْدُ أو تَمِيمُ بْنُ الجُعَيْدِ، وقد كان عمرو قال فيه : نِعْمَ وَصِيفُ الْمَلِكِ هَذَا ! فقال الغلام :

أَيُّ وَصِيفَ مَلِكٍ تَرَائِي؟ أَمَا تَرَائِي رَابِطَ الْجَنَانِ؟
أَفْلِيهِ بِالسَّيْفِ إِذَا اسْتَفْلَانِي أَجِيبُهُ لَبَّيْكَ إِذْ دَعَانِي

رَوَيْتُ مِنْهُ عِلْقًا سِنَانِي

ثم ضربه فقتله، فتفرق عنه الناس، ورجعت مرادٌ الى اليمن فأقبل الغلام الذي قتله بالغَسَّانِيَّةِ وبابنيه وهما غلامان، فبلغ الى عمرو بن هند، فقال له : أيها الملك، إني سترت عورتك، وقتلت عدوك . فقال له عمرو : إن لك لخباء⁽²³⁾ أنت له أهل . اضرموا له نارا واقدفوه فيها ! فقال الغلام : أيها الملك إني كريم، فليَطْرَحْنِي فيها كريم فإن لي حسبا

(23) في 1 : (الخباء) بالخاء المعجمة

فأمر عمرو بن هند ابنه وابن أخيه أن يتوليا ذلك، فانطلقا به . فلما دَنَوْا من النار، مَسَحَ
شِرَاكَ نَعْلَيْهِ فَقَالَا : ما دعاك الى مسح نعلك، وأنت مطروح في النار ؟ فقال : أحببت ألا
أدخل النار إلا وأنا نظيف . ثم قال :

الْخَيْرُ لَا يَأْتِي بِهِ حُبُّهُ
وَالشَّرُّ لَا يَنْفَعُ مِنْهُ الْجَزَعُ

ثم قذف بنفسه وبهما معاً، فاحترقا جميعا . وفي ذلك يقول طرفة ينعى عمرو بن أمية الى
أخيه :

أَعْمَرُو بَنَ هِنْدٍ مَا تَرَى رَأْيَ مَعْشَرٍ
أَفَاتُوا أَبَا حَسَّانَ جَارًا مُجَاوِرًا
فإِنَّ مُرَادًا قَدْ أَصَابُوا جَرِيمَةً
جَهَارًا وَأَضْحَى جَمْعُهُمْ لَكَ وَاتِرًا
دَعَا دَعْوَةً إِذْ شَكَّتِ النَّبْلُ صَدْرَهُ

أَمَامَةً وَاسْتَعْدَى هُنَاكَ مَعَاشِرًا
فَلَوْ أَنَّهُ نَادَى مِنَ الْحِصْنِ عُصْبَةً
لَالْقَوَا عَلَيْهِ بِالصَّعِيدِ الشَّرَاشِيرَا
وَلَوْ خَطَرْتَ أَبْنَاءَ قُرَّانَ حَوْلَهُ
لَأَضْحَى عَلَى مَا كَانَ يَطْلُبُ قَادِرًا
وَلَوْ شَهِدْتَهُ تَغْلِبَ بِنْتُ وَائِلٍ

لَكَانُوا لَهُ عِزًّا عَزِيزًا وَنَاصِرَا
وَلَكِنْ دَعَامِنْ قَيْسٍ عَيْلَانَ عُصْبَةً
يَسُوفُونَ فِي أَعْلَى الْحِجَازِ الْبَرَائِرَا
أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا
يَبْطِنُ قَضِيبٍ عَارِفًا وَمُنَاكِرَا
يُقَسِّمُ فِيهِمْ مَالَهُ وَقَطِينَهُ

فِيَامَا عَلَيْهِ بِالمَالِي حَوَاسِرَا

أُنِفْتُ لَهُ عَلَى عِدَاوَةٍ بَيْنَنَا وَقُلْتُ قَتَيْكَ مَا قَتَيْكَ بِحَائِرًا
 قوله : أَفَاتُوا أَبَا حَسَانَ، أَيِ أَهْلَكُوهُ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ أَمَامَةَ . وقوله : اسْتَعْنَدِي أَيِ
 اسْتَنْصَرُ ؛ وَالْحِصْنُ : ثَعْلَبَةُ بْنُ غُكَّابَةَ : وَالشَّرَاشِرُ : الْمَحَبَّةُ . يُقَالُ : أَلْقَى
 عَلَيْهِ شَرَاشِيرَهُ إِذَا أَحْبَبَهُ ؛ وَأَبْنَاءُ قُرَّانٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، أَيِ أَهْلِ قُرَّانٍ، وَهِيَ قَرْيَةٌ
 بِالْيَمَامَةِ وَالْبَرَاءِثِ جَمْعُ بَرِيرَةٍ، وَهِيَ ثَمَرُ الْأَرَاكِ ؛ وَيَسُوفُونَ : يَسْمُونُ، وَمِنْهُ
 الْمَسَافَةُ، لِأَنَّ الدَّلِيلَ رُبَّمَا تَحِيرَ فَشَمَّ التَّرَابَ لِيَعْلَمَ أَعْلَى قَصْدِهِ هُوَ أُمُّ عَلَى جُورٍ . يَقُولُ
 إِنَّهُمْ قَوْمٌ ضَعَافٌ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الْأَرَاكِ . وَيُرَوَّى : يَسُوفُونَ، أَيِ يَبْتَلَعُونَ ؛ وَالْمَالِي
 جَمْعُ مَيْلَةٍ، وَهِيَ خَرَقَةٌ تَكُونُ مَعَ النَّائِثَةِ ؛ وَبَحَائِرُ : اسْمٌ لِمَرَادٍ .

إِنْ جَرَجَرَ الْعَوْدُ فَزَدَهُ وَقَرَأَ .

الْجَرْجَرَةُ : صَوْتُ يَرِدُّدُهُ الْبَعِيرُ فِي حَنْجَرَتِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ تَشَكُّيهِ مِنَ الْحَمْلِ وَضَجَرِهِ
 وَتَضَرُّرِهِ . قَالَ الرَّاجِزُ :

جَرْجَرَ لَمَّا عَضَّهُ الْكَلْبُوبُ

وَقَالَ الْآخَرُ : جَرْحَرَ فِي حَنْجَرَةٍ كَالْجُبِّ .

وَالْعَوْدُ : الْمُسْنُ مِنْ الْأَبْلِ . قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

وَإِنِّي زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمْلَكًا بَيْسِيرٍ تَرَى مِنْهُ الْفُرَانِقَ أَزُورًا

عَلَى لَا حِبِّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيَّ جَرْجَرًا

يَقُولُ إِنَّ هَذَا الطَّرِيقَ إِذَا اسْمَهُ الْعَوْدُ مِنَ الْأَبْلِ ضَجٌّ مِنْهُ، فَكَيْفَ بَغْيِهِ . وَالزِّيَادَةُ مَعْرُوفَةٌ .

وَالْوَقْرُ بِالْكَسْرِ : الْحَمْلُ . وَيُرَوَّى : إِنْ جَرْجَرَ فَزَدَهُ ثِقَلًا، وَالثَّقَلُ مَعْرُوفٌ .

وَالْمَعْنَى : إِنْ ضَجَّ بَعِيرُكَ وَتَشَكَّى مِنْ ثِقَلِ حَمْلِهِ، فَزَدَهُ ثِقَلًا آخَرَ وَلَا تَلْتَفَتِ إِلَى ضَجَرِهِ .

يُضْرَبُ عِنْدَ الْأَمْرِ بِاللَّاحِمِ فِي سَوَالِ الْبَخِيلِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ .

إِنْ ذَهَبَ عَيْرٌ فَعَيْرٌ فِي الرَّهْطِ .

الذَّهَابُ مَعْرُوفٌ . وَالْعَيْرُ بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ : الْحِمَارُ ؛ وَعَيْرُ الْقَوْمِ : سَيِّدُهُمْ، وَهُوَ

الْمَقْصُودُ هُنَا . وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ .

الْإِنْسَاسُ قَبْلَ الْإِبْسَاسِ .

الْأَنْسُ ضِدُّ الْوَحْشَةِ ؛ وَأَنْسَتُ الرَّجُلُ تَأْنِيَسًا، وَأَنْسَتُهُ إِيْنَاسًا .

والابْسَاسُ عند الحَلْبِ أن يقال للناقَة : بس، [بس] (24) وهو صَوِيْتُ للرّاعي يقول لها ذلك لِتَدُرَّ للحالب، فيقال : أَبَسَ بِالنَّاقَةِ يُبَسُّ ابْسَاسًا فهو مُبَسٌّ . قال الشاعر :

فَلَحَى اللَّهَ طَالِبَ الصُّلْحِ مِنَّا مَا أَصَابَ الْمُبَسَّ بِالْدَهْمَاءِ
وناقَةٌ بَسُوسٌ : لا تَدُرُّ إلا على الابْسَاسِ

والمعنى أن الناقَة لا ينبغي أن يُبَسَّ بها حتى تؤنَّس قبل ذلك ويُتَلَطَّفَ لها، فيضرب في أن الانسان ينبغي ألا يكلف امرأً أو يسأل حاجة حتى يتقدم إليه بتأنيسٍ ماليٍّ أو فعليٍّ أو قولِيٍّ . قال الشاعر :

وَلَقَدْ رَفَقْتُ فَمَا حَظِيْتُ بِطَائِلٍ لَا يَنْفَعُ الْاِبْسَاسُ بِالْاِيْنَاسِ !
ودخل العَتَّابِيُّ على الرَّشِيدِ فقال له : تَكَلَّمْ يَا عَتَّابِيَّ ! فقال : الْاِيْنَاسُ قَبْلَ الْاِبْسَاسِ ! لا يُدْمِحُ الْمَرْءُ بِأَوَّلِ صَوَابِهِ، وَلَا يُذَمُّ بِأَوَّلِ خَطِيئِهِ (25) لَأَنَّهُ بَيْنَ كَلَامِ زَوْرَةٍ، وَعَيٍّ حَصْرَةٍ . انتهى.

إِنْ أَعْيَى فَرَزُودُهُ نَوْطًا.

الاعْيَاءُ : الكَلَالُ فِي الْمَشْيِ . يقال : أَعْيَى الْمَاشِي إِعْيَاءً إِذَا كَلَّ، وَعَيَّى الرَّجُلُ بِأَمْرِهِ عَلَى مِثَالِ رَضِيٍّ، وَيُدْنِمُ : إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لَوَجْهِهِ أَوْ عَجَزَ عَنْهُ وَلَمْ يُطِيقْ إِحْكَامَهُ . وَعَيَّى أَيْضًا فِي مَنْطِقِهِ إِذَا حَصَرَ . وَالنَّوْطُ بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الْوَاوِ : جُلَّةٌ صَغِيرَةٌ يُجْعَلُ فِيهَا التَّمْرُ وَتُعَلَّقُ عَلَى الْبَعِيرِ . قَالَ النَّابِغَةُ الذِّبْيَانِي يَصِفُ قِطَاةً :
حِذَاءُ مُدْبِرَةٍ سَكَاءُ مُقْبِلَةٍ لِلْمَاءِ فِي النَّحْرِ مِنْهَا نَوْطَةٌ عَجَبُ
وَأَصْلُ النَّوْطَةِ مِنَ النَّوْطِ، وَهُوَ التَّعْلِيقُ . يُقَالُ : نَطَطْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ، أَيِ عُلَّقْتَهُ بِهِ .
وَالْمَعْنَى أَنَّ بَعِيرَكَ إِذَا أَعْيَى، فَزِدْ عَلَيْهِ تَعْلِيقًا آخَرَ . وَهَذَا الْمَثَلُ هُوَ كَالَّذِي تَقْدِمُ : إِنْ جَرَّجَرَ فَرْدَهُ ثِقَلًا مَعْنَى وَمَضْرِبًا.

(24) لم يكرر في ب.

(25) في ب : (خطابه) بدل خطئه

أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ .

الأنف معروف ؛ والجَدْعُ بالذال المهملة : القَطْعُ في الأنف . تقول : جدعت الرجل فهو أجدع، وهو ذو جدْع بفتححتين.

والمعنى أن أنفك منك، فلا يمكنك مفارقتة ومباعدته وإن كان به عيب وشين . فيضرب في استعطافك صاحبك على ذوبي قرابتك، وحثك إياه على وصلهم وتحمل ما بهم وأن يلمهم على شعثهم، ولا يصارهم كما لا يصارم أنفه المتصل به.

قيل : وأول من نطق بهذا المثل قُنْفُذ بن جَعُونَةَ المازني، وذلك أن الربيع بن كعب المازني دفع الى أخيه كُمَيْشَ فرساً من عِتَاق الخيل ليأتي به أهله . وكان كميث أحق وأنوك . وكان عندهم رجل من بني مالك يقال له قُرَادُ بْنُ جَرْمٍ قدم عليهم ليُصِيبَ منهم غِرَّةً، وكان داهية [فمكت] فيهم لا يعرفون نسبه . فلما رأى كميثاً ركب الفرس، ركب هو ناقته ثم عارضه فقال له : يا كميث، هل لك في عَانَةٍ لَمْ تَرَ مِثْلَهَا ومعها عَيْرٌ من ذهب، أمّا الأتان فتروح بها على أهلك، فتفرح بها صدورهم، وتمتلىء قدورهم، وتشبع خصورهم، وأمّا العَيْرُ فلا افتِقَارَ بعده . فقال كُمَيْشُ : فكيف لنا به ؟ فقال له قُرَادُ : أنا لك به، ليس يُدْرِكُ إلا على فرسك . قال : فدُونْكَه ! قال : نعم ! وأمسِكْ أنتَ على راحلتي وانتظرني في هذا المكان . وركب قرادُ الفرس . فلما توارى عنه أنشأ يقول :

ضَيَّعْتَ فِي الْعَيْرِ ضَلَالاً مُهْرَكَ فَسَوْفَ تَأْتِي بِالْهَوَانِ أَهْلَكَ
وَقَبْلَ هَذَا مَا خَدَعْتَ الْانُوكَا

وبقي كميث هناك ينتظره حتى أمسى، فانصرف الى أهله وقال في نفسه : إن سألني أخي عن الفرس قلت له تحوّل ناقة فلما قدم على أخيه قال له : أين الفرس ؟ فقال : تحوّل ناقة . فعلم أخوه أنه قد خُدِعَ وجعل يضربه . فقال عند ذلك قُنْفُذُ بْنُ جَعُونَةَ له : اله عَمَّا فاتك، فَإِنَّ أَنْفَكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ ! وأتى قرادُ أهله بالفرس وقال في ذلك :

رَأَيْتُ كُمَيْشًا نُوْكُهُ لِي نَافِعُ وَلَمْ أَرَ نُوْكًا قَبْلَ ذَلِكَ يَنْفَعُ
وَقُلْتُ لَهُ أَمْسِكْ قَلُوصِي وَلَا تَرَمْ خِدَاعًا لَهُ مِنِّْي وَذُو الْكِيدِ يَخْدَعُ

فَأَصْبَحَ يَرْمِي الْخَافِقِينَ بِطَرْفِهِ وَأَصْبَحَ تَحْتِي ذُو أَفَانِينَ جُرْشُعٌ⁽²⁷⁾
ومثلُ هذا المثل قولهم : مِنْكَ رِبْضُكَ وَإِنْ كَانَ سَمَارًا⁽²⁸⁾، وسيأتي بيانه في محله
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

إِنْ كُنْتُ رِيحًا فَقَدْ لَا قِيَتْ إِعْصَارًا.

الريح معروفة جمعه رياح وأرواح . قال :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ بِهِ أَهْلُ مَيٍّ هَاجَ قَلْبِي هُبُوبُهَا
ويقال أيضا أرياح . والاعصار بكسر الهمزة : ريحٌ تثير غباراً يرتفع الى السماء عموداً، أو
ريح تهب بشدة فيما بين السماء والأرض . قال تعالى : فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ
فَاحْتَرَقَتْ، وجمعه أعاصير . قال الشاعر :

وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعَفُّوهُ الْأَعَاصِيرُ
وقال حارثة بن بدر يَرثِي زِيَادًا، وقد مات بالكوفة ودفن بالثَّوِيَّةَ :
صَلَّى إِلَهُ عَلَى قَبْرِ وَطْهَرَهُ عِنْدَ الثَّوِيَّةِ يَسْفِي فَوْقَهُ الْمَوْرُ

زَقَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ نَعَشَ سَيِّدِهَا فَتَمَّ كُلُّ التَّقَى وَالْبِرِّ مَقْبُورٌ⁽²⁹⁾
أَبَا الْمُغِيرَةِ وَالْدُنْيَا مُفْجَعَةٌ وَإِنَّ مَنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لَمَغْرُورٌ
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ⁽³⁰⁾

وَكَانَ عِنْدَكَ لِلنَّكَرَاءِ تَنْكِيرٌ
وَكُنْتُ تَغْنَشِي وَتُعْطِي الْمَالَ مِنْ سَعَةٍ

إِنْ كَانَ بَيْتُكَ أَضْحَى وَهُوَ مَهْجُورٌ⁽³¹⁾

(27) حرفت جرشع فكتبت بالخاء في ب

(28) المعروف هو تقديم ربضك على منك.

(29) أورد الحصري في زهر الآداب هذا البيت هكذا :

تَهْدِي إِلَيْهِ قُرَيْشٌ نَعَشَ سَيِّدِهَا

(30) في زهر الآداب : قَدْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْمَعْرُوفِ عَارِفَةٌ

(31) رواية زهر الآداب :

وَكُنْتُ تَغْنَشِي فَتُعْطِي الْمَالَ مِنْ سَعَةٍ

وبعده :

وَلَا تَلِينَ إِذَا عَوَسِرْتَ مُعْتَسِرًا

لَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ مِنْ غِيَّتِ فِتْنَتَهُمْ

انظر زهر الآداب، 2 : 914 وما بعدها.

النَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ

كَأَنَّمَا نَفَخْتَ فِيهَا الْأَعْصِيرُ

والمعنى إن كنتَ مثلَ الريح في الشدة والقوَّة، فقد لا قِيَّتَ من هو مثلكُ الأعصار الذي هو أشدُّ الريح وأقواها .

يُضْرَبُ للرجل يكون صُلْبًا جَلْدًا فيصَادِف من هو أقوى منه وأشدَّ، وهو ظاهر.

إِنْ كُنْتَ ذَا طِبٍّ فَطِبٍّ لِعَيْنَيْكَ

الطِّبُّ مثلثة الطاء : علاجُ الجسم . والطِّبُّ أيضا : الرِّفْقُ والسحر . ولفظ طِبٍّ في

المثل كذلك مثلث الطاء في الموضعين، والمعنى ظاهر . وفي نحوه قيل :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ

هَلَا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنَ اللَّهِ يُمْضِيهِ .

يُتَمَثَّلُ به كثيرا، وهو من كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم . قال لعائشة :

أَرَيْتُكَ أَوْ رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَقِيلَ لِي هَذِهِ زَوْجُكَ،

فَقُلْتُ إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِيهِ⁽³²⁾، أو كما قال صلى الله عليه

وسلم .

إِنْ لَا حَظِيَّةَ فَلَا أَلِيَّةَ⁽³³⁾

الحُظُوءَةُ : المَكَانَةُ كما [مر] يقال : حَظِيَّتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ زَوْجِهَا بِالْكَسْرِ تَحْظَى

حُظُوءَةً وَحِظَةً فَهِيَ حَظِيَّةٌ وَهِنَّ حَظَايَا ضِدَّ صَلَفَتْ . وَالْأَلُو : التَّقْصِيرُ .

يقال : أَلَا فِي هَذَا الْأَمْرِ يَأْلُو الْأَوَّاءُ وَالْيَاءُ، وَائْتَلَى إِذَا قَصَرَ فِيهِ وَأَبْطَأَ، فَهُوَ

أَلٍ وَمُئْتَلٍ . قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ :

وَمَا الْمَرْءُ مَا دَامَتْ حُشَّاشَةٌ نَفْسِهِ

بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ الْخُطُوبِ وَلَا أَلٍ

يُضْرَبُ هَذَا الْمَثَلُ فِي مَذَارَاةِ النَّاسِ وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِمْ . وَالْمَعْنَى أَنَّكَ إِنْ أَخْطَأْتَكَ

(32) ورد هذا الحديث في نهاية ابن الأثير بلفظ : قَالَ لَهَا رَأَيْتُكَ يَحْمِلُكَ الْمَلِكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ .

(33) ورد هذا المثل في لسان العرب بادغام النون في اللام : إِلَّا

الحُظوة فيما تريد، فلا تَأَلْ جُهْدًا ولا تَزَلْ مجتهدًا متوددًا للناس حتى تستدرك ما فاتك مما تطلب . وأصله في المرأة أنها إن لم تحظ عند زوجها فلا ينبغي لها أن تقصّر في طلب الحظوة حتى تنالها .

قيل : وأصله أن رجلا كانت لا تحظى عنده امرأة^{٣٤}، فتزوج امرأة فلم تأل جهدًا في أن تحظى عنده، فلم يقنعه ذلك وطلقها، فقالت ذلك أي : إن لَمْ أَحْظَ عِنْدَهُ فَإِنِّي لَمْ أَقْصِرْ، فصار مثلًا في كل من اجتهد في أمر لئلا له وتعذر وهو لم يقصّر في طلبه والسعي فيه .

وأعلم أنه يقال في المثل بالنصب والرفع بحسب تقدير المحذوف، فَمَنْ نَصَبَ فَمَعْنَاهُ باعتبار الأصل إن لا أكنْ عندك أيها البعل حظيةً فلا أكون أليّةً في الحظوة بتحسين خَلْقِي وخلقِي حتى أدركها . ومن رَفَعَ فَلَهُ وجهان : أحدهما أن تكون الحظية مصدرًا لا وصفًا . والمعنى إنْ أخطأتني الحظوة عندك فلا أكون أليّةً في طلبها أو فلا يقعُ مني أَلُوٌ وتقصير . الثاني أن تكون الحظيةً وصفًا على بابها إلا أنها راجعة إلى غير القائلة، والمعنى : إن لا تكن لك في الناس حظيةً تحظى عندك فأنا لا أكون أليّةً في طلبها حتى أنالها منك، أو نحو هذا من التقادير التي يصح بها المعنى، كما يجري في نحو : إنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وإنْ سَيِّفًا فَسَيِّفٌ . وقد قُرِّرَ في النحو ما فيه من التقادير وما هو الأرجح منها وهو معروف .

إِنْ لَا أَكُنْ صَنَعًا فَإِنِّي أَعْتَثِمُ .

الصَّنَعُ : الحاذق الماهر . يقال : رجل صَنِيعٌ وصَنَعٌ بكسر فسكون، وصَنَعٌ

بفتحَتَيْنِ، ويروى بهما قول أبي ذؤيب :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُودُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تَبَعُ

وقال حسّان رضي الله عنه في الأخير :

أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي⁽³⁴⁾ قَلْبٌ يَوَازِرُهُ فِيمَا أَحَبَّ لِسَانَ حَائِكٍ صَنَعُ

ويقال : امرأة صَنَاعٌ، على مثال رَزَّان، ضدَّ الخرقاء . قال امرؤ القيس :

وَعَيْنٌ كَمِرَاقِ الصَّنَاعِ تَدِيرُهَا بِمَحْجَرِهَا مِنَ النَّصِيفِ الْمُتَقَبِّ

(34) في ديوان حسان ولسان العرب : مِدْحِي

والعَثمُ : الانجِبَارُ الفَاسِدُ . يقال : عَثَمَ العَظْمُ المكسورُ ، بالتاء المثلثة
المفتوحة ، أي انجبر على غير استواء ؛ وعَثَمْتُهُ أنا لازمٌ ومُتَعَدٌّ ؛ وعَثَمَتِ المرأةُ
المَزَادَةَ : خَرَزَتْهَا خَرَزًا غيرَ مُحْكَمٍ ؛ وأَعَثَمْتُهَا أيضًا . فمعنى المثلث : إن لم
أكن حاذقًا ماهرًا في هذا الأمر فأني أعملُ بقدر طاقتي ومعرفتي .

لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ .
يُتِمُّكَ بِهِ وَهُوَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ .

الْبُغَاثُ ، مثلك الباء الموحدة في أوله بعدها غين معجمة فثاء مثلثة : طيرٌ أغبر ؛
ويطلق على شرار الطير كلها ، ومالا يصيد منها . قال الشاعر :

إِذَا كَرَّ فِيهِمْ كَرَّةٌ أَفْرَجُوا لَهُ فِرَارَ بُغَاثِ الطَّيْرِ صَادِقُنْ أَجْدَلَا
وَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

وَتَرَى الْفَوَارِسَ مِنْ مَخَافَةِ رُمْحِهِ مِثْلَ الْبُغَاثِ خَشِينَ وَقَعَ الْأَجْدَلُ
وَقَالَ الْحَمَاسِيُّ :

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخًا وَأَمُّ الصَّقَرِ مِقْلَاتٌ نَزُورٌ
وسَيَأْتِي تَمَامُ هَذَا الشَّعْرِ فِي مَحَلِّهِ . وَاسْتَنْسَرَ : صَارَ نَسْرًا ، وَالنَّسْرُ : الطَّائِرُ الْمَعْرُوفُ .
وَسُمِّيَ نَسْرًا لِأَنَّهُ يَنْسُرُ اللَّحْمَ .

ومعنى المثل أن الضعيف من الناس إذا حلَّ بأرضنا ووقع في جوارنا عزَّ بنا وتقوَّى ،
كما أن الْبُغَاثَ الذي هو ضِعَافُ الطَّيْرِ إذا عاد نَسْرًا فَقَدْ تَقَوَّى . وقيل معناه : أن
الضعيف يَسْتَضْعِفُنَا وتظهر قوته علينا ، وعلى هذا إذا أريد الاقتخار قيل : إِنَّ الْبُغَاثَ
بِأَرْضِنَا لَا يَسْتَنْسِرُ .

ولشعر دُرَيْدٍ المذكور قصَّةٌ عجيبة رأيت أن أذكرها ، وهي أن دريدا خرج في فوارس
من قومه بني جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِوَادٍ لِبَنِي كِنَانَةَ رَفَعَ لَهُمْ رَجُلٌ فِي نَاحِيَةِ
الْوَادِي مَعَهُ ظُعِينَةٌ . فَلَمَّا رَأَاهُ دَرِيدٌ قَالَ لِفَارِسِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ : دُونَكَ فَصِيحٌ بِهِ : خَلَّ
الظُعِينَةُ وَانْجَبَ بِنَفْسِكَ ! فَلَحِقَهُ الْفَارِسُ فَصَاحَ بِهِ وَالْحَمْدُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَبَى أَنْ يَنْكَفَّ عَنْهُ

ألقى زمام الراحلة وقال للظعينة :

سِيرِي عَلَى رَسْلِكِ سَيْرَ الْأَمِينِ سَيْرَ رَدَاكِ ذَاتِ جَأَشٍ سَاكِنِ
إِنَّ انْثِنَائِي دُونَ قِرْنِي شَانِي أَبْلَى بِلَائِي وَاخْبِرِي وَعَايِنِي
ثم حمل على الفارس فطعنه طعنة جعلته كأمس الدأبير، وأخذ فرسه وأعطاه الظعينة .
فبعث دريد " فارسا آخر لينظر ما فعل صاحبه، فلما انتهى إليه فرأه صريعا صاح على الرجل
فتصامم عنه فظن أن لم يسمع فغشيه . فألقى الرجل زمام الراحلة الى الظعينة ورجع إليه
وهو يقول :

خَلَّ سَبِيلَ الْحُرَّةِ الْمَنِيْعَةِ إِنَّكَ لَأَقْرَبُ دُونَهَا رَبِيعَةٍ
فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ مُطِيعَةٍ أَوْ لَا فَخْذُهَا طَعْنَةٌ سَرِيعَةٍ
وَالطَّعْنُ مِنِّْي فِي الْوَعَى شَرِيعَةٍ

ثم حمل عليه فصرعه . فلما أبطأ الأمر على دريد بعث فارسا ثالثا لينظر ما صنعوا، فلما
انتهى إليهما رأهما صريعَيْن، ونظر إليه يقود ظعينته ويجر رُمَحَه فقال له : خَلَّ سَبِيلَ
الظعينة ! فقال الرجل للظعينة : اقصدي قصد البيوت ! ثم أقبل على الفارس فقال :
مَاذَا تُرِيدُ مِنْ شَتِيمِ عَابِسٍ، أَلَمْ تَرَ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ
أَرْدَاهُمَا عَامِلُ رُمَحٍ يَابِسٍ

ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رمحه . ثم إن دريدا ارتاب وظن أن الفوارس قتلوا الرجل وذهبوا
بالظعينة، فجاء حتى لحق بالرجل وقد دنا من الحي، ووجد أصحابه صرعى فقال له : أيها
الرجل، إن مثلك لا يُقْتَلُ، ولا أرى معك رمحا، والخيل ثائرة بأصحابها . فخذ رمحي هذا،
فإنني منصرف إلى أصحابي فمُتَّبِعُهُمْ عَنْكَ . فرجع دريد إلى أصحابه وقال لهم : إن
صاحب الظعينة قد حماها وقد قتل أصحابكم وانتزع رمحي ولا مطعم لكم فيه، فانصرفوا،
فقال دريد بن الصمّة :

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ حَامِي الظَّعِينَةِ فَارِسًا لَمْ يُقْتَلِ
أَرْدَى فَوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نُهْرَةً ثُمَّ اسْتَمَرَ كَأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلِ
مُتَهَلِّلًا تَبْدُو أَسْرَةً وَجْهِهِ مِثْلَ الْحُسَامِ جَلَّتْهُ كَفُّ الصَّيْقَلِ

يُرْجِي ظَعِينَتَهُ وَيَسْحَبُ ذَيْلَهُ
وَتَرَى الْفَوَارِسَ مِنْ مَخَافَةٍ رَمَحِهِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبَوْهُ وَأُمُّهُ
وقال صاحب الظعينة في ذلك، وهو ربيعة بن مكدّم، أحد بني فراس بن كنانة :

إِنْ كَانَ يَنْفَعُكَ الْيَقِينُ فَسَائِلِي
إِذْ هِيَ لِأَوَّلِ مَنْ أَتَاهَا نَهْبَةٌ
إِذْ قَالَ لِي أَدْنَى الْفَوَارِسِ مِيتَةٌ
فَصِرْفَتْ رَاحِلَةَ الظَّعِينَةِ نَحْوَهُ
وَهَتَكَتْ بِالرُّمَحِ الطَّوِيلِ إِهَابَهُ
وَمَنْحَتْ آخِرَ بَعْدِهِ جِيَّاسَةً
وَلَقَدْ شَفَعْتُهُمَا بِآخِرِ ثَالِثَا
عَنِّي الظَّعِينَةُ يَوْمَ وَادِي الْأَخْرَمِ
لَوْلَا طِعَانُ رَبِيعَةَ بَنِ مَكْدَمٍ
خَلَّ الظَّعِينَةَ طَائِعًا لَا تَنْدَمُ
عَمْدًا لِيَعْلَمَ بَعْضُ مَا لَمْ يَعْلَمِ
فَهَوَى صَرِيحًا لِلْيَدِيدِ وَلِلْفَمِ
نَجْلَاءَ فَارِغَةٍ كَشِدْقِ الْأَضْجَمِ
وَأَبَى الْفِرَارَ لِي الْغَدَاةُ تَكْرُمِي

ثم لم تلبث كنانة أن أغارت على بني جشّم، فقتلوا وأسروا دريد بن الصمّة، فأخفى نفسه. فبينما هو عندهم محبوبس إذ جاءتة نسوة يتهادين نحوه، فصاحت احداهن وقالت : هَلَكْتُمْ وَأَهْلَكْتُمْ . ماذا جرّ عليها قومها ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رُمحه يوم الظعينة ! فألقت عليه رداءها وقالت : ياك فراس ! أنا له جارة . فسأله من هو فقال : أنا دريد بن الصمّة، فمن صاحبي ؟ قالوا : ربيعة بن مكدّم . قال : فما فعَل ؟ قالوا : قتلته سليم، قال : فما فعَلتِ الظعينة ؟ قالت المرأة أنا هي، وأنا امرأته . فحبسه القوم ووامروا أنفسهم . فقال بعضهم : لا ينبغي أن تكفّر نعمة دريد على صاحبنا . وقال آخرون : والله لا يخرج من أيدينا إلا برضى المخارق الذي أسره . فلما أمست المرأة، وهي رِيْطَةُ بِنْتِ جَذَلِ الطعان، رفعت عقيرتها وقالت :

سَنَجْزِي دُرَيْدًا عَنْ رَبِيعَةَ نِعْمَةً
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا كَانَ خَيْرًا جَزَاؤُهُ
سَنَجْزِيهِ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ بِصَغِيرَةٍ
فَقَدْ أَدْرَكْتَ كَفَّاهُ فِينَا جَزَاءَهُ
فَلَا تُكْفِرُوهُ حَقَّ نِعْمَاهُ فَيْكُمُ
وَكُلُّ أَمْرٍ يُجْزَى بِمَا كَانَ قَدَمًا
وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَانَ شَرًّا مُذَمَّمًا
بِإِعْطَائِهِ الرُّمَحَ الطَّوِيلَ الْمُقَوَّمَا
وَأَهْلٌ بَأَن يُجْزَى الَّذِي كَانَ أَنْعَمَا
وَلَا تَرْكَبُوا تِلْكَ التِّي تَمْلَأُ الْفَمَا

فَلَوْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَضِفْ بِيْثَوَابِهِ ذِرَاعًا غَنِيًّا كَانَ أَوْ كَانَ مُعْدِمًا
 فَفُكُّوا دُرَيْدًا مِنْ إِسَارٍ مُخَارِقٍ وَلَا تَجْعَلُوا الْبُؤْسَى إِلَى الشَّرِّ سُلْمًا
 فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَطْلَقُوهُ، فَكَسَّتْهُ وَجْهْرَتُهُ وَلَحَقَ بِقَوْمِهِ . وَلَمْ يَزَلْ كَافًّا عَنْ غَزْوِ بَنِي فِرَاسٍ
 حَتَّى هَلَكَ . قُلْتُ : وَفِي بَنِي فِرَاسٍ هَؤُلَاءِ يَقُولُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ مُخَاطِبًا لِأَهْلِ الْعِرَاقِ إِذْ
 تَخَاضَلُوا عَنْهُ : يَا لَيْتَ لِي مِنْ بَنِي فِرَاسٍ وَاحِدًا بَعْشَرَةَ مِنْكُمْ صَرَفَ الدِّينَارَ بِالدَّرْهَمِ ! .
 وَلِرَبِيعَةَ الْمَذْكُورِ قِصَّةٌ أُخْرَى فِي حِمَايَةِ الطُّعْنِ تَأْتِي فِي هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 تَعَالَى.

إِنَّ الْبَكْرِيَّ لَيَحْسُ السَّعْدِيُّ.

الْبَكْرِيُّ مُنْسُوبٌ إِلَى بَكْرٍ، وَفِي الْعَرَبِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ، وَبَنُو بَكْرٍ بَنُ عَبْدِ
 مَنَاةَ، وَالنَّسَبُ إِلَيْهِمَا بَكْرِيٌّ، وَكَذَا النَّسَبُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ . وَفِي الْعَرَبِ أَيْضًا بَنُو أَبِي بَكْرٍ بَنِ
 كِلَابٍ، وَالنَّسَبُ إِلَيْهِمْ بَكْرَاوِيٌّ . وَالسَّعْدِيُّ مُنْسُوبٌ إِلَى سَعْدٍ، وَفِي الْعَرَبِ سَعُودٌ
 كَثِيرَةٌ : سَعْدُ تَمِيمٍ، وَسَعْدُ هُذَيْلٍ، وَسَعْدُ قَيْسٍ، وَسَعْدُ بَكْرِ، كَمَا قَالَ
 طَرْفَةُ :

رَأَيْتُ سَعُودًا مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ فَلَمْ تَرَعَيْنِي مِثْلَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ
 أَبْرًا وَأَوْفَى ذِمَّةً يَعْقِدُونَهَا وَخَيْرًا إِذَا سَاوَى الذُّرَى بِالْحَوَارِكِ
 يُرِيدُ سَعْدَ بْنَ مَالِكِ بْنِ ضُبَيْعَةَ . وَالْحِيسُ : الرِّقَّةُ ؛ تَقُولُ : حَسَسْتُ لِفُلَانٍ،
 بِفَقْهِ السِّينِ وَكُسْرِهَا، حَسًّا وَحِسًّا، إِذَا رَقَّقْتَ لَهُ . قَالَ الْقُطَامِيُّ :
 أَخُوكَ الذِّي لَا تَمْلِكُ الْحِيسُ نَفْسَهُ وَتَرْفُضُ عِنْدَ الْمُحَفِّظَاتِ الْكَتَائِفَ
 وَالْكَتَائِفُ : الْإِحْقَادُ . قَالَ الْكَمِيتُ :
 هَلْ مِنْ بَكِي الدَّارِ رَاجٍ أَنْ تَحِسَّ لَهُ

أَوْ يُبْكِي الدَّارَ مَاءُ الْعَبْرَةِ الْخَضِيلُ ؟
 وَفِي الصَّحَاحِ : قَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ الْعُقَيْلِيُّ : مَا رَأَيْتُ عُقَيْلِيًّا إِلَّا حَسَسْتُ لَهُ، أَيِ
 رَقَّقْتُ .

إِنَّ تَحْتَ طَرِيقَتِهِ لَعِنْدَاوَةٌ.

الطَّرِيقَةُ، بِالتَّشْدِيدِ عَلَى مِثَالِ سَكِينٍ : الرِّخَاوَةُ وَاللِّينُ ؛ وَرَجُلٌ مَطْرُوقٌ : فِيهِ رَخَاوَةٌ .

قال ابن أحمر :

ولا تَحْلِي بِمَطْرُوقٍ إِذَا مَا سَرَى فِي الْقَوْمِ أَصْبَحَ مُسْتَكِينًا
وَالْعِنْدَاوَةُ : الصُّعُوبَةُ ، من العنود ، وهو رد الحق و الحيدودة عن الطريق ، وبعبير
عاند : يَحِيدُ عن الطريق .

والمعنى أن سكونه ورخاوته قد يكون معه أحيانًا عُسْرٌ وشراسة .

إِنَّ الْجَوَادَ عَيْنُهُ فَرَارُهُ .

الجواد : العتيق من الخيل الكثير الجري ، سُمِّيَ به لأنه يَجُودُ بِنَفْسِهِ .
وَالْعَيْنُ تَطْلُقُ عَلَى الْبَاصِرَةِ ، وعلى شخص الشيء وهو المراد هنا ؛ وَالْفَرَارُ : أن تفتح
فأ الدابة لِتَعْلَمَ سِنَّهَا . يقال : فَرَّهَا فَرًّا وَفَرَارًا ، مُثَلَّثُ الْفَاءِ ، إِذَا فَتَحَ فَاهَا
لذلك . ومن قول الحجاج : وَلَقَدْ فَرَّرْتُ عَنْ ذِكَاءٍ ، وَفَتَشْتُ عَنْ تَجْرِبَةٍ ، أَي
فَرَّرْتُ فَوَجِدْتُ تَامَ السِّنِّ . فَإِنَّ الذِّكَاءَ يُطْلَقُ عَلَى السِّنِّ ، وهو أحد ما يفسر به
قول زهير :

يُفْضَلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهَِا⁽³⁵⁾ تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَاءُ
ومنه المثل الآتي : جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَابٌ . وإلى هذا المعنى أشار أبو بكر بن
دُرَيْدٍ رحمه الله بقوله :

وَفَرَّ عَنْ تَجْرِبَةٍ نَابِي فَقُلْ فِي بَازِلٍ رَاضٍ الْخُطُوبَ فَاْمْتَطَى
وكتب الحسن بن سَهْلٍ الى القاضي محمد بن سَمَاعَةَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَأَنِّي
اِحْتَجْتُ لِبَعْضِ أُمُورِي إِلَى رَجُلٍ جَامِعٍ لِخِصَالِ الْخَيْرِ ، ذِي عِفَّةٍ
وَنَزَاهَةِ طَعْمَةٍ ، قَدْ هَذَبَتْهُ الْأَدَابُ وَأَحْكَمَتْهُ التَّجَارِبُ ، لَيْسَ بِيْظَنِيَّتٍ
فِي رَأْيِهِ وَلَا بِمِطْعُونٍ فِي حَسْبِهِ ؛ إِنْ أَوْثَمِنَ عَلَى الْأَسْرَارِ قَامَ بِهَا ، وَإِنْ قُلِدَ
مُهْمًا مِنَ الْأُمُورِ أَجْزَأَ فِيهِ ؛ لَهُ سِنٌّ⁽³⁶⁾ مَعَ أَدَبٍ وَلِسَانٍ ، تَقْعِدُهُ الرِّزَانَةُ
وَيُسْكِنُهُ الْحِلْمُ ، قَدْ قُرَّ عَنْ ذِكَاءٍ وَفِطْنَةٍ ، وَعَضَّ عَلَى قَارِحَةٍ مِنَ الْكَمَالِ ،
تَكْفِيهِهِ اللَّحْظَةُ ، وَتَرْشِيدُهُ السَّكْنَةُ ؛ قَدْ أَبْصَرَ خِدْمَةَ الْمُلُوكِ وَأَحْكَمَهَا ،
وَقَامَ بِأُمُورِهِمْ فَحُمِدَ فِيهَا ؛ لَهُ أُنَاةُ الْوُزَرَاءِ ، وَصَوْلَةُ الْأَمْرَاءِ ، وَتَوَاضُعُ الْعُلَمَاءِ ،
وَفَهْمُ الْفُقَهَاءِ ، وَجَوَابُ الْحُكَمَاءِ ، لَا يَبِيعُ نَصِيبَ يَوْمِهِ بِحَرِّ مَازٍ غَدِهِ ، يَكَادُ
يَسْتَرْقُ قُلُوبَ الرِّجَالِ بِحُلَاوَةِ لِسَانِهِ ، وَحُسْنِ بَيَانِهِ . دَلَالِكُ الْفَضْلِ عَلَيْهِ لَائِحَةٌ ،
وَأَمَارَاتُ الْعِلْمِ لَهُ شَاهِدَةٌ ؛ مُضْطَلِعًا بِمَا اسْتَنْهَضَ ، مُسْتَقِلًّا بِمَا حُمِّلَ .

(35) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : يُفْضَلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهِ .

(36) فِي أ : لَيْسَ لَهُ سِنٌّ ، ... ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وقد آثرتك بطلابه، وحبوتك بارتياده، ثقة بفضل اختيارك، ومعرفة بحسن تأتيك . فكتب إليه القاضي : إنني عازم أن أرغب إلى الله عز وجل حولا كاملا في ارتياد مثل هذه الصفة وأفرس الرسل الثقات في الآفاق لالتماسه . وأرجو أن يمن الله بالاجابة فأفوز لديك بقضاء حاجتك، والسلام . ويصح أن يراد بالذكاء أيضا في كل ما مرّ معناه الذي هو الفطنة وحدة الفؤاد . وعلى كل حال فذلك مثلك للكشف والاختبار، وأصله في الدواب .

ومعنى المثل المذكور أن الجواد إذا نظرت إليه العارف المعرب عرفه من غير احتياج إلى فرّه واختباره، وكان نظره إلى عينه، أي شخصه، فرارا له، أي قائما مقام الفرار، فيقال : فلان عينه فراره لهذا المعنى .

ويضرب لك من يدل ظاهره على باطنه لك معانيه . قال الشاعر :

تَعْرِفُ مِنْ عَيْنِهِ نَجَابَتَهُ كَأَنَّهُ بِالذِّكَاكِ مُكْتَحِلُ

وقال الراجز في صفة الذئب :

أُطْلِسُ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ فِي فَمِهِ شَفَرَتُهُ وَنَارُهُ
هُوَ الْخَبِيثُ عَيْنُهُ فَرَارُهُ

إِنَّ الْحَذَرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ .

الحذر : التحرز من الشيء، وهو ظاهر . والقدر : ما كتبه الله تعالى وقدره من الكائنات . ومعلوم أن ما قضى الله بوقوعه فلا دافع له، وهذا من الأمثال الحكمية . قال هبانيء بن قبيصة الشيباني لقومه يحرّضهم يوم ذي قار وهو يوم مشهور من أيامهم : يا معشر بكر ! هالك معذور، خير من ناجم فرور . إن الحذر، لا يغني من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر . المنيّة، ولا الدنيّة . استقبل الموت خير من استدباره . الطعن في ثغر النحور، أكرم منه في الأعجاز والظهور . يالبكر ! قاتلوا، فلما للمنايا من بد ! ويحكى أن أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه كان إذا حمي وطيس الحرب أنشد :

أَيُّ يَوْمِيٍّ مِنْ الْمَوْتِ أَفْرُ يَوْمَ لَا يَقْدَرُ أَمْ يَوْمَ قَدِرُ
يَوْمَ لَا يَقْدَرُ لَا أَرْهَبُهُ وَمِنْ الْمَقْدُورِ لَا يَنْجُو الْحَذِرُ

ثُمَّ يَحْمِلُ وَيَغْشَى لَطَافَهَا.

إِنْ دُونَ الظُّلْمَةِ خَرَطَ قَتَادٍ هُوَ بَرٌّ (كذا) (37) - بياض بالاصل -

إِنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْنَأُ الْغَضَبَ.

الرَّثِيئَةُ : لَبَنٌ مَخْلُوطٌ . يقال : ارْتَنَأَ اللَّبَنُ بِالنَّاءِ المثلثة والهمز إذا خثر ؛

ورثأتُ اللبنَ إذا حلبتَه على حامِضٍ فَخَثَرَ ؛ والاسم : الرَّثِيئَةُ . والفثَاءُ :

التَّسْكِينُ ؛ يقال : فَثَأَتُ الْقِدْرَ بِالنَّاءِ المثلثة إذا أَسَكَنْتَ غَلِيَانَهَا : قال :

تَفَوَّرُ عَلَيْنَا قِدْرُهُمْ فَتُدْرِمُهَا وَنَفَثُوهَا عَنَّا إِذَا حَمَّوْهَا غَلَا (38)

وقال الحماسي :

فَنَفَلُ شَوْكَتَهَا وَنَفَثَا حَمِيهَا حَتَّى يَبُوخَ وَحَمِينَا لَمْ يَبْرُدْ

وتقول : فَثَأَتُ الرَّجُلُ إِذَا كَسَرْتَهُ عَنكَ بِقَوْلٍ أَوْ غَيْرِهِ وَسَكَنْتَ غَضَبَهُ . وَفَثَأَتُ

الخبز، ويقال أيضا بالنَّاءِ الْمُثَنَّاةِ، وهي فعل تامٌ في هذا المعنى غير مخصوص بالنفي،

كما أثبتته ابن مالك وغيره . والغَضَبُ معروف، وهو حركة للنفس، مبدؤها إرادة الانتقام .

غَضِبَ : بالكسر، يَغْضِبُ، فهو غَضْبَانٌ . والمعنى أَنَّ شَرْبَ الرَّثِيئَةِ كَاسِرٌ للغضب

مُسَكِّنٌ له نافع .

يُضْرَبُ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ مُطْلَقًا وَفِعْلًا الْيَسِيرُ مِنَ الْبِرِّ فَإِنَّهُ نَافِعٌ .

وأصله أن رجلاً كان غَضِبَ على قوم، وكان مع غَضَبِهِ جَائِعًا، فَسَقَوَهُ رَثِيئَةً،

فَسَكَنَ غَضَبُهُ وَكَفَّ عَنْهُمْ . وفي الرَّثِيئَةِ يُحْكَى أَنَّ عمرو بن مَعْدٍ يَكْرِبُ قَالَ

لعمرو بن الخطاب رضي الله عنه : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَأَفْرَامُ بَنُو مَخْزُومٍ ؟ قَالَ . وَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ : تَضَيَّفْتُ حَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَأَتَى بِقَوْسٍ وَكَعْبٍ وَثَوْرٍ . قَالَ : إِنْ فِي ذَلِكَ

لَشُبُّعَةٍ . قَالَ : لِي أَوْلَئِكَ ؟ قَالَ : لِي وَلَكِ . فَقَالَ عمرو : حِلَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

فِيمَا تَقُولُ . إِنِّي لَأَكُلُ الْجَذَاعَ مِنَ الْإِبِلِ أَنْتَقِيهِ عَظْمًا عَظْمًا، وَأَشْرَبُ

التَّبْنَ مِنَ اللَّبَنِ رَثِيئَةً وَصَرِيفًا . أَرَادَ بِالْقَوْسِ الْبَقِيَّةَ مِنَ التَّمْرِ تَبَقَى،

(37) المثلث المشهور هو : دُونَ ذَلِكَ خَرَطَ الْقَتَادَ . ولعل المؤلف كان يريد أن يربط هذا المثلث بالبيت الذي أورده لسان العرب :

إِنَّ دُونََ الَّذِي هَمَمْتَ بِهِ مِثْلَ خَرَطِ الْقَتَادِ فِي الظُّلْمَةِ
(38) هذا البيت ينسب إلى الجعدي وإلى الكمي . وورد آخره في لسان العرب هكذا : إِذَا حَمَّيْهَا غَلَا .

وبالكعب القطعة من السمّن، وبالتّور القطعة من الأقطر، وبالتّبّن القَدَحُ العَظِيمُ، وبالرّثيئة ما صُبَّ كما مرّ، وبالصرّيف ما انصرف به عن الضّرعر حارّاً . وقوله حِلَا هي كلمة تقولها العرب في الأمر تكرهه بمعنى : كَلَا . ومنه قول الأحنف بن قيس حين دخل على المصعب بن الزّبير يكلّمه في رجل وجدّ عليه، فقال مصعب : بَلَّغْنِي عنه الثّقة، فقال الأحنف : حِلَا أيّها الأمير، إن الثّقة لا يبلّغ ! ويروى هذا المثل : إنّ الرّثيئة مِمّا يفتأ الغضب، على أنه موزون كشر بيت من البسيط . وقد جعل الشّنتمري في شرح الحماسة هذا المثل حديثاً، وهو غريب والله أعلم .

إِنَّ الرّقِينَ تَغْطِي أَفْنَ الْأَفِينِ⁽³⁹⁾

الرّقون : جَمْعُ رِقَةٍ، وهي الفِضّة ؛ يقال : ورّق، مسكّن الراء، مثلث الواو ؛ ووَرّق، بفتح فكسر، وبفتحتين، وجمع الكلّ أَوْرَاق . ويقال : رِقَة، بحذف الفاء، كعِدَة . ومنه الحديث : في الرّقَة رُبْعُ العُشُر . وجمع الرّقَة : رِقُون، وهو شاذّ، لأن هذا الجمع إنما يشيع وراء بابه في المحذوف اللام، كسنيين وعِزّيين وعِزّين . أمّا المحذوف الفاء كعِدَة وجِدَة ودِيَة فلا، غير أنه ورد فيه ألفاظ على وجه النّدور، كرّقين في جمع الرّقَة، على ما مرّ ؛ وإزّين، في جمع الازّة، وهي حفرة تحفر ويستوقد فيها ؛ ولِدّين، في جمع اللدّة، وهو مساويك في السنّ ؛ وحِشّين، في جمع الحِشّة، وهي الأرض الموحشة . والتّغْطِيَة : السّتر . والأفْنُ : ضَعْفُ الرأى ؛ يقال : أفنَ الرّجُلُ، بالكسر، أفنّا محرّكاً ومسكّناً . قال قيس بن عاصم المِنْقَرِي [رحمه الله تعالى] :⁽⁴⁰⁾

إِنِّي امْرُؤٌ لَا يَعْتَرِي حَسْبِي دَنَسٌ يُفْنِدُهُ وَلَا أَفْنُ
مِنْ مَنَقَرٍ فِي بَيْتٍ مَكْرُمَةٍ وَالْفَرْعُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْغُصْنُ

وقد أفنّه اللّه يَأْفِنُهُ، فهو مَأْفُونٌ وأفِين . وقال الشاعر :

(39) ورد هذا المثل في لسان العرب هكذا : إنّ الرّقين تَغْطِي عَلَى أَفْنِ الْأَفِين . وقال ثعلب : وجدّ أنّ الرّقين يَغْطِي أَفْنَ الْأَفِين .

(40) سقطت من أ . ومعلوم أن هذا الشاعر صحابي .

وقد تَزِدَرِي العَيْنُ الْفَتَى وَهُوَ عَاقِلٌ وَيُؤْفَنُ بَعْضُ الْقَوْمِ وَهُوَ جَرِيمٌ
 ومعنى المَثَلُ أَنَّ وَجْدَانَ الْمَالِ يُحَلِّي الْمَرْءَ بِحُلِيَّةِ الْكَمَالِ، وَيَسْتُرُ مَا فِيهِ مِنْ ذَمِيمِ
 الْخِصَالِ، وَيُحِبِّبُهُ إِلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ، حَتَّى يَرَوْهُ بِعَيْنِ التَّوْقِيرِ وَالْإِجْلَالِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ
 أَحْمَقِ الْحَمَقَى وَأَجْهَلَ الْجُهَّالِ، كَمَا قَالَ حُسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَحْسَنَ :
 رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ وَجَهْلُ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ
 وَقَالَ الْآخَرُ :

وَالنَّاسُ أَعْيَنُهُمْ إِلَى سَلَفِ الْفَتَى لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الْحِجَى وَالْأَوْلَقِ
 وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ مَرَّةً بِأَهْلِهِ :

سَاعَمِلْ نَصَّ الْعَيْسِ حَتَّى يَكْفَنِي
 غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ
 فَلَلَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يَرَى بِهَا
 عَلَى الْمَرْءِ ذِي الْعَلْيَاءِ مَسْءٌ هَوَانٍ
 مَتَى يَتَكَلَّمُ يُلْغَمُ حُكْمٌ مَقَالِهِ⁽⁴¹⁾
 وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمٌ بَيَانٍ
 كَأَنَّ الْغِنَى فِي أَهْلِهِ بُورِكُ الْغِنَى⁽⁴²⁾
 بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانٍ
 وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

فَلَا مَجْدٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
 وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
 وَيُقَالُ : الْمَرْءُ بِنَشْبِهِ وَسَيِّئَاتِي فِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ جُمْلَةٌ نَافِعَةٌ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى وَمِنْ ثَنَاءِ
 الشُّعْرَاءِ عَلَى الثَّرْوَةِ وَالْغِنَى .

إِنَّ السَّقْطَ يُحْرِقُ الْحَرَجَةَ .

السَّقْطُ مَا يَسْقُطُ بَيْنَ الرَّنْدَيْنِ قَبْلَ اسْتِحْكَامِ الْوَرْدِي، وَتَثَلَّثُ سِينُهُ
 وَالْأَحْرَاقُ وَالتَّحْرِيقُ مَعْرُوفٌ . وَالْحَرَجَةُ بِفَتْحَتَيْنِ : الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُتَلَفُّ، جَمْعُهُ
 حَرَجٌ وَحِرَاجٌ وَأَحْرَاجٌ . قَالَ الْعَجَّاجُ :

(41) فِي زَهْرِ الْأَدَابِ : حُكْمٌ كَلَامُهُ
 (42) رَوَايَةُ زَهْرِ الْأَدَابِ : كَأَنَّ الْفَتَى فِي أَهْلِهِ بُورِكُ الْفَتَى .

عَايَنَ حَيًّا كَالْحِرَاجِ نَعَمَهُ

يَكُونُ أَقْصَى شَلِّهِ مُحَرَّنَجِمُهُ

وهذا المثل وقع في حكاية للأصمعي قال : بينما [أنا] بحمي ضريّة إذ وقف عليّ غلامٌ من بني أسد في أطمار ما ظننته يجمع بين كلمتين . فقلت : ما اسمك ؟ قال : حُرَيْقِيص . فقلت : أما كفى أهلك أن يُسمّوك حُرْقُوصًا حتى صَغَرُوا اسمك ؟ فقال : إن السَّقَطَ يُحَرِّقُ الحَرَجَةَ . فعجبت من جوابه فقلت : أتُنشِدُنا شيئًا من أشعار قومك ؟ قال : نعم، أنشِدُك لِمِرَّارِنَا قلت : افعل . قال :

سَكَنُوا شُبَيْثًا وَالْأَحَصَّ وَأَصْبَحُوا

نَزَلَتْ مَنَازِلُهُم بَنُو ذُبْيَان

وَإِذَا يُقَالُ أَتَيْتُمْ لَمْ يَبْرَحُوا

حَتَّى تُقِيمَ الْخَيْلُ سُوقَ طِعَانَ

وَإِذَا فَلَانٌ مَاتَ عَنْ أَكْرُومَةٍ

رَفَعُوا مَعَاوِزَ فَقْدِهِ بِفَلَانٍ

قال . فكادت الأرض تسبُوخ بي لحسن إنشاده وجودة الشعر . فأنشدتُ الرشيد هذه الأبيات فقال : يا أصمعيّ، ودِدْتُ لو رأيتُ هذا الغلامَ فكنتُ أبلغُهُ أعلى المراتب ! ومعنى المثل أن الأمر الصغير قد يصير الى أعظم، والرجل المُستَحَقَّر قد يُغْنِي غِنَاء المُسْتَعْظَم، بك الواحد قد يقومُ مقامُ الجَمِّ . ومن هذا قول القائل :

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرًا فِي ثَقَلَيْهِ

إِنَّ الْبَعُوضَةَ تُدْمِي مُقَلَّةَ الْأَسَدِ

وَلِلشَّرَارَةِ نَارٌ حِينَ تُضْرَمُهَا

وَرُبَّمَا اضْرَمْتَ نَارًا عَلَى بَلَدٍ

وقول الآخر :

أَرَى خَلَقَ الرَّمَادَ وَمِیْضَ نَارٍ

وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامٌ

فَإِنَّ النَّارَ بِالزَّنْدَيْنِ تَوْرَى وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا الْكَلَامُ
وقول المسكين : وَلَقَدْ رَأَيْتُ الشَّرَّ بَيْنَ الْحَيِّ يَبْدُوهُ صِغَارُهُ.
وقول أبي العلاء :

وَقَدْ يَنْمَى كَبِيرٌ مِنْ صَغِيرٍ وَيَنْبُتُ مِنْ نَوَى الْقَسْبِ الثُّلَابُ
وقد بين هذا المعنى من قديم عدي بن زيد حيث يقول :
شَطَّ وَصَلُّ الذِّي تُرِيدِينَ مِنِّي وَصَغِيرُ الْأُمُورِ يُجْنِي الْكَبِيرَ
وبعد هذا البيت :

إِنْ لِلدَّهْرِ غِرَّةٌ فَاحْذَرْنَهَا لَا تَبَيِّنَنَّ قَدْ أَمِنْتَ الدَّهْورَ
قَدْ يَنَامُ الْفَتَى صَحِيحًا فِيرْدَى وَلَقَدْ بَاتَ آمِنًا مَسْرُورًا
أَيُّهَا الْمُبْتَغِي سَبِيلَ غِنَاهُ الزَّمَّ الْبِرَّ فِي الْفُؤَادِ ضَمِيرًا
لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَغَصَّ الْمَوْتَ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَ
ووقع في شعر مزار السابغ شبيث والاحص وهما موضعان، والمعاوز وهي
الخلفان، يريد أنهم كلما مات منهم كريم خلفه كريم يسد مسده . ومثله
قول الحماسي السموءل بن عاديا :

إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ قَوْلٌ لَمَّا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ
وقول الحماسي الآخر :

وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلَّا اجْتَلَيْنَا غَلَامًا سَيِّدًا فِينَا
وقول أبي الطمحان :

إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ

ونحوه كثير في أشعارهم . والمقصود من ذلك كله أن السؤدد في القوم شائع، والكرم
كثير ذائع، فكلما فقد من السادات مفقود، فغيره موجود .

إِنَّ الشَّفِيقَ بِسُوءِ الظَّنِّ مُوَلَعٌ .

الشَّفَقُ بفتح الحاء : الخوف وحرص الناصم على صلاح المنصوم . يقال :

أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ شَفَقًا وَإِشْفَاقًا، فَأَنَا شَفِيقٌ وَمُشْفِقٌ . قال خلف بن خليفة : (43)

(43) نُسبه في لسان العرب الى إسحاق بن خلف، وقيل هو لابن المعلكي (مادة شفق).

تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ
ولا يقال : شَفَقْتُ عَلَيْهِ . وَجَوَّزَهُ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ . وَالظَّنُّ الرَّاجِعُ مِنْ طَرَفَيْهِ
التَّرَدُّدُ فِي الشَّيْءِ . وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْإِعْتِقَادِ مُطْلَقًا . وَالْمَوْلَعُ بِالشَّيْءِ : الْمُغْرَى بِهِ ؛
يُقَالُ : وَلِعَ بِهِ بِالْكَسْرِ ، وَلَعًا بِفَتْحَتَيْنِ ، وَوَلَّوعًا مَفْتُوحِ الْأَوَّلِ ؛ وَأَوَّلَعْتُهُ أَنَا وَأَوَّلِعَ
بِهِ ، فَهُوَ مَوْلَعٌ . وَمَعْنَى الْمَثَلِ أَنَّ كُلَّ مَنْ تَشَفَّقَ عَلَيْهِ فَأَنْتَ تَتَخَوَّفُ عَلَيْهِ الْأَحْدَاثَ ،
حَتَّى إِنْ كُلَّ شَيْءٍ ذَكَرَ أَوْ سَمِعَ أَوْ رُئِيَ تَخْشَى أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ بِهِ ، كَمَا قَالَ الْحَمَاسِيُّ
دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

تَنَادَوْا فَقَالُوا ارْدَدْتَ الْخَيْلُ فَارِسًا فَقُلْتُ أَعْبَدُ اللَّهَ ذَا لِكُمُ الرِّدْيِ
وعبد الله هو ابنُ الصَّمَّةِ أَخُو دُرَيْدٍ . فَكَانَ دُرَيْدٌ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ الْفَوَارِسِ قَدْ صُرِعَ فَارِسَ
ظَنَّهُ دُرَيْدًا أَخَاهُ مِنْ شَفَقَتِهِ عَلَيْهِ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ ظَنَّهُ أَخَاهُ لَمَّا عَلِمَ مِنْ إِقْدَامِهِ وَجَرَاتِهِ . وَسُوءُ
الظَّنِّ عِنْدَ الشَّفَقِ أَمْرٌ مَعْرُوفٌ مُشَاهَدٌ فِي النَّاسِ ، لَا سِيَّمَا الضَّعَفَاءُ كَالنِّسَاءِ ، حَتَّى إِنَّهُ
مَتَى ذَكَرَ هَلَاكَ فِي جَيْشٍ غَائِبٍ أَوْ مُسَافِرِينَ ، كَانَ كُلُّ مَنْ لَهُ هُنَاكَ مِنْ يُشْفَقُ عَلَيْهِ يَتَصَوَّرُ
ذَلِكَ الْهَلَاكَ فِيهِ شَفَقَةً ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَسْبِقُ إِلَى وَهْمِهِ .

وَمِمَّا يَشْبَهُ هَذَا مَا وَقَعَ لِإِيَّاسَ بْنِ مَعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : نَظَرَ إِلَى نِسْوَةٍ ثَلَاثَ ، وَقَدْ فَرَزَعْنَ
مِنْ شَيْءٍ ، فَقَالَ : هَذِهِ بَكْرٌ ، وَهَذِهِ ظِيْرٌ ، وَهَذِهِ حُبْلَى . فَسُئِلْنَ عَنْ ذَلِكَ فَوُجِدَ
الْأَمْرُ كَمَا قَالَ . فَقِيلَ لَهُ : بَيْمَ عَرَفْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : إِنَّهُنَّ لَمَّا فَرَزَعْنَ وَضَعْتُ كُلُّ وَاحِدَةٍ يَدَهَا
عَلَى أَهْمِ الْمَوَاضِعِ عِنْدَهَا . فَوَضَعْتُ الْبَكْرَ عَلَى فَرْجِهَا ، وَالظَّيْرَ عَلَى ثَدْيِيهَا ، وَالْحُبْلَى
عَلَى بَطْنِهَا . فَانْظُرْ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ كَيْفَ جَعَلْتُ كُلَّ وَاحِدَةٍ تَظُنُّ الشَّرَّ نَازِلًا بِالْمَحَلِّ الَّذِي
لَهَا مَزِيدَ إِشْفَاقٍ عَلَيْهِ !

إِنَّ الشَّقْرَاءَ لَمْ يَعْدُ شَرُّهَا رَجُلِيهَا .

الشَّقْرَاءُ : فَرَسٌ جَمَحَتْ بِصَاحِبِهَا فَاتَتْ عَلَى وَادٍ وَهَمَّتْ أَنْ تَتَّيْبَهُ ، فَقَصُرَتْ
وَوَقَعَتْ ، فَانْدَقَّتْ عُنُقُهَا وَسَلِمَ صَاحِبُهَا . فَسُئِلَ عَنْهَا فَقَالَ : إِنَّ الشَّقْرَاءَ لَمْ
يَعْدُ شَرُّهَا رَجُلِيهَا ، أَيْ لَمْ يَتَجَاوَزْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَيُقَالُ فَرَسٌ رَمَحَتْ ابْنَهَا فَقَتَلَتْهُ .
وَالْمَعْنَى أَنَّ الشَّرَّ لَمْ يَتَجَاوَزْ مَا كَانَ يَرْجُلُهَا ، فَيَضْرِبُ فِي نَحْوِ هَذَا مِنَ الشَّيْءِ النَّازِلِ

ولم يتعد . وكان عُنْبَةُ بنُ جعفر بنِ كلاب أجار رجلا من بني أسد فقتله رجلٌ من بني كلاب، فقال بِشْرُ بنُ أبي حازم الأسديّ يهجو عُنْبَةَ :

فَأَصْبَحَتْ كَالشَّقْرَاءِ لَمْ يَعُدْ شَرُّهَا

سَنَابِكُ رَجُلَيْنِهَا وَعِرْضُكَ أَوْفَرُ

وفي الشَّقْرَاءِ كلام آخر يأتي إن شاء الله تعالى .

إِنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبَرَاجِمِ .

الشَّقَاءُ : العُسْرُ والشَّدَّةُ، يُمَدُّ وَيُقْصَر . يقال : شَقِيَ الرجلُ بالكسر، يَشْقَى، شَقَاوَةً بفتح الشين وكسرها، وشَقَا، وشَقَاءً، وشَقْوَةً بالفتح والكسر أيضا، فهو شَقِيٌّ . والوافِدُ : القادم ؛ يقال وفَدَ عَلَيَّ يَفِدُ، أي قَدِمَ، فهو وافِدٌ، وهم وفَدٌ، وأوفَدٌ، ووَفُود . ومن الأول قوله تعالى : يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا . والمفسرون يقولون : وفداً، أي رُكْبَانًا، لأن الوَفُودَ سَرَاةُ النَّاسِ . والبرَاجِم : قومٌ من أولاد حَنْظَلَةَ بنِ مَالِكِ بنِ عمرو بنِ تَمِيم .

المَثَلُ لعمرو بن هِنْدٍ، وهو عَمْرُو بنُ المُنْذِرِ بنِ امرئ القيس بن عمرو بن عديّ اللّخميّ بن أختِ جذيمة الأبرش، ملك الحيرة . وكان سبب ذلك أن أخاه أسعد بن المُنْذِرِ كان في بني دارم مسترضعاً في حجر زُرَّارة بنِ عُدُس الدَّارمي، ويقال في حجر حاجب بن زُرَّارة . فلما شبَّ، خرج يوماً يتصيد، فعَبِثَ كما تَعَبَّثَ الملوكُ لما انصرف من صيده وبه نبيذ، فرماه رجلٌ من بني دارم بسهم فقتله . وقيل مرَّت به ناقةٌ كَوْمَاءُ فَعَبِثَ بها ورمَى ضرْعَهَا، فشد عليه ربُّها سُوَيْدٌ، أحدُ بني عبد الله بن دارم فقتله، ثم هرب فلحق بمكة وحالف قريشاً . وكان زُرَّارة بنُ عُدُس (من خواصِّ عمرو بن هند . وكان عمرو قبل ذلك قد غزا قومًا من العرب ومعه زُرَّارة) (44) فأخفق . فلما انتهى عند رجوعه إلى جبل طيٍّ، قال له زُرَّارة : أيها الملك ! إن رجوعَ مثلك إذا [غزا] بغير شيءٍ لِعَظِيمٌ، وها هي طيٌّ، بيجنّيك . فقال عليهم ابن هند فقتل وأسر . فاضْطَغَنْتَ طيٌّ من ذلك على زُرَّارة وجعلوا يتربصون به فرصة، فلما بلغهم أن دارمًا قتلت أسعداً، وكنتم عمرو بن هند ذلك في نفسه،

(44) ما بين قوسين سقط من أ.

قال عمرو بن مَلِيط الطائي يَنْبَهُ عمرا للنهوض [إلى ثأره]، وَيُغْرِيه بِقَتْل زُرَّارَةَ :
 مَنْ مَبْلِغٌ عَمْرًا بَأَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يَخْلُقْ صُبَّارَةً ؟
 هَا إِنَّ عِجْزَةَ أُمِّهِ بِالسَّقَمِ أَسْفَلَ مِنْ أَوَّارَةٍ
 تَسْفِي الرِّيحَ خِلَالَ كَشْحِيهِ وَقَدْ سَلَبُوا إِزَارَهُ
 فَأَقْتُلْ زُرَّارَةَ لَا أَرَى فِي الْقَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَّارَةٍ !

فوافي هذا الشعرُ عمرا وزُرَّارَةَ عنده . فقال له عمرو : ما يقول هذا ؟ فقال : كَذَبٌ ، قد علمت عداوتهم لي فيك . قال : صدقت ! فلما أمسى زُرَّارَةَ ، هرب وَلَحِقَ بقومه . فغزاهم عمرو بن هند وحلف لِيَحْرِقَنَّ منهم مائةً بِأَخِيهِ . فلما نَزَلَ بِأَوَّارَةَ ، وقد نُذِرُوا به ، تفرقوا عنه هربا . فَتَتَبَعَهُمْ حتى قبض تسعة وتسعين منهم وحرَقَهُم بالنار . فأراد أن يكمل العِدَّةَ بعجوز منهم . فلما أمر بها قالت : أَلَا فَتَى يَفْدِي هذه العجوزَ بنفسه ؟ ثم قالت : هيهات ! صار الفتیانُ حُمَمًا . ومَرَّ وَاغْدُ الْبَرَّاجِمِ ، فاشتَمَّ رائحةَ الشَّوَاءِ ولم يشعر بالأمر ، فظنَّ أن الملك قد اتخذ طعاما . فأقبل نحوه تَخَبُّبُهُ به راحلته لينال منه ، حتى وقف على عمرو فقال له : من أنت ؟ قال : أَبَيْتَ اللَّعْنُ ! أنا وَاغْدُ الْبَرَّاجِمِ . فقال عمرو : إِنَّ الشَّقِيَّ وَاغْدُ الْبَرَّاجِمِ . فذهبت مثلاً . ثم أَمَرَ به ففُذِرَ في النار . يُضْرَبُ هذا المثلُ في الإنسان يَجْلُبُ الْحَيْنَ على نفسه ، وهو من باب قولهم : بَحَثَ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ ، وسيأتي . وبهذه الواقعة سُمِّيَ عمرو بن هند مُحَرِّقًا لتحريقه بني تميم . وقيل إنما سمي مُحَرِّقًا لِعَتْوَةِ وفساده في الأرض ، فكأنه حرقها . وقيل لتحريقه نَخْلَ مَلْهَمٍ ، وهو موضعٌ بِالْبَحْرَيْنِ ، وَيُسَمَّى أيضًا مضطرب الحجارة ، لشدة وطأته . وكان جدُّه امرؤ القيس أيضا ، فيما يزعمون ، يسمى مُحَرِّقًا ، وإياه يعني الأسود بن يَعْفُرُ بقوله :

مَاذَا أَوْ مَلْكَ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
 أَرْضَ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ وَيَارِقِ وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
 جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
 وفي هذه القصَّة يقول الأعشى :

وَيَكُونُ فِي الشَّرَفِ الْمُوَارِي مِنْقَرًا وَبَنِي زُرَّارَةَ

أَبْنَاءُ قَوْمٍ قَتَلُوا
(فَجَرُوا عَلَى مَا عُدُّوا
وَالْعُودُ يُعْصَرُ مَاؤُهُ
وقال جرير يُعَيِّرُ الفرزدق :

أَيْنَ الَّذِينَ بَنَارَ عَمْرُو حُرِّقُوا؟
وقال أيضا :

يَوْمَ الْقُصَيْبَةِ وَالْأَوَارَةِ
وَلِكُلِّ عَادَاتٍ أَمَارَةٍ⁽⁴⁵⁾
وَلِكُلِّ عَيْنَادٍ عَصَارَةٍ
أم أين أسعدُ فيكمُ المسترضعُ؟

وَأَخْرَاكُمُ رَبِّي كَمَا قَدْ خَزَيْتُمْ
وبها عُيِّرَتْ بنو تميم بِحُبِّ الطعام . قال أحدُ بني كلاب :

أَلَا أبلغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ
وقال الآخر :

إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ
بِخُبْرٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِتَمْرٍ
تَرَاهُ يُنْقَبُ الْبَطْحَاءُ طُرًّا
فَسَرَكُ أَنْ يَعِيشَ فَجِيءُ بِيَزَادٍ
أَوْ الشَّيْءِ الْمُلَفَّفِ فِي الْبِجَادِ
لِيَأْكُلَ رَأْسَ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ !

ودخل بعض أذكىاء بني تميم، ويقال هو الأحنف، على بعض ملوك قريش، ويقال هو معاوية رضي الله عنه، فقال له الملك : ما الشيءُ الْمُلَفَّفُ فِي الْبِجَادِ ؟ قال السَّخِينَةُ، يا أمير المؤمنين . أراد الملكُ أن يُعَيِّرَهُ بالطعام، وأشار إلى الشَّعْرِ السَّابِقِ، وأراد التميميُّ تعييره بالسَّخِينَةِ، وهي طعام، وكانت قريش تُعَيِّرُ بها . ويشبهه هذه القصةُ في تميم أيضا ما يُحْكَى أَنَّ أعرابيا وقف على الفرزدق (فقال له الفرزدق)⁽⁴⁶⁾ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فقال : من فقْعَس . قال : كيف تركت القنَّانَ ؟ قال : تركته يساير لَصَافٍ . أراد الفرزدق قول الشاعر :

ضَمِنَ الْقَنَّانُ لِفَقْعَسٍ سَوَاءِهَا
وَأَرَادَ الْفَقْعَسِيُّ بِقَوْلِهِ يُسَايِرُ لَصَافٍ قَوْلَ الْآخَرِ :

(45) سقط هذا البيت من أ.

(46) سقط من ب.

وَإِذَا تَسْرُكَ مِنْ تَمِيمٍ خَصْلَةً فَلَمَّا يَسُوءُكَ مِنْ تَمِيمٍ أَكْثَرَ
قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُمْ أَسْوَدَ خَفِيَّةً فَإِذَا لَصَافٍ تَبْيِضُ فِيهَا الْحُمْرُ
أَكَلْتُ أَسِيدَ وَالْهَجِيمَ وَدَارِمَ أَيْرَ الْحِمَارِ وَخُصِيَّتِيهِ الْعَنْبَرُ⁽⁴⁷⁾
ذَهَبَتْ فَشِيْشَةُ بِالْبَاعِرِ حَوْلَنَا سَرَقًا فَصَبَّ عَلَى فَشِيْشَةِ أَبْجَرُ

وَالْقَنَانُ، بفتح القاف، جبلٌ لبني أسد، وهو الواقع في قول زهير :

جَعَلَ الْقَنَانَ عَنْ يَمِينِ وَحَزَنَهُ وَمَنْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحَرَّمٍ
وَلِصَافٍ، بكسر اللام وبفتحتها، مُعْرَبًا وَمَبْنِيًّا عَلَى الْكسر، جبلٌ لتميم، وهو الواقع في قول النابغة :

بِمُصْطَحِبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ يَزُرْنَ إِلَّا سَيْرُهُنَّ التَّدَافِعُ
ونحوه ما حكى الجاحظ قال : دخل رجل من مُحَارِبٍ عَلَى عبد الله بن يزيد الهلالي، وهو عامل على أرمينية، وقد بات بقرب غدير فيه ضفادع . فقال عبد الله : مَا تَرَكْتُنَا أَشْيَاخُ مُحَارِبٍ نَنَامُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لَشِدَّةِ أَصْوَاتِهَا . فقال المحاربي : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ ! إِنَّهَا أَضَلَّتْ بَرْقَعًا لَهَا، فَهِيَ فِي بَغَائِهِ . أَرَادَ الْهَلَالِي قَوْلَ الْأَخْطَلِ :

تَنْقُ بِلَا شَيْءٍ شِيُوخُ مُحَارِبٍ وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيْشُ وَلَا تَبْرِي
ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

وَأَرَادَ الْمَحَارِبِي قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لِكُلِّ هَلَالِيٍّ مِنَ الثَّلُومِ بَرْقَعٌ وَلاَبْنِ هِلَالٍ بَرْقَعٌ وَقَمِيصُ
ومما يشبه هذا في الذكاء والفطنة ما حكى عن بعض الناس أنه قال : قعدت على جسر بغداد، فمرت امرأة بارعة الجمال، فائقة الكمال، من الرصافة إلى الجانب الغربي . فاستقبلها شاب ذهب نحو الرصافة، فقال الشاب : رَحِمَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْجَهْمِ . فقالت المرأة : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْعَلَاءِ الْمَعْرِي . وَلَمْ يَقِفْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، بَلْ [مَرَّ] كُلُّ لِحَاجَتِهِ،

(47) أورد في لسان العرب (مادة خصي) هذين البيتين منسوبين إلى أبي المهورس الأسدي هكذا :
قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُكُمْ أَسْوَدَ خَفِيَّةً فَإِذَا لَصَافٍ تَبْيِضُ فِيهَا الْحُمْرُ
عَضَّتْ أَسِيدُ جَدَلٍ أَيْرَ أَبِيهِمْ يَوْمَ النَّسَارِ وَخُصِيَّتِيهِ الْعَنْبَرُ

مُشَرِّقًا وَمُغَرَّبًا قَالَ : فَتَبِعَتِ الْمَرْأَةُ ، فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ لَمْ تَقُولِي مَا قُلْتُمَا . فَضَحْتُكَ فَقَالَتْ :
أَرَادَ الشَّابُّ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ :

عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ
جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي

وَأَرَدْتُ أَنَا قَوْلَ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّي :
فِيَا دَارَهَا بِالْحَزَنِ إِنَّ مَزَارَهَا
قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ

فَانصَرَفْتُ وَتَرَكْتُهَا . وَبَعْضُهُمْ يَنْكَرُ فِي قِصَّةِ عَمْرِو بْنِ هَنْدٍ التَّحْرِيقَ ، وَيَقُولُ إِنَّهُ قَتَلَ
تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَكَمَّ الْعِدَّةَ بِوَأْفِدِ الْبَرَاغِمِ ، وَيُنْشِدُ قَوْلَ جَرِيرٍ : أَيْنَ الَّذِينَ بَنَارَ عَمْرُو
قَتَلُوا ؟ وَفِي الْقِصَّةِ اخْتِلَافٌ وَطُرُقٌ ، وَسَنُعِيدُهَا فِي الْبَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ
آخِرٍ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهَا هُنَاكَ .

إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ .

الْعَصَا مَعْرُوفَةٌ . وَالْقُرْعُ : الضَّرْبُ . وَالْحِلْمُ : الْعَقْلُ .

وَمَعْنَى الْمَثَلِ أَنَّ الْحَلِيمَ إِذَا نُبِّهَ انْتَبَهَ . وَاخْتَلَفَ فِي أَوَّلِ مَنْ قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا :
فَقِيلَ عَامِرُ بْنُ حُمَةَ⁽⁴⁸⁾ ، وَقِيلَ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ ، وَقِيلَ قَيْسُ بْنُ خَالِدٍ ، وَقِيلَ
عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِيُّ وَهُوَ الْأَشْهُرُ ، وَكَانَ حَكَمًا مِنْ حَكَّامِ الْعَرَبِ . فَلَمَّا كَبِرَ ،
قِيلَ وَأَتَى عَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةَ سَنَةٍ أَنْكَرَ مِنْ عَقْلِهِ شَيْئًا ، وَكَانَتْ لَهُ بِنْتُ حَكِيمَةٍ ، فَكَانَ إِذَا قَعَدَ
لِلنَّاسِ وَصَّاهَا أَنْ تَقْرَعَ لَهُ الْمِجَنَّ بِالْعَصَا إِذَا زَلَّ فِي كَلَامِهِ لِيَرْجِعَ . قَالَ الْمُتَكَلِّمُ :
لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تَقْرَعُ الْعَصَا

وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَ

وَأَرَادَ بِذِي الْحِلْمِ عَامِرًا ، وَهُوَ كُنْيَتُهُ فِيمَا يَزْعُمُونَ . وَقَالَ الْحَمَاسِيُّ الْحَرِثُ بْنُ وَعْلَةَ
الْجَرْمِيِّ :

(48) حُرِّفَ فِي أَلْفِ مِصْصَةٍ .

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِينَهُ أَخِي
 فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 فَلَيْتَ عَفَوْتُ لَأَعْفُونَ جَلًّا
 وَلَيْتَ سَطَوْتُ لَأَوْهِنَنَ عَظْمِي
 لَا تَأْمَنَنَّ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ
 وَبَدَّآتَهُمْ بِالشَّتَمِ وَالرَّغْمِ
 إِنَّ يَأْبُرُوا نَحْلًا لِغَيْرِهِمْ
 وَالشَّيْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْمِي
 وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَأَحْلُومَ لَنَا
 إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ
 وَوَطِئْنَا وَطْئًا عَلَى حَنَقٍ
 وَطْءَ الْمُقَيَّدِ نَابِتِ الْهَرَمِ
 وَتَرَكْنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمٍ
 لَوْ كُنْتَ تَسْتَبْقِي مِنَ اللَّحْمِ
 قِيلَ : وَعَامرٌ هَذَا أَوْلُ مَنْ جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ وَتَكَلَّمَ . وَفِيهِ يَقُولُ الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفَرٍ :
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عَلِمِي نَافِعٌ
 أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْدَادِ

وإليه أشار ذو الأصْبَعِ الْعَدُوَانِيَّ بقوله :

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدُوَانٍ
 بَغَى بَعْضُهُمْ ظُلْمًا فَلَمْ
 وَمِنْهُمْ كَانَتْ السَّادَاتُ
 وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ
 وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي
 كَانُوا حَايَةَ الْأَرْضِ
 يَرْعَمُ عَلَى بَعْضٍ (49)
 وَالْمُؤَفُّونَ بِالْقَرْصِ
 بِالسُّنَّةِ وَالْفَقْرِ
 فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي
 يَعْنِي عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ، وَسَيَأْتِي لَهُ مَزِيدٌ خَبَرٌ .

(49) رواه في لسان العرب هكذا : بَغَى بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ فَلَمْ يَرْعَوْا عَلَى بَعْضٍ

إِنَّ فُلَانًا بَاقِعَةٌ .

البَاقِعَةُ : الرجل الداهية ؛ وأصله البقع في الأرض، وهو الذهاب فيها وحلولُ بَقَاعِهَا . يقال : ما أدري أين بَقَعَ، أي ذهب . فالبَاقِعَةُ هو الذي جال بقاء الأرض وعرف خيرها وشرّها، فاستعمل في الداهية الذكيّ الذي لا يفوته شيء . ويقال البَاقِعَةُ هو الطائرُ يَرُدُّ البَقَاعَ وهي الأمكنة يَسْتَنْقِعُ فيها الماءُ، ويحيد عن المزارع والمياه المحصورة خوف أن يُحتال عليه فيُصَاد . فضربُ مثلاً للرجل الحذر المحتال .

إِنَّهُ لَحَبِيبٌ مِنْ أَحْبَالِهَا .

الحَبِيبُ بكسر الحاء، وتَفْتَحُ، الداهيةُ من الدواهي، جمعه حبول . قال كثير :

فَلَا تَعْجَلِي يَاعَزْرُ أَنْ تَتَبَيَّنِي

يَنْصُمُ أَتَى الْوَاشُونَ أَمْ يَحْبُولُ

ويقال للرجل هو حَبِيبٌ مِنْ أَحْبَالِهَا، إذا كان داهيةً كالملك الذي قبله، أو كان قائماً على المال رفيقاً بسياسته .

إِنَّهُ لَذُو بَزْلَاءَ .

البَزْلَاءُ : الرأي الجيّد ؛ وهو إمّا مأخوذٌ من البَزُول، يقال بَزَلَ نَابُ البعير إذا انشَقَّ وطلَعَ ؛ وبَزَلْتُ الشَّيْءَ : شَقَقْتُهُ فَتَبَزَلَ . فالْبَزْلَاءُ : الرأي الذي يَنْشَقُّ عن الصواب . ويقال : رجل بازلٌ إذا احتنك، تشبيهاً بِالْبَازِلِ من الابل . وقال الراعي :

مِنْ أَمْرِ ذِي بَدَوَاتٍ لَا يَزَالُ لَهُ

بَزْلَاءُ يَعْنِي بِهَا الْجَتَامَةُ الثَّلْبَدُ

وإمّا من البَزْلَاءِ وهي الداهيةُ العظيمة . ومنه قولهم : فُلَانٌ نَهَاضٌ بِبَزْلَاءٍ إذا كان مطيقاً للشدائد .

إِنَّهُ لَيْسَرٌ حَسَوًا فِي ارْتِغَاءِ .

الاسْرَارُ ضدُّ الاعلان ؛ والحَسَوُ : الشَّرْبُ ؛ يقال : حسا اللبن والماء والمرق وغير ذلك

إذا شربه ؛ واسم ما يُحَسَى : الحَسَوُ، والحَسَى، مقصوراً وممدوداً ، والحَسَوُ على

مِثَالُ عَدُوٍّ، وَالْحَسِيَّةِ . وَرَغْوَةُ اللَّبَنِ، مِثْلَةُ الرَّاءِ، وَرُغَاوَتُهُ، وَرُغَايُتُهُ، بَضْمُ
الرَّاعِيْنَ، وَيُكْسِرَانِ : زَبَدُهُ الطَّافِي فَوْقَهُ . قَالَ نَضْلَةُ السُّلَمِيِّ فِي يَوْمِ غَوْلٍ،
وَكَانَ حَقِيرًا دَمِيمًا، وَكَانَ ذَا بَأْسٍ وَنَجْدَةٍ :

أَلَمْ تَسَلِ الْفَوَارِسَ يَوْمَ غَوْلٍ
بِنَضْلَةٍ وَهُوَ مَوْتُورٌ مُشِيحٌ ؟
رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ حُرٌّ

وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ
فَشَدَّ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ صَلَتًا

كَمَا عَضَّ الشَّبَابُ الْفَرَسُ الْجُمُوحُ
فَاطْلَقَ غُلًّا صَاحِبِيهِ وَأُرْدَى

قَتِيلًا مِنْهُمْ وَنَجَا جَرِيحُ
وَلَمْ يَخْشَوْا مِصَالَتَهُ عَلَيْهِمُ

وَتَحْتَ الرِّغْوَةِ اللَّبَنِ الصَّرِيحُ
وَالصَّرِيحُ : الْخَالِصُ، وَيُسَمَّى الْمَحْضُ، كَمَا قَالَ طَرْفَةُ :

وَيَشْرَبُ حَتَّى يَغْمُرَ الْمَحْضُ قَلْبَهُ
وَإِنْ أَعْطَهُ أَتْرَكَ لِقَلْبِي مَجْثَمًا

وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ : فَقَدْ جَعَلَ يَسْتَقِفُ فِي لَبَنِ مُحَضٍّ (كَذَا) . وَيَقَالُ : ارْتَغَى الرِّغْوَةَ إِذَا
أَخَذَهَا بِفِيهِ وَاحْتَسَاهَا .

وَمَعْنَى الْمَثَلِ أَنَّهُ يَحْسُو اللَّبَنَ، وَهُوَ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُزِيكُ الرِّغْوَةَ بِفِيهِ
لِيُصْلِحَهُ لَكَ .

يُضْرَبُ لِمَنْ يُرِيكَ أَنَّهُ يُعِينُكَ وَهُوَ يَجِرُّ النِّفْعَ لِنَفْسِهِ . وَكَذَا كُلُّ مَنْ يَرِيدُ أَمْرًا
وَهُوَ يَظْهَرُ غَيْرَهُ . وَقِيلَ لِلشَّعْنِيِّ : إِنَّ رَجُلًا قَبْلَكَ أَمَّ أَمْرَاتِهِ . فَقَالَ : يُسِرُّ حَسَنًا

فِي ارْتِغَاءٍ، وَقَدْ حَرَمَتْ عَلَيْهِ أَمْرَاتُهُ .
إِنَّهُ لَسَاكِينُ الرِّيحِ .

مِثْلُ الرَّجُلِ الْوَادِعِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ إِمَّا مُشَبَّهٌ بِزَمَنْ قَدْ سَكَنْتَ رِيحَهُ

وَهَدَاتُ زَعَارِعُهُ، فَوَرَدَ مَوْرِدَ التَّمْثِيلِ ؛ وَإِمَّا مُشَبَّهٌ بِالرَّيْحِ السَّاكِنَةِ عَنِ الاضطرابِ،
وهو ضَرْبٌ مِنَ التَّجْرِيدِ .

إِنَّهُ لَشَرَابٌ بِأَنْقَعٍ .

الشَّرَابُ : الشَّارِبُ بكثرة ؛ والانْقَعُ : جمع نَقَعٍ، بفتح فسكون، وهو يطلق على
الغبار، ويطلق على محبِسِ الماءِ المستنقعِ، وعلى الأرضِ الحرة الطينِ، يُسْتَنْقَعُ
فيها الماءُ . فيضرب هذا لَمَنْ جَرَّبَ الأمورَ وعَاوَدَ خَيْرَهَا وشرَّها، أو للداهي المُنْكَرِ .
قيل : وأصله في الدليل، وهو أنه إذا كان بصيرا بالفلكوات حَذَفَ في الطريق وعلم
أين يسلك إلى الأنْقَعِ حتى يَرُدَّها . والانْقَعُ هنا : المياهُ المُسْتَنْقَعَةُ، أو
مَحَالُّهَا بحسب ما فيها من الماء . فصار مثلا لكل بصير بالأمور يصل منها إلى مراده .
وقيل أصله أن الطائر إذا كان حذرا مُنْكَرًا، لم يَرِدِ المياهَ التي يَرُدُّها الناسُ،
مخافة الأشراك التي تنصب بحضرتها، وإنما يَرُدُّ الأنْقَاعَ التي في الفلكوات، أي
المياهُ المُسْتَنْقَعَةُ . وحكى البكري بسنده عن رياح بن زيد قال : سألت ابنَ جرير
عن آية، وقلتُ إن مَعْمَرًا أخبرني بكذا، فقال : إن مَعْمَرًا شَرِبَ الْعِلْمَ بِأَنْقَعٍ
(قال) . قال عبد الرزاق : الأنْقَعُ : الصَّفَا الذي يُصِيبُهُ الْغَيْثُ، فيكون ههنا ماءٌ
وههنا ماء .

إِنَّهُ لَصِلُّ أَصْلَالٍ .

الصِّلُّ، بكسر الصاد المهملة : الحَيَّةُ الخبيثة، لا تَنْفَعُ فيها الرُّقَى ولا يبذل
سليمها . قال الشاعر :

وَالْحَيَّةُ الصِّلُّ لَا تَغْرُرُكَ هَدَاتُهُ

فَكَمْ سَلِيمٍ وَمَوْقُودٍ لِنُكْرَتِهِ !

وقال صاحب تأبُّط شرًّا يرثيه :

مُطْرَقٌ يَرْشَحُ مَوْتًا كَمَا أَطْرَقَ

أَفْعَى يَنْفَتُ السُّمُّ صِلُّ⁽⁵⁰⁾

[وجمعه أصلال] فضرب للرجل الداهي المنكر في الخصومات وغيرها، كأنه قيل إنه لحية
الحيئات . قال الشاعر :

(50) هذا البيت من قصيدة نسبها أبو تمام في الحماسة (١: 342) إلى تأبُّط شرا نفسه، وجعل (سُمًّا) بدل (مَوْتًا)

مَاذَا رَزَيْنَا بِهِ مِنْ حَيَّةٍ ذَكَرَ
نَضْنَاضَةً بِالرَّزَايَا صِلُ أَصْلَاكِ ؟

إِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعَصَا .

مثك للقليل الضرب لِّلَايِلِ . قال الراعي :

ضَعِيفُ الْعَصَا بَادِي الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ

عَلَيْهَا إِذَا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ أَصْبُعَا

إِنَّهُ لَصِلُ أَضْلَالٍ .

مثك للدَّاهِي على نحو ما مرَّ آنفًا في الصاد، إلا أنه يقال هنالك : صِلُ أَصْلَاكِ،

بالصاد المهملة وبكسرهما لا غير ؛ ويقال هنا : صِلُ أَضْلَالٍ، بالضاد المعجمة مكسورة
ومضمومة .

ومعناه أنه يُصِلُ خَصْمَهُ وَقِرْنَهُ فلا يهتدي ولا يعرف من حيثُ يأتيه ولا يتجه معه
إلى وجه يخلصه منه . والضَّلَالُ ضدُّ الرِّشَادِ . قِيلَ : وأصله قولهم : أَرْضٌ صِلٌ، إذا
كانت تُضِلُّكَ صاحبها . وأما قولهم : إنه صِلٌ بَنُ صِلٌ . بكسر الضادَيْنِ
وضمَّهما، فمعناه أنه مُنْهَمِكٌ في الضلال، أو أنه لا يُعْرِفُ له أصل، أو أنه لا خَيْرَ
فيه . ويقال للباطل : صِلٌ بِتَضْلَالٍ . قال عَمْرُو بْنُ شَاسِرٍ الاسدي :

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى لَاتَ حِينَ اذْكَارِهَا

وقد حَنِيَّ الْأَصْلَابُ صِلٌ بِتَضْلَالٍ⁽⁵¹⁾

وقيل في قول امرئ القيس :

نَوَاعِمَ يُتْبِعُنَ الْهَوَى سُبُلَ الرَّدَى

يَقْلُنَ لِأَهْلِ الْحِلْمِ ضَلَاً بِتَضْلَالٍ

إنه دعاءٌ بالضلال، أي أي إذا رأين أهل الحِلْمِ قلن لهم : أضلكم الله، ودعون عليهم إذ
لا يَتَّبِعُونَ اللَّهَ، وهو الْبَيِّنُ . قِيلَ : وأنكر أبو عبيدة ضمَّ الضاد في قولهم : ضَلَاً
بتضلال، وقال : لم أسمع الضَّمَّ إلا في صِلُ بن صِلُ .

(51) ورد في لسان العرب : وَقَدْ حَنِيَّ الْأَصْلَاعُ.....

إِنَّهُ لِعِضٌ

الْعِضُّ بكسر العين المهملة وبضاد معجمة، يضرب للرجل الداهي المنكّر البليغ . قال القطامي :

أَحَادِيثُ مِنْ أَنْبَاءِ عَادٍ وَجُرْهُمِ

يُثَوِّرُهَا الْعِضَّانُ زَيْدٌ وَدَغْفَلٌ

ويروي : أَحَادِيثُ مِنْ عَادٍ وَجُرْهُمِ ضِلَّةٌ . ومعنى ضِلَّةٌ : لا يُهْتَدَى إِلَيْهَا، كما قالت السُّلَكَةُ أُمُّ السُّلَيْك :

لَيْتَ شِعْرِي ضِلَّةٌ أَيُّ شَيْءٍ قَدْ تَلَكَ

ومعنى يُثَوِّرُهَا : يُحَرِّكُهَا مِنْ مَكَانِهَا، وَيُثِيرُهَا مِنْ مَظَانِّهَا . ويروي : يُنَوِّرُهَا بِالنُّونِ، أَي يَكْشِفُهَا وَيُبَيِّنُ مَا اسْتَتَرَ مِنْهَا مِنَ النُّورِ الْكَاشِفِ لِلظُّلْمَةِ . وزيدٌ المذكورُ أَحَدُ بَنِي هَلَالِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ . وَدَغْفَلٌ مِنْ بَنِي ذُهَلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ نَسَابَةً .

قيل : وَأَصْلُ الْمَثَلِ مِنَ الْعِضِّ عَلَى النَّوَاجِذِ . يقال : عِضَّ الرَّجُلُ عَلَى نَوَاجِذِهِ إِذَا صَبَرَ عَلَى الْأَمْرِ . قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ يُحَرِّضُ النَّاسَ يَوْمَ صِفِّينَ : عِضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ مِنَ الْأَضْرَاسِ ! فَإِنَّهُ أَنْبَى لِسَيِّفٍ عَلَى الْهَامِ . وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ وَهْلَةَ :

الآنَ لَمَّا أَبْيَضَ مَسْرُبَتِي وَعِضَضْتُ مِنْ نَابِي عَلَى جِذَمِ

وَالنَّوَاجِذِ بِأَلْذَلِكَ الْمَعْجَمَةِ : أَوَاخِرُ الْأَضْرَاسِ، وَاحِدُهَا نَاجِذٌ . وَالْعَرَبُ تَسْمِي النَّاجِذِ ضِرْسَ الْحِلْمِ، لِأَنَّهُ يَنْبُتُ بَعْدَ الْبُلُوغِ وَكَمَالِ الْعَقْلِ . قَالَ النَّمْرُ بْنُ تَوَلَّب :

عَلَى أَنَّهَا قَالَتْ عَشِيَّةَ زُرْتُهَا أَلَمْ يَنْبُتْ لِيَذَا حِلْمُهُ بَعْدِي (؟)

وَرَجُلٌ مُنَجَّدٌ، أَي مُجَرَّبٌ أَحْكَمْتَهُ الْأُمُورُ . قَالَ سُوَيْدٌ بْنُ وَثِيلٍ :

أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشَدِّي وَنَجْدَنِي مُدَاوِرَةُ الشُّؤُونِ

ويقال : إِنَّهُ لِعِضٌ مَالٌ، أَي شَدِيدُ الْقِيَامِ عَلَيْهِ، وَعِضٌ سَفَرٌ، أَي قَوِيٌّ عَلَيْهِ، وَعِضَاضٌ عَيْشٌ، أَي صَبُورٌ عَلَى الشَّدَّةِ، وَغَلَقٌ عِضٌ : لَا يَكَادُ يَنْتَفِخُ .

وَالْعِضُّ أَيْضًا : مَا صَغُرَ مِنْ شَجَرِ الشَّوْكِ، كَالشَّرِيقِ وَالْقَتَادِ الْأَصْغَرِ ؛ يُقَالُ : بِلَدِ ذُو عِضٍّ، وَابِلٌ عَاضَةٌ : تَرَعَاهُ ؛ وَأَهْلُهَا مُعِضُّونَ . فَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ أَصْلُ الْمَثَلِ مِنْ

هَذَا [أَيْضًا].

إِنَّهُ لِلَّيْنِ الْعَصَا .

مَثَلٌ لِلرَّفِيقِ الْحَسَنِ السِّيَاسَةِ لِمَا وُلِّي . قال الشاعر : (52)

عَلَيْهِ شَرِيبٌ وَادِعٌ لَيْنُ الْعَصَا يُسَاجِلُهَا جُمَاتِهِ وَتُسَاجِلُهُ
إِنَّهُ لَنِقَابٌ .

مَثَلٌ لِلرَّجُلِ الْعَالِمِ الْفَهِمِ الْخَبِيرِ بِغَوَامِضِ الْأُمُور . قال أوسُ بْنُ حَجَرٍ :

كَرِيمٌ، جَوَادٌ، أَخُو مَاقِطٍ، نِقَابٌ يُحَدِّثُ بِالْغَائِبِ
قِيلَ : وَأَصْلُهُ مِنَ التَّنْقِيبِ فِي الْبِلَادِ وَتَجْرِبِ الْأُمُور . ونحوه قولهم فِي مَثَلٍ آخِرٍ لِمَجْرِبِ
الْأُمُور : فَلَانٌ قَدْ رَكِبَ ظَهْرَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَعَرَفَ حَالَتَيِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَذَاقَ
طَعْمَيِ الْحُلُوِّ وَالْمُرِّ . وقال الحكماء : لَا يَنَالُ أَحَدٌ الْحِكْمَةَ حَتَّى يَنْسَى الشَّهَوَاتِ،
وَيُجَرِّبَ الْفَلَوَاتِ، وَيُحَالِفَ الْأَسْفَارَ، وَيَنْتَابَ الْقِفَارَ، وَيَصِلَ اللَّيْلَةَ بِالْيَوْمِ، وَيَعْتَاضَ
السَّهْرَ مِنَ النَّوْمِ . وقالوا : النَّظَرُ كَالسَّيْفِ، وَالتَّجَارِبُ كَالْمِيسِنِّ . وقالوا : مِرَاةُ
الْعَوَاقِبِ، فِي يَدِ ذِي التَّجَارِبِ . وقال أبو تَمَّامٍ يَصِفُ بِالتَّنْقِيبِ وَالتَّجْرِبِ :

سَلَى هَكَ عَمَرْتُ الْقَفْرَ وَهِيَ سَبَاسِبُ

وَعَادَرْتُ رَبْعِي مِنْ رَكَابِي سَبَاسِبَا

وَعَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ

وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا

وقال أيضا :

خَلِيفَةُ الْخِضْرِ مَنْ يَرْبَعُ عَلَى وَطَنِ

فِي بَلَدَةٍ فَظُهُورُ الْعَيْسِ أَوْطَانِي

بِالشَّامِ قَوْمِي وَبَعْدَادُ الْمُنَى وَأَنَا

بِالرَّقْمَتَيْنِ وَبِالْفُسْطَاطِ إِخْوَانِي

أَحِبَّةٌ جَاوَرَتْ أَدَابَهُمْ أَدَابِي

فَهُمْ وَإِنْ فَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ جِيرَانِي

وقول أوس المذکور يُحَدِّثُ بِالْغَائِبِ هُوَ مِنْ شَأْنِ النِّقَابِ . والمعنى أَنَّهُ ذُو ذِكَاءٍ قَوِيٍّ

وَفِرَاسَةٍ وَظَنٍّ مُصِيبٍ، كَمَا قَالُوا : فَلَانٌ الْمَعْيِ وقال الشاعر :

(52) هُوَ مَعْنَى بَنِ أَوْسِ الْمُرَزِئِيِّ

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
وقال الآخر :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ إِذَا التَّوَتَ كَانَ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى غَدٍ
وقال ابن الرومي :

كَمَالٌ وَإِفْضَالٌ وَبَأْسٌ وَنَجْدَةٌ وَظَنٌّ يُرِيهِ الْغَيْبَ لَارْجَمُ رَاجِمٍ
وقال آخر :

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى إِلَى (قَوْلٍ) قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : من لم ينتفع بظنِّه، لم ينتفع بيقينه .
وقال عبد الملك بن مروان : ما فرَّق بين عمر وعثمان إلا اختلافُ الظنِّ : ظنُّ عمرُ فأصاب
فتحقَّقَ، وظنُّ عثمانُ فأخطأ فأهمل .

إِنَّهُ لَنَكِدٌ الْحَظِيرَةُ .

النَّكِدُ : الشَّدَّةُ وَالْقِلَّةُ ؛ يقال : نَكِدَ عَيْشُ الْقَوْمِ إِذَا اشْتَدَّ، وَنَكِدَ مَاءُ الْبُئْرِ
إِذَا قَلَّ، وَنَاقَةُ نَكُودٍ : قَلِيلَةُ الدَّرَرِ، وَرَجُلٌ نَكِدٌ : عَسِيرٌ ؛ وَالْحَظِيرَةُ، وَالْحِطَارُ،
بِالضَّاءِ الْمَشَالَةُ : مَا يُجْعَلُ لِلْمَاشِيَةِ وَيَحَاطُ بِالشَّجَرِ وَنَحْوِهِ لِتَأْوِيَ إِلَيْهِ وَيَمْنَعَهَا مِنَ الْحَرِّ
وَالْبَرْدِ، لِأَنَّهُمَا مِنَ الْحَظَرِ وَهُوَ الْمَنْعُ .

يُضْرَبُ هَذَا الْمَثَلُ لِلرَّجُلِ الْقَلِيلِ الْخَيْرِ وَاللِّبْخِيلِ مَعَ السَّعَةِ، فَكَأَنَّ ضَيْقَ حَظِيرَتِهِ كُنَايَةً
عَنْ ضَيْقِ خَيْرِهِ وَقِلَّةِ فَضْلِهِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْمَثَلِ الْآخَرِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى : فَلَانٌ ضَيْقُ
الْعَطَنِ، وَإِنَّمَا الْعَطَنُ مَبْرُكُ الْإِبِلِ (عِنْدَ الْمَاءِ) ؛ لَكِنْ جَعَلَ كُنَايَةً عَمَّا مَرَّ . وَيُقَالُ فِي
ضَدِّهِ : فَلَانٌ رَحْبُ الْفِنَاءِ، وَسَايَغُ الذَّيْلِ، وَغَمَرُ الرُّدَاءِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ . وَقَالَ أَبُو
عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ : أَرَاهُ سَمَّى أَمْوَالَهُ حَظِيرَةً لِأَنَّهُ حَظَرَهَا عِنْدَهُ وَمَنَعَهَا، وَهِيَ
فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ . وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ صَنِيعِ الْكَلَامِ وَأَسْلُوبِ الْعَرَبِ فِي هَذَا النَّحْوِ كَمَا
قَرَّرْنَاهُ.

إِنَّهُ لَهَيْتَرٌ أَهْتَارُ .

الْهَيْتَرُ بِكَسْرِ الْهَاءِ وَسُكُونِ الْمِثَالَةِ الْفَوْقِيَّةِ : الْعَجَبُ وَالِدَاهِيَّةُ، فَيُقَالُ : فَلَانٌ هَيْتَرٌ أَهْتَارُ

ويضرب مثلاً للرجل الداهي، كما تقدم في قولهم : صِلْ أَصْلَكَ . قال أوس بنُ حَجَرٍ
في الهِتْرَ بمعنى العجب :

أَلَمْ خَيْالٌ مُوهِنًا مِنْ تُمَاضِيرَا
هُدُوءًا وَلَمْ يَطْرُقْ مِنَ اللَّيْلِ بَاكِرَا
وَكَانَ إِذَا مَا التَّمَّ مِنْهَا بِحَاجَةٍ

يُرَاجِعُ هِتْرًا مِنْ تُمَاضِيرَ هَاتِرَا
وعن ابن الأعرابي : الهِتْرُ والهِتْرُ، (بالضم) والكسر : ذهابُ العقل . وفي الصَّحاح :
الهِتْرُ : العجب والداهية، والهِتْرُ) : (53) السَّقَطُ مِنَ الْكَلَامِ، يقال : هِتْرٌ هَاتِرٌ، وهو
توكيد . ومنه بيت أوس المذكور عنده .

إِنَّهُ لَوَاقِعُ الطَّائِرِ .

مثلاً للرجل الساكن الأمر . وهو في الأصل إمَّا مُشَبَّهٌ بالبعير يقع عليه الطائر وينزع
ما عليه من القُرَادِ، فيسكن البعير استلذاذاً لذلك ولا يتحرك لئلا يَنْفِرَ الطائر فيطير
عنه، كما يقال في المثل الآتي : كَانَ عَلَى رَأْسِهِ الطَّيْرُ ؛ وَإِمَّا مُشَبَّهٌ بالطائر الواقع
في سكونه على ضَرْبٍ مِنَ التَّجْرِيدِ، كما مرَّ في سَاكِنِ الرِّيحِ .

إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ الْعِنَبَ .

يقال : جَنَى الثَّمَرَةَ، وَاجْتَنَاهَا، وَتَجَنَّاهَا . وَكُلُّ مَا يُجَنَى مِنَ الثَّمَرِ فَهُوَ
جَنَى بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ وَجَنَآةٌ ؛ وَالشَّوْكَ، بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ، مَعْرُوفٌ ؛ الْوَاحِدَةُ :
شَوْكَةٌ ؛ وَشَجَرَةٌ شَاكَةٌ وَشَوْكَةٌ وَشَائِكَةٌ : ذَاتُ شَوْكِ ؛ وَالْعِنَبُ مَعْرُوفٌ .
ومعنى المثل أن الشَّرَّ لَا تَسْتَحْصِلُ مِنْهُ خَيْرًا، وَالْفَسَادُ لَا تَكْتَسِبُ بِهِ صَلاحًا،
كما أن الْعِنَبَ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَ الشَّوْكِ . فَإِذَا أَوْقَعْتَ شَرًّا أَوْ ظَلَمْتَ أَحَدًا فَقَدْ غَرَسْتَ
شَوْكًا، وَلَا تَحْصِدْهُ إِلَّا شَوْكًا . وَفِي الْحِكْمَةِ : مَنْ يَزْرَعُ خَيْرًا يَحْصُدُ غَيْبُطَةً،
وَمَنْ يَزْرَعُ الشَّرَّ يَحْصُدُ نَدَامَةً . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقَدُّوسِ نَاطِلًا
لهذا المثل بعينه :

إِذَا وَتَرْتَ امْرَأَةً فَاحْذَرِ عِدَاوَتَهُ مَنْ يَزْرَعُ الشَّوْكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عِنَبًا

(53) ما بين قوسين سقط من أ

إِنَّ الْعَدُوَّ وَإِنْ أَبْدَى مُجَامَلَةً إِذَا رَأَى مِنْكَ يَوْمًا فُرْصَةً وَثَبًا
وَالْمِثْلُ لَأَكْثَمَ بَنٍ صَيْفِي حَكِيمِ الْعَرَبِ .

إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ .

هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم، قاله لانتصار يصففهم بذلك . والفزعُ يكون
على وجهين : أحدهما الذُّعْرُ والجزعُ، وهو الكثير الاستعمال، والآخر الاستنجادُ
والاستصراخُ، ومنه قول سلامة بن جندل :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارْخٌ فَزَعٌ كَانَ الصَّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَابِيْبِ

أي : إذا أتت مستغيث كانت إغاثنه الجِدَّةُ في نصرته . يقال : قرعَ ظنْبُوبه في هذا
الأمر إذا جدَّ فيه . والظنْبُوبُ : مُقَدَّمُ عَظْمِ السَّاقِ . ويشتق من هذا المعنى أن يكون
فزعٌ بمعنى أغاث . قال هُبَيْرَةُ الْيَرْبُوعِيُّ، الملقَّبُ بِالْكَلْحَبَةِ :

فَقُلْتُ لِكَاسٍ أَجْمِيهَا فَإِنَّمَا حَلَلْتُ الْكَثِيبَ مِنْ زُرُودٍ لَأَفْرَعَا
أَي لَأُغِيثَ . وكأسٌ اسمُ جاريته . والطَّمَعُ معروفٌ .

ومعنى الكلام المذكور وصفُ الانتصارِ رضي الله عنهم بالشجاعة والاقدام، وبذل
النفوس في نصرته الاسلام، وتجشم المضائق في ذلك والعظائم، والتسارع الى المكارم مع
الزهد التام، ورفع الهمة عن الحطام . وهو معنى قوله : وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ،
أي عند وجود الطمع في الناس لسبب من أسبابه . ويصح أن يراد بالطمع المالُ المطموح
فيه، أي : تقلُّون عند حضور الأموال واقتسامها وانتهابها، والقلة على بابها، أو للنَّفْيِ
وهو أبلغ . وناهيك بهذا الكلام مدحًا وثناءً، وبالأنصار رفعةً وسناءً ! ومثلُ هذا المعنى
قول عنتره :

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِيفُ عِنْدَ الْمَطْعَمِ (54)

ومن هذا المعنى قول المهاجرين في الأنصار : إِنْهُمْ يَكْفُونَنَا الْمَوْتَ، ويشاركوننا في
المهنا . ومن باب المشاركة في الشدة قول أبي بكر الخوَارِزْمِيِّ :

أَرَأَاكَ إِذَا أَيْسَرْتَ خَيْمَتَ عَيْنِنَا لِيَزَامَا وَإِنْ أَعْسَرْتَ زُرْتَ لِيَمَامَا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغْبَى وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا

(54) المشهور : عِنْدَ الْمَغْنَمِ، وهو الانسب لما قيل في الأنصار.

وأصله قول الأول :

فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ

إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى، وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ

وَتَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي طَلْحَةَ حِينَ رَأَاهُ مُقْتُولًا يَوْمَ الْجَمَلِ . وورد في ضدّ هذه الصفة، وهو المشاركة في الرفاهية والخذلان في الشدائد أمثال "كثيرة من الشعر، كقول الشاعر :

إِذَا مَا عُلُّوا قَالُوا : أَبُونَا وَأُمُّنَا.

وَلَيْسَ لَهُمْ عَالِينَ أُمَّ وَلَا أَبُ

وقول الآخر :

مَوَالِينَا إِذَا افْتَقَرُوا إِلَيْنَا

وَإِنْ أَثَرُوا فَلَيْسَ لَنَا مَوَالِي

وقول الآخر :

أَبُو رَاشِدٍ مَوْلَايَ مَا طَلَّ حَقُّهُ

فَإِنْ كَانَتْ الْآخَرَى فَمَوْلَى بَنِي سَهْمٍ.

إِنَّ لِلَّهِ جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَلُ .

الجُنُود جمع جُنْد، بضم فسكون، وهو العسكر . ويطلق على الأعوان وعلى المدينة، يقال : الشام خمسة أَجْنَاد، ويراد مدُنُهَا الْخَمْسُ ؛ وعلى الصَّنْف من الْخَلْق على حِدَّة . والعسل معروف . وهذا الكلام وقع لمعاوية، رحمه الله، لما بعث عمرو بن العاصي أميراً على مصر، وفيها محمد بن أبي بكر أميراً عن عليٍّ، كرم الله وجهه . فاقتتلا، فقتل محمد بن أبي بكر واستولى عمرو على مصر . فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليّاً، كرم الله وجهه، فأنفذ إلى مصر الْأَشْتَر النخعيّ في جيش، فزعموا أنه لما سمعه معاوية دسّ إلى دِهْقَانٍ كان بالعريش أن يقتل الْأَشْتَر، وجعل للدِّهْقَانِ أن يُتْرَكَ له خراجُ عشرين سنة . فسأل الدِّهْقَانُ أَيُّ الشَّرَابِ أَحَبُّ إِلَى الْأَشْتَر، ف قيل له العسل، فأتاه بعسل مسموم . فما استقرّ في جوفه إلّا وقد تَلَف . فبلغ معاوية ذلك فقال : إِنَّ لِلَّهِ جُنُودًا مِنْهَا

العَسَكُ . (ولا أدري أهو أَبُو عُدْرَه أم كان مسبوقةً . وظاهر كلام صاحب القاموس أن الجند في هذا المثل أريد به المعنى الأخير من معانيه السابقة، وليس بظاهر، إذ لا معنى لأن يقال في هذا أريد به المعنى الأخير من معانيه السابقة، والقصة أن لله أصنافا من الخلق منها العسل،⁽⁵⁵⁾ وإنما القصد أنه أعوان، لا سيما وكلامه يُحْكِي تارة بلفظ : إن لله جُنُودًا في العَسَك، وبهذه العبارة رأيتها في تأريخ المسعودي، والله أعلم .

إِنَّ فِي الْمَرْنَعَةِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَقْنَعَةٌ .

يقال : رَنَعَ لَوْنُ الرَّجُلِ رَنُوعًا إِذَا تَغَيَّرَ وَذَبَكَ ؛ وَرَنَعَتِ الدَّابَّةُ الذُّبَابَ : طَرَدَتْهُ ؛ وَرَنَعَ بالكسر يرنع : إِذَا لَعِبَ . وَالْمَرْنَعَةُ عَلَى وَزْنِ مَرَحَلَةٍ : السَّعَةِ والدَّعَةِ، وَتُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الرُّوضَةِ، وَعَلَى الْأَصْوَاتِ فِي اللَّعْبِ، وَعَلَى الْقِطْعَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَمِنَ الشَّرَابِ وَمِنَ الصَّيْدِ . وَيُقَالُ لِلْحَمَقَاءِ إِذَا أَثَرَتْ : وَقَعَتْ فِي مَرْنَعَةٍ فَعَيْشِي، أَيِ : وَقَعَتْ فِي خِصْبٍ . وَالْمَقْنَعَةُ : الْغِنَى، وَهِيَ مِنَ الْقِنَاعَةِ، أَيِ : فِي الْمَرْنَعَةِ لِكُلِّ أَحَدٍ مَا يَقْنَعُ بِهِ وَيَسْتَكْفِي . وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ .⁽⁵⁶⁾

إِنَّ فِي مِضٍّ لِمَطْمَعًا .

مِضٌّ بكسر الميم وكسر الضاد المعجمة المثقلة : كلمةٌ تستعمل بمعنى لا . قال : سألت هل وصل، فقالت : مِضٌّ، وهي حكاية صوت الشفتين يكون معه نوع استهزاء، وهي مع ذلك مُطْمِعَةٌ في الإجابة . ومن ثمَّ قالوا : إِنَّ فِي مِضٍّ لِمَطْمَعًا . ويشبه أن يُضْرَبَ عِنْدَ التَّحْرِيزِ عَلَى طَلَبِ الشَّيْءِ وَتَرْجِيهِ مَا دَامَتْ مَخَائِلُ بُلُوغِهِ وَإِنْ ضَعُفَتْ .

إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ .

هو كلام النبي صَلَّى الله عليه وسلم قاله في شأن قُرْمَانَ بْنِ الْحَارِثِ لما أعجبَ المسلمين قتالُه وَغَنَاؤُه، ثُمَّ جُرِحَ وَأَلَمَتِ الْجِرَاحَةُ، فَاسْتَعْجَلَ وَقَتَلَ نَفْسَهُ . وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مَعْنَى مَا فِي خَبَرِ آخَرٍ : إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خِلَافَ لَهُمْ . وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ دَخَلَ فِي

(55) ما بين قوسين سقط من ب.

(56) ورد في لسان العرب : إِنَّ فِي مِضٍّ وَبِضٍّ لِمَطْمَعًا

سواد المسلمين فهو قد يجاهد العدو ويدافع عن المسلمين ويَقْصِمُ ظهور الكافرين، حتى يتأيد الدين بتعزيز المؤمنين، ويضعف الكُفْرُ بذلك الكافرين، طلباً لإعلاء كلمة الله تعالى، وابتغاءاً لمرضاته، فنفع (وانتفع . وقد يفعل ذلك لغير إعلاء كلمة الله أو يُحْبِطُ العملَ بوجه من الوجوه، فَتَفْعَ) (57) ولم ينتفع، عياداً بالله تعالى ! وما ذكره الشارح، صلوات الله وسلامه عليه، غيرُ مُخْتَصِّصٍ بالجهاد، بل في كل وجه من وجوه التأييد كسياسة الأمة، والحكم بين الناس، وتعليم العلم، وقبض الأموال وتفريقها، وبناء المساجد والأسوار والقناطر، ونحو ذلك مما لا ينحصر . وذلك واقع لا محالة، كما أخبر به صلى الله عليه وسلم . وسيأتي تشبيهه العالم غير العامل بالمصباح يضيء للناس وهو يحترق، نسأل اله الكريم، ربَّ العرش العظيم، أن يَقِينَا شَرَّ هذه الورطة، وَيَقِينَا شَرَّ أَنْفُسِنَا وَشَرَّ كُلِّ ذِي شَرٍّ !

إِنَّ اللَّهَ لَن يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ .

هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً قاله في شأن ناقته، وكانت لا تُسَبِّقُ . فجاء أعرابيٌّ على قعود فسبقها . فشَقَّ ذلك على المسلمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكر . وكلَّ ذلك في الصحيح .

إِنَّ اللَّهَ تَفْتَحُ اللَّهَى .

اللَّهُى الأولُ بضم اللام جمع لهُوة بضم اللام، وتفتح أيضاً، وهي العطية أو أفضلُ العطايا ؛ وكذا اللُّهية، وتطلقُ على الألف من الدنانير والدرهم . قال النابغة : عِظَامُ اللَّهَى أَوْلَادُ عُدْرَةٍ إِنَّهُمْ لَهَا مِيمٌ يَسْتَلْهُونَهَا بِالْحَنَاجِرِ (58) وقال الحماسي :

لَعَمْرِي لئنْ أَعْمَرْتُمُ السَّجْنَ خَالِدًا وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطَأَةً الْمُتَثَاقِلِ
لَقَدْ كَانَ يَرْوِي الْمَشْرِقِيَّ بِكَفِّهِ وَيُعْطِي اللَّهَى فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
وَاللُّهُوةُ أيضاً ما يرميه الطاحن بيده في فم الرَّحَى، وكان هذا هو الأصل . واللَّهُى الثاني بفتح اللام جمع لهُاة، على مثال قناة، وهي اللُّحمة المُشْرِفة على الحلق، والجمع بإسقاط الهاء، وقد مدَّه الشاعر ضرورة في قوله :

(57) ما بين قوسين سقط من أ.

(58) ورد هذا البيت في لسان العرب (مادة لها) هكذا :

عِظَامُ اللَّهَى أَبْنَاءُ أَبْنَاءِ عُدْرَةٍ لَهَا مِيمٌ يَسْتَلْهُونَهَا بِالْحَنَاجِرِ

يَا لَكَ مِنْ تَمَرٍّ وَمِنْ شَيْشَاءٍ يَنْشَبُ فِي الْمَسْعَلِ وَاللَّهَاءِ !
 ومعنى المثل أن الاحسان، وتوارد العطايا الحسان، يُطْلَقُ اللسان، بالثناء والشكران .
 وهذا المثل وقع في كلام الكُميت، قيل له : لِمَ صارت أشعارك في بني أُمَيَّةَ أَطْيَبَ
 منها في بني هاشم ؟ فقال : إِنَّ اللَّهَ تَفْتَحُ اللَّهَى ! ومن أطرف ما اتفق في هذا ما
 حكى شمس الدين بنُ خَلَّكان أن المعتمدَ بن عبَّاد الأندلسيَّ ذكر يوما قولَ أبي
 الطيب :

إِذَا ظَفِرْتَ مِنْكَ الْعُيُونُ بِنَظَرَةٍ أَثَابَ بِهَا مُعَيِّي الْمَطِيِّ وَرَازِمُهُ
 فجعل يردِّده استحسانًا له، وفي الحضرة عبدُ الجليل بنُ وهْبُون، فقال ارتجالا :
 لئن جادَ شعْرُ ابنِ الحُسَيْنِ فَإِنَّمَا تُجِيدُ الْعَطَايا وَاللَّهَى تَفْتَحُ اللَّهَى
 تَنْبَأَ عُجْبًا بِالْقَرِيضِ وَلَوْ دَرَى بِأَنَّكَ تَرَوِي شِعْرَهُ لَتَأَلَّهَا
 إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ .

يضرب هذا المثل في المكافأة . وهو للبيد بن ربيعة في شعر له يقول فيه :

فَإِذَا أَقْرَضْتَ قَرْضًا فَاجْزِهِ إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ
 وَإِذَا رُمْتَ رَحِيلًا فَارْتَحِلْ وَاعْصِرْ مَا يَأْمُرُ تَوْخِيمُ الْكَسَلِ
 وَاكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالْأَمَلِ
 وهذه كلها أمثال .

إِنَّمَا سُمِّيَتْ هَانِيًا لِتَهْنَأَ .

التسمية معروفة . وهانئ اسم رجل، والهناء : الاعطاء ؛ يقال : هَنَأْتُهُ هَنْنًا إِذَا
 أَعْطَيْتُهُ وَرَفَقْتَهُ، والاسم الهِنءُ بالكسر ، قيك : وبالفتح أيضا، وهو العطاء ويقال :
 هَنَأَهُ شَهْرًا أو شهرين إِذَا عَالَهُ، هَنْنًا وَهَنَاءَةً . قال الشاعر :
 هَنَأَتْهُمْ حَتَّى أَعَانَ عَلَيْهِمْ سَوَامِي السَّمَاكِ ذِي السِّلَاحِ السَّوَاغِمِ
 يضرب هذا المثل في الحَضَّ على البذل والافضال . وعن الكسائي : وسمعت أعرابيا يقول :
 إِنَّمَا سُمِّيَتْ هَانِيًا لِتَهْنَأَ، أَي لِتَعُولَ وَتَكْفِيَ .

قلت : وينبغي أن يضرب عند تحريض كلِّ ذي وصف، أو لقب أو حرفة على فعل ما

يوجبه ذلك الوصف، إمّا حقيقةً كالقاضي للقضاء بين الناس، والمحتسب للاحتساب، والمعلم للتعليم، والصائغ للصياغة ونحو ذلك ؛ وإمّا على الاشتقاق فقط، كالافضال لمن اسمه فضلك، والحرث لمن اسمه حارث، والهنء لمن اسمه هانئ، فإن ذلك هو أصل المثل . فيقال للذي تسمّى بالقاضي وتأبى عن الحكم : إِنَّمَا سَمِيتَ هَانئًا لَتَهْنَأَ، أي قيل لك قاض لتقضي بين الناس، ونحو هذا .

إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ الْغَنَمَ حِذَارَ الْعَازِبَةِ .

الاشتراء والغنم معروفان ؛ والعازبة : الابل، والعزوب بالزاي في الأصل : الذهاب والبعد . وعزبت الماشية، وعزب بها ربها : بعد بها في المرعى ولم ترح . ورجل عزيز : بعد عن أهله وماله . والعزيب من الابل والشاء : ما يبعد عن أهله في المرعى . وكان لرجل ابل فباعها واشترى غنمًا لثلا تعزب ثم عزبت غنمه فقال : إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ الْغَنَمَ حِذَارَ الْعَازِبَةِ، فذهبت مثلاً . ومضربه واضح من هذا .

إِنَّمَا الْقَرَمُ مِنَ الْأَفِيلِ .

القرم يالفتم : الفحل من الابل، وكذا الأقرم : والأفيل، على مثال أمير : الفصيل وابن المخاض فما فوقه ؛ والجمع إفال، على مثال جبال . قال زهير : فَأَصْبَحَ يُجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمَ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزْنَمٍ وقال الآخر :

فَإِنِّي لَا تَبْكِي عَلَيَّ إِفَالُهَا إِذَا شِيعَتْ مِنْ رَوْضِ أَوْطَانِهَا بَقْلًا
والمعنى أن الجمل إنما يكون قرمًا بعد ما يكون صغيراً أفيلًا . فيضرب في أن الأمر الكبير ينشأ عن الأمر الصغير، على نحو ما مرّ في أن السقط يحرق الحرّة، وما يأتي في قولهم : الْعَصَا مِنَ الْعُصِيَّةِ، ونحوه كثير .

إِنَّمَا هُوَ كَبَارِحُ الْأَرْوَى .

البارح من الطّباء والطير وغيرها : ما ولاك مياسره، وهو أن يمر من ميمنتك الى ميسرتك . يقال : برح الطّبي ونحوه، بفتح الراء، بروحًا، فهو بارح ؛ وعكسه : السّانح . والعرب تتيمّن بالسانح، وتتشاءم بالبارح . وسنذكر ما في ذلك بعده إن

شاء الله تعالى . والأروى، بفتح الهمزة والواو مقصوراً، جمع أروية، بضم الهمزة وكسرهما مع تشديد الياء، أو اسم جمع لها، والأروية : أنثى الأوعال . ويضرب هذا المثل للأمر النادر القليل، لأن الأروى مساكنها قنن الجبال . فلا يوجد منها بارح في الدهر إلا نادراً، ولا سانح .

إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا .

يضرب في تنقل الحالات، وتبدل الساعات . وذلك لأن الخير والشر لما كانا متقابلين، وكان زماناهما في علم الله تعالى مقسطين مقدرين، علِم أن الشر متى حدث في زمن فلخير زمان يقابله يحدث فيه، فعبر عن هذين الزمنين باليوم والغد، لما بين اليوم والغد من التقابل، بل كالذي بين الزمنين . فإذا وقع بك شر فذلك يوم الشر، وللخير زمان يترقب هو عند ذلك اليوم، فتقول تسلياً : إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا . وكذا في العكس، كما قيل :

يَا مَنْ يَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَا يَكُونُ سَرْمَدًا

أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُمْ إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا ؟

وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل :

صَبْرًا فَإِنَّ الْيَوْمَ يَتْبَعُهُ غَدٌ وَيَدُ الْخَلِيفَةِ لَا تَطُولُهَا يَدُ
وَلَكَّ خَيْرٌ مَعْقَبٍ وَلَرْبَمَا أَجْلَى لَكَ الْمَكْرُوهَ عَمَّا يُحْمَدُ
لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ تَفْرِجِ كَرْبَةٍ خَطْبٌ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأُنْكَدُ
كَمْ [مِنْ] عَلَيْكَ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى فَتَجَا، وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْعُودُ !
وقال معن بن أوس المزني :

وإني أخوك الدائم العهد لم أخن وإن زال خصم أو نبايك منزل⁽⁵⁹⁾
وإن سؤتني يوماً صبرت إلى غد ليُعقِبَ يوماً آخر منك أول⁽⁶⁰⁾
ولما خرج المتوكل العباسي إلى دمشق، ركب يوماً إلى رصافة هشام بن عبد الملك بن مروان، فنظر إلى قصورها . ثم خرج فرأى دييراً هنالك قديماً حسن البناء بين مزارع وأشجار

(59) ورد عجز هذا البيت في الحماسة (2 : 8) هكذا : إن أبترأك خصم أو نبايك منزل وأبراه : قهره ويطش به.

وورد في زهر الآداب (2 : 816) هكذا : إذا ناب خطب أو نبايك منزل
(60) في الحماسة وزهر الآداب معاً : ليُعقِبَ يوماً آخر منك مقبيل

ورياض وأنهار، فدخله . فبينما هو يطوف به إذ رأى رقعة بصدرة . فأمر بها فأزيلت وأوتيت بها، فإذا فيها :

يَا مَنْزِلًا بِالْدَّيْرِ أَصْبَحَ خَالِيًا
كَأَنَّكَ لَمْ يَسْكُنْكَ بَيْضٌ نَوَاعِمِ
وَأَبْنَاءُ أُمْلَاكِ غَوَاشِمِ سَادَةٍ
إِذَا لَبِسُوا ادْرَاعَهُمْ، فَعَوَابِسُ
عَلَى أَتْهَمُ يَوْمَ اللِّقَاءِ ضَرَاغِمِ
لِيَالِي هِشَامِ بِالرُّصَافَةِ قَاطِنِ
إِذِ الدَّهْرِ غَضٌ وَالْخِلَافَةُ لَدَنَةٌ
وَرَوْضُكَ مُرْتَادٌ وَلَوْنُكَ مُزْهِرٌ
بَلَى ! فَسَقَاكَ اللَّهُ صَوْبَ غَمَامَةٍ
تَذَكَّرْتُ قَوْمِي خَالِيًا فَبَكَيْتُهُمْ
فَعَزَّيْتُ نَفْسِي وَهِيَ نَفْسٌ إِذَا جَرَى
لَعَلَّ زَمَانًا جَا عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَكُنْ
فَيَفْرَحُ مَحْزُونٌ وَيَنْعَمُ بَائِسٌ
رُويْدَكَ إِنَّ الْيَوْمَ يَتَّبِعُهُ غَدٌ

تَلَاعَبَ فِيهِ شَمَائِلٌ وَدَبُورُ
وَلَمْ يَتَبَخَّثْ فِي فِنَائِكَ حُورُ
صَغِيرُهُمْ عِنْدَ الْأَنَامِ كَبِيرُ
وَإِنْ لَبِسُوا تِيجَانَهُمْ فَبُدُورُ
وَأَيْدِيهِمْ يَوْمَ الْعَطَاءِ بَحُورُ
وَفِيكَ ابْنُهُ يَادَيْرُ وَهُوَ أَمِيرُ
وَعَيْشُ بَنِي مَرْوَانَ فِيكَ نَضِيرُ
وَعَيْشُ بَنِي مَرْوَانَ فِيكَ قَرِيرُ
عَلَيْكَ لَهَا بَعْدَ الرَّوَاحِ بُكُورُ
بِشَجْوٍ، وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
لَهَا ذِكْرُ قَوْمِي أَنَّةٌ وَزَفِيرُ
لَهُمْ بِالْذِّبِ تَهْوَى النُّفُوسُ يَدُورُ
وَيُطْلَقُ مِنْ ضَيْقِ الْوَثَاقِ أُسِيرُ
وَإِنَّ صُرُوفَ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

فلما قرأها المتوكل ارتاع وتطيّر وقال : أعوذ بالله من شرّ أقداره ! واستدعى صاحب الديار وسأله عن أمر الرقعة، فقال : لا علم لي بها ! ويذكر أنه رجع حينئذ الى بغداد، فلم يلبث إلا أياما قلائك حتى قتله ابنه المنتصر، رحمه الله تعالى . وقال الحماسي :

عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعَتْهُ
مِنَ الْيَوْمِ سُؤْلًا أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدٌ
والشعر في هذا المعنى كثير .

إِنَّ مَنْ بِالنَّجَفِ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ لَقَرِيبٌ .

النَّجَفُ، بفتح النون : الموضع المرتفع لا يعلوه الماء . والنَّجَفُ هنا : موضع بقراب الكوفة . وكان قوم من أهل الكوفة فروا من الطاعون الى هذا الموضع، فقال شُرَيْحٌ : إِنَّ

مَنْ بِالنَّجَفِ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ لَقَرِيبٍ . يضرب مثلا للأحداث والأقدار، وأن لا مَلَجًا
منها لِدِيَّارٍ .

إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا.

هذا من كلامه صَلَّى الله عليه وسلّم، وتقدّم شرحه في فضل الشعر . وسببه أن بني
تميم وفدوا على النبي صَلَّى الله عليه وسلّم الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ،
فسأل النبي صَلَّى الله عليه وسلّم عمرا يوما عن الزَّبْرَقَانِ بحضوره فقال : مطام في
أدنيه، شديد العارضة في قوميه، مانع لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فقال الزَّبْرَقَانُ : يا
رسول الله، إنه لَيَعْلَمُ مني أكثر من ذلك ولكنه حسدني . فقال عمرو : أما والله [إنَّه]
لرمن المروءة، ضيقُ العطن، لئيمُ الخال، أحمقُ الولد. ثم قال : والله ، يا رسول
الله ما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى، ولكنني [رجل] رضىتُ فقلتُ أحسن ما
علمت، وغضببتُ فقلتُ أقبح ما علمت . فقال صَلَّى الله عليه وسلّم : إن من البيان
لَسِحْرًا ! وقد بيّن ابن الأهثم بكلامه المذكور وجه الأمر في باب المدح والذم : فإن
العرب كثيرا ما يمدحون الشيء ثم يذمونه بعينه، حتى يكاد العقل يحكم بتناقض
كلامهم، وتهافت مقالهم . وليس فيه مناقضة، وإنما ذلك لاختلاف النظر، كما قال عمرو
المذكور .

وبيان ذلك أن جميع الكائنات التي هي بصدد التغيرات والآفات لا تخلو عن صفة كمال
يَتَجَلَّى الله بها فيها بالوصف الجمالي، وصفة نقصان يتجلى الله تعالى بها فيها
بالوصف الجلاي . فكل مخلوق مشتمل على محاسن ومساوىء، إمّا تحقيقا، كرجل يكون
جوادا وحكيما وهو جبان أو شرير أو قبيح المنظر؛ وإمّا بوجه واعتبار، وذلك أيضا : إمّا
تحقيقا لاختلاف النظر بحسب تعدّد الموجب وتباينه، إمّا عادة وشرعا، كسفك
الدماء ظلما يمدح عادة ويذم شرعا ؛ وكالصمت والتعفف يكون غالبا بالعكس، أو
عادة وعادة، ككثير من أوصاف الخلقة وأنواع الزينة والملابس والمراكب ونحو ذلك ممّا
تختلف فيه العادات استحسانا واستقباحا، وقد يختلف الأمر بحسب المكان والزمان والأقران
والأحوال، وذلك أمر لا ينحصر. وإمّا تخيلا، وذلك إمّا بحسب التشبيه كالورد يحسن
عندما يشبه بالخدود النواضر، ويقتبح عندما يشبه بسرهم البغل؛ وإمّا بحسب النظر

والاعتماد على شبهة كالعسل، بعد كونه حسنا يقبح من حيث إنه قيءٌ زُنْبُور ؛
وكبذل المال جوداً وسخاءً بعد كونه حسناً يقبح من حيث إنه إتلافٌ للأموال وإضاعة لها
وإفكارٌ مُحَوَّجٌ الى التذلل بالسؤال . وهذا تخييل أدنى قوماً من البخلاء الى التصريح
بالثناء على البخل الذي أجمع العقلاء على ذمّه . وألّف سهلُ بنُ هارونَ منهم في
ذلك تأليفاً، وقال قائلهم :

يَارُبُّ جودٍ جَرَّ فَقَرَّ امرئٍ فقامَ في الناسِ مقامَ الدَّلِيلِ
فأشدُّدٌ عَلَى مَالِكٍ واستَبَقِيهِ فالبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ الْبَخِيلِ
وقد عرفت بهذه الجملة أنه يمكنك أن تمدح الشيء وتذمّه بحسب اختلاف اعتباراته، من
غير تماقت في الكلام ولا تناقض : فإنّ التناقض غير لازم، إلّا لو أردت حسناً وقُبْحاً،
ومدحاً وذمّاً على محلّ واحد باعتبار واحد، لكن توارده على محلّين ؛ أو باعتبارين كما
بيّنا . والتفتّشْ لهذه المحالّ واستخرج هذه الاعتبارات الدقيقة هو مرْمَى البُلْغَاءِ،
ومَجَالُ فرسان الشعراء والخطباء، وهو مَحَطُّ البيان والسحر الحلال، كما وقع في القصّة
السابقة : فليس الكلام بمجرد الجمع والتلفيق، ولا الشعر بمجرد الوزن والتقفية، كما قيل :
إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي سِوَى الْوِزْنِ وَحْدَهُ فَقُلْ أَنَا وَزَّانٌ وما أنا شاعِرُ
وهذا كلام ليس من غرضنا، ولكن الحديث شجون . وسنذكر بعدُ ما للشعراء في مدح
الشيب والهرم وذمّه، ومدح طول الليل وذمّه، ونحو ذلك . ولنذكر الآن بعض ما ورد ممّا
يدلّ على ما ذكرنا، زيادة على القصّة المذكورة . قال مَسْلَمَةُ بنُ عبدِ الملك لأخيه
هشام : كيف تطمع في الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان ؟ فقال : لأنّي حليم وأنّي عفيف .
وقالت للحُصَيْن بن المُنْذِر امرأته : كيف سُدَّتْ وأنت دَمِيمٌ بخيل ؟ فقال : لأنّي
سديدُ الرأي شديدُ الاقدام .

وصعد خالد بن عبد الله القسريُّ مِنْبَرَ مَكَّةَ أميراً للوليد بن عبد الملك، فأثنى
على الحجاج خيراً . فلمّا كانت الجمعة الثانية، وقد مات الوليد، ورد عليه كتابُ سليمان
يأمره بشتّم الحجاج وذكر عيوبه وإظهار البراءة منه . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال : إن إبليس كان يظهر من طاعة الله عزَّ وجلَّ ما كانت الملائكة ترى له بها فضلاً،
وكان الله [قد] علم من غشه ما خفي عن ملائكته . فلمّا أراد فضيحتَه ابتلاه بالسجود لآدم،

فظهر لهم ما خفي عنهم فلعنوه . وإن الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له بها فضلا، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين على غشه أو نحوه⁽⁶¹⁾ فalcنوه لعنه الله ! ثم نزل . وكان العباس بن علي عم المنصور يأخذ الكأس بيده ثم يقول لها : أمّا المال فتتلفين، وأمّا المروءة فتخلقين، وأمّا الدين فتفسدين . ويسكت ساعة ثم يقول : أمّا النفس فتسحقين، وأمّا القلب فتشجعين، وأمّا الهمة فتطردين : أتراك مني تفلتين ؟ ثم يشربها .

ويحكى أن عيسى عليه الصلاة والسلام ما عاب شيئا قطّ، فمرّ يوما بكلب ميت فقال أصحابه : ما أنتن ربحه ! فقال عيسى عليه السلام : ما أحسن بياض أسنانه ! وكتب يزيد بن معاوية في كتاب له الى عبيد الله بن زياد، حين ولاه محاربة الحسين رضي الله عنه وأرضاه وأرغم أنوف وأتريه، وكان قبل ذلك سيء الاعتقاد فيه : أمّا بعد، فإن الممدوح مسبوب يومًا، وإن المسبوب ممدوح يومًا . وما ورد من هذا المعنى كثير، فلنقتصر لئلا نطيل.

إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٍ .

تقدّم هذا أيضا في فضل الشعر مبينًا . وقد حكى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الأحبار : ياكعب، هل تجد للشعراء ذكرا في التوراة ؟ فقال كعب : أجد في التوراة قوما من ولد إسماعيل أنا جيلهم في صدورهم، ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال، لا نعلمهم إلا العرب .

إِنَّ مِنَ الشَّرِّ خِيَارًا .

يضرب عند تفاوت ما بين الشرّين حتى يكون الأدنى خيرا بالقياس الى الأعلى . وهو قريب من قولهم : بعض الشر أهون من بعض . وسيأتي .

إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِّينَ .

قد يتمك به . وهو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم حين شكى إليه تطويل أصحابه بالناس في الصلاة، ف قيل له : ما كدنا ندرك الصلاة ممّا يطول بنا فلان، فغضب وقال ذلك وقال : فمن صلى منكم بالناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والمريض وذو الحاجة، أو كما قال صلى الله عليه وسلم . والحديث في الصحيح .

(61) في ب : أو نحو هذا

إِنَّ الْهَدَايَا عَلَى مِقْدَارِ مُهْدِيهَا .

وهو موجود في شعر وهو :

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْصِ هُدُودَةٌ

أَهْدَتْ إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي فِيهَا

وَأَنْشَدَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةٌ:

إِنَّ الْهَدَايَا عَلَى مِقْدَارِ مُهْدِيهَا

لَوْ كَانَ يُهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيَمَتُهُ

لَكَانَ يُهْدَى لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

وهذه القصّة تذكر في حرف الميم إن شاء الله تعالى . والمثل ظاهر المعنى .

أَهْلُ مَكَّةَ أَعْرَفُ بِشِعَابِهَا .

مكة معروفة، زادها الله شرفا . والشعاب جمع شِعْب، وهو من الأرض بكسر الشين،

ومن الناس بفتحها . وهذا مثل مشهور شائع الاستعمال، يضرب للمباشر للشيء والمخالط له

أنه أَخْبَرُ بِهِ وَأَبْصَرُ بِحَالِهِ وَأَعْرَفُ، كقول القائل : وصاحب البيت أدري بالذري

فيه .

أَيْنَمَا أَذْهَبَ أَلْقَ سَعْدًا .

قاله الأضبط بنُ قُرَيْعٍ السَّعْدِيُّ، وكان غَاضِبَ قَوْمِهِ سَعْدَ بْنَ مَنَاةَ بن

تميم، فتجول في القبائل . فلما لم يجد منهم من يَحْمَدُ عِشْرَتَهُ، رجع وقال :

أَيْنَمَا أَذْهَبَ أَلْقَ سَعْدًا، (أي) أينما ذهبت من الأرض ألقي قوماً ألقى منهم مثل

الذي لقيتُ من سعد . ومضرب المثل واضح، وسيأتي أيضا .

أَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ ؟ .

الداءُ : المرض . يقال : داء الرجل يداء دواءً وداءً وادوا، فهو داء ومدى، وأدأته

أيضا : أصبته بمرض، لازم " متعد والبخل معروف . وهذا من كلام النبي صَلَّى الله عليه

وسلّم، قَدِمَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : مَنْ سَيِّدُكُمْ ؟ قالوا الجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، على

بُخْلٍ فِيهِ . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : وأيُّ داءٍ أدوى من البخل ؟ بل

سيّدكم الأغرُّ الأبيضُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ . فقال شاعرهم في ذلك :

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْحَقُّ قَوْلُهُ

لِمَنْ قَالَ مِنَّا مَنْ تَعْدُونَ سَيِّدًا

فَقُلْنَا لَهُ : جَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى التِّي

نُبَخِّلُهُ فِيهَا وَإِنْ كَانَ أَسْوَدًا :

فَتَى مَا تَخْطَى خُطْوَةً لِدَنِيَّةٍ

وَلَا مَدَّةً فِي يَوْمٍ إِلَى سَوْءَةٍ يَدَا.

فَسَوَّدَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ لِحُجُودِهِ

وَحَقًّا لِعَمْرُو بِالنَّدَى أَنْ يُسَوَّدَا :

إِذَا جَاءَهُ السُّؤَالُ أَنْهَبَ مَالَهُ

وَقَالَ خَذُوهُ إِنَّهُ عَائِدٌ غَدَا.

فَلَوْ كُنْتُ، بِاجَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى التِّي

عَلَى مِثْلِهَا عَمْرٌ لَكُنْتُ الْمُسَوَّدَا !

إِيَّاكَ أَعْنِي، وَاسْمَعِي يَا جَارَةَ !.

هذا منك مشهور الاستعمال عند التعريض بإظهارك شيئا وأنت تريد شيئا، وهو

لَنَهْشَكَ بْنِ مَالِكٍ الْفَزَارِي فِي شِعْرِ لَهُ . وَسَبَّهَ أَنَّهُ خَرَجَ يَرِيدُ النُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْذَرِ .

فَمَرَّ بِبَعْضِ أَحْيَاءِ طَيِّءَ، فَسَأَلَ مِنْ سَيِّدُ الْحَيِّ، فَدَلَّ عَلَى حَارِثَةَ بِنْتِ لَأْمٍ

الطَّائِيَّ، فَقَصَدَ رَحْلَهُ، فَلَمْ يُصِْبْهُ حَاضِرًا . فَقَالَتْ لَهُ أُخْتُ حَارِثَةَ : انْزِلْ عَلَى الرَّحْبِ

وَالسَّعَةِ حَتَّى يَلْحَقَ حَارِثَةَ . فَأَنْزَلَتْهُ وَأَكْرَمَتْ مَثْوَاهُ، وَأَحْسَنْتَ قِرَاهُ . ثُمَّ إِنَّهُ رَأَاهَا وَقَدْ

خَرَجَتْ مِنْ خَبَاءٍ إِلَى خَبَاءٍ . فَرَأَى جَمَالًا بَاهِرًا، وَحَسَنًا فَاتِنًا . وَكَانَتْ عَقِيلَةً قَوْمَهَا، وَسَيِّدَةً

نِسَاءِ حَيِّهَا . فَوَقَعَتْ مِنْ قَلْبِهِ كُلَّ مَوْقِعٍ، وَجَعَلَ يَقُولُ :

يَا أُخْتُ خَيْرَ الْبَدْوِ وَالْحَضَارَةِ.

كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فَتَى فَزَارَةَ ؟

أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَةً

إِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةَ !

فَعَرَفَتْ أَنَّهُ يَرِيدُهَا، فَقَالَتْ : مَا هَذَا يَقُولُ ذِي عَقْلِ أَرِيْبٍ، وَلَا رَأْيٍ مُصِيبٍ، وَلَا أَنْفٍ نَجِيبٍ .

أَقِمَّ مَا أَقَمْتَ مَكْرَمًا، وَارْتَحِلْ إِذَا ارْتَحَلْتَ مُسْلِمًا ! فَاسْتَحْيِ وَقَالَ : وَاسْوَأْتَاهُ ! فَقَالَتْ : صَدَقْتَ ! وَارْتَحِلْ وَأَتَى النِّعْمَانُ، فَأَكْرَمَهُ وَحْيَاهُ فَلَمَّا رَجَعَ، نَزَلَ عَلَى أَخِيهَا حَارِثَةَ، وَتَبِعَتْ نَفْسَهُ الْجَارِيَةَ، وَكَانَ جَمِيلًا مَحْبُوبًا . فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ : إِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَاطْخِبْنِي إِلَى أَخِي، فَإِنِّي سَرِيعَةٌ إِلَى ذَلِكَ . فَخَطَبَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَسَارَ بِهَا إِلَى أَهْلِهِ.

وَمِمَّا يُنْسَجُ عَلَى هَذَا النَّمَطِ، وَيُسَلَكُ فِي هَذَا السَّقْفِ، قَوْلُهُمْ :
أَخَذَ فُلَانٌ رُمِيحَ أَبِي سَعْدٍ إِذَا اتَّكَأَ عَلَى الْعَصَا هَرَمًا . وَأَبُو سَعْدٍ قِيلَ هُوَ لِقَمَانُ الْحَكِيمِ، وَقِيلَ هُوَ كُنْيَةُ الْكَبِيرِ وَالْهَرَمِ . وَقِيلَ مَرْتَدٌ بَنُ سَعِيدٍ أَحَدُ وَقْدِ عَادٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ . وَقَوْلُهُمْ : أَخَذَ بِلَغَبٍ رَقَبَتِهِ، بِفَتْحَتَيْنِ، إِذَا أَدْرَكَهُ . وَقَوْلُهُمْ : أَخَذَهُ بِحَذَافِيرِهِ، أَيَّ بِأَجْمَعِهِ . وَيُقَالُ بِحَذَامِيرِهِ، وَبِأَجْمَعِهِ، وَجَرَامِيرِهِ وَجَذَامِيرِهِ، وَبِرَبَّانِهِ، بِفَتْحِ الرَّاءِ وَضَمِّهَا، وَبِصَنَابَتِهِ وَسَنَابَتِهِ، وَبِجَلْمَتِهِ وَجَلْمَتِهِ، وَبِزَغْبَرِهِ وَزَغْبَرِهِ، وَبِزَوْبَرِهِ، وَأَنْشَدُوا :
وَإِنْ قَالَ غَاوٍ مِنْ تَنُوحٍ قَصِيدَةً

بِهَا حَرْبٌ عُدَّتْ عَلَيَّ بِيَزُوبَرًا
وَبِيَزَابَرِهِ وَبِيَصُبْرَتِهِ، وَأَصْبَارُهُ وَبِيَزَابَجِهِ وَزَأْمَجِهِ، وَبِأَصِيلَتِهِ، وَبِطَلِيقَتِهِ، وَبِيَأْزَمَلِهِ . فَهَذِهِ كُلُّهَا مَعْنَاهَا وَاحِدٌ . وَيُقَالُ مَعْنَى : بَرُبَّانِهِ وَبِحَدَاثَتِهِ : بِأَوَّلِهِ وَابْتِدَائِهِ . وَقَالَ :

وَإِنَّمَا الْعَيْشُ بِرُبَّانِهِ وَأَنْتَ مِنْ أَفْنَانِهِ مُفْتَقِرٌ
وقولهم :

إِذَا وَجَدْتَ الظُّبَاءَ الْمَاءَ فَلَا عِبَابَ، وَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فَلَا أَبَابَ، أَيَّ إِنْ وَجَدْتَهُ لَمْ تَعْبُ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ لَمْ تَوُبْ إِلَيْهِ، أَيَّ لَمْ تَتَهَيَّأْ لَطَلْبِهِ . وَقَوْلُهُمْ :

إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ السِّتَيْنِ، فَإِيَّاهُ وَإِيَّا الشَّوَابَ ! وَقَوْلُهُمْ : أَكَلَ فُلَانٌ رَوْقَهُ إِذَا أَسَنَّ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَكَلَ شَبَابَهُ وَأَفْنَاهُ . يُقَالُ : فَعَلَهُ فِي رَوْقِ شَبَابِهِ وَرِيقِهِ، أَيَّ أَوَّلِهِ . وَكَأَنَّهُ مَأْخُذٌ مِنْ رَوْقِ الْبَيْتِ وَرَوَاقِهِ، وَهِيَ الشَّقَّةُ فِي مُقَدَّمَةٍ . وَقَوْلُهُمْ : إِنَّكَ بِمَحَشٍ صِدْقٍ فَلَا تَبْرَحْهُ ! أَيَّ أَنْكَ بِمَوْضِعِ الْخَيْرِ فَالْتَزِمَهُ ! وَالْمَحَشُ، بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ، عَلَى مِثَالِ مَرَدٍّ : الْمَوْضِعُ الْكَثِيرُ الْحَشِيشِ
وقولهم :

إِنَّهُ أَحَدُ الْأَحَدَيْنِ، وَوَاحِدُ الْأَحَدَيْنِ، وَإِحْدَى الْإِحْدَادِ،⁽⁶²⁾ أَي لَا مِثْلَ لَهُ، وَهُوَ أَبْلَغُ الْمَدْحِ . وَقَوْلُهُمْ :

إِنَّهُ ابْنُ إِحْدَاهَا⁽⁶³⁾ أَي كَرِيمُ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ . وَقَوْلُهُمْ :

إِنْ كَذِبْتَ فَحَلَبْتُ قَاعِدًا، أَي ذَهَبْتُ إِلَيْكَ، فَحَلَبْتُ الْغَنَمَ . وَقَوْلُهُمْ :

إِنْ كَذِبْتَ فَشَرِبْتُ غَبُوقًا بَارِدًا، أَي ذَهَبْتُ الْمَاشِيَةَ فَشَرِبْتُ الْمَاءَ . وَقَوْلُهُمْ :

إِنَّ فَلَانًا لَتَدْبُ عَقَارِبُهُ، أَي يَعْتَرِضُ أَعْرَاضَ النَّاسِ . وَقَوْلُهُمْ :

إِنَّهُ لَفِي حُورٍ وَبُورٍ، بَضْمٌ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، أَي فِي ضَلَالٍ أَوْ فِي غَيْرِ صَنْعَةٍ . وَقَوْلُهُمْ :

إِنَّهُ لَوَابِصَةٌ سَمْعٍ، أَي يَثِقُ بِكَ مَا يَسْمَعُ . وَقَوْلُهُمْ

إِنَّمَا فَلَانٌ هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْ غَدٍ، إِذَا كَانَ مَسْنًا، أَي يَمُوتُ فِي يَوْمِهِ أَوْ

غَدِهِ . وَالْهَامَةُ : طَائِرٌ يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِ الْمَيِّتِ . يَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِذَا قَتَلَ الْقَتِيلَ خَرَجَ مِنْ رَأْسِهِ طَائِرٌ،

فَلَا يَزَالُ يَصِيحُ : اسْقُونِي ! حَتَّى يَقْتُلَ قَاتِلَهُ، كَمَا قِيلَ :

بَاعَمَرُوا، إِلَّا تَدَعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي

أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ : اسْقُونِي !

وَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ :

وَهُوَنَ وَجْدِي إِنَّمَا هُوَ فَارِطٌ

إِمَامِي وَإِنِّي هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْ غَدٍ

وَقَالَ كُنَيْزٌ :

فَإِنْ تَسَلَّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَعِ الْهَوَى

فَبِالْيَأْسِ تَسْلُو عَنْكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ

وَكُلُّ خَلِيلٍ زَارَنِي فَهُوَ قَائِلٌ⁽⁶⁴⁾

مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْ غَدٍ

62) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : إِحْدَى الْإِحْدَادِ : الْأَمْرُ الْمُنْكَرُ الْكَبِيرُ . قَالَ :

يَعْكَاظِرُ فَعَلُوا إِحْدَى الْإِحْدَادِ

63) كَذَا فِي الْقَامُوسِ . وَفِي نَسْخَةِ ب : أَحَدِيهَا .

64) فِي أ : وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى نَبِيٍّ وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ : وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى نَبِيٍّ

وكانه اعتبر هنا المعنى المقصود فقط دون السن . وتمثل بهذين البيتين يزيد حين ماتت جاريته حُبَابة في قصّة مشهورة .

ومن الأمثال العاميّة في هذا الباب قولهم : إذا أرادَ اللهُ إهلاكَ النَّمْلَةِ جَعَلَ لها أَجْنِحَةً تَطِيرُ بِهَا ، يضرب للمتسبب سببا يعطب به ، لأن الطير يصيدها إذا طارت . وإلى هذا المثل أشار أبو العتاهيّة بقوله :

وإذا استوتَ للنملِ أَجْنِحَةٌ
حتّى يطيرَ فقدَ دنا عَطْبُهُ

وكان الرشيد كثيرا ما يتمثل به عند نُكْبَةِ البرامكة . وقولهم

إذا امتلأتِ القِرْبَةُ تَرَشَّحَتْ . يضرب للرجل تكثر ذاتُ يَدِهِ ، فلا بدّ أن يُنالَ شيءٌ ممّا عنده . وقول أبي محمد : أنا عَرَبِيّيدُ ، وأنتَ رَعْدِيّيدُ ، وَبَيْنَنَا بَوْنٌ بَعِيدٌ . والعَرَبِيَّةُ : سوء الخلق ؛ والعَرَبِيّيدُ ، والمُعَرَّبِيّيدُ : المؤذّي نديمه عند السُّكَّر . والرَّعْدِيّيدُ ، الجَبَانُ الفزّاع . والبَوْنُ : الفضل والمقدار . وقولهم :
إن لم تَجِدُوا ناراَ فاقْلُوا قَلِيَّةً ! يضرب لِمَن استَحْمَقَ فَطَلَبَ امرأَ
حيث المَظِنَّةُ عَدَمُهُ . وقولهم :

الآن يَمْدُ أَبُو حَنِيفَةَ رَجُلَهُ ! زعموا أن الامام أبا حنيفة ، رحمه الله ، كان به ذات مرّة ألمٌ في رجله ، فكان يمدّها في المجلس بين يدي أصحابه . ثم إنه يوما حضر مَجْلِسَهُ رجلٌ ذو هيئة كَثَّ اللحية لا يعرفه ، فتوهّمه فقيها وقبض رجله استحياء وصبر على ذلك مدّة ، والرجل لا يتكلم بشيء ولا يتبيّن أمره . ثم إنه اختبره بشيء فبان له منه خلاف الظنّ ، فمدّ رجله وقال ذلك .

هذا ما تيسّر إيرادُه في هذا الباب من منثور الأمثال ، بحمد ذي المنّ والافضال . وقد كنت أردت أن أقتبس الأمثال المضروبة في الشعر وأجلبها ، وأودع كل باب من هذا الكتاب جملة وافرة منها ، مشروحة مع التنبيه على شجرتها ، وأصل ثمرتها . ثم بدا لي أن ذلك بحر لا يُدرَك غوره ، ومنزع لا ينال طوره . فرأيت أن أقتصر على إيراد الأمثال النثرية ، وإردافها بالأمثال الشعرية ، متضمنة لما ضرب فيها إلا أن يكون شيء قد انتزع قبل فاذكره . ورأيت

أن أنبه في هذا الباب خصوصا على بعض ذلك ليقبس عليه من أحب استعماله
مستغنياً بذلك عن إعادة مثله في كل باب، فأقول :

أَبَى مَنَّبِتُ الْعِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَ .

أَخَذْنَاهُ مِنْ قَوْلِ جَمِيلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ الْعُذْرِيِّ :

بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لِأَبَاءِ صِدْقٍ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سَيَّرَا
أَرَى كُلَّ عَوْدٍ نَابِتًا فِي أَرْوَمَةٍ أَبَى مَنَّبِتُ الْعِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَا
وَقَبْلَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ يَخَاطَبُ الْحَجَّاجُ :

أَبُوكَ حُبَابُ سَارِقُ الضَّيْفِ رَحْلَهُ وَجَدِّي يَا حَجَّاجُ فَارِسُ شَمْرَا
وَشَمَّرُ : اسم فرس أنثى، وأَبَاءُ الصَّدْقِ : آبَاءُ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالْكَرَمِ . ومعنى سَيَّرَ أَكْثَرَ
السَّيْرِ . والمعنى أن من كان كريم الأصل، رفيع الحسب، جرى على ذلك حينما ذهب،
وكيفما انقلب . والأرومة، بفتح الهمز، وتَضَمَّ، الأصلُ . قال زهير :

صَبَحْنَا الْخَزْرَجِيَّةَ مَرْهَفَاتٍ أَبَارَ ذَوِي أَرْوَمَتِهَا ذَوُوهَا
وَالْجَمْعُ أَرْوَمٌ . قال أيضا :

لَهُ فِي الذَّاهِبِينَ أَرْوَمُ صِدْقٍ وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أَرْوَمُ
وقوله : أَبَى مَنَّبِتُ الْعِيدَانِ إلخ : يريد أن الناس أصولٌ مختلفة، وأعراقٌ متباينة،
كما في الحديث : الناس معادن، وكل أحد باق على أصله : فمن كان من أصلٍ كريمٍ لم
يتحوَّل منه، ومن كان من أصلٍ لئيمٍ لم ينحرف عنه وجعل الناس أعواداً وأعراقاً
منابت على طريق التمثيل.

إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارٌ .

طلع رجلٌ من حَجِيجِ الْمَغْرِبِ إلى عَرَفَةَ، فلقي شيخاً كبيراً، فقال له الشيخ : مَنْ
أَنْتَ ؟ قال : من المغرب . قال : كم بينكم وبين هذا البيت ؟ قال : نحو ستة أشهر فقال
الشيخ : أتَحْجُونَ كل عام ؟ قال : لا . فقال : الشيخ لو كنا منكم لم يفتنا الحج أبداً .
فقال له الرجل : ومَنْ أَنْتَ ؟ قال : من كذا البلد، بعيد بمسيرة عام أو نحوه وأنشد :
زُرْ مَنْ تَحِبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ وَحَالَ مِنْ دُونِهِ سَهْلٌ وَأَوْعَارُ
لَا يَمْنَعَنَّكَ بَعْدُ عَنْ زِيَارَتِهِ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ

والهوى : العيش في الخير والشر . يقال : هوىه بالكسر يفواه هوى ، مقصور .
والزوار : الكثير الزيارة . وكان بشر بن مروان شديدا على العصاة ، وكان إذا ظفر
بالعاصي أقامه على كرسيّ وسمّر كفيّه بالمسامير في الحائط ، ثم نزع الكرسي من تحته ،
فيفقى معلقا يضطرب حتى يموت . وكان فتى من بني عجل مع المهلب بن صفرة
في حروب الأزارقة ، وكان عاشقا لابنة عم له . فكتبت إليه تستزيه فكتب إليها :

لو لا مخافة بشر أو عقوبته وأن يشدّ على كفيّ مسمار
إذا لعطلتُ ثغري ثم زرتكم إنّ المحبّ إذا ما اشتاق زوار
فكتبت إليه :

ليس المحبّ الذي يخشى العقاب ولو كانت عقوبته في إله النار
بك المحبّ الذي لا شيء ينفعه أو تستقرّ ومن يهوى به الدار
فلما قرأ كتابها عطك ثغره وجاءها وهو يقول :

أستغفر الله إذ أخشى الأمير ولم أخش الذي أنا منه غير منتصر
فشان بشر بلحيمي فليعذبه أو يعف عفوا أمير خير مقتدر
فما أبالي إذا امسيت راضية يا هند ما نيك من شعري ومن بشري !
فلم يلبث أن وشي به الى بشر فأتى به فقال : يا فاسق ، عطلت ثغرك ، هلم الكرسي !
فقال : أعزّ الله الأمير ! إن لي عذرا فقال : وما عذرک ؟ فأنشده الأبيات ، فرق له وكتب الى
المهلب أن يثبته في أصحابه .

إنّ الحرّ حرّ

أخذناه من قول الشاعر :

عرضت نصيحة مني ليحيى فقال غششتني والنصم مر
ومالي أن أكون أعيب يحيى ويحيى طاهر الأثواب بر
ولكن قد أتانا أن يحيى يقال عليه في نقعاء شر
فقلت له : تجنب كلّ شيء يعاب عليك إنّ الحرّ حر
والشاعر هو مخيس بن أوطاة الأعرج يخاطب رجلا من بني حنيفة يسمّى يحيى كان

يأتي امرأة في قرية من قرى اليمامة، وهي التي سماها في الشعر . وقوله إِنَّ الْحُرَّ حُرٌّ، أي أن الحرَّ باقرٍ على ما عهد في الأحرار من الهمم العلية، والأخلاق الزكية، ومجانبة الريب، والحذر من سوء المُنْقَلَب .

ومثله قول أبي النجم : أَنَا أَبُو النَّجْمِ وشِعْرِي شِعْرِي، أي شعري هو ذلك المعروف بجزالته وفصاحته وسلاسته.

وكذلك قولهم : النَّاسُ النَّاسُ أي هم على ما عهد فيهم.

ومثل ذلك قول العامة : الْحُرُّ لَا يَكُونُ إِلَّا حُرًّا، وَالرَّجُلُ لَا يَكُونُ إِلَّا رَجُلًا، وَالْعَبْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَبْدًا . ونحو هذا يضربونه عند تقصير الانسان عن بعض ما يحق له أو تعاطيه مالا ينبغي له.

وقوله تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ، هذا من حفظ المروعة . قيل لأحنف بن قيس: بِمَ بَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ ؟ فقال : لو عاب الناسُ الماءَ ما شربته . وقيل لعبد الملك بن مروان، وقد بالغ في الثناء على المصعب بن الزبير رضي الله عنه يوم قتله : أكان المصعبُ يَشْرَبُ الطَّلَا ؟ فقال : لو عيبَ شَرْبُ الماءِ ما شربه . ووصف عمرو بن العاصي بعض الأشراف فقال : إنه أخذ " بثلاث، تارك " لثلاث : أخذ " بقلوب الرجال إذا حُدَّتْ، ويحسن الاستماع إذا حُدَّتْ، وبأيُسَرِ الأمرين عليه إذا خُولِفَ ؛ تارك " لِلْمِرَاءِ، تارك " لمقاربة اللئيم، تارك لما يُعْتَذَرُ منه . وقال أعرابي يوصي صديقًا له: دَعُ مَا يَسْبِقُ إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره : فليس من حكى عندك نُكْرًا، تَوَسَّعَ فَيَكُ عُدْرًا . وهذا كما قال الأوَّل :

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صِدَقْنَا وَانْكَذَبْنَا، فَمَا اعْتِذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلًا ؟
إِنَّ الْحِسَانَ مَظْنَّةٌ لِلْحُسْدِ .

أخذناه من قول الحماسي :

بَيْضَاءُ آنَسَةُ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا قَمَرٌ تَوْسَطَ جُنْحٍ لَيْلٍ مُبَرَّدٍ
مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ إِنَّ الْحِسَانَ مَظْنَّةٌ لِلْحُسْدِ
الْحِسَانُ جَمْعُ حَسَنَاءَ . يقال : جارية حسناء وحسنة وحسانة على مثال رُمَانَةٍ،
فهنَّ حِسَانٌ وحَسَانَاتٌ، ورجل حاسِنٌ وحَسَنٌ . وحُسَيْنٌ وحُسَانٌ بضمّ الحاء مع

تشديد السين وتخفيفها، فهم حسان، وحسانون . ومَظَنَّة الشيء بكسر الظاء : موضع يُظَنُّ فيه وجوده . والحُسَدُ جمع حاسد وحاسدة . والمعنى أن الحسناء مَظَنَّةٌ لأنَّ تُحْسَدَ على حُسْنِها . وكذا كلَّ مَنْ له فضيلةٌ مَّا أو مَزِيَّةٌ مَّا، فهو مظنةٌ لأنَّ يُحْسَدَ، كما يقال : كلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ . ومن ثَمَّ يُتَمَدَّحُ بكثرة الحُسَادِ، ويُذَمُّ بقلَّتِهِمْ لأنَّ وجود الحُسَادِ كنايةٌ عن وجود الفضل والنعمة كما قيل : حَسَدُوا مَرُوءَتَنَا فَضْلُكَ سَعِيْهِمْ وَلِكَ بَيْتٍ مَّرُوءَةٍ أَعْدَاءُ وَقَالَ الْآخَرُ :

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا فِدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيْظًا بِمَا يَجِدُ أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي صُدُورِهِمْ لَا أَرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرُدُ وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ أَوْ غَيْرُهُ :

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيَهُ كَضَرَائِرِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لِوُجْهِهَا وَقَالَ عَمَّارُ بْنُ عَقِيلٍ بْنُ بِلَالٍ بْنِ جَرِيرٍ : مَا ضَرَرَنِي حَسَدُ اللَّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ وَقَالَ بَشَّارُ :

لَا عَشْتُ خِلُوا مِنَ الْحُسَادِ إِنَّهُمْ أَبْقَى لِي اللَّهُ حُسَادِي بَرِّغَمِهِمْ وَقَالَ مُحَمَّدٌ :

أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِنِّْي الرِّضَى إِلَّا الْحَسُودَ فَإِنَّهُ أَعْيَانِي لَا أَنْ لِي ذَنْبًا لَدَيْهِ عَلِمْتُهُ وَقَالَ ابْنُ أَبِي الطَّاهِرِ :

وَلَمْ يَزَلْ ذُو النِّقْصِ مِنْ نِقْصِهِ وَقَالَ الْآخَرُ :

وَنِعْمَةُ اللَّهِ مَقْرُونٌ بِهَا الْحَسَدُ

وقال الآخر :

وَلَنْ تَرَى لِلنَّاسِ حُسَادًا
إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ .

أخذناه من قول الحماسي :

عَلَيْكَ بِا لْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ
وَالْخُلُقُ بضمّ الخاء واللام، وتسكّن : السجية والطبع ؛ وَتَخْلُقُ الرجلُ بغير خُلُقِهِ :
تكلف ذلك . والمعنى أن السجاي لا تزول، والخلائق القديمة لا تحول، كما قيل :
يُرَامُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ
ومن كلام العامة : تَنْتَقِلُ الْجِبَالُ وَلَا تَنْتَقِلُ الطَّبَاعُ : فمتى تخلّق
الانسان بغير خُلُقِهِ، وتكلف ما ليس في طَوْقِهِ، لقي العناء الشديد، أو افتضح غير
بعيد، كما قال حسّان :

إِنَّ "خَلَائِقَ" فاعلم شرّها البدع

وسياتي إتمام هذا المعنى في قولهم : الطَّبَعُ امْلِكُ في حرف الطاء، إن شاء الله
تعالى .

إِنَّ السُّمَّ مَشْرُوبٌ .

أخذناه من قول الحماسي عبد الله بن عَنَمَةَ الضَّبِّيُّ :

مَا إِنْ تَرَى السَّيِّدُ زَيْدًا فِي نَفُوسِهِمْ كَمَا تَرَاهُ بَنُو زَيْدٍ وَمَرْهُوبُ
إِنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ نَعَطِ الْحَقَّ سَائِلُهُ وَالدَّرْعُ مُحَقَّبَةٌ وَالسَّيْفُ مَقْرُوبُ
وَأَنْ أَبَيْتُمْ فَإِنَّا مَعْشَرُ أَنْفٍ لَا نَطْعَمُ الْخَسْفَ إِنَّ السُّمَّ مَشْرُوبُ
فَازْجُرْ حِمَارَكَ لَا يَرْتَمِ بَرُوضَتِنَا إِذَا يَرْدُ وَقِيدُ الْعَيْرِ مَكْرُوبُ
السَّيِّدُ بالكسر : قبيلة من ضنّة ؛ وزيد ومَرْهُوب : حيّان من ذُهل بن شيبان . يقول :
إنكم لا تعظّمون في نفوسنا كما يعظّم بعضكم في نفوس بعض ؛ فإن طلبتم الحق
أعطينا، وكان السلم بيننا حتى تكون الدرع مُحَقَّبَةً، أي مجعولة في الحقائق وهو
مؤخّر الرحال، وتكون السيوف مقروبة أي مجعولة في قربها لعدم الحاجة الى استلالها .
وقوله :

أُنْفٌ جمع أنوف . والخسف : الظلم والذل . والمعنى : اننّا نمتنع أن تلمسنا يد الظالم، ونعاف أن نطعم الهوان والضميم، ويهون علينا في نيك العزّة والارتفاع، تجشّم غمّرات الدفاع، واصطلاء جحيم القِرَاع، حتى نشرب سموم الموت المنقّعة، بأطراف الأسنّة المُشرّعة . وضرب الطّعْمَ لنيك الهوان، وشرب السمّ للموت والألم مثلاً .

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا خَادَعْتَهُ انْخَدَعَ .

هذا في شعر لم أثبته الآن . وقد تمثّل بهذا المثل الرشيد، وذلك أنه كان سخط على حميد الطوسيّ، فدعا له بالنطع والسيف لتضرب عنقه . فلما أخذ من بين يديه لتضرب عنقه بكى، فقال له الرشيد : ما يُبكيك ؟ أجزعاً من الموت ؟ قال : لا، ولكن بكيت أن أخرج من الدنيا، وأمير المؤمنين عليّ ساخط . فضحك الرشيد وأنشد : إنّ الكريم إذا خادعته انخدع، ثم وهبه للحسن بن قحطبة .

إِنَّ لَيْتَا وَإِنَّ لَوْ عَنَاءٌ .

أخذناه من قول الحماسي :

إِنَّمَا مُتُّ غَيْرَ أَنِّي حَيٌّ	يَوْمَ بَانَتْ بُودُهَا الْحَسَاءُ
مِنْ بَنِي عَامِرٍ لَهَا شَطْرُ قَلْبِي	قِسْمَةٌ مِثْلُ مَا يُشَقُّ الرَّدَاءُ
أَشْرَبْتُ لَوْنَ صُفْرَةٍ فِي بِيَاضٍ	وَهْنِي فِي ذَاكَ لَدَنَةً غِيدَاءُ
كُلُّ عَيْنٍ مَتَى تَرَاهَا مِنْ	النَّاسِ إِلَيْهَا مَدِيمةٌ حَوْلَاءُ
لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتٌ	إِنَّ لَيْتَا وَإِنَّ لَوْ عَنَاءُ

وأراد بالليّ التمنيّ، وجعله اسمه، كقوله : لَيْتٌ، وهكّ يَنْفَعُ شَيْئًا لَيْتٌ ؟ ولو هنا هي التي تكون للتمنيّ، نحو : لو تَأْتِينَا فَتُحَدِّثْنَا . وجعله اسماً كقوله : أَلَامُ عَلَى لَوْ وَلَوْ كُنْتُ عَالِمًا بِأَذْنَابِ لَوْ لَمْ تَفْتَنِّي أَوَائِلُهُ وَالْعَنَاءُ : المشقة والتعب . يريد أن ما ذكر بعيد المطلب، فتمنيّه مشقة وتعب . وللبيتين الأولين قصّة ظريفة، وهي أنه كان فيما يزعمون لأمر المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قاضٍ يميل الى سماع القيان، فسمع يوماً قينةً تُغني بالبيتين الأولين من هذا الشعر، فَطَرِبَ لذلك طرباً شديداً وقام من مجلسه وأخذ نعليه وعلّقهما في أذنيه وجعل يقول : أَهْدُونِي، فَإِنِّي هَدِيَّةٌ ! فبلغ ذلك عمر رضي الله

عنه فعزله. فلما بلغه العزل، قال : لِمَ عَزَلْتَنِي ؟ امرأته طالق لو سمعها لقال : اركبُوني فإنني مَطِيَّةٌ ! فلما بلغ خبره عمر أمر أن يُؤْتى به مع الجارية . فلما جلسا بين يديه، قال له : مُرْها أن تُعْني بذلك الغناء ! فلما غنَّت، اضطرب عمر لذلك اضطرابا شديدا، ودخلته الأريحيةُ، واستعاد الصوت منها مرارا، وبكى وقال للقاضي : قد قَارَبْتُ يَمْنِيكَ، وردَّه إلى قضائه .

أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْذَبُ ؟

أخذناه من قول النابغة يعتذر للنعمان :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْذَبِ ؟
والتهذيب : التصفية والتنقيح ؛ والرجل المهذب : المطهر الاخلاق . والاستفهام للنفي، أي لا رجل يكون أبداً حسن الفعال، طاهر الخلال، محمود الخصال، إِلَّا مَنْ عَصِمَ، كقول الآخر :
مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ ؟ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ ؟
وإذ قد أتينا في هذا البيان على ما تيسر من الأمثال النثرية، فلنُلِمَّ بشيء من الأمثال الشعرية، أو ما يكون جاريا على منهاجها، وماضيا على ادراجها، قال الحماسي أمية بن أبي الصلت الثَّقَفِيُّ يمدح عبد الله بن جدعان القرشي التيمي :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ ؟ إِنَّ شِمْتَكَ الْحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحُقُوفِ وَأَنْتَ فَرَعٌ لَكَ الْحَسَبُ الْمُهْذَبُ وَالسَّنَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَنْتَهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَلَا مَسَاءُ
إِذَا أَتْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرَمَةً وَمَجْدًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجَحَرَهُ الشَّتَاءُ
والذي يُتَمَثَّلُ به كثيرا منه هو قوله : أَذْكُرُ حَاجَتِي... البيت، وقوله : « خليل لا يغيره... البيت، مع الذي بعده، وقد يقرن بينهما . والمضرب واضح . وكثيرا ما

ينشد السادات الصوفيّة : كَرِيمٌ ما يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ ، إلخ ، يتمثلون بذلك عند التنبيه على أن التعرض لمواهب المولى جَلَّتْ كلمته ، ومزيدِ مِنْحِهِ الجميلة ، وَمِنْهُ الجزيلة ، بطريق الثناء والشكر والذكر وكثرة التحميد والتبجيل ، والتَّعَبُّدِ والمجاهدة ، أَبْلَغُ من التعرض لذلك بمجرد الدعاء طلباً لنيل حاجة . ولهذا ورد في كلام الشارع صلوات الله وسلامه عليه : أَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ! وقال تعالى : لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . وهذا مقام يُبَيِّنُ في محله . وقال أبو نواس الحسن بن هانئ :

دَعُ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ ودَاوْنِي بِالتِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
صَفْرَاءُ لَا تَنْزَلُ الْإِحْزَانُ سَاحَتَهَا لو مَسَّهَا حَجْرٌ مَسَّتْهُ سَرَاءُ
حتى قال :

لِتِلْكَ أَبْكِي وَلَا أَبْكِي لِمَنْزِلَةٍ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا هِنْدٌ وَأَسْمَاءُ
فَقُلْ لِمَنْ يَدْعِي فِي الْحُبِّ مَعْرِفَةً عَرَفْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ
والذي يُتِمِّتُكْ به منها كثيرا الشطر الأول والأخير . أمّا الأول فقد أخذه ابنُ قَلَاقِسَ فقال :

فَدَعِيَ الْمَلَامَةَ فِي التَّصَابِي وَعِلْمِي أَنَّ الْمَلَامَةَ رُبَّمَا تُغْرِينِي
وَأَكْثَرُ الشَّعْرَاءُ فِي هَذَا النِّحْوِ ، وَكُلُّهُمْ مُقْتَبِسُونَ مِنْهُ ، حَائِمُونَ عَلَيْهِ . فمن ذلك قولُ ابنِ شَرَفَ :

قُلْ لِلْعَذُولِ : لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَى الَّذِي عَايَنْتُهُ لَعَنَّاكَ مَا يَعْنِينِي
أَتُصَدِّقُنِي أَمْ لِلْغَرَامِ تَرَدُّدُنِي وَتَلَوْنِي فِي الْحُبِّ أَمْ تُغْرِينِي ؟
دَعْنِي ، فَلَسْتُ مُعَاقِبًا بِجَنَائِي إِذْ لَيْسَ دِينُكَ لِي وَلَا لَكَ دِينِي
وقول الآخر :

وَمَا عَذُولِي نَاهِيًا عَنْكُمْ لَكِنَّهُ بِالصَّدْرِ أَمَّارُ
قال : اسْلُهُمْ إِنْ لَمْ تُطَقْ هَجْرُهُمْ قُلْتُ لَهُ : النَّارُ وَلَا الْعَارُ
وقول الآخر :

يَقُولُ لِي الْعَاذِلُ فِي لَوْمِهِ
مَا وَجْهُ مَنْ أَحْبَبْتَهُ قَبْلَةَ
وقول الآخر :

يَا عَاذِلِي لَيْسَ مِثْلِي مَنْ تَفَنَّدَهُ
مَا دَمْتُ خِلَواً فَمَا تَنَفَكُ مَتَّهَمًا
وقوله :

مَنْ مُنْصِفِي مِنْ عَاذِلٍ جَاهِلٍ
إِنْ قُلْتُ : مَا نُصْحُكَ إِلَّا أَدَى
وقوله :

إِنَّ قَوْمًا يَلْحُونُ فِي حُبِّ سَعْدَى
سَمِعُوا وَصَفَهَا وَلَا مَوَا عَلَيْهَا
وقول الآخر :

أَسْرَفْتُ فِي اللَّوْمِ وَلَمْ تَقْتَصِرْ
قَدْ رَضِيتَ نَفْسِي بِمَحْبُوبِهَا
وقول الآخر :

تَعَرَّضَ لِي الْآحِي وَجَاءَ يَزُورُنِي
وَقَالَ : اسْكُ عَنْ هَذَا وَعُدْ عَنْ غَرَامِهِ
وقول الآخر :

زَعَمُوا أَنَّنِي هَوَيْتُ سِوَاكُمْ
قَدْ عَلِمْتُمْ بِصِدْقِ مُرْسَلِ دَمْعِي
قَالَ لِي عَاذِلِي : مَتَى تُبْصِرُ الرُّشْدَ
وقول ابن سَنَاءِ الْمُلْكِ :

أَيَا عَاذِلِي فِيهِ لَمَّا رَأَهُ
وَهَبَكَ أَبَا ذَرٍّ هَذَا الْمَلَامَ

وَقَوْلُهُ زُورٌ وَبُهْتَانٌ :
قُلْتُ : وَلَا قَوْلُكَ قُرْآنُ

وَلَيْسَ مِثْلُكَ مَأْمُونًا عَلَى عَاذِلِي
إِعْشَقْ وَقَوْلُكَ مَقْبُولٌ عَلَيَّ وَلِي

يَخُونُ بِاللَّوْمِ لِمَنْ لَا يَخُونُ ؟
قَالَ : وَمَا عِشْقُكَ إِلَّا جُنُونُ

لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا
أَخَذُوا طَيِّبًا وَأَعْطَوْا خَبِيثًا

وَزِدْتَ فِي لَوْمِكَ يَا ذَا الْعَدُولِ
وَإِنَّمَا الْمَوْلَى كَثِيرُ الْفُضُولِ

وَزَخَرَفَ لِي زُورَ الْكَلَامِ بِمِثْنِهِ
فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا الْفُضُولُ بِعَيْنِهِ

كَذَبُوا، مَا عَرَفْتُ إِلَّا هَوَاكُمُ
فَسَلُّوهُ إِنْ كَانَ قَلْبِي سِوَاكُمْ
وَتَسَلُّوْا ؟ فَقُلْتُ : يَوْمَ عَمَّاكُمْ

لَتَنْ كُنْتُ أَعْمَى فَإِنِّي أَصَمُّ
فَأِنِّي أَبُو جَهْلٍ ذَاكَ الصَّمَمُ

وقوله أيضا :

وصَفْتُكَ وَاللَّاحِي يُعَانِدُ بِالْعَذَلِ فَكُنْتُ أبا ذرٍّ وَكَانَ أبا جَهْلٍ
لَهُ شَاهِدَا زُورٍ مِنَ النَّهْيِ وَالنُّهَى عَلَيْكَ وَمِنْ عَيْنِكَ لِي شَاهِدَا عَدَلٍ
وقول آخر :

وبي عاذلٌ يُغَرِّي إلى الجَهْلِ لم يَخَلْ بِأَنْيِّ فِي دَعْوَى الْغَرَامِ أَبُو ذرٍّ
والمراد بهذا الصَّدَقُ فِي الْهَوَى . ومن هذا النمط قول الآخر :
وشادن ، مُبْتَسِمٌ عَنْ حَبَبٍ مُورَدٍ الْخَدَّ مَلِيحِ الشَّنَبِ
يَلُومُنِي الْعَاذِلُ فِي حُبِّهِ وَمَا دَرَى شَعْبَانُ أَنْيَّ رَجَبِ
وذلك لأن شَعْبَانَ عِنْد الْعَرَبِ يُسَمَّى الْعَاذِلُ ، وَرَجَبٌ يُسَمَّى الْأَصَمَّ . وممَّا نحن
فيه قول الآخر :

إذا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِيَّ الْهَوَى أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجَرُ
أشار بالشرط الأول إلى أن العذل يُغَرِّيه . وقول البوصيري :
مَحْضَتْنِي النَّصَمَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إِنَّ الْمُحِبَّ عَنْ الْعُذَالِ فِي صَمَمِ
وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُ عَفِيفِ الدِّينِ التَّلْمَسَانِي :

ولي عَلَى عَاذِلِي حُقُوقُ هَوَى عَلَيْهِ شُكْرِي بِبَعْضِهَا يَجِبُ
لَمْ فَلَمَّا رَأَاهُ هَامَ بِهِ فَكُنْتُ فِي عِشْقِهِ أَنَا السَّبَبُ
وقول الآخر :

أَبْصَرُهُ عَاذِلِي عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا رَأَاهُ
فَقَالَ لِي : لَوْ هَوَيْتَ هَذَا مَا لَأَمَكَ النَّاسُ فِي هَوَاهُ
قُلْ لِي إِلَى مَنْ عَدَلْتَ عَنْهُ فَلَيْسَ أَهْلُ الْهَوَى سِوَاهُ
فَظَلَّ مِنْ حَيْثُ لَيْسَ يَدْرِي يَأْمُرُ بِالْحُبِّ مَنْ نَهَاَهُ
ومن ذلك قول حفص العليمي :

أَقُولُ لِجِلْمِي لَا تَزَعْنِي عَنِ الصَّبَا وَلِلشَّيْبِ لَا تَذَعِرْ عَلَيَّ الْغَوَانِيَا
طَلَبْتُ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ حَتَّى وَجَدْتُهُ وَصَيَّرْتُ فِي نَجْدٍ بِهِ مَا كَفَانِيَا
وقول الخُزَاعِي :

هُدِّدْتُ بِالسُّلْطَانِ فِيكَ وَإِنَّمَا أَخْشَى صُدُوكَ لَا مِنْ السُّلْطَانِ
وَقَوْلِ أَبِي الشَّيْصِرِ :

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْلُمْنِي اللَّوْمُ
وَأَمَّا بَيْتُهُ الْأَخِيرُ، فَيُنْشِدُهُ الْمُتَمَثِّلُونَ الْيَوْمَ :

قُلْ لِلَّذِي يَدَّعِي عِلْمًا وَمَعْرِفَةً عَرَفْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

عَجِيبَةٌ : حَكَى أَنَّ الْمُفْضَلَ الضَّبِّيَّ قَالَ لَهُ الرَّشِيدُ - دَلَّنِي عَلَى بَيْتٍ أَوَّلَهُ أَكْثَمُ ابْنِ
صَيْفِيٍّ فِي أَصَالَةِ الرَّأْيِ وَجُودَةِ الْمَوْعِظَةِ، وَآخِرُهَا بُقْرَاطٌ فِي مَعْرِفَةِ الدَّوَاءِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ هَوَّلْتَ عَلَيَّ . فَقَالَ : هَذَا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ : دَعُ عَنْكَ لَوْمِي . وَسَأَلَ حَامِدُ
بْنُ الْعَبَّاسِ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى الْوَزِيرَ، فَقَالَ لَهُ : مَا دَوَاءُ الثَّمَلِ، وَقَدْ عَلِقَ بِهِ ؟ فَأَعْرَضَ
عَنْهُ الْوَزِيرُ وَقَالَ : مَا لَنَا وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ ؟ فَخَجَلَ حَامِدٌ، وَإِذَا بِقَاضِي الْقَضَاةِ أَبِي عَمْرِو قَدْ
وَرَدَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا قَعَدَ سَأَلَهُ حَامِدٌ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ الْقَاضِي : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَا آتَاكُمُ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : اسْتَعِينُوا عَلَى كُلِّ صَنْعَةٍ بِصَالِحِي أَهْلِهَا، وَالْأَعَشَى هُوَ الْمَشْهُورُ
بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ :

وَكَأْسٌ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَآخَرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

ثُمَّ تَلَاهُ أَبُو نَوَاسٍ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

دَعُ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوِنِي بِالنَّتِي مِنْهَا بِي الدَّاءُ
فَأَشْرَقَ وَجْهُ حَامِدٍ حِينَئِذٍ وَقَالَ لِلْوَزِيرِ : مَا ضَرَرُّكَ يَا بَارِدُ لَوْ أَجَبْتُ بِبَعْضِ مَا أَجَابَ بِهِ قَاضِي
الْقَضَاةِ، وَقَدْ اسْتَظْهَرَ فِي الْجَوَابِ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَبَيَّنَ الْفُتْيَا وَأَدَّى الْمَعْنَى وَتَبَرَّأَ مِنَ الْعُهُدَةِ ؟ فَكَانَ خَجَلَ الْوَزِيرِ مِنْ حَامِدٍ بِهَذَا
الْكَلَامِ أَكْثَرَ مِنْ حَامِدٍ مِنْهُ لَمَّا ابْتَدَأَهُ بِالْمَسْأَلَةِ .

قُلْتُ : وَهَذَا الْكَلَامُ مِنَ الْقَاضِي كَانَ عَلَى مَجَارَاةِ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، وَتَبْيَانِ مَا ثَبَتَ فِي نَفْسِ
الْأَمْرِ مِنْ بَعْضِ مَنَافِعِ الْخَمْرِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِلْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ مِنْ حَرِّمَةِ الذَّادَوِيِّ بِهَا،

لعلمه أن السائل يعرف ذلك، وإلا فكان الواجب أن يستدرِك عقب كلامه بما ذكر النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم فيمنَّ تدَّأوى بالحرام، والله أعلم.

واعلم أن التَّصامُمَ عن العَذْلِ قد تقدَّم في كلام الشعراء كثيرا قبل أبي نواس، كقول زهير في الجُود :

وَأَبْيَضَ فَيَأْضِرْ يَدَاهُ غَمَامَةً عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تَغْبُ نَوَافِلُهُ
بَكَرْتُ عَلَيْهِ غُدُوَّةَ فَرَأَيْتُهُ قَعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ
يُفْدِيْنَهُ طَوْرًا وَطَوْرًا يَلْمُنُهُ وَأَعْيَى فَمَا يَدْرِيْنَ أَيْنَ مَخَاتِلُهُ
فَأَقْصَرَ مِنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مَرْزَأٍ عَزُومٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ

غير أن أبا نواس لم يكتفِ بكون العَذْلِ ضائعاً، حتى جعله ناجعاً، في عكس المطلوب، ونقيض المرغوب . ولم يحضرني الآن أسْبِق بهذا أم لا . وقال الشاعر :

الْقَاهُ فِي الْبَحْرِ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ : إِيَّاكَ، إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَ بِالْمَاءِ !
وهو مثل مشهور يضرب عند إلزام الشخص ترك ما لا مَحِيصَ له عنه عند وجود سببه، أو ارتكاب ما لا قدرة له عليه. ومنه التكاليف الشرعية عندنا مَعَشَرَ الْأَشَاعِرَةِ عند النظر الى التحقيق وباطن الأمر، إلاَّ أَنَّا نَجُوزُ فِي حَقِّ الْمَلِكِ الْحَقَّ تَعَالَى أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ ويحكم ما يريد من غير قُبْحٍ في شيء [من ذلك]، بل حُسْنٌ جارٍ على وفق الاختيار، وتَصَرُّفٍ مَن له الاقتدار، ولا سيما بحسب الظاهر . ويقرب من هذا المعنى قول بعض الشعراء في امرأة :

سَكَتُ فَقَالَتْ : قَدْ سَكَتَ عَنِ الْحَقِّ فَفُهِتْ فَقَالَتْ مَا دَعَاكَ إِلَى النَّطْقِ ؟
فَأَوْمَأَتْ هَلْ مِنْ حَالَةٍ بَيْنَ ذَا وَذَا ؟ فَقَالَتْ : وَذَا الْإِيْمَاءُ أَيْضًا مِنَ الْحَقِّ
فَلَمْ أَرْكَبِي إِذْ حَلَّتِ الْغَرْبَ رَاحَةً مِنَ الشَّرِّ إِلَّا فِي الْمَسِيرِ إِلَى الشَّرِّ
فَلَمَّا أَتَيْتُ الشَّرْقَ الْفَيْتُهَا بِهِ وَقَدْ قَعَدْتُ بِي مِنْهُ فِي أَضِيقِ الطَّرْفِ

فَيَا قَوْمُ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْرِفُونَهَا ؟
وقال الآخر :

مَنْ غَصَبَ دَاوَى بِشَرْبِ الْمَاءِ غُصَّتْهُ فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ قَدْ غَصَبَ بِالْمَاءِ ؟

ومَضْرِبُهُ واضح . وفي معناه قول الأول : (66)

لَوْ بَغِیرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرْقٌ
كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي
وقول الآخر :

إِلَى الْمَاءِ يَسْعَى مَنْ يَغْصُ بِأَكْلِهِ
فَقُلْ : أَيْنَ يَسْعَى مَنْ يَغْصُ بِمَاءٍ ؟
وقول الآخر :

فَكَيْفَ نُجِيزُ غُصَّتَنَا بِشَيْءٍ
وَنَحْنُ نَغْصُ بِالْمَاءِ الشَّرُوبِ ؟
وقول الآخر :

فَلَوْ كَانَ هَذَا الْحُكْمُ فِي غَيْرِ مُلْكِكُمْ
لَجُوتَ بِهِ أَوْ غَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ
وقول الآخر :

مُصَاحِبَةُ الْمُنَى خَطَرٌ وَجَهْلٌ
وَكَمْ شَرْقٍ تَوَلَّدَ مِنْ زَلَالٍ !
وقول ابن حَبُوس :

مَضَى الْكُرْمَاءُ صَانُوا مَاءً وَجْهِي
وَمَا أَنَا بَعْدَكُمْ فِي النَّاسِ أَبْغِي
أَرَى الْإِكْدَارَ يَشْرُقُ شَارِبُهَا
بِمَا بَذَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ السُّؤَالِ
كَرِيمًا يَشْتَرِي شُكْرِي بِمَالِ
أَرَى الْإِكْدَارَ يَشْرُقُ شَارِبُهَا
فَوَا شَرْقِي مِنَ الْمَاءِ الزَّلَالِ !
وقول الآخر :

إِنِّي لِأَذْكُرْكُمْ وَقَدْ بَلَغَ الظَّمَا
وَأَقُولُ لَيْتَ أَحِبَّتِي عَايْنَتُهُمْ
وقول الآخر :

قَدْ كُنْتُ عُدَّتِي الَّتِي أَسْطُوبِهَا
فَرُمِيتُ مِنْكَ بِضِدٍّ مَا أَمَلْتُهُ
وقول الآخر :

كُنْتُ مِنْ مِحْنَتِي أَفْرُ إِلَيْهِمْ
وقول ابن سَنَاءِ الْمَلِكِ :

أَمُوتُ غَرَامًا حِينَ أَحْرَمُ وَصَلَ مَنْ
هَوَيْتُ وَأَحْيَا فَرَحَةً حِينَ أَرْزَقُ

(66) هو عدي بن زيد .

وإنَّ الفَتَى يَحْيَا بِمَا قَدْ يُمِيتُهُ فَبِالْمَاءِ يَحْيَا وَهُوَ بِالْمَاءِ يَشْرُقُ
وقول البُحْتَرِيِّ :

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى فَمَا اشْتَفَى بِمَاءِ الرُّبَى مِنْ بَاتٍ بِالْمَاءِ يَشْرُقُ
وهو مخالف لما قبله باعتبار : فإنَّ الأول ناظرٌ الى جنس الماء، وأنه يكون سببا للحياة والموت
باعتباري مسأغيه والشرَّف به، وتنظيرُ الأحبَّةِ بذلك باعتبار وصالهم وفراقهم صحيح.
والثاني ناظرٌ الى من وقع له الشرَّف [بالماء]، وأنه لا ينتفع بالماء، لما مرَّ في الأناشيد
وهو صحيح، ولكن التنظير خطأ، إلا أن يريد الاخبار عما وقع له هو من حصول الوحشة
ممن يترقَّب منه الأنس، ولم يلاحظ ما قال ابن ذَرِيح :

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى مِنَ الْهَوَى كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ
أخذه من قول الأعشى السابق :

وَكَأْسٍ شَرَبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَآخَرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
وهذا كلهُ وفقُّ قول ابن سنَاء الملك . وقال الآخر :

يَا قَوْمُ قَلْبِي عِنْدَ زَهْرَاءَ يَسْمَعُهُ السَّامِعُ وَالرَّائِي
لَا تَدْعُنِي إِلَّا بِيَا عَبْدَهَا فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمَاءِ
يَتَمَتَّكُ بِالْبَيْتِ الثَّانِي . وقد تمثَّل به العلماء في قصَّة تخيير النبي صلَّى الله عليه
وسلَّم بين أن يكون نبيًّا ملكًا أو نبيًّا عبدًا، واختياره أن يكون عبدًا، وهو أشرف
الأمرين وأجل، فإنَّ الاضافة الى الشريف تفيد شرفًا . وأيُّ شرفٍ ومجدٍ وعظمة وجلال وراء
عظمة مالك الملوك الحقِّ تعالى ! وأيُّ منزلةٍ أعظمُ من الانتساب إليه ؟ وقال الآخر :

سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءُ
وقبله :

أَتَهَزَّأُ بِالِدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ ؟ تَأَمَّكَ فَيْكَ مَا صَنَعَ الدُّعَاءُ !
وتمثَّل صاحب التَّشَوُّفِ بهذا الشعر، حين ذكر أن أبا الفضل ابن النَّحْوِيِّ دخل فاسًا،
فلما ظهر أصابت القاضي ابن دَبُّوسٍ منه غيرةٌ وأذاه . فلما أزمع أبو الفضل الخروج،
قطع تلك الليلة التي يخرج في صبيحتها بسجدة دعا في آخرها وقال : اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
يَا بَنِي دَبُّوسٍ ! فأصبح القاضي مَيِّتًا . وقال الآخر، وهو معنى رشيق، وكان عُتَبُ

على الصَّمْت :

قالت الضَّفْدَعُ قَوْلًا فَسَّرَتْهُ الْحُكَمَاءُ
في فَمِي ماءً، وهكْ يَنْطِقُ مَنْ فِي فِيهِ مَاءٌ ؟ !

وقال ذُو الرُّمَّة :

أَمَّا النَّبِيدُ فَلَا يَذْعُرُكَ شَارِبُهُ واحْفَظْ ثِيَابَكَ مِمَّنْ يَشْرَبُ الْمَاءُ
قَوْمٌ يُورُونُ عَمَّا فِي صُدُورِهِمْ حتَّى إِذَا اسْتَحْكَمُوا كَانُوا هُمُ الدَّاءُ
يُشْمَرُونَ إِلَى انْصَافٍ سَوْقَهُمْ هُمُ لِلصُّوصِ وَقَدْ يُدْعَوْنَ قُرَاءُ

ولهذا الشعر قصّة، وهي أن ذا الرُّمَّة اجتمع هو وإسحاقُ بن سُوَيْدِ العَدَوِي فِي مجلس . فَأَتِيَا بِطَعَامٍ فَطَعِمَا، وَأَتِيَا بِنَبِيدٍ فَشَرَبَ ذُو الرُّمَّة وَأَبَى إِسْحَاقُ أَنْ يَشْرَبَ . فَقَالَ ذُو الرُّمَّة : أَمَّا النَّبِيدُ فَلَا يَذْعُرُكَ شَارِبُهُ الْآيَاتُ . وَقَالَ إِسْحَاقُ مجيباً له :

أَمَّا النَّبِيدُ فَقَدْ يَزُرِّي بِشَارِبِهِ وَلَنْ تَرَى شَارِبًا أَزْرَى بِهِ الْمَاءُ
الْمَاءُ فِيهِ حَيَاةُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَفِي النَّبِيدِ إِذَا عَاقَرْتَهُ الدَّاءُ
يُقَالُ هَذَا نَبِيدِيَّ يُعَاقِرُهُ فِيهِ عَنِ الْبِرِّ وَالْخَيْرَاتِ إِبْطَاءُ
وَفِيهِ إِنْ قِيلَ مَهْلًا عَنْ مَصْمُومَةٍ وَفِيهِ عِنْدَ رُكُوبِ الْإِثْمِ إِغْضَاءُ

ومثْلُ قول ابن الرومي قول الآخر وَيُنْسَبُ لابن الرومي فِي الفقهاء :

أَذْيَابًا بَدَتْ لَنَا فِي ثِيَابٍ مَلَوْنَةٍ
أَحْلَا وَجَدْتُهُمْ أَكَلْنَا فِي الْمُدُونَةِ

وقوله أيضاً :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَجِفَّةٍ مَيْتَةٍ وَطَلَّابُهَا مِثْلُ الْكِلَابِ الْمَوَاسِمِ
وَأَعْظَمُهُمْ ذِمًّا لَهَا وَأَشَدُّهُمْ لَهَا شَغَفًا قَوْمٌ طَوَالُ الْقَلَانِسِ

ومثْلُ قول إِسْحَاقِ بن سُوَيْدِ فِي النَّبِيدِيّين قول الآخر :

بَلَوْتُ النَّبِيدِيّين فِي كُلِّ بَلَدَةٍ فَلَيْسَ لِأَصْحَابِ النَّبِيدِ حِفَافُ
إِذَا أَخَذُوهَا ثُمَّ اغْنَوْكَ بِالْمُنَى وَإِنْ فَقَدُوهَا فَالْوَجُوهُ غِلَافُ
عَظَاظِيَّةٌ لَا قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهَا وَمَا ذَكَرْتُ فِي الصَّالِحِينَ عُكَاظُ

وسَيَأْتِي كُلُّ مَنْ الْأَمْرَيْنِ مُسْتَوْفَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَقَالَ الْآخَرُ :

إذا انقطع الرجاء من كل حي
سيُغنيني الذي أغناكَ عني
ففي اللّهِ الكِفايةُ والرجاءُ
فلا فقرٌ يدومُ ولا غناءُ
وقد جمع بين قصر الممدود، وهو الرجاء، وبين مدّ المقصور، وهو الغناء بكسر الأوّل ضدّ الفقر .

وقال عديّ بن الرقاع :

وإذا نظرتُ الى أميري زادني
بك ما رأيتُ جبالَ أرضٍ تستوي
ضنّا به نظري الى الفقراءِ (67)
فيما عسيت ولا نجومَ سماءِ
كالغيم فيه وابلٌ مُتتابعٌ
غدقٌ وآخر لا يهودُ بماءِ
والحرُّ يورثُ مجدهُ ابناءهُ
ويَموتُ آخرُ وهو في الأحياءِ
ومثّل البيت الأول قول الحماسي :

ولم يسأل عن ليلى بمالٍ ولا أهلٍ
ولمّا أبى إلاّ جماحاً فؤادهُ
تسلّى بأخرى غيرها فإذا التي
تسلّى بها تُغري بليلى ولا تسلي
وقال الآخر :

لم ألقَ بعدهمُ حيّاً فأخبرهم
وقال الحماسي عديّ بن الرّعلاء :
إنّما الميّتُ ميتٌ الأحياءِ
ليسَ من مات فاستراحَ بميّتٍ
كأسفاً باله قليلُ الرجاءِ
إنّما الميّتُ من يعيشُ كئيباً
وقال الآخر :

يوماً يحزّو ويوماً بالعقيقِ
وبالعذيبِ يوماً ويوماً بالخليصاءِ
وقال الحماسي قيسُ بن الخطيم الأنصاري :

وما بعضُ الإقامةِ في ديارٍ
وبعضُ خلائِفِ الأقوامِ داءٌ
يُهانُ بها الفتى إلاّ عناءُ
يُريدُ المرءُ أن يُعطى مناهُ
كداءِ البطنِ ليسَ له دواءُ
وكلُّ شديدةٍ نزلتْ يَقومُ
ويأبى الله إلاّ ما يشاءُ
سيأتي بعد شدّتها رخاءُ

(67) في ب : الأمراء بدل الفقراء

فلا يُعطى الحريصُ غِنًى لِحِرْصٍ
 غِنًى النَّفْسِ ما عَمِرَتْ غِنًى
 وليس بنافعٍ ذا البُخلِ مالٌ
 وبعْضُ الدَّاءِ مُلتَمَسٌ شِفاهُ
 وقد ينمى على الجودِ الثراءُ
 وفقرُ النَّفْسِ ما عَمِرَتْ شَقاءُ
 ولا مُزِرُّ بصاحبهِ السَّخاءُ
 وداءُ النَّوْكِ لَيْسَ لَهُ شِفاهُ
 وقال الآخر من شعراء الحماسة :

وأعرضُ عَن مَطاعِمٍ قد أراها
 فلا وأبيكَ ما في العَيْشِ خَيْرٌ
 يَعِيشُ المَرءُ ما اسْتَحْيَى بخيرِ
 وقلتُ أنا في أمرٍ حَدَثَ :

تَعَلَّمُ أَنَّ شَرَّ الأَصْدِقَاءِ
 مَتَى ما تَلَقَّه أَرْضاكَ بَشِراً
 لَعَمْرُكَ ما الودادُ سِوَى ودادِ
 وفي الأَثَرِ والتَّربِ المُجَلِّي
 وليسَ أخوكَ من يُبْدي وداداً
 فإن أدبرتَ اتَّبَعَكَ اعتِضاضاً
 صَدِيقٌ لا يَدُومُ على الإخاءِ
 وليسَ إذا تَغَيَّبَ ذا وفاءٍ
 يَدُومُ على التَّدانِي والتَّنائِي
 أخاك وفي المَسَرَّةِ والبلاءِ
 بوجهِكَ طاوياً مَكْنُونٌ داءُ
 بِنابِيهِ وعادَ مِنَ العِداءِ
 (ببياض بالأصل)

وقال الآخر :

إنَّ الذري، وهو مُثَرٍّ، لا يَجودُ حَرٌّ
 بقافَةٍ تَعْتَرِيهِ بَعْدَ إِثْرَاءِ
 قوله : وهو مُثَرٍّ، جملةٌ حاليةٌ فصلَ بها بين الموصول وصلته، وذلك قليل ؛ والمُثَرِّي :
 الغِنْيِ . وقال الحماسي قَيْسُ بنُ الخَطِيمِ الانصاري :

وكنْتُ أَمراً لا أَسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً
 أَسْبُ بها إِلا كَشَفْتُ غِطاءَها
 متى يأتِ هذا الموتُ لا تُلفِ حاجةً
 لِنَفْسِي إِلا قد قَضَيْتُ قِضاءَها
 يريد : إلا قد قَضَيْتُها قِضاءً، فأوقع القلبَ كما ترى . وقال الآخر :

أقولُ لمُقلَّتِي لَمَّا التَّقِينَا
 وَقَدْ شَرَقَتْ مَاقِيها بِماءِ :
 خُذْنَ اليَوْمَ مِن نَظَرِي بِحَظٍّ
 فَسَوْفَ تُوكِّلِينَ اليَ البُكَاءِ

ومثله قول الآخر :

تَرْفَقْ بِدِمْعِكَ فَاسْتَبْقِهِ فَبَيْنَ يَدَيْكَ بُكَاءٌ طَوِيلٌ
وقال البُحْتَرِيُّ بنُ الْمُغِيرَةِ بنِ أَبِي صُفْرَةَ، وكان المُهَلَّبُ بنُ أَبِي صُفْرَةَ قد
استعمل يزيد على حرب خراسان، والمُغِيرَةُ على خراجها، ولم يؤلِّه هو شيئاً . فكتب
إليه :

إِقْرَأ السَّلَامَ عَلَى الْأَمِيرِ وَقُلْ لَهُ : إِنَّ الْمَقَامَ عَلَى الْعَوَانِ بَلَاءٌ
أَصْلُ الْعُدُوِّ إِلَى الرَّوَاحِ وَإِنَّمَا أَذُنِي وَأُذُنُ الْأَبْعَدِينَ سَوَاءٌ
أَجْفَى وَيُدْعَى مَنْ وَرَائِي جَالِسًا مَا بِالْكَرَامَةِ وَالْعَوَانِ خَفَاءٌ
فلما بلغ المُهَلَّبُ ذلك وجد عليه وألزمه بيته، فكتب إليه :

جَفَانِي الْأَمِيرُ وَالْمُغِيرَةُ قَدْ جَفَا وَأُمْسَى يَزِيدُ لِي قَدَرٌ أَزُورُ جَانِبَهُ
وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شِبَعًا لِبَطْنِهِ وَشِبَعُ الْفَتَى لَوْمْ إِذَا جَاءَ صَاحِبَهُ
فَيَا عَمَّ مَهْلًا وَاتَّخِذْنِي لِنُوبَةٍ تَلُمُ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ نَوَائِبُهُ
أَنَا السِّيفُ إِلَّا أَنْ لِّلْسِيفِ نُبُوءَةٌ وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ
فرضي عنه وعزك المغيرة وولاه . وقال خالد الكاتب :

أَعَانَ طَرْفِي عَلَى جِسمِي وَأَحْشَائِي بِنَظَرَةٍ وَقَفَتْ جِسمِي عَلَى دَاءٍ
وَكُنْتُ غَيْرًا بِمَا يَجْنِي عَلَى بَدَنِي لَا عِلْمَ لِي أَنَّ بَعْضِي بَعْضُ أدَوَاءٍ
وأخذه من قول ابراهيم بن المهدي :
إِذَا كَلَّمْتَنِي بِالْعُيُونِ الْفَوَاتِرِ رَدَدْتُ عَلَيْهَا بِالْأُفُوعِ الْبَوَادِرِ
فلم يعلم الواشون ما كان بيننا وَقَدْ قَضَيْتُ حَاجَاتُنَا بِالضَّمَائِرِ
أَقَاتِلْتَنِي ظِلْمًا بِأَسْهُمٍ لِحَظَاهَا أَمَا حَكْمٌ يَقْضِي عَلَى طَرْفٍ جَائِرٍ ؟
فلو كان للعُشَّاق قَاضٍ مِنَ الْهَوَى
ومثله قول الآخر :

وَاللَّهِ يَا طَرْفِي الْجَانِي عَلَى بَدَنِي لَتَطْفُنَّ بِدِمْعِي لَوْعَةُ الْحَزَنِ
أُولَى مَحَنٍ حَتَّى يَحْجُبُوا سَكْنِي فَلَا يَرَاهُ وَلَوْ أَدْرَجْتُ فِي كَفْنِي
ولهذا الشعر قصّة طريفة : حَكِي عن بعض المغنين قال، قدم عليّ فتى حسن الوجه

عليه أثر السُّقْم وقال : لي عندك حاجة ! قلت : وما هي ؟ فأخرج ثلاثمائة دينار وقال :
اقبلها مني واصنع لي لحنًا في بيتين وغنّني بهما . فقلت : نعم ! حبًا وكرامة فأنشد
البيتين المذكورين . قال : فصنعت لحنًا شجيا ثم غنيته إياه . فأغمي عليه حتى ظننته
قد مات، ثم أفاق وكأنّما نُشِر من قبر . فقال : أعد عليّ ! فنأشدّته الله في نفسه
وقلت : أخشى والله أن تموت . فقال : ليت ذلك [قد كان] فأستريح ! وجعل يتصرع لي
حتى رحمته فأعدت الصوت . فصعق صعقة ظننت أن نفسه زهقت فيها . فجعلت أنضم
وجّهه بالماء . فلما أفاق وضعت دنانيره بين يديه وقلت : أنصرف عني فإنني لا أحب أن
أشرك في دمك . فقال : لا حاجة لي بها، ولك عندي مثلها . وأخرج ثلاثمائة أخرى وقال :
أعد عليّ الصوت مرة أخرى، وأنا أنصرف عنك . قال : فشرهت نفسي إلى الدنانير وقلت :
أفعل على ثلاثة شروط . قال : وما هي ؟ قال : الأول أن تأكل من الطعام ما تتقوى به ؛
والثاني أن تشرب أقداحًا من النبيذ تمسك قلبك، والثالث أن تحدثني بقصّتك فاعلّ
ذلك ينفعك . فقال : نعم . فدعوت بالطعام فأصاب منه، ودعوت بالشراب فشرب أقداحا
وأنا أغنيه ما يحضرني . فلما رأيت النبيذ شدّ قلبه غنّيت الصوت، فطرب وأعدته عليه
مرارا حتى رضي وسكن . فقلت : حدثني . فقال : أنا رجل من أهل المدينة، خرجت متنزها،
وقد سال العقيق مع أصحاب لي . فخرج فتيات لمثل ما خرجنا إليه . فنظرت إلى فتاة
منهنّ كأنها غصن بان، فعلقْتُها من وقتي وأطلت النظر إليها، وأبصرت هي ذلك مني .
فلمّا تفرّقت الناس وجدت بقلبي جرحا ولم أعرف لها ولا لصواحبها خبرا . فمرضت لذلك
حتى يئس مني أهلي . فخلّلت بي ظئري وسألتني عن ضُرِّي وضمّنت لي كتمان
السر والسعي فيما يصلح . فأخبرتها خبري، فقالت : لا بأس عليك سيعود المطر ويسيل
العقيق فتخرج معك . فإذا رأيته عرّفتني بها، فلا أفارقها حتى تقف على موضعها
وأوصلك إليها وأسعى في تزوّجها . فسكنت نفسي لقلوها، ولم نلبث أن جاء المطر وسال
العقيق . فخرجت مع أصحابي ومعِي ظئري، وجلسنا مَجْلِسَنَا الأول بعينه، وإذا
بالنسوة وفيهنّ صاحبتني . فأومأت الى ظئري حتى عرفتهَا وقلت لها : انطلقِي وقولي :
يقول لك الفتى : والله لقد أحسن الذي يقول :

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَقْصَدَ الْقَلْبَ وَانْتَنَتْ وَقَدْ غَادَرْتَ جُرْحًا بِهِ وَنُدُوبًا

فمضت وقالت لها ذلك . فقالت : قولني له : لقد أحسن القائلُ وأحسن الذي يقول :
بنا منك ما تشكو فصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي الفؤادَ قريباً
قال : فلماً انصرفنا، تبعتهما حتى عرفتُ مكانها، فتلطفْتُ حتى جمعت بيننا على
مخالسة، فظهر ما بيننا فحُيِّبَتْ عني ولم أقدر على لقاءها . فبلغ ذلك أبي فخطبها من
أبيها فقال : لو كان هذا قبل اشتها حديثها لاسعفتُهُ ؛ وأماً الآن فلا أحققُ مقالة
الناس فيها بتزويجها منه . فيئست منها ومن نفسي، فخرجت هائماً حتى بلغتكَ . قال
المغني المذكور : ثم إنني حضرت مجلس جعفر بن يحيى، فغنيتهُ بشعر الفتى، فقال :
ويحك ! ما هذا الصوت وما قصته ؟ فقلت : قصته أطرف منه . ثم حدثته بحديث الفتى،
فأمر بإحضاره وسأله، فأعاد عليه الحديث كما حدثته، فقال له : أنا ضامن لك تزويجها،
فطابت نفسه . ثم ركب جعفر إلى الرشيد وحدثه الحديث . فاستظرفه وأمر بإحضارنا جميعاً،
وسأل الفتى عن حديثه فحدثته وقال لي : غنّ الصوت فغنيته وطرب له وشرب عليه، وأمر
بالكتب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرجل وأهله وولده مكرمين . فلماً حضروا عنده أعطى
الرجل ألف دينار وأمره بتزويج الجارية من الفتى، وأعطى الفتى ألفي دينار، وأمر لي بألف
دينار.

وقال أبو تمام حبيبُ بنُ أوسٍ الطائيُّ، من قصيدة :
أنظرُ وإيّاك الهوى لا تمكِّنْ شيطانَه من مُقلّةِ شوساءِ

وقال أيضاً، من هذه القصيدة، يخاطب خالد بن يزيد :
لو سرتُ لالتقتِ الضلوعُ على أسيْ كلفِ قليلِ السّلمِ للأحشاءِ
ولجفَّ نوارُ الكلامِ وقلمًا يَبقى بهاءُ الغرسِ بعد الماءِ
وقال أيضاً، من أخرى :

لا تسقني ماءَ الملامِ فإنني صبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بُكائي
وفي إضافة الماء للملام، غرابةٌ أوجبت بعض العُجْنة والبرودة [في الكلام] ويحكى أنه
عريبٌ عليه ذلك حتى تحدث أن بعض عصريّهِ أرسل إليه أن ابعثْ إليَّ بشريةً من ماء
اللام . فقال : حتى تبعث إليَّ بريشةً من جناح الذلِّ . وهذه خطيئة أبشع من الأولى،

فإن الاستعارة في جناح الذلّ مأنوسة الاستعمال قديماً وحديثاً، ومُدْرَكٌ حُسْنُهَا وفصاحتها بالذوق دون ماء الملام . وقد وقع له في هذه القصيدة نفسها ما يقرب من هذا، حيث قال :

رَأَيْتُ لَوْ اسْتَسْقَيْتُ مَاءَ نَصِيحَةٍ لَجَعَلْتَهُ رَأْيًا مِنْ أَلْأَرْاءِ
غير أن هذا، وإن كان غريباً، يُحَسِّنُهُ أن الرأي والنصيحة تحيا بهما النفوس كما تحيا بالماء الأبدان، ولا كذلك الملام . وقال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي:
عَذَلُ الْعَوَازِلِ حَوْلَ قَلْبِي التَّائِهَ وَهَوَى الْأَحْبَةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ
وتقدم هذا المنزع وما فيه قبل . وقال أيضاً :

أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَا زُوِجْتُ فَإِذَا انْطَلَقْتُ فَإِنِّي الْجَوْرَاءُ
وَإِذَا خَفَيْتُ عَلَى الْغَيْبِ فَعَاذَرْتُ أَلَا تَرَانِي مُقَلَّةٌ عَمِيَاءُ
وقال الآخر :

إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقِرَى ثُمَّ الْمَنَامُ بَعْدَ ذَاكَ فِي الذُّرَى
وقال الآخر :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مِنْ فَتَى لِعَظِيمَةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى وَلَكِنَّهُ الْفَتَى
وقال الآخر :

ضَاعَ سَعْيِي وَخَبْتُ خَابَتِ أَعَادِيكَ وَمَنْ يَبْتَغِي لَكَ الْأَسْوَءَ
وَاحْتَمَلْتُ الْحَرَمَانَ وَالنَّقْصَ وَالْإِبْعَادَ وَالذُّلَّ وَالْعَنَاءَ وَالْجَفَاءَ
وَتَحَمَّلْتُ وَاصْطَبِرْتُ فَلَمْ يُبْقِ أَعْلَى هَذِهِ الْمُصِيبَةِ صَبْرٌ
عَلَى عُدُوِّي الزَّمَانُ لِحَاءَ لَا وَلَوْ كُنْتُ صَخْرَةً صَمَاءَ

ومثله في التشكي قول الآخر :

أَسَجَّنَا وَقِيدًا وَاشْتِيَاقًا وَغُرْبَةً وَنَائِي حَبِيبٍ ؟ إِنَّ ذَاكَ عَظِيمٌ !
وإنَّ امْرَأًا تَبْقَى مَوَائِيقُ عَقْدِهِ عَلَى مِثْلِ مَا لَاقِيَتْهُ لَكْرِيمٌ

وقول الآخر :

ولقد أردتُ الصَّبْرَ عَنْكَ فَحَاقَنِي
يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ

وقال الآخر :

قال لي : كَيْفَ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : عَلِيٌّ

وقال الآخر :

وَإِذَا مَا الصَّدِيقُ صَارَ عَدُوًّا

وقال الآخر :

لَا تُعِدَنَّ لِلزَّمَانِ صَدِيقًا
ومثله قول الآخر :

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ انْقِلَابُ صَدِيقٍ
لَا تُصَيِّعُ مَوَدَّةٌ مِنْ صَدِيقٍ
وقول منصور الفقيه :

احْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً
فَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ
وقوله :

إِحْذَرْ مَوَدَّةً مَازِدَةً
يُحْصِي الذُّنُوبَ عَلَيْكَ
وقول الآخر :

كُنْ مِنْ صَدِيقِكَ خَائِفًا فَلَرُبَّمَا
وقول ابن الرومي :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ
وقول الآخر :

دَارَ الصَّدِيقِ إِذَا اسْتَشَاطَ تَغِيْظًا

عَلِقَ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ قَدِيمُ
وَعَلَى جَفَائِكَ إِنَّهُ لَكَرِيمُ

سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ

كَانَ فِي الشَّرِّ أَكْبَرَ الْأَعْدَاءِ⁽⁶⁸⁾

وَأَعِدَّ الزَّمَانَ لِلْأَصْدِقَاءِ

رُبَّمَا غَصَّ شَارِبٌ بِالشَّرَابِ
فَانْقِلَابُ الصَّدِيقِ شَرُّ انْقِلَابِ

وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةٍ
فَكَانَ أَعْرَفَ بِالْمَضَرَّةِ

مَزَجَ الْمَرَارَةَ بِالْحَلَاوَةِ
أَيَّامَ الصَّدَاقَةِ لِلْعَدَاوَةِ

حَالَ الصَّدِيقُ فَصَارَ غَيْرَ صَدِيقٍ

فَأَقْلَبَ مَا اسْتَتِطَعَتْ مِنَ الصُّحَابِ
يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

فَالْغَيْظُ يُخْرِجُ كَامِنَ الْأَحْقَادِ

(68) فِي ب : كَانَ فِي الضَّرِّ...

وأخِر رُخِصْتُ عليه حتَّى مَلَنْيَ ما فِي زَمَانِكَ ما يَعْزُّ وجوده
والشَّيْءُ مَمْلُوكٌ إِذَا ما يَرْخِصُ
إِنْ رُمْتَهُ إِلَّا صَدِيقٌ مُخْلِصُ
وقول منصور أيضا :

إِذَا تَخَلَّفْتَ عَنْ صَدِيقٍ
ولم يُعَاتِبَكَ فِي التَّخَلُّفِ
فَلَا تَعُدْ بَعْدَهَا إِلَيْهِ
فإنَّما ودُّهُ تَكَثُّفُ
وقول الأنصاري :

أَلَا رَبُّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى
مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَكَ ما يَفْرِي
لِسَانٌ لَهُ كَالشَّهَدِ مَا دُمْتَ حَاضِرًا
وبالْغَيْبِ مَطْرُورٌ عَلَى ثَغْرِ النَّحْرِ
وقول أبي الطيب :

وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَرَى
عَدُوًّا لَهُ ما مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدُ
وَمَا يَحْكِي أَنَّ كَسْرِي قَالَ يَوْمًا لِمَرَاذِبَتِهِ : مَنْ أَيْ شَيْءٍ أَنْتُمْ أَشَدُّ حِذْرًا ؟ قَالُوا : مَنْ
الْعَدُوَّ الْفَاجِرَ ، وَالصَّدِيقَ الْغَادِرَ . وَقَوْلُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ : اتَّقِ الْعَدُوَّ وَكُنْ مِنَ الصَّدِيقِ
عَلَى حِذْرٍ ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ سُمِّيتْ قُلُوبًا لِتَقْلِبُهَا . وَسَيَاتِي كَثِيرٌ مِنْ هَذَا النَّمَطِ بَعْدَ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى . وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٍ
أَيَعْمَى الْعَالِمُونَ عَنِ الضُّيَاءِ ؟
وقال أيضا مادحا :

وَإِذَا مُدَحِّتٌ فَلَا لِتَكْسِبَ رَفْعَةً
لِلشَّاكِرِينَ عَلَى اللَّهِ ثَنَاءً
وَإِذَا مُطْرَتٌ فَلَا لَأَتُكَ مُجْدِبٌ
يُسْقَى الْخَصِيبُ وَتُمْطَرُ الدَّامَاءُ
والدَّامَاءُ : الْبَحْرُ . وَقَالَ أَيْضًا :

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْكَافِئِ
وَأَنَا مِنْكَ لَا يَهْنِئُ عَضْوُ
وقال أيضا من هذه القصيدة يمدح كافورا وكان أسود :

إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَضَاضُ
النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ ابْيِضَاضِ الْقَبَا
وقال [أيضا] :

وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى
وَلَا كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسْفًا أَبَى

وقال :

وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأَى يُصَدِّعُ صُمَّ الصَّفَا

وقال :

فَكَانَ عَلَى قُرْبِنَا بَيْنَنَا مَهَامِهِ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى

وقال :

وَمَاذَا بِمِصْرٍ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكََا

وقال :

وَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

وقال الحماسي مخزرز الضببي يهجو بني عدي بن جندب، من أبيات :

وَإِنِّي لَرَأَجِيكُمْ عَلَى بَطْءِ سَعْيِكُمْ كَمَا فِي بَطُونِ الْحَامَلَاتِ رَجَاءُ

أَخْبِرْ مَنْ لَا قَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمْ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبِرُونَ أَسَاءُ⁽⁷⁰⁾

وقال القاسم بن حنبل في بني سنان :

لَهُمْ شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ وَنُورٌ مَا يُغَيِّرُهُ الْعَمَاءُ

هُمْ حَلَوْا مِنَ الشَّرَفِ الْمُعَلَّى وَمِنْ حُسْنِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا

بُنَاءُ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةُ كَلِمٍ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ

وإنما قال ذلك لما يزعمون من أن من أصابه الكلب، وهو شبه جنون يصيب من عضه

الكلب، ثم سقي دمه ملك أو شريف برىء . ومثله قول زهير :

وإن يَقتُلُو فَيُشْتَفَى بِدِمَائِهِمْ وَكَانُوا قَدِيمًا مِنْ مَنَايَاهُمْ الْقَتْلُ

وقول الآخر :

أَحْلَامُكُمْ لِسِقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمْ مِنَ الْكَلْبِ

وقال الحسين بن مطير الأسدي يصف برقًا وسحابا :

مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ مُسْتَعْبِرٌ بِمَدَامِعٍ لَمْ تَمْرَهَا الْأَقْدَاءُ

فَلَهُ بِلَا حُزْنٍ وَلَا بِمَسْرَةٍ ضَحِكٌ يَرَاوَحُ بَيْنَنَا وَيُكَا

(70) في الحماسة (ص. 192) : قال المنبؤ أساؤا وفيها أيضا تقديم هذا البيت على الذي قبله مفصلا بينهما ببيت آخر.

كَثُرَتْ كَكَثْرَةِ وَدَقِهِ أَطْبَاؤُهُ
وَكَانَ عَارِضُهَا حَرِيقٌ يَلْتَقِي
لَوْ كَانَ مِنَ لُجَجِ السَّوَاخِلِ مَائُهُ
وَالْعَرَبُ فَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي وَصْفِ السَّحَابِ وَالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ إِكْثَارٌ وَإِطْنَابٌ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ
الْحَصْرُ، وَلَكِنَّا نَذْكُرُ جُمْلَةً مِنْ مُسْتَحْسِنِ ذَلِكَ، وَمِمَّا كَانَ مِنْهُ حَسَنٌ أَنْ يَتِمَّتْكَ بِهِ . فَمِنْ ذَلِكَ
قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَصَاحُ تَرَى بَرْقًا أَرَاكَ وَمِيضَهُ
يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ
وَقَوْلُهُ :

أَعِنِّي عَلَى بَرْقٍ أَرَاهُ وَمِيضٍ
وَيَهْدًا تَارَاتِ سَنَاهُ وَتَارَةً
وَتَخْرُجُ مِنْهُ لَامَعَاتٌ كَأَنَّهَا
وَقَوْلُهُ :

دِيمَةٌ هَاطَلَاءُ فِيهَا وَطَفٌ
تُخْرِجُ الْوَدَّ إِذَا مَا أَشْجَذَتْ
وَهِيَ قِطْعَةُ أَبْيَاتٍ فِي هَذَا . وَأَشْجَذَتْ : أَقْلَعَتْ . وَقَوْلُهُ :
يُسَاجِلُ التَّوَمَ الْيَشْكُرِي
وَأَوَاخِرُ الْإِنْصَافِ لِلتَّوَمِ
[وَقَوْلُهُ] :

أَحَارُ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهْنًا
أَرَقْتُ لَهُ وَنَامَ أَبُو شُرَيْحٍ
كَانَ هَزِيرُهُ بِيَوْرَاءِ غَيْبٍ
فَلَمَّا أَنْ دَنَا لَقَفَا أَصَاحُ
فَلَمْ يَتْرُكْ بِيذَاتِ السَّرِّ ظَنِيًّا
وَقَالَ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ :

(71) فِي أ : لَهَانَ السَّلَيطُ، وَفِي ب : أَهَانَ السَّلَيطُ . وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الدِّيَوَانِ.

يا مَنْ لِبَرْقِ أُبَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ
 دَانِ مُسْفً فُوقَ الْأَرْضِ هَيْدِبُهُ
 كَأَنَّ رَيْقَهُ لَمَّا عَلَا شَطْبًا
 يَنْزَعُ جِلْدَ الْحَصَى أَجَشُّ مُبْتَرَكُ
 فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بَعَقَوْتِهِ
 كَأَنَّ فِيهِ عِشَارًا جَلَّةَ شَرْفًا
 هُدَلًا مَشَافِرُهَا بَحًّا حَنَاجِرُهَا
 وقول كثير :

فَالْمُسْتَكِنُ وَمَنْ يَمْشِي بِمَرَوْتِهِ
 وقول الحماني :

دِمْنٌ كَانَ رِيَاضَهَا
 وَكَأَنَّمَا غُذِرَ أَنْهًا
 وَكَأَنَّمَا أَنْهَارُهَا
 طُرُرُ الْوَصَائِفِ يَلْتَقِينَ
 بَاتَتْ سَوَارِيهَا تَمْخَضُ
 ثُمَّ انْبَرَّتْ سَحَا
 وَكَأَنَّ لَمَعَ بُرُوقِهَا
 وقول عبيد :

سَقَى الرَّبَاعَ مُجَنَّجًا
 جَوْنٌ تَكْفِكِفُهُ الصَّبَا
 مَرِيَّ الْعَسِيفِ عِشَارُهُ
 وَدَنَا يَضِيءُ رَبَابُهُ

فِي عَارِضٍ كَمْضِي الصُّبْحِ لَمَّاحٍ
 يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ
 أَقْرَابُ أَبْلَقَ يَنْفِي الْخَيْلَ رَمَّاحٌ (72)
 كَأَنَّهُ فَاحِصٌ أَوْ لَاعِبٌ دَاحٍ
 وَالْمُسْتَكِنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاكِ
 شُعْنًا لَهَا مِيمٌ قَدْ هَمَّتْ بِارْشَاحِ
 تَزْجَى مَرَابِعُهَا فِي صَحْنِ صَاحٍ

سَيَّانٍ فِيهِ وَمَنْ بِالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ

يَسْبِيْنَ أَعْلَامَ الْمَطَارِفِ
 فِيهَا عَشُورٌ فِي مَصَاحِفِ
 تَهْتَزُّ بِالرَّيْحِ الْعَوَاصِفِ
 بِهَا إِلَى طُرُرِ الْوَصَائِفِ
 فِي رَوَاعِدِهَا الْقَوَاصِفِ
 كَبَاكِيقِ بَارْبَعَةٍ ذَوَارِفِ
 فِي الْجَوِّ أَسْيَافُ الْمُتَاقِفِ (73)

الْأَكْنَافِ لَمَّاعٍ بُرُوقُهُ (74)
 وَهَنًا وَتَمْرِيهِ خَرِيقُهُ
 حَتَّى إِذَا دَرَّتْ عُرُوقُهُ
 غَابَا يَضْرُمُهُ حَرِيقُهُ

(72) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : كَانَ أَقْرَابُهُ لَمَّاعًا..

(73) فِي ب : أَسْيَافُ الْمُتَاقِفِ.

(74) فِي الدِّيَوَانِ :

الْأَكْنَافِ لَمَّاعٍ بُرُوقُهُ

سَقَى الرَّبَابَ مُجَنَّجًا

وَفِيهِ اسْتِبْدَالُ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْوَارِدَةِ بِأُخْرَى فِي الْأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ : انْظُرِ الدِّيَوَانَ، ص 96 - 97

حتى إذا ما ذرعه
هبت له من خلفه
حلت عزاليه الجنوب
وقال كثير :

تسمع الرعد في المخيلة منها
وترى البرق عارضا مستطيرا
أو مصابيح راهب في يفاع
وقوله :

أهاجك برق آخر الليل وأصيب
يجر ويستانني نشاطا كأنه
تألف وأحمومى وخيم بالرؤى
كما أومضت بالعين ثم تبسمت
وقول عبد الله بن المعتز :

ومزنة جاد من أجفانها المطر
ترى مواقععه في الأرض لائحة
وقوله أيضا :

كان الرباب الجون والفجر ساطع
وقول أبي العمر :

نسجته الجنوب وهي صناع
وقول الآخر :

ما ترى نعمة السماء على الأر
وقول الآخر :

وموقرة بثقل الماء جاءت
فجاءت ليها سحبا ووبلا

بالماء ضاق فما يطيقه
ريح شامية تسوقه
فثج واهية خروقه

مثل هزم القروم في الأشوال
مرح البلق جلن في الأجلال
سغم الزيت ساطعات الذبال

تضمنه فرش الحيا فالمسارب
بغيقة حاد جلك الصوت جالب
أحم الذرى ذو هيدب متراكب
خريم بدا منها جبين وحاجب

فالروض منتظم والقطر منتثر
مثل الدراهم تبدو ثم تستتر⁽⁷⁵⁾

دخان حريق لا يضيء له جمر

فترقى كأنه حبشي

ض وشكر الرياض للأمطار

تهادى فوق أعناق الرياح
وهطلا مثل أفواه الجراح

(75) في الديوان : ترى مواقعها... ورواية اليوسى أوفق لأن (القطر) أقرب مذكور.

(وقول الآخر :

بَدَا الْبَرْقُ مِنْ نَحْوِ الْحَجَّازِ فَشَاقَنِي
سَرَى مِثْلَ نَبْضِ الْعِرْقِ وَاللَّيْلِ دُونَهُ
وقول الطائي ومنه أخذ :

إِلَيْكَ سَرَى بِالْمَدْحِ رَكْبٌ كَانَتْهُمْ
تَشْيِيمُ بَرْقًا مِنْ نَدَاكَ كَانَتْهَا
وقول الآخر :

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ آخِرِ اللَّيْلِ يَلْمَعُ
سَرَى كَاقْتِدَاءِ الصَّبْرِ وَاللَّيْلِ ضَارِبُ
وقول الآخر :

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ سَرَى مَوْهِنًا
كَانَ تَأْلَفُهُ فِي السَّمَاءِ
وقول ابن المعتز :

رَأَيْتُ فِيهَا بَرْقَهَا مِنْذُ بَدَتْ (76)
ثُمَّ حَدَتْ بِهَا الصَّبَا حَتَّى بَدَا
تَحْسِبُهُ فِيهَا إِذَا مَا انْصَدَعَتْ
وَتَارَةً تَحْسِبُهُ كَأَنَّهُ
حَتَّى إِذَا مَا رَفَعَ الْيَوْمُ الضُّحَى
وقول الآخر :

نَارٌ تُجَدِّدُ لِلْعِيدَانِ نَضْرَتَهَا
وقول الطائي :

وَكُلُّ حِجَازِيٍّ لَهُ الْبَرْقُ شَائِقُ
وَاعْلَامِ ابْنِي كُلِّهَا وَالْأَسَاقِ (76)

عَلَى الْعَيْسِ حَيَّاتُ اللَّصَابِ النَّضَانِضُ
وَقَدْ لَاحَ أُولَاهَا عُرُوقٌ نَوَاطِضُ

سَرَى دَائِبًا مِنْهَا يَهْبُ وَيَهْجَعُ
بَارِوَاقِهِ وَالصَّبْحُ قَدْ كَادَ يَسْطَعُ

خَفِيٌّ كَغَمَزِكُ بِالْحَاجِبِ
يَدَا حَاسِبٍ أَوْ يَدَا كَاتِبِ

كَمِثْلَ طَرْفِ الْعَيْنِ أَوْ قَلْبٍ يَجِبُ
فِيهَا مِنَ الْبَرْقِ كَأَمْثَالِ الشُّهُبِ
أَحْشَاؤُهَا عَنْهُ شُجَاعًا يَضْطَرِبُ
أَبْلَقُ مَالِ جُلَّةٍ حِينَ وَثَبُ
حَسِبْتَهُ سَلَسِلًا مِنَ الذَّهَبِ (78)

وَالنَّارُ تَلْفَحُ عِيدَانًا فَتَحْتَرِقُ

ثَابَ عَلَى رَغَمِ الدُّجَى نَهَارًا
أَصَبَ لَنَا مَاءٌ وَكَانَ نَارًا

وقول عبد الله بن عبد الله بن طاهر :

أَمَا تَرَى الْبَرْقَ قَدْ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَقَدْ دَعَاكَ إِلَى اللَّذَائِتِ دَاعِيهِ ؟

(76) سقط ما بين قوسين من أ.

(77) في الديوان : رأيت فيها برقها لمّا وثب.

(78) الأبيات الثلاثة الأخيرة تكاد تكون كل الفاظها مغايرة لما في الديوان . انظر القصيدة بتمامها (36 بيتا) في الديوان، ص. 16 - 18.

وَجَادَ بِالْقَطْرِ حَتَّى خِلَتْ أَنْ لَهُ الْفَأْ نَاهُ فَمَا يَنْفَكُ يَبْكِيهِ
ومثله قول الآخر :

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبَنَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَى لَهُنَّ مَدَامِعُ
وَتَتَّبَعُ الشَّعْرَ فِي هَذَا يُطِيلُ، فَلْنُمْسِكِ الْعَنَانَ . وقال أبو الأسود الدؤلي :
وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ بِالتَّمَنِّي وَلَكِنْ أَلْفِ دَلُوكَ فِي الدَّلَاءِ
تَجِيءُ بِمِلْئِهَا طَوْرًا وَطَوْرًا تَجِيءُ بِحِمَاةٍ وَقَلِيلِ مَاءِ
وسياتي إتمام هذا المنزَع بعد إن شاء الله تعالى . وقال ابن نقطة :

لَا تُظْهِرَنَّ لِعَاذِلٍ أَوْ عَاذِرٍ حَالِيكَ فِي الضَّرَاءِ وَالسَّرَاءِ
فَلِرَحْمَةِ الْمُتَوَجِّعِينَ مَرَارَةً فِي الْقَلْبِ مِثْلُ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ
وقال أبو سعيد الخوارزمي في أبي بكر الخوارزمي الشاعر :

أَبُو بَكْرَ لَهُ أَدَبٌ وَفَضْلٌ وَلَكِنْ لَا يَدُومُ عَلَى الْوَفَاءِ
مُودَّتُهُ إِذَا دَامَتْ لِيْخِلٌ فَمَنْ وَقْتَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ
وقال عبد الله بن رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِي، يوم خرجوا إلى مؤتة وأمَّرهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَعْدَ زَيْدٍ وَجَعْفَرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحَسَاءِ
فَشَأْنُكَ فَانْعَمِي وَخَلَكَ ذِمٌّ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَاءِ
قوله : فَشَأْنُكَ فَانْعَمِي يريد أنه قضى الوطر من ركوبها، ولم تبق له تباعة على
ظهرها، وهي كناية عن أنه لا يحب المرجع ولا يشتهي مذهبا عن ذلك الموضع . ومن ثمَّ
قال : وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي بِجَزْمِ الْفَعْلِ، قَصْدًا لِلدَّعَاءِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَرْجِعْنِي إِلَى
أَهْلِي، واستشهدني ! وما ذكره في الناقة قد تداوله الشعراء كثيرا فمن ذلك قول الشَّمَّاخِ
فِي عَرَابَةِ الْأَوْسِيِّ :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ الْيَمِينِ
إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي إِلَيْهِ فَاشْرُقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

ومثلك سرّاء قومك لم يجاروا الى ربيع الرّهان ولا التّمين
وكان الشّمّاخ قدّم المدينة، فقال له عرابة: ما أقدمك؟ فقال: قدمت لإمتار.
فملاً له عرابة رواحله تمرّاً وبرّاً، وأعطاه غير ذلك، فقال فيه ما تقدّم. وقول ذي الرمة
يمدح بلال بن أبي رباح:

إذا ابن أبي موسى بلالاً بلّغته فقام بفأس بين وصلّيك جازر
غير أنّه يُعاب على هذين الشاعرين أن جعلاً جزء الرّاحلة التي بلّغتهما ذلك المأمول
العظيم والمطلب الخطير شراً، وما كان ينبغي لهما إلا أن ينظرا لها عند الاستغناء عنها
ويكافأها خيراً بما قضيا منها، كما أشار إليه أبلغ البلغاء، وأحكم الحكماء، صلّى الله عليه
وسلّم، حيث وردت المرأة راكبة على ناقته فقالت: إني نذرتُ إن نجوتُ عليها أن
أنحرّها. فقال صلّى الله عليه وسلّم: بيئسَ ما جزيتها! لا نذرَ في معصية
الله، ولا نذرَ للانسان في غير ماله. أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم. وعلى هذا المنزع
العجيب النبوي كان قول ابن رواحة السابق. وقول أبي نواس في محمد الأمين بن هرون
الرشيد، وأوضح هذا المعنى:

وإذا المطيُّ بنا بلّغنَ محمّداً فظهورهنّ على الرّجال حرام
قرّبنا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام
وقول الفرزدق:

متى تردي الرّصافة تستريحني من التّفجير والدبر الدوامي
ولهذا الشعر قصّة تذكر بعد إن شاء الله. والعذر للأولين أن الدعاء عليها في نحو ذلك
أبلغ في التّنبيه على الاستغناء (عنها وعدم الالتفات إليها). وليس هذا المعنى ملحوظاً
في قصّة المرأة⁽⁷⁹⁾ فلا يقاس عليها. ومن هذا الباب قول السلامي:

إليك طوى عرض البسيطة جاعل قصار المطايا أن يلوحم لها القصص
ولعلّ السابق الى هذا المعنى الأعشى القيسي في قصيدته التي توجه بها الى النبي
صلّى الله عليه وسلّم يمدحه حيث يقول:

(79) ما بين قوسين سقط من أ

مَتَى مَا تُنَاقِشِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ تَرَاهِي وَتَلْقِي مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدًا
فَضِيْمًا لَهَا عِنْدَ النُّزُولِ بِابْنِ هَاشِمٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُخَلِّيَ عَنْ ظَهْرِهَا
وَيُزِيحَهَا مِنْ كَدِّ الْأَسْفَارِ إِذْ لَا مَطْلَبَ وَرَاءَهُ وَلَا حَاجَةَ إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ
دُرَيْدٍ فِي مَقْصُورَتِهِ :

وَالنَّاسُ كَالنَّبْتِ : فَمِنْهُمْ رَاقِقٌ ، غَضٌّ ، نَضِيرٌ عُدُوهُ مَرُّ الْجَنَى
وَمِنْهُ مَا تَقْتَحِمُ الْعَيْنُ فَإِنْ ذُقْتَ جَنَاهُ انْسَاغَ عَذْبًا فِي اللَّهَى
وهذه المقصورة جلّها أمثال وحكم، وهي مشهورة لا حاجة إلى ذكرها . وقال الآخر :

يَقُولُونَ هَذِي أُمُّ عَمْرٍو قَرِيبَةٌ نَاتٌ يَكُ أَرْضٌ نَحْوَهَا وَسَمَاءُ
أَلَا إِنَّمَا قُرْبُ الْحَبِيبِ وَبُعْدُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يُوْصَلْ إِلَيْهِ سَوَاءُ
وقال صالح بن جناح :

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِ إِذَا قَلَّ مَأْوُهُ
وقال الآخر :

وَرُبَّ دَنِيَّةٍ مَا حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ رُكُوبِهَا إِلَّا الْحَيَاءُ
إِذَا رُزِقَ الْفَتَى وَجْهًا وَقَاحًا تَقَلَّبَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ
وتقدّم شيء من هذا في قولهم : إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ . وقال
الآخر:

إِذَا جَارَ الْأَمِيرُ وَكَاتَبَاهُ وَقَاضِي الْأَرْضِ دَاهَنَ فِي الْقَضَاءِ
فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِقَاضِي الْأَرْضِ مِنْ قَاضِي السَّمَاءِ !
وقال زهير :

وَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ : يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءُ
ويروى أن عمر، رضي الله عنه، لما سمع هذا البيت جعل يردّده استحساناً له، وتعجباً من
معرفة بالحقوق وإبانتة أحكامها وإقامته أقسامها . وقال الآخر :

خَيْرُ مَا وَرَثَ الرَّجَالُ بَيْنَهُمْ أَدَبُ صَالِحٍ وَحُسْنُ ثَنَاءِ
وقال سابق البربري: (80)

(80) حرف في ب إلى البربري .

مَوْتُ التَّقِيَّ حَيَاةٌ لَا انْقِطَاعَ لَهَا
ومثله قول الآخر :

أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَذُو الْجَهْلِ مَيِّتٌ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى الثَّرَى
وقال ابن الرومي :

إِنَّ لِلَّهِ بِالْبَرِيَّةِ لُطْفًا
وقال أيضا :

أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي
وقال لبيد :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِعَامِرٍ
وقال عبد الله بن عيينة :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى
ومثله في ذكر الشماعة قول الآخر :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا : أَفِيقُوا
وقال عديُّ بنِي زيد :

إِيَّهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِالدَّهْرِ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ
مَنْ رَأَيْتَ الْمَنُونَ خَلَدْنَ أَمْ مَنْ
وقال منصورُ الفقيه :

يَا مَنْ يُسَرُّ بِمَوْتِي
أَلَيْسَ مَنْ كَانَ مِثْلِي

وتمتلك الشافعي، رضي الله عنه، حين بلغه دعاء من دعا عليه بالموت ببَيْتَي الشاعر :
تَمَنَّى رَجُلٌ أَنْ أَمُوتَ فَانْ أَمُتْ

قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَحْيَاءُ

وأوصاله تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمٌ
يُعَدُّ مِنَ الْإِحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمٌ

سَبَقَ الْأَمَّاتِ وَالْأَبَاءُ

غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الْأَقْدَاءِ

فَالَا نَهَا الْأَصْبَاحُ وَالْأَمْسَاءُ

فَتَهَوُّ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ

بِكُلِّهِ أَنْأَخَ بِأَخْرَيْنَا
سَيَلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

أَنْتَ الْمُبَرَّرُ الْمَوْفُورُ ؟
بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ

إِذَا أَتَاهُ الْبَشِيرُ
أَلَى مَصِيرِي يَصِيرُ ؟

فَتلكَ طريقٌ لستُ فيها بِأَوْحَدٍ

فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى تَهِيئًا لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَانَ قَدْ
وَقَالَ الْحَمَاسِي فِي الْمَلْحَمَةِ :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَكْلَةٌ وَتَشْرِيقٌ وَتَمَرٌ كَاكْبَادِ الْجَرَادِ وَمَاءُ
التَّشْرِيقِ بِالرَّاءِ : الْقَعُودُ لِلشَّمْسِ، وَالتَّمَرُ الَّذِي كَاكْبَادِ الْجَرَادِ : الصَّيْحَانِي. وَقَالَ
الْأَخَرُ :

مَنْ فَاتَهُ الْعِلْمُ وَأَخْطَاهُ الْغِنَى فَذَاكَ وَالْكَلْبُ عَلَى حَدٍّ سَوَا
وَلْنَقْتَصِرَ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ مِنْ هَذَا الْبَابِ، فَإِنْ فِيهِ كِفَايَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَاللَّهُ يَقُولُ
الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

باب الباء

بَحَثَ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ .

الْبَحْثُ التَّفْتِيشُ . وَالْحَتْفُ : الْهَلَاكُ . وَالظِّلْفُ بكسر الظاء للشاة والبقرة والطبي بمنزلة القدم لَنَا . واستعاره عمرو بن معدِي كَرَبَ للخيل في قوله : وَخَيْكَ تَطَاكُمُ بِأَظْلَافِهَا .

يُضْرَبُ هذا المثل في الحاجة تُوَدِّي صاحبها الى التَّلَفِ وجناية الانسان على نفسه . وأصله أن ما عَزَّ لِبَعْضِ العرب كانوا أرادوا ذبحها ، فلم يجدوا شفرة يذبحونها بها ، فجعلت تَنْبِشُ برجلها في الأرض حتى استخرجت بنبشها شفرة كانت ضاعت لهم في الأرض ، فذبحوها بها وقالوا : بَحَثَتْ عَنْ حَتْفِهَا بِظِلْفِهَا . فذهبت مثلا . وقال الفرزدق في ذلك :

وكان يُجِيرُ النَّاسَ من سَيْفِ مالِكٍ فَأَصْبَحَ يَبْغِي نفسه من يُجِيرُهَا
وكان كَعَنْزِ السُّوءِ قَامَتْ بِظِلْفِهَا الى مُدِيَةٍ تحتَ الثَّرَى تستئيرها
وقال أبو الأسود :

فَلَاتَكُ مِثْلَ التِّي اسْتَخْرَجَتْ بِأَظْلَافِهَا مُدِيَةً أو بفيها
فقام إليها بِهَا ذَابِحٌ وَمَنْ تَدَعُ يَوْمًا شَعُوبٌ يَجِيها
أَبْخَرُ مِنَ الْأَسَدِ .

الْبَخْرُ ، بفتح الخاء المعجمة : نَتْنُ الفَمِ وغيره . يقال : بَخِرَ بالكسر ، فهو أَبْخَرُ وهي بَخْرَاءُ . وعلى هذا ، فالقياس أن لا يصاغ التفضيل من لفظه ، بل يقال : أَشَدُّ بَخْرًا . فإن صحَّ ورود لفظ المثل عندهم ، كان من الشَّوَاذِ : وإلا فَهُوَ لَحْنٌ . والأسد معروف ، وهو مشهور بِبَخْرِ الفَمِ ، وبه يضرب المثل فيه ، ومن ثمَّ قال البلغاء : لو قيل : جَاءَ أَسَدٌ ، وأريد رجلٌ أَبْخَرُ ، كان استعارةً صحيحةً ، غير أنها لا تكون مقبولة لعدم استعمالها : فان الوجه فيها يشترط أن يكون بَيِّنًا ، ولا يكون بحيث يجعلها كالتلغز . ومن الأمثال المشهورة للعامة قولهم : مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ لِلْأَسَدِ أَنْتَ

أَبْخَرُ الْفَمِ ؟ يَضْرِبُونَهُ عِنْدَمَا يُرَى عَيْبٌ أَوْ أَذَى مِمَّنْ لَا يُقْدَرُ أَنْ يُذْكَرَ لَهُ ذَلِكَ وَيَنْبَغِي عَلَيْهِ وَيُقَبَّحَ لَهُ، أَوْ تَصْدُرُ كَلِمَةٌ بَاطِلَةٌ مِمَّنْ لَا يُقْدَرُ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِ. وَكَانَ مِنْ أَصْلِ ذَلِكَ مِثْلُ آخِرِ لَهُمْ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ : « يَبْرَأُ الْجَرْحُ السُّوءَ، وَلَا يَبْرَأُ الْكَلَامُ السُّوءَ » وَسَيَأْتِي.

أَبْخَرُ مَنْ صَقَّرَ

الْبَخَرُ : تَقَدَّمَ . وَالصَّقَرُ، بِفَتْحِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْقَافِ : كُلُّ شَيْءٍ يَصِيدُ مِنَ الْبُرْزَةِ وَالشَّوَاهِينِ . جَمَعَهُ صَقَرٌ بِالضَّمِّ، وَأَصْقَرُ، وَصُقُورٌ، [وَصُقُورَةٌ] وَصِقَارٌ، وَصِقَارَةٌ . وَيُقَالُ، تَصَقَّرَ الرَّجُلُ : صَادَ بِالصَّقَرِ، وَهُوَ أَيْضًا مِمَّا يُوَصَفُ بِبَخَرِ الْفَمِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

فَلَهُ لِحْيَةٌ تَيْسٍ وَلَهُ مِنْقَارٌ نَسْرٍ
وَلَهُ نُكْهَةٌ لَيْثٍ خَالَطَتْ نُكْهَةَ نَسْرٍ
وَالنُّكْهَةُ : رَائِحَةُ الْفَمِ .

الْبَدَلُ أَعْوَرُ .

بَدَلُ الشَّيْءِ بِفَتْحَتَيْنِ وَالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ، وَبَدَلُهُ بِالْكَسْرِ، وَبَدِيلُهُ : خَلْفُهُ وَالْأَعْوَرُ مَعْرُوفٌ . يَضْرِبُ هَذَا الْمِثْلُ فِي سُوءِ الْخَلْقِ، وَالرَّجُلُ الْمَذْمُومُ يَخْلُفُ بَعْدَ الرَّجُلِ الْمَحْمُودِ . وَأَصْلُهُ أَنْ يَزِيدَ بَنَ الْمُهْلَبِ كَانَ عَلَى خُرَاسَانَ، ثُمَّ عَزَلَ عَنْهَا وَوَلَّيَ مَكَانَهُ قَتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيُّ، وَكَانَ شَيْخًا أَعْوَرَ شَحِيحًا، فَقَالَ النَّاسُ : هَذَا بَدَلُ أَعْوَرُ ! فَذَهَبَ مِثْلًا لِكُلِّ مَا لَا يُرْضَى بَدَلًا . وَفِي ذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

كَانَتْ خُرَاسَانُ أَرْضًا إِذْ يَزِيدُ بِهَا وَكُلُّ بَابٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ مَفْتُوحٌ
حَتَّى أَتَانَا أَبُو حَفْصٍ بِأَسْرَتِهِ كَأَنَّمَا وَجْهُهُ بِالْخَلِّ مَنْضُوحٌ
وَفِيهِ قَالَ ابْنُ هَمَّامٍ السَّكُولِيُّ :

أَفْتَيْبَ قَدْ قُلْنَا غَدَاةً أَتَيْتَنَا بَدَلُ لَعَمْرُكَ مِنْ يَزِيدٍ أَعْوَرُ
قُلْتُ : وَيُظْهِرُ لِي أَنَّ الْمِثْلَ قَدِيمٌ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا نَسَبَهُ أَهْلُ السِّيَرَةِ لِإِدْرِجِيَّةَ بْنِ خَلِيفَةَ أَنَّهُ قَالَ حَيْثُ أَتَى قَيْصَرَ :

أَلَا هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَائِيهَا بِأَنِّي قَدِمْتُ عَلَى قَيْصَرَ
فَغَرَّرَتْهُ بِصَلَاةِ الْمَسِيحِ وَكَانَتْ مِنَ الْجَوْهَرِ الْأَحْمَرِ
وَتَدْبِيرِ رَبِّكَ أَمْرَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَاعْضَى وَلَمْ يَنْكِرِ
وَقُلْتُ تَقَرُّ بِبُشْرَى الْمَسِيحِ فَقَالَ سَأَنْظُرُ قُلْتَ انْظُرِ
فَكَادَ يَقِرُّ بِأَمْرِ الرَّسُولِ فَمَالَ إِلَى الْبَدَلِ الْأَعْوَرِ
فَشَكَّ وَجَاسَتْ لَهُ نَفْسُهُ وَجَاسَتْ نَفُوسُ بَنِي الْأَصْفَرِ
عَلَى وَضْعِهِ بِيَدَيْهِ الْكِتَابِ عَلَى الرَّأْسِ وَالْمِنْخَرِ
فَأَصْبَحَ قَيْصَرُ مِنْ أَمْرِهِ بِمَنْزِلَةِ الْفَرَسِ الْأَشْقَرِ
والله أعلم :

بَرَحُ الْخَفَاءِ .

يقال : بَرَحَ الرجلُ مكانه، بالكسر، إذا زال عنه . وأكثر استعماله مع النفي ونحوه، كقوله :

وما بَرَحْتُ أَقْدَامُنَا مِنْ مَكَانِنَا ثَلَاثَتْنَا حَتَّى أَزِيرُوا الْمَنَائِيَا
وقد يحذف لفظاً، كقول الآخر :

وَأَبْرَحُ مَا أَذَامَ اللَّهُ قَوْمِي بِحَمْدِ اللَّهِ مُنْتَطِقًا مُجِيدًا
وَالْمُنْتَطِقُ : ذُو السَّلاَحِ، والمُجِيدُ بالضم : صَاحِبُ الْجَوَادِ مِنَ الْخَيْلِ . ومن هذا قولهم
لَا بَرَاكُ قَالَ :

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاكُ⁽¹⁾
ويقال للأسد وللرجل الشجاع حَبِيكُ بَرَاكٍ، بمعنى أن كلاً منهما كأنه شَدَّ بِالْحَبَالِ فَلَا
يَبْرَحُ مَكَانَهُ وَلَا يَزُولُ . ويقال : بَرَحَ الْخَفَاءُ بِالْكَسْرِ، ومعناه وَضَحَ الْأَمْرُ . قال بعض
اللُّغَوِيِّينَ : معناه ظَهَرَ الْأَمْرُ، وصَارَ كَأَنَّهُ فِي بَرَاكٍ، وهو الْمَكَانُ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ . ويقال :
الْبَرَاكُ مِنَ الْأَرْضِ مَا كَانَ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا ؛ ولذا قيل لِلشَّمْسِ بَرَاكٍ، وهو اسم معدول مكسور
قال الرَّاغِي :

هَذَا مَقَامُ قَدَمَيَّ رَبَّاحٍ غُدْوَةً حَتَّى دَلَكْتَ بَرَاكٍ

(1) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : مَنْ قَرَّ عَنْ نِيرَانِهَا... قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : الْبَيْتُ لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ يَعْرِضُ بِالْحَرْثِ بْنِ عِبَادٍ .

وَرَبَّاحٌ اسمُ ساقٍ كان يَسْقِي لابلَه . يريد أنه أقام على السقي حتى دلت الشمس، أي مالت . وقيل : برح الخفاء، أي ذهب السر وظهر . والخفاء هنا : السر . وقيل : الخفاء المتطاطيئُ من الأرض، والبراح والمرتفع منها الظاهر . فإذا قيل : برح الخفاء، فكأنه قيل ارتفع المتطاطيئُ حتى صار كالمرتفع الظاهر . وقال بعضهم : الخفاء ما غاب عنك . وقال بعض الأئمة : يقال : برح الشيء، يبرح، إذا انتحى وذهب، وبرح الخفاء : ذهب ؛ وأبرحته أنا : أذهبتُه . قال ابن دريد : وأوَّل من قاله شِقُّ الكاهن . وقال حسَّان، رضي الله عنه :

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سَفِيَّانَ عَنِّي مُغْلَغَلَةً فَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ
أَبْرَدُ مِنْ حَبْقَرٍ .

أَبْرَدُ : من البرودة وهي معروفة، وحَبْقَرُ أصله حَبَّ قَرٍّ، والحَبُّ : حَبُّ الغمام، والقَرُّ : البرد . ويقال : أَبْرَدُ مِنْ حَبِّ قَرٍّ، وأَبْرَدُ مِنْ عِبْقَرٍ، وَمِنْ عَبِّ قَرٍّ . والعبُّ من أسماء البرد .

بِرُّ الْكَرِيمِ طَبْعٌ، وبِرُّ الْبَخِيلِ دَفْعٌ .

البِرُّ : الاحسان والفضل . ولا شك أنَّ الكريم ينبعث منه البذل طيبةً به نفسه، بل يجد في ذلك أعظم اللذات، والبخل لا يصدر عنه عطاء إلا عن عناء ومقاساة من نفسه حتى لا يكاد تسمح نفسه بالعطاء إلا عن رغبة أو رهبة كتوقُّي الأذى في النفس والمال والعرض . وهذا المعنى بيِّن مشروح في أبواب الكرم والبخل، مشهور لا حاجة الى ذكره وما قيل فيه .

ومن الشديد الصعب [في هذا المقام] (2) ما ذكره صاحب التشوُّف، رحمه الله تعالى، في مناقب الشيخ أبي العباس السبتي، رضي الله عنه، عن أبي زيد عبد الرحمان بن يوسف الحسني قال : رأيت رسول الله، صلَّى الله عليه وسلَّم، فقلت يا رسول الله، أريد أن أراك في النوم كلَّ ليلة . فقال : هذا لا يمكن، فإنني مطلوب في المشرق والمغرب . فشكوت له حالتي وفقرتي، فقال [لي] : البخل أضربك . قال . فمرَّ بنا أحمد بن دُونَّاس، وهو رجل صالح من الأولياء الأخفاء من أهل أغمات، لا يُمسِك شيئاً، وربَّما تجرَّد عن أثوابه فيؤثِّرُ

(2) سقط من 1

بها وَيَسْتَتِر بِالْأَبْوَابِ . فَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَانصَرَف . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَذَا ؟ فَقَالَ : الْبَخْلُ أَضَرُّ بِهِ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيِّنْ لِي مَا هَذَا الْبَخْلُ . فَقَالَ لِي : لَأَقُولَنَّ لَكَ فِيهِ قَوْلًا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ عُلَمَاؤُكُمْ، إِذَا خَطَرَ لَأَحَدِكُمْ خَاطِرٌ بِالْعَطَاءِ، ثُمَّ عَقِبَهُ خَاطِرٌ آخَرٌ بِالْمَنْعِ، فَالْتَرَدَّدَ فِي الْخَاطِرِ الْأَوَّلِ بُخْلٌ . قَالَ : فَسَأَلْتُهُ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّبْتِيِّ، وَكُنْتُ سَيِّءَ الْإِعْتِقَادِ فِيهِ، فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ لِي : هُوَ مِنَ السُّبَّاقِ . فَقُلْتُ لَهُ : بَيِّنْ لِي . فَقَالَ لِي : هُوَ مِمَّنْ يَمُرُّ عَلَى الصَّرَاطِ كَالْبَرْقِ . قَالَ : فَأَصْبَحْتُ وَخَرَجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا الْعَبَّاسِ السَّبْتِيَّ، فَقَالَ : مَا سَمِعْتَ وَمَا رَأَيْتَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : دَعْنِي . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَرَكْتُكَ حَتَّى تَعْرِفَنِي . فَذَهَبْتُ مَعَهُ إِلَى حَانُوتِ ابْنِ مُسَاعِدٍ، فَأَنْشَأَتْ أَحَدُتُهُ إِلَيَّ أَنْ قُلْتُ لَهُ : التَّرَدُّدُ فِي الْخَاطِرِ الْأَوَّلِ بَخْلٌ . فَصَاحَ وَغُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: كَلِمَةً الصَّفَا مِنَ الْمُصْطَفَى، وَصَارَ مَتَى يَذْكُرُ هَذَا الْكَلَامَ يَغْشَى عَلَيْهِ. انْتَهَى مَلْخَصًا . فَلْيَعْتَبِرِ الْعَاقِلُ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ وَهَذَا الْكَلَامِ، وَلْيَنْظُرْ فِي أَحْوَالِ نَفْسِهِ وَأَحْوَالِ غَيْرِهِ كَيْفَ يَلْقَى مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَمَا يَهْمُ بِخَيْرِ غَايَةِ التَّرَدُّدِ وَالْمَنَازَعَةِ وَالْعِنَاءِ، حَتَّى إِذَا أُعْطِيَ قَلِيلًا وَأكْدَى أَوْهَمْتُهُ نَفْسُهُ أَنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، رَوْفٌ رَحِيمٌ . وَلَيْتَهُ عَرَفَ مَقَامَهُ وَتَقْصِيرَهُ فَيَتُوبَ أَوْ يَسْتَغْفِرَ وَيَنْكَسِرَ، عَسَى أَنْ يَتَخَلَّصَ مِمَّا وَرَدَ عَلَى الْبَخْلِ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، وَالذَّمِّ الْأَكِيدِ ! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

أَبْرٌ مِنْ هِيرَةٍ .

الْبِرُّ يُطْلَقُ عَلَى الْخَيْرِ وَعَلَى الْإِتْسَاعِ فِي الْإِحْسَانِ كَمَا مَرَّ، وَعَلَى الصَّلَةِ، وَعَلَى الْجَنَةِ، وَعَلَى الطَّاعَةِ، وَعَلَى الصَّدَقِ، وَعَلَى ضِدِّ الْعُقُوقِ وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَا . يُقَالُ مِنْهُ : بَرَّرْتُهُ، بِكَسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا بَرٌّ وَمَبْرَةٌ، أَبْرُهُ، فَأَنَا بَارٌّ، وَهُوَ مَبْرُورٌ . وَالْهِيرَةُ، بِكَسْرِ الْهَاءِ، مَعْرُوفَةٌ، وَهِيَ الْأُنْثَى ؛ وَالذَّكَرُ هِيرٌ . وَإِنَّمَا وَصَفْتُ الْهِيرَةَ بِالْبِرِّ لِأَنَّهَا تَأْكُلُ أَوْلَادَهَا مُحِبَّةً لَهُنَّ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَمَّا تَرَى الدَّهْرَ وَهَذَا الْوَرَى كَهِيرَةٍ تَأْكُلُ أَوْلَادَهَا
وهي أيضًا توصف بالعقوق، وسيأتي .

بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ .

الرِّفَاءُ، بِكَسْرِ الرَّاءِ وَالْمَدِّ، عَلَى مِثَالِ كِسَاءِ : الْإِتِّفَاقِ وَالْإِلْتِمَامِ . وَيُسْتَعْمَلُ عِنْدَ تَهْنِئَةِ الْمُتَزَوِّجِ وَالِدَعَاءِ لَهُ بَانَ يُرَزَّقُ اجْتِمَاعَ الشَّمَكِ وَيُرَزَّقُ الْأَوْلَادُ . وَالرِّفَاءُ مَأْخُوذٌ مِنْ

قَوْلِكَ : رَفَاتُ الثَّوْبِ، وَرَفَوْتُهُ، يُهْمَزُ وَلَا يُهْمَزُ . ومعناه لَا مَتَهُ وَضَمَمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ . يُقَالُ : مَنْ اغْتَابَ خَرْقًا، وَمَنْ اسْتَغْفَرَ رَفَاً؛ وَقَالَ ابْنُ هَرَمَةَ : بَدَلْتُ مِنْ حَدِّ الشَّيْبَةِ وَالْأَبْدَالُ ثَوْبُ الْمَشْيَبِ أَرْدَوْهَا مَلَاءَةً غِيَرًا جَدًّا وَاسِعَةً أَخِيطُهَا مَرَّةً وَأَرْفُوْهَا وَاسْتَغْمِلَ الرَّفَاءُ وَالْمُرَافَاةُ فِي الْمَوَافَقَةِ . قَالَ الْآخَرُ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ أَبَا رُوَيْمٍ يُرَاعِيْنِي وَيَكْرَهُ أَنْ يَلَامَا وَبَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ يَجْعَلُ هَذَا الْمَعْنَى أَصْلًا لِلْمَثَلِ الْمَذْكُورِ . وَقِيلَ هُوَ دَعَاءٌ بِالسَّكُونِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِمْ :

رَفَوْتُ الرَّجُلَ، أَيْ سَكَنْتُهُ مِنَ الرَّعْبِ . قَالَ أَبُو خِرَاشٍ :

رَفَوْنِي وَقَالُوا : يَخْوِيلِدُ لَا تُرْعُ فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوَجْهَ هُمُ هُمُ وَيُقَالُ : رَفَاتُ الرَّجُلِ تَرْفِيئًا : قُلْتُ لَهُ بِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينَ . وَتَزَوَّجَ عَقِيْلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ امْرَأَةً، فَقِيلَ : بِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينَ . فَقَالَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا رَفَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَقُلْ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ !

بَرْقٌ لِمَنْ لَا يَعْرِفُكَ .

يُقَالُ : بَرَقَ الرَّجُلُ، وَبَرَقَ، وَأَبْرَقَ، إِذَا أَوْعَدَ وَتَهَدَّدَ . وَيُقَالُ أَيْضًا : رَعَدَ وَبَرَقَ، وَأَرَعَدَ وَأَبْرَقَ . قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ :

يَا بَلَّ مَابَعْدَتْ عَلَيْكَ بِلَادُنَا فَاَبْرُقْ بِأَرْضِكَ مَا بَدَا لَكَ وَأَرَعُدْ !

وَقَالَ الْكُمَيْتُ :

أَبْرُقْ وَأَرَعِدْ يَا يَزِيدُ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرٍ !

وَقَالَ الْمُتَلَمِّسُ :

إِذَا جَاوَزْتَ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ثَنِيَّةً فَقُلْ لِأَبِي قَابُوسَ مَا شِئْتَ فَارْعُدْ !

وَأَنْكَرَ الْأَصْمَعِيُّ أَبْرَقَ وَأَرَعَدَ رُبَاعِيًّا . ذَكَرَ الْقَالِي فِي نَوَادِرِهِ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ : قُلْتُ لِلْأَصْمَعِيِّ : أَتَقُولُ فِي التَّهْدِيدِ أَبْرَقَ وَأَرَعَدَ ؟ قَالَ : لَا، لَسْتُ أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَرَى الْبَرْقَ أَوْ أَسْمَعَ الرَّعْدَ . قُلْتُ : فَقَدْ قَالَ الْكُمَيْتُ (أَبْرُقْ وَأَرَعِدْ، الْبَيْتُ فَقَالَ) (3) الْكُمَيْتُ جُرْمُقَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ ؛ وَالْحُجَّةُ الَّذِي يَقُولُ : إِذَا جَاوَزْتَ مِنْ

(3) سقط من ب.

ذَاتِ عِرْقٍ، البيت . فأتيتُ أبا يزيد فقلت له : كيف تقول من الرعد والبرق فَعَلَّتِ السماء ؟ قال : رَعَدَتْ وَبَرَقَتْ (أو أَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ، من الرعد والبرق)⁽⁴⁾ قلت : فمن التهديد ؟ قال : رَعَدَ وَبَرَقَ، وأَرَعَدَ وَأَبْرَقَ، فأجار اللغتين جميعا . وأقبل أعرابيٌّ مُحَرَّمٌ فأردت أن أسأله، فقال لي أبو زيد : دعني فأنا أعرِفُ بسؤاله . فقال [أبو زيد] : (يا أعرابي، كيف تقول : رَعَدَتْ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ أو أَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ؟ فقال : رَعَدَتْ وَبَرَقَتْ . فقال أبو زيد)⁽⁵⁾ فكيف تقول للرجل من هذا ؟ فقال : أمن الجفيف تريد ؟ يعني التهديد . قال : نعم . فقال : أقول : رَعَدَ وَبَرَقَ، وأَرَعَدَ وَأَبْرَقَ . ومعنى المثل : بَرَقَ وتهددٌ على من لا يعرف موقع وعيدك، ومنتهى تهديدك ! وأما أنا فقد عرفتكَ . يضرب عند جواب الجبان إذا جعل يخوف ويتهدد . وقد ذكر في هذا المثل المثل الآخر، وهو قولهم : بَرَقَ ورَعَدٌ، فلا حاجة إلى إعادته.

أَبْرَمًا قَرُونًا.

البرمُ بفتحيتين : مَنْ لَا يَدْخُلُ مَعَ الْقَوْمِ فِي الْمَيْسِرِ، وهو ذمٌّ عند العرب غاية؛ كما أن الدخول فيه مدح . قال متمم :

وَلَا بَرَمٌ تُهْدَى النِّسَاءُ لِعِرْسِهِ إِذَا الْقَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ تَقَعَقَعًا
هَلَا سَأَلْتَ بَيْنِي ذُبْيَانَ مَا حَسْبِي إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الْأَشْمَطَ الْبَرَمَا ؟

يقول إنّه يغشى مستوقد القوم ليصيب ممّا نحروا، لأنه برمٌ لا تَسْخُو نَفْسُهُ بِالْأَخْذِ مَعَ الْقَوْمِ وَالْدُخُولِ مَعَهُمْ ؛ وَجَمَعَهُ أَبْرَام . قال دريدُ بنُ الصَّمَّةِ :

إِذَا عَقَبَ الْقُدُورُ عُدْدِنَ مَالًا أَحَبَّ حَلَالِكُ الْأَبْرَامِ عِرْسِي⁽⁶⁾
وَعُقَبُ الْقُدُورِ : مَا يَبْقَى فِي أَسْفَلِهَا فَاضِلًا، وَلَا تُعَدُّ مَالًا إِلَّا عِنْدَ اشْتِدَادِ الْأَمْرِ ؛ وَحِينَئِذٍ تَبْقَى زَوَاجَاتُ الْأَبْرَامِ لَا مَرَّةَ عِنْدَهُنَّ فَيُحْبِبُنَّ عِرْسِي لِمَا عِنْدَهَا مِنَ الْمَرْقِ وَالْخَيْرِ . وَبَرَمَ الرَّجُلُ بِالْكَسْرِ، يَبْرَمُ . قال النابغة :

لَا يَبْرَمُونَ إِذَا مَا الْأَفْقُ جَلَّلَهُ بَرْدُ الشِّتَاءِ مِنَ الْأَمْحَالِ كَالْأَدَمِ
وَيُقَالُ فِي ضِدِّهِ : يَسِرَ الرَّجُلُ يَمْسِرُ، أَي ضَرَبَ بِالْقِدَاحِ . قال علقمة :

وَقَدْ يَسَرْتُ إِذَا مَا الْجَوْعُ كَلَّفَهُ مُعَقَّبٌ مِنْ قِدَاحِ النَّبْعِ مَقْرُومٌ
وَرَجُلٌ يَسِرُّ، وَالْجَمْعُ أَيْسَارُ . قال الشاعر :

(4) سقط من أ

(5) سقط من أ

(6) في لسان العرب : تَحْتَهُ حَلَالِكُ الْأَبْرَامِ عِرْسِي.

وراحِلَة نَحَرْتُ لِشَرْبِ صِدْقٍ وَمَا نَادَيْتُ أَيْسَارَ الْجَزُورِ
وقال الحماسي (7)

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ سَوَاسُ مَكْرُمَةٍ [أبناءُ أيسار]
من تلقَ منهم تَقَلَّ لا قَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
وقال عنترَةُ في معناه :

وَمِشْكٌ سَابِغَةٌ هَتَكَتْ فُرُوجَهَا بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعَلِّمٍ
رَبِذَ يَدَاهُ بِالْقِدَامِ إِذَا شَتَا هَتَكَ غَايَاتِ التَّجَارِ مَلُومٍ
وَالرَّبِذُ الْمُسْرِعُ . يريد أنه يُسْرِعُ إِلَى ضَرْبِ الْقِدَامِ إِذَا شَتَا ؛ وَالتَّجَارُ : بَاعَةُ الْخَمْرِ .
وَيُرِيدُ أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَسْقِيهَا وَيَغَالِي فِي ثَمْنِهَا حَتَّى يُعْطِيَ غَايَةَ مَا يَطْلُبُهُ
التَّجَارَ، وَهُوَ مَعْنَى هَتَكَ غَايَاتِهِمْ .

وقالت عَجُوزُ أَعْرَابِيَّةٌ لثَلَاثَ بَنَاتٍ لَهَا : لِتَصِفِ كُلُّهُنَّ مَكْنَ مَنْ تَحِبُّ مِنَ الرِّجَالِ !
فَقَالَتِ الْكُبْرَى : أُرِيدُهُ أَوْزَعُ بَسَامًا، أَحَدٌ مِجْذَامٌ، سَيِّدُ نَادِيهِ، وَثِمَالُ عَافِيهِ،
وَمَحْسَبُ رَاجِيهِ، فِينَاؤُهُ رَحْبٌ، وَقِيَادُهُ صَعْبٌ . وَقَالَتِ الْوَسْطَى : أُرِيدُهُ عَلِيٌّ السَّنَاءِ،
مُصَمَّمُ الْمَضَاءِ، عَظِيمُ نَارٍ، مُتَمَّمُ أَيْسَارٍ، يُفِيدُ وَيُبِيدُ، وَيُبْدِيءُ وَيُعِيدُ،
فِي الْأَهْلِ صَبِيٍّ، وَفِي الْجَيْشِ كَمِيٍّ، تَسْتَعْبِدُهُ الْحَلِيلَةُ، وَتَسْوَدُّهُ
الْفَصِيلَةُ . وَقَالَتِ الصَّغْرَى : أُرِيدُهُ بَازِلُ عَامٍ، كَالْمُهَنْدِ الصَّمَمِ، قِرَانُهُ حُبُورٌ،
وَلِقَاؤُهُ سُرُورٌ، إِنْ ضَمَّ قَضَقَضٌ، وَإِنْ دَسَّ أَغْمَضٌ، وَإِنْ أَخَلَ أَحْمَضٌ . فَقَالَتِ أُمُّهَا :
فُضٌّ فُوكَ ! لَقَدْ فَرَرْتُ لِي شِرَّةَ الشَّبَابِ جَذَعَةً . وَالْأَوْرَعُ : الْكَرِيمُ، وَقِيلَ
الْجَمِيلُ . وَالْأَحَدُ : الْخَفِيفُ السَّرِيعُ . وَالْمِجْذَامُ : الْقِطَاعُ لِلْأُمُورِ، مِنَ الْجَذْمِ وَهُوَ
الْقِطْعُ . وَالنَّادِي : الْمَجْلِسُ . وَالثِّمَالُ : الْغِيَاثُ . وَالْعَافِي وَالْمُعْتَفِي : مَنْ جَاءَ طَالِبًا
لِلْمَعْرُوفِ . وَالْفِينَاءُ : الرَّحْبُ الْوَاسِعُ . وَصَعْبُ الْقِيَادِ مِنَ الرِّجَالِ : الْعَزِيزُ الْمُتَنَعِّعُ،
وَأَصْلُهُ فِي الدَّابَّةِ . وَالسَّنَاءُ بِالْمَدِّ : الشَّرَفُ ؛ وَالْمُصَمَّمُ : الْمَاضِي فِي الْأُمُورِ لَا يَتْنَبَّهُ
شَيْءٌ . وَالْأَيْسَارُ جَمْعُ يَسَرَ، كَمَا مَرَّ . وَالْكَمِيُّ : الشَّجَاعُ . وَحَلِيلَةُ الرَّجُلِ : زَوْجُهُ .
وَالْفَصِيلَةُ : رَهْطُ الرَّجُلِ الْأَقْرَبُونَ . وَبَازِلُ عَامٍ : النَّتَامُ الشَّبَابُ، وَأَصْلُهُ فِي الْإِبْلِ،
وَسَتَذَكَّرُ بَعْدُ أَسْنَانُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَضَقَضٌ : حَطْمٌ، كَمَا يُقَضَقَضُ الْأَسَدُ

(7) هُوَ الْعَرَنُودُسُ الْكِلَابِيُّ يَمْدَحُ بَنِي عَمْرِو الْغَنَوِيِّينَ.

فريسته، وهو أن يحطّمها فيُسَمَعَ لعظامها صوت ؛ ودسّ الشيء : دفعه ؛ والاخلال والاحماض : مثك، وسيأتي تفسير ذلك بعدُ إن شاء الله تعالى ؛ والقرونُ فعولٌ من قرنَ للمبالغة : يقال : قرَنَ بينَ أَحَدَيْنِ إذا جمع بينهما، فهو قارن وقرونٌ وقَرَآن. وأصل المثل أن رجلا كان برمًا، فدخل يوما على امرأته، فوجدها تأكل لحما، فجعل يأكل بَضْعَتَيْنِ بَضْعَتَيْنِ . فقالت له : أَبْرَمًا قَرُونًا، فذهبت مثلا . والمعنى أن تكون برمًا قَرُونًا، فتجمع بين مَذْمَتَيِ البُخْلِ والنَّهَمِ . ولم يذكر في الصحاح أصل هذا المثل وقال : معناه هو بَرَمٌ ويأكل مع ذلك تَمَرَتَيْنِ انتهى . فجعل القران . وهو يحتمل أن يكون أصله أو من مضاربه، وهو صحيح . ومثله في القاموس، إلا أنه فسّر البرم في المثل بالثقل . ولاشك أن البرمَ يُطْلَقُ على السّامة والضجر . يقال : بَرِمَ به إذا ضجر، وأبرمه : أضجره . قال الشاعر في ثقل :

مُسْتَمِلٌ بِالْبُغْضِ لَا تَنْتَنِي إِلَيْهِ طَوْعًا لَحْظَةُ الرَّامِقِ
يَظَلُّ فِي مَجْلِسِنَا مُبْرَمًا أَثْقَلَ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقِ
ويقال : كتب الأعمش نقشا في خاتمه : يامقيتُ، أبرمت فقمُ ! فإذا استنقل جليسا ناوله إياه .

أَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ .

الْبَصَرُ : حِسُّ الْعَيْنِ . يقال : بَصُرَ بالشيء، بالضم والكسر، بَصَارَةً وبَصَرًا، صار مُبْصِرًا له ؛ وتبصره : نظر هل يُبْصِرُه ؛ وهو أبصرُ منه، أي أقوى إدراكًا . والعُقَاب : الطائر المعروف، جمعه أعقبة وأعقاب، لأنّه مؤنث . قال امرؤ القيس :
كَانَ دِثَارًا حَلَقَتْ بِلَبُونِهِ عُقَابٌ تَخَوَّفَى لَا عُقَابُ الْقَوَاعِلِ
والعُقَابُ تُوصَفُ بحدّة البصر .

أَبْصَرُ مِنْ غُرَابٍ .

البصر معروف . والغراب جمعه غربان وأغربة وغرّابين وغرّب، ويوصف أيضا بحدّة البصر . وزعموا أنّه يرى من تحت الأرض مقدار منقاره . وذكر بعض اللغويين أن العرب تسمي الغراب أعور، ويزعمون أنّه يُغْمِضُ أبداً إحدى عينيّه، ويقتصر على النظر بواحدة

من قوّة بصره . وقيل سمّوه أعور من حدّة بصره على طريق التفاؤل، كما قال بشّار بن برد :
وقد ظلّموه حين سمّوه سيّداً كما ظلّم الناسُ الغُرابَ ياعُوراً
وقال ابن اللبّانة :

لما تناهيتُ علماً ظلاً ينقُصني عند الكمال خَصيب النير السرر
وفي الغُراب إذا فكّرتَ مغربة من فرطِ إبصاره يُعزّي الى العور
أبُصرُ من فرسٍ .

الفرس معروف، للذكر والأنثى . ويوصف أيضا بحدّة البصر، وهو صحيح مجرّب، بحيث
إن الفارس قد يُرخي عنانه في الطريق غير الواضح، والظلام معتكر، فيسير به ويتخطى
المهاوي والجراثيم التي لا شعور للراكب بها ولا إحساس .

أبُصرُ من المائِحِ بإسْتِ الماتِحِ .
المائِح : الذي ينزل البئر ليملاً الدّلُو بيده إذا قلّ الماء فيها، وقد ماحَ يَمِيح .
قال الراجز :

يا أيُّها المائِحُ دلّوي دُونَكَ إنّي رأيتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ
وقال الآخر :

فَأَنَسَ سِرْبَ قَطَا قَارِبِ جَبَى مَنَهَلٍ لَمْ تُمَحِّهِ الدَّلَا
والماتِحُ : المُسْتَقِي النَّازِعُ للدّلُو على جَبَى البئر . قال علقمة :
كَانَ ذِرَاعِيهَا عَلَى الْخَلِّ بَعْدَ مَا - وَنَيْنَ ذِرَاعَا مَاتِحٍ مُتَجَرِّدِ
وقال ذو الرمة :

كَانَهَا دَلُّو بَيْئَرٍ جَدَّ مَا تَحُهَا حَتَّى إِذَا مَا رَأَاهَا خَانَهَا الْكَرْبُ
ومن المعلوم أنّ المائِح الذي تحته يبصر عورته ويكون بصيرا باسته إن لم يتسروا ؛ فلذلك
قالوا ما تقدّم . وقال بعض الأدباء :

يا مائِحِ الْعَيْنِ عَدِمَتْ الرُّقَى مِنْ حِرْصِ هَذِي الْعَيْنِ لَمْ يَسْتَقِي
من شِيَمَةِ الْمَاءِ انْحِدَارُ فَلِمَ ماءُ جُفُونِي أَبَدًا يَرْتَقِي ؟

أُبْصِرْ مِنْ هُدْهِدٍ .

الهُدْهُدُ معروف، ويقال له أيضا هُدَاهِدٍ بالضم، والجمع هُدَاهِدٍ بالفتح، ويوصف بحدّة البصر أيضا . وزعموا أنّه يُبصر الماء من تحت الأرض ، وأن الأرض كانت له كالزجاج . وقالوا إنّهُ كان دليلَ نبيِّ الله سليمان عليه السلام على الماء، وإنّهُ إنّما غضب عليه وحلفَ لِيُعَذِّبَنَّهُ لكونه نزل على غير ماء . وحضرت الصلاة، فسأل الانس والجنّ والطير عن الماء فلم يجد عندهم علما، فتفقّد الهدهد فلم يجده فغضب عليه، وفي ذلك قصّة طويلة . وتقدّم من كلام ابن عبّاس، وأنّ نافعا سأله لِمَ اعْتَنَى سليمانُ مع ما خوّله الله تعالى من الملكِ بالهدهد مع صغره ؟ فقال : أنّه احتاج الى الماء ، والهدهد كانت له الأرض كالزجاج، وأنّ ابن الأزرَق قال لابن عبّاس : قف يا وقّاف ! كيف يبصر الماء من تحت الأرض، ولا يرى الفخّ إذا غطي له بقدر أصبع من تراب ؟ فقال ابن عبّاس : إذا نَزَلَ الْقَضَاءُ عَمِيَ الْبَصَرُ !

أُبْصِرْ مِنْ وَطْوَاطٍ بِاللَّيْلِ .

الوَطْوَاط : الْخَفَّاشُ، وهو معروف.

بَصْبَصْنِ إِذْ حُدَيْنَ بِالْأَذْنَابِ

يقال : بَصْبَصَ الْكَلْبُ وَالْفَحْلُ وَغَيْرُهُمَا إِذَا حَرَّكَ ذَنْبَهُ . وَحُدَيْنَ : سَقَنَ ، من الحُدَاء الذي يُبْعَثُ به نشاط الابن، وهو بالذال المهملة . وَيُرْوَى حُدَيْنَ بالذال المعجمة، من المُحَاذَاة . يضرب هذا المثل في فرار الجبان وخضوعه واستكانته، وكأنّه شطّر بيت .

بِيضْرَبِ خَبَّابٍ وَرَيْشِ الْمُقْعَدِ .

خَبَّابٌ : قَيْنٌ بمكّة كان يضرب السيوف ؛ والمُقْعَد كان يَرِيشُ السّهام . فتكالم الزبير وعثمان، فقال الزبير : إن شِئْتَ تَقَاذِفْنَا، قال : أبا الْبَعْرَ، يا أبا عبد الله ؟ فقال الزبير : بك يَضْرَبُ خَبَّابٌ وَرَيْشُ الْمُقْعَدِ، أي نَتَقَاذِفُ بالسيوف والسّهام . أَبْطَأَتْ بِالْجَوَابِ، حَتَّى فَاتَ الصَّوَابُ .

قاله قصيرٌ . لِجَذِيْمَةِ الْأَبْرَشِ فِي قِصَّة طَوِيلَةٍ . وَمُلَخَّصُهَا، عَلَى مَا ذَكَرَ

الاختباريون يزيدُ بعضهم على بعض ويدخلُ حديثُ بعضهم في بعض، أنَّ جذيمةَ هذا، وهو جذيمة بالذال المعجمة المكسورة ابن مالك بن فهم بن الأوس بن الأزْد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . وقد قيل إنَّه من العرب الأولى من إياد بن أميم، وكان به بياض . فكرهت العرب أن تقول « أبرص »، فقالوا له أبرش والوضَّاح . وقيل : الصواب أنَّ الوضَّاح غير هذا . وقيل : سمَّى الأبرش لأنَّه أصابه حرٌّ ونار، فبقي فيه نقطا نقطا سودا وحمراء . كان ملك الحيرة وما حولها ستين سنة، وكان زمانَ ملوك الطوائف، وكان يغير على من حوله من الملوك حتَّى غلبهم على كثير ممَّا في أيديهم . وهو أولُ من أوقد له الشمع ونصَّب المجانيق للحرب . ثمَّ إنَّ جذيمة غزا الحضر، وهي مدينة بين دجلة والفرات . وإيَّاه عَنَى عَدِيُّ بنُ زيد العباديَّ بقوله:

وأخو الحضر إذْ بناه وإذْ دجلة تَجْبَى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلْسًا فَلِطَّيْرٍ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
وكان صاحب الحضر إذ ذاك عمرو بن الظرب، وهو أبو الزبَّاء كان ملكا على الحضر، فظفر به جذيمة وقتله . وذهبت بنته الزبَّاء مطرودة نحو الروم، وكانت من أجمل نساء زمانها، وكان لها شعرٌ إذا أرسلته غطَّى بدنَّها، وبذلك لقبت بالزبَّاء ، وهي تأنيث الأرب، أي الكثير الشعر . وعلى هذا فاسمُها ممدود . وقال البكري : الزبَّاء أَلِفُهَا مقصورة . قال : وقد ردَّ العلماء فيه المدَّ لأنَّه تأنيث زبَّان، الاسم المستعمل . فأما الزبَّاء ممدودا، فإنمَّا هو تأنيث أرب، لم يستعمل اسما، وإنمَّا هو صفة للكثير شعر البدن . قال : والشاهد لما قلناه قول عَدِيٍّ بن زيد :

فَأَضَحَّتْ فِي مَدَائِنِهَا كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ زَبًّا لِحَامِلَةٍ جَنِينَا
قلت : وما أراه إلا وهما وغلطا، وذلك أن فعَلَى بالقصر إنمَّا تأتي تأنيث فعَلَان، كعطشان وسكران . وزبَّان الذي هو اسم، إنمَّا هو فعال أصيل النون من مادَّة الزَّين والمزابنة، لا فعَلان . ومادَّة زَبَب لم يرد منها إلا زَبَّاب لصاحب الزبيب، وأرب للكثير الشعر . والأول لا يرد منه فعَلَى بالقصر، كما لا يرد من عَشَّاب، وبقَّال، وحمَّار . وكذا الثاني، إنمَّا ترد منه فعلاء بالمدِّ، كأحمر، وأشهب، وأوطف، وأجرد، ومؤنَّثة حمراء،

ووظفاء، وجرداء، وكذا أَرْبَ وزَبَاء، وهذا أمر واضح . وأمّا قوله : إِنَّ الأَرْبَ لم يستعمل اسماً فغير بيّن، فإنَّ الأَرْبَ من أسماء الشياطين . وفي حديث العَقْبَة هو شيطانٌ اسمُه أَرْبُ العَقْبَة . والزَبَاء اسم لبلد على الفُرَات، ولِفَرَس الأَصِيدِ الطَّائِي، ولِماء لبني سَلِيط، وآخر لِطُهَيْيَّة، وَلَعَيْنُ باليَمَامَة . والزَبَاء أيضا اسمٌ من أسماء الإِثْتِ، والداهية الشديدة . فلم يصحَّ قوله إِنَّه لم يستعمل اسماً . ولم يمتنع أن يكون اسماً للملكة المذكورة، وإن كان وصفاً في أصله بل لو لم يكن اسماً في غيرها لم يمتنع أن يكون اسماً فيها، على أَنَّهُ ليس اسماً لها بادئ بدء . وإنَّما لُقِّبَتْ به لكثرة شعرها كما قلنا أولاً فغلب عليها . واسمها فارعة، وقيل نائلة، وقيل ميسور . وأمّا البيت الذي استشهد به، فليس وحده بناهض في الاحتجاج لصحة قصر الممدود . والمعروف عند اللغويين أَنَّ الزَبَاء بالمدّ، كما نطق به الامام أبو بكر بن دُرَيْد في مقصورته، حيث قال :

فاسْتَنْزَلَ الزَّبَاءَ قَسراً وَهِيَ مِنْ عُقَابِ لَوْحِ الْجَوْ أَعْلَى مُنْتَمَى
وهو المُوَافِقُ للقياس . ومدّ المقصور أضعف وأبعد من قصر الممدود . ثمَّ إِنَّ الزَّبَاءَ جمعت الأموال والأجناد وتقوّت، وكانت نبيلة عاقلة . فعادت الى ديار أبيها وأزالت جذيمة عنها وملكت. فكانت تُعَدُّ من ملوك الطوائف، وحرّمت الرجال على نفسها، فهي بتول. وكان بينها وبين جذيمة مهادنة بعد حروب جرت . فلما همّت بالقيام بثأر أبيها أرسلت إليه تخطبه على نفسها وترغبه في أن يتصل ملكه بملكها، فأحبّ ذلك . وقيل هو الذي حدّثته نفسه بِخِطْبَتِهَا، فشاور خاصّته فوافقوه كلّهم إلّا قصيراً . وهو قصير بكسر الصاد ابن سعد، وكان عاقلاً نبيلاً، وهو ابن عمّ جذيمة وخازنه وصاحب أمره وعهده . قالوا ولم يكن قصيراً وإنَّما سمّي به فقط . قال له : أبيت اللعن أيّها الملك ! إِنَّ الزَّبَاءَ حرّمت الرجالُ فهي بتول عذراء، لا ترغب في مال ولا جمال، ولها عندك ثأرٌ والدم لا ينام؛ وإنَّما هي تارككتك رهبة وحذاراً، والحدّ دفين في سويداء القلب، له كُمُونٌ ككمون النار في الحجر، إن اقتدحته أوزى، وإن تركته توارى، وللملِك في بنات الملوك مُتَسَعَم . وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيما هو دونك، وعظّم الربّ شأنك فما أحد فوقك . فقال جذيمة : يا قصير، الرأي ما رأيته، ولكن النفس تواقفه، والى ما تحبّ مشتاقه، ولكلّ امرئ قدرٌ لا مفرّ منه ولا وِزْر ! ثمَّ وجّه جذيمة إليها خاطباً وأمره أن يظهر لها

ما تَرَعَبَ به وتَمِيل. فلَمَّا جَاءَهَا الخَاطِبُ أجابت وأظهرت فرحا كبيرا وغبطة عظيمة وقالت :
لولا أَنَّ المسير في هذا أجمل بالرجال سرت إليه. فوجَّهَت الخاطب وبعثت معه الى جَذِيمة
بهديَّة سنيَّة فيها من الاماء والكُرَاع والسلاح والأموال والبقر والغنم وغير ذلك من الجواهر
الرفيعة والطَّرَفِ العجيبة ما يَبْقَرُ الناظرين. فلَمَّا بَصُرَ جَذِيمة بذلك أعجبه مع ما
بلغه من حسن جوابها وطيب كلامها، وظنَّ أَنَّ ذلك كان رغبة منها فيه زوجا . فخرج إليها من
فوره مع خاصَّته وفيهم قَصِير، واستخلف على مملكته ابن أخيه عمرو بن عَدِي اللخمي،
وسياأتي ذكره بعد إن شاء الله تعالى . فسار حتى بلغ موضعا يقال بَقَّة، فاكل وشرب
وأعاد المشورة، فاستصوبوا أيضا ما أراد إلاَّ قَصِيرًا فَإِنَّهُ قال : أيها الملك، كلَّ عزم لا
يؤيِّدُ بجزم فإلى أفن يكون كونه . فلا تَثِقْ بِزُخْرَفِ قولٍ لا محصول له، ولا تَقْذِفِ
الرأي بالهوى فَيَفْسُدَ، ولا الحزم بالمُنَى فَيَبْعُدَ ! والرأي عندي للملك أن
يَتَعَقَّبَ أمره بالتثبَّت، ويأخذ حِذْرَهُ بالتيقُّظ . ولولا أَنَّ الأمور تجري بالمقدور لعزمت
على الملك عزمًا بئًا أن لا يفعل. فقال جَذِيمة : الرأي مع الجماعة . فقال قصير : أرى
القَدَرَ سائق الحذر، لا يطاع لقصير أمرٌ أو رأي . فأرسلها مثلا . ثمَّ سار جَذِيمة حتى قرب
من ديار الزبَاء، فأرسل إليها يعلمها بمجيئته . فلما جاءها الرسول أظهرت السرور والرغبة،
وأمرت بحمل الضيافة إليه، وقالت لأجنادها وخاصَّتها : تَلَقُّوا سيِّدكم ومالك دولتكم !
وعاد الرسول بالجواب إليه، وأخبره بما رأى وسمع . فلَمَّا أراد جَذِيمة أن يسير، دعا قَصِيرًا
فقال له : أنت على رأيك ؟ قال : نعم ! وقد زادت بصيرتي فيه . أفأنت على عزمك ؟ قال :
نعم ! وقد زادت رغبتي فيه . فقال قصير : ليس للدَّهْرِ بصاحب، مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
العواقب . فأرسلها مثلا . ثمَّ قال له : وقد نَذَرْتُكَ الأمرَ قبل فواته، وفي يد الملك بَقِيَّة
هو بِيهَا قادر على استدراك الصواب ؛ فإن وثقت بأنك ذو ملك وسلطان وعشيرة، فقد نزعْتَ
يدك من سلطانتك، وفارقت عشيرتك والقيتها في يَدِ مَنْ لستُ أَمَنُ عليك مَكْرَهُ
وَعَدْرَهُ . فإن كنت فاعلا ولا بدَّ،⁽⁸⁾ فَإِنَّهُمْ غَدًا يَلْقَوْنَكَ ويقومون لك صفَّين، حتَّى
إذا توسَّطتهم أحدقوا بك : فهذه العصا لا يُشَقُّ غُبَارُهَا، وهو أوَّلُ من قاله . وكانت
العصا فرسًا لجَذِيمة لا تدرك، فهي ناجية بك إن مَلَكْتَ ظَهْرَهَا وناصيتها . ويروى أَنَّهُ

(8) في ب : فإن كنت ولا بد فاعلا.

قال له : إِنَّهُمْ غَدًا إِنْ لَقَوْكَ فترجلوا وحيثُوك فتقدّموا، فقد كذب ظنّي، وإن رأيتهم حيّوك فطافوا بك، فإنّي أعرض لك العصا . فسمع جذيمةٌ كلامه فلم يردّ عليه جواباً . ثمّ سار جذيمة، وقصيرٌ عن يمينه، فقامت الزبّاء وبعثت بجندها وقالت لهم : سيروا حتى إذا لقيتموه فقوموا صفّين عن يمينه وشماله، فإذا توسّطكم فانقضّوا عليه أجمع، وإيّاكم أن يفوتكم ! فلما أحاطوا به وعلم أنّهم ملكوه أقبل على قصير، وكان مسايه، فقال له : صدقت يا قصير ! فقال قصير : أبطأت بالجواب، حتّى فات الصّواب ! فأرسلها مثلاً . فقال جذيمة : كيف الرأي ؟ فقال : تركت الرأي ببقيّة ! فأرسلها مثلاً . ويروى أنّه قال له : هذه العصا فدونها لعلك تنجو عليها ! فأنف من ذلك . وقيل إنّهُ عرّضها له فشغّل عنها، فركبها قصير فنجا . فلما نظر إليه جذيمة وهو عليها ينقطع دونه السراب، قال : ما ذاك من جرّت به العصا ! فأرسلها مثلاً . ويروى أنّه قال، حين نظر إليه على ظهرها : ويل أمّه حرماً على ظهر العصا ! فأرسلها مثلاً . ثمّ سارت الجيوش بجذيمة، فتطلّعت عليه الزبّاء من قصرها فقالت : ما أحسنك من عروس تجلّى عليّ وتزفّ إليّ ! حتى دخلوا به عليها في قصرها وحولها جواريا . وكانت قد ربّت شعر عانتها سنة ووضفرتة . فلما دخل عليها تكشّفت له فقالت : أشوّار عروس ترى ؟ فقال : بك شوّار أمةٍ بظراء . فقالت : أما إنّهُ ليس من عدَم المّواسي، ولا من قِلّة الأواسي، ولكنّه شيمّةٌ ما أقاسي فأمرت به فأجلس على نِطعٍ وقطعت رواهيشه . ويروى في طستٍ من ذهبٍ تفاؤلاً أن يذهب دمه هدراً . وكان قد قيل لها : تحفظي بدمه، فإنّه إن وقعت قطرةٌ منه على الأرض طلّبت بيّثاره . فلما صعّفت يده سقطت، ففطر منه في غير الطست شيء، فقالت : لا تضيّعوا دم الملك ! فقال : دعوا دماً ضيّعه أهله ! ومات . وقيل إنّهُ قد قال : لا يحزنك دم أراقه أهله ! فقالت : والله ما وفّى دمك، ولا شفّى قتلك، ولكنه غيَضٌ من فيَضٍ فأرسلتها مثلاً . فلما قضى أمرت به فدّفين . وكان عمرو بن عدريّ يخرج إلى ظهر الحيرة يستشرف خبر خاله . فبينما هو ذات يوم ينظر إذ رأى العصا تهوي بقصير، فقال عمرو : أمّا الفرسُ ففرسُ جذيمة، وأمّا الراكبُ فكالبهيمّة، لأمّر جاءت العصا . فأرسلها مثلاً . فإذا هو بقصير قد أقبل، فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : سعى القدرُ بالملك إلى حتّفه، على

الرَّغْمَ مِنْ أَنْفِي وَأَنْفِهِ ! وسيأتي تتمّة القصّة بعد هذا في خير قَصِيرٍ حيث قام
بثأر جذيمة إن شاء الله تعالى . وفي قتلك جَذِيمة قال الشاعر :
وقدّدتِ الأديمَ لِأَراهِشِهِ وألْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا
وقال سُويّد بن أبي كاهل :

وأبو ملك الملك الذي قَتَلْتَهُ بِنْتُ عَمْرٍو بِالْخَذَعِ
أَبْطَأَ مِنْ غُرَابٍ نُوحٍ .

زعموا أنّ نبيّ الله نوحا عليه السلام بعث الغراب لينظر له هل غرقت البلادُ ويأتيه
بخبرها . فذهب فوجد جيفة طافية على وجه الماء، فاشتغل بها وبقي ولم يأت به بالخبر .
فدعا عليه فخلت رجله وخاف من الناس . وأعلم أنّ البطة ثلاثيٌّ ورباعيٌّ : يقال بَطُوٌّ
بضمّ الطاء، بَطُئًا وبِطَاءً بالكسر، وأَبْطَأَ : ضدُّ أسرع . ويقال : هو أَبْطَأُ منه . وهو
إن كان صوغه من الثلاثي فَمَقْيِيسٌ اتفاقا ؛ وإن كان من الرباعي فهو جائزٌ أيضا عند
سيبويه في هذا الوزن.

أَبْطَأَ مِنْ فِينَدٍ .

الْبُطْءُ : مرّ . وفِينَدٌ بكسر الفاء وسكون النون بعدها دال مهملة : اسم رَجُلٍ . وهو
مولى لعائشة بنتِ سعد بن أبي وقاص، بعثته يأتيها بنار . فلمّا خرج وجد قومًا
يريدون مصر، فصحبهم وأقام بمصر سنة، ثم رجع فأثاها بالنار ؛ وجاء يشتدّ فعثر وتبدّد
الجمْرُ فقال : تعست العجلة ! فضرب [به] المثل في البُطْءِ .
البِطْنَةُ، تَذْهَبُ الْفِطْنَةُ .

هذا من الأمثال الحكيمّة . والبِطْنَةُ بالكسر : امتلاء البطن طعاما . والفِطْنَةُ بكسر
الفاء : الذكاء والحذق . يقال : فطِنَ إليه، وفطِنَ له، بضمّ الطاء وكسرهما وفتحها،
يفطِنُ بالضمّ والفتح فطنا وفطانة . وفي الأثر يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما
أَحَلَّ اللَّهُ حَلَالًا أَبْغَضَ مِنْ بَطْنٍ يُمَلَأُ طَعَامًا . وقال عليه الصلاة والسلام :
مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بحسبِ ابنِ آدمَ أَكَلٌ أو لُقِيْمَاتٌ
يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإن كان لا محالة، فثَلُثٌ للطَّعامِ، وثَلُثٌ للشَّرَابِ، وثَلُثٌ
لِلنَّفْسِ . وعن عمر رضي الله عنه : أيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْبِطْنَةُ، فإنّها

مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ، مَفْسَدَةٌ لِلْجَسَدِ، مُورِثَةٌ لِلْسَقَمِ. وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ
 اللَّهُ وَجْهَهُ : إِيَّاكُمْ وَالْبِطْنَةَ، فَإِنَّهَا مَفْسَدَةٌ لِلْقَلْبِ . وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ
 كَلْدَةَ : أَرْبَعَةُ أَشْيَاءٍ يَهْرَمَنَّ الْبَدَنُ : الْغِشْيَانُ عَنِ الْبِطْنَةِ، وَدُخُولُ الْحَمَامِ
 عَلَى الْامْتِلَاءِ، وَأَكْلُ الْقَدِيدِ، وَمُجَامَعَةُ الْعَجُوزِ . وَيُقَالُ أَقْلَبُ طَعَامًا، ثَقِيلُ
 سَقَامًا . وَيُقَالُ : النَّهْمُ لَوْمٍ، وَالرَّغْبُ شَوْمٌ . وَقِيلَ : أَكْبَرُ الدَّوَاءِ، تَقْلِيلُ الْغِذَاءِ .
 وَجَمَعَ الرَّشِيدُ أَرْبَعَةَ مِنَ الْأَطْبَاءِ الْعَارِفِينَ : هِنْدِيًّا وَرُومِيًّا وَفَارِسِيًّا وَعَرَبِيًّا، وَقَالَ لَهُمْ :
 لِيَصِفْ لِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمُ الدَّوَاءَ الَّذِي لَا دَاءَ فِيهِ . فَقَالَ الْهِنْدِيُّ : الدَّوَاءُ الَّذِي لَا دَاءَ
 فِيهِ عِنْدِي الْإِهْلِيلِجُ الْأَسْوَدُ . وَقَالَ الرُّومِيُّ : هُوَ حَبُّ الرَّشَادِ الْأَبْيَضِ . وَقَالَ
 الْفَارِسِيُّ : هُوَ عِنْدِي الْمَاءُ الْحَارُّ . فَقَالَ الْعَرَبِيُّ، وَكَانَ أَعْلَمَهُمْ : الْإِهْلِيلِجُ يَعْفِصُ
 الْمَعِدَةَ وَذَلِكَ دَاءٌ، وَحَبُّ الرَّشَادِ يَرْقُ الْمَعِدَةَ وَذَلِكَ دَاءٌ ؛ وَالْمَاءُ الْحَارُّ يُرْخِي
 الْمَعِدَةَ، وَذَلِكَ دَاءٌ . فَقَالُوا لَهُ : وَمَا الدَّوَاءُ الَّذِي لَا دَاءَ فِيهِ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : أَنْ تَضَعَ
 يَدَكَ فِي الطَّعَامِ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ، وَتَرْفَعَ يَدَكَ مِنْهُ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ . فَقَالُوا :
 صَدَقْتَ ! وَسَلَّمُوا لَهُ . وَيُرْوَى حَدِيثًا : الْمَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ، وَالْحِمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ،
 وَأَصْلُ كُلِّ دَاءٍ الْبَرْدَةُ . وَالْبَرْدَةُ : التَّخَمَةُ . وَيُقَالُ إِنَّ مَالِكًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
 لَمَّا وَادَعَ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى قَالَ لَهُ : أَوْصِيكَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : الْأُولَى أَجْمَعُ لَكَ فِيهَا فَهَهُ
 الْفُقَهَاءُ، إِذَا سَأَلْتَ عَنْ شَيْءٍ لَا تَعْرِفُهُ فَقُلْ لَا أَدْرِي، وَالثَّانِيَةُ أَجْمَعُ لَكَ فِيهَا حِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ،
 إِذَا جَالَسْتَ قَوْمًا فَكُنْ أَصْمَتَهُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا أَصَبْتَ مَعَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَأُوا سَلِمْتَ، وَالثَّلَاثَةُ
 أَجْمَعُ لَكَ فِيهَا طِبُّ الْأَطْبَاءِ، أَنْ تَضَعَ يَدَكَ فِي الطَّعَامِ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ، وَتَرْفَعَ يَدَكَ وَأَنْتَ
 تَشْتَهِيهِ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لَمْ يُصِيبْكَ مَرَضٌ إِلَّا مَرَضُ الْمَوْتِ . وَفِي الْحِكْمَةِ : إِذَا
 امْتَلَأَتِ الْمَعِدَةُ، نَامَتِ الْفِكْرَةُ، وَرَقَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ . وَقَالَ حَاتِمُ
 بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّائِي :

أَكْفُ يَدِي عَنْ أَنْ يَنَالَ التِّمَاسُهَا أَكْفُ صَحَابِي حِينَ حَاجَتُنَا مَعَا
 أَبَيْتُ هُزِيمَ الْكُشْمِ مَنْطَوِي الْحِشَا مِنْ الْجُوعِ أَخْشَى الذَّمَّ أَنْ أَتَضَلَّعَا
 وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّفَادِ أَقْرَعَا
 وَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ بَطْنَكَ سُؤْلُهُ وَفَرَجَكَ نَالًا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

وقد أكثر الحكماء من هذا النمط نثرًا وشعرا، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى .

بَطْنِي عَطْرِي، وسَائِرِي ذَرِي !

البَطْنُ : خلاف الظهر، وهو مذكَّر، جمعه أَبْطُن، وبُطُون، وبُطْنَان ؛ ويقال أيضا

لما دون القبيلة من الناس بَطْنٌ كما قيل :

وإنَّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِيٌّ مِنْ قَبَائِلِهَا الْعَشْرُ

والمراد هنا الأول : والعِطْر، بكسر العين : الطَّيِّبُ . يقال : منه عَطَّرَتِ المرأةُ، بالكسر،

فهِيَ عَطِرةٌ ؛ ويقال عَطَّرَتُ الرَّجُلَ تَعَطِيرًا : طَيَّبْتُهُ . والسَّائِرُ : الباقي، وهو من

السُّؤْر، وهو البقيةَ مهموزًا . يقال : أسَارَ الشَّيْءَ وسَارَهُ إذا أبْقَاه، فهو سَتَّارٌ، وقياسه

مُسْتَرٍ، وهو جائز أيضا . وذهب كثير من الناس الى أنَّ السائر يكون أيضا بمعنى الجميع،

وأنكره آخرون : وذَرِي معناه اترْكِي يقال : ذَرَهُ أي اترْكُهُ . وأصلُ الماضي منه .

وذَرَهُ بالكسر يَذَرُهُ كَوَسَعَهُ يَسْعُهُ، لكن لم يستعمل منه ماضٍ ولا مصدر . وأصل

المثل أنْ أعرابِيًّا ضاف قومًا، فأمرُوا جارية لهم أن تَطْيِبَهُ فقال : بَطْنِي عَطْرِي،

وسَائِرِي ذَرِي ! ومعناه ظاهر . وإضافة التعطير الى البطن في نحو هذا يكون من

المشاكلة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبتة، كقوله :

قالوا : أقترح شيئًا نَجِدُ لَكَ طَبْخَهُ فَقُلْتُ : اطْبَخُوا لِي جُبَّةً وقميصا !

أراد أن يقول : خيطوا لي جُبَّةً ! فقال : اطبخوا ! لصحبته للطبخ تحقيقا . وكقوله

تعالى : وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا، وقوله تعالى : فَمِنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ

فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ . أَطْلَقْتُ السيئة والاعتداء على

جزاء السيئة وجزاء الاعتداء عدلا لأجل المصاحبة، وإن لم يكن الجزاء سيئةً ولا اعتداءً .

وقوله تعالى : تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ . وهو كثير .

وكقول ابنِ كَلْثُوم :

أَلَا لَا يَجْهَلُن أَحَدٌ عَلَيْنَا، فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

وقد يتقدَّم المشاكِلُ فتراعَى صحبةُ المتأخَّر، كقول أبي تمام :

مَنْ مُبْلِغٌ أَفْنَاءَ يَعْرُبُ كُلَّهَا أَنِّي ابْتَنَيْتُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ ؟

والأفْنَاءُ بالفاء : الجماعات من الناس . ومن هذا أيضا عند بعضهم قولهم :

لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنَّنِي صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذَبْتُ مَاءَ بُكَائِي

ومن هذا القسم لفظ المثل، لأنَّ المُرَاعَى هو قوله : وسائري ذري ! أي لا تُعْطِري شيئاً من سائر بدني : ويحتمل أن يكون قائله لم يعتبر هذا، وإنَّما اعتبر قولهم للجارية عَطْرِيهِ، فيكون من القسم الأوَّل . ويحتمل أن يكون رَاعَى فعلَ الجارية وما هَمَّتْ به من التعطير، فتكون المصاحبة إنَّما وقعت تقديراً، كقوله تعالى : صِبْغَةَ اللّهِ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً عَبَّرَ بصبغة الله عن تطهير الله بالايمان، لوقوع ذلك في صحبة الصبغ الواقع للنصارى يَغْمَسُهُمْ أولادهم في ماء أصفر تقديراً، لأنَّ سبب النزول دلَّ على ذلك . ومثله قولك لمن يغرس أشجاراً : اغرس كما يغرسُ فلان ! تريد رجلاً يصطنع المعروف الى الكرام .

تتمَّة : وقع في اللفظ الوارد على المشاكلة إشكالٌ من حيث إنَّه لا يكون حقيقة، إذ ليس موضوعاً لذلك المعنى، ولا مجازاً أيضاً لعدم العلاقة، فإنَّ إطلاق اللفظ على المعنى لأجل الصحبة في المشاكلة صحيح، سواء وجد هنالك شيء ممَّا يكون من العلاقات، كإطلاق السيئة على الجزاء المُتَسَبِّب عنها في الآية السابقة، أو لم يوجد كإطلاق طبخ الجُبَّة على خياطتها. قال سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَّازَانِي في شرح المِفْتَاح : ولا محيص سوى التزام قسم ثالث في الاستعمال الصحيح بأن يجعل نفسُ الوقوع في الصحبة مصححاً لاستعمال لفظ المصاحب عليه، أو القول بأنَّ هذا نوع من العلاقة فيكون مجازاً . انتهى.

أَبْعَدُ مِنْ بَيَضِ الْأَنْوَقِ .

البُعدُ معروف ؛ يقال : بَعُدَ وَبَعِدَ بالضم والكسر ؛ وقد يستعمل البُعدُ بمعنى الموت والهلاك . قالت الشاعرة :

لا يَبْعُدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفَّةُ الْجُرُزِّ
وَالْأَنْوَقِ بفتح الهمة، على مثال صَبُور : الرَّخْمَةُ، وهو طائر أسود أصلع الرأس أصفر المنقار . وهي تجعل بيضها حيث لا يُنَال، فتتخذ أوكارها في قُنَن الجبال الصعبة، فيُضْرَب المثل ببيضها في البعد وعزِّ المنال، كما قيل :

وَكُنْتُ إِذَا اسْتَوْدَعْتُ سِرّاً كَتَمْتُهُ كَبَيَضِ الْأَنْوَقِ لَا يُنَالُ لَهَا وَكُرُّ

وقال الآخر :

وأجازها قذفات كل تنوفة. وكُرَّ العقاب بها وبَيْتُ الأعصم
فوطئن أوكار الأنوق وروعت منها وبات المهر ضيف الفيثم
وزعموا أن رجلا أتى معاوية رضي الله عنه فقال له : زوجني هذا !، يعني أمه . فقال : لا
أرب لها في الزوج . قال : فولّني كذا ! فأنشد معاوية :
طَلَبَ الأَبْلَقَ العَقوقَ فلما لم يجدهُ أراد بَيْضَ الأنوقِ
والأَبْلَقُ العَقوقُ : الذَّكَرُ الحامِلُ، سيأتي، وهو مُحال . فكأنه يقول طلب أمرا محالا، فلما
أعجزه طلب أمرا بعيدا لا يناله . واعترضت الحكاية بأنَّ أمَّ معاوية ماتت سنة أربع
عشرة، فكيف يُطَلَبُ تزويجها يوم الولاية ؟ وحُكِيت على وجه آخر يصحّ، وهو أن رجلا
أتاه فقال له : افرض لي شيئا ! قال : نعم ! فقال : ولولدي ؟ قال : لا ! قال : ولعشيرتي ؟
فأنشد البيت.

قلت : وعلى [كلا] الوجهين لم يقع الانتقال مَوْقِعَهُ، لأنه [إنما] يحسن عندما يكون
بن الأضعف الى الأقوى، ولم يوجد ذلك في البيت على شيء من الوجهين : فإنَّه في
أحدهما من المحال الى الممكن البعيد، وفي الآخر من البعيد الى الأبعد، ضرورة أن الفرض
للعشيرة أبعد من الفرض للولد، وإن كان السائل يغترُّ بِشُبُهَةِ أنَّه لما فرض له
(أغنى ذلك عن الولد، فلم يبق له استحقاق الفرض، وكانت العشيرة أولى منه، ولذا سأل
لها) ⁽⁹⁾ بعده . ومن اللغويين من قال : إنَّ الأنوقَ الذَّكَرَ من الرَّخَمِ، ووجدان البيض له
محال. ولا إشكال حينئذ، إذ القصد النداء على ضلال السائل وحيرته حيث جعل ينتقل
من محال الى محال . ومنهم من قال : الأنوق يُطَلَقُ على الذَّكَرِ والأنثى، والله أعلم .
فائدة : قيل : وفي الرَّخْمَةِ عشر خصال : تحضن بيضاها، وتمنع فرخها، ولا
تمكّن من نفسها غير زوجها، وتقطع في أول القواطع، وترجع في أول الرواجع،
وتألف ولدها،

(بياض)

هي مع ذلك تحمق، كما قيل :

وذات اسمين والألوان شتى تحمق وهي كيسة الحويل

أي الحيلة . والرَّخْمَةُ أحدُ لئام الطَّير، وهي : الرَّخْمَةُ، والغراب، والبوم.

(9) سقط ما بين قوسين من أ.

أَبْعِدِي عَنِّي ظِلَّكَ، أَحْمِلْ حِمْلِي وَحِمْلَكَ !

هذا من الأمثال الموضوعات على السِّنة العَجَمَاوَات. زعموا أنَّ النخلة قالت ذلك لجارتها، بمعنى أنَّهما إذا تباعدتا حملت كل واحدة منهما مثك ما تحملان معاً. والحِمْل إذا أُطْلِقَ على ما يُحْمَل من الأمتعة على ظهر أو رأس، فهو بكسر الحاء ؛ وإذا أُطلق على ما في بطن الأنثى، فهو بالفتح : وإذا أُطلق على ثمر الشجر، فهو بالوجهين لما له من الشَّبه بالأميرين . هكذا قال بعض اللغويين، وقال : ما بَطَنَ من الثمار فبالفتح، وما ظهر فبالكسر . وقيل إنَّ الثمر كلّه بالفتح كما في البطن . وقيل إنَّ الثمر بالكسر ما لم يَكْثُرْ ويعَظُم، فإذا كثر فبالفتح . وجمع الحِمْل حِمَال، ومنه : هَذَا الحِمَالُ لا حِمَالُ خَيْبَرُ.

بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ .

هذا مثلك مشهور وظاهر المعنى . ويوافقه من أمثال العامة قولهم : نِصْفُ الْخَسَارَةِ

وَالْخَسَارَةُ كُلُّهَا . وقال طرفة بن العبد لمّا حبس :

أَبَا مُنْذِرٍ كَانَتْ غُرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ فِي الطَّوْعِ مَالِي وَلَا عَرْضِي
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
وَقَالَ أَبُو خِرَاشٍ الْهَذَلِيُّ :

حَمَدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرُوءَةٍ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
وَبَعْدَهُ :

فَوَا لِّلْهِ مَا انْسَى قَتِيلًا رَزَائِثُهُ بِجَانِبِ قَوْسَى، مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومُ وَإِنَّمَا نَوَكَّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ سَلَ عَنْ مَا جِدَّ مَحْضِ
وَلَمْ يَكُ مَثْلُوجَ الْفَوَادِ مُهَبَّجًا أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الرَّبِيلَةِ وَالْخَفْضِ
وَلَكِنَّهُ قَدْ لَوَّحَتْهُ مَخَامِصُ⁽¹⁰⁾ عَلَى أَنَّهُ ذُو مَرَّةٍ صَادِقُ النَّهْضِ
كَأَنَّهُمْ يُشَبِّتُونَ بِطَائِرٍ خَفِيفِ الْمَشَاشِ عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نَحْضِ
يُبَادِرُ قُرْبَ اللَّيْلِ فَهُوَ مُهَابِذٌ يَحْتُ الْجَنَاحَ بِالتَّبَسُّطِ وَالْقَبْضِ

(10) جاء في الحماسة (1 : 327) : وَلَكِنَّهُ قَدْ نَارَعَتْهُ مَجَاوِعُ

وذكر صاحب القلائد أن الظافر بن المعتمد، لما قام عليه ابن عكاشة وأتباعه بقرطبة، ودافعهم حتى قتل وجرد من ثيابه، وكان ذلك ليلاً، مرّ به أحد المُعَلِّسين إلى الجامع فألقى عليه ثوباً، ولم يُعرَفْ مَنْ فَعَلَ ذلك . فكان أبوه المُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّاد إذا تذكّر ذلك رفعَ عَقِيرَتَه وأنشد : وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ . ومن أظرف الاتفاق ما حكى ابنُ الخطيب من قول بعضهم في طبيبٍ يسمّى نُعْمَان ويكنّى أبا المُنْذِر :

أقولُ لِنُعْمَانِ وَقَدْ سَاقَ طِبُّهُ نفوساً نَفِيسَاتٍ إِلَى بَاطِنِ الْأَرْضِ :
أبا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
وممّا قيل في الطَّيِّبِ الْجَاهِلِ قَوْلُ الْآخِرِ :
يَا مَلِكَ الْمَوْتِ وَابْنَ زُهْرٍ جَاوِزْتُمَا الْحَدَّ وَالنَّهْيَ !
تَرْفَقَا بِالْوَرَى قَلِيلاً : فِي وَاحِدٍ مِنْكُمَا الْكَفَايَةُ !
وقوله :

أَعْمَى وَأَفْنَى ذَا الطَّيِّبِ بِطِبِّهِ وَبِكُحْلِهِ الْأَحْيَاءَ وَالْبُصْرَاءَ
فَإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ مِنْ عُمَيَّانِهِ أَمَّا عَلَى أَمْوَاتِهِ قُرَاءَ
وقول الآخر :

قَالَ حِمَارُ الطَّيِّبِ تَوَمِّي، لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ
لَأَتْنِي جَاهِلٌ بِسِيْطٍ وَصَاحِبِي جَاهِلٌ مُرْكَبُ
بِعِلَّةِ الْوَرَشَانِ يَأْكُلُ رُطْبَ الْمِشَانِ .

الْوَرَشَانُ بفتحيتين : طائر، وهو سَاقُ حُرٍّ . وأنشدوا عن الأصمعي :

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُغْرَدُ فِي النَّخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانَا
أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ ظَلِمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَفْنَانِ نَخْلِكَ الْوَرَشَانَا ؟
هَاجَ لِي شَجْوُكَ الْمُغْرَدُ شَجْوًا رَبِّ صَوْتٍ يُهَيِّجُ الْأَحْزَانَا
وَالْمِشَانُ بضم الميم وكسرهما، على مثال غُرَابٍ وَكِتَابٍ، والشين معجمة : نوع من الرُّطَبِ طَيِّبٍ ؛ وَرُطْبُ الْمِشَانِ فِي لَفْظِ الْمَثَلِ بِالْإِضَافَةِ، وَلَا يُقَالُ الرُّطْبُ الْمِشَانُ وَأَصْلُ الْمَثَلِ أَنَّ قَوْمًا اسْتَحْفَظُوا غَلَامًا لَهُمْ رُطْبُ نَخْلِهِمْ فَكَانَ يَأْكُلُهُ، وَإِذَا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ

وعوتب عليه قال : أَكَلَهُ الْوَرَشَانُ ، فقالوا ذلك . يُضْرَبُ ذلك لمن يُظْهِرُ شيئاً والقصد شيءٌ آخر .

الْبُغَاثُ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ .

تقدّم معنى هذا المثل في الباب الأول .

أَبْلِعْنِي رِيقِي .

يقال : بَلِعْتُ الشيء بكسر اللام ، وَابْتَلَعْتُهُ بمعنى ، وَأَبْلَعْتُهُ غيري : أَمْكَنْتُهُ أن يَبْلَعَهُ : والرَّيْقُ : ماءُ الفم ما دام لم ينفصل عنه ، فإذا انفصل فهو بُرَاقٌ ؛ والبعض منه ريقة . قال النابغة :

زَعَمَ الْعُمَامُ وَلَمْ أَذْقْهُ أَنَّهُ يُشْفَى بِرِيًّا رِيقِهَا الْعَطَشُ الصَّدي
وقال الآخر :

يَسْقِي أَمْتِيحًا نَدَى الْمَسَاكِ رِيقَهَا كَمَا تَضُمَّنُ مَاءَ الْمَزْنَةِ الرَّصَفِ
ويقال : أَبْلِعْنِي رِيقِي ، أي أَمْهِلْنِي سَاعَةً مِقْدَارَ مَا أَبْلَعُهُ وَلَا تُعْجَلْ عَلَيَّ !
يضرب عند الاستمهال في مقام المحاوراة والاكثار من السؤال واستدعاء الجواب حتّى يعوق
الاشتغال بالجواب عن بَلْعِ الرِّيقِ . والقصد التأخير والتنفيس . قال شاس بن عبدة :
حَلَفْتُ بِمَا ضُمَّ الْحَجِيجُ إِلَى مَنْى وَمَا نَجَّ مِنْ نَحْرِ الْهَدْيِ الْمَقْلَدِ
لئن أنت عافيت الذنوب التي ترى وَأَبْلَعْتَنِي رِيقِي وَأَنْظَرْتَنِي غَدْرِي
لَأَسْتَعْتِبَنَّ مِمَّا يَسُوءُكَ بَعْدَهَا وَإِنْ سَبَّيْتُ ذُو لَكْنَةٍ بَيْنَ أَعْبُدِ
ويحكى أن عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى قال يوماً لحاجبه : هَاتِ بَدْرَةَ ! فَأَتَتْ
بها ، فوضعها بين يديه وقال لمن حضر من وجوه العرب : أَيُّكُمْ أَنْشَدَنِي صَدْرَ هَذَا الْبَيْتِ :
وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ ، فَلَهُ هَذِهِ الْبَدْرَةُ ! فلم يكن فيهم من يعرفه . فقال للحاجب : أَخْرِجْ وَأَنْظِرْ
من بالباب من العرب ، وَقُلْ : مَنْ يُنْشِدُنِي صَدْرَ الْبَيْتِ : وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ ، فَلَهُ جَائِزَةٌ ! فخرج
الحاجب وقال ذلك . فقام فتى من القوم فقال : أَنَا . قال الحاجب : فَأَنْشِدْنِي ! قال : لَا !
إِلَّا أَنْ أَشَافِيَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فدخل الحاجب فأخبره ، فقال عبد الملك : هَذَا رَجُلٌ طَالِ
مُقَامُهُ بِالْبَابِ وَلَهُ حَاجَةٌ . وَاللَّهِ ، لئن دخل عليَّ وَلَمْ يُنْشِدْنِي لَأَعَاقِبْنَهُ . أَدْخِلْهُ !
فلمّا دخل وسلّم قال له عبد الملك أَنْشِدْنَا صَدْرَ بَيْتِنَا ! فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

حاجتي ! قال : وما هي ؟ قال : بنو عمّ لي باعوا ضيّعتهم بالسّواد، فأدخلوا ضيّعتي
في ضيّعتهم فقال عبد الملك : فإنّ أمير المؤمنين قد ردّ عليك ضيّعتك فأنشدنا صدر
بيتنا ! قال : نعم، يا أمير المؤمنين ! قالت تميم إنّهُ بيتُها . قال أوسُ بن حجر :
جزينا بني شيبان صاعا بصاعهم وعدنا بمثل البدء والعودُ أحمدُ
قال : أخطأت ! قال : يا أمير المؤمنين، أبلعني ريقِي ! قال : قد أبلعتُك قال :
قالت اليمَنُ إنّهُ بيتُها . قال امرؤ القيس :

فإن كنتِ قد ساءتِ منّي خَلِيقَة فعودي كما نهواك والعود أحمدُ
قال : أخطأت ! قال : يا أمير المؤمنين، قالت ربيعة إنّهُ بيتُها . قال المرقش :

وأحسِنُ فيما كان بيني وبينها وإن عاد بالاحسان فالعود أحمدُ
قال : أصبت، وإنك لظريف . فمن أنت ؟ قال : أنا زيد بن عمرو . قال : ممّن ؟ قال من
حيّ جانبَ عِجْرفيّة قيس، وعنّنة تميم، وكسكسة ربيعة، وصاصة
اليمَن، وتانيث كِنانة : أنا امرؤٌ من عُدرة . فأمر له بالبدرة . وكان بين أبي
العبّاس بن سريج الفقيه الشافعي، وبين أبي بكر محمد بن داود الظاهري مناظراتٌ .
فقال له أبو بكر يوما: أبلعني ريقِي ! قال أبلعتُك دجلة ! وقال له مرّة أخرى
أمهلني ساعة ! قال : أمهلْتُك الى قيام الساعة ! وقال له أخرى : أجئُك من
الرجل، وتجيئُني من الرّأس، قال : هكذا شأن البقر : إذا حَفِيتَ أَظْلَفُها، دُهِنْتَ
قُرُونُها . واجتمعوا يوما في مجلس الوزير أبي الحسن بن الجراح، فتناظرا في مسألة من
الابلاء، فقال له ابن سريج : أنت بكتاب الزهرة أعرف منك بهذا الفنّ، حيث تقول فيه : ومنّ
كثُرَتْ لِحَظَاتُه، دامت مسرّاتُه . فقال أبو بكر : والله إنّك لا تُحسِن أن تُقرأه،
وإنّهُ لأحد مناقبي، حيث أقول :

أنزّه في روضِ المحاسن مُقلتي وأمنع نفسي أن تنال مُحرّما
وأحمك من ثقل الهوى مالو أنّه يُصبُ على الصّخر الأصمّ تهدما
ويَنطق طرفي عن مُترجم خاطري ولولا اختلاسي ردّه لتكلّما
رأيت الهوى دعوى من النَّاس كلهم فلست أرى حُبّا صحيحا مُسلّما
فقال ابن سريج : أو عليّ تَفْخَرُ بهذا وأنا القائل، ولو شئت لقلت :

ومُسَافِرٍ بِالْغُنْجِ مِنْ لِحَظَاتِهِ قَدْ بَتُّ أَمْنَعُهُ لَذِيذَ سِنَاتِهِ
صَبًا بِحُسْنِ حَدِيثِهِ وَغِنَائِهِ⁽¹¹⁾ وَأَرْدَدَ التَّلَحُّظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ لَامَ عَمُودُهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبِرَاتِهِ
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا وَزِيرُ، إِنَّهُ قَدْ أَقْرَأَ : فَعَلِيهِ إِقَامَةُ الْبَيْتَةِ أَنَّهُ بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبِرَاتِهِ، وَإِلَّا
أَقْمَنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ ! فَقَالَ ابْنُ سَرِيحٍ : هَذَا لَا يِلْزَمُنِي : فَإِنَّ مَذْهَبِي أَنَّ مَنْ أَقْرَأَ بِأَمْرٍ وَنَاطَهُ
بِصِفَةٍ، فَإِنَّ إِقْرَارَهُ لَا يِلْزَمُهُ إِلَّا مَنْوُطًا بِتِلْكَ الصِّفَةِ . وَقِيلَ : بَلْ قَالَ لَهُ : يِلْزَمُنِي فِي
ذَلِكَ مَا يِلْزَمُكَ فِي قَوْلِكَ :

أَنْزَهُ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ مُقْلَتِي وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحَرَّمًا
فَضَحَكَ الْوَزِيرُ وَقَالَ : لَقَدْ جَمَعْتُمَا أَوْ مُلِئْتُمَا عِلْمًا وَظَرْفًا وَلُطْفًا ! (وَيُحْكِي أَيْضًا أَنَّ
الْحَاجِمَ، لَمَّا قَالَ لِأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ الْبَصْرِيِّ مَا وَجَّهَ)⁽¹²⁾ (بِيَاض)
يُبْلَغُ الْخَضْمُ بِالْقَضْمِ .

بَلُوغُ الشَّيْءِ مَعْرُوفٌ . وَالْخَضْمُ، بِالْخَاءِ وَالضَّادِ الْمَعْجَمَتَيْنِ : الْأَكْلُ بِجَمِيعِ الْفَمِّ،
أَوْ بِأَقْصَى الْأَضْرَاسِ . وَقِيلَ خَاصًّا بِالشَّيْءِ الرُّطْبَ كَالْقِثَاءِ ؛ يُقَالُ مِنْهُ : خَضَمْتُ الشَّيْءَ،
بَكْسَرِ الضَّادِ وَفَتْحِهَا، أَخْضَمَهُ، كَذَلِكَ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ . وَالْقَضْمُ، بِالْقَافِ وَالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ
: الْأَكْلُ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ ؛ يُقَالُ قَضَمْتُ الشَّيْءَ، بِكْسَرِ الضَّادِ، أَقْضَمُهُ . وَفِي الْحَدِيثِ
أَيْتَرَكَ يَدَهُ فِي فَيْكِ تَقْضَمُهَا كَمَا يَقْضَمُ الْفَحْلُ ؟ وَدَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى ابْنِ
عَمٍّ لَهُ بِمَكَّةَ فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ بِلَادُ مَقْضَمٍ، وَلَيْسَتْ بِبِلَادِ مَخْضَمٍ . وَقُلْتُ أَنَا زَمَنُ
الصَّبَا، مِنْ أَبْيَاتِ :

لَوْ كَانَ لِي تِجَارَةٌ غَيْرُهَا أَوْ كُنْتُ بَيْنَ الْخَالِ وَالْعَمِّ
أَوْ كُنْتُ فِي وَسْعٍ لَقِيلَ اكْتَفَى مِنْ ذَاكَ بِالْقَضْمِ عَنِ الْخَضْمِ
وَمَعْنَى الْمَثَلِ أَنَّ الْخَضْمَ الَّذِي هُوَ الْأَكْلُ الْكَثِيرُ يُدْرِكُ وَيُنَالُ بِسَبَبِ الْقَضْمِ الَّذِي هُوَ
الْأَكْلُ الضَّعِيفُ، فَالشَّبْعَةُ قَدْ تُدْرِكُ بِالْأَكْلِ بِأَطْرَافِ الْفَمِّ . وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْغَايَةَ
الْبَعِيدَةَ تُدْرِكُ بِالرَّفْقِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

تَبْلَغُ بِأَخْلَافِ الثِّيَابِ جَدِيدَهَا وَبِالْقَضْمِ حَتَّى تُدْرِكَ الْخَضْمُ بِالْقَضْمِ

(11) فِي ب : وَعَتَابِهِ

(12) سَقَطَ مَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ مِنْ ب .

وللعامة في نحو هذا المعنى أمثال كثيرة، منها قولهم : **المَهَلْ يُبْلَغُ** ، وقولهم : **الراحةُ تنزلُ شيئاً فشيئاً** . وأصله في المريض . وقولهم : **لا يجيءُ دُفْعَةً إلا الموتُ** ؛ وقولهم : **قطرةٌ إلى قطرةٍ فيسبكُ النّفرُ** ؛ وقولهم : **امشِ بالنّعلينِ حتّى تجدَ السُّباطَ** ، أي الخُفّينِ .

بَلَّغَ السَّكَّينُ الْعَظْمَ .

السَّكَّينُ ، بفتح السين وتشديدها ،⁽¹³⁾ معروف ، يذكر ويؤنث . قال في الصحاح : **والغالب عليه التذكير** . وأنشد :

يُرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذاك سَكَّينٌ على الحلقِ حاذقٌ
ويقال : سَكَّينٌ وسَكَّيْنَةٌ ؛ والعظم معروف وبلوغ السكّين العظم في القطع كناية عن بلوغ الأمر في الشدّة نهاية ، وفي الصعوبة غاية ، كما قيل :

وكم دُدت عني من تحامل حادثٍ وسورةٍ أيّامٍ حَزْزَنَ إلى العَظْمِ
بَلَّغَ السَّيِّكُ الرُّبَى .

السَّيِّكُ مصدرٌ يقال : **سال الماءُ يسبكُ سيلاً وسيلاًناً** . فإذا قيل للماء **سَيْكٌ** فمعناه سائلٌ ، و**ضِعَ المصدرُ مَوْضِعَ الصَّفَةِ** . ويستعمل السيك في الماء الكثير السائل ؛ والرُّبَى بالزاي جمع رُبَيْةٍ ، وهي حُفْرَةٌ تَتَّخِذُ للأسد في الموضع العالي ، وتُغَطَّى بشيءٍ ، ويُجْعَلُ عليها لحم . فإذا تناوله الأسد سقط فيها . هكذا ذكر بعضهم . ويقال **تَرْبَيْتُها** : **اتَّخَذْتُها** . قال الراجز :

وكنْتُ بالأمر الذي قد كيدا⁽¹⁴⁾ كالذُّ تَرْبَى رُبَيْةً فاصْطِيدا
وفي كتب اللغة : إنَّ الرُّبَيْةَ تُطْلَقُ على المكان المرتفع لا يصل إليه الماء ، ومنه المثل ، وعلى حُفْرَةِ الأسد . وقال الطُّرُمَّاحُ :

ياطيءُ السهل والأجبال موعداكم كمبتغي الصيد أعلى زبية الأسد
نعم ، قال في الصحاح : **إنَّما سُمِّيَتْ حُفْرَةُ الأسد بذلك لأنهم كانوا يحفرونها في الموضع العالي** . فأصل الرُّبَيْةِ الموضع العالي ، والسيك لا يصل إليه ، وإن وصله كان جارفاً مفرطاً مجحفاً . فإذا قيل : **بَلَّغَ السَّيِّكُ الرُّبَى** ، فمعناه أن الأمر قد بلغ غايته ،

(13) المعروف هو كسر السين لا فتحها . وفي لسان العرب : ابن دريد : السكّين : فيعيل من ذبحَتْ الشيء حتى سكن اضطرابه . وقال الأزهري : سميت سكّيناً لأنها تُسَكَّنُ الذبيحة أي تُسَكَّنُها بالموت ... ومثله غريّد ... وشمير .

(14) في لسان العرب : فكان والأمر الذي قد كيدا .

والهَوَلْ أدرك نهايته، كما قال الراجز : قد بلغ السيل الزبى فلا غير . أي قد عظم الأمر عن أن يغيّر ويُصلح . وكتب أمير المؤمنين عثمان بن عفّان رضي الله عنه، أيام حُصير، الى أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أمّا بعد، فقد بَلَغَ السَّيْلُ الرُّبَى، وجاوز الحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ، وطَمِعَ فِي مَنْ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ، ولم يَفْخَرْ عَلَيْكَ كضعيف، ولم يَغْلِبِكَ مِثْلُ مُغَلَّبٍ، فَأَقْبِلِ إِلَيَّ عَلَى أَيِّ أَمْرٍ يَكُ أَحْبَبْتَ : فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فِدَارِكُنِي وَلَمَّا أَمْرَقَ وهذه أمثالٌ أخرى سيأتي كلٌّ منها في موضعه إن شاء الله تعالى . وقال أبو بكر بن دريد رحمه الله :

لَسْتُ إِذَا مَا بَهَضْتَنِي غَمْرَةً مِمَّنْ يَقُولُ : بَلَغَ السَّيْلُ الرُّبَى
ومن أبلغ ما جاء في وصف قوّة السيل قول امرئ القيس :
كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيَّمِ غُدُوَّةٌ مِنْ السَّيْلِ وَالْغُنَّاءُ فَلَكَ مِغْرَلٌ
وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَبِيطِ بَعَاعَهُ نَزُولَ الْيَمَانِيِّ ذِي الْعِيَابِ الْمُخَوَّلِ⁽¹⁵⁾
كَأَنَّ أَسودَا فِيهِ غَرَقَى غَدِيَّةً⁽¹⁶⁾ بِأَرْجَائِهِ الْقُصُوى أَنَابِيَشُ عُنْصَلُ
وَالْمُحَيَّمِ : جب : وذُرَاهُ : أعاليه ؛ وفَلَكَ المِغْرَلُ التي يدور بها معروفة . يريد أن
السيل قد أحاط بهذا الجبل، فكانّه يدور، فلذا شَبَّهَهُ بفَلَكَ المِغْرَلِ، فهو من التخيلات
. والغَرَقَى جمع غَرَقَ ؛ والأَرْجَاءُ : النواحي ؛ والقُصُوى : البعيدة ؛ والعُنْصَلُ :
البصل البري المعروف . والأنابيش جمع أنباش، والأنباش جمع نَبَشَ، وهو أصله
المنبوش . يريد أن هذا السيل لكثرتُه أغرق السباع، فصارت طافية فوق الماء كأنها أنْبَاشُ
العُنْصَلِ يَقْتُلِعُهَا السيل.

بَلَغَ الشَّطَّاطُ الْوَرَكَيْنِ.

الشَّطَّاطُ بكسر الشين، وبطاءين مشالتين بينهما ألف : عُوِيْدُ يُجْعَلُ فِي عُرْوَةِ
الجَوَالِقِ . قال الراجز :

أَيْنَ الشَّطَّاطَانِ وَأَيْنَ الْمِرْبَعَةِ وَأَيْنَ وَسْقُ النَّاقَةِ الْجَلَنَفَةِ
ويقال : شَطَّطْتُ الْجَوَالِقَ : شَدَدْتُ عَلَيْهِ شِطَاطَهُ وَأَشْطَطْتُهُ : جَعَلْتُ لَهُ

(15) فِي الدِّيَوَانِ : ذِي الْعِيَابِ الْمُخَوَّلِ
(16) فِي الدِّيَوَانِ : كَانَ السَّبَاعُ فِيهِ غَرَقَى عَشِيَّةً

شِطَّاظًا⁽¹⁷⁾ والورِكُ على وزن كَتِفَ : ما فوق الفَخِذِ ؛ ويقال أيضا وَرَكٌ، بسكون الراء، مع فتح الواو وكسرها . قال الراجز : مَا بَيْنَ وَرَكَيْهَا ذِرَاعًا عَرَضًا . وبلوغ الشِّطَّاظِ الوركَيْنِ كنايةٌ عن اشتداد الأمر : فهذا المثل من معنى الذي قبله :

بَلَّغَ اللّٰهُ بِكَ أَكْلًا الْعُمُرَ !

يقال : كَلَّاتُ الرَّجُلُ بِالْهَمَزِ، كَمَنْعَتُهُ أَكْلُوهُ ' كِلَاءٌ وَكِلَاءَةٌ بالكسر : حَرَسَتْهُ وَحَفِظَتْهُ؛ وَكَلًّا الدَّيْنُ : تَأَخَّرَ ؛ وَالْكَالِيَةُ النَّسِيئَةُ . قال الراجز :

وَعَيْنُهُ كَالْكَالِيَةِ الْمِضْمَارِ

وفي الحديث النَّهْيُ عَنْ بَيْعِ الْكَالِيَةِ بِالْكَالِيَةِ . وهو يصحّ من كَلًّا إِذَا تَأَخَّرَ، أو من كَلَّاتِهِ : حَفِظَتْهُ، أي بَيْعِ الْمَكْلُوءِ بِالْمَكْلُوءِ، لِأَنَّ كَلًّا مِنْهُمَا قَدْ كَلَّ لِصَاحِبِهِ شَيْئًا.

فقيه : وكان الأصمعي لا يهزم الكالِيَةَ، وينشد :

وَإِذَا تَبَاشَرَكَ الْهُمُومُ فَإِنَّهَا كَالِ وَنَاجِرُ

وهذا المثل يقال في الدعاء، فقيه : معناه بلغ الله بك أحفظ العمر، كما يقال : كَلَّاهُ اللّٰهُ،

أي حفظه . قال الشاعر :

كَلَّاكَ اللّٰهُ حَيْثُ عَزَمْتَ وَجْهًا وَحَاطَكَ فِي الْمَبِيتِ وَفِي الرَّحِيلِ

وفقيه : الصواب أَنَّ معناه الدعاءُ بطول العمر، أي بلغ الله بك أنْسَأَ الْعُمُرَ أي أبعدته، من

كَلًّا بمعنى تَأَخَّرَ، كما مرَّ .

بَلَّغَ مِنَ الْعِلْمِ أَطْوَرِيَهُ .

الطَّوْرُ بفتح فسكون : الْحَدُّ ؛ ومنه قولهم : تَعَدَّى فُلَانٌ طَوْرَهُ، وَمَلَكَ الدَّارَ

بَطَوْرِهَا وَطَوْرَهَا وَأَطْوَارَهَا، بمعنى . ويقال : هذه الدار أطوْرُ من هذه، أي أوسعُ

حُدُودًا . فإذا قيل : بَلَّغَ مِنَ الْأَمْرِ أَطْوَرِيَهُ، فهو بكسر الراء، جمع أطور، أي بلغ منه

أقصى حدوده. هكذا قاله أبو زيد بكسر الراء . وقال غيره : بلغ أَطْوَرِيَهُ بفتح الراء ، وهو

تثنية أَطْوَرٍ ، أي بلغ منه حدَّ الطُّولِ والعرض . فَيُضْرَبُ فِي الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَةِ الْعِلْمِ .

أَبْلَهُ مِنْ ضَبٍّ .

يقال : بَلَّهَ ، بكسر اللام، يَبْلُهُ بَلْهًا أو بِلَاهَةً، فهو أَبْلَهُ وَالْبَلْهَةُ : الْغَفْلَةُ،

وفقيه : الْغَفْلَةُ عَنِ الشَّرِّ خَاصَّةٌ ؛ وَقِيلَ : الْحَمَقُ بِلَا تَمْيِيزٍ . وَقِيلَ : الْأَبْلَةُ : الْمَأْمُونُ الشَّرَّ ؛

(17) سقط من ب.

وقيل : من غلبت عليه سلامة الصدر . والضَبُّ ، بالضاد المعجمة : الدُّوَيْبَةُ المعروفة ؛ والأنثى : ضَبَّةٌ ، وهو يُضْرَبُ به المثلُ في أمور كثيرة مثل البَلَه ، والعقوق ، والخديعة ، وغير ذلك . وسيأتي الكلُّ ، إن شاء الله تعالى . وإنَّمَا ضُرِبَ به المثل في البَلَه والذهول ، لما يزعمون من أنَّ في طبعه الحيرة والنسيان وعدم الهداية . قالوا : ولذلك يحفر بيته في كُدَيْة وموضع مرتفع لئلاَّ يَضِلَّ عنه إذا خرج لابتغاء الطَّعْم ورَجَعَ ، والله أعلم .

ابْنُكَ ابْنُ أَيْرِكَ ، لَيْسَ بِذِي أَبٍ غَيْرِكَ .

الأيرُ ، بفتح الهمزة وسكون الياء : الذَّكَر . والمعنى أنَّ ابنك الذي يكون لَاحِقًا بك وناصرًا ومعينًا هو الذي نشأ من نُطْفَتِكَ ولم يَنْتَسِبْ إلى غيرك . يُضْرَبُ في تبني الرجل أو المرأة غير ولديهما .

ابْنُكَ ابْنُ بُوحِكَ .

هذا كالذي قبله في المعنى والمَضْرِب . وبُوحٌ في هذا المثل بضمَّ الباء الموحَّدة ، قيل هو الذَّكَر ، وقيل النفس ، وقيل الوَطء . وهو يطلق على الكلِّ في اللغة ، ومرجعها إلى معنى واحد . ويقال أيضًا في هذا المثل : ابْنُكَ ابْنُ بُوحِكَ ، الذي يَشْرَبُ مِنْ صَبُّوحِكَ . قيل : وأوَّل من نطق بهذا المثل الأَحْزَنُ بْنُ عَوْفٍ الْعَبْدِيِّ ، وذلك أنَّه كانت عنده امرأة فطَلَّقَهَا وذهبت بولد ، فتزوَّجها عجل بن لُجَيْم بن بكر بن وائل ، فقالت لِعِجْلٍ حين تزوَّجها : احفظ عليَّ ولدي ! وسمَّاه عجلٌ سَعْدًا . وشبَّ الغلام فخرج به عجلٌ ليدفعه إلى الأَحْزَنِ بْنِ عَوْفٍ أَبِيهِ . وأقبل حنيفة بن لُجَيْم أخو عجل ، فتلقَّاه بنو أخيه ، فلم ير فيهم سعدًا ، فسألهم ، فقالوا : انْطَلَقَ به أبونا إلى أبيه . فذهب حنيفة في طلبه فلقبه راجعًا قد وضع الغلام في يد أبيه . فجمع حَنِيْفَةَ بنِي أخيه إليه وسار إلى الأَحْزَنِ لِيَأْخُذَ سَعْدًا ، فوجده مع أبيه ومولى له ، فاقتتلوا . فقال الأَحْزَنُ لسعد : يَا بُنْتِيَّ ! أَلَا تُعِينُنِي عَلَى حَنِيْفَةٍ ؟ فَكَمْ الغلام عنه ، فقال الأَحْزَنُ حينئذ : ابْنُكَ ابْنُ بُوحِكَ ، الذي يَشْرَبُ مِنْ صَبُّوحِكَ ، فذهبت مثلاً . وضرب حنيفة الأَحْزَنَ بالسيف فجذَّمَه ، فَسَمَّى جَذِيْمَةً . وضرب الأَحْزَنُ حنيفةً على رَجْلِهِ فَحَنَفَهَا ، فَسَمَّى حَنِيْفَةً ، وكان اسمه أَثَالَ بْنُ لُجَيْم . فأخذ حنيفة سعدًا فردَّه إلى عِجْلٍ . وقال بعضهم : الْبَاحَةُ وسط الدار ، وجمعها بُوحٌ . ومن كلامهم : ابْنُكَ

ابنُ بُوحِك، الذي يَشْرَبُ مِنْ صَبُوحِك . انتهى . فَجَعَلَهُ مِنْ بَاحَةِ الدارِ .
ابْنُكَ مَنْ دَمَّى عَقْبَيْكَ .

الدَّمُ أَصْلُهُ دَمِيٌّ . وتقول : دَمِيَ الشَّيْءُ ، بالكسر ، يَدْمَى ، فهو دَمٌ ودَامَ ؛
وأدَمَيْتُهُ أنا ، ودَمَيْتُهُ تَدْمِيَةٌ . وهذا المثل كالذي قبله . قيل : وقائله امرأةُ
الطُّفَيْلِ بنِ مَلِكِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كلاب . وكانت من بلقين ، [و] ولدت للطفيل عَقِيْلَ بنِ
الطُّفَيْلِ ، فَتَبَنَّتْهُ ضَرَّتُهَا كَبْشَةُ بنتِ عُرْوَةَ بنِ جَعْفَرِ بنِ كلاب . ثمَّ إِنَّ
عُقَيْلًا ذاتِ يومٍ ضربته أمُّه ، فجاءت كبشةُ فمنعتها وقالت ابني ! ابني ! فقالت لها
البلقينِيَّةُ ابْنُكَ مَنْ دَمَّى عَقْبَيْكَ ، وهو بكسر الكافَيْنِ مُخَاطَبَةٌ بها ، أي :
ابنكِ هو الذي نَفِستَ به حتى أدمى النَّفَّاسُ عَقْبَيْكَ ، لا الذي تَتَبَنَّيْنَهُ ولم
تَلِدْ به . ولما قالت البلقينِيَّةُ هذا الكلام لكبشة ، انقلبت عنها مغمومة منكسرة ، إذ لم يكن
لها ولد ، وتعظمت عليها ضَرَّتُها بولدها ، فاشتملت كبشة على عامر بن الطفيل في تلك
الليلة ، فجاءت به أسودَ أهل زمانه ، وأنجد أهل زمانه ، وأقرس أهل زمانه ، حتى كان
مناديه ينادي بعكاظ : هك من راجلٍ فَأَحْمِلْه ، أو مِنْ خَائِفٍ فَأَوْمَنْه ؟
بِهِ لَا يِظْبِي .

الظَّبْيُ معروف ، جمعه ظِبَاءٌ ، وأظْبِي ، وظْبِيٌّ . وهذا المثل يقال عند الدعاء
على أحد بالمصائب والموبقات ، وإن لا يعدلن عنه عند الشماتة به . والمعنى : جعل الله ما
أصابه لازماله ! قال الفرزدق ، لما مات زياد ، وكان مسكيناً الدَّارِمِيُّ رثاه بقوله :
رَأَيْتُ زِيَادَةَ الْإِسْلَامِ وَلَّتْ جِهَارًا حِينَ فَارَقَهَا زِيَادُ
فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَرْدُ عَلَى مَسْكِينٍ :

أَمْسِكِينَ أَبْكِي اللَّهَ عَيْنَكَ إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا فَتَحَدَّرَا
بَكَيْتَ امْرَأًا فظًا غليظًا مُبْغَضًا ككسرى على أعدائه وكقيصرا
أقول له لما أتاني نَعِيُّهُ بِهِ لَا يِظْبِي بِالصَّرِيْمَةِ أَعْفَرَا
وقال أبو تمام من قصيدة له :

قَتَلْتَهُ سِرًّا ثُمَّ قَالَتْ جَهْرَةً قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ لَا يِظْبِي أَعْفَرَا

بَاءَتْ عَرَارٌ بِكَحْلٍ .

يقال : بَاءَ إِلَيْهِ، يَبُوءُ، إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِ وَانْقَطَعَ ؛ وَبَاءَ بِذَنْبِهِ بَوَاءٌ إِذَا احْتَمَلَهُ أَوْ اعْتَرَفَ بِهِ ؛ وَبَاءَ دَمُهُ بِدَمِهِ : عَدَلَ بِهِ ؛ وَبَاءَ فُلَانٌ [بِفُلَانٍ] إِذَا قَتَلَ بِهِ فَقَاوَمَهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ مُهَلِّهِ لِلْبَكْرِيِّ الَّذِي قَتَلَهُ : بُوْ بِشِسْعٍ نَعَكَ كَلِيبُ ! وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

فَقَلْتُ لَهُ : بُوْ بِأَمْرِي لَسْتَ مِثْلَهُ وَإِنْ كُنْتَ قُنْعَانَا لِمَنْ يَطْلُبُ الدِّمَاءَ !
وَعَرَارٌ، عَلَى وَزْنِ رِقَاشٍ . وَكَحْلٌ "بِفَتْحِ الْكَافِ وَسُكُونِ الْحَاءِ : بَقْرَتَانِ، [وَكُنْتَا قَدْ انْتَضَحَتَا فَمَاتَا مَعًا، فَقِيلَ : بَاءَتْ عَرَارٌ بِكَحْلٍ]، أَيُّ بَاءَتْ هَذِهِ بِهِذِهِ . يُضْرَبُ إِذَا قَتَلَ الْقَاتِلُ بِمَقْتُولِهِ . وَيُضْرَبُ لِكُلِّ مُتَكَافَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ .
بَالَ حِمَارٌ "فَاسْتَبَالَ أَحْمِرَةً" .

الْبَوْلُ معروف . يقال : بَالٌ، يَبُولُ، بَوْلًا . وَالْحِمَارُ معروف . وَمَعْنَى اسْتَبَالَ أَحْمِرَةً : حَمَلَهَا عَلَى الْبَوْلِ لَمَّا بَالَ . وَأَمَّا قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :
وَأَنَّ الَّذِي يَسْعَى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِي كَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الشَّرِيِّ يَسْتَبِيلُهَا
فَقَالُوا : مَعْنَاهُ يَأْخُذُ بَوْلَهَا فِي يَدِهِ . وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : يَحْمِلُهَا أَنْ تَبُولَ عَلَيْهِ، وَيَتَعَرَّضُ لِذَلِكَ، أَيُّ يَتَعَرَّضُ لِهَجْوِي، كَمَا قَالَ الْآخَرُ :
تَعَرَّضْتُ (بِيَاضٍ) لِأَهْجُوهَا^(١٧) كَمَا تَعَرَّضَ لَأَسْتِ الْخَارِيءِ الْحَجَرُ
وَالْمِثْلُ الْمَذْكُورُ يُضْرَبُ فِي تَعَاوُنِ الْقَوْمِ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَتَنَافُسِهِمْ فِي الشَّرِّ .
بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ .

الثَّعَالِبُ جَمْعُ ثَعْلَبٍ . يُضْرَبُ هَذَا الْمِثْلُ لِلشَّرِّ الْوَاقِعِ بَيْنَ الْقَوْمِ، وَفُسَادِ مَا بَيْنَهُمْ .
قَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :
أَلَمْ تَرَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَارِبٍ مِنَ الْوَدِّ قَدْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ
وَأَصْبَحَ بَاقِي الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنْ لَمْ يَكُنِ وَالِدَهُ فِيهِ عَجَائِبُ
بَاتَ فُلَانٌ بَلِيلَةً ابْنِ الْمُنْذَرِ .
هُوَ النِّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذَرِ، أَيُّ بَلِيلَةٌ شَدِيدَةٌ .

(١٧) كَذَا فِي الْمَخْطُوطَاتِ، وَتَمَامُهُ مِنْ دِيْوَانِ جَرِيرٍ : تَعَرَّضْتُ تَيْمٌ لِي لِأَهْجُوهَا

بَاتَتِ الْمَرْأَةُ بَلِيلَةَ حُرَّةٍ.

أي إذا لم يقدر الزوج على افتضاضاها ليلة هدائها . ويقال لَيْلَةُ حُرَّةٍ بالوصف، وهي أولُ ليلة من الشهر . قال النابغة :

شُمْسٌ مَوَانِعُ كُلِّ لَيْلَةٍ حُرَّةٍ يُخْلَفْنَ ظَنُّ الْفَاحِشِ الْمَغْيَارِ
بَاتَتْ بَلِيلَةَ شَيْبَاءَ.

يقال : لَيْلَةُ شَيْبَاءَ بالاضافة، وَلَيْلَةُ الشَّيْبَاءِ، وهي آخر ليلة من الشهر . ويقال ذلك إذا غُلِبَتْ على نَفْسِهَا، عكس الذي قبله.

بَاتَتْ بَلِيلَةَ أَنْقَدٍ.

الْأَنْقَدُ بالداد الممثلة، على مثال أَحْمَرٍ :- الْقَنْفُذُ، وهو يبيت الليل كله لا ينام، فيقال لمن بات غير نائم : بَاتَ بَلِيلَ أَنْقَدٍ . وذكر في الصَّحاح أن لَفْظَ أَنْقَدِ معرفة كَأَسَامَةِ الْأَسَدِ . وجوزَّ غيره أن تدخل عليه ألف واللام.
بِيَدِي لَا بِيَدِ عَمْرٍو.

قالته الرَّبَّاءُ الْمَلِكَةُ السَّابِقُ ذِكْرُهَا . وعمره هذا هو عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ابن أخت جَذِيمَةَ . وسبب ذلك أن الرَّبَّاءَ، لما قتلت جَذِيمَةَ كما مرَّ، رجع قصيرٌ إلى عمرو بن عدي فقال له : قُمْ بِثَارِ خَالِكَ مِنَ الرَّبَّاءِ ! فقال عمرو : كَيْفَ لِي بِهَا، وَهِيَ أَمْنَعُ مِنْ عِقَابِ الْجَوِّ ؟ فأرسلها مثلا . فقال قصير : اطْلُبِ الْأَثَرَ وَخَلَكَ ذَمًّا ! فذهبت مثلا . فقال له إني، والله، لا أنام على طلب دمه ما لاح نجم أو طلعت شمس، حتى أدركه أو تخترم نفسي دونه ! ثم قال قصير لعمرو : اجدع أنفي، واقطع أذني، واضرب ظهري، حتى تؤثّر فيه، وخلّني وإياها ! ففعل عمرو ذلك . وقيل إنَّ عمرا أبى عليه، ففعل هو ذلك بنفسه، فقالت العرب : لأمرمّا جدع قصير أنفه فذهبت مثلا . قال المتلمّس :

وَمِنْ طَلَبِ الْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسٌ
ثُمَّ إِنْ قَصِيرًا ذَهَبَ فَلَحِقَ بِالرَّبَّاءِ، فَقَالَتْ لَهُ : مَا أَتَى بَكَ إِلَيْنَا يَا قَصِيرُ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ دَمٌ عَظِيمُ الْخَطَرِ ؟ فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةُ الْمُلُوكِ الْعِظَامِ، قَدْ كَانَ دَمُ الْمَلِكِ - يَعْنِي أَبَاهَا - يَطْلُبُ جَذِيمَةَ حَتَّى أَدْرَكَهُ ؛ وَقَدْ أَتَيْتَكَ فِيمَا يَأْتِي فِيهِ مِثْلِي مِثْلَكَ مُسْتَجِيرًا مِنْ عَمْرٍو،

فإنَّه اتَّهَمَنِي بِقَتْلِ خَالِهِ، وَفَعَلَ بِي مَا تَرَيْنَ . وَقَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِي وَوَلَدِي، وَخَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَتَيْتُكَ . فَأَعْطَتَهُ الْجِوَارَ وَأَنْزَلَتْهُ مَكْرَمًا مَخْدَمًا . فَأَقَامَ مَدَّةً لَا يَكْتُمُهَا، وَهُوَ يَتَطَلَّبُ لَهَا الْحَيْلَ وَيَتَأَمَّلُ الْفُرْصَ . ثُمَّ قَالَ لَهَا يَوْمًا : إِنَّ لِي بِالْعِرَاقِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَذَخَائِرَ نَفِيسَةً، مِمَّا يَصْلُحُ بِالْمُلُوكِ . فَإِنْ أَذْنَبْتَ لِي فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَعْطَيْتَنِي شَيْئًا اتَّعَلَّكَ بِهِ تِجَارَةً وَأَتَّخَذَهُ وَصْلَةً إِلَيْهَا، أَتَيْتُكَ بِمَا أَمَكْنِي مِنْهَا . فَأَعْطَتَهُ مَالًا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا بِأَرْبَاحٍ كَثِيرَةٍ وَطَرَائِفَ خَطِيرَةٍ . فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ أَعْجَبَهَا وَعَظُمَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهَا، وَرَغِبَتْ فِيهِ . وَلَمْ يَزَلْ يَتَلَطَّفُ إِلَيْهَا وَيَتَقَرَّبُ، حَتَّى أَعَادَتْهُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْعِرَاقِ، فَأَضْعَفَ لَهَا الْأَمْوَالِ، وَأَتَاهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْخَزْزِ وَالْبَزْزِ وَالْدِّيَبَاجِ بِشَيْءٍ عَظِيمٍ، فَازْدَادَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ رَجَعَ مَرَّةً ثَالِثَةً، فَأَتَاهَا بِأَكْثَرِ مِنَ الْأَوَّلَيْنِ . فَلَبِغَ مِنْهَا مَكَانَةً عَظِيمَةً حَتَّى إِنَّهَا كَانَتْ تَسْتَعِينُ بِهِ فِي مَهْمَاتِهَا . وَكَانَ لِبَيْبَا أَدِيبًا . وَكَانَتْ ابْتَنَتْ عَلَى الْفِرَاتِ مَدِينَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ، وَاتَّخَذَتْ بَيْنَهُمَا نَفَقًا . فَإِذَا أُوجِسَتْ شَرًّا دَخَلَتْ النَّفَقَ . فَلَمَّا بَلَغَ قَصِيرٌ مِنْ مَدَاخِلِهَا مَا بَلَغَ، عَرَفَ النَّفَقَ وَعَرَفَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ رَجَعَ مَرَّةً أُخْرَى لِلتِّجَارَةِ . وَيُقَالُ إِنَّهَا هِيَ الَّتِي قَالَتْ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ أَغْزُو بِلَدَ كَذَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَاخْرُجْ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَتِنِي بِكَذَا وَكَذَا مِنَ السِّلَاحِ وَالْكَرَاعِ وَالْعَبِيدِ وَالثِّيَابِ ! فَقَالَ قَصِيرٌ : وَلِي فِي بِلَدِ عَمْرُو بْنِ عَدِي أَلْفُ بَعِيرٍ، وَخَزَانَةٌ مِنَ الْمَالِ، وَخَزَانَةٌ مِنَ السِّلَاحِ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَمَا لِعَمْرُو بِهِ عِلْمٌ . وَلَوْ قَدْ عَلِمَهُ لَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى حَرْبِ الْمَلِكَةِ، وَقَدْ كُنْتُ أَتَرَبَّصُ بِهِ الْمَنُونُ، وَهَا أَنَا أَخْرَجْتُ مُتَنَكِّرًا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ فَأَتَى الْمَلِكَةَ بِذَلِكَ مَعَ الَّذِي سَأَلْتُ، فَأَعْطَتَهُ مِنَ الْمَالِ مَا أَرَادَ . وَيَذَكُرُ أَنَّهَا قَالَتْ [لَهُ] إِذْ ذَاكَ : يَا قَصِيرُ ! الْمُلْكُ يَصْلُحُ لِمِثْلِكَ، وَعَلَى يَدِ مِثْلِكَ يَصْلُحُ أَمْرُهُ . وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَمْرَ جَدِيمَةَ كَانَ إِيْرَادُهُ وَإِصْدَارُهُ إِلَيْكَ . وَمَا يَقْصُرُ بِكَ عَنْ شَيْءٍ تَنَالَهُ يَدِي، وَلَا يَقْعُدُ بِكَ حَالٌ يَنْهَضُ بِي فَسَمِعْتُ كَلَامَهَا رَجُلًا مِنْ خَاصَّةِ قَوْمِهَا فَقَالَ : أَسَدٌ خَادِرٌ، وَلَيْثٌ نَائِرٌ، قَدْ تَحَفَّزَ لِلْوُثْبَةِ ! فَلَمَّا سَمِعَ قَصِيرٌ كَلَامَهَا، وَعَلِمَ مَا بَلَغَ مِنْ قَلْبِهَا قَالَ : الْآنَ تَمَكَّنَ الْخَدَاعُ ! وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا فَأَتَى عَمْرًا، فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَصَبْتَ الْفُرْصَةَ . قَالَ لَهُ عَمْرُو : قُلْ أَسْمِعْ، وَمُرْ أَقْبِلْ، فَأَنْتَ طَبِيبُ هَذِهِ الْقُرْحَةِ ! قَالَ : الرِّجَالُ وَالْأَمْوَالُ فَقَالَ عَمْرُو : حُكْمُكَ مَسْلُطٌ فِيمَا عِنْدِي ! فَعَمَدَا إِلَى أَلْفِي رَجُلًا مِنْ فُتَّاكِ قَوْمِهِ، فَحَمَلَهُمْ عَلَى أَلْفِي بَعِيرٍ فِي الْغَرَائِرِ السُّودِ . وَيُقَالُ

إنه اتخذ الجؤائف - وهو أول من اتخذها - وحمل فيها الرجال، وجعل ربطها من داخل . فأتى بها وأخذ غير الطريق، وجعل يسير الليك ويكمن النهار . وجاء عمرو معه . وكان عمرو قد صوّر للزبَاء قاعدا وقائما وراكبا . فلما عمي عنها خَبَرُ قَصِير، سألت عنه ف قيل لها إنه أخذ على طريق الغويئر، فقالت : عَسَى الغُويئرُ أبْؤَسًا . فذهبت مثلا، وسيأتي . فلما قربوا، تقدّم قصير، ودخل على الزبَاء فقال لها : قفي فانظري الى العير ! فرقيتُ سطحًا وجعلت تنظر الى الابل تحمل الرجال . فقالت : يا قصير،

ما للجِمالِ مَشْيُها وئِيدًا أَجْدَلًا يَحْمِلُنَ أمْ حَدِيدًا ؟
 أمْ صِرْفَانًا بَارِدًا شَدِيدًا أمْ الرِّجَالُ جُثْمًا قُعُودًا ؟
 ويقال إن الزبَاء كان وشيًّا لها بقصير، فلما رأت مِشْيَةَ الأجمالِ ازدادت الريبةُ في قلبها فقالت ذلك . فلما دخلت العير القصر، وعلى الباب بوابون من النَّبْط، وفيهم رجلٌ بيده مِخْصَرَةٌ فطعن بها جوالقا فأصابته المِخْصَرَةُ رجلاً فضرط، فقال البواب بالنَّبْطِيَّةِ :
 بشتا ! بشتا ! أي الشرَّ ! الشرَّ ! . فاستلَّ قصيرُ السيفَ فقتَلَ النَّبْطِيَّ، فدخل عمرو، وكان وراء الابل . فبركتِ الابل، وخرج الرجال، وذهب عمرو فوقف على فم النفق، وكان قد وصفه له قصير وعرفه به . فجاءت الزبَاء نحو النَّفَقِ . فلما رأت عمرا عرفته بما صوّر لها، فمصّت خاتما كان في يدها مسموما وقالت : بيدي لا بيدِ عَمْرُو، فماتت . ويقال إنه هو قتلها بالسيف، واستباح بلادها . ومعنى المثل ومَضْرِبُهُ واضح .
 بِيَدَيْنِ مَا أوردتها زائدة .

اليد تطلق على الجارحة وعلى القوّة الناشئة عنها . ويُنْتَنَى بالمعنى الثاني أيضا، كما يَنْتَنَى بالمعنى الأول الحقيقي . قال تعالى : لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ . وقال عُرْوَةُ بن حِرْزَام :

فَقَالُوا شَفَاكَ اللَّهُ وَاللَّهِ مَا لَنَا بِمَا حَمَلَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ
 واليد في المثل، إن كانت بالمعنى الحقيقي، فهي كناية عن الجِدِّ والشِدَّة والقوّة، لأنَّ العاملَ عملاً بكلتا يديه يكون عليه أقوى وأشدَّ من الذي يعملُه بيد واحدة ؛ وإن كان بالمعنى الثاني، فواضح، وثَنِيَّتُ للمبالغة . والمثل يضرب للجلادة والقوّة في العمل⁽¹⁸⁾

(18) في مجمع الأمثال للميداني : زائدة : اسم رجل . يريد بالقوّة والجلادة أورد إبله الماء، لا بالعجز .

بَيْضُ الْقَطَا يَحْضُنُهُ الْأَجْدَلُ .

الْقَطَا : الطير المعروف، واحدته قَطَاة، وتقدّم أنها تُعدّ في الحَمَام . وتبيض ولا

تزيد غالبا على ثلاث بيضات، ومن ثمّ يقال لِلْقَطَا أمُّ ثَلَاث . قال الشاعر :

وَأُمُّ ثَلَاثٍ إِنْ شَبَبْنَ عَقَقْنَهَا وَإِنْ مُتْنِ كَانَ الصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى صَبْرٍ

وَحَضَانَةُ الْأَوْلَادِ مَعْرُوفَةٌ، وَأَصْلُ الْحَضْنِ جَعْلُ الشَّيْءِ تَحْتَ الْإِبْطِ . وَالْأَجْدَلُ هُوَ

الصَّقْرُ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْجَدَلِ وَهُوَ الْقُوَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الصِّفَةُ . وَهَذَا الْمَثَلُ يُضْرَبُ فِي

الضَّعِيفِ يَسْتَنْدِ إِلَى الْقَوِيِّ وَيَأْوِي إِلَيْهِ.

بَيِّنَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ .

معناه أَنَّ اللَّيْلَ لَا ظُلَامَهُ يَسْتَوِي فِيهِ الْبَصِيرُ وَالْأَعْمَى، فَإِذَا أَقْبَلَ الصُّبْحُ تَبَيَّنَتِ الْأَشْيَاءُ

لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ فَأَدْرَكَهَا . أَوْ معناه أَنَّ الصُّبْحَ لظهوره يُدْرِكُهُ كُلُّ ذِي بَصَرٍ لَا يَمْتَرِي

فِيهِ وَلَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ . يُضْرَبُ فِي الشَّيْءِ يَتَّضِحُ وَيَنْجَلِي بَحِثٌ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ التَّباسُ .

وَيَقَالُ أَيْضًا : وَضَحَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ . وَأَصْلُ الْمَثَلِ لِقَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ

الْعَبْسِيِّ صَاحِبِ الْحُرُوبِ بَيْنَ عَبَسَ وَذُبْيَانَ بِسَبَبِ الْفَرَسَيْنِ دَاحِسٍ وَ الْغُبَرَاءِ .

وَسَنُشْرِحُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَكَانَ قَيْسٌ دَاهِيَةً مِنْ دُهَاةِ الْعَرَبِ، يُضْرَبُ

بِهِ الْمَثَلُ فِي ذَلِكَ كَمَا سَيَأْتِي . فَحَكِي أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بِحَيٍّ الْأَحْوَصِ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْحَيِّ نَزَلَ

عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَعَمِدَ إِلَى شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ عَلَيْهَا سِقَاءً مِنْ لَبَنٍ، وَجَعَلَ عَلَى بَعْضِ أَغْصَانِهَا

حَنْظَلَةً، وَوَضَعَ صُرَّةً مِنْ تَرَابٍ وَصُرَّةً مِنْ شَوْكٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى رَاحِلَتِهِ وَانْطَلَقَ . فَنَظَرَ

الْقَوْمَ إِلَى ذَلِكَ فَعَمِيَ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ، فَأَرْسَلُوا إِلَى قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ قَالَ لَهُ

الْأَحْوَصُ : أَلَمْ تَخْبِرْنِي أَنَّهُ لَا يَرِدُ عَلَيْكَ أَمْرٌ إِلَّا عَرَفْتَ مَاتَاهُ ؟ قَالَ : مَا ذَاكَ ؟ فَأَرَاهُ

ذَلِكَ، فَقَالَ : وَضَحَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ . فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا، ثُمَّ قَالَ : هَذَا رَجُلٌ أَسْرَهُ

جَيْشٌ قَاصِدٌ إِلَيْكُمْ، ثُمَّ أَطْلَقَ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا يُنْذِرَكُمْ،

فَعَرَّضَ لَكُمْ بِمَا تَرَوْنَ . أَمَّا الصُّرَّةُ مِنَ التَّرَابِ فَإِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَتَاكُمْ عِدَدٌ كَثِيرٌ ؛ وَأَمَّا

الْحَنْظَلَةُ فَإِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ بَنِي حَنْظَلَةَ قَدْ غَرَزَتْكُمْ، وَأَمَّا الشَّوْكُ فَيُخْبِرُ أَنَّ لَهُمْ شَوْكَةً، وَأَمَّا

اللَّبَنُ فَإِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى قَرَبِ الْقَوْمِ (أَوْ بَعْدَهُمْ إِنْ كَانَ حُلُوا أَوْ حَامِضًا . فَاسْتَدِ الْقَوْمَ) (19)

فَكَانَ كَمَا قَالَ .

وممّا يلتحق بهذا الباب قولك مثلا . أبْرَدُ من الثَّلَجِ ، وأبْرَدُ مِنْ قَرَّةٍ ، ونحو ذلك . وهذا النحو من الأمثال لا يختصّ بنوع ولا ينحصر في شيء ، إذ ما من شيء اتصف بصفة وامتاز بمزية من برودة أو بله أو ببطء أو إبصار أو غير ذلك من الأوصاف ، إلا ولك أن تضرب به المثل ، إمّا تفضيلا أو تشبيها . وهكذا في كل باب ؛ غير أن ما اشتهر من ذلك يثبت في الكتاب ، وما سواه فسائخٌ استعماله ، غيرُ محذور ارتكابه .

وقولهم : بِفُلَانٍ تُقَرَّنُ الصَّعْبَةُ .

يقال للرجل إذا كان نافذا في الأمور قويا عليها نهائضا بها .

وقولهم : بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتْيَا .

[في] الأمر يكون بعد مُعَانَاةِ الكَدِّ ورُؤْيَا الشَّدَّةِ .

وقولهم : هُوَ ابْنُ زَوْمَلْتِهَاءَ ، أَيْ عَالَمٌ بِهَا .

وقولهم : هُوَ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا ، إذا لم يُدر أين

تَوَجَّهَ . أو يراد به أنه بأرض خالية بحيث لا يسمعه ولا يبصره [إلا] الأرض . وقيل أريد

بسمع الأرض وبصرها طولها وعرضها . وضمَّن هذا المثل أبو محمد بن عبدون رحمه الله !

في قصيدته التي يرثي بها بني المظفر ، فقال :

وَأَنْفَذْتُ فِي كَلْبِ حُكْمَهَا وَرَمْتُ مُهْلَهْلَا بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَالْبَصَرِ

ومن أمثال العامة في هذا الباب قولهم : يَبْرُ الْجُرْحُ السُّوءُ ، وَلَا يَبْرُ الْكَلَامُ السُّوءُ .

وأصله يزعمون أن شخصا أدّاة تطوافه الى أن سقط في مغارة أسد منكسرا ، فوجد أشباله

فلاذبا . فلما دخل عليه الأسد ورأه على تلك الحال ، رقّ له وجعل يأتيه باللحم ويقدمه

إليه ويرفق به حتّى برىء وذهب الى أهله . فبينما هو يحدّثهم ذات يوم بقصّته مع

الأسد ، إذ جاء الأسد فاستمع من وراء البيت ، وسمعه يقول لهم : ما رأيتم في الأسد من

عيب إلاّ بَخْرًا في فيه ، يدنو مني فيؤذيني غاية الإيذاء . فلمّا سمع الأسد كلامه

أحفظه . فبينما ذلك الشخص يوما في موضع إذ وجده ذلك الأسد وعرفه ، فقال له الأسد :

أما كان لي عليك حقّ وجزاء لنعمتي ورفقي وإحساني بك ؟ أو نحو هذا . قال : نعم ! قال

له : فإنني أسألك أن تضربني بهذا الفأس ضربة بين عينيّ منكرة . فأبى عليه ، وألحّ عليه

الأسد حتّى ضربه . فذهب ، ومكث زمانا حتّى برئت تلك الضربة وذهب أثرها . فرجع إليه

حتى لقيه فقال له : انظر هل ترى لضربتك التي ضربتني أثرا ! قال : لا ! فقال له حينئذ :
يَبْرُؤُ الْجُرْمُ السُّوءُ ، ولا يَبْرُؤُ الْكَلَامُ السُّوءُ يعني قوله فيه إنَّه كان أَبْخَرُ ،
وافترسه .

ولنحو هذا يقول العامة في مثل آخر : مَنْ ذَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ لِلْأَسَدِ : فُوكَ
أَبْخَرُ ؟

وقولهم : الْبَرَكَاتُ فِي الْحَرَكَاتِ .

وقد ورد في مدح السفر والحضّ على التحوّل والحركات لنيل الأوطار كلام كثير . قال
صلّى الله عليه وسلّم : سَافِرُوا تَصِحُّوا ، وَاعْزُوا تَسْتَغْنِمُوا ! ويروى : سَافِرُوا
تَصِحُّوا وَتَغْنَمُوا ! وقال : الْأَرْضُ أَرْضُ اللَّهِ ، وَالْعِبَادُ عِبَادُ اللَّهِ : فَحَيْثُ
وَجَدَ أَحَدَكُمْ رِزْقَهُ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيُقِم . وقال : مَامَاتَ مَيِّتٌ بِأَرْضٍ غَرْبَةٍ
إِلَّا قَيْسَ بِهِ مِنْ مَسْقِطِ رَأْسِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ . وقال : مَوْتُ
الْغَرِيبِ شَهَادَةٌ . وقال : مَنْ مَاتَ غَرِيبًا مَاتَ شَهِيدًا . وفي التوراة : ابْنُ
آدَمَ ، أَحَدْتُ سَفَرًا أَحَدْتُ لَكَ رِزْقًا . وفيها أيضا : ابْنُ آدَمَ ، خُلِقْتَ مِنْ
الْحَرَكَةِ إِلَى الْحَرَكَةِ : فَتَحَرَّكَ وَأَنَا مَعَكَ ! وفي بعض الكتب : اُمْدُدْ يَدَكَ
إِلَى بَابِ مِنَ الْعَمَلِ ، أَفْتَحْ لَكَ بَابًا مِنَ الرِّزْقِ ! وقال صلّى الله عليه وسلّم
لِيُوفِدَ عَبْدُ الْقَيْسِ : مَا الْمَرْوَةُ فِيكُمْ ؟ قالوا : الْعِفَّةُ وَالْحِرْفَةُ . وقال موسى بن
عمران عليه السلام : لَا تَلْوُمُوا السَّفَرَ ! فَإِنِّي أَدْرَكْتُ فِيهِ مَالَمَ يُدْرِكُ أَحَدٌ ، يَرِيدُ
أَنْ اللَّهَ كَلَّمَهُ . ونظمه أبو تمام بقوله :

فَإِنَّ مُوسَى صَلَّى عَلَى رُوحِهِ اللَّهُ صَلَاةَ كَثِيرَةِ الْقُدْسِ
صَارَ نَبِيًّا وَعَظَمَ بُغْيَتِهِ فِي جَذْوَةٍ لِلصَّلَاةِ أَوْ قَيْسِ
قِيلَ : وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ لِمَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ : يَا أَبَا مَحْفُوظٍ ، أَتَحَرَّكَ لَطَبِ الرِّزْقِ أَمْ أَجْلِسُ ؟ قَالَ
: بَلْ تَحَرَّكَ ، فَإِنَّهُ أَصْلَحُ لَكَ ! فقال له : أَتَقُولُ هَذَا ؟ قَالَ : مَا أَنَا قَلْتَهُ ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ
بِهِ حِينَ قَالَ : وَهَرَّيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ قَسَاقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ،
وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُنْزِلَهُ عَلَيْهَا فَعَلَ . وفي هذا أنشد الثعالبي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى لِمَرْيَمَ فَهَزِي إِلَيْكَ الْجَذَمَ تَسَاقُطَ الرُّطْبِ
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها جنته ولكن كلُّ شيءٍ له سبب
وقال المأمون : لاشيء أذل من السفر في كفاية، لأنك تحلُّ كلَّ يومٍ محلَّةً لم تحلُّ لها،
وتعاشرُ قوما لم تعاشرهم . وقالوا : ربَّما أسفَرَ السَّفَرُ، عَنِ الظَّفَرِ . وقالوا : [إنَّ] من
فضائل السفر أنَّ صاحبه يرى من عجائب الأمصار، ومحاسن الآثار، ما يزيد علماً بقدرة الله،
ويدعو الى شكر نعمته . وقالوا : السفر يَشْدُ الأبدان، وَيُنَشِّطُ الكسلان، ويسلِّي
الثَّكلان، وَيُنْشِهُ الطَّعام، إذ ليس بينك وبين بلدٍ نسب، فخير البلاد ما حمل . وكتب
ابن رشيقي الى بعض إخوانه : مَثَلُ الرَّجُلِ الْقَاعِدِ ، أعزَّكَ الله ! - كمثلك الماء الراكد، إن
تَرَكْتَ تَغْيِيرَ، وإن حُرِّكَ تَكَدَّرَ ؛ ومَثَلُ الْمَسَافِرِ كَالسَّحَابِ الْمَاطِرِ، هَؤُلَاءِ يَدْعُوْنَهُ نِقْمَةً،
وهَؤُلَاءِ يَدْعُوْنَهُ نِعْمَةً . فإذا اتصلت أيامه، ثَقُلَ مَقَامُهُ، وكثُرَ لَوَاهُ . فاجتمعُ لنفسك
فُرْجَةُ الْغَيْبَةِ، وَفَرَحَةُ الْاُوبَةِ ! وقالوا : المسافر يسمع العجائب، ويكشفُ التَّجَارِبَ،
ويجلبُ المكاسب . أَوْحِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ أَنْسُكَ فِي إِيحَاشِهِمْ، وَاهْجُرْ وَطَنَكَ إِذَا
نَبَتْ عَنْكَ نَفْسُكَ ! وقيل لأعشى بكر : الى كم ذَا الاغتراب ؟ أما ترضى بالدَّعة ؟
فقال : لو دامت الشمس يوماً عليكم لَمَلَّتُمُوهَا . وأخذه أبو تمام فقال :

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مخلَقٌ لِدِيَابِجَتِيهِ فَاغْتَرَبَ تَتَجَدَّدُ !
فإنني رأيت الشمسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً الى الناس أن ليست عليهم بِسَرْمَدٍ
وقال الحكماء : لا تُنَالِ الرَّاحَةَ إِلَّا بِالتَّعَبِ، ولا تُدْرِكِ الدَّعَةَ إِلَّا بِالنَّصَبِ . وقال أبو
تمام :

ولكنني لم أحوُ وفرا مُجْمَعًا ففرت به إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدَّرٍ
ولم تُعْطِنِي الأَيَّامُ يوماً مُسْكِنًا أَلْذُّ بِهِ إِلَّا بِنَوْمٍ مُشَرَّدٍ
وقال النابغة الجعدي في هذا المعنى الذي نحن فيه :

إذا المرءُ لم يطلبُ معاشاً لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر
فيسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
وقال ابن صارة :

سافر فإنَّ الفتى من بات مُفتتحًا
إن شئت خضرتها يا ابن الرجاء فكن
ولا يصدُّكَ عن وجهه تصعبه
وقال الآخر :

تُخَوِّفُنِي طول السَّفار وإنَّني
ذريني أريدُ ماءَ المَفاوزِ آجِنًا
وإنَّ خطيرَات المَهَالِكِ ضُمَّنْ
وقال الآخر :

لا يَمْنَعُنْكَ خَفْضُ العيشِ في دَعَةٍ
تلقى بكُ بلادٍ أنت ساكِنها
وقال البُحْتَرِيُّ :

وإذا الرِّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةٌ مُعْدِمٌ
وقال الآخر :

لَيْسَ ارتِحَالُكَ تَرْتَادُ الغِنَى سَفَرًا
وقال أبو الفتح البُسْتَمِيُّ :

فالحَرُّ حرٌّ عزيز النَّفْسِ حيثُ ثَوَى
وقال ديكُ الجِنِّ :

وليس المرءُ ذُو العَزَمَاتِ إلَّا
وقال الآخر :

يُقيم الرِّجَالُ الأغنياءُ بأرضهم
وقال البُحْتَرِيُّ :

وإذا ماتنكَ كَرْتٌ لِي بِلَادٌ
وقال أبو الطيّب :

إذا لم أجد في بَلَدَةٍ ما أريدُهُ
وقال :

قفك النَّجَاحُ بمفتاحٍ من السَّفرِ
في طي غُبر الفياضِ ثَانِي الخضرِ
قد ينبع الكوثرُ السَّلْسَالُ من حجرِ

لتقبيلِ كَفِّ العَامِرِيِّ سَفِيرٍ
إلى حيثُ ماءُ المَكْرَمَاتِ نَمِيرٍ
لِرَاكِهَا أَنَّ الجَزَاءَ خَطِيرُ

نُزُومُ نَفْسٍ إلى أَهْلِ وَأوطَانِ
أهلاً بأهْلِ وَجِيرَانَا بجِيرَانِ

فالبَسَ لَهُ حُلَّ النَّوَى وتَغَرَّبَ

بِكَ المَقَامِ على خَسْفٍ هو السَّفرُ

والشَّمْسُ في كُلِّ بَرَجٍ ذاتُ أنوارِ

فَتَى تَلْقَاهُ كُلَّ غَدٍ بِلَادٍ

وترمي النَّوَى بالمُقْتَرِينَ المَرَامِيَا

أو صَدِيقٌ فَإِنَّنِي بالخِيَارِ

فَعِنْدِي لِأُخْرَى عَزْمَةٌ وَرِكَابُ

وما بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمُوَافِقِ . ولا أَهْلُهُ الْأَدْنَوْنَ غَيْرُ الْأَصَادِقِ .
وقال الآخر :

غَبَّ عَنِ بِلَادِكَ وَارْجُ حُسْنِ مَغَبَّةٍ . إن كُنْتَ حَقًّا تَشْتَكِي الْإِقْلَالَ
فَالْبَدْرُ لَمْ يُخْجَبْ بِهِ إِدْبَارُهُ . إِلَّا بِغَيْرِ يَطْلُبُ الْإِقْبَالَ
وقلت أنا من جملة قصيدة :

لا يَكْسُكُ الْوَطْنَ الْأَلِيفُ مَذَلَّةً . إن كُنْتَ تَكْتَسِبُ الْعُلَى بِتَغْرُبِ
فَالْجَارُ مَنْ يَدْنُو إِلَيْكَ مُوَاتِيًّا . فِي كُلِّ أَرْضٍ بِالْجِوَارِ الْأَطْيَبِ
وَمَنْ احْتَبَاكَ مَوَدَّةً وَنَصِيحَةً . فِي حَالَتِكَ فَذَاكَ خَيْرُ الْأَقْرَبِ
وهذا باب لا يحصى . وقد أكثروا في عكس هذا المقصد، وهو مدح الإقامة والاختلاذ إلى
الراحة وانتظار الفرج واستمطار الرجاء . قال الأعشى :

وَمَنْ يَغْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَزِلُّ يَرَى . مصارعَ مَظْلُومٍ مُجْرًا وَمُسْحَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسِئْ . يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا
وقال زهير :

فَقَرِّي فِي بِلَادِكَ إِنَّ قَوْمًا . مَتَى يَدْعُوا بِلَادَهُمْ يَهْوُونَا
وقال الآخر :

لَقُرْبُ الدَّارِ فِي الْاِقْتَارِ خَيْرٌ . مِنْ الْعَيْشِ الْمُسَعَّرِ فِي اغْتِرَابِ
وقال الآخر :

وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْبِلَا . دِرَ مِنْ الْمَشْرِقَيْنِ إِلَى الْمَغْرِبَيْنِ
وَأُدْرِعُ الْخَوْفَ تَحْتَ الرَّجَا . وَأَسْتَصْحَبُ الْجَدِي وَالْفِرْقَدَيْنِ
وَأَطْوِي وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْهُمُو . مَرَّ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِخَفْيِ حُنَيْنِ
وقال الآخر :

يُعْطَى الْفَتَى فَيُنَالُ فِي دَعَا . مَا لَمْ يَنْكُ بِالْكَدِّ وَالْتَّعَبِ
فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ فَضْلَ رَاحَتِهَا . إِذْ لَيْسَتْ الْأَشْيَاءُ بِالطَّلَبِ
إِنْ كَانَ لَارْزُقًا يَلَا سَبَبَ . فَرَجَاءُ رَبِّكَ أَعْظَمُ السَّبَبِ

وقال الآخر :

قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمُقِيمُ وَمَا
يُحْرَمُ الْمَالُ ذُو الْمَطِيَّةِ [وَالرَّ]
وقال الآخر :

قَدْ يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَمْ تَتَّعَبْ رَوَّاحِلُهُ
إِنِّي وَعَمْرَكَ لَا أَحْصِي ذَوِي حُمْقٍ
وقال الآخر :

أَلَا رَبٌّ بَاغِي حَاجَةٍ لَا يَنَالُهَا
وقال الآخر :

قَدْ يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَا مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ
مَا مَسَّنِي مِنْ غِنَى يَوْمٍ وَلَا عَدَمٍ
وقلت أنا من جملة قصيدة :

لَا وَلَا بِالْحِجَى تُنَالُ الْأَمَانِي
فَالْغِنَى بِالْحِظَاءِ لَا بِالتَّعْنِي
كَمْ لَبِيبٍ ذِي نَجْدَةٍ مَاتَ هَلَا
وَكَرِيمٍ أَذِيكَ بَعْدَ اعْتِزَازِ
قِسْمَةٍ قَدَّرْتَ وَأَحْكَمَ مَبْنَاهَا قَضَاءُ الْمُهَيِّمِينَ الدِّيَّانِ
ولنرجع الى المقصود خشية الطول .

وقولهم : بِأَضْدَادِهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ . ونظمه أبو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ :

مَنْ يَظْلِمُ التَّلَوَّمَاءَ فِي تَكْلِيفِهِمْ
وَيَذُمُّهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ
وَنَحْوَهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

كَثْرَةُ السَّفَرِ يَمْنَةٌ وَشِمَالًا
وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْمُعَرِّيَّ :

شَدَّ لِعَنْسٍ رَحْلًا وَلَا قَتَبًا
حَلَّ [وَمِنْ لَا يَزَالُ مُعْتَرِبًا

وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ بِالْأَسْفَارِ وَالتَّعَبِ
الرِّزْقُ أَغْرَى بِهِمْ مِنْ لَاصِقِ الْجَرْبِ
وَأَخْرَجَ قَدْ تَقَضَّى لَهُ وَهُوَ جَالِسٌ

وَيَصْرِفُ الرِّزْقَ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الدَّاهِي
إِلَّا وَقَوْلِي فِيهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

لَا وَلَا الْجَهْلُ رَائِدُ الْحِرْمَانِ
وَالثَّوَى بِالْقَضَاءِ لَا بِالتَّوَانِي
وَعَبِيَّ يَحْفَهُ أَلْفُ هَانِ
وَوَضِيعٍ يَسْمُو عَلَى كِيَوَانَ
قِسْمَةٍ قَدَّرْتَ وَأَحْكَمَ مَبْنَاهَا قَضَاءُ الْمُهَيِّمِينَ الدِّيَّانِ

أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمْ لَهُ أَكْفَاءُ
وَيُضِدُّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ

أَضْعَفَتْ فِي نَفِيسَةِ الْعِقْيَانِ

والشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مُدَاحَهُ إِلَّا إِذَا قِيسَ إِلَى ضِدِّهِ
لَوْ لَا غَضًا نَجَدَ وَقَلَامَهُ لَمْ يُثْنِ بِالطَّيِّبِ عَلَى رَنَدِهِ
وقد يُعَابُ الامتداحُ بنحو هذا بأنه امتداحٌ بكمالٍ إضافيٍّ، وقلمًا يخلو شيء من نحو هذا
الكمال . والجواب أن ليس القصد إلى بيان كون الكمال إضافيًا لا حقيقيًا، بل إلى بيان أن
الكمال انضاح غاية الاتضاح، وأنَّ سبب اتضاحه كذا . والشَّيْءُ قد يكون في غاية الكمال
والفضل، ويخْفَى لشدَّة ظهوره، ولا يُعْرَفُ إِلَّا بِالْقِيَاسِ لغيره . فلو لم يَخْلُقِ اللهُ
المرضى لَمْ يُعْرَفْ حَسَنُ الصَّحَّةِ ؛ وكذا الفقرُ والغنى، والمرارةُ والحلاوة، ونحو ذلك . ولو
لم يَخْلُقِ اللَّيْلُ لَمَا عُرِفَتْ فَائِدَةُ النَّهَارِ، كما قال حبيب :

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدَهَا قَلَمًا تَعْرِفُ فَقَدًا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَا
ولهذا ورد في الخبر أَنَّهُ يرى المؤمن النار وما أبدله به الجنة ؛ وكذا الكافر بالعكس .
وشاع في ألسنة العامة قولهم : لَا تَمْدَحْنِي حَتَّى تُجْرِبَ غَيْرِي، كما قال
حبيب :

وإِسَاءَاتُ ذِي الْإِسَاءَةِ يُذَكِّرُ نَكَ يَوْمَا إِحْسَانِ ذِي الْإِحْسَانِ
وقال أيضا :

إِسَاءَةُ دَهْرٍ أَذَكَّرْتُ حُسْنَ فِعْلِهِ إِلَيَّ وَلَوْلَا الشَّرُّ لَمْ يُعْرِفِ الشَّهْدُ
وأما قول أبي الطيب :

زَانَتْ اللَّيْلُ غُرَّةَ الْقَمَرِ الطَّاءِ لِعَمِّ فِيهِ وَلَمْ يَشْنِهَا سَوَادُهُ
فمراده به المبالغة في الثناء، وأنَّ طلعة الممدوح تكشف الظلماء مع غلبتها الأنوار، ولو
أضاف إشراف طلعتة إلى النهار لم يكن لذلك كبيرُ فضل، من حيث إنَّ الشَّيْءَ يظهر بالنهار
ولو ضعيفا . ولم يعتبر هو ما مرَّ، وإنَّما اعتبر ما اعتبره النابغة حيث اعترض على حسَّان
قوله : يَلْمَعَنَّ بِالضُّحَى . وكان النابغة تضرب له قَبَّةً بسوق عكاظ، فيَعْرِضُ
عليه الشعراء أشعارهم . فدخل عليه يومًا حسَّان بن ثابت وعنده الأعشى، وقد كان أنشدته
شعرا له فاستحسنه، وإذا بالخنساء فأنشدت :

يَا صَخْرُ وَرَادَ مَاءٍ قَدْ تَنَازَرَهُ أَهْلُ الْمِيَاهِ وَمَا فِي وَرْدِهِ عَارُ
مَشْيِ السَّبَنْتَى إِلَى هَيْجَاءِ مُعْضَلَةٍ لَهَا سِلَاحَانُ : أَنْيَابُ وَأُظْفَارُ
فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوٍّ تَحَنُّ لَهُ لَهَا حَنِينَانُ : إِعْلَانُ وَإِسْرَارُ

ترتعمُ ما غفلت حتّى إذا ذكرتُ فإنّما هي إقبالٌ وإدبارُ
يومًا بأوجع منّي يوم فارقني صخرٌ وللدّهر إخلاءٌ وإمرارُ
وإنّ صخرًا لوالينا وسيّدنا وإنّ صخرًا إذا نشئوا لنحرارُ
وإنّ صخرًا لتأتمّ الهداةُ به كأنّه علمٌ في رأسه نارُ
جوابُ قاصيةٍ جزارُ ناصيةٍ عقّادُ ألويةٍ للجيشِ جرّارُ
حامى الحقيقةَ محمودُ الخليفةِ مهديُّ الطّريقةِ نفّاعُ وضرارُ
لم تره جارةٌ يمشي بساحتها لريبةٍ حين يخلي بيته الجارُ
فقال لها النابغة : لولا أنّ أبا بصير - يعني الأعشى - أنشدني قبلك قلت إنّك أشعر
الانس والجنّ فقال حسّان : أنا أشعر منك ومنها ومن أبي بصير، حيث أقول :

لنا الجفّناتُ الغرُّ يلمعن بالضّحى وأسيفنا يقطرن من نّجدةٍ دما
ولدنا بني العنقاء وابنُ مُحرقٍ فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما !
فقال له النابغة : إنّك لشاعر لولا أنّك قلت الجفّنات فقلّلت العدد، ولو قلت الجفّن
كان أكثر ؛ وقلت يلمعن بالضّحى، ولو قلت يشرّقن بالدّجى كان أبلغ، وقلت
يقطرن، ولو قلت يجريّن كان أبلغ ؛ وفخرت بما ولدت ولم تفخر بيمنّ ولدك
على أنّك يا بنيّ لا تحسن أن تقول :

فإنّك كالليل الذي هو مدركي وإنّ خلت أن المُنْتَأَى عنك واسِعُ
فقام حسّان خجلا منكسرا .

فائدتان : الأولى قول النابغة : أشعر الانس والجنّ، أو الجنّ والانس، خطأ في العربية .
فإنّ المعطوف في حكم المعطوف عليه واسم التفضيل إنّما يضاف الى ما هو بعض منه،
غير أنّه إن كانت الرواية تأخير الجنّ أمكن أن يستسهل في التابع مالا يسوغُ في
المتبوع .

الثانية : بيت النابغة الذي تبيّح به وفخر به على حسّان هو من جيد الشعر، وقد
اعترضه الأصمعيّ في انتصاره للرشيد على البرامكة . فإنّ النهار سواء هو والليل في
الادراك واللاحاق، ولا مزية لليل حتى يخصّ بالذكر . وقصّة محاضرتهم مشهورة .

قلت : وأنّبت إذا علمت وأنصفت عرفت أن ليس لحاق النهار كلحاق الليل الذي تنقطع

الحركات لإقباله، وَيَسْتَكِينُ كل أحد لغيرتيانه، ويخضع تحت أظنايه : فتشبيه المَلِكِ به أحقّ . وَلَيْتَنَبَّهَ الأديب الى كلام النابغة وانتقاداته ليعرف مبلغ شعراء الجاهليّة في معرفة الشعر والغوص على المعاني، ويقدرهم حقّ قدرهم في هذا الباب، ويعرف أنّ البلاغة طوع أيّمانهم وأنّها تدبّ على ألسنتهم دبيب النمل، وتجري منهم مجرى الدم، وتسري في أفكارهم سرّيان العذب السلسال، حتّى يعرف مقدار مَنْ تحدّاهم ربّ العزّة بكلامه فأعجزهم، وأنهم لأمر [مّا] عجزوا وأذعنوا . فلا يغترّ الفتى الجاهل اليوم ويتوهّم، إذا سمع شقاشق أهل أعصاره أنّ أولئك أعمار . وقولهم للانسان غير المستوطن : بَيْتُهُ عَلَى ظَهْرِهِ . وأصله في السلحفاة . ومثله قول الشاعر:

حَيْثُمَا كُنْتُ لَا أَخْلَفُ رَحْلاً مَنْ رَأَيْتُ فَقَدْ رَأَيْتُ وَرَحْلي
وقد آن أن أذكر ما يتيسّر من الأمثال الشعرية في هذا الباب، وما يجري على نمطها، وينخرط في سَفَطِهَا . قالوا :

وَمَنْ يَكُنِ الْعُرَابُ لَهُ دَلِيلًا يُدَلُّ بِهِ عَلَى جَيْفِ الْكِلَابِ
يريدون أنّ من اتخذ الدنيء مرتاداً، واللئيم قوّاداً، فهو يسوقه الى سُخْفِهِ، أو يقع به، الى حَتْفِهِ . وقال الآخر :

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَقِربًا يَتَّقِ مَسَتْ بَيْنَ أَثْوَابِهِ الْعَقْرَبُ
وهو مث قول العامة : مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَرْبًا أَكَلَتْهُ الذُّئَابُ . وقول ابن دريد :
مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحَامَوْا ظُلْمَهُ وَعَزَّ فِيهِمْ جَانِبَاهُ وَاحْتَمَى
رَهْمُ لِمَنْ لَأَنَّ لَهُمْ جَانِبَهُ أَظْلَمُ مِنْ حَيَاتِ أَنْبَاءِ السَّفَا
وقال مسكين الدارمي :

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عِرْضُهُ وَسَمِينِ الْجِسْمِ مَهْزُولُ النَّسَبِ
أي ربّ مهزول البدن والجسم كريم الأب رفيع النسب صيّن الحسب، وبالعكس . وقال رجل من مَذْحِج :

إِنَّ السَّوِيَّةَ أَنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُمْ⁽²⁰⁾ وَأَمِنْتُمْ فَأَنَا الْبَعِيدُ الْأَجْنَبُ
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَدْعَى لَهَا وَإِذَا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ

(20) في لسان العرب : هَلَا فِي الْقَصِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُمْ.

هذا وجدكم الصغار بعينه لا أم لي إن كان ذاك ولا أب !
 والمثل هو البيت الوسط . وفي معناه مثل من أمثال النساء يقلن : الطريّة ليهاتي،
 والقسيّة لأخواتي . وقال النابغة :
 ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب ؟
 ومثله قول الآخر :

وإن كنت لم تصحب سوى ذي كماله فأين من الإخوان من هو كامل ؟
 وقولي من قصيدة :

وإذا تبتغي صديقا بلا ذا م فعش مفردا عن الخلان
 وقال أبو عبد الله بن شرف في معنى بيت النابغة :

ولا تعاتب على نقص الطباع أخا فإن بدر الدجى لم يعط تكميلا
 وقال لبيد :

ذهب الذين يعاش في أكناهم وبقيت في خلف كجلد الأجر
 وقال ابن شرف في معناه :

كم خانني الدهر في أوفى الورى فمضى به وخلف مردولا فمردولا
 وقال الآخر :

ألا إنما الدنيا غصارة أيكة إذا اخضر منها جانب جف جانب
 الغصارة : الطين الأزب الأخضر، وتطلق أيضا على الخصب والنعمة .

وقال ابن شرف في معنى البيت :

ولم يزل ثمر الدنيا لقاطفه رطباً ويبساً وماجوجاً ومعسولاً
 وقال الآخر :

وإن امرأة قد سار تسعين حجة على منهك من ورده لقريب
 وقال الآخر :

وأجراً من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال ذوو العيوب
 وقال ابن شرف في معناه :

ولم تجد قط عياباً ومفتخراً إلا على العيب والعوراء مجبولاً

وقيل لأحف بن قيس : ذلّني على رجل كثير العيوب ! فقال : اطلبه عيّابا فإنّه لا يعيب الناس إلاّ بفضل ما فيه ! وقال امرؤ القيس :

وانّك لم يفخر عليك كفاخر
ضعيف ولم يغلبك مثلك مغلب
وفي البيت مثلاً سيأتين إن شاء الله تعالى . ومثله قول أبي تمام :
وضّعيفة فإذا أصابت قدرة
قتلت : كذلك قدرة الضّعفاء
وقال الآخر :

راحت مشرقة ورحت مغرباً :
ومثله ما أنشده الأصمعيّ من قول الشاعر :

أذكر مجالس من بني أسد
الشرق منزلهم ومنزلنا
من كل أبيض جلّ زينته
ومُدجج يدعى بشكّته⁽²¹⁾

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي :
السيف أصدق أنباء من الكتب
بيض الصفائح لا سود الصفائح في
والعلم في شهب الأرماح لامعة
وقال أيضاً :

إذا المرء لم يستخلص الحزم نفسه
أعاذلتا ما أخشن الليل مركباً
دعيني وأهوال الزمان أفانها
فإنّ الحسام العندوانيّ إنّما
وقال :

لأمر عليهم أن تتمّ صدوره
وليس عليهم أن تتمّ عواقبه
وقال أيضاً :

(21) في زهر الأدب : (1029:2) ومُدجج يسعى ليعارته .

سَلَى هَلْ عَمَرْتُ الْقَفْرَ وَهُوَ سِبَاسُ
وَعَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذَكَرَ مَشْرِقِ
خُطُوبٍ إِذَا لَاقَيْتَهُنَّ رَدَدَنِي
وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَائِبِ أَصْبَحَتْ
وَقَدْ يَكْهَمُ السَّيْفُ الْمُسَمَّى مَنِيَّةً
فَافَّةً ذَا آلَاءٍ يُصَادَفُ مَضْرِبًا
وقال أيضا :

كَانَتْ لَنَا مَلْعَبًا نَلْهُو بِزُخْرِفِهِ
وَعَاذِلْ هَاجِ لِي بِالْعَذَلِ مَارِبَةً
لَمَّا أَطَالَ ارْتِجَالُ الْعَذَلِ قَلْتُ لَهُ :
وقال :

مَالِي أَرَى جَلَبًا فَعَمًّا وَلَسْتُ أَرَى
أَرْضَ بِهَا عُشْبٌ جَرَفٌ وَلَيْسَ بِهَا
وقال أيضا في [أبي] دلف :
يَرَى أَقْبَحَ الْأَشْيَاءِ أَوْبَةً أَمِلَ
وَأَحْسَنُ مِنْ نَوْرِ تَفْتَحُهُ الصَّبَا
وقال :

وَلَوْ كَانَ يَفْنِي الشَّعْرَ أَفْنَاهُ مَا قَرْتُ
وَلَكِنَّهُ صَوَّبُ الْعُقُولِ إِذَا انْجَلَتْ
وقال أيضا :
وَمَا الْأَسَدُ الضَّرْعَامُ يَوْمًا بَعَاكِسَ
وقال أيضا :
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ لِلشَّيْبِ فَضْلًا
وقال أيضا :

وَعَادَرْتُ رَبْعِي مِنْ رَكَابِي سِبَاسِيَا
وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا
جَرِيحًا كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْكَتَائِبَا
خَلَّاقَهُ طُرًّا عَلَيْهِ نَوَائِبَا
وَقَدْ يَرْجِعُ الْمَرْءُ الْمُظْفَرُ خَائِبَا
وَافَّةً ذَا آلَاءٍ يُصَادَفُ ضَارِبًا

وَقَدْ يُنْفَسُ عَنْ جِدِّ الْفَتَى اللَّعْبُ
بَاتَتْ عَلَيْهِ هُمُومُ الصَّدْرِ تَصْطَخِبُ
الْحَزْمُ يَثْنِي خُطُوبَ الدَّهْرِ لَا الْخُطْبُ

سَوْقًا وَمَالِي أَرَى سَوْقًا وَلَا جَلْبُ ؟
مَاءٌ وَأُخْرَى بِهَا مَاءٌ وَلَا عُشْبُ
كَسَّتْهُ يَدُ الْمَأْمُولِ حُلَّةَ خَائِبِ
بَيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَآرِبِ⁽²²⁾

حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الذَّوَاهِبِ
سَحَائِبُ مِنْهُ أَعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ
صَرِيْمَتُهُ إِنْ أَنْ أَوْ بَصْبَصَ الْكَلْبُ
جَاوَرَتُهُ الْإِبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبَا

(22) فِي الدِّيَوَانِ (212:1) بَيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ.

فَمَضَتْ كَهَوْلَهُمْ وَدَبَّرَ أَمْرَهُمْ
لَارِقَةَ الْحَضَرِ اللَّطِيفِ غَذَتْهُمْ
فَإِذَا كَشَفْتَهُمْ وَجَدَتْ لَدَيْهِمْ
لَيْسَ الْغَنِيِّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ
وَالسَّهْمُ بِالرَّيِّشِ الثَّلَاثِ وَلَنْ تَرَى
وَقَالَ أَيْضًا :

وَالْحُرُّ يَسْلُبُهُ جَمِيلَ عَزَائِهِ
وَقَالَ أَيْضًا :

رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ السَّرَى وَغَنَاءٍ
وَقَالَ :

لَسْتُ أَدْلِي بِحِرْمَةٍ مُسْتَزِيدًا
لَا تُصِيبُ الصَّدِيقَ قَارِعَةُ النَّآ
غَيْرَ أَنْ الْعَلِيلَ لَيْسَ بِمَذْمُومٍ
لَوْ رَأَيْنَا التَّوَكِيدَ خُطَّةَ عَجْزٍ
وَقَالَ أَيْضًا فِي عُمَرُ بْنُ طَوْقٍ :

يُعْطِي عَطَاءَ الْمُحْسَنِ الْخَضِلَ النَّدَى
وَمُرْحَبٌ بِالزَّائِرِينَ وَبِشْرُهُ
وَقَالَ :

وَالشَّوْلُ مَا حُلِبْتُ تَدَفَّقَ رِسْلُهَا
وَقَالَ :

أَوَّلَى الْمَدِيحِ بَأَنْ يَكُونَ مُهْذَبًا
وَقَالَ أَيْضًا يَخَاطَبُ مُحَمَّدَ بْنَ الْهَيْثَمِ :
كَتَبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوَى وَشَوْقًا
وَقَالَ أَيْضًا :

نَعَمْ إِذَا رَعَيْتُ بِشُكْرٍ لَمْ تَزَلْ

أَحْدَاثُهُمْ تَدِيرُ غَيْرَ صَوَابٍ
وَتَبَاعَدُوا عَنْ فِطْنَةِ الْأَعْرَابِ
كَرَمَ النَّفُوسِ وَقِلَّةَ الْأَدَابِ
لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي
بَيْتًا بِلَا عَمْدٍ وَلَا أَطْنَابٍ

ضَيْقُ الْفِنَاءِ فَكَيْفَ ضَيْقُ الْمَذْهَبِ ؟

مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبٍ

فِي وَدَادٍ مِنْكُمْ وَلَا فِي نَصِيبٍ
نَيْبٍ إِلَّا مِنَ الصَّدِيقِ الرَّغِيبِ
مِنْ عَلَى شَرَحَ مَا بِهِ لِلطَّبِيبِ
مَا شَفَعْنَا الْأَذَانَ بِالتَّثْوِيبِ

عَفَوْا وَيَعْتَذِرُ اعْتَذَارَ الْمَذْنِبِ
يُغْنِيكَ عَنْ أَهْلِ لَدَيْهِ وَمَرْحَبٍ

وَتَجَفَّ دِرَّتُهَا إِذَا لَمْ تَحْطَبِ

مَا كَانَ مِنْهُ فِي أَنْعَرٍ مُهْذَبٍ

لَكُنْتُ إِلَيْكَ سَطْرًا فِي الْكِتَابِ

نُعْنَى وَإِنْ لَمْ تَرَعِ فَهِيَ مَصَائِبُ

وقال أيضا :

والحظُّ يُعطاهُ غَيْرُ طالِبِهِ

وقال أيضا :

فاضِ اللَّئامُ وغازِ الأَحسابُ

فكَأَنَّ يَوْمَ البَعثِ فَاجَأَهُمْ فَلَا

وقال :

ما إِنْ سَمَعْتُ ولا أَرَانِي سامِعًا

مَنْ كانَ مَفْقُودَ الحَياءِ فوجَّههُ

ما زالَ وسَّواسِي لِعَقْلِي خادِعًا

ما كُنْتُ أدري لا دريتُ بِأَنَّهُ

وقال أيضا يهجو يوسف السراج :

سَمِعْتُ بكَ داهيةً نَادِ

أما لَوْ أَنَّ جَفَلَكَ عادَ عِلْمًا

ومالَكَ بالغَرِيبِ يدٌ وَلَكِنْ

فلو نُشِرَ المَقابِرُ عَن زُهَيْرِ

مَتى كَانَتْ قَوافِيهِ عِيالا

وقال أيضا :

هُوَ الدَّهْرُ لا يُشَوِي وهُنَّ المِصائِبُ

وقال :

وقلتُ : أَحِبِّي قالوا : أَخْ ذُو قَرابَةٍ

نَسِيبِي في عِزِّمي ورأيي ومَذْهَبِي

وقال :

على أَنها الأَيامُ قَدْ صرْنَ كُلُّها

وقال أيضًا :

إِنْ رِيبَ الزَّمانِ يَحسُنُ أَنْ يُهْدَى

ويحرزُ الدَّرَّ غَيْرُ مُحْتَلِبِهِ

واجْتُنَّتِ العَلِياءُ والأَدابُ

أَنسابُ بَينَهُم ولا أَسبابُ

أَبداً بِصحراءِ عَلَيا بابُ

مِنْ غَيرِ بَوَّابٍ لَه بَوَّابُ

حَتَّى رجا مَطرا وَلَيسَ سَحابُ

يَجري بِأَفْنيةِ البُيُوتِ سَرابُ

ولَمْ أَسْمَعْ بِسِراجِ أَدِيبِ

إِذاً لَنَفَذْتَ في عِلْمِ الغُيوبِ

تَعاطِيكَ الغَرِيبَ مِنْ الغَرِيبِ

لَصَرِّحَ بِالْعَوِيلِ وبالنَّحِيبِ

على تَفْسيرِ بُقْراطِ الطَّيِّبِ ؟

وأكثرَ أَمالِ الرِّجالِ كَوادِبُ

فَقَلْتُ لَهُم : إِنَّ الشُّكُولَ أَقاربُ

وإنْ باعدتْنا في الأَصولِ المَناسِبُ

عجائبُ حَتَّى لَيسَ فيها عَجائبُ

الرَّزايا إلى ذَوِي الأَحْسابِ

فلهذا يجفُّ بعد اخضرارٍ
وقال أيضا :

ومن يكن طيبًا فلا عجبٌ
وقال أيضا :

غيرُ مُستأنسٍ بشيءٍ إذا غبت
أنتَ دونَ الجلّاسِ أنسي وإن كنت
وقال أيضا :

لعمركم مع الرّمضاء والنّارُ تلتظي
متى أبتغي النصف من قلب صاحبٍ
وقال أيضا يعاتب أبا دلف :

أقمت شهرًا في فنائك خمسة
فإن نلت ما أملتُ فيك فإنّني
وقال أيضا :

يأيها الملك النّائي برؤيته
ليس الحجابُ بمقصّرٍ عنك لي أملًا
وقال أيضا :

لعمركم لليأس غيرُ المُريب
وللرّيئ تحفّزه بالنّجام
وقال أيضا يصف غيثًا :

لم أرَ عيرا جمّة الدّؤوبِ
أبعدُ من أينٍ ومن لغوبِ
نجائبًا ولنس من نجيبِ
كالليل أو كاللوب أو كالنّوبِ
كالشيعة التفتت على النّقيبِ
ناقضة لمرر الخطوبِ

قبل روض الوهادِ روض الرّوابي

أن يأكلك النّاس من أطايبه

سوى ذكرك الذي لا يغيبُ
بعيدًا فالأنس منك قريبُ

أرقه وأحفى منك في ساعة الكربِ
إذا لم يكن قلبي شفيقًا على قلب

لقي حيث لا تهمني عليّ جنوبُ
جديرٌ وإلا فالرحيلُ قريبُ

وجوده لمراعي جوده كذبُ
إنّ السّماء تُرجى حين تحتجبُ

خيرٌ من الطّمع الكاذبِ
خيرٌ من الأمل الخائبِ

تواصل التّهجير بالتأويبِ
منها غداة الشّار والمهضوبِ
شباؤه الأعناق بالعجوبِ
منقادة لعارض غريبِ
أخيدة بطاعة الجنوبِ
تكفّ غرب الزّمان العصيبِ

مَحَاةً لِأَرْزَمَةِ اللَّزُوبِ مَحَوُ اسْتِيلَامِ الرُّكْنِ لِلذُّنُوبِ
لَمَّا دَنَتْ لِلأَرْضِ مِنْ قَرِيبِ تَشَوَّفَتْ لِيُوبِلِهَا السَّكُوبِ
تَشَوَّفَ الْمَرِيضُ لِلطَّيِّبِ وَطَرَبَ الْمُحِبُّ لِلْحَبِيبِ
وَفَرَحَةَ الْأَدِيبِ بِالْأَدِيبِ وَخَيَّمَتْ صَادِقَةَ الشُّؤْبُوبِ
وَقَامَ فِيهَا الرَّعْدُ كَالْخَطِيبِ وَحَنَّتِ الرِّيحُ حَنِينَ النَّيِّبِ
فَالشَّمْسُ ذَاتُ حَاجِبٍ مَحْجُوبِ قَدْ أَغْرَبَتْ مِنْ غَيْرِ مَا غُرُوبِ
وَالْأَرْضُ فِي رَدَائِهَا الْقَشِيبِ فِي زَاهِرٍ مِنْ نَبْتِهَا رَطِيبِ
بَعْدَ اسْتِهَابِ الثَّلْجِ وَالضَّرِيبِ كَالْكَهْلِ بَعْدَ السَّنِّ وَالتَّحْنِيبِ
تُبَدَّلَ الشَّبَابُ بِالْمَشِيبِ كَمْ انْتَسَتْ مِنْ جَانِبِ غَرِيبِ
وَعَلَّيْتُ مِنَ الثَّرَى الْمَغْلُوبِ وَنَفَسْتُ مِنْ بَارِضٍ مَكْرُوبِ
وَسَكَنْتُ مِنْ نَافِرِ الْجُبُوبِ وَأَقْنَعْتُ مِنْ بَلَدٍ رَغِيبِ
يَحْفَظُ عَهْدَ الْغَيْثِ بِالْمَغِيبِ لَذِيذَةِ الرِّيقِ وَالصَّبِيبِ

كَأَنَّمَا تَهْفِي عَلَى الْقُلُوبِ

وتقدّم استيفاء هذا المعنى في الباب الأول .

وقال أيضا :

الصَّبْرُ كَاسٍ وَبَطْنُ الْكَفِّ غَارِيَّةٌ وَالْعَقْلُ عَارٍ إِذَا لَمْ يُكْنَسَ بِالنَّشَبِ
مَا أَضِيعَ الْعَقْلَ إِنْ لَمْ يَرَمَ ضَيْعَتُهُ وَفَرٌّ وَاهٍ رَحَى دَارَتْ بِلا قُطْبِ ؟
وقال :

بِأَيِّ وَخْدٍ قِلَاصٍ وَاجْتِنَابِ فَلَا إِدْرَاكَ رَزَقٍ إِذَا مَا كَانَ فِي الْهَرَبِ
وقال :

إِذَا قَصَدْتُ لِشَاوِرٍ خِلْتُ أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُهُ أَدْرَكْتَنِي حُرْفَةُ الْأَدَبِ
وَإِنَّمَا تَقَالُ ذَلِكَ لِمَا يَزْعَمُ مِنْ أَنَّ حُرْفَةَ الْأَدَبِ مَشْؤُومَةٌ حَلِيفَةُ الْفَقْرِ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ :
الضَّبُّ وَالنُّونُ قَدْ يُرْجَى اجْتِمَاعُهُمَا وَلَا يُرْجَى اجْتِمَاعُ الْمَالِ وَالْأَدَبِ
وستأتي في هذا الباب حكايات ظريفة في هذا المعنى للأدباء .

وقال أيضا :

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هِمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
وكانوا يرون أنَّ الفضيلة عند اللقاء إنما هي في الاهتمام بضرب الغام، دون جمع الحطام .
ومنه قول عنترة :

هَلَّا سَأَلْتُ الْقَوْمَ يَا ابْنَةَ مَعْبِدٍ إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِيَا لَمْ تَعْلَمْ
إِذَا لَا أَرَاكَ عَلَى رَحَالٍ سَابِحٍ نَهْدٍ تَعَاوَرَهُ الْكُمَاةُ مُعَلَّمٍ
ظَوْرًا يُعَرِّضُ لِبَطْعَانٍ وَتَارَةً يَاوِي إِلَى حَصْدِ الْقَيْسِيِّ عَرْمَرٍ
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنْتَنِي اغْشَى الْوَعْيَى وَأَعِيفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ
وهذا المعنى هو الذي نبّه عليه الأوّل وأوضحه . وقد أكثر الشعراء من هذا المعنى . ولما
سيق إلى المعتصم المازيار أسيرًا فأمر بصلبه، قال له : مَنْ عَلَيَّ وَلَكَ أَمْوَالٌ جَلِيلَةٌ الْخَطَرُ !
فأبى، وأنشد :

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هِمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

وقال أيضا :
إِذَا مَا شُبْتُ حُسْنَ الدِّينِ مِنْكَ بِصَالِحِ الْأَدَبِ
فَمَنْ شِئْتَ كُنْ فَلَقَدْ فَلَجْتَ بِأَكْرَمِ النَّسَبِ
فَنَفْسُكَ قَطُّ أَصْلِحْنَا وَدَعْنِي مِنْ قَدِيمِ أَبِ

أصله قوله تعالى : إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . وقال أبو الطيّب :
وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بِيَعُونَ سَرَّهَا وَقُلُوبِ
وقال :

وقد فارقَ النَّاسُ الْأَحِبَّةَ قَبْلَنَا وَأَعْيَى دَوَاءُ الْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ
سَيَقِنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مَنَعْنَا بِهَا مِنْ جَيْثَةٍ وَذَهَابِ
تَمَلَّكَهَا الْآتِي تَمَلَّكَ سَالِبٍ وَفَارَقَهَا الْمَاضِي قِرَاقَ سَلِيبِ
وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبَرَ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبِ
وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِمَا حَبِ حَيَاةُ أَمْرِءٍ خَانَتْهُ بَعْدَ مَشِيبِ

وقال :

وما كُلُّ وَجْهِ أبيضٍ يُمبارِكُ ولا كُلُّ جَفْنٍ ضيقٌ بِنَجيبٍ

وقال :

كأنَّ الرَّدَى عادٍ على كُلِّ ماجدٍ إذا لَمْ يُعوِّذْ مجدهُ بِعُيوبٍ
ولولا أيادي الدَّهرِ في الجَمْعِ بيننا غفلنا فلم نَشعرْ لَهُ بِذنوبٍ
وللترَكِ لِاحسانٍ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ إذا جَعَلَ الاحسانَ غَيْرَ ربيبٍ

وقال :

فربُّ كَثيبٍ ليس تَندى جُفونه وربُّ كثيرِ الدَّمعِ غَيْرُ كَثيبٍ

وقال :

إذا استقبلتَ نَفْسُ الكَرِيمِ مُصابها بِخُبثٍ ثَنَتْ فاستدبرتهُ بطيبٍ
وللواجِدِ المَكروبِ مِنْ زَفَراتِهِ سَكُونٌ عَزاءٍ أو سَكُونٌ لُغوبٍ

وقال :

وفي تَعَبٍ مَنْ يَحسُدُ الشَّمسَ نورها ويجهَدُ أن يأتِي لها بِضريبٍ

وقال أيضا يمدح سيف الدولة :

وكيف عَرَفنا رِسمَ مَنْ لَمْ يَدعِ لنا فؤدا لِعِرفانِ الرُّسومِ ولا لُبًّا ؟
نزلنا عَنِ الأكوارِ نَمشي كَرامةً لِمَنْ بَانَ عَنهُ أن نَلَمَّ بِهِ رِكبا
وتَمَثَّلَ بِهِ أَحَدُ الفضلاءِ حيثُ أَقبلَ على المَدِينَةِ المَشْرِقةِ، على ساكنها أَفضلُ الصَّلاةِ وأزكى

السلام !

وقال :

ومن صَحَبِ الدُّنيا طويلا تَقَلَّبتْ عَلَيَّ عَيْنُهُ حَتَّى يَرى صَدقها كِذبا

وقال :

ومَنْ تَكُنْ الأَسَدُ الضُّواري جُدودَهُ يَكُنْ لِيْلُهُ صُبحًا ومَطعُمُهُ غَصبا
ولست أبا لي بَعْدَ إدراكِي العَلَا أَكان تَراثًا ما تَناولت أَم كَسبا

وقال :

فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةَ عُرْبًا ؟
فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الثَّلِيُوثُ لَهُ صَحْبًا ؟
فَكَيْفَ بِيَمَنِ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبًا ؟

تُهَابُ سُيُوفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ
وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَحْدَهُ
وَيُخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ
وقال :

حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبًا
وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الْحَرْبَا
إِلَى أَنْ تَرَى إِحْسَانَ هَذَا لَذَا ذَنْبَا

أَرَى كُلَّنَا يَبْغِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ
فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الثَّقَى
وَيُخْتَلَقُ الرَّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ
وقال أيضا :

مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الْمَحْوِ مَنْ جَاءَ تَائِبًا

وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
وقال أيضا يستعطف سيف الدولة على بني كلاب :

فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ
إِذَا تَدَعَوْ لِنَائِبَةٍ أَجَابُوا

تَرْفَقُ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِم
إِنَّهُمْ عَبِيدُكَ حَيْثُ كَانُوا
وَكأنَّهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ [أَبِي] عَيِينَةَ :

عَرَائِسَ تَحْمَلُ الْأَسَدَ الْغِيضَابَا
تَخَالُ بَضْوَاءَ صُورَتِهِ شَهَابَا
إِذَا يُدْعَى لِنَائِبَةٍ أَجَابَا

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ بَغْدَادَ شُعْنَا
بِكُلِّ فَتَى أَغْرَ مُهْلَبِي
وَمِنْ قَحْطَانٍ كُلِّ أَخِي حِفَاطٍ
وقوله أيضا :

قُرَيْشُ مُلْكَهَا وَبِهَا تُهَابُ
وَأَعْمَامِي لِنَائِبَةٍ أَجَابُوا

بِأَخْوَالِي وَأَعْمَامِي أَقَامَتُ
مَتَى سَادَتُمْ أَخْوَالِي لِحَرْبٍ
وقال :

بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطَبُوا فَتَابُوا
وَكَمْ بَعْدَ مُوَلَّدِهِ اقْتِرَابُ
وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ

وَعَيْنُ الْمُخْطِئِينَ هُمْ وَلَيْسُوا
وَكَمْ ذَنْبٍ مُوَلَّدَهُ دَلَالُ
وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفْهَاءُ قَوْمٍ

وقال :

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَآةٌ
وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْآخِرِ :

فَلَا يَمْنَعُكَ مِنْ أَرْبٍ لِحَاهُمْ
وقال أيضا :

وإن تَكُنْ تَغْلِبُ الْغُلَبَاءُ عُنُصْرَهَا
وقال :

فَلَا تَنَلِكِ اللَّيَالِي إِنَّ أَيْدِيَهَا
وَلَا يُعْنَى عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ
وإن سَرَرْنَ بِمَحْبُوبٍ فَجَعَلَ بِهِ
وَرَبَّمَا احْتَسَبَ الْإِحْسَانُ غَايَتَهَا
وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لِبَانَتَهُ
تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتِّفَاقَ لَهُمْ
فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً
وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ
وقال أيضا :

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَادِ
وقال :

وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَعْبُدَانِ
وَيَدْفَعُ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا
وقال أيضا :

لَأَيُّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نُعَاتِبُ
وقال أيضا :

فَالْمَوْتُ أَعْذَرُ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي

كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ
سَوَاءٌ ذُو الْعِمَامَةِ وَالْخِمَارِ

فإنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعِنَبِ

إِذَا ضَرَبْنَ كَسْرَنَ النَّبْعَ بِالْغَرْبِ
فإنَّهِنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ
وَقَدْ أَتَيْتُكَ فِي الْحَالِينَ بِالْعَجَبِ
وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرِ غَيْرِ مُحْتَسِبِ
وَلَا انْتَهَى أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبِ
إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفَ فِي الشَّجَبِ
وَقِيلَ تُشْرِكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ
أَقَامَهُ الْفَكْرُ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْتَعَبِ

أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْغَلَبَ

وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبَ
فَيَا لِلرَّجَالِ لِهَذَا الْعُجْبِ

وَأَيُّ رَزَايَاهُ بِيَوْتَرِ نَطَالِبُ ؟

وَالْبِرُّ أَوْسَعُ وَالْدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا

وقوله : والدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا هو مثلٌ مشهور، ووقع في قول الآخر : والمَلِكُ بَعْدَ
أَبِي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا . وأنشد ابن الخطيب لبعض الأعراب :

مَنْ كَانَ أَبْصَرَ شَيْئًا أَوْ رَأَى عَجَبًا فَإِنَّنِي عِشْتُ دَهْرًا لَا أَرَى عَجَبَا
النَّاسِ كَالنَّاسِ وَالْأَيَّامُ وَاحِدَةٌ والدَّهْرُ كالدَّهْرِ والدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا
فلا أدري أَوَّارَدَهُ فِيهِ أَبُو الطَّيِّبِ أَمْ أَخَذَهُ مِنْهُ، وهو في بيت الأعرابيِّ أقعد، وبسياقه
أنسب . وتمايم البيت المذكور ما أنشده المصعب الزبيري في أنساب قريش لبعض
الشعراء في معاوية بن يزيد بن معاوية وهو :

إِنِّي أَرَى فِتْنَةً تَغْلِي مَرَاجِلَهَا فَالْمَلِكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا
وَأَرَادَ بِأَبِي لَيْلَى مُعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدَ الْمَذْكُورِ، وفيه يقول عبد الله بن هَمَّامٍ السَّكَلَوِيُّ :
تَلَقَّفَهَا يَزِيدُ عَنْ أَبِيهِ فَخَذَهَا يَا مُعَاوِيَةَ عَنْ يَزِيدَا
فإِنْ دُنْيَاكُمْ لَكُمْ أَطْمَأْنَنْتُ فَأَوَّلُوا أَهْلَهَا خَلْقًا سَدِيدَا
وقال أيضا :

أَظْمَتْنِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيَا مَطَرْتُ عَلَيَّ مَصَائِبَا
وقال في وصف علي بن منصور :

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ وَجَدْتَهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبَا
كَالْبَحْرِ يَقْدَفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرَا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابَا
كَالشَّمْسِ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ وَضَوْعُهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقَا وَمَغَارِبَا
وقال أيضا :

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ إِنْ بَرَزْتَ سَبْقَا غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعَرَابُ
وقال أيضا :

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسِيبِ كَاصِلُهُ فَمَاذَا الَّذِي تَغْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ ؟
وَمَا قَرَبْتَ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدُ وَلَا بَعُدْتَ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبُ
إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حِجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ
وقال أيضا :

ما أَوْجَهُ الحَضْرَ المُسْتَحْسَنَاتِ بِهِ
حُسْنَ الحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيقَةٍ
وقال :

أَفْدَى طِبَاءَ فَلَاحٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا
وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الحَمَامِ مَائِلَةً
وقال :

فَمَا الحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانَعَةٍ
وقال أيضا :

وَكَمْ لظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ
وَقَاكَ رَدَى الأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمْ
وقال :

وَمَا الخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ
إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا
لِحَا اللّٰهِ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً
وقال يخاطب كافورا :

وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفِّي زَمَانِنَا
وقال :

يُضَاحِكُ فِي ذَا العِيدِ كُلُّ حَبِيبَةٍ
أَحِينَ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءِهِمْ
وقال :

وَكُلُّ أَمْرٍ يُولِي الجَمِيلِ مُحِبٌّ
وقال :

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلَمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا

كَأَوْجُهُ البَدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيَّ
وَفِي البَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبٍ

مَضْغَمَ الكَلَامِ وَلَا صِبْغَ الحَوَاجِبِ
أَوْرَاكُهُنَّ صَقِيلَاتِ العِرَاقِيبِ

قَدْ يُوجَدُ الحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشُّبَّ

تُخْبِرُ أَنَّ المَانُويَّةَ تَكْذِبُ
وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ المُحْجَبُ

وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يُجْرَبُ
وَأَعْضَائُهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ
فَكُلُّ بَعِيدِ الهمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ
فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَنْتَعَبُ

وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفِّيكَ تَطْلُبُ

حِذَائِي وَأَبْكِي مَنْ أَحِبُّ وَأُنْدُبُ
وَأَيْنَ مِنَ المُشْتَاقِ عَنَقَاءُ مُغْرَبُ ؟

وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

قال صاحب الرسالة الحكيمية، وهو قول أرسطاطاليس : اقْبَحُ الظُّلْمُ حَسْدُكَ
لِعَبْدِكَ وَمَنْ تَنْعِمُ عَلَيْهِ . قلت : وهو غلط . إن كانت رواية هذه الحكمة هكذا،
فإن أبا الطيب إنما أراد عكسها، وهو أن أقبح الظلم أن يحسدك من تنعم عليه
وتحسن إليه بدليل سياق كلامه .

وقال :

وقد يترك النفس التي لا تهابه ويخترم النفس التي تتهيب
وقال أيضا :

وما العشق إلا غرة وطماعة
يعرض كل نفسه فتصاب
وقال :

أعز مكان في الدنيا سرج ساجم وخير جليس في الزمان كتاب
وقال يخاطب كافورا :

وهك نافعني أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أمّلت منك حجاب ؟
وقال :

وفي النفس حاجات وفيك فطنة سكوتي جواب عندها وخطاب
وما أنا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هو يبغي عليه ثواب
وقال يخاطبه :

إذا نلت منك الود فالمالك هين وكل الذي فوق التراب تراب
وينشد العارفون - رضوان الله عليهم - والخطاب للملك الحق هكذا :

فليتك تحلو والجياة مريّة وليتك ترضى والأنام غيظاب !
وليت الذي يبني وبينك عامر وبينني وبين العالمين خراب !
إذا صم منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

وأذكرني هذا المعنى حكاية عن الأصمعي قال : بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا
بغلام واقف في الطريق في أذنيه قرطآن، في كل قرطّر جوهرة يضيء وجهه من
ضوء الجوهرة، وهو يمجّد ربّه بأبيات من الشعر وهي :

يا فاطرَ الخلقِ البَدِيعِ وكافلا
يا مُسَبِّغَ البِرِّ الجَزِيلِ ومُسَبِّلَ
يا عالمَ السِّرِّ الخفيِّ ومُنْجِزَ
عَظُمَتِ صفاتِكَ يا عَظِيمُ فجلَّ أن
الذنبُ أنتَ له بمنكَ غافرُ
ربُّ يَبْرُ العالمينَ فَبِرُّهُ
تَعْصِيهِ وهو يَسوقُ نَحوكَ دائماً
مُتَصَدِّقُ أبداً وأنتَ لِجودِهِ
وَإِذَا دَجَى لَيْلُ الخُطوبِ وأظلمَت
وأيسَتَ من وجه النجاة فما لها
يأتِيكَ مِن الطافِهِ الفرجُ الَّذِي
يا موجدَ الأشياءِ مَن ألقى إلى
ومَن استراحَ بغيرِ ذكركَ أو رجا
رأيي" يَلمُ إِذا عَرَتُهُ مُلَمَّةٌ
عملُ" أريدُ به سواكَ فَإِنَّهُ
وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ
أنا عَبْدُ سُوءٍ أَبْقُ كُلُّ عَلَى
قَدْ أَثْقَلَتِ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسُوءَتِ
ها قد أَتَيْتُكَ حُسْنُ ظَنِّي شافعُ
فاغفِرْ لِعَبْدِكَ ما مَضَى وارزقه تَو
فافعلْ به ما أَنتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
قال : فدنوت منه وسلّمت عليه، فقال : ما أنا برادٌ عليك حتى تُؤدّي من حقّي الذي
يجب عليك . قلت : وما حقّك ؟ قال : أنا غلام على دين إبراهيم الخليل، عليه السلام ! لا
أُتْعَدِّي كلَّ يوم ولا أُنْعَشِي حتّى أسير الميكَ والميلين في طلب الضيف . فأجبتَه

فرحَّب بي، وسرت معه حتَّى وافينا الخيمة، فصاح : يا أُخْتَاه ! فأجابته جارية من الخيمة : يا لَبَيْكَاه ! فقال : قومي الى ضيفنا ! فقالت الجارية : حتَّى أبْدَأَ بشكر المولى الذي ساقه إلينا . فصلَّت ركعتين شكرا لله تعالى . قال : فأدخلني الشابُ الخيمة وأجلسني وأخذ شفرة فقام الى عَنَاقٍ فَذَپَحَها . قال : فلما جلست في الخيمة نظرت الى الجارية، فإذا هي أحسن الناس وجهًا . فكنت أسارقها النظر ثمَّ فَطِنْتُ لي فقالت لي : ممَّ ! أما علمت أنَّه نَقِلَ عن صاحب طَيِّبَةٍ عليه الصلاة والسلام أنَّه قال : زَنَى العَيْنَيْنِ النَّظْرُ. أمَّا إِنِّي ما أردت بهذا أن أُوبِخَكَ، ولكني أردت أن أُؤَدِّبَكَ لئلاَّ تعود الى مثك هذا . فلما كان النوم بقاءً أنا والغلام خارج الخيمة، وباتت الجارية داخلها . فكنت أسمع دَوِيَّ القرآن الى السَّحَرِ بأحسن صوت وأرقه . ثمَّ سمعت أبياتا من الشعر بأعذب لفظ وأشجى نغمة، وهي :

أَبَى الحَبِّ أن يخفى وكم قد كتمته فأصبح عِنْدِي قَدْ أَنَاخَ وَطَنَبَا
إذا اشتدَّ شَوْقِي هامَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ وإن رمت قَرْبًا من حَبِيبِي تَقَرَّبَا
ويبدو فأفنى ثمَّ أَحْيَا بِهِ لَهُ وَيُسَعِّدُنِي حَتَّى الذَّ وَأُطْرِبَا
فلما أصبحت قلت للغلام : صوتَ مَنْ سَمِعْتَ ؟ قال : صوت أختي، وذلك دأْبُها كلَّ ليلة . فقلت : أنت أحقَّ بهذا منها، إذ أنت رجلٌ وهي امرأة . فتبسَّمت ثمَّ قال : أما علمت أنَّه مُوَفَّقٌ ومُخْذولٌ، ومُقَرَّبٌ ومُبْعَدٌ ؟ فودَّعتُهما وانصرفت . ولا يخفى أنَّ محلَّ الاستشهاد قوله :

وإذا رَضِيتَ فكلُّ شيءٍ هَيِّنٌ وإذا حَصَلْتَ فكلُّ شيءٍ حَاصِلٌ
وهذا الشعر الأخير يتمكُّ به الصوفيةُ كثيرا . وقال أيضا :
وما يَشُقُّ على الكَلْبِ أن يَكُونَ ابنَ كَلْبِهِ
وقال أيضًا :

لَا بُدَّ لِلانسانِ مِنْ ضَجْعَةٍ لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعُ عَنْ جَنْبِهِ
يَنْسَى بِهَا ما مرَّ مِنْ عَجْبِهِ وما أذاقَ المَوْتَ مِنْ كَرْبِهِ
نَحْنُ بَنُو المَوْتِ فما بَالُنَا نَعْفُو ما لَابُدَّ مِنْ شُرْبِهِ ؟

تَبَخَّلْ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ
 فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْهٍ وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تَرْبِهِ
 لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ
 وهو معنى قول أرسطاطاليس : النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ الْأَشْيَاءِ يُزْهِدُ فِي حَقَائِقِهَا، وَالْعِشْقُ
 عَمَى النَفْسَ عَنْ دَرَكَ رُؤْيَا المَعْشُوقِ . والذي قبله هو معنى قوله أيضا : اللطائفُ
 سَمَآوِيَّةٌ، وَالكَثَائِفُ أَرْضِيَّةٌ، وَكُلُّ عَنَصِرٍ عَائِدٌ إِلَى عَنَصِرِهِ الْأَوَّلِ.

وقال :

يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِي طِبِّهِ
 ونحوه قول بعضهم في ابن سينا :

وكان ابنُ سينا يَدَاوِي الرُّجَالَ وَفِي السَّجْنِ مَاتَ أَخْسَى المَمَاتِ
 فلم يَشْفِ مَا قاله فِي الشِّفَا وَلَمْ يُنْجِرْ مَا قاله بِالنَّجَاتِ
 وقال :

وِغَايَةُ المَفْطَرِ فِي سِلْمِهِ كِغَايَةِ المَفْطَرِ فِي حَرْبِهِ
 وهو قريب من قول أرسطاطاليس : آخِرُ إِفْرَاطِ التَّوَقُّيِّ أَوَّلُ مَوَارِدِ الحِذْرِ.
 وقال :

يَدْخُلُ صَبْرُ المَرْءِ فِي مَدْحِهِ وَيَدْخُلُ الاِسْتِفَاقُ فِي ثَلَاثِهِ
 وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَغْنِي بِي وَلَمْ أَقُلْ يَا فَرْدًا بِلَا مُشَبِّهِ
 وقال أيضا :

إِذَا اكْتَسَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ هُنَّ عِرْسِهِ إِذَا اكْتَسَبَ الحِمَاسِيَّ سَعْدُ بْنُ نَاشِبٍ :

سَأَغْسِلُ عَنِّي العَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا وَأُذْهِلُّ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا
 وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْتَنَتْ يَمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا

وقال : .

وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا
وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا

إِذَا هُمْ الْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ
بَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ
وَقَالَ مُوسَى بْنُ جَابِرٍ :

بَابُ الْأَمِيرِ وَلَا دِفَاعَ الْحَاجِبِ
وَمُزْنَدُونَ شُهُودُهُمْ كَالْغَائِبِ
مِمَّا قَمَشَتْ وَضُمَ حَبْلُ الْحَاطِبِ

لَا أَشْتَهِي يَأْقُومُ إِلَّا كَارَهَا
وَمِنْ الرِّجَالِ أَسَنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ
مِنْهُمْ لِيُوثَّ مَا تَرَامُ وَبَعْضُهُمْ
وَقَالَ بَعْضُ بَنِي مَازِنٍ :

لَطَالِبٍ أَوْتَارَ بِمَسْلِكِ مَطْلَبِ

وَمَا قَتَلَ جَارَ غَائِبٍ عَنْ نَصِيرِهِ
وَقَالَ :

وَعِلْمُ بَيَانِ الْأَمْرِ عِنْدَ الْمَجْرِبِ

وَقَدْ ذُقْتُمُونَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ
وَقَالَ الْقَتَالُ الْكِلَابِيُّ :

وَجَوْهَا لَا تُعْرِضُ لِلْسَّبَابِ

نُعْرِضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْهَمْدَانِيِّ :

لَهْنٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ غَيْرُ خَذُولٍ
لَهُ فِي سِوَى الْهَيْجَاءِ غَيْرُ بَذُولٍ
وَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي مَخْزُومٍ النَّهْشَلِيِّ الدَّارِمِيِّ ، مِنْ شِعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ :

لَقَدْ عَلِمْتُ نِسْوَانُ هَمْدَانَ أَنْتَنِي
وَأَبْذَلَ فِي الْهَيْجَاءِ وَجْهِي وَأَنْتَنِي
وَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي مَخْزُومٍ النَّهْشَلِيِّ الدَّارِمِيِّ ، مِنْ شِعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ :

وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلِينَا

إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا
وَقَالَ بَعْضُ الْفَقَّهَسِيِّينَ :

عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ إِذْ يَتَقَلَّبُ
وَفِي الْأَرْضِ مَبْثُوثًا شُجَاعُ عَقْرَبُ

رَأَيْتُ بَنِي عَمِّي الْأَلَى يَخْذُلُونَنِي
فَهَلَّا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا
وَقَالَ :

إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ الَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ

كَأَنَّكَ لَمْ تُسَبِّقْ مِنَ اللَّيْلِ لَيْلَةً
وَقَالَ رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ الضَّبِّيُّ :

إذا ما المرء لم يُحبِّبكَ إلاَّ
ومَن لا يُعط إلاَّ في عِتَابٍ
أخوك أخوكَ مَن يَدنو وترجو
إذا حاربتَ حاربَ مَن تُعادي
يُواسي في كَريهته أخاهُ
وقال قُرَاد بن عَتَّاب الحماسي أيضا (23) :

إذا المرء لم تَغضَبْ لهُ حين يغضَبُ
ولم يَحِبْهُ بالنَّصر قومٌ أَعِزَّةٌ
تَهَضُّمُهُ أدنى العدوِّ ولم يَزَلْ
المقَاحيمُ جَمع مِقْحَام، وهو المتقحم في الأمور الجريءُ عليها ؛ ويَتَهَيَّبُ
يَتَخَوَّفُ ؛ وَتَهَضُّمُهُ : تَنَقُّصُهُ ؛ وَادْنَى الْعَدُوِّ : أَخْسَهُمْ ؛ وَالْعِضْبُ
بالكسر الرَّجُلُ الداهية كما تقدَّم في العمرة ؛ وَالظَّلَامَةُ : الظُّلْمُ . أي لا يزال يُضْرَبُ،
أي يُقَابَلُ وَيُرْمَى بِالظلم، وإن كان عِضْبًا، إذا لم يكن له أنصار.
وقال الاخنَس بن شهاب :

إذا قَصَرْت أسيافُنَا كان وصلُّها
يَقُولُ : إذا ضاق مَجَالُ الحرب عن مُضاربة الأقران بالسيف، خطونا إليهم وأقدمنا
عليهم جرأةً حتَّى نصل إليهم فنضربهم.
ومثله قول الآخر :

نَصَلُ السُّيُوفِ إذا قَصَرْنَ بخطونا
وقال محمد بن بشير :
وكلُّ امرئٍ يوما سيَرَكَبُ كارهًا
وقال نَهْشَك الدَّارِسي :

(23) في الحماسة (1:273) قُرَاد بنُ عَتَّاب. وفي الشرح : قال أبو هلال : وقع هكذا في الاصل، وهو خطأ، وإنما هو قُرَاد بن العيار... وأبو العيار أحد شياطين العرب وقُرَاد شاعر إسلامي مقلد.

وهوَنَ وَجَدِي عَن خَلِيلِي أَنَّنِي
وَمَنْ يَرِ بِالْأَقْوَامِ يَوْمًا يَرُوا بِهِ
وَمَثَلُ بَيْتِهِ الْأَوَّلُ قَوْلُ الْخَنَسَاءِ :
وَلَوْ لَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
وَقَالَ الْغَطَمَشُ الضَّبِّيُّ :

أَلَا رَبَّ مَنْ يَغْتَابُنِي وَدَّ أَنَّنِي
عَلَى رَشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ وَلِغِيَّةٍ
فَبِالْخَيْرِ لَا بِالشَّرِّ فَارْجُ مَوَدَّتِي
أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ مِنَ الْعَيْنِ عِبْرَةٌ
أَخْلَايَ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَهُمْ
الرَّشْدُهُ : النَّكَاحُ ؛ وَالْغِيَّةُ : الزَّنى . وَيَقَالُ : أَنْجَبَ الرَّجُلُ إِذَا وَلَدَ نَجِييًّا .
وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ :

أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرِيمُ مِنْ
وَأَحْلُبُ الثَّرَّةَ الصَّفِيَّ وَلَا
إِنِّي رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا
وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ وَلَا
مَثَلُ الْحِمَارِ الْمَوْقَعِ السَّوِّءِ لَا
وَلَمْ أَجِدْ عُرْوَةَ الْخَلَائِقِ إِلَّا
قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمُقِيمُ وَمَا

وَيُحَرِّمُ الْمَالَ ذُو الْمَطِيَّةِ
وَالرَّحْلُ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُغْتَرِبًا
الثَّرَّةُ : النَّاقَةُ الْغَزِيرَةُ اللَّبَنُ، وَمِثْلُهَا الصَّفِيُّ، وَلِذَا وَصَفَهَا بِهَا . وَالْأَخْلَافُ جَمْعُ خَلْفٍ
وَهُوَ حَلْمَةُ الضَّرْعِ . يَقُولُ : إِنِّي أَحْلُبُ الْكَثِيرَةَ الدَّرَّ، وَأَخْذُ مِنْهُ عَفْوًا، وَلَا أَجْهَدُ غَيْرَهَا
لَأَسْتَخْرِجَ النَّزْرَ وَأَسْتَنْزِلَ الْعَسِيرَ، وَهَذَا تَمْثِيلٌ . وَالْمَرَادُ أَنِّي أَجْمِلُ فِي الطَّلَبِ، وَلَا أَكِدُّ
نَفْسِي فِي اسْتِحْصَالِ الرِّزْقِ، عَلِمًا مِنِّي بِأَنْ مَا قَدَّرَ مِنَ الرِّزْقِ إِلَيَّ وَاصِلٌ، وَمَا قُسِمَ لَا

محالة حاصـل.

وقالت أمّ ثَوَابِ الهِرْزَانِيَّةِ فِي ابْنِ لَهَا عَاقَ :

رَبِّيَّتُهُ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْخِ اعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فِي رِيْشِهِ رَغْبًا⁽²⁴⁾
حَتَّى إِذَا أَصَبَ كَالْفُحَّالِ شَذْبَهُ أَبَارُهُ وَنَفَى عَن مَتْنِهِ الْكَرْبَا
أَنْشَأَ يُمَزَّقُ أَثْوَابِي وَيُضْرِبُنِي⁽²⁵⁾ أَبْعَدُ شَيْبَى عِنْدِي يَبْتَغِي الْأَدْبَا ؟
أُمُّ الطَّعَامِ : الْحَوْصَلَةُ ؛ وَالْفُحَّالُ : ذَكَرُ النَّخْلِ، وَهِيَ أَطْوَلُهَا ؛ وَتَشْذِيبُهُ : تَجْرِيدُهُ
وَتَنْقِيتُهُ مِنْ فُضُولِ الشَّوْكِ وَالسَّعْفِ، وَبِذَلِكَ يَطْوِلُ فِي السَّمَاءِ ؛ وَالْكَرْبُ : أَصُولُ
السَّعْفِ تَبْقَى مُتَّصِلَةٌ بِالْجِذْعِ.

وقال حاتم :

وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي بِفَضْلِكَ زَمَامِهَا لَتَشْرَبَ مَاءَ الْحَوْضِ قَبْلَ الرِّكَائِبِ
وَمَا أَنَا بِالطَّائِلِ حَقِيبَةِ رَحْلِهَا لِأَبْعَثَهَا خَفًّا وَأَتْرِكَ صَاحِبِي
إِذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْقُلُوصِ فَلَا تَدْعُ رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبِ
وَقَالَ الْأَحْوَصُ، وَقَدْ ضَرَبَ بَنُو عَمٍّ لَهُ مَوْلَاهُ :

لَنْ كُنْتُ لَا أَرْمِي وَتَرْمِي كِنَانَتِي تُصِيبُ جَانِحَاتُ النَّبِكِ كَشْحِي وَمَنْكَبِي
وَهُوَ مِثْلُ أَصْلِهِ أَنَّ رَجُلًا رَمَى آخَرَ مُتَقَلِّدًا كِنَانَهُ، فَقَالَ لَهُ الْمَرْمِيُّ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ : لَمْ
أَرْمِكْ، إِنَّمَا رَمَيْتُ كِنَانَتَكَ . فَيَضْرِبُ مِثْلًا لِمَنْ نِيلَ وَلِيَّتُهُ بِسَوْءٍ.

وقال أبو النُّشْنَشِ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْرَحْ سَوَامًا وَلَمْ يُرَحْ سَوَامًا وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ قَعُودِهِ عَدِيمًا وَمِنْ مَوْلَى تَدْبُ عَقَارِبُهُ
وَقَالَ :

فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْهَمِّ ضَاجِعَهُ الْفَتَى وَلَا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ صَاحِبِيهِ
فَعِشْ مُعْدِمًا أَوْ مِتْ كَرِيمًا فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ لَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ هَارِبُهُ
وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْمُغِيرَةِ :

(24) فِي الْحَمَاسَةِ (1:316) فِي جِلْدِهِ رَغْبًا، وَهُوَ أَنْسَبُ.

(25) وَفِي الْحَمَاسَةِ أَيْضًا : يُؤْدُبُنِي.

جفاني الأمير والمغيرة بعده
وكلهم قد ناك شعبا لبطنه
وتقدّم هذا الشعر وقصته قبل.
وقال بعض بني أسد :

وما أنا بالنكس الدني ولا الذي
ولكنني إن دام دمت⁽²⁶⁾ وإن يكن⁽²⁶⁾
إلا إن خير الود⁽²⁶⁾ ود⁽²⁶⁾ تطوعت
ومعنى أهرب أغضب ؛ ومعنى إن دمت⁽²⁶⁾ دام أي إن دمت فقد دام ، إذ لو لم يدُم ما
دُمْتُ بدليك ما بعده، وإن شئت جعلته على القلب . وتقدّم هذا المعنى مستوفى.
وقال خالد بن نضلة الأسدي :

لعمري لرهط المرء خير بقيّة
من الأبعد النائي وإن كان ذاغنى
إذا كنت في قوم عدى لست منهم⁽²⁶⁾
وإن حدّثتك النفس أنك قادر⁽²⁶⁾
وتقدّم في الاغتراب ولزوم الأوطان من الشعر ما لا بد منه.

وقال عبد الله بن الدُمينة :

وإنّي لأستحييك حتى كأنما
وقال قيس بن ذريح :

وكلّ مصيبات الزمان وجدتها
وقال إيكاس بن الأرت :

إذا ما تراخت ساعة فاجعلناها
فإن يك خير أو يكن بعض راحة
بخير فإن الدهر اعصمك ذو شعب
فإنك لاه من غموم ومن كرب

(26) روى أبو سبي هذا الشعر مقلوباً هكذا : ولكنني إن دمت⁽²⁶⁾ دام وتكلف تأويله في الشرح بما لا حاجة إليه .
والتصحيح من الحماسة، (106:1).

الْأَعْصَلَ : الْمُعْجُزُ الْمَتَوِيُّ، وَأَصْلُ الْعَصَلِ اعْوَجَاجٌ فِي أَنْيَابِ الْبَعِيرِ إِذَا اسَنَّ ؛
وَالشَّغْبُ : الشَّرُّ .

وَقَالَ أَيْضًا :

وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تَرَابِ أَرْضٍ وَلَكِنْ مَنْ يَحْكُ بِهَا حَبِيبُ
وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ قَيْسٍ :

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغْفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَ
وَقَالَ ابْنُ مَفْرُغٍ :

يَقُولُونَ : هَلْ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ ؟ فَقُلْتُ : وَهَلْ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ ؟
لَقَدْ جَلَّ قَدْرُ الشَّيْبِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا بَدَتْ شَيْبَةٌ يُعْرَى مِنَ اللَّهْوِ مَرْكَبُ
وَسَيَاتِي فَصَلْ فِي مَدْحِ الشَّيْبِ وَذِمِّهِ بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ :

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيْغَلِبُنِي الْهَوَى إِذَا جَدَّ جَدُّ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ
فَإِنْ أَسْتَطَعْتُ أَغْلِبُ وَإِنْ يَغْلِبِ الْهَوَى فِيمِثْلِكَ الَّذِي لَأَقِيتُ يُغْلِبُ صَاحِبُهُ
وَقَالَ فَرْعَانُ بْنُ الْأَعْرَفِ فِي ابْنِ لَه عَاقٍ وَيُسَمَّى مُنَاوِلًا :

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مُنَاوِلٍ جَزَاءً ۚ كَمَا يَسْتَنْزِلُ الدَّيْنُ طَالِبُهُ
لَرْبِّيَّتِهِ حَتَّى إِذَا أَصَبَ شَيْظَمًا يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ النَّخْلِ غَارِبُهُ
وَرَبِّيَّتِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتُهُ أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَغْنَى عَنِ الْمَسْمُومِ شَارِبُهُ
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَحْسَبَ الشَّخْصِ أَشْخَصًا قَرِيبًا وَذَا الشَّخْصِ الْبَعِيدِ أَقَارِبُهُ
تَعَمَّدَ حَقِّي ظَالِمًا وَلَوَى يَدِي لَوَى يَدُهُ الْكَلْبُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ
وَكَانَ لَهُ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَى مِنْ الزَّرَادِ أَحْلَى زَادِنَا وَأَطَايِبُهُ
وَجَمَعْتُهَا دُهْمًا جِلَادًا كَانَتْهَا أَشَاءُ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهُ
فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيبًا كَانَتْني حُسَامُ يَمَانٍ فَارَقَتْهُ مَضَارِبُهُ
أَيْظَلِمُنِي مَالِي وَيُحْنَتُ أَلْوَتِي ؟ فَسَوْفَ يَلْقَانِي رَبُّهُ فَيُحَاسِبُهُ
الدُّهْمُ : الْإِبْلُ الْوُرْقُ تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ . وَالْأَشَاءُ : صِغَارُ النَّخْلِ، شَبَّهَ بِهَا الْإِبْلَ فِي

عظّمها ؛ والائوّة : اليمين .

فقال منازل ابنه يجيبه :

وكنّت كمن ولّى بأمر كتيبةٍ فعَيّ بها فأرفَضَ عنه كَتَائِبُهُ
وماذاك مِن جَرَى عَقُوقٍ تَعُدُّهُ ولا خُلُقٍ مِنِّي بَدَأَ أَنْتَ عَائِبُهُ
يقول : إِنَّكَ أَضَرَّرْتَني ففارقْتُكَ كمن تَوَلَّى أمرَ جيشٍ فأساءَ فيهم السيرةَ فتفرَّقُوا
عنه، وما ذاك مِنِّي من جَرَى عَقُوقٍ، أي من أجله. ومن عجيب الاتفاق ما ذكر الشننَمَرِيُّ
في شرحه على هذا المحلّ من الحماسة أنْ مُنَازِلًا هذا ولد له ابن يقال له خَلِيعٌ فعقّه
كما كان هو فعل بأبيه، فاستَعَدَى عليه الوالي . فلمّا حضر ليضربه قال قائل للوالي :
أتعرف - أصلحك الله - مَنْ هَذَا ؟ قال : لا . قال : هذا مُنَازِلُ الذي يقول فيه أبوه،
وأنشد الأبيات السوابق .

فقال الوالي : يا هذا :

فَلَا تَجْزَعْ عَنِّ مِنْ سِيرَةٍ أَنْتَ سِرَّتْهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سِيرَةٍ مَنْ يَسِيرُهَا
ثمَّ أمر بإطلاق ابنه خليع .

وفي نواد العامة أن رجلا كان له ابن، ولمّا أسنّ وعجز عن العمل أخذه ابنه ذاك وذهب به
الى فلاة من الأرض، فطرحه تحت شجرة وتركه هناك حتى هلك . فلمّا كبر هذا الابن وبلغ
مبلغ أبيه كان له ابن له وهو لا يعلم بالقصة، فأخذ أباه أيضا وذهب به الى فلاة وطرحه
تحت شجرة كما فعل هو بأبيه. فلمّا تولّى عنه التفت إليه فرآه يتبسّم. فتعجّب من ذلك
ورجع إليه وقال له : ممّ تضحك، وقد أيقنت بالهلاك ؟ فقال له أبوه : والله ما ضحكت إلاّ
لأنّني تذكّرت ما فعلت بأبي، وقصّ عليه القصة . فقال الولد حينئذ : لئن أنا تركته
حتى مات ليفعلنّ بي عَقِيبِي مثلكَ هذا . فأخذه وردّه الى بيته . ومثلكَ هذا ما قيل في
آخر الرؤوس المحمولة الى الولاة التي أوّلها رأسُ الحُسين، جمع الله شمله في الفردوس
الأعلى، وجمع أعداءه في مصبّ الحميم المغلّى ! والقصة مشهورة وستأتي .

وقال الآخر :

إِنْ يَعلَمُوا الْخَيْرَ يُخَفُّوهُ وَإِنْ عَلمُوا شَرًّا أَذِيعَ وَإِنْ لَمْ يَعلَمُوا كَذَبُوا

وقال أبو مسلم الخراساني :

محا السيفُ أسطار البلاغة وانتحى عليك ليوثُ الغاب من كلِّ جانب
وكان أبو مسلم لمّا ثار على بني أميّة كتب إليه مروان، وكتبهُ إذ ذاك عبدُ الحميد،
فلم ير شيئاً أظنّب فيه عبد الحميد مثلك الكتاب، حتى قيل إنَّ الكتاب من عِظَم
جرمه حمّل على بعير . فلم يلتفت أبو مسلم الى ذلك وأجابهم بالبيت المذكور.

وقال بعض الأعراب :

إذا كان الطَّبَاعُ طِبَاعَ سَوْرٍ فَلَيْسَ بِنَافِعٍ فِيهَا الْأَدِيبُ
حكى الأصمعيّ قال : دخلت البادية فأتيت على عجوز، فإذا بين يديها جِرْوُ ذئب
مُقَطَّعٌ وشاةٌ مقتولة . فقالت : أتدري ما هذا ؟ قلت : لا . قالت : جِرْوُ ذئبٍ أخذناه
وأدخلناه في بيتنا . فلما كبر قتل شاتنا، وقلت في ذلك شعرا . قلت : ما هو ؟ فأشدت :
بقرت شويهيّتي وفجعت قومي وأنت ليشاتنا أبداً ربيبُ
غذيت بدرّها ورُبيتَ فينا فمن انبأك أنْ أباك ذيبُ ؟
إذا كان الطَّبَاعُ (البيت)

وقال الآخر :

لا تَمْدَحْنِ امْرَأً حَتَّى تُجَرِّبَهُ وَلَا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجَرِّيبٍ
قُرْبٍ خِدْنٍ وَإِنْ أَبْذَى بِشَاشَتِهِ يُضْحِي عَلَى خِدْنِهِ أَعْدَى مِنَ الذَّيِّبِ
وقال آخر :

وإنَّ مَدْحَكَ مِنْ لَمْ تَبْلُهُ صَلَفٌ وَإِنْ مَدْحَكَ بَعْدَ الذَّمِّ تَكْذِيبُ
وقال الآخر :

كلَّ يَوْمٍ قَطِيعَةٌ وَعِتَابُ يَنْقَضِي دَهْرُنَا وَنَحْنُ غِيْضَابُ
لَيْتَ شِعْرِي فَهَلْ خُصِمْتُ بِهَذَا أَنَا وَخُدِي أَمْ هَكَذَا الْأَحْبَابُ ؟
وما أحسن قول بشرار :

إذا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذا ظمئت وأبى الناس تصفو مشاربهُ ؟
وقول الآخر :

إنبسِ الناسَ ما استطعتِ على النقصِ وإلا لم تستقيمِ لك خلتُهُ
عشٌ وحيداً إن كنت لا تقبلُ العذرَ وإن كنت لا تجاوزُ زلتَهُ
وتقدّم هذا المعنى، ويأتي كلام ممّا يتعلّق بالعتاب بعدُ إن شاء الله تعالى.

وقال الأعشى : وهنّ شرُّ غالبٍ لمن غلبَ، يعني النساء. زعموا أنّه ذهب يمتار لأهله
في شهر رجب فهربت امرأته مُعَاذَةُ ناشراً، ولذت برجل عزيز من قومه. فلما رجع
الأعشى طلبها فتمنّعت منه وأبى الذي لاذت به أن يدفعها إليه، وكان أعزّ منه. فأتى
الأعشى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فاشتكى إليه وأنشأ يقول :

يا سيّد الناسِ وديانَ العربِ أشكو إليك ذرّبةً من الذرّبِ
كالذّئبةِ الغبشاءِ في ظلّ السّرّبِ خرجتُ أبغيها الطّعَامَ في رجبِ
فخلفتني بينَ زاعمٍ وهَرَبِ وقذفتني بينَ عيصٍ ومؤتسبِ
أخلفتِ الوعدَ ولطّطتِ بالذّنْبِ وهنّ شرُّ غالبٍ لمن غلبِ
فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عند ذلك : هنّ شرُّ غالبٍ لمن غلب فكتب له أن
تردّ إليه الذرّبةُ : السّليطةُ اللّسانُ ؛ والعِيصُ : أصل الشجرة ؛ والمؤتسبُ :
المُلتفُّ . وقوله : لطّطتِ بالذّنْبِ، يريد : منّعت نفسها، وأصله في الناقة . يقال :
لَطّطتِ بذنبيها، إذا ضربت به على فرجها فسدت به على نفسها وامتنعت من الفحل.
وقال الآخر :

أحبُّ بلادِ اللَّهِ ما بينَ منْعِمْ إِلَيَّ وسلّمى أن يَصوبَ سحابُها
بِلادٍ بها حلّ الشّبابِ تمائمٍ⁽²⁷⁾ وأولُ أرضٍ مسّ جِلدي تُرابُها
ذكر بعض الأدباء عن بعض أهل نصيبين قال : أتاني ابنُ الرومي بقصيدته التي
يمدح بها سليمان بن عبد الله بن طاهر وقال : أنصفني ! أيُّهما أحسنُ : قولِي في
الموطن :

(27) المعروف المشهور : بلادٌ بيها نيطتْ عليّ تمائمِي . وذلك أيضاً ما يوجد في زهر الآداب، (682:2).

ولي وطنٌ أليتُ ألا أبيعهُ
عمرتُ به شرخَ الشَّبابِ ونِعمةً
وحبَّبَ أوطانَ الرِّجالِ إليهمُ
إذا ذكروا أوطانهم ذكَّرتهمُ
أم قول الاعرابي : أحبُّ بلادَ اللّهِ (الأبيات) ؟ قال . فقلت : بك قولك، لأنَّه ذكر الوطن
ومحبَّته، وأنت ذكرت العلة في ذلك .

ومثْلُ هذا قولُ ابنِ الرُّومي أيضا :

بلدٌ صحبتُ به الشَّيْبَةَ والصِّبا
فإذا تمثَّل في الضَّمير رأيتُهُ
ومثله قول آخر :

ذكرتُ بلادي فاستهلَّتْ مدامعي
حنَّتُ إلى أرضٍ بها اخضرَّ جانبي
وقال ابنُ غالِبِ الرُّصافي :

بلادي التي ريشَت قُويدمتي بها
مبادئ لين العيش في ريق الصِّبا
لبسنا بها ثوبَ الشَّبابِ لباسها
وقال العسْكَري :

إذا أنا لا أشتاق أرضَ عشيرتي
من العقق أن أشتاق أوَّلَ منزلِ
وروضِ رعاها بالأصائلِ ناظِري
وانَّيَّ لا أنسى العهودَ إذا أتت
إذا أنا لم أرعِ العهودَ على النَّوى
وقال رجاءُ بنُ هارون :

أحينُ إلى وادي الأراكِ صبايَّةً

والأَ أرى غيري له الدَّهرَ مالكا
كنعمة قومٍ أصبحوا في ظلالِكا
مأربُ قضائها الشَّبابُ هنالِكا
عهودَ الصِّبا فيها فحنَّوا لذلك
قال . فقلت : بك قولك، لأنَّه ذكر الوطن

ولبستُ ثوبَ العيش وهو جديدُ
وعليه أغصانُ الشَّبابِ تميدُ

بشوقٍ إلى عهدِ الصِّبا المتقدِّمِ
وقطَّع عني فيها عقد التَّمامِ

فُرخا وأوتني قرارُها وكُرا
أبى اللّهُ أن أنسى اغتراري بها غرا
ولكن عرينا من حلاه ولم نعرأ

فليس مكانِي في النُّهى بمكينِ
غنيَّتُ بخفضٍ في ذراهُ ولينِ
وغُصنِ ثناه بالغداةِ يمينِي
بناتِ النَّوى دونَ الخليطِ ودوني
فلستُ بمأمونٍ ولا بأمينِ

بعهد الصِّبا فيه وتذكُّار أوَّلِ

كَأَنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ فِي جَنَابَتِهِ نَسِيمُ حَبِيبٍ أَوْ لِقَاءُ مُؤَمِّلٍ
ومثل قول الأعرابي قول ابن ميادة :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَكَأَبَيْتَنَ لَيْلَةً يَحْرَهُ لَيْلَى حَيْثُ رَبَّيْنِي أَهْلِي
بلادٌ بها نَيْطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي وَقُطِّعَنْ عَنِّي حَيْثُ أَدْرَكَنِي عَقْلِي
ومن الحنين الى الوطن على الجملة قول الطائي :

سَقَى اللَّهَ أَطْلَالَ بِأَخِيْلَةِ الْحِمَى وَإِنْ كُنَّ قَدْ أَبْدِينَ لِلنَّاسِ مَا بِيَا
مَنَارَكَ لَوْ مَرَّتْ بِهِنَّ جَنَارَتِي لَقَالَ صَدَائِي : حَامِلِيْ أَنْزِلَا بِيَا
وقول الآخر :

طِيبَ الْهَوَاءِ بِبَغْدَادٍ يُؤَرِّقُنِي شَوْقًا إِلَيْهَا وَإِنْ عَاقَتْ مَقَادِيرُ
فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنْهَا الْآنَ إِذْ جُمِعَتْ طِيبَ الْهَوَائِيْنَ : مَمْدُودٌ وَمَقْصُورٌ ؟
وقولي :

سَقَى اللَّهَ أَطْلَالَ بِأَكْثِيَةِ الْحِمَى مِنَ الْعَارِضِ الْهَتَّانِ صَوْبَ عِهَادِ
بلادٌ بها حَلَّتْ سُلَيْمَى وَدَارُهَا فَحَلَّ فُؤَادِي عِنْدَهَا وَوَدَادِي
وَإِنِّي إِذَا أَسْقَيْتُهَا أَوْ بَكَيْتُهَا هُمَامًا فَمَا أَسْقَيْتُ غَيْرَ فُؤَادِي
وما أعلم أحدًا سبقني الى هذا المعنى، مع تداول هذا الغرض بين الشعراء كثيرا . وسيأتي
في أمثال الحنين الى الوطن زيادة على ما ذكرنا . إن شاء الله تعالى .

وقال راشد بن عبد ربّه رضي الله عنه ! : لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ التَّعَالِبُ .
وكان اسمه في الجاهليّة غَاوِي بن عبد العزّي ، وكان سَادِنَ صَنْمٍ لقومه بَنِي سُلَيْمٍ
فبينما هو عنده ذات يوم إذ أقبل ثعلبان يشتدّان حتى طلعا عليه فبالا عليه، فقال :
أَرَبُّ يَبُولِ الثَّعْلَبَانِ بِرَأْسِهِ ؟ لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ التَّعَالِبُ ؟
ثمّ كسره وقال : يَا مَعْشَرَ سُلَيْمٍ، وَاللَّهِ مَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يُعْطِي وَلَا يَمْنَعُ !
ولحق بالنبي صلّى الله عليه وسلّم، فقال : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : غَاوِي بنُ عَبْدِ الْعِزِّي .
قال : بَلْ أَنْتَ رَاشِدُ بنُ عَبْدِ رَبّه، وَالثَّعْلَبَانُ فِي الْبَيْتِ، بَضْمُ النَّاءِ وَالْلامِ، وَهُوَ ذَكَرُ
الثَّعَالِبِ . هَذَا قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ مِنْهُمْ الْجَوْهَرِيُّ . وَقَالَ آخَرُونَ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ

القاموس : ذاك غلط، وإنَّما هو بفتحهما على أنَّه تثنية ثعلب . وتمسَّكوا بالقصة السابقة وأنَّه أقبل ثعلبان وبلا معًا على الصنم . وقال بعضهم : كان لرجل صنم وكان يأتي بالخبز والزبد، فيضعه على رأسه ويقول اطعم ! فجاء ثعلبان فأكلا الخبز والزبد . وقال آخرون : هذا خطأ في التفسير والرواية، وإنَّما الحديث : فجاء ثعلبان ، وهو الذكر من الثعلب لا مثنى، فأكلكم الخبز والزبد ثم فعل . فقام الرجل الى الصنم فكسره وقال في ذلك شعره . قلت : والحق أنَّ القصة بعد صحتها على ما قال أهل التثنية من أنَّها ثعلبان لا تفيد أنَّ الواقع في البيت مثنى على التعيين، إذ لا يلزم من وقوع البول من الثعلبين أن يذكرهما الشاعر، وإنَّما المعوَّل الرواية : فإن وردت بالافراد كان حسنًا، وكان المقصود الجنس والنداء على هوان الصنم ببول الثعلب عليه، لا شرح القصة . وإذا رُدَّ الأمر الى النفس وُجد فيها للمفرد حلاوة ، وعن التثنية كزازة ، والله أعلم.

وقال الآخر :

فَقَعَدْتُ كَالْمُهْرِيْقِ فَضْلَةً مَائِهِ فِي ظِلِّ هَاجِرَةٍ لِلْمَعْرِ سَرَابٍ
ومثله قول الآخر :

وَكُنْتُ كَمُهْرِيْقٍ الَّذِي فِي سِقَائِهِ لِرُقْرَاقِ آلٍ فَوْقَ رَابِيَةٍ صَكْدٍ
وهذان البيتان تضمنا معنى المثل السابق في صاحب النعمة.

وقال أبو الغريب :

إِنَّ الْكَلِيمَ الْأَرْسُ غَيْرُ نَازِعٍ عَنِ وَذَعٍ جَارَةِ الْغَرِيبِ وَالْجُنُبِ
الارْسُ هو الأصل، أي الكَلِيمُ الأصل والوذع : الشتم . والجُنُبُ : الأجنبي الغريب.

وقال أعرابي :

كِلَابُ النَّاسِ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِمْ أَضْرُ عَلَيْكَ مِنْ كَلْبِ الْكِلَابِ
لأنَّ الكلب لا يؤذي صديقًا وإنَّ صديقَ هذا في عَذَابٍ
ويأتي حين يأتي في ثيابٍ وَقَدْ جُرِّمَتْ عَلَى رَجُلٍ مُصَابٍ
فَأَخْزَى اللَّهَ أَثَوَابًا عَلَيْهِ وَأَخْزَى اللَّهَ مَا تَحْتَ الثِّيَابِ
ومثل هذا ما يحكى عن بعضهم قال : وجدت إبراهيم بن أدهم - رضي الله عنه - أو غيره من

نُظَرَائِهِ مُضْطَجِعًا، وعند رأسه كلبٌ نائم . فأردت أن أقيم الكلب فقال : دَعْنِي فَإِنَّهُ خَيْرٌ من الجليس السوء.

وقال الشيخ [القطب] العارف أبو محمد عبد القادر الجيلاني فيما ينسب إليه، وكان يُنشدُهُ على الكرسيّ :

أنا بُلْبُلُ الافراح أَمْلاً دَوَّحَهَا طرباً وفي العلياء بازٌ أشهبُ
وقال الآخر :

أَتَطْلُبُ صاحباً لا عيب فيه وأيُّ النَّاسِ ليس له عُيُوبٌ ؟
وتقدّم نحو هذا قبل .

وقال الآخر :

إذا رُمْتُ قَتَلِي وَأَنْتُمْ أَحِبَّتِي إذا فالأعادي واحدٌ والحبائبُ
وقال الآخر :

إذا الخِلُّ لم يَهْجُرَكَ إِلَّا مَلامَةً فليس له إِلَّا الْفِرَاقُ عِتَابُ
وقال الآخر :

إذا أَنْتَ جازيتَ المُسيءَ بِفِعْلِهِ فَفَعَلْكَ مِنْ فِعْلِ المُسيءِ قَرِيبُ
وقال الآخر :

إذا الغُصْنُ لَمْ يَثْمِرْ وإن كان أصله مِنْ الْمُثْمَرِ اعْتَادَهُ النَّاسُ لِلْحَطْبِ
وقال الآخر :

إذا المَرْءُ لَمْ يُحِبِّبْكَ إِلَّا تَكَلُّفًا فذلك من أفعاله ما يُغالبُ
ومثله قول الحماسي السابق :

إذا ما المَرْءُ لَمْ يُحِبِّبْكَ إِلَّا مُغالب ما نفسه سَئِمَ الْغِلَابُ
وقال الآخر :

إذا جَفَانِي بَنُو الدُّنْيَا وَضِيقَتْ بِهِمْ طالعتُ كُتُبِي وَنَادَمْتُ الْأَلَى ذَهَبُوا
ومثله قول الآخر :

لنا جُلُساءٌ لا يُمْلِكُ حَدِيثُهُمُ الْبِئَاءُ مَأْمُونُونَ غِيَبًا وَمَشْهُدًا

وقال عليّ بن الجهم :

أَعَاتِبُ ذَا الْمُرُوءَةِ مِنْ صَدِيقٍ إِذَا مَا رَابِنِي مِنْهُ اجْتَنَابُ
إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وَدٌ وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ
ومثله من هذا الباب قول الآخر :

أَعَاتِبُ مَنْ أَجَبْتُ فِي كُلِّ زَلَّةٍ لِيَحْتَمِيَ الْأَمْرَ الَّذِي مَعَهُ الْعَتَبُ
فَأَنِّي أَرَى التَّأْدِيبَ عِنْدَ وَجُوبِهِ بِمَنْزِلَةِ الْغَيْثِ الَّذِي قَبْلَهُ الْجَذْبُ
وسياأتي في الحِكْمِ تمامُ هذا المعنى إن شاء الله تعالى.

وقال الآخر :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَقْلَى فَرَزٌ مُتَوَاتِرًا وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرْدَادَ حُبًّا فَرَزٌ غِيبًا
وسياأتي تمامه .

وقال الآخر :

إِذَا عِبتَ أَمْرًا فَلَا تَأْتِهِ فَذُو الْكَلْبِ مُجْتَنِبٌ مَا يَعِيبُ
وقال الآخر :

إِذَا قُلْتُ لِلْعَذْلِ : لَسْتُ بِعَاشِقٍ يَقُولُ لَهُمْ فَيْضُ الْمَدَامِ : يَكْذِبُ
وقال الآخر :

تَعَالَوْا نَصْطَلِحْ وَتَكُونُ مِنَّا مُصَافَاةً بِلَا عَدُوِّ الذُّنُوبِ
وقال الآخر :

تَقَارَبَتِ الْجُسُومُ وَأَيُّ نَفْعٍ يَكُونُ إِذَا تَبَاعَدَتِ الْقُلُوبُ ؟
وقال الآخر :

تَكَلَّفْتُ لِي هَذَا الْوَدَادَ فَلَمْ يَدِمْ وَكُلُّ وَدَادٍ بِالتَّكْلِيفِ يَصْعَبُ
وتقدّم نحوه.

وقال الآخر :

تِيهِ بِلَانَسَبٍ كِبَرٌ حَسْبُ فَخَرٌ بِلَا أَدَبٍ هَذَا مِنَ الْعَجَبِ !
وقال الآخر :

جَهْلُ الشَّرِيفِ يَشِينُ مَنْصِبَهُ وابنُ الوضِيعِ يَزِينُهُ أَدَبُهُ
وسياتي تمام هذا المعنى .

وقال الآخر :

حبيبٌ غَابَ عَن نَّظْرِي وَسَمْعِي ولكن عَن فؤادي ما يَغِيبُ
وقال الآخر :

طَبَعُ الْفَتَى يَسْرِقُ مِنْ طَبَعِ مَنْ يَصْحَبُهُ فَاَنْظُرْ لِمَنْ تَصْحَبُ
ومثله قول المراكشي في أرجوزته في الطريقة :

اخْتَرِ لِصُحْبَتِكَ مَنْ أَطَاعَا إِنَّ الطُّبَاعَ تَسْرِقُ الطُّبَاعَا
وقال الآخر :

قَدْ قَنَعْنَا مِنْكُمْ بَرْدٌ جَوَابِ دُونَ إِسْعَافِنَا بِمَا فِي الْكِتَابِ
وقال الآخر :

قَدْ يُلَامُ الْبَرِيُّ مِنْ غَيْرِ ذَنْبِ وَيُغَطَّى عَلَى الْمُرِيبِ ذُنُوبُ
وقال الآخر :

كَأَنَّكَ لَمْ تَتَعَبْ وَإِنْ كُنْتَ مُتَعَبًا إِذَا أَنْتَ لَا قَيْتَ الَّذِي فِيهِ تَتَعَبُ
وقال الآخر :

كَعُصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلِ يَسُومُهَا حَيَاضَ الْمَنَايَا وَهُوَ يَلْهُو وَيَلْعَبُ
وقال الآخر :

كُلُّ أَمْرٍ لَا بُدَّ يَقْضِي نَحْبَهُ إِنْ كَرِهَ الْمَوْتَ وَإِنْ أَحْبَبَهُ
وقال الآخر :

كُنْ لِلْغَرِيبِ إِذَا رَأَيْتَ مُسَاعِدًا فَعَسَاكَ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ غَرِيبًا
وقال الآخر :

لَئِنْ غَابَ عَن إِنْسَانٍ عَيْنِي شَخْصُهُ فَمَا هُوَ عَن فِكْرِي وَقَلْبِي بِغَائِبِ
وقال الآخر :

لَحَى اللَّهُ دُنْيَا أَلْجَأْتَنَا لِمَعْشَرِ فِرَاقِهِمْ أَشْهَى الْأُمُورِ إِلَى قَلْبِي

وقال الآخر :

لُحُومُ أَهْلِ الْعِلْمِ مَسْمُومَةٌ

وقال الآخر :

لَيْسَ الرِّزِيَّةُ فِي أَيْمَانِنَا عَجَبًا

ومثله قول أبي بكر بن دُرَيْدٍ :

لَا تَعْجَبَنَّ مِنْ هَالِكٍ كَيْفَ هَوَى

وقال الآخر :

لَيْسَ التَّقِيُّ بِمُتَّقٍ فِي دِينِهِ

وقال الآخر :

لَيْسَتْ الْأَحْلَامُ فِي حَالِ الرُّضَى

وقال الآخر :

لَيْسَ يَصْنَفُو إِلَّا بِقُرْبِكَ عَيْشِي

وقال الآخر :

مَا أَصْعَبَ الشَّيْءَ تَرْجُوهُ فَتُحْرِمُهُ

وقال الآخر :

مَا صَاحِبِي مَنْ وَدَّنِي حَاضِرًا

ومثله قول الحماسي من هذا الباب :

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي رَأَى عَيْنِهِ

وقال الآخر :

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ بَابَ الرِّزْقِ مِنْ أَحَدٍ

وقال الآخر :

مَتَى تَكُ مَعُ صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ

وقال الآخر :

مَنْ النَّاسُ مَنْ يَغْشَى الْأَبَاعِدَ نَفْعُهُ

وَمَنْ يُعَادِيهِمْ سَرِيعُ الْعَطَبِ

بَكَ السَّلَامَةُ فِيهَا أَعْجَبُ الْعَجَبِ

بَكَ فَاَعْجَبَنُ مِنْ سَالِمٍ كَيْفَ نَجَا

حَتَّى يَطِيبَ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ

إِنَّمَا الْأَحْلَامُ فِي حَالِ الْغَضَبِ

كَيْفَ لِي أَنْ تَكُونَ مِنِّي قَرِيبًا ؟

لَا سِيَّمَا بَعْدَ طَوْلِ الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ !

بَكَ صَاحِبِي مَنْ وَدَّنِي غَائِبًا

وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهُوَ غَائِبٌ

إِلَّا وَيُفْتَحُ غَيْرَ الْبَابِ أَبْوَابُ

تُخَيِّرُكَ الْوُجُوهُ عَنْ الْقُلُوبِ

وَيُحْرِمُ مِنْهُ صَحْبُهُ وَأَقَارِبُهُ

وقال الآخر :

مَنْ ذَمَّ مَنْ كَانَ كُلُّ النَّاسِ يَحْمَدُهُ

وقال الآخر :

مَنْ عَوَّدَ النَّاسَ إِحْسَانًا وَمَكْرَمَةً

وقال الآخر :

نَحْنُ نَدْعُو إِلَهَ فِي كُلِّ كَرْبٍ

وقال الآخر :

نَفْسُكَ لَا تُعْطِيكَ كُلَّ الرِّضَى

وقال الآخر

نَوَائِبُ هَذَا الدَّهْرِ شَتَّى وَإِنِّي

وهو مثلك [قول] قيس السابق . وقال الآخر

وَأُحْزِمُ النَّاسَ مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ سَبَبًا

وقال الآخر :

وَإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةَ مُعْدَمٍ

وتقدّم مع ما يشاكله . وقال الآخر

وَإِذَا تُصِيبُكَ خِصَامَةٌ فَارْجُ الْغِنَى

وقال الآخر :

وَأُطْلَبُ قُرْبَى مِنْ حَمَاكُمُ وَأَنْتُمْ

وقال الآخر :

وَإِنْ كُنْتَ مُسْتَرْعَى وَنَحْنُ رَعِيَّةٌ

وقال الآخر :

وَإِنَّكَ إِنْ أَهْدَيْتَ لِي عَيْبَ صَاحِبٍ

وقال الآخر :

وَإِنِّي بِيَكُمُ فِي كُلِّ حَالٍ لَوَائِقُ

فإِنَّمَا يَرْبَحُ التَّكْذِيبُ وَالْكَذْبُ

لَا يَعْتَبِنُ عَلَى مَنْ لَجَّ فِي الطَّلَبِ

ثُمَّ نَفْسَاهُ عِنْدَ كَشْفِ الْكُرُوبِ

فَكَيْفَ تَرْجُو ذَاكَ مِنْ صَاحِبٍ ؟

أَرَى فُرْقَةَ الْأَحْبَابِ أَدْهَى النَّوَائِبِ

حَتَّى يُدْبِرَ مَا تَجْنِي عَوَاقِبُهُ

فَالْبَسَ لَهُ حُلَّكَ النَّوَى وَتَغَرَّبَ

وَالَى الَّذِي يَهَبُ الرِّغَائِبَ فَارْغَبِ

إِلَى نَاطِرِي وَالْقَلْبُ فِي غَايَةِ الْقُرْبِ

فَكُلُّ سَيَلْقَى رَبَّهُ فَيُحَاسِبُهُ

لَمْهُدٍ إِلَى غَيْرِي جَمِيعَ عُيُوبِي

وَلَكِنْ سُوءُ الظَّنِّ مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ

وقال الآخر :

وبالنَّاسِ عاش النَّاسُ قَدَمًا ولم يزل

وقال الآخر :

وتشتَّتْ الأعداءُ في آرائِهِمْ

وقال الآخر :

وخَيْرُ عُمْرِ الفتى عُمْرٌ يَعِيشُ بِهِ

وقال الآخر :

ودَعِرَ العِتَابُ إذا استرَبَّتْ بصاحبِ

وقال الآخر :

ورث النَّجَابَةُ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ

وقال الآخر :

وسائلُ : ما المُلْكُ ؟ قِيلَ : الغِنَى

وقال الآخر :

وعَهْدُ المَشِيبِ كَأَنِّي بِهِ

وقال الآخر :

وقَد كُنْتُ لَا أَخْشَى مَعَ الذَّنْبِ جَفْوَةً

وقال الآخر :

وقَد نَثَرَ التَّوَدِيعُ مِنْ كُلِّ مَقْلَةٍ

وقال الآخر :

وقطعتُ في الدُّنْيَا العِلائِقَ لَيْسَ لِي

وقال الآخر :

وكنَّا نَسْتَطِيبُ إذا مرضنا

وتقدَّم ما يشاك هذا في حرف العمرة، فيمن يَغصُّ بالماء . وقال الآخر :

وكُنْتُ أرى أَنَّ التَّجَارِبَ عُدَّةٌ

من النَّاسِ مرغوبٌ إليه وراغبٌ

سَبَبٌ لِيَجْمَعَ خَوَاطِرَ الأحبابِ

مُقَسَّمُ الحالِ بَيْنَ الجدِّ واللَّعِبِ

لَيْسَتْ ثَنَالُ مودَّةٍ بِعِتَابِ

كالرُّمَحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبِ

فَقُلْتُ : لَا بَكَ رَاحَةُ القَلْبِ

يَمُرُّ كَمَا مرَّ عَصْرُ الصُّبَا

وقَد صِرْتُ أَخْشَاهَا وَمَالِي مِنْ ذَنْبِ

عَلَى كُلِّ خَذٍّ لَوْلَا لَمْ يُنْقَبِ

وَلَدٌ يَمُوتُ وَلَا جِدَارٌ يَخْرُبُ

فجاء الدِّعَاءُ مِنْ قِبَلِ الطَّيِّبِ

فخانت ثِقَات النَّاسِ حَتَّى التَّجَارِبُ

وقال الآخر :

ولا خير في قُربٍ لغيرك نفعه

وقال الآخر :

ولا خير فيمن لا يُوطِّنُ نفسه

وقال الآخر :

ولربما بخل الكريم وما به

وقال الآخر :

ولو أن ما بي بالحصا فلق الحصا

وقال الآخر :

ولو أنني استغفر الله كلما

وقال الآخر :

وليس بتقدير الكواكب ما ترى

وقال الآخر :

وليس يحاكم من لا يُبالي

وقال الآخر :

وليس عتابُ الناس للمرء نافعاً

وقال الآخر :

وليد أردنا أن يدب عذاره

وقال الآخر :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه

وقال الآخر :

وما شرفُ الانسان إلا بنفسه

وقال الآخر :

وما كان لي ذنب فأخشى جزاءه

ولا في صديق لا تزال تُعاتبه

على نائبات الدهر حين تنوب

بخل ولكن سوء حظ الطالب

وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

ولكنه تقدير رب الكواكب

أخطأ في الحكومة أم أصابا

إذا لم يكن للمرء لبُّ يُعاتبه

فما اختط حتى صار بالصُبْح شائبا

فكن طالباً للنفس أعلى المراتب

وإن عدّ آباء كراماً ذوي حسب

وعفوك مرجو وإن كان لي ذنب

وقال الآخر :

وما لقلوب العاشقين مزية

وقال الكُميت

ومالي إلا آل أحمد شيعه

وقال الآخر :

ومالي ذنب أستحق به الجفا

وقال الآخر :

وما هي إلا غلطة قد غلطتها

وقال الآخر :

ومن عادة الأيام أن صروفها

وقال الآخر :

ومن مذهبي حب الديار وأهلها

وقال الآخر :

ومن ربط الكلب العقور ببابه

وقال الآخر :

ويوهمني أنه ناصح

وقال الآخر :

هنيئا لكم ماء الفرات وطيبه

وقال الآخر :

لا تجزعن من المِداد ولطخه

وقال الآخر :

لا تكونن للأمور هيوبا

وقال الآخر :

لا تنكحن لثيمة لمحاسن

إذا نظرت أفكارها في العواقب

ومالي إلا مذهب الحق مذهب

وإن كان لي ذنب فإنني تائب

وقد يغلط الانسان ثم يتوب

إذا ساء منها جانب سر جانب

وللناس فيما يعشقون مذاهب

فَعقر جميع الناس من رابط الكلب

وفي نصحه حمة العقر

إذا لم يكن لي في الفرات نصيب

إن المِداد خلف ثوب الكاتب

فإلى خيبة يصير الهيوب !

فالتؤم يبقى والمحاسن تذهب

ومِصْدَاقُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ، وسيأتي.
وقال الآخر :

لَا تَيَاسَنَّ وَإِنْ عَزَّ الْوَصَالُ فَقَدْ تَجَفَّوْا نَاسٌ وَهُمْ فِي الْغَيْبِ أَحْبَابُ
وقال الآخر :

لَا يُقْبَلُ الصِّدْقُ مِنَ الْكَذَّابِ وَلَوْ أَتَى يَمَنْطَقُ عُجَابٍ !
وقال الآخر :

يَا بَصِيرًا إِلَّا بِإِبْصَارِ كُتَيْبٍ وَجَوَادًا إِلَّا بِرَدِّ جَوَابٍ !
وقال الآخر :

يَخِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ
وقال الآخر :

يَذْمُونَ دُنْيَاهُمْ وَهُمْ يَطْلُبُونَهَا وَلَمْ يَرَ كَالدُّنْيَا تَذْمُ وَتَطْلُبُ
وهو منك قول الآخر :

قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى ذَمِّهَا وَمَا أَرَى مِنْهُمْ لَهَا تَارَكََا
وهذا من توهيمات⁽²⁸⁾ الخيال وأغاليط الشعراء، وإلا فليس لهذا التعجب موقع، ولا لالغاز
محل، إذ العقول السليمة كلها بلا شك ذامةٌ للدنيا وليست بطالبة لها، ومتى وقع منها
طلب فمطلوبها غير المذموم، كما أن مذمومها غير المطلوب. فإن الدنيا من حيث إنَّها
مزرعةٌ للآخرة، وقنطرةٌ يُعْبَرُ منها إليها، وزاد يُبْلَغُ إليها، لابدَّ منها وهي محمودة غير
مذمومة، ومن حيث إنَّها فتنةٌ وعائقة عن الفوز ومبعدة عن النجاح، وموجبة للعقاب أو
العتاب، مذمومة عند كلِّ بصير غير مطلوب، بك مهروب منها غاية الهرب، ومنفور منها
غاية النفور، ولا يطلبها على هذا الوجه إلا أعمى البصيرة، وهذا ليس بذمها. وقد يذمها
بلسانه وهو يحبها سراً، وهو غير ذامٍ لها بالحقيقة. وعلى مثل هذا الذي خالف قوله
فعله يَحْسُنُ من جهة الظاهر إنشادُ الشعر السابق، ولا يصحُّ الاتفاق، ولكن الأكثر
والأغلب هذا، نسأل الله السلامة من فتنة المحيا والممات.

(28) في ب : توهيمات.

وقال الآخر :

يَرْحَمُ اللَّهُ صَدِيقًا جَاءَ يُفْدِي لِي عُيُوبِي

وقال الآخر :

دَعِ الْمُزَامَ فَقَدْ يُزْرِي بِصَاحِبِهِ وَرَبَّمَا آلَ فِي الْعُقْبَى إِلَى الْغَضَبِ

وقال الآخر :

رَأَيْتُ تَبَاعُدَ الْإِخْوَانِ قُرْبًا إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْوُدِّ الْقُلُوبُ

وقال الآخر :

رَأَيْتُ الْوُدَّ لَيْسَ يَكَادُ يَبْقَى إِذَا كَثُرَ التَّغَضُّبُ وَالْعِتَابُ

وقال الآخر :

رُبَّ لَحْظٍ يَكُونُ أَبْلَغَ مِنْ لَفْظٍ وَأَبْدَى لِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ

وقال الآخر :

سَأْرَعَاكَ فِي الْبُعْدِ الْمُفَرَّقِ بَيْنَنَا كَمَا كُنْتُ أُرْعَى وَالْمَزَارُ قَرِيبُ

وقال الآخر :

سَأُصْفِيكَ الْهَوَى مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَأَمْنَحُكَ الرِّضَى مِنْ كُلِّ بَابٍ

وقال الآخر :

سَتَعْلَمُ هَكَ رُبْحَنَا أَمْ خَسِرْنَا إِذَا فَكَّرْتَ فِي أَمْرِ الْحِسَابِ

وقال الآخر :

سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ التَّوَاصُلِ بَيْنَنَا وَرَدَّ إِلَى الْأَوْطَانِ كُلِّ غَرِيبٍ

وقال الآخر :

سَكَ الْخَيْرَ أَهْلَ الْخَيْرِ قَدِيمًا وَلَا تَسَلُ فَتَى ذَاقَ طَعْمَ الْعَيْشِ مِنْذُ قَرِيبٍ

وقال الآخر :

سَمِعْتُ عِتَابًا يُسْتَطَابُ فَلَيْتَنِي أَطَلْتُ ذَنْوِي كَيْ يَطُولَ عِتَابُ

وقال الآخر :

سَيُغْنِي اللَّهُ عَنْ بَقَرَاتِ زَيْدٍ وَيَأْتِي اللَّهُ بِاللَّابِنِ الْحَلِيبِ

وقال الآخر :

شَهِدْنَا وَجَرَّبْنَا أُمُورًا كَثِيرَةً فَلَا تُهْمَلُوا نُصْحَ الصَّدِيقِ الْمُجْرَبِ
وقال أحد القدماء :

صَاحٍ أَبْصَرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ⁽²⁹⁾ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَأَ فِي الْحِلَابِ ؟
وقال الآخر :

صُرُوفُ اللَّيَالِي أَحْوَجَتْنَا إِلَيْهِمْ كَمَا احتَاجَ صَيَّادٌ إِلَى صُحْبَةِ الْكَلْبِ
وقال أبو العلاء المعري :

وَالسَّمْهَرِيَّةُ لَيْسَ يَشْرَفُ قَدْرُهَا حَتَّى يُسَافِرَ لَدْنَهَا عَنْ غَايِبِ
وَالْعَضْبُ لَا يَشْفِي أَمْرًا مِنْ ثَارِهِ إِلَّا بِفَقْدِ نِجَادِهِ وَقِرَابِهِ
وَاللَّهُ يَرَعَى سَرَحَ كُلِّ فَضِيلَةٍ حَتَّى يُرَوِّحَهُ إِلَى أَرْبَابِهِ
وقال أيضا :

وَهَجِيرَةٌ كَالْفَجْرِ مَوْجُ سَرَابِهَا كَالْبَحْرِ لَيْسَ لَهَا مِنْ طُحْبِ
أَوْفَى بِهَا الْحِرَاءُ عَوْدَى مِنْبَرِ لِلظُّهْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَخْطُبِ
فَكَأَنَّهُ رَامَ الْكَلَامَ فَمَسَّهُ عِيٌّ فَأَسْعَدَهُ لِسَانُ الْجُنْدُبِ
وقال الآخر :

وَمَا رَحِمُ الْأَهْلِينَ إِنْ سَالَمُوا الْعِدَى بِمُجْدِيَةٍ إِلَّا مُضَاعَفَةُ الْكَرْبِ
وَلَكِنْ أَخُو الْمَرْءِ الَّذِينَ إِذَا دَعَا أَجَابُوا بِمَا يُرْضِيهِ فِي السَّلَامِ وَالْحَرْبِ
وقال الآخر :

مَا الْمَرْءُ أَخُوكَ إِنْ لَمْ تُلْفِهِ وَزَرًّا عِنْدَ الْكَرِيهَةِ مِعْوَانًا عَلَى النُّوبِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ لَفْظَ الْأَخِ فِيهِ لُغَاتٌ : يَقَالُ أَخٌ ، وَهِيَ اللُّغَةُ الْمَشْهُورَةُ ، وَأَخُوٌّ بِسُكُونِ الْخَاءِ عَلَى
مِثَالِ فَرَوٍ ، وَهُوَ الْوَاقِعُ فِي الْبَيْتِ الْمَذْكُورِ ، وَيُقَالُ فِي الْجَمْعِ إِخْوَةٌ وَأَخُونٌ ، وَهَذَا الثَّانِي هُوَ
الْوَاقِعُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مِنْ الْبَيْتَيْنِ قَبْلَ هَذَا ، وَحُذِفَتْ نُونُهُ لِإِضَافَةِ إِلَى الْمَرْءِ ، وَلَيْسَ
مُفْرَدًا بِدَلِيلِ الْإِخْبَارِ عَنْهُ بِالذِّينِ .

(29) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : صَاحٍ هَكَذَا رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ....

وقال الآخر :

لَعَمْرُكَ مَا حَقُّ أَمْرِي لَا يَعْدُلُنِي عَلَى نَفْسِهِ حَقًّا عَلَيَّ بِوَاجِبٍ
وَمَا أَنَا لِلنَّائِي عَلَيَّ بَوْدُهُ بُودُنِي وَصَافِي خُلَّتِي بِمُقَابِرٍ
وَلَكِنَّهُ إِنْ مَالَ يَوْمًا بِجَانِبٍ مِنَ الصَّدَقِ وَالْهَجْرَانِ مِلْتُ بِجَانِبٍ
وَتَقْدَمُ نَحْوَ هَذَا . وَقَالَ جَرِيرٌ ، وَقَدْ كَانَ اشْتَرَى جَارِيَةً مِنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ يَقَالُ لَهُ زَيْدٌ ،
فَفَرَّكَتُهُ وَخَنَّتْ إِلَى بَائِعِهَا :

تُكَلِّفُنِي مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِي بِالْمَرْقَقِ وَالصَّنَابِ ؟ (30)
وَقَالَتْ : لَا تَتَّصِمُ كَضْمِ زَيْدٍ ، وَمَا ضَمِّي وَلَيْسَ مَعِيَ شَبَابِي ؟
فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

وَإِنْ تَفَرَّكَتْ عِلْجَةً آلِ زَيْدٍ وَيُعْوزُكَ الْمَرْقَقُ وَالصَّنَابُ
فَقَدِّمًا كَانَ عَيْشُ أَبِيكَ مُرًّا يَعِيشُ بِمَا يَعِيشُ بِهِ الْكِلَابُ
وَالصَّنَابُ بِكَسْرِ الصَّادِ . قَالَ الْمُبَرِّدُ : هُوَ صَبَاغٌ يُتَّخَذُ مِنَ الْخُرْدِ وَالزَّبْيَبِ ، وَمِنْ ذَلِكَ
قِيلَ لِلْفَرَسِ صِنَابِي إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ اللَّوْنِ .

وقال الآخر :

وَيَأْخُذُ عَيْبُ الْمَرْءِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ مُرَادٌ لَعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبُ
قِيلَ وَهَذَا الْبَيْتُ مَبْنِيٌّ عَلَى كَلَامِ الْأَحْنَفِ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ : دُلَّنِي عَلَى رَجُلٍ كَثِيرِ
الْعُيُوبِ ! فَقَالَ : اطْلُبْهُ عِيَابًا ، فَإِنَّمَا يَعِيبُ النَّاسُ بِفَضْلِ مَا فِيهِ !

وقال الآخر :

بَلَى الْمَنَابِرَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ وَهَلٍ وَاسْتَطْعَمَ الْمَاءَ لَمَّا جَدَّ فِي الْهَرَبِ
وَأَلْحَنَ النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّشْدِيدِ فِي الْخُطْبِ
وَهَذَا الشَّعْرُ قَالَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ ، وَكَانَ مِنَ الْخُطَبَاءِ الْبُلْغَاءِ ؛
فَصَعَدَ الْمَنْبِرَ ذَاتَ يَوْمٍ فَخَرَجَ عَلَيْهِ الْمُغِيرَةُ بْنُ سَعْدٍ بِالْكَوْفَةِ فِي عَشْرِينَ رَجُلًا ،
فَعَطَّوْا بِهِ ، فَعَيَّيَ خَالِدٌ وَقَالَ : أَطْعِمُونِي مَاءً ! وَهُوَ عَلَى الْمَنْبِرِ ، فَعُيِّرَ

(30) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (مَادَّةُ صَنْب) : وَمَنْ لِي بِالْمَرْقَقِ وَالصَّنَابِ .

بذلك، وكتب هشام" إليه رسالة وبَّخه فيها، وقيل فيه ما تقدّم وقال فيه أيضا يحيى بن نوّفل :

لأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَّةٍ وَعَبْدٍ لَتِيمٍ الْأَصْلُ فِي عَدَدٍ يَسِيرٍ
هَتَفَتْ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعِمُونِي شَرَابًا ثُمَّ بُلْتُ عَلَى السَّرِيرِ !
وسياتي في الحِكم إن شاء الله ذكرُ كثيرٍ ممَّن أُرْتِجَ عَلَيْهِ في الكلام.

وقال محمد بن أبي عِيْنَةَ يعاتب بعض الأشراف :

أَتَيْتُكَ زَائِرًا لِقَضَاءِ حَقٍّ فَحَالَ السِّتْرُ دُونَكَ وَالْحِجَابُ
وَعِنْدَكَ مَعْشَرٌ فِيهِمْ أَخٌ لِي
وَلَسْتُ بِسَاقِطٍ فِي قِدرِ قَوْمٍ وَرَائِي مَذْهَبٌ عَنْ كُلِّ نَاءٍ
وقال آخر :

فَلَلَهُ مِنِّي جَانِبٌ لَا أَضِيعُهُ وَلَلَّهُ مِنِّي وَالْبِطَالَةَ جَانِبُ
وقال الآخر :

وَيَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا تُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ⁽³¹⁾
وقال الآخر :

أَخٌ لِي كَأَيَّامِ الْحَيَاةِ إِخَاؤُهُ تَلَوَّنَ أَحْيَانًا عَلَيَّ خُطُوبُهَا
إِذَا عِبْتُ مِنْهُ خَلَّةٌ فَهَجَرْتُهُ دَعَنْتَنِي إِلَيْهِ خَلَّةٌ لَا أَعِيبُهَا
وقال الآخر :

مَالِي عَقْلِي وَهَمَّتِي حَسْبِي مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي
إِنْ انْتَمَى مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ فَإِنِّي مُنْتَمٍ إِلَى أَدَبِي
وهذا مثلك قول عامر بن الطفيل :

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ سَيِّدٍ عَامِرٍ وَفِي السِّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحُ الْمُهْذَبُ
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَاقَةٍ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأَمٍّ وَلَا أَبِ

(31) سقط هذا البيت من أ.

ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكبي
وقول بعض الأشراف الطالبيين :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
وقول الحسين رضي الله عنه، وقد أجزل صلة شاعر فليهم على ذلك فقال : أتراني خفت
أن يقول لست من فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ولا علي بن أبي طالب رضي الله
عنه ؟ ولكنني خفت أن يقول لست كمثليهما فيصدق ويحمل عنه، ويبقى مخلدًا
في الكتب على السنة الرواة . فقال ذلك الشاعر حينئذ : أنت والله يا ابن رسول الله أعرف
بالمدم والذم مني !

ويحكى أن رجلا تكلم بين يدي عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب . فقال له، وقد
أعجبه : ابن من أنت يا غلام ؟ قال : ابن نفسي، يا أمير المؤمنين، التي نلت بها هذا المقام
منك . وأخذه بعض الشعراء فقال :

كُنْ ابْنُ مَنْ شِئْتَ وَاتَّخِذْ أَدَبًا يُغْنِيكَ مَأْثُورٌ عَنِ الْحَسَبِ
إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَا أَنَا ذَا لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي
وآخر في قوله :

كُنْ ابْنُ مَنْ شِئْتَ وَكُنْ مُؤَدِّبًا فَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِفَضْلِ حَسَبِهِ
وَلَيْسَ مَنْ تَكْرَمُهُ لِغَيْرِهِ مِثْلَ الَّذِي تَكْرَمُهُ بِنَفْسِهِ
وحكى عن يحيى بن أکثم قال : بينما أنا يوما جالس مع المأمون إذ دخل الدار ، فتى
أبرع الناس زيًا وهيبةً ووقارًا، وهو لا يلتفت إعجابًا بنفسه . فنظر إليه المأمون فقال : يا
يحيى، هذا لا يخلو أن يكون هاشميًا أو نحويًا . ثم بعث من يتعرف ذلك منه، فإذا هو
نحوي . فقال المأمون : يا يحيى، أعلمت أن علم النحو قد بلغ بأهله من عزّة النفس وعلو
الهمة منزلة بني هاشم في شرفهم ؟ يا يحيى، مَنْ قَعَدَ بِهِ نَسَبُهُ، نَهَضَ بِهِ
أَدَبُهُ !

ومثله قول أبي العلاء المعري :

لَوْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ
لَوَلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ
وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا الَّذِي
وقول أبي محمد الحريري رحمه الله :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا
وقول أبي الطيب :

مَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بِكَ شَرَفُوا بِي
والشعر في هذا المعنى كثير، وأصل هذا كله قوله تعالى وَجَلَّتْ كَلِمَتُهُ : إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، وقوله تعالى : إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، وقوله صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ : أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا النَّاسُ إِخْوَةٌ، وَلَيْسَ
لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى . أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ
وإنَّ أباكم واحدٌ، كُلكُمْ لِآدَمَ وَآدَمٌ مِنْ تَرَابٍ، وَأَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَاكُمْ . وهو قطعٌ لما كانت فيه العرب من الافتخار بالأباء.
ولعلي كرّم الله وجهه :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمْيِيزِ أَكْفَاءُ
أَبُوهُمْ أَدَمٌ وَالْأُمُّ حَوَاءُ (32)
ويُنْسَبُ إِلَيْهِ :

مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ
وَقَدَرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ
وقال الآخر :

لَئِنْ فَخَرْتَ بِأَبَاءٍ لَهُمْ كَرَمٌ
وقال الكُمَيْتُ :

وَمَا اسْتَنْزَلْتَ فِي غَيْرِنَا قَدِرَ جَارِنَا
وَلَا ثَفُفْتَ إِلَّا بَنَا حِينَ تَنْصَبُ

(32) سقط هذا البيت من ب.

وقال أبو الطّمحان :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ قَامَ صَاحِبُهُ
نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا انْفَضَّ كَوْكَبٌ بَدَأَ كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَضَاعَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَاقِبُهُ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانَ مَسْوَدٌ تَصِيرُ الْمَنَايَا حَيْثُ صَارَتْ كِتَائِبُهُ
قوله : نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَاقِبُهُ، يريد أَنَّهُمْ لو استضاء بضياءهم في غياهب الظلام من
يَتَّقُبُ الْخَرَزَ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ شَيْءَ لَأَبْصَرَ ذَلِكَ، فكيف بما هو أظھر ؟ وهذه غاية المبالغة
في تنزيل المعقول منزلة المحسوس.

وقال الآخر :

شَرَبْنَا شَرَابًا طَيِّبًا عِنْدَ طَيِّبٍ كَذَاكَ شَرَابُ الطَّيِّبِينَ يَطِيبُ
شَرَبْنَا وَأَهْرَقْنَا عَلَى الْأَرْضِ فَضْلَةً فَلِلْأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكِرَامِ نَصِيبٌ
وقال السّلاميّ :

تَبَسَّطْنَا عَلَى الْأَثَامِ لَمَّا رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذُّنُوبِ
وهو كقول المأمون :

لَوْ عَلِمَ أَرْبَابُ الْجَرَائِمِ تَلَذُّذَنَا بِالْعَفْوِ لَتَقَرَّبُوا إِلَيْنَا بِالذُّنُوبِ
وهو مأخوذ من قول أبي نواس :

تَعَصُّ نَدَامَةٌ كَفَّيْكَ مِمَّا تَرَكْتَ مَخَافَةَ النَّارِ السَّرُورَا
وقال ضابيّ بن الحارث :

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ وَفَإِنِّي وَقِيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ
وَمَا عَاجِلَاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الْفَتَى نَجَاحًا وَلَا عَنْ رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ⁽³³⁾
وَرَبِّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبٌ
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ
وقال الغنوي :

نَجَاحًا وَلَا عَنْ رَيْثِهِنَّ تَجِيبُ

(33) فِي زَهْرِ الْأَدَبِ (1: 479)
وَمَا عَاجِلَاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الْفَتَى

وهلَكُ الفَتَى أن لا يُرَاحَ على النَّدى
وقال جرير بنُ الخَطَفَى :

فَغَضُّ الطَّرَفِ إِنَّكَ منْ نُمَيْرٍ فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلَابًا !
وبعده :

وَلَوْ وُضِعَتْ شُيُوخُ بني نُمَيْرٍ على الميزانِ ما عَدَلَتْ ذُبَابًا
وكانت بنو نُمَيْرٍ من جَمَرَاتِ العرب، لم يُحَالَفُوا أحدا لعزَّتْهم وقوَّتْهم . فكان الواحد
منهم إذا سئل يقول : من بني نُمَيْرٍ، وَيُفْخَمُ صوته إدلالًا بعزَّتْهم، حتَّى هجا جريرُ
عُبَيْدَ بنَ حُصَيْنٍ منهم بما تقدَّم من قصيدة، فوقعَت فيهم الموقِع، ولم يرفعوا
بعدها رأسًا، حتَّى كانوا يفرُّون من الانتساب الى نُمَيْرٍ لما وُسِمَ به . فكان أحدهم إذا
قيل له : ممَّن أنت ؟ قال : من عامر بن صَعَصَعَةَ، وهو الجدُّ الأكبر.

وممَّا يُحكى أن مولىً لبعض باهلة كان يَرِدُ سوقَ البصرة، فسخر منه بنو نُمَيْرٍ، فذكر
ذلك لمواليه فقالوا له : إذا نَبَزَكَ أحدُهم فقل له :

فَغَضُّ الطَّرَفِ إِنَّكَ منْ نُمَيْرٍ فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلَابًا !
فلمَّا رجع، سَخَرُوا منه ونَبَزُوهُ، فأراد أن يقول البيت فنسيه فقال : غَمَضُ وَإِلَّا جَاءَكَ
مَاتَكَرُهُ ! فكفُّوا عنه عند ذلك وعلموا أنه عرف قول جرير فيهم.

وروي أن امرأةً مرَّت بقوم من بني نُمَيْرٍ، فأخذوا ينظرون إليها ويتواصفونها، فقالت :
قَبِّحَكُمُ اللَّهُ يا بني نُمَيْرٍ ! ما امْتَنَلْتُمُ واحدةً من اثنتين : لا قولَ اللَّهِ تعالى حيث
يقول : قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ، ولا قولَ جرير حيث يقول : فَغَضُّ
الطَّرَفِ (البيت) . فأفحموا بذلك وذهبوا.

وأحاط بعض بني نمير جريرا عن شعره فقال :

نُمَيْرٌ جَمْرَةُ الْعَرَبِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ فِي الْحَرْبِ تَلْتَهَبُ التَّهَابَا
وَإِنِّي إِذْ أَسْبُ بِهَا كُلِّيبًا فَتَحْتُ عَلَيْهِمُ لِلْخَسَفِ بَابَا
وَلَوْ أَنَّ يُقَالَ هَجَا نُمَيْرَا وَلَمْ نَسْمَعْ لَشَاعِرِهِمْ جَوَابَا
رَغَبْنَا عَنْ هِجَاءِ بَنِي كُلِّيبٍ وَكَيْفَ يُشَاتِمُ النَّاسُ الْكِلابَا ؟

فما ضَرَّ ذلك كليبًا ولا جريرًا ولا نفعَ نُمَيْرًا. وقصيدة جرير المذكورة هي التي سمّاها
الدَّامِغَةَ. ولاستمرار الضعة في بني نمير بهجاء جرير قال ابن منذر يهجو ثَقِيفًا :
وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجَائِي كَمَا وَضَعَ الْهَجَاءُ بُنِي نُمَيْرِ
وقال عَنَترة العبسي يخاطب امراته :

لَا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ فَيَكُونُ جِلْدَكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ
إِنَّ الْغَبُوقَ لَهُ وَأَنْتِ مَسْوُودَةٌ فَتَأْوِي مَا شِئْتَ ثُمَّ تَحَوِّي
كَذَبَ الْعَتِيقِ وَمَاءِ شَنِ بَارِدٍ إِنْ كُنْتَ سَائِلَتِي غَبُوقًا فَادْهَبِي !
قوله الْعَتِيقُ، يجوز نصبه ورفعهُ، ومعناه على الجملة الاغراء، أي : عليك بالعتيق، وهو
التمر القديم، ولاعرابه تحقيق في علم النحو مشهور.

وقال الآخر :

خُذْ مِنْ أَخِيكَ الْعَفْوَ وَاغْفِرْ ذُنُوبَهُ وَلَا تَكُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ تُعَاتِبُهُ
فَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَى أَخَاكَ مُهَذَّبًا وَأَيُّ أَمْرٍ يَنْجُو مِنَ الْعَيْبِ صَاحِبُهُ ؟
أَخُوكَ الَّذِي لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهُ وَلَا عِنْدَ صَرْفِ الدَّهْرِ يَزُورُ جَانِبَهُ
وَلَيْسَ الَّذِي يُلْقَاكَ بِالْبِشْرِ وَالرَّضَى وَإِنْ غِيبَتْ يَوْمًا لَسَعَتْكَ عَقَارِبُهُ
وقال رجل من بني ضَبَّةَ لعبد الملك :
وَاللَّهِ مَا نَدْرِي إِذَا مَا فَاتَنَا طَلَبٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي نَتَطَلَّبُ
فَلَقَدْ ضَرَبْنَا فِي الْبِلَادِ فَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا سِوَاكَ إِلَى الْمَكَارِمِ يُنْسَبُ
فَاصْبِرْ لِعَادَتِنَا الَّتِي عَوَّدْتَنَا أَوْ لَا فَارْشِدْنَا إِلَى مَنْ نَذْهَبُ
فقال له عبد الملك : إِلَيَّ ! إِلَيَّ ! وأكرمه وحباه.

وقال ضَمْرَةُ بنُ ضَمْرَةَ :

بَكَرْتُ تَلُومَكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسَلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِثَابِي !
وَلَقَدْ عَلِمْتُ فَلَا تَظُنُّنِي غَيْرُهُ أَنْ سَوْفَ تَخْلِجُنِي سَبِيلُ صِحَابِي
أَصْرُهَا وَبُنْيُ عَمِّي سَاغِبٌ ؟ فَكَفَاكَ مِنْ إِبْرَةِ عَلِيٍّ وَعَابِ
أَرَأَيْتَ إِنْ صَرَخْتُ بِكَلِيلِي هَامَتِي وَخَرَجْتُ مِنْهَا بِالْيَ الْأَثْوَابِ

هَكَ تَخْمُشْنَ إِبِلِي عَلَيَّ وَجُوهَهَا أَمْ تَعْصَبْنَ رُؤُوسَهَا بِسِلَابٍ ؟
قوله بَسَلٌ ، أي حَرَامٌ ، كقول زهير :

بِلَادٌ بِهَا نَادَمْتُهُمُ وَالْفَتْهُمُ فَإِنْ تَقَوَّيَا مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ بَسَلٌ
وقوله تَخْلَجْنِي ، أي تَجْذِبُنِي ، والخَلَجُ الجَذْبُ ، ومنه خَلِجَ الماءُ لَانْجِذَابِهِ
إلى نَاحِيَةٍ ؛ وَالسَّاعِبُ الجَائِعُ ؛ وَالآبَةُ : الْحَيَاءُ .
وقال الآخر :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَرْعُمُ أَنْنِي صَدِيقُكَ إِنَّ الرَّأْيَ مِنْكَ لِعَازِبٌ
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّني رَأْيَ عَيْنِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّني وَهُوَ غَائِبٌ
وقال الآخر :

إِذَا مَا عَلُوا قَالُوا أَبُونَا وَأُمَّنَا وَلَيْسَ لَهُمُ عَالِينَ أَمْ وَلَا أَبٌ
أَي إِذَا غَلَبُوا انْتَسَبُوا وَتَحَبَّبُوا وَتَقَرَّبُوا ، وَإِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ تَعَظَّمُوا وَتَبَرَّؤُوا وَتَبَرَّموا ،
وهذا فعل اللئيم .

ذكر أبو علي البغدادي عن ابن الكلبي عن أبيه قال : كان مَرْتَدُ الْخَيْرِ بْنِ يَنْكَفَ (34) قَيْلاً
مِنْ أَقْيَالِ الْيَمَنِ ، وَكَانَ حَدَبًا عَلَى عَشِيرَتِهِ مُحِبًّا لَصَالِحِهَا . وَكَانَ سُبَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ
وَمَيْثَمُ بْنُ مَثُوبِ بْنِ ذِي رُعَيْنٍ تَنَازَعَا الشَّرْفَ حَتَّى تَشَاحَنَا ، وَخِيفَ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ
حَيَّتَيْهِمَا شَرٌّ فَيَتَفَانِيَا . فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا مَرْتَدٌ فَأَحْضَرَهُمَا لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ لَهُمَا : إِنْ
الْتَخَفْتُ وَامْتِطَاءَ الْهَجَاجِ ، وَاسْتَحَقَّابَ اللَّجَاجِ ، سَيَقِفُكُمَا عَلَى شَفَا هُوَّةٍ فِي
تَوَرُّدِهَا بِوَارِ الْأَصِيلَةِ ، وَانْقِطَاعِ الْوَسِيلَةِ . فَتَلَاقِيَا أَمْرَكُمَا قَبْلَ انْتِكَائِ الْعَقْدِ ،
وَانْحِلَالِ الْعَهْدِ ، وَتَشْتَتِ الْأَلْفَةُ ، وَتَبَايُنُ السُّهُمَةُ ! وَأَنْتُمَا فِي فُسْحَةٍ رَافِيَةٍ ،
وَقَدَمٍ وَاطِدَةٍ ، وَالْمُودَّةُ مُثْرِيَةٌ ، وَالْبُقْيَا مُعْرِضَةٌ . فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ
الْعَرَبِ مِمَّنْ عَصَى النَّصِيحَ ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ ، وَأَصْغَى إِلَى التَّقَاطُعِ . وَرَأَيْتُمْ مَا آلَتْ إِلَيْهِ
عَوَاقِبُ سَوْءِ سَعْيِهِمْ ، وَكَيْفَ كَانَ صَيُورُ أَمْرِهِمْ قَبْلًا ، فَتَلَاقُوا الْقَرْحَةَ قَبْلَ
تَفَاقُمِ النَّأْيِ وَاسْتِفْحَالِ الدَّاءِ وَإِعْوَازِ الدَّوَاءِ ! فَإِنَّهُ إِذَا سَفِكَتِ الدِّمَاءُ ،

(34) لَعَلَّه يَنْوُفُ فَهُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ مُلُوكِ حَمِيرٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

اسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاءُ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاءُ، تَقْصَبَتْ عُرَى الْإِبْقَاءِ،
وَشَمِلَ الْبَلَاءُ. فَقَالَ سُبَيْعٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ عِدَاؤَةَ بَنِي الْعَلَاتِ، لَا تَبْرِئُهَا
الْأَسَاءَةَ، وَلَا تَشْفِيهَا الرُّقَاةَ، وَلَا تَسْتَقِيلُ بِهَا الْكُفَاةَ ؛ وَالْحَسَدُ الْكَامِنُ، هُوَ الدَّاءُ الْبَاطِنُ.
وَقَدْ عَلِمَ بَنُو أَبِيْنَا هَؤُلَاءِ أَنَّ لَهُمْ رَدَّءٌ⁽³⁵⁾ إِذَا رَهَبُوا، وَغَيْثٌ إِذَا أُجْدَبُوا، وَعَضُدٌ إِذَا
حَارَبُوا، وَمَفْزَعٌ إِذَا نَكَبُوا ؛ وَأَنَا وَإِيَّاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

إِذَا مَا عَلُوا قَالُوا أَبُونَا وَأَمْنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عَالِيْنَ أُمَّ وَلَا أَبُ
فَقَالَ مَيْثَمٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ مَنْ نَفْسَ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ الرَّعَامَةِ، وَجَدَبَهُ فِي الْمَقَامَةِ،
وَاسْتَكْثَرَ لَهُ قَلِيلَ الْكَرَامَةِ، كَانَ قَرَفًا بِالْمَلَامَةِ، وَمُؤَنَّبًا عَلَى تَرْكِ الْإِسْتِقَامَةِ. وَأَنَا وَاللَّهِ مَا
نَعْتَدُ لَهُمْ بِيَدٍ إِلَّا وَقَدْ نَالَهُمْ مِنْ كِفَاؤُهَا، وَلَا نَذْكُرُ لَهُمْ حَسَنَةً إِلَّا وَقَدْ تَطَلَّعَ إِلَيْهِمْ
مَنْجَرَاؤُهَا، وَلَا تَفِيئًا لَهُمْ عَلَيْنَا ظِلٌّ نِعْمَةً إِلَّا وَقَدْ قَوَّبَلُوا بِشِرْوَاهَا. وَنَحْنُ بَنُو فَحْلٍ
مُقَرَّمٍ لَمْ تَعْدُ بَنَا الْأُمَهَاتِ وَلَا بَهُمْ، وَلَمْ تَنْزَعْنَا أَعْرَافُ السَّوْءِ وَلَا إِيَّاهُمْ. فَعَلَامَ مَطَّ
الْخُدُودِ، وَخَزَرُ الْعِيُونِ، وَالْجَخِيفُ وَالْتَّصَعْرُ، وَالْبَاؤُ وَالتَّكْبَرُ ؟ الْكَثْرَةُ عَدَدٌ، أَمْ
لِفَضْلٍ جَلَدٌ، أَمْ لَطُولٍ مُعْتَقَدٌ ؟ وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

لَا إِبْنَ عَمِّكَ لَا أَفْصَلْتَ فِي حَسْبٍ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دِيَّانِي فَتَخْزُونِي⁽³⁶⁾
وَمَقَاطِعُ الْأُمُورِ ثَلَاثَةٌ : حَرْبٌ مُبِيرَةٌ، أَوْ سِلْمٌ قَرِيرَةٌ، أَوْ مُدَاجَاةٌ غَفِيرَةٌ. فَقَالَ
الْمَلِكُ : لَا تَنْشِطُوا عَقْلَ الشُّوَارِدِ، وَلَا تَلْقَحُوا الْعُيُونَ الْقَوَاعِدَ، وَلَا تُورَثُوا نِيرَانَ
الْأَحْقَادِ ! ففِيهَا التَّلَفَةُ الْمُسْتَأْصَلَةُ، وَالْجَائِحَةُ وَالْأَلِيلَةُ ؛ وَعَفُّوا بِالْحِلْمِ، أَبْلَادَ الْكَلَمِ،
وَأَنِيَبُوا إِلَى السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ، وَالْمَنْهَجِ الْمَقْصَدِ ! فَإِنَّ الْحَرْبَ تَقْبِلُ بِزَبْرِجِ الْعُرُورِ،
وَتُدِيرُ بِالْوَيْكِ وَالثُّبُورِ. ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ :

أَلَا هَكَذَا أَتَى الْأَقْوَالُ بِذُلِّيْ نَصِيحَةٍ
وَقُلْتُ أَعْلَمُ أَنَّ التَّدَابُرَ غَادَرْتُ
فَلَا تَقْدَحًا زَنْدَ الْعُقُوقِ وَأَبْقِيَا
وَلَا تَجْنِيَا حَرْبًا تَجْرُ عَلَيْكُمَا
حَبَوْتُ بِهَا مَنِّي سُبَيْعًا وَمَيْثَمًا ؟
عَوَاقِبُهُ لِلذَّلِّ وَالْقُلِّ جُرْهُمَا
عَلَى الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ أَنْ تَتَهَدَّمَا
عَوَاقِبُهَا يَوْمًا مِنَ الشَّرِّ أَشْمَا

(35) فِي آيَةٍ : أَنْ لَهُمْ رَدَّءٌ.....
(36) الْبَيْتُ لِذِي الْأَصْبَعِ الْعَدَوَانِيِّ.

فَإِنَّ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ تَفُوقُهُمْ مِنْهَا الرُّعَافُ الْمُقْسَمَا
حَذَارٌ فَلَا تَسْتَنْبِثُوهَا فَإِنَّهَا تَغَادِرُ ذَا الْأَنْفِ الْأَشْمُ مُكْشَمًا
فَقَالَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ، بَلْ نَقْبَلُ نَصْحَكَ، وَنُطِيعُ أَمْرَكَ ؛ وَنُطْفِئُ النَّائِرَةَ، وَنَحْلُ
الضَّغَائِنَ، وَنَتُوبُ إِلَى السَّلَامِ.

قال أبو بكر بن دريد : التَّخَفُّطُ رُكُوبُ الرَّجُلِ رَأْسَهُ فِي الشَّرِّ خَاصَّةً. قال أبو علي : ولم
أسمع هذه الكلمة من غيره. فَأَمَّا التَّخَمُّطُ بِالْمِيمِ فَالتَّكَبُّرُ. انتهى . وكذا مَنْ رَأَيْنَا مِنْ
اللُّغَوِيِّينَ لَمْ يَذْكُرُوا تِلْكَ الْمَادَّةَ أَصْلًا. وَرَكِبَ الرَّجُلُ هَجَاجَةً : لَجَّ وَمَحَكَ. قاله ابن دريد.
وفي الصحاح : رَكِبَ هَجَاجٌ غَيْرَ مَنْصَرَفٍ، وَرَكِبَ هَجَاجٌ كَقَطَامٍ : رَكِبَ رَأْسَهُ،
وَأَنشَدَ :

وَقَدْ رَكِبُوا عَلَى لَوَمِي هَجَاجٍ

وَاسْتَحْقَابَ اللَّجَاجَ اسْتِفْعَالٌ، إِمَّا مِنْ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ، وَهُوَ مَا يَكُونُ وَرَاءَ الرَّحْلِ يُمْلَأُ
حَشِيشًا أَوْ تَبْنًا، وَإِمَّا مِنَ الْحِقَابِ، وَهُوَ بَرِيمٌ تَشَدُّ بِهِ الْمَرَأَةُ وَسَطَهَا. وَعَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ
اسْتَحْقَابُ اللَّجَاجِ مَعْنَاهُ جَعْلُهُ فِي الْوَعَاءِ ؛ وَعَلَى الثَّانِي يَكُونُ مَعْنَاهُ الْإِضْرَارُ بِهِ عَلَى
الْمَجَازِ فِيهِمَا ؛ وَالْهُوَّةُ : الْحُفْرَةُ. وَالْبَوَارُ : الْهَلَاقُ ؛ وَالْأَصِيلَةُ : الْأَصْلُ : وَالْإِنْتِكَاتُ :
الْإِنْتِقَاضُ. وَرَافِقَةٌ : نَاعِمَةٌ. وَوَاطِدَةٌ : ثَابِتَةٌ. وَمُثْنَرِيَّةٌ : مَتَّصِلَةٌ، مِنَ الثَّرَى وَهُوَ التُّرَابُ
النَّدِيّ. وَالْمَعْرُضَةُ : الْمُمْكِنَةُ، مِنْ أَعْرَاضِ الصَّيْدِ إِذَا امْكَنَ مِنْ عَرْضِهِ، أَيْ جَنْبِهِ
لِيُرْمَى. وَصَيُورُ الْأَمْرِ : مَا يُؤَوَّلُ إِلَيْهِ . وَاسْتَفْحَالُ الدَّاءِ : اشْتِدَادُهُ. وَتَقَصَّبَتْ :
تَقَطَّعَتْ. وَالْأَسَاءَةُ : الْأَطْبَاءُ. وَالرَّعَامَةُ : الرَّئِاسَةُ : وَجَدْبُهُ فِي الْمَقَامَةِ، أَيْ عَابَهُ،
وَالْمَقَامَةُ : الْمَجْلِسُ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ الْجَلَّاسُ، وَيَحْتَمِلُهُمَا قَوْلُ زَهِيرٍ :

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
وَقَرَفًا بِالْمَلَامَةِ، أَيْ خَلِيقًا لَهَا. وَشَرَوَاهَا : مَثَلُهَا. وَالْخَزَرُ : النَّظَرُ بِمُؤَخَّرِ الْعَيْنِ، وَهُوَ
مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ الْيَوْمَ. وَالْجَخِيفُ : التَّكَبُّرُ. وَالْمَدَاجَاةُ : الْمَسَاةَرَةُ. وَالْغَفِيرَةُ :
الْغَفْرَانُ. وَلَا تُنْشِطُوا : لَا تَحْلُوا. وَلَا تُلْقِحُوا الْعُونَ : لَا تَسْعُرُوا الْحَرْبَ، وَأَصْلُهُ فِي
الْأَبْلِ ؛ يُقَالُ : لَقَحَتِ النَّاقَةُ إِذَا حَمَلَتْ وَأَلْقَحَهَا الْفَحْلُ. وَالْعُونَُ جَمْعُ عَوَانٍ، وَهِيَ الثَّيِّبُ،

وتستعار للحرب التي قوتك فيها مرة أخرى. وتورثوا : تذكروا . والليلَة : التَّكَلُّ.
والبلاد : الآثار، واحداها بلد. والقعاء : الثابتة. وتَفَوَّقَهُم : تَسْقِيهِمُ الفُوقَ، أي ما
بَيْنَ الحَلْبَتَيْنِ. وتَسْتَنْبِئُوهَا : تَسْتَخْرِجُوا نَبِيئَهَا، والنَّبِيئةُ في الأصل
ما يُخْرَجُ من البئر إذا حفرت. ومُكَشَّمٌ : مقطوع.

وقال الآخر :

يَرَى الحَاضِرِ الشَّاهِدِ المُطْمَئِنُّ مِنْ الأَمْرِ مَا لَا يَرَى الغَائِبُ
وقال الأحمص :

قَالَتْ وَقُلْتُ تَحَرَّجِي وَصِلِي حَبْلَ أَمْرِي بِوَصَالِكُمْ صَبْ
صَاحِبُ إِذَا بَعَلِي فَقُلْتُ لَهَا الغَدْرُ شَيْءٌ لَيْسَ مِنْ ضَرْبِي
ثِنْتَانِ لَا أَدْنُو لَوْصَلِيهِمَا: عِرْسُ الْخَلِيكِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ
أَمَّا الْخَلِيكِ فَلَسْتُ فَاجِرُهُ والجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي
عُوجًا كَذَا نَذَكُرُ لِعَاقِبَةِ بَعْضَ الْحَدِيثِ مَطِيئَكُمْ صَحْبِي
وَنَقُلْ لَهَا فِيهِمُ الصَّدُودُ وَلَمْ أَذْنِبَ بَكَ أَنْتِ بَدَأْتَ بِالذَّنْبِ
إِنْ تُقْبَلِي نَقْبِكَ وَنُنْزَلَكُمْ مِنَّا بِيَدَارِ السَّهْلِ وَالرُّحْبِ
أَوْ تُدِيرِي تَكْدُرُ مَعِيشَتُنَا وَتُصَدِّعِي مُتَلَايِمَ الشَّعْبِ

ولما سمع أبو السائب هذا الشعر قال : هذا المحب عينا لا الذي يقول :

وَكُنْتُ إِذَا حَبِيبٌ رَأَمَ صَرْمِي وَجَدْتُ وَرَائِي مُنْفَسِحًا عَرِيضًا
اذهب، فلا صَحْبِكَ اللَّهُ وَلَا وَسَعَمَ عَلَيْكَ !

قلت : وإنما قال ذلك لأنهم يرون أن فضيلة المحب وكمال العاشق أن يتطبع
بِلِوَاعِمِ البَلْبَالِ، ويستديم الصَّبَابَةَ على كلِّ حال.

وحدث بعض الأدباء قال : قال عروة بن عبد الله : نزل ابنُ أذينة في دارنا بالعقيق،
فسمعته يُنشد :

إِنَّ اللَّتِي زَعَمْتَ فَوَادَكَ مَلَّهَا خَلَقْتُ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا
كَيْفَ الَّذِي زَعَمْتَ بِهِ وَكِلَاهُمَا أَبَدَى بِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا ؟

ولعمري لو كان حبك فوقها
وإذا وجدت لها وسوس سكرة
بيضاء باكرها النعيم فصاغها
لما عرضت مسلمالي حاجة
منعت تحيتها فقلت لصاحبي
فدنا وقال لعلها معذرة
قال وبلغ ذلك أبا السائب المخزومي، فاتاني وقال : أنشدني ما سمعت من عروة
أدينة، فأنشدته إيّاها، فلما بلغت البيت الأخير طرب وقال: هذا والله الدائم الصبابة
الصادق، لا الذي يقول :

إن كان أهلك يمنعونك رغبةً عني فأهلي بي أضن وأرغب
ثم قلت : هلم إلى الطعام ! فقال : والله ما كنت لأخلط بلذة هذه الأبيات طعاماً إلى
الليل ! وانصرف.

قلت : ووقع ما يشبه العيب المذكور في قول امرئ القيس :
أسماء أمسى ودّها قد تغيّرا سنبدل إن أبدلت بالودّ آخر
ومن نمط المحمود في استدامة الحب والصبابة قول بعضهم :
إذا ما صديق أسا مرة وقد كان فيما مضى مجلّا
ذكرت المقدّم من فعله فلا ينقض الآخر الأول
وقول الآخر، وينسب للمجنون أو إبراهيم بن العباس :

تطلّع من نفسي إليك نوازع
وزالت زوال النفس عن مستقرّها
عوارف أن اليأس منك نصيبها
فمن مخبري في أي أرض غروبها ؟
بهاجر ومغفور ليلي ذنوبها
وقال الآخر :

ومن شغفي فيكم ووجدي أنني
ويحسن قبج الفعل إن جاء منكم
أهون ما ألقاه وهو هوان
كما طاب ريح العود وهو دخان

وقال الآخر :

إن أُمّتٌ وجداً فليَ قَدَمٌ
أو تُرْقَ تِلْكَ التَّلَاحُظُ دَمِي

وقال الآخر :

أبداً أزيدُ مَعَ الوَصَالِ تَلَهُّفًا
ويزِيدُنِي كَلْفًا فَاذْكَرْ فِعْلَهُ

وقال الآخر :

فَرَّقْتَ بَيْنَنَا الحَوَادِثُ لَكِنْ
وَكَانِي فِي الودِّ فَارَةً مِسْكِرَ

وقال الآخر :

وَإِذَا المَلِيحُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ
وقال بعضهم فيه :

مَا ذَلَّتِي فِي حُبِّكُمْ وَخُضُوعِي
دِينُ الهَوَى ذَلٌّ وَجِسْمٌ نَاحِلٌ
كَمْ قَدْ لَحَانِي فِي هَوَاكُم لَائِمٌ
مَا يُحَدِّثُ التَّقْبِيحُ عِنْدِي سَلَوَةٌ
وَإِذَا المَلِيحِي أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ

وقال الحكيم :

مُسْتَقْبَلُ الْبَالِذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ
وَقَوْلُ أَبِي فِرَاسٍ الحَمْدَانِي :

أَسَاءَ فَرَادَتُهُ الْإِسَاءَةُ حُظْوَةٌ
تَعُدُّ عَلَيَّ الْوَشِيَّاتُ ذُنُوبَهُ

وقال الآخر :

بِي إِلَى حَتْفِ الهَوَى سَعَتِ
فَقِي فِي حَلٍّ وَفِي سَعَةٍ

كَالْعِقْدِ فِي جِيدِ الْمَلِيحَةِ يَقْلُقُ
كَالْمِسْكِ تَسْحَقُهُ الْأَكْفُ فَيَعْبَقُ

فِي نَفْسٍ إِلَيْكُمْ أَدْنِيهَا
أَفْرِغْهَا وَنَفْحَةُ الطَّيِّبِ فِيهَا

جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِالْفِ شَفِيعِ

عَارٌ وَلَا شَعْفِي بِيكُمْ يَبْدِيعِ
وَسُهَادُ أَجْفَانٍ وَفَيْضُ دُمُوعِ
وَتَنِيْتُ عِطْفِي عَنْهُ غَيْرَ سَمِيعِ
لَكُمْ وَلَوْ جِئْتُمْ بِكُلِّ فَظِيعِ
جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِالْفِ شَفِيعِ

مِنْهُ الذُّنُوبُ وَمَعْدُورٌ بِمَا صَنَعَا
مِنْ الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثُمَا شَفَعَا

حَبِيبٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ حَبِيبٌ
وَأَيْنَ مِنَ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ ذُنُوبٌ ؟

وَكَلَّمَا رُمْتُ أَنْ أَقَابِلَهُ
جَاءَتْ عَلَى غَفْلَةٍ مَحَاسِنُهُ
وَقَالَ الْآخِرُ :

كَلَّمَا أَذْنَبَ أَبَدَى وَجْهَهُ
كَيْفَ لَا يُفْرَطُ فِي إِجْرَامِهِ
وَقَالَ الْآخِرُ :

عَفَّتْ مَحَاسِنُهُ عِنْدِي إِسَاءَتَهُ
وَقَالَ الْآخِرُ :

لِي حَبِيبٌ كَالطَّيِّبِ غَرٌّ وَلَكِنْ
وَإِذَا كَرَّرَ الذُّنُوبَ فَيَكْئِفِيهِ
وَقَالَ الْآخِرُ :

وَمُسْتَنْصِرٌ فِي الْعُذْرِ مُسْتَعَجِلُ الْقَلَى
لَهُ شَافِعٌ فِي الْقَلْبِ مَعَهُ كُلُّ زَلَّةٍ
وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا
وَقَالَ حَاتِمٌ أَوْ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ :

أَصَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ
وَمَا الْخِصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى
وَسَنَذَكُرُ مَا فِي هَذَا النَّزَمِ مِنَ الشَّعْرِ بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عَبَسَ :
إِذَا رَاحَ رَكْبٌ مُسْرِعُونَ فَقَلْبُهُ
وَإِنْ هَبَّ عَلَوِيُّ الرِّيَّاحِ رَأَيْتَنِي
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزُرْ
وَقَالَ آخِرُ :

مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ سَيَكْتُمُ حُبَّهُ

عَلَى تَمَادِيهِ فِي تَعْدِيهِ
تُلْزِمُنِي الصَّفْحَ عَنْ مَسَاوِيهِ

حُجَّةٌ فَهَوَ مَلِيٌّ بِالْحُجْمِ
مَنْ مَتَى شَاءَ مِنَ الذُّنُبِ خَرَجَ

حَتَّى لَقَدْ حَسُنْتَ عِنْدِي مَسَاوِيهِ

بِعَذَابِي فِي الْحُبِّ مَا أَغْرَاهُ !
اعْتِذَارًا مِمَّا جَنَى أَنْ أَرَاهُ

بَعِيدٍ مِنَ الْعُتْبَى قَرِيبٍ مِنَ الْهَجْرِ
فَلَيْسَ بِمَحْتَاجِ الذُّنُوبِ إِلَى الْعُذْرِ

فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرْنَ الْوَفْ

وَيَخْصُبُ عِنْدِي وَالْمَحَلُّ جَدِيبُ
وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

مَعَ الرَّائِحِينَ الْمُسْرِعِينَ جَنِيبُ

كَأَنِّي لِعِلْسِيَّاتِهِنَّ نَسِيبُ
حَبِيبًا وَلَمْ يَطْرُبْ إِلَيْكَ حَبِيبُ

حَتَّى يَشْكَكَ فِيهِ فَهُوَ كَذُوبُ

الحبُّ أَغْلَبُ لِلْفؤَادِ بِقَهْرِهِ
وإذا بَدَا سرُّ اللَّبِيبِ فَإِنَّهُ
إِنِّي لَأَبْغِضُ عَاشِقًا مُتَسَتِّرًا
وقال ذو الرُّمَّةِ :

إذا هَبَّتِ الأرواحُ مِن نَحْوِ جَانِبٍ
هوى تَذْرِفُ العَيْنَانِ مِنْهُ وَإِنَّمَا
وقال المجنون :

يقولون لي يومًا وَقَدْ جِئْتُ حَيْثُ هُمْ
أما تَخْتَشِي من أَسَدِنَا ؟ فَأَجَبْتُهُمْ
وقال بعض الأعراب :

شَكُوتُ فَقَالَتْ كُلُّ هَذَا تَبَرُّمًا
فَلَمَّا كَتَمْتُ الحُبَّ قَالَتْ لَشَدْمًا
وَأَدْنُو فَتَقْصِينِي وَأَبْعُدُ طَالِبًا
فَشَكَاوِي تَوْذِيهَا وَصَبْرِي يَسُوؤُهَا
فَيَا قَوْمَ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْرِفُونَهَا ؟
وتقدِّم هذا المعنى في حرف الهمزة وقريب منه، وإن عاكسه في التريديد، قولُ امرئ القيس :

وقالت مَتَى يُبْخَلَ عَلَيْكَ وَيُعْتَلَكَ
وقال الامام العارف بالله تعالى أبو بكر الشَّبْلِيُّ - رضي الله عنه - وقد دخل على شيخه الامام أبي القاسم الجُنَيْد - رضي الله عنه - فوقف بين يديه وصفَّق بيده وقال :
عوَدُونِي الوصالَ والوصلُ عَذْبُ
زَعَمُوا حِينَ أَرَمَعُوا أَنَّ ذَنْبِي
لا وَحَقَّ الخُضُوعُ عِنْدَ التَّلَاقِي
فأجابه الشيخ فقال :

وَتَمَنَّى _____ يَتُّ أَنْ أَرَادَ فَلَمَّ _____ رَأَيْتَكَ _____
 غَلَبَتْ دَهْشَةُ السُّرُورِ فَلَمَّ أَمْلِكِ الْبُكَ _____
 وقال أبو عليّ الفارسيّ النحويّ :

خَضِبْتُ الشَّيْبَ لَمَّا كَانَ عَيْبًا وَخَضِبُ الشَّيْبِ أَوْلَى أَنْ يُعَابَا
 وَلَمْ أَخْضِبْ مَخَافَةَ هَجْرٍ خَلٍّ وَلَا عَيْبًا خَشِيتُ وَلَا عِتَابَا
 وَلَكِنَّ الْمَشِيبَ بَدَا دَمِيمًا فَصَيَّرْتُ الْخِضَابَ لَهُ عِقَابَا
 وسيأتي ذكر ما في الشَّيْبِ وَالْخِضَابِ مُسْتَوْفَى بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى :
 وقال عبدُ اللَّهِ بنُ سَعْدٍ الْمَوْصِلِيُّ الشَّافِعِيُّ :

قَالُوا سَلَا، صَدَقُوا عَنْ السُّلُوفِ لَيْسَ عَنْ الْحَبِيبِ
 قَالُوا : فَلِمَ تَرَكُ الزِّيَارَةَ ؟ قُلْتُ : مِنْ خَوْفِ الرَّقِيبِ
 قَالُوا : فَكَيْفَ يَعِيشُ مَعَهُ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : مِنَ الْعَجِيبِ
 وقال أبو الْعَرَبِ الصَّقْلِيُّ :

لَا تَعْجَبَنَّ لِرَأْسِي كَيْفَ شَابَ أَسَى وَاعْجَبْ لَأَسْوَدَ عَيْنِي كَيْفَ لَمْ يَشَبِ
 الْبَحْرُ لِلرُّومِ لَا تَجْرِي السَّفِينُ بِهِ إِلَّا عَلَى خَطَرٍ وَالْبَرُّ لِلْعَرَبِ (37)
 وسبب قوله ذلك أن المعتمد بن عباد بعث إليه بخمسمائة دينار وأمره أن يتجهز بها
 ويقدم عليه، فكتب إليه الحُصْرِيُّ :

أَمَرْتَنِي بِرُكُوبِ الْبَحْرِ أَقْطَعُهُ غَيْرِي لَكَ الْخَيْرُ فَاخْضُصْهُ بِذَا الدَّاءِ
 مَا أَنْتَ نَوْحٌ فَتُنْجِنِي سَفِينَتُهُ وَلَا الْمَسِيحُ أَنَا أَمْشِي عَلَى الْمَاءِ
 وقال أَبُو الْوَفَاءِ (38)

رَمَنَ كَانَ فِي الْمَسْعَى أَبُوهُ دَلِيلُهُ تَدَانَى لَهُ الشَّأْوُ الَّذِي هُوَ طَالِبُهُ
 وقال يحيى بن خالد بن برمك :

انصَبَ نَهَارًا فِي طِلَابِ الْعُلَى وَاصْبِرْ عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ
 حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ أَتَى مُقْبِلًا وَاسْتَتَرَتْ فِيهِ وَجُوهُ الْغُيُوبِ

(37) فِي ب : إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَالْبَرُّ لِلْعَرَبِ
 (38) حَرْفٌ فِي النُّسخَتَيْنِ فَكُتِبَ فِيهِمَا أَبُو الْوَفَاءِ.

فَكَابِدَ اللَّيْلِ بِمَا تَشْتَهِي فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيبِ
كَمْ مِنْ فَتًى تَحْسِبُهُ نَاسِكًا يَسْتَقْبِلُ اللَّيْلَ بِأَمْرِ عَجِيبِ
غَطَّى عَلَيْهِ اللَّيْلُ اسْتِارَهُ فَبَاتَ فِي لَهْوٍ وَعَيْشٍ خَصِيبِ
وَلَذَّةُ الْأَحْمَقِ مَكْشُوفَةٌ يَسْعَى بِهَا كُلُّ عَدُوٍّ رَقِيبِ

وسبب هذا الشعر أن ابنه الفضل بن يحيى كان الرشيد قد ولّاه عمل خراسان، فأقام بها مدة، ثم وصل كتاب صاحب البريد إلى الرشيد، ويحيى بين يديه جالس، مضمّن أن الفضل اشتغل بالصيد واللذات عن النظر في أمور الرعيّة. فلمّا قرأ الرشيد الكتاب رمى به إلى يحيى وقال له : يا أباي ! اقرأ هذا الكتاب واكتب إليه ما يردّه عن هذا. فكتب إليه يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد : حفظك الله يا بنيّ وأمتع بك ! قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعيّة فأنكره، فعاود ما هوأزّين بك، فانه من عاد إلى ما يريبه ويشينه لم يعرفه أهل دهره إلا به، والسلام. وكتب في أسفله الأبيات المذكورة، والرشيد ينظر إلى ما يكتب. فلمّا فرغ قال : أبلغت يا أباي ! فلمّا ورد الكتاب على الفضل، لم يفارق المسجد نهارا إلى أن انصرف عن عمله.

وقال الامام الشافعي رضي الله عنه : تزوجت امرأة بمكة من قريش، وكنت أمارحها فأقول :
وَمِنْ الْبَلِيَّةِ أَنْ تُحِبَّ فَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ
فتقول هي :

وَيَصُدُّ عَنْكَ بِوَجْهِهِ وَتَلَجُّ أَنْتَ فَلَا تَغِيبُهُ
وقال الشريف الرضي :

وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى طُلُولِهِمْ وَرَبُّوعُهَا بِيَدِ الْبِلَى نَهَبُ
ومن أعجب الاتفاق أن بعض الأدباء مرّ بدار الشريف هذا التي ببغداد، وقد خربت وذهبت بهجتها، ولم يبق منها إلا آثار تشهد لها بالحسن والنضارة. فوقف وتمكّل بالبيت المذكور وهو لا يعرف لمن الدار . فمرّ به شخص وسمعه يُنشد البيت فقال له : أتعرف هذه الدار ؟ قال : لا . قال : هي دار الشريف صاحب هذا البيت . وهذه تشبه حكاية

عَبِيدَةُ الْجُرْهُمِيِّ، وكان دخل على معاوية فقال له : حدّثني بأعجب ما رأيت .
فقال : مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتاً لهم، فاغرورقت عيناى بالدموع، وتمنّلت بقول
الشاعر :

يا قلبُ إنَّك من أسماء مغرورُ فاذكُر، وهكَّ ينفعُ عنكَ اليومَ تذكيرُ ؟
فاستقدر الله خيراً وارضينَ به فبينما العُسرُ إذْ جاءت مياسيرُ
وبينما المرءُ في الأحياء مُعتبطُ إذا هو الرَّمسُ تعفوه الأعاصيرُ
يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحيِّ مسرورُ
فقال لي رجل : أتعرف من يقول هذا الشعر ؟ فقلت : لا . فقال : إنَّ قائله هو الذي دفناه
الساعة، وأنت الغريب الذي تبكي عليه، وهذا الخارج من قبره أمسُ الناسِ رحماً وأسرُّهم
بموته . فقال له معاوية : لقد رأيتَ عجباً ! وقال صرَّ درُّ :

إنَّ الهلالَ يَرتجى طُلوعه بعد السُّرارِ لَيْلَةَ احتِجابِه
والشَّمسُ لا يُويسُّ مِن طُلوعِها وإن طَواها اللَّيلُ في جَنابِه
وقال :

كَمْ عَوْدَةٍ دَلَّتْ عَلَى دَوامِها والخلدُ للانسانِ في ما بِهِ !
لَوْ قَرُبَ الدُّرُّ عَلَى جالِبِه ما لَجَّ الغائِصُ في طَلابِه
وَلَوْ أَقامَ لَازَماً أَصدافُه لَمْ تَكُنِ التَّيجانُ في حِسابِه
ما لَوَّلُو البَحْرَ ولا مَرَجانُه إلّا وراءَ الهولِ من عِبابِه
وقال الآخر :

جُروحُ اللَّيالي ما لَهْنٌ طَبيبُ وعيشُ الفَتى بالفقرِ ليسَ يَطيِبُ
وحَسْبُكَ أَنَّ المرءَ في حالِ فقرِه تُحمِّقُه الأَقامُ وهو مُصيبُ
ومَن تَعَتَّورُه الحادِثاتُ بِصَرفِها يَمُتُ وهو مغلوبُ الفؤادِ سَليبُ
وما ضرَّني أن قالَ أخطأتُ جاهلُ إذا قالَ كلُّ النَّاسِ أنتَ مُصيبُ
وقال عليُّ بنُ الجَعْفَرِ :

سَقَى اللهُ لَيْلاً ضَمَّنَا بَعدَ هَجَعِ وأدنى فؤادا مِن فؤادِ مُعَذِّبِ

فَبِتْنَا جَمِيعًا لَوْ تَرَأَوْ زَجَاجَةً مِنْ الْخَمْرِ فِيمَا بَيْنَنَا لَمْ تَسْرَبْ
وهذا معنى "بليغ" في العناق، أخذه من قول بشَّار :

فَبِتْنَا مَعًا لَا يَخْلُصُ الْمَاءَ بَيْنَنَا إِلَى الصُّبْحِ دُونِي حَاجِبٌ وَسُتُورُ
وأبلغ منه في هذا المعنى قول عبد الله بن المعتز :

مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عَلَى الرَّاقِدِ وَأَهْوَنَ السُّقْمَ عَلَى الْعَائِدِ !
يَفْدِيكَ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ مُهْجَتِي لَسْتُ لَمَّا أَوْلَيْتَ بِالْجَاحِدِ
كَأَنَّنِي عَانَقْتُ رِيحَ نَافَاةٍ تَنْفَسْتُ فِي لَيْلِهَا الْبَارِدِ
فَلَوْ تَرَانَا فِي قَمِيصِ الدُّجَى حَسِبْتَنَا مِنْ جَسَدٍ وَاحِدِ
وهو مأخوذ من قول الآخر :

خَلَوْتُ فَنَادَمْتُهَا سَاعَةً عَلَى مِثْلِهَا يَحْسُدُ الْحَاسِدُ
كَأَنَّا وَثُوبُ الدُّجَى مُسْبَلٌ عَلَيْنَا لِمُبْصِرِنَا وَاحِدُ
وأبلغ من هذا عندي قول ابن الرومي :

أَعَانِقُهَا وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشْوُوقَةٌ إِلَيْهَا وَهَكَ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانِ ؟
وَالثَّمِ فَاهَا كَيْ تَمُوتَ حَرَارَتِي فَيَشْتَدُّ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَيْمَانِ
وَلَمْ يَكُ مِقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْهَوَى لِيَشْفِيهِ مَا تَرَشَّفُ الشَّقَاتَانِ
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ سِوَى أَنْ يَرَى الرُّوحَانَ يَمْتَزِجَانِ
فإنَّ الامتزاجَ أَخَصُّ مُطْلَقِ الْوَحْدَةِ، وَأَصْرَحُ فِي قِطْعِ الْعِدَّةِ، وَذَلِكَ فِي الْأَرْوَاحِ أَبْلَغُ
وَأَبْدَعُ مِنْهُ فِي الْأَجْسَامِ، غَيْرَ أَنَّهُ فِي الشَّعْرَيْنِ السَّابِقَيْنِ إِخْبَارٌ عَنْ أَمْرٍ هُوَ وَاقِعٌ أَوْ كَالوَاقِعِ،
بخلاف هذا.

ولابن عبدُوس الفارسيّ في العناق أيضا :

لَا وَالْمَنَازِلِ مِنْ نَجْدٍ وَلَيْلَتُنَا بِفَيْدٍ إِذْ جَسَدَانَا بَيْنَنَا جَسَدُ
كَمْ رَأَى فِينَا الْكَرَى مِنْ لُطْفِ مَسْلَكِهِ نَوْمًا فَمَا انْفَكَّ لَا خَدٌّ وَلَا عَضْدُ !
وهو نحو ما للأوليين وأبلغ من حيث الجزم⁽³⁹⁾

(39) في ب : الحزم.

ولصالح بن موسى :

لي سيّدٌ ما مثله سيّدٌ تصدّت الحمى له فاشتكا
عانقته عند موافاتها والأفق بالليل قد احلوا لك
فجاءت الحمى لعاداتها فلم تجد ما بيننا مسلكا
وهو نحو ما لابن الجهم وأبلغ منه، لأنّ عدم نفوذ المعنى أغرب من عدم نفوذ الجسم.
ولابن رشيق أيضا :

ومُهَفِّفٌ يَحْمِيهِ عَن نَّظَرِ الْوَرَى غيرانُ سُكْنَى الْمَوْتِ تَحْتَ قِبَابِهِ
فَلَتَمَّتْ خَدًّا مِنْهُ ضَرَمَ لَوْعَتِي وجعلت أطفئُ حرّها بـيرضايه
وَضَمَمْتُهُ لِلصَّدْرِ حَتَّى اسْتَوْهَبْتَ منّي ثيابي بـعض طيب ثيابه
فَكَأَنَّ قَلْبِي مِنْ وَرَاءِ ضُلُوعِهِ طربا يُخْبِرُ قَلْبَهُ عَمَّا بِهِ
ولابن المعتز :

يَارِبُّ إِخْوَانِ صَحْبَتُهُمْ لا يرفعون لسوة قلبا
لَوْ تَسْتَطِيعُ قُلُوبُهُمْ خَرَقَتْ أجسامهم فتاعانقت حبا
وهذا أبلغ ما سمعنا في الباب، وتركنا ما قيل في مُطْلَقِ الْعِناقِ. وهو كثير خشية
الاطناب.

وقال أبو فتيان المصريّ في باب المدح :

رَغِبْتُ لِنَفْسِي أَنْ أَكُونَ مُصَاحِبًا أناسا إذا قيّدوا الى الذلّ أصحابوا
فَجَاوَرْتُ مُلْكًا تَسْتَهْلُ يَمِينُهُ ندى حين يرضى أو ردى حين يغضب
تَدُورُ كُؤُوسُ الْحَمْدِ طَوْرًا فَيَنْتَشِي وطورا تُغْنِي المُرَهفات فيطرب
عُرِفَتْ فَكَانَ الْإِنْتِسَابُ زِيَادَةً وغيرك يخفيه الخمول فينسب
وَفِي بَعْضِ ذَا الْمَجْدِ الَّذِي ظَفِرَتْ بِهِ يداك غنى عمّا بنى الجدّ والأب
قَضَى اللَّهُ أَنْ يَزِدَادَ بَيْتَكَ رَفْعَةً على أنّه فوق النجوم مُطَنَّب
وقال أبو العلاء :

رَدَّتْ لَطَافَتُهُ وَحْدَةً ذَهْنِهِ وحش اللغات أواسا بخطابه

كالنَّحْلِ يَجْنِي الْمَرْءُ مِنْ نُورِ الرَّبِّي
وقال أبو المظفر :

يَا مَنْ يُسَاجِلُنِي وَلَيْسَ بِمُدْرِكٍ
وسياتي تمام هذا الشعر بعد، إن شاء الله تعالى :

وقال مالكُ بْنُ الْمُرَحَّلِ :

وَبِيدَاءَ كَانَتْ لِي ضُلُوعًا تُكِنُّنِي
وَتَحْتَ قَمِيصِ اللَّيْلِ مِنِّْي مِجْمَرٌ
وَفِي مُقَلَّةِ الظُّلَمَاءِ مِنِّْي مُورِدٌ
وَفِي مَبْسَمِ الْإِصْبَاحِ مِسْوَاكُ إِسْحِلِ
فَيَقْضِي عَلَيَّ اللَّيْلُ وَاللَّيْلُ أَدْعَجُ
وقال الآخر يرثي صديقًا له نصرانيًا :

أَخِي بُودَادِ لَا أَخِي بِيْدِيَانَتِي
وَقَالُوا أَتَبْكِي الْيَوْمَ مَنْ لَسْتَ صَاحِبًا
وَمَنْ أَيْنَ لَا أَبْكِي حَبِيبًا فَقَدْتَهُ
وقال بعض الأعراب :

أَحْجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ فِي أَيِّ هَوْدَجٍ
يَقُولُونَ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ مِنْكُمْ
وقال الآخر :

لَيْسَ لِيَوْمِ الْبَيْنِ عِنْدِي سِوَى
كَأَنَّمَا فُضَّ بِأَجْفَانِيهَا
وقال الآخر :

وَالْغُصْنُ قَدْ مَالَ نَحْوَ النَّهْرِ فَالتَقِيَ
فَقَبَّلَ النَّهْرُ غُصْنًا ثَغْرُهُ زَهْرٌ
وقال الآخر :

قُمْ أَدْرِهَا فَالْلَّيْلُ رَقًّا دُجَاهُ
وَبَدَا طَيْلَسَانُهُ يَنْجَابُ

فَيَعُودُ شَهِدًا فِي طَرِيفِ رَضَابِهِ

شَاوِي وَأَيْنَ لَهُ جَلَالَةُ مَنْصِبِي ؟

كَأَنِّي فِيهَا لَوْعَةٌ وَوَجِيبُ
وَفَوْقَ رِءَاءِ الصُّبْحِ مِنِّْي طَيْبُ
لَهُ بَيْنَ أَهْدَابِ السَّحَابِ دَبِيبُ
وَلَكِنَّهُ مَهْمَا عَجَمْتَ صَلِيبُ
وَيَفْصِمُ عَنِّي الصُّبْحُ وَهُوَ شَنِيبُ

وَرُبَّ آخِرٍ فِي الْوُدِّ مِثْلُ نَسِيبِ
غَدًا ؟ إِنَّ هَذَا فَعَلٌ غَيْرُ لَبِيبِ
إِذَا خَابَ مِنْهُ فِي الْمَعَادِ نَصِيبِي ؟

وَفِي أَيِّ بَيْتٍ مِنْ بِيُوتِكُمْ حَبِيبِي ؟
فَقُلْتَ وَهَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْ قَلْبِي

مَدَامَ يَجْمَعُهَا سَكْبُ
رُمَّانَةٍ فَانْتَثَرَ الْحَبُّ

عَلَى هَوَى حِينَ غَنَّى الطَّائِرُ الطَّرْبُ
وَقَبَّلَ الْغُصْنُ نَهْرًا ثَغْرُهُ حَبُّ

وَبَدَا طَيْلَسَانُهُ يَنْجَابُ

وكان الصَّباح في الأفقِ بازٌ والدُّجى بينِ مِخْلَبَيْهِ غُرابٌ
وكانَ السَّمَاءُ لُجَّةَ بَحْرٍ وكانَ النُّجُومُ فِيهِ عُبَابٌ
وسياتي ما قيل في هذا المعنى من مختار الشعر :

وقال محمد بن حُسام الدِّين :

ألا إنَّ أرضَ الغُربِ أَفْضَلُ موطنٍ تُساقُ إليه الولَيداتُ النَّجائبُ
ولو لم تُكن في الغُربِ كلُّ فضيلةٍ لَمَّا حُرِّكتْ شوقًا إليه الكواكبُ
وقال الآخر :

قوِّضَ خِيامُكَ عَن أرضٍ تُهانُ بها وجانبُ الذِّلِّ إنَّ الذِّلَّ مُجْتَنَبٌ
وارحَكَ إذا كانت الأوطانُ مَضِيعةً فالمندكُ الرُّطْبُ في أوطانه حَطْبٌ
وتقدَّم هذا المعنى مستوفى . وفي معناه أيضا قول سَهْل بن مَالِك :

مُنْعَص العيش لا يأوي إلى دعةٍ مَنْ كان ذا ولدٍ أو كان ذابِلِدِ
والسَّاكِنُ النَّفْسِ مَنْ لم تَرْضَ هَمَّتْهُ سَكُنَى مكانٍ ولم يَسْكُنْ إلى أَحَدِ
وقال ابن الخطيب :

وإذا تَنَغَّصَكَ الزَّمانُ بيلدةٍ فاطو المَراحِلَ كَي تَحُوزَ كَمالاً
لَمَّا توغَّك في السُّرى بَدْرُ الدُّجى أبصرتَه بَدراً وكان هِلالاً
وقال الآخر :

مِلَّتْ حِمَصٌ ومِلَّتْني فلو نَطَقْتُ كما نَطَقْتُ تَلاحِينا على قَدَرٍ
وسوَّكت لي نَفْسي أن أَفارقَها والماءُ في المِزْنِ أَصْفى مِنْهُ في الغَدَرِ
وقول القاضي عبد الوهَّاب بن نَصْر :

بَغدادُ دارٌ لأَهْلِكَ المالِ واسعةٌ ولِلصَّعاليكِ دارُ الضَّنكِ والضَّيقِ
أصبَحْتُ أُمِّشي مُضاعفاً في أَرْقَتِها كَأَنِّي مُصَحَّفٌ في بيتِ زَنْدِيقِ
وقال الآخر في ضِدِّه :

لا يَعدَمُ المَرءُ رَكنًا يَسْكُنُ بِهِ وشُعبةٌ بَينَ أَهْلِيهِ وأَصحابِهِ
ومَنْ نأى عَنْهُمُ قَلَّتْ مَهابِئُهُ كاللَّيْلِ يُحَقِّرُ لَمَّا غابَ عن غايِهِ

ومثله قول الآخر :

إنَّ الهَزْبَ إِذَا نَأَى عَنْ غَيْضِهِ
وكذا الغريبُ إِذَا نَأَى عَنْ دَارِهِ

[ومثله] قول الآخر :

وقالوا اضطرب في الأرض فالرِّزْقُ واسعٌ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ حَرْثٌ يُعِينُنِي
وقال ابن المهدي :

وأحسن أَيَّامَ الهَوَى يَوْمَكَ الَّذِي
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضَى
وقال الآخر :

شَيْثَانٌ لَوْ بَكَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمَا
لَمْ تَبْلُغَا الْمَعْشَارَ مِنْ حَقَّيْهِمَا :
وسياتي ما في هذا المنزع من الشعر بعد إن شاء الله تعالى :
وقال مالك بن المرحك :

مَذْهَبِي تَقْيِيلُ خَدٍّ مُذْهَبٍ
لَا تُخَالِفُ مَالِكًا فِي رَأْيِهِ
وسياتي ما قيل في التَّوَجِّيهِ بعدُ إن شاء الله تعالى .
وقال عبدُ الجليلِ المُرْسِي :

مَا لِلْعِذَارِ وَكَانَ وَجْهُكَ قِبْلَةً
وَأَرَى الشَّبَابَ وَكَانَ لَيْسَ بِخَاشِعٍ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِكَوْنِ ثَعْرَكَ بَارِقًا
وقال نجمُ الدِّينِ بنِ بَطْرِيْق :

أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ نَصَبٍ
هَذَا زَمَانِي أَبُو جَهْلٍ وَذَا جَرَبِي

ضَرَبَتْ لَهُ الْأَيْدِي عَلَى تَرْقِيصِهِ
أَدَّتُهُ غُرْبَتُهُ إِلَى تَنْقِيصِهِ

فَقُلْتُ وَلَكِنْ مَسَلَكُ الرِّزْقِ ضَيِّقٌ
وَلَمْ أَكُ ذَا مَالٍ فَمَنْ أَيْنَ أَنْفِقُ ؟

تُرَوِّعُ بِالْهَجْرَانِ فِيهِ وَبِالْعَتَبِ
فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَالِكِ وَالْكَتَبِ ؟

عَيْنَايَ حَتَّى تُوْذِنَا بِذَهَابِ
فَقَدُّ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الْأَخْيَابِ

سَيِّدِي مَاذَا تَرَى فِي مَذْهَبِي ؟
فَبِهِ يَأْخُذُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ

قَدْ خَطَّ فِيهِ مِنَ الدُّجَى مِحْرَابًا ؟
قَدْ خَرَّ فِيهِ رَاكِعًا وَأَنَابًا
أَنْ سَوْفَ يَرْمِي لِلْعِذَارِ سَحَابًا

وَلَا لَقِيتَ الَّذِي أَلْقَى مِنَ الْحَرْبِ
أَبُو مُعَيْطٍ وَذَا قَلْبِي أَبُو لَهَبٍ

وقال الآخر :

قال حِمَار الطَّبِيبِ قُومَى
لَأَتْنِي جَاهِلٌ بِسِي_____طٍ
وقال أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيّ :

إِذَا غَدَا مَلِكٌ بِاللَّهْوِ مُشْتَغِلًا
أَمَا تَرَى الشَّمْسَ فِي الْمِيزَانِ سَاقِطَةً
قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْوَرَّادُ :

يَقُولُونَ : لَأَمِ الشَّيْبُ فَالَهُ عَنِ الصَّبَا
فَقُلْتُ : دَعُونِي نَصْطِيحَهَا سَلَاقَةً
[ومثله قول الآخر] :

وقالوا : أَتَلَهُو وَالشَّبَابُ قَدْ انْقَضَى
فَقُلْتُ : أَصِيكَ الْعُمُرُ مَا قَدْ بَلَغَتْهُ
[وقال الآخر] :

وقائلةٌ : خَلَّ الْهَوَى لِرَجَالِهِ
فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الْهَوَى فِيهِ رَاحَةٌ
[وقال الآخر] :

ولائِمةٌ لِي إِذْ رَأْتَنِي مُشْمِرًا
تَقُولُ : انْتَبِهْ مِنْ رَقْدَةِ اللَّهِو وَالصَّبَا
فَقُلْتُ لَهَا : كُفِّي عَنِ التَّلَوِّمِ وَاعْلَمِي
وقول ابنِ السَّاعَاتِيّ فِي ضِدِّهِ :

لَا تَعْجَبِينَ لَطَالِبِ نَالِ الْعُلَى
فَالْخَمْرُ تَحْكُمُ فِي الْعُقُولِ مُسْنَةً
وقال كُشَاجِمٌ فِي نَتْفِ الشَّيْبِ :
إِذَا مَا مَضَى الْمِنْقَاشُ يَأْتِي بِهَا أَنْتَ

لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ
وَصَاحِبِي جَاهِلٌ مَرْكَبُ

فَاحْكُمْ عَلَى مُلْكِهِ بِالْوَيْكِ وَالْحَرْبِ
لَمَّا غَدَا وَهُوَ بَيْتُ اللَّهِو وَالطَّرَبِ ؟

وَعَنْ قَهْوَةٍ تَصْبُو لَهَا وَتَنْيَبُ !
عَلَى صُبْحِ شَيْبِي فَالْمَصَّبُوحُ عَجِيبُ

وَعُمُرَكَ قَدْ وَلَّى وَلَمْ يَبْقَ طَائِلُ ؟
وَاطْيَبُ أَوْقَاتِ الزَّمَانِ الْأَصَائِلُ

فَإِنَّ الْهَوَى بَعْدَ الْمَشْيَبِ جُنُونُ
أَلْذُ الْكَرَى عِنْدَ الصَّبَاحِ يَكُونُ

أَهْرُولُ فِي سُبُلِ الصَّبَا خَالِعِ الْعُذْرِ
فَقَدْ دَبَّ صَبْحُ الشَّيْبِ فِي غَسَقِ الشَّعْرِ
بِأَنَّ الذَّ النَّوْمَ إِغْفَاءُ الْفَجْرِ !

كَهَلَا وَأَخْفَقَ فِي الزَّمَانِ الْمُقْبِلِ !
وَتُدَاسُ أَوَّلَ عَصْرِهَا بِالْأَرْجُلِ

وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ دُونِهَا جَارَةَ الْجَنْبِ

كَجَانٍ عَلَى السُّلْطَانِ يُجْرِي بِذَنْبِهِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ النَّبِيِّ :

اِقْتَطِفْ الْبَيْضَاءَ مِنْ لِمَتِي
فَتُخْلِفُ الْبَيْضُ بِأَمثالِهَا
حَمَامَةُ السُّودَانِ مَعْرُوفَةٌ
وَقَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ :

أَنْتَى لِمِثْلِي بِالْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَا
لَبَسَ الْبَيَاضَ وَحَلَّ ذُرَّةَ مِنْبَرٍ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَقَدْ كُنْتُ يَهْوَى الرُّوضِ طَيْبِ شَمَائِلِي
فَمَذْ كَتَبَ الْوُخْطُ الْمَلْمُ بِعَارِضِي
نَسَخْتُ بِمَا قَدْ خَطَّهُ سُنَّةَ الْهَوَى
وَقَالَ أَيْضًا :

وَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ جَنَى الطَّرْفُ نَظْرَةً
وَمَا الْعَدَلُ أَنْ يَأْتِيَ امْرَأً بِجَرِيرَةٍ
وَقَالَ الْآخَرُ :

قَدْ قُلْتُ إِذْ سَارَ السَّفِينُ بِهِمْ
لَوْ أَنَّ لِي مُلْكًا أَصُولُ بِهِ
وَقَالَ الْآخَرُ :

رِضَاكَ شَبَابٌ لَا يَكِلِيهِ مَشِيبُ
كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ النَّفُوسِ مُرَكَّبُ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعَافِيَةِ :

وَدَّعَتْهَا وَودَاعَهَا مُتَضَمِّنٌ
وَاصْفَرَّ مِنْهَا وَجْهَهَا فَفَهَمْتُ مَا

تَعَلَّقَ بِالْجِرَانِ مِنْ شِدَّةِ الرَّعْبِ

دَأْبًا مَعَ السُّودَاءِ إِذْ تُشْرِفُ
وَتَعْضَبُ السُّودَا فَمَا تُخْلِفُ
يَعْرِفُهَا مَنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ

لِلوُخْطِ فِي الْفَوْدَيْنِ أَيُّ دَبِيبٍ ؟
مَنْنِي وَوَالَى الْوَعْظِ فِعْلُ خَطِيبِ

وَيَمْرَحُ غُصْنُ الْبَانِ بَيْنَ قِبَابِي
حُرُوفًا أَتَى فِيهَا بِمَخْضِ عِتَابِي
وَكَمْ سُنَّةٍ مَنَسُوخَةٍ بِكِتَابِ !

غَدَا الْقَلْبُ رَهْنًا فِي عُقُوبَةِ ذَنْبِهِ
فَيُؤْخَذُ فِي أَوَارِهَا جَارُ جَنْبِهِ

وَالْبَيْنُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي نَهْبًا :
لَأُخَذْتُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا .

وَسُخْطُكَ دَاءٌ لَيْسَ مِنْهُ طَبِيبُ
فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ النَّفُوسِ حَبِيبُ

لِودَاعٍ لَذَاتِ الْحَيَاةِ وَطَبِيبِهَا
مَعْنَى اصْفِرَارِ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا

وسياتي ما في هذا المنزَع بعدُ إن شاء الله تعالى .

وقال الآخر :

عجبتُ لطيفِ زار في الليلِ مضجعي
فاوهمني أمراً وقلتُ لعله
وماذاكَ من أمرٍ يُريبُ وإنّما
رأني قتيلاً في الدُجى فتهيباً

وسياتي هذا أيضاً بعد إن شاء الله تعالى .

وقال أبو محمد المصري :

سلامٌ على الشَّيبِ الذي لا أريدهُ
ولكنّه ضيفٌ كرهتُ قدومهُ
ولا قلتُ أهلاً حينَ جئى ومرحباً
وأكرمتُه إذ لم أجِدْ عنه مذهباً

وقال الميكالي :

عيرتني تركَ المُدام وقالتُ :
هيَ تحتَ الظلامِ نورٌ وفي الأكبادِ
قلتُ : يا هذه عدلتِ عن النصمِ
إنّها للسُّتورِ هتكٌ وللأبوابِ
هكٌ جفاها من الكرامِ أديبُ ؟
بردٌ وفي الخُدودِ لهيبُ
وما للرّشادِ منكِ نصيبُ
قتلٌ وفي المعادِ ذُئوبُ

وقال الآخر :

دعّنتي إلى لهو التّصابي ومادرتُ
فقلتُ لها : مالي وللهو بعد ما
وقد وخطتُ بيضٌ من الشّعْر لمّتي
ألهو وفجر الشَّيب قد لاحَ نُورهُ
تولّى الصّبّا وازورٌ للغيدِ جانبُ
تُخبرُ أنّ البيضَ عني رواغبُ
بفؤدي ، فقالت : أوّلُ الفجرِ كاذبُ

وقال الآخر :

إن استحسنْتَ مقلّتي غيركُم
وعاقبتُها بالبُكا دائماً
فما تنظرُ العينُ إلّا إليكَ
أمّرتُ السُّهاد بتعذيبها
لما استحسنْتَ غيرَ محبوبيها
لأنّك غايّةُ مظلوبيها

وقال أبو محمد بن عبد البر [رحمه الله] :

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَقَدْ قَطَعْتُ بِمَدْحِهِ
لَمْ تَعُدْ فِي أَمْرِي الصَّوَابَ مُوَفَّقًا
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ فِي طَرِيقِ التَّوْرِيَةِ :
وَمُعْطَرِ الْأَنْفَاسِ يَبْسِمُ دَائِمًا
مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ مِنْهُ عَقْدَ جَوَاهِرِ
وَمِثْلُهُ أَيْضًا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

قُلْتُ وَالشَّعْرُ يَشِي فِي خَدِّهِ
بِحَيَاةِ الْحُبِّ كُنُونِي لِلرَّضَى
وَقَالَ الْآخَرُ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ :

هَبَّتْ مَعَ الْفَجْرِ لِمِعَادِهَا
فَجَرَانِ ذَاكَ الْوَجْهَ اسْنَاهُمَا
وَقَالَ آخَرُ عَلَى قَرِيبٍ مِنْ هَذَا :

دَهْرٌ يَمُرُّ وَأَمَالٌ مُخَيِّمَةٌ
تَمْضِي الْفُرُوعُ عَلَى حُكْمِ الْأَصُولِ وَلَا
خَطَّ الْمَشِيبِ عَلَى فَوْدِيكَ تَذَكُّرَةٌ
وَقَدْ نَضَى سَيْفَهُ فَاحْذَرِ صِرَامَتَهُ
سَلَّتْ عَلَيْكَ اللَّيَالِي مِنْهُ ذَا شُطْبِ
وَكُتِبَ الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ عَلَى وَجْهِ الْعَتَبِ فِيمَا بَلَغَهُ عَنْهُ :

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ
فَلَمْ تُرْنِي الْأَيَّامُ خِلَا تَسْرُئِي
وَلَا قُلْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلَمَّةٍ
فَأَجَابَهُ ابْنُ عَمَّارٍ بِقِطْعَةٍ مِنْهَا :

فَدَيْتُكَ لَا تَزْهَدْ وَثَمَّ بَقِيَّةٌ
وَأَبْقِ عَلَى الْخُلْصَانِ إِنْ لَدَيْهِمْ

عُمْرِي فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ ثَوَابِي :
هَذَا جَزَاءُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ !

عَنْ دُرٍّ ثَغَرِ زَانَهُ تَرْتِيبُ
لَمْ يَدْرِ مَا التَّنْقِيمُ وَالتَّهْدِيبُ

لَا مَ حُسْنٍ سَهَّلْتُ لَوَمِي عَلَيَّ
لَا مَ جَرٌّ لَا تَكُونِي لَأَمِّ كَيِّ !

فَافْتَضَحَ الشَّارِقُ وَالْغَارِبُ
هَكَ يَسْتَوِي الصَّادِقُ وَالْكَاذِبُ ؟

وَلَا احْتِقَابَ سِوَى وَزَرٍ عَلَى الْحَقِيبِ
اسْتِذْكَارَ قَلْبٍ وَلَا تَمْهِيدَ مُنْقَلَبِ
يَأْنِ تَنْيِبَ وَحَتَّى الْآنَ لَمْ تُنِيبِ
فَالسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ !
فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
وَكُتِبَ الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ عَلَى وَجْهِ الْعَتَبِ فِيمَا بَلَغَهُ عَنْهُ :

وَطَوَّلُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبِ
مُبَادِيهِ إِلَّا سَاعِنِي فِي الْعَوَاقِبِ
مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ

سَيَرْغَبُ فِيهَا عَنْ وَقُوعِ النَّوَائِبِ !
عَلَى الْبَدْعِ كَرَّاتٍ بِحُسْنِ الْعَوَاقِبِ

وقال بعضهم، وقد زاره إخوان له :

أهلاً وسهلاً بساداتِ لنا نُجُبِ
أَجْمَلْتُمْ وتَفَضَّلْتُمْ بِزُورَتِكُمْ
أضَاءَ مَنْزِلَنَا مِنْ نُورِ أَوْجْهِكُمْ
وقال ابنُ الرُّومِيّ :

أرى الصَّبْرَ مَحْمُوداً وَعَنهُ مَذَاهِبُ
هُنَاكَ يَحِقُّ الصَّبْرُ وَالصَّبْرُ وَاجِبُ
هُوَ الْمَهْرَبُ الْمُنْجَى لِمَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ
وقال الْقَاضِي الْفَاضِلُ فِي مَعْنَاهُ :

لَا تَكُنْ لِلْخُطُوبِ وَاصِلُ فَمَنْ لَانَ
إِنَّ ضَرْبَ الْحَدِيدِ مَا كَانَ إِلَّا
وَتَقَدَّمَ مَا فِي هَذَا الْمَنْزَعِ وَهُوَ كَثِيرُ.

وقال بعضُ الْأَعْرَابِ :

لَا يُقْنِعُ الْجَارِيَةَ الْخِضَابُ
مِنْ دُونَ أَنْ تَلْتَقِيَ الْأَرْكَابُ
وَيَقْعُدُ الْأَيْرُ لَهُ لُعَابُ
الأَرْكَابِ جَمْعُ رَكَبٍ بَفَتْحَتَيْنِ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْفَرْجِ، أَوْ هُوَ الْعَانَةُ أَوْ مَنبِتُهَا ؛ وَيَقْعُدُ
مَعْنَاهُ هُنَا يَصِيرُ، أَيْ يَصِيرُ الْأَيْرُ وَهُوَ الذِّكْرُ ذَا لُعَابِ.

وقال الْآخَرُ :

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى
وَأَعَجَبُ مِنْ هَذِينَ مَنْ بَاعَ دِينَهُ
وَلَمْ يُشْتَرِ دُنْيَاهُ بِالْدِّينِ أَعْجَبُ
بَدْنِيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذِينِ أَخْيَبُ
وقال الْحَمَاسِيُّ :

وإنْ أَتَوَكَ فَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفُ
وَيُنْشَدُ هَذَا الشَّعْرُ عَلَى ضَرْبِ آخَرٍ وَهُوَ :

لَا تَنْكَحَنَّ عَجُوزًا أَوْ مُطْلَقَةً
وإنْ أَتَوَكَ وَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفُ
وَفِيهِ عَيْبُ الْقَافِيَةِ . وَالنَّصَفُ مِنَ النِّسَاءِ بَفَتْحَتَيْنِ : الْمُتَوَسِّطَةُ . وَقَوْلُهُ : اخْلَعْ
وَلَا يَسُوقُهَا فِي حَبْلِكَ الْقَدْرُ
فإنْ أَطِيبَ نِصْفَيْهَا الَّذِي غَبَرَا

ثِيَابَكَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ : انْزِعْ مُحِبَّتَكَ مِنْهَا وَتَنَسَّلْ عَنْهَا وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَالثِّيَابُ تُطْلَقُ عَلَى الْقُلُوبِ، فَتُطْلَقُ عَلَى الْمَحَبَّةِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا فِيهَا. وَمِنَ الْأَوَّلِ قَوْلُ عُنْتَرَةَ : فَشَكَّكَتُ بِالرُّمَحِ الْأَصْمُ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمٍ أَيْ شَقَقْتُ قَلْبَهُ . وَيَصِحَّانِ مَعًا فِي قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ : وَإِنْ كُنْتَ قَدْ سَاءْتَكَرَ مِنِّي خَلِيقَةً فَسَلِّ ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنَسَّلِ أَيْ سَلِّ قَلْبِي مِنْ قَلْبِكَ، أَوْ مَحَبَّتِي مِنْ قَلْبِكَ . وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَثِيَابَكَ فَطَهَّرْ، أَيْ طَهَّرْ قَلْبَكَ، وَقَدْ يُكْنَى بِالثِّيَابِ عَنِ الْأَعْمَالِ أَيْضًا . وَرَدَ أَنَّ الْمَيْتَ يُبْعَثُ [فِي أَثْوَابِهِ] أَيْ أَعْمَالِهِ.

فَائِدَةٌ : ذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ الشَّاذِلِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بَاتَ لَيْلَةً، وَأَظْنَهَا لَيْلَةً سَبْعَ وَعِشْرِينَ، بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَافْتَتَحَ الصَّلَاةَ، فَجَعَلَ الْأَوْلِيَاءَ يَتَسَاقَطُونَ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : مَا كَانَتْ الْبَارِحَةَ إِلَّا لَيْلَةً مَبَارَكَةً ! سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يَا عَلِيُّ طَهَّرْ ثِيَابَكَ مِنَ الدَّنَسِ، تَحْظَ بِمَدَدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ نَفْسٍ ! فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا ثِيَابِي ؟ قَالَ : كَذَا، وَفَسَّرَهَا لَهُ بِاخْلَافِ قَلْبِهِ وَمَقَامَاتِهِ ؛ وَنَسِيتُ اللَّفْظَ لَطُولَ الْعَهْدِ بِهِ . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : فَعَرَفْتُ حِينَئِذٍ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَثِيَابَكَ فَطَهَّرْ .

وَقَالَ الْآخِرُ :

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةٍ إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهْنٌ ذُنُوبٌ وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ، اضْطُرِبَ فِي قَائِلِهَا، رُثِيَ بِهَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْمَغْوَارِ، وَرَأَيْتُ أَنْ ثَبَتَهَا هُنَا مَعَ طَوْلِهَا، لِحُسْنِهَا وَاشْتِمَالِهَا عَلَى أَمْثَالِ وَهِيَ :

تَقُولُ سَلِيمِي : مَا لَجِسْمِكَ شَاحِبًا	كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الطَّعَامَ طَبِيبُ ؟
فَقُلْتُ، وَلَمْ يَعِيَ الْجَوَابُ لِقَوْلِهَا	وَلِلدَّهْرِ فِي صُمِّ السَّلَامِ نَصِيبُ :
تَتَابَعُ أَحْدَاثُ تَخَرُّمَسْنِ إِخْوَتِي	وَشَيْبَنَ رَأْسِي وَالْخُطُوبُ تَشْيِبُ
لَعَمْرِي لَنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مَنِيَّةٌ	أَخِي وَالْمَنَايَا لِلرَّجَالِ شُعُوبُ،
لَقَدْ عَجَمْتُ مِنْهَا الْحَوَادِثُ مَا جَدَا	عَرُوفًا لَرِيبِ الدَّهْرِ حِينَ يُرِيبُ

وَقَدْ كَانَ أَمَّا حِلْمُهُ فَمُرُوحٌ
فَتَى الْحَرْبِ إِنْ حَارِبَتْ كَانَ سَهَامُهَا
هَوْتٌ أَمُّهُ مَاذَا تَضَمَّنَ قَبْرُهُ
جَمُوعٌ خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
مُفِيدٌ مُفِيتُ الْفَائِدَاتِ مُعَوِّدٌ
فَتَى لَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِجِسْمِهِ
غَنِينًا بِخَيْرِ حَقَبَةٍ ثُمَّ جَلَحَتْ
فَأَبْقَتْ قَلِيلًا ذَاهِبًا وَتَجَهَّزَتْ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَاقِيَ الْحَيَّ مِنْهُمَا
فَلَوْ كَانَ حَيٌّ يُفْتَدَى لَفَدَيْتُهُ
بِعَيْنِي أَوْ يُمْنَى يَدِي وَإِنِّي
فَإِنْ تَكُنَ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً
أَخِي كَانَ يَكْفِينِي وَكَانَ يُعِينُنِي
عَظِيمٌ رَمَادِ النَّارِ رَحْبٌ فَنَاوُهُ
قَرِيبٌ ثَرَاهُ مَا يَنَالُ عَدُوَّهُ
لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ وَقَدْ أَتَى
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ
إِذَا مَا تَرَا أَمَّ الرَّجَالُ تَحَفَّظُوا
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ
عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَ الرَّجَالُ نَبَاتُهُ
وَيُرَوَّى :

عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَ الرَّجَالُ خِلَالَهُ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ
هُوَ الْعَسَلُ الْمَازِي لَيْنًا وَشِيمَةً

عَلَيْنَا وَأَمَّا جَهْلُهُ فَعَزِيبٌ
وَفِي السَّلَامِ مِفضَالُ الْيَدِينِ وَهُوْبٌ
مِنَ الْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يَوْوُبُ ؟
إِذَا جَاءَ جِيَاءٌ بِهِنْ ذَهَابٌ
لِفَعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرَمَاتِ كَسِيبٌ
إِذَا نَالَ خَلَاتِ الْكِرَامِ شُحُوبٌ
عَلَيْنَا الَّتِي كُلُّ الْأَنَامِ تُصِيبُ
لَاخِرَ وَالرَّاجِي الْخُلُودَ كَذُوبٌ
إِلَى أَجْلِ أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبٌ
بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النَّفُوسُ تَطِيبُ
بِبَذْلِ فِدَاهُ جَاهِدًا لَمْ تُصِيبُ
إِلَى فَقْدِ عَادَتِ لَهُنَّ ذُنُوبُ
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ
إِلَى سَنَدٍ لَمْ يَحْتَجِنَهُ غُيُوبُ
لَهُ نَبْطًا أَبِي الْهَوَانِ قَطُوبُ
عَلَى يَوْمِهِ عِلْقٌ إِلَى حَبِيبُ
مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهْصِيبُ
فَلَمْ تَنْطِقِ الْعَوْرَاءُ وَهُوَ قَرِيبُ
وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ التَّلَاقِ هَيُوبُ
وَمَا الْحِظُّ إِلَّا طُعْمَةٌ وَنَصِيبُ

وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا قِسْمَةٌ وَنَصِيبُ
قَرِيبًا وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ
وَلَيْثٌ إِذَا يَلْقَى الْعَدُوَّ غَضُوبُ

حليم" إذا ما سورة الجَهْل أطلقت
هوت أمه ما يبعث الصُّبح غاديا
كعالية الرُّمح الرُّديني لم يكن
أخو شتوات يعلم الحي أنه
ليبيك عار لم يجد من يعينه
ترويح تزهاه صبي مستطيفة
كان أبا المغوار لم يوف مرقبا
ولم يدع فتينا كراما لميسر
إذا حل لم تقصر مقامة بيته
حبيب إلى الزُّوار غيشان بيته
يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه
كان بيوت الحي ما لم يكن بها
إذا شهيد الأيسار أو غاب بعضهم
ويروى :

وإن شهدوا أو غاب بعض حُماهم
وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى ؟
فقلت : أدع أخرى وارفع الصَّوت جهرة
ويروى :

يُجيبك كما قد كان يفعل إنّه
فإنّي لبأكيه وإنّي لصادق
فتى أريحى كان يهترئ للندى
وخبرتُمانى أنّما الموت بالقُرى
وقال جميل بن عبد الله العُدْريُّ :
وقالوا : يا جميل أتى أخوها

حُبى الشَّيب للنَّفْس اللّجوج غلوب
وماذا يرُدُّ اللَّيل حين يَؤوب ؟
إذا ابتدر الخير الرّجالُ يخبِ
سيكُثر ما في قِدره ويَطيبُ
وطاوي الحشى نائي المزار غريب !
بكل ذرى والمستزاد جذيب
إذا ربّا القوم الغزاة رقيب
إذا هبّ من ريح الشّقاء هبوب
ولكنّه الأدنى بحيثُ يجيبُ
جميلُ المُحيّا شبّ وهو أديب
إذا لم يكن في المنقيات حلوب
بسابس لا يلفى بهنّ غريب
كفى ذاك وضاح الجبين نجيب

كفى ذاك وضاح الجبى أريب
فلم يستجبه عيد ذاك مجيب
لعلّ أبى المغوار منك قريب !

نجيب لأبواب العلاء طلوب
عليه وبعضُ القائلين كذوب
كما اهترّ ماضى الشَّفرتين قضيب
فكيف وهاتا روضة وكثيب ؟

وقال جميل بن عبد الله العُدْريُّ :
فقلت : أتى الحبيب أخو الحبيب

أحبك إن نزلت جيبك حسمى وأن ناسبت بئنة من قريب
 وكانت حفصة بنت عمر أن مات عنها زوجها ، فسخطها عبد الله بن حسين بن
 حسن بن علي، وإبراهيم بن هشام. فكان أخوها محمد بن عمران إذا دخل على إبراهيم
 أنشد إبراهيم متمثلاً : وقالوا : يا جميل أتى أخوها البيت وقال أبو محمد الحريري
 رحمه الله :

وقم الشوائب شيب والدهرُ بالناسِ قلبُ
 إن دأن يوماً لشخصٍ ففي غدٍ يتقلبُ
 فلا تثق يوماً بوميضٍ من برقهِ فهو خلبُ !
 واصبر إذا هو أضرى بك الخطوبَ واللبُ
 فما على التبر عارُ في النار حين يُقلبُ
 وقال أيضا :

لجوبُ البلاد منح المتربة أحبُّ إليَّ من المرتبة
 لأنَّ الولاة لهم نبوة ومعتبة يا لها معتبة !
 وما فيهم من يربُّ الصنيع ولا من يُشيد ما ربة
 فلا يخدعك لموع السراب ولا تأت أمراً إذا ما اشتبة !
 فكم حالم سره حلمه وأدركه الروع لما انتبة !
 وقال أيضا :

فاليوم من يعلق الرجاء به أكسد شيء في سوقه الأدب
 لا عرضُ أبنائه يُصان ولا يُرَقَّبُ فيهم إلٌ ولا نسبُ
 كأنهم في عراصيم جيف يُبعد من نثنها ويجتنبُ
 وهذا منزع سياأتي ذكر ما فيه إن شاء الله تعالى. [وقال أيضا]:

سلَّ الزمانُ عليَّ عضبهُ ليروعي وأحد غربه
 واستكَّ من جفني كراهه مراغماً وأسأله غربه
 وأجالني في الأفق أطوي شرقه وأجوب غربه

فَبِكُلِّ جَوْ طَانَعَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبَهُ
وَكَذَا الْمُغَرَّبُ شَخْصَهُ مُتَغَرَّبٌ وَنَوَاهُ غَرْبَهُ
الْغَرْبُ الْأَوَّلُ : حَدُّ السِّيفِ، وَالْغَرْبُ الثَّانِي : مَجْرَى الدَّمْعِ ؛ وَالثَّلَاثُ : ضِدُّ
الشَّرَفِ ؛ وَالرَّابِعُ : فَعْلَةٌ مِنَ الْغُرُوبِ، يُقَالُ : غَرِبَ غَرْبَةً، وَطَلَعَ طَلْعَةً،
وَالْخَامِسُ : الْبُعْدُ، يُقَالُ : نَوَى غَرْبَةً، أَيِ بَعِيدَةً.
قَالَ طَرْفَةُ :

أَخْبَرَكَ أَنَّ الْحَيَّ فَرَّقَ بَيْنَهُم نَوَى غَرْبَةٍ ضَرْبَةٍ لِي كَذَلِكَ
وَفُسِّرَتْ هُنَا أَيْضًا بِالْحِدَّةِ، وَهِيَ مِنْ مَعَانِيهَا، وَغَرْبَةُ النُّوَى بُعْدُهَا.
وَقَالَ أَيْضًا :

لَا تَيَأْسَنْ عِنْدَ النُّوْبِ مِنْ فَرْجَةٍ تَجْلُو الْكُرْبِ
فَلَكُمْ سُمُومٌ هَبْ ثُمَّ وَسْحَابٍ مَكْرُوهٍ تَنْشَى
وَدُخَانٍ خَطْبٍ خِيفَ مِنْهُ وَلَطَّالَمَا طَلَعَ الْأَسَى
فَاصْبِرْ إِذَا مَا نَابَ رَوْ لَطَائِفًا لَا تُخْتَسَبُ
وَقَالَ أَيْضًا :

لَعَمْرِكَ مَا تُغْنِي الْمَغَانِي وَلَا الْغِنَا
فَجُدْ فِي مَرَاذِي اللَّهِ بِالْمَالِ رَاضِيًا
وَبَادِرْ بِهِ صَرَفَ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
وَلَا تَأْمَنَ الدَّهْرُ الْخَوُونَ وَمَكْرَهُ
وَعَاصِرِ هَوَى النَّفْسِ الَّذِي مَا أَطَاعَهُ
وَلَا تَلْهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَابْنِكَ
وَمَثَلِ لَعَيْنِكَ الْحِمَامِ وَوَقْعَهُ

إِذَا سَكَنَ الْمَرْءُ الثَّرَى وَثَوَى بِهِ
بِمَا تَقْتَنِي مِنْ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ
بِمَخْلَبِهِ الْأَشْقَى يَصُولُ وَنَابِهِ
فَكَمْ خَامِلٍ أَخْفَى عَلَيْهِ وَنَابِهِ
أَخُو ضِلَّةٍ إِلَّا هَوَى مِنْ عِقَابِهِ
بِدَمْعٍ يُضَاهِي الْوَيْلَ حَالِ مَصَابِهِ
وَرَوْعَةٍ مَلْقَاهُ وَمُعْظَمِ صَابِهِ

وَأَنَّ قُصَارَى مَسْكَنِ الْحَيِّ حُفْرَةٌ سَيَنْزِلُهَا مُسْتَنْزِلًا عَنْ قِبَابِهِ
فَوَاهَا لِعَبْدٍ سَاءَةٌ سَوْءُ فِعْلِهِ وَأَبْدَى التَّلَافِي قَبْلَ إِغْلَافِ بَابِهِ
وقال أيضا :

أَصْرَفُ بِيَصْرِفِ الرَّاحِمِ عَنْكَ الْأَسَى وَرَوْحُ الْقَلْبِ وَلَا تَكْتَبُ
وَقُلْ لِمَنْ لَمْ يَمَكْ فِيمَا بِهِ تَدْفَعُ عَنْكَ الِهِمَّ : قَدْ كَ اتَّئِبُ !
وهذا مما يَتَمَثَّلُ به أهل المجون، لكنه بصد أن يستعمل في الجدِّ وخمر المحبَّة والعرفان
والأنس الرَّحْمَانِي، يعرف ذلك [ذوو] البصائر. وقال أيضا :

فَإِنْ فَطَنْتُمْ لِلْحَنِّ الْقَوْلَ بَانَ لَكُمْ صِدْقِي وَدَلَّكُمْ طَلْعِي عَلَى رُطْبِي
وَإِنْ شُدْهْتُمْ فَإِنَّ الْعَارَ فِيهِ عَلَى مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْخَشَبِ
وقال الآخر :

وَمَنْ لَا يُغْمَضُ عَيْنُهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضٍ مَا فِيهِ يَمْتُ وَهُوَ عَاتِبُ
وَمَنْ يَتَتَبَّعُ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدُهَا وَلَا يَبْقَى لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ
وتقدَّم هذا المعنى وما فيه.

ويحكى أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بَلَغَهُ، أَيَّامَ خِلَافَتِهِ، أَنَّ أَخَاهُ هِشَامًا يَنْتَقِصُهُ.
فكتب إليه معاتبًا له : مَثْلِي وَمَثْلُكَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

تَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ أَمُوتَ فَإِنْ أَمُتَ فَتِلْكَ طَرِيقٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ
لَعَلَّ الَّذِي يَبْغِي رَدَائِي وَيَرْتَجِي⁽⁴⁰⁾ بِهِ قَبْلَ مَوْتِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الرَّدِّي
فكتب إليه هِشَامُ إِنَّمَا مَثْلِي وَمَثْلُكَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

وَمَنْ لَا يُغْمَضُ عَيْنُهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضٍ مَا فِيهِ يَمْتُ وَهُوَ عَاتِبُ
فكتب إليه يَزِيدُ : نَحْنُ مُغْتَفِرُونَ لَكَ مَا كَانَ مِنْكَ، حَفْظًا لَوْصِيَّةِ أَبِيْنَا فِينَا، وَحُضَّةِ
إِيَّانَا عَلَى إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَأَنَا أَعْلَمُ، كَمَا قَالَ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لِأَوْجَلْ عَلَى أَيُّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ
وَإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِيْبُنِي قَدِيمًا لَذُو صَفْحٍ عَلَى ذَاكَ مُجِيلُ

(40) فِي أَرْدَائِي، وَفِي بَرَجَائِي. وَلَعَلَّ الصَّوَابَ رَدَائِي.

ستُقطع في الدنيا إذا ما قطعني
إذا سؤتني يوماً رجعتُ الى غدٍ
ويركبُ حدَّ السَّيف من أن تضيِّمه
وفي النَّاس إن رثتُ حبالك واصلُ
إذا انصرفت نفسي عن الشَّيء لم تكن
فلما جاء الكتاب هشامًا رحل إليه، فلم يزل في جواره حتَّى مات خوفًا من شرِّ الوُشاة.
وقال المولى أبو حمّو موسى بن يوسف الملكُ الزَّيَّانِي :

الحبُّ أضعفُ جسمي فوق ما وجبا
والبين أشعلَ نار الوجد في كَيْدي
ماءٌ ونارٌ وأكبادي لها حَطْبُ
ما كنتُ أدريهما حتَّى صحبتهما
وقال الآخر :

كلَّ يومٍ قطيعةٌ وعِتَابُ
ليتَ شعري فكلَّ خُصِصْتُ بهذا
وتقدّم هذا الشعر، إلّا أنَّ له حكاية تذكر.

قال الجاحظ : بعث إليَّ المتوكِّل لتأديب ولده . فلما رأيَ استَبَشَّعَ مَنْظَرِي وأمر
لي بعشرة آلاف درهم، وصرفني . فلما خرجت من عنده لَقِيتُ محمد بن إبراهيم يريد
الانحدار في سفينة الى مدينة السَّلام، فركبت معه. فأمر يوما بِنَصْبِ أَسْتاره، وأمر
عَوَّادَةَ عنده أن تَغْنِي، فأخذت العود وغنَّت : كلَّ يومٍ قطيعةٌ وعِتَابُ
(البيتين) ثمَّ سكَّت . فأمر طُنْبُورِيَّةَ كانت عنده أن تَغْنِي، فأخذت الطنبور وغنَّت :
وارحُمةٌ لِلْعَاشِقِينَ مَا أَرَى لَهُمُ مَعِينَا !
كَمْ يَظْلَمُونَ وَيُهْجَرُونَ وَيَقْطَعُونَ فَيَصْبِرُونَ !
فقالَت العَوَّادَةُ : وماذا يصنعون ؟ فقالت : يصنعون هكذا ! فهتكت السَّتارة ورمت بنفسها
في الماء . وكان على رأس محمد غلام مثلها في الجمال، بيده مَدِيَّة . فلما رأى ما

صنعت، ألقى المدينة وجاء الى الموضع الذي رمت بنفسها منه فقال :

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتِنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعْلَمِينَ
لَا خَيْرَ بَعْدَكَ فِي الْبَقَا وَالْمَوْتُ زَيْنُ الْعَاشِقِينَ
ثم رمى بنفسه في أثرها، وعانقها في الماء، فكان آخر العهد بهما . فعظم الأمر على محمد،
والتفت إليّ وقال : يا عمرو، حدّثني بحديث تسلّيني به عن هذين، وإلاّ لحقتُ بهما !
فقلت : جلس سليمان بن عبد الملك يوماً للمظالم، فعرضتُ عليه بطاقة فيها : إن رأى
أمير المؤمنين أعزّه الله أن يخرج إليّ جاريته فلانة حتّى تغنّي لي ثلاثة أصوات، فعل .
فاغتاز وأمر بإحضاره . فلمّا حضر قال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : الثقة بحملك .
فسرّني عنه، وأمره بالجلوس، وأمر الناس بالانصراف . ثمّ أمر بإخراج الجارية، فجاءت
بعودها، وجلست . فقال لها الفتى : غنّي لي :

تَعَلَّقْ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا كُنَّا نَطَاقًا وَفِي الْمَهْدِ
وَزَادَ كَمَا زِدْنَا وَأَصْبَحَ نَامِيًا وَلَيْسَ وَإِنْ مُتْنَا بِمُنْتَقِصِ الْعَهْدِ
وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ (كَذَا) وَزَائِدٌ مَا فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ
فلمّا غنّته طرب طرباً شديداً وقال : فداؤك أبي وأمّي ! قال : غنّي لي :

إِذَا قُلْتُ : مَا بِي يَا بَيْتِي قَاتِلِي مِنْ الْحُبِّ قَالَتْ : ثَابِتٌ وَبِزِيدُ
وَإِنْ قُلْتُ : رَدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعْشُ بِهِ مَعَ النَّاسِ قَالَتْ : ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
يَمُوتُ الْهَوَى مَنِّي إِذَا مَا لَقِيَتْهَا وَيَحْيَا إِذَا فَارَقَتْهَا وَيَعُودُ
فلمّا غنّت طرب [طرباً] أعظم من الأول وقال : غدتك نفسي ! ثمّ قال : غنّي لي :

مَنِّي الْوَصَالُ وَمَنْكُمُ الْهَجْرُ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ
وَاللَّهِ لَا أَنْسَاكُمْ أَبَدًا مَا لَمْ نَجْمُ أَوْ بَدَا بَدْرُ
فَمَا أَمَتَّتْهَا حَتَّى زَجَّ بِنَفْسِهِ فِي الْهَوَاءِ، ثُمَّ انْعَكَسَ عَلَى دِمَاغِهِ وَسَقَطَ بِالْأَرْضِ، فَإِذَا هُوَ
مَيِّتٌ . فقال سليمان : عجبك على نفسك . والله ما أخرجتها إلاّ على ملكه ! يا غلام،
خذ بيدها وانطلق بها ، فإن كان له أهل، وإلاّ بيعت وتصدّق بثمنها عليه . فانطلق
بها، فلمّا توسّطت الدار رأت حفرة أعدت لماء المطر، فقالت :

من مات عِشْقًا فَلَيَمْتَ هَكَذَا لا خَيْرَ فِي عِشْقٍ بِلَا مَوْتٍ !
ثمَّ جَذِبَتْ بِيَدِهَا مِنْ يَدِ الْغَلَامِ، وَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا فِي الْحَفْرَةِ عَلَى دِمَاغِهَا فَمَاتَتْ . قَالَ :
فَسُرِّي عَنْ مُحَمَّدٍ وَوَصَلَنِي وَكَسَانِي . قَالَ ثُمَّ حَدَّثَتْ بِهَذَا الْحَدِيثِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ
الْأَخْبَارِيَّ فَقَالَ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ الطُّوسِيَّ يَوْمًا مَعَ نَدْمَاءٍ، فَغَنَّتْ جَارِيَةً لَهُ :
يَا قَمَرَ الْقَصْرِ مَتَى تَطْلُعُ ؟ أَشْقَى وَغَيْرِي بِكَ يَسْتَمِعُ
إِنْ كَانَ رَبِّي قَدْ قَضَى مَا أَرَى مِنْكَ عَلَى رَأْسِي فَمَا أَصْنَعُ ؟
وَكَانَ عَلَى رَأْسِ [مُحَمَّدٍ] بْنِ حَمِيدٍ غَلَامٌ بِبَيْدِهِ قَدَحٌ يَسْقِيهِ بِهِ . فَرَمَى بِالْقَدَحِ مِنْ يَدِهِ
وَقَالَ : تَصْنَعِينَ هَكَذَا ! وَرَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ الدَّارِ إِلَى دِجْلَةٍ . فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ الْجَارِيَةُ قَامَتْ
وَرَمَتْ بِنَفْسِهَا عَلَى أَثَرِهِ، فَكَانَ آخِرُ الْعَهْدِ بِهِمَا . وَقَالَ آخِرُ الطُّغَيْلِيِّينَ :

كَلَّ يَوْمَ أَدُورَ فِي عَرِصَةِ الدَّارِ أَشْمُ الْقَتَارِ شَمَّ الذُّبَابِ
فَإِذَا مَا رَأَيْتَ أَثَارَ عُرْسٍ أَوْ دَخَانًا أَوْ دَعْوَةَ الْأَصْحَابِ
لَمْ أَعْرِجْ دُونَ التَّقَحُّمِ لَا أَرْهَبُ شَتْمًا وَلَكِنَّةَ الْبَوَابِ
مُسْتَهِينًا بِمَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هِيَّابِ
فَتَرَانِي الْفُءُ بِالرَّغْمِ مِنْهُمْ كَلَّ مَا قَدَّمُوهُ لَفَّ الْعُقَابِ
ذَاكَ أَهْنَا مِنَ التَّكَلُّفِ وَالْعَزْ مَرَّ وَشَتَمَ الْبَقَالِ وَالْقَصَابِ
وَكَانَ هَذَا الطُّغَيْلِيُّ أَتَى وَلِيمَةً، فَاقْتَحَمَ الدَّارَ وَأَخَذَ مَجْلِسَهُ مِنَ النَّاسِ فَأَنْكَرَهُ صَاحِبُ
الْمَنْزِلِ وَقَالَ لَهُ : لَوْ صَبَرْتَ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكَ لَكَانَ أَحْسَنَ [لَأَدْبَكَ] فَقَالَ : إِنَّمَا
اتَّخِذْتُ الْبَيْوتَ لِيَدْخُلَ إِلَيْهَا، وَالْمَوَائِدُ لِيُؤْكَلَ عَلَيْهَا، وَالْحِشْمَةُ قَطِيعَةٌ
وَاطَّرَاحُهَا صِلَةٌ . وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ : صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَحْسِنِ إِلَى مَنْ أَسَاءَ
إِلَيْكَ ! ثُمَّ إِنِّي أَجْمَعُ فِيهَا خِلَالًا : أَدْخُلُ مُجَالِسًا، وَأَكُلُ مُوَانِسًا، وَأَبْسُطُ [رَبَّ الدَّارِ
وَإِنْ كَانَ] (41) عَابِسًا، وَأَنْشُدُ مَا تَقَدَّمَ.

وقال الآخر :

كَتَبْنَا نَعَاتِبُكُمْ لِيَالِي عَوْدَكُمْ حُلُوْ الْمَذَاقِ وَفِيكُمْ مُسْتَعْتَبُ

(41) سقط من أ و ج .

فَالآنَ حِينَ بَدَأَ التَّنَكُّرُ مِنْكُمْ ذَهَبَ الْعِتَابُ وَلَيْسَ عَنْكُمْ مَذْهَبٌ
يَحْكِي أَنَّ قَيْنَةَ اجْتَمَعَ عِنْدَهَا أَرْبَعَةٌ مِنْ عُسَّاقِهَا، وَكَلَّ يُخْفِي أَمْرَهُ عَنِ الْآخَرِينَ . وَكَانَ
أَحَدُهُمْ غَائِبًا فَقَدِمَ، وَالثَّانِي عَزَمَ عَلَى السَّفَرِ، وَالثَّلَاثُ قَدْ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ، وَالرَّابِعُ كَمَا ابْتَدَأَ .
فَضَحَكَ إِلَى الْأَوَّلِ، وَبَكَتِ الثَّانِي، وَأَبْعَدَتِ الثَّلَاثُ، وَأَطْمَعَتِ الرَّابِعُ . وَأَنْشَدَهَا كُلٌّ مِنْهُمْ مَا
يَشَاكِلُ حَالَهُ، وَأَجَابَتْهُ بِمَثَلِ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهَا الْقَادِمُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ أَتُحْسِنِينَ :
وَمَنْ يَنْأَى عَنْ دَارِ الْهَوَى يُكْثِرُ الْبُكَاءُ وَقَوْلُ لَعَلٍّ أَوْ عَسَى وَيَكُونُ
وَمَا اخْتَرْتُ نَأْيَ الدَّارِ عَنْكَ لَسُلُوقٍ وَلَكِنْ مَقَادِيرُ لَهْنٍ شُجُونُ
فَقَالَتْ : نَعَمْ ! وَأَنَا أَحْذَقُ بِقَوْلِ مَطَارِحِهِ، ثُمَّ غَنَّتْ :

وَمَا زِلْتُ مَذْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارَ بَاكِيًا أَوْمَلْتُ مِنْكَ الْعَطْفَ حِينَ تَوُوبُ ؟
فَأَضْعَفَ مَا بِي حِينَ أَبْتُ وَزِدْتَنِي عَذَابًا وَإِعْرَاضًا وَأَنْتَ قَرِيبُ
وَقَالَ الَّذِي عَزَمَ عَلَى السَّفَرِ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! أَتُحْسِنِينَ :

أَرْفَ الْفِرَاقُ فَأَعْلَنِي جَزَعًا وَدَعَمَ الْعِتَابُ فَإِنَّمَا سَفَرُ
إِنَّ الْمُحِبَّ يُصَدُّ مُقْتَرِبًا فَإِذَا تَبَاعَدَ شَقَّهُ الذِّكْرُ
فَقَالَتْ : نَعَمْ ! وَأَحْسَنُ مِنْ شَكْلِهِ . ثُمَّ غَنَّتْ :

لَأُقِيمَنَّ مَا تَمَّا عَنْ قَرِيبٍ لَيْسَ بَعْدَ الْفِرَاقِ غَيْرُ النَّحِيبِ
رُبَّمَا أَوْجَعَ النَّوَى لِلْقُلُوبِ ثُمَّ لَا سِيَّامًا فِرَاقُ الْحَبِيبِ
وَقَالَ الَّذِي انْقَضَتْ أَيَّامُهُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! أَتُحْسِنِينَ : كُنَّا نُعَاتِبُكُمْ لِيَأْتِي
عَوْدُكُمْ (الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ) . فَقَالَتْ : لَا، وَلَكِنْ أَحْسَنُ فِي مَعْنَاهُ، ثُمَّ غَنَّتْ :

وَصَلَّتْكَ لَمَّا كَانَ وَدُوكَ خَالِصًا وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صِرْتَ نَهْبًا مُقْسَمًا
وَلَنْ يَلْبَثَ الْحَوْضُ الْجَدِيدُ بِنَاؤُهُ عَلَى كَثْرَةِ الْوُرَادِ أَنْ يَتَهَدَّمَا
وَقَالَ الَّذِي أَقْبَلَتْ أَيَّامُهُ [جُعِلَتْ فِدَاكَ ! أَتُحْسِنِينَ] (42) :

إِنِّي لِأَعْظَمُ أَنْ أَبُوحَ بِحَاجَتِي فَإِذَا قَرَأْتَ صَحِيفَتِي فَتَقَهَّمِي
وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ أَبْثُتِهِ أَحَدًا وَإِنْ أَذْنَتْهُ بِتَكَاثُرِ

فَقَالَتْ : نَعَمْ ! وَأَحْسَنَ فِي مَعْنَاهُ . ثُمَّ غَنَّتْ :

لَعَمْرُكَ مَا اسْتَوْدَعْتُ سِرِّي وَسِرَّهَا سَوَانَا حِذَارَ أَنْ تَذَاعَمَ السَّرَائِرُ !
أَكَاتَمُ مَا بِالْقَلْبِ بُقِّيئِي عَلَى الْهَوَى مَخَافَةَ أَنْ يُغْرَى بِذَلِكَ ذَاكِرُ
فَانصَرَفُوا ، وَكَلَّ قَدْ لَوَّحَ بِحَاجَتِهِ ، وَأَخَذَ جَوَابَهُ .

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ كَانَ زَوْجُهَا غَائِبًا عَنْهَا فَذَكَرَتْهُ :

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَاسْوَدَّ جَانِبُهُ وَأَرْقَنِي إِلَّا خَلِيلَ الْأَعْرَبِ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ تَخَشَى عَوَاقِبُهُ لَزَعَزَعُ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ
وَبْتُ إِلَهِي غَيْرَ بَدْعٍ مُنْعَمًا لَطِيفَ الْحَشَا لَا يَحْتَوِيهِ مُصَاحِبُهُ
يَلَاعِبُنِي فَوْقَ الْحَشَايَا وَتَارَةً يُعَاتِبُنِي فِي حُبِّهِ وَاعَاتِبُهُ
وَلَكِنِّي أَخْشَى رَقِيبًا مُوَكَّلًا بَأَنْفُسِنَا لَا يَفْتَرُ الدَّهْرَ كَاتِبُهُ
مَخَافَةَ رَبِّي وَالْحَيَاءِ يَصُونُنِي وَحِفْظًا لِبُعْلِي أَنْ تُنَالُ مَرَاقِبُهُ
وَيُرَوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرَ بْنَ رَضِي اللَّهِ عَنْهُ خَرَجَ لَيْلًا فَسَمِعَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ تَتَنَشَّدُ ، فَلَمَّا فَرَغَتْ
مِنَ الشَّعْرِ الْمَذْكُورِ ، تَنَفَّسَتْ الصَّعْدَاءُ وَقَالَتْ لَهَا⁽⁴³⁾ عَلَى ابْنِ الْخَطَّابِ وَحُشْتِي
وَعِيبَةُ زَوْجِي عَنِّي . فَتَأَوَّاهُ عَمْرٌ لَذَلِكَ وَوَجَّهَهُ فِي إِقْبَالِ زَوْجِهَا ، وَسَأَلَ النِّسَاءَ كَمْ تَصْبِرُ
الْمَرْأَةُ عَنِ الزَّوْجِ ، فَقُلْنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، فَجَعَلَ ذَلِكَ غَايَةَ الْغَيْبَةِ فِي الْمَغَازِي كَمَا فِي الْإِيلَاءِ
. وَقِيلَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ . وَفِي الشَّعْرِ الْمَذْكُورِ اخْتِلَافَاتٌ كَثِيرَةٌ .

وَقَالَ الْآخَرُ :

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَا شِقْ طَوَلَا قَطَعْتُهُ بَانْتِحَابِ
وَحَدِيثِ الذِّمَّةِ مِنْ نَظَرِ الْوَا مِقْرٍ بَدَّلْتُهُ بِسُوءِ الْعِتَابِ
يَحْكِي عَنْ خَالِدِ الْكَاتِبِ قَالَ : دَخَلْتُ دَيْرًا فَلِذَا أَنَا بِشَابٍّ جَمِيلٍ مُوثَّقٍ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ
فَرَدَّ عَلَيَّ وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ . قَالَ : صَاحِبُ الشَّعْرِ الرَّقِيقِ ؟ فَقُلْتُ :
نَعَمْ ! قَالَ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَفْرَجَ عَنِّي بَعْضُ مَا أَنَا فِيهِ بِأَنْشَادِ شَيْءٍ مِنْ شَعْرِكَ ، فَافْعَلْ !
فَأَنْشَدْتُهُ :

(43) فِي أَوْجِهٍ : لَهَا بَدُونُ نَوْنٍ .

ترشفتُ من شفتيها عِقاراً وقبّلتُ من خدّها جلّ ناراً
وعانقتُ منها كتيباً مهيلاً وغصّنا رطيباً وبدرّاً أناراً
وأبصرتُ من نورها في الظلّ من بكّل مكان بليل نهاراً
فقال : أحسنت، لا فضض الله فاك ! ثمّ قال : أجزلّي هذين البيتين، وأنشد : ربّ
ليلٍ أمدّ من نفس العاشق (البيتين) . قال خالد : فوالله لقد أعملتُ فكري وحاولت
في الزيادة عليهما فلم أقدر !

وقال ابن بسّام في الورد :

أما ترى الوردَ يدعو للورودِ على حمراء صافية في لونها صهب ؟
مداهن من يواقيت مركّبة على الزبرجد في أجوافها ذهب
خاف الملاّلة إذ طالت إقامته فصار يظهر حيناً ثمّ يحتجب
وسأيتي ذكر ما في هذا المنزعر بعد إن شاء الله تعالى .

وقال الآخر :

إذا ملك لم يكن ذاهبه فدعه فدولته ذاهبه
أي إذا لم يكن صاحب هبة وعطيّة فدولته ذاهبة لبقاء لها .
وقال التنسي :

إنّ أهل العلم قومٌ سادة ما على نور سناهم من حجاب
من غدا يجحد جهلاً حقهم حاقاً في الأخرى به سوء العذاب
وقال أيضاً :

من يكن بأبيه والأمم برّاً فهو من ربّه بوصف اقترب
وقال إبراهيم بن حسان :

يشين الفتى في الناس قلّة عقله وإن كرمّت أعرافه ومناسبه
وقال الآخر :

ألم تر أنّ العقل زين لأهله ولكن تمام العقل طول التحارب
وقال الآخر :

وما سمِّي الانسان إلاَّ لأنَّسِه ولا القلبُ إلاَّ أنَّه يتقلَّبُ
وقال الآخر :

عليك بأوساط الأمور فإنَّها نجاةٌ، ولا تركبْ ذُلولا ولا صَعْبًا !
وسَيأتِي هذا المعنى.

وقال ابن المعتز :

لِحومهمْ لَحْمِي وهم ياكلونه وما داهياتُ المرءِ إلاَّ أقاربه
ومن كلام الكِنديّ في هذا : الأب ربّ، والجَدّ كَدّ، والولد كَمَد، والأخ فَخّ،
والعمّ غَمّ، والخال وبَال، والأقارب عقارب وإنَّما المرء بصديقه . ولبعضهم فيه :
أقاربك العقاربُ في أذاها فلا تركنْ إلى عمٍّ وخالٍ
فَكَم عمٌّ أتاك الغمُّ مِنْهُ وكَم خالٍ مِنَ الخيراتِ خالٍ !
وقال ابن الرومي :

عدوّك من صديقك مُستَفَادٌ فلا تَسْتَكثِرَنَّ مِنَ الصُّحَابِ !
فإنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ ما تَراهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعامِ أوالشَّرابِ
وهذا منزع يتَّسع فيه القول، استوفيني في غير هذا الموضع.
وقال الآخر :

ومن ذَا الَّذِي تُرَضَى سجاياه كُلُّها ؟ كفى المرءَ نُبلاً أن تُعدَّ معايبه
وقال ابن الرومي :

ومن قِلَّةِ الانصافِ أنْكَ تَبْتَغِي مُهذَّبَ أَخلاقٍ وَلَسْتَ مُهذَّبًا
وقال ابراهيم بن هرمة :

فإنَّكَ واطِّراحَكَ وصلَّ سَلَمِي لِأُخْرَى فِي مودَّتِها نَكُوبُ
كَثاقِبَةٍ لِحليٍّ مُستَعَارٍ لِأَذْنِيها فَشانَهُما الثُّقُوبُ
فادَّت حِلِيَّ جارتِها إِلَيها وَقَد بَقِيت بِأَذْنِيها نُدُوبُ
وحاصل هذا الشعر وفحواه أنَّه لا ينبغي لك أن تطرَّحَ صاحبك الى صاحبٍ آخر، وأنت لا
تجد فيه إلاَّ مثلك ما في الأوَّل، أو شرًّا منه. فعليك بالصفح والغفران، والاستبقاء على

الخلان.

وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا وترت امرءاً فاحذر عداوته
إنَّ العدوَّ وإن أبدي مُسالمةً
وتقدّم هذا في الباب الأوّل. وقال الآخر :

قد ينفع الأدبُ الأحداثُ في مهلٍ
إن الغُصونَ إذا قومَمتها اعتدلتُ
وقال الآخر :

فما خلَق الله مِنك العقولُ
وما كرمُ النفسِ إلّا الثّقَى
وفي العلمِ زينٌ لأهلِ الحجى
وقال كُشاجِم :

لم أرضَ عن نفسي مخافةً سُخطها
ولو أنّني عنها رضيتُ لقصّرتُ
وتبيّنتُ آثارَ ذاك فاكثرتُ
وقال الآخر :

أحبُّ مكارمَ الأخلاقِ جهدي
وأصنّفُ عن سبابِ الناسِ حلماً
ومن هابَ الرّجالَ تهَيّبوه
وقال الآخر :

فيا ربَّ السّنةِ كالسّيوفِ
وقال عبدُ الله بن سُلَيْمان بن وهب :
نوائِبُ الدّهْرِ أدبُ تنبي
فدقّتُ حلّوا ودقّتُ مرّ

من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً
إذا رأى منك يوماً فرصةً وثباً

وليسَ يَنفَعُ بَعْدَ الكِبَرِ الأدبُ
ولن تَلينَ إذا قومَمتها الخُشبُ

ولا اكتسبَ المرءُ مثلاً الأدبُ
ولا حسَبُ المرءِ إلّا النّسبُ
وأفّةُ ذي الحِلْمِ طيشُ الغَضَبِ

ورضى الفتى عن نفسه إغضاها
عما تزيّدُ بِمِثْلِهِ آدابُها
عذلي عليه وطال فيه عتابُها

وأكرهُ أن أعيبَ وأن أعاباً
وشرُّ النّاسِ من يهوى السّباباً
ومن حقّر الرّجالَ فلن يهاباً

تقطّعُ أعناقُ أربابِها !

وإنّما يُوعَظُ الأديبُ
كذاكَ عيشُ الفتى ضروبُ

لَمْ يَمُضِ بَوْسٌ وَلَا نَعِيمٌ
كَذَآكَ مَنْ صَاحَبَ اللَّيَالِي
وقال أبو الأسود :

وما كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نَصَحَهُ
وقال الفضل بن عباس بن عتبة :

وقَدْ تَرَفَّعُ الْأَيَّامُ مَنْ كَانَ جَاهِلًا
وَيُحَمَّدُ فِي الْأَمْرِ الْفَتَى وَهُوَ مُخْطِئٌ
وقال النَّمِرُ بَنِي تَوَلَّبَ :

لَا تَغْضِبْنِي عَلَى أَمْرِي فِي مَالِهِ
وقال النابغة :

فَإِنْ يَكُ عَامرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا
وقال عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَوْوِبُ
وقال الآخر :

لَعَمْرُكَ مَا وَدُّ اللِّسَانُ بِنَافِعِهِ
وقال الآخر :

وما الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى :
وقال الآخر :

وَلَا أَتَمَنَّى الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي
وقال الْكُمَيْتُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأَسَنَّةُ مَرْكَبٌ
وقال أيضا :

أَيَا مَوْقِدًا نَارًا لَغَيْرِكَ ضَوْغُهَا
وقال ابن المعتز :

إِلَّا وَلِيٍّ مِنْهُمَا نَصِيبُ
تَعْرُوهُ فِي مَرَّهَا الْخُطُوبُ

وَلَا كُلُّ مُؤْتِرٍ نَصَحَهُ بِلَبِيبِ

وَيُرْدِي الْهَوَى ذَا الرَّأْيِ وَهُوَ لَبِيبُ
وَيُعْذِلُ فِي الْإِحْسَانِ وَهُوَ مُصِيبُ

وَعَلَى كِرَائِمِ صُلْبِ مَالِكٍ فَاغْضَبِ

فَإِنَّ مَظِنَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ

وَعَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَوْوِبُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ أَصْلُ الْمَوَدَّةِ فِي الْقَلْبِ

زُرِّيَّةٌ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ

وَلَكِنْ مَتَى أُحْمَلَ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِ

فَلَا رَأْيَ لِلْمُضْطَرِّ إِلَّا رَكُوبُهَا

وَيَا حَاطِبًا فِي حَبْلِ غَيْرِكَ تَحْطُبُ !

وإنَّ فُرْصَةً أُمَكَّنْتَ فِي الْعِدَى فَلَا تَبْدِ فِعْلَكَ إِلَّا بِهَا !
وقال محمود :

كَمْ مِنْ حَرِيصٍ عَلَى شَيْءٍ لِيُدْرِكَهُ وَإِنْ إدْرَاكَهُ يُدْنِيهِ إِلَى عَطِيَّةٍ !
وقال السري الموصلي :

إِذَا الْحِمْلُ الثَّقِيلُ تَوَزَّعَتْهُ أَكْفُ الْقَوْمِ خَفَّ عَلَى الرِّقَابِ
وقال أعرابيٌّ يهجو بنيهِ :

إِنَّ بَنِيَّ كَلَّهُمْ كَالْكَلْبِ أَبْرَهُمْ أَوْلَاهُمْ بِيَسْبٍ
لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ أَدْيِي وَضَرْبِي وَلَا اتَّسَاعِي لَهُمْ وَحَرْبِي
فَلَيْتَنِي بَتٌّ بَغَيْرِ عَقْبٍ أَوْ لَيْتَنِي كُنْتُ عَقِيمَ الصُّلْبِ !
وقال النابغة يمدح غَسَّانَ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيْوِفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
ويُروى أَنَّ عروة بن الزبير - رضي الله عنهما - قال لعبد الملك بن مروان : أريد أن تُعطيني
سيف أخِي عبد الله بن الزبير . فقال له : هو بين السيوف ، ولا أُمِيرُهُ . فقال : إِذَا أَحْضَرْتُ
مِيْزَتَهُ أَنَا . فأمر عبد الملك بإحضاره . فلمَّا أَحْضَرْتُ أَخْذَ عُرْوَةَ سَيْفًا مَقْلُودَ الْحَدِّ وقال : هَذَا
سيف أَخِي . فقال عبد الملك : أَكُنْتَ عَرَفْتَهُ قَبْلَ الْيَوْمِ ؟ قَالَ . لَا . قَالَ : فَكَيْفَ عَرَفْتَهُ ؟ قَالَ :
عَرَفْتَهُ بِقَوْلِ النَّابِغَةِ : وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيْوِفَهُمْ (البيت) .

وقال بعض المتأخرين قبل عصرنا بقريب :

وَهَبْنِي جَهْلْتُ النَّحْوِ يُزْرِي بِقِسْطِهِ فَفَقِيمٌ أَرْزَى فِي الْمَعَانِي الْغَرَائِبُ ؟
وكان هذا القائل مُزَجِّجِي الْبِضَاعَةِ فِي النَّحْوِ ، وَلَهُ قَرِيحَةٌ لَا بَأْسَ بِهَا . يُحْكِي أَنَّهُ مَدَحَ
بَعْضَ مُلُوكِ مَرَكَشَ بِقَصِيدَةٍ ، فَكَانَتْهُ رَأَى غَضَاضَةً مِنْ قَيْلِ الْأَعْرَابِ ، فَقَالَ ذَلِكَ . وَهَذَا
الْبَيْتُ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ فِي وَقْتِنَا الْبَطَّالُونَ الْأَغْبِيَاءُ عِنْدَ الْإِعْتِذَارِ عَنِ التَّقْصِيرِ فِي دَرْكِ
الْأَشْيَاءِ . وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ شَبِيهًا بِالْمَعْمَارِ فِي زَمَنِهِ ، وَكَانَ الْمَعْمَارُ أَحَدَ الْأَدْبَاءِ لَهُ شَعْرَ رَائِقٍ
ذَكَرَ كَثِيرًا مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ حَجَّةٍ الْحَمَوِيُّ فِي كِتَابِهِ تَقْدِيمُ أَبِي بَكْرٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَقَعُ فِي شَعْرِهِ
أُمُورٌ لَا تَسَاعِدُهَا الْعَرَبِيَّةُ .

وقال سحيم الفقعسي :

وَلَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أَبْتُهَا وَلَا أَدْعُمُ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي
وَإِنَّ قَلْبَكَ الْعَقْلَ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً تَقْلَبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ
وهذه سَخَافَةٌ وَسَقَاطَةٌ . ولولا أَنَّ الْكِتَابَ يَصْدَدُ أَنْ يُذْكَرَ فِيهِ مَا يُتَمَتَّلُ بِهِ أَيُّهَا
كَانَ مَا عَرَجْنَا عَلَى مَثَلِ هَذَا الْكَلَامِ، لَمَنَافَاتُهُ الْخُلُقَ الْجَمِيلَ . وقلت أنا معارضا له على هذا
الأسلوب :

لَعَمْرُكَ مَا مِنْ بَثٍّ سَرٍّ بِذِي لُبٍّ وَلَا مِنْ حَشَاةٍ مِنْهُ أَمْسَى عَلَى كَرْبٍ
وَلَكِنْ أَخُو الْحِلْمِ الَّذِي مَا أَدْعَتْهُ تَنْسَاهُ حَتَّى لَيْسَ يَهْجَسُ بِالْقَلْبِ
وفي الخبر : مَنْ أَسَرَّ إِلَى أَخِيهِ سَرًّا لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يُفْشِيَهُ . وقال عمر رضي الله
عنه : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ بِيَدِهِ .

وقال أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ، فَانْظُرْ أَيْنَ تُرِيْقُهُ !
وقال بعضهم :

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا اشْتَمَلْتُ مِنِّْي الضَّلُوعُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ
لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسِي سَرَّائِهِ إِذْ كُنْتُ مِنْ نَثَرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرٍ
ويقال : مَنْ ضَاقَ صَدْرُهُ، اتَّسَعَ لِسَانُهُ . وسيأتي ما قيل في كِتْمَانِ السَّرِّ
مُسْتَوْفِيٍّ .

وقال آخر في طبيب :

لَأَبِي الْعَيْصِ الْفُ الْفِ قَتِيلٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْسَ ذَا بَعَجِيبٍ
أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ ذَا لَغَرِيبٌ مَلَكُ الْمَوْتِ فِي ثِيَابِ طَبِيبٍ !
وقال آخر :

عَدَّ عَنِّي لَسْتُبَ مِنْ أَرَبِي كَانَ هَذَا حِينَ كُنْتُ صَبِي
وَجَنَّةٌ كَانَتْ أَبَا لَهَبٍ فَعَدْتُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ !
وقال ابن المعتز :

شَهْرُ الصَّيَامِ مُبَارَكٌ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي شَهْرِ آبٍ

خِفْتُ الْعَذَابَ فَصُنَّتْهُ فَوَقَعْتُ فِي عَيْنِ الْعَذَابِ
وقلت أنا معارضا على هذا الاسلوب :

شَفَرُ الصَّيَّامِ مُبَارَكٌ لَا سِيمَا فِي شَفَرِ آبٍ
إِنَّ الصَّدَى فِي حَرِّهِ يَشْفِي صَدَى يَوْمِ الْحِسَابِ
وَيُنِيلُ وَرْدَ السَّلْسَبِيلِ وَرَشَفَ مَعْسُوكِ الرُّضَابِ
وقال أبو الغريب :

سَقِيًّا لِعَهْدِ خَلِيلٍ كَانَ يَأْدِمُ لِي زَادِي وَيُذْهِبُ عَنْ زَوْجَاتِي الْغَضَبِ
كَانَ الْخَلِيلَ فَاضْحَى قَدْ تَخَوَّنَهُ مَرُّ الزَّمَانِ وَتَطْعَانِي بِهِ الثُّقْبُ
يَا صَاحِبِ بَلِّغْ ذَوِي الزَّوْجَاتِ كُلَّهُمْ أَنْ لَيْسَ وَصْلٌ إِذَا انْحَلَّتْ عُرَى الذَّنْبِ !
كان أبو الغريب هذا شيخا، فتزوَّج ولم يُولم . فاجتمع الفتيان حول خبائه، فصاحوا به :
أَوَّلِمْ وَلَوْ بِيَرْبُوعٍ، وَلَوْ بِقِرْدٍ مَجْدُوعٍ، قَتَلْتَنَا مِنَ الْجُوعِ ! فَأَوَّلِمْ . فلمَّا
عَرَّسَ غَدَاً عَلَيْهِ فَقَالُوا :

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ أَبِي غَرِيبٍ إِذْ بَاتَ فِي مَسَاحِرِ وَطِيبٍ
مُعَانِقًا لِلرَّشْلِ الرَّبِيبِ أَلْخَمَدَ الْمِحْفَارَ فِي الْقَلِيبِ
أَمْ كَانَ رَخْوًا يَا بَيْسَ الْقَضِيبِ ؟

فصاح : يابِسَ القضيبي واللَّه ! ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ : سَقِيًّا لِعَهْدِ الْخَلِيلِ (الآبيات) .
يريد قضيبه.

وقوله عُرَى الذَّنْبِ يريد عُرَى الذِّكْرِ، وهو العَصَبُ.

وقال الحماسي

أَنِخْ فَاصْطَنِعْ قُرْصًا إِذَا اعْتَادَكَ الْهَوَى بِيَزِيْتِ لِكِي يَكْفِيكَ فَقَدْ الْحَبَائِبُ
إِذَا اجْتَمَعَ الْجُوعُ الْمُبْرَحُ وَالْهَوَى نَسِيَتْ وَصَالَ الْغَانِيَاتِ الْكَوَاعِبُ
فَدَعَ عَنْكَ أَمْرَ الْحُبِّ لَا تَذَكَّرْتَهُ وَبَادِرْ إِلَى تَمَرٍ مَعْدٍ وَرَائِبِ
وفي هذا الكلام خلك وتدافع يُعْتَغَرُ فِي جَانِبِ الْهَزْلِ وَالتَّمْلِيحِ .

ومن معنى هذا ما رُوي أَنَّ حَمِيدَ الْمُهَلَّبِيِّ، وَكَانَ مِنَ الذُّعَمَاءِ، جَلَسَ يَوْمًا إِلَى

قَيْنَة كازيهواها، فجعلت تحدّثه . فلمّا طال المجلس وغلب عليه الجوع قال لها : مالي لا
أسمع للغداء ذِكْرًا ؟ فقالت له : أما تستحي ؟ أليس في وجهي ما يشغلك عن هذا ؟
فقال لها : جُعِلْتُ فداك ! لو أنّ جَمِيلًا وبُئِينَةً جلسا ساعةً يتحدّثان ولم يأكلا
فيها شيئًا لَبَصَفَ كلُّ منهما في وجه صاحبه واقتربا !
ولعلّ هذا القدر يكفي في هذا الباب، فلنُؤمِّسِكِ العنان خشيّة الطول، والله
يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ .

باب التَّاء [المثنّاة]

تَتَابَعِي بَقْر !

يقال تَبِعْتُ الرجل بالكسر اتَّبَعُهُ إذا مَشَيْتُ ورائه ؛ وكذا اتَّبَعْتُهُ، وتَتَابَعُوا : اتَّبَعَ بعضهم بعضًا، والبقرة معروف، يُطلق على الانسية المعروفة وعلى الوحشيّة، كقول الشاعر يصف نساء :

أشْبَهْنَ مِنْ بَقَرِ الْخِلْسَاءِ أَعْيُنَهَا وَهْنٌ أَحْسَنُ مِنْ صَيْرَانِهَا صُورًا
وهنّ أربعة أصناف : المَهَاء، والأَيْل، واليَحْمُور، والتَيْثَل.

وأصل المثل أن بشر بن الحارث الأسدي خرج في سنة جهد وجذب، فمروا ببقر فَنَفَرَتْ منهم، فقام على رأس الجبل ورماها بقوسه، فجعلت تلقي نفسها وهو يقول : تَتَابَعِي بَقْر !، حتى تكسرت ثم رجع إلى قومه فأعلمهم بها فأخذوها . يَضْرَبُ عند تتابع الأمر وسرعته . [و] على هذا فَبَقْر مُنادى، أي تَتَابَعِي يَا بَقْرُ . وحذف منه حرف النداء وإن كان اسم جنس، وهو جائز على قلة، كقوله : ثوبي حجر ! وقال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُ : عَطَارُ هَلَّا أَتَيْتَنَا بِرِيحِ الْخُزَامَى أَوْ بِخُوصَةِ عَرْفَجِر ؟
أَتُبِعِ الْفَرَسَ لِجَامَاهَا، وَالنَّاقَةَ زِمَامَاهَا، وَالْدَّلَوَ رِشَاءَهَا.

ويقال أيضا : أتبع المَهْرَةَ لجامها إلخ . وتقول اتَّبَعْتُ زَيْدًا إذا سَبَقَكَ فليَحِقَّتْهُ، وأَتَّبَعْتَهُ كذا إذا جعلت ذلك تَابِعًا له : والفرس معروف، يقع على الذكر والأنثى . والمَهْرُ ولد الفرس، وقيل أول ما ينتج منه ومن غيره ؛ والأنثى مَهْرَةٌ . قال عنقرة :

لَمَّا تَذَكَّرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتِهِ فَيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ !
وَقَالَتْ حَمِيدَةُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِير :
وَمَا أَنَا إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلٌ

والنَّاقَةُ معروفة، جمعها نَاقٌ، ونُوقٌ، وأنُوقٌ، ويهمز، وأُونُقٌ، وأُونُقٌ على القلب، وأنوَأَقٌ؛ والزَّمَامُ بكسر الزاي: ما يشدُّ به، جمعه أَرَمَّةٌ؛ والدَّلْوُ معروف، مؤنث وقد يذكَّر، جمعه أدل، ودلاء، ودليي؛ والرِّشَاءُ بكسر الراء والمد: الحبل، وهمزته مقلوبة عن واو، جمعه أَرَشِيَّةٌ. قال زهير:

فَشَجَّ بِهَا الْأَمَاعِزَ وَهِيَ تَهْوِي هُوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ
أي شجَّ هذا الحمار المذكور، يعني علايها، أي بالأتان، الأماعز، وهي الأمكنة الغليظة، وهي تهوي أي تسرع إسراع الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ، أي انقطع عنها حبلها، فهوت إلى قعر البئر، ولا أسرع منها حينئذ. ومعنى جملة المثل ظاهر، وهي عند التفصيل ثلاثة أمثال، ومقصدها واحد، تُضرب عند الأمر باستكمال المعروف وإتمام الصنع. وسببه أن ضرار بن عمرو أغار على حيِّ عمرو بن ثعلبة وعمرو غير حاضر. فلمَّا حضر تبعه فلحقه قبل أن يصل إلى أرضه فقال له: «رُدِّ عليَّ أهلي ومالي!» فردَّهما عليه، فقال له: «رُدِّ عليَّ قيانِي!» فردَّ عليه القينة الرابعة، وحبس ابنتها سلمى. فقال له حينئذ: «يا أبا قبيضة، أتبعِ الفَرَسَ!» إلخ. وفي معنى الجملة الأخيرة قول الحماسي قيس بن الخطيم:

إِذَا مَا شَرَبْتُ أَرْبَعًا خَطَّ مِئْزَرِي وَأَتَّبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا
يقول: إذا شربت من الراح أربعا - يعني أربعم أكوُس خط مئزري، أي جررت ردائي خيلاء، وأتبعْتُ دَلْوِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا، أي تخلَّقت بالسماحة والفضل، فأعطيت البذل وأوسعت الطَّوْلَ. وهم يفتخرون بالسَّمَاحِ حال السُّكْرِ، لأنَّ ذلك من مكارم الأخلاق التي يحركها الثمل والنشوة، كما قال طرفة:

لَا تَعْرِزْ الْخَمْرُ إِنْ طَافُوا بِهَا بِسِبَاءِ الشُّوْلِ وَالْكُومِ الْبُكْرِ
فَإِذَا مَا شَرَبُوهَا وَانْتَشَـوْا وَهَبُوا كُلَّ أَمُونٍ وَطِمِرٍ
ثُمَّ رَاحُوا عَبَقُ الْمِسْكِ بِهِمْ يُلْحِفُونَ الْأَرْضَ هُدَابَ الْأُرْزُ
والأُمُون، كصَبُور، التي يؤمن عثارها من النوق؛ والطمر الوثَّاب من الخيل. يقول: إذا سَكروا جادوا بالنجائب من الابل والعقاق من الخيل. وقوله يُلْحِفُونَ الْأَرْضَ هُدَابَ

الأزر، أي يجرون هدايا الأزر على الأرض . هو كصدر بيت ابن الخطيم . وأبلغ من هذا في الافتخار وأشمل للوصف بالسماح حالتي السكر والصحو معاً قول عنتره :
فإذا انتشيتُ فإنني مُستهلكٌ مالي، وعرضي وافرٌ لم يكلم
وإذا صحتُ فما أقصرُ عن ندي وكما علمتِ شمائي وتكرمي
وكقول امرئ القيس يمدح أخاه سعد بن الضباب :

وتعرفُ فيه من أبيه شمائلًا ومن خاله ومن يزيدٍ ومن حُجرٍ
سماحةً ذا ويرُذا ووفاءُ ذا ونائلُ ذا إذا صحا وإذا سكرٍ
وهذا من الشعر الذي يوضع على كرائم الأحداق، وترصع به نفائس الأطواق ؛ غير أن
فيه ثلبا خفيفا هو توالي القبض ! ومن ذا الذي يسلم من الاعتراض عند العرض ؟
وقول طرفه : « لا تعزُّ الخمرُ إن طافوا بها » يريد : لا يعجزون عن شرائها لغلائها إن
جاؤوا مريدين لها، بل يبذلون فيها الشوك والكوم البكر، أي التي بكرت بالنتاج، وهي أحب
أموالهم . وهو كقول عنتره :

ريذ يداهُ بالقِداحِ إذا شتا هناكِ غاياتِ التجارِ ملوَّم
وتقدّم تفسيره . وهذا الوصف مدح عندهم، لكن مادام باقيا على سنن الاقتصاد والعدل .
وقد يمتدحون بانفاق المال في النوائب واقتناء المحامد، وترك إنفاقه في الشهوات، كقول
زهير في حصن بن حذيفة :

أخٌ ثقةٌ لا تتلفُ الخمرُ مالهٌ ولكنّه قد يتلفُ المالُ نائلُهُ
وهو محتمل لأن يكون نفيا للوصف الخاص وهو الاتلاف في الخمر، أو الفعل من أصله وهو
الانفاق فيها المؤدي الى ذلك.

أتبعُ من الظلِّ .

الاتباعُ تقدّم . والظلُّ معروف . قيل وهو الفيء، وقيل الظلُّ بالعادة ، والفيءُ
بالعشي . وقد يُستعمل في سواد الليل . قال ذو الرمة :

قَدْ أَعْرِفُ النَّازِحَ الْمَجْهُولَ مَعْشِفُهُ فِي ظِلٍّ أَخْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومَ⁽¹⁾
 قال في الصحاح : وهو استعارة ، لأنَّ الظلَّ في الحقيقة إنَّما هو ضوء شعاع الشمس دون
 الشعاع . فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة ، وليس بظلٍّ . والمقصود من المثل أنَّ ظلَّ الحيوان
 ونحوه تابع له أينما تحرك ، وملاصق له أينما تقلَّب ، لا يفارقه ولا يتلكأ عنه . فضرب به
 المثل لذلك في كلِّ تابع . ويسمَّى الظلَّ تَبَعًا على مثال سُكَّرٍ ، إمَّا لهذا المعنى ، وإمَّا
 لأنَّه يتبع الشمس كما قيل . وأحسن بعض الشعراء في ذكر الظلِّ حيث قال :
 مَثَلُ الرُّزْقِ الَّذِي تَطْلُبُهُ مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكَ
 أَنْتَ لَا تُدْرِكُهُ مُتَبِعًا فَإِذَا مَا مِلْتَ عَنْهُ اتَّبَعَكَ
 أَتَجَرُّ مِنْ عَقَرَبٍ.

يقال : تَجَرَّ فِي الشَّيْءِ يَتَجَرُّ ، على مثال كَتَبَ يَكْتُبُ ، فهو تاجر ، والتَّاجِرُ من
 يبيع ويستري في كلِّ شيء ، وجمعه تِجَارٌ وَتَجَرٌّ . وقد يُطلق على بائع الخمر خاصَّةً ،
 وهو الكثير الاستعمال عند الأعراب في الجاهليَّة .
 قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ التَّجَارَ أَصْعَدُوا بِسَبِيئَةٍ مِنْ الْخَصْبِ حَتَّى أَنْزَلُوها عَلَى يُسْرِ
 وقال أيضا :

إِذَا ذُقْتَ فَاهَا قُلْتَ طَعْمُ مُدَامَةٍ مُعْتَقَةٍ مِمَّا تَجِيءُ بِهِ التَّجَرُّ
 والعقرب معروف ، يذكَّرُ وَيؤنَّثُ . وعقرب في المثل اسم رجل كان بالمدينة⁽²⁾ وكان من أكثر
 الناس تجارةً وأشدَّهم مطلاً وتسويقاً حتى ضربوا بمطله المثل . ويحكى أنَّه اتَّفَقَتْ له
 معاملة مع الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، وكان هو من أشدَّ الناس اقتضاءً .
 فقال الناس : ننظر الآن ما يصنعان . فلمَّا حلَّ الأجل لزم الفضل باب عقرب ، وقيَّد حماره
 بالباب وقعد يقرأ القرآن . فأقام عقرب على المطل غير مكترث به . ثمَّ إنَّ الفضل ترك ملازمة
 بابه واشتغل بهجائه . فممَّا اشتهر عنه فيه قوله :

(1) جاء هذا البيت في لسان العرب هكذا :
 قَدْ أَغْشِفُ النَّازِحَ الْمَجْهُولَ مَعْشِفُهُ فِي ظِلٍّ أَغْضَفَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ
 قال : ويروى في ظلٍّ أَخْضَرَ .
 (2) في أ و ج : اسم رجلٍ قالوا كان تاجراً

قَدْ تَجَرْتُ فِي سَوْقِنَا عَقْرَبُ لَا مَرْحَبًا بِالْعَقْرَبِ التَّاجِرَةِ !
 كُلُّ عَدُوٍّ كَيْدُهُ فِي اسْتِهِ فَغَيْرُ مَخْشَى وَلَا هَائِرَةٍ
 كُلُّ عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَعَقْرَبُ يُخْشَى مِنْ الدَّابِرَةِ
 إِنْ عَادَتِ الْعَقْرَبُ عُدْنَا لَهَا وَكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهُ
 وَحُكِيَ أَنَّ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ بَنَ دَقِيقَ الْعِيدِ كَانَ فِي صِبَاهُ هُوَ وَزَوْجُ أُخْتِهِ الشَّيْخُ تَقِيَّ
 الدِّينِ بَنَ الشَّيْخَ ضِيَاءَ الدِّينِ يَلْعَبَانِ الشُّطْرَنْجَ ، فَأَذَّنَ الْعِشَاءَ فَقَامَا فَصَلَّيَا . فَقَالَ الشَّيْخُ
 تَقِيَّ الدِّينِ : أَمَا نَعُودُ ؟ فَقَالَ صَهْرُهُ :

إِنْ عَادَتِ الْعَقْرَبُ عُدْنَا لَهَا وَكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهُ
 فَأَنْفَ الشَّيْخُ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَعُدْ إِلَى أَنْ مَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ .

هُوَ حَدِيثٌ . وَالتُّحْفَةُ : الْبِرُّ وَالصَّلَاةُ وَالطَّرْفَةُ مِنَ الْفَاكِهِةِ وَنَحْوِهَا ، وَتَأْوُهُ أَصْلِيَّةٌ .
 يُقَالُ : أَتُحِفُّهُ . وَحَكَى ابْنُ الْأَثِيرِ عَنِ الْأَزْهَرِيِّ أَنَّ أَصْلَ التُّحْفَةِ وَحْفَةٌ ، فَأَبْدَلَتْ الْوَاوُ تَاءً
 . وَعَلَيْهِ يَكُونُ مَوْضِعُهُ الْوَاوُ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِنَّمَا يَنْجُو مِنْ أَذَى الدُّنْيَا وَأَهْوَالِهَا وَأَحْزَانِهَا
 وَآكَدَارِهَا ، وَيَصِلُ إِلَى مَا أُعِدَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْخَيْرِ وَهُيَّئَ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ بِالْمَوْتِ . كَمَا قِيلَ :

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا الْحَيَاةَ وَأَسْرَفُوا : فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ
 مِنْهَا أَمَانُ عَذَابِهِ بَلْقَائِهِ وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يُنْصِفُ
أَتُخَمُّ مِنَ الْفَصِيلِ .

التُّخْمَةُ بِفَتْحِ الْخَاءِ كَهْمَزَةٍ . وَتُسَكَّنُ فِي الشَّعْرِ : دَاءٌ يَصِيبُ مَنْ أَكَلَ الطَّعَامَ
 مَعْرُوفٍ ، الْجَمْعُ تُخَمٌ وَتُخْمَاتٌ . يُقَالُ : تَخِمَ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَكَسَرِهَا ، وَاتَّخَمَ : أَصَابَهُ
 ذَلِكَ ، وَاتَّخَمَهُ الطَّعَامُ . وَهَذَا الطَّعَامُ مَتَخَمَةٌ يُتَخَمُ بِهِ . وَأَصْلُ التُّخْمَةِ وَخْمَةٌ ،
 مِنْ قَوْلِكَ : وَخِمَ الطَّعَامُ وَالنَّبَاتُ ، فَهُوَ وَخِيمٌ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ . وَتَوَخَّمَهُ وَاسْتَوْخَّمَهُ
 إِذَا لَمْ يَسْتَمِرَّهُ . وَذَكَرْنَاهُ فِي هَذَا الْبَابِ نَظْرًا إِلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ : فَإِنَّ الْوَاوَ مُسْتَهِلَّةٌ
 بِالْإِبْدَالِ ، حَتَّى وَقَعَ تَصَرُّفُ الْفَعْلِ . وَالْفَصِيلُ ، بَصَادٌ مَهْمَلَةٌ : وَلَدُ النَّاقَةِ إِذَا فُصِّلَ عَنْ

أمّه، ويوصف بالتخمة . قالوا لأنّه يفرط في الرضاع أكثر ممّا يطيق.

فائدة في ذكر أسنان الابن . قال أهل اللغة : إذا وضعت الناقة، فقبل أن يعلم أذكر ولدها أم أنثى، ولدها سليل ؛ فإذا علّم، فإن كان ذكرا فهو سَقَب، بفتح السين المهملة وسكون القاف، وأمّه مِسْقَب ؛ وإن كانت أنثى فهي حَائِل، وأمّها أمّ حَائِل، كما قال الهذلي :

فَتِلْكَ التِّيْلَايْبِرْمُ الْقَلْبَ حُبُّهَا وَلَا ذِكْرُهَا مَا أَرْزَمَتْ أُمُّ حَائِلِ
ومتى جاءت الناقة بذكر قيل أذْكَرَتْ، فهي مُذْكَر ؛ وإن جاءت بأنثى قيل أَنْثَتْ، فهي مُؤْنِث . فإن كان من دأبها أن تلد الذكور قيل هي مِذْكَار . قال النابغة على وجه التمثيل :

لَمْ يُحَرِّمُوا حُسْنَ الْغِذَاءِ وَأُمُّهُمْ طَفَحَتْ عَلَيْكَ بِنَاتِقٍ مِذْكَارِ
وإن كان دأبها الأنثى فهي مِئْنَاث ؛ فإذا اشتدّ ولدها ومشى معها فهو رَاشِح وهي مرشح ؛ فإذا حمل في سنامه شحما فهو مجد ومكعد، ثمّ هو رُبْع، على وزن صَرَد . والذي يقوله الكثيرون إنّ الرُبْع ما نَتَجَ في أوّل النّتاج، كما أنّ الهُبْع - بوزنة - ما نَتَجَ في آخره؛ ثمّ هو حَوَار، بضمّ الأوّل ؛ فإذا فُصل عن أمّه، أي فُطم عنها، فهو فَصِيل ؛ فإذا أتى عليه حَوْل فابن مخاض، ولذلك قيل :

وَجَدْنَا جَعْفَرًا فَضَلَّتْ فَقِيمًا كَفَضَلَ ابْنُ الْمَخَاضِ عَلَى الْفَصِيلِ
والأنثى بنت مخاض . وسمّي ابن مخاض لأنّ أمّه لحقت بالمخاض من النوق، أي الحوامل وإن لم تكن حاملا ؛ فإذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة فصار لأمّه لبن وكانت لبونا، فهو ابن اللَّبُون ؛ فإذا دخل في الرابعة فهو حِقٌّ^١ والأنثى حِقَّة . وسمّي بذلك لاستحقاقه أن يُحمل عليه ويُرْكَب ؛ فإذا دخل في الخامسة فهو جَذَعُ^٢ والأنثى جَذَاعَة ؛ فإذا دخل في السادسة فهو ثَنِي^٣ والأنثى ثَنِيَّة ؛ فإذا دخل في السابعة فهو رَبَاعٌ^٤ والأنثى ربَاعِيَّة ؛ فإذا دخل في الثامنة فهو سَدِيس وسَدَس بفتح الدال للذكر والأنثى، وقد يقال للأنثى سَدِيسَة ؛ فإذا دخل في التاسعة فهو بَازِل للذكر والأنثى ؛ فإذا دخل في العاشرة فهو مُخْلِف . ولا سِنَ بعد هذا، وإنّما يقال بَازِل عامر، وبَازِلُ عامين، ومُخْلِفُ عامر وعامين . وما ذكرنا في أوائل الأوصاف هو طريقة بعض

اللغويين، وليس هذا محلّ بسط اللغة.

تَرَكَتَ الرَّأْيَ بَبَقَّةً .

ويروى : بَبَقَّةً تَرَكَتَ الرَّأْيَ . وهو مثلك قاله قَصِير بن سعد لجذيمة لما صار في بلد الزَّبَاء . وتقدّم هذا مستوفى . وفيه قال عَدِيُّ بن الرَّقَام :
دعا بالبَقَّةِ الأَمْنَاءَ يَوْمًا جَذِيمَةً يَنْتَحِي عَصَا ثَمِينًا⁽²⁾
فطَاوَعَ نَفْسَهُ وَعَصَى قَصِيرًا وكان يَقُول : لَوْ نَفَعَنَا الْيَقِينَا !
وقال نَهْشَك بن ضَمْرَةَ :

ومَوْلَى عَصَانِي وَاسْتَبَدَّ بِأَمْرِهِ كَمَا لَمْ يُطْعَم بِالْبَقَّتَيْنِ قَصِيرُ
تَرَكَ الْخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِنَ الْمَائَةِ .

التَّرْكُ معروف، والخِدَاعُ : الخُتْلُ والمَكْرُ؛ والخِدَاعُ والمَخَادَعَةُ المَخَاتَلَةُ ؛ والمائة حُدُفٌ مَمِيَرَةٌ، أي مائة غَلْوَةٍ، والغَلْوَةُ بالفتح : ما بين موقف الرامي ومسقط سهمه . يقال : غَلَوْتُ بالسَّهْمِ غَلْوًا وَغَلَوْتُ، وَغَالَيْتُهُ، وَغَالَيْتُ بِهِ : رَفَعْتُ بِهِ إِلَى أَقْصَى الْغَايَةِ . وَكَلَّ مَرْمَاةً فَهِيَ غَلْوَةٌ . وكان أصلُ المثل أنَّ الرّهان، لما وقع بين قيس بن زُهَيْر وحذيفة بن بدر الفزاري، أو أخيه حَمَل بن بدر، قال حذيفة : خدعتك يا قيس، تَرَكَ الْخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِنَ الْمَائَةِ ! يريد أنَّ مَنْ أَجْرَى فَرَسَهُ وَأَرْسَلَهُ مِنْ مَائَةِ غَلْوَةٍ، فَقَدْ كَشَفَ أَمْرَهُ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ خِدَاعٌ . وقيل إنَّ أَحَدَ الْمُتَخَاطِرِينَ فِي الرّهَانِ الْمَذْكُورِ قَالَ لِصَاحِبِهِ : الْغَايَةُ عَلَى حَكْمِي . فَقَالَ : الْغَايَةُ مَائَةُ غَلْوَةٍ . قَالَ : أَتُخَدِّعُنِي ؟ فَقَالَ : تَرَكَ الْخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِنَ الْمَائَةِ . يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ الَّذِي قَدْ حَنَكْتَهُ السِّنُّ مَعَ الْعَقْلِ وَالْحِزْمِ .

تَرَكَتُ فَلَانًا بِمَلَا حِسِ الْبَقَرِ أَوْلَادَهَا .

ويقال : تَرَكَتُهُ بِمَلَحَسِ الْبَقَرِ . وَالْمَلَا حِسُ جَمْعُ مَلَحَسٍ، وهو مَفْعَلٌ مِنَ اللَّحْسِ .
يَقَالُ : لَحِسَ الْقَصْنَعَةَ وَنَحَوْهَا بِالْكَسْرِ، يَلَحْسُهَا لَحْسًا ؛ وَالْمَلَحَسُ يَكُونُ مَصْدَرًا

(2) ورد هذا البيت في لسان العرب هكذا :
دَعَا بِالْبَقَّةِ الْأَمْنَاءِ يَوْمًا جَذِيمَةً يَسْتَشِيرُ النَّاصِحِينَ
قَالَ : وَمِنْهُ الْمَثَلُ : خَلَّفْتَ الرَّأْيَ بَبَقَّةً . وَبَقَّةٌ : مَوْضِعٌ بِالْعِرَاقِ قَرِيبٌ مِنَ الْحِيرَةِ كَانَ بِهِ جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ .

بمعنى اللّحس، ومكانًا له، كما في نظائره . والمعنى : تركته بمكان ملحق البقر أولادها، أي بحيث تلحق البقر أولادها، يعنون به المكان القفر.

تَرَكَتُهُ تَرَكَ الطَّبِي ظِلَّهُ.

الطبي معروف، وجمعه أَطْبٍ وَطِبَاءٌ وَطِبِيٌّ : وظِلُّه، بكسر الظاء المشالة : ما يأوي إليه ويستظلّ به من حرّ الشمس . وهو إذا تركه لا يعود إليه أبدا . فيُضْرَب للرجل عند نفوره . وعبارة صاحب القاموس : أَتْرَكُهُ تَرَكَ الطَّبِي ظِلَّهُ، وهو نحو ممّا كتبنا نحن . وفعل ذلك لبيان أنّ الرأء في تَرَكَ ساكنة، وهو مصدر أضيف إلى فاعله وكمل بمفعول، أي تَرَكَما يشبه تَرَكَ الطبي لظله، وقال : إنّ فتحم الرأء من ترك، كما عند الجوهري، وهُم .

قلت : وهو كذلك في صحاح الجوهري مضبوطا بالقلم مفتوحا في النسخة . ولعلّ الرواية كذلك عنه، وإلاّ فهو محتمل لأن يكون مسكّنا . وهو مصدر عامله مقدّر، وهو الذي أظهرناه أو ما يشبهه . ثمّ على الفتح لا مانع من صحّته ان تكلمت به العرب كذلك . ويكون فعلا ماضيا والطبي فاعله . فإذا نفر أحد من شيء نفرة عزمًا حسنًا أن يُقال : ترك الطبيّ ظله، أي أنه ذهب مذهبا لا مرجع فيه، كأنه طبي ترك ظله.

تَرَكَتُهُ كَجَوْفِ حِمَارٍ .

ويقال : هُوَ كَجَوْفِ حِمَارٍ، ويقال كَجَوْفِ عَيْرٍ، ومعناه خالٍ لا خير فيه . واختلف [العلماء] فيه ف قيل : المراد الحمار المعروف، وجوفه ليس فيه شيء يُنتفع به، فلا خير فيه. وقيل : المراد حمار ابن مويّل، وهو رجل من عاد وله موضع يقال له جوف كان يزدّعه، أحرقه الله تعالى وأحرق ما فيه لمّا كفر بالله تعالى . وفيه يقال أَكْفَرُ مِنْ حِمَارٍ، كما سيأتي . قال امرؤ القيس :

وخرق كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٌ مَضَلَّةٌ قَطَعْتُ بِسَامٍ سَاهِمٍ الْوَجْهَ حَسَّاناً⁽³⁾
قال شارح ديوانه عاصم بن أيّوب : قوله كجوف العير، قال ابن الكلبي : هو وادٍ باليمن

(3) سقط من ب .

(4) يروى هذا البيت أيضا : ووَادٍ كَجَوْفِ العَيْرِ...

قَفَرٌ لا شيء به . قال : وقال القتبِيّ : أراد كجوف الحمار . والحمار، وإن كان ذكِيًّا لا يُنْتَفَعُ به ولا بشيء من حشاه، فكأنَّه خالي من كلِّ خير . وقيل : هو رجل من بقايا عاد كان يقال له حمار بن مويلع، وكان على التوحيد، فأصابته بنين له عشرة صاعقة فأحرقتهم، فغضب وقال : لا أعبد ربًّا فعل بي هذا ! ومال إلى عبادة الأوثان ومنع الضيافة . فأرسل الله عليه نارا فأحرقته وأحرقته جوفه، وهو موضع كان يزرعه، من جميع ما كان فيه وجميع من دخل معه في عبادة الأوثان، فأصبح الجوف كأنه الليل المظلم . فضربت العرب المثل قالوا : وادي الحمار وجوف العير . وقال ابن دُرَيْد : إذا قالت العرب : كأنَّه جوف حمار فإنَّما يريدون وصف الموضع الخريب . الوحش . وقال : أمّا جوف حمار فكان لحمار بن مالك أبْن نصر بن الأسد، وكان جبَّار عاتيا . فبعث الله عليه نارا فأحرقته الوادي بما فيه، وصار مثلا .

تَرَكَتْهُمْ لَحْمًا عَلَى وَضَمٍ .

اللحم معروف، بسكون الحاء، ويجوز فتحها ؛ والوضَمُ بفتح التين : ما وُقِيَ به اللحم من خشب وحصير ونحوهما . قال الشاعر :

لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ وَلَا بِيْجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٍّ⁽⁵⁾
 جمعه أَوْضَامٌ وأَوْضِمَةٌ . تقول وَضَمْتُ اللحم، بفتح الضاد، إذا عَمِلْتَ له وَضْمًا، أو ووضعتَه على الوضَم، وأوضمته، وأوضمت له إذا عملت له وضما ؛ وتقول : تَرَكَتْهُمْ لَحْمًا عَلَى وَضَمٍ، أي مثل اللحم المَجْعول على الأَوْضَام، وذلك إذا أُوقِعَتْ بهم وأُوجِعَتْ فيهم . قال الحماسي :

وَتَرَكَتْنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمٍ لَوْ كُنْتَ تَسْتَبْقِي مِنَ اللَّحْمِ
 وقال البوصيري في معناه :

مَا زَالَ يُلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ حَتَّى حَكُوا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمٍ
 وقال صفي الدين الحلِّي :

أَبَيْتُ وَالِدَمْعُ هَامٍ هَامِلٌ سَرَبٌ وَالْجِسْمُ فِي إِضْمٍ لَحْمًا عَلَى وَضَمٍ

(5) هي لسان العرب : لَسْتُ بِرَاعِي إِبِلٍ وحكى نسبة هذا البيت الى أبي زُغْبَةِ الخزرجي، أو الى الحُطَمِ القَيْسِي، أو إلى رُشَيْدِ بْنِ رُمَيْضِ العَنْزِي.

تَرَكَ الْوَطَنَ أَحَدُ السَّبَاءِ يَنْ .

الْوَطَنَ بِفَتْحَتَيْنِ مَعْرُوفٌ ؛ وَالسَّبَاءُ بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ : الْأَسْرُ . يُقَالُ : سَبَى عَدُوَّهُ يَسْبِيهِ سَبْيًا وَسَبَاءً ، وَاسْتَبَاهُ (6) إِذَا أَسْرَهُ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْخُرُوجَ مِنَ الْوَطَنِ ، وَمُفَارَقَةَ الْأَهْلِ وَالسَّكَنِ ، شَبِيهَ بِالسَّبَاءِ ، حَتَّى كَانَ السَّبَاءُ نَوْعَانِ : أَحَدُهُمَا الْأَسْرُ ، وَالْآخَرُ السَّفَرُ ، فَسَارَ السَّفَرُ أَحَدَ السَّبَاءِ يَنْ ، وَهَذَا ذِمٌّ لَهُ . وَتَقَدَّمَ فِي ذِمِّ السَّفَرِ وَمَدْحِهِ مِنَ الْأَثَارِ وَالْأَشْعَارِ مَا أَغْنَى عَنِ الْإِعَادَةِ . وَسَيَأْتِي ذِكْرُ مَا فِي هَذِهِ التَّنْثِيَةِ الْوَاقِعَةِ فِي السَّبَاءِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

اتَّقِ مَأْثُورَ الْقَوْلِ !

التَّقْوَى مَعْرُوفٌ ؛ وَالْمَأْثُورُ : الْمَرْوِيُّ الْمَحْكِيُّ . وَالْمَثَلُ لِحَمَلِ بْنِ بَدْرٍ ، قَالَهُ يَوْمَ الْهَبَاءَةِ ، وَهُوَ أَكْبَرُ أَيَّامِ حَرْبِ دَاخِسَ بَيْنَ عَبَسَ وَذُبْيَانِ ، وَسَبَبُ الْحَرْبِ كُلِّهَا . وَصُدُورُ الْمَثَلِ ، عَلَى ضَرْبٍ مِنَ الْإِيْجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ ، أَنَّ قَيْسَ بْنَ زُهَيْرٍ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبَسَ ، كَانَ اشْتَرَى مِنْ مَكَّةَ دِرْعًا تُسَمَّى ذَاتَ الْفُضُولِ ، فَاجْتَصَبَهَا مِنْهُ عَمَّهُ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ ، وَكَانَ سَيِّدَ عَبَسَ . فَغَضِبَ قَيْسٌ وَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ ، وَنَزَلَ عَلَى بَنِي ذُبْيَانِ ، وَسَيِّدَهُمْ إِذْ ذَاكَ حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرٍ وَأَخُوهُ حَمَلُ بْنُ بَدْرٍ ، فَكْرَمُوهُ وَأَحْسَنُوا جَوَارِهِ . ثُمَّ إِنَّ قَيْسَ بْنَ زُهَيْرٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ بَدْرٍ تَرَاهُنَا يَوْمًا عَلَى خَطَرٍ عَشْرِينَ بَعِيرًا ، وَجَعَلَا الْغَايَةَ مَائَةَ غُلَّةٍ ، وَالْمِضْمَارَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، وَالْمَجْرَى مِنْ ذَاتِ الْإِصَادِ . فَأَجْرَى قَيْسٌ دَاخِسًا وَالْغُبْرَاءَ ، وَأَجْرَى حُذَيْفَةُ الْخَطَّارَ وَالْحَنْفَاءَ . فَوَضَعَتْ بَنُو فِزَارَةَ (7) رَهْطَ حُذَيْفَةَ كَمِينًا فِي الطَّرِيقِ . فَلَمَّا جَاءَتِ الْغُبْرَاءُ - وَكَانَتْ سَابِقَةً - لَطَمُوهَا وَرَدَّوْهَا . فَقَالَ قَيْسٌ : سَبَقْتُ ! فَدَفَعُوهُ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى وَقَعَ بَيْنَهُمُ الشَّرُّ . فَطَلَبَ مِنْهُمْ قَيْسٌ بَعِيرًا وَاحِدًا ، فَقَالَ جَذِيمَةُ : مَا كُنَّا لَنَقْرَأَ لَكُمْ بِالسَّبَقِ ! فَلَمَّا رَأَى قَيْسٌ ذَلِكَ تَرَحُّكًا عَنْهُمْ وَمُفَارَقَةً . ثُمَّ إِنَّهُ أَغَارَ فَلَقِيَ عَوْفَ بْنَ بَدْرٍ أَخَا حُذَيْفَةَ فَقَتَلَهُ وَوَدَّاهُ مَائَةَ نَاقَةٍ عَشْرًا . ثُمَّ خَرَجَ مَالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ أَخُو قَيْسٍ فَلَقِيَهُ حَمَلُ بْنُ بَدْرٍ فَقَتَلَهُ . فَأَرْسَلَ قَيْسٌ إِلَى حُذَيْفَةَ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْنَا إِبْلَنَا ! فَقَدْ قَتَلْتَ مَالِكَ بْنَ زُهَيْرٍ بِعَوْفِ بْنِ

(6) فِي أَوْجٍ : « وَاسْتَبَاهُ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
(7) حُرِفَتْ إِلَى « فِزَارَةَ » فِي بَعْضِ الْمَخْطُوطَاتِ .

بدر . وكانت الابل قد تناججت عند حذيفة، فدفعها دون أولادها . وامتنعت عيس إلا أن يقبلهم إبلهم بأولادها : فهاجت الحرب بين الفريقين، ودامت أربعين سنة - فيما يزعمون - إلى أن أصلح بينهم الحارث بن عوف وهرم بن سنان المزيّان، كما سنذكر . وكانت بنو عيس وتروهم، فاجتمعت القبائل وحلفاؤها وتعاقدوا وتحالفوا، فسار حذيفة إلى عيس في جموع لا تُحصى . فلما رأت عيس ذلك اجتمعوا إلى قيس بن زهير فقالوا له : ما الرأي ؟ فقال : خلّوا الأموال والظعن وادخلوا في الشعب، فإنّ الجموع إذا رأت الطعائن لا رجال فيها أمنوا فغنموا وتفرّقوا، فتدركوا منهم حاجتكم ! فلما أشرفت جموع حذيفة على أموال بني عيس ظنّوا أنّهم فرّوا، فأمنوا وغنموا، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الأموال . فلما تفرّقوا كرّرت عليهم خيل عيس فوضعت فيهم السلاح وانهزموا . وأسرفت في القتل حتّى ناشدهم بنو ذبيان البقيّة، وكان يوما شديد الحرّ . فمضى حذيفة وأخوه حمك حتّى استغاثا بجفر الهبابة، فنزلا ومعهما ورّقاء بن بلال، ونزعوا سلاحهم وسرجهم وأقعدوا ربيّة يتطلّع، ولم يكن لعيس هم إلاّ في حذيفة . فبعثوا الخيل تقصّب أثره . فنظر الربيّة فقال : إني أرى شخصا كالنعامة، فلم يكثرثوا به وجعلوا يتحدّثون، فإذاهم بخيل عيس قد لحقتهم، وحالت بينهم وبين خيلهم . فلما حملوا عليهم وهم في الجفر، قال حذيفة : يا بني عيس، فأين الأحلام ؟ فضربه أخوه حمك بين كتفيه وقال : اتّق مآثور القول ! فأرسلها مثلا . يريد : إنّك تقول قولا تتذكّك فيه وتخضع، وتقتل ولا ينفع، فتشتهر عنك أخباره، ويبقى عليك عاره . فقتلوا حذيفة ومن معه، وتمزّقت بنو ذبيان . ولا يخفى أنّ هذا المثل حقّه أن يذكر في غير هذا الباب، لكن الواو لما استهلكت بالاببدال اعتبرنا الظاهر تقريبا . وداحيس بالبدال المهملة - على وزن فاعل - من الدّحس، وهو الدفع . وسمّي بذلك لأنّ أباه ذا العقال - وهو فرس - كان لرجل يُسمّى حوطا، خرجت به جاريتان له يوما تقودانه، فمرّتا به على فرس أنثى لقرواش اليربوعي تسمّى جلواء، وهي إذ ذاك وديق - والوديق، بالبدال المهملة : المشتهية الفحل، ومنه المثل الآتي : ودق العير إلى الماء - فلما رآها ذو العقال ودقّ . فضحك شباب منهم، فاستحيت الجاريتان، فأرسلتا مقوده، فنزا عليها . فلما جاء حوط - وكان رجلا سيّء الخلق - عرف النزو

في عين ذي العقال، فغضب وقال : اعطوني ماء فحلي ! فلمّا رأوا الخطب قد عظم قالوا : دونك وماء فحلك ! فأخذ الفرس وجعل يده في ماء وتراب، وأدخل اليد في رحمها حتّى ظنّ أنّه استخرج الماء . وقد اشتملت الرحم على ما فيها فنتجها قرواش مُهرًا أسماه داحسًا، لدحس حوط إياه، وخرج كأنّه ذو العقال أبوه . ثمّ إنّ قيس بن زهير أغار على بني يربوع، فغنم، فرأى داحسًا قد ركبته فتیان فقطعا الخيل ونجوا . فأعجب به قيس، ودعا إلى أن يجعله فداء المغنم كلّ . فأعطوه إياه، وكان سبب الحروب، حتّى قيل : أشأمّ من داحس، وسيأتي . والخطار بفتح الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة بعدها ألف فراء، وهو فرس لحذيفة ؛ والحنفاء : فرس له أيضا، تأنيث الأحنف . والحنف قيل هو الاعوجاج في الرّجل، وقيل أن يقبل إحدى إبهامَي الرجل على الأخرى، وقيل ميل في صدور القدم، وقيل المشي على ظهر القدمين من شقّ الخنصر .

ويذكر في هذه القصّة أيضا أنّ حذيفة أجرى قرزلا - والقرزُل بالقاف والراء والزاي، على وزن جُحذُب، وهو فرس لحذيفة أيضا - ويحتمل أنّه الخطار المذكور . وقد قيل في هذه القصّة إنّ الصحيح أنّ الرهان إنّما [وقع] بين قيس وحَمَك بن بدر، لا حذيفة ؛ وأنّ فرس قيس داحس وفرس حَمَك الغبراء . وفي القصّة اضطرابات كثيرة أضربنا عنها . والهباء، بفتح الهاء ثمّ باء موحّدة وبعد الألف همزة مقلوبة عن واو ثمّ هاء تأنيث، وهي أرض لغطفان فيها ماء . وفي الفرسَيْن يقول عنتر بن معاوية بن شدّاد العبسي يرثي مالك بن زهير :

لَلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَالِكٍ عَقِيرَةٌ قَوْمٍ إِنْ جَرَى فَرَسَانِ !
فَلَيْتَهُمَا لَمْ يَجْرِيَا نَصْفَ غَلْوَةٍ وَلَيْتَهُمَا لَمْ يُرْسَلَا لِرَهَانِ !
وَلَيْتَهُمَا مَاتَا حَمِيعًا بِبِلْدَةٍ وَأَخْطَاهُمَا قَيْسٌ فَلَا يَرِيَانِ !
لَقَدْ جَلَبَا حِينًا وَحَرْبًا عَظِيمَةً تُبِيدُ سَرَاةَ الْحَيِّ مِنْ غُطْفَانِ
وَكَانَ لَحَى الْهَيْجَاءِ يَحْمِي ذِمَارَهُ وَيَضْرِبُ عِنْدَ الْكَرْبِ كُلَّ بَنَانِ
وقال الربيع بن زياد أيضا، عمّ مالك المذكور يرثيه :

إِنِّي أَرَقْتُ فَلَمْ أَغْمُضْ حَارًّا ! مِنْ سَيِّءِ النَّبْلِ الْجَلِيلِ السَّارِي

مِنْ مِثْلِهِ يَمْشِي النِّسَاءُ حَوَاسِرًا وَتَقُومُ مُعْوَلَةً مَعَ الْأَسْحَارِ
 أَفْبَعْدَ مَقْتَلِكْ مَالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ ؟
 مَا أَنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لَذْوِي النِّهْيِ إِلَّا الْمَطِيَّ تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ
 وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوقَةً يَقْذِفْنَ بِالْمُهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ
 وَمَسَاعِرًا صَدَأَ الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا طَلَّى الْوُجُوهُ بِقَارِ
 مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِكْ مَالِكُ فَلَيَاتِي نِسْوَتُنَا بِوَجْهِ نَهَارِ :
 يَجِدُ النِّسَاءُ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ قَدْ قُمْنَ قَبْلَ تَبَلُّجِ الْأَسْحَارِ
 قَدْ كُنَّ يَخْبَأْنَ الْوُجُوهَ تَسْتُرًا فَالآنَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَّارِ
 يَضْرِبْنَ حَرًّا وَجُوهَهُنَّ عَلَى فَتَى عَفَّ الشَّمَائِلِ طَيِّبِ الْأَخْبَارِ
 قَوْلُهُ : حَارٌّ، أَرَادَ يَا حَارِثُ ! قَوْلُهُ : تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ يَرِيدُ أَنَّ النِّسَاءَ لَا
 يَأْتِينَ بِمِثْلِهِ، وَفِي عَرُوضِ هَذَا الْبَيْتِ عَيْبُ الْقَطْعِ، وَهُوَ لَا يَجُوزُ إِلَّا مَعَ التَّصْرِيمِ .
 وَالْمُجَنَّبَاتُ : خَيْلٌ يَرْكَبُونَ الْإِبِلَ فَيَقُودُونَهَا هِيَ لَا يَرْكَبُونَهَا إِلَى مَوْضِعِ الْغَارَةِ لِتَجْمَعَ . وَيُقَالُ
 : مَا ذُقْتَ عَذُوقًا، بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ، وَتُهْمَلُ [فِي لُغَةٍ] رُبَيْعَةً، وَبِالْفَاءِ أَيُّ شَيْئًا . وَيُقَالُ
 عَذُوقًا وَعَذُوقَةً ؛ فَإِنْ كَانَتِ الرِّوَايَةُ بِغَيْرِ هَاءِ التَّانِيثِ، فَفِي هَذِهِ الْعَرُوضِ أَيْضًا الْعَيْبُ
 السَّابِقُ . وَالْمَسَاعِرُ جَمْعُ مِسْعَرٍ، وَهُوَ الَّذِي يَسْعَرُ الْحَرْبَ . قَوْلُهُ : قَدْ قُمْنَ قَبْلَ
 تَبَلُّجِ الْأَسْحَارِ هَكَذَا فِي رِوَايَةٍ . وَالْجُمْلَةُ حَالٌ، أَيُّ يَجِدُ النِّسَاءُ، عِنْدَ وَصُولِهِ،
 يَنْدُبْنَهُ وَقَدْ كُنَّ قُمْنَ إِلَى ذَلِكَ مِنَ اللَّيْلِ قَبْلَ تَبَلُّجِ الْأَسْحَارِ، وَاسْتَمَرَّرْنَ عَلَى الْبَكَاءِ إِلَى وَقْتِ
 مَجِيئِهِ . وَيُرْوَى : يَنْدُبْنَهُ بِالصُّبْحِ قَبْلَ تَبَلُّجِ الْأَسْحَارِ . وَقَالُوا : يَعْنِي
 بِالصُّبْحِ هُنَا الْحَقُّ، وَالْأَمْرُ الْجَلِيَّ، وَلَيْسَ بِظَرْفٍ . وَلَا بَدَّ فِيهِ مَعَ ذَلِكَ مِنَ التَّقْدِيرِ الَّذِي
 فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الصُّبْحُ أَطْلَقَ عَلَى آخِرِ اللَّيْلِ لِقُرْبِهِ مِنْهُ مَجَازًا، أَوْ يَكُونَ
 عَلَى بَابِهِ . وَقَوْلُهُ قَبْلَ تَبَلُّجِ الْأَسْحَارِ مَعْمُولٌ لِفِعْلِ مَقْدَرٍ، كَمَا فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى، أَوْ
 مَعْمُولٌ لِيَنْدُبْنَهُ . وَيَكُونُ بِالصُّبْحِ مَعْمُولًا، لِحَوَاسِرٍ عَلَى الْفِ وَالنَّشْرِ، مَعَ
 تَكْلُفٍ . وَافَادَ بِالْبَيْتَيْنِ أَنَّهُمْ أَدْرَكُوا ثَارَهُمْ، لِأَنَّ الْقَتِيلَ عِنْدَ الْعَرَبِ لَا يُبْكِي حَتَّى يُهْزَخَ
 بِنَارِهِ . وَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ يَرْتِي حَمَلَ بَنٍّ بَدَرٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَتَى مَقْتُولَهُ :

تَعَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ عَلَى جَفَرِ الْهَبَاءَةِ لَا يَرِيمُ
وَلَوْ لَا ظُلْمُهُ مَازِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرُ مَا بَدَتْ النُّجُومُ
وَلَكِنَّ الْفَتَى حَمَلَ بَنَ بَدْرٍ وَبَغَى، وَالبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
أَظُنُّ الْحِلِمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
وَمَا رَسْتُ الرِّجَالَ وَمَا رَسُونِي : فَمَعْنُوجٌ عَلَيَّ وَمَسْتَقِيمُ
وفى ذلك قال أيضا :

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بَنِ بَدْرٍ وَسَيَفِي مِنْ حُذِيفَةٍ قَدْ شَفَانِي
قَتَلْتُ بِلَاخُوتِي سَادَاتِ قَوْمِي وَهُمْ كَانُوا لَنَا حَلِيَّ الزَّمَانِ
فَإِنْ أَكُ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
فائدة : حَمَلُ بَنِ بَدْرٍ المذكور بفتح الحاء المهملة وفتح الميم، على لفظ وَلَدِ
الضَّان. وفيه قال الشاعر :

لَيْتَ قَلِيلًا يَلْحَقَ الْهَيْجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ !
وَتَمَثَّلَ بِهَذَا الشَّعْرَ - فيما يذكر - سعد بن معاذ، رضي الله عنه، يوم الخندق . قال
البكري : وفي همدان حَمَلُ بَنِ زِيَادِ بْنِ حَسَّانَ، بفتح الحاء وضم الميم ؛ وفي مَدْحِجِ
جَمَلِ بْنِ كِنَانَةَ، بفتح الجيم والميم، كلفظ واحد الجمال ؛ وفي كِنَانَةَ خُمَلِ بْنِ شَقِ،
يعني بالخاء المعجمة مضمومة، وتسكين الميم، والله أعلم.

وَأَمَّا سَبَبُ الصِّلَحِ بَيْنَهُمْ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ، فَهُوَ أَنَّ الْحَارِثَ قَالَ يَوْمًا لَخَارِجَةَ بِنِ سِنَانٍ :
أَتُرَانِي أَخْطَبُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ، فَيَرُدُّنِي ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَوْسُ بْنُ
حَارِثَةَ [بِنِ لَامِ الطَّائِي] . فَقَالَ الْحَارِثُ لِعَلَامِهِ : ارْكَبْ ! فَرَكِبَا حَتَّى أَتَيَا أَوْسَ بْنَ حَارِثَةَ⁽⁸⁾ فِي
بِلَادِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْحَارِثُ قَالَ : مَرْحَبًا بِكَ يَا حَارِثَ ! قَالَ : وَيَكُ ! قَالَ : وَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ :
جِئْتُكَ خَاطِبًا . قَالَ : لَيْسَتْ هُنَاكَ ! فَانصرف ولم يكلمه . ودخل أَوْسُ إِلَى امْرَأَتِهِ مَغْضَبًا،
وكَانَتْ مِنْ عَيْسَ فَقَالَتْ : مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي وَقَفَ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : ذَلِكَ سَيِّدُ الْعَرَبِ، الْحَارِثُ بْنُ
عَوْفٍ . قَالَتْ : فَمَا لَكَ لَمْ تَسْتَنْزِلْهُ ؟ قَالَ : أَنَّهُ اسْتَحَقَّ . قَالَتْ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : جَاءَنِي

(8) سقط ما بين معقوفتين من أ.

حاصبا . قال : أفتريد أن تزوّج بناتك ؟ قال : نعم ! قالت : فإذا لم تزوّج سيّد العرب ، فمن ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك ! قال بماذا ؟ قالت : بأن تلحقه فتدّعه . قال : وكيف ، وقد فرط منّي ما فرط إليه ؟ قالت : تقول إنك لقيتني مغضبا بأمر . فانصرف ، ولك عندي ما تحبّ : فإنّه سيفعل فركب حارثة في أثره . قال خارجه : فوالله إنّنا لنسير إذ حانت منّي التفاته فرأيتّه ، فأقبلت على الحارث وما يكلمني غمّا . فقلت : هذا أوس بن حارثة ! قال : وما نصنع به ؟ امض ! فلما رأنا لا نلتفت ، صاح : يا حار ، اربع عليّ ! فوقفنا له فكلّمه بذلك الكلام ، فرجع مسرورا . ودخل أوس منزله ، فقال لامرأته : ادعي لي فلانة ! كبرى بناته . فأتته ، فقال : يا بنيّة ، هذا الحارث بن عوف ، سيّد من سادات العرب ، وقد جاء خاطبا . فأردت أن أزوّجك منه ، فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل ! قال : ولم ؟ قالت : لأنّي امرأة في وجهي ردة ، وفي خلقي بعضُ الحدة ، ولست بابنة عمّه فيرعى رحمي ، وليس بجارك في البلد فيستحي منك ؛ ولا آمن أن يرى منّي ما يكره ، فيطلّقني فيكون عليّ وصمة . فقال : قومي ، بارك الله فيك ! ثمّ دعا الوسطى ، فأجابته بنحو ذلك ؛ ثمّ دعا الصغرى فقال لها فقالت : أنت وذاك . فقال : إنّي عرضت ذلك على أختيك فأبته . فقالت : لكنّي الجميلة وجهاء الصنّاع^٩ يدأ ، الحسبية أبا . فإن طلقني فلا أخلف الله عليه . قال : بارك الله عليك ! ثمّ خرج إلينا فقال : قد زوّجتك بهنسة بنت أوس . قال : قد قبلت . فأمر أمّها أن تهيّئها وتصلح من شأنها . ثمّ أمر ببيت فضرب له وأدخله إياه . فلما أدخلت إليه لبث هنيئة ، ثمّ خرج إليّ ، فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله ! لمّا مددت يدي إليها قالت [مه] ^(٩) أعند أبي وإخوتي ؟ هذا لا يكون ! قال : فأمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا ، فسرنا ما شاء الله ، ثمّ قال لي : تقدّم ! فتقدّمت ، فعدل بها عن الطريق ، فما لبث أن لحقني ، فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله ! قالت لي : اكما يفععل^{١٠} بالأمّة الجليبة ، والسبيّة الأخيذة ؟ لا والله ! حتّى تنحر الجزور ، وتذبح الغنم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل لمثلي . قال خارجه : فقلت : والله لأرّي هيئة عقل ! وإنّي لأرجو أن تكون المرأة النجيبة . ثمّ سرنا حتّى دخلنا بلادنا . فأحضر الابن والغنم ، ثمّ

(٩) سقط من أ.

دخل إليها وخرج . فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله ! قلت : ولمَ ذلك ؟ قال : دخلت عليها أريدها فقلت : قد أحضرنا من المال ما ترين . قالت : والله لقد ذُكِرْتُ لي من الشرف بما لا أراه فيك ! قلت : كيف ؟ قالت : أتتفرغ لنكاح النساء والعرب يَقتُلُ بعضها بعضا ؟ - تعني عبسا وذبيان - قلت : فتقولين ماذا ؟ قالت أخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ثم ارجع إلى أهلك، فلن يفوتك ! قلت : والله إنني لأرى عقلا وهمّة، ولقد قالت قولا ! فأخرج بنا ! فخرجنا حتّى أتينا القوم، فمشينا بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى من الفريقين، ثم يؤخذ الفضل ممّن هو عليه . فحملنا عنهم الديات وكانت ثلاثة آلاف بعير . وفي هذا الصلح يقول زهير يمدحهما :

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما تبزّل ما بين العشيرة بالدم
فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله رجالٌ بنوه من قريش وجُرحهم
يمينًا لنعم السيّدان ووجدتُما على كل حالٍ من سحيلٍ ومُبرم
تداركتُما عبسا وذُبيان بعدما تفانوا ودقّوا بينهم عطر منشم
وعاش الحارث حتّى أدرك النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فأسلم رحمه الله تعالى.

تِلْكَ التَّجَارَةُ لَا انْتِقَادُ الدَّرْهِمِ .

هذا في قول القائل :

وإذا شكّا مُهْرِيَّ اليَّ حرارةً عند اختلافِ الطّعن قلتُ له : أقدم
إنني بنفسي في الحروب لتاجرٍ تِلْكَ التَّجَارَةُ لَا انْتِقَادُ الدَّرْهِمِ !
ومعناه ظاهر.

تَمْرَةٌ خَيْرٌ مِنْ جَرَادَةٍ .

التَّمْرُ، بالثناة الفوقانية وسكون الميم، معروف، وهو ما يبس من حمل النخيل .
الواحدة تَمْرَةٌ، والجمع تَمَرَات وتُمُور وتُمُران ؛ والتَّمَارُ بائع التمر، والتَّمْرِي مَنْ
يُحِبُّهُ . وأمّا النمر بالمثلثة وفتح الميم فهو حمل الأشجار كلّها . والجراد معروف، الواحدة
جَرَادَةٌ . والمثل ظاهر مشهور .

التَّمَرُ فِي الْبَيْتْرِ عَلَى ظَهْرِ الْجَمَلِ.

التَّمَرُ تَقْدَمُ، والبئر معروف، وكذا الجمَل . وأصل المثل أنَّ المَنَادِي كان يقوم في الجاهلية على أَطْمِ مِنْ أَطَامِ المدينة فينادي بذلك الكلام حتَّى يدرك التمر، أي : من سقى نخيله بمياه الآبار على ظهور الجمال بالسواني وجد التمر، وحمد عاقبة الأمر، وأدرك غاية السقي، ونجاح الرأي . وهذا كما تقول : الزرع في تحريك الأرض وتزبيلها، والعنب في زَبْر الكرم وسقيها . وهذا كله تحضيض على إحكام الأسباب، والاعتناء بالوسائل، وتنبيهه على أنَّ المقاصد منوطة بها، ومرتبطة صلاحها بصلاحها . وقريب من هذا المثل الآخر، وهو قولهم : عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى، وقول القائل :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الزَّرْعِ
أَتَمِيمِيًّا مَرَّةً وَقَيْسِيًّا أُخْرَى ؟

يضرب لمن يتلوّن ويختلف كلامه ولا يقف على حال، أي : اتَّخَسَبُ إِلَى تَمِيمٍ مَرَّةً، وَإِلَى قَيْسٍ مَرَّةً أُخْرَى ؟ وتميم وقيس قبيلتان عظيمتان من قبائل العرب . أمّا تميم فهو تميم بن مُرٍّ بن أدِّ بن طابخة، بالباء الموحدة والخاء المعجمة، بن إلياس بن مُضَرِّ بن نِزَارٍ ؛ وأمّا قيس فهو قَيْسُ عَيْلَانَ، بفتح العين المهملة، واسمه إلياس بن مُضَرِّ بن نِزَارٍ، وقيس لقب له . وقد قيل إنَّ عيلان هو أبو قيس . ويدلّ لصحّته قول الحماسي :

لَحَى اللَّهُ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ إِنَّهَا أَضَاعَتْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ وَوَلَّتْ !
فَتَشَاوَلَ بِقَيْسٍ فِي الطَّعَانِ وَلَا تَكُنْ أَخَاهَا إِذَا مَا الْمَشْرِفِيَّةُ سَلَّتْ
أَلَا إِنَّمَا قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ بَقَّةٌ إِذَا شَرِبْتَ مَاءَ الْعَصِيرِ تَغَنَّتْ !
فصرّح بأنّه ابنُ عَيْلَانَ . وبين القبيلتين أبدا منافرات ومكافحات ومقاتلات . ومن ثمّ اشتهر بينهما التقابل، كما في هذا المثل، وشاع عند البليانيّين في باب القصر التمثيل بقولهم : فلانٌ تَمِيمِيٌّ، مراعاة لهذا الأمر . وفي بعض الأخبار قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ ! إِذَا فَاخَرْتَ فَفَاخِرْ بِقُرَيْشٍ، وَإِذَا كَاثَرَتْ فَكَاثِرْ بِتَمِيمٍ، وَإِذَا حَارَبْتَ فَحَارِبْ بِقَيْسٍ ؛ أَلَا إِنَّ جُوهَهَا كِنَانَةٌ،

وَلِسَانَهَا اسَدٌ، وَفُرْسَانُهَا قَيْنِسٌ : أَلَا إِنَّ لِكُلِّ فُرْسَانٍ فِي سَمَائِهِ وَهُمْ
الْمَلَائِكَةُ، وَفُرْسَانُنَا فِي الْأَرْضِ وَهُمْ قَيْنِسٌ ! وَإِنْ آخِرَ مَنْ يُقَاتِلُ عَنْ
الْإِسْلَامِ، حِينَ لَا يَبْقَى إِلَّا ذِكْرُهُ وَمِنْ الْقُرْآنِ إِلَّا اسْمُهُ، لَرَجُلٌ مِنْ
قَيْنِسٍ. قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيِّ قَيْنِسٍ ؟ قَالَ : مِنْ سُلَيْمٍ.

وسار معاوية يوما، فإذا هو براكب، فقال لبعض أصحابه : عليّ به من غير ترويع ! فأتاه
وقال : أجيب أمير المؤمنين ! فقال : إيّاه أردت . فلما دنا حسر اللثام وأنشد :

مُعَاوِيَ لَمْ أَزَلْ أَتَيْكَ تَهْوِي بِرَحْلِي نَحْوَ سَاحَتِكَ الرِّكَابُ
تَجُوبُ الْأَرْضَ نَحْوَكْ مَا تَأْبَى إِذَا مَا الْأَكْمُ قَنَعَهَا السَّرَابُ
وَكُنْتُ الْمُرْتَجَى وَبِكَ اسْتَعَاثْتُ لِتُنْعِشَهَا إِذَا بَخِلَ السَّحَابُ
فَإِذَا لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ، فَهَشَّ لَهَا مُعَاوِيَةُ، وَأَمَرَ لَهَا بِخَمْسِينَ بَعِيرًا . ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ مُضَرَ
فَقَالَتْ : « فَاخِرَ بَقْرِيشٍ، وَحَارِبَ بَقَيْسٍ، وَكَائِرَ بَتَمِيمٍ، وَنَاطِقَ بِيَّاسَدٍ ! » وَتَقَدَّمَ أَنْ
هَذَا فِي الْحَدِيثِ، وَسَيَأْتِي تَمَامَ حَدِيثِ لَيْلَى فِي الْأَعْيَانِ . وَيُسَمَّى أَوْلَادُ الْيَاسِ
خِنْدِفًا، وَهِيَ اسْمُ إِمَّتِهِمْ، وَمُضَرٌ كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى خِنْدِفٍ وَقَيْسٍ.

ومن أظرف ما يَتَّفَقُ فِي هَذَا النِّسْبِ، وَيَزِيدُ بِصِيرَةٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ . مَا ذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ
الْبَغْدَادِيُّ يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ شَيْبَانَ بْنِ عُلْقَمَةَ خَرَجَ حَاجًّا فَرَأَى، حِينَ شَارَفَ
الْبَلَدَ، شَيْخًا يَحْفَهُ رُكْبَ عَلَى إِبْلِ عَتَاقٍ بِرَحَالٍ مَيْسَ مَلْبَسَةِ أَدَمَا . قَالَ : فَعَدَلْتُ فَسَلَّمْتُ
عَلَيْهِمْ وَبَدَأَتْ بِهِ فَقُلْتُ : مَنْ الرَّجُلُ وَمَنْ الْقَوْمُ ؟ فَإِنَّ الْقَوْمَ يَنْظُرُونَ إِلَى الشَّيْخِ هَيْبَةً لَهُ،
فَقَالَ الشَّيْخُ : رَجُلٌ مِنْ مَهْرَةَ بْنِ حَيْدَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَافِ مِنْ قَضَاعَةَ. فَقُلْتُ : حَيَّاكُمْ
اللَّهُ ! وَانْصَرَفْتُ . فَقَالَ الشَّيْخُ : قَفْ أَيُّهَا الرَّجُلُ ! اسْتَنْسَبْتَنَا فَانْتَسَبْنَا لَكَ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ
وَلَمْ تَكَلِّمْنَا - وَيُرْوَى : شَامَمْتَنَا مُشَامَةَ الذُّبِّ الْغَنَمِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ - قَالَ : قُلْتُ : مَا
أَنْكَرْتَ سُوءًا، وَلَكِنِّي ظَنَنْتُكُمْ مِنْ عَشِيرَتِي فَأَنَاسَبَكُمْ، فَانْتَسَبْتُمْ نَسْبًا لَا أَعْرِفُهُ وَلَا أَرَاهُ
يَعْرِفُنِي . قَالَ : فَأَمَّا الشَّيْخُ لَثَامَهُ وَحُسْرَ عِمَامَتِهِ وَقَالَ : لِعَمْرِي ! لَئِنْ كُنْتُ مِنْ جِذْمٍ مِنْ
أَجْدَامِ الْعَرَبِ لَأَعْرِفَنَّكَ . قُلْتُ : فَإِنِّي مِنْ أَكْرَمِ أَجْدَامِهَا . قَالَ : فَإِنَّ الْعَرَبَ بَنِيَتْ عَلَى
أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ : مُضَرَ، وَبَرِيعَةَ، وَالْيَمَنَ، وَقَضَاعَةَ ؛ فَمَنْ أَيُّهُمْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ مُضَرَ . قَالَ : أَمِنْ

الأرجاء أم من الفرسان ؟ فعلمت أن الأرجاء خِنْدِف، وأن الفرسان قيس . قلت : من الأرجاء .
قال : فأنت إذن من خِنْدِف ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن الأرنبة أم الجُمُجُمة ؟ فعلمت أن
الأرنبة مُدْرَكَة، وأن الجُمُجُمة طابخة . فقلت : من الجمجمة . قال : فأنت إذن من
طابخة ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن الصميم أم من الوشيط ؟ فعلمت أن الصميم تميم، وأن
الوشيط الربَّاب . فقلت : من الصميم . قال : فأنت إذاً من تميم ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن
الأكرمين أم من الأحمليين أم من الأقلين ؟ فعلمت أن الأكرمين زَيْدُ مَنَاءَ، وأن الأحمليين
عَمْرُو بن تميم، وأن الأقلين الحارث بن تميم . قلت : من الأكرمين . قال : فأنت إذاً من
زيد مَناءَ ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن الجدود أم من البحور أم من الثماد ؟ فعلمت أن الجدود
مالك، وأن البحور سعد بن زَيْدِ مَنَاءَ، وأن الثماد بنو امرئ القيس بن زيد مَناءَ . قلت :
من الجدود . قال : فأنت إذاً من بني مالك ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن الذُرَى أنت أم من
الأرداف ؟ فعلمت أن الذرى حنظلة، وأن الأرداف ربِيعَة ومعاوية وهما الكرد وساق . قلت : من
الذرى . قال : فأنت إذاً من بني حنظلة ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن البدور أم من الفرسان أم
من الجراثيم ؟ فعلمت أن البدور مالك، وأن الفرسان يَرْبُوع، وأن الجراثيم البراجم .
قلت : من البدور . قال : فأنت إذاً من بني مالك بن حنظلة ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن الأرنبة
أم من اللّحيين أم من القفا ؟ فعلمت أن الأرنبة دارم، وأن اللّحيين طهيّة والعدرية،
وأن القفا ربِيعَة بن حنظلة قلت من الأرنبة قال: فأنت إذاً من دارم ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن
اللباب أم من الهضاب أم من الشهاب ؟ فعلمت أن اللباب عبد الله، وأن الهضاب مجاشع،
وأن الشهاب نهشل . قلت : من اللباب . قال : فأنت إذاً من عبد الله ؟ قلت : أجل ! قال :
أفمن البيت أم الزّوافر ؟ فعلمت أن البيت بَنُو زُرارة، وأن الزّوافر الأحلاف . قلت : من البيت .
قال : فأنت إذاً من بني زُرارة ؟ قلت : أجل ! قال : فإن زُرارة ولد عشرة : حاجيا، ولَقِيْطاً،
وعَلَقَمَة، ومَعْبَدًا، وخَزِيْمَة، ولَبِيْدًا، وأبَا الحارث، وعمرًا، وعَبْدُ مَنَاءَ، ومالكا .
فمن أيّهم أنت ؟ قلت : من بني علقمة ولد شيبان، لم يلد غيره فتزوَّج ثلاث نسوة :
مهدي بنت حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد، فولدت له يزيد ؛ وتزوَّج عِكْرَشَة بنت حاجب
بن زُرارة بن عدس، فولدت له المامور ؛ وتزوَّج عَمْرَة بنت بيشر بن عمرو بن عدس، فولدت

له المقعد . فلايَهْن أنت ؟ قلت : لمهدد . قال : يا ابن أخي ! ما افترقت فرقتان بعد مُدْرَكَة إلا كنت في أفضلهما حتّى زاحمك أخواك، فإنَّهما أن تلدني أمّا هما أحبّ إليّ من أن تلدني أمّك . يا ابن أخي ! أتراني عرفتك ؟ قلت : إي وأبيك أتمّ معرفة ! قال أبو علي : الميسب ضرب من الشجر، تُعملُ منه الرحال ؛ [وارم القوم : سكنوا ؛ والوشيط : الخسيس من الرجال] (10) والصميم : الخالص . وفي معنى هذا المثل الذي نحن فيه قول زفر أبْن الحارث لعمران بن حطان : أأزديّا مرّةً وأوزأعيّا أخرى ؟ ومن التلون قول عمران المذكور :

فاعذرْ أخاك ابنَ زنباعِ فإنَّ له في النَّائباتِ خُطوبًا ذاتَ ألوانِ !
يومًا يَمانِ إذا لا قيتُ ذا يَمَنِ وإن لقيتُ مَعديّا فَعَدنانِي
وقول الآخر :

أفي الولائمِ أولادٌ لِواحدةٍ وفي المفاخيرِ أولادٌ لِبعَلاتٍ ؟
تيسِي جَعار .

تيسِي، بكسر التاء الفوقانية المثناة بعدها مثناة تحتانية ساكنة بعدها سين مهملة . وجَعار ، على مثال حَذَام، وهي الضَّبْع، ويقال لها جَعار وأمّ جَعار وأم جعور ؛ ويقال أيضا : عِيثِي جَعار . أمّا تيسِي فهي من مادّة التيس، ولم يذكروها فعلا، بل قالوا إنّها كلمة تقال في معنى إبطال الشيء ؛ وأمّا عِيثِي فمن العَيْث وهو الافساد، وأصله : عِيثِي يَاجَعار ! قال الشاعر :

فقلت لها : عيْثي جَعار وجَرري بلحْم امرئٍ لم يحضِر اليوم ناصره !
وسياتي تمامه في محله وممّا يلتحق بهذا الباب قولهم :
تَحْت طَرِيقَتِكَ عِنْدَاوَة . (11)

والطريقة، على مثال سَكينة، الرخاوة واللين ؛ والعنداوة : الخديعة والمكر، أي تَحْت إِطْرَاقِكَ مَكْرٌ . وهو مِثْلُ المثل الآتي : مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاعٌ، وسياتي وقولهم :

(10) سقط ما بين معقوفتين من أ .
(11) أورد في لسان العرب هذا المثل في باب « عند » نقلا عن أبي زيد بصيغة : « إنَّ تَحْت طَرِيقَتِكَ لَعِنْدَاوَة » . قال وهو من العداء، وهمزُه بعضهم « عندْ أَوْه » فجعل النون والهمزة زائدين .

تَرَكَتْهُ بِإِسْتِ الْأَرْضِ . أَيْ تَرَكَتْهُ عَدِيمًا فَقِيرًا . وَقَوْلُهُمْ :
تَرَكَتْهُ عَلَى أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ .

وَمِمَّا يَتِمُّكَ بِهِ تَارَةً قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ
قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ .

وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَامَّةِ الْحِكْمَةِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ : اتْرُكِ الْحَبَّ تُحَبِّ ! أَيْ لَا تَطْنَمَعْ
فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ ! وَإِنْ تَكُنْ غَرِيبًا لَهُمْ يَمْلُوكُ . قَالَ زُهَيْر :
وَمَنْ لَا يَزَلْ يَسْتَحْمِلُ النَّاسُ نَفْسَهُ وَلَا يُغْنِيهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يُسَامِرُ
وَفِي الْأَثَرِ الْمَرْوِيِّ : ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي
النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ . وَيُشَبِّهُ هَذَا الْمَثَلُ مَسْأَلَةَ الطَّائِرِ ، إِنْ تَرَكَ الْحَبَّةَ الْمَعْلُوقَةَ فِي
الْفَخِّ نَجَا ، وَإِنْ اقْتَحَمَهَا هَلَكَ . وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ أَيْضًا قَوْلُهُمْ :

اِتْرُكْ صَاحِبَ الْغَاسُولِ يَسْكُتْ !

زَعَمُوا أَنَّ شَخْصَيْنِ اصْطَحَبَا فِي طَرِيقٍ ، لِأَحَدِهِمَا حِمْلٌ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ شَبْهِهِ ، وَلِلْآخَرِ
حِمْلٌ مِنَ الْغَاسُولِ - وَهُوَ طِينٌ تَغْسَلُ بِهِ الرُّؤُوسَ - فَاصْطَبَحَا مَطَرٌ فِي مَنْزِلٍ ، فَجَعَلَ صَاحِبُ
الْحَدِيدِ يَتَوَجَّعُ وَيَتَخَوَّفُ عَلَى سَلْعَتِهِ مِنَ الْبَلَكِ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الْغَاسُولِ مَا ذَكَرَ .
وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَدِيدَ وَشَبْهَهُ لَا يَضُرُّهُ الْبَلَكُ شَيْئًا ، وَأَمَّا الْغَاسُولُ الْمَذْكُورُ فَأَدْنَى شَيْءٍ مِنَ
الْبَلَكِ خُلُصٌ إِلَيْهِ يُحِلُّهُ وَيُفْسِدُهُ . فَيَضْرِبُ فِيمَنْ يَتَوَجَّعُ وَيَتَأَلَّمُ ، أَوْ يَشْتَكِي وَيَتَطَلَّمُ ،
أَوْ يَتَأَسَفُ وَيَتَنَدَّمُ ، وَثُمَّ مَنْ هُوَ أَجْدَرُ مِنْهُ .

وَقَدْ حَانَ أَنْ نَذَكَرَ مِنَ الشَّعْرِ مَا تَيْسَّرُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

كَمْ مِنْ فَتًى تُحْمَدُ اخْلَاقُهُ وَيَسْكُنُ الْعَافُونَ فِي ذِمَّتِهِ !
قَدْ كَثُرَ الْحَاجِبُ أَعْدَاءُهُ وَاحْتَقَدَ النَّاسُ عَلَى نِعْمَتِهِ
وَسَبَبَ هَذَا الشَّعْرُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْبَصْرَةَ ، فَسَأَلَ عَنْ دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ كُرَيْزٍ - وَكَانَ
عَبْدَ اللَّهِ مِنْ فَتَيَانِ قُرَيْشٍ جَوْدًا وَسَخَاءً ، وَكِرْمًا وَحَيَاءً - فَدُلَّ عَلَى الدَّارِ ، فَأَنَاحَ رَاحِلَتَهُ
بِالْبَابِ . فَاشْتَغَلَ عَنْهُ الْحَاجِبُ وَالْعَبِيدُ وَبَاتَ طَاوِيًا . فَلَمَّا أَصْبَحَ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَوَقَفَ عَلَى
الْحَاجِبِ فَأَنَشَأَ يَقُولُ :

كَأَنِّي وَنِضْوِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ عَامِرٍ مِنْ الْجُودِ ذَيْبًا قَفْرَةً هَلَعَانِ
وَقَفْتُ وَصُنْبُورُ الشِّتَاءِ يُلْفَنِي وَقَدْ مَسَّ بَرْدٌ سَاعِدِي وَبَنَانِي
فَمَا أَوْقَدُوا نَارًا وَلَا بَذَلُوا قَرَى وَلَا اعْتَذَرُوا مِنْ عَسْرَةٍ بِلِسَانِ
فَقَالَ بَعْضُ شِعْرَاءِ الْبَصْرَةِ مَا تَقْدَمُ . فَلَمَّا بَلَغَ الشَّعْرُ ابْنَ عَامِرٍ، عَاقَبَ الْحَجَّابُ وَأَمَرَ أَنْ لَا
يُخْلَقَ بَابُهُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا.

وقال الآخر :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى عَقْلٍ وَلَا أَدَبٍ إِنَّ الْجُدُودَ قَرِينَاتُ الْحِمَاقَاتِ
وَاسْتَرْزَقِ اللَّهَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ فَكُلْ مَا هُوَ آتٍ مَرَّةً آتٍ
ومثله قول الصابي :

إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ صِنَاعَةً فَاحْبَبْتَ أَنْ تَدْرِيَ الَّذِي هُوَ أَحَقُّ
فَلَا تَتَأَمَّكْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا بِهِ جَرَتْ لَهُمَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تُفَرَّقُ :
فَحيثُ يَكُونُ النُّوْكُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ وَحيثُ يَكُونُ الْحِذْقُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقٌ
وقال صالح بن عبد القدوس :

وَلَيْسَ رِزْقُ الْفَتَى مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ لَكِنْ جُدُودٌ بَارِزَاقٌ وَأَقْسَامُ
كَالصَّيْدِ يُحْرَمُهُ الرَّامِي الْمُجِيدُ وَقَدْ يَرْمِي فَيُرْزَقُهُ مَنْ لَيْسَ بِالرَّامِي
وقال الآخر :

مَتَى مَا يَرَى النَّاسُ الْغَنَى وَجَارَهُ لَيْسَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَتَى
وَقَوْلِي، مِنْ قَصِيدَةٍ :
فَقِيرٌ يَقُولُوا : عَاجِزٌ وَجَلِيدٌ وَلَكِنْ أَحَاطَ قُسْمَتُ جُدُودُ

وَالْحِظْ وَالْمُقْدَارُ مَا حُصِرَا فِي ذِي الذِّكَاكِ يَبِيتُ يَسْتَمْرِى
بِكَ قِسْمَةُ أَرْلِيَّةٍ نَشَاتٍ بِيَدِي مُدْبِرَهَا عَلَى قَدَرِ
وَإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ فِي قَرْنِ غَمْرِ الْغِنَى وَجَهَالَةِ الْغَمْرِ
وَتَرَى اللَّيْلِيَّ يَبِيتُ فِي ضَفَفٍ بِهَمُومِهِ مُتَقَسِّمِ الْفِكْرِ
لِيَكُونَ فَضْلُ حِجَى الْفَتَى عَوْضًا عَنْ فَضْلِ مَالِ الْأَنْوَكِ الْكَثْرِ

وَتَكُونُ أَحْكَامُ الْإِلَهِ جَرَتْ فِي الْخَلْقِ عَنْ غَلَبٍ وَعَنْ قَسَرٍ
وَسَيَاتِي ذَكَرَ مَا فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَ ذِكْرِ الْجَدِّ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَالَ الْحَمَاسِيُّ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرَبَ :

وَجَاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرَدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتْ
وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخِرِ :

صَبِرْتُ عَلَى التَّلَذُّاتِ حِينَ تَوَلَّيْتُ وَالزَّمْتُ نَفْسِي هَجْرَهَا فَاسْتَقَلَّتْ
وَكَانَتْ مَدَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذِّلِّ ذَلَّتْ
وَالسَّادَاتُ الصُّوفِيَّةُ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، يَتِمَثَّلُونَ بِهِ كَثِيرًا فِي نَجْمِ الرِّيَاضَةِ.

وَقَوْلُ الْحَمَاسِيِّ أَيْضًا سَيَّارُ بْنُ قَصِيرِ الطَّائِي :

عَشِيَّةَ أَرْمِي جَمْعَهُمْ بِلَبَانِهَا وَنَفْسِي قَدْ وَطَّنْتُهَا فَاطْمَأْنَنْتِ
وَقَوْلُهُ كَثِيرٌ :

فَقَلْتُ لَهَا : يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطَّنْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسَ ذَلَّتْ
قَالَ الْمُبَرِّدُ : وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقُولُ : لَوْ كَانَ هَذَا الْبَيْتُ فِي صِفَةِ الْحَرْبِ لَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ.
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

فِيَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتِزَامُهُ وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطَّنْتَ كَيْفَ ذَلَّتْ !
وَقَوْلُ ضَايِيءِ بْنِ الْحَارِثِ :

وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ !
وَقَالَ الْآخِرُ :

تَمَتَّعْ إِذَا مَا أَمَكْنَ الدَّهْرُ وَاعْتَنِمِ زَمَانَكَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيَفُوتُ !
وَقَالَ الْآخِرُ :

دَاءٌ قَدِيمٌ وَأَمْرٌ غَيْرُ مُبْتَدِعٍ : جَوْرُ الزَّمَانِ عَلَى أَهْلِ الْمُرَاةِ
وَقَالَ الْآخِرُ :

سَكَتُ عَنْ السَّفِيهِ فَظَنُّهُ أَنِّي عَيِيتُ عَنِ الْجَوَابِ، وَمَا عَيِيتُ
وَقَالَ الْآخِرُ :

سُرُورَانِ مَا لَهُمَا ثَالِثٌ : حَيَاةُ الْبَنِينَ وَمَوْتُ الْبَنَاتِ

وهذا من قول الأعراب : مَوْتُ البَنَاتِ، منَ المَكْرُمَاتِ . وقال الآخر :

كانتْ سُلَيْمَى تُنادِي يا أَخِيَّ وَقَدْ صارتْ سُلَيْمَى تُنادِي اليوم يا أَبْتَر !

وقال الآخر :

كلامُ النَّاسِ [أَشْتَاتُ] وَمَعْنَى كُلِّهِ : هَاتُوا !

وقال الآخر :

كم عائدٍ رجلاً وليسَ بعائدٍ إلاَّ ليعلمَ هل يَراهُ يموتُ !

وقال الآخر :

كَمْ مات قومٌ وما ماتتْ مكارمُهم وعاش قومٌ وهم في النَّاسِ أمواتُ !

وقال الآخر :

وأنطقت الدَّراهِمُ بَعْدَ عِيٍّ أَناسٌ بَعْدَ ما كانوا سَكوتًا !

وقال الآخر :

وما تنفع الآدابُ والحِلْمُ والحِجَى وصاحبُها عند الكمالِ يموتُ !

وقال الآخر :

ويحسنُ إظهارُ التَّجَدُّدِ للعِدَى ويقبُحُ غير العَجَزِ عند الأُحبَّةِ

وقال الآخر :

لا تَتَّهِمُ من شَقٍّ فاكَ فَإِنَّهُ أعطى الحَيَاةَ وَقَدَّرَ الأَقْواتِ

وقال أبو الطَّيِّب :

إِنَّ الكِرَامَ بِلَا كِرَامٍ مِنْهُمْ مَثَلُ القُلُوبِ بِلَا سُؤْدَاتِهَا

وقال أبو العلاء المعري :

فالأَرْضُ تَعْلَمُ أَنَّنِي من فَوْقِهَا مُتَصَرِّفٌ وكأَنَّني من تَحْتِهَا

غَدَرْتُ بَنِي الدُّنْيَا وكَلَّ مُصَاحِبِ صاحِبَتِهِ غَدَرَ الشَّمَالِ بِأَخْتِهَا

شَغَفْتُ بِوَامِقِهَا الحَرِيصِ وأظْهَرْتُ مَقْتِي لما أظْهَرْتَهُ من مَقْتِهَا

لأَبْدٍ للحَسَناءِ من ذامٍ وَلَا ذامٌ لِنَفْسِي غَيْرُ سَيِّءٍ بِخَتِهَا

وقال الآخر :

إِنَّ الصُّرُوفَ كَمَا عَلِمْتَ صَوَامِتٌ
مُتَّفَقَةٌ لِلدَّهْرِ إِنْ تَسْتَفْتِهِ
وَتَكُونُ كَالْوَرَقِ الذَّنُوبُ عَلَى الْفَتَى
وَقَالَ أَيْضًا :

رُويَدا عَلَيْهَا إِنَّهَا مُهَجَّاتٌ
أَرَى غَمَرَاتٍ يَنْجَلِينَ عَنِ الْفَتَى
وَلَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ سُكْرٍ سَاعَةٍ
أَلَا إِنَّمَا الْأَيَّامُ أَبْنَاءُ وَاحِدٍ
فَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَالْمَوْتُ أَحْسَنُ بِالنَّفْسِ الَّتِي أَلْفَتْ
بِتَّ الزَّمَانَ حِبَالِي مِنْ حِبَالِكُمْ
وَقَالَ :

أَحْسَنْتَ مَا شِئْتُ فِي إِيْنَاسٍ مُعْتَرِبٍ
وَقَالَ الْقَاضِي التَّنُوخِي :

الْفُ الْعَدُوَّ بِوَجْهِ لَا قُطُوبَ بِهِ
فَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ يُلْقِي أَعَادِيَهُ
وَقَالَ الْآخَرُ :

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ
وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ الْآخَرِ :

عَنْهُ وَكُلُّ عِبَارَةٍ فِي صَمْتِهَا
نَفْسُ أَمْرٍ عَنْ جُرْمِهِ لَمْ يُفْتِهَا
وَمُصَابُهُ رِيحٌ تَهْبُ لِحَتِّهَا

وَفِي الدَّهْرِ مَخِيئٌ لِأَمْرٍ وَمَمَاتٌ
وَلَكِنْ تَوَافِي بَعْدَهَا غَمَرَاتٌ
تَهُونُ عَلَيْهِ بَعْدَهَا السَّكَرَاتُ
وَهَذِي اللَّيَالِي كُلُّهَا أَخَوَاتُ
خِلَافَ الَّذِي مَرَّتْ بِهِ السَّنَوَاتُ !

عَزَّ الْقَنَاعَةُ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ الْقَوَا
أَعَزَّ عَلَيَّ بِكَوْنِ الْوَصْلِ مَبْتَوَاتُ

وَلَوْ بَلَغْتُ الْمُنَى أَحْسَنْتُ مَا شِئْتُ

يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَاتِ !
فِي جِسْمٍ حَقْدٍ وَأَثْوَابِ الْمَوَدَّاتِ

فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

أَوَكُلَّمَا ظَنَّ الذُّبَابُ طَرْدَتْهُ ؟ إِنَّ الذُّبَابَ إِذَا عَلِيَ كَرِيمُ !
وَيُحْكِي أَنَّ رَجُلًا أَسْمَعَ ابْنَ هُبَيْرَةَ، وَهُوَ مُعْرَضٌ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِيَّاكَ أَعْنِي !
فَقَالَ : وَعَنْكَ أَنَا أَعْرَضُ !

وَقَالَ الْآخَرُ، وَيُنْسَبُ لِعِثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

خَلِيلِي لِإِ وَاللَّهِ مَا مِنْ مُلَمَّةٍ
فَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَلَا تَخْضَعَنَّ لَهَا
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ بُلِّيَ بِنَوَائِبِ
وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيُّ :

يَا مِنْ تَظُنُّ السَّرَابَ مَاءً
وَقَالَ :

فَمَهْدُ الْعُذْرِ أَوْ فَسَامِحُ
وَقَالَ أَيْضًا :

لَا تَحْقِرَنَّ أَبَيْتَ اللَّعْنِ ذَا أَدَبٍ
وَلَا تَضَعِ لِأَخِي التَّامِكِ حُرْمَتَهُ
وَانْفِمْ بِعُرْفِكَ مِنْ وَافَاكَ مُخْتَبِطًا
فَخِيرَ مَاكَ الْفَتَى مَاكَ أَشَادَ لَهُ
وَمَا عَلَى الْمُشْتَرِي حَمْدًا يَمْوَهِبُهُ
لَوْلَا الْمُرُوءَةُ ضَاقَ الْعُذْرُ عَنْ فَطْنِهِ
لَكِنَّهُ لَا بَتَاءَ الْمَجْدِ جَدٌّ وَمَنْ
وَمَا تَنْشَقُّ نَشْرَ الشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ
وَالْحَمْدُ وَالْبُخْلُ لَمْ يُقْضِ اجْتِمَاعُهُمَا
السَّمَمُ فِي النَّاسِ مَحْمُودٌ خَلَائِقُهُ (12)
وَلِلشَّحِيمِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلْكٌ
فَجُدْ بِمَا جَمَعْتَ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ
وَحُذْ نَصِيبَكَ مِنْهُ قَبْلَ رَائِعَةٍ
فَالْدَّهْرُ أَنْكَرُ مَنْ أَنْ تَسْتَمِرَّ بِهِ (14)

تَدُومُ عَلَى حَيٍّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
وَلَا تُكْثِرُ الشُّكُوى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتْ
فَصَابِرَهَا حَتَّى انْجَلَّتْ وَاضْمَحَلَّتْ

لَمَّا رَوَيْتَ الَّذِي رَوَيْتُ !

إِنْ كُنْتَ أَجْرَمْتُ أَوْ جَنَيْتُ !

لَا بَدَا خَلَقَ السَّرْبَاكَ سُبُورًا
أَكَانَ ذَا لَسَنٍ أَمْ كَانَ سَكِينًا
وَانْعَشْ بِغَوْثِكَ مِنْ أَلْفَيْتٍ مَنْكُوتًا
ذَكَرًا تَنَاقَلَهُ الرُّكْبَانُ أَوْ صَيْتًا
غَيْبٌ وَلَوْ كَانَ مَا أَعْطَاهُ يَاقُوتًا
إِذَا اشْرَابَ إِلَى مَا جَاوَزَ الْقُوتَا
حُبُّ السَّمَاحِ ثَنَى نَحْوَ الْغِنَى لَيْتَا (12)
إِلَّا وَأَزْنَى بِنَشْرِ الْمَسْكِ مَفْتُوتًا
حَتَّى لَقَدْ قِيلَ ذَا ضَبًّا وَذَا حُوتًا
وَالْجَامِدُ الْكَفُّ مَا يَنْفَكُ مَمْقُوتًا
يُوسِعُنَّهُ أَبَدًا ذِمًّا وَتَبْكِيَتَا
حَتَّى يُرَى مُجْتَدِي جَدَوَاكَ مَبْهُوتًا
مَنْ الزَّمَانُ تَرِيكَ الْعُودَ مَنَحُوتًا
حَالٌ تَكَرَّهْتَ تِلْكَ الْحَالُ أَمْ شَيْتَا

(12) فِي الْمَقَامَاتِ : نَحْوَ الْعُلَى لَيْتَا.

(13) فِي الْمَقَامَاتِ أَيْضًا : مَحْبُوبٌ خَلَائِقُهُ.

(14) وَفِيهَا أَيْضًا : فَالدَّهْرُ أَنْكَدُ

قوله : أَشَادَكَ ذِكْرًا، أي رفعه، وهذا محمود مطلوب . ففي الحديث : إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا مَا لِلْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ، فَانظُرُوا مَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الذِّكْرِ الْحَسَنِ !
 وقيل لبعض الحكماء : ما أحمَد الأشياء ؟ قال : أن يبقى للإنسان أحدوثةٌ حسنة ! وقال
 أكثر بن صَيْفِي : إنما أنتم خبر، فطَيَّبُوا أخباركم ! وأخذَه حبيب فقال :

وما ابنُ آدمَ إلا ذِكْرٌ صالحٌ وذِكْرٌ سيِّئٌ تَسْرِي بها الكَلِمُ
 أما سَمِعْتَ يَدَهْرُ [] (15) جاءت بأخبارها من بَعْدِهَا الأُمَمُ ؟
 وأبو بكر بن دُرَيْدٍ حيث قال :

وإنَّما المرءُ حديثٌ بَعْدَهُ : فكن حديثًا حسنًا لمن وعى !
 وقال الأحنف [بن قيس : و] (16) ما أدخرت الآباءُ للأبناء، ولا أبقت الموتى للأحياء، أفضل من
 اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب . وقيل لمعاوية : أي الناس أحب إليك ؟ فقال : من
 كانت له عندي يدٌ صالحة . وقيل : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفِقْ منها، فإنَّها لا
 تَفْنَى، وإذا أدبرت عنك فأنفِقْ منها، فإنَّها لا تبقى . وأخذ هذا المعنى الشاعر فقال :
 لا تبخلنْ بدنيا وهي مُقْبِلَةٌ فليسَ ينقُصُها التَّبْذِيرُ والسَّرْفُ
 فإن تولَّتْ فأخرى أن تجود بها والحمدُ منها إذا ما أدبرتْ خَلْفُ
 وقال الآخر :

إذا جادتِ الدُّنيا عليك فجُدْ بها على النَّاسِ طرْفًا قبل أن تتقلَّتْ
 فلا الجود يُفْنِيها إذا هي أَقْبَلَتْ ولا البُخلُ يُبْقِيها إذا هي وَلَّتْ !
 قوله : فَكُنْ (البيت) مثله قول الآخر :
 لولا توقُّعُ مُعْتَرٍ فَارَضِيهِ ما كُنْتُ أَوْثِرُ أَتْرَابًا على تربي
 وقال الآخر :

لولا شِمَاتةُ أعداءِ ذوي حَسَدٍ وأنَّكَ بِنَفْعٍ مَن يُرْجِيَنِي
 لما خَطَبْتُمُ إلى الدُّنيا مطايِبَهَا (17)

(15) بياض بالأصل.

(16) سقط من أ.

(17) في ب : مطالِبها.

قوله : وما تَنْشَقُّ نَشْرَ الشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ (البيت)، نحوه ما يُحَكِّي عن بعضهم قال : رأيت رجلا من وجوه أهل مكة لا يزال دائبا في طلب حوائج الناس وإدخال الرفق على الضعفاء . فقلت له : أخبرني عن الحال التي أوجبت لك هذا التعب . فقال : قد والله سمعت تغريد الطير بالأسحار، من فروع الأشجار ؛ وسمعت خفوق أوتار العيدان، وترجيع أصوات القيان، فما طربت من صوت قط طربي من ثناء حسن، بلسان حسن، على رجل قد أحسن ؛ ومن شكر حرّ، لرجل حرّ ؛ ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر ! وفي مدح الكرم وذمّ البخل قول الله تعالى : وَمَنْ يُوقِ شَمِّ نَفْسِهِ (الآية) . وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [إِنَّ اللَّهَ يُجِبُّ الْجُودَ وَمَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سُفْسَافَهَا] . وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ دَاءٍ أَدْوَأَ مِنَ الْبُخْلِ؟ كما مرّ في فصّته. وقيل لمحمود بن عيَّاد: أنت متلاف ! فقال : مَنْعُ الْجُودِ، سُوءُ الظَّنِّ بِالْمَعْبُودِ . أخذه محمود الورّاق فقال :

مَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ خَيْرًا جَادَ مُبْتَدِيًّا وَالْبُخْلُ مِنْ سَوْءِ ظَنِّ الْمَرْءِ بِاللَّهِ
وْخَوْفُ بَعْضِ الْبَخْلَاءِ بَعْضَ الْأَسْخِيَاءِ الْأَمْلَاقِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّخِيُّ وَقَالَ : الشَّيْطَانُ
يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ، وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ
وَفَضْلًا . وقيل لعبد الله بن جعفر : إِنَّكَ قَدْ أَسْرَفْتَ فِي بَذْلِ الْمَالِ . فقال : إِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى عَوَّدَنِي أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيَّ، وَعَوَّدْتَهُ أَنْ أَتَفَضَّلَ عَلَى عِبِيدِهِ ؛ فَأَخَافُ أَنْ أَقْطَعَ
الْعَادَةَ، فَيَقْطَعَ عَنِّي عَادَتَهُ.

وقال أيضا :

إِنَّ الْغَرِيبَ الطَّوِيلَ الذَّيْلَ مُمْتَهَنٌ فَكَيْفَ حَالُ غَرِيبٍ مَا لَهُ قُوَّةُ ؟
لَكِنَّهُ مَا يَشِينُ الْحُرَّ مَوْجِعَةٌ : فَالْمَسْكُ يُسْحَقُ وَالْكَافُورُ مَفْتُوتُ
وطلالما أَصْلَى الْيَاقُوتُ جَمْرَ غَضَا ثُمَّ انْطَفَى الْجَمْرُ وَالْيَاقُوتُ يَاقُوتُ
وقال أيضا :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذُنُوبٍ أَسْرَفْتُ فِيهِنَّ وَاعْتَدَيْتُ
كَمْ خَضْتُ بَحْرَ الضَّلَالِ جَهْرًا وَرَحْتُ فِي الْغَيِّ وَاعْتَدَيْتُ !

وكم أَطَعْتُ الْهَوَى اغْتَرَارًا
وكم خَلَعْتُ الْعِذَارَ رَكْضًا
وكم تَنَاهَيْتُ فِي التَّخْطِي
فَلَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ هَذَا
فَالْمَوْتُ لِلْمُجْرِمِينَ خَيْرٌ
وقال طُفَيْكُ الْغَنَوَى :

جزى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ: أزلقت
أَبَوًا أَنْ يَمْلُؤَنَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّنَا
هُمْ أَسْكُنُونَا فِي ظِلَالِ بِيوتِهِمْ
وَيُرَوَى أَنَّ مَا جَاءَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَسَمَهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالسُّوَيْيَّةِ، فغَضِبَتْ
الْأَنْصَارُ وَقَالُوا : لَنَا فَضْلٌ . فَقَالَ : صَدَقْتُمْ ! إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَفْضَلَكُمْ ذَهَبَ عَمَلُكُمْ لِلدُّنْيَا، وَإِنْ
صَبَرْتُمْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ . فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا عَمَلْنَا إِلَّا لِلَّهِ ! وَانصَرَفُوا . فَخَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ
أَثْنَاءَ خُطْبَتِهِ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ! لَوْ شِئْتُمْ لَقَلْتُمْ : إِنَّا أَوْيَيْنَاكُمْ فِي ظِلَالِنَا، وَشَاطَرْنَاكُمْ فِي
أَمْوَالِنَا، وَنَصَرْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا . يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ! لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يَحْصِيهِ الْعَدَدُ، وَإِنْ
طَالَ بِهِ الْأَمَدُ . فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ طُفَيْكُ الْغَنَوَى - وَأَنْشُدِ الْأَبْيَاتَ، مِمَّنْ لَا .
وقال كُنْثِيرٌ :

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَازِمٍ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ
حُكْيَ أَنَّ الشَّعْبِيَّ أَتَى الْمَسْجِدَ يَوْمًا فَصَادَفَ فِيهِ قَوْمًا يَغْتَابُونَهُ، فَأَخَذَ بَعْضَادَتِي الْبَابَ
وقال : هَنِيئًا مَرِيئًا (البيت) . وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةِ كُنْثِيرٍ التَّائِيَةِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي
أَوَّلُهَا :

خَلِيلِيَّ هَذَا رُبْعُ عِزَّةٍ فَاعْقِلَا قَلَوْ صِيكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتْ !
ومنها :

وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ صَحِيحَةٍ
وَكُنْتُ كَذَاتِ الظَّلَمِ [لَمَّا تَحَامَلْتُ] (18)
ورجلٍ رَمَى فِيهَا الزَّيْمَانَ فَشَلَّتْ
عَلَى ضِلْعِهَا بَعْدَ الْعِثَارِ اسْتَقَلَّتْ

(18) سقط من المخطوطات وبقِيَ مكانه بياض.

أريد الثَّوَاءَ عندها وَظَنُّهَا إذا ما أطلنا عندها المكثَ ملَّتِ
ومنها.

وإنِّي وتهنيامي بعزّة بعدما تخليتُ ممّا بيننا وتخلّيت
لكالمرتجى ظلّ الغمامة كلّما تبوّأ منها للمقيّد اضمحلّت
كانني وإياها سحابةٌ مُحمِلٍ رجاها فلمّا جاوزته استهلّت
وذكر أبو عليّ البغدادي أنّه قيل لكثيرٌ : مَنْ أشعر ؟ أنت أم جميل ؟ قال : أنا . فقيل له :
كيف ، وأنت راويّته ؟ فقال جميل الذي يقول :

رمى اللهُ في عيني بُثينة بالقذا وفي الغرّ من أنيابها بالقوادِحِ !
وأنا أقول : هنيئًا مريئًا غيرَ داءٍ مُخامرٍ، إلخ.

قلت : وقد وقع له بعد هذا البيت نحو ما لجميل، حيث قال :

فإن تَكُنْ العُتْبَى فأهلاً ومرحبًا وحقّتْ لها العُتْبَى لدينا وقلّتْ
وإن تَكُنْ الأخرى فإنّ وراءنا منادِحَ لو سارت بها العيسُ كلّتْ⁽¹⁹⁾
فقلوه : [وراءنا]⁽²⁰⁾ منادِحُ أضرمَ على قلب عزّة من القذى في العين، غير أنّه قال
أيضا :

أسيئي بنا أو أحسنني لا مَلُومَةٌ لدينا ولا مقليةٌ إن تقلّتْ
وقال الآخر :

سقوني وقالوا لا تُغنّ، ولو سقوا جبال حُنَيْنٍ ما سقوني، لغنّتْ
ذكروا أنّ فتىً أتى به بعض الخلفاء ثملاً، فسأله . فأنشد ذلك . وقال آخرون : أتى بفتى
[من] قريش إلى عبد الملك بن مروان، فقال له : أين شربت ؟ فقال :

شربتُ مع الجوزاءِ كأسًا رويّةً وأخرى مع اللّثعري إذا ما استقلّتْ
مُعْتَقَةً كانت قريشٌ تعافُها فلمّا استحلّتْ قتل عُثْمانَ حلّتْ
فاستظرفه وامر بإطلاقه، وأعطاه عشرة آلاف درهم . والسادات الصوفيّة، أسبل الله رضوانه
عليهم، وحشرنا إليهم، يتمثلون بالبيت السابق في شراهم المستطاب، الذي كلُّ شراب

(19) حرفت كلمة « منادِح » في جمل المخطوطات، فكتبت في بعضها « منادِج » وفي بعضها « منارِج » .

(20) سقط من أ.

دونه سَرَابٌ أو عذاب ؛ وفي ذلك قال الامام المقدسي، مضمّنًا للبيت المذكور :

أباحَت دمي إذ باح قلبي بحبّها وحلّ لها في حُكمها ما استحلّت
وما كُنْتُ ممّن يُظهر السرّ إنّما عروس هواها في ضميري تجلّت
فشاهدتها فاستغرقتني فكرةٌ اغيب بها عن كلّ كلّيّ وجملتني
وحلّت محلّ الكلّ منّي بكُلّها فليأيّ أياها إذا ما تبدّت
ونمت على سرّي فكانت هي التي عليها بها بين البريّة نمت
إذا سألت من أنت ؟ قلت أنا الذي بقائي إذا أفنيت قيل هويّتي
أنا الحقّ في عِشقي كما أنّ سيّدِي هو الحقّ في حُسني لغير معيّة
فإن أكُ في سكري شطحتُ فإنّني حكمت بتمزيق الفؤاد المفتّت
ولا غرو إن أصليتُ نار تحرقني ونار الهوى للعاشقين أعدّت
ومن عجبي أنّ الذين أحبُّهم وقد أعلقوا أيدي الهوى بأعنة
سقوني وقالوا لا تُغنّ، ولو سقوا جبال حنين ما سقوني، لغنّت
وقال الآخر :

لقد بخلت حتّى لو أنّي سألتها قذى العين من ضاحي الثراب لضنّت
فإن بخلت فالبخلُ منها سجيّةٌ وإن بذلت أعطت قليلاً واكذبت
وسياتي في هذا المعنى ما فيه كفاية، إن شاء الله تعالى.
وقال أعرابي :

شرُّ قريّنٍ للكبير بعلّتهُ تُولغُ كلباً سُورهُ أو تكفّتهُ
البعلّةُ : الزوجة، والرجل بعلٌ . والمعنى أنّ الرجل إذا كبر، تقدّرت امرأته : فلا تشرب
فضلة شرابه، بل تسقيه كلباً أو تكفّتهُ على الأرض.
وقال الآخر :

أقول إذ حوّلتُ أو دنوّتُ، وبعض حيّقال الرّجال الموتُ :
مالي إذا أنزعها صأيتُ أكبرُ غيّرني أم بيتُ ؟
والبيتُ : الزوجة أيضاً.

فائدة : الزوجة لها أسماء عدة : منه البَعْلَة والبَيْت وتقدّماء، ومنها الشَّهْلَة .
قال الشاعر :

له شهلةٌ شابتُ ومامسٌ جيبها ولا راحتِها الشُّنَّتَيْنِ عَبرُ
وتُطلق الشَّهْلَة أيضا على العجوز، كقول الآخر :

باتت تُنْزِي دلوها تَنْزِيًّا كما تُنْزِي شَهْلَةً صَيًّا
وهذا أيضا مُحتمل . ومنها الحَلِيلَة، وجمعها حلائك . قال [الله] تعالى : وحلائل
أبنائِكُمْ ؛ ومنها العَرُوسُ، بكسر العين . قال امرؤ القيس :

كذبت لَقد أصبى على المرء عرسه وأمنعُ عرسي أن يزنَ بها الخالي
ويقال للرجل أيضا عَرُوسٌ، وكذا العَرُوسُ، يستويان فيه ؛ غير أنه إنما يوصفان به ما
داما في أعراسهما، بخلاف العَرُوس . وأما العَرُوسُ، بضم العين، فاسم الوليمة ؛ ومنها
الحَنَّة . قال الشاعر :

ما أنتِ بالحنّةِ الودودِ ولا عِندكِ خيرٌ يُرْجى لِمُلْتَمِسِ
ومنها الطَّلَّة . قال الشاعر :

وإنَّ امرءًا في النَّاسِ كنتِ ابنُ أمِّه تبدَّلَ مِنِّي طَلَّةٌ لَغِيْنُ
دَعَتْكَ إلى هَجْرِي فطاوَعْتَ أمرها فَنَفْسُكَ لا نَفْسِي بذاك تَهِينُ
ومنها الرِّبْضُ، ويقال الرِّبْضُ أيضا لكِّ ما أُويت إليه . قال الشاعر :

جاءَ الشِّتَاءُ ولمَّا اتَّخِذَ رِبْضًا يا ويحَ نَفْسِي من حَفْرِ القَرَامِيصِ !
ومنها القَعِيدَة . قال الحُطَيْيئة :

أَطَوَّفُ ما أطوَّفُ ثمَّ أوي إلى بيتٍ قَعِيدَتُهُ لَكَامِ
ومنها الزَّوْجُ، ويُطلق على الذكر والأنثى . وقد يُقال الزوجة على قِلَّة، كقول الفرزدق :
وإنَّ الَّذِي يسعى لِيُفسِدَ زوجتي كساعِرٍ إلى أَسَدِ الشَّرَى يستبيلُها
وقال سليمان العدوي - أو الخزاعي - في مراثيته للحُسَيْن، رضي الله عنه :

إذا افْتَقَرْتُ قَيْسٌ جَبَرْنَا فقيرها وتَقَتَّلْنَا قَيْسٌ إذا النَّعْلُ زَلَّتِ
وهو مثل قول الحَيْصِصِ بَيْصِص :

ملكنّا فكان العَفْوُ مِنّا سَجِيَّةً
وَقَرِيءٌ عَلَى قَبْرِ بِالْمَدِينَةِ :

يا مُفْرَدًا سَكَنَ الثَّرَى وَبَقِيْتُ لَوْ
الْحَيُّ يَكْذِبُ : لَا صَدِيقَ لَمِيتٍ
ومثله قول الآخر :

ومن عَجَبٍ أَنْ بَيْتَ مُسْتَشْعِرِ الثَّرَا
وَلَوْ أَنَّني أَنْصَفْتُكَ الْوَدَّ لَمْ أَبْتَ
وقول الآخر :

مَا وَفَى فِي الْعِبَادِ حَيٌّ لِمَيْتٍ
بعد يَأْسٍ مِنْهُ لَهُ فِي الْإِيَابِ
وقول الآخر :

نَسِيبُكَ مِنْ أَمْسَى يُنَاجِيكَ طَرْفُهُ
وقال أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي غُلَامٍ أَبْقَلَ عِذَارُهُ :

قَالَ الْعَوَازِلُ مَا هَذَا الْغَرَامُ بِهِ :
فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْمَفْنَدَ لِي
ومن أَقَامَ بِأَرْضٍ وَهِيَ مُجْدَبَةٌ
وقال ابن زهر الأشبيلي، إِذْ غَلَبَ عَلَيْهِ الشَّيْبُ :

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْمَرَاةِ إِذْ جُلِيتْ
رَأَيْتُ فِيهَا شَوْيخًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ
فَقُلْتُ : أَيْنَ الَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ هُنَا
فَاسْتَضَحَّكَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُعْجَبَةٌ :
كَانَتْ سُلَيْمَى تُنَادِي : يَا أَخِي وَقَدْ

وتقدّم بعضه قبل هذا الباب . وقال الآخر :

الصَّبْرُ مَحْمُودٌ إِلَى غَايَةٍ
مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ وَلَكِنَّهُ
وهذه الغاية حتّى مَتَى ؟
فِي ضِمْنِهِ يَذْهَبُ عُمُرُ الْفَتَى !

وهو مأخوذ من قول بعض الحكماء : ما أحسن الصَّبْرَ لَوْلَا أَنَّ النَّفْقَةَ عَلَيْهِ مِنَ
العُمْرِ !

وقال الآخر :

ألم تر أنَّ الدَّهْرَ يومٌ وَلَيْلَةٌ يَكْرَهُ أن من سبتَ عَلَيْكَ إلى سَبْتٍ ؟
فَقُلْ لجديد العَيْشِ : لا بُدَّ من بَلَى وَقُلْ لاجتماع العَيْشِ : لا بُدَّ من شَتٍّ !

وقال الآخر :

إذا لم يكن في السَّمْعِ مِنِّي تصامُومٌ وفي بصرِي غضبٌ وفي منطِقِي صمتٌ
فحظِّي إذاً من صومئِ الجوعِ والظَّمَا وإن قُلْتَ إِنِّي صمتُ يوماً فما صمتُ
وفيه الجناس التام . وقال الآخر ، وقد قُدِّم على الموارِيث :

وما نِلْتُ من شُغْلِ الموارِيثِ غيرَ أن أَسْرَحَ نَعشاً كلَّما مات ميّتٌ
وأكتبُ بالأمواتِ صكّاً كأنَّهم يُخَافُ عليهم في الحسابِ التَّفَلُّتُ
كأنِّي لعزرائيلَ صِرتُ مُناقِضاً : فهاهو يَمْحُو كلَّ يومٍ وأُثْبِتُ
وقال الفرزدق :

بَنُو دارِمٍ أَكْفَاؤُهُمُ آلُ مِسْمَعٍ وَتَنَكَّحُ فِي أَكْفَائِهَا الْحَبِيطَاتُ
وكان بلغه أنَّ رجلاً من الْحَبِيطَاتِ يخطب امرأة من دارِمٍ ، فقال ذلك . ودَارِمٌ هو مالك بن
حَنْظَلَةَ بن مالِك بن زَيْد مَنَاةَ بن تَمِيم ؛ وآل مِسْمَعٍ - كَمِنْبَرٍ - من بني قَيْسِ بن
ثَعْلَبَةَ ، وهم بيت بكر بن وائل في الاسلام . وَالْحَبِيطَاتُ بنو الحارث بن عمرو بن تَمِيمٍ ،
وكان أبوهم الحارث يُلقَّبُ بِالْحَبِيطِ ، بكسر الباء الموحَّدة ؛ وَالْحَبِيطُ هو الذي يصيبه
الْحَبِيطُ ، بفتح الحاء ، وهو انتفاخ بطون الماشية من أكل النبات ، كما مرَّ . وأصاب ذلك
الحارث في بعض أسفاره ، فقل له الحَبِيطُ ، وقيل لأولاده الْحَبِيطَاتُ . ويضرب هذا البيت
مثلاً لمن طَمَحَ إلى ما فوق قدره في هذا المعنى .

وقال بعض الأعراب :

وسألي عَن خَبَرِي لَوِيتُ فَقُلْتُ : لا أدري ، وَقَدْ دريتُ
وقبله :

وَمَنْهَلٍ فِيهِ الْغُرَابُ مَيَّتُ كَانَهُ مِنْ الْأَجُونِ زَيْتُ
سَقَيْتُ مِنْهُ الْقَوْمَ وَاسْتَقَيْتُ وَلِيلَةَ ذَاتِ نَدَى سَرَيْتُ
وَلَمْ يَلِتْنِي عَنْ سَرَاهَا لَيْتُ وَلَمْ تَضِرْنِي كِنَّةُ وَبَيْتُ
وَجَمَّةٌ تَسْأَلْنِي أَعْطَيْتُ وَسَائِلِي عَنْ خَبْرِي لَبَيْتُ
وَالْبَيْتُ هُنَا أَيْضًا الزَّوْجَةُ ؛ وَالْجَمَّةُ : الْقَوْمُ يَسْأَلُونَ فِي الدِّيَاتِ .
وقال الآخر :

خَلِيلِي هَذِي زَفْرَةٌ الْيَوْمَ قَدْ مَضَتْ فَمَنْ لِيْغْدٍ مِنْ زَفْرَةٍ قَدْ أَظَلَّتْ
وَمِنْ زَفَرَاتٍ لَوْ قَصَدَنْ قَتَلْتَنِيْ تَقْصُ الْتِي تَبْقَى الْتِي قَدْ تَوَلَّتْ
وقال الآخر :

أَلْقَنِي فِي لَطَى : فَإِنْ أَحْرَقْتَنِي ، فَيَقِينُ أَنْ لَسْتُ بِالْيَاقُوتِ !
جَمْعُ النَّسْجِ كُلُّ مَنْ حَاكَ لَكِنْ لَيْسَ دَاوُودُ فِيهِ كَالْعَنْكَبُوتِ
وهذا الشعر معروف مشهور ، ولم يُعرف قائله ، وَيُتِمَّتْ بِهِ عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِمْ : مَا كُلُّ
سَوْدَاءَ تَمْرَةٍ ؛ وَقَوْلِهِمْ : مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ . وَتَقَدَّمَ مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي
قول الحريري :

وَرَبَّمَا أَصْلِي الْيَاقُوتَ جَمْرٌ لَطَى ثُمَّ انْطَفَى الْجَمْرُ وَالْيَاقُوتُ يَاقُوتُ
وقال بعضهم في مناقضة البيتين المذكورين :

أَيُّهَا الْمُدَّعِي الْفَخَارَ دَعِرَ الْفَخْرَ لِذِي الْكِبْرِيَاءِ وَالْجَبَرُوتِ !
نَسَجُ دَاوُودَ لَمْ يُفِدْ لَيْلَةَ الْغَارِ وَكَانَ الْفَخَارُ لِلْعَنْكَبُوتِ
وَبَقَاءُ السَّمْنَدِ فِي لَهَبِ النَّارِ مُزِيكٌ فَضِيلَةُ الْيَاقُوتِ
وَكَذَاكَ النَّعَامُ يَلْتَقِمُ الْجَمْرَ وَمَا الْجَمْرُ لِلنَّعَامِ بِقُوتِ
وَأَرَادَ أَنَّ لِلْعَنْكَبُوتِ شَرْفًا عَظِيمًا بِنَسْجِهَا عَلَى فَمِ الْغَارِ الَّذِي دَخَلَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ ، وَذَلِكَ مَشْهُورٌ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا نَسَجَتْ أَيْضًا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُودَ ، عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، حِينَ طَلَبَهُ طَالُوتُ ، وَعَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ ، حِينَ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، إِلَى قَتْلِ خَالِدِ الْهَذَلِيِّ ، وَعَلَى عَوْرَةِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي

طالب، رضي الله عنهم، حين صُلب عريانا، والله أعلم . والسَّمْنَدُ الذي ذكره هو السَّمْنَدُك - باللام - وهو طائر يكون في أرض الهند، لا يحترق بالنار، تصنع منه المناديل : فإذا اتَّسَخَتْ أَلْقِيَتْ في النار، فاكلت النار ما عليها من الأوساخ، وبقيت نظيفة، فكان ذلك لها غسلا ؛ وإذا غمس شيء منها في الزيت وجعل في المصباح، اشتعل بما فيه من الزيت، ولم يحترق منه شيء أصلا، ولو بقي ما بقي . وبعد كتبي هذا وجدت في بعض الدواوين أصل هذا الشعر وهو أنَّ بعض الملوك كان له وزير، فعتب عليه شيئا وحلف ليستبدلتهُ بمن لقي . فلقى أعرابيا رثَّ الهيئة، فاستوزره، فقال الوزير الأوَّل، وكان اسمه ياقوت يَعْرِضُ بالثاني :

أَحْكَمْ النَّسَجُ كُلُّهُ مِنْ حَاكِ لَكِنْ نَسَجُ دَاوُودَ لَيْسَ كَالْعَنْكَبُوتِ !
الْقِنَى فِي لَطَا (البيت)
فأجابه الثاني بقوله :

نَسَجُ دَاوُودَ مَا حَمَى صَاحِبَ الْغَارِ وَكَانَ الْفَخَّارُ لِلْعَنْكَبُوتِ
وَفِرَاخُ السَّمْنَدِ فِي لَهَبِ النَّارِ أَرَأَيْتَ فَضِيلَةَ الْيَاقُوتِ
وَقَالَتْ أَمَامَةُ الْعَامِرِيَّةُ، مِنْ شِعْرَاءِ الْحَمَاسَةِ :
وَحَرْبُ يَضِجُ الْقَوْمُ مِنْ نَفْيَانِهَا (21) ضَجِجَ الْجِمَالُ الْجِلَّةُ الدَّيْرَاتِ
سَيَتْرَكُهَا قَوْمٌ وَيَصْلَى بَحْرَهَا بَنُو نِسْوَةٍ لِلتَّكْلِ مُصْطَبَرَاتِ
وَقَالَ جَحْدَرُ :

قَدْ عَلِمْتُ وَالدَّتِي مَا ضَمَّتْ وَلَفَّتْ فِي خِرْقٍ وَشَمَّتْ
إِذَا الْكُمَاةُ بِالْكُمَاةِ التَّفَّتْ أَمْخِجُ الْيَدَيْنِ أَمْ أَتَمَّتْ (22)
أَي : [قد] علمت مخائل الكرم فيَّ منذ ولدتني، وعلمت أنني تامَّ الخلق غير ناقصه، لا قدامي وجُرأتي .

وَقَالَ سِنَانُ بْنُ الْفَحْلِ الطَّائِي (23) :

(21) في أ : « نقيانها » بالقاف المثناة، وهو تصحيف.
(22) في الحماسة : « ما لَفَّتْ » في الشطر الثاني من البيت الأول ؛ والشطر الأخير هكذا : « أَمْخِجُ » في الحرب أم أتمَّت . والمُخْدَجُ : الناقص الخلق.
(23) حرف اسم هذا الشاعر الحماسي في بعض المخطوطات فكتب : « سنان العجل ».

وقالوا : قَدْ جُنَنْتَ، فَقُلْتُ كَلًّا
ولكنِّي ظَلَمْتُ فَكَدْتُ أَبْكِي
[فإنَّ الماءَ ماءُ أبي وجَدِّي
وقَبْلَكَ رَبٌّ خَصِمٌ قَدْ تَمَالَوْا
ولكنِّي نَصَبْتُ لَهُمْ جَبِينِي
وقال تَابَّطُ شَرًّا :

أَلَمْ تَعْلَمْ بَأَنِّي، لَا كَبِيرٌ فَتَوَهَّنْهُ، وَلَا ضَرَعٌ شَخِيتُ
وَأَنَّ عَلَى وَدَاعِي كُلِّ خَيْرٍ وَأَنَّ قَذَافِي الْمَوْتُ الْمُمِيتُ
الضَّرَعُ : الضعيف ؛ والشَّخِيتُ : الضَّئِيلُ الْحَقِيرُ ؛ والوداعُ : المُوَادَعَةُ
والمُسَالَمَةُ ؛ والقذافُ : المقاذفة باللسان وقال المأمون العباسي :

مَا أَحَدٌ طَالَتْ لَهُ لِحْيَةٌ فَزَادَتْ اللَّحْيَةُ فِي هَيْئَتِهِ
إِلَّا وَمَا يَنْقُصُ مِنْ عَقْلِهِ أَكْثَرُ مِمَّا زَادَ فِي لِحْيَتِهِ
وكان يوما جالسا [مع ندمائه]⁽²⁷⁾ يتذكرون أخبار الناس، فقال المأمون : ما طالت لحية
إنسان قط إلا نقص من عقله بمقدار ما طال من لحيته، وما رأيت عاقلا قط طویل اللحية، فلم
يسلم له جلساؤه ذلك . فبينما هم كذلك إذ أقبل رجل كبير اللحية، حسن الهيئة، حسن
الثياب . فقال المأمون : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : [هو] رجل عاقل . وقال
آخر : يجب أن يكون هذا قاضيا . فقال المأمون : عليَّ به ! فلم يلبث أن أوصد إليه، فسلم
وأجاد السلام، واستنطقه بأحسن المنطق . فقال المأمون : ما اسمك ؟ فقال : أبو حمدوية .
قال : ما الكنية ؟ قال : علوية . فضحك المأمون، وأقبل على جلسائه، فغمزهم عليه، ثم قال
له : ما صنعتك ؟ قال : أنا فقيه، أجيد الشرح للسائل . فقال المأمون : نسالك عن مسألة ؟
قال : سألَ عَمَّا بدا لك ! فقال له المأمون : ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل، فلمَّا
سلمها المشتري ومضى، خرجت من استها بكرة ففقات عين رجل . على مَنْ تجب دية

(24) يروى أيضا : « من الظلم المُبِين..... ».

(25) سقط هذا البيت من ب.

(26) يروى أيضا : فما هَلِجْتُ ولا دَعَوْتُ.

(27) سقط من ب.

العين؟ قال . تجب على البائع دون المشتري . فقال المأمون : وما العلة التي أوجبت الدية على البائع دون المشتري ؟ قال : لأنه، لما باعها لم يشترط أن في استها منجنيقا . قال فضحك المأمون حتى استلقى على قفاه، وضحك كل من حضر من الندماء، وأنشأ المأمون يقول : مَا أَحَدٌ طَالَتْ لَهُ لِحْيَةٌ (البيتين) ومثله قول الآخر :

إِذَا عَظُمَتِ لِلْفَتَى لِحْيَةٌ فَطَالَتْ وَصَارَتْ إِلَى سُرَّتِهِ
فَنُقْصَانُ عَقْلِ الْفَتَى فَاعْلَمَنَّ بِمِقْدَارِ مَا زَادَ فِي لِحْيَتِهِ
وقول الآخر :

لَا تَفْخَرَنَّ بِلِحْيَةٍ كَثُرَتْ، مَنَابِتُهَا طَوِيلَةٌ
تَهْوِي بِهَا هُوجُ الرِّيحِ كَانَهَا ذَنْبُ الْحَسِيلَةِ
قَدْ يُدْرِكُ الشَّرْفَ الْفَتَى يَوْمًا وَلِحْيَتُهُ قَلِيلَةٌ
الحَسِيلَةُ : ولد البقرة، والجمع حَسِيل . وقول الآخر :

وَكُلُّ أَمْرٍ ذِي لِحْيَةٍ عَثُولِيَّةٌ يَقُومُ عَلَيْهَا ظَنٌّ أَنْ لَهُ فَضْلًا
وَمَا الْفَضْلُ فِي طُولِ السَّبَاكِ وَعَرْضِهَا إِذَا اللَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لِصَاحِبِهَا عَقْلًا
وقال الحسن بن المثنى : إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا لَهُ لَحْيَةٌ طَوِيلَةٌ، وَلَمْ يَتَّخِذْ لَحْيَةً بَيْنَ
لِحْيَتَيْنِ، كَانَ فِي عَقْلِهِ شَيْءٌ . وسيأتي من هذا المعنى ما فيه كفاية، إن شاء الله تعالى . وقال الآخر :

إِذَا لَمْ يَكُنْ فَيَكُنْ ظَلٌّ وَلَا جَنَى فَاْبَعْدَكُنَّ اللَّهُ مِنْ شَجَرَاتِ !
وقال الآخر :

يَقُولُ أَنَاسٌ : لَوْ نَعَتْنَا لَنَا الْهَوَى فَلَيسَ لَشَيْءٍ مِنْهُ حَدٌّ أَحَدُهُ
إِذَا اشْتَدَّ مَا بِي كَانَ آخِرَ حِيلَتِي وَأَنْضَحَ وَجْهَ الْأَرْضِ طَوْرًا بِعَبْرَتِي
وَقَدْ زَعَمَ الْوَاشُونَ أَنِّي سَلَوْتُهَا : وَقَالَ دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِي :

وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي لَهُمْ كَيْفَ أَنْعَتُ !
وَلَيْسَ لَشَيْءٍ مِنْهُ وَقْتُ مُوقَّتُ
لَهُ وَضَعُ كَفِّي فَوْقَ خَدِّي وَأَصْمَتُ
وَأَقْرَعُهَا طَوْرًا بِظُفْرِي وَأَنْكُتُ
فَمَا لِي أَرَاهَا مِنْ بَعِيدٍ فَاْبَهُتُ ؟

قالوا : تَعَصَّبَ جهلاً قول ذي بهت
لا بُدَّ للرحيم الدنيا من الصلة
حقاً يفرق بين الزوج والمرّة !

قديمًا لأبي الضمير وابنُ أبات :
وما كُنت وقافًا على الشُّبهات !

من المال في المعروف يومًا فشلت !
وجدك لم أحفل متى ما أظلت
وأقدم فوق القارح المتفلت
إذا شُعبُ المعروف في الناس قلت
وقد أعطيت من صورة ما تمنيت
ونمّم بقايا فتنة قد أظلت
تكون وداعًا للفراف وقلت
سلوت ولو عزّت عسبي وجلت
لم أحفل : لم أبال ؛ وأظلت : أقبلت وغشيت ؛ وشُعبُ المعروف : طرّقه
وأسبابه . وهذا التقسيم كأنه أخذه من قول طرفة بن العبد :

وجدك لم أحفل متى قام عوّدي :
كُميت متى ما تعل بالماء تزبد
كسيد الغضا نبهته المتورد
ببهكنة تحت الطراف المعمّد⁽³⁰⁾

أحبت قومي ولم أعدك بحبهم
دعني أصل رحيمي إن كنت قاطعها :
فاحفظ عشيرتك الأدنى إن لهم
وقال أعرابي من بلحارث :

رثمت لسلمي في ضيم وأنني
فقد وقفتني بين شك وشبهة
وقال الحماسي :

إذا ما يد لم تُعط ممّا تخولت
فلولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى
فمنهنّ أن ألقى الصليب وأهله
ومنهنّ أن أعطي الكريم بسؤله
ومنهنّ إبراز الفتاة بنانها
أصاح تروّح نترك الجهل والصبا
فما لك من ليلي سواء تحية
وزفرة محزون وذكر مُصيبة
لم أحفل : لم أبال ؛ وأظلت : أقبلت وغشيت ؛ وشُعبُ المعروف : طرّقه
وأسبابه . وهذا التقسيم كأنه أخذه من قول طرفة بن العبد :

فلولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى⁽²⁸⁾
فمنهنّ سبقي العاذلات بشربة
وكرّبي إذا نادى المضاف مجنبًا⁽²⁹⁾
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب

(28) يروى أيضًا : من لذة الفتى .

(29) مجنبًا يروى بالحاء المعجمة ، وبالجميم . والتحنيب : انحناء وتوتير في رجل الفرس ، وهو مما يوصف به صاحبه بالشدة .

ويروي الشطر الثاني أيضًا هكذا : كسيد الغضاض السورة المتورد .

(30) في المعلقات : تحت الخباء المعمّد . ويروي أيضًا : تحت الخباء الممدّد .

وسياتي مع بيانه في محله، إن شاء الله تعالى.

وقال الشيخ ابن الفارض، رضي الله عنه :

كَأَنِّي هَلَاكُ الشَّكِّ لَوْلَا تَأْوُهُي خَفِيتُ فَلَمْ تُهْدِ الْعَيُونُ لِرُؤْيَتِي
وسياتي إنشاد ما قيل في النحول، إن شاء الله تعالى . وقال :

أُرُومٌ وَقَدْ طَالَ الْمَدَى مِنْكَ نَظْرَةٌ وَكَمْ مِنْ دِمَاعٍ دُونَ مَرَامِي طَلَّتْ !
وقال :

وَجَنَّبَنِي حُبِّكَ وَصَلَ مُعَاشِرِي وَأَبْعَدَنِي عَنْ أَرْبَعِي بَعْدُ أَرْبَعِ :
فَلِي بَعْدَ أَوْطَانِي سَكُونٌ إِلَى الْفَلَا وَزَهْدٌ فِي وَصْلِي الْغَوَانِي إِذْ بَدَأَ
وَمَا ظَفِرْتَ بِالْوَدِّ رَوْحٌ مُرَاحَةٌ وَأَيْنَ الصَّفَا ؟ هِيَاطَ مِنْ عَيْشٍ عَاشَقٍ
وَحُسْنٌ بِهِ تَسْبِي النُّهَى دَلَّنِي عَلَى وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنِ هِنْدٍ :

لَا يَرُدُّ الرَّدَى لِرُومٍ بُيُوتِ مَوْلِدِ الدُّرِّ حَمَاءٌ فَإِذَا سَا
وَتَقَدَّمَ فِي هَذَا الْمَعْنَى شَعْرٌ كَثِيرٌ . وَلَنَذْكُرْ هُنَا شَيْئًا مِنْ غَيْرِ مَا مَرَّ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ
السَّاعَاتِيِّ :

أَهْلَكَ وَاللَّيْلُ مَنْضِيَا جَمَلِكَ شَمَّرُ فَخِيرِ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ !
لَا خَيْرَ فِي بُقْعَةٍ تَرُوقُ مِنَ الْأَرْضِ ضَرَّ إِذَا لَمْ تَنْكُ بِهَا أَمْلَكَ !
حَتَّامٌ لَا تَعْمَلُ الْجِيَادُ وَلَا تَعْمَلُ فِي كُلِّ غَايَةِ جَمَلِكَ ؟
لَقَدْ تَرَبَّصْتَ خِيفَةَ الْأَجَلِ الْمُحْتَوَمِ لَوْ كَانَ دَافِعًا أَجَلَكَ
وَحَبَّذَا ذَاكَ لَوْ وَجَدْتَ فَتَى أَفْضَلَ يَوْمًا عَنَّا أَوْ فَضْلَكَ !
وقال ابن قلاقيس :

سافر إذا حاولت قدرا
والماء يكسب إن جرى
وينقله الدرر النفيسة
وله أيضا :

شرفي جاوز الغنى ومن العا
كيف لا أسرع التنقل والمشهور
وقوله أيضا :

إن مقام المرء في بيته
فواصل الرحلة نحو الغنى
والنار لا يحرق مشبوبها
وقول أبي الغنائم :

سر طالبا غاياتها : إمّا ترى
لا تخلدن إلى المقام فإنما
لا تبك دارا فالفتى من دعا
أين الكناس من العرين وغزلا
لو ينتج الوطن العلا ماسار عن
والليث لو وجد الفريسة رابضا
لا عار في بيع النفوس على الردى
حاتم حظي في الوهاد وأصحاب
ما الجبن يحميني الحيمام ولا أرى
لا بد منها وثبة تسعى الظبى
أشكو إلى الأيَّام ما التقى لها

سار الهلال فصار بدرا !
طيبا ويخبئ ما استقر
بدلت بالبحر نحرا

رض ما انحط عن رؤوس الجبال
للبدر سرعة الانتقال ؟

مثل مقام الميت في لحده
فالسيف لا يقطع في غمده !
إلا إذا ما طار عن زنده

فوق الثريا أو ترى تحت الثرى
سير الهلال قضى له أن يقمرا
دمعا عصاه وإن دعاه ما جرى
ن اللوى في المجد من أسد الشرى ؟
غمدان سيد حمير مستنصرا
أو ناهضا في خيسه ما أصحرا
عندي إذا كان العلاء المشتري
الدناءة في الشواهد والذرى ؟
الاقدام يجلب لي سوى ما قدرا
فيها وتكسو الجو فيها العيثرا
وجها على تلوينها مستبشرا

ما عُدُّر من لم يلقَ وجهًا أبيضًا
وقال أبو الفضل التميمي :

دعني أسير في البلاد ملتمسًا
فبيدقُ الرُّخْمَ وهو أينسُرُ ما
وقال ابن صرْدُر :

قلِّقْ رِكابَكَ في الفلا
لولا التَّغْرِبُ ما ارتقى
وقول الآخر⁽³²⁾ :

دعي عزَماتِ المُستَضَامِ تسيرُ
ألم تعلمي أنَّ التَّوَاءَ هو التَّوَى
وقول أبي اسحاق الغزني :

يا خَليلي حُلِّيا عاظَكَ البيد
زُحَلْ أَكْبَرُ الكَواكِبِ لا
وقول ابن قلاقيس أيضا :

إن كُنْتَ تَبْغِي وَطَنًا
فالسُّمُرُ فِي غَابَاتِهَا
والشَّمْسُ لا تُرْقِبُ فِي
وقول ابن السَّاعَتِي أيضا :

وكنْ غَنِيًّا عن كلِّ أرضٍ بأختِها
فلولا فِرَاقُ الدُّرِّ أَصْدَفَ بِحِرهِ
وقوله أيضا :

ولا يَصُدُّكَ عَن شَيْءٍ تَرْفَعُهُ
لم يَشْرِفِ الدُّرُّ لولا هجرُ موطنه

منهُنَّ إن لم يلقَ وجهًا أحمرًا ؟

فَضْلَةٌ مالٍ إن لم يفر زانًا
في الدُّسْتِ إن سار صار فيرزانا

ودعِ الغَوانيَّ لِلْقُصُورِ !
دُرُّ البُحُورِ إِلَى النُّحُورِ

فَتُنْجِدُ فِي عَرْضِ الفلا وتَغُورُ !
وإنَّ بُيُوتَ العَاجِزِينَ قُبُورُ ؟

بِوَجْهِ النَّجِيبَةِ الشَّمَلِ !
يَحْمِلُ إِلَّا مِنْ قَلَّةِ الانْتِقَالِ

مِنْ العُلَى فَاغْتَرِبِ !
مَعْدُودَةٌ فِي القَصَبِ
المَشْرِقِ لَوْ لَمْ تَغْرِبِ

وإن حَلَّ مَغْنَاهَا كَوَاعِبُ عَيْنٍ
لَنُاكَرَهُ تاجٌ وَصَدَّ جَبِينُ

فربَّما صارَ وَرْدًا نازحُ السُّحُبِ
[والبَدْرُ ما تَمَّ حَتَّى جَدَّ فِي الطَّلَبِ]

(32) هو ابن دراج القسطلاني.

وقول الآخر :

فالتَّجَرُّبُ كالتَّجَرُّبِ مَلَقَى فِي مَوَاطِنِهِ
ومثله قول الآخر :

أَضِيعُ فِي مَعْشَرِي وَكَمْ بَلَدٍ
وقول أبي السَّكَنِ :

قَالُوا نَرَاكَ كَثِيرَ السَّيْرِ مُجْتَهِدًا
فَقُلْتُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي السَّيْرِ فَائِدَةٌ
وقول الآخر :

أَقُولُ لَجَارَتِي وَالِدَمْعُ جَارُ
ذُرَيْبِي أَنْ أُسِيرَ وَلَا تَنُوحِي
وقال ابن سَنَاءِ الْمُلْكِ :

وَأَسْعَدَ النَّاسَ مَنْ لَاقَى بِلا تَعَبٍ
وهذا البيت من أبيات يمدح بها والده الرشيد، وهي :

إِنِّي لَأَرْتِي لِدَمْعِي مِنْ تَرَاحُمِهِ
أَنَا الْقَوِيُّ بِعَزَمِي وَالرَّشِيدُ أَبِي
أَبْنِي وَأَنْشُرَ بَيْتَ الْمَجْدِ مُجْتَهِدًا
أَصْبَحْتُ أَحْتَالَ فِي حَالٍ وَنَضَرْتُهَا
وَأَسْعَدُ النَّاسَ (الْبَيْتُ)

وممَّا مدحه به أيضا قوله :

يَكْفِيكَ أَنْتِي بِكَ يَا سَيِّدِي
جَاوَزْتَ حَدَّ الْبِرِّ بِي صَاعِدًا
وقوله أيضا من قصيدة :

أَنْتِي لِي النَّقْصُ إِنَّ مَجْدَ أَبِي
هُوَ الرَّشِيدُ الَّذِي رِيَّاسَتُهُ

والعودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ

يَعُودُ عَوْدُ الْكِبَاءِ مِنْ حَطْبِهِ

فِي الْأَرْضِ تَنْزِلُهَا طَوْرًا وَتَرْتَحِلُ
مَا كَانَتْ السَّيْبُ فِي الْأَبْرَاجِ تَنْتَقِلُ

وَلِي عَزْمُ الرَّحِيلِ مِنَ الدِّيَارِ
فَإِنَّ الشُّهْبَ أَشْرَفُهَا السَّوَارِي

مَبْدَأُ السَّعَادَةِ فِي مَبْدَأِ شَبِيبَتِهِ

كَمَا رَثَيْتُ لَشَمْلِي مِنْ تَشَتُّتِهِ
هُوَ الرَّئِيسُ عَلَى الدُّنْيَا بِهَمَّتِهِ
فِي لَمْ لَمْتَهُ أَوْ رَمَّ رَمَّتَهُ
بِهِ وَارْتَعُ فِي عَيْشِي وَخُضْرَتِهِ

قَدْ طَابَ أَصْلِي وَزَكَ مَخْتَدِي
فَقِفْ : فَمَا أَبْقَيْتَ مِنْ مَصْعَدٍ !

سَامٍ كَمَا أَنَّ قَدْرَهُ سَابِقُ
سَارَتْ، فَلَا زَاجِرٌ وَلَا سَالِقُ

يُكْنَى أَبَا الْفَضْلِ وَهُوَ يَعْشَقُ نَفْسَ الْفَضْلِ، وَالْمَرْءُ لَابْنِهِ عَاشِقٌ
وَأَيْنَ هَذَا مِنْ ابْنِ الرَّؤُومِي، حَيْثُ يَقُولُ فِي هَجْوِ أَبِيهِ، وَبِئْسَ مَا قَالَ ! :
لَوْ كَانَ مِثْلَكَ فِي زَمَانِ مُحَمَّدٍ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بِرُ الْوَالِدِ !
وَابْنِ عُنَيْنٍ فِي قَوْلِهِ :

وَجَنَّبَنِي أَنْ أَفْعَلَ الْخَيْرَ وَالِدٌ قَلِيلٌ إِذَا مَا عُدَّ أَهْلُ الْمَنَاسِبِ !
بَعِيدٌ مِنَ الْحُسْنَى قَرِيبٌ مِنَ الْخَنَا وَضِعٌ مَسَاعِي الْخَيْرِ جَمُّ الْمَثَالِبِ
إِذَا رُمْتُ أَنْ أَسْمُو صَعُودًا إِلَى الْعُلَا غَدَا عِرْقُهُ نَحْوَ الدَّيْنَةِ جَاذِبِي
وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ الْآخِرِ فِي خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ، أَوْ فِي غَيْرِهِ :

إِذَا نَبَّهْتَهُ نَخْوَةً عَرَبِيَّةً إِلَى الْمَجْدِ قَالَتْ لِرْمَنِيتِهِ نَمِ
وَمَنْ هَجَا وَالِدَهُ ابْنُ بَسَّامٍ، حَتَّى قَالَ فِيهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَنْ شَاءَ يَهْجُو عَلِيًّا فَشَعْرُهُ قَدْ كَفَاهُ
لَوْ أَنَّهُ لِأَبِيهِ مَا كَانَ يَهْجُو أَبَاهُ
وَقَالَ الْآخِرُ :

لَا تَخَفْ لِلْخُطُوبِ فِي كُلِّ وَقْتٍ لَا تَحْشَسْهَا وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ !
فَحَقِيقٌ دَوَامُهَا لَيْسَ يَبْقَى كَثُرَتْ فِي الزَّمَانِ أَوْ هِيَ قَلَّتْ
وَادَّرَعُ لِلْهُمُومِ صَبْرًا جَمِيلًا فَالرَّزَايَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ
وَقَالَ الْآخِرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

اصْبِرْ إِذَا نَائِبَةٌ حَلَّتْ فَهِيَ سَوَاءٌ وَالَّتِي وَلَّتْ
وَاسْتَنْهَضَ الْعِزْمَ فَلَيْسَ الظُّبَا تَبْرِي وَتَفْرِي كَالَّتِي كَلَّتْ
وَفِي هَذَا الْمَعْنَى شَعْرٌ كَثِيرٌ تَقْدَّمَ بَعْضُهُ، وَسَيَأْتِي فِي مَحَلِّ آخِرٍ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
وَقَالَ الْآخِرُ :

الْقَبْرِ أَخْفَى سِتْرَةً لِلْبَنَاتِ وَدَقْنَهَا يَرْوَى مِنَ الْمَكْرُمَاتِ
أَمَا رَأَيْتَ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ وَضَعَ النَّعْشَ يَحْنَبُ الْبَنَاتِ ؟
وَسَيَأْتِي هَذَا الْمَعْنَى مُسْتَوْفَى، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وقال الآخر :

اقتنم بأيسر شيء أنت نائله
فما صفا النيل إلا وهو منتقص
ومثله قول ابن طباطبَا :

كن بما أوتيته مغتبطا
إن في نيل المنى وشك الردى
كسراج دهنه قوته
وقال الآخر :

خذ من العيش ما كفى [(33)]

كسراج منور إن طفا دهنه انطفأ
وسياتي هذا المعنى مستوفى، إن شاء الله تعالى.

وقال البحتري :

إن أبق أو أهلك فقد نلت التي
وغنيت ندمان الخلائف نابها
وشفعت في الأمر الجليل إليهم
ووضعت في العرب الصنائع عندهم (34)
وقال دعلج الخزاعي :

لا تعرضن بمزح لامرئ طبن
فرب قافية بالمزح جارية
إنني إذا قلت بيتا ماتب قائله
ونحوه قول الآخر :

فللشعراء السنة حداد

واصبر ولا تتعرض للولايات !
ولا تكدر إلا في الزيادات

تستدم عمر القنوع المكتفي !
وقياس القصد عند السرف
فإذا أغرقتة فيه طفي

[(33)]

إن طفا دهنه انطفأ

ملأت صدور أقاربي وعُداتي
ذكرني وناعمة بهم نشواتي
بعد الجليل فأنجحوا طلباتي
من رقد طلاب وفك عناة

ما راضه قلبه أجراه في الشفة
في محفل لم يرد أنماؤها نمت
ومن يقال له والبيت لم يمت

على العورات موفية دليلة

(33) بياض بالأصل.

(34) في الديوان : وصنعت في العرب.....

وَمِنْ عَقْلِ الْكَرِيمِ إِذَا اتَّقَاهُمْ وَدَارَاهُمْ مُدَارَاةَ جَمِيلَةٍ
 إِذَا وَضَعُوا مَكَائِهِمْ عَلَيْهِ وَإِنْ كَذَبُوا فَلَيْسَ لَهُنَّ حِيلَةٌ
 وَسَيَأْتِي هَذَا الْمَعْنَى مُسْتَوْفَى، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَالَ الْآخِرُ يَتَشَوَّفُ إِلَى أَهْلِهِ :

وَلِي كَبِدٌ مَكْلُومَةٌ لِفِرَاقِكُمْ أَطْمَئِنُّهَا صَبْرًا عَلَى مَا أَجْنَتِ
 تَمَنَّتْكُمْ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَصَبْنُوهُ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَ لَهَا مَا تَمَنَّتِ
 وَعَيْنٌ جَفَاها النَّوْمُ وَاعْتَادَهَا الْبُكَاءُ إِذَا عَنْ ذِكْرِ الْقَيْرُوانِ اسْتَهْلَكَ
 وَقَالَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ بَيْنَ يَدَيِ الْمُعْتَصِمِ، وَقَدْ قَدَّمَ السِّيفُ وَالنَّطْعُ لِيَقْتُلَهُ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ النَّطْعِ وَالسِّيفِ كَأَمْنًا يَلاَحِظُنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَفْتُ
 وَأكْبَرَ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي وَأَيُّ أَمْرٍ يَدْلِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ ؟
 وَأَيُّ أَمْرٍ يَدْلِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ يَعِزُّ عَلَى الْأَوْهَسِ بْنِ تَغْلِبٍ مَوْفٍ ؟
 فَمَا خَزَنِي أَنِّي أَمُوتُ وَأَنْتَ لَكِنْ خَلْفِي صَبِيحَةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ
 كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيْهِمْ وَأَذُوذُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتًا
 وَآخِرُ جَذَلَانٍ يَسُرُّ وَيَشْمَتُ !

فَعَفَا عَنْهُ الْمُعْتَصِمُ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَقَلَّدَهُ عَمَلًا . وَنَحْوُ الْبَيْتِ الْآخِرِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

إِذَا مِتُّ كَانَ النَّاسُ صَنَفَانِ شَامَتُ وَآخِرُ مَثَرٍ بِالَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ
 وَقَالَ ابْنُ رَشِيقٍ :

أَيُّهَا الْمُؤَوِّحِي إِلَيْنَا نَفْثَةُ الصِّلِ الصَّمُوتِ
 مَا سَكَنَّا عَنْكَ عِيًّا رُبَّ نَظْفٍ فِي السُّكُوتِ
 لَكَ بَيْتٌ فِي الْبُيُوتِ مِثْلُ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ
 إِنْ يَهْنُ وَهْنًا فَفِيهِ حِيلَتَا سُكْنَى وَقُوتِ !

ومثل هذا قوله أيضا :

وَأَخْرَقَ أَكْأَلَ لِّلْخَمِ صَدِيقِهِ
سَكَتُ لَهْ ضَنْكًا بِعِزِّي فَلَمْ أَجِبْ
وقول الآخر :

وَأَعْلَمُ بَأَنِّ مِنَ السُّكُوتِ إِبَانَةٌ
وقول الآخر :

أَيَا رَبِّ إِنَّ النَّاسَ لَا يُنْصَفُونَنِي
إِذَا مَا رَأَوْنِي فِي رِخَاءٍ تَوَدَّدُوا
وَمَهْمَا أَكُنْ فِي نِعْمَةٍ حَزَنُوا لَهَا
ثِقَاتِي مَا دَامَتْ صَلَاتِي لَدَيْهِمْ
سَامِعٌ قَلْبِي أَنْ يَحْنُ إِلَيْهِمْ
وَالزَّمْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ دَائِبًا لَعَلَّنِي
أَلَّا إِنَّمَا الدُّنْيَا كِفَافٌ وَصَحَّةٌ
وقال الآخر :

وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى :
وقال الآخر :

إِذَا مَا مَدَدْتُ النَّفْسَ التَّمَسُّ الْغِنَى
سَاصِبِرْ جَهْدِي إِنَّ فِي الصَّبْرِ عِزَّةً
وقال الآخر :

مَنْ لِي بِذِكْرِي كُلَّمَا أَوْحَشَتْهُ
وَسَحَابَ دَمْعٍ كُلَّمَا أَمْطَرَتْهُ

وقد كنت قلت في معنى البيت الأخير، قبل أن أراه، وهو مطلع قصيدة :

طَرَقَتْكَ مِنْ بَعْدِ الْهَدُوءِ بِلَابِلٍ
سُحِبْتُ مَتَى تَحُلُّ بِأَكْنَافِ الْحَشَى
تَمْحُو سُلُوبِي وَاشْتِيَاقِي تَثْبِيتُ
غَيْرِ الْقِتَادِ بِمُضْجَعِي لَا يُنْبِتُ ؟
تَهْمِي كَمَا طَرَقَ الْخَمِيلَةَ وَابِلُ
يُنْبِتُ بِهِ مِنْهَا الْقِتَادُ الرَّاعِلُ

وَلَيْسَ لِحَارِي رَيْقِهِ بِمُسِيغٍ
وَرُبَّ جَوَابٍ فِي السُّكُوتِ بَلِغٍ

وَمِنْ التَّكَلُّمِ مَا يَكُونُ خَبَالًا

وَلَمْ يُحْسِنُوا قَرْضِي عَلَى حَسَنَاتِ
إِلَيَّ وَأَعْدَاءُ لَدَى الْأَزْمَاتِ
ذَوُّو أَنْفُسٍ فِي شِدَّتِي جَذَلَاتِ
وَأَنْ عَنُفُمُ أَخَرْتُهَا فَعُدَاتِي
وَأَصْرَفُ عَنْهُمْ قَالِيًا لِحِطَاتِي
أَعَايِنُ مَا أَمَلْتُ قَبْلَ مَمَاتِي
وَأَمِنْ ثَلَاثَ طَيِّبُ كُلِّ حَيَاةٍ

فَإِنْ تَوَقَّتْ تَأَقَّتْ وَإِلَّا تَسَلَّتْ

إِلَى غَيْرٍ مِنْ قَالَ أَسْأَلُونِي فَشَلَّتْ
وَأَرْضِي بِدُنْيَايَ وَإِنْ هِيَ قَلَّتْ

تَمْحُو سُلُوبِي وَاشْتِيَاقِي تَثْبِيتُ
غَيْرِ الْقِتَادِ بِمُضْجَعِي لَا يُنْبِتُ ؟

إلاَّ أَنَّهُ جعله في مطر الدموع، وأنا جعلته في مطر الأحزان ؛ وجعله في المضجع، وأنا جعلته في وسط الفؤاد، وإليك ارتياد الأبلغ !

تقسّم منك التُّرْبَ قومي وجيرتي : ففي الظَّهر أحيائي وفي البطن أمواتي
وتقدّم كثير ممّا قيل في ذكر الوطن، وسيأتي مزيد فيه، إن شاء الله تعالى.
وقلت أنا في قوم غَشَوْا لئima فجعل جائزتهم الازدراء :

لأنَّ تَهملوا أو يُزدري بوجوهكم فذُو ورطاتٍ خاضها الطَّين بابتِه
ومن يستبِك يوما حميرا ينلنَه فلا يشجُه من بولهنَّ إصابَتُه
ولو كان حلِمٌ لادري المرء أَنَّهُ من النَّوك أن تمتدَّ للصَّخر راحَتُه
ألاَّ إنَّ برقًا خَلَبًا غير ممطرٍ وشائمةُ الحرمان والغم غايَتُه !
ودخلت يوما عليه للتسليم عليه، فرأيت من لقياه ما أكره، فقلت في نفسي ارتجالا أو شبه
ارتجال :

أتكبر يا ابن التُّؤم بالكبر والخنا وتلتمسن ركن المعالي براحة
وتستقبلن وجه السَّيادة مُسفرًا وترقى سرير الملك يوما بأخمص
ولو خاضت العذب الفُرات غداها وتجري تصاريف الرِّعايا جميعها
وتقدّم في دفع المُلَمَّات عنهم فهيئات منك المجد إن كنت عاقلا
فلا خير فيه غير أنَّ لقاءه وإنَّ هجاء النَّاس ليس يسوؤه
دخلت عليه زائرا فإذا أنا وأحسن إذا أخطأت إن زرت مثله
وأنا أستغفر الله العظيم من هجو المسلمين، وثلب أعراض الغافلين . ولولا أنَّ اغتياب

البخيل، ورد فيه ترخيص وتسهيل، مع ابتناء الكتاب، على قصد الامتاع من كل باب، ما مضمّنتُ بالهجو لسانني، ولا سطرته ببناني.

وقال الوزير أبو عامر بن يَنق في باب الغزل :

وهيهفاء يحكيها القضيبي تأوداً . إذا ما انثنت في الرّيط أو حبراتها
يضيق الازار الرّحب عن ردفها كما يضيق بها الأحشاء عن زفرتها
وما ظبية أدماء تألف وحدة تزيد ظلال الضّال أو أثلثها
بأحسن منها يوم أومت بلحظها إلينا ولم تنطق حذار وشاتها
وقال ابن النبيه :

من لي بسلمى وفي أجفان مقلتها للحرب بيض حداد قط ما صفحت
يهتز بين وشاحيها قضيب نقى حمائم الحلبي في أفنانه صدحت
وأسود الخال في محمر وجنتها كمسكة نفتحت في جمرة لفتحت
وقال الحماسي في غير هذا المعنى :

لا تنكحن الدهر ما عشت أيّما مجرّبة قد ملّ منها ومَلّت
تحكّ قفاها من وراء خمارها إذا فقدت شيئاً من البيت جنت
تجود برجليها وتمنع درّها وإن طلبت منها المحبة هرت
قوله تحكّ قفاها : يريد أنّها خرّقاء لا تحسن احتكاكا، فضلا عن غيره . وقوله تجود
برجليها، إلخ : يريد أنّها تتأتّى لمن يريد غشيانها، ولا تصلح للولادة، لأنّها قعدت
عنها فلا درّ لها . وتقدّم هذا المعنى . وقال الحماسي أيضا في التلميح :

إذا اجتمع الجوع المبرح والهوى على الرّجك المسكين كاد يموت
وفي هذا القدر كفاية من هذا الباب، والله يقول الحقّ ويهدي السبيل.

انتهى السفر الأوّل من

زهر الأكم في الأمثال والحكم

للإمام اليوسي رحمه الله



صدر عن :

- * روضة التعريف بالحب الشريف
- * محمد اقبال مفكرا اسلاميا
- * المحدث الحافظ ابوشبيب الدكالي
- * في نطاق التفكير الاسلامي
- * الخوارج في بلاد المغرب
- * الحضارة المغربية عبر التاريخ
- * تأملات في الادب المعاصر
- * دفننا الماضي
- * الثقافة والفكر في مواجهة التحدي
- * الاصول : دراسة ايتسيبولوجية
- * لاصول الفكر اللغوي العربي
- * مناهج البحث في اللغة
- * اللغة العربية مبناها ومعناها
- * اللغة العربية بين المعيارية والوصفية
- * المدخل لدراسة التاريخ والادب العربيين
- * احاديث عن الادب المغربي الحديث
- * رسائل ابن علي الحسن اليوسى
- * وقعة وادى المخازن في تاريخ المغرب
- * مع الرسول في رمضان
- * فضائل القرآن
- * فقه الناسك على مذهب الامام مالك
- * كتاب السياسة او الاشارة في تدبير الامارة
- * تحقيق الدكتور سامي النشار

فهرس موضوعات الكتاب

الجزء الأول

5	تقديم المحققين
11	مقدمة المؤلف
19	السمط الأول في الأمثال وما يلتحق بها
19	الفصل الأول في معنى المثل والحكمة
31	الفصل الثاني في فائدة المثل والحكمة
43	الفصل الثالث في فضل الشعر
50	الفصل الرابع في الأمثال الشعرية
58	خاتمة في اصطلاح الكتاب
59	باب الألف
177	باب الباء
309	باب التاء

الجزء الثاني

5	باب الثاء
37	باب الجيم
95	باب الحاء
185	باب الخاء المعجمة
237	باب الدال المهملة

الجزء الثالث

7	باب الذال المعجمة
29	باب الراء
137	باب الزاي
155	باب السين المهملة
205	باب الشين المعجمة
247	باب الصاد
259	الفهارس العامة

مَعَهُدُ الْأَجْمَعِيَّةِ لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَاللِّتَوَعُّيَةِ

زَهْرُ الْكَمَرِ
فِي الْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ
لِلْحَسَنِ الْبُوسِيِّ

الْجُزْءُ الثَّانِي

مَقْفَه

الدكتور محمد جحي و الدكتور محمد الزعفراني

المطبعة الحديثة
دار الثقافة

34-32 شارع فكتور هيكو

الهاتف 26-53-46 - 26-23-75

ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)

الطبعة الأولى 1401 — 1981
حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا الكتاب وقف الله تعالى له

مكتبة المسجد النبوي من مديرة و
السيرة محمد واعد أمينو من الدار البيضاء
المغرب .

نحلب مقنت يتطالع عليه أو يستفيد منه الدماء
لنا بطراح الدارين وحسن الخاتمة ولو الدينا
بالمفخرة وحسن الثواب .

والله الموفق وعليه

البركات .

المنور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَابُ الثَّاءِ

الثَّبَاتُ يَكْسِرُ الوَثْبَاتِ.

الثَّبَاتُ : الرزانة والحلم، وهو ضد الخفة والطيش. والوَثْبَاتُ : جمع وثبة، وهي الصولة والانتقام . وهذا مثل ظاهر المعنى، وهو مصنوع فيما أظن.

أَثْقَفُ مِنْ سِنَوْرٍ.

يقال ثَقِفَ الرجل، بضم القاف، يثْقِفُ ثَقَافَةً، فهو ثَقِيفٌ وثَقِيفٌ ؛ وثَقِفَ، بكسرهما، يَثْقِفُ ثَقْفًا، فهو ثَقِفٌ وثَقِفٌ، كَنَدَسَ وَنَدَسَ، إذا كان حاذقا فطنا خفيفا . ومنه، حديث أنس : وَكَانَ غُلَامًا ثَقِفًا . السِّنَوْرُ، على وزن جِرْدَحْلٍ : الهِرُّ المعروف، والأنثى سِنَوْرَةٌ، وله أسماء كثيرة، حتَّى حُكي أَنَّ أعرابيا صاده ولم يعرفه . فلقيه إنسان، فقال له : ما هذا السِّنَوْرُ ؟ ثمَّ لقيه آخر، فقال : ما هذا الهِرُّ ؟ ثمَّ لقيه آخر، فقال : ما هذا القِطَّ ؟ ثمَّ آخر، ثمَّ آخر . فلمَّا رأى كثرة أسمائه ظنَّ أَنَّ ذلك لخير عظيم فيه، فقال : أبيعهُ، لعَلَّ اللَّهَ تعالى يرزقني مالا كثيرا . فلمَّا وقفه في السوق قيل له : بِكَمْ تَبِيعُهُ ؟ قال : بمائة دينار . فقيل له انه لا يساوي إلا نصف درهم . فرمى به وقال : لعنه الله ! ما أكثر أسمائه، وأقلَّ بركته ! وهو في الخفَّةِ وسرعة الاختطاف النهاية . فمن ثمَّ ضُربَ به المثل .

أَثْقَلُ رَأْسًا مِنْ فَهْدٍ.

الفَهْدُ، بفتح الفاء وسكون الهاء بعدها دال مهملة، الحيوان المعروف الذي يُتَصَيَّدُ به، وهو سَبْعٌ، يزعمون أنه متولّد من بين الأسد والنمر . وفَهْدُ الرجل، بالكسر، تَشَبَّهَ بالفهد في نومه وتمدّده، كما في حديث أمّ زرع : إِنَّ دَخَلَ فَهْدٌ، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدٌ . ويقال فَهْدٌ أيضا إذا نام وتغافل عمّا يجب تعهده . والفهد كثير النوم ثقيله، ومن ثمَّ قالوا : أَنُومُ مِنْ فَهْدٍ، وَأَثْقَلُ رَأْسًا مِنْ فَهْدٍ.

مُنْقَلٌ اسْتَعَانَ بِذَقْنِهِ .

المُنْقَلُ، من الثَّقَلِ المذكور، وهو ضدُّ الخَفَّةِ . يقال : ثَقُلَ الشيء بالضمّ، يَثْقُلُ، ثِقْلًا، على مثال عِنَب، فهو ثَقِيلٌ ؛ وَثَقَلَهُ تَثْقِيلًا ؛ وَأَثَقَلَهُ . والاستِعَانَةُ : طلب العون . والذَّقْنُ، بفتحتين والذَّالْ معجمة، : مجمع اللحيين من أسفل .

يُضْرَبُ هذا المثلُ للذليكَ يستعينُ بمثله أو أَذْلَ منه . وأصله في البعير يحمل عليه ثقل فلا يستطيع أن ينهض به، فيضرب بذقنه على الأرض، معتمداً عليه ليقوم .

أَثَقَلُ مِنْ حَدِيثِ مُعَادٍ .

الثَّقَلُ تقدّمَ ؛ والحديثُ : الخبر ؛ والمعادُ : الذي سمعته ثمّ أعيدَ عليك مرةً أخرى، فهو يثقلُ على السماعِ كثيراً لعدم الداعي إلى سماعه، مع الملك الحاصل للنفس من تكراره . والنفس، للطافتها وروحانيّتها، أكثر من البدن تألّماً بالأذاية وأقلّ صبراً واحتمالاً، فلا تكاد ترتاح إلاّ إلى ما فيه غذاؤها، من علوم تستحصلها، أو غرائب ولطائف تتفكّك بها . فإذا عذمت ذلك غلبها الضجر، ونفّرت غاية النفر ؛ ومن ثمّ تَسْتَثْقِلُ الكلام المعاد وتملّ منه، ولو كان في نفسه بليغاً عجيباً، إذ لم يبق لها حظ فيه . وكان عدم الملك في كتاب الله تعالى، مع معاودته على مرور الليالي والأيّام، معجزة ظاهرة للعيان ؛ ومن ثمّ قيل : كُلُّ مُكَرَّرٍ مَمْلُوكٌ إلاّ القرآن . ومما قيل في ثَقِيل :

يَا ثَقِيلًا عَلَى الْقُلُوبِ إِذَا عَنَّ	لَهَا أَيَقْنَتِ بِطُولِ الْجِهَادِ !
يَا قَذَى فِي الْعَيُونِ يَا غُلَّةَ بَيْنِ	التَّرَاقِي حَرَارَةً فِي الْفُؤَادِ !
يَا طُلُوعَ الْعَذُولِ يَا بَيْنَ الْإِفْرِ	يَا غَرِيمًا أَتَى عَلَى مِيعَادِ !
يَا رَكُومًا فِي يَوْمٍ غَيِّمٍ وَصِيفِ	يَا وَجْهَ التَّجَارِ يَوْمَ الْكَسَادِ !
خُلْ عَنَّا فَإِنَّمَا أَنْتَ فِينَا	وَأَوْعَمِّرُوْهُ وَكَالْحَدِيثِ الْمُعَادِ !
وَامْضِ فِي غَيْرِ صُحْبَةِ اللَّهِ مَا عَشْتَ	مُلَقًى مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَوَادِ
يَتَخَطَّى بِكَ الْمَهَامِهِ وَالْبَيْدِ	دَلِيلٌ أَعْمَى كَثِيرُ الرُّقَادِ
خَلْفَكَ الثَّائِرُ الْمُصَمَّمُ بِالسَّيْفِ	وَرَجُلَاكَ فَوْقَ شَوْكِ الْقِتَادِ !

(1) في ج : يا قذى في العين....، وهو لا يستقيم وزنًا.

وقال بعضهم في صفة ثقيل : هو أثقل من دواء بلا عِلَّة ، وأبغض من خراج بلا غِلَّة ؛ قد خرج عن حدِّ الاعتدال، وذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال ؛ يحكي ثِقَل الحديث المُعَاد، ويمشي على القلوب والأكياد ؛ إذا نظرت الى مشيته أنشدت : مَشَى فِدْعًا مِنْ ثِقَلِهِ الحوتُ رَبَّهُ وقال : إلهي زِيدَتِ الأرضُ ثامنه ! وقد يُستحسن إعادة الحديث، لا لذاته، بل لأمر عارض، فيه للنفس أرب، إمّا رغبة في كلام المتكلم خصوصا، أو في نغمته، أو في النظر إليه، أو في دوام جلوسه، أو عدم قضاء الوطر من ذلك الكلام بعدُ أو نحو ذلك . ومن ثمَّ يُستعاد حديث المحبين والمغنين، كما قيل :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ سَعْدَى أَزُورُهَا أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا
مِنْ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحَدُوَّةٌ لَوْ تُعِيدُهَا
ولهذا الشعر حديث عجيب : ذكروا أنَّ رجلا خرج في طلب إبل له أضلَّها . قال : فبينما أنا في واد إذ سمعت صوت منشد ينشد : وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ سَعْدَى أَزُورُهَا (البَيْتَيْنِ) . فدنوت من الصوت، فإذا أنا براعٍ قد ضمَّ غنما له تحت شجرة وهو يترنم، فسلمت عليه، فردَّ عليَّ السلام وقال : من الرجل ؟ فقلت : منقطع به المسالك، أتاكَ يستعين بك ويستجير . فقال : أهلا ومرحبا، انزل على الرحب ! فعندي وطاء وطبي، وطعام غير بطي . فنزلت، فنزعت شملَّته، فبسطها تحتي، ثمَّ أتاني بتمر وزبد ولبن وخبز، ثمَّ قال : اعذرنِي في هذا الوقت ! فقلت : واللَّهِ إِنَّ هذا لخير كثير ! فمال إلى فرسي فربطه وسقاه وعلق عليه . فلمَّا أَكَلْتُ صَلَّيْتُ واستندت . فبينما أنا بين النَّائم واليقظان، إذ أَقْبَلْتُ من فوق الوادي جارية أطلعت الشمس لغير أوان طلوعها، فوثب الفتى إليها، وجعل يقبِّل الأرض حتَّى وصل إليها . فأخذا في حديث مستلذَّ، مع شكوى وزفراء، وأنا متناوِم، وهما لا يهم أحدهما لصاحبه بقبيح . ولم يزالا كذلك حتَّى طلع الفجر، فعانقها وتنفَّس الصعداء وبكيا، ثمَّ قال لها : يا ابنة العمِّ، باللَّهِ لا تبطئي عليَّ كما ابطأت الليلة ! فقالت : يا ابن العمِّ، أما علمت أنَّي أنتظر الرقباء والوشاة حتَّى يناموا ؟ فودَّعها وافترقا، وكلَّ منهما ينظر لصاحبه ويبكي . فبكيت رحمة لهما ثمَّ قلت في نفسي : أَسْتَضِيفُهُ اللَّيْلَةَ الْآخَرَى حتَّى أنظر ما يكون من أمرهما . فلمَّا أصبحنا قلت له : جعلني اللَّه فداك، الأعمال بخواتمها، وقد نالني أمس تعب، وأحبُّ أن أستريح عندك اليوم . فقال :

على الرحب والسعة ! لو بقيت عندي بقيّة عمرك ما وجدتني إلا كما تحب . فعمد إلى شاة، [فذبها] وشواها، فقدّمها إليّ، فأكلت وأكل معي إلا أنّه [أكل] من لا يريد أكلاً . فلم أزل معه نهاري ذلك، ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانباً ولا أحلى كلاماً منه ؛ إلا أنّه كالولهان، ولم أعلمه بشيء ممّا رأيت . فلمّا أقبل الليل وطأ وطائي، وصليت وأعلمته أنني أريد الهجوم لتعبي . فقال : نَمْ هنيئاً ! فتناومت، فقام ينتظرها إلى هنيئة من الليل، وأبطأت . فلمّا حان وقت مجيئها قلق قلقاً شديداً، فبكى ثمّ جاء فحرّكني، فأوهمته أنني كنت نائماً، فقال : يا أخي، هل رأيت الجارية التي كانت تتعهدني وجاءتني البارحة ؟ قلت : قد رأيته . قال تلك ابنة عمّي وأعزّ الناس عليّ، وإنني لها محبّ وفيها عاشق، وهي كذلك وأكثر . ومنعني أبوها من تزويجها لفقرّي وفاقتي، وتكبّر عليّ، فصرت راعياً بسببها، فكانت تزورني كلّ ليلة . وقد حان وقت مجيئها، واشتغل قلبي عليها، وتحدّثني نفسي أن الأسد قد افترسها، ثمّ أنشأ يقول :

ما بالُ ميّة لا تأتي لعادتها ؟ أعاقها طربٌ أم شدّها شغل ؟
نفسى فداؤك قد أحلت بي سقماً تكاد من حرّه الأعضاء تنفصل !
ثمّ ذهب فغاب عنّي ساعة، ثمّ أتى بشيء فطره بين يديّ، فإذا بالجارية⁽²⁾ قتلها الأسد وأكل أعضائها وشوّه خلقها . ثمّ أخذ السيف وانطلق . فغاب ساعة، فإذا هو قد جاء برأس الأسد، فطره ناحية ثمّ قال :

ألا أيّها الليث المدلّ بنفسه هلكت لقد جرّيت حقاً لك الشرّاً !
أخلّفتني فرداً وقد كنت أنيساً وقد عادت الأيام من بعدها صيفاً
ثمّ قال : بالّله يا أخي إلا ما سمعت منّي، فإنّي ميت لا محالة ! فإذا أنا متّ، فكفّني في عبائتي، وضمّ [إليّ] ما بقي من أعضائها، وادفناً في قبر واحد . وخذ شويّهاتي هؤلاء وعصاي وثيابي، فسوف تأتيك عجوز، فأعطها ذلك فهي والدتي . وقل لها : مات ولدك كمدّاً، فإنّها تموت عند ذلك . فادفنها إلى جانب قبرنا، وعلى الدنيا [منّاً] السلام ! فلم يكن إلاّ قليلاً حتّى صاح صيحة، ووضع يده على صدره فمات من ساعته . ففعلت به جميع ما أوصاني، وبتّ حزينا [باكياً] فلمّا أصبحنا، أقبلت عجوز ولّهيّ، فسألتنّي عنه، فأخبرتها خبره، فجعلت تبكي حتّى إذا أقبل الليل شهقت شهقة فارقت

(2) في ج : فإذا أنا بالجارية...

الدنيا . فدفنتها إليه، وبتّ الليلة الرابعة . فلمّا أصبحت، ركبت فرسي، وسقت الغنم، وإذا أنا بهاتف يقول :

كُنَّا عَلَى ظَهَرِهَا وَالْدَّهْرُ يَجْمَعُنَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ وَالِدَارُ وَالْوَطَنُ
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ بِالتَّفْرِيقِ الْفَتْنَا فَصَارَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا الْكَفَنُ
قال : فَأَتَيْتُ الْحَيَّ، وَدَفَعْتُ الْغَنَمَ لِبَنِي عَمِّهِمْ، وَأَنْصَرَفْتُ.

أَثْقَلَ مِنْ حِمْلِ الدُّهَيْمِ .

الثَّقَلُ تَقَدَّمَ ؛ وَالْحِمْلُ مَعْرُوفٌ ؛ وَالدُّهَيْمُ عَلَى وَزْنِ زُبَيْرٍ :- اسم ناقة عمرو بن
الرَّيَّانِ الدُّهْلِيِّ، قَتْلُ هُوَ وَإِخْوَتُهُ، فَحُمِلَتْ رُؤُوسُهُمْ عَلَيْهَا . وَتَقَدَّمَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي
حَرْفِ الهمزة، فَقَالُوا : أَشْأَمُ مِنَ الدُّهَيْمِ، وَأَثْقَلُ مِنْ حِمْلِ الدُّهَيْمِ .
وظاهر كلام الصحاح أَنَّ قولهم للداهية الدُّهَيْمُ وَأُمُّ الدُّهَيْمِ مأخوذ من هذا .

أَثْقَلَ مِنَ الزَّوْاقِي .

الثَّقَلُ مَرٌّ ؛ وَالزُّقَاءُ : الصِّيَاحُ . يُقَالُ : زَقَا الصَّدَا، يَزْقُو، وَيَزْقِي، زُقَاءٌ
وَزُقِيًّا إِذَا صَاحَ . قَالَ :
وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَفَوْقِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَى إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ
وَالزَّوْاقِي فِي الْمَثَلِ : الدِّيَكَةُ، جَمْعُ زَاقٍ وَزَاقِيَّةٍ . وَكَانُوا يَسْمُرُونَ بِاللَّيْلِ، فَإِذَا صَاحَتْ
الدِّيَكَةُ تَفَرَّقُوا، فَيَسْتَقْبِلُونَهَا بِذَلِكَ فَقَالُوا : أَثْقَلُ مِنَ الزَّوْاقِي .

أَثْقَلَ مِنْ مُغْنٍ وَسَطٍ .

الثَّقَلُ مَرٌّ، وَالْمُغْنَى اسم فاعل من الْغِنَاءِ، بِالْمَدِّ، وَهُوَ الصَّوْتُ . وَالْوَسْطُ يَكُونُ
تَارَةً اسْمًا غَيْرَ وَصْفٍ . فَإِنْ كَانَ بِالتَّحْرِيكِ، فَاسْمٌ صَرِيحٌ لِمَا بَيْنَ طَرَفَيْ الشَّيْءِ ؛ وَإِنْ كَانَ
بِالسَّكُونِ فَظَرْفٌ، كَقَوْلِ عَنَتَرَةَ :

مَا رَاعَنِي إِلَّا حَمُولَةُ أَهْلِهَا وَسَطَ الدِّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الْخِمْمِ
وَيُقَالُ : كُلُّ مَوْضِعٍ صَلَحَ فِيهِ بَيْنَ فَهْوَ بِالتَّسْكِينِ، وَإِلَّا فَبِالْفَتْحِ . وَقِيلَ : هُمَا جَارِيَانِ فِيمَا

كان مصمتا كالحلقة ؛ فإن كان متباين الأجزاء فبالسكون فقط . قال صاحب الفصيح فيما يُثَقَّل ويُخَفَّف باختلاف المعنى : تقول جلس وسط القوم - يعني بينهم - أي بالتسكين؛ وجلس وسط الدار، واحتجم وسط رأسه، أي بالتحريك، وهذا الذي قلنا أولا . وقد يكون الوسط وصفا، إمّا بمعنى الأعَدَل، كقوله تعالى : وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ؛ وإمّا بمعنى المتوسط بين أمرين، ومنه المثل . قال السُّهَيْلِي : الوسط من أوصاف المدح والتفضيل، ولكن في موضعين : في ذكر النسب، وفي ذكر الشهادة . أمّا النسب فلأنَّ أوسط القبيلة أعرقها وأولاه بالصميم وأبعدها عن الأطراف وأجدر ألا تُضاف إليه الدعوة ، لأنَّ الآباء والأمّهات قد أحاطوا به من كلِّ جانب، فكان الوسط، من أجل هذا، مدحا في النسب بهذا السبب . وأمّا الشهادة فنحو قوله سبحانه : قَالَ أَوْسَطُهُمْ . وَجَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ . فكان هذا مدحا في الشهادة، لأنّها غاية العدالة في الشاهد أن يكون وسطا كالميزان لا يميل مع أحد، بل يصمّم على الحقّ تصميميا، لا يجذبه هوى ولا تميّك به رغبة ولا رهبة من هاهنا ولا من هاهنا، فكان وصفه بالوسط غاية في التزكية والتعديك . وظنَّ كثير من الناس أنَّ معنى الأوسط الأفضل على الإطلاق، وقالوا : معنى الصلاة الوُسْطَى الفضلى . وليس كذلك، بل هو في جميع الأوصاف لا مدح ولا ذمّ، كما يقتضيه لفظ المتوسط . فإذا كان وسطا في السَّمَن، فهو بين المُمِخَّة والعجفاء، والوسط في الجمال بين الحسناء والشوّهاء، الى غير ذلك من الأوصاف، لا تعطى مدحا ولا ذما . غير أنَّهم قالوا في المثل : أَثْقَلُ مِنْ مُغْنٍ وَسَطٍ عَلَى الذِّمِّ، لأنه إن كان مُجيدا جدا أمتع وأطرب ؛ وإن كان باردا جدا أضحك وألهى، وذلك أيضا ممّا يُمْتَع . قال الجاحظ : «وإنّما الكرب الذي يجثم على القلوب ويأخذ بالأنفاس الغناء البارد الذي لا يُمْتَع لحسن ولا يَضْحَك بلهو » انتهى . وقال ابن رشيّق : « قال بعضهم : الشعر شعران : جيّد مُحَكَّك، ورديءٌ مضحك . ولا شيء أثقلُ من الشعر الوسط، والغناء الوسط » . وقد قال ابن الرومي يهجو ابن طيفور :

عَدِمْتُكَ يَا ابْنَ أَبِي الطَّاهِرِ وَأَطَعِمْتُ ثُكْلَكَ مِنْ شَاعِرِ
فَمَا أَنْتَ سَخَنٌ وَلَا بَارِدٌ وَمَا بَيْنَ هَذَا سِوَى الْفَاتِرِ
وَأَنْتَ كَذَاكَ تَغْثِي النَّفُوسَ تَغْثِيَةَ الْفَاتِرِ الْخَائِرِ

ونحو هذا قول الآخر⁽³⁾ :

مَسِيخٌ مَلِيخٌ كَلَحِمِ الحَوَارِ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ !
وسياتي هذا المعنى بعد، إن شاء الله تعالى .

أَثْقَلَ مِنْ الْفِيلِ .

الثَّقَلُ مَرٌّ ؛ والفِيلُ، بالكسر، الحيوان المعروف، وثقله معروف . وممَّا قال بعض

الثقلاء يخاطب ثقيلًا :

أَنْتَ يَا هَذَا ثَقِيلٌ	وَتَقِيلٌ
أَنْتَ فِي الْمَنْظَرِ إِنْسَانٌ	وَفِي الْمَخْبَرِ فِيلٌ
لَوْ تَعَرَّضْتَ لِظِلِّ	فَسَدَ الظِّلُّ الظَّلِيلُ !

وقال الآخر :

فَمَا الْفِيلُ تَحْمِلُهُ مَيِّتًا بِأَثْقَلَ مِنْ بَعْضِ جُلَّاسِنَا!
ويُحْكِي أَنَّ الْأَعْمَشَ كَانَ يَنْشُدُ هَذَا الْبَيْتَ عِنْدَمَا يَسْتَتِقُّ جَلِيسًا، وَزَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ : مَنْ
فَاتَتْهُ رَكَعَتَا الْفَجْرِ فَلْيَلْعَنِ الثَّقَلَاءَ ! وَأَنَّهُ نَقَشَ عَلَى خَاتَمِهِ : يَا مَقِيَّتِ، أَبْرَمْتَ فَقُمْ !
فَإِذَا اسْتَتَقُّ جَلِيسًا نَاوِلُهُ إِيَّاهُ ؛ وَأَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ يَوْمًا : مِمَّ عَمَشْتَ عَيْنَاكَ ؟ فَقَالَ : مَنْ
النَّظَرُ إِلَى الثَّقَلَاءِ !

وَفِي حَقِّ الثَّقَلَاءِ قَالَ جَالِينُوسُ : لِكُلِّ شَيْءٍ حُمَّى، وَحُمَّى الرُّوحِ النَّظَرُ إِلَى الثَّقِيلِ .
وَقِيلَ لَهُ : لِمَ صَارَ الرَّجُلُ الثَّقِيلُ أَثْقَلَ مِنَ الْحَمْلِ الثَّقِيلِ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ ثِقْلَهُ عَلَى الْقَلْبِ دُونَ
الْجَوَارِحِ، وَالْحَمْلُ الثَّقِيلُ يَسْتَعِينُ الْقَلْبَ عَلَيْهِ بِالْجَوَارِحِ . وَقَالَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : قِيلَ
لِلشَّافِعِيِّ : هَلْ يَمْرُضُ الرُّوحُ ؟ قَالَ : نَعَمْ، مِنْ ظِلِّ الثَّقَلَاءِ . قَالَ : فَمَرَرْتُ بِهِ يَوْمًا وَهُوَ بَيْنَ
ثِقَلَيْنِ، فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ الرُّوحُ ؟ فَقَالَ : فِي النَّزَمِ !

كَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا رَأَى ثَقِيلًا يَقُولُ : قَدْ جَاءَكُمْ الْجَبَلُ . فَإِذَا جَلَسَ قَالَ : قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ !
قِيلَ لِبَعْضِ الظُّرَفَاءِ، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ بَنِينَ ثَقَلَاءَ : أَيُّ بَنِيكَ أَثْقَلَ ؟ فَقَالَ : لَيْسَ بَعْدَ الْكَبِيرِ
أَثْقَلُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَّا الْوَسْطُ . وَكَانَ بَشَّارٌ يَأْتِيهِ ثَقِيلٌ يَقَالُ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ . فَسَأَلَ عَنْهُ بِشَّارٌ

(3) هُوَ الْأَشْعَرُ الرُّقْبَانِ الْأَسَدِيُّ الْجَاهِلِيُّ يَخَاطَبُ رَجُلًا اسْمُهُ رِضْوَانٌ كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، وَذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ قَبْلَ الْبَيْتِ الْمَذْكُورِ هُنَا .
(انظر مادة مسخ).

يوما فقال : لا أدري لِمَ لا تحمل الأمانة أرض⁴ حملته، ولا كيف احتاجت الى الجبال بعدما أَقْلَتَتْه ! كأنَّ قربه أيَّام المصائب، وليالي النوائب ؛ وكأنَّ عشرته فقد الحباب، وسوء العواقب . ثمَّ أنشد :

رُبَّمَا يَثْقُلُ الْجَلِيسُ وَإِنْ كَانَ خَفِيفًا فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ
وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ وَتَدَ فِي الْبَيْتِ ثَقِيلٌ أَرْبَى عَلَى ثَهْلَانِ⁽⁴⁾
كَيْفَ لَا تَحْمِلُ الْأَمَانَةَ أَرْضُ حَمَلَتْ فَوْقَهَا أَبَا سُفْيَانَ ؟
وكان لبشار أيضا صديق يقال له هلال، فقال لبشار يوما : يا أبا معاذ ! إنَّ الله لم يذهب بصر أحد إلاَّ عَوْضَهُ منه شيئا، فما عَوْضُكَ ؟ قال : الطويل العريض . قال : وما هو ؟ قال : ألاَّ أراك ولا أرى الثقلأ أمثالك ! ثمَّ قال : ياهلال، أطيعني في نصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم ! قال : إنَّك كنت تسرق الحمير زمانا، ثمَّ تبت وصرت رافضيا ؛ فعُدْ إلى سرقة الحمير، فهي والله خير لك من الرفض ! وفي هلال هذا يقول بشَّار :

وَكَيْفَ يَحْقُ⁽⁵⁾ لِي بَصْرِي وَسَمْعِي حَوْلِي عَسْكَرَانِ مِنَ الثَّقَالِ⁽⁶⁾
قَعُودًا عِنْدَ دَسْكَرَتِي وَدَارِي كَانَ لَهُمْ عَلَيَّ فَضُولٌ مَالٌ ؟
إِذَا مَا شِئْتُ صَبَحَنِي هِلَالٌ وَأَيُّ النَّاسِ أَثْقَلُ مِنْ هِلَالٍ ؟
واستأذن بعض الثقلأ على ابن المبارك، فلم يأذن له . فكتب إليه ذلك الثقيل :
هَلْ لِي حَاجَةٌ إِلَيْكَ سَبِيلُ ؟ لَا طَوِيلٌ قَعُودُهُ بَكَ قَلِيلُ !
فأجابه ابن المبارك :

أَنْتَ يَا صَاحِبَ الْكِتَابِ ثَقِيلُ ! وَقَلِيلٌ مِنْ الثَّقِيلِ طَوِيلُ !
ووصف بعض الأذكياء ثقيلًا فقال : هو ثقيل السكون بغضب الحركة، كثير الشؤم قليل البركة، كأنَّه ثَقُلُ الدين، ووجع العين . وما أحقَّه بقول القائل :

ثَقِيلٌ يُطَالِعُنَا مِنْ أَمَمٍ إِذَا سَرَّهُ رَغَمٌ أَنْفِي أَلَمٍ
لِنَظَرَتِهِ وَخَزَةٍ فِي الْقُلُوبِ كَوْخَزِ الْمَحَاجِمِ فِي الْمُلتَزَمِ
أَقُولُ لَهُ إِذْ أَتَى : لَا أَتَى وَلَا حَمَلَتُهُ إِلَيْنَا قَدَمٌ
عَدَمْتُ خَيْالَكَ لَا مِنْ عَمَى وَسَمِعَ كَلَامِكَ لَا مِنْ صَمَمٍ !

(4) سقط هذا البيت الثاني من ج .

(5)

(6) سقط هذا البيت الأول من ج .

ووصف آخر ثقيلاً فقال : هو بين الجفن والعين قذاة، وبين القدم والنعل حصة . ما أشبه طلعته إلا بـغداة الفراق، أو كتاب الطلاق، أو طلعة الرقيب، أو موت الحبيب !

مُسْتَمِلٌ⁽⁷⁾ بالبُغْضِ لا تَتَنَبَّي إِلَيْهِ طَوْعًا لِحُظَّةِ الرَّامِقِ
يَظَلُّ فِي مَجْلِسِنَا مُبْرَمًا أَثْقَلَ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقِ
وذكر عند العباس بن الحسن العلوي ثقيك يقال له أبو عمَّار، [فقال]⁽⁸⁾ : ما الحمام على الاصرار، وحلول الدين على الاقتار، وشدة السقم في الأسفار، بأثقل على النفس من طلعة أبي عمَّار . وأنشد :

تَحْمِلُ مِنْهُ الْأَرْضُ أَضْعَافَ مَا يَحْمِلُهُ الْحَوْتُ مِنْ الْأَرْضِ
وقال الآخر :

إِلْهَامُ كُلِّ ثَقِيلٍ قَدْ أَضْرَّ بِنَا
وَمَنْ يَخْفُ عَلَيْنَا لَا يَلِمُ بِنَا
وقال الآخر :

وَتَقِيلُ أَشَدَّ مِنْ ثِقَلِ الْمَوْتِ
لَوْ عَصَتْ رَبَّهَا الْجَحِيمُ لَمَا كَانَ
وقال جحظة البرمكي في صفة ثقيك :

يَا لَفُظَةِ النَّعْيِ بِمَوْتِ الْخَلِيلِ
يَا شُرْبَةَ الْيَارِجِ يَا أَجْرَةَ الْمَنْزِلِ
يَا طَلْعَةَ النَّعْشِ وَيَا مَنْزِلًا
يَا نَهْضَةَ الْمَحْبُوبِ عَنْ غَضْبَةٍ
وَيَا كِتَابًا جَاءَ مِنْ مُخْلِيفٍ
يَا بُكْرَةَ الثَّكْلَى إِلَى حُفْرَةٍ
يَا وَثْبَةَ الْحَافِظِ مُسْتَعْجِلًا
يَا وَقْفَةَ التَّوْدِيْعِ بَيْنَ الْحُمُولِ
يَا وَجْهَ الْعَدُوِّ الثَّقِيلِ
أَقْفَرُ مِنْ بَعْدِ الْأَنْبَاسِ الْحُلُولِ
يَا نِعْمَةً قَدْ آذَنْتَ بِالرَّحِيْقِ
لِلْوَعْدِ مَمْلُوءًا بِعُذْرِ طَوِيْقِ
مُسْتَوْدَعٌ فِيهَا عَزِيْزُ الثَّكْوِلِ
بَصْرِفِهِ الْقَيْنَاتِ⁽⁹⁾ عِنْدَ الْأَصِيْقِ

(7) في ج : مشتغل.... وهو تحريف.

(8) سقطت هذه الكلمة من ب .

(9) في ج : الغانيات بدل القينات، وهو لا يصح وزنًا.

ويا طبيبًا قَدْ أَتَى بَاكِراً
يا شَوْكَةً فِي قَدَمٍ رَخْصَةً
يا عِشْرَةَ الْمَجْدُومِ فِي رَحْلِهِ
يا رِدَّةَ الْحَاجِبِ عَنْ قَسْوَةٍ
وقال آخر في ثَقِيل :

لَيْسَ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنَّهُ
أَثْقَلُ فِي أَنْفُسِ أَصْحَابِهِ
وقال آخر :

يَا مَنْ تَبَرَّمْتَ الدُّنْيَا بَطَلَعَتِهِ
إِنِّي لِأَذْكُرُهُ حِينَئِذَا فَاحْصِيهِ
وقال آخر :

نَظَرُ الْعَيْنِ نَحْوَهُ - عِلْمُ اللَّهِ - يُمْرِضُ
فَإِذَا مَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَرَوْهُ فَغَمَضُوا
لَا تُصِيبُكُمْ مُلِمَّةٌ وَالْمُلِمَّاتُ تَعْرِضُ
وقال آخر :

شَخْصُكَ فِي مُقَلَّةِ النَّدِيمِ أَوْحَشُ مِنْ نَحْسَةِ النُّجُومِ
يَا رَجُلًا وَجْهُهُ عَلَيْنَا أَثْقَلُ مِنْ مِثَّةِ اللَّئِيمِ
إِنِّي لِأَرْجُو بِمَا أَقْصَى مِنْكَ خَلَاصِي مِنَ الْجَحِيمِ
والشعر في هذا المعنى كثير . وقد قال المفسرون نزلت آية في الثقلاء : فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فَانْتَشِرُوا . أدَّ بهم الله بذلك . وكان حماد بن سلمة إذا رأى ثَقِيلًا قال : رَبَّنَا
اكَشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ . وذكر الأعمش ثَقِيلًا كان يجلس إلى جانبه فقال :
والله إِنِّي لِأُبْغِضُ شَقِيَّ الذي يليه منِّي . وقال سهل بن هارون : مَنْ ثَقُلَ عَلَيْكَ
بِنَفْسِهِ ، وَأَغْمَكَ بِحَدِيثِهِ أَوْ سَوَّاهُ ، فَأَعْرَه عَيْنَا عَمِيَاءَ ، وَأَذْنَا صَمَّاءَ . وأنشد أيضا في ذلك
هَذَا فَتَى أَثْقَلُ مِنْ أَحَدٍ يُصْبِحُ مَنْ يَلْقَاهُ فِي جُهْدِ
عَلَامَةِ الْبُغْضِ عَلَى وَجْهِهِ بَيِّنَةٌ مُذْ كَانَ فِي الْمَهْدِ

(10) في ج : نفوس بدل أنفس ، وراس بدل راسي .

لَوْ دَخَلَ النَّارَ طِفْلاً حَرًّا وَمَاتَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْبَرْدِ !
وفي الاستبراد قال آخر في قينة :

وَلَوْ مَازَجَ النَّارَ فِي حَرِّهَا حَدِيثُكَ أَخْمَدَ مِنْهَا اللَّهَبُ
وقال كشاجم⁽¹¹⁾ :

غِنَاءُ بَرِيحٍ بِأَرْضِ الْحِجَازِ يَطِيبُ وَأَمَّا بِحِمَصٍ فَلَا
لِبَرْدِ الْغِنَاءِ وَبَرْدِ الْهَوَاءِ فَإِنْ جُمِعَا خِفْتُ أَنْ يَقْتُلَا
ولقي برد الخيار المغني أبا العباس المبرّد على الجسر في يوم ثلج، فقال له : أنت
المبرّد، وأنا برد الخيار، واليوم كما ترى، اعتزلنا لا يهلك الناس الفالج بسببنا . وأذكرني
هذا قول ابن الخطيب :

(بياض بمقدار نصف صفحة في النسخ كلها)

تُكَلُّ أَرَامَهَا وَلَدًا.

التُّكَلُّ، بضمّ التاء : الهلاك والموت وفقد الأحيّة وفقد الأولاد، وهذا هو الكثير
الاستعمال . يقال : تَكَلَّه، بكسر الكاف تُكَلَّا، فهو تَكَلَّان، وهي تُكَلَّى، مثل
سَكْرَى . قالت الحماسيّة :

سَيَتْرَكُهَا قَوْمٌ وَيَصَلِّي بِحَرِّهَا بَنُو نِسْوَةٍ لِلتُّكَلِّ مُصْطَبِرَاتٍ
ويُحْكِي أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ جُنْدُبٍ مَاتَ قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ . فجهّزوه، ثمّ كشف القناع عن رأسه
فقال : أين القُصْلُ ؟ والقُصْلُ بالقاف على الصحيح، وبالصاد المهملة واللام - على مثال
صُرْد - وهو أحد بني عمّه . فقالوا : سبحان الله ! مرّ أنفا فما حاجتك إليه ؟ فقال :
أَتَيْتُ فَقِيلَ لِي : لَأَمْكُ الْهَبَلُ ! ألا ترى إلى حفرتك تُنْثَلُ، وقد كادت أَمْكُ تَتُكَلُّ ؟
أَرَأَيْتَ إِنْ حَوَّلْنَاكَ إِلَى مُحَوَّلٍ، ثُمَّ غُيِّبَ فِي حَفْرَتِكَ الْقُصْلُ، الَّذِي مَشَى فَاحْزَأَلَّ،
ثُمَّ مَلَأْنَاهَا مِنَ الْجَنْدَلِ ؟ أَتَعْبُدُ رَبَّكَ وَتُصَلِّ، وَتَتْرَكُ سَبِيلَ مَنْ أَشْرَكَ وَضَلَّ ؟
فقلت : نعم ! فأفاق عمير وتزوَّجَ ووُلِدَ لَهُ الْوَلَدُ . ولبث القُصْلُ ثَلَاثًا ثُمَّ مَاتَ، وَدُفِنَ
فِي قَبْرِ عُمَيْرِ.

(11) تحرف في ب إلى كجاشم.

وقالت أسماء المربية :

أَيَا جَبَلِيَّ وَادِي عُرْيَعَرَةَ الَّتِي
أَلَا خَلِيًّا مَجْرَى الْجَنُوبِ لَعَلَّهُ
وَكَيْفَ تُدَاوِي الرِّيحَ شَوْقًا مُمَاطَلًا
وَقُولَا لِرُكْبَانِ تَمِيمِيَّةٍ غَدَتُ
بَأَنَّ بَاكَنَافِ الرِّغَامِ غَرِيبَةً
مُفَجَّعَةً أَحْشَاؤُهَا مِنْ جَوَى الْهَوَى
وَالْإِرَامُ : التَّحْبِيبُ وَالتَّعْطِيفُ . يَقَالُ : رَأَيْتُ فُلَانًا كَذَا بِالْكَسْرِ ، يَرَأُئُهُ : أَحَبَّهُ وَأَلِفَّهُ ؛
وَرَأَيْتُ النَّاظِقَ وَلَدَهَا ، رَأْمَانًا : عَطَفْتُ عَلَيْهِ ؛ وَأَرَأَمْتُهَا : عَطَفْتُهَا عَلَى غَيْرِ وَلَدِهَا
أَوْ عَلَى الْبَوِّ ، وَهُوَ الْجِلْدُ يُحْشَى لَهَا لِتَدْرِكَ عَلَيْهِ . قَالَ :

رَأَيْتُ لِسَلَمَى بَوَصِيْمٍ وَإِنِّي قَدِيمًا لِلْأَبِيِّ الضَّيْمِ وَابْنُ أَبَاةٍ
وَقَالَ الْحَمَاسِيُّ :

وَمَوْلَى جَلَتْ عَنْهُ الْمَوَالِي كَأَنَّهُ
رَأَيْتُ إِذَا لَمْ تَرَأْمِ الْبَارِكُ ابْنَهَا
وَمِنْ الْبُؤْسِ مَطْلِيٌّ بِهِ الْقَارُ أَجْرِبُ
وَلَمْ يَكُ فِيهَا لِلْمَبْسِيِّنِ مَحْلَبُ
وَقَالَ الْآخَرُ :

أَنْتَى جَزَوًا عَامرًا سُوءًا بِفِعْلِهِمْ
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطَى الْعُلُوقُ بِهِ
أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوَايَ مِنَ الْحَسَنِ
رَأْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّبَنِ
وَالْوَلَدُ مَعْرُوفٌ . وَالْمَثَلُ لِبَيْهَسَ الْمَعْرُوفِ بِنِعَامَةٍ . وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ إِخْوَةٍ لَهُ
سَبْعَةٍ ، فَلَقِيَهُمْ قَوْمٌ فِي مَوْضِعٍ يَقَالُ لَهُ الْأَثَلُ ، فَقَتَلُوهُمْ إِلَّا بَيْهَسًا ، وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ .
فَاسْتَحْقَرُوهُ وَاسْتَبْقَوْهُ ، ثُمَّ احْتَمَلُوهُ مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ نَزَلُوا فَنَحَرُوا نَاقَةً مِنْ
وَسِيقَتِهِمْ فَأَكَلُوا مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ قَائِلُهُمْ : ظَلَّلُوا لَحْمَ جَزُورِكُمْ ! فَقَالَ بَيْهَسٌ : لَكِنْ
عَلَى الْأَثَلِ لَحْمٌ لَا يُظَلَّلُ⁽¹²⁾ . يَعْنِي لَحُومَ إِخْوَانِهِ الْمَقْتُولِينَ - فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .
فَقَالَ أَحَدُهُمْ : إِنِّي لَأَسْمَعُ مِنْ هَذَا الْأَنْبِيسِيَّانِ أَمْرًا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ وَرَاءَهُ شَرٌّ : فَاقْتَلُوهُ !
فَقَالَ زَعِيمُهُمْ : أَيْعَدُّ عَلَيْنَا [هَذَا] بِقَتْلِكَ ؟ خَلَّوْهُ لَصَغَرِ سَنِهِ ، فَهُوَ أَحَقُّ مِنْ ذَلِكَ !
فَاحْتَمَلُوهُ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا بِهِ سَمَتَ الْحَيِّ قَالُوا لَهُ : ائْتِ أَهْلَكَ وَانْعَمِ إِخْوَتَكَ ! فَانْطَلَفَ

(12) الرواية المشهورة لهذا المثل : « لَكِنْ بِالْأَثَلِ لَحْمًا لَا يُظَلَّلُ » .

حتَّى دخل على أمّه، فقالت له : أين إخوتك ؟ قال : قُتِلُوا . فقالت : وما الذي أتى بك دونهم ؟ فقال لها : لَوْ خَيْرَكِ الْقَوْمُ لاختَرْتِ ! فأرسلها مثلا . وكانت تبغضه لكثرة شرّه، وتحبّ إخوته . فلما فقدتهم أَحَبَّتْهُ ورَكِمَتْهُ . فقال حينئذ : ثُكُلٌ أَرَأَمَهَا وَلَدًا، أي ما عطفها على هذا الولد - يعني نفسه - ولا رَقَقَهَا عليه ولا أَلْفَهَا إِيَّاهُ إِلَّا ثُكُلَهَا أولادها الباقين، وفقدتها أولادها المحبوبين . ومضرب المثل من هذا المعنى ظاهر . ثم جمعت له أمّه تَرَاثَ إِخْوَتِهِ وأعطته إِيَّاهُ . فجعل يدير فيه وكان يقول : يَا حَبْدَا التَّرَاثُ لَوْلَا الذَّلَّةُ ! فسارت مثلا . وصنع بعض أهل الحِوَاء عرسًا وحضره صبيان الحيّ، فلما رَأَهُمْ بِيَهْسَ يلعبون، تجرَّد عن ثيابه وجعل يرقص معهم . فأنته أمّه فقالت له : ما هذا يا بيهس ؟ [فقال] :

النَّبَسُ لِكُلِّ حَالَةٍ لِبُوسِهَا إِمَّا نَعِيمِهَا وَإِمَّا بُوسِهَا ! فذهبت مثلا . فبينما هو ذات يوم يرعى غنما له إذ ألجأه الحرّ إلى غار يستظل فيه . فرأى قتلة إخوته، وهم عشرة، قد عقلوا إبلهم على طرف الغار وقالوا . فخلّى غنمه وبادر إلى الحيّ، فأخذ سلاحه وأتى خالا له يقال له أبو حَنْشٍ⁽¹³⁾ وكان جباناً . فقال له : أبا حنش هك لك في طباء تصطادهنّ ألجأهنّ الحرّ إلى غار ؟ قال : نعم . قال : فتَنَكَّبْ قَوْسَكَ وَحِيَهْلًا ورائي ! فأقبل به حتّى هجم على فم الغار . وخاف بيهس أن يهرب خاله، فصاح على القوم حتّى ثاروا . فتقدّم بيهس وتبعه خاله، علماً منه أنّه غير ناجٍ إن فرّ، وقتلا القوم ورجعا بسلاحهم إلى الحيّ، وقد ثار بيهس بإخوته . فكان من لقي خاله يقول له : ما أشجعك أبا حنش ! فيقول له : مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْل ! فذهبت مثلا . ويقال إنّ مُدْرَكِي الأوتار في الجاهليّة ثلاثة : قَصِير بن سعد - وتقدّم أمره - وسيف بن ذي يَرْزَن الحِمِيرِي - وسنذكره - وبيهس هذا . قال الشاعر :

وَمِنْ طَلَبِ الأوتارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاضَ المَوْتَ بالسَّيْفِ بِيَهْسُ⁽¹⁴⁾
وَإِنَّمَا لُقِّبَ بنِعَامةٍ لَطُولَ رَجُلِيهِ ، فرأته أمّه يوماً فقالت : نِعَامةٌ واللّه ! فقال : نِعَامةٌ عرفتني، نَسَاها اللّه ! أي أَخَرَهَا في أَجْلِهَا . وقيل لَصَمَمِهِ، وكان أصمّ أصلاً، والعرب

(13) في مخطوطاتنا : أبوحش، وفي مجمع الامثال : أبو حنش، وقد اخترناه لأن « حش » اسم موضع لا اسم انسان فيما نعرف .

(14) بعد هذا البيت :

نِعَامةٌ لما صرَّعَ القومُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ في أثوابه كيف يَلْبَسُ
ويظهر أن هذا البيت سقط من النسخ، لأن اليوسي شرح عقبه سبب تلقب بيهس بالنِعَامة .

تصف النعام بذلك، يزعمون أنه مُصَلَّمٌ لا أذن له ولا يسمع الأصوات، إمّا حقيقة أو إنّه لا يلتفت إليها . قال علقمة يصف الظلّيم :

فُوهُ كَشَقِّ الْعَصَا لَأَيَّا تَبَيَّنَهُ أَسَكُّ مَا يَسْمَعُ الْأَصَوَاتَ مَصْلُومُ
وقال زهير :

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظَّلْمَانِ جُوجُؤُهُ هَوَاءُ
أَسَكُّ مَصَلَّمُ الْأَذُنَيْنِ أَجْنَى لَهُ بِالسَّيِّئِ تَنْزُومٌ وَآءُ
وقال عنترة :

فَكَأَنَّنِي أَطِيسُ الْإِكَامَ عَشِيَّةً بِقَرِيبٍ بَيْنَ الْمَنَسِمِينَ مُصَلَّمٌ (15)

الثَّورُ يَحْمِي أَنْفَهُ بِرَوْقِهِ.

الثَّورُ، بفتح الثاء وسكون الواو، معروف، يطلق على الانسي والوحشي . والحماية : المنع والحفظ، يقال : حَمَاهُ من كذا يَحْمِيهِ، منعه وحفظه . والرَّوْقُ، بالفتح، القرن . قال امرؤ القيس : (16)

والمعنى أنّ الثور يدافع عن نفسه بقرنه، فيضرب في الحثّ على حفظ الحريم، والدب بما أمكن . وتقدّم في كلام عمرو بن أمّارة حيث قال :

لَقَدْ عَرَفْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ : إِنَّ الْجَبَانَ حَتَفَهُ مِنْ فَوْقِهِ
كُلُّ أَمْرٍ مُقَاتَلٌ عَنْ طَوْقِهِ كَالثَّورِ يَحْمِي أَنْفَهُ بِرَوْقِهِ
وفي خبر ابن إسحاق عن عائشة أمّ المؤمنين، رضي الله عنها، قالت : لما قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمّى . فأصاب أصحابه منها بلاء، وصرف الله ذلك عن نبيّه . قالت : فكان أبو بكر، وعامر بن فهيرة وبلال مولى أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمّى . فدخلت عليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدّة الوبك . فدنوت من أبي بكر، فقلت له : كيف تجدك يا أبت ؟ قال :

(15) ورد صدر هذا البيت في الشعر الجاهلي كهذا : فكأننّي أقطّ الاكام... والوقت والوطس متقاربان في بعض معانيهما . لكن عنترة كثيراً ما يستعمل الوطس في شعره، كقوله :

خَطَّ غَيْبَ السُّورَى مَوَارَةً تَطِيسُ الْإِكَامَ بِذَاتِ خُفٍّ مَيْثَمَ

(16) بياض في ب و د . ولم يرد في ج اسم امرئ القيس.

كلُّ امرئٍ مَصْبَحٌ في أهله والموتُ أدنى من شراكِ نَعْلِهِ
قالت : فقلت والله ما يدري أبي ما يقول ! قالت : ثمَّ دنوتُ إلى عامر بن فهيرة ففقت :
كيف تجدك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدتُ الموتَ قبلَ ذوقِهِ إِنَّ الجَبَانَ حتْفُهُ من فوقِهِ
كلُّ امرئٍ مُجَاهِدٌ بِطَوْقِهِ كالثَّورِ يَحْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ
قالت : فقلت والله ما يدري عامر ما يقول ! قالت : وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع
بفناء البيت، ثمَّ رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعري هك أبيتنَّ ليلةً بوادٍ وحولي إذْ خِرَّ وجليلُ ؟
وهك أردنَّ يوماً مياهَ مِجَنَّةٍ وهك يبدونَ لي شامةً وطفيلُ ؟
قالت : فذكرتُ لرسولِ الله، صلَّى الله عليه وسلَّم، ما سمعتُ منهم وقلت . إنَّهم
ليَهْذُون وما يَعْقِلُونَ من شدةِ الحمى . فقال رسولُ الله، صلَّى الله عليه وسلَّم :
اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كما حَبَّبْتَ إلينا مَكَّةَ أو أَشَدَّ، وباركْ لنا في مُدَّهَا
وصاعِهَا، وانقُلْ وباءَهَا إلى مَهْيَعَةٍ . ومَهْيَعَةُ الجُحْفَةِ.

والظاهر أنَّ عامراً، رضي الله عنه، تمثَّل بالشعر وإن كان فيه بعضُ مخالفة . وبعدَ كتبي
هذا رأيتُ السهيلي قال : يُذكر أن قولَ عامر : لَقَدْ وَجَدْتُ المَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ، أنَّه
لعمرُ بن أُمَامَةَ . انتهى . وهو ما استظفَرناه قبل . وقولُ بلال : بِيوَادٍ، يُروى بفخٍّ أيضاً،
وفخٌّ موضعٌ بمَكَّةَ فيه ماء، وفيه اغتسل رسولُ الله، صلَّى الله عليه وسلَّم وهو مُحَرَّمٌ
لدخولِ مَكَّةَ، وفيه قال الشاعر :

ماذا بفخٍّ مِنَ الاشْراقِ والطَّيبِ وَمِنْ جِوَارِ نَقِيَّاتِ رَعَابِيْبِ !
ومِجَنَّةٌ سوقٌ من اسواقِ العربِ ؛ وشامةٌ وطَفِيلٌ عَيْنَانِ من ماء، وقيلُ جِبلَان . قال
السهيلي : وفي هذا الخبر وما ذُكر من حنينهم إلى مَكَّةَ، ما جُبِلَتْ عليه النفوسُ من حبِّ
الوطن والحنين إليه، وما كانوا عليه من الحنين إلى الاوطان الذي هو جبلَةٌ في البشر كما
رُوي في حديثِ أصيْل الغِفاري - ويقال فيه الهُدلي - حينَ قَدِمَ مَكَّةَ، فسألته عائشة :
كيف تركتَ مَكَّةَ يا أصيْل ؟ فقال : تركتها قد ابْيَضَّتْ أَباطِحُهَا، وأَحْجَرَتْ ثَمَامُهَا،
وَأَعْذَقَ إِذْخِرُهَا، وَأَمْشَرَ سَلْمُهَا، فَاغْرُورَقَ عَيْنَا رسولِ الله، صلَّى الله عليه

وسلّم، وقال : لا تُشَوِّقْنَا يَا أَصِيكَ ! وَيُرَوِّى أَيْضَا أَنَّهُ قَالَ لَهُ : دَمِ الْقُلُوبَ تَقَرِّ !
وفي هذا المعنى قول الآخر :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بوادي الخُزَامِي حَيْثُ رَبَّتْنِي أَهْلِي
بِلَادٍ بِهَا نَيْطَتُ عَلَيَّ تَمَائِمِي وَقُطِّعُنْ عَنِّي حِينَ أَدْرَكْنِي عَقْلِي
انتهى كلا السهيلي . وهذا المعنى مستوفى في هذا الكتاب في غير هذا الموضع .

ثَارَ حَابِلُهُمْ عَلَى نَابِلِهِمْ

الثَّوْرُ : المَهْيَجَانُ والوَثْبُ : ثَارَ، يَثْوُرُ، ثَوْرًا، فَهُوَ ثَائِرٌ . وَاثْرَتُهُ،
وِثْوَرَتُهُ، وَاسْتَثْرَتُهُ .

والحَابِلُ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ شَدَّ الشَّيْءَ بِحَبْلٍ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ الْآتِي : يَا حَابِلُ اذْكُرْ حَلَاةَ !
وعلى مَنْ نَصَبَ الْحَبَالَةَ لِلصَّيْدِ أَوْ أَخَذَهُ فِيهَا . يُقَالُ : حَبَلَ الصَّيِّدَ وَاحْتَبَلَهُ : إِذَا
أَخَذَهُ أَوْ نَصَبَ لَهُ . وَالنَّابِلُ وَالنَّبَالُ : صَاحِبُ النَّبْكِ وَصَانِعُهُ . وَالنَّبْكَ : السَّهْمُ قَالَ
أَمْرُو الْقَيْسِ :

نَطَعْنُهُمْ سُلْكِي وَمَخْلُوجَةَ كَرَكٍ لَأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ
أَيُّ نَطَعْنُهُمْ طَعْنًا مُسْتَقِيمًا وَطَعْنًا مُعْجَاجًا مِنْ كُلِّ وَجْهِ . كَرَكٌ لَأَمِينٌ، أَيُّ كَرَدَكٍ
لَأَمِينٍ، أَيُّ سَهْمَيْنِ، عَلَى نَابِلٍ، أَيُّ عَلَى رَاحِمٍ بِهِمَا فِي السَّرْعَةِ . وَقَالَ أَيْضًا :
وَلَيْسَ بَذِي رُمَحٍ فَيَطْعَنُنِي بِهِ وَلَيْسَ بَذِي سَيْفٍ وَلَيْسَ بِنَبَالٍ
وَيُقَالُ إِنَّ الْحَابِلَ فِي هَذَا الْمَثَلِ السَّدَى، وَالنَّابِلُ الطُّعْمَةُ : فَإِذَا قِيلَ فِي الْقَوْمِ إِنَّهُمْ ثَارَ
حَابِلُهُمْ عَلَى نَابِلِهِمْ كَانَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ اسْتَجَرُوا وَأَوْقَدُوا الشَّرَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ .

ومِمَّا يَلْتَحِقُ بِهَذَا الْبَابِ قَوْلُكَ : أَثْقَلُ مِنَ الْحَدِيدِ، وَمِنْ الرِّصَاصِ، وَمِنْ حُلُولِ
الدَّيْنِ . مَعَ الْاِقْتَارِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهُوَ مَطَرَّدٌ . وَقَوْلُهُمْ :

ثُلَّ عَرْشُ فُلَانٍ إِذَا هَوَى⁽¹⁷⁾ أَمْرُهُ وَتَضَعُضَ عِزُّهُ وَذَهَبَ مَلَكُهُ . قَالَ زَهِيرٌ :
تَدَارَكْتُمَا الْأَخْلَافَ قَدْ ثُلَّ عَرْشُهُمْ وَذُبْيَانٌ قَدْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّعْلُ
وِثْلُ اللَّهِ عَرْشُهُ : فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ . قَالَ الْآخَرُ :

(17) فِي ج : وَهَى .

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثْتَ عُرُوشَهُمْ بَعُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ
وَالْعَرْشُ سِرِيرُ الْمَلِكِ، وَسَقْفُ الْبَيْتِ، وَالْعِزُّ، وَقَوَامُ الْأَمْرِ. وَمِنْهُ مَا ذَكَرَ.

وَلِنَذَكِرَ بَعْضَ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الشَّعْرِ . قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

يَا مَادِحَ الْحِقْدِ مُحْتَالًا لَهُ شُبُهًا لَقَدْ سَلَكْتَ إِلَيْهِ مَسْلَكًا وَعَثَا
يَا دَافِنَ الْحِقْدِ فِي ضَعْفِي حَوَانِحِهِ سَاءَ الدَّفْقِينَ الَّذِي أَضَحْتَ لَهُ جَدَثَا
الْحِقْدِ دَاءٌ دَوِيٌّ لَا دَوَاءَ لَهُ يُدَوِي الصَّدُورَ إِذَا مَا جَمَرَهُ حُرْثَا
فَاسْتَشْفَيْنَهُ بِصَفْحٍ أَوْ مُعَاتِبَةٍ فَإِنَّمَا يُبْرِئُ الْمَصْدُورَ مَا نَفِثَا
إِنَّ الْقَبِيحَ وَإِنْ ضِيَعَتْ ظَاهِرُهُ يَعُودُ مَا لَمْ مِنْهُ مَرَّةً شَعَثَا
كَمْ زَخْرَفَ الْقَوْلَ ذُو زُورٍ وَلَبَّسَهُ عَلَى الْقُلُوبِ وَلَكِنْ قَلَّ مَا لَبِثَا

وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ أَيْضًا فِي مَدَحِ الْحَقْدِ :

لِئِنْ كُنْتُ فِي حَفْظِي لَمَّا أَنَا مُودِعٌ مِنْ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ انْتَحَيْتُ عَلَى عَرْضِي
لَمَّا عِبَيْتَنِي إِلَّا بِفَضْلِ أَمَانَةٍ وَرَبِّ أَمْرٍ يَزْرِي عَلَى خُلُقٍ مُحْضٍ
وَلَوْلَا الْحُقُودُ الْمُسْتَكْنَاتُ لَمْ يَكُنْ لِيَنْقُضَ وَتَرًّا آخِرَ الدَّهْرِ ذُو نَقْضٍ
وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوَامٌ الشُّكْرِ فِي الْفَتَى وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبُنَ إِلَى بَعْضٍ
فَحَيْثُ تَرَى حَقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ فَثُمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَرْضِ

وَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ صَالِحٍ، حِينَ أَتَى بِهِ الرَّشِيدُ وَهُوَ فِي قَيْودِهِ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ
خَالِدٍ - وَأَرَادَ أَنْ يَسْكُتَهُ - : بَلِّغْنِي أَنَّكَ حَقُودٌ ! فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ، إِنْ كَانَ الْحَقْدُ هُوَ بَقَاءُ
الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، إِنَّهُمَا لِبَاقِيَانِ فِي قَلْبِي ! وَيُرَوَّى أَنَّهُ قَالَ لَهُ : إِنَّمَا صَدْرِي خَزَانَةٌ لِحَفْظِ مَا
اسْتَوْدَعْتَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا احْتَجَّ لِلْحَقْدِ بِمَثَلِ مَا احْتَجَّ بِهِ!
وَقَالَ الْآخَرُ :

مَا طَابَ فَرَعٌ أَصْلُهُ خَبِيثٌ وَلَا زَكَا مَنْ مَجْدُهُ حَدِيثٌ

وَقَالَ الْآخَرُ :

إِنَّ قَوْمًا يَلْحُونَ فِي حُبِّ سَعْدَى لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا
سَمِعُوا وَصَفَهَا فَلَامُوا عَلَيْهَا أَخَذُوا طَيِّبًا وَأَعْطَوْا خَبِيثًا

وتقدّم هذا المعنى قبل مستوفى.

وقال أبو دلالة⁽¹⁸⁾ :

إنَّ النَّاسُ غَطَّوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي ففِيهِمْ مَبَاحُثُ
وكانت لرجل عنده شهادة في حقّ، فلمّا طلبه بالأداء قال له : إنَّ شهادتي لا تنفك عند
القاضي . فقال له الرجل : لا بدّ من شهادتك ! فشهد أبو دلالة وانصرف وهو يقول الشعر
المذكور . فحكم القاضي بشهادته، وغرّمَ المشهود عليه المال حتّى قبضه المشهود له،
فغرمه القاضي للمشهود عليه خوفا من ظلمه ليجمع بين المصلحتين . وقيل إنَّ أبا دلالة
استأجر طبيبا ليعالج ابنًا له بمبلغ من الأجرة، فلمّا داواه قال للطبيب : إنّه ليس عندي ما
أعطيك، ولكن اذهب وادع بهذا المبلغ على من شئت ! وقيل إنّه قال له ادع على فلان
اليهودي [به]، وأنا وابني نشهد لك ! فادعى الطبيب على اليهودي، فجاء أبو دلالة
وابنه يشهدان له عند القاضي ابن أبي ليلى - أو ابن أبي شبرقة - فلمّا علم أبو دلالة أنّ
القاضي لا يجيز شهادتهما أنشد بحيث يسمعه القاضي ما مرّ . فلمّا سمع القاضي ذلك
حكم بشهادتهما خوفاً من أذاه، وغرّم ذلك المبلغ للمحكوم عليه، واللّه أعلم .

ومن هذا المعنى ما ذكر ابن رشيق عن العتبي من أنّ رجلاً من أهل المدينة ادّعى حقّاً على
رجل، فدعاه إلى ابن حنطب، قاضي المدينة، فقال : من يشهد بما تقول ؟ فقال : زنقة
فلمّا ولّى قال القاضي : ما شهادته له إلّا كشهادته عليه . فلمّا جاء زنقة أقبل على
القاضي وقال له : فداك أبي وأمّي ! أحسن واللّه الشاعر حيث يقول :

مِنَ الحُنْظُوبِيِّينَ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ دَنَانِيرُ مَمَّا شِيفَ فِي أَرْضِ قَيْصَرَا
فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَى الْكَاتِبِ وَقَالَ : كَبِيرَ رَبِّ السَّمَاءِ ! مَا أَحْسَبُهُ شَهِيداً إِلَّا بِالْحَقِّ . أَجِزْ
شهادته !

وقال الصفدي :

صَبَّرِي الَّذِي اقْتَسَمْتَهُ غُرْبَةً وَنَوَى
وَكُلَّ يَوْمٍ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ هَرَمٍ
كَأَنَّما لَهُمَا فِي ذَاكَ مِيرَاثُ
يَلْقَى صُرُوفَ اللَّيَالِي وَهِيَ أَحْدَاثُ
وقال ابن الحداد يرثي :

(18) سقط اسم أبي دلالة من جـ.

شَمَسَ الظَّهيرةَ هَلْ تَدْرِينَ ما حَدَثَا ؟
 انظُرْ ثَبِيرًا هَلْ انْهَدَّتْ جَوَانِبُهُ
 ومن المستحسن في باب الرثاء قول أبي الفرج الجوزي، وقد ليمَ على اكتحاله يوم عاشوراء:
 ولائمٍ لي على اكْتَحَالِي
 فَقُلْتُ : كَفُّوا ! أَحَقُّ شَيْءٍ
 وقال الآخر يرثي بعض الأمراء :

كان الأميرُ نظامُ الدِّينِ لَوْلُؤَةٌ
 عَزَّتْ فلم تقدر الأيَّامُ قِيَمَتَهَا
 وقول الآخر في غلام له يُلقَّب بالسيف :
 سَتَذَرُفُ أَجْفَانِي عَلَيْكَ دَموعَهَا
 بَكَتْكَ عَيونُ الشُّهْبِ إِذْ كُنْتَ بَدْرَهَا
 وشَقَّتْ يَمِينُ الصُّبْحِ فَيَكُ عن الدُّجَا
 وقال الرَّمْخَشَرِيُّ يرثي شيخه :

وقائلةٌ : ما هذه الدُّرُورُ الَّتِي
 فَقُلْتُ : هُوَ الدُّرُّ الَّذِي قَدْ حَشَا بِهِ
 وقول ابن الحدَّاد :

شَقِيقُكَ غُيِّبَ فِي لَحْدِهِ
 فَهَلَّا خَسَفَتْ فَكانَ الْخُسُوفُ
 وقول ابن المعتز :

لَمْ تَمُتْ أَنْتَ إِنَّمَا مَاتَ مَنْ لَمْ
 لَسْتُ مُسْتَسْقِيًّا لِقَبْرِكَ غِيثًا
 وقول العطوي في رجل كان يعول أناسا كثيرين فمات :

وَلَيْسَ صَرِيرَ النَّعْشِ ما تَسْمَعُونَهُ
 وَلَيْسَ فَتِيحَ الْمَسْكِ ما تَجِدُونَهُ
 وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصِفُ
 وَلَكِنَّهُ ذَاكَ التَّنَاءُ الْمُخْلَفُ

(19) في الديوان : والمحامد بدل والسماحة.
 (20) « لقبرك » حرف « لغيرك » في ب. وفي الديوان : « كيف يظما » بدل كيف يسقى.

وقال ابن عبدون الورّاق :

قَبْرٌ بِسُوسَةٍ قَدْ قَبِرْتُ بِهِ الْفَتَى
أَسْكَنْتَهُ سُكْنَى وَرَحْتُ كَأَنَّيِ
صَمَمْتُ عَلَيَّ مَسَامَعِي فِي وَجْهِهِ
وَجَهَدْتُ أَنْ أَبْكِي فَلَمْ أَجِدِ الْبُكَاءَ
هَبْنِي بِكَيْتٍ لَهُ، وَمَا يَجْدِي الْبُكَاءُ ؟
وهذا الباب كثير، لا يأتي عليه الحصر.

ومن أشهر المراثي وأحسنها مراثية أبي الحسن الأنباري في ابن بقيّة، حين قتله عضد الدولة وصلبه، وأولّها :

عَلَوْ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ : لِحَقٍّ أَنْتَ إِحْدَى الْمُعْجَزَاتِ !
وهي مشهورة معروفة . ولما اشتهرت ووصلت الى عضد الدولة، وأنشدت بين يديه، تمنّى أن يكون هو المصلوب !

وقال ابن نباتة في النسيب :

يَارُبَّ خَالٍ عَلَى خَدِّ الْحَبِيبِ لَهُ
أَوْرَثَتْهُ حَبَّةُ الْقَلْبِ الْقَتِيلِ بِهِ
وفي الخال قول الحاجري :

عَجِبْتُ لَخَالٍ يَعْبُدُ النَّارَ دَائِمًا
وَأَعْجَبُ مَنْ ذَا أَنْ طَرَفَكَ مِنْذَرٌ
وَمَا أَخْضَرَ ذَاكَ الْخَدُّ نَبْتًا وَإِنَّمَا
وَمُذْ أَخْبَرُونِي أَنْ قَدَّكَ بَانَةٌ
وفي القدّ قول الآخر :

يُرَوِّجُنِي مَعْشُوقُ الْجَمَالِ فَمَا لَهُ
تَتَنَنَّى فَمَاتَ الْعُصْنُ مِنْ حَسَدٍ لَهُ
وقول الآخر :

(21) في ب و ج : لا بشر وفي د : لا بشرى.

(22) في ب و ج : وضعت بدل وصعقت.

قُلْتُ لِأَهْيَفِ الَّذِي فَضَحَ الْغُصْنَ كَلَامُ الْوُشَاةِ مَا يَنْبَغِي لَكَ (23)
 قَالَ : قَوْلُ الْوُشَاةِ عِنْدِي رِيحٌ قُلْتُ : أَخْشَى أَنْ يَسْتَمِيلَكَ
 وَيَشْبَهُ هَذَا مَا حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ دَارًا يَنْظُرُهَا لِيَشْتَرِيَهَا، فَسَمِعَ فِي بَعْضِ خَشْبِهَا صَوْتًا،
 فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ صَاحِبُ الدَّارِ : أَعَزَّكَ اللَّهُ ! هَذَا السَّقْفُ يَسْبَحُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ . فَقَالَ :
 أَخْشَى أَنْ يَلْحَقَهُ الْخُشُوعُ فَيَسْجُدَ .
 وَقَالَ ابْنُ خَفَاجَةَ :

وَعَشِيٌّ أَنْسَبُ أَضْجَعْتَنِي نَشْوَةٌ فِيهِ تَمْهَدُ مُضْجَعِي وَتُدْمَتُ
 خَلَعْتُ عَلَيَّ بِهَا الْأَرَاكَةَ ظَلَّهَا وَالْغُصْنُ يُصْغِي وَالْحَمَامُ يَحْدُثُ
 وَالشَّمْسُ تَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ مَرِيضَةٌ وَالرَّعْدُ يَرْقِي وَالْغَمَامَةُ تَنْفُثُ
 وَمِمَّا يَسْتَلْذُّ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْآخَرِ :
 عَرَجٌ بِمَنْعَرَجِ الْكَتِيبِ الْأَعْفَرِ بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَيْنَ شَطِّ الْكَوْثَرِ
 وَلِتَغْتَبِقَهَا قَهْوَةٌ ذَهَبِيَّةٌ مِنْ رَاحَتِي أَحْوَى الْمَدَامِعِ أَحْوَرُ
 وَعَشِيَّةٌ كَمْ كُنْتُ أَرْقُبُ وَقْتَهَا سَمَحْتُ بِهَا الْأَيَّامَ بَعْدَ تَعَذُّرِ
 نِلْنَا بِهَا آمَالَنَا فِي رَوْضَةٍ تُهْدِي لِنَاشِقِهَا نَسِيمَ الْعَنْبَرِ
 وَالْوُرْقُ تَشْدُو وَالْأَرَاكَةُ تَنْثَنِي وَالشَّمْسُ تَرْفُلُ فِي قَمِيصِ أَصْفَرِ (24)
 وَالرَّوْضُ بَيْنَ مَفْضَضٍ وَمُذْهَبٍ وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْرَهَمٍ وَمُدْنَرِ
 وَالنَّهْرُ مَصْقُولُ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَا وَالشَّطُّ بَيْنَ مَزْعُفَرٍ وَمُعْصَفَرِ
 وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّ خُضْرَةَ شَطِّهِ سِيفٌ يُسَلُّ عَلَى بَسَاطِ أَخْضَرِ (25)
 وَكَأَنَّمَا ذَاكَ الْحَبَابُ فِرْنَدُهُ مَهْمَا طَفَا فِي صَحْفَةِ كَالْجَوْهَرِ (26)
 وَكَأَنَّهُ وَجْهَاتُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالْوَرْدِ وَالرَّيْحَانِ خَدُّ مُعْذَرِ
 نَهْرٌ يَهِيمُ بِحُسْنِهِ مَنْ لَمْ يَهْمِ وَيُجِيدُ فِيهِ الشَّعْرُ مَنْ لَمْ يَشْعُرْ
 مَا أَصْفَرَ وَجْهَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا إِلَّا لِفَرْقَةٍ حُسْنِ هَذَا الْمَنْظَرِ
 وَقَوْلُ مَالِكِ بْنِ الْمَرْحَلِ :

(23) فِي ج : لَا يَنْبَغِي لَكَ.

(24) فِي ج : وَالشَّمْسُ تَرْفُصُ...

(25) صَحَّفَتْ كَلِمَةَ « خُضْرَةَ » فِي ب، فَكُتِبَتْ خَطَرًا.

(26) صَحَّفَتْ كَلِمَةَ « صَحْفَةِ » فِي ج، فَكُتِبَتْ صَفْحَةً.

وعشيّة سبَق الصَّبَاحُ عِشاءَها
مسكِّة لبست حُلَى ذهبيةً
وكان شَفَب الرَّجْمِ بعضُ حُلِيِّها
وقال أبو النصر بن عبد الجبَّار :

عليك ياغُباب الوصالِ فضدّه
فلو كلف الإنسانُ رُؤيةَ وجهه
ومثله قول الآخر :

عليك ياغُباب الزَّيْارةِ إنَّها
وسياأتي هذا المعنى إن شاء الله تعالى .
وقال الحموي :

إنَّ قومًا يَلْحَوْنَ في حبِّ سَعْدَى
سمعُوا وصفها ولاموا عليها
وهذا من الاقتباس، وهو أن يؤتى في الكلام المنثور أو المنظوم بلفظ يشبه لفظ القرآن أو
الحديث غير منويّ به أنّه قرآن أو حديث . ولا بدّ من هذا القيد الأخير، ولذلك ساغ سوق
اللفظ مع تغيير فيه أو في معناه، ولا يلزم فيه كفر بتديل القرآن ولا خلاف نقل الحديث
بالمعنى . ولنذكر طرفاً من ذلك ها هنا :

فمن الاقتباس من القرآن في النثر قول الحريري : فلم يكن إلّا كلمم البصر أو هو أقرب،
حتّى أنشد فأعرب . وهو في الشعر أكثر . ثمّ إنّّه قد يكون اللفظ المقتبس بيتاً كاملاً،
كقول أبي محمّد بن السَّيِّد البطلانيّوسي في بعض مواضعه :

خَفِّقُوا ثِقَلَ الخطايا
أفلحَ القومُ المخِفُّونَ !
كيفَ تُعْطُونَ مِنَ الباقي
وبالفاني تَضِنُّونَ ؟
لَنْ تَنَالُوا البرَّ حتّى
تُنْفِقُوا ممّا تُحِبُّونَ !
وقول ابن العفيف :

يا عاشقينَ حاذِرُوا
مُبْتَسِماً مِنْ ثَغْرِه !

(27) صَحَّفَتْ « بعض حليها » في ج، فكتبت : بعد حليها.

(28) في ب و د : « فهدّه » بدل « فضده ».

فَطَرَفُهُ السَّاحِرُ قَدْ
يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ
وقد يكون شطر بيت، كقول أبي فراس :
قَدْ كَانَ بَدْرُ السَّمَاءِ حُسْنًا
لَا تَعْجَبُوا ! رَبُّنَا قَدِيرٌ
وقول محيي الدين البغدادى :

إِنْ لَا مَنِي مَنْ لَا رَأَهُ فَقَدْ
وَإِنْ لِحَانِي مَنْ رَأَهُ فَقَدْ
وقول ابن الدماميني، وقد رأى جرّة خمر كسرت فساخت الخمر على الأرض :
كَسَرُوا الْجَرَّةَ عَمْدًا
قُلْتُ، وَالْإِسْلَامُ دِينِي :
وقد قلت أنا في نحو هذا، أخذًا منه :

عَثَرْتُ هَيْفَاءُ تَحْكِي
قَبْلَ التُّرْبِ لَمَاهَا
وَجَنَى وَرْدًا وَنَدَا
قُلْتُ لَمَّا عَانَقْتَهُ :
بَدْرَ تَمَّ [حِينَ غَابًا] (28)
وَنَضًا عَنْهَا النَّقَابَا
وَارْتَوَى مِنْهَا رُضَابَا
لِيَتَنِي كُنْتُ تُرَابَا !

وقد يكون أقلّ من الشطر، كقول ابن النّبيّه :
قُلْ لِرَاسِي الْجُفُونِ إِنَّ لِحْفَنِي
وهي قصيدة على هذا النمط، أخذ قوافيها من سورة المزمل .
ولابن سهل الاسراييلي قصيدة أخرى مثلها، أخذ قوافيها من سورة مريم، وكلتاها مشهورة .
ومن ذلك قول بعضهم :

إِذَا رُمْتُ عَنْهَا سَلْوَةٌ قَالَ شَافِعٌ
سَيَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَى
وقولنا :

فِي ظِلِّبَةِ هَيْفَاءَ مِنْ أَجْفَانِهَا
سَحَرِ الْجُفُونِ الْبَابِلِيَّ تَوَاتَرَا

فإذا انتصت من جفنها عَصْبَيْنِ من جفنين قلنا : ساحران تظاهرا
وفيه التورية في الجفنين . وهذا الاقتباس هنا ممّا اختلف فيه الأصل والفرع معنى من جهة
الحقيقة والمجاز . ومثله قول ابن الرومي يخاطب رجلا مدحه ولم يُثبه :

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنَعِي :
لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِيَوَادٍ غَيْرِ ذِي زُرْعٍ
فإنّه جعله مجازا عن الرجل الذي لا خير فيه، وهو في الآية حقيقة .

ومن الاقتباس في الحديث قول بعضهم :

قال لي إنَّ رَقِيبِي سَيِّئُ الْخُلُقِ فَدَارُهُ⁽²⁹⁾
قُلْتُ : دَعْنِي وَجَهْكَ الْجَنَّةُ حُقَّتْ بِالْمَكَارِهِ
أَخْذًا من حديث : حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ .
وقول بعضهم في غلام اسمه بدر، وجعل فيه تورية :

يَا بَدْرُ أَهْلُكَ جَارُوا وَعَلَمُوكَ التَّجَرِّي
وَقَبَّحُوا لَكَ وَصَلِّي وَحَسَّنُوا لَكَ هَجْرِي
فَلْيَفْعَلُوا مَا أَرَادُوا فَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرٍ !

أَخْذًا من حديث : لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : افْعَلُوا مَا
شِئْتُمْ !

وقول بعضهم :

وْمُهَفِّهِ يُزْرِي عَلَى الْقَمَرِ وَجَنَاتُهُ رَوْضٌ مِنَ الزَّهْرِ
خَالِسَتُهُ نَوَّارٌ وَجَنَّتِهِ وَأَخَذَتْهُ مِنْهَا عَلَى حَذَرٍ
فَأَخَافَنِي قَوْمٌ فَقُلْتُ لَهُمْ : لَا قَطْعُ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثَرُ
فَقَوْلُهُ : لَا قَطْعُ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثَرُ هو لفظ حديث . والكثَرُ جُمَارُ النخل .

وقد زاد بعضهم الاقتباس من الفقه، وزاد آخرون الاقتباس من سائر العلوم . فمن الاقتباس
من علم الفقه قول أبي تمام :

إِنْ حَرَامًا قَبُولُ مَدْحَتَنَا وَتَرَكُ مَا نَرْتَجِي مِنَ الصَّفَدِ
مِثْلُ الدَّنَانِيرِ بِالذَّرَاهِمِ فِي الصَّرْفِ حَرَامٌ إِلَّا يَدًا بِيَدٍ

(29) في د : « رَقِيبِي » بدل رَقِيبِي، وهو تحريف.

شَرَطْتُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ تَسْلِيمِ مُهْجَتِي
فَلَمَّا أَرَدْتُ الْأَخْذَ بِالشَّرْطِ عَرَّضُوا
وَقَوْلَ مَالِكِ بْنِ الْمَرْحَكِ مُورِيًّا :

مَذْهَبِي تَقْبِيلُ خَدِّ مُذْهَبِ
لَا تُخَالَفُ مَالِكًا فِي رَأْيِهِ
وَقَوْلَ ابْنِ الْعَفِيفِ :

قَضَاةَ الْحُسْنِ، مَا صُنْعِي بِطَرْفِ
رَمَى فَأَصَابَ قَلْبِي بِاجْتِهَادِ
وَقَوْلَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّرَانِ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَ ابْنِ جَمَاعَةَ إِعْذَارُ، فِدْعَا أَعْيَانِ الْبَلَدِ، وَلَمْ يَدْعُ
الشَّرَانِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الشَّرَانُ :

مَاذَا أَعَدَّ الْمَجْدُ مِنْ أَعْذَارِهِ
إِنْ كَانَ رَسْمٌ دُونَ مُحْضَرِنَا اِكْتَفَى
وَمِنَ الْاِقْتِبَاسِ مِنْ عِلْمِ النَّحْوِ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حُجَّةِ الْحَمَوِيِّ :

أَيَا عَرَبَ الْوَادِي الْمُنِيعِ حِجَابُهُ
رَفَعْتُمْ قِبَابًا نُصِبَ عَيْنِي نَحْوَهَا
مَنْعْتُمْ تَحِيَّاتِ السَّلَامِ لِمَوْتِنَا
وَقَوْلَ الْبُوصَيْرِيِّ :

خَفَضْتُ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ
وَقَوْلَ بَهَاءِ الدِّينِ زَهِيرٍ :

يَقُولُونَ لِي أَنْتَ الَّذِي طَارَ ذِكْرُهُ
هَبُونِي كَمَا قَدْ تَزْعُمُونَ أَنَا الَّذِي،
وَمَرَضَ شَرَفُ الدِّينِ بْنِ عَنِينَ، فَكَتَبَ إِلَى الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ بْنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ :

انْظُرْ إِلَيَّ بَعِينَ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ
أَنَا كَالَّذِي يَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ
فَلَمَّا بَلَغَهُ الْبَيْتَانِ، نَهَضَ إِلَى زِيَارَتِهِ، وَاسْتَصْحَبَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَعَايَنَهُ قَالَ
لَهُ : أَنْتَ كَالَّذِي هُوَ مَوْصُولٌ، يَحْتَاجُ إِلَى صَلَاةٍ وَعَائِدٍ، فَهَذِهِ الصَّلَاةُ، وَأَنَا الْعَائِدُ.

وقول السليمانى :

وَإِنِّي الَّذِي أَقْصَيْتَهُ وَهَجَرْتَهُ فَهَلْ صِلَةٌ أَوْ عَائِدٌ مِنْكَ لِلَّذِي ؟
وقولنا من أبيات :

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ ذَاكَ فَعَلِي مُعْرَبًا تَغْنَيْتُ بِالْمَاضِي مِنَ الْحَالِ وَالْأَمْرِ⁽³⁰⁾
وقولنا من أخرى :

قَصِرَ الْهَنَاءُ أَسَى لَغَيْرِ ضَرُورَةٍ لَوْلَا نَوَاكُمُ، وَالْهَوَى مَمْدُودُ
ومن أظرف ما وقع في ذلك قول ابن جابر يخاطب معزولا عن ولاية :

فَلَا تَغْضَبَنَّ إِذَا مَا صُرِفْتَ فَلَا عَدْلَ فَيْكَ وَلَا مَعْرِفَهُ !⁽³¹⁾
ومن الاقتباس من علم الحديث قول ابن جابر :

نَقَلَ الْمَسَاكُ فِيمَا قَدْ رَوَى أَنَّ ذَاكَ الرَّيِّقَ مَسَكٌ وَعَسَكَ
قُلْتُ : عَنْ مَنْ ؟ قَالَ : عَنْ مَبْسِمِهَا قُلْتُ : هَذَا خَيْرٌ صَحٍّ وَجَلَّ
مُدَّ تَبَدَّى جَوْهَرُ الثَّغْرِ لَنَا صَحٍّ فِي الْحُسْنِ لَدَيْنَا مَا نَقَلَ
وقولنا في هذا المعنى :

نَقَلَ النَّسِيمُ عَنِ الْأَرَاكِ مُحَدَّثًا عَنْ ثَغْرِ سَلَمَى الْأَشْنَبِ الْوَضَّاحِ
وَحَدِيثُهُ الْمَرْوِيُّ أَنَّ رِضَابَهُ عَسَكَ وَمَسَكٌ شَوْبًا بِالرَّاحِ
يَفْتَرُّ عَنْ عِقْدَيْنِ مِنْ بَرْدٍ صَفَا وَلِأَلَى مِنْضُودَةٍ وَأَقَامَ
صَدَقًا أَحَادِيثَ الصَّحِيحِينَ اعْتَلَّتْ عَنْ رَيْبَةٍ تُعْزَى لَهَا مِنْ لَاحِ

ومن الاقتباس من علم أصول الفقه قول ابن جابر :

جِئْتُهَا طَالِبًا لِسَالِفٍ وَعُدَّ فَأَجَابَتْ : لَقَدْ جَهِلْتَ الطَّرِيقَةَ
إِنَّمَا مَوْعِدِي مَجَازٌ فَقُلْتُ : الْأَصْلُ فِي سَائِرِ الْكَلَامِ الْحَقِيقَةُ
وقوله أيضا :

لَا تَعْجَبُوا مِنْ عُمُومِ الْحُبِّ فِي رِشَاءٍ كُلُّ الْجَمَالِ لَهُ فِي النَّاسِ مَخْصُوصُ
بَدْرٌ وَلَكِنْ إِلَى الْغِرْلَانِ مُنْتَسَبٌ قَدْ نَصَّ ذَلِكَ جَيِّدٌ مِنْهُ مِنْصُوصُ !
وقول آخر :

(30) في ب : تغنيت بالماضي من الفعل والأمر.

(31) اسقطت « ما » في بعض النسخ.

كيف لي بالسُّلُو عنها وقلبي قد هوى حُلْمُه بمَهْوَى الخِرَصِ ؟
 ما تعاصيتُ ظاهر الصَّبْرِ إلَّا ردَّني جيدها بأَوْضَحَ نصٍّ
 وقول أبي بكر بن حجة، رحمه الله تعالى، وهو في الفَنَيْنِ معًا :

بوادي حَمَاةِ الشَّامِ عن أَيْمَنِ الشَّطِّ وَحَقَّكَ تَطَوَّى شَقَّةُ الهمِّ بِالْبَسَطِ
 بلادٌ إذا ما ذُقْتُ كَوَثَرَ مَائِهَا أَهِيَمُ كَأَنِّي قَدْ ثَمَلْتُ بِإِسْفَنْطِ
 فَمَنْ يَجْتَهِدُ فِي أَنَّ بِالْأَرْضِ بُقْعَةً ثَمَالُهَا قُلْ : أَنْتَ مُجْتَهِدٌ مُخْطِي
 [وصوبٌ حديثي مَائِهَا وهَوَائِهَا فَإِنَّ أَحَادِيثَ الصَّحِيحِينَ مَا تُخْطِي] (32)

ومن الاقتباس من علم الكلام قول ابن جابر :

عَرَضُ الحُبِّ دُونَ جَوْهَرِ ذَاكَ الثَّغَرِ مِنْ أَكْبَرَ المُحَالِ بِجُودِ :
 أَجْمَعُ النَّاطِرُونَ فِي ذَاكَ أَنْ لَا عَرَضٌ دُونَ جَوْهَرٍ فِي الوجودِ
 وقولنا من أبيات :

فَالجِسْمُ بَالٌ ذُو وَبَالٍ بَعْدَكُمْ أَبَدًا بِهِ عَرَضُ الشُّحُوبِ جَدِيدُ
 وفي هذا البيت الجناس بين بَالٍ وَبَالٍ، والاقتباس في الجسم والعرض، ومراعاة النظم
 بذلك الاعتبار، والطِّبَاق بين البلى والجدَّة.

ومن الاقتباس من علم المنطق قول ابن جابر :

مَقْدَمَاتُ الرَّقِيبِ كَيْفَ غَدَتْ عِنْدَ لِقَاءِ الحَبِيبِ مُتَّصِلَةٌ
 تَمْنَعُنَا الجَمْعَ وَالْخُلُوءَ مَعًا وَإِنَّمَا ذَاكَ حُكْمٌ مُنْفَصِلَةٌ (33)
 وقول ابن الخطيب :

حَتَّى إِذَا فَرَضَ الجِلَادُ جِدَالَهُ وَرَأَيْتَ رِيحَ النَّصْرِ ذَاتَ هُبُوبِ (34)
 قَدَّمَتْ سَالِبَةَ العَدُوِّ وَبَعْدَهَا أُخْرَى بَعَزُ النَّصْرِ ذَاتُ وَجُوبِ
 وَإِذَا تَوَسَّطَ حَدٌّ سَيْفِكَ عِنْدَهَا جُرْئِي قِيَاسِكَ فُرْزَتْ بِالْمَطْلُوبِ (35)
 وقول الآخر :

يَا دَمْعَ أَجْفَانِي اطَّرِدْ يَا حَرَّ أَضْلَاعِي اتَّقِدْ يَا قَرَحَ أَكْبَادِي انْتَكِ

(32) سقط هذا البيت الأخير من ج.

(33) صَحَّفَتْ كلمة « منفصلة » في ب، فكتبت « متصلة ».

(34) في ج : حتى إذا فرض الجلال جلاده.

(35) صَحَّفَتْ كلمة « جزئي » في ب : « جزمي »، وفي ج : « جرمي ».

ويقل اتلاف النفوس تلهفا
أملّي يشك وعفوكم متواطىء
مالي سواك لمن أمد يد الرجا
ومن الاقتباس من علم العروض قول الآخر :
له جيش نصر قد نضى السعد دونه
إذا ما قوافي الخيل فيه تداركت
وقولنا من قصيدة :

لفوات حظ منك لم يستدرک
فأصار من متواطىء لمشکک
مستمسکا يا ملجأ المستمسک !⁽³⁶⁾
صوارم روع لا تقيها القوانيس
فأبشر بنصر بحرهُ متكاوس !

سلام طويك الحب فيكم مديده
وقولنا أيضا في التغزل :

فليس بذي نهك وليس بذي شطر
بقوس صدغين وسهم كحيك

يا شادنا يصيد أساد غيل
بم استبحت دمي الحريم في
[واخترت قطع سببي من ودا
وفي الخليل التورية، وفي الأبيات أنواع أخرى من البديع ظاهرة.

قتلي وحرمت وصالي الحليک ؟⁽³⁷⁾
دک وذا لا يرتضيه الخليل]
ومن الاقتباس من علم الهيئة قول الغزالي :

يا حسن ليلتنا التي قد زارنا
قومت شمس جماله فوجدتها
وقوله أيضا :

فيها فأنجز ما مضى من وعده !
في عقرب الصدغ الذي في خده

حلت عقارب صدغ من خده
ولقد عهدناه يحل يبرجها
ومن الاقتباس من علم الهندسة قول ابن جابر :

قمرأ يجك به عن التشبيه
ومن العجائب كيف حلت فيه !

محيط بأشكال الملاحه حسنه
فعارضه خط استواء وخاله
ومن الاقتباس من علم الخط قول ابن جابر أيضا :

كأن به أقليرسا يتحدث⁽³⁸⁾
به نقطة والشكل شكل مثلث

(36) في ج : متمسكا يا ملجأ المتمسک.

(37) في ج وحرمت وصال الخليل . وهي وإن صحت ورنّا ومعنى فإنها تفوت على الناظم الطبايق بين الحرام والحلال.

(38) في ج : محيط بشك... وهو لا يستقيم وزنا.

فَوْقَ خَدَّيْهِ لِلْعِذَارِ طَرِيقٌ" قَدْ بَدَأَ تَحْتَهُ بَيَاضٌ وَحُمْرَةٌ
قِيلَ مَاذَا ؟ فَقُلْتُ : أَشْكَالُ حَسَنٍ تَقْتَضِي أَنْ أُبَيِّعَ قَلْبِي بِنَظَرِهِ
وَاعْلَمْ أَنَّ مَعْظَمَ مَا أُنْشَدْنَا، لَكَ أَنْ تَجْعَلَهُ مِنْ بَابِ الْإِيهَامِ تَوْرِيَةً أَوْ تَوْجِيهاً لَا مِنْ [بَابِ
الْإِقْتِبَاسِ، وَالْخُطْبِ سَهْلٍ.

وَمِمَّا جَمَعَ ثَلَاثَةَ فَنُونٍ مِمَّا مَرَّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

دَارَسْتُ قَلْبِي الصَّبْرَ أَعْتَدَهُ عَنْ عَاصِمٍ لِي مِنْكَ أَوْ نَافِعٍ
فَلَمْ يَكُنْ يَرْفَعُ مَا حَلَّ بِي وَرُبُّ فِعْلٍ لَيْسَ بِالرَّافِعِ
ضَلَّ بِي الْمَذْهَبُ يَأْمَالِكِي فَهَلْ لَذَاكَ الْوَجْهَ مِنْ شَافِعٍ ؟
وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ :

مَنْ شَافِعٌ لِي عِنْدَ مَالِكٍ مُهْجَتِي ؟ مَالِي سِوَى حُبِّي وَلَيْسَ بِنَافِعِي
فَمَنْ الْمُحَقِّقِ أَنَّ مَذْهَبَ مَالِكٍ لَا تَسْتَقِيمُ لَدَيْهِ حُجَّةُ شَافِعِي
وَهَذَا الْبَابُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهِ الْحَصْرُ.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَيْهِ مَلِيحٌ وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ فَهَرَّ رَمَحًا بِيَدِهِ، ارْتَجَالَ :
يَهْرُ عَلَيَّ الرُّمَحُ ظُبِّيٌ مُهْفَفٌ لِعُوبٌ بِالْبَابِ الْبَرِيَّةِ عَابْتُ
فَلَوْ كَانَ رُمَحًا وَاحِدًا لَانْتَقَيْتُهُ وَلَكِنَّهُ رُمَحٌ وَثَانٍ وَثَالِثٌ !
وَهَذَا غَايَةُ قِيَّةِ قُوَّةِ الْعَارِضَةِ انْسِجَامًا وَحَسَنَ سَبْكِ وَصَحَّةِ مَعْنَى، مَعَ الْارْتِجَالِ وَصُعُوبَةِ
الْقَافِيَةِ . وَقَدْ وَقَعَ إِشْكَالٌ لَجَمَاعَةٍ مِنَ الْأَدْبَاءِ فِي الشَّعْرِ وَمَا أُرِيدُ فِيهِ، وَذَلِكَ مِنْ حَيْثُ لَمْ
يَعْتَدِ اسْتِعْمَالُ الرَّمَاكِ فِي الْعَيُونِ ؛ وَإِلَّا فَهُوَ بَيِّنٌ وَاضِحٌ.

وَقُلْتُ أَنَا :

لَا يُلْهِيَنَّكَ مِنْ فَتَى سِرْبَالِهِ وَبِهَاءُ مَنْظَرِهِ وَرَوْنَقُ نَفْثِهِ
أَوْ تَفْتَحِمُهُ مِنْ رِثَاةِ زِيَّهِ فَتَجُولُ فِي إِطْرَائِهِ أَوْ مَغْثِهِ
حَتَّى تَبَيَّنَ قَدْرُهُ عَنْ فَرِّهِ وَلَجِينُهُ وَلَجِينُهُ عَنْ بَحْثِهِ
وَتَمَيِّزُ عَنْ طَوْلِ الزَّامَانِ هَشِيمُهُ مِنْ غَضِّهِ وَسَمِينُهُ مِنْ غِثِّهِ
وَنَفَازُهُ غَرَضُ النَّوَائِبِ إِنْ دَجَّتْ مِنْ طَيْشِهِ وَوَفَاءُهُ مِنْ مَلْثِهِ
وَمَقَامُ مَا اسْتَوْدَعْتَهُ مِنْ كَامِنِ الْأَسْرَارِ فِي كِتْمَانِهِ أَوْ نَثَرِ

وترى إذا ما شمتَ بارقَ وعده
وترى جليّة قوله إمّا روى
وترى بمرجاسِ البصيرة غوره
فهناك إن أحمَدته فلتصفه
فلربّ ذي ورمٍ يروقُ رُواؤُهُ
ولربّ مرعى مونقٍ في دمنه
ولربّ حسيّ ترتوي من عذّبه
ومهنّدٍ ذكرٍ حُسامٍ باتِرٍ
أزّرت به مرّاته وإذا انتضي
هذا وإنّ المرءَ ليسَ بحاصِدٍ
ولسوفَ يجني كلّ ما هو غارسٌ
ويرى مغبّة سعيه مذخورة
النّفثُ : المراد به الكلام . والاطراءُ : المبالغة في المدح ؛ والمغثُ ضدّه ؛ واللّجينُ
- مصغراً : الفضّة ؛ واللّجينُ - مثلك أمير - : زبدُ أفواه الابل ، وما سقط من الورق
عند الخبط . وأُطلق اللّجينُ واللّجينُ على محمود الأخلاق ومذمومها ، كما يقولون : إنّ
فلانا لا يفرّق بين لّجينِ الكلام ولّجينه ، أي بين جيّدهِ ورديّته ؟ والنّفاذُ
والطّيّشُ أصلهما في السهام ، وذكرهما مع ذكر الغرض في النوائب استعارة ، وفي الغرض
- مع ذلك - توجيه . والملثُ : الوعد بلا نيّة الوفاء . والدثُ : المطر الضعيف .
والمرجاسُ : حجر يُرمى في البئر ليعلم به عمقها ، وفيه أقوال أخرى . وأحمَدتَ الرجلُ :
وجدته محمّوداً ؛ وكذا أذمّمته : فان قلته بلا همزة كان بمعنى الثّناء ، والمناسب
هنا الأوّل . والدّاثُ ، بفتح الدال المهملة وسكون الهمزة : الأكل ، والحسيّ : بئر غير غارقة
يستنقع فيها الماء وينبع منها ؛ وأكّدى الحافر : بلغ كدّيّة في حفره . والرّمثُ ،
بكسر الراء : شجرة معروفة من أشجار البادية ، وليس لها من الثمرة ما للكرم وهو شجر العنب ،
فكنّي بالكرم والرّمث عن السعي الذي يُجدي نفعاً والذي لا نفع فيه ، كغارس

(39) في هامش كل من ب و د : « وإن تدمم فحد » فيصير الشطر الثاني هكذا : « ودّا وإن تدمم فحد عن وعثه » . ويظهر أن هذا التعديل الممكن هو للمؤلف نفسه .

الرَّمْثُ المذكور . والرَّمْثُ، بفتح الراء : الاصلاح، وضدّه العَيْثُ وهو الفساد.
وقول الآخر :

لَيْلُ الْبَرَاغِيثِ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي لَيْلِ الْبَرَاغِيثِ !
كَأَنَّهُنَّ بِجِسْمِي إِذْ عَلَقْنَ بِهِ أَيْدِي الشُّهُودِ عَلَى مَالِ الْمَوَارِيثِ
وقال ابن شرف في معناه :

لَكَ مَنْزِلٌ كَمَلَّتْ سِتَارَتُهُ لَّهُوَ لَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ
غَنَى الذُّبَابِ وَظَلٌّ يَزْهُو حَوْلَهُ فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ الْبُرْغُوثُ
ومثله قول الآخر :

لَيْلُ الْبَرَاغِيثِ وَالْبَعُوضِ لَيْلٌ طَوِيلٌ بِلَا غُمُوضِ
فَذَاكَ يَنْزُو بِغَيْرِ رَقْصٍ وَذَا يُغْنِي بِلَا عَرُوضِ
وقول أعرابيّ بات بمصر فأذاه البرغوث :
تَطَاوَلَ بِالْفُسْطَاطِ لَيْلِي وَلَمْ يَكُنْ بَارِضِ الْغَضَا لَيْلِي عَلَيَّ يَطُولُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةَ وَلَيْسَ لِبُرْغُوثٍ عَلَيَّ سَبِيلُ ؟
وقول الكتاني ملغزا فيه :

وَمَعْشَرٌ يَسْتَحِلُّ النَّاسَ قَتْلَهُمْ كَمَا اسْتَحْلُوا دَمَ الْحَجَّاجِ فِي الْحَرَمِ⁽⁴⁰⁾
إِذَا سَفَكَتُ دَمًا مِنْهُمْ فَمَا سَفَكَتْ يَدَايِ مِنْ دَمِهِ الْمُسْفُوكِ غَيْرَ دَمِي
وقول ابن سكرة في مليح يُعرف بابن بُرْغُوث :

بُلَيْتُ وَلَا أَقُولُ بِيَمْنٍ لَأَنْيَّ مَتَى [مَا] قُلْتَ مَنْ هُوَ يَعْشَقُوهُ
حَبِيبٌ قَدْ نَفَى عَنِّي رُقَادِي فَإِنْ غَمَّضْتُ أَيْقُظَنِي أَبُوهُ
وقال البستي :

لَا دَرٌّ دَرٌّ نَوَازِلِ الْأَحْدَاثِ نَقَلْتُ أَحْبَبْتَنَا إِلَى الْأَجْدَاثِ
فَعَدَّتْ مَانِسُنَا وَهْنٌ مَقَابِرُ وَغَدَتْ مَدَائِحُنَا وَهْنٌ مَرَاثِ
وفي هذا القدر من الباب كفاية . والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

(40) في ج : «الحجّاج» بدل «الحمام»

بَابُ الْجِيمِ

أَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ.

الْجُبْنُ : الْخَوَرُ وَهَيْبَةُ الْأَقْدَامِ عَلَى الْأُمُورِ . يُقَالُ : جَبْنُ ، بِالضَّمِّ ، يَجْبُنُ ، جُبْنًا ، بِالضَّمِّ [وَبُضْمَتَيْنِ] ، وَجَبَانَةٌ ، بِالْفَتْحِ ، فَهُوَ جَبَانٌ - بوزن سَحَابٍ - ، وَجَبَانٌ كَشْدَادٍ ، وَجَبِينٌ كَأَمِيرٍ ، وَالْجَمْعُ جُبْنَاءُ . وَهِيَ جَبَانٌ وَجَبَانَةٌ وَجَبِينٌ . وَالصَّافِرُ : الْمَصْوُوتُ ، يُقَالُ : صَفَرٌ ، يَصْفِرُ ، صَفِيرًا إِذَا صَوَّتَ ، فَهُوَ صَافِرٌ وَصَفَّارٌ . قَالَ :

خَلَائِكِ الْجَوِّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي

وَيُقَالُ الصَّافِرُ لِلْخَشَّاشِ وَالْبُغَاثِ مِنَ الطَّيْرِ ، [وَهُوَ مَا لَا يَصِيدُ مِنْهَا . وَاخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ مِنَ الصَّافِرِ فِي هَذَا الْمَثَلِ ، فَقِيلَ أَرِيدَ كُلَّ صَافِرٍ مِنَ الطَّيْرِ⁽¹⁾] وَلَا يَكُونُ الصَّافِرُ إِلَّا فِي ضِعَافِهَا وَخَشَّاشِهَا ، وَيُوصَفُ بِالْجُبْنِ لِكثَرَةِ مَا يَنْتَقِي مِنْ جَوَارِحِ الْجَوِّ وَمَصَائِدِ الْأَرْضِ . وَقِيلَ : الصَّافِرُ طَائِرٌ بَعِينُهُ ، إِذْ أَمْسَى تَعَلَّقَ بِالشَّجَرَةِ بِرَجْلَيْهِ ، وَنَكَسَ رَأْسَهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنَامَ فَيُؤْخَذَ ، فَيَبِيتُ مَنَكُوسًا ، وَلَا يَزَالُ يَصِيحُ حَتَّى يَصْبَحَ . وَقِيلَ : الصَّافِرُ هُنَا بِمَعْنَى الْمَصْفُورِ بِهِ ، وَهُوَ الَّذِي يُنْذَرُ بِالصَّافِرِ فَيَفْزَعُ وَيَهْرَبُ ، كَمَا قَالُوا : مَا بِالْذَّارِ صَافِرٌ - أَيِ مَصْفُورٌ بِهِ - . قَالَ الشَّاعِرُ :

خَلَّتِ الدِّيَارَ فَمَا يَهَا مِمَّنْ عَهْدَتْ يَهِنٌ صَافِرٍ
وَعَلَيْهِ يَكُونُ فَاعِلًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، كَمَا فِي دَافِقٍ - أَيِ مَدْفُوقٍ - ، وَرَاحِلَةٍ - أَيِ مَرْحُولَةٍ - ، وَذَلِكَ فِي الْمَثَلِ الْمَذْكُورِ . وَالْبَيْتُ مُحْتَمَلٌ غَيْرُ مُتَعَيَّنٍ . وَقِيلَ : الصَّافِرُ هُوَ الَّذِي يَصْفَرُ لِلْمَرَأَةِ بِالرِّيْبَةِ ، وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِالْجُبْنِ سَاعَتَهُ لَوَجَلِهِ وَحَذَرِهِ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ . قَالَ الْكُمَيْتُ :

(1) مَا بَيْنَ مَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ جِ .

أَرْجُو لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي مَوَدَّتِكُمْ كَلْبًا كُورَهَاءَ تَقْلَى كُلُّ صَفَّارٍ
لَمَّا أَجَابَتْ صَفِيرًا كَانَ أَتِيهَا مِنْ قَابَسٍ شَيْطُ الْوَجْعَاءِ بِالنَّارِ
وهذه المرأة التي ذكرها الكميت وضرب بها المثل امرأة من العرب كان من حديثها أن رجلاً كان
يعتادها، فكان يأتيها وهي جالسة مع زوجها وبنيتها، فيصفر لها، فإذا سمعت صفيـره أخرجت
إليه عجيزتها من وراء البيت، وهي تحدث ولدها، فيقضي منها وطره ويرجع . ثم إن
بعض بنيتها فطن للأمـر، فلمّا جاء صاحبها وصفر بها فأخرجت عجيزتها على العادة، فأخذ
مسماراً مُحَمًّى كان معه، فكوى به صدغها حتّى أحسّت بالموت وتجلّدت . فلمّا جاء
الخِدْنُ بعد ذلك وصفر بها قالت : لَقَدْ قَلَيْتَا صَفِيرَكُمْ ! فـضرب بها الكميت المثل.

أَجْبَنُ مِنَ الْكَرَوَانِ .

الْجُبْنُ تَقَدَّمَ . وَالْكَرَوَانُ، بِفَتْحَتَيْنِ، طَائِرٌ يَشْبَهُ الْبَطَّ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ . وَقِيلَ هُوَ
الْحَجَلُ . وَأَنشَدَ الْجَوْهَرِيُّ :

يَا كَرَوَانَا صُكَّ فَاكْبَأْنَا فَشَنَّ بِالسَّلَمِ فَلَمَّا شَنَّا
بَلَّ الذُّنَابَى عَبَسًا مُبِينًا⁽²⁾

وَقَالَ : أَرَادَ بِهِ الْحُبَارَى يَصْكُهُ الْبَازِي فَيَتَّقِيهِ بِسَلَحِهِ ؛ وَيُقَالُ هُوَ الْكَرْكِيُّ . وَيُقَالُ
لِلْأُنْثَى كَرَوَانَةٌ . وَيُقَالُ لِلذَّكَرِ الْكَرَاءُ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ الْآتِي : أَطْرَقَ كَرًا . وَيُقَالُ إِنَّهُ سَمِّيَ
بِالْكَرَا - وَهُوَ النِّعَاسُ - ضِدًّا مَا كَانَ عَلَيْهِ لِمَا مَرَّ مِنْ أَنَّهُ لَا يَنَامُ، وَهُوَ أَيْضًا مَوْصُوفٌ بِالْجُبْنِ
الكَثِيرِ وَالْفَزَعِ مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ :
تَرَى خُطْبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ ارْتِجَالِهِ كَأَنَّهُمْ الْكَرَوَانُ عَايِنٌ أَجْدَلَا
وَالْكَرَوَانُ، بِالْكَسْرِ فَالسُّكُونِ، جَمْعُ الْكَرَوَانِ السَّابِقِ . وَقَالَ الْآخَرُ :
أَمِيرٌ أَبُو مُوسَى تَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ كَأَنَّهُمْ الْكَرَوَانُ أَبْصَرَنَ بَازِيَا
وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى قَوْلِهِمْ : أَطْرَقَ كَرًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

أَجْبَنُ مِنَ الْمَنْزُوفِ ضَرْطًا .

الْجُبْنُ مَرَّةً ؛ وَالنَّزْفُ : النَّزَمُ . يُقَالُ نَزَفْتُ مَاءَ الْعَيْنِ أَنْزَفُهُ، أَيْ نَزَحْتُهُ

(2) صُحِّفَتِ الْكَلِمَتَانِ الْأَخِيرَتَانِ فِي ب فَكَتِبَتَا : عَابَسَا مِثْلَنَا.

كُلُّهُ، وَنَزَفَتِ الْبَثْرُ، فَهِيَ مَنْزُوفَةٌ . وَيُقَالُ : نَزَفَتْ عَبْرَةُ الرَّجُلِ، بِكسر الزاي، إِذَا فَنِيَتْ، وَأَنْزَفَهَا الشَّوْقُ . وَيُقَالُ : نَزَفَ فُلَانٌ دَمَهُ - بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ - إِذَا سَالَ عَلَيْهِ سَيْلَانًا مُفْرَطًا، وَنَزَفَ الدَّمُ، فَهُوَ مَنْزُوفٌ فِيهِمَا . وَالضَّرْطُ، بِالْفَتْحِ، وَالضَّرْطُ، بِالضَمِّ، صَوْتُ الرِّيحِ . يُقَالُ : ضَرَطَ، بِالْكَسْرِ، ضَرَاطًا وَضَرَطًا، فَهُوَ ضَرَّاطٌ، كَشْدَادٍ، وَضَرُّوْطٌ، كَصَبُورٍ، وَضَرَّوْطٌ، كَسِنَوْرٍ . وَاخْتَلَفَ فِي الْمَنْزُوفِ ضَرَطًا، فَقِيلَ إِنَّ نِسْوَةَ كُنَّ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَزْوَاجٌ، [فَزَوَّجْنَ إِحْدَاهُنَّ] رَجُلًا، فَكَانَ يَنَامُ الصُّبْحَةَ، فَإِذَا أَتَيْنَهُ بِالصَّبُوحِ وَنَبَّهْنَهُ قَالَ : لَوْ نَبَّهْتُنِّي لِعَادِيَةِ - أَيِ الْخَيْلِ - فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قُلْنَا بَيْنَهُنَّ : إِنَّ صَاحِبَنَا لَشُجَاعٌ، فَتَعَالَيْنَ ! فَأَتَيْنَهُ بِالصَّبُوحِ عَلَى الْعَادَةِ، فَقَالَ : لَوْ لِعَادِيَةِ نَبَّهْتُنِّي، كَمَا كَانَ يَقُولُ . فَقُلْنَا لَهُ : هَذِهِ نَوَاصِي الْخَيْلِ ! فَجَعَلَ يَقُولُ : الْخَيْلُ ! الْخَيْلُ ! وَيَضْرِبُ حَتَّى مَاتَ . وَقِيلَ إِنَّ الْمَنْزُوفَ ضَرَطًا دَابَّةً بِالْبَادِيَةِ، إِذَا صِيحَ لَهَا وَقَعَ عَلَيْهَا الضَّرْطُ، فَلَا تَزَالُ تَضْرِبُ حَتَّى تَمُوتَ . وَقِيلَ إِنَّهُ رَجُلٌ خَرَجَ مَعَ رَفِيقٍ لَهُ . فَبَيْنَمَا هُمَا فِي فَلَاةٍ، إِذْ لَاحَتَ لهُمَا شَجَرَةٌ، فَقَالَ : أَرَى قَوْمًا رَصَدُونَا . فَقَالَ رَفِيقُهُ : إِنَّمَا هِيَ عَشْرَةٌ - أَيِ شَجَرَةٍ - . وَالْعُشْرُ، بِضَمِّ الْعَيْنِ وَفَتْحِ الشَّيْنِ، شَجَرٌ يُحْشَى فِي الْمَخَادِ، وَهُوَ أَجُودُ مَا يُقْتَدَمُ بِهِ . فَظَنَّهُ يَقُولُ عَشْرَةً، بِالْفَتْحِ . فَجَعَلَ يَقُولُ : وَمَا غِنَاءُ اثْنَيْنِ عَنْ عَشْرَةٍ، وَيَضْرِبُ حَتَّى مَاتَ.

أَجْبَنُ مِنْ نَعَامَةٍ.

الْجُبْنُ مَرٌّ ؛ وَالنَّعَامَةُ : وَاحِدَةُ النَّعَامِ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ، اسْمُ جَنْسٍ، مِثْلُ حَمَامٍ وَحَمَامَةٍ، وَجَرَادٍ وَجَرَادَةٍ ؛ وَالذَّكَرُ مِنْهُ يُقَالُ لَهُ ظَلِيمٌ . وَالنَّعَامُ يُوصَفُ بِالْجُبْنِ كَثِيرًا . وَيُقَالُ إِنَّ النَّعَامَةَ، إِذَا خَافَتْ مِنْ مَوْضِعٍ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَبَدًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي الْحَجَّاجِ :

أَسَدٌ عَلِيٌّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ فَتَخَاءُ تَنْفَرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الْوَعَى ؟ بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ !
وَلِلشَّعْرِ قِصَّةٌ تَذَكَّرُ بَعْدَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الْجَحْشُ لَمَّا بَذَكَ الْأَعْيَارُ !

الْجَحْشُ ولد الحمار، أهليًا كان أو وَحْشِيًّا، والأنثى جَحْشَةٌ، والجمع جِحَاش .

قال زهير يصف حمار وحش :

وَقَدْ خَرَّمَ الطَّرَادُ عَنْهُ جِحَاشَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسُهُ وَحَلَائِلُهُ
وَالْبَذُّ، بالذال المعجمة، : الغلبة . يقال بَذَكَ هذا الأمر، أي غَلَبَكَ . قال علقمة
يصف بقرة وحشية :

تَعَفَّقُ بِالْأَرْضِ لَهَا وَأَرَادَهَا رَجَالٌ فَبَذَّتْ نَبْلَهُمْ وَكَلِيبُ
وَالْأَعْيَارُ جمع عَيْرٍ، بفتح العين، وهو الحمار، أهليًا كان أو وحشيًا . قال امرؤ القيس في
الوحشي :

كَأَنِّي وَرَدَفِي وَالْقِرَابَ وَنُمُرُقِي عَلَى ظَهْرِ عَيْرٍ وَارِدُ الْخَبَرَاتِ
وَقَالَ الْآخِرُ فِي الْأَهْلِيِّ :

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضِيمٍ يَرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتِدُ
وَيَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى مَعْيُورَاءَ .

ومعنى المثل أَنَّهُ إِذَا غَلَبَكَ الْأَعْيَارُ وَلَمْ تَدْرِكْهَا فَعَلَيْكَ بِالْجِحَاشِ . وذلك أَنَّ الصائد
إِذَا أَثَارَ طَرِيدَةً مِنَ الْوَحْشِ، فَإِنَّ الْكِبَارَ الْقَوِيَّةَ مِنْهَا تَسْبِقُ، وَتَتَأَخَّرُ الصَّغَارُ . فإذا أَعْجَزَتْهُ
الْكِبَارُ السَّوَابِقُ، فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يَظْفَرَ بِالصَّغَارِ وَلَا يَفْرُطَ فِيهَا . فيُضْرَبُ فِي الرَّجْلِ يَطْلُبُ الْأَمْرَ
الْعَظِيمَ الْخَطِيرَ فِيْفُوتِهِ، فيقال له : اطلب ما دون ذلك امالاً، ولا ترجع خائباً، كما قيل :
إِذَا حَاجَةً وَلَتَّتْكَ لَا تَسْتَطِيعُهَا فَخُذْ طَرَفًا مِنْ غَيْرِهَا حِينَ تَسْبِقُ
ولفظ الْجَحْشُ فِي الْمَثَلِ يَكُونُ مَنْصُوبًا عَلَى الْإِعْرَاءِ، أَيِ : عَلَيْكَ الْجَحْشُ ! ويجوز أَنْ
يُرْفَعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ أَوْ الْخَبَرِ، أَيِ : الْجَحْشُ حَسْبُكَ، أَوْ حَسْبُكَ الْجَحْشُ .

جَدُّكَ كَدُّكَ .

الْجَدُّ، بالفتح، : الرَّزْقُ وَالْحِظُّ . وَرَجُلٌ مَجْدُودٌ : ذُو حِظٍّ . وَالْكَدُّ، بالفتح، :

الشَّدَّةُ وَالْإِلْحَامُ . ومعنى المثل أَنَّكَ إِنَّمَا تَعِيشُ وَتَنَالُ الْمُنَى بِمَالِكَ مِنَ الْحِظَّةِ
وَالْبَخْتِ، لَا بِتَعَبِكَ وَكَدِّكَ، فَإِنَّ الْكَدَّ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْحَرَمَانِ، كما قيل :

عِشْ بَجْدٌ وَلَا يَضُرُّكَ نَوَكٌ إِنَّمَا عَيْشُكَ مِنْ تَرَى بِالْجَدُودِ
وكما قلت أنا :

كَمْ لَبِيبٍ ذِي نَجْدَةٍ مَاتَ هُزْلاً وَغَيْبٍ يَحْتَقُّهُ أَلْفُ هَانَ !
وتقدّم هذا المعنى مستوفى، وسيأتي أيضا.

قيل : وأوّل من قال هذا المثل حاتم بن عميرة الهمداني . وكان بعث ابنه : الحِسلَ
وعاجية في تجارة لوجهتين مختلفتين . فذهب الحسل حتّى لقيه قوم من بني أسد،
فأسروه وأخذوا ماله . وسار أخوه أيّاماً حتّى وقع على مال الحسل، فاتبعه حتّى بلغ
نجران، فنادى في قومه همدان، فأخذه من أيدي ساليبه قبل أن يبلغ الى موضع متجره .
وكانت الابل موسومة بسمة أبيهما، وعرفوا أنّ ما كان عليها من المتاع له، فأخذه ورجع الى
أهله . وقال في ذلك :

كفاني اللهُ بعدَ السّيرِ أنّي رأيتُ الخيرَ في السّفرِ القريبِ
هَذَا القُربُ نلنا فيه خيراً ولم نلقَ الخسارةَ في الدُّووبِ
فلمّا رجع، تباشر به أهله، وانتظروا الحسل . فلمّا أبطأ عنهم بعث أبوه أخاً له يقال له
شاكِر في طلبه والبحث عنه . فلمّا دنا شاكر من الأرض التي فيها الحسل - وكان الحِسلُ
عائفاً يزجر الطير -، فقال الحسل :

تُبشّرني بِالنّجاةِ القطاةُ وَقَوْلُ الغُرَابِ لَهَا شَاهِدُ
تَقُولُ : أَلَا قَدْ دَنَا نَارُهَا فِدَاءٌ لَهُ الطَّارِفُ التَّالِدُ
أَخٌ لَمْ تَكُنْ أَمْنًا أُمُّهُ وَلَكِنْ أَبُونَا أَبٌ وَاحِدُ
تَدَارِكُنِي زُلْفَةُ حَاتِمٍ فَنِعْمَ الْمُرَبِّبُ وَالْوَالِدُ
تَدَارِكُنِي بِكَ يَا شَاكِرٌ وَمَنْ بِكَ الْمَلِكُ الْمَاجِدُ

فسأل عنه شاكر حتى أعلم بمكانه، فاشتراه منهم بأربعين بازلاً . فلمّا رجع به، وأخبر بما
لقي من البلاء، قال أبوه : اسمع بجدك، لا بكذك ! وهذا مثلك قولهم : عارك
بجد أو دع ! وسيأتي :

جَدَعُ مَازِنٌ أَنْفَهُ بِكَفِّهِ .

يأتي هذا في الكاف، وهو هناك البق.

أَجْرًا مِنْ خَاصِي خِصَافٍ .

الْجُرْأَةُ - عَلَى وَزْنِ الْجُرْعَةِ - الشَّجَاعَةُ وَالْإِقْدَامُ . تَقُولُ : جَرُّوْهُ ، بِالضَّمِّ ، جُرْأَةً وَجُرْأَةً ، فَهُوَ جَرِيٌّ . وَجُرْأَتُهُ عَلَى الْأَمْرِ تَجَرُّةٌ ، فَاجْتَرَأَ عَلَيْهِ . وَتَقُولُ : خَصِيْتُ الْفَحْلَ أَخْصِيهِ خِصَاءً ، بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ ، إِذَا سَلَّتْ خُصْيِيَهُ ، فَهُوَ خَصِيٌّ . وَخِصَافٌ - عَلَى وَزْنِ كِتَابٍ أَوْ وَزْنِ قَطَامٍ - : اسْمُ فَرَسٍ كَانَ لِحِمْلَ بْنِ بَدْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، طَلَبَهُ مِنْهُ الْمَنْذَرُ بْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ لِيَسْتَفْعِلَهُ ، فَخَصَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ لَجُرْأَتِهِ وَمَنْعَهُ مِنْهُ ، فَسَمِّيَ خَاصِي خِصَافٍ ، وَقِيلَ : أَجْرًا مِنْ خَاصِي خِصَافٍ .

أَجْرًا مِنْ خَاصِي الْأَسَدِ .

الْأَسَدُ مَعْرُوفٌ . وَخَاصِي الْأَسَدِ تَزْعَمُ الْعَرَبُ أَنََّّهُ رَجُلٌ مَرَّ بِهِ الْأَسَدُ ، فَوَجَدَهُ يَحْرَثُ بِثَوْرَيْنِ بَادِنَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا حَرَّاءُ ، مَا أَسْمَنَ ثَوْرِيكَ ! فَيَمَّ أَسْمَنَتَهُمَا وَمَا أَطْعَمَتَهُمَا ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَرَّاءُ : إِنِّي خَصِيْتُهُمَا فَسَمِنَا لِأَجْلِ ذَلِكَ . قَالَ الْأَسَدُ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تَخْصِيَنِي عَسَى أَنْ أَسْمَنَ سَمْنَهُمَا ؟ فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ ! وَأَمَكُنْهُ الْأَسَدُ مِنْ نَفْسِهِ ، فَخَصَاهُ الْحَرَّاءُ . وَزَعَمُوا أَنَّ مَرَّ عَنْهُ الْأَسَدُ وَدَمَهُ يَسِيكُ ، حَتَّى رَقِيَ رُبُوعَةً فَأَقْعَى فِيهَا حَزِينًا يَنْظُرُ إِلَى الْحَرَّاءِ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا بَثْعَلٌ قَدْ مَرَّ بِهِ ، قَالَ لَهُ : مَا لِي أَرَاكَ حَزِينًا يَا أَبَا الْحَارِثِ ؟ فَذَكَرَ لَهُ مَا فَعَلَ بِهِ الْحَرَّاءُ ، وَمَا دَهَمَهُ مِنَ أَلَمِ الْخِصَاءِ . فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَبُ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ آتِيَ الْحَرَّاءَ وَأَسْتَدْبِرَهُ⁽³⁾ ، عَسَى أَنْ تَمَكِّنَنِي مِنْهُ فَرِصَةً فَأَتَّئِرَ لَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي . فَمَضَى الثَّعْلَبُ وَجَعَلَ يَرَاوِغُ الْحَرَّاءَ وَيَطِيفُ بِهِ . فَتَنَاولَ الْحَرَّاءُ حَجْرًا وَقَذَفَهُ بِهِ فِدْقًا فَخَذَهُ . فَأَتَى الْأَسَدُ وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ [قَوَائِمٍ ، فَأَقْعَى مَعَهُ عَلَى الرَّابِيَةِ يَشْكُوَانِ بَثْنَهُمَا وَمَا دَهِيَا بِهِ مِنْ ذَلِكَ الْحَرَّاءِ]⁽⁴⁾ حَتَّى مَرَّتَ بِهِمَا نَعْرَةً فَقَالَتْ لَهَا : مَا لَكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟ فَأَخْبَرَاهَا خَبْرَهُمَا ، فَقَالَتْ لَهَا : أَنَا آتِيهِ ، فَأَسْتَدْبِرَهُ حَتَّى أَدْخُلَ فِي أَنْفِهِ . فَجَاءَتْ إِلَيْهِ ، وَتَغَافَلَ الْحَرَّاءُ عَنْهَا حَتَّى إِذَا دَنَتْ مِنْهُ قَبِضَ عَلَيْهَا وَأَخَذَ عَوْدًا فَدَسَهُ فِي أَسْتِهَا وَأَرْسَلَهَا ، فَجَاءَتْ إِلَى الْأَسَدِ وَالثَّعْلَبِ وَهِيَ فِي شَرٍّ مِنْ حَالِهِمَا ، قَدْ سَدَّ الْعَوْدُ دَبْرَهَا

(3) فِي ب : وَأَسْتَدْبِرَهُ .

(4) سَقَطَ مَا بَيْنَ مَعْقُوفَتَيْنِ مِنْ ج .

ومنعها وأثقلها عن الطيران . فبينما الثلاثة جلوس على الربوة يتشاكون، جاءت امرأة الحرّاء بغذائه . فتقدّم إليها، ورفع رجليها، وجعل يطؤها، وهي بمراى من تلك الحيوانات . فقال الأسد : ما ترون هذا المشؤوم يفعل بهذه المرأة المسكينة ؟ والله إنّي لأظنه يخصيها . فقال الثعلب : ما أظنه إلاّ يكسر فخذها . فقالت النعرة : لا والله ! بل يدخل في استها عودا . فكانت النّعرة أقربهنّ إلى الصدق ظنّاً . [وقيل إنّ خاصي الأسد هو الأصبع التي يفرس بها من برائينه . حكاة البكري عن قاسم بن ثابت، والله أعلم.]⁽⁵⁾

أَجْرَأُ مِنْ فَارَسٍ خَصَافٍ .

خَصَافٌ، بفتح الخاء - على مثال قَطَامٍ -، وهي فرس كانت لملك بن عمرو الغسّاني . [وخصّاف - بوزن كِتَاب : حصان كان لشهير بن ربيعة الباهلي]⁽⁶⁾

جَرَبٌ، ثُمَّ بَاعِدٌ أَوْ قَرَبٌ .

هذا مثك مصنوع فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى . ومثله قول الشاعر :
أَبْكُ الرِّجَالَ إِذَا أُرِدْتَ إِخَاءَهُمْ وَتَوَسَّمَنَ فَعَالَهُمْ وَتَفَقَّدَ
فَإِذَا ظَفَرْتَ بِذِي الثَّلَابَةِ وَالْعُلَى فَبِهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدْ

يَجْرِي بُلَيْقٌ وَيُذَمُّ .

الجَرَيَانُ : العَدْوُ، وهو معروف ؛ وبُلَيْقٌ مصغّر اسم فرس كان سباقاً، وكان مع ذلك يُذَمُّ، فضرب به المثل في المُحسن يُذَمُّ .

جَرَيَ الْمَذَكِّي حَسَرَتْ عَنْهُ الْحُمُرُ .

الجَرَيُ تقدّم ؛ والمَذَكِّي من الخيل المُسنُّ . يقال : ذكّى الفرسُ، تَذَكِيَةً بذاك معجمة - إذا أسنَّ . والمَذَاكِي من الخيل : التي أتى على قُروحها سنة أو سنتان . والْحُمُرُ جمع حِمَارٍ⁽⁷⁾ . والمعنى أنّ الحمار لا يستطيع أن يسابق القارح من الخيل، [بل]

5 - 6) سقط ما بين معقوفتين أيضاً من ج .
7) نسي المؤلف شرح « حسرت » وهي بمعنى أعيّت وعجزت .

والبرذون، كما قال زهير يمدح هرم بن سنان :

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا ضَارِبَ حَتَّى [إِذَا] مَا ضَارِبُوا اعْتَنَقَا
فَضَلَ الْجِيَادَ عَلَى الْخَيْلِ الْبِطَاءِ فَلَا يُعْطِي بِذَلِكَ مَمْنُوقًا وَلَا نَزَقًا
يَضْرِبُ هَذَا الْمَثَلُ فِي الرَّجُلِ الْبَارِعِ الْمُبَرِّزِ عَلَى غَيْرِهِ فِي الْفَضْلِ .

جَرَيُ الْمَذْكِيَّاتِ غِلَابٌ .

المثل من معنى ما قبله . والجريُّ تقدُّمٌ ؛ وكذا المَذْكِيَّاتُ من الخيل . والغِلَابُ :
المُغَالَبَةُ، كَأَنَّهَا تَغَالِبُ الْجَرِي . ويروى غِلَاءٌ، أي مُغَالَاةٌ فِي السَّيْرِ . والغِلَاءُ، بكسر
الغين أيضًا، جمع غَلْوَةٍ، وقد رُوِيَ الْمَثَلُ بِذَلِكَ . والغَلْوَةُ من كلِّ غَايَةٍ مقدار رَمِيَةِ
السَّهْمِ . وهذا المثلُ قاله قيس بن زهير، وذلك أَنَّهُ لَمَّا تَرَاهُنْ - هُوَ وَحَمَلُ بْنُ بَدْرِ - عَلَى مَا
مَرَّ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ، فَأَرْسَلَا فَرَسَيْهِمَا : فَرَسَ قَيْسٍ وَهُوَ دَاخِسٌ، وَفَرَسَ حَمَلٍ وَهُوَ الْغُبْرَاءُ،
عَلَى مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْاضْطِرَابِ، ظَهَرَتِ الْغُبْرَاءُ عَلَى دَاخِسٍ . فَقَالَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ : سَبَقْتُكَ يَا
قَيْسُ ! فَقَالَ قَيْسُ : رُويْدًا ! يَعْدُوْا أَنْ الْجَدَدَ، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا . فَلَمَّا خَرَجَا عَنِ الْجَدَدِ
وَصَارَا فِي الْوَعَثِ، بَرَزَ دَاخِسٌ عَلَى الْغُبْرَاءِ . فَقَالَ قَيْسٌ حِينَئِذٍ : جَرَيُ الْمَذْكِيَّاتِ
غِلَابٌ - أَوْ غِلَاءٌ - كَمَا مَرَّ، فَذَهَبَتْ مَثَلًا .

جُرُّوا لَهُ الْخَطِيرَ مَا أَنْجَرَ لَكُمْ !

الجُرُّ : السَّحْبُ عَلَى الْأَرْضِ مَثَلًا . وَجُرَّرَتِ الْفَرَسُ بِمَقْوَدِهِ، وَالْجَمْلُ بِزِمَامِهِ، فَاَنْجَرَ ؛
وَالْخَطِيرُ، بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَالطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ - عَلَى مِثَالِ أَمِيرٍ - زِمَامُ النَّاقَةِ وَجَدِيلُهَا .
يُسَمَّى بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَخْطُرُ أَيُّ يَهْتَزُّ عِنْدَ مَشْيِهَا . وَبِذَلِكَ سُمِّيَ الرَّمْحُ خَطَّارًا .
وَالْجَدِيدُ مَا كَانَ مِنْ جُلُودٍ، وَقَدْ يُقَالُ لِغَيْرِهِ . وَالْحَبْلُ إِذَا كَانَ مِنْ خَوْصٍ سُمِّيَ شَرِيطًا،
وَإِذَا كَانَ مِنْ كَتَانٍ سُمِّيَ مَرَسًا، كَمَا قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمٍّ جَنْدَلٍ
وَإِذَا كَانَ مِنْ لَيْفٍ فَهُوَ مَسَدٌ . وَهَذَا الْمَثَلُ يُرْوَى عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ
قَالَ فِي عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حِينَ أَنْكَرَ عَلَيْهِ النَّاسُ مَا أَنْكَرُوا، أَيِ اتَّبَعُوهُ مَا كَانَ فِيهِ

موضع' متّبع.

أَجْرُ الْأُمُورِ عَلَى أَذْلَالِهَا !

الأُمُورُ جمعُ أَمْرٍ ؛ والأَذْلَالُ، بالذال المعجمة، جمع ذَلٍّ، بالكسر وذِلُّ الطَّرِيقِ : مَحَجَّتُهُ . والمعنى : أَجْرُ الْأُمُورِ عَلَى مَجَارِيهَا وَمَسَالِكِهَا . يُضْرَبُ فِي الْأَمْرِ بِحَسَنِ التَّدْبِيرِ وَيُقَالُ أَيْضًا : أُمُورُ اللَّهِ جَارِيَةٌ أَذْلَالُهَا، وَعَلَى أَذْلَالِهَا، أَيِ عَلَى مَجَارِيهَا. وَيُقَالُ : دَعَاهُ عَلَى أَذْلَالِهِ، أَيِ حَالِهِ ؛ وَجَاءَ عَلَى أَذْلَالِهِ، أَيِ عَلَى وَجْهِهِ.

التَّجْرِيدُ لِغَيْرِ نِكَاحٍ مُثَلَّةٌ .

التَّجْرِيدُ معروف . تقول : جَرَدْتُ زَيْدًا مِنْ ثِيَابِهِ، وَتَجَرَّدَ هُوَ مِنْ ثِيَابِهِ ؛ وَكَذَا النِّكَاحُ . وَالْمُثَلَّةُ : النَّقْصُ وَالْعَيْبُ وَالشَّيْنُ . وَالْمَعْنَى أَنَّ تَجْرِيدَ الْعَوْرَةِ لِغَيْرِ النِّكَاحِ عَيْبٌ . يُضْرَبُ فِي وَضْعِ الْأَشْيَاءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا .

وَذَكَرُوا أَنَّ الْمَثَلَ لِرَقَاشِ بِنْتِ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبِ بْنِ وَائِلٍ، وَكَانَتْ شَرِيفَةً عَاقِلَةً . فَتَزَوَّجَهَا كَعْبُ بْنُ مَالِكِ بْنِ تَيْمِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهَا : اخْلَعِي دَرْعَكَ ! فَقَالَتْ : خَلَعْتُ الدَّرْعَ بِيَدِ الزَّوْجِ . فَقَالَ : اخْلَعِي دَرْعَكَ لِأَنْظُرَ إِلَيْكَ ! فَقَالَتْ : يَا ابْنَ عَمٍّ، إِنَّ التَّجْرِيدَ لِغَيْرِ نِكَاحٍ مُثَلَّةٌ ! فَأَرْسَلَتْهَا مَثَلًا . فَطَلَّقَهَا مَكَانَهَا، فَحُمِلَتْ⁽⁸⁾ إِلَى أَهْلِهَا، فَمَرَّتْ بِذُهِلِ ابْنِ شَيْبَانَ⁽⁹⁾ بْنِ ثَعْلَبَةٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَخَطَبَهَا إِلَى نَفْسِهَا، فَقَالَتْ لِخَادِمِهَا : انْظُرِي أَيُّبَعَثَرُ أَمْ يَقْفَعِرُ إِذَا بَلَكَ ؟ فَانْظُرْتُ الْأُمَّةَ فَقَالَتْ لِمَوْلَاتِهَا : يَقْفَعِرُ . فَتَزَوَّجَتْهُ .

وَيُحْكِي أَيْضًا أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا تَزَوَّجَ نَائِلَةَ بِنْتَ الْفَرَاغِصَةِ ابْنِ الْأَحْوَصِ الْكَلْبِيَّةِ، وَسَاقَهَا إِلَيْهِ أَخُوهَا، فَأَدْخَلَتْ عَلَيْهِ، وَخَلَا بِهَا قَالَ لَهَا : تَقُومِينَ إِلَيَّ أَمْ أَقُومُ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ : مَا قَطَعْتَ إِلَيْكَ عَرْضَ السَّمَاءِ وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تَقْطَعَ إِلَيَّ عَرْضَ الْبَسَاطِ . فَقَامَتْ إِلَيْهِ وَجَلَسَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا : لَا يَسُوءَنَّكَ مَا تَرَيْنَ مِنْ شَيْبِي، فَإِنَّ وَرَاءَهُ مَا تَحْبِبِينَ . قَالَتْ : إِنِّي لَمِنْ نِسْوَةِ أَحَبِّ رَجَالِ هِنِّ السَّيِّدِ الْكَهْلِ . إِلَى أَنْ قَالَ لَهَا : ضَعِي الْخِمَارَ ! فَوَضَعَتْهُ . فَقَالَ لَهَا : اخْلَعِي الدَّرْعَ ! فَخَلَعَتْهُ . فَقَالَ لَهَا : اخْلَعِي الْإِزَارَ !

(8) فِي ب : فَتَحُمِلَتْ.

(9) فِي ج : ذُبْيَانُ بْنُ شَيْبَانَ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

قالت : ذلك إليك ! فلماً دُخِلَ على عثمان، رضي الله عنه، يوم الدار، أَكَبَّتْ عليه وجعلت تنافح بيدها حتّى أصيبت بجراحات . فلماً قُتِلَ، رحمه الله، رثته فقالت :
 أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ قَتِيلُ التَّجِيبِيِّ الَّذِي جَاءَ مِنْ مِصْرَ وَمَالِي لَا أَبْكَى وَتَبْكِي قَرَابَتِي وَقَدْ حُجِبْتَ عَنَّا فَضُولُ أَبِي عَمْرٍ ؟
 وَيُرَوَّى هَذَا الشَّعْرُ أَيْضًا لِلْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ، وَلِلْكَمَيْتِ . وَالتَّجِيبِيُّ هُوَ كِنَانَةُ ابْنِ بَشَرَ قَاتَلَ عُمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى تَجِيبٍ، بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِهَا، بَطْنٌ مِنْ كَنْدَةَ .
 فَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا خَطْبُهَا مَعَاوِيَةَ، فَقَالَتْ لِنِسَائِهَا : مَا يَعْجِبُ الرِّجَالَ مِنِّْي ؟ قُلْنَ لَهَا : ثَنَائِيَاكَ . فَعَمِدَتْ إِلَى فِيهِمْ فَدَقَّتْ بِهِ ثَنِيَّتَيْهَا وَبَعَثَتْ بِهِمَا إِلَى مَعَاوِيَةَ، فَكَفَّ . وَلَمْ تَزَلْ مُحِدَّةً بَعْدَ قَتْلِ عُمَانَ حَتَّى لَحِقَتْ بِهِ .

أَجْرَى مِنْ ذُبَابٍ .

الْجَرَيَانُ مَرَّةً، وَالذُّبَابُ مَعْرُوفٌ، الْوَاحِدَةُ ذُبَابَةٌ، وَجَمْعُ الْقَلَّةِ أَذْبَةٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 ضَرَابَةٌ بِالْمِشْفَرِ الْأَذْبَةِ
 وَجَمْعُ الْكَثْرَةِ ذُبَّانٌ، بِالْكَسْرِ - كَغَرِبَانٍ - قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :
 عَصَافِيرٌ وَذُبَّانٌ وَدُودٌ وَأَجْرَأُ مِنْ مُجْلَحَةِ الذُّبَابِ
 وَلَا يَخْفَى مَالَهُ مِنَ الْجَرَيَانِ، وَسُرْعَةُ الدَّوْرَانِ، وَخَفَّةُ الطَّيْرِانِ.

جَزَاهُ جَزَاءَ سِنِمَارٍ .

الْجَزَاءُ : الْمُكَافَأَةُ . تَقُولُ : جَزَيْتُ فُلَانًا، أَجْزِيهِ، جَزَاءً ؛ وَجَازَيْتُهُ مُجَازَاةً .
 وَسِنِمَارٌ، بِكَسْرِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ وَالنُّونِ، وَشَدَّ الْمِيمَ بَعْدَهَا أَلْفَ فَرَاءٍ : اسْمُ رَجُلٍ، وَهُوَ إِسْكَافٌ كَانَ النُّعْمَانُ الْأَكْبَرُ، لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ الْخَوْزَنَقَ لِسَابُورَ، لِيَكُونَ وَلَدُهُ فِيهَا مَعَهُ، اتَّخَذَ هَذَا الْإِسْكَافَ، فَبَنَاهَا لَهُ وَأَحْسَنَ رَصْفَهَا، وَأَبْدَعَ وَصْفَهَا⁽¹⁰⁾، وَأَكْمَلَهَا فِي عَشْرِينَ حَوْلًا . فَلَمَّا أَتَمَّ بِنَاءَهَا، وَأَعْجَبَ النَّاسَ بِحُسْنِهَا، قَالَ الْإِسْكَافُ : إِنِّي لَوْ شِئْتُ جَعَلْتُ الْقَصْرَ يَدُورُ مَعَ الشَّمْسِ حَيْثُمَا دَارَتْ . فَقَالَ الْمَلِكُ : إِنَّكَ لَتَحْسُنُ أَنْ تَبْنِيَ أَجْمَلَ مِنْهُ ؟ فَطَرَحَهُ مِنْ أَعْلَاهُ .
 فَضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ لِمَنْ يَجْزِي الْإِحْسَانَ بِالْإِسَاءَةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

(10) فِي ب حَرْفٍ « وَصَفَهَا » فَكُتِبَ « وَصَفَاهَا » . وَفِي ج كُتِبَ خَطَأً : « وَأَحْسَنَ وَصَفَهَا » مَكْرَرًا مَعَ « وَأَبْدَعَ وَصَفَهَا » .

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءَ سِنِمَّارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ
 سِوَى رَصْفِهِ الْبُنْيَانُ عَشْرِينَ حِجَّةً يُعَلِّ عَلَيْهِ بِالْقَرَامِدِ وَالسَّكَبِ
 فَلَمَّا انْتَهَى الْبُنْيَانُ يَوْمَ تَمَامِهِ وَأَضَى كَمَثَلِ الطَّوْدِ وَالْبَاذِرِ الصَّعْبِ
 رَمَى بِسِنِمَّارٍ عَلَى حَقٍّ رَأْسِهِ وَذَاكَ لَعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الذَّنْبِ! (11)
 وقال الآخر :

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغِيلَانَ عَنْ كَبِيرٍ وَحُسْنُ فَعْلٍ كَمَا يُجْزَى سِنِمَّارُ
 وَقِيلَ إِنَّ سِنِمَّارَ هُوَ غُلَامٌ لِأَحِيحَةَ بَنَى أَطُمًا فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ : أَحْكَمْتَهُ ! فَقَالَ : إِنِّي
 لَأَعْرِفُ حَجْرًا لَوْ نَزَعْتُ لِقَوَّضَ مِنْ آخِرِهِ . فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَجَرِ ، فَأَرَاهُ إِيَّاهُ ، فَدَفَعَهُ أَحِيحَةَ مِنْ
 الْأَطْمِ فَخَرَّ مَيِّتًا . وَفِي النُّوَادِرِ أَنَّهُ إِنْسَانٌ عَمِلَ أَطُمًا لِبَعْضِ الْمُلُوكِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ نَزَعْتُ
 هَذَا الْحَجَرَ تَدَاعَى الْبِنَاءُ كُلُّهُ . فَرُمِيَ مِنْ فَوْقِهِ لَثْلًا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ وَأَنْشَدَ :
 جَزَاءَ سِنِمَّارٍ بِمَا كَانَ يَفْعَلُ

تَجَشَّى لُقَيْمٌ مِنْ غَيْرِ شَبْعٍ .

التَّجَشَّى : تَنَفَّسُ الْمَعِدَةِ ، وَيَكُونُ عِنْدَ الشَّبْعِ . وَلُقَيْمُ اسْمُ رَجُلٍ ؛ وَالشَّبْعُ -
 بوزن عِنَبٍ - مَعْرُوفٌ . وَالْمَثَلُ ظَاهِرُ الْمَعْنَى ، يُضْرَبُ فِي التَّشَبُّعِ بِمَا لَمْ يَعْطَ . وَهُوَ
 كَقَوْلِهِمْ : عَاطِرٌ بِغَيْرِ نَوَاطِرٍ (11) ، وَقَوْلُهُمْ : كَالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرٌ ؛ وَسَيَأْتِيَانِ .

أَجْلَسْتُهُ عِنْدِي فَأَتَكَأَ .

الجلوس معروف ، وكذا الاتكاء . وهذا المثل يُضْرَبُ فِي عَادَةِ السُّوءِ يَعْتَادُهَا صَاحِبُهَا .
 وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ : أَعْطَى الْعَبْدَ كِرَاعًا فَطَلَبَ ذِرَاعًا .

جَلَّى مُحِبًّا نَظْرَهُ .

التَّجَلِّيَّةُ : الْإِبْدَاءُ وَالْإِظْهَارُ ؛ وَالْمُحِبُّ خِلَافُ الْمُبْغِضِ ؛ وَالنَّظَرُ الْبَصَرُ .
 وَالْمَعْنَى أَنَّ نَظَرَ الْإِنْسَانِ يُظْهِرُ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنْ مُحِبَّةٍ أَوْ بُغْضٍ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ : شَاهِدْ

(11) فِي ج : وَذَاكَ لَعَمْرِي... ، وَهُوَ لَا يَسْتَقِيمُ وَزْنًا .

البغض اللحظ ؛ وقولهم : رُبَّ لَحْظٍ أَتَمُّ مِنْ لَفْظٍ . وقول الشاعر :

فإن تكُ في عدوٍّ أو صديقٍ تُخْبِرُكَ العيونُ عن القلوبِ
وقول الآخر :

خَذْ مِنْ الْعَيْشِ مَا كَفَى وَمِنْ الدَّهْرِ مَا صَفَا
عَيْنُ مَنْ لَا يُرِيدُ وَصْلَكَ تُبْدِي لَكَ الْجَفَا
وقول الآخر :

تُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَ يَبُوحُ
وقالوا : يُعْبَرُ عَنْ الْإِنْسَانِ اللِّسَانُ، وَعَنِ الْمَوَدَّةِ وَالْبَغْضِ الْعِيَانُ⁽¹²⁾

جَمَعَ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنَّعَامِ .

الجمع ضدّ التفريق ؛ وتقدّم تفسير كلٍّ من الأروى والنعام في هذا الكتاب . وهذا المثل يضرب في الجمع بين أمرين متنافيين، والتأليف بين شيئين متخالفين . يقال : تَكَلَّمَ زَيْدٌ فَجَمَعَ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنَّعَامِ، وذلك لأن الأروى مسكنها قنن الجبال، كما قال امرؤ القيس :

تَلَاعِبُ أَوْلَادِ الْوَعُولِ رَبَاعُهَا دُوَيْنَ السَّمَاءِ فِي رُؤُوسِ الْمَجَادِلِ
وَالنَّعَامُ مَسْكَنُهَا السَّهْلُ مِنَ الْأَرْضِ، فَلَا يَجْتَمِعَانِ ؛ وكذا الأروى والبقرة .
وسئل أعرابيٌّ عن صفة مطر فقال : اسْتَقَلَّ سُدٌّ مَعَ انْتِشَارِ الطِّفْلِ فَشَصَا وَاحْزَأَلْ ؛
ثُمَّ اكْفَهَرَتْ أَرْجَاؤُهُ، وَاحْمَمَوْتُمْ أَرْحَاؤُهُ، وَابْذَعَرْتَ فَوَارِقُهُ، وَتَضَاكَتْ بَوَارِقُهُ، وَاسْتَطَارَ
وَادِقُهُ، وَارْتَقَتْ حُؤُبُهُ، وَارْتَعَنَ هَيْدَبُهُ، وَحَشَكَتْ أَخْلَافُهُ، وَاسْتَقَلَّتْ
أَرْدَافُهُ، وَانْتَشَرَتْ أَكْنَافُهُ ؛ فالرعد مُرْتَجِسٌ، والبرق مُخْتَلِسٌ، والماء مُنْبَجِسٌ ؛
فَأْتَرَعَمَ الْغُدْرُ، وَانْتَبَثَ الْوَجْرُ، وَخَلَطَ الْأَوْعَالُ بِالْآجَالِ، وَقَرْنَ الصِّيرَانُ بِالرِّثَالِ ؛ فالأودية
هدير، والشّراجُ خير، والتّلاعُ زفير ؛ وحط النَّبْعُ والعُتْمُ، من القلْقُلِ الشُّمُّ، إلى
الْقِيَعَانِ الصُّحُمِ . فلم يبق في القلْقُلِ إِلَّا مُعَصِمٌ مُجَرَّنْتِمٌ، أو داحصٌ
مُجَرَّجِمٌ، وذلك من فضل ربّ العالمين، على عباده المذنبين !

(12) حرف « البغض » في ج فكتب : « النقص » .

قوله استقل سُدّ : السُدّ، بضم السين : السحاب المظلم ؛ وكذا الجراد، لأنّه
 يسدّ الأفق . واستقل : ارتفع ؛ والطّفك، بفتح التين، العشيّ الى المغرب ؛ وشصا
 ارتفع، يقال : شصا الرقّ إذا امتلاّ فارتفعت قوائمه ؛ واحزّالّ : ارتفع أيضا، وهو بالحاء
 المهملة والزاي ؛ واكفهرّت تراكمت ؛ أرجاؤه : نواحيه، واحمومت : اسودّت ؛ أرحاؤه :
 جمع رحى، وهي الوسط، وابدعرت، بذاك معجمة : تفرّقت ؛ فوارقه : جمع فارق، وهي
 القطعة من السحاب الخارجة عن معظمه. والفارق في الأصل : الناقة تندّ عن الابل عند
 نتائجها. واستطار : انتشر ؛ وادّقه : الوادق الذي كثر ماؤه، أو الذي دنا من الأرض.
 وارتقت: التأمت ؛ حوّبه : فرجه. وارتعن : استرخى ؛ هيدبّه : ما تدلّى منه الى الأرض،
 كهذب القطيفة . وحشكت : امتلأت ؛ أخلاقه : ضروعه، جمع خلف، وهو ما يقبض عليه
 الحالب من ضرع الناقة والبقرة . واستقلت : ارتفعت ؛ أردافه : ماخره . وهذه كلّها استعارات.
 وأكنافه : نواحيه . ومُرتجس : مُصوّت، ومُختلس : كأنّه لشدة لمعانه يختلس
 الأبصار، ومُنْبَجِس : مُنْفَجِر، وأترع : ملأ، والغُدُرُ، بضمّتين، جمع غدير، والوَجُرُ،
 بضمّتين، جمع وجرّ، وهو الجُحُرُ يلجه الثعلب والضبع، وانتَبَثَها، بالثاء المثناة،
 أخرج نباتها، وأصل النبيتة تراب البئر ؛ والأوعال جمع وعلّ، وهو التيس الجبليّ، والآجال
 جمع إجل، بكسر فسكون، وهو القطيع من بقر الوحش. يقول : إنّ هذا المطر لشدّته
 جمع بين الأوعال التي مساكنها قُنن الجبال، وبين البقر التي مساكنها القيعان . والصيّران
 جمع صيوار، وهو القطيع من بقر الوحش، والرّثاك : فِراخ النعام، جمع رآك، بفتح
 فسكون، وهي تسكن الجلد من الأرض، والصيران تسكن الرمال والقيعان، فجمع بينهما أيضا
 لشدّته، والهدير : الصوت ؛ والشّراج مجاري الماء من الحرار، واحدها شَرَج، والتلاع :
 الشعاب التي يجري بها الماء من الجبال، واحدها تلّعة، بفتح فسكون، والنبع شجر
 تتخذ منه القيسيّ ؛ والعُتم، بعين مهملة وتاء مثناة - على مثال جرّف : الزيتون
 الجبليّ ؛ والقلل أعالي الجبال ؛ والشمّ المرتفعة ؛ والقيعان جمع قاع، وهو الأرض
 المطمئنة ؛ والصُحُم : التي تعلوها حمرة، جمع أصحَم ؛ والمُعصِم : الذي استمسك
 بالجبال وتمنّع فيها من الأوعال . يقال : فارس مُعصِم إذا أخذ بعرف فرسه،
 والمُجرنثم : المنقبض، والداحص الذي يفحص برجليه عند الموت . قال علقمة :

رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فِدَا حَصٍّ بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ
وَالْمَجْرَمِ الْمَصْدُوعِ.

جَمَعَ بَيْنَ الضَّبِّ وَالنُّونِ.

الضَّبُّ حيوان معروف، جمعه ضِبَابٌ وأَضْبٌ، وكنيته أبو حِسَكٍ، والحِسَكُ وَلَدُهُ،
كما سيأتي، والنُّونُ : الحوت، وجمعه نِينَانٌ . وهذا المثل كالذي قبله في المعنى، لأنَّ
الضَّبَّ حيوان بَرِّيٌّ، لا يرد الماء ويلزم الصحراء، وأكثر ما يكون في الكُدَى، كما قال خالد
ابن علقمة :

تَرَى الشَّرَّ قَدْ أَفْنَى دَوَائِرَ وَجْهِهِ كَضَبُ الكُدَى أَفْنَى بَرَاثِينَهُ الْحَفْرِ
وقال الآخر :

فَلَلَهُ أَرْضٌ يَعْلَمُ الضَّبُّ أَنَّهَا بَعِيدٌ مِنَ الْآفَاتِ طَيِّبَةُ الْبَقْلِ
بَنَى بَيْتَهُ فِيهَا عَلَى رَأْسِ كُدِيَةٍ وَكَلُّ أَمْرِيءٍ فِي حَرْقَةِ الْعَيْشِ ذُو عَقْلٍ
وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ أَنَّهُ يَعِيشُ سَبْعِمِائَةَ سَنَةٍ وَلَا تَسْقُطُ لَهُ سِنَّةٌ، وَهُوَ لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ . وَيَقَالُ
إِنَّهُ يَبُولُ فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مَرَّةً . وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ : لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يَرِدَ
الضَّبُّ، كَمَا يَقُولُونَ : حَتَّى يَشِيبَ الْغُرَابُ . وَمِنْ الْكَلَامِ الْمَوْضُوعِ عَلَى أَلْسِنَةِ
الْعَجَمَاوَاتِ، قَالَتِ السَّمَكَةُ : رَدُّ يَاضِبٌ ! فَقَالَ :

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرْدًا لَا يَشْتَهِي أَنْ يَرِدَا
وَالنُّونُ حيوان بحريٌّ لَا يَفَارِقُ الْمَاءَ أَبَدًا، فَلَا يَجْتَمِعَانِ . قَالَ الصَّابِيُّ :

الضَّبُّ وَالنُّونُ قَدْ يُرْجَى اجْتِمَاعُهُمَا وَلَيْسَ يُرْجَى اجْتِمَاعُ الْمَالِ وَالْأَدَبِ⁽¹³⁾
وقال الآخر :

وَلَوْ أَنَّهُمْ جَاؤُوا بِشَيْءٍ مُقَارِبٍ لَقُلْتُ : هُوَ الشَّكْلُ الْمَوَافِقُ لِلشَّكْلِ
وَلَكِنَّهُمْ جَاؤُوا بِحِيتَانِ لُجَّةٍ تَقَامِسُ وَالْمَدْعُوَّ فِينَا أَبَا الْحِسَكِ⁽¹⁴⁾
وَلِمَا بَيْنَ الضَّبِّ وَالنُّونِ مِنَ التَّنَافِي وَالتَّقَابِلِ، قَالَ حَاتِمُ الْأَصَمِّ أَوْ غَيْرُهُ :

(13) فِي ج : « وَالْوَلَدُ » بَدَلُ « وَالْأَدَبِ » .

(14) فِي ج : أَبُو الْحَسَلِ .

وكيف أخافُ الفقيرَ واللَّهُ رازقي ورأزق هذا الخلق في العُسر واليُسْر ؟
تكفَّل بالأرزاق للخلق كلَّهم وللضَّبَّ في البيدَا وللحوت في البحر
ولوضوح ذلك يقال، عند التجهيل، : فلان لا يفرِّق بين الضَّبِّ والنُّون.

أَجْمَلُ مِنَ الْمُذْهَبِ .

الْجَمَالُ : الحُسْنُ ؛ جَمَلُ الشَّخْصِ، بالضم، يَجْمَلُ، فهو جميل، والمُذْهَبُ هو
ابن عَدْنَان، كان فائِقًا في الجمال والبهاء . فضربت العربُ بجماله المثل.

الْجَمَلُ مِنَ جَوْفِهِ يَجْتَرُّ .

الْجَمَلُ، بفتح الجيم، يفتحتَيْن من الابل معروف، والجِرَّةُ، بكسر الجيم وتفتح، ما يخرجُه البعير
من جوفه، فيأكله ثانية . ويقال : اجْتَرَّ الجمل فَعَلَ ذلك، يجتَرُّ اجتارًا . وهذا المثل
يُضْرَبُ لمن يأكل من كسبه، أو ينتفع بشيء يعود منه الضرر .

تَجَنَّبَ رَوْضَةً وَأَحَالَ يَعْدُو .

التَّجَنَّبُ معروف، والاحالةُ هنا الاقْبَالُ . يقال : أَحَالَ عليه بالسوط، أي أَقْبَلَ عليه .
قال الشاعر :

وَكُنْتُ كَذئِبَ السُّوءِ لَمَّا رَأَى دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدِّمِّ
ومعناه : تَجَنَّبَ الخصب واختار الضيق . يُضْرَبُ فِي الرجل تعرض عليه الكرامة فيختار
الهوان.

أَجَنُّ مِنْ دُقَّةَ .

الْجُنُونُ معروف . يُقَالُ : جُنَّ الرجل، بالبناء للمفعول، فهو مجنون، وأَجَنُّ من كذا،
بَنَوَهُ من فَعَلَ المفعول شذوذًا، كما قالوا : أَشْغَلَ من ذات النحيين، وَأَزْهَى من
ديك، وسيأتیان، ودُقَّةٌ، بضم الدال المهملة وتشديد القاف، اسم [رجل]، وهو دُقَّةُ بن
عبابة، يُضْرَبُ بجنونه المثل.

أَجُودٌ مِنْ لَافِظَةٍ .

الجُودُ معروف، ضِدُّ البُخْلِ . ويُقال أيضا : أَسَمَحُ مِنْ لَافِظَةٍ ؛ والسَّمَاحُ هو الجود . واختلف في اللفظة، ف قيل : البَحْرُ لَأَنَّهَا تَلْفُظُ بِالذُّرَّةِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي لَا قِيَمَةَ لَهَا، وَالْهَاءُ لِلْمِبَالِغَةِ . قال الشاعر :

يَدَاكَ يَدٌ خَيْرُهَا يُرْتَجَى وَأُخْرَى لِأَعْدَائِهَا غَائِظَةٌ
فَأَمَّا الَّتِي خَيْرُهَا يُرْتَجَى فَأَجُودٌ جُودًا مِنْ اللَّافِظَةِ
وَأَمَّا الَّتِي شَرُّهَا يُتَّقَى فَنَفْسُ الْعَدُوِّ بِهَا فَائِظَةٌ

وقال الآخر :

تَجُودُ فَتَجْزُلُ قَبْلَ السُّؤَالِ وَكَفُوكَ اسْمَحُ مِنْ لَافِظَةٍ
وقيل : اللَّافِظَةُ الرَّحَى، لِأَنَّهَا تَلْفِظُ مَا تَطْحَنُهُ وَلَا تَبْقَى . وقيل إِنَّهَا الْعَنْزُ، وَجُودُهَا أَنَّهَا تُدْعَى إِلَى الْحَبِّ، وَهِيَ تَعْتَلِفُ، فَتَلْقِي مَا فِي فِيهَا . وتقبل إلى الحالب . وقيل إِنَّهَا الْحَمَامَةُ، لِأَنَّهَا تُخْرِجُ مَا فِي بطنِهَا لِفَرْخِهَا . وقيل هِيَ الدِّيكُ، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ الْحَبَّةَ بِمَنْقَارِهِ، فَلَا يَأْكُلُهَا، وَلَكِنْ يَلْقِيهَا إِلَى الدَّجَاجَةِ، إِلَّا الْمُسْنَ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَا سْتَغْنَاءَ عَنْ الدَّجَاجِ يَأْكُلُ الْحَبَّ دُونَهَا وَيَمْنَعُهَا مِنْهُ .

الْجَوَادُ يَكْبُو .

الْجَوَادُ هُوَ الْكَرِيمُ مِنَ الْخَيْلِ، يَجُودُ بِمَا فِي طَاقَتِهِ مِنَ الْحَرْبِ . وَالْكَبُوءُ : الْعِثَارُ . يُقَالُ : كَبَا، يَكْبُو، كَبُوءًا وَكَبُوءًا . وَيُقَالُ فِي هَذَا الْمَثَلِ أَيْضًا : لِكُلِّ جَوَادٍ كَبُوءَةٌ، وَهُوَ أَنَّ الْكَامِلَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذَمَّ إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ، كَقَوْلِهِمْ فِي الْمَثَلِ الْآخَرِ: لَا تَعْدِمُ الْحَسَنَاءُ ذِمَّتًا . وَسَيَأْتِي جَمِيعُ ذَلِكَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَالطَّرْفُ يَجْتَازُ الْمَدَى وَرُبَّمَا عَنْ لَمْعَدَاهُ عِثَارٌ فَكَبَا
وَقُلْتُ أَنَا :

وَكَرِيمُ الْجِيَادِ يَكْبُو، وَمَا فِي كَبُوءَةٍ لِلْجَوَادِ مِنْ نَقْصَانِ

أَجْنَأُهَا أَبْنَأُهَا .

الأَجْنَاءُ جمع جَانٍ . يُقَالُ : جَنَى فلانٌ على فلانٍ، يَجْنِي عليه، فهو جَانٍ، وهُم جُنَاءٌ⁽¹⁵⁾ وأَجْنَاء . وهذا الثاني نادر، إذ لا يُجمع فاعلٌ على أفعَال، والأَبْنَاء جمع بَانٍ، وهو نادر . والمعنى أن الذين جنوا على هذه الدار - مثلاً بالهدم - هم الذين كانوا بنوها . ومضرب المثل من هذا واضح . قال الجوهري : وأنا أظن أن أصل المثل : جُنَاتُهَا بُنَاتُهَا، لأنَّ فاعِلاً لا يجمع على أفعَال ؛ أمّا الأَشْهاد والأَصْحَاب، فإنَّما هو جمع شَهِد وصَحْب، إلّا أن يكون هذا من النوادر، لأنَّه يجيء في الأمثال مالا يجيء في غيرها . انتهى . وهو ظاهر .

يُجْنَى مِنَ الشَّوْكِ الثَّمَرُ .

تقدّم تفسير هذه الألفاظ في الباب الأوّل . والمعنى أنك إذا ظلمت فاحذر الانتصار والانتقام !

تَجُوعُ الحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا .

الجُوعُ ضدّ الشَّبَع . والحُرَّةُ ضدّ الأُمّة، والأكل معروف ؛ وكذا الثدي وجمعه ثُدَيٌّ . قال الشاعر :

أَبَتِ الرَّوَادِفُ وَالثُّدَيُّ لِقَمَصِهَا مَسَّ البَطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورَهَا⁽¹⁶⁾
ويحكى أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سئل : أيكون المؤمن كذاباً ؟ فقال : تَجُوعُ الحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا . ومعناه أن الحُرَّةَ قد يصيبها ألم الجوع وشدة الاضطراب، ولا تؤاخر نفسها على الارضاع [لتأكل أجرة رضاعها]، فتلزم نفسها الاضطراب صوتاً لنفسها عن الهوان والابتذال . فيضرب في الحرّ يصون نفسه عن قبيح المكاسب، ولا تمنعه شدة فقره وحاجته أن يلزم صيانتها ويحفظ مروءته .

وأصل المثل للحارث الأزدي - أو الأسدي - وكان خطب إلى علقمة بن حفص الطائي بنته

(15) في بعض النسخ جُنَاء، وفي بعضها جُنَاة، وكلاهما صحيح .

(16) في ب : ظهوراً .

ريّا بنت علقمه، وكان الحارث شيخا . فقال علقمة لامرأته : اختبري ما عند ابنتك ! فقالت لابنتها : أي بنيّة، أيّ الرجال أحبّ إليك : الكهل الجحاح، الواصل المياح، أم الفتى الوضّاح، الذهول الطمّاح ؟ قالت : بل الفتى . قالت : إنّ الفتى يغريك، وإنّ الشيخ يمرّيك . قالت : يا أمّته، إنّ الفتاة تحب الفتى كحبّ الرعاء أنّف الكلا . قالت : يا بنيّة، إنّ الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب . قالت : يا أمّته، أخاف من الشيخ أن يدنس ثيابي، ويبلّي شبابي، ويشمت بي أترابي ! فلم تزل بها أمّا حتى غلبتها على رأيها، فتزوّجها الحارث وارتحل بها الى أهله . فبينما هو ذات يوم بفنائها، وهي الى جنبه، إذ أقبل شباب من بني أسد . فتنفّست الصعداء ثمّ بكت . فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : مالي وللشيوخ، الناهضين كالفروخ، من كلّ حوّك فنيخ ؟ فقال : ثكلتك أمّك ! تجوع الحرّة ولا تأكل بثديّها . ثمّ قال : وأبيك ! لربّ غارة شهدتها، وسبيّة أرفدتها، وخمرة شربتها، فالحقي بأهلك، فلا حاجة لي فيك !

وقال أبو عبيد في هذا المثل إنّه من أمثال أكثم بن صيفي . قال : وهو مثل قديم، لكن العامة ابتذلتة وحوّلتة فقالت : ولا تأكل بثديّها، يعني بإسقاط حرف الجرّ . قال بعض العلماء : ليس هذا بشيء إنّما بثديّها، ومعناه عندهم الرضاع . يقول لا تكون ظيّر القوم على جُعل تأخذه منهم . انتهى .

وقال بعض الأئمّة : إنّ العرب كانوا يعدّون أخذ الأجر على الرضاع سُبّة، ولذلك قيل : تجوع الحرّة ولا تأكل بثديّها . وقال العلماء : بثديّها . والقولان صحيحان، لأنّها إذا أكلت ثمن لبنها فكأنّها قد أكلت ثديّها . قال الرازي :

إِنَّ لَنَا أَحْمِرَةً عِجَافًا يَأْكُلْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ أَكْافًا

أي : نبيع كلّ ليلة أكافًا من أكفّتها ونعلفها ثمنه . قال : وكذلك قول الآخر في وصف إبل : نطعمها إذا شتّت أولادها، أي أثمان أولادها . انتهى .

وقال السهيلي في الروض : والتماس الأجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر نساء العرب، حتّى جرى المثل : تجوع الحرّة ولا تأكل بثديّها . وكان عند بعضهم لا بأس به، فكانت حلّمة وسيطة في بني سعد، كريمة من كرائم قومها، بدليل اختيار اللّه إيّاها لرضاع نبيّه صلّى اللّه عليه وسلّم، كما اختار له أشرف البطون والاصلاب . والرضاع كالنسب، لأنّه يغيّر الطباع.

وفي المسند عن عائشة ترفعه : لا تَسْتَرْضِعُوا الحَمَقَى، فَإِنَّ اللَّبَنَ يُوْرث !
ويُحتمل أن تكون حليلة وقومها طلبن الرضعا للأزمة التي أصابتهم، والسنة الشهباء التي
أفحمتهم اضطرارا . قال : وأما دفع قريش وغيرهم من أشرف العرب أولادهم الى المراضع،
فقد يكون ذلك لوجوه : أحدها تفريغ النساء الى الأزواج، كما قال عمّار بن ياسر لأمّ سلمة
- وكان أخاها من الرضاعة - حين انتزع من حجرها زينب بنت أبي سلمة، فقال : دعي هذه
المقبوحة المشقوقه التي آذيت بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ! وقد يكون ذلك
منهم أيضا لينشأ الطفل في الأعراب، فيكون أفصح للسانه، وأجلد لجسمه، وأجدر أن لا يفارق
الهيئة المعديّة، كما قال عمر : تَمَعَّدُوا وَتَمَعَّرْزُوا وَاخْشَوْشِنُوا ! وقد قال
عليه الصلاة والسلام لأبي بكر - حين قال له : ما رأيت أفصح منك، يا رسول الله - فقال :
وَمَا يَمْنَعُنِي، وَأَنَا مِنْ قَرَيْشٍ، وَأَرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ ؟ فهذا ونحوه
كان يحملهم على دفع الرضعا الى الأعرابيات . وقد ذكر أنّ عبد الملك بن مروان كان
يقول: أضرب بنا حبّ الوليد ! لأنّ الوليد كان لحانا، وكان سليمان فصيحا، لأنّ الوليد أقام
مع أمّه وسليمان وغيره من إخوته أسكنوا البادية فتعرّبوا، ثمّ أدّبوا فتأدّبوا . انتهى .
وقد قلت في نظم المثل المذكور، من قصيدة :

يَعْرِى الْفَتَى وَيَجُوعُ وَهُوَ يُرَى مُتَجَمِّلًا بِالصَّبْرِ وَالْبَشْرِ
وَالْحُرَّةُ الشَّمَاءُ رُبَّتَمَا جَاعَتْ وَلَمْ تَرْضِعْ عَلَى أَجْرِ

جَوْعُ كَلْبِكَ يَتْبَعُكَ !

الجَوْعُ تقدّم . وجوّعت فلانا، وأجّعته : تركته بلا طعام حتّى جاع ؛ والكلب
معروف ؛ وكذا الاتّباع . والمثل ظاهر المعنى . قيل : وأوّل من قاله ملك من ملوك حمير
كان جبّارا عنيفا على أهل مملكته، يغصبهم أموالهم وما في أيديهم . وكانت الكهنة تخبره
أنّهم سيقتلونه وهو لا يبالي بذلك . وسمعت امرأة له أصوات السؤّال فقالت له : إنّني
لأرحم هؤلاء لِمَا يلقون من الجهد، ونحن في العيش الرغد . وإنّني أخاف أن يكونوا عليك
سباعا، بعد أن كانوا لك أتباعا ! فردّ عليها : جَوْعُ كَلْبِكَ يَتْبَعُكَ ! فأرسلها
مثلا . ثمّ إنّّه لبث كذلك زمانا، ثمّ أغزاهم مع أخيه، فغنموا ولم يقسم فيهم شيئا . فقالوا

لأخيه : قد ترى ما نحن فيه من الجهد، ونحن نكره خروج الملك منكم الى غيركم، فساعدنا على قتل أخيك واجلس مكانه ! وعرف أخوه بغيه واعتداه، فأجابهم الى ذلك، فوثبوا عليه فقتلوه . فيقال إنَّه مرَّ به رجل يقال له عامر بن جذيمة، وهو مقتول، وقد سمع قوله : حَوْعٌ كَلْبَكَ يَتَّبَعُكَ ! فقال : ربَّما أكل الكلبُ مُجَوَّعَه، إذا لم ينل شبعه ! وقال أبو جعفر المنصور يوماً لقواده : صدق الأعرابي حيث يقول : أجمعُ كَلْبَكَ يَتَّبَعُكَ ! فقال له أبو العباس الطوسي منهم : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوِّح له رجل برغيف فيتبعه ويدعك !

أَجْوَعُ مِنْ ذَيْبٍ .

الذَّيْبُ معروف، يُهْمَز وَيُخَفَّف، والأنثى ذَيْبَةٌ . قال الشاعر :

فصِرتَ كَنَعَجَةٍ تَضْحِي وتُمْسِي تَرَدَّدُ بَيْنَ أَخْبَثِ ذَيْبَتَيْنِ
والذَّيْبُ يوصف بالجوع المفرط، ومن ثمَّ يقال للجوع داء الذَّيْب . يُقال : رَمَاهُ اللَّهُ بِدَاءِ
الذَّيْبِ، أي الجوع . وهو - مع ذلك - شديد الصبر عليه، وربَّما اكتفى بالنسيم . ويقال
إنَّه إذا ألحَّ عليه الجوع عوى، فتجتمع عليه الذئاب، فتحمل على الانسان حملة واحدة،
وكلَّ منها حريص عليه ؛ إلاَّ أنَّه إذا أدْمى منها واحدٌ وثبت عليه البواقي وترك الانسان .
ومن ثمَّ قال الشاعر يعاتب صديقاً له أعان عليه في أمر نزل به :

وكنْتَ كذَّيْبَ السُّوءِ لَمَّا رَأَى دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدِّمِّ (17)
وقال العُجَيْرُ السَّلُولِي :

تركنا أبا الأضيافِ في ليلة الدُّجَى يَمَرُّ وَيرُدِّي كلَّ خصمٍ يُجَادِلُهُ (18)
تركنا فتى قد أيقن الجوع أنَّه إذا ما ثوى في أرحك القوم قاتلُهُ
فتى قَدْ قَدْ السيف لا متضائلٌ ولا رهيلٌ لَمَّاتُهُ وبَآدِلُهُ (19)
إذا القوم أمُّوا بيته فهو عامدٌ لأحسن ما ظنُّوا به فهو فاعلُهُ
جوادٌ بدنياه بخيلٌ بعرضه عطوفٌ على المولى قليلٌ غوائلُهُ

(17) هذا البيت مكرر، إذ أورده المؤلف في المثل السابق : تجنب روضة وأحالك يعدو .

(18) في الحماسة : « في ليلة الصُّبَا » بدل « ليلة الدجى » .

(19) في الحماسة : « لِبَّاتُهُ وأبَاجِلُهُ » بدل « لَمَّاتُهُ وبَآدِلُهُ » .

فتى ليس لابن العم كالدئب إن رأى
إذا جدّ عند الجدّ أرضاك جدّه
بصاحبه يوماً دماً فهو أكيد
وذو باطلٍ إن شئت أرضاك باطله
يسرّك مظلوماً ويرضيك ظالماً
وكلّ الذئب حملته فهو حامله

أَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ .

الكلبة الأنثى من الكلاب معروفة ؛ وحومل، بالحاء المهملة، - على مثال جوهَر - امرأة من العرب كانت لها كلبة تجوعها بالنهار، وهي تحرسها بالليل . فكانت تربطها بالليل للحراسة وتطردها بالنهار، وتقول : التمسى لا ملتمس لك ! حتّى طال عليها الأمر فأكلت ذنبها جوعاً . قال الشاعر :

كما رضيتُ جوعاً وسوءَ ولايةٍ لكلبتِها في أوّل الدّهر حومَلُ

أَجْوَعُ مِنْ لَقْوَةٍ .

اللقوة، بفتح اللام : الكلبة . وفيها يقال : أجوعُ من لقوةٍ، قاله بعض النّاس . والمعروف في كتب اللغة أنه اللقوة، بالفتح وتكسر، المرأة السريعة اللقاح كالناقة . ومنه المثل الآتي : لقوةٌ صادقتُ قبيساً ؛ وكذا العقاب الأنثى . قال امرؤ القيس : كأني بفتّخ الجناحين لقوة صيودٍ من العقبان طأطأتُ شملالي وقال أبو عبيدة : سميت العقاب لقوة لسة أشداقها . وكأنّه عنده مأخوذ من اللقوة، وهو الداء المعروف الذي يصيب في الوجه . يقال لقيّ الرجل - بالبناء للمفعول -، فهو ملقوّ.

أَجْوَلُ مِنْ قُطْرُبٍ .

يقال : جال، جولاناً، فهو جائلٌ وجوّالٌ ؛ والقُطْرُب طائر يبيت سائراً لا ينام اللّيل كلّهُ . ويقال دُوبية . ويقال إنه دُوبية لا تستريح نهارها سعيّاً . وكان محمد بن المستنير النحوي يبكر الى مجلس سيبويه، فلا يفتح الباب إلّا وجده، فقال له : ما أنت إلّا قُطْرُب ليل ! فبقي عليه قطرب لقباً . ويُطلق القطرب أيضا على الذئب الأمعط، وعلى الفأر، وعلى

اللص، وعلى ذكر الغيلان، وغير ذلك من المعاني .
 وذكر ابن ظفر أن القطرب حيوان يكون بالصعيد من أرض مصر، يظهر للمنفرد من الناس،
 فربما صدّه عن نفسه إن كان شجاعا، وإلاّ، لم يزل به حتّى ينكحه، فإذا نكحه داد دبره
 فهلك . وهم إذا رأوا من ظهر له قطرب قالوا : منكوح أم مروّع ؟ فإن قال : منكوح أيسوا
 منه، وإن قال : مروّع عالجوه، واللّه أعلم . وسيأتي ذكر نحو هذا الحيوان في قولهم ألوط'
 من عُذار، في حرف اللّام، إن شاء اللّه تعالى .

الجار، قبل الدّار .

روى هذا حديثا عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال : الجارُ قبل الدّار، والرّفيقُ
 قبل الطّريق . ويروى : الجار والرّفيق، مرفوعين، والنصب فيهما حسن، أي :
 التمس الجار قبل الدّار، والتمس الرّفيق قبل الطّريق . وقال أبو تمّام في هذا المعنى :
 من مُبلّغ أبْناءَ يَعْرُبُ كُلّها أنّي ابْتَنَيْتُ الجار قبل المنزل ؟
 وقال الآخر :

يقولون : قبل الدّار جارٌ مُوافقٌ وقبل الطّريق النّهج أنسُ طريق
 فقلتُ : ونَدِمانُ الفتى قبلَ كأسِهِ فما حتّى كأسُ الخمرِ مثْلُ صديقٍ
 وقال الآخر في المعنى :

يلومونني أن يعتُ بالرّخصِ منزلي ولم يعلموا جارًا هناك يُنْغَصُ
 فقلت لهم : بعضُ الملام ! فإنّما بجيرانها تغلو الدّيارُ وترْخُصُ

جاء بالضّم والريّح

المجيء معروف، والضّم بكسر الضاد المعجمة بعدها حاء مهملة مشدّدة يطلق
 على الشمس وما طلعت عليه الشمس . وفي الحديث : لا يَقْعُدَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ
 الضّمِّ والظّلِّ، فإنّه مُقْعَدُ الشَّيْطَانِ . ذكره في الصحاح، وأنشد لذي الرّمّة :
 غدا أكْهَبَ الأعلى وراحَ كأنّه من الضّمِّ واستقباله الشّمسُ أخْضَرُ
 أي استقباله عين الشمس . وقال علقمة : أَبْيَضُ أَبْرَزُهُ للضّمِّ راقِبُهُ⁽²⁰⁾

والريّح معروفة . ومعنى جاء بالضّم والريّح : جاء بما طلعت عليه الشمس وما جرت

(20) هذا شطر بيت أنشده الأصمعي، وشطره الثاني :
 مقلّد قُضِبَ الرّيحان مفعومٌ .

عليه الريح . يقال ذلك عندما يجيء بالشيء الكثير . قال في الصحاح : والعامّة تقول :
جاءَ بِالضَّيْحِ والرَّيْحِ، يعني الضيْح، بالياء المثناة من تحت . قال : وليس بشيء .
انتهى . ومثله لصاحب القاموس .

جاءَ بِالْحَظْرِ الرَّطْبِ .

الْحَظْرُ، بالطاء المشالة - على مثال كَتِف - الشجر المحتظر به والشوك الرطب .
والرَّطْبُ خلاف اليابس، فيقال : جاء فلان بِالْحَظْرِ الرَّطْبِ، أي بكثرة من المال والناس،
وقيل بالكذب المُسْتَبْشَع . ويقال أيضا : أوقد فلان في الحَظْرِ الرطب، إذا نَمَّ . ووقع
في الحظر الرطب إذا وقع فيما لا طاقة له به . وذلك كَلَّه ظاهر .

جاءَ بِالطَّمِّ والرَّمِّ .

الطَّمُّ، بكسر الطاء المهملة، قيق الماء، وقيق ما على وجه الماء، وقيق ما ساقه من الغُثَاءِ
[ويطلق أيضًا على البحر، وعلى العدد الكثير، وعلى العجب وغير ذلك من المعاني . والرَّم
بكسر الراء : ما يحمله من الغُثَاءِ]،⁽²¹⁾ أو ما على وجه الأرض من فُتَات الحشيش . ومعنى
جاءَ بِالطَّمِّ والرَّمِّ : جاءَ بِالمالِ الكَثِيرِ . وقيق : بِالرَّطْبِ وَالْيَابِسِ، أو بالتُّرَابِ
والماء، أو بالبحر والثرى . وقال بعض الناس : الطَّمُّ، بالكسر، إذا كان مع الرَّمِّ ؛ فإذا
أُفرد فُتِحَ فقيق : جاءَ بِالطَّمِّ مَفْتُوحًا، كما قالوا : هَتَّانِي بِالطَّعَامِ وَمَرَّانِي ؛ فإذا
أفردوا لم يقولوا إلا أمرَّانِي .

جاءَ بِمَا صَاىَ وَصَمَتَ .

يقال : صَاىَ الفَرخُ وغيره، يَصَاى - كَسَعَى يَسْعَى - صَائِيًا - على مثال
فَعِيل - إذا صَوَّتَ . قال :

مَالِي إِذَا أَنْزَعُهَا صَايْتُ ؟ أَكْبَرُ غَيْرَنِي أَمْ بَيْتُ ؟
وَصَمَتَ، يَصْمُتُ، كَكَتَبَ، يَكْتُبُ، صَمَتًا وَصُمُوتًا، إذا سَكَتَ . فيقال :
جاءَ بِمَا صَاىَ وَصَمَتَ : إذا جاءَ بِالمالِ الكَثِيرِ، أي بِالمالِ الناطق والصامت . والتقدير :
جاءَ بِمَا صَاىَ وَبِمَا صَمَتَ، بحذف الموصول الثاني اختصارًا، كقول حسان رضي
الله عنه :

أَمِنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ ؟
 أي : مَنْ يَهْجُوهُ وَمَنْ يَمْدَحُهُ ، لاسْتِحَالَةَ اجْتِمَاعِ الْوَصْفَيْنِ فِي مَوْصُوفٍ وَاحِدٍ ، وَكَذَا
 الصَّنَائِيُ وَالصَّمَتُ لَا يَجْتَمِعَانِ . وَالصَّامِتُ مِنَ الْمَالِ : الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَالنَّاطِقُ :
 الْإِنْسَانُ مَثَلًا . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : حَصَلَ النَّاطِقُ وَالصَّامِتُ ، وَهَلَكَ الْحَاسِدُ وَالشَّامِتُ .
 وَقَدْ يُقَالُ : جَاءَ بِمَا صَاءَ وَصَمَتَ . وَصَاءٌ مَقْلُوبٌ صَائِي ، كَمَا قَالُوا : رَأَى فِي رَأَى .
 وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الْمَثَلِ الْآخِرِ فِي الْعَقْرِ : تَلَدَّغُ وَتَصَيَّعُ .

جَاءَ صَرِيمٌ سَحَرٌ .

أي خائبًا آيسًا . (22)

جَاءَ يَضْرِبُ أَسْدَرِيَهُ .

وَيُقَالُ أَيْضًا : جَاءَ يَضْرِبُ أَسْدَرِيَهُ - بِالضَّادِ - وَأَزْدَرِيَهُ - بِالزَّيِّ - ، وَالْمَعْنَى
 فِي الْجَمِيعِ وَاحِدٌ . وَالْأَسْدَرَانِ عِرْقَانِ تَحْتَ الصُّدْغَيْنِ ، وَقِيلَ الْمَنْكِبَانِ ، وَقِيلَ
 الْعِطْفَانِ ، يُقَالُ : جَاءَ يَضْرِبُ أَسْدَرِيَهُ ، أَوْ أَسْدَرِيَهُ ، أَيِ يَضْرِبُ عِطْفِيهِ
 وَمَنْكِبِيهِ . وَمَعْنَاهُ : جَاءَ فَارِغًا لَيْسَ بِيَدَيْهِ شَيْءٌ وَلَمْ يَقْضِ حَاجَةً . فَإِذَا قَضَاهَا قِيلَ :
 جَاءَ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ .

وَيُرْوَى أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رَأَى النَّاسَ يَوْمَ عِيدٍ يَضْحَكُونَ فَقَالَ : تَلْقَى
 أَحَدَكُمْ أَبْيَضَ بَضًا ، يَمْلَخُ فِي الْبَاطِلِ مَلَخًا ، يَنْفَضُ مِذْرَوِيَهُ ، وَيَضْرِبُ
 أَسْدَرِيَهُ ، يَقُولُ : هَا أَنَا ذَا فَاعْرِفُونِي ! قَدْ عَرَفْنَاكَ ، فَمَقَّتْكَ اللَّهُ وَمَقَّتْكَ الصَّالِحُونَ !
 وَمَعْنَى يَمْلَخُ فِي الْبَاطِلِ يَلْجُ فِيهِ ؛ وَقِيلَ يَتَثَنَّى .

جَاءَ يَفْرِي وَيَقْدُ .

الْفَرِيُّ : الْقَطْعُ . نَقُولُ : فَرَيْتُ الشَّيْءَ ، أَفْرِيهِ ، فَرِيًّا ، إِذَا قَطَعْتَهُ عَلَى

(21) سَقَطَ مَا بَيْنَ مَعْقُوفَتَيْنِ مِنْ ب .

(22) الصَّرِيمُ : الصَّبْحُ وَاللَّيْلُ أَوْ الْقِطْعَةُ مِنْهُ . وَالسَّجَرُ : الرِّقَّةُ . وَأَنْشُدُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى :
 أَيْذَهَبُ مَا جَمَعْتُ صَرِيمَ سَحَرٍ طَلِيقًا ؟ إِنَّ ذَا لَهُوَ الْعَجِيبُ !
 وَمَعْنَى الطَّلِيفِ : الْمَجَانُ .

وجه الإصلاح . وأَفَرَيْتُهُ إذا قطعته على وجه الفساد . قال زهير :

ولَأَنْتَ تَفَرِّي ما خَلَقْتَ، وبعضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثمَّ لا يَفَرِّي
أصله أنَّ الرجلَ يخلق الأديم أي يتهيأ لاصلاحه ويقدره، ثمَّ يفرِّيه أي يقطعه . لذلك
يقول : إنَّكَ إذا تَهَيَّأتَ لأمر أنفذته وأمضيتَه، وكثير من الناس يَهْمُ ولا يفعل .
وقيل : إنَّ فَرَّى، وأفَرَّى، وفَرَّى، بمعنى واحد، كلَّ ذلك يكون في القطع للإصلاح
والإفساد وتقول : فريتُ المَزَادَةَ إذا خلقتها وصنعتها . قال الراجز :

سَلَّتْ يَدَا فَاِرِيَةٍ فَرَّتْهَا مَسَكَ شَبُوبٍ ثمَّ وفَرَّتْهَا
لَوْ كَانَتْ السَّاقِي صَغَرَتْهَا

والقد : القطع طولاً . يقال : قَدَّ الأديم إذا شَقَّه طولاً . ومعنى : جاء يفرِّي ويقْدُ :
جاء يعمل عملاً مُحْكَمًا . ويقال أيضا : هو يَفَرِّي ويقْدُ . ويقال : يَفَرِّي الفَرِّيُّ،
بمعناه.

جَاءَ بِأُمِّ الرُّبَيْقِ، عَلَى أَرَيْقِ .

أُمُّ الرُبَيْقِ : الدَّاهِيَةُ ؛ والأَرَيْقُ أصله وُرَيْقٌ - بالواو - فقلبت همزة . والوُرَيْقُ
تصغير أَوْرَقٍ، تصغير الترخيم، كما يقال في أسود سُوَيْدٍ، وفي أحمر حُمَيْرٍ، وفي
أدرد دُرَيْدٍ . والأَوْرَقُ من الابل ما في لونه بياض الى سواد . وقيل : كان أصله أن يقول
أُوَيْرِقَ على أصله، فحذفت الواو ليزدوج الكلام . ويقال إنَّه من أطيب الابل لحمًا لا حملاً
وسيراً . وقيل لابنة الخس : أي الجمال شرٌّ ؟ فقالت : الأورق . وزعموا أنَّ رجلاً رأى غولاً على
جمل أَوْرَقٍ فقال : جَاءَ بِأُمِّ الرُّبَيْقِ عَلَى أَرَيْقٍ، أي الغول على جمل أَوْرَقٍ، فضرب
مثلاً في جناية عظيم الدواهي⁽²³⁾.

جَاؤُوا مُخْلِينَ فَلَاقُوا حَمْضًا .

يقال : أَخْلَ الرجل إذا رَعَى إبله في الخُلَّةِ - والخُلَّةُ، بضمّ الخاء المعجمة : كلُّ ما
فيه حلاوة من النبات . مقابله الحَمْضُ، بفتح الحاء المهملة . ويقال : الخُلَّةُ خبز الابل،
والحَمْضُ فاكهتها أو لحمها . وجَاؤُوا مُخْلِينَ : جَاؤُوا وقد أكلت إبلهم الخُلَّةَ .

(23) في د : عظام الدواهي.

وهذا المثل يُضرب لكلّ من جاء متهدّدا فصادف ما يقيمعه تهدّده . وسنزيده بيانا بعد في محلّه من الشعر، إن شاء الله تعالى .

جَاؤُوا عَلَى بَكْرَةٍ أَبِيهِمْ .

البَكْرَة، بالفتح فالسكون : الْفَتِيَّة من الابن، والفتى منها بَكْر . وكان يقال البَكْر من الابن بمنزلة الفتى من الناس ؛ والبَكْرَة بمنزلة الفتاة ؛ والقلوص بمنزلة الجارية الشابة ؛ والبعير بمنزلة الانسان ؛ والجمال بمنزلة الرجل ؛ والناقة بمنزلة المرأة . والبَكْرَة أيضا بَكْرَة الدّلّو التي يُستقى عليها . واختلف في معنى هذا المثل ف قيل : معنى جَاؤُوا عَلَى بَكْرَةٍ أَبِيهِمْ : جَاؤُوا مُجْتَمِعِينَ ، لم يتخلف منهم أحد . وليس هناك بَكْرَة على الحقيقة . وفي الحديث جَاءَتْ هَوَازْنُ عَلَى بَكْرَةٍ أَبِيهَا . وقيل هو وصف بالقلّة والدلّة، أي جَاؤُوا بحيث تكفيهم بَكْرَة واحدة يركبون عليها، وذكر الأب احتقار .

وقيل إنّ أصل هذا المثل أنّ قوما قُتِلوا فحُمِلوا على بَكْرَةٍ أَبِيهِمْ، ف قيل فيهم ذلك، ثم صار مثلا للقوم يحيئون معاً . وقيل إنّ البَكْرَة هاهنا هي بَكْرَة الدّلّو، والمعنى : جَاؤُوا بعضهم في إثر بعض، كدوران البَكْرَة على نسق واحد . وقيل : أُرِيدَ بالبكرة الطريقة، أي : جَاؤُوا على طريقة أَبِيهِمْ يقتفون أثره.

جَاءَ يَنْفُضُ مِذْرَوِيَهُ .

النَّفْضُ معروف ؛ والمِذْرَى الخشبة التي يُنْقَى بها الزرع ؛ والمِذْرَوَانِ جانِبَا الرَّأْسِ، وما يقيم عليه الوترُ في القَوْسِ من أعلى وأسفل . قال بعض هُذَيْل : على كلّ هَتَافَةٍ المِذْرَوَيْنِ صَفْرَاءَ مُضْجَعَةٍ فِي الشَّمَالِ والمِذْرَوَانِ أيضا طرفَا الأَلْيَتَيْنِ . قال عنتره لعمارة بن زياد : أَحُولِي تَنْفُضُ اسْتُكَ مِذْرَوِيَهَا ؟ لتقتلني فها أنذا عُمَارَا ! أي : يا عمارة ! ولا واحد للمِذْرَوَيْنِ في شيء من هذه المعاني . وقيل إنّ واحده مِذْرَى . وردّ بأنّه لو كان كذلك ل قيل في التثنية مِذْرَيَانِ، بالياء لا بالواو . وهذا بحسب الظهور

والرجحان ؛ وإلا فلا مانع من أن يكون هذا من الشَّوَاذ .
ومعنى جَاءَ يَنْفُضُ مَذْرُوءَهُ : جَاءَ يَنْفُضُ طَرْقِيهِ . ويقال ذلك إذا
وُصف بالخِيَلَاء . وأكثر أهل اللغة يقولون : معناه أَنَّهُ جَاءَ متهدِّدًا ، وهذا المفهوم من قول
عنترة السابق ؛ والخِيَلَاء هو المفهوم من كلام البصري السابق .

جَاءَ عَلَى غُبَيْرَاءِ الظَّهْرِ .

الغُبَيْرَاءُ تصغير الغُبْرَاءِ ، مَوْنَتْ الأَعْبَر . والمراد هنا الأرض ذات الغُبَرَةِ .
والظَّهْرُ خلاف البطن . ويقال أيضا : تَرَكَ فُلَانٌ أَبَاهُ عَلَى غُبَيْرَاءِ الظَّهْرِ . ومعناه
أَنَّهُ لم ينجح سعيه ، ولا ظفر بحاجته ، بمنزلة الرجل الطالب المرعى ، فصادف أرضا
مُغْبِرَةً الظهر مُجْدِيَةً ، لا كَلًّا فيها ولا ماء . والتصغير في المثل للتعظيم ، كقوله :
وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُويهيَّةٌ تَصْفِرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

جَاءَ وَقَدْ لَفَظَ لِحَامَهُ .

اللَّفَظُ الرَّمْيُ ؛ واللِّجَامُ معروف . فيقال : جَاءَ فُلَانٌ مِنْ حَاجَتِهِ وَقَدْ لَفَظَ
لِحَامَهُ ، إذا رجع منها وهو مجهود من الأعياء والعطش . ويقال أيضا : جَاءَ وَقَدْ دَلَقَ
لِحَامَهُ .

جَاءَ وَقَدْ قَرَضَ رِبَاطَهُ .

هذا كالذي قبله ، قاله أبو عُبَيْد . وقال غيره : أكثر ما يقال ذلك في الموت . يقال :
فُلَانٌ قَدْ قَرَضَ رِبَاطَهُ ، وَلَعَقَ أَصْبُعَهُ ، وَعَطَسَتْ بِهِ اللَّجْمُ ، وَضَحَا
ظِلُّهُ . كل ذلك يقال إذا مات .

جَاؤُوا قَضَهُمْ بِقَضِيهِمْ .

معناه جَاؤُوا جميعًا . يقال بنصب قَضَهُمْ على نيَّة المصدر أو الحال ؛ ويرفعه .

ويقال أيضا بفتح القاف وكسرهما . قال حصين بن الحمام المرِّي :
 وجاءتْ جِحَاشٌ قَضَّهَا بِقَضِيضِهَا وَجَمَعُ عَوَالٍ مَا أَدَقَّ وَالْأَمَّا (24)
 وَجِحَاشٌ - على مثل كِتَاب - أبو حيٍّ من غَطَفَانَ، وهو جِحَاشُ بن ثعلبة بن سعد بن
 ذُبْيَان بن بغيض بن ريث بن غَطَفَانَ، رَهط الشَّمَاخ . وقال الآخر :
 أَتَتْنِي سُلَيْمٌ قَضَّهَا بِقَضِيضِهَا تَمَسَّحُ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سَبَالَهَا (25)
 ويقال أيضا جَاؤُوا قَضَّهُمْ وَقَضِيضَهُمْ - بالواو - وقد قيل : الْقَضُّ : هو الصغير
 من الحصان، والقضيض : الكبير منه . والمعنى : جَاؤُوا صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ . وقيل
 الْقَضُّ بمعنى القاض، والقضيض بمعنى المقضوض .

ومما يلتحق بهذا الباب قولهم في الرجل :
 جُحِيشٌ وَحْدَهُ، وهو ذمٌّ ؛ والجُحِيشُ تصغير جَحَشٍ، وقد تقدّم . وقولهم :
 أَجَدَّ فُلَانٌ بِهَا أَمْرًا ! أي أَجَدَّ أَمْرُهُ بِهَا، بنصب أمر على التمييز، كما قالوا : قَرَرْتُ
 بِهَا عَيْنًا، أي قَرَرْتُ بِهَا عَيْنِي . وقولهم :

أَجِدَّكَ تَقُولُ هَذَا ؟

بنصب جدٍّ، أي أَبِجِدُ مِنْكَ ؟ فانتصب على طرح الباء ؛ أو : أَتَجِدُ جِدَّكَ ؟
 فانتصب على المصدر . قال الشاعر :
 أَجِدَّكَ مَا لِعَيْنِكَ لَا تَنَامُ ؟ كَأَنَّ جُفُونَهَا فِيهَا كِلَامُ !
 وقولهم :

أَجَدْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ قُرُونِي،

أي تركته . وقولهم :

جَعَلُوا الْأَرْضَ عَلَيْهِ حَيْصَ بَيْصٍ، وَحَيْصًا بَيْصًا.

أي ضَيَّقُوا عَلَيْهِ ومنعوه من التصرّف . وقولهم للرجل :

(24) ينسب البيت أيضًا لَأَوْس بن حجر، ويروى هكذا :
 وجاءتْ جِحَاشٌ قَضَّهَا بِقَضِيضِهَا
 (25) هذا البيت أنشده سيبويه للشماخ .
 بِأَكْثَرِ مَاكَانُوا عَدِيدًا وَأَوْ كَعُوا

جَعَدُ الْقَفَا،

أي لئيم الحسب .

وَجَعَدُ الْبَنَانِ،

أي بخيل، وقولهم :

جَاءَ بِالْأَمْرِ عَلَى قَنَادِيدِهِ،

أي من وجهه . وقولهم :

جَاءَ بِذَاتِ الرَّعْدِ وَالصَّلِيلِ،

أي جاء بالحرب، لأنَّ هديرها يشبه الرَّعْدَ، وفيها صليل السلاح، كما قال مُهَلِّهِلٌ :
فَلَوْ لَا الرِّيحُ أَسْمِعَ مَنْ بَنَجْدِ صَلِيلَ الْبَيْضِ تَقْرَعُ بِالذُّكُورِ
وقولهم :

جَاءَ بِالصُّقْرِ وَالْبُقْرِ

- على مثال زُفَرَ فيهما -، وبِالصُّقَارَى والبُقَارَى، بفتح الرَّاء فيهما مع ضمِّ الأوَّلِ،
أي بالكذب الصُّرَّاحِ، وهو اسم لما لا يُعرف . وقولهم :

جَاءَ بِهِ مِنْ حَسَّةٍ وَبَسَّةٍ،

مثلثي الأوَّلِ، أي من جهده وطاقته . وقولهم :

جَاءَ مُضْطَرَبَ الْعِنَانِ،

أي منهزمًا منفردًا . وقولهم :

جَاءَ وَلَكِنْ لَمْ يَجِيءْ لِعُصْرٍ

- بضمّ العين -، أي لم يَجِيءْ حِينَ الْمَجِيءِ.

ومن الأمثال المُحدّثة :

الجَوَابُ مَا تَرَى لَا مَا تَسْمَعُ !

وأصله أنّ أبا يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، أحد الملوك الموحّدين بمراكش، كان بينه وبين الأدفونش النصراني صاحب طليطلة - لعنه الله - مكاتبات . فكان منها رسالة كذب بها الأدفونش الى الأمير يعقوب يتوعّده ويتهدّده، ويطلب منه بعض الحصون من إنشاء وزيره ابن النجار، وهي :

« باسمك اللهمّ فاطر السماوات والأرض، وصلّى الله على السيّد المسيح، روح الله وكلمته الفصيح . أمّا بعد، فإنّه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب، وعقل لازب، أنّك أمير الملّة الحنيفيّة، كما أنا أمير الملّة النصرانيّة . وقد علمت ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل والتكاسل، وإهمالهم أمر الرعيّة، وإخلادهم الى [(26) الامنية . وأنا أسومهم بحكم القهر إخلاء الديار وإسباء الذراري وأمثك بالرجال، وأذيقهم عذاب الهون وشديد النكال . ولا عذر لك في التخلّف عن نصرتهم إذا أمكّنتك يدُ القدرة، وساعدك وعسا كرك وجنودك رأيّ وخبرة . وأنتم تزعمون أنّ الله تعالى قد فرض عليكم [قتال] (27) عشرة منا بواحد منكم، الآن خفف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضِعْفًا رحمةً منه ومنّا، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منّا، إذ لا تستطيعون دفاعًا، ولا تملكون امتناعًا . وقد حكي عنك أنّك أخذت في الاحتفال، وأشرفت على ربوة القتال، وتماطل نفسك سنة بعد أخرى، وتقدّم رجلا وتؤخّر أخرى . فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك، أم التكذيب بما وعدك به ربّك الى آخر الرسالة، وفيها طول . فلمّا وصل الكتاب الى أمير المسلمين مزّقه وكتب على قطعة منه : ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ . الجَوَابُ مَا تَرَى لَا مَا تَسْمَعُ ! وتمثّل ببيت أبي الطيّب في مدح سيف الدولة :

(26) بياض بالأصل

(27) سقطت كلمة « قتال » من ب.

ولا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ عِنْدَهُ ولا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرْمَرُ
ثمَّ ضرب السراقات من يومه بظاهر البلد، وأمر باستنفار الجيوش من الأمصار، وعبر من زقاق
سبته، ودخل بلاد الافرنج، فكسره كسرة شنيعة، وعاد بغنائمهم، رحمه الله تعالى . ثمَّ
رَأَيْتُ الحصري ذكر هذا الكلام عن المعتصم العباسي قال : كتب إليه ملك الروم كتابا
يتهدَّده فيه، فأمر بجوابه . فلما قرىء عليه لم يرض بما فيه، فقال لبعض الكتَّاب :
اكتب : أمَّا بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما تَضَمَّنَه خطابك، والجواب ما ترى لا ما
تسمع . وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبَى الدَّارُ . قال : وهذا نظير قول قَطَرِيَّ بن
الفُجَاءة الى الحجاج، وقد كتب إليه كتابا يتهدَّده فيه، فأجاب : أمَّا بعد، فالحمد لله
الذي لو شاء لجمع بين شخصيْنَا، فعلمت أين مَثَاقِفَةُ الرجال، من تسطير المقال، والسلام.
انتهى .

ومن معنى هذا المثل قول عنتره :

ومَكْرُوبٍ كَشَفْتُ الْكَرْبَ عَنْهُ بِطَعْنَةٍ فَيُصَلِّ لِمَا دَعَانِي⁽²⁸⁾
دَعَانِي دَعْوَةً وَالْخَيْلُ تَرْدِي فَمَا أَدْرِي أَبَاسْمِي أَمْ كَنَانِي ؟
فَلَمْ أَمْسِكْ بِسَمْعِي إِذْ دَعَانِي وَلَكِنْ قَدْ أَبَانَ لَهُ لِسَانِي
فَكَانَ إِيَّائِي إِيَّاهُ أَنِّي عَطَفْتُ عَلَيْهِ خَوَارَ الْعِنَانِ
بِأَسْمَرٍ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ لَدُنْ وَأَبْيَضَ صَارِمٍ ذَكَرَ يَمَانِ
أي : كان جوابي له، حين دعاني واستغاث بي، أن عطفت عليه فرسا خوار العنان⁽²⁹⁾، أي
سهل العنان، يعني مرتاضا قد اعتاد الدخول في الحروب والولوج في المضائق، وذلك
بأسمر إلخ....، أي برمح وسيف صفتها ما ذكر . ومنه قول الحماسي :
وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتِمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ
وقول الآخر :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَرَعٌ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَابِيبِ
أي الاجتهاد في نصرته . وقَرَعُ الظَّنْبُوبِ كناية عن ذلك، وقد تقدَّم .
ومن أمثال العامة قولهم :

(28) في مختار الشعر الجاهلي : بضربة فيصل..
(29) حرف « العنان » في ب فكتب فيها « النعاس ».

جَزَاؤُهُ عَلَى حِمَارِهِ .

وقولهم :

جَاءَ يُعِينُهُ فِي قَبْرِ أُمِّهِ فَهَرَبَ بِالْفَأْسِ .

ومعناها ظاهر .

ولنذكر في هذا الباب ما تيسر من الشعر . قال الحماسي محمد بن بشير :

كَمْ مِنْ فَتَى قَصُرَتْ فِي الزَّرَقِ خَطْوَتَهُ أَلْفَيْتَهُ بِسَهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا !
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالْصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَا⁽³⁰⁾
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا !
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنْ الْقَرَمِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا !
قَدَّرَ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا : فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلْجَا !⁽³¹⁾

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي :

لَا أَحْسِبُ الشَّرَّ جَارًا لَا يَفَارِقُنِي وَلَا أَحْزُ عَلَى مَا فَاتَنِي الْوُدْجَا
وَلَا نَزَلْتُ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَنْزِلَةً إِلَّا وَثَقْتُ بِأَنْ أَلْقَى لَهَا فَرْجَا
وَحَزَّ الْوُدْجَ : قَطَعَهُ . وَضَرِبَهُ مِثْلًا لِلْغَمِّ عَلَى مَا فَاتَ مِنْ عَرْضِ الدُّنْيَا .

وقال أبو تمام الطائي :

اصْبِرْ أَيْتَهَا النَّفْسُ : فَإِنَّ الصَّبْرَ أَحْبَا
نَهْنِهِيَ الْحُزْنَ فَإِنَّ الْحُزْنَ إِنْ لَمْ يَنْهَ لَجَا
وَالْبَيْسَى الْيَأْسَ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ الْيَأْسَ مَلْجَا
رُبَّمَا خَابَ رَجَاءُ وَأَتَى مَا لَيْسَ يُرْجَى

وقال أيضا يهجو يوسف السركاج :

وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُعْرِفُ مِنْ بَعِيدٍ إِذَا يَسْجُو، فَكَيْفَ إِذَا يُمُوجُ ؟

وقال الآخر :

(30) في الحماسة : فالصبر يفتق...

(31) في الحماسة : أبصير لرجلك...

وَإِنِّي لَأَغْضِي مُقْلَتِي عَلَى الْأَذَى
وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيِّقٌ
وَكَمْ مِنْ فَتَى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَجْهُهُ
وَقَالَ الْآخِر :

إِذَا تَضَايَقَ أَمْرٌ فَاَنْتَظِرْ فَرَجًا :
وَقَالَ الْآخِر :

رُبَّ أَمْرٍ عَزَّ مَطْلِبُهُ
وَقَالَ الْآخِر :

دِيَارٌ عَلَيْهَا مِنْ بَشَاشَةِ أَهْلِهَا
وَقَالَ الْآخِر :

رَأَى الْبَيْتَ يُدْعَى بِالْحَرَامِ فَحَجَّه
وَقَالَ الْآخِر :

عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَأَقَيْتُ شَرًّا
وَقَالَ الْآخِر :

كَمْ عَالِمٍ لَمْ يَلِجْ بِالْعِلْمِ بَابَ غِنَى
وَقَالَ الْآخِر :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِر :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا
وَقَالَ الْآخِر :

يَا نَفْسَ صَبْرًا فَعُقِبِي الصَّبْرَ صَالِحَةً
وَقَالَ الْآخِر :

وَلِي فَرَسٌ بِالْحِلْمِ لِلْحِلْمِ مُلْجَمٌ
فَمَنْ رَامَ تَقْوِيْمِي فَإِنِّي مُقَوِّمٌ

وَأَلْبَسَ ثَوْبَ الصَّبْرِ أَبْيَضَ أَبْلَجًا
عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكُ أَنْ يَتَفَرَّجَا
أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ اللَّهِ مَخْرَجًا !

فَأُضِيقُ الْأَمْرَ أَذْنَاهُ إِلَى الْفَرْجِ !
قَرَّبَتْهُ سَاعَةُ الْفَرْجِ

جَمَالٌ تَسْرُ النَّاطِرِينَ وَتُبْهِجُ
وَلَوْ كَانَ يُدْعَى بِالْحَلَالِ لَمَا حَجَّأ

لِخَيْرِكَ بَعْدَ ذَاكَ الشَّرُّ رَاجِعٌ (32)
وَجَاهِلٌ قَبْلَ طَرَفِ الْبَابِ قَدْ وَلَجَا !

وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكِ اللَّهُمَّ
وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورِ (33)

لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ الرَّحْمَانُ بِالْفَرْجِ !
وَلِي فَرَسٌ بِالْجَهْلِ لِلْجَهْلِ مُسْرَجٌ

وَمَنْ رَامَ تَعْوِيْجِي فَإِنِّي مُعَوِّجٌ
فِي جَمْعِ بَدَلٍ « لَاقَيْتُ » كَتَبَ : « رَأَيْتُ » ؛ وَفِي د : « لَقَيْتُ » ، وَكِلَاهُمَا غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ وَزْنَ .

وَمِنْ رَامَ تَعْوِيْجِي فَإِنِّي مُعَوِّجٌ
فِي ب وَ ج : وَفَازَ بِاللَّذَاتِ ...

69

وينسب هذا لمصالح بن جناح . وقبله :
لَنْ كُنْتُ مُحْتَاجًا إِلَى الْحِلْمِ إِنَّنِّي
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْجَهْلَ خِدْنًا وَصَاحِبًا
وَلِي فَرَسٌ بِالْخَيْرِ لِلْخَيْرِ مَلْجَمٌ
فَمَنْ رَامَ تَقْوِيْمِي... (البيت)

وبعده :

فَإِنْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ فِي سَمَاجَةٍ
وَنَحْوِهِ قَوْلَ النَّابِغَةِ الْجَعْدِي :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

إِذَا أَغْضَبْتَ ذَا كَرَمٍ تَخْطِئِي
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا ذَلَّ جَانِبُهُ
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

وَالْعَاقِلُ النَّحِيرُ مُحْتَاجٌ إِلَى أَنْ يَسْتَعِينَ بِجَاهِلٍ مُعْتُوهُ

وَقَوْلُ الْآخِرِ :

وَلَرْبَّمَا اعْتَصَدَ الْحَلِيمُ بِجَاهِلٍ : لَا خَيْرَ فِي يُمْنِي بَغَيْرِ يَسَارٍ !
وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْفَضْلِ يُوسُفُ بْنُ النَّحْوِيِّ ، قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ :

وَالرِّفْقُ يَدُومُ لِصَاحِبِهِ وَالْخُرْقُ يَصِيرُ إِلَى الْفَرْجِ
وَقَالَ :

وَخِيَارُ الْخَلْقِ هُدَاتُهُمْ وَسِوَاهُمْ مِنْ هَمَجِ الْهَمَجِ

(34) سقطت الباء من : اليك ببعض ... في ب.

ومن أظرف ما يحكى فيما يناسب هذا المعنى ما حَدَّثَ به عن الزهري قال : دخلت على عبد الملك بن مروان، فقال : من أين أقبلت يا زهري ؟ قال قلت : من مكّة . قال : فَمَنْ خَلَفَتْ بها يسود أهلها ؟ قلت ؟ عطاء بن أبي رباح . قال : فَمَنِ العرب أم من الموالي ؟ [قلت: من الموالي]⁽³⁵⁾ قال : وبِمِ سادهم ؟ قلت : بالديانة والرواية . فقال إِنَّ أَهْلَ الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا النَّاسَ . قال : فَمَنِ يسود أهل اليمن ؟ قلت : طاوس بن كيسان قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي . قال : فبِمِ سادهم ؟ قلت : بما ساد به عطاء . قال : مَنْ كان كذلك ينبغي أن يسود النَّاسَ . قال : فَمَنِ يسود أهل مصر ؟ قلت : يزيد بن أبي حبيب . قال : فمن العرب أم الموالي ؟ قلت : من الموالي . فقال كما قال في الأوّلين . قال فَمَنِ يسود أهل الشام ؟ قلت : مكحول الدمشقي . قال : فمن العرب أم الموالي ؟ قلت : من الموالي، عبد نوبيّ اعتقته امرأة من هُذَيْل . فقال كما قال . ثمَّ قال: فَمَنِ يسود أهل الجزيرة ؟ قلت ميمون بن مهران . قال : من العرب أم من الموالي ؟ قلت من الموالي . فقال كما قال . ثمَّ قال : فَمَنِ يسود أهل البصرة ؟ قلت : الحسن بن أبي الحسن البصري . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت من الموالي . قال : ويُلَكَ ! فَمَنِ يسود أهل الكوفة ؟ قلت : إبراهيم النخعي . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت : من العرب . فقال : ويُلَكَ يا زهري ! فرَجَّتْ عَنِّي واللّه ! : تسودون الموالي على العرب حتّى يخطب بها على المنابر وإنَّ العرب تحتها ! قال قلت : يا أمير المؤمنين، أمر اللّه ودينه . فَمَنِ حفظه ساد، وَمَنْ ضيّعه سقط !

وقالت جارية من العرب ماتت أمّها وأضرّت بها زوجة أبيها :
ولو يأتني رسولي أمّ سعد
أتى أمّي ومن يعنيه حاجر
ولكن قد أتى من بين ودّي
وبين وداده غلق الرّجاج
ومن لا يؤذيه ألم برأسي
وما الرّئمان إلا بالنّجاج
وقالت أمّ الضّحّاك المحاربيّة :

حديثٌ لو أنّ اللّحم يصلّى بحرّه
طريّا، إذا أضحى به وهو منضجٌ
وكانت تحت رجل من الضباب وهي تحبّه حبّا شديدا، ثمَّ طلقها فقالت :

(35) سقط ما بين معقوفتين من ب.

هَكَ الْقَلْبُ إِن لَاقَى الضَّيْبَابِيَّ خَالِيًا
وَأَعَجَلْنَا قُرْبُ الْمَزَارِ وَبَيْنَنَا
حَدِيثٌ لَوْ أَنَّ اللَّحْمَ (الْبَيْت)
وَقَالَ الْآخِر :

لَدَى الرُّكْنِ أَوْ عِنْدَ الصَّفَا مُتَحَرِّجٌ ؟
حَدِيثٌ كَتَشْنِيجِ الْمَرِيضِ مُزَعَجٌ

لَقَدْ عَلِمْتُ أُمُّ الصَّبِيِّينَ أَنَّنِي
إِذَا الْمُرْغِثُ الْعَوْجَاءُ بَاتَ يَعْزُّهَا
وَأَنِّي لِأَعْلِي اللَّحْمَ نِيًّا وَإِنَّنِي
يُرِيدُ : إِنِّي أَخَذَهَا جَيِّدَةً غَالِيَةَ الثَّمَنِ، فَأَنْحَرَهَا وَأَخْلَى بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّاسِ تَهَاوُنًا بِهَا،
كَمَا قَالَ الْآخِر :

وَأَنِّي لِأَعْلِي لَحْمَهَا وَهِيَ نِيَّةٌ
وَقَالَ الْحَارِثُ الْيَشْكُرِي :

قُلْتُ لِعَمْرُو حِينَ أُرْسَلَتْهُ
لَا تَكْسَعِ الشُّوْلَ بِأَعْبَارِهَا :
وَاصْبُبْ لِأَضْيَافِكَ أَلْبَانَهَا
يَقُولُ : لَا يُبْقِ اللَّبَنُ فِي ضَرْعٍ هَذِهِ النُّوقُ ! وَالْأَعْبَارُ جَمْعُ غُبَرٍ وَهُوَ بَقِيَّةُ اللَّبَنِ فِي
الضَّرْعِ، كَانَتْ الْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ لِسَمَنِ الْأَوْلَادِ الَّتِي فِي بَطُونِهَا . وَاصْبُبْهُ لِلنَّاسِ، فَإِنَّكَ
لَا تَدْرِي مَنْ يَنْتَجِعُهَا، وَلَعَلَّكَ تَمُوتُ فَيَبْقَى ذَلِكَ لِلوَارِثِ ! وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِر :

وَإِنْ دَرَّتْ نِيَّاقُكَ فَاحْتَلِبِهَا
وَهَذَا كَمَا فِي الْحَدِيثِ : يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي، وَمَالِكٌ مِنْ مَالِكٍ إِلَّا مَا
أَكَلْتُ فَأَفْنَيْتُ، أَوْ لَبِسْتُ فَأَبْلَيْتُ، أَوْ أُعْطِيتُ فَأَمْضَيْتُ . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّمْرِ
ابْنِ تَوَلَّبَ :

أَعَاذُكَ إِنْ يُصْبِحَ صَدَائِي بِقَفْرَةٍ
تَرِي أَنَّ مَا أَبْقَيْتُ لَمْ أَكُ رَبَّهُ
وَذِي إِبِلٍ يَسْعَى وَيَحْسِبُهَا لَهُ
غَدَتُ وَغَدَا رَبُّ سِوَاهُ يَقُودُهَا
بَعِيدًا نَأْنِي صَاحِبِي وَقَرِيبِي
وَأَنَّ الَّذِي أَنْفَقْتُ كَانَ نَصِيبِي
أَخِي نَصَبٍ فِي رَعِيهَا وَدُؤُوبٍ
وَبُدْكَ أَحْجَارًا وَجَالَ قَلْبِي

(36) حُرِفَتْ كَلِمَةُ « الْمَرْغُثُ » فَكُتِبَتْ فِي ج : « الْمَرْعَبُ » وَفِي د : « الرِّغْثُ » .

قوله : جال قليب، الجالُ : النَّاحِيَّةُ، كما قال مُهَلِّل :

كَأَنَّ رَمَاحَهُمْ أَشْطَانُ يَبْرُ بِعِيدٍ بَيْنَ جَالَيْهَا جَرُورُ
ومنه قول الآخر أيضا :

قَاتِنُوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ
وبإفعالنا إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الْخُلْدُ !
وقول حاتم :

أَمَاؤِيَّ إِن يُصْبِحَ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ
تَرَى أَنَّ مَا أَبْقَيْتُ لَمْ أَكُ رَبَّهُ
وقال ابن فارس اللغوي :

وقالوا : كيف أنت ؟ فقلت خير :
إذا ازدحمت هُموم الصدر قلنا :
نديمي هِرَّتِي وَسُرُورُ قَلْبِي
وقال ابو محمد الحريري :

تَعَارَجْتُ لَا رَغْبَةَ فِي الْعَرَجِ
وَأَلْقَيْ حَبْلِي عَلَى غَارِبِي
فإِنَّ لَامَنِي الْقَوْمُ قَلْتُ : اَعْذَرُوا
وقال أيضا :

ما الحجُّ سَيْرُكَ تَأْوِيْبًا وَإِدْلَاجًا
الحجُّ أَنْ تَقْصِدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ عَلَى
وَتَمْتَطِي كَاهِلَ الْإِنصَافِ مَتَّخِذًا
وَأَنْ تُوَاسِيَ مَا أُوتِيتَ مَقْدَرَةً
فهذه إِنْ حَوَتْهَا حَجَّةٌ كَمَلْتَ
حَسْبُ الْمُرَائِينَ غَبْنًا أَنَّهُمْ غَرَسُوا
وَأَنَّهُمْ حُرِّمُوا أَجْرًا وَمَحْمُودَةً
أَخِي فَابْغِرْ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ قُرْبِ

(37) زبدت الواو في أول البيت في ب و د، فكتب فيهما : والحج..

(38) في ب و د : ..والحج منهجًا، وهو تحريف.

(39) حرف الشطر الأخير فكتب في ج : « وما جنوا وأتوا كربًا وإزعاجا » وفي د : « وما جنوا وأتوا كذبًا وإزعاجا ».

(40) حرفت كلمة « أخى » المصغرة فكتبت في د : « أخا ».

فَلَيْسَ تَخْفَى عَلَى الرَّحْمَانِ خَافِيَةٌ
وَبَادِرِ الْمَوْتَ بِالْحُسْنَى تَقْدِمُهَا :
وَاقْنِ التَّوَاضُّعَ خَلْقًا لَا تَزَالُهُ
وَلَا تَشْمِ كُلَّ خَالٍ لَاحَ بَارِقُهُ
مَا كُلُّ دَاعٍ بِأَهْلٍ أَنْ يُصَاحَ لَهُ
وَمَا اللَّيْلِبُ سِوَى مَنْ بَاتَ مُقْتَنِعًا
فَكُلُّ كُنْثَرٍ إِلَى قُلَّةٍ مَغْبَتَّةٍ

وقال أيضا في وصف سرّوج :

بَلَدَةٌ يُوجَدُ فِيهَا
وَرْدُهَا مِنْ سَلْسَبِيلٍ
وَبَنُوها وَمَغَانِيهِمْ
حَبْذَا نَفْحَةٍ رِيًّا
وَأَزَاهِيرُ رُبَاهَا

وقال الآخر :

لَوْ رَكِبْتُ الْبُحُورَ صَارْتُ فُجَاجًا
وَلَوْ أَتَيْتُ وَضَعْتُ يَا قُوَّةَ حَمَاءٍ
وَلَوْ أَتَيْتُ وَرَدْتُ عَذْبًا فُرَاتًا
ومثله قول الآخر :

لَوْ وَرَدْتُ الْبَحَارَ أَطْلُبُ مَاءً
أَوْ لَمَسْتُ الْعُودَ النَّصِيرَ بِكَفِّي
أَوْ رَمَى بِاسْمِي النَّجُومَ الدَّرَّارِي
وَلَوْ إِنِّي بَعْتُ الْقَنَادِيلَ يَوْمًا

إِنْ أَخْلَصَ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَاتِ أَوْ دَاجَى
فَمَا يُنْهِنُهُ دَاعِي الْمَوْتِ إِنْ فَاجَا
عَنْكَ اللَّيَالِي وَلَوْ أَلْبَسْنَاكَ التَّاجَا (41)
وَلَوْ تَرَأَى هَتُونَ السَّكْبِ ثَجَّاجَا !
كَمْ قَدْ أَصَمَّ بِنَعْيٍ بَعْضُ مَنْ نَاجَى !
بِبُلْغَةٍ تُدْرَجُ الْأَيَّامُ إِدْرَاجَا
وَكُلُّ نَازِلٍ إِلَى لَيْلٍ وَإِنْ هَاجَا (42)

كُلُّ شَيْءٍ وَيَرُوجُ
وَصَحَارِيهَا مُرُوجُ
نُجُومٌ وَبُرُوجُ
هَا وَمَرَاهَا الْبَهِيحُ
حِينَ تَنْجَابُ الثَّلُوجُ (43)

لَا تَرَى فِي مُتُونِهَا أُمُوجًا
فِي رَاحَتَيَّ صَارَتْ زُجَاجَا
عَادَ لَا شَكَّ فِيهِ مِلْحًا أَجَاجَا

جَفَّ قَبْلَ الْوُرُودِ مَاءُ الْبَحَارِ
لَذَوَى بَعْدَ نَضْرَةٍ وَاخْضِرَّارِ (44)
لَانْزَوَى ضَوْؤُهَا عَنِ الْأَبْصَارِ
لَبَدَا اللَّيْلُ فِي نَضِيَاءِ النَّهَارِ (45)

(41) حرفت كلمة « عنك » فكتبت في ب و د : « عند ».

(42) حرفت كلمة « ناز » في ب و د، فكتبت فيهما « نار ». وسقط البيت الأخير من ج.

(43) حرفت كلمة « ربها » في د، فكتبت فيها « ربه ».

(44) في د : « نظرة » وهو تصحيف.

(45) في ب : « لعدى الليل... » وفي د : « لددي الليل...! »

وقول الآخر :

ولم يَصِفْ لي من بحرهِ العذبِ مشربُ
فزوَجَنيها الفقرُ إذ جيئتُ أخْطُبُ
عليَّ جَنّا حينَ لما لاحَ كوكبُ
لأقبلُ ضوءَ الشَّمسِ من حيثِ يغربُ
لعدتُ الى رحلي وفي الكفِّ عقربُ
بشيءٍ سوى الحَصْبَاءِ رأسي يُحْصَبُ
فإن برأسي ذاكَ الذَّنْبُ يُعْصَبُ
وإن أُرْ شَرًّا فهو مِنِّي مُقَرَّبُ
ومنه ورأيتُ جَحْفَكَ حينَ أركبُ

وقول الآخر :

ويا مُوسَى ويا كافورُ !
الضَّيْعَةُ بُرٌّ مُوفَّرٌ وشَعِيرُ
جلدٌ على البَلَايا صَبُورُ
وقَمِيصٌ أَتَتْ عَلَيْهِ الدُّهُورُ !

وجِمَاحُ الزَّمانِ بالأَكْيَاسِ
ولكنَّني من النَّسَنَاسِ
تخطئُ الانامُ تَطْلُبُ رأسي
بِعيني من شِدَّةِ الافلاسِ !

فلَم يَعرُ على أَحَدٍ طِلابي
سَماءُ اللَّمِ أو قِطْعُ السَّحابِ
عليَّ مُسلِّماً من غيرِ بابِ
يَكُونُ مِنَ السَّمَاءِ إلى التُّرابِ
أؤمِّلُ أن أشُدَّ بِهِ ثِيَابي

ولمّا التَمَسْتَ الرِّزْقَ فانجذَ حبلُهُ
خَطَبْتَ الى الاعدامِ إحدى بَنَاتِهِ
فلو تَهتُ في البَيْداءِ والليلِ مسبلُ
ولو خِفْتُ شَرًّا فاستَتَرْتُ بظُلْمَةٍ
ولو جادَ إنسانٌ عليَّ بدرهمٍ
ولو يُمَطِّرُ النَّاسُ الدَّنَانِيرَ لم يكنِ
وإن يَقتَرِفُ ذَنْبًا بِبِرْقَةٍ مُذنبُ
وإن أُرْ خيراً في المَنامِ فَنازِحُ
أمامي من الحِرمانِ جيشُ عَرَمِ

وقول الآخر :

أحمدُ الله لَم أَقلَّ قطُّ يابدرُ
لا ولا قِيلَ قَد أَتاكَ مِنِ
أنا خِلوُ من المَمالِكِ والأَملاكِ
ليسَ إلّا كُسيْرَةٌ وَقُدَيْحُ

وقول الآخر :

سَكَّ عن الرِّزْقِ يا أبا العَبَّاسِ
لو مِن النَّاسِ ساعدني الدَّهْرُ
لو هوتْ صَخْرَةٌ من الجوّ جاءتْ
لا وحَقُّ الاله ما أَبْصِرَ الشَّمْسُ

وقول الآخر :

بَرَزْتُ من المَنازِلِ والقِيَابِ
فمنزليَ الفِضاءِ وسَقْفُ بيتي
فأنتِ إذا أردتِ دَخَلْتَ بيتي
لأَنِّي لَم أَجدِ مِصراعَ بابِ
ولا انشَقَّ الثَّرى عَن عودِ تَخْتِ

ولا خِفْتُ الْإِبَاقَ عَلَى عَبِيدِي ولا خِفْتُ الْهَلَكَ عَلَى دَوَابِي
وفي ذَا رَاحَةً وَفَرَاغٌ بَالٍ فدَابُّ الدَّهْرِ ذَا أَبَدًا ودَابِي
وقول الآخر :

قَدْ أَرَامَ اللَّهُ مِنْ هَمٍّ طَوِيكَ وَعَذَابِ
فَاسْتَرْحْنَا مِنْ عِيَالٍ وَعَبِيدٍ وَدَوَابٍ !
وَعُدُّوْا وَرَوَّاحٍ وَهَجَاءٍ وَعِتَابِ
وقول الآخر :

كَسَدْتُ شَوَاشِينَا وَقَلَّ مَعَاشُنَا فَسُعِدْنَا مَقْرُونَةً بَنُحُوسٍ
فَكُنَّا قُطْعَتِ رُؤُوسِ النَّاسِ أَوْ خُلِقُوا لَشُقُوتِنَا بَغِيرِ رُؤُوسِ !
وقول الآخر :

أَنَا فِي حَالٍ تَعَالَى اللَّهُ رَبِّي أَيَّ حَالٍ :
لَيْسَ لِي شَيْءٌ إِذَا قِيلَ لِمَنْ ذَا قُلْتُ : ذَالِي
فَأَرْضِي اللَّهَ فَرَشِي وَالسَّمَاءَاتِ ظِلَالِي
وَلَقَدْ أَهْزَلْتُ حَتَّى (45م) مَحَتِ الشَّمْسُ خِيَالِي
وَلَقَدْ أَفْلَسْتُ حَتَّى حَلَّ أَكْلِي بَعِيَالِي :
مَنْ رَأَى شَيْئًا مُحَالًا فَأَنَا نَفْسُ الْمُحَالِ !
لَوْ بَقِيَ فِي النَّاسِ حُرٌّ لَمْ أَكُنْ فِي مِثْلِ حَالِي
وقول الآخر :

لَيْسَ إِغْلَاقِي لِبابِي أَنْ لِي فِيهِ مَا أَخْشَى عَلَيْهِ السَّرْقَا
إِنَّمَا أَغْلَقُهُ كَيْ لَا يَرَى سُوءَ حَالِي مَنْ يَمُرُّ الطَّرْقَا
مَنْزَلٌ أَوْطَنَهُ الْفَقْرُ فَلَوْ يَدْخُلُ السَّارِقُ فِيهِ سُرْقَا !

وقيل لبعض أجلاف المشائيم : كيف المعاش ؟ فقال : يوما يُرْزَقُ ويوما لا يُرْزَقُ . وليته هو مضروبٌ ألف سوط وأنَّ اللَّهَ لم يخلقه ! وقيل له : فلعلَّ اللَّهَ قد ذَخَرَ لك بهذا أجرًا في الآخرة . فقال : أيُّهما أكرم على اللَّهَ، الدنيا أم الآخرة ؟ ف قيل له : الآخرة . فقال : هو لم يعطيني الهيئة عليه، فيعطيني تلك الكريمة عليه !

(45م) في المخطوطات : «ولقد أمرست حتى...» وهو خطأ. والتصويب عن ديوان أبي الشمقف.

وقيل لآخر : أتعرف ربك ؟ فقال . وكيف لا أعرف من أجاعني وأعراني ؟ وقيل لآخر، وقد رُئي مغتمًا : ما غمك ؟ فقال : سوء الحال، وكثرة العيال . فقيل له : لا تغتم، فإنهم عيال الله . فقال : صدقتم، ولكن كنت أحب أن يكون الوكيل عليهم غيري !

وقال بعضهم : كان لآدم عليه السلام غلام يخدمه، فنحن معاشر المحارفين من نسل ذلك الغلام، ولا نسب بيننا وبين آدم : فإن الله يقول : وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ (الآية) . وليس فينا ولا عندنا شيء من هذه الخصال، فلو كنا بني آدم لكان لنا حظ من هذه الأشياء !

واستقى قوم يوم خميس فمطروا . فنظر إليهم بعض المشائيم، وهم منصرفون فرحين بالسقيا، فقال : والله ما بي إلا أنهم يظنون أن الله استجاب لهم . والله ما مطروا إلا أنني غسلت ثيابي اليوم، والله ما غسلتها قط إلا تغيمت السماء ومطرت ! ولا بأس، فليرجعوا الى خميس آخر : فإن مطروا فليحلقوا لحياتي !

وقال أبو العباس أحمد المقري الفاسي يخاطب التاج التونسي :

والله ما أنصفتنا يا تاج : فسقامنا لدوائكم محتاج !

فقضية قد ركبت بشروطها أفمكمين أن يخلف الانتاج ؟

وقال الآخر :

ولم أر شيئا بعد ليلي الذئ ولا منهلا أروى به فأعيج

يقال : ما عجت بالدواء، أي لم انتفع به . ويزعم كثير من اللغويين والنحويين أنه لا يستعمل إلا في النفي، كما مثلنا، وكما في قول كثير :

فما نفعت نفسي بما أمروا به ولا عجت من أقوالهم بفتيل

والبيت المذكور يرده، إلا أن يتأول أنه لما كان الموصوف منفيًا كانت الصفة وما عطف عليها أيضا في معنى النفي، والله أعلم.

وقال الآخر في الأوصاف :

في ليلة أكل المحاق هلالها حتى تبدى مثك وقف العاجر

والصبح يتلو المشتري فكأنه عريان يمشي في الدجا يسراج

ومثله قول الآخر :

يارب ليك رقبناه وقد طلعت بقية البدر في أولى بشائره

كأنما أدهم الاظلام حين نجا بن أشهب الصبح خلّى نعل حافره

وقول الآخر :

هَارِبًا وَالصُّبْحُ قَدْ لَاحَا
عَامِدٌ أَوْقَدَ مِصْبَاحًا

فَكَانَ اللَّيْلُ حِينَ لَوَى
كِلَّةٌ سَوْدَاءُ أَحْرَقَهَا

وقول الآخر :

كَطْرِفٍ أَبْلَقَ تَحْتَ الْجِلَالِ
فَرَائِسُفْنِ أَلْبَابِ الرَّجَالِ

سَرَى وَالصُّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ
بِكَاسٍ مِنْ زُجَاجٍ فِيهِ أَسَدٌ

وقول الآخر :

وَضَوْءُ الصُّبْحِ مُهْتَمُّ الطُّلُوعِ
عَلَى أَكْتَافِهِمْ صَدَا الدُّرُوعِ

وَفَتِيَانِ سَرَوْا وَاللَّيْلُ دَاجٍ
كَانَ بَزَاتِهِمْ أَمْرَاءُ جَيْشٍ

وقال الآخر :

وَعَجُوزٌ تَسْرُنَا فِي الْمِزَاجِ
ثَأْرَهَا بَيْنَ أَرْجُلِ الْأَعْلَاجِ

لَفَتَاةٌ تَسْرُنَا فِي الْمَثَانِي
أَخَذَتْ مِنْ رُؤُوسِ قَوْمٍ كِرَامِ

ومثله قول أبي بكر بن زُهر :

قَدْ غَالَهُمْ ضَوْءُ الصَّبَاحِ وَغَالَنِي
حَتَّى سَكَرْتُ وَنَالَهُمْ مَا نَالَنِي
إِنِّي أُمِلْتُ إِنْاءَهَا فَأَمَالَنِي

وَمُوسِدِينَ عَلَى الْأَكْفِ خُدُودَهُمْ
مَا زِلْتُ أَسْقِيهِمْ وَأَشْرَبُ فَضْلَهُمْ
وَالْخَمْرُ تَحْسُنُ كَيْفَ تَأْخُذُ ثَأْرَهَا :

وقال الآخر :

خَمْرُ الصَّبَا مُزِجَتْ بِصَفْوِ خُمُورِهِ
مُتَضَارِعِينَ تَخَشُّعًا لِكَثِيرِهِ
كَالْخَشْفِ خَفَرُهُ التَّمَاهُ خَفِيرِهِ
فَأَمَالَ مِنْ رَأْسِي لَعَبٌ كَبِيرِهِ
فَفَتَحْتُ مِنْ عَيْنِي لِرَجْعِهِ هَدِيرِهِ

وَلرُبَّ حَانٍ قَدْ أَدْرْتُ بَدِيرِهِ
فِي فَتِيَةٍ جَعَلُوا الزُّقَاقَ وَكَاءَهُمْ
يُهْدِي إِلَيْنَا الرَّاحَ كُلُّ مُصَفَّقٍ
وَالِي عَلَيَّ بِطَرْفِهِ وَبِكَفِّهِ
وَتَرَنَّمَ النَّاقُوسُ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ

والشعر في أوصاف الخمر كثير، وأكثره يتنزه عن ذكره، وسيأتي كثير منه.

وقال أبو الفرج جعفر اليماني⁽⁴⁶⁾

(46) في ج و د : وقال أبو جعفر اليماني

عَارِضٌ أَقْبَلَ فِي لَيْلِ الدُّجَى
بَدَّدَتْ رِيحُ الصَّبَا لَوْلُوهُ
ومثله قول ابن الخطيب :

أَخْفَى مَسَالِكَهَا الظَّلَامُ فَأَوْقَدَتْ
وَكَأَنَّ صَوْتَ الرَّعْدِ خَلْفَ سَحَابِهَا
وتقدّم استيفاء هذا المعنى في الباب الأول . وقال الآخر :

قَالُوا : تَبَدَّى شَعْرُهُ، فَأَجَبْتُهُمْ :
وَالْبَدْرُ أَبْهَرُ مَا يَكُونُ ضِيَاؤُهُ
ومن هذا المعنى قول الآخر :

وَمُهَفَّفٍ عِلْقَ السَّقَامِ بِطَرْفِهِ
مَرَّقَتْ أَسْتَارَ الظَّلَامِ بِثَغْرِهِ
وقال ابن صارة :

وَمُهَفَّفٍ أَبْصَرْتُ فِي أَطَوَاقِهِ
يَقْضِي عَلَى الْمُهْجَاتِ مِنْهُ صَعْدَةٌ
وقول الآخر :

وَمُعْذَرٍ عَبَثَ الْعِذَارُ بِخَدِّهِ
كُسِفَتْ مَحَاسِنُهُ لِأَرْبَعِ عَشْرَةٍ
وقال ابن رشيق :

هَمَّتْ عِذَارَاهُ بِتَقْبِ يَلِهِ
وَقَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقِهَا
فَذَلِكَ الْمُحْمَرُّ مِنْ خَدِّهِ
وقول الآخر :

وَأَغْيَدَ مِنْ أَبْنَاءِ لَمْطَةِ شَادِنِ
ذُو أَبْتَتِهِ مُهْرَاقَةً خَلْفَ ظَهْرِهِ

(47) سقطت كلمة . ليل من ب و د . وكتب في هامش د : « لعله : جنم الدجا » .

وقول الآخر :

ومُهْفَهْفٍ كَالْغُصْنِ إِلَّا أَنَّهُ
أُصْحَى يَنَامُ وَقَدْ تَوَرَّدَ خَدُّهُ

وقول الآخر :

غَزَالُ إِنْسٍ كَمِ اسْتَدْنَيْتَهُ فَنَأَى
طَالَتْ عَلَيَّ لَيَالٍ مِنْ هَوَاهُ كَمَا

وقول الصنوبري :

مَا أَخْطَأْتُ نَوَاتَهُ مِنْ صُدْغِهِ
فَكَأَنَّمَا أَنْقَاسُهُ مِنْ شَعْرِهِ

وهذا المعنى كثير . وقال الآخر :

كَأَنَّ الثَّرِيَّاءَ هَوْدَجٌ فَوْقَ نَاقَةٍ
وَقَدْ لَمَعَتْ حَتَّى كَأَنَّ بَرِيقَهَا

ومثله قول الآخر :

كَأَنَّ الثَّرِيَّاءَ رَاحَةً تَشْبُرُ الدُّجَى
عَجَبْتُ لِلَّيْلِ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ

وقول الآخر :

كَأَنَّ بَهْرَامَ وَقَدْ عَارَضَتْ
يَا قُوَّةً يَعْضُهَا بَائِعٌ

وقول الآخر :

وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثَّرِيَّاءُ كَمَا تَرَى

وقال الآخر :

وْغَرِيبَةِ الْإِنْشَاءِ صِرْنَا فَوْقَهَا
عَجَبًا تَوَّمُّ بِهَا مَعَاهِدُنَا الَّتِي

وَقَدْ اسْتَطَالَ النُّورُ فَوْقَ الْمَاءِ مِنْ
فَكَأَنَّ مَتْنِ الْبَحْرِ ذَائِبُ فَضَّةٍ

سَلَبَ التَّثَنِّي النَّوْمَ عَنْ أَثْنَائِهِ
عَرَقًا فَقُلْتُ : الْوَرْدُ رُشٌّ بِمَائِهِ !

عَنِّي وَأَعْرَضَ مُزُورًا بِجَانِبِهِ !
طَالَتْ عَلَيْهِ لَيَالٍ مِنْ ذَوَائِبِهِ

شَيْئًا وَلَا أَلِفَاتُهُ مِنْ قَدِّهِ
وَكَأَنَّمَا قِرْطَاسُهُ مِنْ خَدِّهِ

يَخْبُ بِهَا حَادٍ إِلَى الْغَرْبِ مُزْعَجٌ
قَوَارِيرُ فِيهَا زَيْفٌ مُتَدَرِّجٌ

لَتَخْبُرَ طَالِ اللَّيْلِ أَمْ قَدَّعَرَضًا
يُقَاسُ بِشِيرٍ كَيْفَ يُرْجَى لَهُ انْقِضَا

مِنْهُ الثَّرِيَّاءُ نَظَرَ الْمُشْتَرِي
فِي كَفِّهِ وَالْمُشْتَرِي مُشْتَرِي

كَعُنُقُودٍ مَلَا حَيَّةٍ حِينَ نَوْرًا

وَالْبَحْرِ يَسْكُنُ تَارَةً وَيَمُوجُ
كَرُمَتْ فَعَاجِ الْأَنْسُ حَيْثُ نَعُوجُ !

شَمْسُ الْأَصِيلِ فَلَاحَ وَهُوَ بِهِجُ
قَدْ سَالَ فِيهِ مِنَ النُّضَارِ خَلِيجُ

ومثله قول الآخر :

لو أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ زَوْرَقَ فَتْيَةٍ
وَقَدْ اسْتَدَارُوا تَحْتَ ظِلِّ شُعَاعِهِ
لَحَسْبَتْهُ خَوْفَ الْعَوَاصِفِ طَائِرًا
وقال ابن الخطيب :

إِنَّ الْهَوَى لَشِكَايَةٌ مَعْرُوفَةٌ
وَالنَّفْسُ إِنْ أَلِفَتْ مَرَارَةَ طَعْمِهِ
وقال البستي :

يَا سَائِلًا عَنْ مَذْهَبِي عَامِدًا
مِنْهَاجِي الْعَدْلُ وَقَمْعُ الْهَوَى :
وقال أبو الحسن بن رشيق :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ فِي السَّفِينَةِ وَالرَّدى
وَالْجَوِّ يَهْطُلُ وَالرِّيَّاحُ عَوَاصِفُ
وَعَلَى السَّوَاكِحِ الْأَعَادِي غَارَةٌ
وَعَلَتْ لِأَصْحَابِ السَّفِينَةِ ضَجَّةٌ
ومثله، وهو أصله، قول عنتره :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَّاحُ نَوَاهِلُ
وقول الأَرَجَانِي :

وَأَنْتِي لِأَرْعَاكُمُ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى
وقول الآخر :

أَلَا مِنْ مُبْلَغُ الْمَحْبُوبِ أَنْتِي
وَأَنْتِي جُلْتُ فِي جَيْشِ الْأَعَادِي
وقول الآخر :

أَرْسَلْتُهَا وَالْعَوَالِي فِي الطَّلَا تَرْدُ
وَمَا نَسَيْتُكَ وَالْأَرْوَاحُ سَائِلَةٌ

يُبْدِي لَهُمْ لِمَحْ السُّرُورِ مِرَاحَهُ
كُلُّ يَمْدُ بِكَأْسِ رَاحٍ رَاحَهُ
مَدَّ الْحَنَانُ عَلَى بَنِيهِ جَنَاحَهُ

صَبْرُ التَّصَبُّرِ مِنْ أَجْلِ عِلَاجِهَا
يَوْمًا ضَمِنْتَ لَهَا صَلاحَ خِرَاجِهَا

لِيقْتَدِي فِيهِ بِمِنْهَاجِي
فَهْكَ لِمِنْهَاجِي مِنْ هَاجِرِ ؟

مُتَوَقِّعٌ بِتَلَاطُمِ الْأَمْوَاجِ
وَاللَّيْلِ مُسَوِّدُ الذَّوَائِبِ دَاجِرِ
يَتَوَقَّفُونَ لِعَارَةِ وَهْيَاجِ
وَأَنَا وَذَكَرَكَ فِي أَلَذِّ تَنَاجِرِ

مَنْيَ وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ بِالْدَمِّ

وَأَذْكُرْكُمْ بَيْنَ الْقَنَا وَالْقَنَابِلِ

وَقَفْتُ وَلِلظُّبَا حَوْلِي صَلِيلُ
بِرُمَحٍ وَهُوَ فِي ذِكْرِي يَجُولُ ؟

فِي مَوْقِفٍ فِيهِ يَنْسَى الْوَالِدَ الْوَلَدُ
عَلَى السُّيُوفِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَتَقَدُّ

وقوله :

من حولنا والسّمهرية شرّع
شوقٌ إليك تضيقُ عنه الأضلعُ
حِفْطُ الودادِ فكيفَ عنه أرجعُ ؟

ولقد ذكرتكَ والصّوارمُ لَمَعُ
وعلى مكافحةِ العدوِّ ففي الحشا
ومن الصّبا وهلمَّ جرّاً شيمتي
وقول الصفيّ الحليّ :

مَطْلُ الغنيّ وسوءُ عيشِ المُعسرِ
منا وبين مُعَفَّرٍ في مِغْفَرٍ⁽⁴⁸⁾
بضياءِ وجهك أو مساءٍ مُقْمِرِ
فُتِقَتْ لنا ريحُ الجِلادِ بعنبرِ

ولقد ذكرتكَ والعجاجُ كأنّه
والشمسُ بين مُجدَلٍ في جندَلٍ
فَظَنَنْتُ أنِّي في صباحٍ مُسفرِ
وتعطّرتُ أرضُ الكفاحِ كأنّما
وقوله أيضاً :

كالسُحبِ من وبلِ النَّجيعِ وطلّهِ
في موقفٍ يخشى الفتى من ظلّه

ولقد ذكرتكَ والسّيوفُ مواطِرُ
فَوَجَدْتُ أنسا عندَ ذكركَ كاملاً
وقوله أيضاً :

تحت السّنايكِ والأكفُ تطيرُ
فكأنّها فوق النّسورِ نُسورُ
وبَدَت عليّ بشاشةٌ وسُرورُ
والرّاحُ تَجلى والكؤوسُ تدورُ

ولقد ذكرتكَ والجماجمُ وقَعُ
والهام في أفقِ العجاجةِ حوَمُ
فاعتادني من طيبِ ذكركَ نشوةُ
فَظَنَنْتُ أنِّي في مجالسٍ لذّتي
وقول أثير الدين بن حيّان :

أمواجه والورى منه على سَفَرِ
وغار كوكبها عن أعينِ البَشَرِ
والبرقُ يستلُّ أسيافاً من الشّررِ
عيناً وقد أطبقت شعراً على شَفَرِ
صدري فيالكَ من وردٍ يلا صدر !
وفي فؤادي وفي سَمعي وفي بَصري

لقد ذكرتكَ والبحر الخضمُّ طَغَت
في ليلةٍ أسدلت جِلبابَ ظُلمتها
والماء تحت وفوق المِزنِ واكفه
والفُلكُ في وسطِ المائنين تحسبها
والرّوح من حزنٍ راحت وقد وردت
هذا وشخصك لا ينفكُ في خلدي

(48) في ب « والسوس » بدل « والشمس » . وفي د : « والسوم » ، ولا يظهر معنى لأي منها .

ويقرب من هذا قولي :

عضاها كمصفوفِ الكتائب تُشرفُ ؟
هناك كمعسوكِ المباسمِ تُرشفُ ؟
كانَ بناياه بجادٍ مُفوّفٍ ؟⁽⁴⁹⁾
بأجوازِ أقطارِ الصّحاري أطوفُ
وجفني بمنثورِ الجُمانِ يُكفّفُ :
ولا برحتِ عنكِ الحوادثُ تُصرفُ ،
تكادُ لها صمُّ الجيباك تقصّفُ !

عن بأسها اللَّيثُ الهزبرُ الأغلبُ
ليلاً ، وكلُّ سنانٍ كوكبُ
والنَّيبُ يُتربُّ والعجاجُ يُتربُّ⁽⁵⁰⁾
ودمُ الفوارسِ مُستهكٌ صيبُ
وأنا بذركمُ أميكُ وأطربُ

هي فيه بين تخفّر وتغنّج
كملت محاسنها ولم تتزوّج

تري المرأة في كفّ الحسودِ
بأنفاسٍ تزايدُ في الصُّعودِ

تمنعُ منّا إدامةَ النّظرِ ؟
كأنّها تشتكي من السّهرِ
تُمسكُ مرأتها من القمَرِ

ألا ليت شعري هك أرى من ثنيةٍ
وهك أردنُ من سلسبيلِ مَواردِ
وهك أرينُ مَعْنَى الدّلاءِ عشيّةً
ذكرتكمُ وهنا وإنّي لمدلجٌ
فقلتُ وقلبي ضمن شجورِ ولوعةٍ
أداراً سقيتِ الوبلَ غير مبرحِ
لقد هجتِ للقلبِ العميدِ صباةً
وقول الصّفديّ :

ولقد ذكرتكمُ بحربِ يئنّني
والصّافاتُ بركضها قد أنشأتُ
والبيضُ تنثرُ كلَّ ما نَظَمَ القنا
وحشاشةُ الأبطالِ قد تَلِفَتْ ظمًا
والنفسُ قد سالت على حدّ الظُّبا
وقول الآخر يصف الشمس في الغيم :

وتنقّبتُ بخفيفِ غيمٍ أبيضِ
كتفتّس الحسناءِ في المرأةِ إذ
ومن هذا المعنى قول ابن طباطبّا العلوي :

متى أبصرتَ شمساً تحتَ غيمٍ
تُقابِلُها فتلبسُها غشاءُ
وقال الوزير المهلبّي :

أما ترى الشَّمسَ وهي طالعةٌ
حمراءَ صفراءَ في تلونِها
مِثْلَ عروسٍ غداةَ ليلِتها

(49) صحفت كلمة الدلاء في ج، فكتبت : الادلة.

(50) في ب و د كتب « النيل » بدل « النيل ».

وقوله :

وَالشَّمْسُ خَيْرًا خَلْفَ غَيْمٍ عَارِضٍ فَكَأَنَّهَا فِي ضَوْءِ لَيْلٍ مُقَمَّرٍ

وقوله :

الشَّمْسُ مِنْ مَشْرِقِهَا قَدْ بَدَتْ كَأَنَّهَا فَوْهِيَّةٌ أَحْمَرِيَّةٌ يَجُولُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبٌ

وقول ابن المعتز :

وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ فِي كَفِّ الْأَشَلِّ

وقول أبي حفص بن برد، ومنه أخذ :

كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ فِي كَلِّ غُدُوَةٍ دَنَانِيرُ فِي كَفِّ الْأَشَلِّ يَضُمُّهَا

ونحو هذا قول الآخر في الخمر :

كَانَتْ سِرَاجَ أَنَاسٍ يَهْتَدُونَ بِهَا تَهْتَرُ فِي الْكَأْسِ مِنْ ضَعْفٍ وَمِنْ هَرَمٍ

وقول ابن الرومي في الشمس :

كَأَنَّ جَنُوحَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا مُحَاجِرُ عَيْنٍ مَسٍّ أَجْفَانَهَا الْكَرَى

وقال ابن خفاجة :

وَالنَّقْعُ يَكْسِرُ مِنْ سَنَى شَمْسِ الضُّحَى : فَكَأَنَّهُ صَدَأٌ عَلَى دِينَارٍ

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى كَمَلْتُ فَلَمَّا اسْتُكْمِلْتُ حَلَقَاتُهَا

وكان يقال : مَا رَدَدَهُمَا مَنْ نَزَلَتْ بِهِ نَازِلَةٌ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال الآخر :

رُويْدَكَ ! فَالْهُمُومُ لَهَا رَتَاجٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّ طَوْلَ اللَّيْلِ لَمَّا

وَعَنْ كَثْبٍ يَكُونُ لَهَا انْفِرَاجٌ تَنَاهَى حَانَ لِلصُّبْحِ انْبِلَاجٌ ؟

(51) في ب صحفت « محاجر » فكتبت « مجارس ».

وقال أبو فراس :

ألا، ربّما ضاقَ الفضاءُ بأهله
ومثله قوله أيضا :

خَفَضَ عليكَ ولا تَكُنْ قَلِقَ الحشا
فالدَّهرُ أقصرُ مُدَّةٍ ممّا ترى
وقول الآخر :

تربّصَ بيوميكَ ما في غدٍ :
لعلَّ غداً من أخيه حِمَى
وقال ابن الحجاج :

دعها سماويّة تجري على قدرٍ
وقول ابن حمديس :

ما أغفلَ الفيلسوفَ عن طُرُقِ
مَنْ سلّمَ الأمرَ لالهٍ نجّا
وقول الآخر :

لا تَضُقْ في الأمورِ ذرعا فقد
ربّما تجزَعُ النفوسُ من الأمرِ
وقصّة أبي عمرو بن العلاء في هذا الشعر، حيث ألزمه الحجاج أن يأتي بشاهد على قراءته
غرقة فسمع هذا الشعر مقرونا بنعي الحجاج، معروفة .
وقال الآخر :

إذا دجا خطبٌ وأيقنتَ من
ينعكسُ الأمرُ ويأتي كما
وقول الآخر :

لا تشكُ ! فالأيّامُ حُبلى ربّما
فكذا تصاريفُ الزّمان : مشقّة
ما ضامَ يونسُ بالعراءِ مُجرّداً
جاءتكَ من أعجوبةٍ بجنين
في راحةٍ وخُسونةٍ في لين !
في ظلٍّ نابتةٍ من اليقطين

(52) في ب : زيدت خطأ كلمة « على » في آخر الشطر الأول : كما على

وقول الآخر :

وَاللَّيَالِي كَمَا عَلِمْتَ حَبَالِي مُقَرَّبَاتٌ يَلِدْنَ كُلَّ عَجِيبِ

وقول الآخر :

الدَّهْرُ لَا يَنْفَكُ عَنْ حَدَثَانِهِ وَالْمَرْءُ مُنْقَادٌ لِحُكْمِ زَمَانِهِ
فَدَعِ الزَّمَانَ فَإِنَّهُ لَمْ يَعْتَمِدْ لَجَلَالَةٍ أَحَدًا وَلَا لِهَوَانِهِ !
كَالْمُزْنِ لَمْ يَخْصُصْ بِنَافِعِ صَوْبِهِ أَفْقًا وَلَمْ يَخْشِ أَذَى طُوفَانِهِ
لَكِنْ لِبَارِيهِ بَوَاطِينُ حِكْمَةٍ فِي ظَاهِرِ الْأَضْدَادِ مِنْ أَكْوَانِهِ

وقول الآخر :

دَعِ الْمُنَى ! رَبَّمَا نِيلَتْ بِلَا طَلَبِ وَرَبَّمَا وَقَعَ الْحِرْمَانُ فِي الْمِهَنِ !

وقول الآخر :

الدَّهْرُ كَالطَّيْفِ بُوْسَاهُ وَأَنْعُمُهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ : فَلَا تَمْدَحْ وَلَا تَذِمِ
لَا تَسْأَلِ الدَّهْرَ فِي غَمَاءٍ يَكْشِفُهَا : فَلَوْ سَأَلْتِ دَاوِمَ الْبُؤْسِ لَمْ يَدُمْ !
وَقَوْلُهُ : وَلَا تَذِمِ ، إِنْ كَانَ بَكْسَرِ الذَّالِكِ مِنْ قَوْلِكَ ذَامَهُ يُذَيِّمُهُ ذَيْمًا وَذَامًا - أَيْ
عَابَهُ - فَهُوَ صَحِيحٌ ؛ وَإِنْ كَانَ بَضْمَهَا مِنْ قَوْلِكَ ذَمَّهُ يَذُمُّهُ ، فَهُوَ مَذْمُومٌ فَلَحْنٌ أَوْ
ضُرُورَةٌ بِشِيعَةٍ .

وقول أبي بكر الخوارزمي :

مَا أَثْقَلَ الدَّهْرَ عَلَى مَنْ رَكِبَهُ حَدَّثَنِي عَنْهُ لِسَانُ التَّجْرِبَةِ !
لَا تَحْمَدِ الدَّهْرَ لَشَيْءٍ سَبَبَهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَعَمَّدْ بِالْهَبَةِ
وَإِنَّمَا أَخْطَأَ فِيكَ مَذْهَبَهُ كَالسَّيْلِ إِذَا يَسْقِي مَكَانًا أَخْرَبَهُ !
وَالسُّمُّ يُسْتَشْفَى بِهِ مَنْ شَرِبَهُ

قلت : وشعر هذين الشاعرين ينحو منحى زهيرٍ إذ يقول :

رَأَيْتِ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءُ مِنْ تَصِيبِ تَمْتُهُ وَمِنْ تَخْطِئِ يُعَمَّرُ فِيهِمْ
لَا سِيَّامًا الشَّاعِرُ الْأَوَّلُ . وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ زَهِيرٌ خَطَأً وَجَهْلًا بِالتَّدْبِيرِ الرَّبَّانِيِّ ، وَالتَّصْرِيفِ
الْاِخْتِيَارِيِّ ، وَأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ وَقَعَ عَنْ عِلْمٍ وَسَبَقَ مَشِيئَةً . وَإِنْ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُتَأَوَّلَ الْكَلَامُ لَوْ
صَدَرَ مِنْ مُوحَّدٍ ، بَأَنَّ ذَلِكَ بِحَسَبِ الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ . وَمِثْلُ الْمَنَايَا صُرُوفُ الدَّهْرِ وَحَوَادِثُهُ سِوَاءِ .

وبيشبه قول الخوارزمي :

لا تَمْدَحَنَّ ابنَ عِبَادٍ وإنْ هَظَلْتُ كَفَّاهُ بِالْجودِ حتَّى أُخْجَلَ الدِّيمَا !
فإنَّهَا خَطَرَاتٌ منْ وسَاوِسِهِ يُعْطِي وَيَمْنَعُ لا بُخْلًا ولا كَرَمًا
[وكتب البيهقي فوضعهما حيث يجلس صاحب ثم ارتحل من وقته] (52م) . فلما وقف
الصاحب عليهما قال :

أقولُ لركبٍ منْ خُرَاسانَ أَقْبَلُوا (x) أَمَاتَ خَوَارِزْمِيكُمُ ؟ قِيلَ لي نَعَمْ !
فَقُلْتُ : اكتبوا بالجصِّ منْ فوقِ قبره : أَلَا لَعَنَ الرَّحْمَانُ منْ يَكْفُرُ النَّعَمَ !
ومثك ما تقدّم قول الآخر :

منْ يَصْحَبِ الدَّهْرَ لا يَعدَمُ تَقْلُبُهُ والشَّوْكُ يَنْبِتُ فيه الْوردُ والْأَسُ
تَمُرُّ حينًا وتَحُلُو لي حَوَادِثُهُ فقلّما جَرَحَتْ إِلَّا انْتَنَتْ تَاسُو
وقول الآخر :

لا تجزَعَنَّ لعُسرةٍ منْ بَعْدِهَا يُسرانَ وَعَدٌ لَيْسَ فيه خِلافُ !
كَمْ عُسرةٍ ضَاقَ الْفتى لِنِزْوِلِهَا لَلَّهِ في أَعْطَافِهَا الطَّافُ !
وقول الآخر :

تَصَبَّرْ للعَوَاقِبِ واحْتَسِبْهَا فأنتَ منْ العَوَاقِبِ في اثْنَتَيْنِ
تُريحُكُ بِالْمُنَى أوْ بِالْمَنَايا فإنَّ الموتَ إِحدى الرَّاحَتَيْنِ !
وقول الأبيوردي :

تَنَكَّرْ لي دَهْرِي ولمْ يَدْرَ أَنَّنِي أَعَزُّ وَأَنَّ الحَادِثَاتِ تَهْوَنُ
فَبَاتَ يُرِينِي الْخَطْبَ كَيْفَ اعتِدَاؤُهُ وَبَتُّ أَرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ
وقولنا من قصيدة :

فإذا عَرَّتْكَ الحَادِثَاتُ فَثِقْ بِمَلِكِهَا ذِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ
وَاصْبِرْ لِرَوْحِ اللَّهِ مُرْتَجِيًا فَلتَحْمَدَنَّ عَوَاقِبَ الصَّبْرِ
إِنَّ اصْطِبَارَ الْمَرْءِ مُفْتَتِحٌ مُتَغَلِّقَ الْبِئْسَاءِ وَالْعُسْرِ
وَمُنْفَسٌ عَنْهُ الْكُرُوبُ إِذَا ضَاقَتْ بِهِنَّ جَوَانِحُ الصَّدْرِ
كَمْ مِنْ حَزِينٍ بَاتَ مُكْتَتِبًا مُتَعَسِّرَ الْأَحْشَاءِ ذَا زَقَرِ

(52م) سقط ما بين معقوفتين من د.

(x) في المخطوطات : «لقبوا» بدل «أقبلوا». وفيه رواية أخرى : «أقول لركب من خراسان قافل».

أَنْ يَنْزَوِي . طَرْفَاهُ بِالسَّقَرِ
لِفُؤَادِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
وَلَكُمْ بُعِيدَ الْعُسْرِ مِنْ يُسْرِ !
بَلَجِ الصَّبَاحِ وَطَلَعَةِ الْفَجْرِ
إِلَّا ارْتِواءُ جَانِبِ الْغُدْرِ
فِيحِ الْفِجَاجِ وَفُسْحَةِ الْبُهِرِ ؟

أَلَمْ تَتْرَكِ الْأَيَّامُ نَجْمًا هَوَى قَلْبِي ؟
طَوَتْ بِالْأَسَى كَشْحًا عَلَى مَضَضِ الثَّكَلِ
إِلَى الْيَمِّ فِي التَّابُوتِ فَاعْتَبِرِي وَاسْلِي
بِهِ عِنْدَ جَوْرِ الدَّهْرِ مِنْ حَكَمٍ عَدَلِ

بُعْدِي عَنِ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ حِجَا
بِأَنْ افْتِرَاقَهُمَا لَمْ نَعْرِفِ الْبَلَا

وَجُدْتُ بِدَمْعٍ يَسْتَهْلُ هَتُونِ
وَإِنْ هُمْ عَلَى أَحْدَاقِهِمْ حَمْلُونِي
لِقَاءُ الْوَرَى مِنْ صَاحِبٍ وَخَدِينِ
تَلَفْتُ سَهولًا دَائِمًا بِحَزُونِ
كَرَاهَةً ظَلَّ أَنْ يَكُونَ قَرِينِي

وَلَا تَأْمَنَ عَلَى سِرِّ فُؤَادَا :
لَمَا طَلَعْتُ مَخَافَةً أَنْ تُكَادَا !

لِي التَّجَارِيِبُ فِي وَدٍّ أَمْرِي غَرَضًا

مَا يَرْتَجِي جِلْبَابَ لَيْلَتِهِ
فَأَتَتْهُ الْطَّافُ مُنْفَسَةً
وَلَكُمْ بُعِيدَ الضِّيقِ مِنْ سَعَةِ
هَلْ بَعْدَ مُعْتَكِرِ الظَّلَامِ سِوَى
أَوْ بَعْدَ ظَمْأَةِ هَجْمَةٍ وَرَدَّتْ
أَوْ بَعْدَ خَانِقَةِ التَّلَامِ سِوَى
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

أَمَقْتُولَةُ الْأَجْفَانِ مَالِكٍ وَالْهَاءِ
أَقْلَّيْ بُكَاءَ : لَسْتُ أَوَّلَ حُرَّةٍ
وَفِي أَمٍّ مُوسَى عِبْرَةٍ إِذْ رَمَتْ بِهِ
وَلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ وَحَسْبُنَا
وَالشَّعْرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَحْصَى .

وَقَالَ الْغَزِي :

قَالُوا : بَعُدْتَ وَلَمْ تَقْرُبْ فَقُلْتَ لَهُمُ :
لَوْلَا التَّبَاعُدُ بَيْنَ الْحَاجِبِينَ بِهِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْإِرْجَانِي :

أَسَفْتُ عَلَى عُمْرٍ تَصَرَّمْ ضَائِعًا
وَأَنْسَنِي بُعْدِي مِنَ النَّاسِ جَانِبًا
وَلَمَّا غَدَا عَنَّا عَلَى جَفْنِ نَاطِرِي
أَلِفْتُ الْفَضَا مُسْتَوِطِنًا ظَهَرَ نَاقِرُ
وَمَا سَرْتُ إِلَّا فِي الْهَوَاجِرِ وَحَدَهَا
وَقَوْلِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ :

فَظُنُّنَا بِسَائِرِ الْإِخْوَانِ شَرًّا
فَلَوْ خَبَرْتَهُمُ الْجَوَازُءُ خُبْرِي
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ

وقول ابن قلاقس :

إِعْلَقْ بِأَطْوَاقِ الْوُدَادِ فَإِنَّهُ
وَإِذَا انْتَهَى الْإِخْلَاصُ أَوْجَبَ ضِدَّهُ :

وقول ابن الرومي، وهو المثل المشهور في هذا :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ :
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ
يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ !

وقول الآخر :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا كُلَّ مَنْ لَيْسَ بَيْنَنَا
فَمَا نَالَنِي ضِيمٌ وَلَا مَسْنِي أَذَى
مِنْ النَّاسِ إِلَّا مِنْ فَتَى كُنْتُ أَلْفُ !

وقول الآخر :

احْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً
فَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الزَّمَانُ
وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةً :
فَكَانَ أَعْرَفَ بِالْمَضَرَّةِ !

وقول ابن سناء الملك :

أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا ضِدِّمَا أَنَا طَالِبٌ :
يُعَدُّ الْفَتَى إِخْوَانَهُ لَزْمَانِهِ
فِيَا لَيْتَ مِنِّي مَكَّنَ اللَّهُ ضِدَّهُ !
وَأَعْدَى لَهُ مِنْ خَوْفِهِ مِنْ أَعْدَهُ

وقولي من قصيدة :

وَبَنُو دَهْرِكَ الْعُضَالُ مِنَ الدَّاءِ
وَأَضُرُّ الْأَدْوَاءَ مَنْ تَتَوَلَّاهُ
إِنَّمَا الْأَقْرَبَاءُ فِي النَّاسِ جُسَّاسٌ
يَخْبِرُونَ الْعَوْرَاتِ حِفْظًا وَإِعْدَادًا
لِيَوْمِ الْبِأَسَاءِ وَالشَّنَّآنِ
عَلَيْكَ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

وقول الأنصاري الأوَّل :

أَلَا رُبَّ مَنْ تَحْجُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى
لِسَانٌ لَهُ كَالشَّهَدِ مَا دُمْتَ حَاضِرًا
مِقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفْرِي :
وَبِالْغَيْبِ مَطْرُورٌ عَلَى ثَغْرَةِ النَّحْرِ

وقولي من قصيدة :

فَتَوَخَّ فِي النَّاسِ الْوُفَى إِذَا
وَاسَبَرُهُمْ قَبْلَ الْإِخَاءِ وَلَا
عَاشَرْتَهُمْ وَحَذَارِ ذَا الْغَدْرِ !
تَغْتَرُّ فِي الْإِخْوَانِ بِالسَّبْرِ !

كَمْ مِنْ آخِرٍ مَذَقَ الْوَدَادَ عَلَى
 إِنْ تَلَقَّاهُ فَالشَّهْدُ مَقُولُهُ
 سِمَى بِوَجْهِكَ تَسْتَمِيقُ وَإِنْ
 وَإِذَا الزَّمَانُ دَعَاكَ نَائِبُهُ
 فسيَحْتَبِيكَ بِوَعْدِ غَانِيَةٍ
 وَإِذَا تَعُودُ يَظَلُّ مُكْتَلِحًا
 وَإِذَا تُصَادِفُ ذَا الصَّفَاءِ فَكُنْ
 وَأَسْمُ سَوَائِمَ سَمْعِهِ طَرَقًا
 وَصُنِ السَّرَارَةَ وَالْثَلَبَابَ وَلَا
 فَلَرُبَّمَا يَلْوِي الزَّمَانُ بِهِ
 وقول الآخر :

مَا فِيهِ مِنْ إِحْنٍ وَمِنْ سِبْرِ
 وَإِذَا تَغَيَّبُ يَكُونُ كَالصَّبْرِ
 أَدْبَرَتْ عَنْهُ فَكَيْتُ الظَّهْرِ
 الْعَازِي إِلَيْهِ تَرْجِيَّ الْبِرِّ
 أَوْ وَعْدِ عُرْقُوبٍ جَنَى الثَّمَرِ
 مُتَغَيِّظًا يَنْزُو وَيَسْتَشْرَى
 مِنْهُ، وَلَوْ صَافَاكَ، ذَا حِذْرِ
 مَطْرُوقَةٍ مِنْ مَسْرَحِ السَّرِّ⁽⁵³⁾
 تَبْذُلُ لَهُ مِنْهُ سَوَى الْقَشْرِ
 فَيَكُونُ أَبْصَرَ فَيْكَ بِالضَّرِّ

فَأَقَتْ بِيَوْسُفَهَا الدُّنْيَا وَفَاحَ لَهَا
 فَإِنْ يُشَارِكُهُ فِي اسْمِ الْمَلِكِ طَائِفَةٌ
 وَيَتَمَثَّلُ بِالْبَيْتِ الثَّانِي . وَمِثْلُهُ فِي الْمَعْنَى

طَيْبٌ طَوَى الْمَسْكَ فِي نَشْرِ لَهَا أَرْجَى
 فَإِنَّ شَمْسَ الضُّحَى مِنْ جُمْلَةِ السُّرُجِ
 وقول الآخر :

وَفِي الْبَسَاتِينِ أَفْنَانٌ مُنَوَّعَةٌ
 وَفِي السَّمَاءِ نَجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
 وقول أبي الطَّيِّب :

وَلَيْسَ يَقْطِفُ إِلَّا الْوَرْدُ وَالزَّهْرُ
 وَلَيْسَ يَخْسِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ
 وقول الآخر :

وَأِنَّمَا الْفَضْلُ حَيْثُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

وَقَدْ يُسَمَّى سَمَاءُ كُلِّ مُرْتَفِعٍ
 وقول الآخر :

وَالْبَصِيرَةُ حُكْمٌ لَيْسَ لِلْبَصَرِ
 وَإِنَّمَا يَقَعُ التَّفْضِيلُ فِي الثَّمَرِ

النَّاسُ كَالنَّاسِ إِلَّا أَنْ تُجَرَّبَهُمْ
 وَالْأَيْكُ مُشْتَبِهَاتٌ فِي مَنَابِتِهَا
 وقول الآخر :

وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ

وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا

(53) فِي ب : « طَرَرَا » بِدَل « طَرَقَا » . وَتَرَكَ بَيْتُضَ مَكَانَ الْقَافِ فِي ج .

وقول الآخر :

قَدْ يَبْعُدُ الشَّيْءُ مِنْ شَيْءٍ يُنَاسِبُهُ :

وقول الآخر :

دَعُ مَا تَنَاسَبَ فِي الْأَبْصَارِ ظَاهِرُهُ
فَصْدْمَةُ الْمُتَنَافِي لَا اعْتِدَادَ بِهَا :

وقول الآخر :

قَدْ تُشَبِّهُ الْحَالَةَ الْأُخْرَى وَبَيْنَهُمَا
فَرَبَّمَا صَفَقَ الْمَسْرُورُ مِنْ طَرَبٍ :

وقول الآخر :

لَقَدْ عَرَضَ الْحَمَامُ لَنَا بِسَجْعِهِ
شَجَا قَلْبَ الْخَلِيٍّ فَقَالَ غَنِّي :

وقال الشيخ عمر بن الفارض :

لَا كَانَ وَجْدٌ بِهِ الْأَمَاقُ جَامِدَةً

وقال الراعي :

وَمُرْسَلٍ وَرَسُولٍ غَيْرِ مُتَّهَمٍ
طَاوَعْتُهُ بَعْدَمَا طَالَ النَّجِيُّ بَنَا

مَا زَالَ يَفْتَحُ أَبْوَابًا وَيُغْلِقُهَا
حَتَّى أَضَاءَ سِرَاجٌ دُونَهُ بِقَرٍّ

يَا نِعْمَهَا لَيْلَةٌ حَتَّى تَخَوَّنَهَا
لَمَّا دَعَا الدَّعْوَةَ الْأُولَى فَأَسْمَعَنِي

وقال الآخر :

مَا زِلْتُ أَبْغِي الْحَيَّ أَتْبَعُ ظِلَّهُمْ
قَالَتْ : وَعَيْشِ أَبِي وَحُرْمَةِ إِخْوَتِي

فَخَرَجْتُ خِيفَةً قَوْلَهَا فَتَبَسَّمتْ

إِنَّ السَّمَاءَ نَظِيرُ الْمَاءِ فِي الزَّرَقِ

وَلَا تَقُكْ بِقِيَاسٍ غَيْرِ مُطَرَّدٍ !
شَتَّانَ مَا بَيْنَ مُهْتَزٍّ وَمُرْتَعِدٍ ! (54)

إِذَا تَأَمَّلْتَ فَرْقَ عَنْ سِوَاكَ خَفِي
وَرَبَّمَا صَفَقَ الْمَحْزُونُ مِنْ أَسْفَرٍ

إِذَا أَصْغَى لَهُ رَكْبٌ تَلَا حَيَّ
وَبَرَّحَ بِالشَّجِيِّ فَقَالَ نَاحَا (55)

وَلَا غَرَامٌ بِهِ الْأَشْوَاقُ لَمْ تَهْجِرْ

وَحَاجَةٌ غَيْرِ مُزْجَاةٍ مِنَ الْحَاجِ
وِظَنٌ أَنِّي عَلَيْهِ غَيْرُ مُنْعَاجٍ (56)

دُونِي وَأَفْتَحُ بَابًا بَعْدَ إِرْتَاكِ
حُمُرِ الْأَنَامِلِ عَيْنُ طَرْفِهَا سَاجِرٍ

دَاعٍ دَعَا فِي فُرُوعِ الصُّبْحِ سَحَّاجٍ
أَخَذْتُ بُرْدِيَّ وَاسْتَمَرَّتْ أَدْرَاجِي

حَتَّى دَفَعْتُ إِلَى رَبِيبَةِ هُوْدَجٍ
لَأَنْبِئَنَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ !

فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ

(54) فِي ج : « فَهَزْمَةٌ » بِدَل « فَصْدْمَةٌ » ، وَفِي د : « فَهْدَمَةٌ » .

(55) صَحَّفَ الشُّطْرَ الثَّانِي فِي د ، فَكَتَبَ فِيهِ : وَبَرَّحَ بِالشَّجَا ...

(56) صَحَّفَتْ كَلِمَةَ « النَّجِيِّ » فِي ج ، فَكَتَبَتْ « النَّجَا » .

فَلَمْتُ فَاهَا أَخِذًا بِقُرُونِهَا شَرِبَ النَّزِيرُ بِيَدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ
قوله ماء الحَشْرِج أي الماء الجاري على الحجارة.

وقال عمر بن أبي ربيعة :

قَدْ كُنْتُ حَمَلْتُنِي عِيْظًا أَعَالَجُهُ فَإِنْ تُقِدْنِي فَقَدْ عَنَيْتَنِي حِجَا
حَتَّى لَوْ اسْطِيعَ مِمَّا قَدْ فَعَلْتَ بِنَا أَكَلْتُ لَحْمَكَ مِنْ غِيْظٍ وَمَا نَضِجَا !
وقبل هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

يَارَبَّةَ الْبَغْلَةِ الشَّهْبَاءُ هَكَ لَكُمْ أَنْ تَرْحَمِي عُمْرًا لَا تُرْهِقِي حَرْجًا ؟
قالت : بدَائِكَ مَتَّ أَوْ عِشْ تَعَالَجُهُ فَمَا نَرَى لَكَ فِيمَا عِنْدَنَا فَرْجًا !
وبعدهما :

فَقُلْتُ : لَا وَالَّذِي حَجَّ الْحَجِيجُ لَهُ مَا مُجَّ قَلْبُكَ مِنْ قَلْبِي وَمَا نَهَجَا
وَلَا رَأَى الْقَلْبُ مِنْ شَيْءٍ يُسْرُ بِهِ مُذْبَانَ مَنْزِلُكُمْ مِنَّا وَمَا ثَلَجَا
كَالشَّمْسِ صَوْرَتُهَا غُرَاءُ وَاضِحَةً تُعْشِي إِذَا بَرَزْتَ مِنْ حُسْنِهَا السُّرْجَا
ضَنَنْتُ بِنَائِلِهَا عَنْهُ فَقَدْ تَرَكْتَ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ أَبَا الْخَطَّابِ مُخْتَلَجَا
وقال بعض المجَّان :

إِذَا مَرَرْتَ بَوَادٍ لَا أَنْيْسَ بِهِ فَاضْرِبْ عُمَيْرَةً لَا عَارَ وَلَا حَرْجَ
ضَرْبُ الْعُمَيْرَةِ هِيَ الْخَضْخَضَةُ ، وَهِيَ الْاسْتِمْنَاءُ بِالْيَدِ وَشِبْهُهُ . وَكَذَبَ هَذَا الْقَائِلُ :
فَإِنْ فِي الْخَضْخَضَةِ لَحْرَجًا وَعَارًا ، وَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عِنْدَ جَمَاهِيرِ النَّاسِ ، وَفِيهَا قَوْلُ بَعْضِ
الْأَعْرَابِ :

إِنْ تَبْخَلِي بِالرَّكَبِ الْمَحْلُوقِ فَإِنَّ عِنْدِي رَاحَتِي وَرِيقِي
وَالرَّكَبُ بِفَتْحَتَيْنِ ، وَتَقْدَمُ تَفْسِيرُهُ .
وقول الآخر :

كَفَيْ وَرَجْلِي لَا عَدَمْتُ كَلِيهِمَا أَصْبَحْتُ أَغْنَى مَنْ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي
أَمْشِي عَلَى هَذِي وَأُنْكِحُ هَذِهِ فَمَطِيَّتِي رَجْلِي وَجَارِيَّتِي يَدِي !
وقول الآخر :

خَطَبْتُ إِلَى سَاعِدِي رَاحَتِي وَمَا كُنْتُ مِنْ شَرِّ خَطَائِيهَا
وَمَا إِنْ تَكَلَّفْتُ مِنْ مَقْرَهَا سِوَى رِيقَةٍ أَتَجَزَّى بِهَا

فإن شئت أوتى بها ثيباً وبكرًا إذا شئت أوتى بها وقال بعضهم : مررت على برذعة الموسوس، وقد أدخل رأسه في جيبه يتخضض . فضربته برجلي، فأنكشف فإذا هو مُنعص، فقلت : ما هذا ؟ فقال : أما ترى في ذلك الرُوشن ؟ وأشار إلى باب في عليّة، فإذا جارية جميلة تتطلّع . فقال : إني دعوتها، فلمّا لم تجبني أجبتها . فقلت : قبّحك الله ! وولّيت عنه . فلم ألبث أن لحق فقال : قضيت الحاجة على رغم أنفك، وأنشد :

أَنكُرتَ ما عايَنتَ من كَفِّ دالِكِ وهَلْ يُنكَرُ التَّدليكَ في قولِ مالِكِ ؟
لَقَدْ أَمِنَ الدَّلَّاءُ مِن أن تَنالَهُمُ حَدودُ الزُّنى في واضحاتِ المسالكِ
وَإِنِّي قد سَكَنْتُ غُربَةً غَلَمَتِي بحُسنِ العُيونِ والثُّديِّ القَواليكِ
وكذب هذا الأحمق على مالک، رضي الله عنه : فإنّ حرمة الاستمناء هي مذهبه، وكذا مذهب الشافعي وغيره . وإنّما رُويت فيه رخصة عن عمرو بن دينار، إن صحّت الحكاية عنه. وروى عن ابن عباس أنّه قال في الخضضة : هي خير من الزنى.

قلت : وليس في هذا الكلام ما يقتضي حليتها، إذ ليست المحرّمات كلّها في درجة واحدة، بل مقطوع بتفاوت ما بينها : فإن الزنى نفسه - وهو محرّم إجماعًا - على درجات بعضها أشدّ من بعض . ألا ترى أن الزنى بحرّة مطاوعة لا زوج لها ولا أهل يسبون بفعلها، ولا ترجو ولدا أخفّ من الزنى بغيرها وإن كان الكلّ حراما، لأنّ الحقّ إذا انفرد وتمحض لله تعالى أخفّ ممّا إذا انضمّ إليه حقّ المَرْنِيّ بها المُكرهة أو حقّ الزوج، أو حقّ الأهل، أو حقّ السيّد في الاضرار بهم، ونحو ذلك من الحقوق . وهو أيضا في الآيسة أخفّ منه في الولود، لمّا في الثانية من مزيد المفسدة باختلاط الانساب، وهو الحكمة الأصلية في التحريم . ومعلوم أنّ الخضضة ليست بمحلّ لهذه المفسدة، لا تحقيقا ولا مظنة ؛ ولكن فيها تضييع البذر، وهو ماء النسل في غير وجهه، فلتكن هي أخفّ . ولهذا المبحث محلّ يليق به، وليس من غرضنا الآن التعرّض له.

وقلت أنا :

إذا لَحَظْتَكَ عَيْنُ المَرءِ يَوماً بَدَا مِنْهُ صِفاءٌ أو ضِجاجُ
وَأُنْبِتَ فِيهِ عَن حُبٍّ وَبُغْضٍ كَمَا يُنْبِي عَنِ المَاءِ الرُّجَاجُ
الصِّفاءُ بالكسر : المُصافاة ؛ والضِّجَاجُ بالكسر : المضاجّة، وهي المُشاوَرَة.

وقلت أيضا :

لَكُلِّ أَخِي دَاءٌ دَوَاءٌ يُعَدُّهُ وَأَعْيَى دَوَاءُ الضَّغْنِ كُلِّ مُعَالِجٍ
إِذَا آنَسَ النُّعْمَى تَضَاعَفَ دَاؤُهُ وَأَضَّ بَغِيزُ اللُّجَوَانِجِ زَامِجٍ
وإن آنَسَ البَأْسَاءُ أَصْبَحَ شَامِتًا بِقَلْبٍ مِنَ الشَّحْنَاءِ وَالْهَزْءِ رَامِجٍ
تقول : زَمَجْتَ الْقَرِيبَةَ إِذَا مَلَأْتَهَا، وَزَمَجُ الْغَيْظِ لِلْجَوَانِحِ مَجَازٌ . وَالرَّامِجُ :
المرتلي الريان، وهو هنا مجاز أيضا.

وقلت أيضا :

أَرَى الْوَرَى وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَخْضِمُهَا مِثْلَ السَّفِينِ تَدَاعَتْ فَوْقَهَا اللُّجَجُ
وَهُمْ رَمَايَا مَنَايَاهَا فَلَا وَرَرَ عَنْهَا وَلَا مَلْجَأٌ مِنْهَا وَلَا وَحَجٌ
كَأَنَّمَا هِيَ حَوْضٌ وَالْوَرَى وَرْدٌ عَطَشَى أَنَاخُوا عَلَيْهِ دَائِمًا وَحَجُّوا
أَوْ مِثْلُ هَيْمٍ لِخِمْسٍ تَغْتَشِيهِ فَلَمْ يُغْنِ الذِّيَادُ لَهَا عَنْهُ وَلَا الْعَنْجُ
الْخَضْمُ : الْأَكْلُ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي مَلَأَ الْفَمَ بِالْمَأْكُولِ، وَهُوَ مَجَازٌ هُنَا عَنِ الْاسْتِنْصَالِ
وَالْوَحَجُ : الْمَلْجَأُ، وَهُوَ عَظْفٌ تَفْسِيرٌ . وَالْوَرْدُ بَضْمَتَيْنِ جَمْعُ وَرْدٍ ؛ وَحَجُّوا : أَقَامُوا .
يَقَالُ : حَجِيَ بِهِ أَيْ أُولِعَ بِهِ وَلَزِمَهُ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَحَجِ الْأَوَّلِ جُنَاسٌ تَامٌّ بَيْنَ الْأَسْمِ
وَالْفِعْلِ . وَالْهَيْمُ : الْأَبْلُ يَصِيبُهَا الْهَيَامُ . وَالْخِمْسُ بِالْكَسْرِ : زَمَانٌ وَرُودُهَا . وَالذِّيَادُ :
الطَّرْدُ ؛ وَالْعَنْجُ بِالتَّحْرِيكِ : اسْمٌ مِنَ الْعَنْجِ بِالسَّكُونِ، وَهُوَ أَنْ يَشُدَّ الرَّكَبُ خَطَامَ
الْبَعِيرِ فَيُرْدُّهُ عَلَى رَجْلَيْهِ.

بَابُ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ

أَحَبُّ الْحَدِيثِ أَصْدَقُهُ.

الحُبُّ معروف . تقول : أَحَبَبْتُ الرَّجُلَ ، فهو مَحْبُوبٌ - على غير قياس .. وقد يقال مُحَبٌّ ، وهو قليل . قال عنتره :

ولقد نزلت فلا تظنني غيره مني بمنزلة المحب المكرم
وقد يقال حَبَبْتُهُ ثلاثيا أَحَبَّهُ بالكسر ، فهو محبوب . أنشد الجوهري في الصحاح :
أَحَبُّ أبا مروان من أجل تمره وأعلم أن الرِّفْقَ بالمرء أرفقُ
ووالله لولا تمره ما حَبَبْتُهُ ولو كان أدنى من عبْدٍ ومُشْرِقٍ⁽¹⁾
وليس عندهم مضعف متعدّ يتمحّض فيه الكسر غير هذا . والحديث معروف أيضا .
والصدق ضدّ الكذب . وهذا كلام يُروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم لمّا جاءتَه
هوزان تطلب منه أن يردّها إليها ما أخذ منها من السبايا والأموال يوم حُنَيْن . فقال : أَحَبُّ
الحديث إلى الله أَصْدَقُهُ ، أو : خَيْرُ الحديث ، إنَّ معي مَنْ تَرَوْن ،
فاختاروا إحدى الطائفتين : إمّا السبئي وإمّا الأمّوال . فاختاروا السبي وقالوا : لا
نعدل بالأحساب شيئا . والقصة مشهورة في المغازي .

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه :

أبلغ قريشًا وخير القولِ أَصْدَقُهُ والصدقُ عند ذوي الالبابِ مقبولُ

حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ.

الحُبُّ مرّ ؛ والعَمَى معروف ، وأَعْمَيْتُهُ : فعلت به ذلك . وكذا الصَّمَمَ وأصمّمته .

(1) فيه إقواء . ويرويه المبرد بدون اقواء هكذا :
وكان عياضٌ أدنى منه ومُشْرِقُ

وهذا أيضا يروى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْعَمَى هُنَا يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عَمَى الْبَصَرِ - وَهُوَ أَظْهَرُ - أَوْ عَمَى الْبَصِيرَةِ - وَهُوَ أَدَقُّ وَأَلْيَقُ - .

وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا أَحَبَّ شَيْئًا غَلَبَتْ مَحَبَّتُهُ عَلَى قَلْبِهِ، فَلَا يَرَى رُشْدَهُ، وَلَا يَنْظُرُ عَاقِبَتَهُ، وَلَا يَسْمَعُ عَازِلَهُ . وَالصَّمَمُ هُنَا مَجَازٌ أَيْضًا عَنْ عَدَمِ الْأَصْغَاءِ إِلَى الْمَسْمُوعِ، وَعَدَمِ الْاهْتِبَالِ بِهِ وَالانْتِفَاعِ بِهِ . فَكَأَنَّهُ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِّرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِّرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا
وَقَالَ الْآخَرُ :

فَأَصَمَّمْتُ عَمْرًا وَأَعْمَيْتُهُ عَنْ الْجُودِ وَالْفَخْرِ يَوْمَ الْفَخَارِ
وَفِي مَعْنَى الْمَثَلِ قَالَ الْأَمَامُ الْبُوصَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

مَحْضَتْنِي النَّصَمَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إِنَّ الْمُحِبَّ عَنْ الْعُذَالِ فِي صَمَمٍ
وَهَذَا الْمَثَلُ يَضْرِبُ فِي الْحَذَرِ مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَمَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنْ اجْتِنَابِهِ .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جَاهِدُوا أَهْوَاءَكُمْ كَمَا
تُجَاهِدُونَ أَعْدَاءَكُمْ !

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا طَالَبْتُكَ النَّفْسُ يَوْمًا بِشَهْوَةٍ وَكَانَ عَلَيْهَا لِلْخَلْفِ طَرِيقُ
فَخَالَفَ هَوَاهَا مَا اسْتَطَاعَتْ فَإِنَّمَا هَوَاهَا عَدُوٌّ وَالْخِلَافُ صَدِيقُ
وَقَالَ الْآخَرُ :

وَفِي الْحِلْمِ وَالْإِسْلَامِ لِلْمَرْءِ وَازِعٌ وَفِي تَرْكِ طَاعَاتِ الْفُؤَادِ الْمُتَيَّمُ
بِصَائِرٍ رُشْدٌ لِلْفَتَى مُسْتَبِينَةٌ وَأَخْلَافُ صَدَقٍ عِلْمُهَا فِي التَّعَلُّمِ
وَفِي هَذَا الْمَعْنَى مَا لَا يُحْصَى مِنَ الشَّعْرِ وَالنَّثْرِ يَأْتِي فِي الْحُكْمِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

حَبْلُ فُلَانٍ يُفْتَلُ .

الْحَبْلُ، بِالْفَتْحِ فَالْسُكُونِ : الرِّبَاطُ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ . وَجَمْعُهُ حِبَالٌ وَأَحْبِلُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

أَمِنْ أَجْلِ حَبْلٍ لَا أَبَاكَ ضَرَبْتَهُ بِمِنْسَاءٍ ؟ قَدْ جَرَّ حَبْلُكَ أَحْبَلًا⁽²⁾
وَفَتَكَ الْحَبْلَ مَعْرُوفٌ . قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ بِكَ كُلِّ مُعَارٍ الْفَتْلَ شُدَّتْ بِيذْبِكَ !
أَيُّ بَكَ حَبْلٍ أَحْكَمَ فَتْلُهُ . وَيُقَالُ : حَبْلُهُ يُفْتَلُ إِذَا كَانَ مُقْبِلًا عَلَى الْأَمْرِ .

حَتَفَهَا تَحْمِلُ ضَاَنٌ بِأَظْلَافِهَا .

الْحَتَفُ : الموت . وَالْأَظْلَافُ جمع ظِلْفٍ بالكسر، وتقدَّم تفسيره . وهذا المثل يضرب
في الهلاك يجتلبه القدر على الانسان، أو يجره على نفسه . وأصله أَنَّ النعمان بن المنذر
عمد الى كبش، فعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ مُدْيَةً، وَأَرْسَلَهُ يَرْعَى، وَنَذَرَ أَنْ يَقْتُلَ مِنْ تَعَرَّضَ لَهُ . فَكَانَ
الْكَبِشُ يَخْرُجُ وَلَا يُمَسُّ . ثُمَّ عَلَى أَرْقَمَ بْنِ عِلْبَاءَ الْيَشْكِرِيِّ - وَقِيلَ عَلَى عِلْبَاءَ بْنِ أَرْقَمَ
الْيَشْكِرِيِّ - فَقَالَ : كَبِشٌ يَحْمِلُ حَتْفَهُ بِأَظْلَافِهِ ! وَوُثِبَ عَلَيْهِ فَذَبَحَهُ وَاشْتَوَاهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ
شَعْرًا طَوِيلًا، مِنْهُ :

أَخُوفٌ بِالنُّعْمَانِ حَتَّى كَانَنِي ذَبَحْتُ لَهُ خَالًا كَرِيمًا أَوْ ابْنَ عَمٍّ
وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ إِنَّ هَذَا الْمَثْلَ تَمَثَّلَ بِهِ حُرَيْثُ بْنُ حَسَّانَ الشَّيْبَانِيُّ بَيْنَ يَدَيْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقِيلَةِ التَّمِيمِيَّةِ، وَكَانَ قَدِمَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ، حَتَّى قَالَتْ قَيْلَةٌ : فَقَدِمْنَا - تَعْنِي مَعَ حُرَيْثٍ - عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْغَدَاةَ، حَتَّى إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ دَنُوتَ .
فَقَالَ رَجُلٌ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ! وَهُوَ قَاعِدٌ
الْقُرْفُصَاءَ . فَقَالَتْ : فَتَقْدَمُ صَاحِبِي، فَبَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْتُبُ
لِي بِالْأَدْهْنَاءِ⁽³⁾ . فَقَالَ : يَا غَلَامُ أَكْتُبُ لَكَ . قَالَتْ : فَشَخْصَ بِي، وَكَانَتْ وَطْنِي وَدَارِي
. فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْأَدْهْنَاءُ مُقَيَّدُ الْجَمَلِ وَمَرْعَى الْغَنَمِ، وَهَذِهِ نِسَاءُ
بَنِي تَمِيمٍ وَرَاءَ ذَلِكَ . قَالَ : صَدَقْتَ الْمِسْكِينَةَ ! الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ،
يَسْمَعُهُمَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ، وَيَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْفِتَنِ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

(2) قَالَ ابْنُ بَرِّي : صَوَابُهُ « قَدْ جَرَّ حَبْلُكَ أَحْبَلٌ » . قَالَ : وَيَعْدُهُ
هَلَمْ إِلَى حَكْمِ ابْنِ صَخْرَةَ، إِنَّهُ سَيَحْكُمُ فِيمَا بَيْنَنَا ثُمَّ يَعْبُدُ

(انظر لسان العرب، مادة حبل)
(3) يَرِيدُ أَنْ يُقَطِّعَهُ إِيَّاهَا .

اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيْلَامُ ابْنِ هَذِهِ أَنْ يَفْصَلَ الْخُطَّةَ وَيَنْتَصِرَ مِنْ وِرَاءِ
الْحُجْرَةِ ؟ انتهى.

وهذا المثل هو مثل قولهم : بَحَثَ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ ، وتقدّم .

حَتَّامَ تَكَرَّعُ وَلَا تَنْفَعُ ؟

حَتَّى هنا حرف جرّ، دخلت على ما الاستفهاميّة . ويُقال كَرَعَ فِي الْمَاءِ وَفِي الْإِنَاءِ ،
بفتح الراء وكسرها، كَرُوعًا وَكَرْعًا إِذَا تَنَاوَلَهُ بِفِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ بِكَفَّيْهِ وَلَا بِإِنَاءٍ .
وَالكَرْعُ بِفَتْحَتَيْنِ : الْمَاءُ يُكَرَعُ فِيهِ يَجْتَمِعُ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ فِي غَدِيرٍ أَوْ نَحْوِهِ . قَالَ عَدِي
ابن الرِّقَاعِ يَصِفُ رَاعِي الْإِبِلِ :

يَسْنُئُهَا آبِلٌ مَا إِنْ يُجَزُّئُهَا جَزْءًا شَدِيدًا وَمَا إِنْ تَرْتَوِي كَرْعًا
وَيُقَالُ : نَقَعَ الرَّجُلُ بِالشَّرَابِ وَبِالْخَبِرِ ، بفتح القاف إِذَا اسْتَشْفَى بِهِ مِنْ غَلِيلِهِ . قَالَ كَثِيرٌ :
فَمَا نَقَعْتَ نَفْسِي بِمَا أَمَرُوا بِهِ وَلَا عُجْتُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ بِفَتِيلِ
وَالْمَثَلُ ظَاهِرٌ مَعْنَى وَمَضْرِبًا .

المُحَاجَزَةُ، قَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ .

وَيُقَالُ أَيْضًا : إِنْ أَرَدْتَ الْمُحَاجَزَةَ فَقَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ . يُقَالُ حَجَزَهُ عَنِ الْأَمْرِ إِذَا
كَفَّ عَنْهُ وَصَرَفَهُ ، فَانْحَجَزَ هُوَ . وَحَجَزَ بَيْنَ النَّاسِ فَصَلَ بَيْنَهُمْ . وَتَحَاجَزَ الْقَوْمُ
كَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَالْحَجَزَةُ - بِفَتْحَتَيْنِ - الَّذِينَ يَنْمَنَعُونَ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ بَعْضٍ
وَيُفْصَلُونَ بَيْنَهُمْ ، جَمْعُ حَاجِزٍ . وَيُقَالُ : نَجَزَ حَاجَتَهُ وَأَنْجَزَهَا : قَضَاَهَا . وَالْمُنَاجَزَةُ
الْمُقَابِلَةُ . وَتَنَاجَزَ الْقَوْمُ تَلَاَحَمُوا وَتَقَاتَلُوا . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمُحَاجَزَةَ وَالْمُسَالِمَةَ إِنَّمَا تَكُونُ
قَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ وَالْوُقُوعِ . فَيُضْرَبُ عِنْدَ الْحَزْمِ وَالْفِرَارِ مِمَّنْ لَا يُطَاقُ ، أَوْ عِنْدَ طَلَبِ الصِّلَحِ بَعْدَ
الْقِتَالِ .

حِدَا حِدَا وَرَاءَكَ بُنْدُقَةٌ.

الحِدَاةُ، بكسر الحاء وفتح الدال الممثلة بعدها همزة : الطائر المعروف، جمعه حِدَاةٌ على مثال عِنَبَةٍ وَعَيْنَبٍ . قال الرازي⁽⁴⁾: كنه تدانئ الحِدَاةِ الأويُّ وقال الآخر :

وتُبْلِي الألى يستلثمون على الألى تراهنَّ يومَ الرُّوعِ كالحِدَا القُبُلِ
وضمير تُبْلِي للمَنُونِ في البيت قبله . يقول : إنَّ المنيَّةَ تُبْلِي الذين
يَسْتَلْتِمُونَ - أي يَلْبِسُونَ اللَّأْمَاتَ للقتال - على الألى - أي على النساء - اللائي
تراهنَّ يومَ الرُّوعِ - أي يومَ الفَرْعِ - كالحِدَا القُبُلِ جمع قُبْلَاءَ، وهي الناطرة
بمقدَّم العين . يصفهنَّ بالاشفاق على أزواجهنَّ، فهنَّ ينظرن إليهم هل سلموا .
والبُنْدُقَةُ - بالضم - هي التي يرمى بها . وحِدَا في المثل أصله : يا حِدَاةُ بالهاء
[منادى، فرخمه بحذفه الهاء]⁽⁵⁾ وأسقط حرف النداء . والمعنى : يا حِدَاةُ، وراءَكَ
بُنْدُقَةٌ ! أي احذري بندقة الرامي تصبك ! وقيل إنَّ حِدَا هي حِدَا بنُ نَمِرَةٍ،
وبُنْدُقَةٌ هي بُنْدُقَةٌ بنُ مِطَّةَ، وهما قبيلتان من سَعْدِ العَشِيرَةِ . وكانت حِدَا
تنزل الكوفة، فأغاروا على بُنْدُقَةٍ، وكانوا ينزلون باليمن، فنالوا منهم . ثم كرَّتْ بُنْدُقَةٌ
على حِدَاةٍ فأنحوا عليهم، فصار يضرب لمن يُفَرِّعُ بعده أو يُبْلِي بنظيره . ومن
الناس من يرويه : حِدَا حِدَا، بفتح الحاء غير مهموز على مثال عَصَا - ويقول هو اسم
القبيلة.

ويروى : حَدَّثَ حَدِيثَيْنِ الْمَرْأَةَ، فَإِنْ أَبَتْ فَعَشْرَةٌ . والحديثان والأربعة
والعشرة أعداد معروفة . والمرأة فيها أربع لغات . يقال امرأةٌ ومِراًةٌ ومِرةٌ ومِراًةٌ .
ويروى : حَدَّثَ الْمَرْأَةَ حَدِيثَيْنِ، فَإِنْ لَمْ تَفْهَمْ فَارْبَعٌ . يقال : يَرْبَعُ إذا
وقف وحبس . والمعنى : حَدَّثْتُ حَتَّى إذا كرَّرت الحديث فلم يفهم عنك، فأمسك ولا
تُتْعِبْ نفسك !

(4) هو العجاج يصف الأثافي.

(5) سقط ما بين معقوفتين من د.

يُضْرَبُ فِي سُوءِ السَّمْعِ وَالْإِجَابَةِ . وَهَذَا الْمَعْنَى ظَاهِرٌ فِي الرِّوَايَةِ الْآخِرَةِ . وَأَمَّا الرِّوَايَتَانِ الْأُولَيَانِ فَأُولَهُمَا رِوَايَةُ أَبِي عُبَيْدٍ . قَالَ الْبَكْرِيُّ : وَتَصَحَّحَ عَلَى حَذْفٍ ، يَرِيدُ حَدِيثَ حَدِيثَيْنِ الْمَرْأَةِ ، فَإِنْ لَمْ تَفْهَمْ فَأَرْبَعَةٌ لَا تَفْهَمُهَا . وَعَلَى الرِّوَايَةِ الْآخَرَى : فَعَشْرَةٌ لَا تَفْهَمُهَا . انْتَهَى .

قُلْتُ : وَهَذَا الْمَثَلُ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَجَمَاوَاتِ . زَعَمُوا أَنَّ الْأَرْبَ التَّقَطَّتْ ثَمَرَةً ، فَاخْتَلَسَهَا الثَّعْلَبُ فَأَكَلَهَا ، فَاذْطَلَقَا إِلَى الضَّبِّ يَخْتَصِمَانِ . فَقَالَتِ الْأَرْبُ : يَا أَبَا الْحِيسَلِ ! فَقَالَ : سَمِيعًا دَعَوْتَ . قَالَتْ : أَتَيْنَاكَ لِنَخْتَصِمَ إِلَيْكَ ، فَاخْرُجْ إِلَيْنَا . قَالَ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ . قَالَتْ : إِنِّي وَجَدْتُ ثَمَرَةً . قَالَ : حُلُوتُهُ فَكُلِيهَا . فَقَالَتْ : فَاخْتَلَسَهَا مِنِّي الثَّعْلَبُ . قَالَ : لِنَفْسِهِ سَعَى . قَالَتْ : فَلَطَمْتُهُ . قَالَ : حَقَّكَ أَخَذْتِ . قَالَتْ فَلَطَمَنِي . قَالَ : حَرٌّ انْتَصَرَ . قَالَتْ : فَاقْضِي بَيْنَنَا ! قَالَ : حَدَّثِ امْرَأَةً حَدِيثَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ تَفْهَمْ فَأَرْبَعَةٌ ! وَهَذِهِ الْمَقَالَةُ (6) الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الضَّبِّ كُلِّهَا أَمْثَالٌ سَائِرَةٌ .

حَدِيثُ خُرَافَةِ يَا أُمَّ عَمْرُو !

الْحَدِيثُ مَعْرُوفٌ . وَخُرَافَةٌ - عَلَى مِثَالِ أُسَامَةَ - رَجُلٌ مِنْ عَذْرَاءِ اسْتَوَهَّتْ الْجَنَّ ثُمَّ نَجَا . فَكَانَ يَخْبِرُ بِأُمُورٍ غَرِيبَةٍ ، فَكَذَّبُوهُ وَقَالُوا : حَدِيثُ خُرَافَةٍ ، ثُمَّ ضَرَبُوا بِهِ الْمَثَلَ وَجَعَلُوهُ لِكُلِّ حَدِيثٍ مُسْتَمْلَحٍ ، أَوْ لِكُلِّ حَدِيثٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ . وَهُوَ مِثْلُ سَائِرِ قَدِيمَاتٍ وَحَدِيثَاتٍ . وَقِيلَ إِنَّ خُرَافَةَ كَانَ لَهُ تَابِعٌ مِنَ الْجَنِّ فَكَانَ يَخْبِرُهُ بِأَشْيَاءَ عَجِيبَةٍ ، فَيَتَحَدَّثُ بِهَا ، فَتَكُونُ كَمَا ذَكَرَ ، فَنَسَبُوا إِلَيْهِ الْأَحَادِيثَ الصَّادِقَةَ الْمَعْجِبَةَ الصَّادِقَةَ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : وَيُرْوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : وَخُرَافَةُ حَقٌّ . انْتَهَى .

وَذَكَرَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ أَنَّهُ رُوِيَ بِسَنَدٍ مُتَّصِلٍ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَدَّثْنِي بِحَدِيثِ خُرَافَةٍ ! فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ خُرَافَةَ ! كَانَ رَجُلًا صَالِحًا ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَلَقِيَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنَ الْجِنِّ ، فَأَسْرَوْهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : نَعْفُو عَنْهُ . وَقَالَ آخَرُ : نَقْتُلُهُ . وَقَالَ آخَرُ : نَسْتَعْبِدُهُ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِهِ ، وَرَدَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ! فَقَالُوا : وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ! قَالَ : وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ ؟ قَالُوا : نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ أَسْرَنَا هَذَا ، فَنَحْنُ نَتَأَمَّرُ فِي

(6) فِي ب و د : الْمَقَالَةُ .

أَمْرِهِ . قَالَ : إِنْ حَدَّثْتَكُمْ حَدِيثًا عَجَبًا أَتَشْرَكُونِي فِيهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ !
قَالَ : إِنِّي كُنْتُ ذَا نِعْمَةٍ فَرَأَلْتُ، وَرَكِبَنِي دَيْنٌ، فَخَرَجْتُ هَارِبًا .
فَأَصَابَنِي عَطَشٌ شَدِيدٌ، فَصَرْتُ إِلَى بَيْتٍ، فَسَبَرْتُ لِأَشْرَبَ، فَصَاحَ بِي
صَائِحٌ مِنْهَا وَلَمْ أَشْرَبْ . فَعَلَبَنِي الْعَطَشُ، فَعُدْتُ، فَصَاحَ بِي، ثُمَّ
عُدْتُ الثَّلَاثَةَ فَصَاحَ بِي، فَشَرِبْتُ وَلَمْ أَلْتَفِتْهُ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ
رَجُلًا فَحَوَّلْهُ امْرَأَةً، وَإِنْ كَانَ امْرَأَةً فَحَوَّلْهُ رَجُلًا . فَإِذَا أَنَا امْرَأَةٌ، فَأَتَيْتُ
مَدِينَةَ فَتَزَوَّجَنِي رَجُلٌ، فَوَلَدْتُ مِنْهُ وَلَدَيْنِ . ثُمَّ تَقَتُّ إِلَى بَلَدِي،
فَمَرَرْتُ بِالْبَيْتِ الَّتِي شَرِبْتُ مِنْهَا، فَصَاحَ بِي كَمَا صَاحَ أَوَّلًا . فَشَرِبْتُ
وَلَمْ أَلْتَفِتْ . فَدَعَا كَالأَوَّلِ، فَعُدْتُ رَجُلًا كَمَا كُنْتُ . فَأَتَيْتُ بَلَدِي،
فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَوَلَدَ لِي مِنْهَا وَلَدَانِ : فَلِي اثْنَانِ مِنْ ظَهْرِي وَاثْنَانِ
مِنْ بَطْنِي . فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ ! أَنْتَ شَرِيكُنَا فِيهِ .
فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاوَرُونَ، وَرَدَ عَلَيْهِمْ ثَوْرٌ يَطِيرُ . فَلَمَّا جَاوَزَهُمْ إِذَا
بِرَجُلٍ بِيَدِهِ خَشَبَةٌ يُحْضِرُ فِي أَثَرِهِ . فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَسَأَلَهُمْ،
فَرَدُّوا عَلَيْهِ مِثْلَ مَرَدِّهِمْ عَلَى صَاحِبِهِمْ، فَقَالَ : إِنْ حَدَّثْتَكُمْ
بِحَدِيثٍ أَعْجَبَ مِنْ هَذَا، أَتَشْرَكُونِي فِيهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : كَانَ لِي
عَمٌّ، وَكَانَ لِعَمِّي عَجَلٌ يَرْبِيهِ، فَأَفْلَتَ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ رَدَّهْ فَابْنَتِي
لَهُ . فَأَخَذْتُ خَشَبَتِي هَذِهِ وَائْتَرَزْتُ، ثُمَّ أَحْضَرْتُ فِي أَثَرِهِ وَأَنَا غَلَامٌ .
وَقَدْ شَبْتُ، فَلَا أَنَا الْحَقُّهُ وَلَا هُوَ يَنْكَلُ . فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ !
أَنْتَ شَرِيكُنَا فِيهِ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، وَرَدَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ
لَهُ أَنْثَى، وَغَلَامٌ لَهُ عَلَى فَرَسٍ . فَسَلَّمَ كَمَا سَلَّمَ صَاحِبَاهُ فَرَدُّوا
عَلَيْهِ كَرَدِّهِمْ عَلَى صَاحِبِيهِ . فَسَأَلَهُمْ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ : إِنْ حَدَّثْتُمْ
بِحَدِيثٍ أَعْجَبَ مِنْ هَذَا أَتَشْرَكُونِي فِيهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : كَانَتْ لِي
أُمٌّ خَبِيثَةٌ . ثُمَّ قَالَ - لِلْفَرَسِ الْأُنْثَى الَّتِي تَحْتَهُ : أَكْذَالِكَ ؟ فَقَالَتْ :
نَعَمْ ! وَكُنَّا نَتَّهِمُهَا بِهَذَا الْعَبْدِ، وَأَشَارَ إِلَى الْفَرَسِ تَحْتَ غَلَامِهِ :
أَهْكَذَا ؟ فَقَالَ بِرَأْسِهِ نَعَمْ ! فَوَجَّهْتُ غَلَامِي هَذَا الرَّكِيبَ عَلَى هَذَا
الْفَرَسِ فِي بَعْضِ حَاجَاتِي، فَحَبَسَهُ عِنْدَهَا، فَأَعْفَى . فَرَأَى فِي مَنَامِهِ

كَأَنَّهَا صَاحَتُ صَائِحَةٍ، فَإِذَا هُوَ⁽⁷⁾ يَجُرُّهُ قَدْ خَرَجَ، فَقَالَتْ : اسْجُدْ !
فَسَجَدَ . ثُمَّ قَالَتْ : اكْرُبْ ! فَكْرَبَ . ثُمَّ قَالَتْ : ازرَعْ ! فزرَعَ . ثُمَّ
قَالَتْ : ادرُسْ ! فدرَسَ . ثُمَّ دَعَتْ بَرَحَى فَطَحَنَتْ قَدَحَ سَوِيْقٍ فَأَتَتْ
بِهِ الْعِلَامَ وَقَالَتْ لَهُ : ائْتِرْ بِهِ مَوْلَاكَ ! فَأَتَانِي بِهِ . فاحتلتُ عليها
حَتَّى سَقَيْتُهَا الْقَدَحَ فَإِذَا هِيَ فَرَسٌ أَنْثَى، وَإِذَا هُوَ فَرَسٌ ذَكَرٌ .
أَكْذَلِكْ ؟ فَقَالَتْ الْفَرَسُ الْأُنْثَى بِرَأْسِهَا : نَعَمْ ! وَقَالَ الْفَرَسُ بِرَأْسِهِ :
نَعَمْ ! فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا أَعْجَبُ شَيْءٍ سَمِعْنَاهُ، أَنْتَ شَرِيكُنَا ! فَاجْتَمَعَ
رَأْيُهُمْ، فَأَعْتَقُوا خُرَافَةَ . فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا
الْحَدِيثِ . فَمَا جَاءَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُحَالِيَةِ نُسِبَ إِلَى خُرَافَةِ صَاحِبِ الْحَدِيثِ .
انتهى.

وقال في الصحاح : الرءاء في خرافة خفيفة، ولا يدخله الألف واللام لأنه معرفة علم ؛ إلا أن
تريد به الخرافات الموضوعة من حديث التليل . انتهى.

وقد استعمل اليوم في عرفنا اسما للحديث المستملح . يقول الرجل لصاحبه : اذكر لي
خرافة، أي حديثا من ذلك النوع، ويُحَلَّى بالألف واللام لذلك.

الْحَدِيثُ شُجُونٌ.

ويقال أيضا ذُو شُجُونٍ . والشُّجُونُ، بضم الشين، جمع شَجْنٍ، بفتح فسكون،
وهو الطريق في الوادي . والشَّوْاجِنُ والشُّجُونُ أيضا : الأودية الكثيرة الشجر . قال :
لَمَّا رَأَيْتُ عَدِيَّ الْقَوْمِ يَسْلُبُهُمْ طَلْحُ الشَّوْاجِنِ وَالطَّرْفَاءِ وَالسَّلَمِ
أَوْ جَمْعِ شَجْنَةٍ، بكسر الشين، وهي الصدم في الجبل . والشَّجْنُ - بفتحتين - غُصْنُ
الشجرة المشتبك، والشُّعْبَةُ من كل شيء، والحاجة حيثما كانت . يقال لي بموضع كذا
شَجْنٌ . قال الراجز :

إِنِّي سَأُبْدِي لَكَ فِيمَا أَبْدِي لِي شَجْنَانِ : شَجْنٌ بِنَجْدٍ
وَشَجْنٌ لِي فِي بِلَادِ السَّنْدِ

(7) في ب : فإذا هي بجُرْدٍ.

والجمع أيضا شُجُون . والشَّجْنَةُ أيضا، مثلثة الشين، العُرُوق المشتبكة . يُقال : بيني وبين فلان شَجْنَةٌ رَحِيم، أي قرابة مشتبكة.

وفي الحديث : الرَّحِيمُ شَجْنَةٌ مِنَ اللَّهِ، أي مشتبكة اشتباك العُرُوق. ومعنى المثل أن الحديث ذو فنون وأغراض وطرق يدخل بعضها في بعض، ويتشعب بعضها من بعض، كالطرق المشتبكة المتقاطعة، أو الأغصان والعروق . يُضرب في الحديث يستذكر به حديث غيره . ومن ثمَّ يضربه القصاص والأئمة عند استطراد المسائل والخروج من غرض الى آخر . وقال الفرزدق :

وإن كُنْتَ قد ساءلتَ دوني فلا تَقِمِ بأرضٍ بها بنتُ الهَوَانِ تكونُ
فلا تَأْمَنَنَّ الحربَ إنَّ استِعَارَهَا كضَبَّةٌ إذ قال : الحديثُ شُجُونُ !
والاستِعَارُ - بالسين والعين المهملتين - من استعار النار . وروى اشتِعَارُ - بالسين والغين المعجمتين - أي هيجانها وثورَانُها وانتشارها، من قولك : شجر برجله . يقول : إنَّ الحرب سَبَّيها الكلام، كما قال الآخر :

فإنَّ النَّارَ بِالزَّنْدَيْنِ ثَوْرَى وإنَّ الحَرْبَ أَوْلَاهَا كَلَامُ
ويُقال : الحرب أَوْلَاهَا نَجْوَى، وأوسطها شَكْوَى، وآخرها بَلْوَى.
وقلت، مضمنا لهذا المثل في غرض :

تمنَّى بأوباشٍ فتوحَ مدائنٍ وذاكَ لعمري ضِلَّةٌ وجُنُونُ
فأضحى كَعَمْرٍ إذ ترجى مُرادُهُ بجيشٍ مُرادٍ والحديثُ شجونُ
وتقدَّم خبر عمرو بن أمانة مع مراد في الباب الأول.

حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ !

الْبَحْرُ معروف، وَالْحَرَجُ - بفتحَتَيْنِ - الضِّيقُ والاثَمُ . وهذا يُروى في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَنَّهُ قال : حَدَّثُوا عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ ! أي حيث لا حَرَجَ عليكم في التحديث عنه، فتكون الجملة حالية . وقد جعل هذا مثلا في الشيء الكثير الذي لا ينحصر أو لا يكاد، بمعنى أنَّ المحدث عنه لا يضيق عليه المجال، ولا يُعوِّزُه مقال.

وورد من هذا النحو أيضا حَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ! وفي ذلك تأويلات ذكرها المحدثون، ولا حاجة الى التعرّض لها . والمقصود من التمثيل واضح .

وقال ابن التلّبانة :

وَأَلْغَوْا حَدِيثَ الْبَحْرِ عِنْدَ حَدِيثِهِ فَكَمْ بَيْنَ ذِي مَدٍّ وَكَمْ بَيْنَ ذِي جَزَرٍ !

حَدَّثَ عَنْ مَعْنٍ وَلَا حَرَجَ !

هو معن بن زائدة الشيباني، الجواد المعروف .

الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ يُفْلُ .

الحديد معروف، وكذا الفلّ . وهذا المثل يضرب في الرجل القويّ يلقي قرينه في البسالة والنجدة . وكان الوليد بن طريف الشيبانيّ، لمّا خرج على الرشيد، اشتدّت شوكته، فبعث إليه الرشيد يزيد بن مزيّد الشيبانيّ، فقتله . فقال بكر بن النطّاح :
وَأَنَّ بَعْضَهَا يُقْتَلُ بَعْضًا لَا يَفْلُ الْحَدِيدُ إِلَّا الْحَدِيدُ !
لَوْ تَلَقَّى الْوَلِيدَ غَيْرُ يَزِيدَ لَعَدَا ظَاهِرًا عَلَيْهِ الْوَلِيدُ
ولمّا قُتِلَ الْوَلِيدَ رَثَتْهُ أخته الفارعة بنت طريف بشعرها المعروف، منه :
أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مَوْقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ ؟
فَتَى لَا يُعَدُّ الرَّادُّ إِلَّا مِنَ الثَّقَى وَلَا الْمَالُ إِلَّا مِنْ قَنَى وَسُيُوفٍ
وهي قصيدة معروفة .

الْحَذَرُ قَبْلَ إِرْسَالِ السَّهْمِ .

الْحَذَرُ - بفتح ح - والحذر - بكسر فسكون - الاحتراز . يُقَالُ حَذَرَ، بالكسر،

يَحْذَرُ، فهو حَذِرٌ ؛ والارسالُ : الاطلاق، والمراد هنا الرّمي ؛ والسَّهْمُ معروف . وهذا من الأمثال العجماءيّة أيضا .

زعموا أنّ غراباً رأى رجلاً فوقّ سهماً ليضرب به . فأراد ابنه أن يطير، فقال له : يا بنيّ ! اثبت حتّى تعلم ما يريد الرجل . فقال له ابنه : يا أبت، الحَذَرُ قَبْلَ إِرْسَالِ السَّهْمِ !

فذهبت مثلا . وهو يحسن أن يُضرب عند الأمر بالاحتراز والاستعداد للمحذور قبل وقوعه وقبل فوات محل الحذر . وذلك ظاهر .

أَحْذَرُ مِنْ ضَبٍّ حَرَشْتُهُ .

الْحَذَرُ مَرٌّ ؛ وَالضَّبُّ الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ ؛ وَالْحَرَشُ صَيَْادَتُهُ . يُقَالُ : حَرَشَ الضَّبُّ ، يَحْرَشُهُ ، حَرَشًا ، فَهُوَ حَارِشٌ ، وَذَلِكَ أَنْ يَحْرَكَ يَدُهُ فِي فَمِ جَحْرِهِ لِيُظَنَّهُ حَيَّةً ، فَيُخْرِجُ ذَنْبَهُ لِيُضْرِبَ بِهَا ، فَيَقْبِضُ عَلَى ذَنْبِهِ وَيَمْتَلِخُهُ مِنَ الْجَحْرِ⁽⁸⁾ قَالَ الشَّاعِرُ :
وَأَخَذَعُ مِنْ ضَبٍّ إِذَا جَاءَ حَارِشٌ أَعْدَّ لَهُ عِنْدَ الذُّنَابَةِ عَقَبًا
وَمِنْ هَذَا الْمَثَلُ اللَّاتِي : هَذَا أَجَلٌ مِنَ الْحَرَشِ .

أَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ .

الْحَذَرُ تَقَدَّمَ ؛ وَالْغُرَابُ مَعْرُوفٌ وَتَقَدَّمَ أَيْضًا ، وَيُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي شِدَّةِ الْحَذَرِ ، وَذَلِكَ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ .
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : أَخَذْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ ، حَتَّى انْتَهَى بِي الْأَمْرُ إِلَى الْكَلْبِ وَالْهَرَّةِ وَالْخَنَزِيرِ وَالْغُرَابِ . فَقِيلَ لَهُ : مَا أَخَذْتَ مِنَ الْكَلْبِ ؟ قَالَ : الْفُهَ لِأَهْلِهِ وَذِبُّهُ عَنْ صَاحِبِهِ . فَقِيلَ لَهُ : مَا أَخَذْتَ [مِنْ] الْهَرَّةِ ؟ قَالَ : حَسَنُ تَأْنِيهَا وَتَمَلُّقُهَا عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ . فَقِيلَ : مَا أَخَذْتَ مِنَ الْخَنَزِيرِ ؟ قَالَ : بَكُورُهُ فِي حَوَائِجِهِ . فَقِيلَ : مَا أَخَذْتَ مِنَ الْغُرَابِ ؟ قَالَ : شِدَّةَ حَذَرِهِ .

حَذَوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ .

تَقُولُ : حَذَوْتُ النَّعْلَ أَخَذْتُهَا حَذْوًا إِذَا قَطَعْتُهَا وَقَدَرْتُهَا ؛ وَحَذَوْتُ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ إِذَا قَدَرْتُهَا بِهَا وَقَطَعْتُهَا عَلَيْهَا . وَالنَّعْلُ مَعْرُوفَةٌ . وَالْمَثَلُ يُضْرَبُ فِي التَّسَاوِيِّ وَالتَّشَابِهِ . تَقُولُ فِي الشَّيْئَيْنِ يَسْتَوِيَانِ : هُمَا حَذَوُ النَّعْلِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كِلَا مِنْ النَّعْلَيْنِ تَقْدَرُ بِالْأُخْرَى وَتُقَاسُ بِقَالِبِهَا . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْهَذَلِيِّ :

(8) يَمْتَلِخُهُ : يَقْتُلُهُ وَيَجْتَذِبُهُ . وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ : أَخْبَثُ مِنْ ضَبٍّ حَرَشْتُهُ .

وتَأَمَّلِ السَّبْتَ الَّذِي أَحْذَوْهُ فَانْظُرْ بِمِثْلِ حِذَائِهِ أَحْذُولِي
ويُقال أيضا : احتذَيْتَ حَذْوَ فلان، أي فعلت فعله.

الْحَرْبُ خُدْعَةٌ.

الحربُ معروف، مؤنَّث وقد يُذكر . ويُقال : رجل حَرْبٌ ومَحْرَبٌ، أي شديد الحرب
شجاع ؛ ورجل حَرْبٌ، أي عدوٌّ، للواحد والجميع، ولأنثى أيضا . قال نصيب :
وقولا لها : يا أمَّ عُثْمَانَ خُلَّتِي أسلمَ لنا في حُبِّنا أنتِ أم حربُ ؟
والخَدْعُ الخَتْلُ . يُقال : خَدَعَهُ، يَخْدَعُهُ، أي خَتَلَهُ وأراد به المكروه من حيث لا
يعلم . ولفظ خِدْعَةٌ هاهنا رُوي مُثَلَّثًا، والذي في الصحاح الفتح والضمُّ مع سكون
الدال . قال : والفتح أفصح . ورُوي أيضا خُدْعَةٌ - على مثال هُمَزَةٍ - . والمعنى أَنَّها
تنقضُ بخدعة . والذي يقتضيه الاشتقاق لغة في هذا الضبط أَنَّ الخُدْعَةَ - بضمَّ الخاء -
وصف . فإن كان بفتح الدال - كهُمَزَةٍ - فهو وصف للرجل يكون كثير الخدع للنَّاس . وإن
كان بسكونها فهو وصف للذي يخدع . والخَدْعَةُ - بفتح فسكون - مصدر وهو المرَّة من
الخدع، وبالكسر للهيئة من ذلك . وهذا الكلام يروى حديثًا.

الْحَرْبُ سِجَالٌ.

الْحَرْبُ مرَّةٌ ؛ والسِّجَالُ يكون جمع سَجَلٍ - بفتح السين وسكون المعجمة - وهو الدلو
فيها الماء . ولا يُقال لها سَجَلٌ إلَّا وفيها الماء ؛ والمُسَاجِلَةُ : المُفَاخَرَةُ والمباراة في
السقي بالسجال . قال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب، وقد وقف على زمزم :
مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَاجِدًا يَمْلَأُ الدَّلَوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ
ثمَّ استعملت المساجلة في المعارضة والمباراة في كلِّ شيء، من سبق، أو رمي، أو غير
ذلك. وتَسَاجَلًا : تَبَارِيًا.

ومعنى المثل أَنَّ الحروب دُوكٌ بين الناس : سَجَلٌ منها على هؤلاء، وسَجَلٌ على هؤلاء،
كما قال أبو سفيان لهرقل لمَّا قال له : كيف الحرب بينكم وبينه ؟ - يعني النبي صلَّى
الله عليه وسلَّم - فقال أبو سفيان : الحرب بيننا وبينه سِجَالٌ : يدال علينا مرَّةً وندال
عليهم أخرى . وقال زهير :

تَهَامُونَ نَجْدِيُونَ كَيْدًا وَنُجْعَةً لِّكُلِّ أَنْاسٍ مِنْ وَقَائِعِهِمْ سَجَلٌ
وقد يُضْرَبُ فِي غَيْرِ الْحُرُوبِ مِنْ كُلِّ مَا يَشْبِهُهَا مِنْ نَزَاعٍ وَجْدَالٍ مَثَلًا . وَلَفْظُ السَّجَالِ فِي
الْمَثَلِ جَمْعٌ ، كَمَا فَسَّرْنَا أَوَّلًا . وَلَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ مُصَدِّرًا ، أَيِ الْحَرْبِ هُوَ مُسَاجِلَةٌ . وَحَاصِلُ
الْأَمْرِ وَاحِدٌ .

حَرْبٌ عَوَانٌ .

اعْلَمْ أَنَّ الْعَرَبَ ضَرَبُوا لِلْحَرْبِ الْمَثَلَ بِأَوْصَافِ شَتَّى : فَمِنْ السَّائِرِ مِنْ ذَلِكَ الْعَوَانُ ،
وَالْإِقْحَمُ ، وَالزَّبَاعِيَّةُ . يَقُولُونَ : حَرْبٌ عَوَانٌ ، وَحَرْبٌ لَاقِحٌ ، وَحَرْبٌ زَبَاعِيَّةٌ .
أَمَّا الْعَوَانُ فَأَصْلُهَا فِي النِّسَاءِ ، وَهِيَ النَّصْفُ فِي سَنِّهَا ، وَكَذَا فِي سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ . قَالَ
تَعَالَى : لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ . وَيُقَالُ الْعَوَانُ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ . قَالَ
الزَّابِغَةُ :

وَمَنْ يَتَرَبَّصَ الْحَدَثَانِ تَنْزِلَ بِمَوْلَاهُ عَوَانٌ غَيْرُ بَكْرٍ
وهذا أيضًا مُحْتَمَلٌ . وَالْجَمْعُ عَوْنٌ بِالضَّمِّ . وَاشْتِقَاقُ الْعَوَانِ مِنَ الْعَوْنِ وَهُوَ الْقُوَّةُ ، لِأَنَّهَا
عُرْضَةٌ لِلْعَانَةِ إِنْ اسْتَعِينَتْ . وَأَمَّا الْعَوَانُ مِنَ الْحُرُوبِ فَهِيَ الَّتِي كَانَتْ قُوَّتُهَا فِيهَا ، مَاخُوذٌ
مِنْ عَوَانِ النِّسَاءِ ، كَأَنَّهُمْ جَعَلُوهَا فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى بَكْرًا ثُمَّ تَصِيرُ ثِيَابًا . قَالَ أَبُو جَهْلٍ
يَرْتَجِزُ يَوْمَ بَدْرٍ :

مَا تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مِنِّي بَازِلُ عَامِينَ حَدِيثُ سِنٍ⁽⁹⁾
لِمَثَلِ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي

وقال زهير :

إِذَا لَقِيتَ حَرْبَ عَوَانٍ مُضَرَّةً ضَرُوسٌ تَهْرُ النَّاسَ أَنْيَابُهَا عُصْلُ
وقال الحماسي موسى بن جابر :

وإن رَفَعُوا الْحَرْبَ الْعَوَانُ الَّتِي تَرَى فَعُرْضَةٌ نَارِ الْحَرْبِ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي
وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ مَا وَصَفُوهَا بِالْعَوَانِ إِلَّا لِلْمُبَالَغَةِ وَإِرَادَةِ أَنَّهَا شَدِيدَةٌ ، لَا مَجْرَدُ أَنَّهَا قُوَّتُهَا
فِيهَا مَرَّةً . وَكَانَ ذَلِكَ لِأَجْلِ أَنَّ الْمُبْتَكِرَةَ يَخْفَ أَمْرُهَا لِعَدَمِ اسْتِحْكَامِ الضَّغَائِنِ فِيهَا بَعْدَ ،
بِخِلَافِ الَّتِي تَقْدِمُهَا قِتَالُ غَرَسٍ فِي الْقُلُوبِ الضَّغَائِنِ وَأَحْفَظُهَا وَأَكْثَرُ الْأَوْتَارِ . فَذَلِكَ مِظَنَّةٌ

(9) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : بَازِلُ عَامِينَ حَدِيثُ سِنَيْنِ

الاشتداد مع عظم العود إلى الحروب على النفس، ونفور النفوس منه، وكراهيتها له، كما قال الآخر :

الحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةٌ تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهْوَلٍ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلٍ
شَمْطَاءَ يَنْكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْيِيلِ
وَأَمَّا تشبيه الأولى بالبكر والثانية بالعوان فذلك يكون لثلاثة أوجه :

الوجه الأول أن البكر من النساء هي التي لم تتقدَّم بماسستها ومخالطتها، بخلاف العوان .
وهذا بيّن، وإليه أشار حبيب في التعبير عنها بالثيب حيث قال :
وَلَا اجْتَلَبَتْ بَكْرٌ مِنَ الْحَرْبِ نَاهِدٌ وَلَا ثِيْبٌ إِلَّا وَمِنْهُمْ لَهَا خِطْبُ
الثاني أن البكر، لصغر سنّها وجسمها، في الجملة تشبه المرأة الأولى لخفتها ؛ والعوان،
لعظم جسمها في الجملة وسنّها، تشبه الثانية لقوّتها واشتدادها . وهذا من التوهّم
الخياليّ .

الثالث أن البكر أسهل لغرّتها وقناعتها بما تجد، ولا كذلك العوان : فإنّها، لاحتكاكها
وتجربتها وطموح عينها، أصعب محاورةً وأشدّ معاشرةً وأدهى نكرا وأعظم مكرا، وهذا
واضح . وقد يوصف بالعوان الأرض التي أصيبت بالمطر مرّة بعد أخرى، تشبيها كالذي مرّ .
قال حميد بن ثور الهلالي :

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى أَغْرٍ مُشْهَرٍ بِكَرٍ تَوْسَنَ بِالْخَمِيلَةِ عُونًا
مُتَسَنَّمٍ سَنِمَاتِهَا مُتَفَجَّسٍ بِالْهَدَرِ يَمْلَأُ أَنْفُسًا وَعُيُونًا⁽¹⁰⁾
لَقِمَ الْعِجَافُ لَهُ لَخَامِسٍ خَمْسَةَ وَشَرَبْنِ بَعْدَ تَحْطِئٍ فَرَوِينَا
أَرَادَ بِالْأَغْرِ سَحَابًا أَبْيَضَ وَبكونه بكرا أنّه لم يمطر قبل ذلك ؛ وأَرَادَ بِالْخَمِيلَةِ الرَّمْلَ ذَاتَ
الشَّجَرِ ؛ وَالْعُونُ جَمْعُ عَوَانٍ، وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي أَصَابَهَا الْمَطَرُ مَرَّةً . وَمَعْنَى تَوْسَنَ سَنَمَاتِهَا
طَرَقَهَا هَذَا السَّحَابُ لَيْلًا عِنْدَ الْوَسْنِ، أَيْ النُّوْمِ، تَقُولُ : تَوْسَنَتِ الرَّجُلَ إِذَا أَتَيْتَهُ وَهُوَ
وَسْنَانٌ . وَالسَّنِمَاتُ الْعِظَامُ الْأَسْنِمَةُ مِنَ الْإِبِلِ، وَأَطْلَقَهَا هُنَا عَلَى التَّلَالِ وَالْأَكْمِ . وَقَوْلُهُ
مُتَسَنَّمٌ يَرِيدُ يَتَسَنَّمُهَا، أَيْ يَعْلُوهَا كَالْفَحْلِ الَّذِي يَتَسَنَّمُ الْإِيْنُقَ . وَقَوْلُهُ :

(10) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ :

مُتَسَنَّمًا سَنِمَاتِهَا مُتَفَجَّسًا بِالْهَدَرِ يَمْلَأُ أَنْفُسًا وَعُيُونًا

مُتَفَجِّسٌ أي متكبّر بالهدر، أي رعه، تشبيها بهدر البعير ؛ والعجاف أراد بها الأرضين المجدبة مجازاً ؛ ومعنى لقت حملت، أي أنبتت عشبها . وقوله بعد تحلى أي شربت بعد امتناع من الماء زمانا، من قولك : حَلَّأْتُهُ، أي دفعته وطردته . وأما الآقم فأصلها في الحيوان أيضا . يقال : لقيحت الناقة - بالكسر - إذا حملت، وألقحها الفحل، فهي لاقِح ولقُوح ولِقْحَة - بالكسر ويفتح - . وجمع الآقم لَوَاقِح، وجمع اللقوح لُقَح، وجمع اللقحة لِقَح، كقِرْبَة وقِرْب، ولِقَاح . ثم ضربوها مثلا للحرب إذا عظمت واشتدت، تشبيها لها بالناقة إذا حملت فعظم بطنها . قالت الفارعة بنت طريف : ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقحٌ وسمرُ القنا ينكرنها بأنوفٍ ومنه قول زهير السابق : إذا لقيحت حربٌ عوانٌ مضرّة .

ومن أبلغ ما ورد في هذا المعنى قوله أيضا في ميميته، حيث وصف الحرب فقال : وما الحربُ إلا ما علمتُم وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجم متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريئتموها فتضرم فتعرككم عرك الرّحا بثفالها وتلقح كشافا ثم تحمل فتنتم فتنتج لكم غلمان أشام كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم فتغلب لكم مالا تغلب لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم قوله تبعثوها ذميمة أي مذمومة، وكان الأفصح أن يقول ذميما، بغير هاء . ويروى بالبدال المهملة، أي حقيرة، إشارة الى معنى ما تقدّم في قول الآخر : الحرب أول ما تكون فتية . وقوله عرك الرّحا بثفالها، أي وهي على ثفالها . والثفال - بالناء المثلثة مكسورة - ما يجعل تحت الرحا حال الطحن، يريد : تعرككم عرك الرحا إذا كانت طاحنة . وقوله تلقح كشافا : الكشاف أن يحمل الفحل على الناقة سنتين ولاء أو كل سنة، أو أن تلحم حين تنتج، أو أن يضربها وهي حامل . وهي ناقة كشوف، وقد كشفت، تكشف، كشافا . وأراد أن هذه الحرب كلما خدمت هاجت . وقوله فتنتم، أي تأتي من حملها بتوعمين، وهذا تهويل وتعظيم لأمر الحرب، وإيهام أن شرّها متكرّر وهولها متضاعف . وشبّها بالناقة لِمَا تقدّم، ولأنّها أيضا يطول أمرها فتكون بمنزلة الناقة التي تضرب، ثم تحمل، ثم تنتج، ثم تفطم . وقيل لأنّها يتحلب [منها] من الدماء مثل ما يتحلب من الناقة من اللبن . وقوله فتنتج لكم غلمان أشام، فوضع أشام

موضع المصدر، أو غِلْمَانِ شَوْمٍ أَشْأَمَ على المبالغة، نحو شغل شَاغِل، وليك أَلِيكَ ؛
أو غِلْمَانِ امرئٍ أَشْأَمَ . وقوله كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عاد يعني عَاقِرِ النَّاقَةِ، وهو يُضْرَبُ
به المثل في الشَّوْمِ، وأراد أَحْمَرِ ثَمُودَ، فأضافه إلى عاد غلطًا، كما قال الآخر :

مِثْلَ النَّصَارَى قَتَلُوا الْمَسِيحًا

وقيل ليس بغلط، لأنَّ ثمود يقال لها عادٌ الآخرة، وهو دهم عاد الأولى . قال تعالى :
وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى . وأمَّا الرباعية - بياء مخففة - فهي أيضا في الابل، وهي في
السنّ التي بين الناب والثنية . ويقال للذي ألقى رباعيته رَبَاعٍ، وجميعه رُبْعٌ، كقِذَالٍ
وقِذْلٍ . ويقال للغنم في السنة الرابعة أَرْبَعَتِ، وللبقر وذات الحافر في الخامسة، ولذات
الخفّ في السابعة . وتقدّم ذكر أسنان الابل أنَّ الرباعي منها والرَّبَاعِيَّةُ بين الثني
والسدس . ويقال : جَمَلَ وفرس رَبَاعٍ ورَبَاعٌ، ونظيره ثَمَانٍ وَثَمَانٌ، ونَشَاحٌ
ونَشَاحٌ، وجوارٍ وجوارٌ ؛ والأنثى رَبَاعِيَّةٌ، وتوصف الحرب بالرباعية لشِدَّتِها وقوَّتِها .
قال الشاعر:

إِنَّهَا حَرْبٌ رَبَاعِيَّةٌ مِثْلُهَا آتِي الْفَتَى عِبرَهُ
وقيل لامرأة من العرب

[بياض بالأصل]

الْحُرُّ إِذَا خُودِعَ تَخَادَعٌ، وَإِذَا عُظِمَ تَوَاضَعٌ.

هذا مثل مصنوع، فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى . ومثله قول الشاعر :

إِذَا مُدِحَ الْكَرِيمُ يَزِيدُ خَيْرًا وَإِنْ مُدِحَ اللَّئِيمُ فَلَا يَزِيدُ

حِرَّةٌ تَحْتَ قِرَّةٍ .

يقال : حَرَّ الرجل يَحَرُّ، كَظَلَّ يَظَلُّ، حَرَارًا وَحَرَّةً، فهو حَرَّانٌ وهي حَرَّى، إذا
عطش . والحيرة في المثل مكسورة لازدواج . والقِرَّةُ - بضم القاف - البَرْدُ، أو بَرْدُ
الشتاء خاصة ؛ والقِرَّةُ - بالكسر - ما أصابك منه . وهذا المثل يُضْرَبُ للأمر يظهر وبعده أمر
خفي . وأصل الحيرة تَحْتَ القِرَّةِ أَنَّهَا العطش مع البرد، وهو إذ ذاك ينحاز الى الجوف
فيكون سعيًا، ومع ذلك لا يظهر من حال صاحبه - لِمَا هو فيه من البرد - أَنَّهُ عطشان .

ويقال : أَشَدُّ الْعَطَشِ حِرَّةٌ تَحْتَبُ قِرَّةً ، [ويُقال : أَجْدُ حِرَّةٌ تَحْتُ قِرَّةً] (11) ورمَاهُ اللَّهُ بِالْحِرَّةِ تَحْتِ الْقِرَّةِ .

وفي أمثال العامة قولهم : الشِّتَاءُ عَلَى قَرْنِي ، والعَطَشُ قَتَلَنِي . وهذا يُضْرَبُ لِأَمْرٍ آخَرِ .

أَحَرُّ مِنْ دَمْعِ الْمِقْلَاتِ .

الْحَرَارَةُ ضِدُّ الْبَرْدِ ، كَالْحَرِّ وَالْحَرُورِ . يقال : حَرَّ الْيَوْمُ يَحَرُّ - كَمَلَّ يَمَلُّ - وَحَرَّ يَحِرُّ - كَفَرَ يَفِرُّ - حَرَارَةٌ فَهُوَ حَارٌّ ؛ والدَمْعُ معروف ؛ والمِقْلَاتُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ ، وَمِنَ النَّوَقِ الَّتِي تَضَعُ وَلَدًا تَمْ لَا تَحْمِلُ ، مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْقَلْتِ - بَفَتْحَتَيْنِ - وَهُوَ الْهَلَاكُ . يُقَالُ قَلَيْتَ يَقْلَتُ - كَفَرَحَ يَفْرَحُ - قَلَيْتَ ، إِذَا هَلَكَ . وَفِي الْخَبَرِ : الْمُسَافِرُ وَمَتَاعُهُ عَلَى قَلْتٍ ، إِلَّا مَا وَقَى اللَّهُ تَعَالَى . وَالْمَقْلَتَةُ : الْمَهْلِكَةُ ؛ وَالْمِقْلَاتُ عَلَى وَزْنِ مِفْعَالٍ ، وَالْجَمْعُ مَقَالِيَتٌ - كَمِقْيَاسٍ وَمَقْيَاسٍ ، وَمِصْبَاحٍ وَمَصَابِيحٍ - قَالَ طَرَفَةُ :

لَا تَلْمَنِي إِنَّهَا مِنْ نِسْوَةٍ رَقْدِ الصَّيْفِ مَقَالِيَتٍ نَزُرُ
الرَّقْدُ جَمْعُ رَقُودٍ ، يَعْنِي أَنَّهُنَّ مَكْفِيَاتٌ ، فَهِنَّ يَرْقُدْنَ وَلَا يَخْدُمْنَ وَلَا يَسْعَيْنَ ؛ وَهِنَّ مَقَالِيَتٌ لَا تَعِيشُ أَوْلَادُهُنَّ ، فَيَتَحَمَّلْنَ مَوْتَهُنَّ ؛ وَهِنَّ نَزُرُ ، أَيُّ قَلَائِلِ الْأَوْلَادِ بِالْأَصَالَةِ ، جَمْعُ نَزُورٍ : فَهِنَّ بِذَلِكَ نِعَمَاتُ الْأَجْسَامِ ، نِظَائِفُ الْأَذْيَالِ ، فَائِقَاتُ الْكَمَالِ . وَقَالَ جَرِيرٌ فِي الْمَفْرَدِ :

خِشَاشُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ
وَوُصِفَ دَمْعُ الْمَقْلَاتِ بِالْحَرَارَةِ لِأَنَّهَا تَبْكِي حَزَنًا عَلَى أَوْلَادِهَا ، وَهُمْ يَصِفُونَ دَمْعَةَ الْحَزَنِ بِالْحَرَارَةِ ، وَمِنْ ثَمَّ يَقُولُونَ ، فِي الدِّعَاءِ عَلَى الرَّجُلِ ، : أَسْخَنَ اللَّهُ عَيْنَهُ ! وَيَصِفُونَ دَمْعَةَ الْفَرْحِ بِالْبَرْدِ ، وَمِنْ ثَمَّ يَقُولُونَ : قَرَّتْ عَيْنُ فُلَانٍ ! ، فِي السُّرُورِ وَالْفَرْحِ ، وَأَقْرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ !

(11) سقط ما بين معقوفتين من ب .

أَحْرُ مِنْ الْقَرَعِ .

الْحَرَارَةُ تَقْدَمَتْ . وَالْقَرَعُ - بَفَتْحَتَيْنِ - بَثْرٌ أَبْيَضٌ يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِ الْفَصْلَانِ وَقَوَائِمِهَا، وَدَوَائِهِ الْمَلْحُ وَحَبَابُ أَلْبَانِ الْإِبِلِ . فَإِذَا لَمْ يَجِدُوا مِلْحًا نَتَفَوْا أَوْبَارَهَا وَنَضَحُوا جُلُودَهَا بِالْمَاءِ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ . قَالَ فِي الصَّحاحِ : وَرَبَّمَا قَالُوا أَحْرُ مِنْ الْقَرَعِ - بِالتَّسْكِينِ - يَعْنُونَ بِهِ قَرَعُ الْمَيْسَمِ، وَهُوَ الْمَكْوَاةُ . قَالَ :

كَأَنَّ عَلَى كَبِدِي قَرْعَةً حِدَارًا مِنَ الْبَيْنِ مَا تَبَرُّدُ !
قَالَ : وَالْعَامَّةُ تَرِيدُ بِهِ هَذَا الْقَرَعُ الَّذِي يُوْكَكُ . انْتَهَى .

قُلْتُ : وَإِنَّمَا تَوَهَّمُوا الْمَأْكُولَ لِأَنَّهُ تَشْتَدُّ حَرَارَتُهُ إِذَا طَبَخَ وَتَطْوَلُ وَلَا يَبْرُدُ إِلَّا بَعْدَ زَمَانٍ، حَتَّى قَالُوا فِي زَعَمَاتِهِمْ وَأَمْثَالِهِمْ : قَالَ الذَّئْبُ . لَا أَمْنُكَ يَا قَرَعُ وَلَوْ كُنْتُ فِي الْمَاءِ !.

حُرٌّ انْتَصَرَ .

الْحُرُّ - بِالضَّمِّ - خِلَافُ الْعَبْدِ ؛ وَحُرٌّ كُلُّ شَيْءٍ خِيَارُهُ ؛ وَالْحُرُّ الْجَيِّدُ . يُقَالُ : مَا هَذَا مِنْ فَلَانٍ بِحُرٍّ - أَيِ جَيِّدٍ - . قَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ :
لَا يَكُنْ حُبُّكَ حُبًّا قَاتِلًا : لَيْسَ هَذَا مِنْكَ، مَاوِيَّ، بِحُرٍّ !
وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

لَعَمْرُكَ مَا قَلْبِي إِلَى أَهْلِهِ بِحُرٍّ وَلَا مُقْصِرٍ يَوْمًا فَيَأْتِيَنِي بِقُرٍّ
وَالنَّصْرُ الْإِعَانَةُ، نَصْرُهُ عَلَى عَدُوِّهِ، يَنْصُرُهُ نَصْرًا : أَعَانَهُ ؛ وَاسْتَنْصَرَ :
طَلَبَ النَّصْرَ ؛ وَانْتَصَرَ مِنْهُ : انْتَقَمَ . وَتَقَدَّمَ هَذَا الْمَثَلُ، وَأَنَّهُ مِنَ الْأَمْثَالِ الَّتِي
نُسِبَتْ إِلَى الضَّبِّ فِي تَحَاكُمِ الثَّعْلَبِ وَالْأَرْنَبِ إِلَيْهِ . يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُظْلَمُ فَيَنْتَقِمُ .

أَحْرَسُ مِنَ الْكُرْكِيِّ .

يُقَالُ : حَرَسَ الشَّيْءَ - بِالْفَتْحِ - يَحْرُسُهُ حِرَاسَةً حَفِظَهُ ؛ وَالْكُرْكِيُّ - عَلَى
مِثَالِ جُنْدِيٍّ - طَائِرٌ مَعْرُوفٌ، جَمْعُهُ كُرَاكِيٌّ، يُوصَفُ بِالْحَذَرِ وَالْحِرَاسَةِ .
وَيَزْعَمُونَ أَنَّ الْكُرَاكِيَّ تَحْرُسُ مَدَاوِلَهُ، فَيَبْقَى الَّذِي يَحْرُسُ مِنْهَا لَا يَنَامُ . وَيَهْتَفُ بِصَوْتِ

خفيّ ينذر أنّه حارس، حتّى إذا قضى نوبته قام الذي كان نائماً . ويقال إنّه لا يطاء الأرض أبداً إلاّ بإحدى رجليه ويعلق الأخرى ولا يضعها [على الأرض]⁽¹²⁾ وإن وضعها وضعها وضعاً خفيفاً مخافة أن تخسف به.

مُحْتَرَسٌ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسٌ.

الحَرْسُ والحِرَاسَةُ تقدّم . ونقول : احْتَرَسْتُ منه وتَحَرَّسْتُ إذا تَحَقَّقْتُ . وهذا المثل يضرب لمن يعيب الخبيث وهو أخبث منه . وأصله شعر لعبد الله بن همام يقوله لرجل كان على شرط الكوفة للحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ يقال [له الحمارس]، وهو :

أَقْلِيّ عَلِيَّ التَّوَمَ يَابَنَةَ مَالِكٍ وَذَمِّي زَمَانًا سَادَ فِيهِ الْحَمَارْسُ !
فساعٍ من السُّلْطَانِ يَسْعَى عَلَيْهِمْ وَمُحْتَرَسٌ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسُ
وَكَمْ قَائِلٍ : مَا بَالُ مِثْلِكَ رَاجِلًا ؟ فَقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَارِسُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ صَدْرَ الْمَجَالِسِ سَيِّدٌ فَلَا خَيْرَ فِيمَنْ صَدَرَتْهُ الْمَجَالِسُ !
وَيُرَوَّى : وَذَمِّي زَمَانًا سَادَ فِيهِ الْفَلَاقِسُ، وهو جمع فَلَنْقَس . وَالْفَلَنْقَسُ مَنْ أُمّه عَرَبِيَّةٌ وَأَبُوهُ مَوْلى . وَقِيلَ مَنْ أَبَوَاهُ عَرَبِيَّانِ وَجَدَّتَاهُ أَمَتَانِ . وَقِيلَ مَنْ أَبَوَاهُ مَوْلىَانِ مَعًا.

أَحْرَصُ مِنْ نَمْلَةٍ .

الحِرْصُ : الجشع، يقال حَرَصَ يَحْرِصُ - كضَرَبَ يَضْرِبُ -، وَحَرِصَ يَحْرِصُ - كسَمِعَ يَسْمَعُ - حِرْصًا . وَالنَّمْلَةُ واحدة النَّمَلِ، وهو معروف، وَحِرْصُهُ على جمعه القوت معروف . يقال إنّه ليس في الحيوانات من يحتكر إلاّ الإنسان والعَقَّعَقُ والنمل والفأر . والنمل عظيم الاحتياك في الاحتكار . يقال إنّه إذا احتكر ما يخاف عليه أن ينبت قسمه نصفين ؛ وإذا خلف العفن على الحبّ أخرجه الى ظاهر الأرض فنشره . وأكثر ما يفعل ذلك ليلا بضوء القمر.

(12) ناقص من د.

حَرَقَ عَلَيْهِ الْأَرَمَ .

الحَرْقُ : البَرْد . يقال : حَرَقَ الشَّيْءَ يَحْرِقُهُ - كَقَتْلِهِ يَقْتُلُهُ - إذا برده وحكَّ بعضه ببعض، وحَرَقَ نابَهَ يَحْرِقُهُ : حكَّه بأسنانه حتى سُمِعَ له صَرِيفٌ ؛ والأَرَمُ - بضمّ الهمزة وفتح الراء المشدّدة، على مثال رُكْع - الأسنان أو أطراف الأصابع . والأَرَمَ أيضا الحِصَا، فيقال : فلان يَحْرِقُ عليك الأَرَمَ ، أي تغَيِّظُ واشتدَّ غِيظه . قال الراجز :

نُبِئْتُ أَحْمَاءَ سُلَيْمَى إِنَّمَا بَاتُوا غِضَابًا يَحْرِقُونَ الْأَرَمًا⁽¹³⁾
وقال زهير في معناه :

أبَى الضَّيْمَ والنُّعْمَانُ يَحْرِقُ نَابَهُ عَلَيْهِ فَأَفْضَى والسُّيُوفُ مَعَاقِلُهُ
وقال الآخر :

يَلُوكُ مِنْ حَرْدٍ عَلَيْكَ الْأَرَمَا
أي يعلك أسنانه أو أصابعه . وقد قيل : الأَرَمُ هنا الشَّفَاهُ، ويحتمل الحِصَا، وكلّ ذلك صحيح، لأنّه يكون من شأن المتغيِّظ ؛ كما كان عدّ الحِصَا شأن المهموم في قول امرئ القيس :

ظَلِمْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا أَعْدُ الحِصَا مَا تَنْقَضِي عِبْرَاتِي
وسميت الأسنان أَرَمًا من الأَرَم وهو الأكل، إذ بها يكون . يقال : أَرَمَ ما على المائدة إذا أكله فلم يُبقَ منه شيئاً . وهذا المثل هو مثل المثل الآتي : فلان "يَكْسِرُ عَلَيْكَ الفُوقَ والأَرْعَاطَ".

حَرَكَ خِشَاشَهُ .

التَّحْرِيكُ معروف ؛ والخِشَاش - بكسر الخاء المعجمة - ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب، وهو إذا حُرِّك تضرَّرَ البعير بذلك، فيقال : حَرَكْتُ خِشَاشَ فلان، أي

(13) يروى هذا البيت أيضا هكذا :
"نُبِئْتُ أَحْمَاءَ سُلَيْمَى إِنَّمَا أَضْحُوا غِضَابًا يَحْرِقُونَ الْأَرَمَا"
وبعده : ان قلت أسقي الحرتين الدِّيمَا .

فَعَلَّتْ به فعلا يؤذيه ويُغضبه . ويُطلق الخِشَاشُ أيضا على الغضب نفسه، وعلى معانٍ أخرى لا تناسب المحلَّ.

وَأَمَّا الخِشَاشُ، بمعنى الحشرات، فمُثَلَّتْ الأوَّل.

حَرَكَ لَهَا حُورَاهَا تَحِينَ.

الحُوراء - بضمّ الحاء، على وزن أَوَّار - ولد الناقة قبل أن يُفصل، وتقدّم ؛ والحنينُ الشَّوقُ . يقال : حَنَّ إلىه يَحِنُّ - بالكسر - فهو حَانٌّ وَحَنَّانٌ، إذا تآقت إليه نفسه. وهذا المثل قاله عمرو بن العاصي لمعاوية، رحمهما الله، حين أراد أن يستنصر بأهل الشام . وهو مثل المثل السَّابق : الإيناسُ قَبْلَ الإبسَاسِ . وفي كلام أبي الوليد بن زيدون يخاطب ابن جهور : فَمَا أَبْسَسْتُ بِكَ إِلَّا لِتَدِرَّ، وَحَرَكْتُ لَكَ الحُورَاءَ إِلَّا لِتَحِينَ.

حَزَّتْ حَازَّةٌ مِنْ كُوعِهَا .

يُضْرَبُ في اشتغال القوم بأمرهم عن غيره . ولم أقف له على أصل.

أَحْزَمُ مِنَ الْحَرْبَاءِ .

الْحَزْمُ ضَبْطُ الأَمْرِ والأخذ فيه بالثقة . حَزَمَ الرجل - بالضم - يَحْزِمُ حَزَامَةً، فهو حَازِمٌ وهم حَزَمَةٌ وحَزَمَاءُ ؛ والحَرْبَاءُ - على مثال عِلْبَاءَ - والأنثى حَرْبَاءَةٌ، والألف لللاحق بالقرطاس : دُوبَّةٌ بَرِيَّةٌ لها سنام يشبه سنام البعير، وهي تستقبل الشمس أبداً بعينها وتدور معها كيف ما دارت قال كعب بن زهير، رضي الله عنه :
يَوْمًا يَظَلُّ به الحَرْبَاءُ مُصْطَخِداً كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بالشَّمْسِ مَمْلُوكُ
وقال ابن الرومي :

ما ذَاكَ إِلَّا أَنَّهَا شَمْسُ الضُّحَى أَبَدًا يَكُونُ رَقِيبَهَا الحَرْبَاءُ
قيك : ويتلون بألوان من صفرة وحمرة وخضرة، كما قال الشاعر :
وَقَدْ جَعَلَ الحَرْبَاءُ يَصْفَرُّ لَوْنُهُ وَيَخْضَرُّ مِنْ لَفْحِ الهَجِيرِ غِبَاغِبِهِ

ويوصف بالحزم والتحفّظ، وذلك أنّه لا يزال مستمسكا بأصل الشجرة، فلا يرسله حتّى يستمسك بآخر.

قال الشاعر :

أَنْتَى أَتِيحُ لَهُ حَرْبَاءُ تَنْضُبَةُ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسَّكَ سَاقًا
أَيُّ لَا يَرْسِلُ سَاقًا مِنَ الشَّجَرَةِ إِلَّا فِي حَالَةٍ إِمْسَاكِهِ سَاقًا آخَرَ . وَالتَّنْضُبَةُ شَجَرٌ يَتَعَلَّقُ بِهِ
الْحَرْبَاءُ . فَهُوَ مُضَافٌ إِلَيْهِ، كَمَا تَقُولُ ذَنْبٌ غَضًا .

ويُروى أَنَّ رجلاً خَاصَمَ ابْنَ عَمِّهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا سَمِعَ حُجَّجَهُ قَالَ لَهُ :
أَنْتَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ، وَأَنْشُدَ الْبَيْتَ الْمَذْكُورَ، وَضَرَبَهُ مِثْلًا لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ اللَّدَدِ وَالْإِحْتِجَاجِ،
بِحَيْثُ لَا يَرْسِلُ حَبَّةً إِلَّا مُسْتَمْسِكًا بِأُخْرَى .

أَحْزَمُ مِنْ عُقَابٍ .

الْحَزَمُ مَرٌّ ؛ وَالْعُقَابُ تَقَدَّمَ فِي حَرْبِ الْبَاءِ أَيْضًا، وَهُوَ يَوْصَفُ بِالْحَزَمِ . قَالُوا : مِنْ
حَزَمِهِ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْضَتِهِ عَلَى جَبَلٍ عَالٍ، وَلَا يَتَحَرَّكُ مِنْ مَكَانِهِ ذَلِكَ حَتَّى يَنْبِتَ رِيْشُهُ
جَمِيعًا وَيَتَكَامَلُ وَلَوْ تَحَرَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ سَقَطَ .

أَذْكَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا أَخْبَرَ صَاحِبُ التَّشَوُّفِ فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ أَبِي مَهْدِي الدَّغُوعِيِّ،
رَحِمَهُمَا اللَّهُ وَنَفَعَنَا بِهِمَا، قَالَ : حَدَّثَنِي دَاوُودُ بْنُ عَبْدِ الْخَالِقِ حَدَّثَنِي وَبَيْنَ الْخَيْرِ قَالَ :
كَنتُ بِمَسْجِدِ أَبِي مَهْدِي أَدْرُسُ الْقُرْآنَ . فَكَانَ يَقْعُدُ عِنْدِي وَيَدَلِّنِي عَلَى طَرِيقِ الْآخِرَةِ .
فَجَاءَهُ لَيْلَةً بَعْضُ إِخْوَانِهِ . فَلَمَّا صَلَّيْنَا الْعَتَمَةَ تَأَخَّرَا فِي الْمَسْجِدِ إِلَى أَنْ أَنْصَرَفَ النَّاسُ .
فَخَرَجْنَا مِنْ أَحَدِ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، فَشَدَّ عَلَى أَنْفُسِهِمَا أَثَوَابَهُمَا وَتَلَثَّمَا . فَرَايْتُهُمَا وَثَبَا مِنْ
الْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الْغُرَانِيقِ الثَّقِيلَةِ تَطِيرُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . وَمَا زَالَا يَعْطُونَ فِي الْهَوَاءِ إِلَى أَنْ غَابَا
عَنِّي . فَانْكَسَرَتْ انْكَسَارًا عَظِيمًا وَنَالَتْنِي حَسْرَةُ الْقُصُورِ عَنْ أَحْوَالِ الرِّجَالِ، وَتَكَاسَلْتُ عَنْ
الْقُرْآنِ، وَبَقِيتُ مُفَكِّرًا طَوْلَ لَيْلَتِي . فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ صَلَاةِ الصُّبْحِ صَلَّيْتُ مَعَا أَبُو مَهْدِي مَعَ
صَاحِبِهِ صَلَاةَ الصُّبْحِ . ثُمَّ جَاءَ وَقَعْدُ عِنْدِي عَلَى عَادَتِهِ، فَرَأَيْتُ مِنْكَسِرًا مُتَكَاسِلًا عَنِ
الْقُرْآنِ، فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَقْرَأُ ؟ فَسَكَتَ . فَقَالَ لِي : لَعَلَّكَ رَأَيْتَنَا الْبَارِحَةَ ؟ فَهَمَلْتُ عَيْنَايَ
بِالدَّمْعِ، فَقُلْتُ لَهُ : رَأَيْتُكُمْ وَأُرِيدُ أَنْ أَصْحَبَكُمْ إِذَا زَهَبْتُمَا . فَقَالَ لِي : يَا بَنِيَّ، إِنَّ الْفَرْخَ
إِذَا نَبَتَ زَغْبُهُ لَمْ يَطِرْ مَعَ الطَّيْرِ حَتَّى يَكْمَلَ نَبَاتَ رِيْشِهِ ! قَالَ . فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَالَ لِي :

أذهب الى فلان في بلد تانوريت - وهو بلد بني سمائل - وقل له يأتيني لأصلي معه الصبح الآن، وبينهما مسيرة يومين، وقد قرب طلوع الفجر ! قال . فقلت في نفسي : كيف يمكن هذا ؟ ثم تذكرت أحواله، فمشيت وتبعني ووادعني ورجع . فمشيت قليلا وأدركني شبه السنة، فما شعرت إلا وأنا أعالين مسجد تانوريت . فخرج إلي منه رجل فقال : بعثك إلي الشيخ أبو مهدي ؟ فقلت له : نعم ! وأمرني أن أعلمك أن تصلي معه بمسجده الآن صلاة الصبح . فقال لي : تقدّم ! ودار حول المسجد، وغاب غني، وانقلبت راجعا . فأصابني أيضا شبه السنة، فإذا أنا على قرب من مسجد أبي مهدي . فدخلت المسجد، فوجدت أبا مهدي وصاحبه يتحدّثان وقد صليا صلاة الصبح . فصلّيت وظننت أنني قد لحقت بالشيخ فأتيته . فقال لي : يا بني ! رأيت بعض ما يرى الرجال ؟ فقلت له : يا سيدي، عسى أن أصحبك في مسيرك إذا سرت الى مكان ! فقال يا بني، إذا طار الطائر الصغير قبل استكمال نبات ريشه مع الطائر الوافر الريش، فإنما يسير مِلّين ويسقط في القفر، فيلتقطه الرعيان . وإن كان الرجل ليصلون الى موضع لو طار الطائر الى أن يسقط ريشه وينبت آخر فطار حتّى يسقط فينبت آخر، فطار حتّى يسقط فينبت آخر، ما وصل موصل عباد الله الصالحين في طرفة عين.

أَحْزَمُ مِنْ قِرْلَى.

ويقال أيضا : أَحْذَرُ مِنْ قِرْلَى ؛ ويقال أيضا : أَحْزَمُ أو أَحْذَرُ مِنْ قِرْلَى، إن رأى خَيْرًا تَدَلَّى، وإن رأى شَرًّا تَوَلَّى - أو تَعَلَّى - (14)
الْحَزْمُ تقدّم، وكذا الْحَذَرُ . والقِرْلَى - بكسر القاف والراء، وبعد اللام ألف مقصورة -، ويحكى أيضا في القاف التثليث، طائر شديد الحذر، لا يرى إلا على وجه الماء على جانب يهوي بإحدى عينيه الى الماء طمعا، ويرفع الأخرى حذرا . فإن رأى في الماء ما يُصَاد من السمك، انقضّ عليه انقضاض السهم ؛ وإن رأى جارحا ذهب . ومن ثمّ يقال : إن رأى خَيْرًا تَدَلَّى - أي الى الماء -، وإن رأى شَرًّا - أي ما يخافه - تَوَلَّى فرارا منه .
وقيل : إن قِرْلَى في هذا المثل رجل من العرب كان لا يفوته طعام أحد، فحيثما كان الطعام

(14) ذكر في لسان العرب : « وروي في أسجاع ابنة الخُسّ : كنّ حَذَرًا كالقِرْلَى، إن رأى خَيْرًا... الخ ».

في ناحية توجّه إليه؛ غير أنّه إن صادف في طريقه خصومة مثلاً ترك ذلك الطريق ولم يمرّ به . ومن ثمّ قالوا : أطمع من قرئى، والمراد به هذا الرجل . قيل : ويمكن أن يكون هذا الرجل شبّه بهذا الطائر، وسُمي باسمه .

حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ.

يقال : أَحَسَبَنِي الشَّيْءُ يُحَسِبُنِي إِحْسَابًا، فهو مُحَسِبٌ، أي كفاني . قال الشاعر :

إِذَا مَا رَأَى فِي النَّاسِ حُسْنًا يَفُوقُهَا وَفِيهِنَّ حُسْنٌ لَوْ تَأَمَّلْتَ مُحَسِبُ
وَقَالَ الْآخِرُ :

وَتَقْفِي وَلِيدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعًا وَتَحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعٍ⁽¹⁵⁾
وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ :

يَكْبُتُونَ الْعِشَارَ لِمَنْ أَتَاهُمْ إِذَا لَمْ تُحْسِبِ الْمَائَةُ الْوَلِيدَا⁽¹⁶⁾
وَهَذَا الشَّيْءُ حِسَابٌ، أي كافٍ . قال تعالى : « عَطَاءٌ حِسَابًا . » وَحَسْبُكَ
دِرْهَمٌ، أي يكفيك . قال تعالى : حَسْبُكَ اللَّهُ . وقال الشاعر :

إِذَا كَانَتْ الْعِجَاءُ وَاشْتَقَّتْ الْعَصَا⁽¹⁷⁾ فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكُ سَيْفٌ مُهَنَّدٌ !
أَيِ يَكْفِيكَ وَيَكْفِي الضَّحَّاكَ.
وَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

فَتَمَلَّأَ بَيْتَنَا أَقْطَا وَسَمْنَا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَبْعٍ وَرِيٌّ
وَهَذَا الشَّعْرُ يَنْسِبُهُ النَّاسُ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ، وهو في ديوانه . وقبله :

أَلَا إِلَّا تَكُنْ إِبْلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونٌ جَلَّتْهَا الْعِصِيُّ
وَجَادَ لَهَا الرَّبِيعُ يَوَاقِصَاتِ فَآرَامَ وَجَادَ لَهَا الْوَلِيُّ
إِذَا مُشَّتْ حَوَالِبُهَا أَرْنَتْ كَأَنَّ الْقَوْمَ صَبَحَهُمْ نَعِيٌّ
فَتَوَسَّعَ أَهْلُهَا أَقْطَا وَسَمْنَا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَبْعٍ وَرِيٌّ

(15) ورد هذا البيت في لسان العرب بالنون بذي التاء في كل من « ونقفي » و « نحسبه » ونسبه لامرأة من بني قشير، وشرح الشطر الأول منه بقوله : « أي نعطيه حتى يقول حسبي » .

(16) يروى الشطر الثاني من هذا البيت أيضا هكذا : « إذا لم تُحَسِبِ الْمَائَةُ الْوَلِيدَا » .

(17) المشهور : وانشقت العصا .

وسبب قوله ذلك أن بني نبهان، لما لم يقدروا أن يفتكوا له إبله التي أخذتها جذيلة وأخذت منهم رواحله التي ركبوها في ردّ الابل، استحيوا من ذلك فوهبوا له المعزى التي وصفها. وكان الأصمعيّ ينكر نسبة هذا الشعر لامرئ القيس ويقول : امرؤ القيس لا يقول مثل هذا، وأحسبه للحطيئة . وسبب إنكاره قوله : وحسبك من غنى شيعم وريّ، فإنّ هذا منافٍ لحال امرئ القيس ولما كان يقول في شعره من أن مطلوبه الملك، لا ما دونه، كقوله :

ولو أنما أسعى لأدنى معيشة كفاني، ولم أطلب، قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثك وقد يدرك المجد المؤثك أمثالي
قلت : وأنت خير بآنه، مع حالته هذه، لا بعد في أن يقوله لوجهين :

أحدهما أن يقوله استهزاء ببني نبهان، حيث أغير عليه في جوارهم، ثم ركبوا رواحله في ردّ إبله، فانتزعت منهم زيادة على ما ذهب من الابل، فوقعوا في هوان عظيم وذلة وصغار . ثم لم ينتصروا وجعلوا يعطونه معزى عن الابل العكر والرواحل النجب، فعظم أمر المعزى ضحكاً منهم، ولذلك هجاهم حيث يقول :

فدع عنك نهباً صيحاً في حجاته ولكن حديثاً ما حديث الرواحل !
كأن دثاراً حلقّت بلابونه عقاب تنوفى لا عقاب القواعل
وأعجبني مشي الحرقّة خالد كمشي أتان حلت في المناهل
خالد هذا هو الذي مشى في ردّها فانتزعت منه الرواحل.

الثاني أن يريد ظاهره، وهو أنّها كافية، قائمة مقام الابل الذاهية شبعاً ورياً . ولا يعني أن ذلك منيته وبغيته من الدنيا، وأنّ ذلك كافٍ من يطلب العيش، ولا يعني نفسه.
وقال نصيب :

وقال رجال : حسبه من طلابها فقلت : كذبتُم ليس لي دونها حسب !
وقبل هذا البيت قوله :

بزئنب ألمم قبل أن يرحل الركب
وقل : ان نل بالود منك محبة
وقل في تجنيها : لك الذنب إنّما
فمن شاء رام الصرم أو قال ظالماً
وقل إن تملينا فما ملك القلب
فلا مثل ما لا قيت في حبكم حب
عتابك من عاتبت فيما له عتب
لذي ودّه ذنب وليس له ذنب

خَلِيلِيَّ مِنْ كَعْبِ الْمِأْ هُدَيْتُمَا بَزِينَبَ لَا تَفْقِدُكُمَا أَبَدًا كَعْبُ
 مِنَ الْيَوْمِ زُورَاهَا فَإِنَّ رِكَابَنَا غَدَاةَ غَدٍ عَنْهَا وَعَنْ أَهْلِهَا نُكَبُ
 وَقُولَا لَهَا : يَا أُمَّ عَثْمَانَ خَلَّتِي أَسْلِمَ لَنَا فِي حُبِّنَا أَنْتَ أُمُّ حَرْبُ ؟
 وَقَالَ رَجُلٌ : حَسْبُهُ مِنْ طَلَابِهَا (البيت)
 وكان جرير يقول : «وددت أنِّي سبقت ابن السوداء الى هذه الأبيات !» يعني نُصَيْبًا.
 وقال الأعرابي :

وَحَسْبُكَ مِنْ خَمْرٍ يَفُوتُكَ رَيْقُهَا وَوَاللَّهِ مَا مِنْ رَيْقِهَا حَسْبُكَ الْخَمْرُ !
 ولهذا الشعر حكاية ظريفة⁽¹⁸⁾ عن بعض أصحاب الأصمعيّ قال : ما رأيْتُ كأعرابيٍّ وقف
 علينا وسلّم وقال : أَيُكُمُ الْأَصْمَعِيُّ ؟ فقال له : هَا أَنَا ذَا ! قال : أَنْتَ الَّذِي يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ
 أَنَّكَ أَعْرَفُهُمْ بِالشَّعْرِ ؟ قال : فَمَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي ؟ قال : أَنشدوني من شعر أهل الحضر
 حتّى أرى من شعرنا، فأنشدناه شعراً قِيلَ فِي مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

أَمْسَلَمَ أَنْتَ الْبَحْرُ إِنْ جَاءَ وَارِدٌ وَلَيْتَ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَارَ عِقَابُهَا
 وَأَنْتَ كَسِيفُ الْهِنْدُؤَانِيٍّ إِنْ غَدَتْ حَوَادِثُ مِنْ حَرْبٍ يُعَبُّ عِبَابُهَا
 وَلَا خَلَقْتَ أَكْرَمَةً فِي أَمْرٍ لَهْ وَلَا غَايَةً إِلَّا إِلَيْكَ مَأْبُهَا
 كَأَنَّكَ دَيَّانٌ عَلَيْهَا مُوَكَّلٌ بِهَا وَعَلَى كَفَيْكَ يَجْرِي حِسَابُهَا
 إِلَيْكَ رَحْلُنَا الْعَيْسَ إِذْ لَمْ نَجِدْ لَهَا أَخَانَقَةً يُرْجَى لَدَيْهِ ثَوَابُهَا
 فتبسّم الأعرابيّ وهزّ رأسه، فظننا أنّه استحسّن الشعر، ثمّ قال : هذا شعر مهلهل
 النّسج، خطؤه أكثر من صوابه : تشبّهون الملك بالأسد، والأسد أبخر قبيح المنظر،
 وبالبحر، والبحر مر صعب، وبالسيف، وربّما خان ونبا . هلاًّ أنشد تمونني كما قال صبيّ
 منّا؟ فقال له الأصمعيّ : ما قال ؟ فأنشد :

إِذَا سَأَلْتَ الْوَرَى عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ لَمْ يُعْزَ أَكْرَمُهَا إِلَّا إِلَى الْهَوْلِ
 فَتَى جَوَادٍ أَذَابَ الْمَالَ نَائِلُهُ فَالْنَّيْلُ يَشْكُو لَدَيْهِ كَثْرَةُ النَّيْلِ⁽¹⁹⁾
 وَالْمَوْتُ يَكْرَهُ أَنْ يَلْقَى مَنِئَتَهُ فِي كَرِّهِ عِنْدَ لَفِّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ
 لَوْ زَا حَمَ الشَّمْسَ أَبْقَى الشَّمْسَ كَاسِفَةً أَوْ زَا حَمَ الصُّمِّ أَلْجَاها إِلَى الْمِيلِ

(18) اختصر اليوسفي هذه الحكاية الادبية من زهر الاداب . انظرها تامة هناك، الجزء الأول، ص. 402-400 .
 (19) في زهر الاداب : فالنَّيْلُ يَشْكُو مِنْهُ ...

أَمْضَى مِنَ النَّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ" وعند أعدائه أجري من السَّيْلِ
لا يستريحُ الى الدُّنْيَا وزينتها ولا تراهُ إليها صاحبُ الذَّيْلِ
يُقَصِّرُ المَجْدُ عَنْهُ فِي مَكَارِمِهِ كما يُقَصِّرُ عَنْ أفعاله قَوْلِي
قال الراوي : فبُهِتْنَا وَاللهُ بِمَا رَأَيْنَا . فَتَأَنَّى قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَنْشُدُنِي يَا أَصْمَعِي شِعْرًا
تَرْتاحُ إِلَيْهِ النَّفْسُ ؟ فَأَنْسَدْتُهُ قَوْلَ عَدِيَّ بْنِ الرَّقَّاعِ :

وَنَاعِمَةٍ تَجْلُو بَعُودَ أَرَاكَةِ مُؤَشَّرَةٍ يَسْبِي الْمُعَانِقَ طَيْبُهَا
كَأَنَّ بِهَا خَمْرًا بِمَاءِ غَمَامَةٍ إِذَا ارْتُشِفَتْ بَعْدَ الْمَنَامِ غُرُوبُهَا
أَرَاكَ إِلَى نَجْدٍ تَحِنُّ وَإِنَّمَا هُوَ كُلُّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا⁽²⁰⁾
فَتَبَسَّمَ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ : هَذَا قَرِيبٌ مِنَ الْأَوَّلِ . أَلَا أَنْشُدْتَنِي كَمَا قُلْتَ :

تَعَلَّقْتُهَا بِكَرٍّ وَعَلَّقْتُ حُبَّهَا وَقَلْبِي مِنْ كُلِّ الْوَرَى فَارَغٌ بِكَرٍّ
إِذَا احْتَجَبَتْ لَمْ يَكْفِكَ الْبَدْرُ فَقْدَهَا وَتَكْفِيكَ فَقَدْ الْبَدْرُ إِنْ حُجِبَ الْبَدْرُ⁽²¹⁾
وَمَا الصَّبْرُ عَنْهَا إِنْ صَبَرْتَ وَجَدْتَهُ وَجَمِيلًا وَلَا فِي مِثْلِهَا يَحْسُنُ الصَّبْرُ
وَحَسْبُكَ مِنْ خَمَرٍ يَفُوتُكَ رَيْقُهَا وَوَاللَّهِ مَا مِنْ رَيْقِهَا حَسْبُكَ الْخَمْرُ
وَلَوْ أَنَّ جِلْدَ الذَّرِّ لَامَسَ جِلْدَهَا لَكَانَ لِلْمَسِ الذَّرُّ فِي جِلْدِهَا أَثَرُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْبَدْرِ ضِدٌّ جَمَالُهَا وَتَفَضُّلُهُ فِي حُسْنِهَا لَصَفَا الْبَدْرُ
قال الراوي : فَقَالَ لَنَا الْأَصْمَعِيُّ : أَكْتُبُوا مَا سَمِعْتُمْ ، وَلَوْ بِأَطْرَافِ الْمُدَا فِي رِقَاقِ الْأَكْبَادِ !
انتهى.

ويقال أيضا : حَسْبُكَ بِكَذَا . قال أبو تمام :
نَامَتْ هُمُومِي عَنِّي حِينَ قُلْتَ لَهَا : حَسْبِي أَبُو دُلْفٍ حَسْبِي بِهِ وَكَفَى !
وقال العباس بن الأحنف :
إِنْ كَانَ يُرْضِيكُمْ عَذَابِي وَأَنْ أَمُوتَ بِالْهَجْرَانِ وَالْكَرْبِ
فَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ مَنِّي لَكُمْ حَسْبِي بِمَا تَرْضَوْنَ لِي حَسْبِي
وَالشَّرُّ ضِدُّ الْخَيْرِ ؛ وَالسَّمْعُ مُصَدَّرٌ ، يُقَالُ : سَمِعَ كَذَا سَمْعًا وَسَمَاعًا .
ومعنى المثل أَنَّ الشَّرَّ يَكْفِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ ، وَإِنْ لَمْ تُعَايِنْهُ ، إِمَّا عَلَى مَعْنَى أَنَّ الشَّرَّ مِنْ

(20) فِي زَهْرِ الْأَدَابِ أَرَاكَ إِلَى نَجْدٍ ...
(21) فِي زَهْرِ الْأَدَابِ : « ضَوْءٌ » بَدَلُ « فَقَدْ » فِي الشُّطْرَيْنِ مَعًا .

شناعته وقبحه يتبين بسماعه [وإن لم تعانیه ؛ أو أنه يحصل لك اتهام ما به من مجرد سماعه،] (22) وإن لم تقدم عليه ولا انتسبت إليه ؛ أو يكفي - فيما انتسب إليك من الشر - سماع الناس له، وإن لم يعاينوه . وهذا ما ذكر أبو عبيد أن هذا المثل يضرب فيما يحذر من العار والعيب والمقالة السوء وإن كانت باطلا، كقول الآخر :

قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا فما اعتذارك من قول إذا قила ؟ وإما على معنى الأمر، أي : اكتف من الشر بسماعه ولا تعانیه، والله أعلم .

والمثل لأم الربيع بن زياد العبسي، وكان ابنها الربيع أخذ من قيس بن زهير درعا، فعرض قيس لأم الربيع، وهي على راحلتها في طريق، فأراد أن يقبضها في الدرع فقالت : أين عزب عنك عقلك يا قيس ؟ أترى بني زياد مصالحيك، وقد ذهبت بأهمهم يمينا وشمالا، وقال الناس ما قالوا ؟ إن حسبك من شر سماعه . فذهبت كلمتها مثلا . وقالت عاتكة بنت عبد المطلب، من شعراء الحماسة :

سائل بنا في قومنا وليكف من شر سماعه
قيسا وما جمعوا لنا في مجمع باق شناعه
وبعده :

فيه السنور والقنا والكبش ملتئم قناعه
بعكاظ يعشي الناظر ين إذا هم لمحو شناعه
فيه قتلنا مالكا قسرا وأسلمه رعاعه
ومجدلا غادرته بالقاع تنهشه ضباعه
تصف بهذا الكلام حرب الفجار بين قريش وقيس بعكاظ . وأرادت بقولها : وليكف من شر سماعه : أننا أوقعنا بهم من الشر ما هو ظاهر غني عن السؤال عنه والاختار به .

تَحْسِبُهَا حَمَقَاءَ وَهِيَ بَاخِيسٌ .

تقول : حسبت زيدا عالما - بالكسر - أحسبه وأحسبه محسبة ومحسبه وحسباناً - بالكسر - إذا ظننته ؛ والحمقاء مؤنث الأحمق ؛ والبأخيس من البخس، وهو النقص والظلم . يقال : بخسه حقه يبخسه بخسا فهو بأخيس

(22) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

وهي باخيسة وباخيس أيضا . ورد به المثل وهو جائز، كما قالوا : ناقة بآزل، ومُغَذٌّ في السير، وحائِل . ومن شاء أن يُؤنث في المثل أنث وهو الأصل .
وأصل هذا المثل أن رجلا خلط بماله مال امرأة يظنّها حمقاء، فطمع فيها . فلمّا تقاسما أخذت جميع حقّها، ثمّ لم ترض بذلك فشكته حتّى افتدى منها من المال بما أحبّت .
ثمّ إنّ النّاس ظنّوا أنّه يغبنها فلاموه وقالوا له : كيف تخدم امرأة ؟ فقال عند ذلك :
تَحْسِبُهَا حَمَقَاءَ وَهِيَ بَاخِيسٌ، أي ظالمة، فذهبت مثلا يُضرب في الرجل يَتَبَالَهُ أو يطيل الصمت حتّى يُظنّ به التّغفيل وهو ذو دهاء ومكر . ونحوه قولهم :
مُخَرَّنَبِقٌ لِيَنْبَاعَ، كما ياتي :

أُحْسُ وَذُقْ !

الْحَسُو الشَّرْبُ . تقول : حَسَا الرجل المرق يَحْسُوهُ إذا شربه شيئا بعد شيء .
وكذا تَحَسَّاهُ . وحَسَا الطائر الماء يَحْسُوهُ . قيل : ولا يقال شربه ؛ والذَّوقُ معروف .
والمثل يقال لمن تعرّض للمكروه فوقع فيه، ومعناه ظاهر.

الْحُسْنُ أَحْمَرُ.

الْحُسْنُ : الْجَمَالُ، وهو معروف ؛ والْحُمْرَةُ معروفة . ويريد بهذا المثل أن من أراد
الْحُسْنَ صبر على أشياء يكرها.

مُحْسِنَةٌ فَهِيلِي !

الْإِحْسَانُ في الفعل ونحوه ضدّ الْإِسَاءَةِ ؛ وَالْهَيْلُ التَّفْرِغُ وَالصَّبْبُ . يقال :
هَالَ عَلَيْهِ التراب يَهِيلُهُ هَيْلًا، وَأَهَالَهُ إِهَالَةً إِذَا صَبَّهُ . وكلُّ شيء صَبَّهُ من غير
كيل فقد هَالَه.

قيل : وأصل المثل أن الهائلة بنت منقذ - من بني عمرو بن سعد بن زيد مناة أمّ جساس
بن مرة، وهي أخت البسوس بنت منقذ التي كانت الحرب عليها بين وائل أربعين سنة - ورد
عليها ضيف ومعه جراب فيه دقيق . فقامت الهائلة وأخذت وعاء عندها كان فيه دقيق لتأخذ

من وعاء الضيف [دقيقا . فجاء الضيف]⁽²³⁾ فلمّا بصرت به جعلت تأخذ من وعائها فتهيل في وعاء الضيف . فقال : ما تصنعين ؟ فقالت : أهيك من هذا في هذا . فقال : مُحْسِنَةٌ فَهَيْلِي ! فسُمِّيت الهائلة بذلك، وذهب قوله مثلا يُضرب في استقامة الأمر، قاله أبو عبيد . وقال غيره : يُضرب للرجل يسيء في فعل فعله فيؤمّر بذلك على سبيل الهزء به، وهذا أظهر وأنسب بالأصل المذكور . نعم ! يمكن أن يُنقل الى الجدّ، حتّى يقال للرجل يُحسن حقيقةً على وجه الاستزادة من فعله .

أَحْسَنُ مِنْ طَاوُوسٍ .

الحُسْنُ مرّ ؛ والطَاوُوسُ - على وزن قَابُوس - طائر معروف بديع الشكل رائق الحسن، وفي طبعه، مع ذلك، الزهو والخيلاء والاعجاب بريشه . وكان يقال : إنّ الطاووس في الطير كالفرس في الدوابّ عزّاً وحسناً . وقال بعض الدجّاز في وصفه :

سُبحان من من خلقه الطَاوُوسُ طيرٌ على أشكاله رئيسُ !
 كأنه في نفسه عَرُوسُ في الريش منه رُكبتُ فُلُوسُ
 تشرقُ في دأراتها شُمُوسُ في الرأس منه شجرٌ مغرُوسُ
 كأنه بنفسجٌ يَمِيسُ أو هو زهرٌ خرّمٍ يَنُوسُ

أَحْشُكَ وَتَرُوْثُنِي !

الحَشِيشُ ما ييبس من الكلأ ؛ وحَشَشْتُهُ أنا : قطعته ؛ وحَشَشْتُ الفرسَ : ألقيتُ إليه الحشيش ؛ والرَّوْثُ معروف . يقال : رَأَيْتِ الدَّابَّةَ تَرُوْثُ رَوْثًا . وهذا المثل يُضرب لمن أحسنت إليه فأساء إليك . فإنّه قد صار بمنزلة الفرس إذا ألقيت إليه الحشيش فلطّخ برَوْثه . وهذا ظاهر .

أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ ؟

الحَشَفُ - بفتح حَيْن - أرْدَأُ التَّمْرِ . قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

(23) ناقص من د .

والكِيلَةُ - بكسر الكاف - الهيئة من الكَيْل . يقال : كَالَ لَهُ الطعام، وَكَالَهُ إِيَّاهُ كَيْلًا؛ وَكَالَ كَيْلَةً واحدةً - بالفتح - وَكِيلَةً حسنةً أو قبيحةً - بالكسر - ومعنى المثل : أَتَجْمَعُ عَلَى أَنْ تَعْطِينِي حَشَفًا وَتَكِيلَ لِي كَيْلَةً سَيِّئَةً ؟ يُضْرَبُ لِلأمر يُكره من جَهْتَيْنِ . وكان أصله أَنَّ رجلاً اشترى تمرًا من عند آخر فَأَتَاهُ بتمر رديء، ثمَّ أساء له فِي الكيل مع ذلك، فقال له ذلك.

أَحْطُطُ عَنْ رَاحِلَتِكَ فَقَدْ بَلَغْتَ ! (بياض)
الحَفَائِظُ تحلِكَ الْأَحْقَادُ .

الحَفَائِظُ جمع حَفِيزَةٍ، وهو الغَضَبُ والحمِيَّةُ ؛ وَالْأَحْقَادُ جمع حَقُودٍ (24) والمعنى أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ حَمِيَّكَ وَقَرِيبَكَ يُظْلَم، وفي قلبك عليه ضِغْنٌ، دَعَتْكَ الحَمِيَّةُ إِلَى نصره وزالَ عَن قَلْبِكَ مَا فِيهِ مِنْ بغضه، كما قال الشاعر (25) :
أَخُوكَ الَّذِي لَا تَمْلِكُ الْحِسَّ نَفْسَهُ وَتَرْفُضُهُ عِنْدَ الْمُحَفَظَاتِ الْكَتَائِفُ
وسياأتي زيادة في هذا المعنى .

الْحَقُّ أَبْلَجُ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجُ .

الحَقُّ خِلافُ الباطل ؛ وَالْأَبْلَجُ الواضِحُ، يقال : بَلَجَ الصَّبِيحُ - بالفتح - يَبْلُجُ - بالضم - بُلُوجًا، وَبَلَجَتِ الشَّيْءَ فَتَحَّتْهُ وَأَوْضَحَّتْهُ ؛ وَصُبُّهُمُ أَبْلَجُ : مُشْرِقٌ ومُضِيءٌ . قال الرازي :

حَتَّى بَدَتْ أَعْنَاقُ صُبْحٍ أَبْلَجَا

وكذا الحقُّ أَبْلَجُ أي واضح ظاهر لا التباس به ؛ وَاللَّجَلَجَةُ والتَّلْجِيمُ : التردد في الكلام . ويقال : تَلَجَلَجَتِ اللَّقْمَةُ فِي حَلْقِهِ، أي ترددت ولم تَنْسَعِ . قال زهير :

تَلْجَلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَنْيَضٌ أَصَلَّتْ فَهِيَ تَحْتَ الْكَشْمِ دَاءُ

(24) يظهر أن هنا بترًا . فالأحقاد كالحقود جمع لحقد، وهو الضغْنُ .
(25) هو القطامي .

والمعنى أنَّ الباطل يردد من غير أن ينفذ، وهو ظاهر.

تَحْقِرُهُ وَيَنْتَأُ !

الحَقَرُ : الاذلال، تقول : حَقَرْتُ الرجل حَقْرًا - كضَرْبَتِهِ ضَرْبًا - وَحَقَّرْتَهُ تَحْقِيرًا، وَاحْتَقَرْتَهُ، وَاسْتَحَقَرْتَهُ ؛ وتقول : حَقَرَ الرجل - كَجَلَسَ - وَحَقَّرَ يَحَقِّرُ - كَكَرُمَ يَكْرُمُ - إِذَا ذَلَّ . وَالنُّتُوُ : الارتفاعُ، تقول : نَتَأُ الشَّيْءُ يَنْتَأُ نَتَأً وَنُتُوًا، إِذَا انْتَفَخَ وَارْتَفَعَ، وَقَدْ تَقُولُ : نَتَأُ يَنْتَوُ، بِغَيْرِ هَمْزٍ .
ومعنى المثل أَنَّكَ تحقره وتزدريه لسكونه، وهو يرتفع ويخادعك . وهذا مِثْلُ المثلِ السَّابِقِ : تَحْسِبُهَا حَمَقَاءَ وَهِيَ بَاخِسٌ .

حَقَّكَ أَخَذَتْ .

تَقْدَمُ فِي كَلَامِ الضَّبِّ مَعَ الْأَرْنَبِ وَالثَّعْلَبِ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْمَعْنَى .

تَحَكَّكَتِ الْعَقْرَبُ بِالْأَفْعَى .

الْحَكُّ مَعْرُوفٌ، حَكَّكَتُ الشَّيْءَ، وَحَكَّكَتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ، وَتَحَاكَ الشَّيْئَانِ : حَكَّ كُلُّ مَنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَاحْتَكَّكَتُ بِهَذَا الشَّيْءِ : حَكَّكَتُ نَفْسِي عَلَيْهِ، وَفُلَانٌ حِكٌّ شَرٌّ وَحِكَاكٌ شَرٌّ - بِكُسْرِ الْحَاءِ فِيهِمَا - : يُحَاكُّهُ كَثِيرًا ؛ وَفُلَانٌ يَتَحَكَّكُ بِي : يَتَعَرَّضُ لَشَرِّي ؛ وَالْعَقْرَبُ مَعْرُوفٌ، يُذَكَّرُ وَيُؤُنَّثُ، وَالْأَنْثَى مِنْهُ عَقْرِبَاءٌ - بِالْمَدِّ غَيْرِ مَصْرُوفٍ - وَعَقْرِبَةٌ، وَالذَّكَرُ عَقْرِبَانٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :

كَأَنَّ مَرَعَى أَمَكُم إِذْ غَدَتِ عَقْرِبَةٌ يَكُومُهَا عَقْرِبَانٌ
وَمَرَعَى اسْمُ الْأَمِّ، وَيَكُومُهَا يَنْزُو عَلَيْهَا . وَالْأَفْعَى حَيَّةٌ خَبِيثَةٌ . قَالَ الرَّاجِزُ :

كَأَنَّ صَوْتَ شَخِيْهَا الْمَرْفُضُ كَشَيْشُ أَفْعَى أَجْمَعَتْ لِعَضِّ⁽²⁶⁾
وَالذَّكَرُ أَفْعُوَانٌ - بَضْمٍ الْهَمْزَةُ وَالْعَيْنُ - قَالَ الرَّاجِزُ :

قَدْ سَالَمَ الْحَيَّاتُ مِنْهُ الْقَدَمَا الْأَفْعُوَانُ وَالشُّجَاعُ الشَّجْعَمَا

(26) بعده : ففني تحكُّ بعضُها ببعض .

ومعنى تحككت العقبُ بالأفعى لصقَّتْ بها وحلقت حواليتها، أو تعرّضت لشرّها .
يُضرب لمن يصارع أو ينازع أو يخاصم مَنْ هو أقوى منه أو يتشبه بغيره ويحكي فعله
ولا يقوى قوّته.

إِحْتَكِمَ حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ !

الحُكْمُ : القضاءُ، يقال : حَكَمْتُ عليه بكذا حُكْمًا . وتقول : حَكَمْتُهُ
تَحْكِيمًا إذا أَذِنْتَ له أن يَحْكُمَ، فَتَحَكَّمَ هو واحتَكَمَ . ولمّا كان الصبيّ مقبولا
ما حَكَمَ به على أهله، ومسموعًا ما طلبه منهم، ومغتفرا ما تحامل به عليهم، ضرب النَّاسَ
بحكمه المثل في كل مَنْ تَسْمَعُ مقالته، وَيُتَحَمَّلُ انبساطه عليك، وتغترف دالّته.
كان أبو سفيان إذا نزل به جار قال له : يا هذا، إِنَّكَ قد اخترتني جارا، واخترت دارِي
دارًا، فجناية يدك على دونك، فإن جنت عليك يدٌ فَاحْتَكِمِ عَلَيَّ حُكْمَ الصَّبِيِّ
على أَهْلِهِ ! وقال الشاعر :

ولا تَحْكُمَا حُكْمَ الصَّبِيِّ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ على ظَهْرِ الطَّرِيقِ مجاهِلُهُ
ومن كلام أبي بكر بن القَبْطُرْنَةِ⁽²⁷⁾ يحقّ لي أن أذهب شططا، وأتكلّم منبسطا، وأبيّن
غرضي كلّهُ ومذهبي، وأتَحَكَّمَ على مكارمك تحكّم الصبي، وأبلغ بك كلّ أمل وأرب،
وأملأ دلوِي في رجائك الى عقد الكَرَب . وأشار بهذا الأخير الى قول القائل :
من يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ ماجداً يملأ الدلوَ إلى عَقْدِ الكَرَبِ

أَحْكَى مِنْ قِرْدٍ .

يقال : حَكَيْتُ الحديث وحكّوتُهُ - بالياء والواو - ذكرته، وحكَيْتُهُ عن فلان :
نَقَلْتُهُ عنه، وحاكَيْتُ فلانًا : شَابِهْتُهُ وفعلت مثل فعله ؛ والقِرْد - بكسر القاف
وسكون الراء - معروف، جمعه أقراد وقُرود وقِرْدَة وقِرْد . وهذا الحيوان - مع قبحه - في
الغاية من الالهام والحذف بمحاكاة غيره وبالحرف وغيرها : فهو يعلم الخياطة والصياغة

(27) حرّف هذا الاسم في المخطوطات بإسقاط النون منه فكتب « ابن القبطرة » . ويكتب أيضًا القَبْطُرْنَةُ، وهو أديب
أندلسي أحد ثلاثة إخوة يعرفون ببني القبطونة . ترجم له الدكتور احسان عباس وأورد مراجع ترجمته في هامش رقم 2،
ص 155-156 من الجزء الأول من نغم الطيب .

وغيرك ذلك ؛ ويعلم حفظ الأمتعة وحراسة الحوانيت ونحوها ؛ ويحاكي الانسان في جميع أفعاله، ما خلا النطق، كما قال أبو الطيّب :
يُرِيدُونَ شَأْوِي فِي الْكَلَامِ وَإِنَّمَا يُحَاكِي الْفَتَى فِي مَا خَلَا الْمَنْطِقَ الْقِرْدُ

حَلَاتٌ حَالِيَّةٌ عَنْ كُوعِهَا .

يقال : حَلَاَ الْجِلْدُ . بالفتح - يَحْلُوهُ إِذَا قَشَرَهُ وَبَشَرَهُ، أَوْ إِذَا نَزَعَ تَحْلِيئَهُ، وَالتَّحْلِيءُ مَا أَفْسَدَهُ السَّكِينُ مِنَ الْجِلْدِ، أَوْ مَا يَبْقَى مِنَ الصَّفَاقِ عَلَى بَاطِنِهِ عِنْدَ السَّلْخِ؛ وَالْكُوعُ : رَأْسُ الزَّنْدِ الَّذِي يَلِي الْإِبْهَامَ ؛ وَالْكُرْسُوعُ : رَأْسُ الزَّنْدِ الَّذِي يَلِي الْخِنْصِرَ.

ومعنى المثل أن المرأة إذا حَلَّتِ الأديم، فإن رفقت سلمت وإن خرقت قطعت بالشفرة كوعها. فيُضْرَبُ فِي حِذْرِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ.

أَحْلَبَتْ أَمْ أَجْلَبَتْ ؟

يقال : أَحْلَبَ الرَّجُلُ - بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ - إِذَا وَلَدَتْ إِبْلَهُ إِنَاثًا لِأَنَّهَا تُحْلَبُ، وَأَجْلَبَ - بِالْجِيمِ - إِذَا وَلَدَتْ إِبْلَهُ ذَكَورًا لِأَنَّ أَوْلَادَهَا تُحْلَبُ إِلَى السُّوقِ فَتُبَاعَ.

حَلِبَتْ صُرَامُ .

الحَلْبُ - بِالتَّسْكِينِ - اسْتِخْرَاجُ مَا فِي الضَّرْعِ مِنَ اللَّبَنِ، حَلَبَ الشَّاةَ - بِالْفَتْحِ - يَحْلُبُهَا حَلْبًا ؛ وَصُرَامُ - عَلَى مِثَالِ غُرَابٍ - آخِرُ اللَّبَنِ بَعْدَ التَّغْرِيزِ، يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فِيحْلِبُهُ ضَرُورَةً . فَضُرِبَ ذَلِكَ مَثَلًا لاسْتِخْرَاجِ آخِرِ مَا فِي النَّفْسِ، فَإِذَا قِيلَ : حَلِبَتْ صُرَامُ، فَكَانَتْهُ قِيلَ : بَلَغَ الْعُذْرُ آخِرَهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :
أَلَا أَبْلِغُ بَنِي سَعْدِ رُسُلًا وَمَوْلَاهُمْ فَقَدْ حَلِبَتْ صُرَامُ
وَالصُّرَامُ أَيْضًا اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْحَرْبِ، وَالدَّاهِيَةِ.

لَتَحْلُبَنَّهَا مَصْرًا !

الحَلْبُ تَقْدَمُ ؛ والمَصْرُ - بالفتح والسكون - حَلْبُ جميع ما في الضرع حتَّى لا يبقى شيء . والتَّمَصَّرُ حلب بقايا اللَّبن . وشاة أو ناقة مَصُورٌ بَطِيئَةٌ خروج اللَّبن . وهذا المثل يُضرب في توعّد العدوِّ ، وكأنَّكَ تقول له : إنَّكَ لا تنال منِّي شيئاً ، وإنَّما أنت بمنزلة من يحلب الشاة الممضورة ، فوضعت المصدر موضع المفعول ، أي : لَتَحْلُبَنَّهَا مَمْضُورَةً لا لَبَنَ فيها ، كما يقال : ضَرَبُ الأمير (28) .

حَلَفَ لَهُ بِالْمُحَرِّجَاتِ .

الحلف معروف ، يقال : حَلَفَ - بالفتح - يَحْلِفُ حَلِيفًا - بالكسر كَكَذِبَ - ؛ والمُحَرِّجَاتُ : الأيمانُ الموقِعةُ في الحَرَجِ وهو الاثم والضيِّق . ويقال : المحرجات الثلاث وهي الطلاق ، والعتاق ، والمشي إلى مكَّة . وقيل : هي الطلاق ثلاثاً .

حَلِمَ الْأَدِيمُ

الأديمُ الجِلْدُ . ويقال : حَلِمَ الْأَدِيمُ - بالكسر - يَحْلِمُ إذا فسد ووقع فيه دود . ثمَّ يُضرب مثلاً للأمر يتناهى فسادُه . قال الوليد بن عقبة يخاطب معاوية رحمه الله تعالى :

فإِنَّكَ وَالكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ
وسياتي تنمة هذا الشعر .

وأوَّل من قال هذا المثل خالد بن معاوية بن سنان السَّعْدِي ، وذلك أَنَّهُ اسْتَبَّ ، هو وبنو تميم ، عند النعمان بن المنذر ، فقال خالد يرتجز فيهم :

دوموا بَنِي غَنَمٍ وَلَنْ تَدُومُوا لَنَا وَلَا سَيِّدُكُمْ مَرْحُومٌ
إِنَّا سَرَاهُ وَسُطْنَا قُرُومٌ قَدْ حَمَلَتْ أَحْسَابُنَا تَدُومٌ
في الحربِ حتَّى حَلِمَ الْأَدِيمُ

فذهب قوله حَلِمَ الْأَدِيمُ مثلاً . وقال لهم أيضا :

(28) أي هو درهمٌ ضَرَبُ الأمير أي مضروبه ، بمعنى أنه أمر بضربه سكة . جعل فيه المصدر مكان اسم المفعول .

إِنَّ لَنَا يَا أَهْلَ غَنَمٍ عِلْمًا: أَفْوَاهُ أَفْرَاسٍ أَكَلْنَ هَشْمًا
استاه أم يَغْتَدِينَ لَحْمًا تَرَكَتُمْ خَيْرَ قُوَيْسٍ سَهْمًا
فذهب هذا أيضا مثلا، وسيأتي.

ثمَّ إِنَّ شاعر غنم رجز بخالد أيضا، ومع خالد أخ له . فاستعدوا عليه النعمان، فقال خالد:
أَبَيْتَ اللَّعْن ! إِذَا أَرَكْبَ أَنَا وَأَخِي نَاقَةً ثُمَّ نَتَعَرَّضُ لَهُمْ، فَإِنْ اسْتَطَاعُوا فَلْيَعْقِرُوا بَنَّا !
فأعجب النعمان ذلك وقال : قد أعطوكم بحقكم . قالوا : قد رضينا . فقال النعمان : أما
وَاللَّهِ لَتَجِدُنَّهٗ أَلْوَى بَعِيدِ الْمُسْتَمَرِّ ! . فأرسلها مثلا، وسيأتي.
ثمَّ إِنَّ خالداً وأخاه اكتفلا ناقتهما بكفل، وتأخَّر أحدهما الى العجز وجعل وجهه ممَّا يلي
الذنب ؛ وتقدَّم الآخر الى الكتف، وجعل كل واحد منهما يذبُّ بسيفه، فلم يخلصوا الى
أن يعقروا بهما.

أَحْلَمُ مِنْ فَرَخِ الطَّائِرِ .

الحِلْمُ - بالكسر - الاناة والعقل . يقال : حَلِمَ - بالضم - يَحْلِمُ حِلْمًا، فهو
حَلِيمٌ، وهم حُلَمَاءُ وأَحْلَامٌ ؛ وجمع الحِلْمِ حُلُومٌ وأَحْلَامٌ ؛ والفَرخُ معروف جمعه
أَفْرَاحٌ وفِرَاحٌ... ونُسب الحِلْمُ الى فرخ الطائر لأنَّه يخرج من البيضة على قنَّة الجبل،
ثمَّ لَا يَتَحَرَّكُ حَتَّى يَتَمَّ نَبَات ريشه ؛ ولو تحرَّك سقط . وتقدَّم في قولهم : أَحْزَمُ مِنْ
عُقَابٍ، وَمِنْ فَرَخِ الْعُقَابِ، وهو المقصود هنا.

الْحَمْدُ مَغْنَمٌ، وَالْمَذَمَّةُ مَغْرَمٌ .

هذا المثل ظاهر المعنى، أفراداً وتركيباً، يُضرب عند اكتساب المحامد واجتناب
المذامِّ . ومثله قول مالك بن جرير :

وإِنَّ قَلِيلَ الذَّمِّ غَيْرُ قَلِيلٍ

وقبله :

أَجُودُ عَلَى الْعَافِي وَأَحْذَرُ ذِمَّةً إِذَا ضَنَّ بِالْمَعْرُوفِ كُلُّ بَخِيلٍ

ومثله قول عبيد :

الْخَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ فِي زَادٍ

وقول الحماسي :

أيا ابنةَ عبدِ اللهِ وابنةَ مالِكِ
إذا ما صنعتِ الرِّادَ فالتَّمسِي له
أخا طارقًا أو جارَ بيتٍ فإنَّنِي
وكيف يُسِيغُ المرءُ زادًا وجارُهُ
وللموتِ خيرٌ من زيارةِ باخلٍ
وإنِّي لعبدُ الضَّيفِ ما دام ثاويًا
وقول حاتم :

أكْفُ يدي عن أن ينال التماسُها
أبيتُ هُزيمَ الكُشمِ مُضطَمرِ الحِشَا
وإنِّي لأستحيي رفيقي أنْ يَرَى
وإنَّكَ إنْ أعطيتَ بطنَكَ سُؤْلَه
وقول عمرو بن الأهتم :

وكلُّ كريمٍ يَتَّقِي الذَّمَّ بالقِرَى
لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلِها
وقول الآخر :

إلاَّ يَكُنْ عَظْمِي طويلاً فإنَّنِي
ولا خيرَ في حُسْنِ الجُسومِ وطولِها
إذا كنتَ في القومِ الطُّوالِ فضَلْتَهُم
وكم قد رأينا من فروعِ طويَلةٍ
ولم أرَ كالمَعروفِ أمًّا مذاقَه
والشعر في هذا المعنى لا يُحصر .

أَحْمَقُ مَا يَتَوَجَّهُ .

الحُمُقُ قِلَّةُ العقل . حَمَقَ الرجلُ - بالضم - حُمُقًا - بالضم - وحمَاقَةً ،
وانحَمَقَ واستَحَمَقَ ، فهو أَحْمَقُ وهم حُمَاقٌ وحُمُقٌ - بضمَّتَيْن - وحمَقَى

وَحُمَاقَى ؛ وَتَوَجَّهَ : أَقْبَلَ وَوَلَّى وَكَبُرَ . وَيَقَال : أَحْمَقُ مَا يَتَوَجَّهُ، أَيُّ مَا
يَحْسُنُ أَنْ يَأْتِيَ الْغَائِطُ لِحُمَقِهِ.

أَحْمَقُ مِنْ جَهْبَر .

الْحُمَقُ مَرٌّ ؛ وَالْجَهْبَرُ أَنْثَى الدَّبِّ، وَهُوَ دَوِيبَةٌ مَعْرُوفَةٌ يُصْطَادُ بِهَا، يَزْعُمُونَ أَنَّهَا
تَتْرَكَ وَلَدَهَا وَتَرْضَعُ وَلَدَ الضَّبْعِ، فَوُصِفَتْ بِالْحُمَقِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُمْ بَنُوا صَيْغَةَ التَّفْضِيلِ مِنْ حَمَقَ، وَهُوَ مِنَ الْخَارِجِ عَنِ الْقِيَاسِ : فَإِنَّ نَحْوَ
هَذِهِ الْمَادَّةِ لَا يُبْنَى مِنْهَا قِيَاسًا كَمَا قُرِّرَ فِي مَحَلِّهِ.

أَحْمَقُ مِنْ جَهِيْزَة .

جَهِيْزَة - بِالْجِيمِ أَوَّلُهُ وَالزَّايِ آخِرُهُ، عَلَى وَزْنِ صَحِيْفَةٍ - هِيَ أُمُّ شَيْبِ بْنِ زَيْدٍ
الشَّيْبَانِيِّ الْخَارِجِيِّ . كَانَ أَبُوهُ يَزِيدٌ اشْتَرَاهَا مِنَ السَّبْيِ، فَقَالَ لَهَا : أَسْلَمِي ! فَأَبَتْ، فَضَرَبَهَا
فَلَمْ تَسْلَمْ، فَوَاقَعَهَا فَحَمَلَتْ . فَلَمَّا أَحْسَسَتْ بِالْوَلَدِ تَحَرَّكَ فِي بَطْنِهَا قَالَتْ : إِنَّ فِي بَطْنِي
شَيْئًا يَنْفِرُ . فَقَالَ النَّاسُ حِينَئِذٍ : أَحْمَقُ مِنْ جَهِيْزَة، وَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْحَمَقِ .
وَقِيلَ إِنَّ جَهِيْزَة هِيَ عَرْسُ الذَّنْبِ، تَدْعُو وَلَدَهَا وَتَرْضَعُ وَلَدَ الضَّبْعِ . وَفِيهَا أَوْ فِي مِثْلِهَا وَرَدَ
قَوْلُ الشَّاعِرِ :

كَمْ رَضِيعَةً أَوْلَادُ أُخْرَى وَضِيعَتَ بَنِي بَطْنِهَا هَذَا الضَّلَالِ عَلَى قَصْدِ !
وَجَهِيْزَة أَيْضًا امْرَأَةٌ حَمَقَاءُ ، وَاجْتَمَعَ قَوْمٌ يَخْطُبُونَ فِي الصُّلْحِ بَيْنَ حَيَّيْنِ فِي دَمٍ لِكِي
يَرْضَوْا بِالْدِيَةِ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ جَهِيْزَة : ظَفَرَ بِالْقَاتِلِ وَلِيُّ الْمَقْتُولِ فَقَتَلَهُ، فَقَالُوا :
قَطَعَتْ جَهِيْزَة قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ !

أَحْمَقُ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ .

أَبُو غَبْشَانَ - بَفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ، وَتَضُمِّ أَيْضًا، وَبِسُكُونِ الْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ - رَجُلٌ
مِنْ خَزَاعَةَ كَانَ يَلِي سِدَانَةَ الْكَعْبَةِ قَبْلَ قَرِيْشٍ . فَاجْتَمَعَ هُوَ وَقَصِيٌّ فِي شَرْبِ الطَّائِفِ،
فَأَسْكِرَهُ قَصِيٌّ ثُمَّ اشْتَرَى مِنْهُ الْمِفَاتِيْحَ بِزَقِّ خَمْرٍ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ . وَدَفَعَهَا قَصِيٌّ لِابْنِهِ عَبْدِ

الدار، وأرسله في الحين الى مكة . ثم أفاف أبو غبشان من سكره وهو أندم من الكُسْعِيّ،
فَضُرِبَ به المثل في الحمق وفي الندم وخسارة الصفقة، كما يأتي.
أَحْمَقُ مِنْ حُبَارَى .

الحُبَارَى - بضمّ الحاء وبألف مقصورة للتأنيث - طائر معروف يقع على الذكر والأنثى،
ويوصف بالحمق.

وفي كلام عثمان رضي الله عنه : كلُّ شيءٍ يحفظُ ولده حتّى الحُبَارَى ! وإنّما
خصّها بالذكر لأنّها مشهورة بالحمق، ومع ذلك تحبّ ولدها وتطعمه وتعلّمه الطيران،
كسائر الحيوان.

أَحْمَقُ مِنْ دُعَاةٍ .

الْحُمَقُ مرّ ؛ ودُعَاةٍ - بـدالٍ مهملة وغين معجمة مخفّفة، على مثال ثُبّة وكُرّة -
والأصل دَعْيٍ أو دَعْوٍ . وهي امرأة من بني عجل، وهي مارية بنت مغنج، ومغنج هو
ربيعة بن عجل . ودُعَاةٍ حمقاء مشتهرة بذلك، ولذلك ضُربَ بها المثل.
وكان من حمقها أنّها تزوّجت في بني العنبر بن عمرو بن تميم . فلمّا أخذها الطلق ظنّت
أنّها تريد الخلاء، فانطلقت الى بعض الغيطان تتبرّز، فولدت واستهل الولد ورجعت الى
بيتها تقدّر أنّها أحدثت . فقالت لضرّتها : « يا هَنَتَاه، هَلْ يَفْتَحُ الجَعْرُفَاهُ ؟
قالت : نعم، ويدعو أباه ! فمضت ضرّتها وأخذت الولد . فبنو العنبر يدعون بذلك
بني الجعرّاء، وصار ذلك لقباً لهم.

ونظرت يوماً الى زوجها يقبّل بنته ويقول : بأبي دَرَادِرُك ! والدَرَادِرُ مغارز الأسنان .
فذهبت هي ودقّت أسنانها بفِهمٍ حتّى بدت دَرَادِرُها، فجاءت زوجها وقالت له : « كيف
ترى دَرْدُرِي ؟ » فقال لها أعْيَيْتِنِي بِأَشْرٍ، فكيف بدردُر ؟، وهو مثلك سيأتي.
وقال أبو نواس :

وَمَا لِبَكْرٍ بَنٍ وَائِلٍ عَصَمٌ إِلَّا بِحِمَقَائِهَا وَكَأَذِيهَا
وقد خطأ أبو العباس المبرّد أبا نواس في هذا وقال إنّهُ أراد بالحمقاء هَبَنَقَةَ
القيسي، ولا يقال للرجل حمقاء . ورُدَّ عليه بأنّه أراد دُعَاةَ العجليّة، وعجل في بكر بن
وائل.

قال شمس الدين بن خَلَّكان رحمه الله تعالى : وقد رأيت المبرِّد في المنام وأنا بالاسكندريَّة، في سنة ستّ وثلاثين وستمائة، وعندي إذ ذاك الكامل للمبرِّد وكتاب العقد لابن عبد ربّه . فرأيت في العقد في ترجمة ما غلط فيه على الشعراء، وذكر أبياتا نسبوا أصحابها الى الغلط ولم يغلطوا وإنّما وقع الغلط ممن غلّطهم، منها ما ذكر المبرِّد في الروضة من تغليط أبي نواس في البيت السّابق - والغلط إنّما هو من المبرِّد، كما قرّرنا - . قال : فلمّا كان بعد ليال قلائك من وقوفي على هذه الفائدة، رأيت كأنّي بمدينة حلب في مدرسة القاضي بهاء الدين، وكأنّنا صلّينا الظهر جماعة . فلمّا فرغنا أردت الخروج، فرأيت في أخريات الموضع رجلا واقفا يصلّي، فقال لي بعض الحاضرين : هذا أبو العبّاس المبرِّد . فجئت إليه وقعدت الى جانبه أنتظر فراغه . فلمّا فرغ سلّمت عليه فقلت له : أنا في هذا الزمان أطالع كتابك الكامل . فقال لي : رأيت كتابي الروضة ؟ فقلت : لا . وما كنت رأيته قبل ذلك . فقال لي : قم حتّى أريك إيّاه ! فقمّت معه وصعد بي الى بيته . فدخلنا ورأيت فيه كتبا كثيرة . فقعد يفتش عليه وقعدت أنا ناحية . فأخرج مجلّدا ودفعه لي، ففتحته وتركته في حجرّي، فقلت له : قد أخذوا عليك . فقال : أي شيء أخذوا؟ فقلت له : إنّك نسبت أبا نواس الى الغلط في بيت كذا، وأنشدته إيّاه . فقال : نعم، غلط في هذا . فقلت : إنّّه لم يغلط بل هو على صواب، ونسبوك أنت الى الغلط في تغليطه . فقال : وكيف هذا ؟ فعرفّته ما قاله صاحب العقد . فعضّ على رأس سبّابته وبقي ساعة ينظر إليّ، وهو في صورة خجلان، حتّى استيقظت من منامي وهو على تلك الحال . انتهى ملخصا.

أَحْمَقُ مِنْ رَجُلَةٍ .

الرَّجُلَةُ - بكسر الراء وسكون الجيم - : ضَرْبٌ من النباتات معروف ينبت في حميل السيل، فيقتلعه، فيوصف لذلك بالحمق . ويقال له بَقْلَةُ الحمقاء، والبَقْلَةُ اللَّيْتَةُ، والبَقْلَةُ المباركة . وقيل إنّ البَقْلَةَ المباركة هي الهندباء . وقولهم بقلة الحمقاء أضيف فيه الموصوف الى الصفة في الظاهر، كقولهم : مسجد الجامع، وصلاة الأولى.

أَحْمَقُ مِنْ رَخْمَةٍ .

الرَّخْمَةُ - بفتح الراء والخاء المعجمة - طائر معروف، جمعه رَخَمٌ، ويقال له الأنوق، كما مرَّ . ومن تمَّ يقال لها ذات الاسمين . وهي تتمتع في قلق الجبال، كما تقدَّم، وتتحرَّر، ومع ذلك تحمق . قال الكُمَيْت :

وَذَاتِ اسْمَيْنِ وَالْأَلْوَانُ شَتَى تَحْمَقُ وَهِيَ كَيْسَةُ الْحَوِيلِ
وَذَكَرَ الرِّوَاظُ عِنْدَ الشَّعْبِيِّ فَقَالَ : لَوْ كَانُوا مِنَ الدَّوَابِّ لَكَانُوا حُمْرًا، وَمِنَ الطَّيْرِ لَكَانُوا
رَخْمًا. وَالرَّخْمَةُ مِنْ لَثَامِ الطَّيْرِ، وَلَثَامُ الطَّيْرِ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - ثَلَاثَةٌ : الرَّخْمَةُ وَالْغَرَابُ
وَالْبُؤْمَةُ.

أَحْمَقُ مِنْ صَاحِبِ ضَأْنٍ ثَمَانِينَ .

الضَّأْنُ - بسكون الهمزة وفتحها - جمع ضَائِنٍ، مثك ركْبٌ لِرَاكِبٍ، وَحَرَسٌ لِحَارِسٍ. وَالضَّائِنُ خِلَافُ الْمَاعِزِ مِنَ الْغَنَمِ ؛ وَالْأُنْثَى ضَائِنَةٌ . وَيُقَالُ : أَضَأْنُ الرَّجُلِ كَثُرَتْ عِنْدَهُ الضَّأْنُ ؛ وَثَمَانُونَ عَقْدٌ مَعْلُومٌ مِنَ الْعِدَدِ ؛ وَصَاحِبُ ضَأْنٍ ثَمَانِينَ قَالُوا هُوَ رَجُلٌ بَشَرٌ كَيْسَرِي فَقَالَ لَهُ كَسْرِي : « سَلْ مِنِّْي مَا شِئْتَ ! » فَقَالَ « أَسْأَلُكَ ضَأْنًا ثَمَانِينَ »، فَقَالَ : « أَحْمَقُ مِنْ صَاحِبِ ضَأْنٍ ثَمَانِينَ . » وَقِيلَ إِنَّهُ رَجُلٌ حَكَمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : ثَمَانُونَ مِنَ الضَّأْنِ، أَوْ أَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْمَعَكَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ : بَلْ ثَمَانُونَ مِنَ الضَّأْنِ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَعْطُوهُ إِيَّاهَا ! ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ صَاحِبَةَ مُوسَى كَانَتْ أَعْقَلَ مِنْكَ . وَذَلِكَ أَنَّ عَجُوزًا دَلَّتْهُ عَلَى عِظَامِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ تَكُونِي مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ، أَوْ مِائَةٌ مِنَ الْغَنَمِ ؟ قَالَتْ : الْجَنَّةُ .

وَيُرْوَى أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا وَقَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْسِمُ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ، فَقَالَ : إِنَّ لِي عِنْدَكَ مَوْعِدًا، يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : صَدَقْتَ، فَاحْتَكِمْ مَا شِئْتَ ! قَالَ : إِنِّي أُحْتَكِمُ ثَمَانِينَ ضَائِنَةً وَرَاعِيَهَا .

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هِيَ لَكَ ، وَقَدْ احْتَكَمْتَ يَسِيرًا .
وَلصَّاحِبَةُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، الَّتِي دَلَّتْهُ عَلَى عِظَامِ يُوسُفَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَتْ أَحْزَمَ مِنْكَ حِينَ حَكَمَهَا مُوسَى فَقَالَتْ :
حُكْمِي أَنْ تَرُدَّنِي شَابَةً وَأَدْخَلَ مَعَكَ الْجَنَّةَ .

وفي هذا الرجل يقال : أَقْنَعُ مِنْ صَاحِبِ الثَّمَانِينَ وَرَاعِيهَا ، كما سيأتي .

أَحْمَقُ مِنْ ضَبْعٍ .

الضَّبْعُ - على مثال سَبْعٍ - معروف ، يقع على الذكر والأنثى ، وهو مؤنَّث اللَّفْظ .
والذَّكَرُ بخصوصه ضِبْعَانٌ - بالكسر - والأنثى ضِبْعَانَةٌ ، ولا يقال ضِبْعَةٌ . وقيل
يقال . ويقال للذَّكَرِ منه أيضًا ذِيخٌ - بكسر الذَّاء المعجمة - .

والضَّبْعُ توصف بالحمق . ومن حمقها - فيما يزعمون - أنَّ الصائد إذا أراد أن يصيدها رمى
بحجر في وجارها فتحسبه شيئًا فتخرج إليه . وأنَّها [أيضا] يقال لها ، وهي في الوجار :
خامري ، أمَّ عامر ! أي استري ! كما سيأتي . فتبقى حتَّى يدخل إليها ويقيدها برجلها
ويخرجها . ويقال لها أيضًا ، وهي في الوجار : اطرحي ، أمَّ طريف ! خامري ، أمَّ عامر !
أبشري : بجراد عظمى وشاة هزلى ! فتبقى حتَّى تقبض . ومن النَّاسِ من يرى أنَّ هذه من
خرافات العرب فقط . وأهل زماننا أيضًا يزعمون أنَّ الصيَّادين إذا اجتمعوا حول وجارها جعل
بعضهم يقول : ما هي هنا ، وما هنا شيء ! فتتلبَّث هي حتَّى تقبض ؛ وأنَّهم أيضًا قد
يرونها فيعظمونها ويهوِّلون أمرها ويقولون : ما هذا السبع ؟ وما هذه الدَّاهية ؟ ونحو
ذلك . فتبقى تننفخ وتتعظَّم في نفسها ولا تفرَّ حتَّى يقبضوها .

ومن شهرة حمقها على سائر الدوابِّ يقول العرب في المثل الآخر في الشيء يدعى وضوحه
جدًا : ما يَخْفَى هَذَا الْأَمْرُ عَلَى الضَّبْعِ .

أَحْمَقُ مِنْ نَاطِحِ الصَّخْرَةِ .

النَّطْحُ دفعُ الشيء بالقرون ؛ والصَّخْرَةُ واحدة الصُّخُورِ المعروفة ؛ وناطِحُ
الصَّخْرَةِ هو الوَعْلُ ، والوَعْلُ هو التَّيْسُ الجَبَلِيُّ ، كما مرَّ ، جمعه أَوْعَالٌ ووُعُولٌ . قال

امرؤ القيس :

تلاعب أولاد الوُعُولِ رباعها دُوَيْنَ السَّمَاءِ فِي رُؤُوسِ الْمَجَادِلِ
وقال أميَّة بن أبي الصَّلْت :

كَلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا أَثِلُّ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ يَزُولًا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ أَرعى الوُعُولَ !
يُحْكِي أَنَّ أُمَيَّةَ هَذَا لَمَّا احْتَضَرَ غُشِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : لَبَيْكُمَا ! لَبَيْكُمَا ! أَنَا إِذَا
لَدَيْكُمَا : لَا عَشِيرَتِي تَحْمِينِي، وَلَا مَالِي يَفْدِينِي ! ثُمَّ غُشِيَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ :
كَلُّ حَيٍّ ... (الْبَيْتَيْنِ)، ففَاطَمَتِ نَفْسَهُ . وَهُمَا مِنْ شَعْرِهِ الْحَكِيمِ .

وَيُرَوَّى أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِي تَمَثَّلَ بِهِمَا . وَكَانَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لَهُ ابْنُهُ : يَا أَبَتَاهُ !
إِنَّكَ كُنْتَ تَقُولُ : يَا لَيْتَنِي أَلْقَى رَجُلًا عَاقِلًا لِيُبَيِّأَ عِنْدَ نَزُولِ الْمَوْتِ بِهِ، حَتَّى يَصِفَ لِي مَا
يَجِدُ، وَأَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : فَصِفْ لِي الْمَوْتَ ! فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ! كَأَنَّ السَّمَاءَ قَدْ انْطَبَقَتْ عَلَى
الْأَرْضِ، وَكَأَنَّيْ بَيْنَهُمَا أَتَنَفَّسَ مِنْ سَمِّ إِبْرَةٍ، وَكَأَنَّ غَصْنَ شَوْكٍ يَجْذِبُ مِنْ قَدَمِي إِلَى
هَامَتِي . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ إِلَيَّ (الْبَيْتِ) . وَمِثْلُ هَذَا
عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ لَمَّا احْتَضَرَ، وَكَانَ فِي قَصْرِهِ مَشْرُفًا عَلَى النَّاسِ . فَنَظَرَ فَرَأَى بَعْضَ
الْغَسَّالِينَ يَغْسِلُ الثِّيَابَ، فَقَالَ : لَيْتَنِي كُنْتُ مِثْلَ هَذَا الْغَسَّالِ، [أَكْتَسَبَ] قُوَّتِي يَوْمًا بِيَوْمٍ،
وَلَمْ أَكُنْ وَلَّيْتُ الْخَلْفَةَ ! ثُمَّ تَمَثَّلَ بِالْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ فَمَاتَ .

وَيُحْكِي أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَتْ قِصَّتُهُ هَذِهِ بَعْضُ أَهْلِ زَمَانِهِ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ عِنْدَ
الْمَوْتِ [يَعْنِي الرُّؤُوسِ] ⁽¹⁴⁾ يَتَمَنَّوْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ، وَلَمْ يَجْعَلْنَا نَتَمَنَّى مَا هُمْ فِيهِ !

وَقَالُوا فِي الْوَعْلِ نَاطِحِ الصَّخْرَةِ، لِقَوْلِ الْأَعَشَى :

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَقْلَعَها فَلَمْ يَضِرْها وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
وقول الآخر :

فَرَشَنِي بِخَيْرٍ لَا أَكُونَنَّ وَمَدَحَتِي كَنَاطِحِ يَوْمًا صَخْرَةٍ بَعْسِيلِ

أَحْمَقُ مِنْ نَعَامَةٍ .

النَّعَامُ معروف وتقدَّم ما فيه . والنَّعَامَةُ توصف بالحمق، وذلك أَنَّهَا تَخْرُجُ طَلَبًا

(14) ناقص من ب.

للطعم وتدع بيضها . فمتى وجدت بيض نعامة أخرى حضنتها ونسيت بيضها . وفي ذلك يقول ابن هرمة :

وإنِّي وتركِي نَدَى الأَكْرَمِينَ وَقَدَحِي بِكَفِّي زَنْدًا شَحَا حَا
كَتَارَكْ بَيْضَهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْحِفَةً بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحَا
ومن حمقها أن الصائد إذا أدركها أدخلت رأسها في كتيب رمل تقدر أنها اختفت عنه بذلك وهي بادية له . ومع ذلك فكان لها في بيضها أمر عجيب، وذلك أنها تبيضها زوجًا وتضعها فتقسمها قسمين : فقسمًا تحضنه وقسمًا تتركه يكون غذاء لِمَا يكون من الأفراخ، على ترتيب في ذلك ووضع عجيب . فسيحان القادر على ما يشاء والملهم كلَّ حيٍّ منافعِهِ.

وأما قول علقمة :

حتَّى تَلَا فَي وَقرنُ الشَّمْسِ مُرتفعٌ أدحي عِرْسَيْنِ فِيهِ البَيْضُ مَرْكُومُ
فقد قيل إنَّه غلط، لأنَّ بيض النِّعَام لا يكون مَرْكُومًا، أي بعضه على بعض، كما قلنا.

أَحْمَقُ مِنْ هَبْنَقَةٍ .

ويقال أيضًا أَحْمَقُ مِنْ ذِي الودَعَاتِ ؛ وَهَبْنَقَةٌ بِالْفَتْحَاتِ مع تشديد النُّون . هو يزيد بن شروان القيسي . ويقال له ذُو الودَعَاتِ وَلُقِّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَقَلَّدُ الودَعُ ، والودَعُ - بفتح تين - خرز أبيض يُستخرج من البحر، الواحد ودَعَةٌ والجمع ودَعٌ - وتسكَّن الدَّال أيضًا - وودَعَاتٌ .

وقال الشاعر في المفرد :

أَسَنُ مِنْ جَلْفَزِي عَوْزَمِ خَلَقِ وَالْحِلْمِ حِلْمُ صَبِيٍّ يَمْرُسُ الودَعَهُ
وَالجَلْفَزِي العجوز والنَّاقَةُ الهرمة ؛ وَالْعَوْزَمُ العجوز والنَّاقَةُ المُسَنَّةُ فِيهَا بَقِيَّةُ .
ومعنى يَمْرُسُ الودَعَةُ : يمصّها . يقول : إنَّه كبير في الجسم، صغير العقل.

وقال الآخر في الجمع، مسكَّنًا ومحرَّكًا :

إنَّ الرُّوَاةَ بَلَا فَهْمٍ لَمَّا حَفَظُوا مِثْلُ الْجَمَالِ عَلَيْهَا يُحْمَلُ الودَعُ :
لَا الودَعُ يَنْفَعُهُ حَمْلُ الْجَمَالِ لَهُ وَلَا الْجَمَالُ بِحَمْلِ الودَعِ تَنْتَفَعُ !

قيل : والودع اشتق له من الودع وهو الترك، لما قالوا من أن البحر يتركه، وذلك أنه يقذفه حيواناً فيموت ويصلب صلابة الحجر، ويعلق للعين . فكان هَبْنَقَةُ اتَّخَذَ قِلَادَةً من ودع وعظام وخزف يجعلها في عنقه، وكان طويل اللحية . فقيل له : لِمَ تعلق هذا ؟ فقال : لثَلَا أَصْلَ . ثمَّ إِنَّ أَخَا له سرقها ذات ليلة وتقلدها . فلما أصبح هَبْنَقَةُ ورأها في عنق أخيه فقال له : يا أخي، أنت أنا، فمن أنا ؟ فضرب به المثل في الحمق . وقد حُكيت عنه أخبار كثيرة في الحمق : منها أنه اشترى له أخوه بقرة بأربع أعنز . فلما ركبها وأعجبه عدَّوها، التفت الى أخيه فقال له : زدْهم عنزاً ! فضرب مثلاً للمعطي بعد وجوب البيع . ثمَّ إِنَّه سار بالبقرة حتَّى مرَّ بأرنب تحت شجرة، ففرغ منها، وركض البقرة حتَّى تجاوزها فقال :

اللَّهُ نَجَّانِي وَنَجَّى الْبَقَرَةَ مِنْ جَاوِظِ الْعَيْنَيْنِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
ومنها أنه كان إذا رعى الابل ردَّ السَّمان منها الى المرعى، ونحَّى المهازيك وقال : لا أصلح ما أفسد الله !

ومنها أنه اختصم إليه بنو راسب والطفافة في غلام تنازعه الفريقان، فقال : اذهبوا فاطرحوه في النَّهر : فإن طَفَا فوق الماء فهو للطفافة، وإن رسب فيه فهو لبنى راسب . وهذه أيضاً تُحكى عن غير هَبْنَقَةٍ، كما سيأتي، والله أعلم.

ومنها أنه ضلَّ له بعير فقال : من جاء به فله بعيران . فقيل له : أتجعل في بعير بعيرين؟ فقال إنكم لا تعرفون حلاوة الوجدان !

وقال اليزيدي :

عِشْ بَجْدٌ وَلَا يَضُرَّنْكَ نَوَكٌ : إِنَّمَا عِيشُ مَنْ تَرَى بِالْجُدُودِ
رُبَّ ذِي إِرْبَةٍ مُقَلٌّ مِنْ الْمَالِ وَذِي عُنْجُهِِيَّةٍ مَجْدُودِ
عِشْ بَجْدٌ وَكُنْ هَبْنَقَةَ الْقَيْسِيِّ أَوْ مِثْلَ شَيْبَةَ بَنِ الْوَلِيدِ !
وسبب قول اليزيدي هذا الشعر أنه تناظر، هو والكسائي، في مجلس المهدي، وكان شيبه ابن الوليد حاضراً فتعصَّب للكسائي وتحامل على اليزيدي فهجاه.

يَحْمَلُ شَنْ وَيُفْدَى لُكَيْزٌ .

الحمل معروف . تقول : حَمَلْتُ الشَّيْءَ أَحْمِلُهُ حَمَلًا - كَضَرَبْتُهُ أَضْرِبُهُ

ضَرْبًا ؛ وَشَنَّ اسْمَ رَجُلٍ، وَهُوَ شَنَّ بَنَ أَفْصَى بَنَ عَبْدِ الْقَيْسِ بَنَ جَدِيلَةَ ؛ وَتَقُولُ :
 فَدَيْتَ الرَّجُلَ تَفْدِيهِ إِذَا قُلْتَ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ . قَالَ امْرَأُ الْقَيْسِ :
 فَيَارُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَّرْتُ وَرَاءَهُ وَعَانِ فَكُتُّ الْغَلِّ عَنْهُ فَفَدَانِي
 وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي التَّفْدِيَةِ : فَدَتَكَ نَفْسِي، وَأَبِي، وَأُمِّي، وَطَارْفِي، وَتَالِدِي . وَتَقُولُ : فَدَيْتَ
 الرَّجُلَ ثَلَاثِيًّا، وَفَادَيْتَهُ إِذَا فَكُتَّهُ ؛ وَلُكَيْزُ - بِالزَّايِ، عَلَى مِثْلِ زُبَيْرٍ - هُوَ ابْنُ أَفْصَى،
 أَخُو شَنَّ الْمَذْكُورِ . وَكَانَ شَنَّ وَأَخُوهُ لُكَيْزُ مَعَ أُمِّهِمَا لَيْلَى بِنْتُ قِرَانَ فِي سَفَرٍ، فَغَزَا
 بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ ذُو طُوًى . فَلَمَّا أَرَادَتْ الرَّحِيلَ فَدَتَ لُكَيْزًا، ثُمَّ دَعَتْ شَنًَّا لِيَحْمِلَهَا .
 فَحَمَلَهَا وَهُوَ غَضَبَانٌ حَتَّى إِذَا كَانَا بِالثَّنِيَّةِ رَمَى بِهَا عَنْ بَعِيرِهَا وَقَالَ : يَحْمِلُ شَنٌَّ
 وَيُفْدِي لُكَيْزٌ ! فَذَهَبَتْ مِثْلًا يُضْرَبُ فِي وَضْعِ الشَّيْءِ غَيْرِ مَوْضِعِهِ . ثُمَّ قَالَ : عَلَيْكَ
 بِجَعْرَاتِ أُمِّكَ يَا لُكَيْزُ !

وَمِثْلُ هَذَا الْمَثَلِ الْمَثَلُ الْآتِي : هَيْكَ خَيْرَ حَالِيكَ تَنْطَحِينِ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :
 وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَدْعَى لَهَا وَإِذَا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ !
 كَمَا مَرَّ . وَكَلَّ ذَلِكَ يُضْرَبُ فِي الْخَطِ فِي مَكَافَأَةِ الْمُحْسِنِ بِالْأَسَاءَةِ، وَالْمُسِيءِ بِالْإِحْسَانِ .

الْحُمَّى أَضْرَعَتْنِي إِلَيْكَ !

الْحُمَّى مَرَضٌ مَعْرُوفٌ . يُقَالُ : حُمَّ الرَّجُلُ - بِضَمِّ الْأَوَّلِ - وَأَحْمَهُ اللَّهُ، فَهُوَ
 مَحْمُومٌ ؛ وَالْأَضْرَاعُ : الْأَذْلَالُ . يُقَالُ : ضَرَعَمَ إِلَيْهِ - بِالْفَتْحِ - يَضْرَعُمُ ضَرَاعَةً :
 ذَكَ وَخَضَعَمَ، وَأَضْرَعَهُ الْغَيْرُ . وَهَذَا الْمَثَلُ يُضْرَبُ عِنْدَ الذَّلِّ لِلْحَاجَةِ .
 قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي : إِنَّمَا قِيلَ هَذَا لِأَنَّ صَاحِبَ الْحَاجَةِ تَأْخُذُهُ رَعِشَةٌ، مِنَ الْحَرَصِ عَلَى
 حَاجَتِهِ . يَقُولُ : فَهَذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْقِلِّ هُوَ الَّذِي أَضْرَعَنِي ؛ وَالْقِلُّ الرَّعْدَةُ . انْتَهَى .
 وَقَوْلُهُ : الْقِلُّ الرَّعْدَةُ، يَعْنِي بِكسر القاف . وَحَاصِلُ مَا ذَكَرَهُ أَنَّ مَا بِالطَّالِبِ مِنَ الْحَرَصِ
 الْمَزْعَجُ لَهُ إِزْعَاجُ الْحُمَّى هُوَ الَّذِي أَضْرَعَهُ وَأَذْلَلَهُ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ :
 أَذْلَّ الْحَرِصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ
 وَهُوَ ظَاهِرٌ .

الحمى أضرعتني للنوم .

هذا المثل كالذي قبله في المعنى، وهو هو بعينه . وأول من قاله قرين بن مصاد الكلبي . وكان لصًا مُبِيرًا حتّى إنّه كان يقال له الذئب لشدة لصوصيته . وكان له أخوان : مرارة ومرة ؛ وإن مرارة خرج يتصيد الأروى في جبل يقال له أبلق، فاخطفته الجن . فانطلق مرة أخوه بأثره حتّى إذا كان بذلك المكان اختطف أيضا . وكان قرين غائبًا . فلما قدم وعلم بأمر أخويه أقسم لا يشرب خمرا ولا يمس رأسه غسل حتّى يطلب أخويه . فتنكّب قوسه وانطلق الى ذلك المكان . فمكث فيه سبعة أيّام لا ينام ولا يرى شيئا حتّى كان اليوم الثامن، فإذا هو بظليم فرماه وأصابه، واستقبل الظليم حتّى صار في أسفل الجبل . فلما وجبت الشمس بصُر بشخص قائم على صخرة ينادي :

يأيّها الرّامي الظّليم الأسود ثبتّ مراميك ولما ترشد !

فأجابه قرين :

يأيّها الهاتِفُ فوق الصّخره كم عبّره هيّجتها وعبّره
بِقِتْلِكُمْ مَرارة ومُرة فرقت جمعا وتركت صخره !

فذهب الجنّي وتوارى عنه هونا من الليل . فأصابته قرينا حمى فعلبته عينه فنام . فأتاه الجنّي فاحتمله وقال : ما أناك، وقد كنت حذرا ؟ فقال قرين : الحمى أضرعتني للنوم . ثمّ انطلق به حتّى أتى حاضر الجن . فلما كان في وجه الصبح، خلّى سبيله، فقال قرين عند ذلك :

ألا من مُبلغم فتیان قومي بما لاقيت بعدهم جميعا ؟
غرّوت الجنّ أطلّبهم بئاري لأسقيهم به سُمّا نقيعا
فيعرض لي ظليم بعد سبع فأرميه فأتركه صريعا
وكنت إذا القروم تعاورتني جريء الصدر معتزّا منيعا
بنى لي معشري وجدود صدق بذروة شامخ بيتا منيعا
وعزّا سامعا ثبت الرواسي ترى سُمّ الجبال له خضوعا

حَمِيّ الوَطَيْسُ .

تقدّم في باب الهمة من كلام النبيّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسيأتي في الأمثال الحديثيّة .

أَحْمَى مِنْ مُجِيرِ الْجَرَادِ .

الحِمَايَةُ : المنعُ . تقول : حَمَيْتُ الشَّيْءَ أَحْمِيهِ حِمَايَةً إذا حَفِظْتَهُ ومنَعْتَهُ .

قال جرير :

حَمَيْتُ حِمَى تِهَامَةٍ بَعْدَ نَجْدٍ وما شَيْءٌ حَمَيْتُ بِمُسْتَبَاحٍ
وتقول : أَجَرْتُ الرَّجُلَ أَجِيرُهُ إذا مَنَعْتَهُ من أن يُظْلَمَ، فهو جَارٌ . قال الشاعر :
وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ أَشْمَرُ حَتَّى يَنْصَفَ السَّاقَ مِثْرَ زُرِّي
وجارَ الرَّجُلِ واستجارَ : طلب أن يُجَارَ ؛ والجَرَادُ معروف، واحده جَرَادَةٌ، للذكر والأنثى،
ومُجِيرُ الجَرَادِ هو مُدْلِج بن سُؤَيْد الطَّائِيّ . ذكرُوا [أَنَّهُ] بينما هو ذات يوم في
ظِلِّ خِيْمَةٍ إذ رأى قوما من طِيٍّ قد أَقْبَلُوا ومعهم الأوعية، فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا :
جراد بات بفنائك، فجئنا نأخذه . فلما سمع ذلك، قام إلى فرسه فركبه وتسلّم وقال
لهم : أَيْكون الجراد بفنائِي وتريدون أخذه ؟ واللّٰهُ لا يعرض له أحد منكم إلا قتلته ! فلم
يزل يحرسه حتى طلعت عليه الشمس وطار، فقال : شأنكم الآن به، فقد تحوّل الآن عن
جوارِي ! فضرب به المثل .

حَنَّ حَنِينَ الثَّكَلَى

تقدم معنى الحنين ؛ والثكلى : التي فقدت ولدها، وتقدم أيضا . وحَنِينُ الثَّكَلَى
شديد، كما تقدّم في قولهم : أَحَرُّ مِنْ دَمْعِ المِقْلَاتِ . وقالت أسماء المريّة :
فَإِنَّ بَأْكَنَافِ الرِّغَامِ غَرِيبَةً مُوَلَّهَةٌ ثَكَلَى طَوِيلًا نَعِيمُهَا
وقالت الخنساء في الثكلى من الابن وحنيئها :
فما عجولٌ على بَوْءٍ تحنُّ لَهُ لها حنينان : إعلانٌ وإسرارٌ

ترتعمُ ما غفلت حتّى إذا اذكّرت يوماً بأوْجَعٍ مِنّي يومَ فارقتي ونحوه قول عبد الله بن الزبير الأسدي :
 رمى الحدّثان نيسوة آل زيد فردّ شعورهنّ السّودَ بيضاً فأنتك لو سمّعت دُعاءَ هندٍ سمّعت دُعاءَ باكيةٍ حزينٍ
 فإنّما هي إقبالٌ وإدبارٌ صخرٌ وللدّهرِ إحلاءٌ وإمرارٌ
 بمقدارٍ سمّدت له سُموداً وردّ وجوههنّ البيضَ سوداً ورملّة إذ تصكّكان الخدودا أبان الدّهرُ واحدّها الفقيدا
 حنّ قدحٍ ليسَ منها .

هذا المثل يُضرب للرجل يُدخل نفسه في القوم وليس منهم، أو يتمدّح بالشيء ليس من أهله . يروى أنّ عقبة بن أبي معيط،⁽¹⁴⁾ لمّا أمرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقتله، قال : أأقتل من بين قريش ؟ فقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : حن قدح ليس منها ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وهل أنت إلاّ يهوديّ من صفّوريّة ؟ وذلك أنّهم ذكروا أنّ أميّة بن عبد شمس خرج الى الشّام وأقام بها عشر سنين . فوقع على أمة يهوديّة للحمّ من صفّوريّة يقال لها ترني، فولدت له ذكراً، فاستلحقه أميّة وكنّاه أبا عمرو، وهو أبو أبي معيط .

حَنَّتْ وَلَا تَهَنَّتْ .

هذا المثل لمازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وذلك أنّ الهيجمانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم بن مرّ كان عبد شمس بن سعد بن زيد مائة بن تميم كان يزورها . فنهاه قومها عن ذلك فأبى، حتّى وقعت الحرب بين قومه وقومها . فأغار عليهم عبد شمس في جيشه، فعلمت به الهيجمانة فأخبرت أباه . وكانوا يعرفون إعجاب الهيجمانة به كإعجابه بها . فلمّا قالت هذه المقالة لأبيها قال مازن بن مالك : حَنَّتْ وَلَا تَهَنَّتْ ! وأنّى لها مقروع ؟⁽¹⁵⁾ ومقروع عبد شمس كان يُلقّب به، لأنّ القرّيع والمقروع في كلام العرب هو المختار

14م) في النهاية لابن الأثير (مادة حَنَّ) : الوليد بن عقبة بن أبي معيط . وشرح القيدُح بأنه « أحد سهام الميسر، فإذا كان من غير جوهر أخوانته ثم حرّكها المفيض بها خرج له صوت يُخالف أصواتها فعُرف به . »
 15) في لسان العرب : وأنّى لك صفّروع .

. فقال لها أبوها عند ذلك : أي بُنَيَّة، أصدقيني ! أذلك هو ؟ فإنه لا رأي لمكذوب .
 فقالت : ثكلتك إن لم أكن صدقتك، فانجُ لا أخالك ناجيا ! فذهبت كلمة مازن وكلمته
 وكلمتها أمثالا . فقول مازن : حَتَّتْ وَلَا تَهَنَّتْ، أراد أنها إنما كان غرضها أن تذكر عبد
 شمس ليجري اسمه على لسانها حنيئا إليه وشوقا لا شفقة على قومها، ولا نصحا لأبيها ولا
 تحذيرا . وقوله : وَلَا تَهَنَّتْ دعاء عليها، أي : لَا هَنَّاها اللَّهُ بِذَلِكَ ! وأراد : لَا
 تَهَنَّتْ - بالهمز - من الهناء، ثم خَفَّفَ الهمزة وقلبها ألفا، ثم حذف (16) الألف لملاقة التاء
 الساكنة، كما في نظائره .

قيل : ويحتمل أن يريد : وَلَا تَهَنَّا، أي ليس هذا الوقت، أو : ان ذلك ولا حينه، كما قال
 الأعشى :

لَا تَهَنَّا ذَكَرِي جُبَيْرَةَ أَمْ مِّنْ جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الْأَهْوَالِ !
 أي ليس هذا حين ذكرها، يأسا منها . وكما قال الراعي :

أَفِي أَثَرِ الْأَظْغَانِ عَيْنُكَ تَطْمَحُ ؟ نَعَمْ ! لَا تَهَنَّا إِنْ قَلْبُكَ مَتِيحٌ (17)
 وكما قال جَحَلُ بْنُ نَضْلَةَ الْبَاهِلِيِّ :

حَنَّتْ نَوَارُ وَلَا تَهَنَّا حَنَّتْ وَبَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوَارُ أَجَنَّتْ
 لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَى شَرِبًا لَهَا (17) وَالْفَرْتُ يُعْصَرُ فِي الْإِنَاءِ أُرْنَتْ
 وَفِي إِعْرَابِهِ كَلَامٌ مُبِينٌ فِي عِلْمِ النَّحْوِ . والتاء في لَا تَ لتأنيث الكلمة، كما قيل في رُبٍّ
 وَثَمٍّ رُبَّتْ وَثَمَّتْ . وقيل إنها بدل من الألف، لأنَّ التاء تبدل من الألف عند الوقف
 وعند السجع، كما قيل :

مِنْ بَعْدَمَا وَبَعْدَمَا وَبَعْدِمَتْ صَارَتْ نَفُوسُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْغَلَصَمَتِ

حُورٌ فِي مَحَارَةٍ .

الحُورُ - بضم الحاء وفتحها - وهو مضموما : الهلاك والنقصان، ومفتوحا النقصان
 أيضا والرجوع . يقال : حار إليه يحُورُ حُورا : رَجَعَ . قال مهلهل بن ربيعة التغلبي :

(16) في د : حذف

(17) نسبه في لسان العرب إلى الراعي وأورده هكذا :

أَفِي أَثَرِ الْأَظْغَانِ عَيْنُكَ تَلْمَحُ نَعَمْ لَا تَهَنَّا إِنْ قَلْبُكَ مَتِيحٌ

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْيِرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي !
أي : لا تَرْجِعِي ! والمَحَارَة النقصان أيضا .

ومعنى المثل : نقصان في نقصان . يقال للرجل يكون أمره في إدبار ، أو للرجل ينقص بعد الزيادة ، ويكون صالحا فيفسد ، ولمن لا يصلح . ومن ورود الحور بمعنى النقصان قول الشاعر :
واستعجلوا عن خفيف المضغ فازدردوا والذَّمُّ يبقى وزادُ القومِ في حور

حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَزْوَانِ .

تقول : حَالُ الشَّيْءِ بَيْنِي وَبَيْنَ كَذَا يَحُولُ حَيْلُوتٌ : مَنَعَنِي مِنْهُ ؛ وَحِيلَ
بَيْنَ زَيْدٍ وَبَيْنَ كَذَا . قَالَ تَعَالَى وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ؛ وَالْعَيْرُ
- بِالْفَتْحِ - الْحِمَارُ ، وَسَيِّدُ الْقَوْمِ أَيْضًا ؛ وَالنَزْوَانُ مَصْدَرُ قَوْلِكَ : نَزَا الْفَحْلُ عَلَى
الْأُنْثَى ، يَنْزُو عَلَيْهَا نَزْوًا وَنَزَوَانًا .

والمثل يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَعُوقُهُ عَنْ مَطْلَبِهِ عَائِقٌ . وَهُوَ مِنْ قَوْلِ صَخْرَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ :
أَهْمٌ بِفَعْلٍ الْحَزْمُ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَزْوَانِ
وَسَنَذَكِرُهُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ فِي الْأَمْثَالِ الشَّعْرِيَّةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

حَالُ الْجَرِيضِ ، دُونَ الْقَرِيضِ .

الجرَضُ الرِّيفُ يُغَصَّبُ بِهِ . يُقَالُ : جَرَضَ الرَّجُلُ بِرِيقِهِ يَجْرَضُ - كَفَرَحَ يَفْرَحُ -
إِذَا ابْتَلَعَهُ بِجَهْدٍ عَلَى هَمٍّ وَحُزْنٍ ؛ وَالْجَرِيضُ الْاِخْتِنَاقُ بِالرِّيقِ عَلَى الْمَوْتِ . قَالَ اأَمْرُو
الْقَيْسِ :

كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَغْنُ فِي النَّاسِ سَاعَةً إِذَا اخْتَلَفَ اللَّحْيَانِ عِنْدَ الْجَرِيضِ
وَيُقَالُ : هُوَ يَجْرَضُ عَلَى نَفْسِهِ ، أَيِ يَكَادِ يَقْضِي ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اأَمْرِئِ الْقَيْسِ أَيْضًا :
وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِيرُ الْوُطَابِ
وَالْقَرِيضُ : الشَّعْرُ .

ومعنى المثل أن الاختناق بالريق يمنع من قول الشعر ، فيضرب في كل أمر يعوق عنه عائق .

وأوَّل من قاله جوشن الكلابي . وكان أبوه منعه من قول الشعر، فمرض حزناً، فرقَّ له أبوه
وقد أشرف، فقال له يا بنيَّ، انطق بما أحببت ! فقال : هيهات ! حالَ الجَرِيضِ دُونَ
القَرِيضِ . قيل : وأنشد :

عَذِيرُكَ مِنْ أَبِيكَ بِضِيقِ صَدْرِي فَمَا تُغْنِي بُيُوتَ الشَّعْرِ عَنِّي !
وقيل أوَّل من قاله عبيد بن الأبرص، حين وفد على النعمان في يوم بؤسه وأيقن
بالموت، وقال له النعمان : أنشدني ! فقد كان يعجبني شعرك، فقال عبيد : حالَ
الجَرِيضِ دُونَ القَرِيضِ ! وقد تقدَّمت قصَّته في حرف الهمزة مستوفاة.

وقال أبو محمد الحريري رحمه الله تعالى :

مَابَاتَ جَارٌ لَهُمْ سَاغِبًا وَلَا لِرَوْعٍ قَال : حالَ الجَرِيضِ

حَوَّلَ حَابِلَهُ عَلَى نَابِلِهِ .

الحَابِلُ هنا السَّدَى ؛ والنَّابِلُ الثَّلْمَةُ، وقد تقدَّما . ومعنى حَوَّلَ حَابِلَهُ
عَلَى نَابِلِهِ جعلَ أعلاه أسفله، وهو ظاهر .

حَوَالَيْنَا لَا عَلَيْنَا .

يتمثَّل به كثيرًا، وهو من كلام النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين استصحى فقال :
اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ! أي أنزل المَطَر حَوَالَيْنَا، وَلَا تُنْزِلْهُ عَلَيْنَا!
والحديث مشهور .

وقال، مُشيرًا إلى ذلك على طريق الاقتباس، الصَّاحِب بن عبَّاد :

أَقُولُ وَقَدْ رَأَيْتُ لَهَا سَحَابًا مِنَ الْعِجْرَانِ مُقْبِلَةً إِلَيْنَا
وَقَدْ سَحَّتْ غَزَالِيهَا بِهَطْلٍ : حَوَالَيْنَا الصُّدُودُ وَلَا عَلَيْنَا !
وتقول : جلست حول الرَّجُلِ وحولِيهِ وحَوَالِيهِ وأحوالِهِ - مفتوحات الأوَّل - وكلَّها بمعنى
واحد .

حَيْثُ لَا يَضَعُ الرَّاقِي أَنْفَهُ .

حَيْثُ من ظروف المكان ؛ والوضْعُ : الطَّرْحُ والجَعْلُ . تقول : وضَعْتُ الشيءَ أَضَعُهُ - بفتح الضاد فيهما ؛ والرُقِيَّةُ - بضمّ الراء - العُوذَةُ ، رَقَاهُ يَرْقِيهِ رَقِيًّا ، فهو راقٍ له نفث في عوذته . قال عروة بن حزام :

فما تَرَكَا من رُقِيَّةٍ يَعْلَمَانِيهَا ولا شُرْبَةٍ إِلَّا بِهَا سَقْيَانِي
وهذا المثل يُضرب في الأمر لا يُدنى ولا يُقرب منه .

قال أبو علي القالي : وكأنهم يرون أن أصل ذلك أن ملسوعًا لُسع في استه فلم يقدر الرّاقِي أن يقرب أنفه ممّا هنالك . انتهى .

قلت : وأورده أبو عبيد في أمثاله بلفظ جَرَحَهُ حَيْثُ لَا يَضَعُ الرَّاقِي أَنْفَهُ ، وقال إنّه يُضرب في الجناية لا دواء لها . فقال البكري عن ابن الكلبي : أول من نطق بهذا المثل امرأة من العرب ، وأظنها زوجة حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم - أو بنته - وكان حنظلة شيخًا كبيرًا . فأصابتهم ليلة ريح ومطر وبرق . فخرجت تصلح طنب بيتها ، وعليها صِدَارٌ . فأكَبَّت على الطنب ، وبرقت السّماء برقّة ، فأبصرها مالك بن عمرو بن تميم وهي مُجَبِّيَّةٌ ، فشدّ عليها حتّى خالطها ، فقالت :

يَا حَنْظَلُ بْنَ مَالِكٍ لَحَرُّهَا يُشْفَى بِهَا مِنْ لَيْلَةٍ وَقَرُّهَا !
فأقبل بنوها وزوجها ، فقالوا لها : مالك ؟ فقالت : لدغت . قالوا : أينه ؟ فقالت : حَيْثُ لَا يَضَعُ الرَّاقِي أَنْفَهُ . فذهبت مثلاً . ومات حنظلة بن مالك ، فتزوَّجها مالك بن تميم ، صاحب اللدعة ، فولدت له نفرا .

أَحِيرٌ مِنْ بُرْغُوثٍ .

تقول : حَارَ الرَّجُلُ يَحَارُ حَيْرَةً وَحَيْرَةً وَتَحِيرًا ، واستَحَارَ : إذا نظر فلم يهتد ؛ والبُرْغُوثُ - بضمّ الباء - معروف . قال الأعرابي :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً وَلَيْسَ لِبُرْغُوثٍ عَلَيَّ سَبِيلٌ ؟
وهو يطير الى وراء ، وذلك من لطف الله تعالى به ليرى من يكيدّه .

أَحْيَرُ مِنْ ضَبٍّ .

الْحَيَرَةُ تَقْدَرَتْ، والضَّبُّ معروفٌ يوصف بالحيرة، وذلك أَنَّهُم يزعمون أَنَّ فِي طَبْعِهِ النسيان وعدم الهداية، ولذلك يحفر جحره عند صخرة، أو فِي أَكْمَةِ لَيْلَا يَضِلُّ عَنْهُ إِذَا خَرَجَ لَطَلَبِ الطَّعْمِ، ولذلك توجد بَرَاثِينُهُ كَلِيلَةُ مِنْ حَفَرِهِ الْكُدَى والأماكن الصلبة، كما قَالَ حَالِدُ بْنُ عُلْقَمَةَ :

تَرَى الشَّرَّ قَدْ أَفْنَى دَوَائِرَ وَجْهِهِ كَضَبُ الْكُدَى أَفْنَى بَرَاثِينَهُ الْحَفَرُ
وَتَقْدَرُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فِي الْبَاءِ .

الْحَيَّةُ مِنَ الْحَيَّةِ .

الْحَيَّةُ معروفٌ، يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالتَّاءُ فِيهِ لِلْوَحْدَةِ مِنَ الْجِنْسِ، كَالْبَطَّةِ وَالدَّجَاجَةِ وَحَكَى بَعْضُ الْأَقْدَمِينَ : رَأَيْتُ حَيًّا عَلَى حَيَّةٍ، أَيْ ذَكَرًا عَلَى أُنْثَى . وَمَعْنَى الْمَثَلِ أَنَّ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ يَنْشَأُ عَنِ الْأَمْرِ الصَّغِيرِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ : الْعَصَا مِنَ الْعُصْيَةِ، وَسَيَأْتِي . وَقَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : إِنَّ السَّقَطَ يُحْرِقُ الْحَرَجَةَ، وَقَدْ تَقْدَرُ . وَقَدْ جَعَلَ بَعْضُهُمْ نَظِيرَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا .

أَحْيَى مِنْ ضَبٍّ .

يَقَالُ : حَيَّيَ الشَّيْءَ - بِالْكَسْرِ - يَحْيِي، حَيَاةً، فَهُوَ حَيٌّ ؛ وَالضَّبُّ مَعْرُوفٌ، وَوُصِفَ بِكَثْرَةِ الْحَيَاةِ لَطُولِ عَمَرِهِ . فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ يَعِيشُ سَبْعِمِائَةَ سَنَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَلَا تَسْقُطُ لَهُ سِنَّةٌ، وَيَبُولُ فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مَرَّةً وَاحِدَةً . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّكَ لَوْ عُمِّرْتَ عُمُرَ الْحِيسْلِ أَوْ عُمُرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطْحِ
وَالصَّخْرِ مَبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ⁽¹⁸⁾

وَالْحِيسْلُ - بِالْكَسْرِ - وَلَدُ الضَّبِّ، [وَمِنْ ثَمَّ] يَقَالُ لِلضَّبِّ أَبُو حِيسْلٍ ؛ وَالْفِطْحُ - عَلَى مِثَالِ هِزْبٍ فِيمَا يَزْعُمُونَ : زَمَانٌ كَانَتْ الصَّخَرُ فِيهِ رَطْبَةً .

(18) فِي الصَّحَاحِ (مَادَّةُ فِطْحٍ، هَامِشٌ 2) فِي نَسْخَةٍ : ... وَالصَّخْرُ مَبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ كُنْتُ رَهْنًا هَرَمًا أَوْ قَتَلُ .

وممّا يلتحق بهذا الباب قولهم :

حُبًّا وكرامة .

يقول الرَّجُلُ لآخر إذا طلبه شيئاً : نَعَمْ وَحُبًّا وكرامة . ويقال أيضاً : حُبَّة وكرامة . والحُبَّة - بضمّ الحاء - بمعنى الحُبِّ ؛ والكرامة من الاكرام، ويقال أيضاً : حُبًّا وكرمة، وحُبًّا وكرماناً - بضمّهما - وقيل المراد بالحُبِّ هنا الحُبُّ الذي هو الجرّة العظيمة - وهي الخابية - والكرامة غطاء الجرّة .
وقد يقال : افعل كذا حبًّا وكرامة لك - بالفتح - وكرماً وكرمة وكرمى وكرمة عين - بضمّ الك - وليس له فعل ظاهر . وقولهم :

حُطْنِي القَصَا .

أي تَبَاعَد عَنِّي، والقَصَا البُعْد، يقال قَصَا الشيءُ يَقْصُو قُصُوءًا، وقَصِيَّ الرجل عن جوارِي - بالكسر - يَقْصِي قَصًى، أي تباعد . والقَصَا أيضاً فناء الدَّارِ، ويُمَدُّ، والناحية . يقال - ذهبت قَصَا فلان، أي ناحيته . وقال الشاعر :
فَحَاطُونَا الْقَصَا وَلَقَدْ رَأَوْنَا قَرِيبًا حَيْثُ يُسْتَمَعُ السَّرَارُ
قال في الصحاح، عن الأصمعي : معنى حَاطُونَا الْقَصَا أي تَبَاعَدُوا عَنَّا وَهُمْ حَوْلُنَا، وما كنّا بالبعد منهم لو أرادوا أن يدنوا مِنَّا . انتهى . وقولهم :

تَحَلَّلْتُ عُقْدُ فُلَانٍ .

أي سكن غضبه . ومن الأمثال المشتهرة في هذا الباب على ألسنة النَّاس قولهم :

أَحْسَنُ مِنْ نَارِ الْقِرَى .

كانت خولة بنت منظور بن زيان أجمل نساء قومها، فقدمت المدينة لزيارة أختها زوجة عبد الله بن الزبير، فسمع النَّاسُ بها فخطبوها، وفيهم الحسن بن علي رضي الله عنه . فجعلت

أمرها بيدي أختها، فوكّلت ابن الزبير فزوَّجها من الحسن . فلمّا بلغ الخبر أباهما جاء المدينة، فركز رايته عند المسجد ونادى : يا آل قيس ! فلم يبق قيسيٌّ إلّا دخل تحت رايته . فبلغ ذلك الحسن فجاء إليه فقال له : شأنك يابنتك ! فجاءها فحملها معه . فلمّا خرجا قالت له : أو يرضى أحد بمثل فعلك ؟ الحسن بن علي وفاطمة، وسبط رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وسيدّ شباب أهل الجنّة، أين تجد مثله ؟ فقال : صدقت، ولكن تعالّني نزل بقبّا . فإن كان له غرض فيك، فسيلحقنا ! فبينما هم هنالك، أقبل الحسن والحسين وابن جعفر وابن عبّاس، فردّها إليهم . فولدت للحسن الحسن المثنّى، أكبر ولده . ولم ترك عنده حتّى مات . فكثّر خطّابها، فقالت : والله لا كان لي حمءٌ بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ! فكشفت القناع وبرزت للرجال في هيئة المتجالات، فيئسوا منها عند ذلك . وكانت معروفة بفعل الخير والتفصّل، يقصدها النّاس في حوائجهم فتقضيها . وعاشت كثيرا .

فحكى عن معبد المغنّي قال : جئتها ألتمس معروفها، وهي عجوز، وغنّيتها شعرا قاله فيها بعض من أراد تزويجها وهي شابة فلم تنكحه، [ومنه] :
 قِفَا فِي دَارِ خَوْلَةٍ فَاسْأَلَاهَا تَقَادِمَ عَهْدُهَا وَهَجَرْتُمَاهَا
 بِمَحَلٍّ كَأَنَّ الْمِسْكَ فِيهِ إِذَا فَاحَتْ بِأَبْطَحِهِ صَبَاهَا
 فطربت واهترزت وقالت : يا عبد بني قطن، أنا والله يومئذ أحسن من نار القرى في عين التّائب الصّدي ! وقولهم :

أَحْقَرُ مِنْ ذُبَابٍ وَأَحْقَرُ مِنْ قَلَامَةٍ .

وهو ما يزال من الظفر . وهذا باب مطرّد . وقولهم :

أَحْيَرُ مِنْ طَيْرٍ فِي شَبَكَةٍ .

يريدون الطّير المقنوص في الشّبكة، الشّديد الاضطراب والموجان ؛ وقولهم :

أَحْيَرُ مِنْ بَقَّةٍ فِي حَقَّةٍ .

ونحو هذا .

ومن الأمثال العامية قولهم :

حُلَّ عَيْسَتِكَ، مَا أَرَدْتُ خُبْرَتَكَ !

يضربون للرجل يعجز أن يجمال الناس بحسن خلقه، فضلا عن أن يسمح بئداه .

وقولهم :

الْحِمَارُ حِمَارِي وَأَنَا أَرْكَبُ [مِنْ] وَرَاءَ !

وقد أن أن نذكر في هذا الباب ما تيسر من الشعر . قال الشاعر :

أَخَاكَ أَخَاكَ، إِنَّ مَنْ لَا أَخَالَهُ كَسَامٍ إِلَى الْفَيْجَا بَغِيرِ سِلَاحٍ
وَإِنَّ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ فَاعْلَمْ جَنَاحُهُ وَهَكَ يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحٍ ؟
وقال الآخر :

وَإِنِّي وَتَرْكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ وَقَدْ حَيَّ بِكَفِّي زَنْدًا شَحَاحًا
كَتَارَكَةٍ بَيْضَهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْحِفَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحًا
يريد النعامة، وتقدم ذلك فيها .

وقال عروة بن الورد :

وَقُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَنِيفِ تَرَوُّوْا عَشِيَّةً بَيْتَنَا عِنْدَمَا وَانَ رُزْخٍ
تَنَالُوا الْغِنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنُفُوسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَاخٍ مِنْ حِمَامٍ مُبْرِخٍ
وَمَنْ يَكُنْ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا يُغَرَّرُ وَيَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيَبْلُغَ عُدْرًا أَوْ يُصِيبَ رَغِيبةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُدْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ
وَالْكَنِيفُ حَظِيرَةٌ تَعْمَلُ لِلْمَاشِيَةِ تَحْفَظُ فِيهَا ؛ وَالرُّزْخُ جَمْعُ رَازِخٍ، وَهُوَ السَّاقُطُ
الْمُعْيِي هَازِلًا، وَهُوَ نَعْتٌ لِلْقَوْمِ ؛ وَالْحِمَامُ - بكسر الحاء - الموت، وجعله مُبْرِخًا، أَيِ
شَاقًا لَطُولِهِ، لِأَنَّهُمْ يَبْقَوْنَ حَتَّى يَمُوتُوا جُوعًا .

وذلك أَنَّ عروة مرَّ بقوم من أهله قد جهدوا وحظروا على أنفسهم حظيرة، فقال لهم : ما هذا؟ قالوا : إِنَّا جَهْدْنَا وَخَفْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا السَّبَاعَ، فَعَمَلْنَا هَذَا نَبْقَى فَيَدُ حَتَّى نَمُوتَ .
فلامهم على ذلك واستنهضهم لطلب الرزق . فسار بهم حَتَّى نَزَلُوا مَاءً يُقَالُ لَهُ مَاوَأَن لِبَنِي
فَزَارَةَ . فمرَّ بهم رَاكِبٌ مَعَهُ ظَعِينَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَمِائَةٌ نَاقَةٌ . فَقَامَ إِلَيْهِ عُرْوَةٌ فَقَاتَلَهُ حَتَّى قَتَلَهُ .

فأخذ ذلك وقسمه على أصحابه .

وقوله : ومُبْلَغُ نَفْسٍ عَذْرَاهَا مَثَلُ مُنْجِمٍ : مثلك سائر عند القوم، ويريد به أن من جدَّ في الطَّلَب، وعانى المشقَّة والتَّعَب، فهو إن ظفر فذلك ما يَسْعَى إليه، وإن لم يظفر فلا ملامة عليه، كما قال امرؤ القيس :
نُحَاوِلُ مُلُكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذِرَا
وسياتي ما يناسب هذا المعنى، إن شاء الله .

وقال ابن هرمة :

يُحِبُّ الْمَدِيحَ أَبُو ثَابِتٍ وَيَفْرَقُ مِنْ صِلَةِ الْمَادِحِ
كَبِيرُ تَشَهَّى لَذِيذِ النَّكَاحِ وَتَجْزَعُ مِنْ صَوْلَةِ النَّاكِحِ
وقال الحماسي عمرو بن الإطنابة الأنصاري :

أَبَتْ لِي عِفَّتِي وَأَبَى بِلَائِي وَخَذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
وَاجْتِشَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرَبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ
وقولي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشَتْ : مَكَانَكَ تَحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
لَأُدْفَعَنَّ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتٍ وَأَحْمِي بَعْدُ عَنْ عِرْضِ صَاحِبِ
الْاجْتِشَامِ : الْإِكْرَاهُ عَلَى تَحْمَلِ الْمَشَقَّةِ ؛ وَالْمُشِيحُ وَالشَّائِحُ : الْجَادُّ فِي الْأَمْرِ ؛
وَجَشَأْتُ نَفْسَ الرَّجُلِ : تَحَرَّكَتْ وَاضْطَرَبَتْ مِنْ جَزَعٍ أَوْ حَزَنٍ ؛ وَجَاشَتْ : مَا جَتَّ
وَاضْطَرَبَتْ، وَمِنْهُ الْجَيْشُ، لِمُوجَانِهِ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ ؛ وَالْمَآثِرُ مَا يُذَكَّرُ عَنِ الْإِنْسَانِ
وَيُؤَثَّرُ عَنْهُ ؛ وَالْعِرْضُ الصَّحِيحُ : الَّذِي لَمْ يَعْطَلْ بِهِ عَيْبٌ فَيَمْرُضُهُ .

وقال جميل بن معمر :

أُرِيدُ صِلَاحَهَا وَتُرِيدُ قَتْلِي فَشَتَّى بَيْنَ قَتْلِي وَالصِّلَاحِ !
وقبله :

تَنَادَى آلُ بُثْنَةَ بِالرَّوَّاحِ وَقَدْ تَرَكَوْا فُوَادَكَ غَيْرَ صَاحٍ
فِيَا لَكَ مَنَظَرًا وَمَسِيرَ رَكْبٍ شَجَانِي حِينَ أَمْعَنَ فِي الْفِيَا حِي
وَيَا لَكَ خَلَّةً ظَفَرْتَ بِعَقْلِي كَمَا ظَفَرَ الْمُقَامِرُ بِالْقِدَاحِ !
وبعده أُرِيدُ صِلَاحَهَا (البيت)
لَعَنَ أَبِيكَ لَا تَجِدِينَ عَهْدِي كَعَهْدِكَ فِي الْمَوَدَّةِ وَالسَّمَامِ

ولو أرسلت تستهدين نفسي أتاك بها رسولك في سراح
وقال أبو الطيب :

وما كان ترك الشعر إلا لأنه تقصّر عن وصف الأمير المدائح
قلت : وما أحق أن يتمتلك بهذا عند ترك الاشتغال بمدح النبي صلى الله عليه
وسلم ! فإن أكثر الفحول [تركوه] واشتغلوا بمدح غيره . وما ذلك إلا عجزاً : فإن نباهة
مكانه صلى الله عليه وسلم، وجلالة جانبه تبهر العقل وتحير الفكر، فلا يستطيع أن
يجول فيه، ولو جال لقصّر . وقد ذكر ابن الخطيب رحمه الله هذا المعنى في صدر
كتاب السحر والشعر له، بعد أن ذكر مقطعات لبعض الأدباء في مدحه صلى الله عليه
وسلم، فقال : وكما أن الشعر لم يتعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينبغي له
لأنه يرتاب المبطلون، وذلك في حقه كمال، بخلاف غيره ، كذلك يبعد أو يمتنع أن يوجد
قسم السحر في مدحه، إذ أصله الإغواء والمحاكاة والخيال والتمجين، حتى قال : ووقار
جانبه صلى الله عليه وسلم يبهز النفس ويمنع من استرسالها في ذلك . فالمجيد فيه
من عوّل على نصاعة اللفظ، وقصد الحق، وقرب المعنى، وإيثار الجد . انتهى .
قلت : ومن أسباب ذلك أيضاً أن المديح إنما يحسن ويستغرب لاشتماله على محاسن
وأوصاف كمال للممدوح، يتفطن لها الشاعر دون غيره، ويبالغ فيها أكثر مما يتسحق
الممدوح ويظن به .

وقد علم في حق النبي صلى الله عليه وسلم أن كل ما يتخيّله الشاعر من المحاسن
والكمالات، فالنبي صلى الله عليه وسلم زائد على ذلك وأرفع منه، إذ لا يبقى فوق
كماله صلى الله عليه وسلم إلا كمال الألوهية، وليس لأحد أن يثبت له، فلم يبق للشاعر
إلا أن يبين ما هو عليه أو أنقص، وكلاهما لا طائل فيه، مع أن تبين قدره صلى الله عليه
وسلم متعذر عادة، إذ لا تصل إليه العقول، فليس إلا القصور . ولله درّ القائل :

ما قصّر الشعراء فيك تعمّداً بك دقّ عن أفكارهم معانكا
نعم ! يمكن الاتيان بشيء من حلاه صلى الله عليه وسلم وأوصافه على نوع من الغرابة
وضرب من المبالغة، بحسب ما يرى الناس من حاله صلى الله عليه وسلم.

وقال أيضا :

أَيُّكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرُ صُرَاحٍ ؟
نَسَبَتْنِي لَهُمْ رُؤُوسُ الرِّمَاحِ

أَيُّكُونُ الهِجَانُ غَيْرُ هِجَانٍ ؟
جَهْلُونِي وَإِنْ عَمَرْتُ قَلِيلًا

وقال أيضا :

نَظَرُ العَدُوِّ بِمَا أُسْرَ يَبُوحُ

تَخَفَى العَدَاوَةُ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ

وقال أيضا :

وَإِنْ حَرَصَ النُّفُوسُ عَلَى الفَلاحِ

فَقَلْتُ لَكَ حَيٌّ يَوْمٌ سَوْءٍ (20)

وقال أبو العلاء المعري :

بَأْنَ وِراءَها سَقَمًا صَحِيحًا

وَأَمْرَاضُ المَواعدِ أَعْلَمَتْنِي

وقال :

وَنَحْنُ عَبِيدُ مَنْ خَلَقَ المَسِيحًا

أَعْبَادَ المَسِيحِ يَخَافُ صَحْبِي

وقال :

وَلَكِنْ حَظُّنَا فِي أَنْ يَفُوحًا

وَمَا لِلْمِسْكِ فِي أَنْ فَاخَ حَظٌّ

وقال :

فَمَا نِلْتُ النِّسِيبَ وَلَا المَدِيحَا

وَذَلِكَ أَنَّ شِعْرَكَ طَالَ شِعْرِي :

لِيَنْزَلَ بَعْضُهَا نَزَلَ السُّفُوحَا

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَعْلَامَ رَضْوَى

وهذا في معنى ما مرَّ لأبي الطيّب :

وقال الشاعر :

فَفِي إِبْطائِهِ أَثَرُ النِّجَاحِ !

إِذَا أَبْطَأَ رَسولُكَ فَارْجُ يُسْرًا :

وهذا يشبه قول أبي الطيّب :

أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي المَسِيرِ الجَهَامُ

وَمِنْ الخَيْرِ بُطْءُ سَيِّبِكَ عَنِّي

وقال الآخر :

لَهَا أَحَدًا مِنْ سائِرِ النَّاسِ يَصْلُحُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَصْلُحْ لِنَفْسِكَ لَمْ تَجِدْ

وقال الآخر :

صَبَاحٌ فِي صَبَاحٍ فِي صَبَاحٍ

جَبِينُكَ وَالْعِمَامَةُ وَالْتِنَائَا

وقال الآخر :

دعِ النَّاسَ طَرًّا واهجرِ النَّاسَ كُلَّهُمْ

وقال الآخر :

صديقٌ بِلَاعِيبٍ قليلٌ وجوده

وقال الآخر :

طَلَبْتُ بِكَ التَّكْثِيرَ فَازْدَدْتُ قَلَّةً

وقال الآخر :

كَأَنَّنِي الْجَزَارُ فِيهِ فِعْلُهُ :

وقال الآخر :

كُنْ فِي أَمَانِ اللَّهِ مِنْ خَاطِرٍ :

وقال الآخر :

لَيْسَ عَارًا بَأَنْ يُقَالَ مُقِلٌّ :

ومثله قول الآخر :

أَلَمْ تَعْلَمْ يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَنَّنِي

وَأَنَّنِي لَا أَخْزَى إِذَا قِيلَ مُمْلِقٌ

وقول الآخر، من شعراء الحماسة :

أَجْلَكَ قَوْمٌ حِينَ صَبَرْتَ إِلَى الْغِنَى

وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنَى زَيْنِ الْفَتَى

وقال حسَّان بن حنظلة :

تِلْكَ ابْنَةُ الْعَدَوِيِّ قَالَتْ بَاطِلًا

إِنَّا لَعَمْرُ أَبِيكَ يَحْمَدُ ضَيْفَنَا

وقول الآخر :

لَنَا حَمْدُ أَرْبَابِ الْمِثْنِ وَلَا يُرَى

وقول الآخر :

بَكَرَ الْعَوَازِلُ بِالسَّوَادِ يَلْمُنُنِي

أَفَنَيْتَ مَالَكَ فِي السَّفَاهِ، وَإِنَّمَا

إِذَا كُنْتَ فِي أَخْلَاقِهِمْ لَا تُسَامِحْ !

وَذِكْرُ عُيُوبِ الْأَصْدِقَاءِ قَبِيحٌ

وَقَدْ يَخْسَرُ الْإِنْسَانُ فِي طَلَبِ الرَّبْحِ

مَا قَالَ بِسْمِ اللَّهِ إِلَّا ذَبَحَ

مِثْلُكَ لَا يُهْجَى وَلَا يُمْدَحُ

إِنَّمَا الْعَارُ أَنْ يُقَالَ شَحِيمٌ

كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الْكَرَامِ قَلِيلٌ

كَرِيمٌ وَأَخْزَى أَنْ يُقَالَ بَخِيلٌ

وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْعُيُونِ جَلِيلٌ

عَشِيَّةٌ يَقْرِي أَوْ غَدَاةٌ يُنِيكُ

أَزْرَى بِقَوْمِكَ قَلَّةُ الْأَمْوَالِ

وَيَسُودُ مُقْتَرِنَا عَلَى الْإِقْلَالِ

إِلَى بَيْتِنَا مَالٌ مَعَ التَّلِيلِ رَائِحٌ

جَهْلًا يَقُولُنَّ : أَلَا تَرَى مَا تَصْنَعُ ؟

أَمْرُ السَّفَاهَةِ مَا أَمْرُنَا أَجْمَعُ

وَقَتُّودٍ نَاجِيَةٍ وَضَعْتُ بِقَفْرَةٍ
بِمُهَنْدٍ ذِي حَلِيَةٍ جَرَدْتُهُ
لَتَنُوبٍ نَائِبَةٍ فَيُعْلَمُ أَنَّي
إِنِّي مُقَسِّمٌ مَا مَلَكَتُ فِجَاعِي
وقول أبي زياد الأعرابي :

لَهُ نَارٌ تَشْبُ عَلَى يَفَاعٍ
وَلَمْ يَكُ أَكْثَرُ الْفَتِيَانِ مَالًا
وقول الآخر :

وَلَيْسَ بِأَرْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى
وقال الآخر :

وَتَبًّا لِمَنْ بَخِلَتْ نَفْسُهُ
أي : المرحاض. وقال الآخر :

وَشَيْئَانِ مَعْدُومَانِ فِي الْأَرْضِ : دَرَاهِمٌ
وقال الآخر :

وَيُؤْلَمُنِي جَمِيلٌ لَا أَكْفَا
وقال الآخر :

هَجَوْتُ زُهَيْرًا ثُمَّ إِنِّي مَدَحْتُهُ
وقال الآخر :

لَا يَصْحَبُ الْإِنْسَانَ فِي قَبْرِهِ
وقال الآخر :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي الْخُمُولِ مَعَ الْغِنَى
وقال الآخر :

وَمَا كُلُّ حِينَ يَصْدَقُ الْمَرْءُ ظَنُّهُ
وقال معن بن أوس :

رَأَيْتُ رَجُلًا يَكْرَهُونَ بَنَاتِهِمْ
وفيهنَّ وَالْأَيَّامُ يَعْتَرْنَ بِالْفَتَى

وَالطَّيْرُ عَاشِيَةُ الْعَوَافِي وَقَعُ
يَبْرِي الْأَصْمَ مِنْ الْكُعُوبِ وَيَقْطَعُ
مَمَّنْ يُغَرُّ عَلَى الثَّنَاءِ فَيُخْذَعُ
أَجْرًا لِآخِرَةٍ وَدُنْيَا تَنْفَعُ

إِذَا النِّيرَانُ أَلْبَسَتِ الْقِنَاعَا
وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ

بَشْيَعٍ يَوُولُ إِلَى الْمُسْتَرَاكِ

حَلَالٌ، وَخِلٌ فِي الْحَقِيقَةِ نَاصِحٌ

عَلَيْهِ كَأَنَّهُ عِنْدِي قَبِيحٌ

وَمَا زَالَتِ الْأَشْرَافُ تَهْجَى وَتُمْدَحُ

غَيْرُ الثَّقَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ

وَعَافِيَةٍ تَغْدُو بِهَا وَتَرُوحُ

وَلَا كُلُّ أَصْحَابِ التَّجَارَةِ يَرْبَحُ

وَفِيهِنَّ لَا تَكْذِبُ نِسَاءٌ صَوَالِحُ

عَوَائِدُ لَا يَمْلَأْنَهُ وَنَوَائِحُ

وقال الآخر :

وَلَا تَفْشِ سِرِّي إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا !
فَإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَالِ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَاحِبًا
قِيلَ : وكان أمير المؤمنين عليّ - كرم الله وجهه - يتمثل بهذا ين البيتَيْن كثيرًا، وقيل
إنَّهما له . والادِيمُ : الجِلْدُ، استُعيِرَ هنا للعِرض، وجعل كلام الوشاة سهامًا يُرمى بها
الأعراض حتَّى تهتكها. ومثله قول ابن الخياط :

فَلَا تَعْدِلْ إِلَى الْوَاشِينَ سَمْعًا فَإِنَّ كَلَامَ أَكْثَرِهِمْ كَلَامُ
وإنَّ الْوُدَّ عِنْدَهُمْ نِفَاقٌ إِذَا طَاوَعْتَهُمُ وَالْحَمْدُ ذَامُ
وَأَقْوَالُ إِذَا سَمِعْتَ سِهَامُ تَقْصُرُ عَنْ مَوَاقِعِهَا السَّهَامُ
فَمَا نَصَحُوا لِمُجْدِكَ بَلْ مُرَادًا لَمَّا قَدْ سَاعَنِي قَعَدُوا وَقَامُوا
فَلَيْتَكَ تَسْمَعُ الْقَوْلِينَ حَتَّى تَبَيَّنَ فِي مَنْ الْحَقُّ الْخِصَامُ !
وقالت فاطمة بنت الأحجم الخزاعيَّة ترثي أخاها - وقيل ليلى بنت يزيد بن الصعف ترثي
ابنها قيس بن زياد - :

قَدْ كُنْتُ لِي جَبَلًا الْوُدُّ بظْلُهُ فَتَرَكْتَنِي أَضْحَى بِأَجْرَدٍ ضَاخٍ
قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حَمِيَّةٍ مَا عِشْتَ لِي أَمْشِي الْبَرَّازَ وَكُنْتُ أَنْتَ جَنَاحِي
فَالْيَوْمَ أَخْضَعُ لِلذَّلِيلِ وَأَتَّقِي مِنْهُ وَأَدْفَعُ ظَالِمِي بِالرَّاحِ
وَأَغْضُ مِنْ بَصْرِي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ خَيْرُ فَوَارِسٍ وَرِمَاحٍ⁽²¹⁾
وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجْنَا لَهَا يَوْمًا عَلَى فَنَنْ دَعَوْتُ صَبَاحِي
وَتَمَثَّلَتْ بِهَا فَاطِمَةُ أُمِّ السَّبْطِينَ - رضي الله عنها - يوم وفاة أبيها صلَّى الله عليه
وسلَّم. ومعنى : دَعَوْتُ صَبَاحِي أَي قُلْتُ : واسوءَ صَبَاحَاهُ ! لعدم ناصري فيه .
وفي معنى الأوَّل قول أبي الوفاء يَرثِي غَازِي :

أَيَا تَارِكِي أَلْقَى الْعَدُوَّ مُسَلِّمًا مَتَى سَاعَنِي بِالْجِدِّ قُمْتُ أَلَا عِيبُهُ
وقال سعد بن قيس :

كَشَفْتُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَأَ مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ
فَالْهَمُ بَيَضَاتُ الْخُدُورِ هُنَاكَ لَا النَّعَمُ الْمُرَاحُ

والضمير في كَشَفَتْ للحرب في قوله :

يا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَأَوْا

وكشف السَّاق كناية عن اشتدادها، أخذ من كَشَفَ الرَّجُلَ عن سَاقِهِ وتَشْمِيرُهُ إذا جَدَّ في الأمر، كما قيل :

وَكُنْتُ إِذَا جَارِيَ دَعَا لِمَضُوفَةٍ أَشْمَرَ حَتَّى يَنْصِفَ السَّاقَ مِثْرِي
وَالصُّرَّاحُ : الْخَالِصُ، أَصْلُهُ اللَّبَنُ الَّذِي ذَهَبَتْ رَغْوَتُهُ، كَمَا مَرَّ ؛ فَالْهَمْ بِبَيْضَاتِ
الْخُدُورِ، إلخ... فِيهِ وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ يَقُولُ : إِنَّا حِينِنُذُ لَا نَبَالِي بِأَمْوَالِنَا أَنْ تَذْهَبَ،
وَإِنَّمَا هَمَّنَا الدَّفْعُ عَنْ حَرِيمِنَا ؛ وَالْآخَرُ أَنْ يَرِيدَ : إِنَّا ظَهَرْنَا عَلَى الْعَدُوِّ وَلَمْ نَلْتَفِتْ إِلَى
أَمْوَالِهِمْ وَأَخَذَهَا، وَإِنَّمَا هَمَّنَا مِنْهُمْ الْقَتْلُ وَالسَّبَاءُ وَهُوَ أَفْخَرُ .

وقال أحدُ بَنِي يَشْكُرَ :

أَلَا أَبْلِغُ بَنِي ذُهِلَ رَسُولًا وَخُصَّ إِلَى سَرَاةِ بَنِي الْبِطَاحِ
بِأَنَّا قَدْ قَتَلْنَا بِالْمُعَلَّى عُنَيْبَةَ مِنْكُمْ وَأَبَا الْجَلَامِ
فَإِنْ تَرْضَوْا فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا وَإِنْ تَأْبَوْا فَاطْرَافُ الرَّمَاكِ
مُقَوِّمَةٌ وَبَيْضٌ مُرْهَفَاتٌ تَبِينُ جَمَاعِمًا وَبَنَانَ رَاكِ
وقال الْحَيْصُ بَيْصُ :

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالَ بِالْدَمِّ أَبْطَحُ
وَحَلَلْتُمْ قَتَلَ الْأَسَارَى وَطَالَمَا غَدَوْنَا عَلَى الْأَسْرَى فَتَعَفَّوْا وَنَصَفْهُ
وَيُحْكِي عَنْ بَعْضِهِمْ قَالَ : رَأَيْتُ الْإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي الْمَنَامِ،
فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَفْتَحُونَ مَكَّةَ وَتَقُولُونَ : مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، ثُمَّ
يُؤْتَمُ عَلَى وَلَدِكَ الْحُسَيْنِ مَاثِمٌ ؟ فَقَالَ لِي : أَسَمِعْتَ أَبْيَاتَ ابْنِ الصِّفِيِّ فِي هَذَا، وَهُوَ
الْحَيْصُ بَيْصُ ؟ فَقُلْتُ : لَا . قَالَ : اسْمِعْهَا مِنْهُ ! قَالَ : فَانْتَبَهْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ بَادَرْتُ
إِلَى دَارِ الْحَيْصِ بَيْصُ فَأَخْبَرْتَهُ بِالْقِصَّةِ فَبَكَى وَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا خَرَجْتُ مِنْ فِيهِ إِلَى أَحَدٍ،
وَمَا نَظُمَهَا إِلَّا فِي لَيْلَتِهِ، فَأَنْشَدَنِي : مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا (الْبَيْتَيْنِ).

وقال الحماسي أحد بني الحارث بن كعب :

لَنَا حَمْدُ أَرْبَابِ الْمِئِينَ وَلَا يَرَى إِلَى بَيْتِنَا مَالٌ مَعَ اللَّيْلِ رَائِحُ

وقال مالك بن أسماء، من شعراء الحماسة أيضا :

وَحَسْبُكَ تَهْمَةٌ بِيْرِيءٍ قَوْمٍ يَضُمُّ عَلَى أَخِي سَقَمَ جَنَاحًا
وقبله :

هَجَوْتُ الْأَدْعِيَاءَ فَنَا صَبَتْنِي مَعَاشِرُ خِلَتُهَا عَرَبًا صِحَاحًا
فَقُلْتُ لَهُمْ وَقَدْ نَبَحُوا طَوِيلًا إِلَيَّ وَمَا أَجَبْتُ لَهُمْ نُبَاحًا :
أَمِنْهُمْ أَنْتُمْ فَأَكُفَّ عَنْكُمْ وَأَدْفَعُ عَنْكُمْ الشَّتْمَ الصُّرَاحَا ؟
وَحَسْبُكَ (البيت)

وَالْمُنَاصِبَةُ : الْمُعَادَاةُ . يقول : إن عادَ يَتَمُونِي بِسَبِيهِمْ وَذَبِيتُمْ عَنْهُمْ ، فَأَنْتُمْ مِنْهُمْ
وَلَا أَهْجُوكُمْ لِلْؤُمُكِمَ ، وَكَفَى بِكُمْ رِيْبَةً أَنْ تَضُمُّوا الْجَنَاحَ عَلَى الْمَرِيْبِينَ .
وقال الآخر :

وَأَنِّي لِأَغْلِي لَحْمَهَا وَهِيَ حِيَّةٌ وَيَرْخُصُ عِنْدِي لَحْمُهَا حِينَ تَذْبَحُ
بِذَا فَأَنْدُبِيْنِي وَأَمْدَحِيْنِي فَإِنَّنِي فَتَى تَعْتَرِيْنِي هِرَّةٌ حِينَ أَمْدَحُ
وتقدّم هذا الشعر وما كان بمعناه .
وقال الآخر :

وَنَصْرُ الْفَتَى فِي الْحَرْبِ أَعْدَاءُ قَوْمِهِ عَلَى قَوْمِهِ لِلْمَرَّةِ ذِي الطَّعْمِ فَاضِحٍ
وقبله :

دَعَانِي أَبُو نَصْرٍ وَأَهْدَى نَصِيحَةً إِلَيَّ وَمِمَّا أَنْ تَعَزَّى النَّصَائِحُ
لَأَجْزَرَ لَحْمِي كَلْبَ نَبْهَانَ كَالَّذِي دَعَا الْقَاسِطِي حَتْفَهُ وَهُوَ نَازِحُ
أَوْ الْبُرْجُمِيِّ حِينَ أَهْدَاهُ حَيْثُهِ لِنَارٍ عَلَيْهَا مَوْقِدَانِ وَ ذَايِحُ
وَرَأَى أَبِي سَعْدٍ وَإِنْ كَانَ حَازِمًا بِصِيرًا وَإِنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَسَارِحُ
أَعَانَ بِهِ مَلْعُونُ نَبْهَانَ سَيْفَهُ عَلَى قَوْمِهِ وَالْقَوْلُ عَاقٌ وَجَارِحُ
وَنَصْرُ الْفَتَى فِي الْحَرْبِ (البيت)

وقوله : لَا جَزْرَ لَحْمِي أَي : أَصِيرُ نَفْسِي جَزْرَةً ، وَالْجَزْرَةُ الْبِدْنَةُ تَنْحَرُ . قَالَ عَنَتَرَةُ :

إِنْ يَعْقِرَا مُهْرِي فَإِنَّ أَبَاهُمَا جَزْرٌ لَخَامِعَةٍ وَنَسْرٌ قَشْعَمٌ⁽²²⁾

(22) أورد في لسان العرب هذا البيت (في مادة جزر) للفاظ تكاد تكون كلها مغايرة :
إِنْ يَفْعَلَا ، فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا جَزْرَ السَّبَاعِ وَكَلَّ نَسْرٌ قَشْعَمٌ

والقَاسِطِيّ الذي ذكره هو أحدُ القارِظينِ العالِكين، وسيأتِي فيهما المثل ؛ والبرجمي هو
وافد البراجم المتقدم ؛ وقوله : للمرء ذي الطَّعم، أي ذي العَقْل والمعرفة . وقال
الحماسي أشجع السلمي :

مَضَى ابن سَعِيدٍ حين لم يبقَ مشرقٌ ولا مغربٌ إلاَّ له فيه مادمُ
وما كُنْتُ أدري ما فواضِلُ كَفِّهِ على النَّاسِ حتَّى غيَّبته الصَّفائِمُ
فأصْبَحَ في لَحْدٍ من الأرضِ ميِّتًا وكان به حيًّا تضيقُ الصَّخاصِمُ
فما أنا من رُزءٍ، وإنْ جلَّ، جازعٌ ولا بسُرورٍ بعد موتِكَ فارحُ
كانَ لم يُمتَ حيٌّ سواكَ ولم تُقم على أحدٍ إلاَّ عليكِ النَّوائِمُ !
وقال ابن المعتز :

كَمَا يُخْلِقُ الثَّوْبَ الجَدِيدَ ابتذالَه كَذَا يُخْلِقُ المَرءَ العَيُونُ الطَّوامِحُ
ومن هذا قولهم : طُولُ المُجَالَسَةِ يُخْلِقُ . وقد قال أزدشير لابنه : لا تمكِّن
النَّاسَ من نفسِكَ : فإنَّ أجراً النَّاسِ على الأسود أكثرُهم لها معاينة !
وقال أبو بكر بن النطاح في المدم :

يَتَلَقَّى النَّدَى بوجهِ حَيٍّ وصُدورَ القَنَى بوجهِ وقاحِ
هكذا هكذا تكونُ المعالي : طَرَقَ الجَدُّ غيرُ طَرَقِ المَزاحِ !
والبيت الثاني ذهب مثلاً سائراً . وقال مجد الدين الاربلي :

طَرَفِي وَقَلْبِي : ذا يَسِيلُ دِمًا، وَذا بَيْنَ الوَرَى أَنْتَ العَلِيمُ بِقَرَحِهِ
وَهُما بِحُبِّكَ شَاهِدَانِ وَإِنَّمَا تَعْدِيكَ كُلُّ مُنْهَمًا فِي جُرْحِهِ
ونحو هذا من التوجيه قول الآخر :

زُرْتُ الامامَ الشَّافِعِيَّ وَلَمْ أَكُنْ يَوْمًا زِيَارَةَ قَبْرِهِ بِالتَّارِكِ
فَوَجَدْتُ مَوْلَايَ الحَبِيبَ يَزُورُهُ فَظَفِرْتُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّ بِمَالِكِ
وقول الآخر :

وعَاطِيَتُهُ عِلْمَ البَدِيعِ وَخَدُّهُ يُعَلِّمُنِي تَلْوِينَهُ عِلْمَ جَابِرِ
وصَفَحَتِهِ مِنْ شَوْقِي مُدَوَّنَةُ الرُّضَى لثَغْرِ فَأَفْتَانِي بِنَصِّ الجَوَاهِرِ
وقول الآخر :

لا غَرَوَ أَنْ يَصَلَّى الفُؤَادُ بِبُعْدِكُمْ نَارًا تُؤَجِّجُهَا يَدُ التَّذْكَارِ :

قلبي إذا غبتُم يُصورُ شخصُكم
وقال الآخر في هذا المعنى :

ألا إنَّ حالي في هواك خفيَّةٌ
عجبتُ لِدَمْعٍ لا يزالُ مُرويًا
وأعجبُ مِن ذا أنَّ خديَّ شاهدٌ
وقال أيضا :

ومُحكَّمُ اللَّحطَاتِ في مُهَجِّ الوري
جرَحَ الفؤادَ فطارَ مِن ولعٍ به
ومثله أيضا قوله :

أحادثُه بالفكرِ فهو مُنادمي
تملَّكَ قلبي فهو رهنٌ اعتقاله
وتقدَّم لنا هذا المعنى في حرف الناء، مستوفى، وسنعيد منه كثيرا .

وقال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله :

انْظُرْ إلى الزَّرعِ وخاماتِهِ
كتيبةٌ خضراءُ مهزومةٌ
ومثله قول الآخر :

فَتَحْمُ الشَّقَائِفِ جرحاها، ومغنمها
لأجلِ هذا إذا هبت طلائعُه
ونحو هذا من حسن التعليق في هذا المعنى قولي :

إنَّ بَيْنَ الغمامِ والزَّهرِ الغَضُّ
بانَ إلفٌ عَن إلفِهِ فتواری
فإذا ما الغمامُ زارتُ جناباً
ذكرتُ عهدهُ القديمَ فحنَّتْ
فترى الزَّهرُ بارزاً من خباياهُ
بأدي البِشْرِ والبشاشةِ جدلاً
ثملاً من شمسٍ شمسِ الضُّحَى

فيه وكلُّ مُصورٍ في النَّارِ !
ولكن لعيني بالصَّبابَةِ تبريحُ
فيقبِلُ في آثارِهِ وهو مطروحُ
يُصدِّقُ في أقوالِهِ وهو مجروحُ

تحكيمُ نارِ هواهُ بَيْنَ جوانحي
كيفَ الخلاصُ لطائرٍ من جارحٍ ؟

على الدَّهرِ لا أبغي عليه بديلاً
فَمَن شاء يُبصرُ مالِكاً وعقيلاً

تَحْكِي وَقَد مَاسَتْ أَمَامَ الرِّيحِ
شَقَائِقُ النُّعْمَانِ فِيهَا جِرَاحُ

وشئُ الرَّبيعِ، وقتلاها من الثَّمَرِ
تدرِّعُ النَّهْرُ واهتزَّت قنا الشَّجَرِ

لِرَحْمًا قديمةً وإخاءً
في الثَّرى ذا وذاك حلَّ السَّماءِ
أذنت فيه بالحبيبِ اللِّقاءِ
عِندَ لُقياهُ فاستهلَّت بكاءِ
يُحيي الوفودَ والأصدِقاءِ
نَ لبوساً مِن كُلِّ لونٍ رداءِ
وهو على بُسطِ سُنْدُسٍ خضراءِ

راقصًا والصَّبَا تَهَنِّيهِ وَالْوُ رَقُ غَوَانِي الْقِيَانِ تَشْدُو غِنَاءُ
وما رأيت أحدا ولا أظنه سبقني إلى هذا المعنى، لا تصريحًا ولا تلويحًا.

وقال الحسن بن هانئ :

مازلتُ أَشْرَبُ رُوحَ الرِّقِّ فِي لَطْفِ وَأُسْتَمِيعُ دَمًا مِنْ غَيْرِ مَجْرُوحِ
حَتَّى اغْتَدَيْتُ وَلِي رُوحًا فِي جَسَدِي وَالرِّقُّ مُطَرِّحُ جَسْمٍ يَلَا رُوحِ
وقال أيضًا من هذا المعنى :

أَذْكَى السَّرَاجِ وَسَاقِي الْقَوْمِ يَمْزِجُهَا فَلَاحَ فِي الْبَيْتِ كَالْمِصْبَاحِ مِصْبَاحُ
كِدْنَا عَلَى عَلِمْنَا لِلشَّكِّ نَسْأَلُهُ : أَرَأَيْتَ نَارُنَا أَمْ نَارُنَا الرِّاحُ ؟
وسألتني هذا المعنى مستوفى بعد . وقال ابن الخياط في صفة سحاب :

أَخْفَى مَسَالِكَهَا الظَّلَامُ فَأَوْقَدْتُ مِنْ يَرْقِهَا كَيْ تَهْتَدِي مِصْبَاحًا
وَكُنَّ صَوْتُ الرِّعْدِ خَلْفَ سَحَابِهَا إِذَا وَنَّتِ الرِّكَائِبُ صَاحًا
وتقدّم هذا المعنى في حرف الهمزة . وقال عبد الله بن المعتز :

كَأَنَّ سَمَاءَنَا لَمَّا تَجَلَّتْ خِلَالَ نُجُومِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ
رِيَاضُ بِنَفْسِ خَصْلٍ ثَرَاهُ تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوْرُ الْأَقَامِ
وقال ابن الرِّقَّاف :

فَبَتُّ وَقَدْ زَارَتْ بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ تُعَانِقُنِي حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحُ
عَلَى عَاتِقِي مِنْ سَاعِدِيهَا حَمَائِلُ وَفِي خَصْرِهَا مِنْ سَاعِدِيَّ وَشَامُ
وقال إدريس بن اليماني :

ثَقُلْتُ زُجَاجَاتٍ أَتَتْنَا فُرْعَانَا حَتَّى إِذَا مَلَأَتْ بِصِرْفِ الرِّاحِ
خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَا حَوَتْ وَكَذَا الْجُسُومُ تَخِفُ بِالْأَرْوَاحِ
وقال الآخر في وصف الروض :

ورِیَاضٍ مِنْ الشَّقَائِقِ أَضْحَتْ تَتَهَادَى بِهَا نَسِيمُ الرِّیَاحِ
زُرْتُهَا وَالْعَمَامُ يَجِلِدُ مِنْهَا زَهْرَاتٍ تَفُوقُ لَوْنَ الرِّاحِ
قُلْتُ : مَا ذَنْبُهَا ؟ فَقَالَ مُجِيبًا : سَرَقَتْ حُمْرَةَ الْخُدُودِ الْمَلَاحِ !
وقال الآخر في زورق :

لَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ زورَقَ فِتْيَةٍ يُبْذِي لَهُمْ لَمَحَ السُّرُورِ مِرَاحَهُ

وَقَدْ اسْتَدَارُوا تَحْتَ ظِلِّ شِرَاعِهِ
لَحَسْبَتْهُ خَوْفَ الْعَوَاصِفِ طَائِرًا
وقال ابن الرومي :

قالت : علا النَّاسَ إِلَّا أَنْتَ قُلْتُ لَهَا :
وقال أبو إسحاق بن الحاج :

يا مالكي بِصَبِيحٍ وَجْهِ حُسْنُهُ
ما شكَّ قَلْبِي فَيْكَ أَنْتَكَ مَالِكُ
وقال سيف الدولة :

لا أُوَاخِذُكَ بِالْجَفَاءِ فَإِنِّي
فَجْمِيلُ الْعَدُوِّ غَيْرُ جَمِيلِ
وقال مهيار :

أَذْكُرُونَا مِثْلَ ذِكْرَانَا لَكُمْ
وَارْحَمُوا صَبًّا إِذَا غَنَّى بِكُمْ
وَعَرَفْتُ الْهَمَّ مُذْفَارَقَتَكُمْ

وقال شرف الدين الحموي ، شيخ الشيوخ :

حَدِيثِي فِي الْمَحَبَّةِ لَيْسَ يَبْرَحُ :
فَمَا لَكَ مَطْمَعٌ يَبْرَاحَ قَلْبِي
فَكَمْ مِنْ لَائِمٍ أَلْحَى إِلَى أَنْ
فِيَا لِلَّهِ مَا أَشْهَى وَأَبْهَى
لَهُ طَرْفٌ يَقُولُ : الْحَرْبُ أَحْرَى
سَأَلْتُ سِوَارَهُ الْمُثَرِّي فَنَادَى
وَمَاسَ مِنَ الْقَوَامِ بِغُصْنٍ بَانَ
وَحَيَّانِي بِالْحَظِ مِرَاضٍ
أَعَاتَبُهُ فَلَا يُصْغِي لِعَتْبِي
وقال عبد المحسن الصوري :

وَأَخِرُ مَسَّهُ نَزُولِي بِقَرْحِ

كُلُّ يَمْدٍ بِكَاسٍ رَاحٍ رَاحَهُ
مَدَّ الْحَنَانُ عَلَى بَنِيهِ جَنَاحَهُ

كَذَاكَ يَسْفُكُ فِي الْمِيزَانِ مَارْجَحًا

أَرْبَى عَلَى فَلَقِ الصَّبَاحِ الْأَوْضَحِ
لَمَّا عُرِفْتُ وَسَامَةً بِالْأَصْبَحِ

وَاثِقٌ مِنْكَ بِالْوَفَاءِ الصَّرِيحِ
وَقَبِيحٌ الصَّدِيقِ غَيْرُ قَبِيحِ !

رُبَّ ذَكَرِي قَرَّبَتْ مَنْ نَزَحًا
شَرِبَ الدَّمْعَ وَعَافَ الْقَدَحًا
فَكَأَنِّي مَا عَرَفْتُ الْفَرَحًا !

فَدَعَنِي مِنْ حَدِيثِ اللَّوْمِ وَاسْرَحُ
عَنِ الْحُبِّ الَّذِي أَعْيَا وَبَرَّحُ
تَأَمَّكَ مَنْ هَوَيْتُ فَمَا تَنَحَّنَحُ
وَيَا لِلَّهِ مَا أَحْلَى وَأَمْلَحُ !
وَلِي قَلْبٌ يَقُولُ : الصِّلَحُ أَصْلَحُ
فَقِيرُ وَشَاحِهِ : اللَّهُ يَفْتَحُ !
إِذَا أَنْشَدْتُ أَعْزَالِي تَرَنَّمُ
صَحِيحَاتٍ فَأَمْرَضَنِي وَصَحَّمُ
يَا لَا أَسْلُو فَأَتْرَكُهُ وَأَرْبَحُ

مِثْلَ مَا مَسَّنِي مِنَ الْجُوعِ قَرْحُ

بِتُّ ضَيْفًا لَهُ كَمَا حَكَمَ الدَّ
فَابْتَدَانِي يَقُولُ وَهُوَ مِنَ السَّكْرِ
لِمَ تَعْرِبْتُ ؟ قُلْتُ : قَالَ رَسُولُ
سَافِرُوا تَغْنَمُوا . فَقَالَ : وَقَدْ قَالَ
وَقَالَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ :

قَدْ عَجِبْنَا لِأَمِيرٍ ظَلَمَ النَّاسَ وَسَبَّحَ
فَهُوَ كَالْجَزَارِ فِيهِمْ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَذْبَحُ

وَقَالَ شَهَابُ الدِّينِ الْخَفَاجِي، وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّوْبَةِ اللَّطِيفَةِ :

وَصَفْتُ خَصْرَهُ الَّذِي أَخْفَاهُ رَدْفُ رَاجِحٍ
قَالُوا : وَصِفْ جَبِينَهُ فَقُلْتُ : ذَاكَ وَاضِحٌ !

وَقَالَ أَيْضًا، وَفِيهِ نَحْوُ مَا فِي الَّذِي قَبْلَهُ مِنَ التَّوْبَةِ :

لِلَّهِ أَيَّامُ الصَّبَا وَالْهَوَى
ذَاكَ زَمَانٌ مَرَّ حُلُوُّ الْجَنَى
وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيُّ :

لَزِمْتُ السَّفَارَ وَجُبْتُ الْفَقَارَ
وَحُضْتُ السُّيُوكَ وَرُضْتُ الْخِيُولَ
وَمِطْتُ الْوَقَارَ وَبِعْتُ الْعَقَارَ
وَلَوْلَا الطَّمَامُ إِلَى شَرْبِ رَاحٍ
وَلَا كَانَ سَاقُ دِهَائِي الرِّقَاقَ
فَلَا تَغْضِبُنْ وَلَا تَصْخَبُنْ
وَلَا تَعْجَبُنْ لِشَيْخِ أَبْنٍ
فَإِنَّ الْمُدَامَ تَقْوَى الْعِظَامِ
وَأَصْفَى السُّرُورِ إِذَا مَا الْوَقُورُ
وَأَحْلَى الْغَرَامِ إِذَا الْمُسْتَهَامُ
فَبِحْ بِهَوَاكَ وَبَرْدُ حَشَاكَ
وَدَاوِي الْكُلُومِ وَسُكُّ الْهُمُومِ
وَعَفْتُ النِّفَارَ لِأَجْنِي الْفَرَحِ
لَجَرِّ ذِيُولِ الصَّبَا وَالْمَرَحِ
لِحَسَوِ الْعُقَارِ وَرَشْفِ الْقَدَحِ
لَمَا كَانَ بَاحٍ فَمِي بِالْمَلَحِ
لَأَرْضِ الْعِرَاقِ بِحَمَلِي السُّبْحِ
وَلَا تَعْتَبِينَ فَعُذْرِي وَضَحِ
بِمَغْنَى أَعْنُ وَدَنْ طَفَحِ :
وَتَشْفِي السَّقَامَ وَتَنْفِي التَّرَحِ
أَمَاطَ سَتُورَ الْحَيَا وَطَرَحِ
أَزَالَ اكْتِتَامَ الْهَوَى وَافْتَضَحِ
فَزَنْدُ أَسَاكَ بِهِ قَدْ قَدَحِ
بِيْنَتِ الْكُرُومِ التِّي تَقْتَرَحِ

وَحُصَّ الْعَبُوقُ بِسَاقٍ يَسُوقُ
وَشَادَ يُشِيدُ بِصَوْتٍ تَمِيدُ
وَعَاصِرِ النَّصِيمِ الَّذِي لَا يُبِيحُ
وَجُلُ فِي الْمِحَالِ وَلَوْ بِالْمِحَالِ
وَفَارَقَ أَبَاكَ إِذَا مَا أَبَاكَ
وَصَافِرِ الْخَلِيلِ وَنَافِرِ الْبَخِيلِ
وَلِذَ بِالْمَتَابِ أَمَامَ الذَّهَابِ
وقال أيضا :

بَلَاءَ الْمَشُوقِ إِذَا مَا طَمَحُ
جِبَالُ الْحَدِيدِ لَهُ إِنْ صَدَحُ
وَصَالُ الْمَلِيحِ إِذَا مَا سَمَحُ
وَدَعُ مَا يُقَالُ وَخُذْ مَا صَلَحُ
وَمُدَّ الشُّبَاكَ وَصِيدَ مَنْ سَنَحُ
وَأَوَّلِ الْجَمِيلِ وَوَالِ الْمِنْحُ
فَمَنْ دَقَّ بَابَ كَرِيمٍ فَتَحُ

نَهَانِي الشَّيْبَ عَمَّا فِيهِ أَفْرَاحِي
وَهَلْ يَجُوزُ اصْطِبَاحُ" مِنْ مُعْتَقَّةٍ (23)
الَيْتُ لَا خَامَرْتَنِي الْخَمْرُ مَا عَلِقَتْ
وَلَا أَكْتَسَسْتُ لِي بِكَاسَاتِ السُّلَافِ يَدُ
وَلَا صَرَفْتُ إِلَى صَرْفٍ مُشْعَشَعَةٍ
وَلَا نَظَّمْتُ عَلَى مَشْمُولَةٍ أَبَدًا
مَحَا الْمَشْيَبُ مِرَاحِي حِينَ خَطَّ عَلَى
وَلَا حَى يَلْحَى عَلَى جَرِّي الْعِنَانِ إِلَى
وَلَوْ لَهَوْتُ وَفَوْدِي شَائِبٌ لَخَفَى (24)
قَوْمٌ سَجَايَاهُمْ تَوْقِيرُ ضَيْفِهِمْ
وقال أيضا :

فَكَيْفَ أَجْمَعُ بَيْنَ الرَّاحِ وَالرَّاحِ ؟
وَقَدْ أَنَارَ مَشْيَبُ الرَّأْسِ إصْبَاحِي
رُوحِي بِجِسْمِي وَالْفَظَاطِي بِإِفْصَاحِي
وَلَا أَجَلْتُ قِدَاحِي بَيْنَ أَقْدَاحِ
هَمِّي، وَلَا رُحْتُ مُرْتَاحًا إِلَى رَاحِ
شَمْلِي، وَلَا اخْتَرْتُ نَدْمَانًا سِوَى الصَّاحِ
رَأْسِي : فَأَبْغَضْتُ بِهِ مَنْ كَاتَبَ مَاحِ !
مَلْهُى : فَسُحِقَا لَهُ مِنْ لَائِمٍ لَاحِ !
بَيْنَ الْمَصَابِيحِ مِنْ غَسَّانِ مِصْبَاحِي
وَالشَّيْبِ ضَيْفٌ لَهُ التَّوْقِيرُ يَاصَاحِ !

أَعْدَدَ لِحُسَادِكَ حَدَّ السَّلَاحِ
وَصَارِمَ التَّلْهِوِ وَوَصَلَ الْمَهَى
وَاسْمَعَ لِلْإِدْرَاكِ مَحَلَّ سَمَا
وَاللَّهِ مَا السُّؤْدُدُ حَسُوَ الطَّلَا
وَاهَا لِحُرِّ صَدْرِهِ وَاسِعٌ (25)

وَأُورِدَ الْآمِلَ وَرَدَ السَّمَاحِ
وَأَعْمَلَ الْكُومَ وَسُمِرَ الرَّمَّاحِ
عِمَادُهُ لَا لِادْرَاعِ الْمِرَاحِ
وَلَا مَرَادُ الْحَمْدِ رُودُ رَدَاحِ
وَهَمُّهُ مَا سَرَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ

(23) فِي الْمَقَامَاتِ (الْمَقَامَةُ 24 الْقَطِيعَةُ) : وَهَلْ يَجُوزُ اصْطِبَاحِي.

(24) فِي الْمَقَامَاتِ : لَخْبَا، أَيْ لَخْمَدٍ وَطَفَى.

(25) فِي الْمَقَامَاتِ (الْمَقَامَةُ 46 الْحَلِيبَةُ) : وَاهَا لِحُرِّ وَاسِعِ صَدْرِهِ.

مُورِدُهُ حُلُوٌ لِسُؤَالِهِ
 مَا أَسْمَعُ لِلْأَمَلِ رَدًّا وَلَا
 وَلَا أَطَاعَ اللَّهْوُ لِمَا دَعَا
 سَوْدَهُ إِصْلَاحَهُ سِرَّهُ
 وَحَصْلَ الْمَدْحِ لَهُ عِلْمُهُ
 وَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَحْلَمٍ :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِرِ الْفُكَّ حَاضِرٌ
 أَفِقْ لَا تَنْحُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَإِنَّنِي
 وَلَوْعًا فَشَطَطَتْ غُرْبَةً دَارُ زَيْنَبٍ
 وَزَعَمُوا أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَسَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ يَوْمًا وَهُمَا
 يَتَسَايِرَانِ صَوْتَ حَمَامَةٍ، فَأَنْشَدَ أَبْيَاتَ عَوْفٍ الْمَذْكُورَةِ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى عَوْفٍ وَقَالَ لَهُ : هَلْ
 حَضَرَكَ شَيْءٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَهَذِهِ الْقَافِيَةُ ؟ فَقَالَ عَوْفُ :

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةً وَنَزُوحٌ ؟
 لَقَدْ ظَلَمَ الْبَيْنُ الْقَدُوفُ رَكَائِبِي :
 وَأَرَقَّنِي بِالرَّيِّ نَوْحٌ حَمَامَةٍ
 عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُدْرِ عِبْرَةً
 وَنَاحَتْ وَفَرَخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا
 عَسَى جُودُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَعْكِسَ النَّوَى
 فَإِنَّ الْغِنَى يُدْنِي الْفَتَى مِنْ صَدِيقِهِ
 فَرَقَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَصَرَفَهُ إِلَى أَهْلِهِ بِعِطَاءٍ جَزِيلٍ وَقَالَ : يَصْلُكَ عِطَاؤُكَ كُلَّ سَنَةٍ لِمَوْضِعِكَ .
 وَلِلشُعْرَاءِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، الْكَثَارُ مِنْ ذِكْرِ الْحَمَامِ، وَالْفَوَاحِشُ، وَالْوَرِشَانُ فِي أَشْعَارِهِمْ
 وَاسْتَحْسَانِ أَصْوَاتِهَا . فَمَنْ مَسْتَحْسَنٌ مَا لِلأَوَّلِينَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

سَيُغْنِيكَ عَنْ مِزْمَارِ آلِ مُخَارِقٍ
 بِأَيْكَةِ نِظَارِ تَجَاوِبِنَ بِالضُّحَى
 وَبِرَبْطِهِمْ تَغْرِيدُ تِلْكَ الْحَمَائِمِ
 عَلَى شَاهِقَاتِ أَفَلَاتِ نَوَاعِمِ

(26) فِيهَا أَيْضًا : مَا مَهْرُ الْعُورِ مُهْوَرُ الصَّحَاحِ .

وقول الآخر :

أحنُّ إلى حوائطِ ذاتِ عِرْقٍ
ألمَّ بها بكلِّ فتى كريمٍ
[إذا غنَّت على الأغصانِ ورقٌ]
وقول أبي صخر :

ولمَّا دعتْ غوريَّةُ الأيَّك سَجَّعتْ
يُذكرني شجوي دُعاءُ حمامةٍ
بكتْ حزناً رُزءَ الهديكِ وشفتني
وقول الآخر :

أيُّها البلبُ المغرَّد في النخِ
أفراقاً تشكوهُ أم ظِلَّت تدعو
هاج لي شجوكِ المغرَّدُ شجواً
وقول حميد بن ثور :

وما هاجَ هذا الصَّوتُ إلَّا حمامةٌ
مُحلاةٌ طوقَ لم يكنْ بتميمةٍ
تغنَّتْ على غُصنِ عشاءٍ فلمْ تدعْ
إذا حرَّكته الرِّيحُ أو مالَ ميلاً
عجبتُ لها أنَّى يكونُ غناؤها
فلم أر مثلي شاقه صَوتُ مثِلاها
وقول الآخر :

ومن بُستانِ إبراهيمَ حنَّتْ
وقول عدي بن الرِّقاع :

وممَّا - شجاني أنَّني كُنتُ نائماً
إلى أن دعتْ ورقاءُ في غُصنِ أَيْكةٍ

لتغريدِ الفواخيتِ والحمامِ
من الفتيانِ مخلوعِ الزَّمامِ
أجبتها بإعمال المدامِ⁽²⁷⁾

فسجَّع دموعي يستهلُّ ويستشري
وبيعثُ لوعاتِ الصَّبابَةِ في صدري
فراقُ حبيبٍ ضاقَ عن فقدِهِ صَبْرِي

لِ غريباً من أهله حيراناً
فوقَ أفنانِ نخلكِ الورشانا ؟
رُبَّ صوتٍ يهيجُ الأحراناً

دعتْ ساقَ حرٍّ ترحّةً وترنُّما
ولا ضربَ صواغٍ بكفيه درهمًا
لنائحةٍ في نوحِها متلوِّماً
تغنَّتْ عليه مائلاً ومقوِّماً
فصيحا ولمْ تفغرْ بمنطقها فما
ولا عربياً شاقه صَوتُ أعجمًا !

حمائمُ بينها فننَّ رطيبُ

أعلِّك من بردِ الكرى بالتَّنسُّمِ
تردَّد مبكاهها بحسنِ التَّرنُّمِ

(27) هذا البيت ساقط من ب.

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيتُ صَبَابَةً بِسُعْدَيَّ شَفِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
ولكن بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا فَقُلْتُ : الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ !
وقال المجنون :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي بِقَوْلِ يُحِلُّ الْعَصَمَ سَهْلُ الْإِبَاطِحِ
تَجَافَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِيَّ حِيلَةٌ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
وزعموا أَنَّ رجلاً دخل بني عامر يسأل عن المجنون، فقليل له إِنَّهُ فِي هَذِهِ الصَّحْرَاءِ قَدْ
اسْتَوْحَشَ، وَإِنَّهُ إِذَا رَأَى نَفَرًا مِنْكَ ؛ وَلَكِنْ إِذَا رَأَيْتَهُ فَاجْلِسْ كَأَنَّكَ لَا تَقْصِدُهُ، فَإِنَّهُ يَجْلِسُ
إِلَيْكَ . فَإِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنْ شَعْرٍ بَنِ ذَرِيحٍ، فَادْكُرْهُ فَإِنَّهُ يَصْغِي
إِلَيْكَ . قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ . فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيَّ قُلْتُ : مَا أَشْعَرُ قَيْسَ بْنِ ذَرِيحٍ حَيْثُ يَقُولُ :
وَإِنِّي لَمُفْنٍ دَمْعٌ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ حِذَارًا لِمَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ
وَقَالُوا : غَدًا أَوْ بَعْدَ ذَاكَ بَلِيلَةٌ فِرَاقُ حَبِيبٍ بَانَ أَوْ هُوَ بَائِنٌ
وما كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيتِي بِكَفَيَّ إِلَّا أَنَّ مَا حَانَ حَائِنٌ
قال : فَبَكَى طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنْهُ حَيْثُ أَقُولُ :

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبَّهَا عَامِرِيَّةً لَهَا كُنْيَةٌ عَمْرٌ وَوَلَيْسَ لَهَا عَمْرٌ
تَكَادُ يَدِي تَتَدَّى إِذَا مَا لَمَسْتُهَا وَيَنْبُتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ الْخَضِرُ
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
ثُمَّ أَوَّغَلَ فِي الصَّحْرَاءِ وَتَرَكْنِي، فَانْصَرَفْتُ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ فَقُلْتُ : مَا أَشْعَرُ قَيْسًا
حَيْثُ يَقُولُ :

يَبِيتُ وَيُضْحِي كُلَّ يَوْمٍ وَلِيلَةٍ عَلَى مِنْهَجٍ تَبْكِي عَلَيْهِ الْقَبَائِلُ
قَتِيلٌ لِلْبُنَى صَدَمَ الْحُبُّ قَلْبَهُ وَفِي الْحُبِّ شُغْلٌ لِلْمُحِبِّينِ شَاغِلٌ
فَبَكَى أَيْضًا طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنْهُ حَيْثُ أَقُولُ :

سَلَبْتُ عَظَامِي لِحَمِّهَا فَتَرَكْتُهَا مُعَرِّقَةً تَضْحِي لَدَيْكَ وَتَخْصِرُ
وَأَخْلَيْتَهَا مِنْ مَخِّهَا فَكَأَنَّهَا قَوَارِيرُ فِي أَجْوَافِهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ
إِذَا سَمِعَتْ ذَكَرَ الْفِرَاقِ تَقَطَّعَتْ عَلَائِقُهَا مِمَّا تَخَافُ وَتَحْذَرُ
ثُمَّ قَامَ هَارِبًا وَتَرَكْنِي . فَانْصَرَفْتُ ثُمَّ عَدْتُ مِنَ الْغَدِ فَقُلْتُ : مَا أَشْعَرُ قَيْسًا حَيْثُ يَقُولُ :
هَبُونِي أَمْرًا إِنْ تَحْسَنُوا فَهُوَ شَاكِرٌ لِذَاكَ وَإِنْ لَمْ تَحْسَنُوا فَهُوَ صَافِحٌ

فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ قَدْ أَسَاؤُوا بِهِجْرَنَا فَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ صَالِحٌ
فَبِكَيْ أَيْضًا طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنْهُ حَيْثُ أَقُولُ : وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا
سَبَيْتَنِي (الْبَيْتَيْنِ) . ثُمَّ فَرَّ عَنِّي وَانصَرَفْتُ . وَعَدْتُ مِنَ الْغَدِ فَلَمْ أَجِدْهُ ، فَأَخْبِرْتُ قَوْمَهُ
فَانْطَلَقُوا يَطْلُبُونَهُ فَوَجَدُوهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ مَيِّتًا فِي شِعْرَاءَ ، بَيْنَ حَجْرَيْنِ .

قُلْتُ : وَفِي الْبَيْتَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ قَالَ جَرِيرٌ ، لَمَّا أَنْشَدَهُ إِيَّاهُمَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَهُمَا مُتَوَجِّهَانِ
إِلَى الشَّامِ : لَوْ كَانَ النَّخِيرُ يَصْلُحُ لَنَخَرْتُ حَتَّى يَسْمَعَنِي هِشَامٌ عَلَى سَرِيرِهِ مِنْ هَاهُنَا !
وَقَالَ ابْنُ الدَّمِينَةِ :

أَلَا يَا حِمَى وَادِي الْمِيَاهِ قَتَلْتَنِي أَبَا حَكَّ لِي قَبْلَ الْمَمَاتِ مُبِيحِي
وَلِي كِبْدٌ مَقْرُوحَةٌ مِنْ يَبِيعُنِي بِهَا كِبْدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ
أَبَى النَّاسَ رَيْبَ النَّاسِ لَا يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْرِي دَوَى بِصَحِيحٍ ؟
وَالدَّوَى : الْمَرِيضُ الشَّدِيدُ الْمَرَضِ ، وَالْمَرَضُ الشَّدِيدُ أَيْضًا ، وَالْأَحْمَقُ .
وَيُنْشَدُ هَذَا الشَّعْرُ أَيْضًا ، عَلَى إِسْقَاطِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَزِيَادَةِ آخِرِ وَهُوَ :

أَتْنُ مِنَ الشَّوْقِ الَّذِي فِي جَوَانِحِي أَنِينٌ غَصِيصٌ بِالشَّرَابِ جَرِيحٌ
وَيُحْكِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ ، الْمَغْنِيِّ الْمَشْهُورِ ، أَنَّهُ قَالَ : سَأَلْتُ الرَّشِيدَ أَنْ يَهَبَ لِي يَوْمًا
أَخْلُو فِيهِ بِنَفْسِي - وَكَانَ أَمْرُهُ أَنْ لَا يَتَغَيَّبَ عَنْهُ يَوْمًا أَصْلًا - قَالَ : فَقَالَ لِي إِنِّي أَسْتَقْبَلُ
يَوْمَ السَّبْتِ ، فَالَّهِ فِيهِ بَمَا شِئْتُ ! قَالَ : فَأَعَدَدْتُ يَوْمًا شَرَابًا وَأَطْعَمَةً مَنْتَخَبَةً ، وَأَصْبَحْتُ
عَازِمًا عَلَى أَنْ لَا أَدْنَ لِأَحَدٍ . فَأَمَرْتُ الْبُؤَابَّ بِإِغْلَاقِ الْأَبْوَابِ وَجَلَسْتُ وَحَوْلِي جَوَارِيٌّ وَالْخَدَمُ
يَتَرَدَّدُونَ بَيْنَ يَدَيَّ ، فَإِذَا أَنَا بِشَيْخٍ ذِي هَيْئَةٍ وَجَمَالٍ حَسَنِ الثِّيَابِ بِيَدِهِ عَكَازَةٌ مَقْمَعُهُ
بِفَضَّةٍ ، وَقَدْ سَطَعَ مِنْهُ رِيحُ الْمَسْكِ حَتَّى مَلَأَ الْبَيْتَ . قَالَ : فَاْمْتَلَأْتُ غِيظًا عَلَى الْبُؤَابَّ
وَعَزَمْتُ عَلَى عَقُوبَتِهِ . فَسَلَّمَ عَلَيَّ الشَّيْخُ بِأَحْسَنِ السَّلَامِ ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ وَأَمَرْتُهُ بِالْجُلُوسِ .
فَجَلَسَ فَأَخَذَ فِي أَحَادِيثِ الْعَرَبِ وَذَكَرَ أَيَّامَهَا وَأَشْعَارَهَا حَتَّى أَذْهَبَ مَا بَقَلْبِي . وَقُلْتُ : لَعَلَّ
الْبُؤَابَّ عَرَفَ أَدْبَهُ فَأَرَادَ مَسَرَّتِي بِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي الطَّعَامِ ؟ فَأَبَى . فَقُلْتُ : هَلْ لَكَ
فِي الشَّرَابِ ؟ فَقَالَ : مَا أَكْرَهُهُ . فَشَرِبْتُ وَسَقَيْتُهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا اسْحَاقَ ، وَهَلْ لَكَ أَنْ تَغْنِيَ لَنَا
مِنْ صَنْعَتِكَ ؟ فَقَدْ نَبَغْتَ فِيهَا عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، وَأَحْسَنَ فِيهَا مَا اسْتَطَعْتَ حَتَّى
نَكَافُفَكَ بِمِثْلِهَا ! فَأَخَذْتُ الْعُودَ وَغَنَيْتُهُ أَصَوَاتًا حَسَنًا ، فِي كُلِّهَا يَقُولُ : أَحْسَنْتَ يَا
سَيِّدِي ! وَيَطْرِبُ وَيَسْتَرِيدُنِي . ثُمَّ وَضَعْتُ الْعُودَ فَقَالَ : أَتَأْذَنُ لِعَبْدِكَ فِي الْغِنَاءِ ؟

فاستصعبت، لكنني أذنت له . فلما أخذ العود وجسّه خلته، واللّه، ينطق بلسان عربيّ .
ثمّ اندفع يغني :

ولي كَبِدٌ مَّقْرُوحَةٌ من يَبِيعُنِي

إلى آخر الأبيات الثلاثة المتقدّمة . فواللّه لقد ظننت أنّ الحيطان والأبواب وكل ما في
البيت يغنيّ معه، حتّى خلت عظامي وثيابي تجاوبه، وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام
لِمَا خالط قلبي . ثمّ غنّى :

ألا يا حمامات اللّوى عُدْنَ عودَهُ فإِنِّي إلى أصْوَاطِكُنَّ حَزِينُ
فعُدْنَ فلما عُدْنَ كِدْنَ يُمْتَنِّني وكِدْتُ بأسْرافي لهُنَّ أْبِينُ
دَعَوْنَ بترديد الهدير كأنّما شَرِبْنَ الحُمِيَّ أو بهنَّ جُنُونُ
فلم ترَ عَيْنِي مثْلَهُنَّ حَمَائِمًا بَكِينٍ ولم تَدْمَعْ لهُنَّ عُيُونُ
فكاد، واللّه، عقلي يذهب طربا وارتياحا لِمَا سمعت . ثمّ غنّى :

ألا يا صبا نجدٍ متى هِجَتْ من نجد ؟ فقد زادني مَسْرَاك وجدًا على وجد
لقد زعموا أنّ المُحِبَّ إذا دَنَا يَمَلُّ وأنّ النَّأْيَ يَشْفِي من الوجد
بكلِّ تداوينا فلم يَشْفَ ما بنا على أنّ قُرب الدّار خيرٌ من البُعد
على أنّ قُرب الدّار ليس بِنافعٍ إذا كان من تهوّه ليس بذِي ودٍّ

ثمّ قال : يا إبراهيم، هذا الشعر الماخوري، فأنحُ نحوه في غنائك، وعلمّه جواريك !
فقلت : أعِدْهُ عليّ ! فقال : لست تحتاج إلى إعادته . فغاب عن بصري، فارتعت وقمت
إلى السَّيْف فجرّدتَه وعدوت نحو الباب، فوجدته مغلقا . فسألت البوّاب عن الشيخ فقال :
واللّه ما دخل عليّ اليوم أحد ! فرجعت متحيّرا، فإذا هو هتف بي من بعض جوانب
البيت: لا بأس عليك، أبا إسحاق ! فقال هو إبليس اخترت منادمتك اليوم، فلا ترع ! قال
إبراهيم : فركبت من فوري إلى الرشيد وقلت : لا أظرفه بطريقة أحسن من هذه ! فلما دخلت
حدّثته الحديث، فقال : ويحك، غنّ لي ما غنّاك ! فأخذت العود وغنّيتها إيّاها، كأنّها
من محفوظاتي . فطرب الرشيد وجلس للشرب، ولم يكن عزم عليه، وأمر لي بصلة وقال :
الشيخ كان أعلم، حيث قال إنّك أخذتها . فليته متّعنا بنفسه يوما كما أمتعك ! انتهى .
قوله الماخوري : هو نسبة إلى الماخور، وهو بيت الريبة معرّب . وقيل إنّّه عربيّ، من مخرت
السفينة الماء، لتردّد النَّاس إليه . وقال [ابن] عبد المنان :

صَبَحَتْهُ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَقَالَ لِي : ماذا الصَّبَاحُ وظنَّ ذاك مُزَاحًا
فَأَجَبَتْهُ : إِشْرَاقُ وَجْهِكَ غَرَنِي حَتَّى تَوْهَمْتَ الْمَسَاءَ صَبَاحًا
وسبب قوله هذا [الشعر] أَنَّهُ دَخَلَ، وهو ثَمَلٌ، على السلطان أحمد المريني عَشِيَّةً،
فصَبَحَحه. فنظر السلطان إليه نظر منكراً، وقال له : أَيَّ وَقْتِ هَذَا ؟ وَأَيَّ مَعْنَى لِلصَّبَاحِ فِيهِ ؟
فَأَفَافَ مِنْ سَكَرِهِ وَأَنشَدَ مَا مَرَّ ارْتِجَالًا، وهذه بديهة لا بأس بها.

ومثله ما يُحْكِي أَنَّهُ وَقَعَ لِيَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ، وكان الأمين بن الرشيد شرب يوماً مع عبد
اللَّهِ بِظَاهِرٍ، ومعهما يَحْيَى . فتغامزا عليه، وأمرَا السَّاقِي فَأَكْثَرَ لَهُ حَتَّى أَسْكَرَهُ . وكان بين
أَيْدِيهِمْ رَدَمٌ مِنْ رِيَّاحِينَ . فَأَمَرَ يَحْيَى فَدَفَنَ فِيهِ، وأمرَ قَيْنَةً أَنْ تَغْنِيَّ عِنْدَ رَأْسِهِ بَيْتَيْنِ
عَمَلُهُمَا . فَغَنَّتْ :

نَادَيْتُهُ وَهُوَ مَيِّتٌ لَا حَرَكَاتَ بِهِ مَكْفَنٌ فِي ثِيَابٍ مِنْ رِيَّاحِينَ
فَقُلْتُ : قُمْ ! قَالَ : رَجُلِي لَا تَطَاوَعُنِي وَقُلْتُ : خُذْ ! قَالَ : كَفَيْ لَاتَوَاتِينِي
فَانْتَبَهَ يَحْيَى لَصَوْتِ الْعُودِ وَصَوْتِ الْجَارِيَةِ، فَأَخَذَ الْعُودَ مِنْهَا وَغَنَّى :

يَا سَيِّدِي وَأَمِيرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ مَنْ كَانَ يَسْقِينِي
إِنِّي غَفَلْتُ عَنِ السَّاقِي فَصَيَّرَنِي كَمَا رَأَيْتَ سَلِيبَ الْعَقْلِ وَالْدِّينِ
لَا أَسْتَطِيعُ نُهُوضًا قَدْ وَهَى بَدَنِي وَلَا أَجِيبُ لِدَاعٍ حِينَ يَدْعُونِي !
وقال أبو الفتح البستي :

أَفِدْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْجَدِّ رَاحَةً يُجْمَ وَعَلَّهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزْهِرِ
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ الْمَزْهُ فَلْيَكُنْ بِقَدْرِ الَّذِي يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ الْمَلْحِ
وقال آخر في معناه :

مُفَارَحَةُ الصَّدِيقِ تَزِيدُ وَدًّا إِذَا كَانَتْ تُضَافُ إِلَى الْمَلَاخَةِ
فَمَزْحُكَ مِنْ تَحَبُّ وَتَصْطَفِيهِ فَمَزْحُكَ مَعَ صَدِيقِكَ فِيهِ رَاحَةٌ
وقال الآخر في المدح :

إِذَا نَزَلَ الضَّيْفُ لَيْلًا بِهِمْ رَأَى أَوْجُهًا لَامَ مِنْهَا الصَّبَاحُ
كَرَامُ الْوُجُوهِ لِمَنْ أَمَّهُمْ وَعِنْدَ وَجُوهِ الْكَرَامِ السَّمَاحُ
وهذا من العكس، وهو عند أهل البديع قسمان : تعاكس الكلم وتعاكس الحروف .

فمن الأوَّل في النثر قولهم : عَادَاتُ السَّادَاتُ سَادَاتُ الْعَادَاتِ ؛ وقولهم : عقولُ الملوك

ملوكُ العقول ؛ وكلام الملوك ملوك الكلام ؛ وقول بعضهم ، وقد قيل له لا خير في السرف ، لا سرفَ في الخير ، ونحو هذا . وفي الشعر ما مرَّ وقول صاحب الحليَّة :

خَيْرُ اللَّيَالِي لِيَالِي الْخَيْرِ فِي إِضْمٍ والقومُ قد بلغُوا أَقْصَى مُرَادِهِمْ
وقول أبي الطيب :

فَلَا مَجْدُ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وقول ابن جابر :

عَطَفْتُ قَدَّهَا النَّصِيرَ فَقَالَتْ : هَلْ رَأَيْتُمْ لِحُسْنِ هَذَا نَظِيرًا ؟
بَذَلْتُ لِلْمُحِبِّ يَوْمَ وَصَالٍ فَرَأَيْنَا وَصَالَ يَوْمَ كَثِيرًا
ونحوه وهو كثير .

ومن الثاني في النثر كقوله تعالى : كُلُّ فِي فَلَكٍ ؛ وقوله تعالى : وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ؛
وقول العماد الاصبهاني للقاضي الفاضل : سر ، فلا كِبَايِكَ الْفَرَسُ ! وقول بعضهم :
سُورُ حَمَاةٍ بِرَبِّهَا مَحْرُوسٌ ؛ وقولك : أرض خضراء ورمحٌ أحمر ، ونحو ذلك وهو كثير .
ومن الشعر قول الشاعر :

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوٍ وَهَلْ كَلَّ مَوَدَّتُهُ تَدُومَ ؟
ومن النوع الأوَّل قولِي في أبيات :

نَتَائِجُ أَبْنَاءِ كِرَامٍ غَطَّارٍ كِرَامُ بَنِينَ مَاجِدِينَ كِبَارٍ
وقول الآخر :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُمْدَحْ بِحُسْنِ فَعَالِهِ فَمَا دَحَهُ يَهْذِي وَإِنْ كَانَ يُفْصَحُ
وقول الآخر في معناه :

وَمَا شَرَفٌ أَنْ يُمْدَحَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَكِنْ أَعْمَالًا تَدُمُ وَتُمْدَحُ
وقول الآخر ، ويروى لابن الفارض ، رضي الله عنه :

خَلِيلِيَّ إِنْ زُرْتُمَا مَنَزَلِي وَلَمْ تَرِيَاهُ فَسِيحًا فَسِيحًا
وَإِنْ رُمْتُمَا مَنَاطِقِي مِنْ فَمِي وَلَمْ تَرِيَاهُ فَصِيحًا فَصِيحًا
وقول أبي بكر بن عمَّار في الاستعطاف :

سَجَايَاكَ إِنْ عَافَيْتَ أَنْدَى وَأَسْمَحَ وَعُذْرَكَ إِنْ عَاقَبْتَ أَجْلَى وَأَوْضَحَ
وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الْخُطَّائِينَ مَزِيَّةٌ فَأَنْتَ إِلَى الْأَدْنَى مِنَ اللَّهِ أَجْنَحُ

وقال أبو عيسى بن لبون في النسب :
سقى أرضاً نووها كلُّ مَزنٍ
فما ألوى بهم ملكٌ ولكن
سأبكي بعدهم حزناً عليهم
وقال أيضاً :

يا ربَّ ليك شربنا فيه صافيةً
ترى الفراشَ على الأكواسِ ساقطةً
وقال أبو محمد بن عبدون :

سقاها الحيا من معانٍ فِساحٍ
وحلّى أكاليك تلكَ الرُّبى
فما أنسَ لا أنسَ عهدي بها
ونومي على حبرات الرِّياضِ
ولم أعطِ أمرَ النُّهى طاعةً
وليك كرجعة طرف المريبِ
وقلت أنا :

أم والمُهيمِنِ إنَّني من بعدكم
أوديتُمُ بمحبِّكم من بعدكم
قد كان فيهم أعصراً بوصالهم
فكأنَّني صبراً سقيتُ فكيف لي
وقلت أيضاً :

نقل النَّسيمُ عن الأراكِ محدثاً
وحديثه المرويُّ أنَّ رُضابَهُ
صدقا أحاديثُ الصَّحيحِ قد اعتلت

وقال بعض السَّادات الصوفية، رضي الله عنهم :

قد كنت أحسبُ أنَّ وملك يشتري
حتَّى رأيتك تجتبي وتخصُّ من

وسايرهم سرورٌ وارتياحُ
صروفُ الدهرِ والقدرُ المتاحُ
يدمَعُ في أعنتِه جِماحُ

حمراء في لونها تنفي التَّباريحاً
كأنَّما أبصرتُ منها مصابيحاً

فكم لي بها من معانٍ فصاح ؟
ووشى معاطِف تلك البيطامِ
وجريَّ فيها ذيُول المِراحِ
يُجاذِبُ بُردِيَّ مرُّ الرِّياحِ
ولم أصغر سمعاً إلى لحي لاهٍ
لم أدركه شفقاً من صباهِ

لكطائرٍ قد قدَّ منه جناحُ
أو ليس فيه على المضرِّ جناحُ ؟
قد طَبَن رَوْحٌ للنَّفوسِ وراحُ
صبرٌ وقد زمُّوا المطيَّ وراحوا ؟

عن ثغر سلمى الأشنَّب الوضاحِ
عسلٌ ومسكٌ شوباً بالراحِ
عن ربيبةٍ تُعزى لها من لاهٍ

بنفائس الأمـوال والأرواحِ
تختاره بنفائس الأرباحِ

فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تَنَالُ بِحِيلَةٍ . وَلَوِيتُ رَأْسِي تَحْتَ طَيِّ جَنَاحِ
وَجَعَلْتُ فِي عَشْءِ الْغَرَامِ إِقَامَتِي أَيْدًا وَفِيهِ تَحَوُّلِي وَرَوَاحِي
وَقَالَ آخِرُ :

أَيْدًا تَحْنُ إِلَيْكُمْ الْأَرْوَاحُ وَوَصَالُكُمْ رِيحَانُهَا وَالرَّاحُ
وَقُلُوبُ أَهْلِ وَدَادِكُمْ تَشْتَاقُكُمْ وَإِلَى كَمَالِ جَمَالِكُمْ تَرْتَاحُ
وَارْحَمَةَ الْعَاشِقِينَ تَحْمَلُوا أَلَمَ الْمَحَبَّةِ ، وَالْعَوَى فَضَّاحُ
بِالسَّرِّ إِنْ بَاحُوا تَبَاحَ دِمَاؤُهُمْ وَكَذَا دِمَاءُ الْبَاطِحِينَ تَبَاحُ !
وَقَالَ الْآخِرُ :

رَاحُوا فَبَانَتْ رَاحَتِي مِنْ رَاحَتِي صَفْرًا وَأَضْحَى حُبُّهُمْ لِي رَاحًا
فَتَحُوا عَلَى الْقَلْبِ الْهُمُومَ وَابَابِ السُّرُورِ وَضَيَّعُوا الْمَفْتَاحَا
وَقَالَ بِشَارُ :

خَلِيلِيَّ مَا بَالُ الدُّجَى لَا تَزْحَرْهُ وَمَا لِعَمُودِ الصُّبْحِ لَا يَتَوَضَّحُ ؟
أَضَلَّ النَّهَارُ الْمُسْتَنْيرُ طَرِيقَهُ ؟ أَمْ الدَّهْرُ لَيْلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبْرَحُ ؟
وَطَالَ عَلَيَّ اللَّيْلُ حَتَّى كَانَتْهُ بَلِيلِينَ مَوْصُولٌ فَمَا يَتَزَحَرْهُ !
وَاعْلَمْ أَنَّ لِلشَّعْرَاءِ فِي اللَّيْلِ ، قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، مَقْصِدَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ لِبَاعِثَيْنِ مُتَبَايِنَيْنِ :
فِتَارَةٌ يَسْتَطِيلُونَهُ وَيَسْتَبْطِئُونَ الْأَصْبَاحَ ، وَذَلِكَ لِأَجْلِ الْاِخْتِنَاقِ ، بِتَبَارِيحِ الْأَشْوَاقِ ، عِنْدَ
اِحْتِسَاءِ كَأْسِ الْفِرَاقِ ، الْمَرَّةَ الْمَذَاقِ ؛ وَتَارَةٌ يَسْتَقْصِرُونَهُ وَيُودُّونَ أَنْ لَوْ دَامَ ، وَذَلِكَ عِنْدَ
اجْتِنَاءِ ثَمَرَاتِ الْوَصَالِ ، وَالِاشْتِعَالِ بِلَذَاتِ الْاِقْبَالِ . فَمَنْ الْأَوَّلُ قَوْلُ مَهْلِكِ :

أَلَيْتَنَا يَذِي حُسْمٍ أَنْيِرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي !
وَلَمْ يَحْضُرْنِي لَمَنْ قَبْلَهُ شَيْءٌ فِي هَذَا الْبَابِ . وَقَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :

وَلِيكَ كَمُوجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولُهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمْطِي بِجَوْزِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّكَلٍ :
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْأَصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمَثَلِ
فِيَالِكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ
كَأَنَّ الْبُثْرِيَا عَلَّقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسِ كَنْتَارٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

وقوله أيضا :

أَعِنِّي عَلَى التَّهَمَامِ وَالذِّكْرَاتِ يَبْتَثْنُ عَلَى ذِي الْهَمِّ مُعْتَكِرَاتِ
بَلَيْكِ التَّمَامِ أَوْ وَصِلْنِ بِمَثْلِهِ مُقَايَسَةَ أَيَّامُهَا نَكَرَاتِ
وهو أولُ من أبدع في هذا الباب فيما علمنا . وقول النابغة :

فَبْتُ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحُلِيِّ النَّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ
تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا تَطْلُقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاوِعُ
وقوله أيضا :

كَلِينِي لَهُمَّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ
تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضِ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَنْبِ
وَصَدْرُ أَرَاخِ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحَزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وقوله أيضا :

كَتَمْتُكَ لَيْلًا بِالْجُمُومَيْنِ سَاهِرًا وَهَمَّيْنِ هَمًّا مُسْتَكْنًا وَظَاهِرًا
أَحَادِيثُ نَفْسٍ تَشْتَكِي مَا يَرِيهَا وَوَرْدُ هُمُومٍ لَنْ يَجِدَنَّ مَصَادِرًا
وقوله أيضا :

أَتَانِي أَبَيْتَ اللَّعْنِ أَنْكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأُنْصَبُ
فَبْتُ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشَنَنِي هَرَّاسًا بِهِ يُعْلَى فِرَاشِي وَيُقْشَبُ
وقول جندم :

فِي لَيْلِ صَوْلٍ تَنَاهَى الْعَرَضُ وَالطُّوْلُ كَأَنَّمَا لَيْلُهُ بِاللَّيْلِ مُوصُولُ
لَا فَارِقَ الصُّبْحِ كَفِّي إِنْ ظَفِرْتُ بِهِ وَإِنْ بَدَتْ غُرَّةٌ مِنْهُ وَتَحْجِيلُ
لِسَاهِرٍ طَالَ فِي صَوْلٍ تَمَلُّلُهُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ بِالسَّوْطِ مَفْتُولُ
حَتَّى أَرَى الصُّبْحَ قَدْ لَاحَتْ مَخَائِلُهُ وَاللَّيْلُ قَدْ مُرِّقَتْ عَنْهُ السَّرَاوِيلُ
لَيْلٌ تَحِيرُ مَا يَنْحَطُّ فِي جَهَةِ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ الْأَرْضِ مَشْكُولُ
نَجُومُهُ رُكْدٌ لَيْسَتْ بِزَائِلَةٍ كَأَنَّمَا هُنَّ فِي الْجَوِّ الْقَنَادِيلُ
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَحْطِ مَنْ دَارُهُ الْحَزْنُ مِمَّنْ دَارَهُ صَوْلُ
اللَّهُ يَطْوِي بِسَاطَ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا حَتَّى يَرَى الرَّبْعُ مِنْهُ وَهُوَ مَأْهُولُ

وقول الحُصْرِيّ :

يا ليل الصَّبُّ متى غَدُهُ أقيامُ السَّاعةِ مَوْعِدُهُ ؟
وقول الآخر :

ألا هَلْ على اللَّيْلِ الطَّوِيلِ مُعِينُ إذا نَزَحَتْ دارُ وحنَّ حزينُ ؟
أَكابدُ هذا اللَّيْلَ حتَّى كأنَّما على نجمِهِ ألاَّ يَغُورَ يمينُ
وتألَّه ما فارقْتُكُمْ قاليًا لكم ولكنَّ ما يُقضى فسوف يكونُ !
وقول الآخر :

ما لِنُجومِ اللَّيْلِ لا تَغْرُبُ كأنَّها من خَلْفِها تُجذَّبُ ؟
رواكِدٌ ما غارَ في غَرْبِها ولا بَدَأَ مِنْ شَرْقِها كوكَبُ
وقول العَبَّاسِ بنِ الأحنف :

أيُّها الرَّاقدون حولي أعينوني على اللَّيْلِ حِسْبَةً وَأَتَجَارًا
حدِّثوني عَن النَّهارِ حديثًا أوَصِفُوهُ فَقَدْ نَسِيتُ النَّهارَ !
وقال سُويِدُ بنُ أبي كاهل :

وإذا ما قُلْتُ ليلٌ قَدْ مَضَى عَطَفَ الأوَّلُ مِنْهُ فَرَجَعُ
يَسحَبُ اللَّيْلُ نُجومًا ظَلَعًا فتوالِيها بطيأتُ التَّبَعِ
ويُزجِّيها على إِبْطائِها مغربُ اللَّونِ إذا اللَّيْلُ أَنْقَشَعُ
وقول ابنِ الرومي :

ربَّ ليلٍ كأنَّه الدَّهْرُ طولًا قَدْ تَناهى فَلَيْسَ فيه مَزِيدُ
ذي نُجومٍ كأنَّهِنَّ نجومُ الشَّيْبِ لَيْسَتْ تَزولُ لَكِنْ تَزِيدُ
وقول سعيد بن حميد :

يا لَيْلُ بَلْ يا أَبَدُ أنائِمٌ عَنكَ غَدُ ؟
يا لَيْلُ لو تَلَقَّي الَّذِي أَلقَى بِها أوْ تَجِدُ
قُصِرَ مِنْ طَوْلِكَ أوْ ضَعُفَ مِنْكَ الجَلَدُ
أَشْكُو إلى ظالِمَةٍ تَشْكُو الَّذِي لا تَجِدُ
وَقَفَ عَنْها ناظِرِي وَقَفَ عَنْها السُّفْدُ

وقول الآخر :

يُخِيلُ لِي أَنَّ سُمْرَ الشَّهْبِ فِي الدُّجَى وَشُدَّتْ بِأَهْدَابِ إِلَيْهِنَّ أَجْفَانُ
وقول الآخر :

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَاشِقِ طَوْلًا قَطَعَتْهُ بِأَنْتِحَابِ
وَحَدِيثُ أَلَذَّ مِمَّنْ نَظَرَ الْوَامِقِ بَدَلَتْهُ بِسُوءِ الْعِتَابِ
وقول ابن شُهَيْد :

وَبِتْنَا نُرَاعِي اللَّيْلَ لَمْ يَطْوِ بُرْدُهُ وَلَمْ يَجْنِ شَيْبُ الصُّبْحِ فِي فِرْعِهِ وَخَطَا
تَرَاهُ كَمَلِكِ الزَّنَجْرِ مِنْ فَرَطِ كِبَرِهِ إِذَا رَامَ مَشِيًّا فِي تَبَخُّثِهِ أَبْطَا
مُطَلًّا عَلَى الْآفَاقِ وَالْبَدْرِ تَاجُهُ وَقَدْ عَلَّقَ الْجَوَازُءَ مِنْ أُذُنِهِ قُرْطَا
وقال بعضهم : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ يَسْتَنْشِدُنِي شِعْرَ خَالِدِ الْكَاتِبِ ، فَأَنْشُدُهُ فَيَقُولُ : مَا
صَنَعْتُ شَيْئًا حَتَّى أَنْشُدْتَهُ يَوْمًا لَهُ :

رَقَدْتُ وَلَمْ تَرُثِ لِلْسَّاهِرِ وَلَيْكَ الْمُحِبُّ يَلَا آخِرَ
وَلَمْ تَدْرِ بَعْدَ ذَهَابِ الرُّقَادِ مَا صَنَعَ الدَّمْعُ مِنْ نَاطِرِي
فَقَالَ : قَاتَلَهُ اللَّهُ ، لَقَدْ أَدْمَنَ الرَّمِي حَتَّى أَصَابَ الْغُرَّةَ !
ومن الاعتبار الثاني قول الأعرابي :

وَلَيْكَ لَمْ يُقْصِرْهُ رُقَادُ وَقَصَّرَ طَوْلُهُ وَصَلَ الْحَبِيبِ
وقول ابن المستوفي :

حَسَدَ الصَّبَاحُ اللَّيْلَ لَمَّا ضَمَّنَا غِيظًا فَفَرَّقَ بَيْنَنَا دَاعِيَهُ
وقول الآخر :

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ أَقْلَ بَخْلًا وَأَطْوَمَ مِنْكَ فِي غَيْرِ الْمَنَامِ
فَلَيْتَ الصُّبْحَ زَالَ فَلَا نَرَاهُ وَلَيْتَ اللَّيْلَ يَبْقَى أَلْفَ عَامٍ !
وَلَوْ أَنَّ النُّعَاسَ يُبَاعُ حِينًا لِأَغْلَيْتُ النُّعَاسَ عَلَى النَّيَامِ
وقول القاضي الفاضل ، وَهُوَ السَّحَرُ حَقًّا :
بِتْنَا جَمِيعًا كَيْفَ شَاءَ الْهَوَى وَرَبَّمَا لَا يُمَكِّنُ الشَّرْمُ
بَوَابُنَا اللَّيْلُ وَقُلْنَا لَهُ : إِنْ غَبَتْ عَنَّا دَخَلَ الصُّبْحُ

وقول عبد الصمد بن المعدل :

أقول وجنح الدجى ملبد
ونحن ضجيعان في مسجد
فيا ليلة الوصل لا تبعدي
ويا غد إن كنت لي راحمًا
وللأيك في كل فج يد
فلله ما ضمنا المسجد :
كما ليلة الحجر لا تنفد
فلا تدن من ليلتي ياغد !
وقول الآخر :

شباب المرء ثوب مستعار
ولأجل الاعتبارين كان قول الأعرابي :
تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن
وقول أبي الوليد بن زيدون :
أجل إن ليلي فوق شاطيء بيطة
وقول عمر بن أبي ربيعة :

فيالك من ليل تقاصر طولهُ
ومن الثاني أيضا قول الآخر :
لله أيام الشباب وعصره
ما كان أقصر ليله ونهاره
وقول أبي بكر بن دريد :

يا رب يوم جمعت قطريه [لي]
وقد شرح الاعتبارين الوليد بن يزيد في قوله :

لا أسأل الله تغييرا لما فعلت
فالتلك أطول شيء حين أفقدها
والآخر في قوله :

أخو الهوى يستطيع التلك من أرق
ليك الهوى سنة في الحجر مدته
والآخر في قوله :

ليلي وليلى سواء في اختلافهما
قد صيراني جميعا في الهوى مثلا

يجود بالطول ليلي كلما بخلت
وقول جميل :

وقالوا : لا يضرك نأي شهر
يطول اليوم إن شحطت نواها
وقول بشار :

لا أظلم الليل ولا أدعي
ليلي كما شئت فإن لم تجد
تصرف الليل على حكمها
وقول الآخر :

تعالوا أعينوني على الليل إنّه
وقول الآخر :

لم يطك ليلي ولكن لم أنم
وقول الفرزدق :

يقولون طال الليل والليل لم يطك
وهذا المعنى أكثر من أن يستقصى . وترقى عن الاعتبارين قول بعض العارفين المحبين :
لست أدري أطلّ ليلي أم لا
لو تفرغت لاستطالة ليلي
إنّ للعاشقين عن قصر الليل
وقال ابن حمديس الصقلي في مجونه :

قم هاتها من كف ذات الوشاح
باكر إلى اللذات واركب لها
من قبل أن ترشف شمس الضحى
وقال أيضا :

بتّ منها مستعيرا قبل
وأروي غلّ الشوق بما

بالطول ليلي وإن جادت به بخلا

فقلت لصاحبي : فمن يصير ؟
وحول نلتقي فيه قصير

أنّ نجوم الليل ليست تغور
طال وإن جادت فليلي قصير
فهو على ما صرفته يدور

على كل عين لا تنام طويل !

ونفى عني الكرى طيف ألم

ولكن من يبكي من الشوق يسهر
وهذا المعنى أكثر من أن يستقصى . وترقى عن الاعتبارين قول بعض العارفين المحبين :
كيف يدري بذاك من []⁽²⁸⁾
ولرعني النجوم كنت مخلصا
وعن طوله من الهم شغلا

فقد نعى الليل بشير الصباح
سوابق اللهو ذوات المراح
ريق الغواذي من تغور الاقاح !

كنّ لي منها على الدهر اقتراح
لم يكن في قدرة الماء القراح

(28) بياض في الأصل.

وقال الآخر :

سَلِ الْمُفْتِيَّ الْمَكِّيَّ هَلْ فِي تَزَاوُرٍ وَضَمَّةٌ مُشْتَقَّةٌ الْفُؤَادِ جُنَاحُ
فَقَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يُذْهَبَ التَّقَى تَلَاصُقُ أَكْبَادُ بَهْنٍ جِرَاحُ
والمعنى هنا بالمفتي هو عطاء بن أبي رباح، الامام الفقيه المشهور، أحد الكبراء من
التابعين . وكان بمكة مفتيا.

قال شمس الدين بن خلكان في تأريخه : لما بلغه هذان البيتان قال : والله ما قلت شيئا
من هذا !

وقال فخر الدين التكريتي :

وما ذاتُ طوقٍ في فروجٍ أراكَةٍ لها رَنَّةٌ تحت الدُّجَى وصدوحُ
ترامت بها أيدي النوى وتمكنت لها فِرْقَةٌ من أهلها ونزوحُ
فحلتْ بزوراءِ العراق وزغُبها بعُسفانٍ ثارٍ منهم وطليحُ
تحنُّ إليهم كلما ذرَّ شارقُ وتسجعُ في 'جنمِ الدُّجَا وتنوحُ
إذا ذكرتْهم هيَّجتْ ذا بلبلٍ وكادتْ بمكتومِ الغرامِ تبوحُ
بأبرح من وجدي يذكركم متى تألَّقَ برقٌ أو تنسَمَ ريحُ
وقال ابن الزيات :

سماعًا يا عبادَ الله منِّي وكُفُّوا عَن مَلاحِظَةِ المِلاحِ
فإنَّ الحُبَّ آخِرُهُ المَنَايا وآخِرُهُ يُهَيِّجُ بِالْمُزَاحِ (28م)
وقالوا : دَعِ مُراقِبَةَ الثُّرَيَّا ونَمِ فاللَّيْلِ مُسودُّ الجِناحِ
فقلتُ : وهَلْ أَفَاقَ القلبَ حتَّى أَفَرَّقَ بَيْنَ ليلي والصَّبَاحِ ؟
وقال مؤيد الدين الموصلي :

يا قالة الشعر قد نصحتُ لكم
قد ذهب الدهر بالكرام وفي
وأنتم تمدحون بالحسن والظرف
وتطلبون السَّامَ من رجلٍ
ولست أدهى إلّا من النُّصمِ
ذاك أمورٌ طويلةُ الشَّرَمِ
وجوهًا في غاية القُبْحِ
قد طُبعتْ نفسه على الشُّمِّ

(28م) لعل الأصل : «وأوله يهيج بالمزاح».

مِنْ هَاهُنَا تَحْرِمُونَ كَذَكُمْ
صَوْنُوا الْقَوَافِي فَمَا أَرَى أَحَدًا
فَإِنْ شَكَكْتُمْ فِيمَا أَقُولُ لَكُمْ
وَنَحُو هَذَا الْبَيْتَ فِي الْمَعْنَى مَا حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ ظُرَفَاءِ السُّوَالِ مَرَّ بِقَوْمٍ يَأْكُلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ :
يَا بَخْلَاءُ ! فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَ إِنْكَارَهُمْ قَالَ لَهُمْ : كَذَّبُونِي بِلَقْمَةٍ !
وقال ابن ميادة :

فَنَظَرْنَا مِنْ خِلَالِ الْحِجَالِ بِأَعْيُنٍ
وَأَرْشَنَ حِينَ أَرَدْنَا أَنْ يَرْمِيَنِي
وقال آخر يخاطب الناس :

تَبِعْتُمْ السَّابِحَ فِي لُجَّةِ
هَذَا وَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِلرَّدَى
وقال ابن السَّاعَتِي :

وَكَمْ لِي فِيكَ مِنْ عَذَرَاءَ زُفَّتْ
مِنَ الْغَيْدِ الْحَسَنِ بِلَا شَبِيهِ
وقال الآخر :

وَإِذَا الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ كَمَلَتْ لَهُ
طَلَعَتْ عَلَيْهِ الْمُخْزِيَاتُ وَقُلْنَ قَدْ
وَإِذَا رَأَى إِبْلِيسُ صُورَتَهُ بَدَتْ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ التَّهَامِي :

إِذَا بَلَغَ الْفَتَى عَشْرِينَ عَامًا
إِذَا مَا أَوَّلُ الْخَطِيئِ اعْطَى
وقول الآخر :

وَصَهْبَاءَ جُرْجَانِيَّةٍ لَمْ يَطْفُ بِهَا
أَتَانِي بِهَا يَحْيَى وَقَدْ نِمْتُ نَوْمَةً
فَقُلْتُ اغْتَبَقَهَا أَوْ لَغِيرِي فَاسْقَهَا
إِذَا الْمَرْءُ وَافَى الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ

لَأَنْتُمْ تَكْذِبُونَ فِي الْمَدْحِ
يَعْتَرُ فِيهِ الرَّجَاءُ بِالْجَمِّ
فَكَذَّبُونِي بِوَاحِدٍ سَمِعَ !
ونحو هذا البيت في المعنى ما حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ ظُرَفَاءِ السُّوَالِ مَرَّ بِقَوْمٍ يَأْكُلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ :
يَا بَخْلَاءُ ! فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَ إِنْكَارَهُمْ قَالَ لَهُمْ : كَذَّبُونِي بِلَقْمَةٍ !

مَرَضَى يُخَالِطُهَا السَّقَامُ صَحَّاحُ
نَبْلًا بِلَا رِيَشٍ وَلَا بِقَدَاحِ

وَرُعْتُمْ فِي الْجَوِّ ذَاتَ الْجَنَاحِ
فَكَيْفَ لَوْ خَلَدْتُمْ يَا قِبَاحَ ؟

لَفَهَمَكَ فِي غُدُوٍّ أَوْ رَوَاحِ
فَكَيْفَ يَفُوتُهَا حَظُّ الْقَبَاحِ ؟

خَمْسُونَ وَهُوَ إِلَى التَّقَى لَمْ يَجْنَحِ
أَرْضَيْتَنَا فَكَذَاكَ كُنْ لَا تَبْرَحِ !
حَيَّيْ وَقَالَ : فُدَيْتَ مَنْ لَمْ يُفْلِحِ !

وَأَعْجَزَهُ الْفَخَارُ فَلَا اعْتِذَارُ
فَمَا يُرْجَى لِأَخِرِهِ انْتِظَارُ

حَنِيفٌ وَلَمْ تَنْغَرْ بِهَا سَاعَةً قِيدَرُ
وَقَدْ غَابَتْ الشَّعْرَى وَقَدْ طَلَعَ النَّسْرُ
فَمَا أَنَا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيَحْكُ وَالْخَمْرُ
لَهُ دُونَ مَا يَأْتِي حَيَاءٌ وَلَا سِتْرُ

فدعته ولا تنفَسْ عليه الَّذي ارتأى
وقال الآخر :

وقالوا : في الهِجاء عليكِ إثمٌ ،
لأنِّي إن مدحتُ مدحتُ كِذْبًا
وقال الآخر :

قالوا : تعشَّقَتْها عمياءَ قلتُ لهم :
بل زاد وجدي فيها أنَّها أبدًا
إنْ يجرح السِّيفُ مسلولا فلا عجب
كأنَّما هي بُستانٌ خلوتُ به
تفتحُ الوردُ فيه من كَمائمه
ومثله قول ابن سناء الملوك :

فتنتني مكفوفةٌ ناظرًا لها
فهني لم تسلك الجفون حُسامًا
وهني بكرُ العينين مُحصنةُ الأجفان
قصرت عشقها عليَّ فلم تعد
عميتُ من هَوَايَ وارتحل الانسا
علمتُ غيرتي عليها فخافتُ .
وقال ابن قاضي ميلة :

وكيف لا تُدركه نشوةٌ
لو لم تكن ريقتهُ خمرةٌ
وقال ابن نباتة السعدي :

وغايةُ هذه الدُّنيا فسادٌ
هي الخرقاءُ تنقضُ بعدَ نسجِ
وسياتي هذا المعنى مستوفى في الحكم ، إن شاء الله تعالى .

وقال الآخر - وكان أبو بكر بن دريد يتمثلُ به كثيرا - أو هو قائله :
فواحرنا إنَّ الحياةَ لذيدةٌ

ولو جرَّ أسبابَ الحياةِ له الدهرُ !

وليس الاثمُ إلا في المَديمِ
وأهجو حين أهجو بالصَّحيحِ

ما شأنها ذاك في عيني ولا قدحا
لا تعرف السَّيب في فؤدي إذا وضحا
وإنَّما العُجبُ سيفٌ مُعمَّدٌ جرحا
ونامَ حارسُه سكرانٌ قد طفا
والنَّرجيسُ الغضُّ فيه بعدُ ما انفتحا

كتبالي من الجراحِ أمانا
لا ولم تخمِلِ الفتورَ سنانا
ما اقتضى ميلها الأجفانَا
شقَّ فلانا إذ لم تُعالينَ فلانا
نُ من عينيها وأخلَى المكانَا
أن تسميَ غيْرِي لها إنسانا

واللَّحْظُ راحٌ وجنى الرِّيقَ راحٌ ؟
لما تنثني عطْفُه وهو صاِحٌ

فكيف نكونُ منها في صلاحٍ ؟
فما فيها لِحْيٍ من فلاحٍ

ولا عمك يَرْضَى به اللهُ صالحُ

وقلت أنا :

تصبرُ إن أصابَكَ نَبْلُ عَوْضٍ وضاقَ عليكَ مُتَسَعُ الْبَرَاكِ
فإنَّ الدَّهْرَ لَيْسَ بِذِي اصْطِبَارٍ عليكَ بِكَ التَّحَوُّلِ وَالْبَرَاكِ
وإنَّ الخطْبَ أَسْرَعُ مِنْ ذِنَابٍ بِمُنْجَمٍ يَسِيكُ إِلَى سَرَاكِ
وما أَمْرٌ يَضِيقُ عَلَيْكَ إِلَّا بآخِرَةٍ يَصِيرُ إِلَى سَرَاكِ
فَكَمْ أُمْسَيْتَ ذَا حُزْنٍ وَأَصْبَحْتَ تَصْبَحُ مِسْرُورٍ كُؤُوسَ رَاكِ !
العَوْضُ : الدَّهْرُ، كما قال الحماسي :

ولوْلا نَبْلُ عَوْضٍ فِي خُضُمَاتِي وَأَوْصَالِي
لَطَاعَنْتُ صُدُورَ الْخَيْلِ طَعْنَا لَيْسَ بِالْأَلِي

وَالْبَرَاكِ : الْمُتَسَعُ مِنَ الْأَرْضِ، لَا زَرْعَ فِيهَا وَلَا شَجَرَ ؛ وَالْبَرَاكِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي :
الزَّوَالُ، مَصْدَرُ بَرَحَ مَكَانَهُ، أَي زَالَ عَنْهُ ؛ وَالذَّنَابُ مَسِيلٌ مَا بَيْنَ التَّلْعَتَيْنِ ؛ وَالسَّرَاكِ
- بِالْيَاءِ، كَالثَّمَانِي - جَمْعُ سَرْحَانٍ وَهُوَ هُنَا وَسَطُ الْحَوْضِ ؛ وَالسَّرَاكِ فِي الْبَيْتِ بَعْدَهُ
الانْسِرَاحُ وَالْانْفِرَاجُ ؛ وَتَصْبَحُ تَسْقِي، تَقُولُ : صَبَحْتُ زَيْدًا إِذَا سَقَيْتُهُ
الصَّبُوحَ، فَهُوَ مَصْبُوحٌ ؛ وَقَوْلِي مِسْرُورٍ أَي مِنَ السَّرُورِ، فَحُذِّقْتَ نُونٌ مِنْ وَهُوَ جَائِزٌ
فَصِيحٌ .

ولنكتف بهذا القدر، واللّه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل .

بابُ الخاءِ المُعْجَمَةِ

خُبَاةٌ خَيْرٌ مِنْ يَفْعَةٍ سَوْءٍ .

الخُبَاةُ السُّتْرُ، تقول : خَبَأْتُ الشيءَ خَبَاءً وَخَبِيئَةً إِذَا سَتَرْتَهُ ؛ وَالْخُبَاةُ - على مثالِ هُمَزَةٍ - المرأةُ تَلْزَمُ بيتَهَا . وفي الصحاح : الخُبَاةُ المرأةُ تَطْلُعُ ثُمَّ تَخْتَبِئُ . واليَفْعُ التَّلُّ والمَرْتَفَعُ مِنَ الْأَرْضِ ووصفٌ لِلْغُلَامِ . يقال : غُلَامٌ يَفْعُ - بفتحَيْنِ - وَيَفْعَةٌ .

والمعنى أَنَّ بِنْتًا تَلْزَمُ بيتَهَا تخبأ فيه خَيْرٌ مِنْ غلامٍ يَفْعَةٌ لا خير فيه، وهو واضح . والمسوِّغُ للابتداء بالنكرة، في هذا وما يشبهه، نحو تَمَرَةٍ خَيْرٌ مِنْ جَرَادَةٍ، القصد إلى العموم، ذكره ابن مالك في شرحه على التسهيل . وهو أحسن من التعبير بأنَّ المسوِّغَ كونه مثلاً، إذ لا يكون مثلاً إلاَّ بعد حين . وهو مفتقر أوَّلُ وهلة إلى المسوِّغِ، مع أنَّ كونه مثلاً وإن حصل ابتداءً لا يناسب أن يكون مسوِّغاً بوجه كما لا يخفى، إذ التسويغُ [إنَّمَا] هو بالتخصيص أو التعميم المُخْرَجُ للقضية عن الإهمال المحض لفظاً ومعنى . نعم، المعنى قد يفهم بقرائن، وإن لم يكن ثُمَّ مُسَوِّغٌ ظاهر فيكفي ذلك، ويمكن أن يدعى أنَّ هذا المثل ونحوه من ذلك . مع أنَّه في مثلنا يدعى أنَّ المسوِّغَ كونُ المُبتدأِ وصفاً لمحذوف هو المبتدأ حقيقة . فإنَّ المعنى امرأةٌ خُبَاةٌ خَيْرٌ مِنْ غُلَامٍ يَفْعَةٌ . وفي المسألة كلام، وليس من غرضنا ولا هذا محلّه .

خَبِطَ خَبِطَ عَشَوَاءَ .

الخَبِطُ : الضَّرْبُ، يقال : خَبِطَ البعيرُ الأرضَ إِذَا ضَرَبَهَا بِرِجْلِهِ . والعَشَى - بالقصر - سَوْءُ البَصَرِ بالليل . يقال : عَشِيَ - بالكسر - يَعَشَى، وَعَشَى أيضاً عَشَى فهو أَعَشَى وهي عَشَوَاءَ . والعشواء في المثل الناقصة الضعيفة البَصَرِ والتي لا

تبصر أمامها، وهي تضرب وتخبط بيديها كل شيء، فيضرب بها المثل . ويقال : خبط فلان هذا الأمر خبطَ عَشْوَاء، وذلك إذا دخل فيه بغير بصيرة، وهو ظاهر .

حِبِقَّةٌ حَبِيقَّةٌ، تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ !

الْحَبِيقَةُ - على مثال هِجَفٍ، وعلى مثال فِلِيزٍ - الطويل من الرجال والخيول . وقيل : الْحَبِيقُ من الخيل : السَّرِيع ؛ وَالْحَبِيقُ أيضا الرجلُ الوثَّاب . وهكذا وقع هذا الكلام في القاموس . والذي في الصحاح : حُرْقَةُ حُرْقَةٍ تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ . وَالْحُرْقَةُ الرجلُ القصير، أو الذي يقارب الخطو لضعف بدنه . يقال : رجل حُرْقٌ - على مثال عَتَلٍ - ورجل حُرْقَةٍ . قال الشاعر في الأول :

حُرْقٌ إِذَا مَا الْقَوْمُ ابْدَوْا فُكَاهَةً تَفَكَّرَ آيَّاهُ يَعْنُونَ أَم قِرْدًا⁽¹⁾
وقال امرؤ القيس في الثاني :

وَأَعْجَبَنِي مَشْيُ الْحُرْقَةِ خَالِدٍ كَمَشِي أَتَانِ حُلَّتْ فِي الْمَنَاهِلِ
حُلَّتْ : مُنَعَتْ وَطُرِدَتْ ؛ وَالتَّرْقَى : الصُّعُودُ ؛ وَالبَقَّ : البَعُوضُ أو أَعْظَمُهَا . قال ذو الرِّمَّةُ يذكر خيلا :

قِيَامًا تَذَوُّذُ الْبَقَّ عَنْ نُخْرَاتِهَا بَنَهَزَ كَأَيْمَاءِ الرُّؤُوسِ الْمَوَانِعِ
النُّخْرَاتُ - بالنون والخاء المعجمة - مَخَارِجُ النَّفْسِ مِنَ الْأَنْوُفِ ؛ وَنَهَزَتِ الدَّابَّةُ بِرَأْسِهَا إِذَا ذَبَّتْ بِهِ .

وروي في الحديث أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُرْقِّصُ أَحَدَ سِبْطَيْهِ فَيَقُولُ :
حُرْقَةُ حُرْقَةٍ تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ ! فَجَعَلَهُ حُرْقَةً لِصِغَرِهِ وَقَوْلُهُ : تَرَقَّ، أَيِ اصْعَدَ فِي النَّمَاءِ . ويقال أيضا : رَجُلٌ حَبِيقَةٌ - بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَبِكَسْرَتَيْنِ، مُشَدَّدَةُ الْقَافِ - أَيِ قَصِيرٌ . وَرَجُلٌ حُبَقٌ - عَلَى مِثَالِ صُرْدٍ - أَيِ ضَعِيفُ الْعَقْلِ . وَكَذَا امْرَأَةٌ حُبِقَةٌ . قَالَ الرَّاجِزُ :

حُبِقَةٌ يَتْبَعُهَا شَيْخٌ حُبَقٌ وَإِنْ يُوفِّقَهَا لَخَيْرٌ لَا تَفِيقُ

(1) البيت لرجل من بني كلاب، وقبله :
وَلَيْسَ يَحْوَارُ لِحَالِاسِ رَحْلُهُ وَمَزُودُهُ كَيْسًا مِنَ الرَّأْيِ أَوْ زُهْدًا

أَخْدَعُ مِنْ ضَبٍّ .

الخَدْعُ : الخَتْلُ . يقال : خَدَعَهُ خَدْعًا إذا خَتَلَهُ وأراد به المكروه من حيث لا يشعر، واختدَعَهُ أيضًا اختدِعا، فانخدَع هو ؛ والاسم الخديعة . والضَّبُّ تقدَّم ما فيه، وهو يوصف بالخديعة والمكر . قال الشاعر :

وأخدَعُ من ضَبٍّ إذا جاءَ حارِشٌ أعدَّ له عندَ الذُّنابةِ عقرباً⁽²⁾
وإنما قال ذلك لأنَّهم يزعمون أنَّ بين الضَّبِّ والعقرب ألفة، فتأوي إلى جحره، فمن مدَّ إليه يده لسعته.

قال المبرد في الكامل : العرب تزعم أنَّه ليس من ضَبٍّ إلَّا في جحره عقرب . فهو لا يأكل ولد العقرب، وهي لا تضربه، فهي مسالمة له وهو مسالم لها . وأنشد البيت السابق .

مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاعٍ .

الاخرنْباقُ : انقِماعُ الرجل المريب، واللصوق بالأرض، والسكوت والاطراق ؛ والانْبِيعاءُ : سِيلان العَرَفِ . يقال : انباع العَرَفُ إذا سَالَ، ويقال : انباعت الحيَّة إذا بسطت نفسها بعد تحوُّيها لتساور.

ومعنى مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاعٍ : مُطَّرَقٌ وسَاكِتٌ لِيَثِبَ إذا أصاب فرصة . والمعنى أنَّه سَاكِتٌ لِدَاهِيَةِ يريدها . يُضْرَبُ في الرجل يطيل الصَّمْتَ حتَّى يُحْسِبَ مغفلاً وهو ذو نكراء . والمُخْرَنْبِقُ : اللَّاصِقُ بالأرض لينباع ليثب . أو المُخْرَنْبِقُ : السَّاكِتُ على ربيبة لينباع ليظهر ما طواه من الشرِّ . والمقصد واحد . ويروى : مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاعٍ، ومعناه لِيَنْدَفِعَ . وقيل ليأتي بالباطقة، أي الدَّاهِيَةِ . ويروى لِيَنْبَاعٍ - بالمعجمة - أي ليتحرَّك بالشرِّ الذي في طيِّه، فيظهره كأنَّه من تَبَوَّغِ الدَّمِّ بمعنى هاج، أو من تَبَوَّغَ زَيْدٌ إذا غلب .

وفي معنى هذا المثل قول النابغة الذبياني :

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أَقْرِ وَعَنْ تَرْفُعِهِمْ فِي كُلِّ أَصْفَارٍ
وَقُلْتُ : يَا قَوْمَ إِنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ عَلَى بَرَاثِينِهِ لَوْثِبَةِ الضَّارِي

(2) في د : « الذبابة » بدل « الذنابة » .

قوله : عَنْ أَقْرَ هو موضع . وقوله : فِي كُلِّ أَصْفَارٍ هو جمع صَفَرٍ
 -بالتَّحْرِيك- اسم الشهر ، وكان صَفَرٌ يومئذٍ في زمن الربيع ، وقيل غير ذلك .
 وأراد بالليث النعمان بن الحارث الأكبر الغساني أو أخاه عمرو بن
 الحارث . وقوله : لِيُوَثِّبَةَ الضَّارِي - بالاضافة - أي لِيُوَثِّبَةَ الأسد الضَّارِي . ويروى
 لِيُوَثِّبَةَ الضَّارِ ، فيكون الضَّارِي وصفاً لليث .

ومثلك ذلك أيضا قول ابن الرومي :

سَكَّتْ سَكُوتًا كَانَ رَهْنًا بُوْثْبَةً عُفُوسٍ كَذَاكَ اللَّيْثُ لِلْوُثْبِ يَلْبَدُ
 وستأتي أمثال من هذا المعنى كثيرة ، وتقدّم بعضها .

تَخْرَسِي يَا نَفْسُ لَا مُخْرَسَ لَكَ .

الخُرس - بالضم - طعام الولادة . قال الرَّاجِزُ :

كُلُّ طَعَامٍ تَشْتَهِي رِبْعَهُ الْخُرْسُ وَالْأَعْذَارُ وَالنَّقِيعَةُ
 والخُرْسَةُ - بالضم - أيضا - طعام النُّفَّاسِ نفسها . وتقول : خَرَسَتْ عَلَى الْمَرْأَةِ تَخْرِسًا
 إِذَا أَطْعَمَتْ فِي وَلادَتِهَا ، وَتَخْرَسَتْ هِيَ اتَّخَذَتْ ذَلِكَ لِنَفْسِهَا ، وَخَرَسَتْ جَعَلَ لَهَا
 الخُرْسَةُ . قال الهذلي :

إِذَا النُّفَّاسُ لَمْ تَخْرَسْ بِبِكْرِهَا غُلَامًا وَلَمْ يُسَكَّتْ بِحِثْرِ فَطِيمِهَا
 الْحِثْرُ : الشَّيْءُ الْقَلِيلُ الْحَقِيرُ ، أَيْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيْءٌ يُسَكَّتُونَ بِهِ الصَّبِيَّ مِنَ الطَّعَامِ وَلَوْ
 قَلِيلًا ، لِشِدَّةِ الْمَجَاعَةِ . وَكَانَتْ امْرَأَةٌ وَلَدَتْ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْ يَهْتَمُّ بِأَمْرِهَا فَقَالَتْ : تَخْرَسِي
 يَا نَفْسُ لَا مُخْرَسَ لَكَ ! فَذَهَبَ مِثْلًا يُضْرَبُ عِنْدَ اعْتِنَاءِ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ .

خَرَقَاءُ ذَاتُ نَيْقَةٍ .

الْخُرْقُ - بِالضَّمِّ - عَدَمُ الرَّفْقِ فِي الْأُمُورِ ، وَعَدَمُ إِتْقَانِ الصَّنْعَةِ ، وَالْحَمَقُ . خَرَقَ

الرَّجُلُ - بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ - فَهُوَ أَخْرَقَ وَهِيَ خَرَقَاءُ . قَالَ :

إِذَا كَوَكَبُ الْخَرَقَاءِ لَاحَ بِسِحْرَةٍ سُهَيْلٌ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْقَرَائِبِ
 يريد أن المرأة الخرقاء لا تشتغل بالغزل في الصيف ، بل تتماذى على التسويف والتفريط ،
 حتّى إذا طلع سهيل - وذلك حين يقبل البرد - قامت إلى قرائبها ليُعِنَّهَا ، وجعلت

تفرّق بينهما غزلاً . فسمّى سهيلاً بكوكب الخرقاء لهذه العلاقة . وذات بمعنى صاحبة .
والنّيقة - بكسر الأوّل - اسم من التّنوّف . يقال : تنوّف الرجلُ في الشيء
يتنوّفُ إذا تأنّف فيه، أي تخيّر.

والمعنى أنّها خرقاء، ومع ذلك تتأنّف . فيضرب في الجاهل بالشيء يدّعي فيه
المعرفة ويتخيّر في الإرادة.

الخرقُ شؤمٌ .

تقدّم أنّ الخرقَ يكون عدم الرفق في الأمور يتناوّلها على غير وجهها، مع عجلة
وإفراط وتجاوز مقدار . والشؤمُ - بضمّ الشين وسكون الهمزة - ضدّ اليُمْن (3).
والمعنى أنّ من خرّق في أمر فلا بدّ أن يعود عليه شؤمه . وهذا الكلام يروى حديثاً
مرفوعاً إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، وأنّه قال : الرّفقُ يُمْنٌ والخرقُ شؤمٌ .
وقال أيضاً صلّى الله عليه وسلّم : إنّ الله يحبُّ الرّفقَ في الأمر كلّهِ . وقال :
مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ، وَمَا كَانَ الْخُرْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ
وقال : يَا عَائِشَةُ، مَنْ أَعْطَى حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ أَعْطَى حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ حُرِمَ حَظُّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ . وقال صلّى الله عليه وسلّم : إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ بَيْتٍ
أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ . وقال صلّى الله عليه وسلّم : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
لَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْخُرْقِ . وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى
عَبْدًا أَعْطَاهُ الرَّفْقَ، وَمَا مِنْ أَهْلٍ بَيْتٍ يُحْرَمُونَ الرَّفْقَ إِلَّا قَدْ حُرِمُوا .
وقال صلّى الله عليه وسلّم : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي
عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ . وقال صلّى الله عليه وسلّم : يَا عَائِشَةُ
ارْقِي فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ كَرَامَةً دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ
الرّفقِ . وقال صلّى الله عليه وسلّم : مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ .
وقال صلّى الله عليه وسلّم : التَّائِبُ مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ . وقال

(3) صحفت كلمة « اليمن » في ب، فكتبت « اليمنى » .

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ، فَإِنَّ
الْمُنْبِتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى.

وما أحسن قول أبي الفضل [بن] النحوي في هذا :
وَالرَّفَقُ يَدُومُ لِصَاحِبِهِ وَالْخُرْقُ يَصِيرُ إِلَى الْهَرَجِ
خَرْقَاءُ عِيَابَةٍ .

الْعِيَابَةُ : التي تعيب النَّاسَ كثيرا . وهذا مثلك للأحمق وذو العيوب، يعيب غيره
وينسى عيوبه . قال إسماعيل بن القاسم :
يَا مَنْ يَعِيبُ وَعَيْبُهُ مُتَشَعِّبٌ كَمْ فِيكَ مِنْ عَيْبٍ وَأَنْتَ تَعِيبُ !
لِلّٰهِ دَرْكٌ كَيْفَ أَنْتَ وَغَايَةٌ يَدْعُوكَ رُبَّكَ عِنْدَهَا فَتُجِيبُ ؟
وفي الحديث : طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ !

أُخْرِقُ مِنْ حَمَامَةٍ .

الْخُرْقُ مَرٌّ، وَالْحَمَامُ أَيْضًا تَقَدَّمَ مَا فِيهِ، وَوُصِفَ بِالْخُرْقِ لِأَنَّ الْحَمَامَةَ تَبْيِضُ عَلَى
أَعْوَادٍ وَلَا تَحْكُمُ عَشَّهَا، فَرَبَّمَا وَقَعَ بَيْضُهَا فَتَكْسَرُ . وقد تَأْتِي إِلَى غَصْنِ شَجَرَةٍ فَتَبْنِي
عَلَيْهِ عَشَّهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَحْرَكُهُ الرِّيحُ، فَلَا يَكَادُ يَسْلَمُ بَيْضُهَا . قال عبيد بن
الأبرص :

عَيَّوْا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَّتْ بِبَيْضَتِهَا الْحَمَامَةُ
جَعَلَتْ لَهَا عَوْدِينَ مِنْ نَشْمٍ وَآخِرَ مِنْ ثُمَامَةٍ
ويقال أيضا : أَحْمَقُ مِنْ حَمَامَةٍ .

خَرْقَاءُ وَجَدَتْ صُوفًا .

تَقَدَّمَ أَنَّ الْخُرْقَ يَكُونُ بِمَعْنَى عَدَمِ الْإِتْقَانِ ؛ وَالْمَرْأَةُ الْخَرْقَاءُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى ضِدَّ
الصَّنَاعِ ؛ وَالصُّوفُ مَعْرُوفٌ، الْبَعْضُ مِنْهُ صُوفَةٌ .

وَمَعْنَى الْمَثَلِ أَنَّ الْمَرْأَةَ غَيْرَ الصَّنَاعِ إِذَا وَجَدَتْ صُوفًا عَائَتْ فِيهِ وَوَدَّرَتْهُ . يُضْرَبُ مَثَلًا

لأحمق يجد مالا فيضيعه ويتلفه، أو لمن يخرق في كل⁽⁴⁾ ما وجده وتمكّن منه .
يُحكى أنّ الحسن رضي الله عنه لقي سابق الحاج وهو يسرع، فجعل [الحسن] يومئ إليه
بأصبعه كفعل الغزالة ويقول : خَرَقَاءُ وَجَدَتْ صُوفًا .
وهذا المثل كالمثل الآخر الآتي : عَبْدٌ وَخَلَّى فِي يَدَيْهِ .

أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ أَبِي غُبْشَانَ .

الخَسَارَةُ ضدّ الرِّبْح . خَسِرَ الرجل - بالكسر - يَخْسِرُ خَسْرًا وخَسَارَةً : وأَبُو
غُبْشَانَ هو الخزاعي . وتقدّم هذا المثل وما كان من قصّته في حرف الحاء المهملة.

خَشٍ ذُوْالَةَ، بِالْحِبَالَةِ .

الْخَشِيَّةُ : الْخَوْفُ، خَشِيَ - بالكسر - يَخْشَى خَشْيَةً ؛ وَخَشِيَّتُهُ أَنَا
تَخْشِيَّةٌ : خَوْفَتُهُ ؛ وَخَشَى فَلَانًا تَخْشِيَّةً : خَوْفَهُ ؛ وَذُوْالَةَ - بَذال معجمة،
على مثال ثُمَامَةَ - الذئب، مأخوذ من الذَّلَّالَن، وهو مشية فيها إسراع أو خفة وميبس .
يقال : ذَالَ يَذَالُ ذَالًا وَذَالَانَا إِذَا مَشَى تِلْكَ الْمَشِيَّةُ ؛ وَالْحِبَالَةُ : الَّتِي يُصَادُ
بِهَا .

والمعنى : خوف الذئب بالحبالة . يُضْرَبُ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْتَهْدِيدِ وَالتَّبْرِيقِ .

خَشِيَّةٌ خَيْرٌ مِنْ مَلْءٍ وَأَدٍ حُبًّا .

أَي : أَن تَخَافَ أَرْفَعَ لِمَقْدَارِكَ وَأَسْمَى لِحَنَابِكَ مِنْ أَنْ تُحَبَّ .
وهذا كقولهم : رَهْبُوتِي، خَيْرٌ مِنْ رَحْمُوتِي ؛ وقول الغضبان بن القبعثري
للحجاج : أَوْ فَرَقْ خَيْرٍ مِنْ حَبِينٍ، وَسَيَأْتِي .

أَخْطَأْتُ اسْتِكَ الْحُفْرَةَ .

الْخَطَأُ ضدّ الصَّوَابِ . يَقَالُ : أَخْطَأَ يَخْطِئُ إِخْطَاءً فَهُوَ مُخْطِئٌ ؛ وَيَقَالُ

(4) فِي ب : فِي كُلِّ عَامٍ مَا وَجَدَهُ...

خَطِيءٌ - بالكسر - يَخْطَأُ إذا سلك سبيك الخطأ، عامداً أو غير عامد، فهو خاطيء .
 وقيل : الخاطيء هو المتعمد ؛ والاسْتُ - بهمزة وصل - والسَّتَه : الدُّبُرُ أو حلقتَه ؛
 والحفرة - بضم الحاء - معروفة . وهذا المثل يُضرب لِمَنْ يحيد عن الصَّواب في
 مقصده، ويضع الشيء في غير موضعه . ومعناه ظاهر .

أَخْطَأُ مِنْ ذُبَابٍ .

الخطأ مرّ، وكذا الذُّبابُ، ووُصف بالخطأ لأنَّه يقع في الهلاك بنفسه : فقد يسقط
 في الماء الحارَّ فيموت، أو في الشيء الذي يلتزق به ولا يتخلَّص منه.

أَخْطَأُ مِنْ فَرَّاشٍ .

الفرَّاش - بفتح الفاء، بوزن سحاب - هو الذي يتهافت على السراج، واحده فرَّاشة .
 ووُصف بالخطأ أيضاً كما ذكر في الذباب، لأنَّه يلقي نفسه على السراج والنَّار كلها فيحترق .
 وقال الشاعر:

جَهَالَةُ سَنُورٍ وَخَطْءُ فَرَّاشَةٍ وَإِنَّكَ مِنْ كَلْبٍ التَّهَارُشِ أَجْهَلُ
 وفي الحديث : إِنَّكُمْ تَتَهَافَتُونَ فِي النَّارِ تَهَافُتَ الْفَرَّاشِ وَأَنَا أَخِذٌ
 بِحُجَزِكُمْ، أو كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 وما أحسن قول بعض الأدباء :

لَهَيْبُ الْخَدِّحِينَ بَدَأَ لِيَطْرُقِي هَوَى قَلْبِي عَلَيْهِ كَالْفَرَّاشِ
 فَأَحْرَقَهُ فَصَارَ عَلَيْهِ خَلَا وَهَذَا أَثَرُ الدُّخَانِ عَلَى الْحَوَاشِي
 وقول الآخر :

جَلَّتْ مَخَاسِنُهُ عَنْ كُلِّ تَشْبِيهِ وَجَلَّ عَنْ وَاصِفٍ فِي الْحُسْنِ يَحْكِيهِ
 أَنْظَرُ إِلَى حُسْنِهِ وَاسْتَغْنَى عَنْ صِفَةٍ سُبْحَانَ خَالِقِهِ سُبْحَانَ بَارِيهِ !
 النَّرْجِسُ الْغَضُّ وَالْوَرْدُ الْجَنِيُّ لَهُ وَالْأَقْحَوَانُ النَّصِيرُ الضَّوُّ فِيهِ
 دَعَا بِالْحَظِّ قَلْبِي إِلَى عَطْيِي فَجَاءَهُ مُسْرِعًا طَوْعًا يُلَبِّيهِ
 مِثْلَ الْفَرَّاشَةِ تَأْتِي إِذْ تَرَى لَهَا إِلَى السَّرَاجِ فَتُلْقِي نَفْسَهَا فِيهِ

الْخُنْفَسَاءُ إِذَا مُسَّتْ نَتْنَتْ .

الْخُنْفَسَاءُ : الدُّوَيْبَةُ السوداءُ المعروفة . يقال إِنَّهَا خُنْفَسَاءٌ وَخُنْفُسٌ وَخُنْفَسَةٌ ، ونونها زائدة . والنَّتْنُ قبح الرائحة . يقال : نَتْنُ الشَّيْءِ - بالضم - وأنتنَ ، فهو مُنتِنٌ . والْخُنْفَسَاءُ معروفة بالنَّتْنِ ، فيضرب ذلك مثلا للرجل المشتعل على الخبث والعيب ، وأنه يُترك ويُجتنب . والمعنى : لا تفتش ما عنده فإنه يوزيك بنتن معائبه !

أَخَفُ حِلْمًا مِنْ بَعِيرٍ .

الْخَفُ ضدُّ الثَّقَلِ . خَفَ الشَّيْءُ يَخْفُ خِفَةً ، فهو خَفِيفٌ . والقياس خَافٌ - كَدَبٌ يَدِبُ فهو دَابٌ - . ولكن حملوا الخِفَةَ على ضدِّها - وهو الثقل - خَفِيفٌ ، كما قالوا : ثَقِيلٌ . والحِلْمُ تقدّم . والبَعِيرُ معروف . وهذا كما قال الحماسي :
لَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
يُصْرَفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهِ وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ

أَخَفُ حِلْمًا مِنْ عُصْفُورٍ .

الْحِلْمُ مَرٌّ ، والعُصْفُورُ : الطَّائِرُ الصغير المعروف ، وهو على أنواع كثيرة . والأنثى عُصْفُورَةٌ . قال الشاعر :

كعُصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلٍ يَسُومُهَا حِيَاضُ الْمَنَايَا وَهُوَ يَلْهُو وَيَلْعَبُ
وَيُضْرِبُ الْمَثَلُ فِي خِفَّةِ الْحِلْمِ بِالْعُصْفُورِ ، ولا خفاء بذلك . قال حسَّان بن ثابت ، رضي الله عنه :

لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طَوْلٍ وَمِنْ عِظَمٍ . جِسْمُ الْبَغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ !
وقال الآخر :

إِنْ يَسْمَعُوا سُبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا عَنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
مَثَلُ الْعَصَافِيرِ أَحْلَامًا وَمَقْدَرَةٌ لَوْ يوزنونَ بِزِفِّ الرِّيشِ مَا وَزَنُوا

أَخَفُ رَأْسًا مِنْ ذِئْبٍ .

الذِّئْبُ معروف، ويُوصف بخِفَّةِ الرأس - ويعنون في النوم - لما يزعمون من أنه لا ينام إلا بإحدى مقلتيه، كما قيل :
يَنَامُ بِأَحَدَى مَقْلَتَيْهِ وَبِتَقْيِ بَأْخَرَى الْمَنَايَا فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ
وقالوا أيضا : أَخَفُ رَأْسًا مِنْ الذِّئْبِ وَمِنْ الطَّائِرِ .

أَخَفُ مِنْ لَا عَلَى اللِّسَانِ .

الخِفَّةُ مرَّت، ولا : حرف نفى، وهي خفيفة على اللسان . فيضرب المثل بذلك في الخِفَّةِ، وهو يحتمل أن تكون الخِفَّةُ من جهة اللفظ لِقَلَّتِهِ وهو ظاهر، أو من جهة المعنى لملائمه الانكار للطبع غالبا، وخِفَّةُ التبرِّي والتنصّل على النفس في أكثر الأمور، أو منهما معًا . ويقال أيضا : كَلَا وَلَا، في التعبير عن السرعة والخِفَّةِ . قال :
يَكُونُ نَزُولُ الْقَوْمِ فِيهَا كَلَا وَلَا غَشَاشًا وَلَا يُدْنُونَ رَحْلًا إِلَى رَحْلٍ
غَشَاشًا : أي على عَجَل . وقال الآخر :
وَأُرْوَعُ أَهْدَاهُ لِيِ اللَّيْلِ وَالْفَلَا وَحَسَّ بِمَسِّ الْأَرْضِ لَكِنْ كَلَا وَلَا

أَخَفُ مِنْ يِرَاعَةٍ .

الْيِرَاعَةُ - بفتح الياء المثناة من تحت، ثم راء، ثم ألف، ثم عين مهملة - واحد اليراع، وهو يُطلق على القصب وعلى طائر يطير بالليل كأنه نار . وهو في هذا المثل يجوز أن يراد به القصبه وأن يراد به الطائر .
والمعنى الأوّل هو مراد البلغاء والأدباء عند وصف أحد بالكتابة . وقولهم مثلا : إن فلانا من أرباب اليراعة، وفرسان اليراعة، وهذا في الشعر والنثر لا يُحصى .

تَخَلَّصَتْ قَائِبَةً مِنْ قُوبٍ .

التَّخَلُّصُ : النِّجَاةُ . خَلَّصَتْ الرَّجُلَ تَخْلِيصًا، فَتَخَلَّصَ هو : نَجَا ؛
وَالْقَائِبِيَّةُ : الْبَيْضَةُ ؛ وَالْقُوبُ : الْفَرْخُ ؛ وَأَمَّا بِالْفَتْحِ فَمَصْدَرٌ . يقال : قَابَ

الطَّائِرُ بَيَضَتْهُ إِذَا فَلَقَهَا، قُوبًا، فَانْقَابَتْ هِيَ وَتَقَوَّبَتْ .

ومعنى تَخَلَّصَتْ قَابِيَّةٌ مِنْ قُوبٍ - على هذا - : تَخَلَّصَتْ البَيْضَةُ مِنَ الْفَرْخِ .
يُضْرَبُ لِمَنْ انْفَصَلَ مِنْ صَاحِبِهِ . وَعَلَيْهِ، فِي الْمَثَلِ قَلْبٌ، لِأَنَّ الَّذِي يَتَخَلَّصُ هُوَ الْفَرْخُ لَا
الْبَيْضَةُ ؛ غَيْرَ أَنَّهُ يَصَحُّ إِسْنَادُهُ إِلَى الْبَيْضَةِ بِاعْتِبَارِ، كَمَا تَقُولُ : تَخَلَّصَتْ الْحَامِلُ مِنْ ذِي
بَطْنِهَا . وَقِيلَ إِنَّ الْقَائِيَةَ الْفَرْخَ، وَالْقُوبَ الْبَيْضَةَ ؛ وَعَلَيْهِ فَلَا قَلْبَ، وَالْأَوَّلُ أَنْسَبُ .
وَلَفْظُ الْمَثَلِ عِنْدَ الْجَوْهَرِيِّ : بَرَّتْ قَائِيَّةٌ مِنْ قُوبٍ . وَهَذَا اللَّفْظُ لَا يَكُونُ [مَعَهُ
قُلُوبٌ] عَلَى كَلَا التَّفْسِيرَيْنِ، لِأَنَّ نِسْبَةَ الْبَرَاءَةِ إِلَيْهِمَا مَعًا صَحِيحَةٌ .
وَحُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا اسْتَخْفَرَ أَحَدًا فَقَالَ لَهُ : إِذَا بَلَغْتُ بِكَ مَكَانَ كَذَا فَبَرِّتْ قَائِيَّةً مِنْ
قُوبٍ، أَيِ فَقَدْ تَخَلَّصْتُ مِنْ خُفَّارَتِكَ .

اِخْتَلَطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ .

الْاِخْتِلَاطُ مَعْرُوفٌ ؛ وَالْحَابِلُ الَّذِي يَصِيدُ الْبَيْضَ بِالْحَبَالَةِ ؛ وَالنَّابِلُ الَّذِي يَصِيدُهُ
بِالنَّبْلِ، فَيُضْرَبُ ذَلِكَ فِي اخْتِلَاطِ الرَّأْيِ، وَيُقَالُ الْحَابِلُ هُنَا هُوَ السَّدَى وَالنَّابِلُ الطُّعْمَةُ .
وَهَذَا كَمَا مَرَّ فِي قَوْلِهِمْ : حَوَّلَ حَابِلُهُ عَلَى نَابِلِهِ .

اِخْتَلَطَ الْخَائِرُ بِالزُّبَادِ .

هَذَا الْمَثَلُ كَالَّذِي قَبْلَهُ . وَالْخَائِرُ ضِدُّ الرَّقِيقِ . يُقَالُ : خَيْرَ اللَّبَنِ - بِالضَّمِّ - وَالْكَسْرِ -
فَهُوَ خَائِرٌ . وَالزُّبَادُ - عَلَى مِثَالِ رُمَّانٍ - نَبْتٌ، وَالزُّبَادُ أَيْضًا مِنَ اللَّبَنِ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ .
فَكَانَ الْمَعْنَى أَنَّهُ اخْتَلَطَ الْجَيِّدُ بِالرَّدِيِّ، وَالصَّحِيحُ بِالسَّقِيمِ .
وَقَالَ الْبُكْرِيُّ فِي شَرْحِ الْأَمْثَالِ : الزُّبَادُ نَبْتٌ كَانُوا يَضَعُونَ وَرْقَهُ عَلَى ظُرُوفِ اللَّبَنِ . وَيُقَالُ
أَيْضًا : زَبَدَتِ الْمَرْأَةُ الصُّوفَ وَالشَّعْرَ إِذَا نَفَسَتْهُ . فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ فِي الْمَثَلِ أَنَّ خَائِرَ
اللَّبَنِ اخْتَلَطَ بِمَنْفُوشِ الصُّوفِ، فَلَا يُوَكَّلُ . انْتَهَى . وَمَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا أَظْهَرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

خَلَعَ الدَّرْعَ بِيَدِ الزَّوْجِ .

هَذَا مَثَلٌ يَضْرَبُ عِنْدَ الْخَطَا فِي وَضْعِ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَتَقَدَّمَ قِصَّتُهُ وَمَنْ قَالَ
فِي حَرْفِ الْجِيمِ، عِنْدَ قَوْلِهِمْ : التَّجْرِيدُ لِغَيْرِ نِكَاحٍ مُثَلَّةٌ، فَانْظُرْ هُنَاكَ .

أَخْلَفُ مِنْ صَقَرٍ .

يقال : خَلَفَ فَمُ الصَّائِمُ - بفتح اللام - يَخْلُفُ خُلُوفًا وَخُلُوفَةً - بضمهما ؛ وأخلف إذا تَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُ . ومنه : نَوْمَةُ الضُّحَى مَخْلُفَةٌ لِلْفَمِ . وفي الحديث أيضا : لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ . والصَّقَرُ : الطائر المعروف، وتقدَّم . ضربوا المثل بخُبث رائحة فمه .

أَخْلَفُ مِنْ عُرْقُوبٍ .

أَخْلَفُ اسم تفضيل، من الاخلاف في الوعد . لكن المعروف فيه الرباعي . يقال : أَخْلَفَنِي فلانٌ ما وَعَدَنِي، وهو أن يقول شيئا ولا يفعله على الاستقبال . وقد يقال : أخلفه إذا وجد وعده خلفا . قال الأعشى :
أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُزَوِّدَا فَمَضَتْ وَأَخْلَفَ مِنْ قَتِيلَةٍ مَوْعِدَا
أَي مَضَتِ اللَّيْلَةُ .

نعم، يجوز بناء اسم التفضيل من الرباعي على أَفْعَلَ عند بعض المحققين، كأعطى . وعرقوب رجل من العمالقة وعد أخاه تمرا فأخلفه، وسيأتي . قال علقمة :
وَقَدْ وَعَدْتُكَ مَوْعِدًا لَوْ وَفَّتْ بِهِ مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بَيْثَرِبِ⁽⁴⁾
وقال كعب بن زهير، رضي الله عنه :
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مِثْلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
وَقُلْتُ أَنَا مِنْ قَصِيدَةٍ :

فَسِيحَتْ بِكَ بَوَعْدٍ غَانِيَةٍ أَوْ وَعْدِ عُرْقُوبٍ جَنَى التَّمْرِ

خَلَّه دَرَجَ الضَّبِّ !

النَّخْلِيَّةُ : التَّرْكُ ؛ والدَّرَجُ - بفتح الحين - الطريق ؛ والضَّبُّ معروف . والمثل يضرب في الأنفة من مصاحبة مَنْ يُرْغَبُ عَنْ صَحْبَتِهِ .
والمعنى : خَلَّدَ يَهْـبُ حَيْثُ شَاءَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ الذَّهَابُ، كَأَنَّهُ قِيلَ : يَذْهَبُ ذَهَابًا

(4م) سقط ما بين معقوفتين من د .

الضَبَّ !، أي خَلَّه كضلال الضَّبِّ !، لأنَّ الضَّبَّ أسوأَ الحيوان هدايةً، ولذلك يضرب به المثل فيقال . أَضَلُّ مِنْ ضَبِّ . ويقال أيضا : خَلَّ دَرَجَ الضَّبِّ !، أي خَلَّ طريقه لئلاَّ يمرَّ بين يديك فتنتفخ ! وهذا قريب في المعنى ممَّا تقدَّم من قولهم : الخنفساءُ إذا مُسَّتْ نَتْنَتْ، كما مرَّ ذلك.

خَلَّ سَبِيلَ مَنْ وَهَى سِقَاؤُهُ !

التَّخْلِيَّةَ مرَّت، وتقول : خَلَّيْتُ سَبِيلَ الرَّجُلِ إذا تركته ولم تتعرَّضْ له .
وَوَهَى السَّقَاءُ - بالفتح - يَهِي وَهْيًا : تَمَرَّقَ . والسَّقَاءُ - بالكسر والمد - القِرْبَةُ .
قال الشاعر :

أَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ لَمَّا سَقَاؤُنَا، ونحنُ بوادي عبدِ شمسٍ، وَهَى : شِمِرُ !
أي أقول له، حين وَهَى سِقَاؤُنَا ونحن بوادي عبد شمس : شِمِرُ البرَقْ ! أي انظر إليه ! فشِمِرُ، في آخر البيت، فعل أمر، وهو معمول القول . وهذا المثل قد يروى رجزاً فيقال :

خَلَّ سَبِيلَ مَنْ وَهَى سِقَاؤُهُ وَمَنْ هَرِيقَ بِالْفَلَاةِ مَأْوُهُ
يقال : أَرَقْتُ وَهَرَقْتُ - بقلب الهمزة هاء - فَأَنَا مُرِيقٌ وَمُهْرِيقٌ - بفتح الهاء - وكان القياس حذف الهاء لأنَّها في مكان همزة أفْعَلَ . وهي تُحذف في المضارع لكنَّها، لَمَّا صارت هاء ذهب الثقل فبقيت . قال الشاعر :

فَطَلَلْتُ كَالْمُهْرِيقِ فَضْلَةَ مَائِهِ فِي ظِلِّ هَاجِرَةٍ لِلْمَعْرِ سَرَابٍ
وقد يقال : أَهْرَقْتُهُ - بتسكين الهاء، والجمع بين الهمزة وبدلها - تناسيا للأصل، فَأَنَا مُهْرِيقٌ - بالسكون أيضا . قال :

فَصِرْتُ كَمُهْرِيقِ الَّذِي فِي سِقَائِهِ لِرُقْرَاقِ آلِ فَوْقَ رَابِيَةٍ صَلْدٍ
وَالْفَلَاةُ : الْقَفْرَةُ، والجمع فَلَى وفَلَوَاتٌ .

وهذا المثل كالذي قبله مضرباً . وقد قيل إنَّه يضرب في الرجل لا يستقيم في أمره، وإنَّه لا ينبغي أن يعانى . وقيل إنَّه يضرب في اقتناء السرِّ، بمعنى أنَّه إذا باح صاحبك بسرِّك ونضح به، كما ينضح هذا السقاء الواهي بالماء، فدعَّه عنك ولا تؤاخه ولا تصاحبه، فلا خير لك فيه ! وهذا مناسب لتشبيههم مَنْ لا يكتُم السرَّ بالغربال، كما قال الحطيئة :

أَغْرَبَالَا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ ؟

خَلَاؤُكَ أَقْنَى لِحَيَائِكَ .

الْخَلَاءُ - بفتح الخاء والمدّ - يطلق مصدرًا من قولك : خَلَا المكانُ وغيره، يَخْلُو خَلَاءً وَخُلُوًّا . ومكان خَالٍ وَخَلَاءٌ : لا أحدَ به . قال حسان، رضي الله عنه : عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءُ إِلَى عِذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلَاءٌ . وقد يُطلق على الْمُتَوَضَّأِ، كما في الحديث، ويطلق على المكان القفر لا شيء به، وهو المراد . قال زهير :

قَامًا مَا فُؤِيقَ الْعِقْدِ مِنْهَا فَمِنْ أَدْمَاءَ مَرْتَعُهَا الْخَلَاءُ
وَالْحَيَاءُ - بالمدّ - معروف . وَقْنِي الرجلُ الحَيَاءُ وَقْنَاهُ - بالكسر والفتح - وأقْنَاهُ
وَأَقْتَنَاهُ : لَزِمَهُ وحفظه . قال عنتره :

قَامَتْ تَخَوُّفِي الْحُتُوفَ كَأَنَّنِي أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْحُتُوفِ بِمَعْزِلِ (5)
فَأَجَبْتُهَا : إِنْ الْمَنِيَّةُ مِنْهُ لَابُدَّ أَنْ أَسْقَى بِكَاسِ الْمَنْهَلِ
فَأَقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَأَعْلَمِي أَنِّي أَمْرٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أَقْتَلِ !
أي : الزمى حياءك واحفظيه ولا تضيّعه ! وقال العطوي :

أَيَقْنِي جَمِيلَ الصَّبْرِ مِنْ هُدًى رُكْنِهِ وَهَيْضَ جَنَاحَاهُ وَجُدَّ الْأَنَامِلِ ؟
ومعنى المثل أن منزلك، إذا خلوت به، هو ألزم وأحفظ لحياك

الْخَلَّةُ، تَدْعُو إِلَى السَّلَّةِ .

الْخَلَّةُ - بفتح الخاء - الْحَاجَةُ وَالْخَصَاصَةُ وَالْفَقْرُ . قال :
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ !
ويقال للرجل إذا مات : اللَّهُمَّ اخْلُفْ عَلَى أَهْلِهِ بِخَيْرٍ وَاسْدُدْ خَلَّتَهُ ! أي فُرْجَتَهُ
التي تركها . قال أوس بن حجر :

لَهْلُكَ فُضَالَةٌ لَا تَسْتَوِي الْفُقُودُ وَلَا خَلَّةُ الدَّاهِبِ

(5) يروى أيضا : بَكَرَتْ تَخَوُّفِي...

يقول : إِنَّهُ كَانَ سَيِّدًا ، فَلَمَّا مَاتَ تَرَكَ ثُلُمَةً لَمْ تُسَدَّ . تقول : خَلَّ الرَّجُلُ ، وَأَخْلَ بِهِ - بِالضَّمِّ - إِذَا احتاج . وَرَجُلٌ مُخَلٌّ وَمُخْتَلٌّ وَخَلِيلٌ ، أَيُّ فَقِيرٍ . قَالَ زُهَيْرٌ :
وإن أتاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ : لا غَائِبٌ مَالِي ولا حَرَمٌ
وَاخْتَلَّ إِلَيْهِ : احتاج . وفي كلام ابن مسعود : عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ ! فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا
يَدْرِي مَتَى يُخْتَلُّ إِلَيْهِ ، أَيُّ مَتَى يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى مَا عِنْدَهُ . وَمَا أَخْلَكَ إِلَيْهِ ، أَيُّ
مَا أَحْوَجَكَ ! وَالْأَخْلُ الْأَفْقَرُ . ويقولون : « الْأَخْلُ فَلَا أَخْلَ » ، أَيُّ الْأَفْقَرِ فَلَا أَفْقَرَ .

وَالسَّلَّةُ - بفتح السين - : السَّرِقَةُ . وكذا الاسْلَالُ . ويقال : لي في بني فلان سَلَّةٌ ، أَيُّ
سَرِقَةٍ . والمعنى أَنَّ الحاجة والخصاصة تدعو إلى السَّرِقَةِ وتُلْجِئُ إِلَيْهَا ، عِيَاذًا بِاللَّهِ تَعَالَى !
وَأَمَّا الْخُلَّةُ - بضمّ الخاء - فهي الصداقة . والصديق أيضا للذكر والأنثى ، رَجُلٌ خُلَّةٌ لِي
وَامْرَأَةٌ خُلَّةٌ . قَالَ امرؤ القيس :

وكانَ لها في سالفِ الدَّهْرِ خُلَّةٌ يُسَارِقُ بِالطَّرْفِ الْخِبَاءَ الْمُسْتَرًّا
أَيُّ خَلِيلٍ . وقال الآخر :

أَلَا أَبْلِغَا خُلَّتِي جَابِرًا بَأَنَّ خَلِيلَكَ لَمْ يَقْتُلْ !
وقال الآخر :

شَبَعْتُ مِنْ نَوْمٍ وَزَاحَتْ عَلَّتِي وَطَرَقَتْنِي فِي الْمَنَامِ خُلَّتِي
وَمَا عَلِمْتُ أَنَّهَا أَلَمَّتْ حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا وَوَلَّتْ
أَيُّ خَلِيلَتِي .

خَالَكَ الْجَوُّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي !

الْجَوُّ معروفٌ ؛ وَبَاضَتِ الدَّجَاجَةُ وَنَحَوَهَا ، تَبْيِضُ ؛ وَصَفَرَ الطَّائِرُ ، يَصْفَرُ ،
صَغِيرًا : صَوَّتَ .

وهذا المثل يضرب للأمر يقدر عليه الإنسان متمكنا . وأوَّلُ مَنْ قَالَهُ كَلَيْبُ بْنُ رَبِيعَةَ
التَّغْلِبِيُّ الْوَاهِلِيُّ فِي شعر له ، وذلك أَنَّهُ كَانَ لَهُ حِمِيٌّ لَا يَقْرُبُ ، فَبَاضَتْ فِيهِ قُبْرَةٌ ؛
وَالْقُبْرَةُ - بضمّ القاف وفتح الباء المشددة - الطائر المعروف ؛ فَأَجَارَهَا وَقَالَ يَخَاطِبُهَا :

(5م) يروى أيضا : يَوْمَ مَسْغَبَةٍ .

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَائِكَ الْجَوْ فَبِيضِي وَاصْفِرِي !
وَنَقَرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي !

وذلك أَنَّهُ إِنَّمَا يَصْفَرُ الطَّائِرُ وَيَتَغَنَّى فِي الْخَصْبِ . فَدَخَلَتْ نَاقَةُ الْبَسُوسِ الْحُمَى ، فَوَطَّئَتْ
بِيضَ الْقُبْرَةِ ، فَرَمَى كَلِيبُ ضَرْعَهَا ، فَقَتَلَ جَسَاسَ كَلِيبَا ، وَهَاجَتْ مِنْ ذَلِكَ حَرْبُ الْبَسُوسِ بَيْنَ
بَنِي وَائِلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

كَلِيبٌ لِعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ جَرْمًا مِنْكَ ضَرْجٌ بِالدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بِطَعْنَةٍ كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُسْهِمِ
وَسَيَاتِي تَتَمَّةُ هَذَا الْحَدِيثِ .

وَقِيلَ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَهُ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ لِأَمِّهِ وَهُوَ غَلَامٌ : إِنِّي أُرِيدُ صَيْدَ
الْقَنَابِرِ ، فَابْعَثِي أُمَّتَكَ مَعَ الْبَهْمِ ! وَالْقَنَابِيرُ جَمْعُ قُنْبُرَةٍ وَهِيَ الْقُبْرَةُ ، فَقَالَتْ لَهُ
أُمُّهُ : يَا بَنِيَّ ، إِنَّ الْمَضِيعَ مِنْ وَكَلٍ مَالِهِ وَأَضَاعَ عِيَالَهُ . ثُمَّ إِنَّهَا أَرْسَلَتْ أُمَّتَهَا مَعَ الْبَهْمِ
. وَخَرَجَ طَرْفَةُ وَصَاحِبُ لَهُ مَعَهُمَا فَخًى ، حَتَّى أَتَيَا مَكَانًا كَانَا يَعْمَدَانِ بِهِ الْقَنَابِرَ كَثِيرَةً .
فَنَصَبَ الْفَخَّ ، وَتَنَحَّيَا غَيْرَ بَعِيدٍ . فَجَعَلَتْ قُبْرَةً تَحُومُ حَوْلَ الْفَخِّ ، ثُمَّ نَقَرَتْهُ فَأَخْطَأَهَا .
فَأَقْبَلَ طَرْفَةُ نَحْوَ فَخِّهِ وَهُوَ يَقُولُ : قَدْ يَعْثُرُ الْجَوَادُ ، وَتُمَحِلُ الْبِلَادُ ، وَيُنْهَبُ التَّلَادُ ،
وَيُضْعَفُ الْجِلَادُ ، وَالْفَخُّ قَدْ يُعَادُ . ثُمَّ نَصَبَ فَخَّهَ ، فَوَقَعَتِ الْقَنَابِرُ حَوْلَ الْفَخِّ ، وَهِيَ
تَحِيدُ عَنْهُ وَتَلْقُطُ مَا أَصَابَتْ . فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ بِهِ ، ضَجَرَ وَانْتَزَعَ فَخَّهَ وَهُوَ يَقُولُ :

قَاتَلَكُنَّ اللَّهُ مِنْ قَنَابِيرٍ مُهْتَدِيَاتٍ بِالْفَلَا نَوَافِرٍ
وَلَا سَقِيئِنَّ مَعِينَ الْمَاطِرِ وَلَا رَعِيئِنَّ جَنُوبَ الْحَاجِرِ !
وَانصَرَفَ هُوَ وَصَاحِبُهُ رَاجِعَيْنِ . ثُمَّ التَفَتَ ، فَإِذَا الْقَنَابِرُ قَدْ سَقَطْنَ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي نَصَبَ
فِيهِ فَخَّهَ يَلْتَقِظْنَ ، فَقَالَ : يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ ... الْأَبْيَاتُ الْمَذْكُورَةُ . فَلَمَّا أَتَى مَنْزِلَهُ ،
وَرَأَتْهُ أُمُّهُ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، قَالَتْ لَهُ : حَدِّثْكَ الْيَوْمَ حَادً ، وَصَدِّكَ صَادً ! فَقَالَ لَهَا طَرْفَةُ :
مَا كُنْتُ مُحَدِّدًا إِذَا غَدَوْتُ وَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا لَقِيتُ
مِنْ طَائِرٍ ظَلَّ بِنَا يَحُوتُ يَنْصَبُ فِي اللَّوْحِ فَمَا يَفُوتُ
يَكَادُ مِنْ رَهْبَتِنَا يَمُوتُ !

فَقَالَتْ أُمُّهُ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ شَاعِرًا ، وَأَنْ تَشَبِهَ خَالِكَ ! وَحَاتَ ، يَحُوتُ : أَسْرَعَ .

ورد أن ابن عباس، رضي الله عنهما، تمثّل بهذا المثل، وذلك حين خرج الحسين، رضي الله عنه، إلى العراق، فلقي ابن عباس ابن الزبير، فقال له : خلاك الجو فبيضي واصفري . هذا حسين يخرج إلى العراق ويخلّي لك الحجاز !

خَامِرِي أُمَّ عَامِر !

خَامِرِي : معناه استتري وتغطي ، كأنّه من التخمر وهو التغطية والستر . ومنه الخمر والخمار ؛ وأُمُّ عَامِر : الضبع . قال :

وَمَنْ يَجْعَلَ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ يُلَاقِي الَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ
وسياتي . وللضبع كُنَى كثيرة : يقال لها أُمُّ عَامِرٍ - وأُمُّ عَمْرٍو، وأُمُّ الْهَنْبَرِ، وأُمُّ خَنْوَرٍ ؛ ويقال لها أيضا : حَضَاجِرُ - بفتح الحاء - على وزن الجمع، وجَعَارُ، وجِيَالُ؛ ويقال لها الْمُوقَفَةُ . قال معاوية بن زهير :

فَدُونَكُمْ بَنِي لَايٍ أَخَاكُمْ وَدُونَكُمْ مَالِكَا يَا أُمَّ عَمْرٍ
فَلَوْلَا مَشْهَدِي قَامَتْ عَلَيْهِ مُوقَفَةُ الْقَوَائِمِ أُمُّ أَجْرٍ !
أراد بكونها مُوقَفَةُ الْقَوَائِمِ أَنَّ فِي قَوَائِمِهَا الْأَوْقَافَ، وَهِيَ الْخَلَاحُ، جَمْعُ وَقْفٍ، يَعْنِي السَّوَادَ الَّذِي فِي قَوَائِمِهَا . يُقَالُ : جَارِيَةٌ مُوقَفَةٌ : لَيْسَتْ الْوَقْفُ . وَالْأَجْرِيُّ جَمْعُ جِرْوٍ، وَهِيَ أَوْلَادُهَا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْهَذَلِيِّ :

وَعُودِرَ ثَاوِيَا وَتَاوَوْبَتَهُ مُوقَفَةُ أَمِيمٍ، لَهَا فَلِيكُ
ويقال لها عَرَفَاءُ وَالْخَامِعَةُ - أَيِ الْعَرَجَاءُ - قَالَ الشَّنْفَرِيُّ :
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ : سَيِّدٌ عَمَلَسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرَفَاءُ جِيئَكَ
وقال الآخر :

يَا لَهْفٍ مِنْ عَرَفَاءَ ذَاتِ فَلِيلَةٍ جَاءَتْ إِلَيَّ عَلَى ثَلَاثٍ تَخْمَعُ
وَتَظَلُّ تَنْشِطُنِي وَتُلْحِمُ أَجْرِيَا وَسَطَ الْعَرِينِ وَلَيْسَ حَيٌّ يَدْفَعُ !
لَوْ كَانَ سَيْفِي بِالْيَمِينِ دَفَعْتُهَا عَنِّي وَلَمْ أَوْكَلْ وَجَنِبِي الْأَضْيَعُ
وقال عنتره :

إِنْ يَعْقِرَا مُهْرِي فَإِنَّ أَبَاهُمَا جَزَرَ لِيْخَامِعَةٍ وَنَسَرَ قَشْعَمَ

(6) عَيْنٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (مَادَةٌ فَل) اسْمُ الشَّاعِرِ . سَاعِدَةُ بِنِ جُوْبَةَ، وَرَوَادُ هَكَذَا :
وَعُودِرَ ثَاوِيَا وَتَاوَوْبَتَهُ مُذْرَعَةٌ، أَمِيمٌ، لَهَا فَلِيكُ .

ولذلك قال ابن المهلب : الضَّبْعَةُ العَرَجَاءُ، فلحن في قوله الضبْعَة، إذ لا يقال كما مرَّ .

ويقال إنَّ الذي بها من العَرَج ليس عَرَجًا حقيقة، وإنَّما يتخيَّل كذلك للناظر من إفراط الرطوبة في أحد جانبيها . والضبع أحمق الحيوان، كما مرَّ ذلك في الحاء . وهي أفسقها أيضًا وأشبَقها . يزعمون أنَّها لا يمرُّ بها حيوان من نوعها إلَّا علاها، وأنَّها تقلب الميت على قفاه وتستعمل كمرته، ولذلك يقال لها حين تصطاد : أبشري أمَّ عامر بجراد عضال، وكمر رجال ! يخذعونها بذلك . وقال الشاعر :

فلو مات منهم من جرحنا لأصبحت ضباعٌ بأكناف الشَّريبِ عرائسًا
وقولهم في هذا المثل : خَامِرِي أمَّ عامر، تقدَّم أنَّهم يقولونه للضبع عند الاصطياد يخذعونها به . فبقي مثلًا للمغرور ومن عرف الدنيا وتقلَّبها ونقضها ما أبرمت وسلَّبها ما وهبت، ثمَّ يسكن إليها مع ذلك ويغترُّ بها كما تغترُّ الضبع بقول القائل : خَامِرِي أمَّ عامر . وقال البهاء زهير يشير إليه :

يَا هَذِهِ لَا تَغْلَطِي وَاللَّهِ مَالِي فِيكَ خَاطِرُ
خَدَعُوكِ بِالْقَوْلِ الْمُحَا لٍ فَصَحَّ أَنَّكَ أُمُّ عَامِرُ

الْخَنْقُ، يُخْرِجُ الْوَرَقَ .

الْخَنْقُ - بفتح الخاء وكسر النون، كالكذب - مصدر . يقال : خَنَقْتُهُ - بفتح النون - خَنْقًا، فهو خَنْقٌ أيضًا وخنيق ومخنوق ؛ وخَنَقْتُهُ فَاخْتَنَقَ . والخنَاقُ - بالكسر - الحبُّ يُخْتَنَقُ به - وبالضم - : داءٌ يمتنع معه نفوذ النَّفْسِ إلى الرئة والقلب . والورَقُ - بوزن كَتِفَ - : الدراهم المضروبة، ويقال لها الرِّقَّةُ - بحذف الواو - على مثال عِدَّة، والورَقُ - بفتحتيْن - والورَق - بسكون وتثنية الواو .

والمعنى أَنَّكَ إذا اشتددت على الرجل وضيَّقْتَ عليه، أعطاك . وهذا دأب الدنيء لا يسمح إلا رهبةً أو رغبة، كما قيل :

رَأَيْتُكَ مِثْلَ الْجَوْزِ يَمْنَعُ لُبَّهُ صَاحِبًا وَيُعْطِي لُبَّهُ حِينَ يُكْسَرُ

خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا .

الْخَيْرُ هنا اسم تفضيل . يقال : فلان أَخَيْرُ من فلان . وتحذف الهمزة غالبا فيقال : هو خَيْرٌ منه . فإن أطلق تناول جميع أوصاف المدح، وإن قَيِّدَ بشي تقيِّد ؛ وَالْأُمُورُ جمع أمرٍ وهو عامٌ ؛ وَالْأَوْسَاطُ جمع وسط بمعنى متوسط بين طرفين . وهذا الكلام يروى حديثا، وهو من جوامع كلمه التي أَعْطِيَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو متناول لأُمُور من الديانات والأخلاق والآداب والسياسات والمعاشرات والمعاملات، تعجز عقول الخلق عن إحصائها . وقد صَنَّفَ ذُوو البصائر من أهل العلم في تفاصيل ذلك دواوين . وهو بحر لا ساحل له، جمع له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جملة واحدة كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْتِيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، واختَصِرَ لِي الْكَلَامُ اختصاراً .

قال الجاحظ : ينبغي للرجل أن يكون سخيًّا لا يبلغ التبذير، حائطا لا يبلغ البخل، شجاعا لا يبلغ الهُوجَ، محترسا لا يبلغ الجُبْنَ، حَيِيًّا لا يبلغ العجز، ماضيا لا يبلغ القِحَّةَ، قوًّا لا يبلغ العذرَ، صموتا لا يبلغ العيَّ، حليما لا يبلغ الذُلَّ، منتصرا لا يبلغ الظُّلْمَ، وقورا لا يبلغ البلادة، نافذا لا يبلغ الطيش . قال : ثمَّ وجدت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع ذلك في كلمة واحدة، وهي قوله عليه السلام : خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا وما ذلك إلاَّ لأنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوتي جوامع الكلم . انتهى . وإلى هذا أشار بعض الشعراء بقوله :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاتٌ وَلَا تَرْكَبُ ذُلُولًا وَلَا صَعْبًا !
والآخر بقوله :

[لَا تَذْهَبَنَّ فِي الْأُمُورِ فَرَطًا وَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَسَطًا !
والمعري في قوله] (6) :

فَإِنْ كُنْتَ تَهْوَى الْعَيْشَ فَاْبِغْ تَوْسَطًا فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوُلُ
تَوَقَّى الْبُدُورَ النَّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ وَيُدْرِكُهَا النُّقْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلُ

(6) سقط ما بين معقوفتين من د .

خَيْرُ الْعِشَاءِ سَوَافِرُهُ .

خَيْرٌ : تقدّم ؛ وقال عِشَاءٌ - بالفتح والمدّ - طعام العشيّ . ولا يخرجُه التأخير عن كونه عِشَاءً ، كما قال الحطيئة :

وَأَنَيْتُ الْعِشَاءَ إِلَى سَهِيلٍ أَوْ الشَّعْرَى فَطَالَ بَيْ الأَنْاءِ
وَأَنَيْتُهُ : جعلتُ أَنَاءَهُ - أي وقته - ذلك الزمان المتأخّر . ويروى : وَأَكْرَيْتُ الْعِشَاءَ ...
الخ ، فَطَالَ بَيْ الكَرَاءِ ، أي أَخَرْتُ ؛ والسَّوَاغِرُ جمع سَافِرَةٍ ، يقال أسْفَرَتِ
الشَّمْسُ وسَفَرَتْ إذا أَضَاعَتْ ، وسَفَرَتِ الْمَرْأَةُ عن وجهها : كَشَفَتْ عنه . والمراد أنّ
خير العِشَاءِ ما أكل منه بضوء النهار ، وكأنّ اللقمة حينئذ تسفر للظلام عن وجهها .

وهذا المثل تكلم به الأصمعي للرشيد . ذكر بعض الأدباء عن أبي بكر بن شقير النحوي
قال : دخلنا على محمّد اليزيديّ ، وهو يتغدّى فقال : يا أبا بكر ، خير الغداء بواكره ، فما
خير العِشَاءِ ؟ فقلت : لا أدري . فقال : دخلت على عبيد الله بن سليمان ، وهو يتغدّى ،
فقال : خير الغداء بواكره ، فخير العِشَاءِ ماذا ؟ فقلت : لا أدري . فقال : دخلت على حسين
الخدام ، وهو يتغدّى ، فقال : يا أبا القاسم ، خير الغداء بواكره ، فخير العِشَاءِ ماذا ؟
فقلت : لا أدري . فقال : كنت بحضرة الرشيد ، وهو يتغدّى ، فدخل الأصمعي فقال : يا
أصمعي ، خير الغداء بواكره ، فخير العِشَاءِ ماذا ؟ فقال : بواصره ، ومعناه ما يُبصر من
الطعام . انتهى .

وزعموا أنّ تأخير العِشَاءِ يورث ضعفاً بالبصر . ومن ثمّ قال أبو بكر بن دريد :
وَأَرَى الْعِشَاءَ فِي الْعَيْنِ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ مِنَ الْعِشَاءِ
الْعِشَاءُ الْأَوَّلُ - بألف مقصورة - وهو ضعف البصر ، وبالمدّ الطعام . وقال كُشَاجِمُ :

وَنَدِيمٌ مُخَالِفٌ لَا يَشَاءُ الَّذِي أَشَاءُ
هُوَ فِي الصَّحْوِ لِي آخٌ وَعَدُوٌّ إِذَا انْتَشَأَ
اقْتَرَحْتُ الْعِشَاءَ يَوْمَ مَا عَلَيْهِ فَأَدْهَشَا
سَاعَةً ثُمَّ قَالَ لِي : الْعِشَاءُ يورثُ الْعِشَاءَ !

وورد في بعض الأحاديث نهياً عن ترك العِشَاءِ : لَا تَدْعُوا الْعِشَاءَ وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ
حَشَفٍ فَإِنَّ تَرْكَهُ مَهْرَمَةٌ .

خَيْرُ الْعِلْمِ مَا حُضِرَ بِهِ .

المُحَاضَرَةُ : المَذَاكِرَةُ . والمعنى أَنَّ خير العلم ما حصَّك الانسان في صدره فوجده عند المحاضرة، وكان عدَّة له عند المذاكرة . ويقال حرف " في قلبك، خير" من ألف في كتبك . ويقال : لا خير في علم لا تُعْبِرُ به الأودية، ولا تُعَمَّرُ به الأندية . ويقال : حِفْظُ سطرين، خيرٌ من حِمْلِ وقْرَيْن، ومذاكرة اثنين، خيرٌ من هذين . وينسب للشافعي :

عِلْمِي مَعِيَ حَيْثُمَا مَشَيْتُ يَتْبَعُنِي وَعَاوُهُ الْقَلْبُ لَا بَيْتِي وَصُنْدُوقِي
إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيمَوْمَعِي أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ
وقال آخر :

عليك بالحفظ دون الكتب تجملها فإن للكتب آفات تُفَرِّقُهَا
الماءُ يُغْرِقُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَالْفَارُ يَخْرِقُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا
لكن قد يولع المرء بالحفظ حتَّى يفوته تصوُّر المعاني، فيكون كالحمار يحمل أسفارا .
ولذلك رُوِيَ في الخبر : هَمَّةُ السُّفْهَاءِ الرُّوَايَةُ، وَهَمَّةُ الْعُلَمَاءِ الدَّرَايَةُ . وقال ابن مسعود :
كونوا للعلم وعاءة، ولا تكونوا له رِوَاة، فقد يُرَوَى ما لا يُدْرَى، ويُدْرَى ما لا يُرَوَى .
وحدَّث الحسن البصري بحديث . فقال له رجل : عمَّن ؟ فقال : وما تصنع بعمَّن ؟ قد
نالتك عطيتُّه، وقامت عليك حجَّتُه . وربما وثِّقَ بصدِّره ولم يقبِّدْ فيطراً عليه
النسيان ويضيع علمه، ولذلك ورد في الخبر : قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ⁽⁷⁾.

وورد أن رجلاً شكَا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثرة النسيان، فقال له اسْتَغْمِلْ
يَدَكَ - أَيِ اكْتُبْ ! - .

وشاع في أمثال النَّاسِ : يَنْسَى الرَّأْسَ، وَلَا يَنْسَى الْكُرَّاسَ .

خَيْرُ الْغَدَاءِ بَوَاكِرُهُ .

الْغَدَاءُ - بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ وَالْدَّالُّ مَهْمَلَةٌ - ضِدُّ الْعِشَاءِ، وَتَقَدَّمَ هَذَا . وَالْمَرَادُ أَنَّ خَيْرَ
الْغَدَاءِ أَيْضًا مَا ابْتَكُرَ بِهِ . وَلِهَذَا عَلَّةٌ وَتَحْقِيقٌ يُذَكِّرُ فِي الطَّبِّ . وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى فِي الْغَدَاءِ

(7) فِي ب : بِالْكِتَابِ .

التأخير . ويروى قول عليّ كرم الله وجهه أو غيره من الحكماء : من أراد النساء ولا نساء فليُكرِّ الغداء، وليُبَاكِر العشاء، وليُخَفِّفِ الرداء، وليقلِّكُ غِشِيَانِ النساء . انتهى . قوله فليُكرِّ الغداء : أي يُؤَخِّرْهُ، كما مرَّ في بيت الحطيئة . وأراد بتخفيف الرداء أن يجنب نفسه ثقل الدَّيْن : فإنَّ همَّ الدَّيْن يهرم، كما يقال : لا همَّ إلاَّ همَّ الدَّيْن، ولا وَجَعَ إلاَّ وَجَعَ العَيْن.

خَيْرُ الْغِنَى الْقُنُوعُ، وَشَرُّ الْفَقْرِ الْخُصُوعُ .

الغِنَى - بكسر الغين وألف مقصورة، بوزن رضى - ضدُّ الفقر . قال : فتى غيرٌ محبوبٍ الغنى عن صديقه . ولا مظهرُ الشكوى إذا النعلُ زلت . وقد يمدُّ للضرورة . قال :

سَيُغْنِينِي الَّذِي أَغْنَاكَ عَنِّي فلا فقرٌ يدومُ ولا غِنَاءُ
وَالْقُنُوعُ : السُّؤَالُ والتَّذَلُّلُ للمسؤول . وقد قَنَعَ الرجل - بالفتح - قنوعاً، فهو قانعٌ وقَنيعٌ . قال :

لَمَّاكَ الْمَرْءُ يَصْلَحُهُ فَيُغْنِي مفاقرُهُ أخفُ من القُنُوعِ
وَالْمَفَاقِرُ جمع فقر - على غير قياس -، مثك مَذَاكِرُ لِدَكَرٍ، وَمَحَاسِنُ لِحُسْنٍ، على ما في ذلك من الكلام عند النحويين . ومنه قول النابغة :

فَاهْلِي فِدَاءً لَامِرِيءٍ إِنْ أَتَيْتَهُ تَقْبَلُ مَعْرُوفِي وَسَدَّ الْمَفَاقِرَا
وقال عديُّ بن زيد العبادي :

وَمَا خُنْتُ ذَا عَهْدٍ وَأَنْتَ بَعْدَهُ ولم أَحْرِمِ الْمُضْطَرَّ إِذْ جَاءَ قَانِعَا
أَي سَائِلَا . وفي كلامهم : نَسَأَلُ اللَّهَ الْقَنَاعَةَ، ونَعُوذُ بِهِ مِنَ الْقُنُوعِ .
وقلت في هذه المادة من قصيدة :

إِنَّ لِّلْقُنُوعِ لَيْسَ بِشَافِيَةٍ على المرءِ نَيْكٌ أَقْصَى الْأَمَانِي
وَمَنْ اعْتَزَّ بِالْقَنَاعَةِ أَمْسَى فِي نَعِيمٍ وَعِزَّةٍ وَأَمَانٍ
وقد يكون القنوع بمعنى القناعة، وهو الرضى بالقسم على الضدِّ، وهذا هو المراد في المثل . قال الشاعر :

وَقَالُوا قَدْ زَهَبَتْ فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنِّي أَعَزَّتِي الْقُنُوعُ

والقانع : الراضي . قال لبيد :

فمنهم سعيدٌ آخِذٌ بنصيبِهِ ومنهم شقيٌّ بالمعيشَةِ قانعٌ
ويقال إنَّما سمِّي السائل قانعا لأنَّه يرضى بما أُعطي وإن كان قليلا . فيكون معني القنوع
والقناعة واحداً أبداً ؛ غير أنَّ فعل القناعة هو بالكسر، يقال : قَنِعَ - بالكسر - يَقْنَعُ
قَنَاعَةً، فهو قَنِيعٌ وقَانِعٌ وقَنُوعٌ وقَنِيعٌ . والفقرُ - بفتح الفاء - الحاجةُ :
والخضوع : التذللُ .

ومعنى المثل واضح، يُضرب في صيانة الحرِّ نفسه عن خسيس المكاسب . وهو من كلام
أوس بن حارثة .

رُوي أنَّه عاش دهرًا وليس له إلَّا ابنه مالك . وكان لأخيه الخزرج خمسة أولاد : عمرو،
وعوف، وجشَم، والحارث، وكعب . فلمَّا احتضر أوس قال له قومه : كنَّا نأمرُك بالترَّوَج
في شبابك، فلم تتزوَّج حتَّى حضرَك الموت . فقال : الأوس : لم يَهْلِكْ هَالِكٌ،
تَرَكَ مِثْلَ مَالِكٍ - يعني مالك بن أوس ولده - وإن كان الخزرج ذا عدد، وليس لمالك
ولد . فلعلَّ الذي استخرج العَذْفَ من الجَريمَةِ، والنارَ من الوثيمة، أن يجعلَ لمالك
نَسْلًا، ورجلاً بُسْلًا، يا مالكُ المنيَّة، ولا الدَّنيَّة، والعتاب، قبل العقاب، والتجلَّد، لا
التبلد ! وأعلم أنَّ القبر، خير من الفقر ؛ وشرُّ شاربِ المُشْتَفِّ، وأقبحُ طاعمِ المُقْتَفِّ؛
وذهاب البصر، خير من كثير من النظر ؛ ومن كرم الكريم، الدفاع عن الحريم ؛ ومن قلَّ ذلٌّ،
ومن أمرُ فلٍّ . وخير الغنى القناعة، وشرُّ الفقر الضراعة ؛ والدهر يومان : فيوم لك ويوم
عليك، فإذا كان لك فلا تَبْطِرْ، وإذا كان عليك فاصْبِرْ، فكلهما سَيَنْحَسِرُ . فإنَّما
تَعَزُّ مَنْ تَرى، ويعزُّكَ مَنْ لَا تَرى . ولو كان الموت يُشْتَرَى، لسلم منه أهل الدنيا،
ولكنَّ الناسَ فيه مُسْتَوُونَ : الشريفُ الأبلج، واللَّئيمُ المُعْلَهَج ؛ والموت المُفِيت،
خيرٌ من أن يقال لك هَبِيت . وكيف بسلامة، من ليست له إقامة ؟ وشرُّ من المصيبة سوءُ
الخلف، وكلُّ مجموعٍ إلى تلف . حيَّاكَ إلهُك ! انتهى .

فنشر الله من مالك بعدد بني الخزرج . والعَذْفُ - بالفتح - النخلة نفسها، وبالكسر
كباستها - كما مرَّ في الهمزة ؛ والجريمة النَّوَاة ؛ والوثيمة الموطوعة من الحجارة بحوافر الخيل
ونحوها، من الوثم، وهو الكسر، كما قال عنتره :

خَطَاةٌ غِيبَ السُّرَى مَوَاةٌ⁽⁸⁾ تَطِيسُ الْإِكَامَ بِذَاتِ خُفٍّ مِثْمَ

وهذا الكلام يحلف به العرب، يقولون : لا، والذي أَخْرَجَ الْعَذَقَ مِنَ الْجَرِيمَةِ، وَالنَّارَ مِنَ الْوَيْمَةِ ! ومن أيمانهم أيضا : لا، والذي شَقَّهْنَّ خَمْسًا مِنْ وَاحِدٍ ! أي الأصابع ؛ ولا، والذي أَخْرَجَ قَابِيَةَ مِنْ قُوبٍ ! - أي فرخًا من بيضة - كما مرَّ ؛ و : لا، والذي وَجَّهِي زَمَمَ بَيْتَهُ ! بفتحيتن - أي تلقاه وتجاهه ؛ والبُسْلُ : الشجعان، واحدهم بَاسِلٌ، والبسالة : الشجاعة ؛ والمشتَفُ هو المستقصي ما في إنائه، ومنه حديث أمّ زرع : إن شَرِبَ اشْتَفَّ . والمقتَفُ : الآخذ للشيء بعجلة ؛ وأمر الرجل : كثر عدده ؛ وتعزَّ : تغلب ؛ والمُعْلَهَجُ : المُتَنَاهِي في الدناءة واللُّؤْم، وقيل هو العريق فيه اللئيم بن اللئيم ؛ والهبيت : الأحمق الضعيف، ويقال له الجبان المخلوع القلب . وضدّه التَّبَيَّتُ .

قال طرفة

فَالْهَبَيْتُ لَا فَوَادَ لَهُ وَالتَّابَيْتُ قَلْبُهُ قِيَمُهُ⁽⁹⁾

ويُروى : فهمه قيمه.

وقد علمت أن لفظ المثل في هذه الوصيَّة التي سردنا من كلام أَوْس : خَيْرُ الْغِنَى الْقَنَاعَةُ، وَشَرُّ الْفَقْرِ الضَّرَاعَةُ . ورواية المثل - على هذا الوجه - هو رأي من لا يرى أن القنوع يكون بمعنى القناعة، وبذلك اعترض البكري على أبي عبيد في إيراد المثل على اللَّفْظِ السَّابِقِ، وقد علمت ممَّا مرَّ أَنَّهُ صحيح . ومثل هذا المثل قول الفارعة بنت طريف ترثي أخاها :

فَتَى لَا يُعِدُّ الزَّادَ إِلَّا مَنْ التَّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مَنْ قَنَى وَسُيُوفُ وَقُولِ الْأَبِيرِدِ الْيَرْبُوعِيَّ :

فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعَدُهُ الْفَقْرُ وَقُولِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ :

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُ وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَرَا يَعْرِفُ الْأَبْعَدَ إِنْ أَثَرَى وَلَا يَعْرِفُ الْأَدْنَى إِذَا مَا افْتَقَرَا

وقوله أيضا :

(8) يروى أيضا « زِيَّافَةٌ » بدل « مَوَاة » .
(9) كتب النضر الآخر محرفًا في المخطوطات، في بعضها مثلاً : « وَالتَّابَيْتُ ثَبَتَهُ نَقَمَهُ » .

ولكنَّ الجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ نَقِيَّ الجَيْبِ مَأْمُونُ المَغِيبِ
بَطِيَّ عَنْكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ وِطْلَاءُ عَلَىكَ مَعَ الخُطُوبِ
وقول الآخر :

إذا أعطشتك أكفُ اللئام كَفَّتَكَ القَنَاعَةُ شَبْعًا وريًا
فَكُن رجُلًا رجُلُهُ في الثَّرَى وهَامَةٌ هِمَّتِهِ في الثُّرَيَّا
فإنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ الحَيَا قِ دُونَ إِرَاقَةِ مَاءِ المُحَيَّا !
وتقدّم ما في ذكر القناعة من الشعر، وسيأتي أيضا كثير، إن شاء الله تعالى !
ووصيّة أوس المذكورة مشتملة على أمثال عدّة، وقد نبّهنا على غريبها، والباقي واضح.

خَيْرُ مَا رُدَّ فِي أَهْلِ وَمَالٍ.

هذا يُستعمل في الدعاء بالخير للقادم من السفر . والمعنى : جعل الله ما جئت به خير
ما رجع به الغائب ! وقيل : المعنى أن مجيئك بنفسك خير مارد في أهلك ومالك.

خَيْرُ المَالِ سِكَّةٌ مَابُورَةٌ، ومُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ .

المَالُ معروف ؛ والسِّكَّةُ - بالكسر - : الحديدة التي تُضرب عليها الدّارهم، والتي
يُحْرَثُ بها . وتُطْلَقُ أيضا على السطر من الأشجار ؛ والمَابُورَةُ : المُصْلَحَةُ، يقال :
أَبَرَ نَخْلَهُ، يَأْبُرُهُ، أَبْرًا وإِبَارًا وإِبَارَةً - كَكَتَبَ كِتَابًا وَكِتَابَةً ؛
وَأَبْرَهُ تَأْبِيرًا : أَلْقَحَهُ وَأَصْلَحَهُ ؛ وَائْتَبَرَ الرَّجُلُ : طَلَبَ غَيْرَهُ أَنْ يَأْبُرَ لَهُ . قال
طرفة :

ولِي، الأَصْلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ يُصْلِحُ الأَبْرُ زَرْعُ المؤْتَبِرِ
وتَأْبَرَتِ النَّخْلُ : قَبِلَتِ الإِبَارَ . قال الرازي :

تَأْبَرِي يَا خَيْرَةَ الفَسِيلِ إِذْ ضَنَّ أَهْلُ النَّخْلِ بِالفَحُولِ !
والمهرة معروف ؛ والمأْمُورَةُ : الكثيرة النَّسْلِ والنتاج . تقول : أَمَرْتُهُ - بالمد - : كَثَرَتْهُ .
فكان القياس أن يقال مُؤْمَرَةٌ، كما تقول أَعْمَرْتُهَا فهي مُعْمَرَةٌ ؛ ولكنه قيل
مَأْمُورَةٌ إِتِّبَاعًا لِمَابُورَةٍ، كما قيل لَا دَرِيَّتَ وَلَا تَلِيَّتَ - أَي تَلَوْتُ، وَارْجِعْ
مَازُورَاتٍ، غَيْرَ مَا جُورَاتٍ - أَي مَوْزُورَاتٍ . على أَنَّهُ قد يقال أَمَرْتُهُ - كَنَصَرْتُهُ -

فهو مأمور، أي كثرته، وهو لغية. وقد قيل بذلك في قوله تعالى : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها أي كثرنا . ويقال : أمر القوم - بالكسر - أي كثرُوا . ومنه قول أوس بن حارثة السَّابِق : مَنْ أَمِرَ فَلْهُ، وقول الآخر : نَعْلُهُمْ كُلَّمَا يَبْنِي لَهُمْ سَلَفٌ بالمشرفي ولولا ذاك قَد أَمِرُوا وقول أبي وجزة :

أَمِرُونَ لَا يَرِثُونَ سَهْمَ الْقُعْدُدِ

أي كثيرون، اسم فاعل أمر . وقول الآخر :

أُمٌّ جِوَارٍ ضَنُوها غَيْرُ أَمِرٍ

أي نسلها . وقول الآخر :

والاثم من شرٍّ ما يُصَال به والبرُّ كالغيثِ نَسْلُهُ أَمِرٌ والسكّة هنا أريد بها الأشجار . والمعنى أن خير المال نخيل قمت عليه وأصلحته، أو فرس ولود . وقيل : أريد بالسكة الحديدية التي يُحرث بها . ومعنى مأبورة : مُصلحة . والمعنى أن خير المال الحرث والبطن . واعلم أن هذا الكلام ذكره اللغويون، وظاهر كلامهم أنه من كلام العرب . وفي الصحاح أنه حديث، والله أعلم ! وروى في الحديث أيضا من هذا المعنى : خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ . وروى : تِسْعَةُ أَعْشَارِ الرِّزْقِ فِيهِ التَّجَارَةُ . وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يأمرُ الأغنياء باتخاذ الغنم، ويأمرُ الفقراء باتخاذ الدجاج . وقالت ابنة الخُسّ : مائة من المعزقني، ومائة من الضأن غني، ومائة من الابل ميني.

الْخَيْلُ تَجْرِي عَلَى مَسَاوِيهَا .

الْخَيْلُ جَمَاعَةُ الْفُرَاسِ . قال عنتره :

وَالْخَيْلُ تَقْتَحِمُ الْخَبَارَ عَوَائِسًا مَا بَيْنَ شَيْطَمَةٍ وَأَجْرَدٍ شَيْطَمٍ⁽¹⁰⁾ ولا واحد لها . وحكى بعض اللغويين في واحده خَائِل - من الاختيال - وهو التبخر . والخيْل أيضا جماعة الفرسان . قال امرؤ القيس :

فِيَارِبٌ مَكْرُوبٌ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ وَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنْفَسَا

(10) ويروى أيضا : وآخر شيطم.

وقال الآخر :

علامَ تقولُ الرُّمَحُ يُثْقِلُ عاتقي إذا أنا لم أظعنَ إذا الخَيْلُ كَرَّتْ ؟
والجَرِيُّ معروفٌ ؛ والمساوي : المعائبُ ، قيل لا واحد لها ، وقيل جمع مسوءٍ - على
غير قياس - ، والأظهر أنَّه جمع مَسَاءَةٍ ، كما تقول في مَنَارَةٍ مَنَائِرٍ . قال الشاعر في
المفرد :

لئن ساءَني أن نلتَني بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سرَّني أنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكٍ
وقول الآخر في الجمع :

وعَيْنُ الرُّضَى عن كلِّ عيبٍ كَلِيلَةٌ ولكنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُعْدي المَسَاوِيَا
يقال : سَاءَهُ ، يَسُوؤُهُ ، سَوَاءٌ - بالفتح - وسُوءٌ ، وسَوَائِيَّةٌ - كَعَلَانِيَّةٍ ، وسَوَائِيَّةٌ
- بِحَدَفِ الهمزة - ، ومَسَاءٌ ، ومَسَاءَةٌ ، ومَسَائِيَّةٌ ، ومَسَائِيَّةٌ إذا فعل به ما يكره .
وهذا المثل يُضرب في حماية الحريم والدفع عنه ، مع الضرر والخوف . والمعنى أنَّ الخيلَ ،
وإن كانت بها أوصاب وعيوب ، فإنَّ كرمها مع ذلك يحملها على الجري : فكذلك الحرُّ من
الرجال يحمي حريمه على ما فيه من علة . وقيل إنَّ المراد بالمثل أنَّ الرجل يستمتع به ،
وفيه الخصال المكروهة ، وهو ظاهر .

الخَيْلُ أَعْلَمُ بِفُرْسَانِهَا .

الخَيْلُ تَقْدَمُ ؛ والفُرْسَانُ جمع فَارِسٍ ، والفَارِسُ صاحب الفرس ، كما قالوا لابن
وتامر " لصاحب اللَّبَنِ والتمر . ويجمع على فَوَارِس . قال عنتره :
فإن يك عبد الله لاقى فوارسًا يردُّون خال العارضِ المتوقِّدِ
والفراسة - بالفتح - والفُرُوسَةُ والفُرُوسِيَّةُ الحِذْقُ بِركوب الخيل وأمورها . وقد فَرُسَ
الرجل - بالضم - يَفْرُسُ . قال ابن ظفر : وليس مَنْ ركب الفرس له حكمُ الفَرَاةِ عند
العرب ؛ ولكن الفارس عندهم مَنْ أحسن الجلال على الفرس واشتهر بالشجاعة ، كعمرو بن
مَعْدِي كَرَب ، وربيعة بن مَكْدَم ، ومُلاعِبِ الأَسِنَّةِ ، وعنتره العبسي ، وأضرابهم . فهؤلاء
فرسانُ العرب . وقال الشاعر :

لَعَمْرُ أُنَيْكُ الخَيْرِ إِنِّي لَخَادِمٌ لضيبي وإنِّي إن ركبْتُ لفارسٍ
فلم يتمدح بنفسِ الركوب . انتهى .

وهذا المثل يُضرب لمن يظنّ أنّ عنده غنى، ولا غنى عنده .

الخَيْلُ أَعْلَمُ مِنْ فُرْسَانِهَا .

هذا المثل يُضرب لمن تظنّ به ظنّاً فتجده على ما ظننت، هكذا قال بعض العلماء .
ويحتمل أنّ هذين المثلين واحد ؛ وإنّما وقع التحريف في أحدهما . وتفسير الثاني أنسب
بالأوّل، كما لا يخفى .

أَخِيكَ مِنْ مُذَالَةٍ .

يقال : خَالَ الرجل، يَخَالُ، واختَالَ، إذا تكبّر وتبختر عُجْبًا، فهو خَالٌ
وخَائِلٌ وخَالِرٌ - كَقَاصِرٍ - مقلوبًا، ومُخْتَالٌَ . والِإِذَالَةُ - بالذال المعجمة - :
الاهانةُ . يقال : أَذَلْتُ الرجل، فهو مُذَالٌ . قال زَيْدُ الخَيْلِ يخاطب بني الصَّيْدَاءِ،
وكان غزا غزوة، فطلع بعض خيله فأدركوه فأخذوه :

يا بني الصَّيْدَاءِ رَدُّوا فَرَسِي إِنَّمَا يُصْنَعُ هَذَا بِالذَّلِيلِ
لَا تُذِيلُوهُ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ يَا بني الصَّيْدَاءِ لِمُهْرِي بِالْمُذِيلِ
عَوْدُوهُ كَالَّذِي عَوْدَتُهُ دَلَجَ اللَّيْلِ وإِيطَاءَ الْقَتِيلِ !
ويُحْكِي أَنَّ أَبَا تَمَّامَ الطَّائِي خَرَجَ قَاصِدًا الْبَصْرَةَ، وَفِيهَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَذَّلِ .
فَلَمَّا سَمِعَ عَبْدُ الصَّمَدِ بِقُدُومِهِ إِلَيْهَا كَتَبَ إِلَيْهِ :

أَنْتَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ تَبْرُزُ لِلنَّاسِ وَكَلْتَاهُمَا بَوَجْهِ مُذَالٍ
لَسْتَ تَتَفَكَّرُ رَاجِيًا لِمَوْصَالٍ مِنْ حَبِيبٍ أَوْ طَالِبًا لِنَوَالٍ
أَيُّ مَاءٍ لِحَرٍّ وَجْهَكَ يَبْقَى بَيْنَ ذَلِكَ الْهَوَى وَذَلِكَ السُّؤَالِ ؟
فَلَمَّا وَقَفَ أَبُو تَمَّامَ عَلَى الْأَبْيَاتِ رَجَعَ وَقَالَ : شَغَلَ هَذَا مَا وَرَاءَهُ وَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ .

وقريب من هذا قول بعضهم في هجو أبي الطيّب المتنبيّ :
أَيُّ فَضْلٍ لَشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ مِنَ النَّاسِ بَكْرَةً وَعَشِيًّا ؟
عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمُحْيَا
وإنّما قال ذلك لما يُحْكِي أَنَّ أَبَا المتنبيّ كان سقّاء بالكوفة، واللّه أعلم !

ونحو الأول قول الإسعريّ في مجونه الهجويّة :
أنت بين اثنتين يا نجل يعقوب . وكلّتاها مقرّ السيّاده
لست تنفكّ راغباً عرّدت عبد مُسبّطراً أو حاملاً خفّ غاده
أيّ ماءٍ لحرّ وجهك يبقى بين ذلّ البغّا وذلّ القياده
والمذالّة في هذا المثل أرادو بها الأمة لأنّها تُذال، أي تُمتن بالخدمة وغيرها، وهي
أكثر خلق الله اختيالا وتبختراً وعجباً، وذلك من ضعف عقلها وسقاطة نفسها ونقصان
همّتها : فإنّ الهموم بقدر الهمم .

وممّا يلتحق بهذا الباب قولهم :

أُخْرِجْتُ لَهُ حَرِيشَتِي،

أي ملك يدي . وقولك مثلاً :

أُخْشِنُ مِنْ لَيْفَةٍ .

والخُشُونَةُ ضدّ اللَّيْنِ، واللَّيْف - بالكسر - ليف النخل، وهو معروف، والواحدة لَيْفَةٌ -
بالهاء - وهذا المعنى مطرّد، كما مرّ في نظائره.
ومن هذا الباب قولهم :

خِفَّةُ الظَّهْرِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ .

جعلوا خِفَّةَ الظهر كناية عن عدم أو قلّة الحقوق اللازمة، والنفقات الواجبة، فإنّها
للزومها، كالشيء المحمول على الظهر، يخفّ ويثقل . ولا فرق في أنّ الأحمال المحسوسة
يحملها البدن المحسوس، والحقوق تحملها اللطيفة الروحانيّة من البدن، وهي الثّلب، وهذه
أقلّ صبراً على الثقل للطافتها . واليسار : الغنى . وثنّي بحسب حقيقته ومجازه
لاتّفاق اللفظ . وقد قالوا من هذا النحو : الغُرْبَةُ أَحَدُ السَّبَاعَيْنِ، واللَّبَنُ أَحَدُ
اللَّحْمَيْنِ، وتَعْجِيلُ الْيَأْسِ أَحَدُ الْيُسْرَيْنِ، والشَّعْرُ أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ أي
النظر إلى الشعر كالنظر إلى الوجه ؛ - وَالْحِمِيَّةُ إِحْدَا الْمَوْتَتَيْنِ - أي امتناع الطعام؛
وَالْقَلَمُ أَحَدُ اللَّسَانَيْنِ ؛ وَالْخَالُ أَحَدُ الْأَبْوَيْنِ - وَالرَّأْيَةُ أَحَدُ الْهَاجِيَيْنِ،

أي راوي الهجو كقائله . وهذا كله من تثنية الحقيقة والمجاز . وفي ذلك خلاف عند النحويين، والمشهور المنع والصحيح جوازه، وأنه لا يشترط اتفاق [معنى] المثنيين بل اللفظ فقط .

ومما يشهد لصحته هذا الذي ذكرنا من الأمثلة، فإنها أمثال من كلام العرب، ودليله من الشعر قول الشاعر :

كم ليثٍ اعتنَّ لي ذا أشبلٍ غرثتُ فكَانَنِي أعظمُ اللَّيْثَيْنِ إِقْدَامًا
أي كان أعظم الليثين إقدامًا إليّ . وقول الآخر :

يداك كَفَتْ إِحْدَاهُمَا كُلَّ بَائِسٍ وَأَخْرَاهُمَا كَفَتْ أذَى كُلِّ مُعْتَدٍ
وإن كان في هذا احتمال ضعيف . ومما يدل عليه قول جحدَر : ليث وليث في محلّ
ضنك، إذ لا فرق بين نحو هذا العطف وبين التثنية، فإنه أصلها . وليس هذا محلّ تحرير
هذه المسألة والاحتجاج لها.
وقولهم أيضا :

خَفِيفُ الْحَاذِ .

الحَاذُ] - بالذال المعجمة - الظَّهْر . وألفه عن واو، والذال لام الكلمة ومحلّ الأعراب،
وليس بعدها ياء كما يصحف . ومعنى خفيف الحاذ : قليل المال والعيال . وفي الحديث :
مُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ .⁽¹¹⁾ وقولهم :

خَفِيفُ الرَّدَاءِ .

أي قليل العيال والدين . والرَّدَاءُ - بالكسر والمدّ - يُطْلَقُ عَلَى الْمَلْحَفَةِ الْمَعْرُوفَةِ، وَعَلَى
السيف والقوس، وعلى الجهل، وعلى ما زان وما شان - على الضدّ -، وعلى الوشاح، وعلى
الدين . ومما يحسن أن يُتِمَّكَ بِهِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَابْنِ
صَيَّاد :

(11) سقط ما بين معقوفتين من ب.

خَطَّ عَلَيْكَ الْأَمْرُ .

والقصّة مشهورة ؛ وقول أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه :

هُوَ يَخْبَأُ وَأَبُوهُ يَكْنِزُ .

وذلك أنّ خبيثة بن كناز وليّ في خلافته الابلّة، فقال عمر، رضي الله عنه، : لا حاجة لنا به ! هو يخبأ وأبوه يكنز.

ومن الأمثال المولدة قولهم :

الخطّ الحسَنُ يَزِيدُ الْحَقَّ وضوحًا،

بمعنى أنّه، إذا أُجيد الخطّ وبُيِّنَت الحروف، تبيّنت الألفاظ المؤدّية للمعاني، وانشرحت النفس، وانبسطت إليها، وأقبلت عليها، فكان قبولها للمعاني أتمّ، وفهمها لها أكثر . وقد قالوا : الخطّ أحدُ اللّسانين . وقالوا : حُسْنُ الخطّ إحدى الفصاحتين . وقال جعفر بن يحيى : الخطّ بسطُ الحِكم : به تَفْصَلُ شذُورُها وَيُنْظَمُ مَنْثُورُها . وقال المبرّد : رداءة الخطّ زمانة الأدب . وقال الامام الماوردي : خطوط العلماء في الأغلب رديئة، لا شتغالهم بالعلم، حتّى قال الفضل ابن سهل : من سعادة المرء رداءة خطّه، أي لئلاّ يشغله تعلّم الخطّ عن تعلّم العلم . قيل : والأسباب المخلّة بالخطّ ثمانية : إسقاط ألفاظ منه، أو زيادة ألفاظ فيه، أو إسقاط بعض حروف الكلم، أو زيادة حروف أثناءها، أو وصل المفصول، أو فصل الموصول، أو تغيير الحروف حتّى يشتبه حرف بغيره، أو ضعف الخطّ جملة، أو إهمال النقط أو الشكل .

قيل : وقد استقبح الكتّاب النقط والشكل في مكاتباتهم، ورأوا ذلك من تقصير الكتّاب وسوء نظرهم في فهم المكتوب، لا سيما مكاتبات الرؤساء . كما حكى أنّ بعض كتّاب الديوان حاسب عاملا، فشكاه في رقعته إلى عبيد الله بن سليمان، فوقع فيها : هذا هذاه. فظنّ العامل أنّ عبيد الله أراد : هذا هذا، إثباتا لذلك القول، كما تقول في إثبات الشيء: هو هو . فحمل الرقعة للذي يحاسبه، فخفي عليه ما يقتضي التوقيع، فطيف به على الكتّاب، فلم يفهموه . فردّ إلى عبيد الله . فشدد الثانية وكتب تحتها : والله

المستعان! استعظاما لقصور نظرهم .

واستحسن آخرون النقط والشكل، وقالوا : الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة . وقالوا : إعجام الخط يمنع من استعجابه، وشكله يمنع من إشكاله . وقيل، ربّ علم لم تُعْجَمْ فصوله فاستعجم محصوله.

آلات الكتابة وأصناف الكتّاب

وإذ انجَرَّ بنا الكلام في الخطّ فلنكمّل الغرض بذكر ما تيسر من آلات الكتابة، ومعنى الكتاب، والبراعة، والطبع، والتوقيع، والعنوان، وأصناف الكتّاب، وجملة من شعر الأدباء في ذلك، وهذا باب واسع ألف فيه النّاس . لكن نشير نحن إلى جملة يسيرة على وجه الاختصار يُنتفع بها .

فمن الآلات الدّواة - ووزنها فعلة كشجرة -، ثمّ قلبت الياء ألفا فصارت كفتاة وقناة، والجمع دويات - كقنوات - ودوي - كقني . قال الشاعر :

لِمَنْ الدَّارُ كَخَطٍّ بالدَّوَى ؟ أَتُكْرِى الْمَعْرُوفُ مِنْهَا وَامْحَى
ودوي - بضمّ الأوّل - على فُعُول، كما يقال قُنِيَّ وَعُصِيَّ في الجمع . قال الشاعر
عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَقَمِ الدَّوَى حَبْرَهُ الْكَاتِبُ الْحَمِيرِي
وقال الآخر :

وَكَمْ تَرَكْتَ دِيَارَ الشَّرِكِ تَحْسِبُهَا تَلْقَى الدَّوَى عَلَى أَطْلَالِهَا لَيْقًا
واشتقاقها من الدواء، لأنّ بها صلاح أمر الكاتب . واشتقاقها بعض الأدباء من قولك : دوي
الرجل - بالكسر - دوي إذا مرض، فقال :

أما الدّواة فادوي حملها جسدي وحرف الحظّ تحريف من القلم
أي أمرضه . ونحو هذا الاشتقاق لا يُعتمد عليه . ويقال لصانعها دُوّ، كما يقال لصانع
القني مُقْنِي، ولبائعها دواء [كحنّاط]⁽¹²⁾ لبائع الحنطة، ولحاملها داور - كسائف -
لصاحب السيف، ولمتخذها دودو، وقد أدوى دواة . ولما تُصان به صوان وغشاء وغلاف.
وما تسدّ به صمام ونسداد وعفاص، وكذا غيرها . ويقال لصوفتها، إذ انفتحت لتعمل فيها

(12) سقط من ب .

قبل أن تبلَّ، البوهة - بالضم - ، وإذا بُلَّت فهي اللّيقة، وقد تُسمَّى به قبل ذلك مجازاً. ولقت الدواة فهي مليقة، وألقتُها فهي ملاقاة . فإن كانت من قطن فهي العطبة والكرسفة . والقطن كله يقال له ذلك . ولمدادها نقس - بكسر الأوّل، ويفتح - . والمداد يذكر ويؤنث . ومددتُ الدواة مدّاً : جعلته فيها ؛ وأمددتها : زدتها منه ؛ واستمددت: أخذت بالقلم من المداد ؛ وأمددت فلانا من دواتي : أعطيته . ويقال للدواة محبّرة - بالفتح - لأنّها محلّ الحبر - بالكسر - وهو النّقس ؛ ويقال لها النّون والجمع أنون ونينان ؛ ويقال لها الرقيم أيضا . وأمّعت الدواة وموّهتّها جعلت فيها ماء.

ومنها القلم، والجمع قلام وأقلام - كجبال وأجبال - . ويقال له المزبر والمذبر - بالذال المعجمة - لأنّه يزبرُ به ويذبر، أي يكتب، وقيل الذبر، بمعنى القراءة . ويقال للقصبة يراعة واباعة والجمع يراع واباء ؛ ويقال لعُقده الكعوب : فإن كانت فيه عقدة تشينه فهي الأبتة ؛ ولما بين العقّد الأنابيب، وكذا في الرماح . ويقال لطرفي القلم اللّذين يكتب بهما السّنّان والشّعيرتان، والواحد سنّ وشعيرة . فإن سوّيا في القطع فهو قلم مبسوط، وإن جعل أحدهما أطول فهو مُحَرَف.

ومنها السكّين والمقص . قال ابن عبد ربّه : ينبغي للكاتب أن يصلح آلتَه التي لا بدّ له منها، وأداته التي لا تتمّ صناعته إلّا بها، وهي دواته . فلينعّم ربها وإصلاحها، ثمّ يتخيّر من أنابيب القصب أقلّ عقدة، وأكتفه لحما، وأصلبه قشرا، وأعد له استواء . ويجعل لقرطاسه سكّينا ليكون عوناً على بري أقلامه، ويبريها من ناحية نبات القصب . انتهى . ويقال السكّين والمدية والمجزأة والمبراة والغالية والشلّقاء - بالكسر والمد - ، وغير ذلك . ويقال المقصّ والمقرّاض والمقطّع - بكسر أوائلها - والجلم، وأكثر ما يُقال بالتثنية. قال الشاعر :

ولولا نوالٌ منْ يزيدَ بنِ مزيدٍ لصوتٌ في حافاتِها الجلمانِ
يعني لحيته . وجاء فيه الأفراد . قال سالم بن وابصة :

داويْتُ صدرًا طويلا غِمره حقدًا . منه وقلمتُ أظفارًا بلا جلمِ
وقال أعرابي :

فعليك ما اسطعت الظهور بلمتي وعليّ أن ألك بالمقرّاض

وأما الكتاب فهو المكتوب، ويقال له الزَّبُور والزَّبِير، والذَّبُور والذَّبِير . قال امرؤ القيس :

كَخَطِّ زَبُورٍ فِي مَصَاحِفِ رَهْبَانٍ

وقيل : الزَّبُور في هذا البيت هو الكاتب، وهو الظاهر . فإن كان ما يُكتب فيه من جلود، فهو رَقٌّ وقِرطاس - بكسر القاف وضمها -؛ وإن كان من خرق فهو كاغد - بَدَال مَهْمَلَة، وروي بمعجمة - . وقد يستعمل القِرطاس في الكل . ويقال لما يكتب الصحيفة والمُهْرَق - على وزن مُكْرَم - والجمع مَهَارِق . قال الأعشى :

رَبِّي كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُ نِعْمَةً وَإِذَا تَنَوَّشِدَ بِالْمَهَارِقِ أَنْشَدَا⁽¹³⁾
والقضية . قال امرؤ القيس :

وَبَيْنَ شَبُوبٍ كَالْقَضِيَّةِ قَرْهَبٍ

والسجل والصكّ والقطّ . وكذا كتب الجوائز والصلّات، والجمع صُكُوك وقُطُوط . قال الأعشى :

وَلَا الْمَلِكُ النُّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيَّتْهُ بَغِيْطَتِهِ يُعْطِي الْقُطُوطَ وَيَأْفِقُ
وقال المتلمّس :

أَلْقَيْتُهَا بِالسَّيْنِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قَطٍّ مُضَلِّ
فإن كتب فيها بعد محو، فهي طرس . ونمّقت الكتاب نمّقا ونمّقتُه تنميّقا، وحبرته ورقشته وزورته، تحبيراً وترقيشاً وتزويراً ؛ وكذا زبرجته وزخرفته زبرجة وزخرفة، أي كتبه كتابة حسنة . فإذا نَقَطَه قلت وشمّه وشمّا، وأعجمه إعجاما، ورقّشه ترقيشا . قال طرفة :

كسُطُورِ الرِّقِّ رَقَّشَهُ بِالضُّحَى مُرَقَّشٌ يَشِمُّهُ
فإذا أفسد الخطّ قلت مجمجه وشرمجه وهلهله ولهلهه، مجمجة وشرمجة وهلهله ولهلهه، وشبّجه تثبيجا . وإذا لم يبينه قلت دحمسه دخمسة ومجمجه وعقمه عقمّا وعقله عقلا . فإذا أدقّ الحروف وقارب بعضها من بعض قلت قرمط وقرصع قرمطة وقرصعة . فإذا مدّ الحروف قلت مشقّ مشقّا، وقيل المشقّ سرعة الكتابة وخفّتها . فإن نقص شيئا فألحقه فهو لحقّ وجمعه السحاف .

(13) يروى هذا البيت أيضا هكذا :

رَبِّي كَرِيمٌ لَا يَكْذِبُ نِعْمَةً وَإِذَا يَنْشَدُ بِالْمَهَارِقِ أَنْشَدَا

قال الشاعر :

عُورٌ وَحُولٌ وَثَالِثٌ لَهُمْ كَأَنَّهُ بَيْنَ آسْطُرٍ لِحَقٍّ
فإن وضعت عليه بعد الكتب ترابا قلت تَرَبُّتُهُ تَتَرَبُّبًا، وأتَرَبُّتُهُ إِتْرَابًا ؛ أو نشارة قلت
نَشَرْتُهُ تَنْشِيرًا .

وأما البراءة، فهي في الأصل مصدر قولك : بَرَّئْتُ من الأمر - بالكسر - بَرَاءَةً، أي
تبرأت ؛ وأما هذه البراءة المستعملة في صناعة الكتاب، فقال أبو محمد بن السيد، رحمه
الله، : سميت بذلك لمعنيين : أحدهما أن تكون من قولهم بَرَّئْتُ إليه من الدَّيْنِ
براءةً، إذا أعطيتُهُ ما كان له عندك، وبرئتُ إليه من الأمر بَرَاءَةً، إذا تخلَّيت له عنه،
فكانَّ المرغوب إليه يتبرأ إلى الراغب ممَّا أمْلَهُ لديه، ويتخلَّى له عمَّا رغب فيه إليه .
وقيل إنَّما كان الأصل في ذلك أنَّ الجاني كان، إذا جنى جناية يستحقُّ عليها العقاب ثمَّ
عفا عنه الملك، كتب له أمانا ممَّا كان يتوقَّعه ويخافه، فكان يقال : كتبت لفلان براءة، أي
أماناً، ثمَّ صار مثلاً واستعير في غير ذلك . قال : وقد جرت عادة الكتاب ألاَّ يكتبوا في
صدر البراءة : بسم الله الرحمن الرحيم، اقتداء بسورة براءة التي كتبت في المصحف من غير
بسملة .

وأما الطبع، فهو طبع الكتاب . تقول : طَبَعْتُ الكتاب طبعًا، وَخَتَمْتُهُ ختمًا،
وَأَفَقَّطُهُ أَفْقًا، ومن ذلك قول الأعشى السابق : يُعْطِي القُطُوطُ وَيَأْفِقُ، أي يختم .
ويقال لما يُطبع به طابع . قيل : وأوَّل من طبع الكتب عمرو بن هند، وذلك أنَّه، لما
أعطى المتلمس الصحيفة ليُقتل ثمَّ استقرَّأها فهرب، كما سيأتي حديثه، أمر عمرو بعد
ذلك بالكتب تُختم . فكان يؤتى بالكتاب مطبوعًا فيقال من عني به، فلذلك سمِّي
العنوان عنوانا . ثمَّ لما كتب النبي صلَّى الله عليه وسلَّم كتابا إلى ملك الروم ولم
يختمه، قيل له إنَّه لا يقرؤه إن لم يكن مختوما . فأمر أن يُعمل له خاتم وينقش على
فصّه: محمد رسول الله، فصار الختم سنة في الاسلام . وقيل أوَّل من ختم الكتاب سليمان
ابن داود، عليه السلام . وقيل في تأويل قوله تعالى : إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا
كَرِيمًا، أي مختوم . وأكرمتُ الكتاب ختمته، وهو أوَّل من افتتح كتابه بالبسملة .

قيل : وكانت العرب تقول في افتتاح كتبها وكلامها . باسمك اللهم ! فجري الأمر على
ذلك في صدر الاسلام، حتَّى نزلت : لِيَسْمِ اللهَ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا، فكتب رسول الله

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِسْمِ اللّٰهِ، حَتَّى نَزَلَتْ قُلْ ادْعُوا اللّٰهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ،
فَكُتِبَ : بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ . ثُمَّ نَزَلَتْ : إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَصَارَتْ سَنَّةٌ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا .

وَأَوَّلَ مَنْ كُتِبَ مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَارَ ذَلِكَ سَنَةً،
يَكْتُبُ الْكَاتِبُ وَيَبْدَأُ بِاسْمِهِ قَبْلَ اسْمِ مَنْ يَخَاطِبُهُ، وَلَا يَكْتُبُ لِقَبًا وَلَا كُنْيَةً، حَتَّى وَلِيَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ وَتَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكُتِبَ : مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ . فَجَرَتْ السَّنَةُ بِذَلِكَ إِلَى
أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَكَانَ الْوَلِيدُ أَوَّلَ مَنْ أَكْتَنَى فِي كُتْبِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ عَظَّمَ الْخَطَّ
وَالْكَتَبَ وَجَوَّدَ الْقَرَأَتِ . وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

سُبُطٌ مَشَافِرَهَا رَقِيقٌ خَطْمُهَا وَكَأَنَّ سَائِرَ خَلْقِهَا بُنْيَانٌ
وَاحْتِازَهَا لَوْنٌ جَرَى فِي جِلْدِهَا يَقُقْ كَقَرِطَاسِ الْوَلِيدِ هِجَانٌ
فَجَرَتْ سَنَةُ الْوَلِيدِ بِذَلِكَ إِلَى أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَبِزِيدِ الْكَامِلِ، فَإِنَّهُمَا لَمَّا وَلِيََا رَدَّ
الْأَمْرَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَمَنِ أَصْحَابِهِ رِضْوَانِ اللّٰهِ
عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا وَلِيَ مَرْوَانَ رَجَعَ إِلَى أَمْرِ الْوَلِيدِ، فَجَرَى الْأَمْرُ عَلَيْهِ . ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ
السَّيِّدِ، رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى .

وَأَمَّا التَّوْقِيعُ فَهُوَ مَا يُلْحَقُ بِالْكِتَابِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ مِمَّنْ رَفَعَ إِلَيْهِ، كَالسُّلْطَانِ وَنَحْوِهِ مِنْ
وَلَاةِ الْأُمُورِ، كَمَا إِذَا رَفَعْتَ إِلَى السُّلْطَانِ أَوْ إِلَى الْوَالِي شِكَاةَ فَكُتِبَ تَحْتَ الْكِتَابِ أَوْ عَلَى ظَهْرِهِ :

يُنْظَرُ فِي أَمْرِ هَذَا، أَوْ : يَسْتَوْفَى لِهَذَا حَقُّهُ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ . فَهَذَا تَوْقِيعٌ .
وَرُفِعَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى كِتَابٌ يُشْتَكَى فِيهِ بِعَامِلٍ، فَكُتِبَ عَلَى ظَهْرِهِ : يَا هَذَا، قَدْ قُلَّ
شَاكِرُوكَ، وَكَثُرَ شَاكُوكَ، فَأَمَّا اعْتَدَلْتُ، وَأَمَّا اعْتَزَلْتُ !

وَرَفَعَ إِلَى الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ كِتَابٌ فِيهِ : إِنَّ إِنْسَانًا هَلَكَ وَتَرَكَ يَتِيمًا وَأَمْوَالًا جَلِيلَةً لَا تَصْلَحُ
لِلْيَتِيمِ، وَقَصَدَ الْكَاتِبُ إِغْرَاءَ الصَّاحِبِ . فَأَخَذَهَا فَوَقَّعَ الصَّاحِبُ فِيهَا : الْهَالِكُ رَحِمَهُ اللّٰهُ،
وَالْيَتِيمُ أَصْلَحَهُ اللّٰهُ، وَالْمَالُ ثَمَرُهُ اللّٰهُ، وَالسَّاعِي لَعْنَهُ اللّٰهُ ! وَنَحْوَ هَذَا مِنَ التَّوْقِيعَاتِ .
وَالتَّوْقِيعُ فِي الْأَصْلِ التَّأْثِيرُ فِي الشَّيْءِ . يَقَالُ : حِمَارٌ مَوْقَعُ الظَّهْرِ، أَيُ أَصَابَتْهُ فِي ظَهْرِهِ
دَبْرَةٌ، فَسَمِّيَ هَذَا تَوْقِيعًا لِأَنَّهُ تَأْثِيرٌ فِي الْكِتَابِ حَسًّا أَوْ فِي الْأَمْرِ مَعْنَى ؛ أَوْ فِي الْوُقُوعِ
لِأَنَّهُ سَبَبُ لَوْقُوعِ الْأَمْرِ الْمَذْكُورِ، أَوْ لِأَنَّهُ يُقَاعُ لِذَلِكَ الْمَكْتُوبِ فِي الْكِتَابِ : فَتَوْقِيعُ كَذَا
بِمَعْنَى إِيقَاعِهِ .

وأما العنوان فهو ما يُجعل عليه، ليستدلّ به عليه ويقال فيه : عنوان وعُنْيان - بضمّ الأوّل فيهما وكسره - . وأصله عُنَّان - على مثال رُمَّان - لأنّه مشتقّ من قولك : عنَّ لي الأمر، يَعْنُ إذا عَرَضَ، لأنّه هو يعرض للكتاب من ناحية، وعَنَّتْه وعَنُّوْنَه وعَنَّاَه : كتب عنوانه . ويقال فيه أيضا علّوان - باللام - وعلّونَ الكتاب وعلاه تعلّية : كتب عنوانه، وكلُّ ظاهر شيءٍ استدلت به على باطنه فهو عنوان له . قال الشاعر :

رَأَيْتُ لِسَانَ الْمَرْءِ رَائِدَ عَقْلِهِ وَعُنْوَانَهُ فَاَنْظُرْ بِمَاذَا تُعْنُونُ !

وقال الآخر :

ضَحُوا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقَرَأَنَا
وَأَمَّا أصناف الكتّاب فكثيرة، منها : كاتب التدبير، وهو أجلّها وأعلاها درجة، وهو كاتب السلطان الذي يكتب سرّه ؛ ومنها كاتب أرباب الأحكام، وأجلّها كاتب القاضي، ثمّ كاتب صاحب المظالم، ثمّ كاتب صاحب الديوان - وهو الخراج -، ثمّ كاتب صاحب الشرطة ؛ ومنها كاتب العامل، وكاتب المجلس، إلى غير ذلك . وكلّ واحد منها له أحكام وآداب ذُكرت في محلّها .

ولهم أقلام مختلفة اصطلاحوا عليها في الكتابة، انتهى . مجموعها - بسحب ما ذكروا - إلى أحد وعشرين، وهي الجليل والسجلى - ويسمّى قلم الثلثين -، والقلم الرئاسي، والنصف، وخفيف النصف، والثلث، وخفيف الثلث، والمسلسل، وغبار الحلبة، وصغير الغبار - وهو قلم المؤامرات -، وقلم القصص، والحوائجي، والمحدث، والمدمج، وثقيل الطومار، وخفيف الطومار، والشامي، ومفتح الشامي، والمنثور، وخفيف المنثور، وقلم الجزم .

واختلف في أوّل من كتب : ف قيل آدم، عليه السلام، كتب الصحف قبل موته بثلاثمائة سنة في طين، ثمّ طبخه . فلمّا كان بعد الطوفان أصاب كلّ قوم كتابهم ؛ وقيل أوّل من كتب إدريس، عليه السلام ؛ وقيل أوّل من وضع الكتابة إسماعيل، عليه السلام، وضعها بلفظه ومنطقه ؛ وقيل أوّل من كتب قوم من الأوائل أسماؤهم أبجد، هوز، حطي، إلى آخرها . وكانوا ملوك مدين، وقيل هم أبجد، هوز إلى قرست ملوك مدين، فوضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم، وكان سيّدهم كلّم فهلكوا يوم الظلّة، فقالت ابنة كلّم تراثيه :

كَلِمَنْ هَدَمَ رُكْنِي هَلَكَهُ وَسَطَ الْمَحَلَّةِ
 سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الْحَتَفُ نَارٌ وَسَطَ ظِلِّهِ
 جَعَلَتْ نَارٌ عَلَيْهِمْ دَارَهُمْ كَالْمُضْمَحِلَّةِ

ويروى أيضا :

أَلَا يَا شُعَيْبُ قَدْ نَطَقْتَ مَقَالََةً سَبَقَتْ بِهَا عَمْرًا وَحِيَّ بَنِي عَمْرِ
 ملوك بني حُطَيٍّ هَوَزَ مِنْهُمْ وَسَعَفَضَ أَهْلٌ لِلْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ
 وقيل هم أسماء ملوك الجن الذين سكنوا الأرض قبل آدم، عليه السلام، فألقيت إلى
 العرب ؛ وقيل أسماء ملوك الجبابرة.

وقيل أول من وضع الخطَّ العربي نفر من طيء من بولان، وهم : مرام بن مرة، وأسلم بن
 سدرة، وعامر بن حدره . فساروا إلى مكة، فتعلَّمه منهم شَيْبَةُ بن ربيعة بن حرب بن
 عبد شمس، وعُتْبَةُ بن ربيعة، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلِّب، وهشام بن
 المغيرة المخزومي . ثمَّ أتوا الأنبار فتعلَّمه نفر منهم . ثمَّ أتوا الحيرة فتعلَّمه منهم جماعة
 منهم : سفيان بن مجاشع بن عبد الله بن دارم وولده، يُسمَّوه بالكوفة بني الكاتب . ثمَّ
 أتوا الشام فعلموه جماعة، فانتَهت الكتابة إلى رجلين من أهل الشام يقال لهما الضحَّاك
 وإسحاق بن حمَّاد، وكانا يخطَّان الخطَّ الجليل . فأخذ إبراهيم بن السجزي الخطَّ الجليل
 عن إسحاق بن حمَّاد وإخترع منه خطًّا أخفَّ فسمَّاه التلثين السَّابق . ثمَّ جعل الناس
 يختصرون ويغيِّرون حتَّى انتهى إلى ما مرَّ . وليس هذا محلَّ تفصيل هذا.

وأما ما قيل من الشعر في وصف الكتاب أو الأقلام أو المحابر، أو تفضيل القلم على
 السيف أو العكس، فأكثر من أن يُحصى . وقد وضعت في ذلك موضوعات مستقلة . فمن
 مستحسن ذلك قول أبي الفتح البستي :

إِنْ هَزَّ أَقْلَامُهُ يَوْمًا لِيُعْمِلَهَا أَنْسَاكَ كُلَّ كَمِيٍّ هَزَّ عَامِلُهُ
 وَإِنْ أَقْرَّ عَلَى رَقٍّ أَنْأَمِلُهُ أَقْرَّ بِالرَّقِّ كِتَابُ الْأَنَامِ لَهُ
 وقول الآخر :

يُمْسِكُ الْفَارِسُ رَمْحًا يَبِيدُ وَأَنَا أُمْسِكُ فِيدَ قَصَبَةٍ
 فَكَلَانَا فَارِسٌ فِي شَأْنِهِ : إِنَّ الْأَقْلَامَ رَمَاحُ الْكُتُبِ

وقول الآخر :

وما روضُ الربيعِ وقد زهاهُ ندَى الأشجارِ يَارجُ بالعداةِ
بأضوعٍ أو بأبسَطٍ من نسيمِ تُودِيهِ الأفاهُ مِنْ دَوَاةِ
وقول الآخر في خلاف هذا :

دعيُّ في الكِتَابَةِ لا رويُّ لَهُ فِيمَا يُعَدُّ ولا بَدِيهِ
كَأَنَّ دَوَاتِهِ مِنْ رِيْقٍ فِيهِ تَلَاقُ فَرِيحَهَا أَبَدًا كَرِيهِ !
وقول بعضهم، وقد نظر إلى فتى عليه أثر المداد وهو يستره :

لا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمِدَادِ فَإِنَّهُ عِطْرُ الرَّجَالِ وَحِلْيَةُ الْكُتَّابِ !
ويقال : أثر المداد دليل على الفضل، حتَّى [إنَّ] عبيد الله بن سليمان [رأى] صغرة
زعفران في ثوبه، فطلاها بالحبر وقال : المداد أحسن بنا من الزعفران !، وأنشد :
إِنَّمَا الزَّعْفَرَانُ عِطْرُ الْعَذَارَى وَمِدَادُ الدَّوَاةِ عِطْرُ الرَّجَالِ
وقول الآخر يهجو كاتبًا :

حمارٌ في الكِتَابَةِ يَدْعِيهَا كَدَعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادِ
فَدَعُ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتُ مِنْهَا وَلَوْ غَرَّقْتَ ثَوْبَكَ فِي الْمِدَادِ !
وقال بعضهم : كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتابا، فوقعت من القلم نقطة
مفسدة، فمسحها بكمه، فتعجبت، فقال : لا تتعجب ! المال فرع والقلم أصل، والأصل
أحوج من الفرع إلى المراجعة، وبهذا السواد جاءت الثياب . ثمَّ أطرق قليلا فأنشد :

إِذَا مَا الْفِكْرُ وَلَدَ حُسْنٍ لَفْظٍ وَأَسْلَمَهُ الْوُجُودُ إِلَى الْعِيَانِ
وَوَشَّاهُ فَنَمَنَّمَهُ مُسَدِّ فَصِيحٌ فِي الْمَقَالِ بِلَا لِسَانِ
تَرَى حُلَّ الْبَيَانِ مُنْشَرَاتٍ تَجَلَّى بَيْنَهَا صُورُ الْمَعَانِي
وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب واعتمد عليه فصرَّ تحت يده فقال :

إِذَا مَا التَّقِينَا وَانْتَضَيْنَا صَوَارِمَا يَكَادُ يُصْمُ السَّامِعِينَ صَرِيرُهَا
تَسَاقَطَ فِي الْقُرْطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعُ كَمَثَلِ اللَّالِي نَظْمُهَا وَنَثِيرُهَا
تَقُودُ أَبْيَاتَ الْبَيَانِ بِفِطْنَةٍ يُكْشَفُ عَنْ وَجْهِ الْبَلَاغَةِ نُورُهَا
تَظَلُّ الْمَنَايَا وَالْعَطَايَا شَوَارِعَا تَدُورُ بِمَا شِئْنَا وَتَمْضِي أُمُورُهَا
إِذَا مَا خُطُوبُ الدَّهْرِ أَرَحَتْ سَتُورَهَا تَجَلَّتْ بِنَا عَمَّا تُسْرُ سَتُورُهَا

وقول أبي تمام يمدح محمد بن عبد الملك الزيَّات من قصيدة :

لك القلمُ الأعلى الَّذي بشبَّاتِهِ
لَهُ الْخَلَوَاتُ الْإِلاءُ لَوْلَا نَجِيَّتُهَا
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ
لَهُ رِيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنْ وَقَعَهَا
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ
إِذَا مَا امْتَطَى الْخُمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقِنَى وَتَقَوَّضَتْ
إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنُ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ وَسَدَدَتْ
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ
وقول أبي الفتح البُستي :

إِذَا أَقْسَمَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ
كَفَى قَلَمَ الْكِتَابِ مَجْدًا وَرَفْعَةً
وقول البحري :

تَعْنُو لَهُ وَزُرَّاءُ الْمَلِكِ قَاطِبَةٌ
وقول الآخر :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السَّيْفُ الَّذِي خَضَعَتْ
فَالْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ لَا شَيْءَ يُقَابِلُهُ،
بِذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مِذْ بُرَيْتُ
وقول أبي الطيب مناقضًا لهذا :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي:
اكَتُبْ بِذَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ لَهَا

وقول سليمان بن جرير النمري في نحوه :
جَهَابَذَةٌ وَكِتَابٌ وَلَيْسُوا
سَتَذْكُرْنِي وَتَعْرِفُنِي إِذَا مَا

يُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّي وَالْمَفَاصِلِ
لَمَا اخْتَلَفْتُ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمَحَافِلِ
وَأَرَى الْجَنَّا اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلِ
بِآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ
وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضُ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ
أَعَالِيهِ فِي الْقِرَاطِ وَهِيَ أَسَافِلُ
ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
ضَنْىَ وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلُ

وَعَدُوهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَمُ
مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ

وعادة السَّيْفِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ الْقَلَمَ

لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأَمَمُ
مَا زَالِ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مِذْ أَرْهِفَتْ خَدَمُ

الْمَجْدُ لِلْسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ !

بِفُرسَانِ الْكِرِيهَةِ وَالطَّعَانِ
تَلَاقَى الْحَلَقَتَانِ مِنَ الْبِطَانِ

وقول كُشَاجِم :

تَقْضَىٰ بِهَا أَيَّامُهُمْ فِي التَّعْنَمِ !
بِحَرْبٍ وَلَمْ يَنْهَدْ لَقْرَنَ مُصَمِّمِ !
سُيُوفُهُمْ لَيْسَتْ تَجْفُ مِنْ الدِّمِّ

هَنِيئًا لِأَصْحَابِ السُّيُوفِ بِطَالَةِ
وَكَمْ فِيهِمْ مِنْ دَائِمِ الْأَمْنِ لَمْ يَرْعُ
وَكُلُّ ذَوِي الْأَقْلَامِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
وقول الآخر في مدح القلم وأهله :

ثُمَّ اسْتَمْدُوا بِهَا مَاءَ الْمَنِيَّاتِ
مَالَا يُنَالُ بَحْدَ الْمَشْرِفِيَّاتِ
وقول البحثري يمدح الحسن بن وهب، ويصف أقلامه :

الْمَصْقُولُ خِلَتْ لِسَانَهُ مِنْ عَضِيهِ
بِرَقَتْ مَصَابِيحُ الدُّجَى فِي كَتْبِهِ
مَنَّا وَبِيعُدَ نِيلُهُ فِي قُرْبِهِ
مُتَدَفِّقٌ وَقَلِيلُهَا مِنْ قَلْبِهِ
شَخْصُ الْحَبِيبِ بَدَا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ

وَإِذَا تَأَلَّفَ فِي النَّدِيِّ كَلَامَهُ
وَإِذَا دَجَّتْ أَقْلَامُهُ ثُمَّ انْتَحَتْ
فَاللَّفْظُ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فِي بُعْدِهِ
حِكْمٌ فَسَائِحُهَا خِلَالَ بِنَانِهِ
فَكَأَنَّمَا وَالسَّمْعُ مَعْقُودٌ بِهَا
وقوله أيضا في ابن الزيات :

عَطَّلَ النَّاسُ فَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ
أَمْرُو " أَنَّهُ نِظَامُ فَرِيدِ
حِكْ فِي رَوْفِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ
وَمَا حُمِلَتْ طَهْوَرُ الْبَرِيدِ
وَتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ
إِذَا رُحْنُ فِي الْخُطُوبِ السُّودِ

لَتَصَرَّفَتْ فِي الْكِتَابَةِ حَتَّى
فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَّ
وَبَدِيعَ كَأَنَّهُ الزَّهَرُ الضَّا
مَا أَعِيرَتْ مِنْهُ بُطُونُ الْقَرَاطِيسِ
حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا
كَالْعَذَارَى غَدُونَ فِي الْحُلَلِ الصُّفْرِ
ومن أمثال الأدباء قولهم :

أَخَفُ مِنْ دِينَارٍ يَحْيَى،

وهو يحيى بن علي، أعطى بعض الأدباء دينارا خفيفا، فقال فيه عدة مقاطيع، منها :

دِينَارُ يَحْيَى زَائِدُ النُّقْصَانِ فِيهِ غَلَامَةٌ سَكَّةُ الْحَرَمَانِ

قَدْ رَأَى مَنْظَرَهُ وَرَقَّ خَيَالُهُ فَكَأَنَّهُ رُوحٌ يَلَا جُثْمَانَ
أَهْدَاهُ مُكْتَتَمًا إِلَيَّ بَرْقَعَةً فَوَجَدْتُهُ أَخْفَى مِنَ الْكِتْمَانِ !
ومن أمثال العامة قولهم :

خَالِفْ تَعْرِفْ !

ونحوه قول الشاعر :

خَلَقًا لِرَأْيِي مِنْ فَيَالَةِ رَأْيِهِ كَمَا قِيلَ قَبْلَ الْيَوْمِ : خَالِفْ فَتَذْكُرَا !
ويظهر من هذا البيت أنَّ المثلَّ قديم، والبيت أنشده الجاحظ.
ولنلمَّ الآن بشيء من الشعر في هذا الباب . قال الشاعر :

تَرَكْتُ النَّبِيذَ لِأَهْلِ النَّبِيذِ وَأَصْبَحْتُ أَشْرَبُ مَاءٍ نُقَاخَا
شَرَابَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَمَنْ لَا يُحَاوِلُ مِنْهُ اطِّبَاخَا
رَأَيْتُ النَّبِيذَ يُدَلُّ الْعَزِيزَ وَيَكْسُو النَّقِيَّ اتِّسَاخَا
فَهَبْنِي عَذْرَتُ الْفَتَى جَاهِلًا فَمَا الْعَذْرُ فِيهِ إِذَا الْمَرْءُ شَاخَا ؟
قوله ماءٌ نُقَاخَا، أي باردًا عذبًا صافيًا، وهو بضمَّ النُّون وبالْقَاف - على مثال غُرَاب - .
وقال الآخر :

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْكَاسِ تَشَيَّخُوا قَبْلَ أَنْ يَشَيَّخُوا
تَقَوَّسُوا وَانْحَنَوْا رِيَاءَ فَاحْذَرُهُمْ : إِنَّهُمْ فُخُوه !
وأشار بهذا التمثُّل في الرياء إلى نحو ما حكى في الاسرائيليات أنَّ عصفورة وقفت على فخٍّ
فقالَتْ له : مالي أراك منحنيًا ؟ قال : لكثرة صلاتي انحنيت . قالت : فمالي أراك بادية
عظامك ؟ قال : لكثرة صيامي، بدت عظامي ! قالت : فما هذا الصوف عليك ؟ قال : لزهادتي
لبست الصوف . قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكَّؤُ عليها وأقضي بها حوائجي .
قالت : فما هذه الحبة في يدك ؟ قال : قربان، إن مرَّ بي مسكين ناولته إياها . قالت :
فإني مسكينة . قال : خذوها ! فقبضت على الحبة فإذا الفخُّ في عنقها، فصاحت : قعى !
قعى ! وتفسيره : لا غرنِي مُرَّاءٍ بعدك أبدا !

وممَّا جاء في الرياء، أعاذنا الله منه !، قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أَخَوْفَ مَا
أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ . قالوا : وما الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال :

الرِّياءُ . يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جَازَى الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ
 اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرَاوُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَانظُرُوا كَيْفَ
 تَجِدُونَهُمْ عِنْدَهُمْ الْجَزَاءَ . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ رَأَى، رَأَى اللَّهَ
 بِهِ، وَمَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ⁽¹⁾ . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ أَسَرَّ
 سَرِيرَةً أَلْبَسَهُ اللَّهُ رِدَاءَهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ . وَالآيَاتُ
 وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِي ذَمِّ الرِّيَاءِ وَالتَّنْفِيرِ عَنْهُ لَا تُحْصَى وَهِيَ مشهورة . وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ
 قَوْلُ الشَّاعِرِ :

وَإِذَا أَظْهَرْتَ شَيْئًا حَسَنًا فَلْيَكُنْ أَحْسَنَ مِنْهُ مَا تُسِرُّ
 فَمُسِرُّ الْخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ وَمُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرِّ
 وَقَوْلُ الْآخَرِ فِي الْمُتَشَابِهِينَ :

أَهْلَ الرِّيَاءِ لِبَسْتُمْ نَامُوسَكُمْ كَالذِّئْبِ يَدْجُجُ فِي الظَّلَامِ الْعَاتِمِ
 فَلَمَكْتُمْ الدُّنْيَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ وَقَسَمْتُمْ الْأَمْوَالَ بَابِنِ الْقَاسِمِ
 وَرَكِبْتُمْ شُهْبَ الْبِغَالِ بِأَشْهَبِ وَبَأْصَبِغِ صُبْغَتِ لَكُمْ فِي الْعَالَمِ
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

قُلْ لِلْإِمَامِ سَنَا الْأَئِمَّةِ مَالِكٍ نُورِ الْعُيُونِ وَنُزْهَةِ الْأَسْمَاعِ :
 لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ هُمَامٍ مَاجِدٍ قَدْ كُنْتَ رَاعِيَنَا فَنَعْمَ الرَّاعِي !
 فَمَضَيْتَ مَحْمُودَ النَّقِيبَةِ طَاهِرًا وَتَرَكْتَنَا قَنَصًا لَشَرِّ سَبَاعِ
 أَكَلُوا بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ بِمَعْزَلٍ طَاوِي الْحِشَا مُتَكَفِّتِ الْأَضْلَاعِ
 تَشْكُوكَ دُنْيَا لَمْ تَزَلْ بِكَ بَرَّةً مَاذَا رَفَعْتَ بِهَا مِنَ الْأَوْضَاعِ
 وَقَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ لِابْنِ أَخْتِهِ :

تَصَوَّفَ كَيْ يَقَالَ لَهُ أَمِينٌ وَمَا مَعْنَى التَّصَوُّفِ وَالْأَمَانَةُ ؟
 وَلَمْ يُرِدِ الْإِلَهَ بِهِ وَلَكِنْ أَرَادَ بِهِ الطَّرِيقَ إِلَى الْخِيَانَةِ !
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

صَلَّى وَصَامَ لِأَمْرِ كَانَ يَطْلُبُهُ وَمُذْ حَوَاهُ فَمَا صَلَّى وَلَا صَامَا !
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

شَمَّرَ ثِيَابَكَ وَاسْتَعَدَّ لِقَابَكَ وَاحْكُكْ جَبِينَكَ لِلْقَضَاءِ بَثُومِ

وَعَلَيْكَ بِالْغَنَوِيِّ فَاجْلِسْ عِنْدَهُ
وَقَوْلِ الْآخِرَ :

لَا شَيْءَ أَخْسَرَ صَفْقَةً مِنْ عَالَمٍ
فَعَدَا يُفَرِّقَ دِينَهُ أَيْدِي سَبَا
لَا خَيْرَ فِي كَسْبِ الْحَرَامِ وَقَلَّمَا
فَخَذَ الْكَفَافَ وَلَا تَكُنْ ذَا فَضْلَةٍ
وَقَوْلِ بَعْضَهُمْ، وَقَدْ رَأَى ثُمَّ افْتَضَحَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ ! :

بَيْنَا أَنَا فِي تَوْبَتِي مُقْبِلًا
وَقَدْ حَمَلْتُ الْعِلْمَ مُسْتَظْهِرًا
إِذْ خَطَرَ الشَّيْطَانُ بِي خَطَرَةً
وَقَالَ آخِرُ يَخَاطِبُ مَعْزُولًا :

وَلَوْ كُنتَ إِذْ عَلِمُوا بِجَهْلِكَ مَنْصِبًا
طَبَخُوا بِنَارِ الْعِزْلِ قَلْبَكَ بَعْدَ ذَا
وَقَالَ الْآخِرُ فِي حَمَامٍ :

حَمَامُكُمْ قِيَمُهُ أَسْوَدُ
قَدْ سَلَخْتُ جِسْمِي أَظْفَارُهُ
وَفِي هَذَيْنِ الشَّعْرَيْنِ التَّوْرِيَّةِ، وَهِيَ أَنْ يَذْكُرَ الشَّاعِرُ لَفْظَالَهُ مَعْنِيَانِ : قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ . وَبِيرِيدُ
الْبَعِيدِ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، فَإِنَّ الْمُرَادَ أَحَدَ مَعْنِيَيْ
الْإِسْتَوَاءِ، وَهُوَ الْإِسْتِيلَاءُ قَهْرًا وَغَلْبَةً، وَهُوَ الْمَعْنَى الْأَبْعَدُ لِأَنَّهُ مُجَازٌ، وَتُسَمَّى التَّوْرِيَّةُ
إِيهَامًا. فَإِنْ كَانَ الْمَعْنِيَانِ مُسْتَوِيَيْنِ، سَمِيَ ذَلِكَ تَوْجِيهًا . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ جُمْلَةٌ مِنْ
الشَّعْرِ فِي الْأَبْوَابِ السَّابِقَةِ، وَنَحْنُ نَزِيدُ [هَذَا] مِنْ مُسْتَحْسِنِ ذَلِكَ قَوْلِ بَعْضِهِمْ يُهْنَى
بَعِيدُ النَّحْرِ :

تَهْنُ بَعِيدُ النَّحْرِ وَابْقَ مُمْتَعًا
تُقَلِّدُنَا فِيهِ قَلَائِدَ أَنْعَمَ
وَقَوْلِ الْآخِرَ :

بِرُوحِي أَقْدِي خَالَهُ فَوْقَ خَدِّهِ
وَمَا أَنَا فِي الدُّنْيَا فَأَقْدِيهِ بِالْمَالِ

تَبَارَكَ مَنْ أَخْلَى مِنَ الشَّعْرِ خَدَّهُ
وقول الآخر :

مُهَفِّهَف الْقَدِّ إِذَا مَا انْتَنَى
مَا أَنْتَ كِفْلِي يَا كَثِيبَ اللّوَى
لَوْ نِلْتُ مِنْ خَدِّهِ تَقْبِيلَةً
وقول الآخر :

قُلْتُ لِلْأَهْيفِ الَّذِي فَضَحَ الْغُصْنَ :
قَالَ : قَوْلُ الْوُشَاةِ عِنْدِي رِيحٌ
وقول الآخر :

تَهَاوَنَ شَمْسُ الدَّيْنِ بِي وَهُوَ صَاحِبُ
نَزَلَتْ بِهِ أَبْغِي النَّدَا وَهُوَ طَالِعُ
وقول الآخر فِي حَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
يَا عَيْنُ إِنْ بَعْدَ الْحَبِيبِ وَدَارُهُ
فَلَقَدْ ظَفِرْتَ مِنَ الزَّمَانِ بِطَائِلِ
وقول الآخر :

عَايَنْتُهُ وَدَمُوعِي غَيْرُ جَارِيَةٍ
فَقَالَ : لَمْ أَدْرِ وَكَفَّ الدَّمْعُ . قُلْتُ لَهُ :
وقول الصَّفْدِيِّ مَعَ حَسَنِ التَّضْمِينِ :

مَلَكَتُ كِتَابًا أَخْلَقَ الدَّهْرُ جِلْدَهُ
إِذَا عَايَنْتُ كُتُبِي الصَّحِيحَةَ حَالَهُ
وقول أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَجَّةٍ :

عَزَمْتُ عَلَى السُّلُوِّ لَطُولَ هَجْرِي
وَكَانَ الْعُذْرُ يُقْبَلُ فِي سُلُوِّي
وقول الْبَدْرِ الدَّمَامِينِيِّ :

وَبِي وَجَنَّةٌ حَمَاءُ زَادَ صِفَاؤُهَا
فَدَعَمَ لِأَتَمِّي فِيهَا عَنِ الْحُبِّ جُهِدُهُ

وَأُسْكَنَ كُلَّ الْحُسْنِ فِي ذَلِكَ الْخَالِ !

قَالَ ، وَلَا يَخْشَى مِنَ الْوَدِّ :
وَلَسْتُ يَا غُصْنَ النَّقَا قَدِّي !
تَزِيْنُ الرِّيْحَانَ بِالْوَرْدِ

كَلَامُ الْوُشَاةِ مَا يَنْبَغِي لَكَ
قُلْتُ : أَخْشَى يَا غُصْنَ أَنْ تَسْتَمِيلَكَ !

وَأُظْهِرَ لِي أَضْعَافَ مَا يُظْهِرُ الْعِدَا
وَعِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يَرْتَفِعُ النَّدَا !
وقول الآخر :

وَنَآتٍ مَرَابَعُهُ وَشَطَّ مَزَارُهُ
إِنْ لَمْ تَرِيهِ فَهَذِهِ آثَارُهُ

لَأَنَّ دَمْعِي مِنْ طُولِ الْبُكَاءِ نَشَفَا
حَسِيبُكَ اللَّهُ يَا بَدْرَ الدُّجَا وَكَفَا !

وَمَا أَحَدٌ فِي دَهْرِهِ بِمُخَلَّدٍ
يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدُ !

فَجَاءَتْنِي عَوَارِضُهُ تَعَارِضُ
وَلَكِنْ مَا سَلَمْتُ مِنَ الْعَوَارِضِ

فَأَبْدَتُ صِفَاتِ أْبَدَعِ الْحُسْنِ كَوْنَهَا
فَمَا أَنَا بِالسَّالِي صِفَاها وَلَوْنَهَا

وقول ابن جعفر العسقلاني :

قد جئت في علم الأصول لنا وفي
برزت في هذا وفي هذا على
علم الفروع بخالص الأبريز
الرازي بالاحسان والتبريزي
وقوله :

خليلي ولّي العمر منّا ولم نتب
فحتّى متى نبني بيوتاً مشيدة
وننوي فعال الصالحين ولكنّا
وأعمارنا منّا تهدّ وما تبنا ؟
وقول المعمار :

إن قام يتلو سورة الشّمس المنيرة في ضحاها
يا حسنه فكأنه القمر المنير إذا تلاها

وقوله :

تملك قلبي صارم قد هويته
أقول لصحبي حين يرنو بلحظه
من الهند معسول اللّمي أهيف القد
خذوا حذرکم قد سلّ صارمه الهندي
وقول الآخر :

يا من تولّى قاضيّا
عذرک في نسياننا
هذا قضاء أم قدر ؟
أنّ القضا يعمي البصر !
وقول ابن العفيف :

ليس خليلاً ولكنه
يا ردفه جرّت على خصمه
يضرّم في الأحشاء نار الخليل
رفقاً به ما أنت إلاّ ثقیل !
وقوله ممّا يكتب على كأس :

أدور لتقبيل الندامى ولم أزل
وأكسو أكفّ الشرب ثوباً مذهباً
أجود بروحي للندامى وأنفاسي
فمن أجلك هذا لقبوني بالكاس
وقوله في مليح خيالي :

خيالي أخاف الهجر منه
وكنّت عهدتني قدماً شجاعاً
وليس أراه يرغب في وصالي
فمالي صرت أفرع من خيالي ؟
وما قيل في التورية والتوجيه أكثر من أن يحصى . ولولا خوف الاطالة لأوردنا من مستحسن
ذلك ما يكون جزءاً مستقلاً ، وليس ذلك من غرضنا . وأنا أذكر هنا بعض ما اتّفق لي نظمه

في باب التورية أو التوجيه من غير تعبئة لنزول هذا الميدان، ومطاردة هؤلاء الفرسان . فمن ذلك قلبي :

بنفسي من أضحي فؤادي طائرًا على غصنٍ من قدّه اللدن ميّالٍ
على روضةٍ من خدّه الخالٍ عارضٌ وأبْهَجُ روض ما علًا عارضٍ الخالٍ
وفيه التورية بالطائر من حيث إنّه اسم فاعل أو اسم ذي الجناح على التشبيه وحرف الجرّ
بعده للتعليل على الأوّل والاستعلاء على الثاني، والتورية بالخال من حيث إنّه النقطة أو
الغيم المخيل بالمطر مع الجناس بين على وعلًا والعكس .
وقولي :

مررتُ على بالٍ من الرّبّع دارسٍ بكُلِّ ربابٍ عارضٍ اسحمٍ خالٍ
ففاضتُ شؤون الجفّن من ذكر حيرتي وثار هواهم إذ مررت على البالٍ
وفيه التورية بالخال من حيث إنّه وصف للدارس من الخلوّ أو وصف للرباب بمعنى المخيل
كما مرّ . والتورية بالبال آخرًا من حيث إنّه راجع إلى الربع من البلى أو إنّه الفكر والخاطر
ومعمول مررتُ علَيْنٍ محذوف أيّ عليه .
وقولي :

وعاذلٍ عن الهوى عادلٍ يدعُو لأمرٍ في الهوى إمّرٍ
قال اسْلُهُمْ واصْبِرْ فكَمْ ذائقٍ أمرٌ في العَجْر من الصَّبْر
وزع عِنانَ القلبِ عمّا جرى عليه من بَلْواءٍ أو يجري
فأيُّ عذرٍ في اتّباع الصِّبَا ؟ قلتُ له إنّ الهوى عُدْري
وفيه التورية بالصبر من حيث إنّه على معناه أو أنّه المرء المعروف . وأصله صبر ثمّ خفف
بالتسكين والتورية يجري من حيث إنه من الجريان بقريئة العنان أو أنّه من الوقوع . والمعنى
عليهما واضح . والتورية بالعذر من حيث أنّه بمعنى الاعتذار أضيف إلى ياء المتكلّم أو
منسوب إلى بني عذرة، وهو الهوى الشديد، والمعنيان ظاهران .
وقولي :

قالَ العُدُولُ إذْ بَدَا	بِعَارِضٍ مُعَذِّرٍ :
الوجهُ الاعتزالُ عَنْ	هَذَا الوجهِ الأشْعَر
فقلتُ : ذاكَ الوجهُ	يَبْقَى فِيهِ فَضْلُ نَظَرٍ

وفيه التورية في الأشعر مع الاعتزال من حيث إنّه وصف كأحمر - أي ذو شعر - أو بياض النسبة . والتورية في النظر والوجه من حيث إنّه نظر البصر أو نظر البصيرة، والوجه وجه الحبيب أو وجه الدليل .

وقولي من قصيدة زمن الصبا أخطب شيخنا الامام أمتعني الله به :
وفينا معانٍ بيّنتُ قِدمَ الهوى فليسَ لعمري بالبديعِ إلى الصّدر
وقد أعربتُ جزءًا بنصبِ أدلّةٍ فيُرفع ما بيني على الظّنّ من هجر
فإن لم يكن عن ذاك فعليّ مُعربًا تغنّيت بالماضي من الحال والأمر
وهذه التوريات واضحة كلّها، وقد وقع لي مثلك هذا النوع كثيرا ولم أذكره .

وقولي من قصيدة أخرى موريا بالعباب و « الجوهري » من كتب اللغة :
وعبرتُ من لُججِ العلوم عُبَابها حتّى انثنتُ بمنفّساتِ الجوهر
وهذه القصيدة خاطبت بها بعض فضلاء العصر . فلما وقف عليها استحسناها هو وجماعة من الفضلاء الواقفين عليها غاية . وكان من أغبياء الطلبة بعض من لم يرتق فهمه إلى ألفاظها، فضلا عن معانيها، فتعلّك لنفسه القاصرة بأنّها مشتملة على الوحشيّ من اللغة . فلما بلغني ذلك قلت :

تسامى لأذيالي مُذالٍ ولم أكنْ لَكُ ذليكَ بالذّلول ولا السّهْل
ورامَ مراماتِ امرئٍ طالما علّا على الحزن من فيح البلاغة والسّهْل
وارسلتها غراء ليس يذيمُها سوى العمي عن شمس الظهيرة والجُهل
فأنكر جهلا ما حوته رسالتي ولا غروا فالتكذيب شأنُ أبي جهل !
وفيه التورية بأبي جهل مع الجناسات الكثيرة . والجُهل - بضمّ فسكون - جمع جاهل .
وتخلف بعض أصحابي عن مجلس الدرس في اليوم المسمّى بالعجوز، آخر ينيّر، حبسه البرد، فكتبت إليه على سبيل المطايبة :

أعجرتُ عنّا بالعجوز ولم يكنْ رجلٌ لتمنّعه عجزٌ عائده ؟
وعدلت عن أكار فكري بكرة أتباع بكر بالعجوز الباردة ؟
وفيه التورية بالعائدة من حيث إنّه وصف للعجوز - أي صارفة وعائقة - وأنّه معمول المنع بمعنى العطية والصلة، وفي العجوز [أيضا] بين اليوم والمرأة بقرينة ذكر الرجل . وينشد أيضا عجز جالدة أو فائدة، وفي كليهما التورية : فالجالدة إمّا بمعنى ذات الجليد، من

قولك جَلَدَتِ الأرضُ - بالكسر -، تَجَلَّدُ فهمي جَلْدَةً وجالِدَةً، اعتباراً للعجوز بمعنى اليوم على قصد الليلة أو الصبيحة والبركة ؛ وإمّا بمعنى المدافعة والمقاتلة، من قولك جَلَدْتُهُ بالعصا : ضربته، اعتباراً للعجوز بمعنى المرأة ؛ والفائدة إمّا بمعنى الافادة وهو معمول المنع، أو بمعنى الهالكة، من قولك : فَاد، يَفِيدُ، فَيَدًا، إذا هلك ومات، اعتباراً للعجوز بمعنى المرأة وأَنَّها هرمة فانية، فكيف تغلب الرجال ؟ والتورية في العجوز الباردة واضحة ؟ وأعلم أنَّ التورية والتوجيه أعلى فنون البديع وأجلّها وأدقّها، وهو أحد معاريض البلغاء الذي يرفلون به في الحل الرقائق، وينجون بفُسْحَتِها من المضائق .

فمن أظرف ما وقع من ذلك ما رُوِيَ عن خالد بن الوليد، رضي الله عنه، أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ عَلَى الْحَيْرَةِ أَنَاهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ الْغَسَّانِي، وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة . فلمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : أَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : قَدْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْ تَحِيَّتِكُمْ بِسَلَامٍ عَلَيْكُمْ . ثُمَّ قَالَ لَهُ خَالِدٌ : مِنْ أَيْنَ أَقْصَى أَثَرُكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟ قَالَ : مِنْ ظَهْرِ أَبِي . قَالَ : مِنْ أَيْنَ خَرَجْتَ ؟ قَالَ : مِنْ بَطْنِ أُمِّي . قَالَ : فَعَلَا مَ أَنْتَ ؟ [قَالَ : عَلَى الْأَرْضِ . قَالَ : فِيمَ أَنْتَ ؟ قَالَ : فِي ثِيَابِي . قَالَ : أَتَعْقِلُ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ، وَأَقِيدُ . قَالَ : ابْنُ كَمْ أَنْتَ ؟] (2)

قال: ابن رجل وامرأة . قال : ما سنّك ؟ قال : عظم . قال : كم سنّك ؟ قال : اثنان وثلاثون . بين ضرس وغيض . قال : كم لك من السنين ؟ قال : السنون كلّها لله . قال : كم أتى عليك ؟ قال : لو أتى عليّ شيء لقتلني . قال : كم عمرك ؟ قال : لا يعلمه إلّا الله . فقال خالد : ما رأيت كالיום إنساناً أسأله عن شيء وهو ينحو في غيره . فقال : ما أجبتك إلّا عن مسألتك .

وما روي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم حيث قال له الأعرابيّ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم : نَحْنُ مِنْ مَاءٍ، والقصة مشهورة.

وما رُوِيَ مِنْ أَنَّ رَجُلًا وَقَفَ بَبَابِ الْمَأْمُونِ لِيَشْكُو فَلَمْ يَجِدْ مِنْ يَدْخُلُهُ فَصَاحَ : أَنَا أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى النَّبِيُّ الْمَبْعُوثُ ! فَأَخَذَ وَأَدْخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ تَنْبَأُ، فَسُئِلَ عَنْ أَمْرِهِ فَذَكَرَ شِكْوَاهُ فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الَّذِي حُكِيَ عَنْكَ ؟ قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ قَالُوا إِنَّكَ تَنْبَأُ . قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ ! إِنَّمَا قُلْتُ : أَنَا أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى النَّبِيُّ الْمَبْعُوثُ، وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَحْمَدُهُ، وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ . فاستظرفه المأمون وأمر بانصافه.

وما رُوِيَ عَنْ بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ مِنْ أَنَّه خَاطَ لَهُ رَجُلٌ أَعُورٌ يُعْرِفُ بِعَمْرٍو بَرْدًا فَلَمْ يُعْجِبْهُ فَقَالَ لَهُ:

ما هذه الخياطة ؟ قال له : خطته لك كذلك لتلبسه إن شئت على وجهه، وإن شئت من باطنه . فقال له بشّار : وأنا قد قلت فيك شعرا، إن شئت جعلته مدحاً وإن شئت جعلته هجواً، ثمّ أنشد :

خَاطَ لِي عَمْرٌو قَبَاءَ لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءُ
فَأَحَاجِي النَّاسَ طَرًّا أَمَدِيحٌ أَمْ هِجَاءُ !
ويُروى :

خَاطَ لِي عَمْرٌو قَبَاءَ لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءُ
فَسَلَّ النَّاسَ جَمِيعًا أَمَدِيحًا أَمْ هِجَاءُ !
وهو على نصب الجزئين بِلَيْتَ .

وما رُوي أنّه نشأ ببغداد غلامان أحدهما ابن حجّام والآخر ابن مرّاق، فبرعا في الأدب . فخرجا ليلة وهما ثلمان من نبيذ . فأخذهما العسّسُ فأتوا بهما إلى صاحبهم . فلما تلا بين يديه قال لهما : ما أخرجكما جوف اللّيل ؟ فقالا : القدر والقضاء . فقال مَنْ أنتما ؟ فقال ابن المرّاق :

أنا ابنُ الذي لا تنزلُ الدّهرُ قدرهُ وإن نزلت يوماً فسوفَ تعودُ
تري النَّاسَ أفواجاَ إلى ضوءِ نارهِ فمَنهُم قِيامٌ حولها وقعودُ
وقال ابن الحجّام :

أنا ابن من ذلّت الرّقابُ له ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه طوعا إليهِ خاضعةٌ يأخذُ من مالها ومن دمها
فقال في نفسه : الأوّل من أبناء الكرام، والثاني من أبناء الملوك . فقال لأعوانه : خلّوا عنهما، فإنّه بلغنا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : أَقِيلُوا ذَوِي الهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ . فلمّا انصرفا أخبر بأمّهما، فاسترجعهما بالغد وقال لهما : ويحكمّا ! خدعتما نبي . فقالا : ما خدعناك، وما أخبرناك إلّا بما هو صفة والدينا . فلمّا تأمّل كلامهما وجده صدقا وقال : انطلقا ! من لم يكن منكما شريفا فلقد كان ظريفا .

ومّا رُوي عن أبي الفرج الجوزيّ، رضي الله عنه، أنّه كان في مجلس فيه السنيّة والشيعة، فسأله سائل : أيّ النَّاسِ كان أحبّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أبو بكر أم عليّ ؟ فتعافل، فقيل له : قل ما عندك ! فقال : أحبّهما إليّ من كانت ابنته تحته.

ويروى : أفضلهما من كانت ابنته تحته - على أن السؤال كان على الأفضلية - . ففهم
السنينة أبا بكر وفهم الشيعة عليا، ورضي الفريقان . ومحاسن هذا النوع أكثر من أن
تُحصى . وقد خرجنا عن الغرض، فلنعد إلى المقصود . وقال أبو محمد الحريري :

يَقُولُونَ إِنَّ جَمَالَ الْفَتَى وَزَيْنَ تَهْ أَدَبٌ رَأْسُ
وَمَا إِنْ يَزِينُ سِوَى الْمَكْثَرِينَ وَمَنْ طَوْدُ سُودَدِهِ شَامِخُ
فَامًا الْفَقِيرُ فَخِيرٌ لَهُ مِنْ الْأَدَبِ الْقُرْصُ وَالْكَامِخُ
وَأَيُّ جَمَالٍ لَهُ أَنْ يُقَالَ أَدِيبٌ يَعْلَمُ أَوْ نَاسِخُ
الْكَامِخُ : شيء يؤتد به، أو طعام يتخذ من الحنطة واللبن على أنواع، والعرب كانت
لا تعرفه . وقدّم لأعرابي فقال : ما هذا ؟ ف قيل له : كَامِخٌ . فقال : مِمَّ صنَع ؟
ف قيل : من الحنطة واللبن . فقال : أبوان كريمان وما أنجبا، وقلت :

إِذَا الْمَرْءُ إِنْ أَرْضَيْتَهُ كَانَ لِي أَخًا وَإِنْ أَسَى عَادَانِي فَمَا هُوَ لِي بِأَخٍ
فَلَا خَيْرَ فِي وَدٍّ أَمْرِي لَيْسَ صَافِيًا تَرَاهُ بِأَدْرَانِ الْمَسَاوِي قَدْ اتَّسَخَ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدٍّ يَكُونُ تَكَلَّفًا وَلَا فِي وَدُودٍ حَيْثُ لَنْتَ لَهُ شَمَخُ
وَمَا الْوَدُّ إِلَّا مَا تَكَنَّفَهُ الْحَشَا مَتَى تَهَزُّزُ الْأَحْدَاثُ أَغْصَانُهُ رَسَخُ
وقلت أيضا من هذا المعنى :

وَلَا تَبِتْ مِنْ فَتَى عَلَى ثِقَةٍ وَلَا يَغُرَّنْ حِجَاكَ مِنْ أَخَى
حَتَّى تَرَاهُ لَدَى النَّوَائِبِ إِنْ قَاضَيْتَهُ فِي الْحَاجَاتِ هَلْ سَاخَى
وَعِنْدَ سَعْيِ الْوَشَاةِ هَلْ ثَبَّتَتْ رَجُلًا حَشَاهُ فِي الْوَدِّ أَمْ سَاخَا
سَاخَى الْأَوَّلُ فَاعَلَّ، مِنَ السَّخَاءِ وَهُوَ الْكِرَمُ، وَسَاخَ الثَّانِي مِنْ سَاخٍ يَسُوخُ
وَيَسِيخُ إِذَا هَوَى فِي الطِّينِ وَنَحْوَهُ، وَفِيهِمَا الْجِنَاسُ التَّامُ.

ولنكتف بهذا القدر من هذا الباب، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

بَابُ الدَّالِ الْمُهِمَلَةِ

دَرَدَبَ لَمَّا عَضَّهُ الثَّقَافُ .

الدَّرَدَبَةُ عَدُوٌّ عَلَى خَوْفٍ، وَهُوَ أَنْ يَجْرِي وَيَلْتَفِتَ وَرَاءَهُ مِنَ الْخَوْفِ . وَعَضَضْتُ الشَّيْءَ - بِالْكَسْرِ - كَعَلِمْتُ، - وَبِالْفَتْحِ - كَمَنَعْتُ - : أَمْسَكْتُهُ بِأَسْنَانِي أَوْ بِلِسَانِي ثُمَّ يَسْتَعْمَلُ الْعَضَّ فِيمَا يَشْبَهُ هَذَا مِنَ إِلْمَامِ الْحَوَادِثِ وَوَقْعِ الْخُطُوبِ : وَالثَّقَافُ - بِالْكَسْرِ الْخِصَامُ وَالْمَجَالِدَةُ . وَيُقَالُ : ثَقِفَهُ - كَعَلِمَهُ - إِذَا صَادَفَهُ أَوْ أَخَذَهُ أَوْ أَدْرَكَهُ وَظَفَرَ بِهِ. قَالَ الشَّاعِرُ :

مَنْ يَتَّقِفَنْ مِنْهُمْ فَلَيْسَ بِأَبٍ أَبَدًا وَقَتْلُ بَنِي قُتَيْبَةَ شَافٍ
وَقَالَ ذُو الْكَلْبِ الْهَذْلِيُّ :

فَأَمَّا تَتَّقِفُونِي فَأَقْتُلُونِي فَإِنْ أَتَّقَفَ فَسُوفَ تَرُونَ بِأَلِي^(١)
وَالثَّقَافُ أَيْضًا - بِالْكَسْرِ - الْخَشْبَةُ تَسْوَى بِهَا الرِّمَاحُ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ فِي الْمَثَلِ . فَمَعْنَى دَرَدَبَ لَمَّا عَضَّهُ الثَّقَافُ : خَضَعَ وَذَلَّ . وَمَضْرِبُهُ وَاضِحٌ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ :
إِذَا عَضَّ الثَّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ وَوَلَّتْهُمْ عَشْوَزَّةٌ زَبُونَا^(٢)
وَتَقَفَّتْ الرُّمَحُ بِالثَّقَافِ تَتَّقِفًا : سَوَّيْتُهُ وَقَوَّمْتُهُ، فَهُوَ مُتَقَفٌّ وَمُقَوَّمٌ.

دَفَعْتُ إِلَيْهِ الشَّيْءَ بِرُمَّتِهِ

الدَّفْعُ هُنَا الْإِعْطَاءُ . وَالرُّمَّةُ - بِالضَّمِّ - الْقِطْعَةُ مِنَ الْحَبْلِ الْبَالِيَةِ . وَدَفَعَ رَجُلٌ لآخرَ بَعِيرًا فِي رَقْبَتِهِ حَبْلٌ فَقِيلَ : دَفَعَهُ إِلَيْهِ بِرُمَّتِهِ، وَذَهَبَ مِثْلًا لِكُلِّ مَنْ أَعْطَى الشَّيْءَ أَوْ أَخَذَهُ بِأَجْمَعِهِ . قَالَ الْأَعَشَى يَخَاطِبُ خَمَّارًا :

(١) سَقَطَتِ الْبَاءُ مِنْ «بَالِي» فِي مَخْطُوطَاتِنَا.

(٢) الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْبَيْتِ :

إِذَا عَضَّ الثَّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ تَشَجُّ قَفَا الْمُتَّقِفِ وَالْجَبِينَا

فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ هَاتِيهَا بِأَدْمَاءَ فِي حَبْلٍ مُقْتَادِيهَا

دَعُ بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ !

دَعُ : معناه اتركْ، أصله الودع، وهو التَّرك، لكن لم يُستعمل هذا المصدر إلا قليلا، كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيَنْتَهِيْنَ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَةَ، الحديث. ولم يُستعمل منه أيضا الماضي إلا قليلا، كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعُوا الْحَبْشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ ! وقرئ : مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى، بالتخفيف من هذا، وإنَّما المستعمل منه كثيرا المضارع والأمر، وهما يفتح عين الكلمة لمكان حرف الحلق، نحو قَعُ وَيَقَعُ . وقد علمت من هذا أنَّ حرفَ هذا الحرف أن يُذكر في باب الواو، ولكن كتبناه في هذا الباب تقريبا لما أنَّ الواو مستهلكة لا تظهر كما مرَّ نظيره في حرف التاء . وبُنَيَّاتُ الطريق الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الكبيرة وكأنَّها بنات لها من حيث إنَّها تنشأت عنها وخرجت منها . ثمَّ أطلقوا بُنَيَّاتِ الطريق على الأباطيل، فضُربَ المثل عند أمر الرجل أن يقصد معظم الشأن ويدع سفاسف الأمور . قال ابن منادر في قاضي البصرة :

أَيُّ قَاضٍ أَنْتَ لِلنَّقْضِ وَتَعْطِيلِ الْحُقُوقِ ؟
يَدْعُ الْحَقَّ وَيَهْوِي فِي بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ

دَعُوا دَمًا ضِيَعَهُ أَهْلُهُ !

الدِّمُّ معروف، وفيه لغات : يُقال دمٌ، وهي الفصحاء، وأصله دَمَوٌ ودَمِيٌّ فحذفت اللام . ويقال دَمٌ - بالتضعيف -، كقوله :
أَهَانَ دَمَكَ فَرغًا بَعْدَ عَزَّتِهِ يَا عَمْرُو بِغَيْبِكَ إِصْرَارٌ عَلَى الْحَسَدِ ؟
فَقَدْ شَقِيتَ شَقَاءً لَا انْقِضَاءَ لَهُ وَسَعْدُ مُرْدِيكَ مَوْفُورٌ عَلَى الْأَبَدِ
وَيُقَالُ دَمِي - بالقصر - مَثَلُ فَتَى وَعَصَى كقوله :
كَأُطُومٌ فَقَدْتُ بَرَزْغَهَا أَعْقَبَتْهَا الْغُبْسُ مِنْهَا عَدَمًا⁽³⁾

(3) صحفت كلمة «الغُبْس» في بعض المخطوطات فكتبت «العنس».

عَفَلَتْ ثُمَّ أَتَتْ تَطْلُبُهُ فَإِذَا هِيَ بِعِظَامٍ وَدَمٍ الْأَطْوَم - بوزن صَبُور - البقرة، والبُرْزُغُ ولدها، والتَّضْيِيعُ معروف . وهذا المثل من كلام جذيمة الأبرش المتقدم ذكره.

وكانت الزَّبَاءُ لَمَّا احتالت على قتله، كما مرَّ، قيل لها : احتفظي بدمه فإنه إن يضع وتقع منه قطرة بالأرض طُلبت بثأره . فلمَّا قبضت على جذيمة، وأجلس على النُّطْعِ، وجعل الخدم يقطعن رواهشه قالت الزَّبَاءُ : لا تضيِّعن دم الملك ! فقال جذيمة : دعوا دَمًا ضيِّعهُ أهْلُهُ !

والمعنى : اتركوا دَمًا أراقه أهله !، أي مستحقَّوه وهم الزَّبَاءُ، أي فلا يهولنكم ضياعه، ولا يهمنكم حفظه، ولا تتخوفوا إذا ضاع أن تطالبوا به، لأنكم لم تريقوه ظلمًا . وهذا كما في الرواية الأخرى : لا يُحْزَنَنَّكَ دَمٌ أَرَاقَهُ أَهْلُهُ ! يخاطب الزَّبَاءُ . وتقدَّمت القصة مستوفاة . وجذيمة يُحتمل أن يكون في هذه الرواية عبَّر بتضييع الدَّم عن إراقته مجازًا ليشاكل لفظ الزَّبَاءُ ؛ ويُحتمل أن يريد معناه لصحَّته في المعنى ؛ وقد يكون جذيمة أراد أهله هو وأنَّهم ضيَّعوا دمه فيقول : إنَّ دَمًا أسلمه جمعه وواليه، وخانه ناصره وحاميه، جدير أن لا يُحتفظ عليه، وأن يضيع ولا يلتفت إليه.

دَعَوْا دَعْوَةً كَوَكَبِيَّةً .

الدُّعَاءُ : الرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، دَعَا لَهُ وَعَلَيْهِ، يَدْعُو دُعَاءً، والمرَّة منه دَعْوَةٌ . والكَوَكَبِيَّةُ : قرية كان أهلها ظلمهم عامل فدعوا عليه دعوةً فمات عقباها، فضُرب المثل بذلك .

وممَّا يشبه هذا ما حكاه صاحب المدخل أنَّ قرية من أعمال السودان كان أهلها إذا ولَّى عليهم السلطان عاملاً فانبسط عليهم دعوا فهلك . فلمَّا أعيى السلطان أمرهم وتحيرَّ قام إليه بعض الحاضرين فقال : أنا أليي عليهم ! فولاَّه السلطان بعد أن عرفه بكنهه الأمر . فذهب ذلك الوالي فغصَّب ملحا واستصحبه معه، ولم يكن في بلد السودان الملح . فلمَّا بلغ موضع عمله قعد في المسجد ولم يصعد إلى موضع الأمير . فقالوا له : ألا تصعد إلى موضعك ؟ فقال : إنَّما جئت على أن أكون واحدا منكم وأبأشركم، ولا أصدر إلاَّ عن

رأيكم، أو كما قال . وبقي على ذلك حتّى أعجبهم وحسنوا به الظنّ . فتمارض حينئذٍ، فسألوه عن موجب مرضه، فقال لهم : موجب المرض فقدُ الملح . فقالوا : نأتيك بالملح . فقال : لا أعرف أصله، وإنّ عندي ملحاً بالبلد أعرف جهته وأصله، فلعلّه يكون فيه الشفاء . فإن أردتم أن أرسل من يأتي به، وإلاّ فلا . فأذنوا له، فأرسل إليه حتّى بلغه، ففرقه عليهم على وجه التبرّك . فلمّا علم أنّهم قد أكلوه قام إليهم ومدّ اليدين إليهم، وطلع إلى موضع الولاية حينئذٍ . وكان قبل يخشى من دعائهم لاقتياتهم الحلال الصرف . فلمّا دخل أجوافهم ذلك الملح علم أنّ دعاءهم لا يُسمع عليه، وكان في القوم رجلان تفتّنا لذلك فلم يأكلا ملحهما . فلمّا ظهر أمره أتياه بما عندهما لم يفسدا شيئاً منه . فلمّا علم أنّهما قد بقيا هرب خوفاً منهما .

ومثل هذا حكي عن الحجّاج لمّا دخل العراق والياً، وكانوا لا يلي عليهم أحد ويظلمهم إلاّ دعوا فهلك . فلمّا خاف الحجّاج من دعائهم طلب منهم أن يأتوه كلّهم ببيضة بيضة لحاجة ذكرها، وقعد على صحن . فكلّ من أتى ببيضة أمره أن يطرحها في الصحن . فاستخفوا البيض منه وفعلوا ما أمرهم . فلمّا اجتمع البيض واختلط، أمرهم أن يأخذ كلّ واحد بيضة، وأراهم أنّه قد بدا له في ذلك ورجع عمّا أراد . فأخذ كلّ واحد بيضة من البيض ولا يدري عين بيضته . فلمّا علم الحجّاج أنّهم تصرّفوا في ذلك، مدّ يده إليهم فدعوا عليه، فمنعوا الاجابة . قال رحمه الله تعالى : ولأجل هذا كثرت المظالم وكثر الدعاء على فاعلها، وقلّت الاجابة أو عدمت .

دَقْنُ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ .

الدَّقْنُ معروف ؛ والبَنَات جمع بنت ؛ والمَكْرُمَة فعل الكرم . وهذا المثل مشهور، ومثله المثل الآخر : نِعَمَ الصَّهْرُ الْقَبْرُ ! وقال الشاعر، مضمّناً المثل :

القبر أخفى ستره للبناتِ ودفنُها يروى من المَكْرُمَاتِ
أما رأيتَ الله عزَّ اسمه قد وضع النعش بجانب البناتِ !
وقول الآخر :

أحبُّ بُنيّتي وأودُّ أنِّي دفنتُ بُنيّتي في قعرٍ لحَدٍ

وشبه هذا قول الأمير ابن أبي حفصة :

وفي الدار خلفي صبية قد تركتهم يطئون إطلاك الفراخ من الوكر
جنيت على روعي بروحي جناية فأتقتل ظهري بالذي خف من ظهري
والشعر في هذا المعنى كثير .

دَقَّكَ بِالْمِنْحَازِ حَبَّ الْقَلْقَلِ .

الدَقُّ معروف . والمِنْحَاز - بالحاء المهملة وبالزاي - الهاون، وهو المهراس . ونَحَرَت الشيء : دَقَّقْتَهُ . والقَلْقَل - بقافَيْن مكسورَيْن، على مثال زبرج - : نبت له حب أسود أصلب ما يكون من الحبوب، حسن الشم . قال أبو النجَم :

وَأَصَتِ الْبُهْمَى كَنْبَكَ الصَّيْقَلِ وَطَارَتِ الرِّيحُ يَبِيسَ الْقَلْقَلِ⁽⁴⁾
وقد يُقال في هذا المثل بفائِيْن مضمومَتَيْن، وهو الْفُلْفُلُ المعروف من الأيزار، وجعله الأصمعي تصحيفا من العامة . ومن النَّاس من ادَّعى أنَّ هذا هو الصواب، وأنَّ الأوَّل هو التصحيف، لأنَّ حَبَّ الْقَلْقَل - بالقاف - لا يُدَق . وهذا المثل يضرب في اللاحاح على الشحيح والحمل عليه، وكأنَّه شطر بيت من الرجز .

دَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمٍ .

الدَقُّ مَرَّ ؛ والعِطْرُ - بالكسر - معروف ؛ وَمَنْشِم - على مثال مجلس، وعلى مثال مَقْعَد، قيل ويروى أيضا مَنْشِم - بالهمز - ؛ وَمَنْ شَمَّ مفصولة . واختلف في معناه: ففيل مَنْشَم اسم الشَّرِّ ؛ وقيل الْمَنْشِم يكون في سنبك العطر يُسمَّى قرون السنان وهو سمّ ساعة . وقيل مَنْشَم اسم امرأة . واختلف في اشتقاقه أيضا : ففيل مَنْشِم وضع وضع الأعلام ؛ وقيل مُشْتَقَّ من قولك : نشم في الشيء إذا بدأ وأخذ فيه، ويُسْتعمل في الشَّرِّ . وقيل هو مركَّب من اسم وفعل، والأصل مَنْ شَمَّ، على أنَّ شَمَّ فعل ماضٍ من شَمَّ الرائحة، وهو صِلَةٌ من . ثم وصل وحذفت الميم الثانية من الفعل وجُعِلَ الاعراب على الأولى . وعلى رواية مَنْشَام فهو مأخوذ من الشَّوْم . واختلف أيضا

(4) الرواية المشهورة : «وَحَارَتِ الرِّيحُ يَبِيسَ الْقَلْقَلِ» يسما نجد في مخطوطاتنا «وطارت الرِّيحُ...» أو «صارت الرِّيحُ...».

في سبب المثل ومعناه : ف قيل إنَّ منْشَمِ اسم امرأة، وهي بنت الوجيه، وكانت عطارة بمكة . وكانت خزاعة وجُرُّهُمُ إذا أرادوا الحرب تطيَّبوا من طيبها، فكثرت القتلى، فجعلوا يقولون : أَشْأَمُ مِنْ عِطْرِ مَنْشَمٍ.

وقيل كانوا إذا أرادوا الحرب غمسوا أيديهم في طيبها وتحالفوا أن يستमितوا في الحرب ولا يولَّوا . فكانوا إذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة يقول النَّاسُ : دَقُّوا بَيْنَهُمُ عِطْرَ مَنْشَمٍ . فلمَّا كثر منهم هذا القول صار مثلاً للشَّرِّ العظيم . قال زهير :

تَدَارَكْتُمَا عِبْسًا وَذِبْيَانًا بَعْدَ مَا تَفَانَوْا وَدَقُّوْا بَيْنَهُمُ عِطْرَ مَنْشَمٍ
وقيل إنَّ منْشَمَ امرأة كانت تبيع الحنوط فسمَّوا حنوطها عطرًا في قولهم عِطْرَ مَنْشَمٍ، لأنَّهم أرادوا عطر الموتى . وأمَّا من ذهب إلى أنَّه مركب فزعم أنَّ امرأة من العرب كانت تبيع العطر، فورد عليها بعض أحياء العرب، فأخذوا عطرها وفضحوها . فلحقها قومها ووضعوا السيف فيهم وجعلوا يقولون : اقْتُلُوا مَنْ شَمَّ مِنْ طِيبِهَا ! فبقي مَنْ شَمَّ اسْمًا مركَّبًا من هذا.

وقيل إنَّ سبب المثل قتالُ يَوْمِ حَلِيمَةَ الذي قيل فيه : مَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسَرٍّ . وكانت فيه الحرب بين الحارث بن أبي شمر، ملك الشام، وبين المنذر بن المنذر بن امرئ القيس، ملك العراق . وأخرجت حليلة إلى المعركة مراكن الطيب، فكانت تطيَّب الداخلين في الحرب، فقاتلوا من أجل ذلك حتَّى تفانوا . وسيأتي شرح هذه القصة .

دَمْتُ لِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجَعًا !

التَّدْمِيثُ : التَّسْهِيلُ . يقال : مكان دَمِث - كفرح - أي لَيْنٌ سَهْلٌ . ودَمِثَ الشيء - بالكسر - يَدْمِثُ، دَمَاثَةً، فهو دَمِثٌ . ودَمِثْتُهُ أَنَا تَدْمِيثًا : سَهَّلْتُهُ وَلَيَّنْتُهُ؛ والمُضْطَجَعُ - بالفتح - مكان الاضطجاع .

والمعنى أَنَّكَ إذا أردت أن تنام فَسَوِّ المَكان وليِّنْهُ، وأزِلْ ما فيه من الخُشُونَةِ قبل اضطجاعك ! يُضْرَبُ في الاستعداد للنَّوَابِثِ قبل نزولها . ومثله قول تَابِطُ شَرًّا : ولكنْ أَخُو الْحَزَمِ الَّذِي لَيْسَ نَارِلًا بِهِ الْأَمْرُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصَرٌ وقول الآخر :

ولكنَّ من لا يَلْقَ أَمْرًا يَنْوِبُهُ بَعْدَتِهِ يَنْزِلُ بِهِ وَهُوَ أَعَزُّ

وقول أمّ المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، في عمر، رضي الله عنه، : كان والله أحوذياً نسيجاً وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها . ويروى [إنّ] من رأى عمر ابن الخطاب علم أنّه خلق غناءً للإسلام . كان والله أحوذياً إلخ...

الدّمُّ لا يَنَامُ .

هذا المثل من كلام قصير بن سعد لجذيمة حيث شاورهم على الخروج إلى الزبّاء، فقال له قصير : إنّ الزبّاء قتلت أباهما والدّمُّ لا ينام، وتقدّم ذلك مشروحاً . والمراد أنّ من كان له قبلك ثأرٌ وثبت له عندك دم، لا يغفل عنك وعن أخذ ثأره منك ليلاً ولا نهاراً، ولا يكون منه سلّمٌ صحيح ولا مضافة خالصة أبداً.

دُهدُرَيْن، سَعْدُ الْقَيْن .

دُهدُرَيْن - بضمّ الدالين وفتح الراء المشدّدة -، وقد اختلف فيه : فقل هو اسم مبنيّ بصيغة المثنى ؛ وقل هو تثنية دُهدُر، وهو الباطل . ويقال أيضاً دُهدُنٌ بالنون - على وزنه . قال الراجز :

لأَجْعَلَنَّ لابنةَ عمرو قِنًا حتّى يعود مهرُها دُهدُنًا
وهو في هذا المثل منصوب بفعل مضمر، وسَعْدُ منادى، وهو قَيْن كان ادّعى أنّ اسمه سَعْدُ زماناً ثمّ تبين كذبه، والقَيْن وصف له، فقل له ذلك، أي جمعت كذباً إلى كذب يا سَعْدُ الحدّاد ! وقل إنّ دُهدُرَيْن اسم فعل مبنيّ بمعنى بطل، كما بُني شَتَان وهَيّهَات، وسعد فاعله، والقَيْن وصف له . والمعنى : بطل سعدُ القَيْن . والمراد بطلان استعماله لتشاغل النَّاس عنه بالقحط . وحذف تنوين سعد في هذا الوجه تخفيفاً لكثرة الاستعمال، نحو : ولا ذاكِرُ الله إلا قليلاً . وقل إنّ دُهدُرَيْن موضعه رفع على الابتداء، كأنّه قيل : كلامك باطل، أو فعلك باطل . وكذلك سعد، أي أنت سعد القين، أي مثله . وقل إنّهُ مركّب، وأصله دُهِ أمر من الدّهَاء - وكان الأصل دهى - ثمّ قلب فقل دَاه - بجعل اللام موضع العين - كما قيل : لآء ولا ئع، ودُرَيْن من قولك : دُرُ الشيء إذا تتابع . والمعنى : بالغ في الكذب يا سعد ! وقد قيل إنّهُ حدّاد عجميّ يدور في اليمن . وكان إذا كسد في مخلاف قال بالفارسيّة : دُهِ بدرود، أي بالوداع،

يخبرهم أَنَّهُ يخرج غذا ليستعملوه، فعَرَّبُوهُ وضربوا به المثل في الكذب والباطل . وقالوا :
إِذَا سَمِعْتَ بِسُرَى الْقَيْنِ فَإِنَّهُ مُصْنِبٌ، وقد تقدَّم . ورواه بعضهم :

دُهْدُرَيْنِ وَسَعْدَ الْقَيْنِ - بالواو ونصب سعد . وروى آخرون :

دُهْدُرَى - مقصود بغير نون التثنية -، وقالوا موضعه في ضرب المثل إذا ردَّ على مُخِير
خبره، أو على فاعل فعله، أو حمق أحمق . وروى آخرون :
دُهْدُرَيْنِ سَاعِدِ الْقَيْنِ.

والمقصود من ذلك كلّه واحد، وهو الباطل والَلَّغو . فيُضْرَبُ عند التّكْذِيبِ للحديث
وإدّعاء بطلان الأمر . وقال أبو زيد : يُقَالُ للرجل يُهْزَأُ بِهِ : طَرُطُبَيْنِ ودُهْدُرَيْنِ
ودُهْدُرًا وسعدَ الْقَيْنِ.

وللنَّاسِ فِي هَذَا اللَّفْظِ أَقَاوِيلُ هَذَا حَاصِلُهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الدَّهْرُ حُبْلَى لَا يُدْرَى مَا تَلِدُ .

الدَّهْرُ - بفتح فسكون، وتحرّك الهاء - الزمان الطويل، والزمان الممدود، أو ألف سنة :
هذا قول اللُّغَوِيِّينَ . وللَفَلَّاسَةِ فِيهِ كَلَامٌ بَيِّنَاتُهُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ ؛ وَالْحُبْلَى : الْحَامِلُ .
قال امرؤ القيس :

فمِثْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمَرْضَعًا وَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحَوَّلِ
حَبَلَتِ الْمَرْأَةُ - بالكسر- حبلاً، فهي حَابِلَةٌ، والجمع حَبَلَةٌ ؛ وَحُبْلَى، والجمع
حُبْلِيَّاتٍ وَحِبَالَى، والولادة معروفة . والمعنى أَنَّ الدَّهْرَ، لَا نَبْهَامَ الْأَقْدَارِ الْجَارِيَةِ فِيهِ،
وَحِفَاءَ التَّصَارِيفِ الْوَاقِعَةِ بِذَوِيهِ، يَشْبَهُ الْحَبْلَى الْمُنْبَهَمَ أَمْرَ ذِي بَطْنِهَا، لَا تُعْرِفُ لَهُ ذِكُورَةٌ وَلَا
أُنُوثَةٌ، وَلَا كَمَالٌ وَلَا نَقْصٌ، وَلَا حَسَنٌ وَلَا قَبِيحٌ، حَتَّى تَلِدَ فَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ . وَكَذَا الدَّهْرُ لَا
يُعْرِفُ فِيمَا يَأْتِي بِهِ مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْحَوَادِثِ، أَخِيرٌ أَمْ شَرٌّ، وَزِيَادَةٌ أَمْ نَقْصٌ، وَسَعَةٌ أَمْ ضَيْقٌ،
حَتَّى يَقَعَ ذَلِكَ فَيُظْهِرُ.

أَدَهَى مِنْ ثَعْلَبٍ .

الدَّهَاءُ والدَّهْنِي : الْمَكْرُ وَجُودَةُ الرَّأْيِ . وَرَجُلٌ دَاهٍ وَدَاهٍ وَدَاهِيَّةٌ، وَالْجَمْعُ دُهَاهَةٌ
وَدَهُونٌ . وَقَدْ دَهَى الرَّجُلَ - بِالْكَسْرِ -، دَهْيًا وَدَهَاءً وَدَهَاءَةً، وَتَدَهَّى : فَعِلَ

فِعْلُ الدُّهَاءِ ؛ والثعلب : الحيوان المعروف، وتقدّم فيه كلام . وهو موصوف بالمكر والاحتياك مشهور بذلك . ومن مكره أنّه إذا رأى الغلبة عليه تماوت حتّى لا يُشكّ في موته فإذا غُفل عنه وثب هاربا .

ومن مكره المحكيّ في الخرافات عند العرب أنّهم قالوا: إنّ الضبع صادت ثعلبا فقالت : أخيرك يا ثعلب بين خصلتين، فاختر أيتهما شئت . قال : ماها ؟ قالت : إمّا أن أكلك، وإمّا أن أنكحك . فقال الثعلب : أما تذكرين يوم نكحتك ؟ فقالت : متى ؟ وانفتح فوها . فأفلت الثعلب [وهرب] . فضربوا المثل بذلك وقالوا : عَرَضَ عليك خَصْلَتِي [الثعلب] (٤٩) . وقالوا أيضا : إنّ الثعلب اطلع على بئر وهو عطشان، وعليها رشاء ودلوان، فقعده في الدلو العليا، فانحدرت به إلى البئر حتّى شرب وبقي هناك . فإذا بضبع اطلعت على البئر، فرأت بياض القمر انتصف الماء، والذئب قاعد في ضوئه، فقالت له : ما تصنع هنا ؟ فقال لها : إنّي أكلت نصف هذه الجيفة وبقي نصفها، فانزلي تأكليها ! قالت: وكيف أنزل ؟ قال : تقعدين في الدلو الأخرى . فلما التقيا في وسط البئر قالت له : ما هذا ؟ قال : كَذَا التَّجَارِبُ تَخْتَلِفُ ! فضربوا ذلك للمختلفين في الأمور . ومثل هذه الحكايات كثير.

دَارُ الْفُسُوقِ جَدَتْ، وَحَدِيثُهُ حَدَثٌ .

هذا مثل مصنوع فيما أظنّ وهو ظاهر المعنى ؛ والجَدَتْ - بالجيم - القَبْرُ . قال الشاعر:

جَدَتْ يَكُونُ مَقَامُهُ أَبَدًا بِمِخْتَلَفِ الرِّيحِ
والجمع أجْدَاثٌ وأجْدُثٌ . قال الآخر : أنشده الجوهري :

عَرَفْتُ بِأَجْدُثٍ فَنِعَافٍ عِرْقٍ عِلَامَاتٍ كَتَحْيِيرِ النَّمَاطِ

دُونَ ذَلِكَ خَرُطُ الْقَتَادِ

دُونَ نقيض فَوْقَ وبمعنى أمَامَ . ويكون ظرفا للمكان القاصر عن الغاية فيما يُضاف إليه، ثمَّ يُطلق على كل رتبة أدنى من أخرى في الأمكنة والأزمنة والمعاني ؛ والخَرُطُ : النَّزْعُ، تقول : خرطت الشجرة خَرُطًا إذا انتزعت الورق منها اجتذابًا ؛ والقَتَادُ - على

مثال سَحَاب - شجر صلب شوكة كالابر شديد، يُضرب به المثل كما قال أبو تمام :
نَثَا خَيْرٌ كَأَنَّ الْقَلْبَ أَمْسَى يُجْرُ بِهِ عَلَى شَوْكِ الْقَتَادِ
وقال أيضا :

عَدْتُ تَسْتَجِيرَ الدَّمْعَ حَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ
وخرطه أشدُّ شيء، فضرِبَ المثل به . وتقدَّم مثله في حرف الهمزة . قال أبو المظفر :
يا من يُسَاجِلُنِي وَلَيْسَ بِمُدْرِكٍ شَأْوِي وَأَيْنَ لَهُ جَلَالَةٌ مِنْصِبِي
لا تَتَعَبَنَّ فِدُونُ مَا حَاوَلْتَهُ خَرَطَ الْقَتَادِ وَامْتِطَأُ الْكُوكَبُ !
جَدِّي مُعَاوِيَةُ الْأَغْرُ سَمْتُ بِهِ جُرْثُومَةٌ مِنْ طَرِينِهَا خُلِقَ النَّبِيُّ
وروثته شرفًا رَفَعْتُ مَنَارَهُ فَبَنَوْا أُمِّيَّةً يَفْخَرُونَ بِهِ وَبِي
وقال الآخر :

مَالُ ابْنِ دَارَةٍ دُونَهُ لِعُقَاتِهِ خَرَطُ الْقَتَادِ وَالتَّمَّاسُ الْفَرْقَدُ
مَالٌ لَزُومُ الْجَمْعِ يَمْنَعُ صَرْفَهُ فِي رَاحَةٍ مِثْلُ الْمَنَادَى الْمُفْرَدِ

دُونُ ذَا وَيَنْفَقُ الْحِمَارُ !

دُونُ تَقَدَّمَ [معناه] ، والنَّفَاقُ : الرَّوْجَانُ ، تقول : نَفَقَ الْبَيْعُ - بِالْفَتْحِ - يَنْفَقُ ،
نَفَاقًا - عَلَى مِثَالِ سَحَاب - إِذَا رَاجَ ؛ وَنَفَقَتِ الدَّابَّةُ أَوْ الرَّجُلُ : مَاتَ ؛ وَالْحِمَارُ
مَعْرُوفٌ . وَدَخَلَ رَحْلَ السُّوقِ بِحِمَارٍ لَهُ يَبِيعُهُ . فَقَامَ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ أَبُو يَسَارٍ يَمْدَحُ الْحِمَارَ ،
وَجَعَلَ يَقُولُ : إِنَّ حَافِرَهُ جَلْمُودٌ ، وَإِنَّ ظَهْرَهُ حَدِيدٌ . فَقَالَ صَاحِبُهُ : شَاكِهِ أَبَا يَسَارٍ ،
دُونُ ذَا وَيَنْفَقُ الْحِمَارُ ! فَذَهَبَ مِثْلًا يُضْرَبُ لِلْمُفْرَطِ فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ . وَمَعْنَى
شَاكِهِ : شَابِهٍ وَقَارِبٍ فِي الْمَدْحِ وَلَا تُفْرِطُ ، مِنَ الْمَشَاكِهِ وَهِيَ الْمَشَابِهُةُ . وَسَيَأْتِي
تَتَمَّةُ الْمَثَلِ فِي الشَّيْنِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ومن أمثال العامة في هذا الباب قولهم :

دَجَاجَةٌ وَتَرَكَلُ .

يُضْرَبُ لِاسْتِبْعَادِ الصَّوْلَةِ مِنَ الضَّعِيفِ ، وَالدَّجَاجَةُ مَعْرُوفَةٌ - مِثْلَةُ الْأَوَّلِ - وَالْجَمْعُ
دَجَاجٌ ؛ وَالرَّكَالُ ضَرْبُ الْأَرْضِ بِرَجْلٍ وَاحِدَةٍ ، وَرَكْضُ الْفَرَسِ بِالرَّجْلِ ، وَالْأَرْضُ الْمَرْكَلَةُ

المكدودة بحوافر الدواب . قال امرؤ القيس يصف فرسا :
مِسْمٌ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثَرْنَ غُبَارًا بِالكَدِيدِ الْمُرْكَلِ
وَيُسْتَعْمَلُ الرَّكْلُ، فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، فِي الضَّرْبِ بِالرَّجْلِ مَطْلَقًا، وَهُوَ الْمَرَادُ.
ثُمَّ نَذَكَرُ مِنَ الشَّعْرِ فِي هَذَا الْبَابِ مَا تَيْسَّرَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

قال طرفة بن العبد :

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودْ
وَإِلَى مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ أَشَارَ ابْنُ شَرَفٍ فِي لَامِيَّتِهِ بِقَوْلِهِ :
لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَالْأَيَّامَ عَنْ خَبَرِ هُمَا يَبْتَائَكَ الْأَخْبَارَ تَطْفِيلًا !
وَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوِيَتْ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشُدْ
وَعَزِيَّةٌ قَبِيلَةٌ، وَهِيَ - فِيمَا أَظُنُّ - بَفَتْحِ الْمَعْجَمَةِ وَكَسْرِ الزَّايِ . وَهَكَذَا رَأَيْتُهُ فِي نَسْخَةٍ مِنَ
الصَّحَاحِ مَضْبُوطًا بِالْقَلَمِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا فِي الْقَامُوسِ مِنْ أَنَّهُمْ يُسَمُّونَ غَازِيَةً وَعَزِيَّةً
كَغَنِيَّةٍ - وَلَمْ يَثْبُتْ فِي أَسْمَائِهِمْ غَزِيَّةٌ . - بِلَفْظِ التَّصْغِيرِ . - وَقَالَ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ
أَيْضًا :

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ
وَتَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - عَلَى الْمَنْبَرِ، فِي قِصَّةِ التَّحْكِيمِ
حِينَ وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنَ الْحَكَمَيْنِ، يَعَانِبُ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَيُوبِّخُهُمْ عَلَى سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ فِي ذَلِكَ
وَتَوْجِيهِهِمْ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ، وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ . وَعَلَى هَذَا الْبَيْتِ نَبَأَهُ ابْنُ شَرَفٍ بِقَوْلِهِ فِي
لَامِيَّتِهِ :

يَرَى الْبَلِيدُ الْبَلَايَا بَعْدَ مَا نَزَلَتْ وَذُو الذِّكَاكِ يَرَى الْأَشْيَاءَ تَخْيِيلًا
وَقَالَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفَرَ :

جَرَتْ الرِّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
وَنَظَّمَهُ ابْنُ شَرَفٍ فِي لَامِيَّتِهِ بِقَوْلِهِ :

بَادُوا كَأَنَّهُمْ لِلْفِرْقَةِ اتَّعَدُوا فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْمِيعَادُ مَمْطُولًا
وَقَالَ الْآخَرُ :

أَجْمِلْ إِذَا طَالَبْتَ فِي طَلَبِ فَالْجَدُّ يُغْنِي عَنْكَ لَا الْكَدُّ !

ونظمه ابن شرف بقوله :

والجَدُّ يُغْنِي الفتى عن كدٍ مُهْجته

وقال الشاعر :

السيف يقطع وهو ذو صدى

ونظمه ابن شرف بقوله :

والنَّفْسُ جوهرةٌ ملبوسُها صدف⁽⁵⁾

وقال :

هَلْ تَنْفَعَنَّ السَّيْفَ حليته⁽⁶⁾

ونظمه ابن شرف بقوله :

وربَّ سيفٍ كهامٍ لا مضاءَ له

وقال الآخر :

وإنَّ امرءًا يمسي ويصبحُ سالمًا

ونظمه ابن شرف بقوله :

ومن يُعاقَبُ بما تجني يداه بلا

وقال الآخر :

وغيظَ على الأيَّامِ كالنَّارِ في الحشى

ونظمه ابن شرف بقوله :

لنا على الدَّهرِ غيظٌ ليس ينفَعُنَا

وقال الآخر :

ماذا لقيتُ من الدُّنيا وأعجَبَه

ونظمه ابن شرف بقوله :

قلْ للحسودِ على أشياءٍ تحزنني:

فليُغْدِ تكثرِ حرصِ المرءِ تقليلًا !

والحدُّ يفري الهامَ لا الغمْدُ

والسَّيفُ يقطعُ رذلَ الغمْدِ مفلولًا

يومَ الجِلادِ إذا نبا الحدُّ

وقد تراهُ مُحلَّى الغمْدِ مصقولًا

من النَّاسِ إلَّا ما جنى لسعيدٍ

ظلمَ التَّجَنِّي فقد نال اليَدَ الطُّولَى

ولكنَّه غيظُ الأسيرِ على القَدِّ

غيظُ الأسيرِ أسيرِ القَدِّ مغلولًا

أنِّي بما أنا باكٍ منه محسودُ !

خُذْها احتقارًا وتهوينًا وترذيلًا !

(5) في د : ملبوسة صدفًا.

(6) في بعض المخطوطات في أول البيت : «بَكَ تَنْفَسْنَ...»

وقال بعض العرب :

إذا الرِّجالُ وَلَدَتْ أَوْلادُها واضطربت من كبر أعضادُها
وجعلت أوصابُها تعتادُها فهني زُروعٌ قد دنا حصادُها
وقال الآخر :

لقد أَسْمَعْتُ لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حياة لمن تُنادي !
وما أحسن قول عزَّ الدين المقدسي في كتابكلام الطيور والأزهار، على لسان الغراب:
أنومُ على ذهابِ العُمُرِ مني وحقَّ أن أنومَ وأن أنادي
وأندبُ كلِّما عاينتُ ربحًا حدا بهمُ لوشكَّ البينِ حادِ
يعنِّفني الجهولُ إذا رأيَني وقد ألْبَسْتُ أثوابَ الحِدادِ
فإنِّي قد نصحتك باجتهادِ ! على الخطباءِ أثوابُ السَّوادِ
ألم ترني إذا عاينتُ ركبًا أنومُ على الطُّلولِ فلم يُجبني
فأكثر في نواحيها نُواحِي فما من شاهدٍ في الكونِ إلَّا
فكم من رائحٍ فيها وِغادِ لقد أَسْمَعْتُ لو ناديتَ حيًّا
وقال الحطيئة :

وما قلتُ إلَّا بالَّذي علّمت سَعْدُ
وهذا مثك مشهور، وصدر البيت :
وتعذّلني أبناءُ سَعْدٍ عليهمُ

وهذا البيت من جملة أبيات له، وهي من جيّد شعره . يقول فيها :

وإنَّ التي نكبتُها عن معاشِرِ عليَّ غضابٍ أنْ صدّدتْ كما صدّوا
أتت آلَ شَمّاشٍ بنِ لَأيٍ وإنّما أتاهم بيها الأحلامُ والحسبُ العدُ
فإن الشَّقِيَّ من تُعادي صدورهم وذو الجَدِّ من لانوا إليه ومن ودّوا
يسوسونَ أحلامًا بعيدًا أناتُها وإن غضبوا جاء الحفيظةُ والجِدُّ

أَفْلَحُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنُوا أَحْسَنُوا الْبِنَا
وإن كانت النُّعْمَى عَلَيْهِمْ جَزَوْا بِهَا
وإن قال مولاهم على جلّ حادثٍ
فكيف ولم أعلمهمُ خذلوكُمُ
مطاعينُ في الهيجا مكاشيف للدجى
فمن مُبلَغُ أبناءِ سعدٍ فقد سعى
رأى مجد أقوامٍ أضيعَ فحثَّهمُ
وتعذّلني أبناءُ سَعْدٍ (البيت)
وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي :

ما لِأَمْرِي خاض في بحر الهوى عُمُرُ
كما نما البينُ من إلحاحه أبداً
وقال يخاطب محمد بن يوسف :

واعذر حسودك فيما قد خُصصتَ به
وقال أيضا في وداعه لعلّي بن الجهم يمدحه :

هي فرقةٌ من صاحبٍ لك ماجدٍ
فافزَعِ إلى دُخْرِ الشُّؤُونِ وغريبِهِ:
فإذا فقدتَ أخا فلم تفقد له
ومنها :

إن يكْدُ مُطَرِّفُ الاخاءِ فَإِنَّا
أو يَخْتَلِفُ ماءُ الوصالِ فَمَاؤُنَا
أو نفترقُ نسباً يُؤَلَّفُ بيننا
وقال أيضا من قصيدة أخرى :

من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سُدُّوا !
وإن عاهدوا أوفّوا وإن عقدوا شدُّوا
وإن أنعموا لا كدَّروها ولا كدُّوا
من الدَّهْرِ رُدُّوا فضلك أحلامكم رَدُّوا
على مُعْظَمٍ ولا أديمكمُ قَدُّوا ؟
بَنَى لَهُمْ أَبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجَدُّ
إلى السُّورَةِ العليا لهم حازمٌ جَدُّ
على مجدهم لما رأى أَنَّهُ الجَهْدُ

إِلَّا وَلِلْبَيْنِ فِيهِ السَّهْلُ وَالْجَلْدُ
على النُّفُوسِ أَخٌ لِلْمَوْتِ أَوْ وَلَدُ
إِنَّ الْعُلَى حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الْحَسَدُ !

فَعَدَا إِذَا بَةُ كُلِّ دَمْعٍ جَامِدٍ
فَالدَّمْعُ يَذْهَبُ بَعْضُ جُهِدِ الْجَاهِدِ
دمعاً ولا صبراً فلستَ بفاقِد !

نَعْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءٍ تَالِدٍ
عَذْبٌ تَحْدَرُ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدٍ
أَدَبٌ أَقْمَنَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ (٦٤)

وَسَمُّ اللَّيَالِي فَوْقَ سَمِّ الْأَسَاوِدِ

سَقَتَهُ دُعَاةَا غَارَةُ الدَّهْرِ فِيهِمْ

ومنها :

غدا قاصدا للحمد حتى أصابه

ومنها :

يصدُّ عن الدنيا إذا عنَّ سؤددُ

إذا المرء لم يزهّد وقد صبغت له

وقال أيضا من أخرى :

إذا انصرف المحزون قد فلك صبره

ومنها :

نوى كإنقضاض النجم كانت نتيجة

فلا تحسبا هندا لها العذر وحدها

ومنها :

وحدّ من الأيام وهي قديرة

إساءة دهر أذكرت حسن فعله

وقال أيضا :

ومن يأذن إلى السّاعين يسلف

وقال أيضا :

ولكم عدوّ قال لي مُتمثّلا :

ومنها :

وإذا أراد الله نشر فضيلة

لولا اشتعال النار فيما جاورت

لولا التخوف للعواقب لم ترك

يعطي لها البشرى الكريم ويحتبي

بشرى الغنى أبي البنات تتابعت

وقال أيضا :

وانني رأيت الوسم في خلق الفتى

وكم من مصيب قصده غير قاصد !

ولو برزت في زيّ عذراء ناهد

بعصرها الدنيا فليس يزاهد

سؤال المغاني فالبكاء له رد

من الهزل يوما إن هزل الهوى جد

سجية نفس كل غانية هند

وشر السجاي قدرة حازها حقد

إلي ولولا الشرى لم يعرف الشهد

مسامحه بالسنة حداد

كم من ودود ليس بالمودود !

طويت أتاح لها لسان حسود

ما كان يعرف طيب عرف العود

للحاسد التعمى على المحسود

بردائها في المحفل المشهود

بشراؤه بالفارس المولود

هو الوسم لا ما كان في الشعر والجلد

وقال أيضا :

ولكنني لم أحوِ وفرا مُجمعا
ولم تُعطني الأيامُ نومًا مُسكنا
وطول مقامِ المرءِ في الحيِّ مخلِّق
فإنني رأيت الشمسَ زيدتُ محبةً
ومنها :

وليس يُجلِّي الكربَ رأيٌ مُسدّد
ومنها :

محاسنُ أصنافِ المغنِّين جمّة
وقال أيضا :

أحلى الرِّجالِ من النِّساءِ مواقعًا
حتى إذا ما الشَّعرُ سوّد وجهه
ومنها :

ما إن ترى الأحسابَ بيضا وضحا
ومنها :

أيقنتُ أنّ من السّماحِ شجاعة
ومنها :

إنّ القوافيَ والمساغيَ لم تزلْ
هي جوهرٌ نثرٌ فإن ألفتَه
في كلِّ مُعتركٍ وكلِّ مقامةٍ
وقال أيضا :

شابَ رأسي وما رأيتُ مشيبَ
وكذاك الرُّؤوسُ في كلِّ بُؤسٍ
طالَ إنكارِي البياضَ وإنْ عمّر
ومنها :

وضياءُ الأمورِ أفسحُ في الطَّرَفِ

ففزتُ به إلّا بشمْلٍ مُبدّدٍ
الذُّ به إلّا بنومٍ مُشرّدٍ
لديباجتيهِ فاعترِبَ تتجدّدُ !
إلى النَّاسِ أنْ لیسَ عليهم بسرمدٍ

إذا هو لم يؤنسَ برمحٍ مسدّدٍ

وما قصباتُ السِّبْقِ إلّا لمعبدٍ

مَنْ كان أشبههمُ بهنَّ خُدودًا
كان المُسوّدُ بينهنَّ مسودًا

إلّا بحيثُ ترى المنايا سودًا

تُدمي وأنّ من الشّجاعةِ جودًا ؟

مثل النّظامِ إذا أصابَ فريدا
بالشّعرِ صارَ قلائدًا وعقودًا
يأخذنَ منه ذمّةً وعقودًا

الرّأسِ إلّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الفؤادِ
ونعيمِ طلائعِ الأجسادِ
تُ شَيْئًا أنكرتُ لَوْنَ السّوادِ !

وفي القلبِ مِنْ ضياءِ البلادِ

ومنها :

غَيْرَ أَنَّ الرَّبِّيَ إِلَى سَبَلِ الْأَنْوَاءِ

ومنها :

كُلُّ شَيْءٍ غَثٌّ إِذَا عَادَ وَالْمَعْرُوفُ

وقال أيضا :

وما شيءٌ من الأشياءِ أَمْضَى

وقال أيضا :

لِمَ تَنْكُرِينَ مَعَ الْفِرَاقِ تَبْلُدِي

وقال أيضا :

وَالسَّيْفُ أَعْمَى غَيْرَ أَنَّ غِرَارَهُ

ومنها :

وَمِنْ الْعَجَائِبِ شَاعِرٌ قَعَدَتْ بِهِ

وقال أيضا :

مَا كُلُّ مَنْ شَاءَ اسْتَمَرَّتْ بِالنَّدَى

وقال أيضا :

وَكَذَا الْمَنَايَا مَا يَطَّانَ بِيَمْنَسِمِ

وقال أيضا :

لَوْ يَعْلَمَ النَّاسُ عِلْمِي بِالزَّمانِ وما

وقال أبو الطَّيِّبِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمُتَنَبِّي :

فَمَا تُرْجِي النُّفُوسُ مِنْ زَمَنٍ

إِنَّ نِيُوبَ الزَّمانِ تَعْرِفُنِي

وفِيَّ مَا قَارَعَ الْخُطُوبَ وما

وقال أيضا من قصيدة :

إِذَا كُنْتَ تَخْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ خَلُوقٍ

ومنها :

أَهْمُ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَأَنَّهَا

أَدْنَى وَالْحَظُّ حَظُّ الْوَهَادِ !

غَثٌّ مَا كَانَ غَيْرَ مُعَادٍ

على الْمُهْجَاتِ مِنْ رَأْيِ سَدِيدٍ

وِبَرَاةِ الْمُشْتَاكِ أَنْ يَتَبَلَّدَا ؟

يَقِظُ إِذَا هَادٍ نَحَاهُ لِهادٍ

هِمَّاتُهُ أَوْضَاعٌ عِنْدَ جَوَادٍ

يَدُهُ وَلَا اسْتَوَطَا فِرَاشَ الْجُودِ

إِلَّا عَلَى أَعْنَاقِ أَهْلِ السُّؤْدِ

عَاثَتْ يَدَاهُ لِمَا رَبَّوْا وَلَا وَلَدُوا !

أَحْمَدُ حَالِيهِ غَيْرُ مُحَمَّدٍ

أَنَا الَّذِي طَالَ عَجْمُهَا عُودِي

أَنْسَنِي بِالْمَصَائِبِ السَّودِ

فَلَمْ تَتَصَبَّأكَ الْحَسَانُ الْخَرَّائِدُ

تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأُطَارِدُ

وحيدٌ من الخَلَنِ في كُلِّ بَلَدَةٍ
ومنها :
ولكن إذا لم يَحْمِلِ القلبُ كَفَّهُ
ومنها :
أَحْقَهُمُ بالسَّيفِ مَنْ ضَرَبَ الطُّلَا
ومنها :
بذا قَضَتِ الأَيَّامُ ما بين أهلِها
ونظمه ابن شرف بقوله :
وموتُ قومٍ حياةٌ عند غيرهمُ
ومنها :
وكلُّ يرى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ والنَّدَى
ومنها :
فإنَّ قليلَ الحُبِّ بالعقلِ صالِحٌ
وقال أيضا من أخرى :
لكلِّ امرئٍ من دهرِهِ ما تَعَوَّدَا
ومنها :
ومن يجعلُ الضُّرْغامَ في الصَّيْدِ بازِهٌ
ونظمه ابن شرف بقوله :
ولا تَضُمَّنْ لِيثًا كي تصيدَ به
ومنها
وما قَتَلَ الأَحْرارَ كالعَفْوِ عنهمُ
إذا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكريمَ ملكته
ووضع النَّدَى في موضع السَّيفِ بالعلَى
ومنها :

إذا عَظُمَ المَطْلُوبُ قلَّ المُسَاعِدُ
على حالَةٍ لم يَحْمِلِ الكَفَّ ساعدُ
وبالأمن من هانتَ عليه الشَّدَائِدُ
مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائِدُ
وقَد أبى الدَّهْرُ بين النَّاسِ تَعْدِيلًا
ولكنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
وإنَّ كثيرَ الحُبِّ بالجهلِ فاسدُ
تصَيِّدُهُ الضُّرْغامُ فيمن تصيِّدُ(7)
فَتَعْتَدِي خاتِلًا للصَّيْدِ مَخْتَلًا
ومَنْ لَكَ بالحرِّ الَّذِي يَحْفَظُ اليَدَا ؟
وإنَّ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدًا
مُضِرُّ كَوْضَعِ السَّيْفِ في موضع النَّدَا

تَصَيِّدُهُ الضُّرْغامُ فيما تصيِّدَا

(7) المشهور في رواية هذا البيت هو - كما في الديوان - :
ومن يجعلُ الضُّرْغامَ بازًا لصيده

ودع كلَّ صوتٍ غير صوتي فإنني
ومنها :

وقيدت نفسي في ذاك محبة
وقال أيضا :

يا عاذل العاشقين دم فية
ومنها :

فعد بها لا عدمتها أبداً :
وقال أيضا :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم
فروؤوس الرماح أذهب للغيط
لا كما قد حيت غير حميد
فاطلب العز في لظى وذر الذل
يقتل العاجز الجبان وقد يعجز
ويوقى الفتى المخش وقد خو
لا بقومي شرفت بك شرفوا بي
وقال أيضا :

يفنى الكلام ولا يحيط بفضلكم
وقال أيضا :

وكم للهوى من فتى مدنف
ومنها :

فما لك تقبل زور الكلام
وقال أيضا :

وما ماضي الشبَاب بمُسترد
ومنها :

فإنَّ الجرحَ ينفِرُ بعدَ حين

أنا الصائح المحكي والآخر الصدا

ومن وجد الاحسان قيذا تقيدا

أضلها الله كيف ترشدها

خير صلاتِ الكريم أعودها

بين طعن القنا وخفق البنود !
وأشفى لغل صدر الحقود
وإذا متَّ متَّ غير فقيد
ولو كان في جنان الخلود !
عن قطع بخنق المولود
ض في ماء لبة الصنديد
وبنفسى فخرت لا يجدود

أيحيط ما يفنى بما لا ينقد ؟

وكم للنوى من قتيل شهيد !

وقدر الشهادة قدر الشهود ؟

ولا يوم يمُر بمُستعاد

إذا كان البناء على فساد

وإنَّ المَاءَ يَخْرُجُ مِنْ جَمَادٍ (8) وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادٍ
وقال أيضا :

سَأُطْلَبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَشَايخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّثَمَّوْا مُرْدُ
ثَقَالٍ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٍ إِذَا دَعَوْا كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا
ومنها :

وَمَنْ نَكَدَ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرِّ أَنْ يَرَى عِدْوًا لَهُ مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدُ
يُروِّحُ وَيَغْدُو كَارِهًا بِوَصَالِهِ وَتَضَطَّرُّهُ الْأَيَّامُ وَالزَّمَنُ النَّكَدُ (9)
وزعموا أَنَّهُ قَدْ قِيلَ لَهُ إِذْ تَنَبَّأَ : لَكَ نَبِيٌّ مُعْجَزَةٌ، فَمَا مُعْجَزَتُكَ ؟ فَقَالَ : هَذَا الْبَيْتُ .
وقال أيضا :

مَنْ خَصَّ بِالذِّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنِّي مَن لَّا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ
وقال أيضا :

إِذَا غَدَرْتَ حَسَنًا أَوْفَتْ بِعَهْدِهَا وَمَنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ
وإنْ عَشَقْتَ كَانَتْ أَشَدَّ صَبَابَةً وَإِنْ فَرَكْتَ فَادْهَبْ فَمَا فِرْكُهَا قَصْدُ
وإنْ حَقَدْتَ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا رِضَى وَإِنْ رَضِيتَ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا حِقْدُ
كَذَلِكَ أَخْلَاقُ النِّسَاءِ، وَرَبَّمَا يَضِلُّ بِهَا الْهَادِي وَيَخْفَى بِهَا الرُّشْدُ
ومنها :

يُرْوَمُونَ شَأْوِي فِي الْكَلَامِ وَإِنَّمَا يُحَاكِي الْفَتَى فِيمَا سِوَى الْمَنْطِقِ الْقَرْدُ
ومنها :

وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ وَفِي عُنُقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ
وقال أيضا :

أَبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيبًا تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيبًا تَرُدُّهُ
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتُ تَغْيِيرًا تَكْلُفُ شَيْءٍ فِي طَبَاعِكَ ضِدُّهُ
ونظم الأول ابن شرف بقوله :

قَدْ يَحْتَنِي الدَّهْرُ مِنْ كَفَّيْكَ مَا أُجْتَنَّتَا فَكَيْفَ مَا كَانَ عَنْ كَفَّيْكَ مُعْزُولًا ؟

(8) فِي الدِّيْوَانِ : وَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ .

(9) لَا يَوْجَدُ هَذَا الْبَيْتُ فِي الدِّيْوَانِ، وَلَعَلَّهُ مَقْمَحٌ، بِدَلِيلِ الْقِصَّةِ الْوَارَةِ بَعْدَهُ فِيهِمَا : «هَذَا الْبَيْتُ» لَا هَذَانِ الْبَيْتَانِ .

ومنها :

وَأَتَعَبُ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ زَادَ هَمُّهُ
ومثله قول الامام الشافعي رضي الله عنه :

وَأَحَقُّ خَلَقَ اللَّهُ بِالْهَمِّ أَمْرُو
وبعده :

فَلَا يَنْحُلُكَ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ
ودبره تدبير الذي المجد كفته
فَلَا مَجْدٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
ونظم هذا ابن شرف بقوله :

لَا مَالٌ إِلَّا بِمَجْدٍ فَالْتَمَسَهُ وَلَا
هَكَذَا وَجَدْتَهُ وَكَأَنَّهُ تَحْرِيفٌ، وَإِنَّمَا قَالَ هَكَذَا :

لَا مَالٌ إِلَّا بِمَجْدٍ فَالْتَمَسَهُ وَلَا
أَوْ هَكَذَا :

لَا مَجْدٌ إِلَّا بِمَالٍ فَالْتَمَسَهُ وَلَا
ومنها :

إِذَا كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فَابْلُغْهُ:
وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ
وقال أيضا :

حَسَمَ الصُّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي
ومنها :

وَكَلَامُ الْوَشَاةِ لَيْسَ عَلَى الْأَحْبَابِ
إِنَّمَا تَنْجُمُ الْمَقَالَةُ فِي الْمَرْءِ
ومنها :

قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى الْمُشِيرَ وَلَمْ يَجْهَدْ
ومنها :

وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِي طَبَاعِمْ

ومنها :

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَا
ومنها :

هذه دولة المكارم والرفاء
ومنها :

كيف لا يُطرقُ الطَّرِيقُ لَسَيْلٍ⁽¹⁰⁾
وقال أيضا :

إذا أردتُ كُمَيْتَ اللَّونِ صَافِيَةً
ماذا لَقِيتُ من الدُّنْيَا وأعجبه ؟
ومنها :

العبدُ ليس لحرٍّ صَالِحٌ بِأَخٍ
لا تَشْتَرِي العبدَ إِلَّا والعصا معه
ما كُنْتَ أَحْسَبُنِي أَحْيَى إِلَى زَمَنِ
ومنها :

إِنَّ أُمَّةً حُبْلَى تُدَبِّرُهُ
وعندها لَذَّ طَعْمُ الموتِ شَارِبُهُ
وقال أيضا :

إِنَّ فِي المَوْجِ للغريقِ لَعُذْرًا
وقال أيضا :

وغيظٌ على الأَيَّامِ كالنَّارِ فِي الحِشَا
ومنها :

وليس حياءُ الوجه في الذُّبِّ شِيمَةً
وقال أيضا :

رَأَوْكَ لَمَّا بَلَوكَ نَابِتَةً

(10) فِي الدِّيَوَانِ : كَيْفَ لَا يُتْرَكَ الطَّرِيقُ لَسَيْلٍ

(11) بَيْنَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي الدِّيَوَانِ :

وَيَلْمُهُمَا خُطَّةً وَيَلْمُ قَابِلَهَا

طِعْمُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ

فَقَرٌ وَالْمَجْدُ وَالنَّدَى وَالْأَيَادِي

ضِيْقٌ عَنْ أَتَيْهِ كُلُّ وَادٍ

وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ
أَنْتِي بِمَا أَنَا بَاكِ مِنْهُ مَحْسُودُ

لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ
إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسُ مَنَاقِدُ !
يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مَحْمُودُ

لِمُسْتَضَامٍ سَخِينُ الْعَيْنِ مَفْؤُودُ
إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذُّلِّ قَنْدِيدُ⁽¹¹⁾

وَاضِحًا أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهُ

وَلَكِنَّهُ غَيْظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَدِّ

وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ

يَاكُلُهَا قَبْلَ أَهْلِهِ الرَّأْيِدُ

لَمَثَلَهَا خُلِقَ الْمَقْرِبَةُ الْقُودُ

وخلّ زبيّا لمن يُحقِّقه : ما كلُّ دامرٍ جبينه عابِدُ
ومنها :

فالأمرُ لله ربِّ مُجْتَهِدٍ ما خابَ إلّا لأنّه جاهِدُ
وقال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري :

غير مُجدٍ في ملّتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنّمُ شادٍ
وشبيهه صوتُ النّعيّ إذا قيسَ بصوتِ البشيرِ في كلِّ نادٍ
ومنها :

تعبٌ كلّها الحياةُ فما أعجبُ إن حُزنًا في ساعة الموت أضعا
خُلقَ الناسَ للبقاء فضلتُ إنّما يُنقلّون من دارٍ أعمّا
ضجّةُ الموتِ رقدةٌ يسترّيحُ الجِسمُ فيها والعيشُ مثكُ السّهادِ
ومنها :

زحلُّ أشرفُ الكواكبِ دارًا ولنارِ المريخِ من حدّثانٍ
ومنها :

وإذا البحرُ غاصَّ عنّي ولم أروْ كلُّ بيتٍ للهدمِ ما تبثّني الورُ
والفتى ظاعنٌ ويكفّيه ظلُّ بانِ أمرُ الاله واختلفَ النّسا
والذي حارتِ البريّةُ فيه والّليبُ اللّيبُ من ليس يغترُّ
وقال أيضا :

أحسنُ بالواجِدِ من وجده ومن أبي في الرُّزءِ إلّا الأسي

(12) يروى أيضا : كان بكاه منتهى جهده.

ومنها :

والشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مُدَّاحَهُ
لَوْلَا غَضَى نَجْدٍ وَقَلَامُهُ
لَيْسَ الَّذِي يُبْكِي عَلَى وَصْلِهِ
وَالطَّرْفُ يَرْتاحُ إِلَى غَمْضِهِ
ومنها :

إِنْ لَمْ يَكُنْ رَشْدُ الْفَتَى نَافِعًا
ومنها :

لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مَقْـدَارَهُ
أَمْسَرَ الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبِهِ
ومنها :

سَلَّمَ إِلَى اللَّهِ فَكُلُّ الَّذِي
لَا يَعْدَمُ الْأَسْمَرُ فِي غَابِهِ
وقال أيضا :

أَفُوقَ الْبَدْرِ يَوْضَعُ لِي مِهَادُ
قَنِعْتُ فَخِلْتُ أَنَّ النَّجْمَ دُونِي
وَأَطْرَبْنِي الشَّبَابُ غَدَاةً وَلَيَّ
وَلَيْسَ صَبًا يُعَادُ وَرَاءَ شَيْبٍ
ومنها :

سَفَاهُ زَادَ عَنكَ النَّاسَ حِلْمُ
وقال أيضا :

ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ هِيَ الدَّهْرُ كُلُّهُ
ومنها :

وَقَدْ يُجْتَدَى نَيْكُ الْغَمَامِ وَإِنَّمَا
وَيَهْدِي الدَّلِيلُ الْقَوْمَ وَاللَّيْلُ مَظْلَمٌ
من البحر فيما يزعم الناس يجتدي
ولكنه بالنجم يهدي ويهتدي

(13) يروى : «مثل الذي يبكي على صده» وهو الأنسب للوصول السابق.

ومنها :

وليس قضيب الهند إلا كُنابتِ من القضب في كفّ الهدان المُعَرِّدِ
الهدانُ - على مثال كِتَاب - : الجَبَانُ، ويقال هو الأحمق الثقيل.

ومنها :

أرى المجدَ سيفًا والقريضَ نجادهُ ولولا نجادُ السِّيفِ لم يُتَقَلَّدِ
وخيرُ حمالاتِ السُّيُوفِ حمالةٌ تحلَّتْ بأبكارِ التَّنَاءِ المُخَلَّدِ
وقال أيضا :

كذاك اللَّيالي ما يجدُنْ بمَطْلَبِ لخلقٍ ولا يُبقينَ شيئًا على عَهْدِ
وقال أيضا :

أرى العنقاءَ تكبرُ أن تُصَادَا فعانِدُ من تُطيقُ له عِنادا !
وما نهنتُ في طلبِ ولكنُ هي الأيَّامُ لا تُعطي قيادا
فلا تُلْمِ السَّوابِقَ والمطايا إذا غرضُ من الأغراضِ حادا !
ومنها :

إذا ما النَّارُ لم تُطعمَ ضرامًا فأوشِكُ أن تَمُرَّ بها رَمَادًا
فظُنَّ بسائرِ الاخْوانِ شرًّا ولا تَأْمَنُ على سِرِّ فؤادًا
فلو خَبَرْتَهُمُ الجِزَاءُ خُبْرِي لما طلعتُ مخافةً أن تُكَادَا
تجنَّبْتُ الأَنامَ فما أُوَاحِي وزدْتُ عَنِ العَدُوِّ فما أَعَادِي
ولمَّا أن تَجَهَّمَنِي زَمَانِي جَرِيتُ مَعَ الزَّمانِ كما أَرَادَا
وقال أيضا يخاطب خاله، وقد سافر إلى المغرب :

ظَلَعَنْتَ لَتَسْتَفِيدَ أَخَا وَفِيًّا وَضِيَعْتَ الْقَدِيمَ الْمُسْتَفَادَا
وقال طرفة بن العبد :

وظلمَ ذوي القُربى أشدُّ مضاضةً على الحرِّ من وقعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ
وقال عديُّ بن زيد :

إذا كنتَ في قومٍ فصاحبُ خيارهمُ ولا تصحبِ الأَرْدَى فتَرْدَى مع الرَّدَى
عن المرءِ لا تسألُ وسلكَ عن قرينه : فكلُّ قَريْنٍ بالمُقارِنِ يَقتَدِي
إذا ما رأيتَ الشَّرَّ يبعثُ أهله وقامَ جُنَاةُ الشَّرِّ للشَّرِّ فاقعدِ !

وقال الأعشى :

إذا أنت لم ترحك بزادٍ من التقي
ندمت على أن لا تكون كمثلِه
وقال المهلبي :

وكيف جُحود القلب والعينُ تشهدُ ؟
وقال أيضا :

ولا خير فيمن لا يدومُ له عهدُ
وقال الخريمي :

وحسبك مني أن أودَّ فأجهدا
وقال الخوارزمي :

لا تصحب الكسلان في حاجته
عدوى البليد إلى الجليد سريعة
وقال عمر بن أبي ربيعة :

حسنٌ في كلِّ عينٍ من تودَّ
وقال الآخر :

وكلُّ ربحٍ لها هُبُوبٌ
وقال الآخر :

إذا أكل الأحابُ لحمي بغيبةٍ
وقال الآخر :

إذا قلَّ عقلُ المرءِ قلَّتْ همومه
وقال الآخر :

إذا كان غير الله للمرءِ عدَّةُ
وقال الآخر :

تخونون عهدي في الهوى وأحبكم

ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
فترصد للموت الذي كان أرصدا⁽¹⁴⁾

كم صالح بفساد آخر يفسدُ !
والجمر يوضع في الرماد فيخمدُ

يومًا فلا بدَّ من ركودِ

فأهون منه ما ستأكله الدودُ !

ومن لم يكن ذا مقلةٍ كيف يرمدُ ؟

أنته الرزايا من وجوه الفوائد

كذا الورد محبوبٌ وليس له عهد

(14) في مختار الشعر الجاهلي : وأنت لم ترصد كما كان أرصداً.

وقال الآخر :

تشكّى المحبّون الصّباة ليتني

وقال الآخر :

تصافحت الأكفّ وكان أشهى

وقال الآخر :

تعدّون ذنباً واحداً إن جنيته

[وقال أبو الطيّب :

تفضّلت الأيام بالجمع بيننا

وقال الآخر :

ثوبي على من كسوت في نظري

وقال الآخر :

جامل عدوك ما استطعت فإنّما

وقال الآخر :

جدلي يعفوك يا من دأبه الجود

وقال الآخر :

جعلت إليك ياربّي انقطاعي

وقال الآخر :

حاشاك أن يقبض الزّمان يدي

ومثله :

حاشاك يا قوّتي ويا سنّدي

وقال الآخر :

حسبي بقلبي شاهد لك في الهوى

وقال الآخر :

ذو العقل يسخو بعيش ساعته

غيره :

رأيت دنوّ الدّار ليس بنافع

تحملت ما يلقون من بينهم وحدي !

إلينا لو تصافحت الخدود

عليكم ولا أحصي ذنوبكم عدّاً

فلما حمدنا لم تدمنا على الحمد⁽¹⁵⁾

أزين من كونه على جسدي

بالرفق يطعم في صلاحي الفاسد !

فالجود عندك مأمول ومعهود

إذا انقطع العباد إلى العباد

عن نيك سؤل وأنت لي عضد

يضعف ركني وأنت لي سنّد

والقلب أعدك شاهد يستشهد

وبالذي بعدها تشح يده

إذا كان ما بين الفؤاد بعيداً

(15) سقط هذا البيت من ب .

غيره :

رسول الله كذَّبَه الأَعَادِي

غيره :

رِيْنَكَ اللهُ فِي الْقُلُوبِ كَمَا

غيره :

سَقَى اللهُ أَيَّامًا تَقْضَتْ بِقَرْبِكُمْ

غيره :

سَقَى اللهُ دَهْرًا لَمْ أَبْتَ فِيهِ لَيْلَةً

غيره :

صَحَّحْ لَنَا وَالِدَةَ أَوْلَا

غيره :

صَلِّ مِنْ دَنَا وَتَنَاسَ مِنْ بَعْدَا:

غيره :

طَعَمْ عِيشِي مَرًّا إِذَا لَمْ تَزُرْنِي

غيره :

طَوِيلُ عُمُرِ الْمُعَالِي وَالنَّدَا أَبَدًا

غيره :

قَدْ جُنَّ أَصْحَابُكَ مِنْ جُوعِهِمْ

غيره :

قَدْ حَفَظُوا الْقُرْآنَ وَاسْتَعْمَلُوا

غيره :

قَدْ يُصَادُ الْقَطَا وَيَغْدُو سَلِيمًا

غيره :

قَلَّ الثَّقَاتُ فَإِنْ ظَفَرْتَ بِوَاحِدٍ

غيره :

قَلِيلُ الْمَالِ تُصْلِحُهُ فَيَبْقَى

غيره :

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى

غيره :

كلِّما زادتِ الذُّبالةُ ضوْءاً

غيره :

كلِّما قلتُ أعتَقَ الشُّكرُ رِقِّي

غيره :

كلوا اليوم من رزقِ اللهِ وأبشروا:

غيره :

كمْ تَأْتِيهِ بِوَلَايَةٍ

غيره :

لأُخرجنَّ من الدُّنيا وَحُبُّكُمْ

غيره :

لمائدةٍ موضوعةٍ ألفُ عائبٍ

غيره :

لم أبكِ من زمنٍ أشكو مساءته

غيره :

لو علمنا مجيئكم لفرشنا

غيره :

ليس في العالمين أَقْنَعُ مِنِّي

غيره :

ما كلَّفَ الله نفساً فوقَ طاقتها

غيره :

مُعَاتِبَةُ الأَحْبَابِ تحسُنُ مرَّةً

غيره :

من لم يبتِ والحبُّ حشو فؤاده

فتَهونُ غيرَ شماتَةِ الحُسَّادِ

كان أدنى لها إلى الإخمادِ

صيرتني لك المكارمُ عَبْدًا

فإنَّ على الرَّحمان رزقكم غدا !

وبِعِزِّهِ يَغْدُو البَرِيدُ !

بين الجوانحِ لم يشعُرْ به أحدُ

وعيب التَّيِّ لم توضعِ الدهرَ واحدُ

إلاَّ بكيتُ عليه حينَ أفقدهُ

تحتَ أقدامكمُ بساطُ الخُدودِ

أنا أرضى بنظرةٍ من بعيدٍ

ولا تجودُ يدٌ إلاَّ بما تجدُ

فإن اكثرُوا منها تَوَلُّوا إلى المَدَدِ

لم يدر كيفَ تفتَّتْ الأكبادُ

غيره :

نِعَمُ الإله على العباد كثيرة

وأجلُّهنَّ نجاةُ الأولادِ

غيره :

وأحسنُ من وجه الصَّنِيعَةِ شكرُها

وأقبحُ من حرمانِ نِعْمَى جُودِها

غيره :

وإذا صفا لك من زمانك واحدٌ

فهو المرادُ وأينَ ذاك الواحدُ ؟

غيره :

وحدَّثتني يا سعدُ عنها فزدتني

شُجونًا فزدني من حديثك يا سعدُ !

غيره :

ودَعُ ظُلمَ العبادِ فليسَ شيءٌ

أضرَّ عليك من ظُلمِ العبادِ !

غيره :

وكلُّ آخرٍ عند الهوينا مُلاطفٌ

ولكنَّما الإخوانُ عند الشَّدائدِ !

غيره :

وكنتُ من النَّاسِ في محفلٍ

فقد صرتُ في محفلٍ من قُرودِ !

غيره :

ولا بُدَّ لي من خَفَّةٍ في وصالِهِ

فَمَنْ لي بخلٍ أودعُ العقلَ عندهُ ؟

غيره :

ولربَّ عودٍ قد يُشَقُّ لمسجدٍ

نِصفًا وآخرهُ لبيتِ يهُودي !

غيره :

ولربَّما نالَ المُرادَ مرفَّهٌ

لم يسمع فيه وخابَ سعيُ الجاهِدِ

غيره :

وليس قريبًا من تخافُ بِعَادَهُ

ولا من يُرجى قُربُهُ بَبَعيدِ

غيره :

وما الدَّهرُ إلَّا ما ترى : فَمَتَى عِلَّتْ

يَدَاكَ بدنيا فاصْطنِعْ بهما يَدَا !

غيره :

وما الشَّعْرُ إلَّا روضةٌ راقَ زهرُها

ولا سيِّما إن كان قد وقع النَّدَا

غيره :

وما المال والأيام إلا معارة : فما استطعت من معروفها فتزود !

غيره :

وما حملت من ناقةٍ فوق راحليها أبر وأوفى ذمة من محمد
وهذا أصدق بيت قاله شاعر بعد قول لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ !

غيره :

وما كان طرفي بالسُّهادِ مُعوّدا ولكنّه لمّا هجرتُم تعوّدا

غيره :

وما ماضي الشَّبابِ بمُستردٍّ ولا يومٌ يسرٌ بمُستعادٍ

غيره :

ويُفسدُ بالاكثار ما هو صالحٌ ويصلحُ بالانقلاص ما هو فاسدٌ

غيره :

لا أعدمُ الذِّمَّ حينَ أخطي وليس لي في الصَّوابِ حمْدٌ

غيره :

لا تحقرنَّ صغيراً في ثقلبِهِ : إن البعوضة تدمي مُقلة الأسد!

غيره :

وللشرارة نارٌ حين تُضرمُها وربّما أضرمَت ناراً على بَلَدٍ

غيره :

لا تلقَ إلاّ بليك من تواعده: فالشَّمسُ نِمامةٌ والبدْرُ قوَّادٌ

غيره :

لا يُحسدُ المرءُ إلاّ من فضائله: لا عاش من عاش يوماً غيرَ محسودٍ !

غيره :

يا أخلاي هك يعودُ التّداني منكمُ بالحمى يعودُ رُقَادُ ؟

غيره :

ياربُّ من أسخطنا بجُهدِهِ قد سرّنا جهلاً بغيرِ قصْدِهِ

غيره :

يا صاحب العُودين لا تَهْمَلْهُمَا: حرّك لنا عوداً وحرّق عوداً !

غيره :

يا من يعدُّ الميَّتينَ تعجباً عمّا قليل، سوف تدخل في العدد !

غيره :

يجود بالنَّفْسِ إذ ضنَّ الجبانُ بها والجودُ بالنَّفْسِ أقصى غايةِ الجودِ

غيره :

يُدْبِرُ بالنُّجومِ وليس يدري وربُّ النّجمِ يفعلُ ما يُريدُ

غيره :

يرى عاقباتِ الرّأي والأمرُ عازبٌ كأنَّ له في اليومِ عيناً على غدٍ

ومثله :

يرى العواقبَ في أثناء فكرتِه كأنَّ أفكاره بالغيبِ كهفانُ

غيره :

يشرونَ مثلكَ ثيابه وعبيده أفيقُدرونَ على شراءِ أسُوده؟

غيره :

إلهي على كلّ الأمور لك الحمدُ فليس لما أوليتَ من نعمٍ حدٌ !

وقال ابن أبي عيَّنة :

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى فتَهونُ غيرَ شماتةِ الحسادِ

ومثله قول حبيب :

أجرؤُ لكنِّي نظرتُ فلم أجِدْ أجرأُ يفيي بشماتةِ الأعداءِ

وقال الآخر :

لم يبقَ إلّا نفسٌ خافتُ ومُقلّةٌ إنسانُها باهتُ

ومُدْنَفٌ تُضمُّ أحشاؤه بالنّارِ إلّا أنّه ساكتُ

رقاً له الشّامتُ ممّا به : يا ويحَ من يرثي له الشّامتُ !

ويُروى أنّه قيل لأيوّب عليه السّلام : أيّ شيء كان في بلاك أشدّ عليك ؟ فقال : شماتة

الأعداء !

وقال عَلَقَمَةُ الْفَحْلُ :

ويلم لذاتِ الشبابِ معيشةً مع الكثرِ يُعطاهُ الفتى المُتَلِفُ النَّدي
وقد يُقَصِّرُ القُلُّ الفتى دونَ همِّه وقد كان لولا القُلُّ طلائعُ أنجد
القُلُّ - بالضمِّ - : الاقلالُ ؛ وَهَمُّهُ : ما يهتمُّ بفعله من المكارم والعطايا، فيمنعه الفقر
من ذلك، كما قال الامام الشافعي، رضي الله عنه :

أرى نفسي تتوقُّ إلى أمورٍ يُقَصِّرُ دونَ مبلِّغينَ مالي
فنفسي لا تطاوعني لبخلٍ ومالي لا يُبلِّغني فعالي

وقال أيضا :

يا لهف نفسي على مالٍ أَفَرَّقَهُ على المقلِّين من أهل المروءاتِ !
إنَّ اعتذاري إلى من جاء يسألني ما ليس عندي من إحدى المصيباتِ
وفلان طلائعُ أنجدٍ أي ذو أفعال كريمة، ومآثر عظيمة ؛ والأُنجدُ جمعُ نَجْدٍ، وهو ما
ارتفع من الأرض، جعل طلوعه كناية عن البروز والاستعلاء وعدم الاستتار، كقول الآخر :
أنا ابن جلا وطلاعُ الثَّنايا
وقول دُرَيْد بن الصَّمَّة :

كميشُ الأزارِ خارجُ نصفِ ساقه بعيدٌ من السَّوءاتِ طلائعُ أنجدٍ
وقال الآخر :

لعمرك ما يدري الفتى أيُّ يومه وإن كان محروسًا على الرُّشدِ أرشدُ
أفي عاجلاتِ الأمرِ أم أجلاتِه أم اليومُ أدنى للسَّعادةِ أم غدُ ؟
وقال المُتَّقِب :

وللموت خيرٌ للفتى من حياته إذا لم يثبُ للأمرِ إلا بقائِدِ
ويُروى :

إذا لم يُطِفْ عُلَياءُ إلا بقائِدِ

وبعده :

فعالجُ جسيماتِ الأمورِ ولا تَكُنْ هبیتَ الفؤادِ همُّهُ للوسائدِ !
إذا الرِّيحُ جاءتْ بالحمامِ تشكُّه هذاليلُه شلَّ القِلاصِ الطَّرائدِ

وأعقب نوءُ المرزَمِين بَغْبَرَةً . وقطرَ قليل الماء بالليل بارد .
 كفى حاجة الأضيافِ حتَّى يَريحَها على الحيِّ منَّا كلُّ أروعٍ ماجِد .
 تراهُ لتفريحِ الأمور ولفَّها لما ناك من معروفها غيرَ زاهد .
 وليس أخونا عندَ شيءٍ يخافُه ولا عندَ خيرٍ إن رجاهُ بواحد .
 إذا قيلَ مَنْ . للمُعضلاتِ أجابُه عظامُ اللّهي منَّا طوالُ السَّواعِدِ
 الهَبِيتُ الفؤاد : الضَّعيفُ ، والهِذَالِكُ جمع هذلول وهو ما طاك من الرمل . وهذالِكُ
 الرِّيح : ما امتدَّ منها ؛ والمرزمان نجْمان مع الشَّعْرِيَيْنِ
 وقال حرثان بنُ عمرو :

إذا هتَفَ العصفور طار فؤاده وليثٌ حديدُ النَّابِ عندَ الثَّرائِدِ
 وهذا الشعرُ هجا به أُمَيَّةُ بن عبد اللّٰه بن خالد بن أسيد . فقال عبد الملك بن مروان يوماً
 لأُمَيَّةَ هذا : مالك وحرثان بن عمرو إذ يقولُ فيكَ : إذا هتَفَ العُصفور (البيت) ؟ فقال:
 يا أمير المؤمنين وجب عليه حدٌّ فأقمته عليه . فقال : هَلَا درأت بالشبهات عنه ؟ فقال :
 كان حدّه أبين، وكان زعمُه عليّ أهون . فقال عبد الملك : [يا] بني أُمَيَّة ! أحسابكم
 أنسابكم، لا تعرّضوها للجَهَّال : فإنّه باق ما بقي الدهر، واللّٰه ما يسرّني أني هُجيت
 بهذا البيت وأن لي ما طلعت عليه الشمس :

تبيتون في المشتى ملأً بَطُونُكُمْ وجاراتُكم غرثى يبتنّ خمائصاً
 وما يبالي مَنْ مُدَح بهذين البيتين ألاّ يُمدح بغيرهما :

هناك إن يُستخبَّلوا المال يُخْبِلُوا وإن يُسألوا يُعطوا وإن ييسروا يُغْلُوا
 على أكثرهم رزقُ من يعترهمُ وعند المُقلِّين السَّماحةُ والبذلُ
 قلت : وهذان البيتان لزهير، وقبلهما :

إذا السَّنةُ الشَّهباءُ بالنَّاسِ أجحفت
 رأيتَ ذوي الحاجاتِ حولَ بيوتهم
 هُناك (البيت)

وبعده :

وفيهـم مقاماتٌ حسانٌ وجوههُـم وأنديةٌ يَنتابُها القولُ والفعلُ

عَلَى مُكْثَرِهِمْ (البيت)

قوله : إن يَسْتَخْبِلُوا، الاستخبالُ أن يستعير الرجل من آخر إبلا يحلبها ويشرب ألبانها، فإذا أخصب ردّها . وأنكر بعضهم هذا اللفظ وقال : لعنّه قال يَسْتَخْوِلُوا، والاستخوالُ أن يملكها إياه .

وقوله : إن يَئْسِرُوا يُغْلُوا، يريد أنَّهُم إذا يسروا بالقداح أعطوا سمان الابك وأغلاها ثمنًا . وتقدّم هذا المعنى . وقال أعرابي كان يمنعه أبوه من الضرب في الأرض وطلب المعيشة شفقة عليه، فكتب إلى أبيه :

ألا خلّني أذهبْ لشأني ولا أكنْ على النَّاسِ كلاً إنَّ ذا لشديدُ !
أرى الضَّربَ في البلدان يُغني معاشرا ولم أر من يُجدي عليه قُعودُ
أتمنعني خوف المنايا ولم أكنْ لأهرب ممّا ليس عنه محيدُ ؟
فدعني أجول في البلاد لعنّني أسرُّ صديقاً أو يُساء حسودُ
فلو كنت ذا مالٍ لقرب مجلسي وقيلَ إذا أخطأتُ أنتَ سديدُ !
وسياتي ما قيل في هذا المعنى بعد، إن شاء الله تعالى.

وقال كلثوم بن عمرو :

إنَّ الكريم ليُخفي عنكَ عُسْرته حتّى تراه غنيّاً وهو مجهودُ
وللبخيلِ على أموالِه عِلْ زُرْقُ العَيُونِ عليها أوجهُ سودُ
وكان كلثوم هذا كتب إلى صديق له : أمّا بعد، أطال الله بقاءك وجعله يمتدّ بك إلى رضوانه والجنة ! فإنّك كنت عندنا روضةً من رياض الكرم تبتهج النفوس لها، وتستريحُ القلوب إليها . وكنا نعفيها من النُّجعة استتماماً لزهرتها [وشفقة على خضرتها] (16)،

وادخاراً لثمرتها، حتّى أصابتها سنة كانت عندي قطعةً من سِنِي يوسف، واشتدّ علينا كدّها، وغابت عنا فضّتها، وكذبَتنا غيومها، وأخلفَتنا بروقها، وفقدنا صالحَ الاخوان فيها، فانتجعتك وأنا بانتجاعي إيّاك شديدُ الشفقة عليك، مع علمي بأنّك نعم موضع الزاد وأنّك تغطي عين الحاسد . والله يعلم أنّي ما أعدك إلا في حومة الأهل . وأعلم أنّ الكريم، إذا استحيا من إعطاء القليل ولم يحضره الكثير، لم يعرف

جوده ولم تظهر همته . وأنا أقول في ذلك :

ظلُّ اليسار إلى العباس ممدودٌ وقلْبُه أبداً بالمحك ممدودٌ
إنَّ الكريمَ، إلخ....

قيل : فشاطره ماله حتَّى أعطاه إحدى نعليه ونصف قيمة خاتمه .

واجتمع جماعة بباب دار عديّ بن الرِّقَاع، فخرجت إليهم بنيةً له صغيرة فقالت
 لهم : ما تريدون ؟ فقالوا لها : نريد أباك . فقالت : وما حاجتكم به ؟ فقالوا : جئنا إليه
 نهاجيه . فقالت على الفور :

تجمّعتم من كلِّ أوبٍ ووجهةٍ على واحدٍ لا زلتُمُ قرنَ واحدٍ
 وقال أبو مسلم الخراساني :

أدركتُ بالحزم والكتمان ما عجزت عنه ملوكُ بني مروان إذ حشدوا
 ما زلت أسعى بجدي في دمارهم والقومُ في غفلةٍ الأيَّام قد رقدوا
 حتى ضربتهم بالسيف فانتبهُوا من نومةٍ لم ينمها قبلهم أحدٌ
 ومن رعى ثمنًا في أرض مسبعةٍ ونام عنها تولَّى رعيها الأسدُ
 وقال الآخر :

وأكرم نفسي إن أهينها لأنَّها وحقَّك لم تكرمُ على أحدٍ بعدي
 حدَّث الأصمعي قال : مررت في بعض سكك الكوفة، فإذا رجل خرج من حشٍّ على كتفه
 جرةً وهو يقول : وأكرمُ نفسي (البيت) . قال : فقلت له : أيمثك هذا تكرمها ؟ قال :
 نعم ! وأستغني عن مسألة مثلك . فصاح : يا أصمعي ! فالتفت، فقال :

لنقلُ الصخر من قلل الجبال أحبُّ إليَّ من منن الرِّجال
 يقول النَّاسُ كسبٌ فيه عارٌ وكلُّ العار في ذلِّ السُّؤال !
 وقال الآخر :

يأيُّها الاخوان أوصيكمُ وصيةَ الوالدِ والوالدةِ
 لا تنقلوا الأقدام إلا إلى من تترجى من عنده فائدهُ
 إمَّا لعلم تستفيدونه أو لكريم عنده مائدهُ !

وروي عن الأصمعي قال : لقيني أبو عمرو بن العلاء وأنا ماشٍ في بعض أزقة البصرة، فقال: إلى أين يا أصمعي ؟ قلت : لزيارة بعض إخواني . فقال : يا أصمعي، إن كان لفائدة أو لمائدة، وإلا فلا !

وقال الآخر :

ولمّا رأيت الدّهر أنحتْ صُروفه
حذفتْ فضولَ العيشِ حتى ردّتها
وقلتْ لنفسِي : أبشري وتوكّلي
فإلّا تَكُنْ عندي دراهمُ جمّة
وقال الآخر :

إن يحسدوني فإنني غير لائمهم :
فدام لي ولهم ما بي وما بهم
أنا الَّذي يجدوني في صدورهم
وقال أبو فراس :

قد كنت عدّتي التي أسطوبها
فرميتُ منك بضدٍّ ما أمّلتُه
وقال ابن الضّريّر النّفرواني :

لا بارك الله في الطّعام إذا
كم دخلت لقمة حشى شره
وقال الوزير المهلبّي في غلام قدّمه معزّ الدولة على سريّة، من أبيات :

جعلوه قائداً عسكراً : ضاع الرّعيلُ ومن يقوده
وقال أبو الفتح ابن جنيّ النحوي، وقيل أبو منصور الديلمي :

صدودك عنّي ولا ذنب لي
فقد، وحياتك، ممّا بكّيت
وقال الامام السّهرورديّ لمّا ضعف وكبر :

يا ربّ لا تحيني إلى زمن
خذني قبل أن أقول لمن
أكون فيه كلام على أحد
ألقاه عند القيام : خذ بيدي !

وقال أبو محمد اليزيدي :

عش بجدّ ولا يضرّك نوكٌ : إنّما عيشُ من ترى بالجدودِ
ربّ ذي إربةٍ مقلّ من الما لٍ وذي عنجهيّةٍ مجدودِ
عش بجدّ وكن هبنقة القيسيّ أو مثلك شيبّة بن الوليد !
وسبب قوله ذلك أنّه تناظر هو والكسائي في مجلس المهدي، وكان شيبّة بن الوليد حاضرًا،
فتعصّب للكسائي وتحامل على اليزيدي فهجاه بذلك، واللّه أعلم . وقال السّلاميّ يصف
الدّرّع :

يا ربّ سابغةٍ حبتني نعمة
أضحت تصون عن المنايا مهجتي
كافأتها بالسوء غير مُفندٍ
وظللتُ أبذلها لكلّ مُهنّدٍ
وقال الآخر :

أخّ لك ما مودّته بمذقٍ
سألناه الجزيل فما تلكّى
إذا ما عاد فقرُ أخيك عاداً
وأعطى فوق مُنيتنا وزاداً
فعدنا ثمّ عدنا ثمّ عدنا
فأعطى ثمّ عدتُ له فجاداً
مراراً ما نعودُ إليه إلّا
تبسمّ ضاحكاً وثنى الوساداً
وقال الآخر :

هجرتك، لا قلبي منّي، ولكنّ
كهجر الحائمتِ الوردَ لمّا
رأيتُ بقاء ودك في الصّدودِ
رأت أنّ المنية في الوردِ
تغيّظ نفسها ظمّاً وتخشى
حماماً فهي تنظر من بعيدِ
تصدّ بوجه ذي البغضاء عنه
وترمقه بالحاظ الوردِ
وقال أبو نواس :

ليس من اللّه بمُستنكرٍ
وهذا المعنى سبق إليه جرير فقال :

إذا غضبت عليك بنو تميم
إلّا أنّ قول أبي نواس أشمل . ومن هذا المعنى قول السّلاميّ :

فبشرت آمالي بملكٍ هو الورى ودارٍ هي الدّنيا ويومٍ هو الدّهرُ

وأخذه الأَرَجانيّ فقال :

قد زرتُه فرأيت النَّاسَ في رَجُلٍ والدَّهرَ في ساعةٍ والأرضَ في دارٍ
ومنه [أيضاً] قول أبي الطَّيِّب :

هي العَرَضُ الأَقصى ورؤيتُكَ المُنَى ومنزِلُكَ الدُّنْيا وأنتَ الخَلاتُقُ !
وبيتُ السَّلامِ والأَرَجانيّ أسلس وأفخم مع انتقاصِ الزمانِ من بيتِ أبي الطَّيِّب، إلّا أنَّ
قوله : وأنتَ الخَلاتُقُ، إن لم يقصره العرف، يقوم مقام قول أبي نواس في الشمول. وهذا
المعنى موجود في بعض أبيات البوصيري في البردة في حقِّ النّبي صلَّى اللّهُ عليه
وسلّم . وقال الأَفْوَه الأودي :

بنى معاشِرُ لم يبنوا لقومهمُ وإن بنى قومهمُ ما أَفْسَدوا عادوا
لا يُرْشِدون ولن يَرعُوا لمُرْشَدَهم فالجهلُ منهم معًا والغِيُّ ميعادُ
أضحوا كَقَيْلِ بن عمرو في عَشيرتِه إذ أَهْلَكَتْ بالَّذي قد قدِمتُ عادُ
ويروى :

كانوا كمثلٍ لقيم في عَشيرتِه إذ أَهْلَكَتْ (البيت)
أو بعْدُه كَقَدَّارٍ حينَ تابَعَه على الغوايةِ أَقْوامُ" فقد بادُوا
والبيت لا يُبْتَنى إلّا له عَمَدُ" ولا عماد إذا لم تُرسِ أوتادُ
فإن تجمّع أوتادُ" وأعمدةُ" وساكنُ" بلَعُوا الأَمْرَ الَّذي كادُوا
وإن تجمّع أَقْوامُ" ذَوو حَسَبِ اصطادَ أمرهمُ بالرُّشدِ مُصْطادُ
لا يصلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سِراةَ لَهم ولا سِراةَ إذا جَهِلُهم سادوا !
ونظمه ابن شرف بقوله :

إذا تساوى الورى ضاعوا وحفظُهم أن يجعلوا فاضلاً منهم ومفضولاً

* * *

تُهدى الامور بأهل الرأى ما صلُحتُ فإن تولّت فبالأشرارِ تتقَادُ
ونظمه ابن شرف بقوله :

فإن هم سوّدوا جهّالهمُ هلَكوا هَلَكَ الدَّلِيلُ إذا ما ضلَّ مدلولاً
وقد علمت أنَّ ما يطابق آخر شطر [البيت] قبله :

إذا تولّى سِراةَ القومِ أمرهمُ نما على ذاكَ أمر القومِ فازدادوا

أَمَارَةُ الْغَيِّ أَنْ تَلْقَى الْجَمِيعَ لَدَى
الْإِبْرَامِ لِلْأَمْرِ وَالْإِذْنَابِ اكْتَادَ
وَبَعْدَهُ :

حَانَ الرَّحِيلُ إِلَى قَوْمٍ وَإِنْ بَعْدُوا
فَسَوْفَ أَجْعَلُ بَعْدَ الْأَرْضِ دُونَكُمْ
إِنَّ النَّجَاةَ إِذَا مَا كُنْتَ فِي نَفَرٍ
وَالْخَيْرُ تَزْدَادُ مِنْهُ مَا لَقِيتَ بِهِ
وَقَالَ بَشَّارٌ :

فَخَيْرٌ مِنْكَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ
وَأَمَّا زِيَارَتُكُمْ قَعُودِي
وَسَبَبُ قَوْلِهِ ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَشَّقَ امْرَأَةً فَرَأَسَهَا مَرَارًا . فَلَمَّا أَحْمَ عَلَيْهَا شَكَّتَهُ إِلَى زَوْجِهَا فَقَالَ
لَهَا : أَجِيبِيهِ وَعَدِيهِ أَنْ يَأْتِيَ هُنَا ! فَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ ، فَجَاءَ زَوْجُهَا مَعَهَا وَبَشَّارٌ لَا يَشْعُرُ
فَجَعَلَا يَتَحَدَّثَانِ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا بَشَّارٌ : مَا اسْمُكَ ، بِأَبِي أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أُمَامَةُ . فَقَالَ :
أُمَامَةُ قَدْ وَصِفْتَ لَنَا بِحُسْنٍ وَإِنَّا لَا نَرَاكِ فَالْمَسِينَا !
فَأَخَذَتْ يَدَهُ وَوَضَعَتْهَا عَلَى أَيْرٍ زَوْجِهَا وَقَدْ أَنْعَظَ مِنْ حَسَنِ مَا سَمِعَ مِنْ حَدِيثِهَا . فَفَزَعَ
بَشَّارٌ وَوَثَبَ قَائِمًا وَقَالَ :

عَلَيَّ الْإِيَّةُ مَا دُمْتُ حَيًّا
وَلَا أَهْدِي لِأَرْضٍ أَنْتَ فِيهَا
طَلَبْتُ غَنِيمَةً فَوَضَعْتَ كَفِّي
فَخَيْرٌ مِنْكَ (الْبَيْتِ)
وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْمَعْنَى قَوْلُ طَرْفَةِ :

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمَرُو
مِنْ الزَّمَرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا
يُشَارِكُنَا لَنَا رَخْلَانِ فِيهَا
رَغَوْتُا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ
وَضَرَّتْهَا مُرْكَنَةٌ دَرُورُ
وَتَعْلُوهَا الْكِبَاشُ فَمَا تَنُورُ

يَقُولُ : لَيْتَ لَنَا - بَدَلَ هَذَا الْمَلِكِ ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ - رَغَوْتُا ، أَيُّ شَاةٍ ، تَرْضَعُ مِنْ
الزَّمَرَاتِ ، أَيُّ الْقَلِيلَاتِ الصُّوفِ ، وَضَرَّتْهَا ، أَيُّ لَحْمٍ ضَرَعَهَا ، مُرْكَنَةٌ ، مَجْتَمِعَةٌ ، وَيَعْنِي أَنَّهَا
قَلِيلَةُ الصُّوفِ صَغِيرَةُ الْجِسْمِ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَرْضَعُهَا رَخْلَانِ ، أَيُّ وَلَدَانِ لَهَا ، وَهِيَ هَزِيلَةٌ تَعْلُوهَا

الكباش للفساد، فما تنور، أي ما تستطيع أن تنفر لهُزَالها . ومعلوم أَنَّها، إذا كانت على هذه الأوصاف، لم يكن بها خير من صوف ولا لبن ولا لحم، ومع ذلك فهي خير لنا من هذا الملك . وهذا الشعر كان سبب قتل عمرو بن هند طرفة، وسنشرح قصته بعد، إن شاء الله تعالى . وقال عبيد بن الأبرص :

لأَعْرِفَنَّكَ بعد الموتِ تَنَدُّبُنِي وفي حياتي ما زوَدْتُني زَادِي !
وهو مثل سائر يُضْرَب للرجل يُضَيِّعُ حقَّ أخيه في حياته، ثم يبكيه بعد الموت .
يُروى عن طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - قال : خرجت مع عمر بن الخطاب في بعض أسفاره، فإذا براكب على الطريق فقال : ما وراءك ؟ قال : أمر جليل . قال : ويحك، ما هو ؟ قال : مات خالد بن الوليد ! فاسترجع عمر استرجاعاً طويلاً، فقلت له : يا أمير المؤمنين :

ألا أراك بُعِيدَ الموتِ تَنَدُّبُنِي وفي حياتي ما زوَدْتُني زَادِي ؟
فقال : يا طلحة، لا تَوَنِّبُنِي !

وقال من شعراء الحماسة عمرو بن معدي كرب الزبيدي :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُئْزَرٍ فاعْلَمْ، وإنْ رُدِّيتَ بُرْدًا !
إنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثَنَ مَجْدًا
ومنها :

كلُّ امرئٍ يجزِي إِلَى يومِ الهِجَابِ بما استَعَدَّ
ومنها :

كم من آخرٍ لي ماجدٍ (17) بوَّأته بيديَّ لحدا
ما إنْ جَزَعْتُ ولا هَلِيعْتُ ولا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدًا
ألْبِسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جُلْدًا
أَغْنِي غَنَاءَ المِيتَيْنِ (18) أَعَدُّ للأَعْدَاءِ عَدَا
ذَهَبَ الَّذِينَ أَحَبَّهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السِّيفِ فَرْدًا !

وقال العباس بن مرداس السُّلَمي :

إذا طالتِ النَّجْوَى بغيرِ أُولَى النُّهَى أَضَاعَتْ وَأَصْغَتْ خَدَّ من هو فاردُ

(17) في الحماسة : كم من آخرٍ لي صالح ...

(18) في الحماسة أيضا : أغنى غناء الذاهبين .

فحاربُ فإن مولاك حارداً نصرهُ ففي السَّيفِ مولى نصره لا يحارداً !
الفارداً : المنفرد ؛ وحارداً نصرهُ : قلَّ، من قولك : حارداً الابل إذا قلَّ
درهاً.

وقال العَبَّابُ العَجَلِيّ :

لعلَّ الَّذِي قاد النَّوى أن يردّها إلينا وقد يُدني البعيدَ من البُعد
وعلَّ النَّوى في الدَّار تجمع بيننا وهل يُجمع السَّيفان ويحك في غمِّد ؟
ومنها :

فكنت كمُهريقِ الَّذِي في سقائه لرقراق آلٍ فوق رابيةٍ صلدٍ
كمُرْضعةٍ أولادٍ أخرى وضيَّعت بني بطنها هذا الضَّلالُ عن القصد !
وقال عَقِيلُ بنُ عُلْفَةَ المُرِّي :

وأبغضُ من وضعتُ إليَّ فيه لسانِي معشَرَ عنهم أذودُ
ولستُ بسائلٍ جاراتِ بيتي أغْيَابُ رجالِكِ أم شهودُ
ولا مُلقٍ لذي الودعاتِ سوطي ألاعبُه وريبَتَه أريدُ
ولستُ بصادِرٍ عن بيتِ جاري صدورَ العَيْرِ غمَّرهُ الورودُ⁽¹⁹⁾
العَيْرُ : الحِمَارُ ؛ والتَّغْمِيرُ : أن يشرب دون الرِّيِّ . لست بخارج من بيت
جاري مريباً ألتفت وأتحيَّر خشية أن أرى كالعير المزعم عن الماء قبل أي يروى، أولاً أخرج
ملتفتاً عاملاً على العود إلى الريبة مرّة أخرى كالعير الملتفت إلى الماء لبقاء العطش . وقال
قيس بن كلثوم :

قد يُخْطَمُ الفحلُ قسراً بعد عزَّته وقد يُردُّ على مكروههِ الأسدُ
الخَطْمُ : أن يُشدَّ على البعير خطامه فيملك بذلك . وقال تأبَّط شراً :
وإنَّكَ لو أصلحت ما أنت مُفسدٌ تودِّك الأقصى الَّذِي تتودَّدُ
وكان لك ابن العمِّ يحمي ذماره ويمنعه حينَ الفرائصُ ترعدُ
أخوك الَّذِي إن تدَّعه لمُلمَّةٍ يُحبِّك لها والمستعدُّون رُقْدُ
وقال الفرزدق :

وفي الأرض عن ذي الجود منأى ومبعد وكلُّ بلادٍ أوطنتُ كـبلادٍ

(19) هذا البيت مقدم على البيت قبله في الحماسة .

وماذا عسى الحجاجُ يبلُغُ جهده إذا نحن خلفنا حفيرَ زياد ؟
وقال غسان بن وعلّة :

إذا كنت في سعدٍ وأمك منهم غريباً فلا يغررك خالك من سعدٍ
فإنّ ابن أختِ القوم مُصغى إنأؤه إذا لم يُزاحمُ خاله بأبٍ جلدٍ
وقال شُبَيْكُ الفزاري :

وما عن ذلّةٍ غلبوا ولكنّ كذاكَ الأسدُ تفرسُها الأسودُ
وقال دريد بن الضمّة :

صبا ما صبا حتى علا الشَّيبُ رأسه فلماً علاه قال للباطل : ابعُد !
وكان الأصمعي يقول : هذا أحسن بيت قالتَه العرب ! ومنها :

وهوّن وجدي أتما هو فارطُ أمامي وأنّي هامةُ اليوم أوغدُ
وقال عبد الله بن ثعلبة :

لكلّ أناسٍ مقبرٌ بفنائهم : فهم ينقصون والقبور تزيدُ
وما إن يُزال رسمُ دارٍ قد أخلقتْ وعهدٌ لميتٍ بالفناء جديدُ
فهم جيرةُ الأحياء أمّا محلّهم فدانٍ وأمّا الملتقى فبعيدُ
وقال آخر في ابن له :

الأمُّ على تبكّيه والْمُسُّهُ فلا أجِدُهُ
وكيفَ يلامُ محزونٌ كبيرٌ فاتهُ ولدُهُ ؟
وقال رجل من خثعم :

خلتِ الديارُ فسدتُ غير مسودٍ ومن الشّقاءُ تفرّدي بالسؤدد !
وهذا مثلك مشهور . (رؤي أن حارثة بن بدر الغداني خرج ومعه كعب موله . فجعل لا يمرّ
بمجلس من بني تميم إلّا قالوا : مرحباً بسيّدنا ! فقال كعب : ما سمعت قطّ كلاماً أقرّ
لعيّني من هذا ! فقال حارثة : ما سمعت كلاماً أكره إليّ منه ! وتمتلك بالبيت .

ويروى أيضاً أنّ أمةً مرّت بابن جرّيج، أحد علماء المدينة، وهو يصليّ وقد خطّ خطّاً
بين يديه . فقالت : واعجبا لهذا الشيخ وجهه بالسنة ! فأشار إليها أن قفي ! فلما أن
قضى صلاته قال : ما رأيت من جهلي ؟ فقالت : إنك تخطّ خطّاً تصليّ عليه، وقد

حدَّثتني مولاتي عن أمها عن أمِّ سلمة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال :
الْخَطُّ بَاطِلٌ، لَأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَبَّرَ تَكْبِيرَةَ الْأَحْرَامِ سَدَّتْ مَا بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . فسألها أن تقفوه لمولاتها . ففعلت، فحدَّثته بذلك وقالت : أتجهل، وأنت
من علماء المدينة ؟ فقال عند ذلك :

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مَسْوَدٍ (البيت)

وقال آخر :

إِنَّ الْمَسَاعِدَ لِلْمَسْرَةِ مَوْعِدٌ
فَإِذَا سَمِعْتُ بِهَالِكٍ فَيَتَقَنَّ
أَخْتَانِ رَهْنٌ لِلْعَشِيَّةِ أَوْ غَدِ
أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُهُ فَتَزُودُ !

وقال رجل من بني قُريِمْ :

مَتَى مَا يَرِ النَّاسُ الْغَنَى وَجَارُهُ
وَلَيْسَ الْغَنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَتَى
فَقِيرٌ يَقُولُوا : عَاجِزٌ وَجَلِيدٌ
وَإِذَا الْمَرْءُ أَعْيَتْهُ الْمَرْوَةُ نَاشِئًا
وَكَاثِنٌ رَأَيْنَا مِنْ غَنَى مَذْمُومٍ
وَلَكِنْ أَحَاطَ قُسِّمَتْ وَجَدُودُ
فَمَطْلُبُهَا كَهَلَا عَلَيْهِ شَدِيدُ
وَصَعْلُوكَ قَوْمٍ [مَاتَ وَهُوَ حَمِيدٌ] (20)

وقال المُقَنَّعُ الكَنْدِيُّ :

يُعَاتِبُنِي فِي الدَّيْنِ قَوْمِي وَإِنَّمَا
أَلَمَ يَرِ قَوْمِي كَيْفَ أَوْسَرُ مَرَّةً
فَمَا زَادَنِي الْاِقْتَارُ مِنْهُمْ تَقَرُّبًا
أَسَدُ بِهِ مَا قَدْ أَخْلَوْا وَضِيعُوا
دِيُونِي فِي أَشْيَاءٍ تَكْسِبُهُمْ حَمْدًا
وَأُعْسِرُ حَتَّى تَبْلُغَ الْعُسْرَةُ الْجُهْدَا ؟
وَلَا زَادَنِي فَضْلُ الْغَنَى مِنْهُمْ بُعْدًا
تُغَوِّرُ حَقُوقُ مَا أَطْلَقُوا لَهَا سَدًّا

ومنها :

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي
أَرَاهُمْ إِلَى نَصْرِي بَطَاءً وَإِنْ هُمْ
إِذَا أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لِحُومُهُمْ
وَإِنْ ضِيعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ
وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمْرِييَ
وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ
وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لِمُخْتَلَفٍ جَدًّا
دَعُونِي إِلَى نَصْرٍ أَتَيْتَ لَهُمْ شَدًّا
وَإِنْ يَهْدُمُوا مَجْدِي بَنِيَّتَ لَهُمْ مَجْدًا
وَإِنْ هُمْ هَوُوا غِيَّيَ هَوِيَّتَ لَهُمْ رُشْدًا
زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمْرُ بِهِمْ سَعْدًا
وَلَيْسَ رَثِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا

(20) سقط ما بين معقوفتين من ب .

لهم جُلٌّ مالي إن تتابع لي غنى
وإنِّي لعبدُ الضَّيْفِ ما دام نازلاً
وقال محمد بن [أبي] شحاذ الضَّبِّي :

إذا أنت أعطيت الغنى ثمَّ لم تجد
إذا أنت لم تعرُك بجانبك بعض ما
إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل
إذا العزمُ لم يفرجُ لك الشَّكَّ لم تزل
وقلَّ غناءٌ عنكَ مالٌ جمعته
إذا أنت لم تترك طعاماً تحبُّه
تجلت عاراً لا يزالُ يشبُّه

وإن قلَّ مالي لم أكلفهم رِفداً
وما شيمةٌ لي غيرها تُشبه العبداء !

بفضل الغنى ألفت مالكَ حامدُ
يريبُ من الأدنى رماك الأبعادُ
عليك بروقٌ جمَّةٌ ورواعِدُ
جنيباً كما استتلى الجنيبةَ قائدُ
إذا صار ميراثاً وواراك لأحدُ
ولا مجلساً تدعى إليه الولائدُ⁽²¹⁾
سباب الرِّجال نثرهم والقصائدُ

وقال أعرابيٌ قتَلَ أخوه ابنًا له، فقرَّب إليه ليقتصَّ منه، فألقى السيف من يده وقال :
أقول للنَّفْس تأساءً وتعزيةً :
كلاهما خلفٌ من فقد صاحبه :

وقال أحد بني فقعس :

وذوي ضبابٍ مظهرين عداوةً
ناسيتهم بغضاءهم وتركتهم
كيما أعدَّهم لأبعد منهم

الضَّبَاب : جمع ضَبٍّ هو الحِقْدُ.

وقال آخر :

تمنَّى لي الموتَ المعجَّلَ خالدُ

وقال آخر :

وإنَّكَ لا تدري إذا جاء سائلُ
عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إن منعته
وفي كثرةِ الأيدي على الجهلِ زاجرُ

وقال شبيب بن البرصاء :

ولا خير فيمن ليس يُعرف حاسده !

أأنتَ بما تُعطيه أم هو أسعدُ ؟
من اليوم سؤلاً أن يكونَ له غدُ
وللحلمِ أبقي للرِّجالِ وأعودُ !

(21) في الحماسة : ولا مقعداً تدعى إليه الولائدُ .

إذا المرء أعراهُ الصَّدِيقُ بدا له بأرضِ الأعادي بعضُ ألوانه الرُّبْدُ
 أعراهُ : انفرد به وأفضى به إلى العراء . يقول : إذا انفرد الرجل بمن يعتدُّه صديقاً وصار
 معه في بلاد العدوِّ فاحتاج إلى نصرته ومشورته انكشف له أمره، وبان له حينئذ أنَّه عدوٌّ
 له أم صديق . والرُّبْدُ : الغُبرُ المُظْلِمَةُ . ضربه مثلاً لما يخفى من الصداقة والعداوة.
 وقال الحسن بن مطير :

كُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرَدَّ الْبُكَاءُ فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا
 خَلِيلِيَّ مَا بِالْعَيْشِ عَتَبٌ لَوْ أَنَّنا وَجَدْنَا لِأَيَّامِ الْحُمَى مِنْ يُعِيدُهَا
 وقال آخر :

هَلِ الْحَبُّ إِلَّا زَفَرَةٌ وَحُرٌّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدٌ ؟
 غيـره :

وَمَا كُلُّ مَا فِي النَّفْسِ لِلنَّاسِ مَظْهَرٌ وَلَا كُلُّ مَا لَا تَسْتَطِيعُ تَذُودُ
 وقال آخر من بلحارث بن كعب :
 مَنْى إِنْ تَكُنْ [حَقًّا] تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا
 وقال حطائط، أخو الأسود بن يعفر :

أَرِنِي جَوَادًا مَاتَ هَرَلًا لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرِيْنُ أَوْ بَخِيلًا مَخْلَدًا !
 وقال يزيد الحارثي :

وَإِذَا الْفَتَى لَاقَى الْحِمَامَ رَأَيْتَهُ لَوْلَا الثَّنَاءُ كَأَنَّهُ لَمْ يُولَدِ
 وقال آخر، وثروى لقيس بن عاصم، رضي الله عنه :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرْسِ الْوَرْدِ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكِلَهُ وَحْدِي
 أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنَّنِي أَخَافُ مَذْمَمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
 وَكَيْفَ يُسَيِّغُ الْمَرْءُ زَادًا وَجَارَهُ خَفِيفَ الْمِعَى بَادِي الْخِصَاصَةِ وَالْجَفْدِ ؟
 وَلَكُمُوتٌ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدٍ
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيِّفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيَمَةِ الْعَبْدِ !
 وقال آخر :

وَنُبْتُ رُكْبَانَ الطَّرِيفِ تَنَازَرُوا عَقِيلًا إِذَا حَلُّوا الذَّنَابَ فَصَرَ خَدَا

فتى يجعل المحض الصريح لبطنه
وقال الآخر :

وإننا لنجفو الضيف من غير علة
غري : كلف .

وقال الأسود بن يعفر :

ولقد علمت لو أن علمي نافع
ماذا أؤمك بعد آل محرق ؟
أرض الخورنق والسدير وبارق
جرت الرياح على محل ديارهم
ولقد غنوا فيها بأكرم غنية
فإذا النعيم وكل ما يلهى به

وتقدم بعض هذا الشعر . وذو الأعواد رجل اسمه غوي بن سلامة ، أو سلامة بن غوي ، وقيل غير ذلك . وكان له خراج على مضر . فلمّا شاخ وضعف كان يحمل على سرير ويطاف به على مياه العرب فيجيبها . وقيل هو جد لأكثم بن صيفي ، الحكيم المعروف . وكان أعز أهل زمانه ، فكان لا يأتي سريره خائف إلا آمن ، ولا جائع إلا شبع . ومثك هذا الشعر ما روي أنه وجد في حفير رجل عليه خفّان وعند رأسه لوح فيه مكتوب : أنا عبد المسيح بن حيّان بن نفيلة :

حلبت الدهر أشطره حياتي
وكافحت الأمور وكافحتني
وكدت أنال بالشرف الثريا

ودخل أرطاة بن سهية على عبد الملك فقال : كيف حالك ؟ وكان قد أسن ، فقال : ضعف حالي ، وقلّ مالي ، وكثر منّي ما كنت أحبّ أن يقلّ ، [وقلّ منّي ما كنت أحبّ أن يكثر] (22) ، قال : فكيف أنت في شعرك ؟ قال : والله ما أغضب ولا أطرب ولا أرهب . وما الشعر إلا من نتائج هذه ، على أنني القائل :

رأيت المرء تاكله الليالي
وما تبقي المية حين تأتي
وأعلم أنها عمّا قليك

فارتاع عبد الملك ثم قال : بل تُوفِّي نَذَرَهَا بك ! ويلك، مالي ولك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين، لا ترع ! واللّه ما عنيت إلّا نفسي ! فقال : أما واللّه لتلمنّ بي ! وأبو الوليد كنية لعبد الملك وكنية لأرطاة أيضا .. وقال الآخر :

لنا عزٌّ وممرّانّا قريبٌ ومولّى لا يدبُّ مع القُرادِ
وقوله : لا يدبُّ مع القُرادِ، أشار به إلى رجل من العرب كان يخرج ومعه شَنَّةٌ فيها قِرْدَانٌ، فيشدّها في ذنب بعير من الابل، فإذا قرصته القِرْدَانُ نَفَرَ، فنَفَرَتِ الابلُ لقعقة الشَنِّ . فإذا نَفَرَتِ استلّ منها بعيرًا، فذهب به .
وقال الآخر :

ستبكي المِخاضُ الجُربُ إن مات هيثمٌ وكلُّ البواكي غيرهُنَّ جُمودُ
يقول إنّه كان بخيلا يستنقيهنّ ولا ينحرهنّ : فهنّ يبكين عليه إن مات، لِمَا أحسن إليهنّ، ولا يبكي عليه أحدٌ من النَّاسِ، لعدم خيره وإحسانه . وهذا من أقبح الهجو، غير أنّ في قوله «جُمودُ» مغمزًا . وضدّ هذا من المدح قول الآخر :

قتيلان لا تبكي المخاضُ عليهما: إذا شبعَتْ من قَرْمَلٍ وأفانِ
والأفاني جمع افانية، والأفانية والقرمَل نبتان يُرعيان . وقال الآخر :
إذا جاوزتُ من ذات عرقٍ ثنيّةً فقل لأبي قابوسَ ماشئتَ فارعدِ !
ونحوه قول الفرزدق السابق :

وماذا عسى الحجاجُ يبلغُ جهده إذا نحنُ جاوزنا حفيرَ زيادٍ ؟
وتقدّم تفسير رعدٍ وبرقٍ بما أغنى عن إعادته . ونحوه قول الآخر :
يا جلّ ما بعدت عليك بلادنا فابرق بأرضك ما بدا لك وارعد⁽²³⁾
وقال الآخر :

ما قامَ عمرو في الولاية قائمًا حتّى قعدَ !
وسبب هذا أنّ بعض الوزراء قلد ابن حجّاج ولاية، فخرج إليها يوم الخميس وتبعه عزله يوم الأحد، فقال فيه :

يا مَنْ إذا نظَرَ الهلالُ إلى مَحاسنِهِ سجَدَ
وإذا رآته الشَّمْسُ كادتْ أنْ تموتَ مِنَ الحَسَدِ

(23) نسبه في لسان العرب (مادة برد) إلى ابن أحرر، وروى الشطر الثاني هكذا :
وطلابنا فابرق بأرضك وارعد

يَوْمَ الْخَمِيسِ بَعَثْتَنِي
وَالنَّاسُ قَدْ غَنَوْا عَلَيَّ
مَا قَامَ عَمْرُو (البيت)

وقال جميل :

فَأَقْسِمُ طَرْفِي بَيْنَهُنَّ فَيَسْتَوِي
وقال أيضا :

يَمُوتُ الْهَوَى مَنِّي إِذَا مَا لَقِيَتْهَا
وهذان البيتان من قصيدة لجميل يقول فيها :

أَلَا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّفَاءِ جَدِيدُ
فَتَغْنَى كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَأَنْتُمْ
وَمَا أَنْسَ مِنْ أَشْيَاءَ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا
وَلَا قَوْلَهَا : لَوْلَا الْعَيُونُ الَّتِي تَرَى
خَلِيلِيَّ مَا أَخْفَى مِنَ الْوَجْدِ ظَاهِرُ
أَلَا قَدْ أَرَى وَاللَّهِ أَنْ رُبَّ عِبْرَةٍ
إِذَا قُلْتُ : مَا بِي يَا بُثَيْنَةَ قَاتِلِي
وَأِنْ قُلْتُ : رَدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعْشَ بِهِ
فَلَا أَنَا مُرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا
جَزَّتْكَ الْجَوَازِي يَا بُثَيْنَ مَلَامَةً
وَقُلْتُ لَهَا : بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَاعْلَمِي
وَقَدْ كَانَ حَبِّكُمْ طَرِيفًا وَتَالِدًا
وَأِنْ عَرُوضُ الْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فَأَفْنَيْتَ عَيْشِي بَانْتِظَارِي نَوَالَهَا
فَلَيْتَ وَشَاةَ النَّاسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
وَلَيْتَ لَهُمْ فِي كُلِّ مُمَسَّى وَشَارِقِ
وَيَحْسَبُ نِسْوَانٌ مِنَ الْجَهْلِ أَنَّني
فَأَقْسِمُ طَرْفِي (البيت)

وَصَرَفْتَنِي يَوْمَ الْأَحَدِ
كَمَا خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَدِ

وفي الصدر بون بينهن بعيد

ويحيى إذا فارقتها فيعود

ودهرًا تولّى يا بُثَيْنَ يَعُودُ

صديقًا وإذ ما تبذلّين زهيدُ !

وقد قرّبت نضوي أمصر تريدُ ؟

أتيتك فاعذرني فدتك جدودُ !

ودمعي بما أخفي الغداة شهيدُ

إذا الدّار شطّت بيننا ستريدُ

من الحبّ قالت : ثابتٌ ويزيدُ

مع الناس قالت : ذاك منك بعيدُ

ولا حبّها فيما يبيدُ يبيدُ

إذا ما خليلُ بان وهو حميدُ

من اللّه ميثاقٌ له وعهودُ

وما الحبُّ إلّا طارفٌ وتليدُ

وإن سهّلته بالمنى لصعودُ

وأبليتُ بذاك الدّهر وهو جديدُ

يدوف لهم سمًا طماطم سودُ

تصاعقُ أكبادُ لهم وقيودُ !

إذا جئتُ إيّاهنّ كنتُ أريدُ

وبعده :

ألا ليت شعري هل أبیتنَّ ليلةً
وهل أهبطنَّ أرضاً. تظكُّ رباحها
وهل ألقینُ سَعْدِي من الدَّهرِ مرَّةً
وهل تلتقي الأهواءُ من بعدِ يأسٍ.
وهل أزجُرُنَّ حرفاً علّاةً شَمِلَةً
على ظهْرٍ مرهوبٍ كأنَّ ستورهُ
سبتني بعيني جَوْدِرٍ وسطِ ربربٍ
تریفٍ كما زافت إلى سلفاتها
إذا جئتُها يوماً من الدَّهرِ زائراً
يصدُّ ويغضي عن هوايَ ويجتني
فأصرمُها خوفاً كأنِّي مُجانبٌ
فمن يُعطٍ في الدُّنيا قريناً كمثلاًها
يموت الهوى مني (البيت)

وبعده :

يقولون : جاهدياً جميلٌ بغزوةٍ !
لكلِّ حديثٍ بينهمُ بشاشةٌ
فمن كان في حبِّي بُثينةً يمتري
ألم تعلّمي يا أمَّ ذي الودعِ أنَّني
وقال الآخر :

إذا كُنت تهوى الحمد والمجد مولعاً
ولست وإن أغْيِي أباك مجادةً
قوله : أباك، أي أبواك، فنثني لفظ الأب من غير أن يردَّ لاه . وقال الآخر :
شرَّيتُ برداً ولولا ما تكنَّفني من الحوادثِ ما فارقتُه أبداً !
وقال الآخر :

(24) يروى الشطر الأول أيضاً هكذا : على ظهرٍ مرهوبٍ كأنَّ نشوْزهُ

أَتَعْجَبُ أَنْ رَأَيْتَ عَلَيَّ دُنْيَا ؟ (بياض)

وقال الأشهب بن رحيلة :

أَسْوَدُ شَرَى لَاقَتْ أَسْوَدَ خَفِيَّةً ، تساقَتْ على حردٍ دماءَ الأَسْوَدِ
وقال الآخر :

إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَاءُ وَانْشَقَّتِ الْعَصَا فحسبُك والضَّحَاكُ سَيْفٌ مَهْنَدٌ !
وقال أعرابي في السجن :

أَيَا وَالِيَّيْ سَجَنَ الْيَمَامَةِ أَشْرَفَا بِي الْقَصْرَ أَنْظُرْ نَظْرَةً هَلْ أَرَى نَجْدًا !
فَقَالَ الْيَمَانِيُّانِ لَمَّا تَبَيَّنَا سَوَابِقَ دَمْعٍ مَا مَلَكَتْ لَهَا رَدًّا :
أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَّةٍ ذَاتِ بُرْدَةٍ تُبْكِي عَلَى نَجْدٍ وَتَبْلَى كَذَا وَجْدًا ؟
لَعَمْرِي لَأَعْرَابِيَّةٌ فِي عِبَاءَةٍ تَحُلُّ دِمَائًا مِنْ سُوَيْقَةٍ أَوْ فَرْدًا
أَحْبُ إِلَى الْقَلْبِ الَّذِي لَجَّ فِي الْهَوَى مِنَ اللَّابَسَاتِ الرَّيْطُ يُظْهِرُنَهُ كَيْدًا
وقال الآخر، ويقال الشافعي، رضي الله عنه :

تَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ أَمُوتَ فَإِنْ أَمُتَ فَتِلْكَ طَرِيقٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ !
يَقَالُ : لَسْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِأَوْحَدٍ ، أَي لَا أَخْصَبُ بِهِ . وقال الآخر، ويقال هو هاتِف سُمْعَ لَمَّا
وَلِيَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مِنَ الْأَنْ قَدْ ظَلَبْتَ وَقَرَّ قَرَارُهَا عَلَى عُمَدِ الْمَهْدِيِّ قَامَ عُمُودُهَا
وقال يزيد بن الصيقل العقيلي، وكان يسرق الابل ثم تاب :

أَلَا قُلْ لِأَرْبَابِ الْمَخَائِصِ أَهْمَلُوا فَقَدْ تَابَ عَمَّا تَعْلَمُونَ يَزِيدُ
وَإِنَّ أَمْرًا يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لِسَعِيدُ !
وتقدّم هذا الثاني . والاهتمامُ تركُ الابل بلا راع . وقال الآخر :

تَمَنَيْتُمُ مَائَتِي فَارِسٍ فَرَدَّكُمْ فَارِسٌ وَاحِدُ
وقبلها :

فَلَيْتَ لَهَا بَارْتِبَاطَ الْخَيُْولِ ضَمَانًا لَهَا حَالِبٌ قَاعِدُ !
أَلَا هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَائِيهَا بِيمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غَامِدُ ؟
وغامدُ أبو قبيلة، وهو غامدُ بن نصر بن الأزد بن الغوث، فهجاهم هذا الشاعر . وقال
حاتم :

وإنَّ الكريمَ مَنْ تَلَفَّتْ حَوْلَهُ وإنَّ التَّئِيمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُ
وقال نَبْهَانُ العَبْشَمِيُّ :

يَقْرُ بَعِينِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهِ ذُرَى عَقِدَاتِ الْأَبْرِقِ الْمُتَقَاوِدِ
وَأَنْ أَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَرِبْتُ بِهِ سُلَيْمَى وَقَدْ مَلَّ السَّرَى كُلُّ وَاحِدٍ
وَأَخْلِطَ أَحْشَائِي بِبَرْدِ تَرَابِهِ وَإِنْ كَانَ مَخْلُوطًا بِسَمِّ الْأَسَاوِدِ !
وَالْعَقِدَاتُ وَاحِدُ الْعَقْدَةِ - بِكسر القاف وفتحها - وهو ما تراكم من الرَّمْلِ وانعقد ؛
وَالْأَبْرِقُ حَجَارَةٌ يَخْلُطُهَا رَمْلٌ أَوْ طِينٌ ؛ وَالْمُتَقَاوِدُ : الْمُتَقَادُ الْمُسْتَقِيمُ ؛
وَالْأَسَاوِدُ جَمْعُ أَسْوَدَ ، وَهُوَ الْأَسْوَدُ السَّالِخُ . وقال أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ :
لَا تُنْكِرِي يَا عَزَّى إِنْ ذَلَّ الْفَتَى ذُو الْأَصْلِ وَاسْتَعْلَى خَسِيسُ الْمُحْتَدِ
إِنَّ الْبُرْزَةَ رَوْوْسُهُنَّ عَوَاطِلُ وَالتَّاجُ مَعْقُودٌ بِرَأْسِ الْهُدُودِ
وقال الْحَارِثُ بْنُ كُلْدَةَ :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا جَمَعُوا لَهُمْ مَالًا وَوُلْدًا
وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا تَسْمَعُ الْأَذَانُ رَعْدًا
وَالزَّبَابُ - بِالزَّايِ مَفْتُوحَةٌ - جَمْعُ زَبَابَةٍ ، وَهِيَ الْفَأْرَةُ الْعَمِيَاءُ ، وَضَرَبَ ذَلِكَ مَثَلًا لِرِعَاعِ
النَّاسِ وَجَهْلِهِمُ الْحَائِرِينَ . وَقَوْلُهُ : لَا تَسْمَعُ الْأَذَانُ رَعْدًا ، أَيُّ لَا تَسْمَعُ أَذَانَهُمْ
صَوْتَ الرِّعْدِ لَصَمَمِهِمْ ، فَأَقَامَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ مَقَامَ الضَّمِيرِ وَقَالَ الْآخَرُ :
فَأَتْنُوْا عَلَيْنَا لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ بِأَفْعَلْنَا إِنَّ التَّنَاءَ هُوَ الْخُلْدُ !
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

فَإِذَا بَلَّغْتُمْ أَرْضَكُمْ فَتَحَدَّثُوا وَمَنْ الْحَدِيثُ مَثَلُ " وَخُلُودُ !
وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ هَذَا الْمَعْنَى . وَقَالَ ابْنُ اللَّيْثِ يَمْدَحُ الْمَعْتَمِدَ :
لَقَدْ ضَمَّ أَمْرَ الْمَلِكِ حَتَّى كَانَتْهُ نَطَاقُ بَخْصَرٍ أَوْ سَوَارٍ عَلَى زَنْدِ
وَحَسَّنَ طَعْمَ الْعَيْشِ حَتَّى أَعَادَهُ الَّذِي مِنَ الْإِعْفَاءِ فِي عَقَبِ السُّهْدِ
وَحَسَبُ اللَّيَالِي أَنَّهَا فِي زَمَانِهِ بِمَنْزِلَةِ الْخِيَلِ فِي صَفْحَةِ الْخَدِ
تَوَقَّدَ عَنْ نَارَيْنِ لِلْحَرْبِ وَالْقِرَى وَقَامَ عَلَى طَوْدَيْنِ لِلْحِلْمِ وَالْمَجْدِ
وَجَاءَتْ بِهِ الْأَيَّامُ تَاجِرٌ سُودِدِ يَبِيعُ نَفِيسَاتِ الْمَوَاهِبِ بِالْحَمْدِ
يُغِيثُكَ فِي مَحَلٍّ يُعِينُكَ فِي رَدَى يَرِوْعُكَ فِي دَرَعٍ يَرِوْقُكَ فِي بُرْدِ

جمال" وإجمال" وسبق" وصوله"
وقال أيضا :

إليه وإلاّ قيّدوا قدم السرى
وعنه أفيضوا، إنّه مشعر الهدى
وألغوا حديث البحر عند حديثه:
وقال الآخر :

قلدتني منك الجميل قلايدا
والله لو جاز السجود لمحسن
وقال أبو جعفر البطروني :

وما زلت أجنّي منك والدهر محل
ثمار أياها دانيات قطوفها
ترى جاريا ماء المكارم تحتها
وقال ابن اللبّانة أيضا :

هو صُبْحٌ وربيعٌ وحيا
هو طودٌ وشهابٌ ولظى
وقال بكر بن النطاح :

ملأت يدي من الدُّنيا مِراراً
وما وجبت عليّ زكاة مال
وقال الآخر :

بفعالي عرفت لا بمقالي
إنّ رأيي ورأيي بلّغاني
وقال ابن الخطيب :

تعجّلت وخط الشَّيب في زمن الصِّبا
فمهما رأيتم شَيْبةً فوق مفرقي
وقال ابن الحدّاد، وللشعر حكاية :

شقيقك غيب في لَحْدِه

كشمس الضُّحى كالْمُزنِ كالْبِرْقِ كالرَّعد!

وفيه وإلاّ أخرسوا ألسُن الحمْدِ
وحوليه طوفوا : إنّه كعْبةُ القصدِ
فكم بين ذي جزرٍ وكم بين ذي مدّ !

ورحمتني حتّى حسبتك واليدا
ما كنتُ إلاّ راکعاً لك ساجداً !

ولا ثمرٌ يُجنّي ولا زرعٌ يُحصّدُ
لأغصانها ظلٌّ علينا ممدّدُ
وأطيارٌ شكري لا تزالُ تُعزّدُ

يُجتلّى أو يُجتنّى أو يُجتدّى
مارساً أو ماسراً أو ما عدا

فما طمعَ العَواذلُ في قيادي
وهكّ تجبُ الزكاةُ على جوادٍ ؟

وبيذاتي شرفتُ لا بجُودِ
غايّتي هذه بحُكمِ السُّعودِ

لخوضي غمار الهمّ في طلب المجدِ
فلا تنكروها إنّها شَيْبةُ الحمْدِ !

وتطلّعُ يا بدرُ من بَعْدِه

فهلاً خَسَفَتْ فَكَانَ الْخُسُوفُ
وقال الآخر في التعزية :

لا بُدَّ من فَقْدٍ ومن فاقِدٍ
كُنْ الْمُعْزَى لا الْمُعْزَى بِهِ
وقال الوزير المهلبى :

خليلىَّ إِنِّي لِلثَّرِيَّا لِحَاسِدُ
أَبْقَى جَمِيعًا شَمْلُهَا وَهِيَ سَبْعَةٌ
وقال الآخر :

دهى الله مَصْرًا وَسَكَانَهَا
متى يَرْتَجِي مُفْلِسٌ عِنْدَهُمْ
وقال الآخر :

ما لِلْمُعِيلِ وَلِلسَّفَارِ وَإِنَّمَا
فَالشَّمْسُ تَجْتَابُ السَّمَاءَ فَرِيدَةً
وقال ابن سَكْرَةَ :

قِيلَ : مَا أَعْدَدْتَ لِلْبَرْدِ
قُلْتُ : دُرَّاعَةٌ عُرِي
وقال الآخر :

بين اللثامِ وَصُدْغِهِ الْمُعْقُودِ
يلوي على زردِ الغذارِ دلالهُ :
وقال الآخر :

أهلاً بِطَيْفِكَ زَائِرًا أَوْ عَائِدًا
يا من على طَيْفِ الْخِيَالِ أَحَالَني
ما نَمْتُ لَكِنَّ الْخِيَالَ يَلُمُّ بِي
وقال الراضي بن عبيد :

مرؤا بنا أصلا من غير ميعادٍ
لا غَرَوُ إن زاد في قلبي مرورهم

حِدَادًا لِبَسْتِ عَلَى فَقْدِهِ ؟

هَيْهَاتَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَالِدٍ
إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْوَاحِدِ !

وَإِنِّي عَلَى رَيْبِ الزَّمانِ لَوَاجِدُ
وَأَفْقَدُ مِنْ أَحْبَبْتُهُ وَهُوَ وَاحِدٌ ؟

وَفَتَّتْ أَكْبَادَهُمْ بِالْحَسَدِ !
غَنَى وَعَلَى كُلِّ فُلَسٍّ أَسَدٌ ؟

يُجْلَى بِوَصْلِ الْبَيْدِ مِنْ هُوَ فَارِدُ
وَأَبُو بَنَاتِ النَّعَشِ فِيهَا رَاكِدُ

وَقَدْ جَاءَ بِشِدَّةٍ ؟
تَحْتَهَا جُبَّةٌ رَعْدَةٌ

خَمْرَانِ : مِنْ رَيْقٍ وَمِنْ عُنُقُودِ
كَمْ فَتْنَةٍ بَيْنَ الْوَلَى وَزُرُودِ !

تَفْدِيكَ نَفْسِي غَائِبًا أَوْ شَاهِدًا !
أَتَظُنُّ طَرْفِي مِثْلَ طَرْفِكَ رَاقِدًا ؟
فِيحِلُّهُ طَرْفِي فَيُطْرَقُ سَاجِدًا

وَأَوْقِدُوا نَارَ قَلْبِي أَيَّ إِيقَادِ
فَرُؤْيَا الْمَاءِ تُذَكِّي غُلَّةَ الصَّادِ !

وقال الآخر :

قالوا : خسرت القلب حين علقتَه
فأجبتهم : لا تعذلونني إنني

وقال بعض المشاركة :

ألحاظكم تجرحنا في الحشا
جرح" بجرح فاحسبوا ذابذا
وقال أبو العباس بن الفياض :

قم أسقني بين خفق الناي والعود
نحن الشهود وصوت العود خاطبنا
وقال أبو البركات في غرناطة :

رعى الله من غرناطة متبوءاً
تبرم منها صاحبي عندما رأى
هي الثغر صان الله من أهله به

وقال ابن حجاج في صاحب وليمة أبطأ بالطعام فيها.

يا جائياً في داره ذاهباً
قد جن أصحابك من جوعهم
وتقدم بعضه . وقال الآخر :

مال ابن دارة دونه لعفاته
مال لزوم الجمع يمتنع صرفه
وقال الآخر :

فأكثر من الاخوان للدهر عدة:
وعظم صغير القوم وابدأ بحقه:
وقال الآخر :

ألا ! إنه كلنا بائد
وبدؤهم كان من ربهم
فيا عجباً كيف يعصى الاله

وربحت فيه شماتة الحساد
صانعتة عن مهجتي بفؤاد !

ولحظنا يجرحكم في الخدود
فما الذي أوجب جرح الصدود ؟

ولا تبع طيب مفقود بموجود
فزوج ابن غمام بنت عنقود !

يسر كئيباً أو يجير طريداً !
مسارحها بالبرد عدن جيداً
وما خير ثغر لا يكون بروداً

لغير معنى لا ولا فائدة
فاقرأ عليهم سورة المائدة !

خرط القتاد والتماس الفرقد
في راحة مثل المنادى المفرد

فكثرة در العقد من شرف العقد
فمن خنصري كفيك تبدأ في العد !

وأي بني آدم خالد ؟
وكل إلى رب عائد
أم كيف يجحد الجاحد

وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ

وقال البُستِي :

أَنُوكَ حَوَى الْعَلْيَا وَأَنْتَ مُبَرَّرٌ
وَلِلْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْكَرَمِ مِثْلُهُ
وقال أبو القاسم الاصْبَهَانِي :

أَصْبَحْتُ صَبًّا دَنِفًا
أَعُوذُ مِنْ شَرِّ الْهَوَى

وقال ابن الجهم :

أَنْفُسٌ حُرَّةٌ وَنَحْنُ عَبِيدُ
لِي حَبِيبٌ نَأَى بِهِ الْعَجْرُ عَنِّي

وقال الآخر :

وَكَمْ لَيْلَةٍ بَيْتٌ مِنْ حُبِّكُمْ
كَأَنَّ نُجُومَ الدُّجَى فِي الدُّجَى

وقال ابن الرومي :

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا
وَالْإِ فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا وَإِنَّهَا

وقال الآخر في التورية :

تَقُولُ سَلِيمِي إِذْ رَأَتْ شَيْبَ لِمَتِّي :
وَمَا تُنْكِرُ الْحَسَنَاءُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ

وقال كُثَيْرٌ :

فَإِنْ تَسَلَّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدْعُ الْهَوَى
وَكُلُّ خَلِيكِ زَارَتِي فَهَوَ قَائِلٌ :

وتقدم أن يزيد بن عبد الملك تمثّل به على قبر جاريته حباة لما ماتت :

وقال ابو جعفر المنصور العباسي، وله قصة ستأتي في الام :

وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

عَلَيْهِ إِذَا نَازَعَتْهُ قَصَبَ الْمَجْدِ
وَلِلنَّارِ نُورٌ لَيْسَ يَوْجَدُ فِي الزُّنْدِ

بَيْنَ عَنَاءٍ وَكَمَدٍ
بِقُلِّ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ !

إِنَّ رَقَّ الْهَوَى لَرَقَّ شَدِيدُ
وَأَشَدُّ الْهَوَى الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ

تَطُولُ عَلَى طَرْفِي السَّاهِدِ
صَوَارٌ تَفَرَّقْنَ عَنْ صَائِدِ

يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةً يُوَلَدُ
لَأَوْسَعُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ ؟

لَقَدْ حَالَ مِنْ ذَاكَ الشَّبَابِ سَوَادُهُ
إِذَا ابْيَضَّ مِنْ طَوْلِ الْكِتَابِ مِدَادُهُ

فَبِالْيَأْسِ تَسْلُو عَنْكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ !
مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ !

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فِكنْ ذَا عَزِيمَةٍ : فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ يَتَرَدَّدَا
وَلَا تَمْهَلِ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا بِقُدْرَةٍ وَحَازِرُهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدًا !
وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنْ جَارِيَةً لَهُ أَهَدَتْ إِلَيْهِ تَفَاحَةً بَعْدَ أَنْ طَيَّبَتْهَا ، وَكَتَبَتْ عَلَيْهَا :
هَدِيَّةٌ مِنِّي إِلَى الْمَهْدِيِّ تَفَاحَةٌ تَقْطِفُ مِنْ خَدْيِ
مُحَمَّرَةٍ مُصْفَرَّةٍ طَيِّبَتُ كَأَنَّهَا مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ !
وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ أَدَيْنَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحُبِّ فِي كَبْدِي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ أُبْتَرِدُ
هَبْنِي بَرَدْتُ بِبَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرُهُ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَّقِدُ ؟
وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِيمَا زَعَمُوا :

خُذُوا بِدَمِي ذَاكَ الْعِزَّالَ فَإِنَّهُ رَمَانِي بِسَهْمِي مُقْلَتِيهِ عَلَى عَمَدٍ
وَلَا تَقْتُلُوهُ إِنِّي أَنَا عَيْدُهُ وَفِي مَذْهَبِي لَا يُقْتَلُ الْحُرُّ بِالْعَبْدِ !
وَقَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَصْرِ الْمَالِكِيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَنَائِمَةٌ قَبَّلَتْهَا فَتَنَبَّهَتْ وَقَالَتْ : تَعَالَوْا فَاطْلُبُوا اللَّصَّ بِالْحَدِّ !
فَقُلْتُ لَهَا : إِنِّي لَثَمْتُكَ غَاصِبًا وَمَا حَكَمُوا فِي غَاصِبٍ بِسِوَى الرَّدِّ
خُذِيهَا وَكُفِّي لِي عَنْ إِثْمِ ظِلَامَتِي وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَرْضَيْ فَالْفَأْ مِنْ الْعَدِّ
فَقَالَتْ : قِصَاصٌ يَشْهَدُ الْعَقْلُ أَنَّهُ عَلَى كَبِدِ الْجَانِي أَلْذُّ مِنَ الشَّهْدِ
فَبَاتَتْ يَمِينِي وَهِيَ هَيْمَانُ خَصَرِهَا وَبَاتَتْ يَسَارِي وَهِيَ وَاسِطَةُ الْعِقْدِ
وَقَالَتْ : أَلَمْ أَخْبِرْ بِأَنَّكَ زَاهِدٌ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى مَا زِلْتُ أَزْهَدُ فِي الرَّهْدِ
وَقَالَ مَسْكِينُ الدَّارِمِيِّ :

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخِمَارِ الْأَسْوَدِ : مَاذَا فَعَلْتَ بِزَاهِدٍ مُتَعَبِّدٍ ؟
قَدْ كَانَ شَمَّرَ لِلصَّلَاةِ إِزَارَهُ حَتَّى قَعَدَتْ لَهُ بَابُ الْمَسْجِدِ
رُدِّي عَلَيْهِ صَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ لَا تَفْتِنِيهِ بِحَقِّ جَاهِ مُحَمَّدٍ !

وزعموا أنه كان مشتهراً بالمجون، فنسك ولزم المسجد، وصار من العبَّاد . فورد بعض تجار
العراق على المدينة، على ساكنها الصلاة والسلام، بسلة فيها خمرٌ مختلفة الألوان . فباعها

جميعا إلا السود من الخمر . فتحير في أمرها وجاء نحو المسجد وسأل عن من به من أهل الخير . فدلَّ على مسكين الدارمي المذكور . فجاء وشكا إليه أمره وسأله الدعاء بتيسير بيع ما كسد من الخمر، فقال له : تَبَاعُ إن شاء الله ! ثم صنع هذه الابيات، ودعا بعض أهل اللحون فدفعها له وقال له : غَنِّ بها حيثما أمكنك، فإنها لي ! فذهب يغني بها في سكك المدينة، فظن الناس أنه ترك التنسُّك وعاد إلى المجون، ولامه أصحابه في ذلك فقال : وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ! وشاع في المدينة أن الدارمي تعشق صاحبة الخمار الأسود، فلم تبق في المدينة متظرفة إلا اشترت خماراً أسود، فبيعت بذلك خمر التاجر، وعاد الدارمي إلى نسكه :

وهو القائل : (25)

وَسُمِّيتُ مِسْكِينًا وَمَا بِيَّ حَاجَةٌ وَإِنِّي لَمِسْكِينٌ إِلَى اللَّهِ رَاغِبٌ
وَإِنِّي امْرُؤٌ لَا أَسْأَلُ النَّاسَ مَا لَهُمْ بِيَشْعُرُ وَلَا تُعْيِي عَلَى الْمَكَاسِبِ
وينسب إلى القاضي التنوخي في معارضة أبيات الخمار المذكورة :

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخِمَارِ الْمَذْهَبُ : أَفْسَدَتْ نُسْكَ أَخِي التَّقَى الْمُتْرَهَّبُ
نورُ الْخِمَارِ وَنورُ خَدِّكَ تَحْتَهُ عَجَبًا لَوْجْهِكَ كَيْفَ لَمْ يَتَلَهَّبُ !
وَجَمَعْتَ بَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ فَلَمْ يَكُنْ لِلْحُسْنِ عَنْ نَهْجِيهِمَا مِنْ مَذْهَبِ
وَإِذَا أَتَتْ عَيْنٌ لِيَتَسَرَّقَ نَظْرَةٌ قَالَ الشُّعَامُ لَهَا اذْهَبِي لَا تَذْهَبِي !
وقال الفرزدق :

وَخَيْرُ الشُّعْرِ أَشْرَفُهُ رَجَالًا وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ
وسبب قوله ذلك أنه اجتمع مع نصيب، الشاعر الأسدي، في مجلس سليمان بن عبد الملك، فقال الفرزدق شعرا يفخر فيه بأبيه، ومنه :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَاتِرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرَوْا يَخْبِطُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفُهمْ إِلَى شِعْبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ
إِذَا آنَسُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبِ !
فأعرض سليمان كالغضب، ففطن له نصيب، فقال له : أياذن أمير المؤمنين أن أقول ؟ قال :

قل ! فقال نصيب :

(25) ساقط منب .

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لَقِيَتْهُمْ :
 قِفُوا خَبَرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي
 فَعَاجُوا فَأَتْنُوهُ بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
 وَقَالُوا : تَرَكْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 فَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيٌّ فِعَالُهُ
 لَقُلْنَا لَهُ شَبَهُ وَلَكِنْ تَعَذَّرْتَ
 هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ
 فَطَرَبَ سُلَيْمَانَ وَأَمَرَ لِنَصِيبِ بَعْشَةِ آلَافٍ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْفَرَزْدَقِ فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى يَا أَبَا
 فَرَّاسٍ ؟ فَقَالَ : هُوَ أَشْعَرُ أَهْلَ جَلْدَتِهِ . فَقَالَ سُلَيْمَانُ : وَأَهْلُ جَلْدَتِكَ ! فَغَضِبَ الْفَرَزْدَقُ وَقَالَ :
 وَخَيْرُ الشَّعْرِ أَشْرَفُهُ رَجَالًا وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ !
 وَعَنْ دَعْبَلٍ قَالَ : نُوْدِي بِالْغَفِيرِ ، فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ ، فَإِذَا فَتَى يَجْرُ رُمَحُهُ بَيْنَ يَدَيَّ ،
 فَقَالَ : يَا دَعْبَلُ ، اسْمَعْ مِنِّي ! وَأَنْشُدُ :

أَنَا فِي أَمْرِي رَشَادٌ بَيْنَ حُبٍّ وَجَهَادٍ
 بَدَنِي يَغْزُو عَدُوِّي وَالْهَوَى يَغْزُو فُؤَادِي !

ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قُلْتَ : جَيِّدٌ وَاللَّهِ ! فَقَالَ : مَا خَرَجْتَ إِلَّا هَارِبًا مِنَ الْحُبِّ ! ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى
 قَتَلَ .

وَقَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ تَخَاطَبَ زَوْجَهَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، حَيْثُ اشْتَغَلَ بِأُمُورِ
 الْخِلاَفَةِ وَلَمْ يَتَفَرَّغْ لَهَا :

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي قَدْ
 أَرَاكَ وَسِعْتَ كُلَّ النَّاسِ عَدْلًا
 وَأَعْطَيْتَ الرِّعِيَّةَ كُلَّ فَضْلٍ
 وَقَالَ الْآخَرُ :

نَحْنُ قَوْمٌ تَذِيبُنَا الْأَعْيُنُ النَّجْلُ
 نَقْتُلُ الْأَسَدَ ثُمَّ تَقْتُلُنَا الْبَيْضُ
 وَتَرَانَا لَدَى الْكَرِيهَةِ أَحْرَارًا
 عَلَى أَنْنَا نُذِيبُ الْحَدِيدَ
 الْمَصُونَاتُ أَوْجُهًا وَخُدُودًا
 وَفِي السَّلْمِ لِلْحِسَانِ عَبِيدًا

وزعموا أن العلوي، قائل هذا الشعر، حاصر قلعة حتى كاد يفتحها . وكانت فيها امرأة ذات حسن وجمال، فقالت لأهلها : أنا أكفيكم أمره ! فتبرقت وخرجت نحو العسكر وقالت : أبلغوني إلى الأمير ! فأبلغوها إليه، فقالت : أنت القائل :

نَحْنُ قَوْمٌ تَذِيبُنَا الْأَعْيُنُ ؟ .. (الآبيات الثلاثة)

فقال : نعم ! فنزعت البرقع عن وجهها وقالت : أحسنًا ترى أم قبيحًا ؟ فقال : والله ما أرى إلا حسنًا ! فقالت : ما حق المولى على عبده ؟ فقال : السمع والطاعة . فقالت : فارحل عنا وانصرف راشدا ! قال : نعم ! وأمر بالرحيل . فقال له أهل العسكر : إن المدينة بأيدينا . فقال : لا سبيل إلى الإقامة ساعة واحدة . ثم خطب تلك المرأة وتزوجها، فكانت عنده أحظى نسائه .

وقال الآخر في الثقلاء :

إِلْمَامُ كُلِّ ثَقِيلٍ قَدْ أَضَرَ بِنَا نَرُومُ نَقْصَهُمُ وَالشَّيْءُ يَزْدَادُ
وَمَنْ يَخِفُّ عَلَيْنَا لَا يُلِمُّ بِنَا وَلِلثَّقِيلِ عَلَى السَّاعَاتِ تَرْدَادُ
وقال الآخر :

إِذَا هُزَّ الْكَرِيمُ يَزِيدُ خَيْرًا وَإِنْ هُزَّ اللَّئِيمُ فَلَا يَزِيدُ
وروي أن أعرابيا وقف على مروان بن الحكم، وهو يفرض العطاء بالمدينة، فقال له : افرض [لي] ! فقال : قد طوي الكتاب ! فقال له الأعرابي : أما علمت أنني القائل :

إِذَا هُزَّ الْكَرِيمُ ؟ .. (البيت)

فقال : نشدتك الله، وأنت القائل له ؟ قال : نعم ! فقال مروان : افرضوا له ما يرضيه !
وقال الآخر :

لَا يُوْجَدُ الْخَيْرُ إِلَّا فِي مَعَادِنِهِ وَالشَّرُّ حَيْثُ طَلَبْتَ الشَّرَّ مَوْجُودُ
ويحكى عن جعفر بن يحيى أنه في بعض أسفاره عرض عليه مماليك رجل جفاه السلطان، وفيهم غلام جميل . قال : فقلت له : ما أسمك ؟ قال : ماهر . قلت : وما صنعتك ؟ قال : الأدب والشعر والغناء، وما شئت من بعد . فسألت عن ثمنه فقبل خمسمائة [دينار] على الضرورة . فوزنت ثمنه وسألته أن يسمعني شيئا من غنائه . فأخذ العود واندفع يغني :
حَمَلْتُمْ جِبَالَ الْحُبِّ فَوْقِي وَإِنِّي لَأَعْجِزُ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ وَأَضْعَفُ
ظَفِيرْتُمْ بِكِتْمَانِ اللِّسَانِ فَمَنْ لَكُمْ بِكِتْمَانِ عَيْنٍ دَمَعَهَا الدَّهْرُ يَذْرَفُ ؟

فأطربني غناؤه وشجاني، فأجزته وخلعت عليه، وأمرته بمعادلتي . فلما أجزت منزل مولاه بمقدار ميل أنشأ يقول :

وما كنتُ أخشى مَعْبِدًا أن يَبِيعَنِي بشيءٍ، ولو أَضَحَّتْ أُنَامِلُهُ صِفْرًا
أخوهُمُ ومولاهُمُ وحامِلُ سرِّهِمُ ومَنْ قَدْ ثَوَى فِيهِمُ وعاشِرُهُمُ دَهْرًا
أشوقًا ولمَّا يَمُضِ لي غَيْرُ ساعةٍ فكَيْفَ إذا سارَ المَطِيُّ بنا شَهْرًا ؟
فقلت له : يا غلام، أتعرف منزل مولاك من هاهنا ؟ فقال : وهل تخفى معالم الحب ؟ فقلت : اذهب، فأنت حر لوجه الله ! ووهبت له ألف دينار . فقال لي زميلي : أمثك هذا يعتق ؟ فقلت له : ويحك ! وهل مثله يملك ؟ فانطلق وهو يقول :

لا يُوْجَدُ الخَيْرُ إِلَّا في مَعَادِنِهِ (البيت)

وقال محمد بن عبد الملك الزيات :

وأيُّ امرئٍ سَمَى بِهَا قَطُّ نَفْسَهُ ففارقَهَا حتَّى يُغَيِّبَ في اللِّحْدِ ؟
وكان سبب ذلك أن ابراهيم بن المهدي اقترض من التجار أموالا كثيرة ببغداد . فيها لعبد الملك الزيات عشرة آلاف دينار . فلما لم يتم له أمر الخلافة لوى التجار أموالهم . فصنع محمد ابن عبد الملك قصيدة يخاطب المأمون، وهو صغير، منها :

تَذَكَّرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قِيَامَهُ بإيمائِهِ في الهَزَلِ مِنْهُ وفي الجَدِّ
وَوَاللَّهِ مَا مِنْ تَوْبَةٍ نَزَعَتْ بِهِ إِلَيْكَ وَلَا مِيلَ إِلَيْكَ وَلَا وَدَّ
وَكَيْفَ بَيْنَ قَدِ بَايَعِ النَّاسَ وَالتَّقَتْ بَبَيْعَتِهِ الرُّكْبَانُ غَوْرًا إِلَى نَجْدِ
وَمَنْ صَكَ تَسْلِيمُ الْخِلَافَةِ سَمْعَهُ يُنَادِي بِهِ بَيْنَ السَّمَاوَاتَيْنِ عَنْ بُعْدِ ؟
وأيُّ امرئٍ سَمَى بِهَا قَطُّ نَفْسَهُ (البيت)

وعرضها على ابراهيم وقال له : إمّا أنصفت أبي، وإمّا انشدتها المامون ! فأدّى إلى أبيه ماله دون سائر التجار، واستحلفه على كتمانها، فحلف له، وهذا من فوائد الشعر .

وقال ابن الرومي يمدح النرجس :

لِلنَّرْجِسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَإِنْ أَبَى أَبْرَ وَحَادَ عَنِ الطَّرِيقَةِ حَائِدُ
وَالنَّرْجِسُ احْتِازَ الْمَلَاةَ كُلَّهَا وَلَهُ فَضَائِلُ جَمَّةٍ وَفَوَائِدُ
ومنها :

شَتَانٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا مُوعِدٌ بِتَسْلُبِ الدُّنْيَا وَهَذَا وَاعِدٌ !

وسياتي تنمة هذا الشعر وما عورض به وما قيل في ذلك، إن شاء الله .

وقال الآخر :

وتحتَ البراقِعِ مقلوبُها تدبُّ على وَرْدٍ خَدَّ نَدِي⁽²⁶⁾

وقال الآخر :

إذا أنتَ وَلَيْتَ الخَوَوْنَ أمانةً فإنَّكَ قَدْ أَسَنَدْتَها شَرَّ مُسْنَدٍ !

وقال الآخر يصف الكتب :

لنا جُلَسَاءُ لا يُمْكُ حَدِيثُهُمْ ألبَاءُ مَأْمُونٍ غَيْبًا وَمَشْهُدًا

يُفِيدُونَنَا من عِلْمِهِم عِلْمَ مَنْ مَضَى وَعَقْلًا وتَأْدِيبًا ورأيًا مُسَدَّدًا

فلا فِتْنَةً تَخْشَى ولا سُوءَ عِشْرَةٍ ولا تَتَّقِي مِنْهُمْ لِسَانًا ولا يَدًا

فإن قُلْتُ : أمواتٌ فَلَسْتُ بِكَاذِبٍ وإن قُلْتُ : أحياءٌ فَلَسْتُ مُفَنِّدًا !

وقال الآخر :

عَلَيَّ للإخواني رَقِيبٌ من الصِّفا تَبِيدُ اللَّيالي وَهُوَ لَيْسَ يَبِيدُ

يُذَكِّرُنِيهِمْ في مَغِيبٍ وَمَشْهُدٍ فَسَيَّانٍ مِنْهُمْ غَائِبٌ وشَهِيدٌ

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِي أَخِي أنْ أَبْرَهُ قَرِيبًا وأنْ أَجْفُوهُ وَهُوَ بَعِيدٌ

وقال الآخر :

رَأَيْتُ صَلَاحَ المَرءِ يُصْلِحُ حالَهُ وَيُعْدِيهِمْ داءُ الفِسادِ إذا فَسَدَ

وَيَحْفَظُ بَعْدَ المَوْتِ في الأهلِ والوَلَدِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الدُّنْيَا بِفَضْلِ صَلَاحِهِ

وقال الآخر :

أرى صاحِبَ النِّسْوانِ يَحْسِبُ أَنَّها سَوَاءٌ، وَبِوْنٌ بَيْنَهُنَّ بَعِيدُ

فَمِنْهُنَّ جَنَّاتٌ تَفِيءُ ظِلَالُها وَمِنْهُنَّ نيرانٌ لَهْنٌ وَقودُ !

وقريب من هذا قول الأعرابي :

وإنَّ منَ النِّسْوانِ مَنْ هِيَ رَوْضَةٌ تَهْجُ الرِّياضُ دُونُها وتَصُوحُ

غيره :

وكلُّ أَمْرٍ عِنْدَ الهَوِيْنِا مُلاطِفٌ وَلَكِنِّما الإخْوانُ عِنْدَ الشَّدائِدِ !

غيره :

(26) في ب : تدبُّ على خَدَّ ورد ندي

مَا خَطْبُ مَنْ حُرِّمَ الْإِرَادَةَ وَادِعَا
غِيْره :

وَلَقَدْ أَصْرَفُ الْفُؤَادَ عَنِ الشَّيْءِ
غِيْره :

عَوَّدُ لِسَانِكَ قَوْلَ الصَّدَقِ تَحْظُ بِهِ
مُوكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيّ :

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ . وَقَدْ سَمِعَ رَجُلًا يَتَنَبَّأُ عَلَى آخِرِ مَبَالِغَا :

إِذَا مَا وَصَفْتَ امْرَأًا لَامِرِيءِ
فَإِنَّكَ إِنْ تَغَلُّ تَغَلُّ الظُّنُونُ
غِيْره :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ مِنْ سَوْءِ فِعْلِهِ
فَمَنْ سَرَّهُ إِلَّا يَرَى مَا يَسُوءُهُ
غِيْره :

إِنَّمَا الدُّنْيَا هِبَاتٌ
شِدَّةٌ بَعْدَ رَخَاءٍ

غِيْره :

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمْ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ
لَكِنِّي عَالِمٌ أَنِّي وَأَنْتُمْ

غِيْره :

صِلْ مَنْ دَنَا وَتَنَاسَ مَنْ بَعُدَا
قَدْ أَكْثَرْتَ حَوَاءُ إِذْ وَلَدْتَ

غِيْره :

مِثْلُ الَّذِي حُرِّمَ الْإِرَادَةَ جَاهِدَا

حَيَاءٌ وَحُبُّهُ فِي السَّوَادِ

إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ مُعْتَادُ
فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَانْظُرْ كَيْفَ تَرْتَادُ !

كَلَامُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادُ !
فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادُ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ . وَقَدْ سَمِعَ رَجُلًا يَتَنَبَّأُ عَلَى آخِرِ مَبَالِغَا :

فَلَا تَغَلُّ فِي وَصْفِهِ وَاقْصِدِ :
فِيهِ إِلَى الْأَمِيدِ الْأَبْعَدِ

يُكَدِّرُ مَا أُعْطِيَ وَيَسْلُبُ مَا أُسْدَى
فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدَا

وَعَوَارٍ مُسْتَرْدَّةً
وَرَخَاءً بَعْدَ شِدَّةٍ

ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا !
سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدَا

لَا تُكْرِهَنَّ عَلَى الْهَوَى أَحَدَا
إِذَا جَفَا وَلَدٌ فَخُذْ وَلَدًا !

إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي وَاحِدٍ
فَقَدْ دَلَّ إِجْمَاعُهُمْ دُونَهُ
غِيَرَهُ :

وَإِخْوَانٌ تَخَذَتْهُمْ دُرُوعًا
وَحَلَتْهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ
وَقَالُوا : قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ
وَقَالُوا : قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ
وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيُّ :

وَلَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى
تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمَى
وَلَهُ :

وَالشَّبَّكُ فِي الْبَخَرِ مِثْلُ الْأَسَدِ
وَلَهُ أَيْضًا :

مَنْ ضَامَهُ أَوْ ضَارَهُ دَهْرُهُ
سَمَاحَهُ أَرْزَى بِمَنْ قَبْلَهُ
وَلَهُ أَيْضًا :

خُذْهَا إِلَيْكَ وَصِيَّةً
غُرَاءَ حَاوِيَّةٍ خَلَاصَاتٍ
نَقَّحْتُهَا تَنْقِيحَ مَنْ
وَأَعْمَلَ يَمًا مِثْلَتَهُ
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ هَذَا
وَقَالَ ابْنُ السَّاعَاتِيِّ :

حُدِدَتْ بِجَفَنَيْهَا عَلَى رَشْفٍ رَيْقَهَا
وَقَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْحَمَوِيُّ :

وَنَحْنُ مَعَاشِرُ نَأْبَى الدَّيَا
نُعَانِقُ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ بَانَا

وَخَالَفَهُمْ فِي الرِّضَى وَاحِدٌ
عَلَى عَقْلِهِ أَنَّهُ فَاسِدٌ !

فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي
لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِي !

عَنِ الرَّشْدِ فِي أَنْحَائِهِ وَمَقَاصِدِهِ
وَلَا غُرُوْ أَنْ يَحْذُو الْفَتَى حَذُوَ وَالِدِهِ !

فَلْيَقْصِدِ الْقَاضِي فِي صَعْدِهِ
وَعَدْلِهِ أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ

لَمْ يُوصِهَا قَبْلِي أَحَدٌ
الْمَعَانِي وَالزُّبُودُ
مَحْضُ النَّصِيحَةِ وَاجْتِهَادُ
عَمَلِ اللَّيْلِ أَخِي الرَّشْدُ
الشَّبَّكُ مِنْ ذَاكَ الْأَسَدُ !

وَمَنْ شَرِبَ الصُّهْبَاءَ يُلْزَمُ بِالْحَدِّ

وَنَلْبَسُ مِنْ صِوَانِ الْعَرَضِ بُرْدًا
وَنَنْشَقُ مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ وَرْدًا

وقال المُتلمّس :

إنَّ الهوانَ حمارُ الذَّلِّ يألُفه
ولا يُقيمُ بدارِ الذَّلِّ يألُفها
هذا على الخَسَفِ مربوطٌ برُمَّته
وقال ابن قُلايس :

إنَّ مُقامَ المرءِ في بيتِهِ
فواصلِ الرِّحْلَةِ نحوَ الغنى
والنَّارُ لا يُحرقُ مشبُوبُها
غيره :

قد تعفَّفتُ وارتضيتُ بترَفيعِ
لا لأنِّي أنفَنتُ معَ ذَا من الكُدِّ
وقال أبو دَلْف :

أطيبُ الطَّيِّباتِ قتلُ الأعادي
ورسولٌ يأتِي بوعدِ حبيبِ
وسببه أنَّه قد قيل لأعرابي : ما أمتعُ لذاتِ الدنيا ؟ فقال : بيضاء رُعبُوبة، بالشحم
مَكْرُوبة، بالمسك مشبُوبة . وسئل الأعشى فقال : صهباءُ صافية، تمزجُها ساقية، من
صوبِ غادية . وسئل طرفة عن ذلك فقال : مَرَكَبٌ وطِيّ، وثوبٌ بهيّ، وطُعمٌ
شهيّ . قال بعضهم : فحدَّثت بذلك أبا دَلْف فقال :
أطيبُ الطَّيِّباتِ ... (البيتين)

وقال : وحدَّثت بذلك حميدًا الطُّوسيَّ فقال :

فلولا ثلاثٌ هنَّ من عيشَةِ الفتى
فمنهنَّ سبقُ العاذلاتِ بِشربةِ
وكريِّ إذا نادى المضافُ مجنبًا
وتقصيرِ يومِ الدَّجنِ والدَّجنُ مُعجبٌ
وجدك لم أحفك متى قام عودِي (27)
كُميت متى ما تُعلَّ بالماء تَزِيدِ
كسيدِ الغَضَى نبهتَه المتورِّدُ (28)
ببُهْكَنَةٍ تحت الطَّرَافِ المُعمَّدِ (29)

(27) في زهر الآداب فلولا ثلاثٌ هنَّ من لذة الفتى

(28) في زهر الآداب أيضا : كسيد الغَضَى ذي السَّوْرة المتورِّدُ

(29) وفيه أيضا : ببُهْكَنَةٍ تحت الخباءِ المُعمَّدِ .

قال : وحدتُ بذلك الزبير بن عبد الله فقال : ما أدري ما أقول ولكني أقول :

فاقبلُ من الدهرِ ما أتاك به من قرٍّ عينًا بعيشه نفعه !

قلت : والأبيات الأربعة التي أنشدها حميدٌ ليست له، وإنما تمثل بها، وهي لطرفة بن العبد من قصيدته الدالية المشهورة ؛ وكذا البيت الذي أنشده الزبير هو لشاعر قديم، وسيأتي ذكره مع غيره في موضعه . وشيع طرفه في ذكر الثلاث جماعة من الفضلاء . فمن ذلك قول عز الدين بن هبة الله المعتزلي معارضا :

لولا ثلاثٌ لم أخفُ صرعتي
أن أنصرُ التوحيدَ والعذلَ في
وأن أناجي الله مستمتعاً
وإن أتية الدهرَ كبراً على
لذاك أهوى لا فتاة ولا
ليست كما قال فتى العبدِ
كل مكانٍ باذلاً جهدي
بخلوة أحلى من الشهدِ
لثيم [بياض] الخدِ
خمرًا ولا ذا مِعة نهدِ

وقول الآخر :

لولا ثلاثٌ هنَّ [والله من]⁽³⁰⁾
حجٌ لبیتِ الله أرجو به
والعلمُ تحصيلًا ونشرًا لما
وأهلك ودَّ أسألُ الله أن
ما كنتُ أخشى الموتَ أني أتى
أكبر آمالي في الدنيا :
أن يقبلَ التوبةَ والسعيًا
رويتُ أو سعتُ الوری ريًا
يُمْتِعُ بالبقياء إلى الثقياء
بل لم أكنُ التذُّ بالمحيا !

وقال أثير الدين :

أما إنَّه لولا ثلاثٌ أحبُّها
فمنهنَّ صوني النفسَ عن كلِّ جاهلٍ
ومنها رجائي أن أفوزَ بتوبةٍ
أتتركُ نصًا للرسولِ وتقتدي
تمنيتُ أني لا أعدُّ من الأحياءِ
لثيم فلا أمشي إلى بابهِ مشيًا
تكفرلي ذنبًا وتنجمُ لي سعيًا
بشخصٍ لقد بدلتُ بالرشد الغيا ؟

وقول الصَّفدي :

لولا ثلاثٌ هنَّ أقصى المنى
تكميلُ ذاتي بالعلومِ التي
لم أهب الموتَ الذي يُردي :
تنفعني إن صرتُ في لحدي

(30) سقط من ب .

والسَّعْيُ فِي رَدِّ الْحَقُوقِ الَّتِي
وَأَنْ أَرَى الْأَعْدَاءَ فِي صَرْعَةٍ
فَبَعْدَهَا الْيَوْمُ الَّذِي حَمَّ لِي
وَقُولِي أَنَا مِنْ هَذَا الْبَابِ :

لَوْلَا ثَلَاثُ فَوَائِدٍ تَرْجَى لَمَّا أَحْبَبْتُ تَنْفِيسَ الْحَيَاةِ إِلَى مَدَا

قُرْبٍ مِنَ الْمَوْلَى وَعِلْمٌ نَافِعٌ وَأَخٌ يُؤَاوِزُنِي وَيَشْفَعُ لِي غَدًا
وَذَكَرَ الْجَاهِظُ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْشَدَهُ رَجُلٌ قَوْلَ طَرَفَةِ الْمَذْكُورِ فَقَالَ :
لَوْلَا أَنْ أُسِيرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَضْعُ جَبْهَتِي لِلَّهِ، وَأَجَالِسَ أَقْوَامًا يَنْتَقُونَ أَطْيَابَ الْحَدِيثِ كَمَا
يَنْتَقُونَ أَطْيَابَ الثَّمَارِ، لَمْ أَبَالُ أَنْ أَكُونَ قَدِمْتَ . قَالَ : وَقَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَيْسِيُّ : مَا
أَسَى مِنَ الْعِرَاقِ إِلَّا عَلَى ثَلَاثٍ : عَلَى ظُلْمِ الْهَوَاجِرِ، وَتَجَاوُبِ الْمُؤَذِّنِينَ، وَإِخْوَانِ لِي مِنْهُمْ
الْأَسُودُ بْنُ كَلْثُومٍ . وَقَالَ أَعْرَابِي :

لَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ عَيْشُ الدَّهْرِ : الْمَاءُ وَالنَّوْمُ وَآمُّ عَمْرٍو
لَمَّا خَشِيتُ مِنْ مَضِيْقِ الْقَبْرِ

وَقَالَ الْآخَرُ :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يَلِيقُ بِمِثْلِي
مَا يُسَاوِي قَضَاءُ حَقِّ الْمَوَالِي
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

وَلَسْتُ تَرَى شَوْكَ الْقِتَادَةِ خَائِفًا
وَلَا الْكَلْبَ مَحْمُومًا وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ
غَيْرُهُ :

لَقَدْ كَسَدَتْ سَوْقُ الْفَضَائِلِ كُلِّهَا
فَلَسْتُ أَرَى إِلَّا كَرِيمًا يَفِرُّ مِنْ
غَيْرِهِ :

وَمَا زَالَ هَذَا الدَّهْرُ يَلْحَنُ فِي الْوَرَى :

فَيَرْفَعُ مَجْرُورًا وَيَخْفَضُ مُبْتَدَأًا

وقال ابن سنّاء الملّك :

أبى الدّهر إلّا ضدّ ما أنا طالبٌ
يعدّ الفتى إخوانه لزمانه
غيره :

تحفّظ من ثيابك ثمّ ضنّها
وميّز عن زمانك كلّ حين
وظنّ بسائر الأجناس خيراً
أرادوني بجمعهم فردّوا
وعادوا بعد ذا إخوان صدق
وقال الأرجانيّ :

أرى بين أيّامي وشعري قد بدا
فقد أصبحت سوداً وشعري أبيضاً
وقال بعض أهل المجون :

تعشّقته شيخاً كأنّ مشيبه
أخا العقل يدري ما يراد من النّهي
غيره :

لامّ العواذل إذ عشقت فتى له
لا تعذّلوني في هواه فإنّني
قيك لبعض أهل المجون : لِمَ لا تميل إلى النسوان ؟ قال : أذكر أمّي فاستحيي . فقيك له
: لِمَ لا تذكر بالذكور أباك ؟ وعكس هذا الشاعر ذلك المعنى . ومن هذا النمط قول بهاء
الدين بن النّحاس :

قالوا: حبيبك قد تبدّى شبيهه
قلت : اقصّروا فالآن تمّ جماله
الصّبح غرّته، وشعر عذاره

وقول ابن الوكيل، وهو لطيف لولا عيب القافية :

فيا ليت منّي مكن الله ضدّه !
وأعدى له من خوفه من أعدّه

والإّ سوف تلبسها حدّاداً
ونافر أهلّه تسدّ العبادا
وأما جنس آدم فالبعاد !
على الأعقاب قدّ نكصوا فرادى
كبعض عقارب رجّعوا حدّاداً

لتعجيل إتلافي خلافاً يُجدّد
وعهدى بها بيضاً وشعري أسود !

على وجنتيّ يا سمين على ورد
أمنت عليه من رقيب ومن ضدّ

سبعون عاماً غير عام واحد
عاينت فيه لمحة من والدي !

فليلا م قلبك في هواه يهيم ؟
وبدا سفاه فتى عليه يلوم

ليك، ونبت الشّيب فيه نجوم
وقول ابن الوكيل، وهو لطيف لولا عيب القافية :

شَبَّ وَجْدِي بِشَائِبٍ مِنْ سَنَا الْبَدْرِ أَوْجَهُ
كَلَّمَا شَابَ يَنْحَنِي بَيَّضَ اللَّهُ وَجْهَهُ !

وقال الصفدي :

عَشَقْتُ شَيْخًا بَدِيعَ حُسْنٍ لَمْ عَلَى حُبِّهِ الْعَذُولُ
كَأَنَّ يَا قُوتَ وَجْنَتَيْهِ لَا شَيْبَ فِيهَا جِبَالُ لُؤْلُؤُ

أَيُّ لُؤْلُؤُ . وقال الآخر :

شَمْسُ الضُّحَى يُعْشَى الْعُيُونُ ضِيَاؤُهَا إِذَا رُمِقَتْ بَعِينٍ وَاحِدَةٍ
فَلَذَاكَ تَاهَ الْعُورُ وَاحْتَقَرُوا الْوَرَى فَاعْرِفْ قَضِيَّتَهُمْ وَخَذَهَا فَائِدَةً !
نُقْصَانُ جَارِحَةٍ أَعَانَتْ أَخْتَهَا فَكَأَنَّهَا قَوِيَتْ بَعِينٍ زَائِدَةٍ

وقال أبو نواس :

إِنِّي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ صَفَدٍ وَحَوِيْتُ مِنْ سَبَدٍ وَمِنْ لَبَدٍ
هِمَمٌ تَصَرَّفَتْ الْخُطُوبُ بِهَا فَزَعَنْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ
يَا وَيْحَ مَتَ حَسَمَتْ قَنَاعَتُهُ سَبَبَ الْمَطَامِعِ عَنْ غَدٍ فَغَدٍ
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مُتَّهِمًا لَمْ يُمْسِ مُحْتَاجًا إِلَى أَحَدٍ !

وقال محمد بن كِنَانَةَ الْأَسَدِيَّ :

وَمَنْ عَجَبِ الدُّنْيَا تَيَقُّنُكَ الْبِلَا وَأَنْتَ فِيهَا لِلْبَقَاءِ مُرِيدُ
إِذَا اعْتَادَتْ النَّفْسُ الرِّضَاعَ مِنَ الْهَوَى فَإِنَّ فَطَامَ النَّفْسِ عَنْهُ شَدِيدُ
وقال الامام البوصيري، رحمه الله تعالى، يمدح الشيخ أبا العباس المرسى، رحمه الله
ونفع به :

قُلْ لِلَّذِينَ تَكَلَّفُوا زِيَّ التُّقَى وَتَخَيَّرُوا لِلدَّرْسِ أَلْفَ مُجَلَّدٍ :
لَا تَحْسِبُوا كَحَلَ الْجُفُونِ بِحِيلَةٍ إِنَّ الْمَهَى لَمْ تَكْتَحِلْ بِالِاثْمِدِ !
الْكَحَلُ - بفتحتين - أن يعلو منابت الأشجار سوادٌ خَلِيقَةٌ، أو هو أن تسود مواضع
الكلح . يقال : كَحِلْتُ - بالكسر - فهي كَحْلَاءٌ، وهو أَكْحَلُ . وهذا مثق قول الآخر :
لَيْسَ التَّكْحَلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ
وسياتي . وقال الآخر :

وكنّا كزوجٍ من قِطَا في مفارقةٍ لَدَى خَفَضِ عَيْشٍ مُعْجَبٍ مَوْنَقٍ رَغْدٍ
أَصَابَهُمَا رَيْبُ الزَّمَانِ فَأَفْرَدَا وَلَمْ نَرِ شَيْئًا قَطُّ أَوْ حَشٍّ مِنْ فَرْدٍ
حُكِي عَنْ أَبِي السَّمُوعِ قَالَ : دَخَلْتُ مَنْزَلَ نَخَّاسٍ فِي شَرَاءِ جَارِيَةٍ ، فَسَمِعْتُ فِي بَيْتِ بَايَازِ
الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ صَوْتَ جَارِيَةٍ وَهِيَ تَقُولُ :
وَكُنَّا كَزَوْجٍ ... (البيتين)

فَقُلْتُ لِلنَّخَّاسِ : اعْرَضْ عَلَيَّ هَذِهِ الْمُنْشَدَةَ ! فَقَالَ : إِنَّهَا شَعَثَةُ مَرْهَاءُ حَزِينَةٍ .
فَقُلْتُ : وَلِمَ ذَاكَ ؟ قَالَ : اشْتَرَيْتُهَا مِنْ مِيرَاثٍ ، فَهِيَ بَاكِيَةٌ عَلَى مَوْلَاهَا . ثُمَّ لَمْ أَلْبَثْ أَنْ
أَنْشَدْتُ :

وَكُنَّا كَعُصْنَيْ بَانَةٍ وَسَطَ رَوْضَةٍ نَشْمُ جَنَى الرُّوَضَاتِ فِي عَيْشَةٍ رَغْدٍ
فَأَفْرَدَ هَذَا الْعُصْنَ مِنْ ذَاكَ قَاطِعٌ فَيَا فَرْدَةً بَاتَتْ تَحْنُ إِلَى فَرْدٍ !
قَالَ أَبُو السَّمُوعِ : فَكَتَبْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ أَخْبِرْهُ بِخَبْرِهَا ، فَكَتَبَ إِلَيَّ أَنَّ أَلْفَ هَذَا
الْبَيْتِ عَلَيْهَا ، فَإِنْ أَجَابَتْ فَاشْتَرِهَا وَلَوْ بِخَرَّاجِ خَرَّاسَانَ ! وَالْبَيْتُ هُوَ :

قَرِيبٌ صَدٌّ بُعِيدٌ وَصَلٌ جَعَلْتُهُ مِنْهُ لِي مَلَاذًا
قَالَ : فَأَلْقَيْتُهُ فَقَالَتْ فِي سُرْعَةٍ :

فَعَاتَبُوهُ فَذَابَ شَوْقًا وَمَاتَبَ عِشْقًا فَكَانَ مَاذَا ؟
قَالَ : فَاشْتَرَيْتُهَا وَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِ فَمَاتَتْ فِي الطَّرِيفِ ، فَكَانَتْ لِإِحْدَى الْحَسَرَاتِ .
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرَبَ :

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ
وَهَذَا مِنْكَ مَشْهُورٌ ، كَانَ عَلَيَّ كَرَمُ اللَّهِ وَجْهَهُ - فِيمَا يَرَوُونَ - يَتَمَثَّلُ بِهِ عِنْدَمَا يَرَى ابْنَ
مُلْجَمٍ . وَتَمَثَّلُ بِهِ غَيْرُهُ أَيْضًا ، كَمَا مَرَّ فِي حَرْفِ الْهَمْزَةِ . وَالْعَذِيرُ : الْعَازِرُ وَالْحَالُ الَّذِي
تَحَاوَلُوا لَتُعْذَرَ عَلَيْهَا . وَالْعَرَبُ يَقُولُونَ : عَذِيرَكَ مِنْ فُلَانٍ ، وَيَنْصِبُونَهُ بِعَامِلٍ لَا
يُظْهِرُ . وَالْمَعْنَى : هَلُمَّ مِنْ يَعْذُرُكَ مِنْ فُلَانٍ ، فَيُلَوِّمُهُ وَلَا يُلَوِّمُكَ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ أَنْوَاسٍ أَبْنَوْا أَهْلِي فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ .
وَقَالَ زَيْدُ الْخَلِيلِ :

أَمْرٌ تَحُلُّ قَوْمِي الْمَشَارِقُ غُدْوَةً وَأَتْرَكْتُ فِي بَيْتٍ بِفَرْدَةٍ مَنْجِدٌ ؟
أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَوْ مَرَضْتُ لَعَادَنِي عَوَائِدُ مِنْ لَمْ يَبِرْ مِنْهُمْ يَجْهَدُ

فليت اللواتي عُدنني لم يَعُدنني
وقال أعرابي :

إذا وجدت أوارَ الحب في كبدي
هبني بردتُ ببردِ الماءِ ظاهره
وقال الآخر :

ما لعيني كحلتُ بالسُّهادِ
لا أذوق النُّومَ إلا غراراً
أبتغي إصلاحَ سَعْدِي بجُهدِ
فتتاركنا على غيرِ شيءٍ
وقال المعتمد بن عباد في باب الغزل :
أباحَ لطيفي طيفُها الخدَّ والنَّهادِ
ولو قدرتُ زارتُ على حالِ يقظةٍ
أما وجدتُ عنَّا الشُّجونَ مُعرَّساً
سقى الله صوبَ القطرِ أمَّ عُبيدةٍ
هي الطَّبْبي جيداً والعزلةُ مُقلَّةُ
وقال الرئيس أبو مروان بن رزين :

وروضُ كساهُ الطَّلُ وشيئاً مُجدِّداً
إذا صافحته الرِّيحُ خِلتْ غُصونَه
إذا ما انسكابُ [الماء] عاينتْ خلتَه
وإن سكنت عنه حسبتُ صفاءه
وغنَّت به ورقُ الحمامِ بيننا
فلا تجفونَ الدهرُ ما دام مُسعداً
وخذها مُداماً من غزالٍ كأنه
وقال ابو بكر بن عمَّار، من قصيدة :

وما هذه الأشعارُ إلا مجامرُ
وقال أيضاً :

وليت اللواتي غبنَ عنيَّ شهدي !

أقبلتُ نحو سقاءِ القومِ أبتردُ
فمن لئارٍ على الأحشاءِ تتقيدُ

ولجنبي نائياً عن وسادي ؟
مثل حسو الطير ماء التَّمارِ
وهي تسعى جُهدُها في فسادي
ربَّما أفسدَ طولُ التَّمارِ

فعضَّ به تَفَّاحَةٌ واجتني ورداً
ولكن حجابُ البينِ ما بيننا مُدّاً
ولا وجدتُ منَّا خُطوبُ النُّوى بُدّاً ؟
كما قد سقتَ قلبي على حرِّه برداً
وروضُ الرُّبا عَرَفَا وغُصنُ النُّقى قدّاً

فأضحى مُقيماً للنُّفوسِ ومُقعِداً
رواقِصَ في خُضْرٍ من العُشبِ مُيِّداً
وقد كسرتَه راحةُ الرِّيحِ مبرداً
حُساماً صقيلاً صافيَ المتنِ جرِّداً
غناءً يُنسِّكُ الغريضةَ ومعبداً
ومُدّاً إلى ما قد حباكَ به يداً
إذا ما سقى بدرٌ يُحمكُ فرقداً

تضوِّعَ فيها للنُّوى قِطْعُ النَّدِّ

تَبَرَّعْتَ بِالْمَعْرُوفِ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَعُدْتَ بِمَا أُولَيْتَ وَالْعُودُ أَحْمَدُ
وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْحَاجِّ الثُّلُوثِيُّ يَتَغَزَّلُ فِي مَعْدَرٍ :

وَقَدْ كَانَ يُنْبِتُ زَهْرَ الرِّيَاضِ فَأَصْبَحَ يُنْبِتُ شَوْكَ الْقِتَادِ
أَبِينُ لِي مَتَى كَانَ بَدْرُ التَّمَامِ يُدْرِكُ بِالْكَوْنِ أَوْ بِالْفَسَادِ
وَهَلْ كُنْتَ فِي الْمُلْكِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ فَأَخْفَى عَلَيْكَ ظُهُورُ السَّوَادِ ؟

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الدَّيْرِ فِي مَجْذُومٍ :

مَاتَ مَنْ كُنَّا نَرَاهُ أَبَدًا سَالِمَ الْعَقْلِ سَقِيمَ الْجَسَدِ
بَحْرُ سَقَمٍ مَاجٍ فِي أَعْضَائِهِ فَرَمَى فِي جِلْدِهِ بِالزَّبَدِ
كَانَ مِثْلَ السَّيْفِ إِلَّا أَنَّهُ حُسِدَ الدَّهْرِ عَلَيْهِ فَصَدَى

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْمَلْحَمِ :

وَالرَّوْضُ يَبْعَثُ بِالنَّسِيمِ كَأَنَّمَا أَهْدَاهُ يَضْرِبُ لِاصْطَبَاحِكَ مَوْعِدًا
سَكَرَانُ مِنْ مَاءِ النَّعِيمِ فَكُلَّمَا غَنَاهُ طَائِرُهُ وَأَطْرَبَ رَدْدًا
يَأْوِي إِلَى زَهْرٍ كَأَنَّ عُيُونَهُ رُقْبَاءُ تَعْقِدُ لِلْأَحِبَّةِ مَرَصْدًا
زَهْرٌ يَبُوحُ بِهِ اخْضِرَارُ نَبَاتِهِ كَالزَّهْرِ أَسْرَجَهَا الظَّلَامُ وَأَوْقَدَا
وَيَبِيتُ فِي فَنَنِ تَوْهَمِ ظِلِّهِ بِالصُّبْحِ فِي عَيْنِ الْقَرَارَةِ مِرْوَدًا
قَدْ خَفَّ مَوْقِعُهُ عَلَيْهِ وَرَبَّمَا مَسَحَ النَّسِيمُ بِعِطْفِهِ فَتَأَوَّدَا

وَقَالَ الْفَقِيهَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زَنْبَاعٍ :

وَمَنْ يُطْفِئُ بِنَزْرِ الْمَاءِ نَارًا

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّشْطِيلِيُّ :

تَنَافَسَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ عِلِمُوا أَن سَوْفَ تَقْتُلُهُمْ لِذَاتِهَا بَدَا
تَبَادَرُوهَا وَقَدْ آذَتْهُمْ فَشَلَا وَكَاثَرُوهَا وَقَدْ أَحْصَتْهُمْ عَدَا
قُلْ لِلْمُحَدَّثِ عَنْ لُقْمَانَ أَوْ لُبْدٍ : لَمْ يَتْرُكِ الْمَوْتَ لِقْمَانًا وَلَا لُبْدًا !
وَلَا الَّذِي هُمُّهُ الْبُنْيَانُ يَرْفَعُهُ : إِنْ الرَّدَى لَمْ يُجَادِرْ فِي الشَّرَى أَسَدًا !
مَا لِابْنِ آدَمَ لَا تَفْنَى مَطَالِبُهُ يَرْجُو غَدًا وَعَسَى أَلَّا يَعِيشَ غَدًا ؟

وَقَالَ الْآخَرُ :

باح مجنونُ عامرٌ بهَوَاهُ
فإذا كان في القيامةِ نُودِي :
وقال الآخر :

يقولون : إنَّ الحبَّ كالنَّارِ في الحشى
وما هو إلاَّ جذوةٌ مسَّ عُودها
وقال الآخر :

أمسك ملامكَ عنيَّ إنَّني كمدُ
إن لم تُصدِّقْ دموعي في الَّذي شهدت
يا ويحَ أهلِ الهوى إنَّي لأرحمهم
لولا ترحمهم أيقنْتُ أنَّهمُ
وقال الآخر :

كفى خزنًا أنِّي مُقيمٌ بلذَّةٍ
أقلبُ طرفي في الدِّيارِ فلا أرى
وقد قلت في غرضِ البابِ قصيدةً، فرأيتُ أن أثبتها هنا، وإن كان فيها بعضُ طول، وهي :
أبى الدَّهرُ إلاَّ أن يجورَ عن القصدِ
ويبسُطَ بينَ الفرقدين يدَ النُّوى
ويسموَ بالوهدِ الحضيضِ على الذُّرى
ويستبدلُ البرديَّ في الطَّعنِ بالقنا
وأن يجعلَ العقبانِ في الجوّ طُعمةً
ويهديَ بالضَّبِّ القطاةَ رَكِيَّةً
ويرفعَ أقدارَ اللثامِ على الألى
ويؤلِّيَ تدبيرَ الورى كلّ مائقٍ
أجلُ إنَّها الأحداثُ تجري مُدارةً
مقاديرُ منه أبْرمت عن مشيئةٍ
وعدلٌ واحكامٌ مبينٌ وحِكْمةٌ
وليست بما تهوى النفوسُ صُروفها

وكتَمْتُ الهوى فمُتُّ بوجدي
من قَتيلُ الهوى ؟ تقدَّمتُ وحدي !

لقد كذبوا فالنَّارُ تذكو وتخمُدُ
تُسعرُ قلبًا للمشوقِ وتوقِدُ !

إذ لم تجد في الهوى يومًا كما أجِدُ !
فانظرُ إلى جسدي إن كان لي جسدُ
تبلى الجسومُ وأثوابُ الهوى جُدُ
يشقون دهرهمُ أضعافَ ما سعدوا !

وأحبابُ قلبي نازحونَ بَعِيدُ
وجوهها لأحبابي الذين أريدُ !
وأن يعكسَ الآمالُ في كلّ ما يُبدي
ويُدني الثُّريّا من سُهَيْك على بُعدِ
ويسفكُ بالطَّودِ السَّميَّ على الوهدِ
وغُصنَ النَّقى الأملودَ بالصَّارمِ الهندي
لورقاء والضُّبَّعانَ مفترسَ الأسدِ
على العشرِ والسَّمْعِ التَّنائفِ بالخلدِ
لهم قدمٌ في المجدِ والشَّرَفِ العدُ
وفضلكَ الغنى كلّ امرئٍ شكسٍ نكدُ
مقاليدها في قبضةِ الصِّمدِ الفردِ !
قديمًا وعن علمٍ مُحيطٍ وعن قصدٍ
تحرَّ النُّهيَ في نيلِ فياضها المدُ
ولا حذرُ المُحتالِ في صرفها يُجدي

ولا يُحرمُ الوفَرُ الفتى بجهالةٍ
ولكنّها الأرزاقُ أَعْدَدُنْ للفتى
فكائنُ رأينا من حليمٍ مُقْتَرٍ
أراني عروفاً بالزَّمانِ فمن يَكُنْ
ولم يَبْتئِسْ إن مسَّه بمضوفةٍ
وقد قرعَنتني الحادِثاتُ فلم تَلِنْ
وما رَسَنني حتّى نزعن عن امرئٍ
إذا ظفرت كَفَّاه لم يَزُهْ فاحراً
فأصَبْتُ لا آسى على فقد هالكٍ
ولا أبتغي ودَّ امرئٍ عن تكلفٍ
ولو ملّني يوماً من الدَّهرِ معصمي
ورُبَّ غبيٍّ يَزُدُّرَيني إن رأى
ولم يدر أنّ الأجرَدَ النّهدَ فضله
وأنّ الحُسامَ الهندوانيَّ إنّما
وأنّ رِواءَ الوهمِ لم يُبْقِ عِزَّةً
الوهمُ : الجَمَلُ العَظيمُ الذَّلُولُ، ورِواءُهُ : منظره .

وأنّ برأسِ الفُهدِ التَّاجَ وهو لم
وأنّ بهار الدَّفكِ كالوردِ منظرًا
وغمرٌ جهولٌ يَرتجى نيكَ منصبي
ويصبو إلى ما نلتُهُ مثلاً ما صبا
ويسعى إلى إدراك شأوي كما سعت
وغرَّتْهُ مَنّي لينةٌ وبشاشةٌ
ومن مدّ للبدْرِ المنيرِ يمينه
وذي ثروةٍ يستأمني بلُعاةٍ
ولم يدر أنّي أجتوي الأري شابهُ
وأن لستُ للباغيّ ضيماً بمُصحبٍ

وعجَزُ ولا يحظى بعقلٍ ولا كدٍ
قديمًا على قدرِ الشَّقَاوَةِ والجَدِّ
عليه وغمرٌ بات في عيشةٍ رَغْدٍ
كمثلي لم يُصْبِحْ على الدَّهرِ ذا نَقْدٍ
ولم يَزُهْ بالدُنْيَا إذا فاز بالوَجْدِ
فَناتِي لِعَمْرٍ من شباها ولا لَهْدٍ
بعيد الهوى ثَبَّتَ الحشا حازمٍ جَلْدٍ
وإن نيك لم يضرعْ ولم يُمَسْ ذا وَجْدٍ
ولا يعتريني بينُ غانيةٍ رَأْدٍ
وإن كان حُسنُ العَهْدِ ديني لذي ودٍ
لفارقتُهُ طوعًا ولم يَشْكُهُ عَضْدِي
شُحوبي من أَحْدَاثِ آوَنَةٍ لُدِّ
بإحضاره لا باللجامِ ولا اللَّبْدِ
بمضربه يعْتامُ لا جِدَّةَ الغِمْدِ
عليه إذا ما قادهُ أصغرُ الولدِ
الوهمُ : الجَمَلُ العَظيمُ الذَّلُولُ، ورِواءُهُ : منظره .

يفز بالذّي للبار والنّسر من مجدٍ
وحُسْنًا وبعد الخُبر محمّدةُ الوردِ
رجاء حُضيضٍ أن سيرقى إلى النّجْدِ
حُصورٌ إلى ما نيك من عذرِ الخُردِ
أتانٌ خريعٌ خَلَفَ صافِنَةَ جُردِ
كما غرَّ غمرًا كَشَرَةُ الأسدِ الوردِ
ليُمسكهُ فليستَبينَ ضيعةَ المَدِّ !
ليقتادني قود الوديقِ إلى الوردِ
هوانٌ وأستحلي بعزٍّ جَنَى العَبْدِ
ولا باذلٍ ماءً بوجهي على شَكْدِ

وَأَنْتِي لَوْ أَرْتَادُ مَا ضَاقَ مَذْهَبِي
وَلَكِنْ صَوْنُ النَّفْسِ عَنْ كُلِّ مُورِدِ
وَلِئَلِي لِفَضْفَاضِ السَّجَايَا دَمِيئُهَا
وَأَنْ لِسَانِي الصَّبِيرُ مَا لَمْ أَرْمَهُ
وَأَنْتِي لَوْ هَاجَيْتُ دَانَ ابْنُ غَالِبِ
وَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ أَجْرَرْنَ مَقُولِي
فَمَنْهَا تَحَاشَى أَنْ يَمُرَّ بِهِ الْخَنَا
وَمَنْهَا تَجَافِي أَنْ أَنْصِبَ مَعْشَرًا
وَمَنْهَا التَّحَامِي عَنْ وَعِيدِ التَّتِي إِلَى
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ حَلَّ بِرَحْلِهِ
وَكُنْ رَابِئًا عَنْ كُلِّ وَرْدٍ دَنِيَّةٍ
وَحُمُ بَجَنَابِ الْوَرْدِ إِنْ كُنْتَ صَادِيًا
كَمَا أَعْرَضْتَ كُدْرٌ عَنِ الْمَاءِ عِنْدَمَا
وَلَاتَكُ كَالْعَيْرِ الْوَدِيقِ يَوْمُهُ
فَإِنَّ حِيَاضَ الْعَرْزِ تَغْشَى سَخِينَةً
وَمَا ضِيمٌ غَيْرَ الْفَقْعِ يَوطَأُ بِمَنْسَمِ
وَغَيْرُ تَرِيكِ بِيضِهِ بَلْدِيَّةٍ
وَكُنْ حَافِظًا بِالْغَيْبِ وَالسُّخْطِ وَالرَّضَى
أَلَمْ بِنَا إِلِمَامَةً بَعْدَ هِدَاةٍ
سَرَى وَرَوَاقٌ مِنْ دَجَى اللَّيْلِ مُطْنَبٌ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الطَّيْفِ جَوَابَ لَاحِبِ
وَلَا وَالْجَا لَا يُغْلَقُ الْبَابُ دُونَهُ
وَأَمِنْ مِنْ لَحْظِ الرَّقِيبِ وَرَيْبِهِ
فَهِيَجُ أَشْجَانًا مِنَ الْقَلْبِ وَانْتَنَى
بِأَسْرَعٍ مِنْ لَحْظِ الْجَفُونِ إِذَا رَنَا
[فِيَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ]

بَحُولٍ وَلَمْ يَصْلِدْ لِمُفْلَقَةٍ زَنْدِي
تُهَانُ بِهِ أَحْطَى بَعْزَتَهَا عِنْدِي
لَا لِفِي وَنَشَابٌ إِذَا شَتَّتْ فِي اللُّغْدِ
وَإِنْ كَانَ أَحْلَى لِلدُّودِ مِنَ الشَّفْدِ
لَأَمْرِي وَلَمْ يَعْرِضْ لِسِيلِي فَتَى الْعَبْدِ
عَنِ الشَّرِّ وَانْتَمَتَ بِهِ جُدُدُ الْجَدِّ :
فَإِنَّ الْخَنَا مِنْ شِيمَةِ الدَّانِيءِ الْهَدِّ
لِئَامًا فَمَنْ لُؤْمٍ مُنَاصِبَةُ الْوَعْدِ
مَدَاهَا جَمِيعُ الْعَالَمِينَ عَلَى وَخْدِ
فَكُنْ نَارًا بِالنَّفْسِ فِي يَفْعِ الْحَمْدِ
بِنَفْسِكَ تَغْشَاهُ مَعَ الشَّرِّعِ الْوَرْدِ
فَإِنْ تَسْتَرْبُ فَلْتَوَلِّهِ صَفْحَةَ الصَّدِّ
تَوَجَّسْنَ ذَعْرًا فَانْتَيْنَ عَلَى جُهْدِ
فِيَحْلًا عَنْهُ بِالْهَرَاوِي وَبِاللَّكْدِ !
وَإِنَّ حِيَاضَ الذَّلِّ تَقْلَى عَلَى بَرْدِ
عَلَى قَرَقَرٍ مِنْ غَيْرِنُكْرٍ وَلَارِدٍ
وَغَيْرُ أَتَانِ الْحَيِّ تَعَصَى أَوْ الْوَدِّ
لَعَهْدِ مُصَافِيكِ الْهَوَى دَائِمِ الْوَدِّ !
مِنَ اللَّيْلِ طَيْفٌ مِنْ أَمِيمَةٍ أَوْ هُنْدِ
بِمَا لَوْ سَرْتَهُ الرِّيحُ ضَلَّتْ مِنَ الْبُعْدِ
بَلَا سَائِقٍ يَحْدُو وَلَا سَابِقٍ يَهْدِي
وَلَا يُتَّقَى مِنْهُ بِسُورٍ وَلَا سَدِّ
إِذَا زَارَ مِنْهُ وَالرَّقِيبُ عَلَى رَصْدِ !
بَلَا طَائِلٍ مِنْهَا عَتِيدٍ وَلَا وَعْدِ
إِلَيْكَ وَبِالْبَرْقِ الْوَمِيزِ مِنَ الرَّعْدِ
وَعَهْدُ الْعَوَانِي كَالسَّرَابِ عَلَى صَلْدِ !

أقامت على ما بيننا من صباية
فخالك من الأخدان كلَّ مُساعدٍ
حليمٍ غضيضِ الطرفِ عمّا يريبه
فإنَّ ودادَ المرءِ كالظِّلِّ زائلٌ
وإنَّ حبالَ الوصلِ منقوضةُ العرى
وإنَّ بناءَ شدتهُ وأشدتهُ
وإنَّ ركيًّا رُدتهُ وورْدتهُ
فهل تستوي عاديةٌ بخميلةٍ
وإنَّ أليفَ المرءِ إلفٌ مُشاكلٌ
ولا تطمعن من غير شكلٍ مودَّةٌ
فإنَّ السَّجايا في الأنامِ سويَّةٌ
وإنَّك ما أبصرت أَسدًا أليفةً
وما المرءُ إلَّا ابنُ الثَّرى فمراحه
وعمرُ الفتى المضمارُ بينا جواده
وبينا الفتى يزهو بمالكٍ وأسره
إذا ما سمعت الدَّهرَ عولةً حائرٍ
وقلت أيضًا :

خطًا وذلك من إخطائي السَّددا
شوكَ القِتادِ ولم أسلك بها جَدَدًا
جعلت تصفيد رجلي دونكم صَقْدًا

أو فتَّشوني فأبْيَضُ الكَبْدِ
أنا لستُ أشكو الهوى إلى أحدٍ
إن لم أمت في غدٍ فبعْدُ غَدٍ
حرُّ الهوى وانطويْتُ فوق يدي
فريسةٌ بين ساعدي أَسَدٍ !

إن وصفوني فنالحُ الجَسَدِ
أضعفَ وجدي وزادَ في سَقَمي
أهٍ من الحبِّ أهٍ من كِبدي
جعلتُ كَفِّي على فؤادي من
كأنَّ قلبي إذا ذكَّرتُكم
أستغفر الله قد ضيَّعتُ نحوكم
سلكتُ فيها خَبَارًا بك وطئتُ بها
لو كنت أعلمُ ما ألقى ببابكم
وقال الآخر :

أستغفر الله قد ضيَّعتُ نحوكم
سلكتُ فيها خَبَارًا بك وطئتُ بها
لو كنت أعلمُ ما ألقى ببابكم
وقال الآخر :

إن وصفوني فنالحُ الجَسَدِ
أضعفَ وجدي وزادَ في سَقَمي
أهٍ من الحبِّ أهٍ من كِبدي
جعلتُ كَفِّي على فؤادي من
كأنَّ قلبي إذا ذكَّرتُكم

وقال الآخر :

فصرتُ فريداً في البريةِ أوحداً
وأقنيتني عني فصرتُ مُجدداً

تغربَ أمري فانفردتُ بعُربةٍ
تسرمدَ وقتي فيك فهو مسرمدٌ

وقال الآخر :

من بعدُ فُرقْتُكم يوماً إلى أحدٍ
لأنَّه نظرٌ من ناظري رمدٍ

لو كُنت أملكُ طرفي ما نظرتُ به
ولست أعتدُّه من بعدُكم نظراً

وقال الآخر :

بيوادي الغضا ماءً نُقاخاً ولا ورداً
وهيَّهاتِ وادٍ يُنبِتُ البانَ والرُّندا !
متى تغدُ لا تنظرُ عقيقاً ولا نجداً !

تزوّد من الدُّنيا النُّقاخَ ولن ترى
ونلّ من نسيمِ البانِ والرُّندِ نفحةً
وكرّر إلى نجدٍ بِطرفكَ إنَّه

وقال الآخر :

صبراً وذلك جمعٌ بين أضدادٍ
حاجاتِ نفسي لقد أتعبتُ رُؤادي
وكيف يُعلم حال الرّائمِ الغادي ؟
فَعَن نسيمِ الصَّبَا والبرقِ إسنادي

أكلف القلبَ أن يهوى وألزمه
وأكتُم الرّكبَ أوطاري وأسأله
هل مخبرٌ عنده من مُنكرٍ خبرٌ
فإن رويتُ أحاديثَ التّدين مضوا

وقال الآخر :

ولقد زادني التّباعُدُ وجداً
وجدٌ يعقوب حين فارق عهداً

زعموا أنَّ من تباعد يَسْلُو
إنَّ وجدي بكم وإن طاك عهدي

وقال الآخر :

من الطّيب كافوراً وأغصانه رندا
حجارتُه دُرّاً وأوراقه وردا
أميمةٌ أو جرّت بترتبه بُرداً

خليليَّ إنَّ الجزعَ أضحى ترابُه
وأصبح ماء البحر خَمراً وأصبحت
وما ذاك إلاَّ أن مَشَتْ بجنابه

وهذا الشعر يتمكّن به السّادات الصوفية في انخراق العوائد واستحالة الأشياء ببركة من جاورها ومسّها أو استدعاها من الصالحين.

ذكر صاحب التّشوّف رحمه الله تعالى عن بعض الناس قال : كنت أتوضأ في البحر على

قرب من الشيخ أبي عبد الله الصنهاجي، المعروف بابن أمغار . قال : وكان أبو عبد الله
شرع في الوضوء من البحر، فتطعمت ماء البحر فوجدته حلوًا، فقلت له : يا أبا عبد الله،
إن ماء هذا البحر حلو ! فقال لي : هو كما قلت !

وقال بعض الناس : كنت بالحرم الشريف مكّة، فخرجت وقت السحر لأشرب من زمزم،
فوجدت شيخًا قد أخذ الدلو فشرب وأفضل، فوجدت الماء أظلم من العسل والسكر . فلمّا
كان الغد، خرجت في ذلك الوقت أيضًا إلى زمزم، فوجدت صاحبي . فلمّا شرب، أخذت
الفضلة، فتعلّقت به وقلت : سألتك بالله إلا ما أخبرتني من أنت ! قال : أنا سفيان
الثوري، واستتر عليّ !

وحدّث صاحب التشوف أيضًا عن بعضهم قال : مررت بالشيخ أبي موسى الدكّالي
السلاوي المشهور، وهو يأكل عسلوجًا من عساليج الكلخ . فناولني فاكلته فوجدته طيبًا .
وعن أبي الحسن الأنصاري، المعروف بابن الصائغ، قال : رزت الشيخ أبا يعزى، فلمّا كان
غروب الشمس خرجت للوضوء مع جماعة، فبعدنا عن القرية، فحال الأسد بيننا وبين القرية .
فقبل للشيخ أبي يعزى : حال الأسد بين أصحابك وبين القرية . فأخذ الشيخ عصاه بيده
وجعل يضرب الأسد، ففرّ أمامه وقربنا منه، فجعل يأكل عيون الدقلى، فقال لترجمانه : قل
لأبي الحسن : ما تقولون أنتم معشر الفقهاء فيمن يأكل الدقلى ؟ فقلت له : قل له :
يقولون : من أكل الدقلى طرد الأسد ! فأعلمه الترجمان بقولي، فرأيته يبتسم .

ومن هذا ما حدّثني به بعض الثقات، وأنا بساحل حاحة، عند ضريح الشيخ أبي
العبّاس أحمد الهشوكي، المعروف بالسائح، تلميذ الشيخ سيدي سعيد بن عبد المنعم
المناني . قال : حدّثني فلان - وكان من أصحاب أبي العبّاس - قال : جئت مع أبي
العبّاس عند هبوطه إلى هذا الساحل، فأتينا على مصلّى الشيخ محمد بن سليمان
الجزولي، وكان مصلّاه معروفًا هناك بشاطئ البحر يزار . قال : فأقمنا في المصلّى يومين
- أو قال ثلاثة . وأحسبه قال - قال : لا نطعم شيئًا حتّى أحسست بجوع شديد . فقال لي
أبو العبّاس : قم إلى الضرّو فخذ لنا من أوراقه ! - والضرّو شجر معروف، أوراقه أمرّ
شيء .. قال فقمنا إلى شجرة منها، فملأت حجري من الورق، وجئت به إليه، فطرحه أمامه -
وأحسبه قال - قال : فحرّكه، فعاد زبيبا ولوزا . قال : فأكلنا حتّى اكتفينا . فلمّا قمنا من
ذلك الموضع ومررنا على قرب من موضع الشجرة، تركت الشيخ حتّى أدبر . فانسلت منه

وأُتيت الشجرة، فاقتطفت قبضة من أوراقها وجعلتها في فمي ومضغتها، فوجدتها أمرّ شيء، فمجمعتها، واتبعت الشيخ فأدركته يتوضأ في شعب هنالك . فلماً رأني جعل يتبسّم وقال لي : أفعلت كيت وكيت ؟ قلت : نعم ! فقال لي ما معناه : أفتحسب أن لا إله إلا الله في أفواه الرجال سواء ؟

وقد وقع مثل هذا لابراهيم بن أدهم وغيره . وحكايات الصالحين في نحو هذا لا تنحصر، وإنّما أردنا أن نتبرّك ببعض ذلك، نفعنا الله بمحبّتهم وحشرنا في زمرتهم ! وهذا القدر يكفي، والله تعالى يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

انتهى الجزء الثاني من كتاب زهر الأكم
ويليه الجزء الثالث مبتدئاً من «حرف الذال».

فهرس موضوعات الكتاب

الجزء الأول

5	تقديم المحققين
11	مقدمة المؤلف
19	السمط الأول في الأمثال وما يلتحق بها
19	الفصل الأول في معنى المثل والحكمة
31	الفصل الثاني في فائدة المثل والحكمة
43	الفصل الثالث في فضل الشعر
50	الفصل الرابع في الأمثال الشعرية
58	خاتمة في اصطلاح الكتاب
59	باب الألف
177	باب الباء
309	باب التاء

الجزء الثاني

5	باب الثاء
37	باب الجيم
95	باب الحاء
185	باب الخاء المعجمة
237	باب الدال المهملة

الجزء الثالث

7	باب الذال المعجمة
29	باب الراء
137	باب الزاي
155	باب السين المهملة
205	باب الشين المعجمة
247	باب الصاد
259	الفهارس العامة

مُعْهَدُ الْأَحْيَاءِ وَاللَّدَائِسَاتِ لِلتَّعْرِيبِ

زَهْرُ الْكَمْرِ فِي الْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ لِلْحَسَنِ الْهَوِيِّ

الجزء الثالث

صفحة

الدكتور محمد عجي و الدكتور محمد إدريس

الشركة الجديدة

دار لثقة

34-32 شارع فكتور ميكو

الهاتف 26-53-46 - 26-23-75

ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)

الطبعة الأولى 1401 — 1981

حقوق الطبع محفوظة

هو الأكبر
والأصغر

شكر واعتذار

يشكر المحققان الأخ الكريم الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال الذي تفضل بقراءة الأجزاء الثلاثة من زهر الأكم قراءة فاحصة بعد تمام تصفيها وتصحيحها وقبيل سحبها على (الأوفسيط) فأمكن بذلك تدارك عدد من الأخطاء المطبعية وغيرها ؛ ويشكران كذلك الأستاذ الكريم الدكتور أمجد الطرابلسي الذي تكرم بقراءة الجزء الأول بعد طبعه والتنبيه على أخطاء أخرى أدمجناها في الاستدراكات؛ ويعتذران للقراء الكرام مع ذلك عمّا قد يكون بقي في الكتاب من أخطاء ندّت عن الذهن أو زاغ عنها البصر.

باب الذاك المعجمة

الذَّئْبُ يُغْبِطُ بِذِي بَطْنِهِ .

الذَّئْبُ معروف، مهموز، ويترك همزه تخفيفًا ؛ والأنثى ذِيْبَةٌ . والغِبْطَةُ : المَسْرَةُ ، وتكون للحسد تارة، وهو أن يتمنَّى أن يعطى ما للغير من النِّعْمَة مع زوالها عن الغير وهو مذموم، وتارة لا مع محبة زوالها عن الغير وهو المحمود . والغبطة بهذا المعنى خلاف الحسد . يُقال : غَبَطَهُ يُغْبِطُهُ - كضَرَبَهُ يَضْرِبُهُ - ، وَغَبِطَهُ يُغْبِطُهُ - كسَمِعَهُ يَسْمَعُهُ - ، غِبْطَةٌ . والبَطْنُ معروف، وذُو البطن : صاحب البطن، وهو ما فيه .

ومعنى المثل أن الذئب يُظَنُّ به أبدًا الشعب والبطنة لِمَا يروى⁽¹⁾ من عدوه على النَّاسِ والمواشي، ولا يظنُّ به الجوع، وإن كان مجهودًا من الجوع . فيُضْرَب للرجل يَتَّهَم بالمال ولا مال له .

ومثل هذا قول الشاعر :

وَمَنْ يَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طَحَالُهُ وَيُغْبِطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ
ونحو هذا في أمثال العامة قولهم :

مَنْ رَأَى الْجَمَلَ الْأَبْيَضَ ظَنَّهُ كُلَّهُ شَحْمًا .

ذِيَابٌ فِي ثِيَابٍ .

الثِّيَابُ جمع ثَوْبٍ . وهذا المثل مشهور في ذمِّ النَّاسِ وَأَتَّهَم كالذياب مكرًا وخداعًا وإن كانوا في الصورة خلافها .

وروي أنه لَمَّا وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : هُوَ هُوَ ! فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ أُمُّهُ أَسْمَاءُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَمْسَكَتْ عَنْ

(1) كذا في د . وفي ب : «يرى» .

إرضاعه . فقال لها النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم : أَرْضِعِيهِ وَلَوْ بِمَاءِ عَيْنَيْكَ ، كَبَشُ بَيْنَ ذِيَابٍ ، وَذِيَابٌ عَلَيْهَا ثِيَابٌ ، لَيَمْنَعَنَّ الْبَيْتَ أَوْ لَيُقْتَلَنَّ دُونَهُ ! انتهى . وفي حديث آخر عن النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم في ذمِّ علماء السوء أَنَّهُ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ : قُلْ لِلَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ ، وَيَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ يَلْبَسُونَ مُسُوكَ الْكِبَاشِ وَقُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ الذِّيَابِ ، أَلَسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَقُلُوبُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ ، إِيَّايَ يَخْدَعُونَ ، وَبِي يَسْتَهْزِئُونَ ، لَا تِيحَنَ لَهُمْ فِتْنَةٌ تَدَعُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانٌ . انتهى .

وقال الشاعر :

وَأَنْتَ كَجِرْوِ الذِّيْبِ لَيْسَ بِأَلْفِ أَبِي الذِّيْبِ إِلَّا أَنْ يَخُونَ وَيَظْلِمَا !

الذَّيْبُ يُكْنَى أَبَا جَعْدَةَ .

الذيب مرّ، والكُنْيَةُ والكُنُوءَةُ - بضمّ الكاف وكسرهما فيهما - : الاسم . وَكُنِيَتْ الرجلَ أَبَا فلانٍ ، وَكُنِيَتْهُ بالتضعيف - ، وَأَكْنِيَتْهُ ، كُنْيَةٌ - بالكسر والضم - سَمِيَتْهُ بِهِ . وَكُنِيَتْهُ بِأَبِي فلانٍ أَيْضًا . وَأَبُو جَعْدَةَ : كنية الذيب . ويُقال : أَبُو جَعْدَةَ أَيْضًا . قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا جَعْدَةَ إِنْ تَمُتَ تَمُتْ سَيِّئُ الْأَخْلَاقِ لَا تَتَنَقَّلُ (2) وَكُنِّيَ الذَّيْبُ أَبَا جَعْدَةَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بِنْتُ تُسَمَّى بِذَلِكَ . وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْكُمَيْتُ يَصِفُهُ :

وَمُسْتَطْعِمٌ يُكْنَى بِغَيْرِ بَنَاتِهِ جَعَلْتُ لَهُ حَظًّا مِنَ الزَّادِ أَوْفَرَا
وَالْجَعْدَةُ يَكُونُ وَصْفًا لِلْمَوْنَتِ ، مِنَ الْجَعْدَةِ فِي الشَّعْرِ ، ضِدَّ السَّبُوطَةِ ، وَالْمَذَكَّرُ جَعْدٌ . وَالْجَعْدُ أَيْضًا التَّرَى النَّدِي . وَقَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :
وَيَاكُلُنَّ بَهْمَى جَعْدَةَ حَبَشِيَّةً وَيَشْرَبُنَّ بَرْدَ الْمَاءِ فِي السَّبَرَاتِ

(2) فِي أ : « لَا تَتَنَصَّلُ » بَدَلَ « لَا تَتَنَقَّلُ » ، وَرَسَمَتْ فَوْقَ أَلِفِ « أَبَا جَعْدَةَ » ثَلَاثَ نَقَطٍ عَلَامَةً عَلَى أَنَّهُ لَا يَقْرَأُ : « يَا أَبَا جَعْدَةَ » حَتَّى يَسْتَقِيمَ الْوِزْنُ .

أراد به النَّدِيَّة، أي بهمي نديَّة حبشية، أي شديدة الخضرة تضرب إلى السَّواد .
وَرَجُلٌ جَعْدٌ : كَرِيمٌ أو بَخِيلٌ . وَجَعْدُ الْيَدَيْنِ : بَخِيلٌ . والجعدة أيضا
نبت ينبت على شاطئ الأنهار، وهو المراد في المثل . ويُقال إنَّه نبت طيب الريح، ينبت
في الربيع ويجفّ سريعا . والجعدة أيضا : الشَّاة . فقيل : كنِّي الذيب بها لكثرة
افتراسه إيَّاهَا، وقيل : كنِّي أبا جعدة لأنَّه بخيل، والبخيل يُقال له الجعد كما مرَّ .
وأنشدوا :

أخشى أبا الجعدِ وأمَّ العَمَرِ

يعني الذيب . وقيل من النبت السَّابق .

ومعنى المثل أنَّ الذيب كنيته حسنة وفعله خبيث منكر . يُضرب للرجل يُظهر لك إكراما
وهو يريد بك غائلة .
ويروى هذا المثل أيضا :

هِيَ الْخَمْرُ تُكْنَى الطَّلَاءَ كَمَا الذَّيْبُ يُكْنَى أَبَا
جَعْدَةَ .

ويُحكى أنَّه لعبيد بن الأبرص لمَّا همَّ المنذر بن ماء السَّماء بقتله قال له عبيد :
وقالوا : هِيَ الْخَمْرُ تُكْنَى الطَّلَاءَ كما الذَّيْبُ يُكْنَى أَبَا جَعْدَةَ
ويروى :

هِيَ الْخَمْرُ يُكْنُونَهَا بِالطَّلَاءِ كما الذَّيْبُ يُكْنَى أَبَا جَعْدَةَ
أي أنَّه يُظهر لي الاكرام وهو يريد قتلي، كما أنَّ الخمر وإن سمَّوها الطَّلَاء وحسنوا اسمها
ففعلا قبيح . وكذا الذيب وإن كان اسمه حسنا فإنَّ فعله قبيح .
ويُحكى عن ابن الزبير أنَّه سئل عن الْمُتَعَةِ فقال : الذيب يُكْنَى أَبَا جَعْدَةَ . والمعنى
أنَّ المتعة حسنة الاسم قبيحة المعنى، لأنَّها طلاق، كما أنَّ الذئب حسن الاسم قبيح
المعنى .

ذَكَرْتُ نَبِيَّ الطَّعْنِ وَكُنْتُ نَاسِيًا .

الذِّكْرُ والتَّذْكَارُ : الحِفْظُ للشيء، ذكره وتذكَّره، وذَكَرْتَهُ إيَّاه - بالتضعيف -،

وأذكرته . وما زال مني على ذُكْرٍ - بالضم والكسر - أي تَذَكَّر . والطَّعْنُ : الضرب بالرمح ونحوه، والوَخْزُ به، طَعَنَهُ - بالفتح - يَطْعَنُهُ - بالفتح والضم - طَعْنًا : ضربه، فهو مَطْعُونٌ وطَّعِينٌ ؛ والنِّسْيَانُ ضدَّ الحِفْظِ، نَسِيَ الأمر - بالكسر - ينساه، نِسْيًا ونِسْيَانًا ونِسَاوَةً - بكسر الثلاثة -، ونَسْوَةً - بالفتح -: ضدَّ حفظه . وهذا المثل يُضرب في ذكر الشيء بغيره، وفي الرجل يسمع كلمة فيتذكَّر بها شيئًا . وأصله - فيما يُقال - أنَّ رجلاً حمل على آخر ليقْتله، وكان مع المَحْمُولِ عليه الرمح، فنسيه دهشاً، فقال له الحامل : أَلْقِ الرمح ! فقال عند ذاك : ذَكَّرْتَنِي الطعن وكنت ناسياً - أي ذَكَّرْتَنِي ما أظعن به، أو ذَكَّرْتَنِي الطعن بتذكير الرمح الذي أظعن به - فذهبت مثلاً . ثمَّ كرَّ عليه فهُزِمه .

ويقال إنَّ الحامل في هذه القصَّة هو صخر بن عمرو بن الشريد⁽³⁾، والمحمول عليه هو يزيد ابن الصَّعْق . وقد ذكر ذلك أبو عُبَيْدٍ، إلَّا أنَّه قال : فَكَّرَ عليه فقتله أو هَزَمَهُ على الشكِّ - فوهَّمه البكري بما ثبت من أنَّ صخرًا إنَّمَا مات بطعنة ربيعة بن ثور الأسدي . وسيأتيني لنا ذكر قصَّته، إن شاء الله تعالى .

ويروى أيضًا أنَّ رُهِيمَ⁽⁴⁾ بن حزم الهلالي عرَّج بأهله وماله يريد النقلة في البلاد من أرض إلى أرض. فبينما هو يسير إذ لقيه ثلاثون رجلاً من تغلب، فقال لهم : يا بني تغلب، شأنكم بالمال واخلُّوا الظعينة ! فقالوا : قد رضينا إن ألقيت الرمح ! فقال : وإنَّ رمحي لمعي ! فقتل رجلاً وصرع آخر وقال ذلك⁽⁵⁾.

ذَكَرُ مَا فَاتَ، يَكْدَرُ الْأَوْقَاتَ .

هذا مثل مصنوع فيما أظنَّ، وهو ظاهر المعنى، وقريب من قولهم :

ذَكَرُ أَيَّامِ الْجَفَاءِ فِي أَيَّامِ الصَّفَاءِ جَفَاءٌ .

3 (سقط من جميع النسخ اسم «الحارث» من هذا النسب المشهور : صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي، وهو أخو الخنساء ومرثياها الشهير.

4 (حرف في ب و د فكتب «زهير».

5 (ذكر الميداني في هذا المثل (1 : 280) أن رهم بن حزم شد على خصومه وجعل يقتلهم واحداً بعد واحد وهو يرتجز ويقول :

ردُّوا على أقربيها الأفاصيا
إن لها بالمشرفي حاديا
ذَكَرْتَنِي الطَّعْنُ وَكُنْتُ نَاسِيَا

مُذَكِّيَّةٌ تُقَاسُ بِالْجِذَاعِ .

المُذَكِّي من الخيل : المُسِنَّ الذي جاوز القراح بعام، كما مرَّ في الجيم . والجِذَاع جمع جذعة وهو الصغير السنّ، والقياس : اعتبار الشيء بالشيء وإلحاقه به في أمر . وهذا المثل يُضرب عند الخطأ في التشبيه وقياس الكبير بالصغير . واشتهر في هذا المعنى على ألسنة الناس قولهم :

قِيَاسُ الْبَيْضِ عَلَى الْبَازِنِجَانِ .

وزعموا أنَّ أصله أنَّ رجلا كان ساقا إلى آخر باذنجانا أو نحوه، فوجد مسكنه مغلقا ولم يجد صاحبه هنالك، فلم يمكنه أن يُدخل إلى المسكن ما أتى به . فلما جاء صاحبه قال له: إذا جئت بشيء من ذلك فأرهم من الخَوْخَةِ إلى البيت ثمَّ إنَّه يوما اتفق لهذا أن جاء ببيض فرماه من الخوخة، عملا بوصية صاحبه وظنَّ أنَّ البيض والباذنجان سواء . فوقع البيض وانكسر وفسد، وذهب ذلك مثلا .

أَذَكَّى مِنْ إِيَّاسٍ .

الذِّكَاءُ سُرْعَةُ الْفِطْنَةِ : يقال : ذَكَّى الرَّجُلُ يَذَكِّي - كَرَضِي يَرْضَى -، وَذَكَّى يَذَكِّي - كَسَعَى يَسْعَى -، وَذَكَّوْ يَذَكُّوْ - كَكَرَّمْ يَكْرُمْ - ذَكَاءٌ - بالمدِّ -، فهو ذَكِيٌّ . وإِيَّاسٌ - بوزن كِتَابٍ - هو إياس بن معاوية بن قرّة، قاضي البصرة. وكان أعجوبة الزمان في الذكاء وسرعة الجواب . ومن ثمَّ قال أبو تمام .
إِقْدَامَ عَمْرُو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفٍ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسٍ

ولذكاء إياس وفراسته وفطنته أخبار عجيبة وحكايات غريبة . ومن أول ما عرف من ذكائه أنَّه دخل الشام وهو صغير ونازع رجلا في أمر وقدمه إلى قاضي عبد الملك بن مروان، وكان القاضي يعرف الرجل فقال لإياس : أما تستحيي أن تقود شيئا كبيرا ؟ فقال : الحقُّ أكبر منه ! قال القاضي : اسكت ! قال إياس : فمن يتكلَّم بحجتي إذا سكتُ ؟ فقال له القاضي :

ما أظنك تتكلّم بحقّ حتّى تقوم . قال إياس : أشهد أنّ لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله ! فوثب القاضي قائماً ودخل على عبد الملك فأخبره خبره . فقال له عبد الملك : اقض حاجته ! واصرفه عن الشام لا يفسد علينا النّاس !

ثمّ ولي القضاء في خلافة عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - وكان سبب ذلك أن عمر بعث رجلاً من أهل الشام فقال له : اجمع بين القاسم بن ربيعة وإياس، فوّل القضاء أيّهما أنفذ ! فجمع بينهما وتمنع كل منهما . فقال إياس للشامي : سل عني وعن القاسم فقيهي المصّر : الحسن وابن سيرين ! فعلم القاسم أنّه إن سألهما أشارا به . فقال للشامي : لا تسأل فوالله الذي لا إله إلاّ هو إنّ إياساً لأفضل منّي وأعلم بالقضاء . فإن كنت ممّن يصدّق فينبغي لك أن تصدّق قولِي، وإن كنت كاذباً فما يحلّ لك أن تولّيني القضاء وأنا كاذب ! فقال إياس للشامي : إنّك جئت برجل فأقمته على شفير جهنّم، فافتدى نفسه من النّار بيمين كاذبة سيستغفر الله عزّ وجلّ منها وينجو من النّار . فقال الشامي : أمّا إذ فطنت لها فأنا أوليك القضاء⁽⁶⁾ . فاستقضاه . وكان إياس قيل له : إنّ فيك عيبين : إعجاباً بقولك وعجلة في الجواب . فقال : أمّا الإعجاب، فأنتم أليس يعجبكم ما أقول ؟ قالوا : بلى ! قال : فأنا أحقّ بالإعجاب بقولي ؛ وأمّا العجلة، فكم هذه ؟ وأمدّ أصابع يده . فقالوا : خمس قال : عجّلتم بالجواب ولم تعدّوها أصبعاً أصبعاً . قالوا : وكيف نعدّ ما نعلم ؟ قال : كذلك أنا في الحكم ! وسيأتي شيء من أخباره وفراسته بعد، إن شاء الله تعالى .

ذَلِيلٌ عَاذَ بِقَرْمَلَةٍ .

الذّلّ ضدّ العزّ، ذلّ الرّجلُ يذلُّ فهو ذليلٌ، والعياذ : اللّجوء، يقول : عَاذَ بِهِ يَعُوذُ - بذاك معجزة - عَوُذًا وَعِيَاذًا وَمَعَاذًا وَمَعَاذَةً . والقَرْمَلَةُ شجرة ضعيفة لا شوك لها، تنفطم إذا وطئت، والجمع قَرْمَلٌ . قال الشاعر :

قَتِيلَانِ لَا تَبْكِي الْمَخَاضُ عَلَيْهِمَا : إِذَا شَبِعَتْ مِنْ قَرْمَلٍ وَأَفَانِ

(6) في ب : « أمّا إذا... » وهو تحريف.

وهذا المثل يُضرب في الضعيف يلتجئ إلى أضعف منه أو مثله، والذليل يأوي إلى أدلّ منه . قال جرير :

كَانَ الْفَرَزْدَقُ إِذْ يَعُودُ بِخَالِهِ مِثْلَ الذَّلِيلِ يَعُودُ تَحْتَ الْقَرْمَلِ
ويقال أيضا في المثل :

ضَعِيفٌ عَاذَ بِقَرْمَلَةٍ .

ومثله قول العامة :

اسْتَنَدَ الْمَرِيضُ إِلَى الْمَرِيضِ .

أَذَلُّ مِنْ بَيْضَةِ الْبَلَدِ .

الذُّلُّ مرّ، والْبَيْضَةُ معروفة، واحدة البَيْض ؛ والْبَلَدُ - بفتحَيْن - أَدْحِيّ النِّعَام، وهو حفرة يتخذها في الأرض لبيضه . قال علقمة يصف الظليم :

حَتَّى تَوَافَى وَقَرْنُ الشَّمْسِ مُرْتَفِعٌ أَدْحِيّ عِرْسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومٌ

وبَيْضَةُ الْبَلَدِ هي بيضته التي يتركها فيه، ضُرب بها المثل في الذلّة لانتها لا تمتنع من كلّ مَنْ ظفر بها، كما قيل : فَقَعُ الْقَرْقَرُ، على ما يأتي . قال الشاعر :
لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجَوْتُكُمْ يَابْنَ الرَّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْبَى قُضَاعَةٌ أَنْ تَدْرِي لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نِزَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

وجوز أبو عبيدة في قولهم : كان فلان بيضة البلد أن يُراد به المدح على ما قيل في بيضة العقر، كما سيأتي . وزعم البكري أنّه قد يُضرب هذا مثلا للمنفرد عن أهله وأسرته، فلا يكون مدحا ولا ذمّا، وأنشده :

لَوْ كَانَ حَوْضٌ حِمَارٍ مَا شَرِبْتُ بِهِ إِلَّا بِإِذْنِ حِمَارٍ آخِرِ الْأَبَدِ
لَكِنَّهُ حَوْضٌ مِنْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ رَيْبُ الزَّمَانِ فَأُضْحَى بَيْضَةُ الْبَلَدِ !
وفيه نظر : لأنّ الشاعر يخبر بأنّه قد هان وذلك بذهاب إخوته وأنصاره، لا بمجرد فقد الأنصار وأنّه منفرد .

أَذَلُّ مِنْ حِمَارٍ .

الحِمَارُ معروف، وهو يوصف بالذَلَّةَ والهوان، كما يوصف بالجهل والبلادة . قال الشاعر :
ولا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ : عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هذا على الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرِثِي لَهُ أَحَدٌ
وَالْخَسْفُ : الْهَوَانُ، كما قيل :

حَرَاجِيحُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَةٌ عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرَمِي بِهَا بِلْدًا قَفْرًا
وَالرُّمَّةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْحَبْلِ . وَقَوْلُهُ فِي الْوَتْدِ، يُشَجُّ أَيُّ يُضْرَبُ عَلَى رَأْسِهِ، فَلَا يَرِثِي لَهُ
أَحَدٌ، أَيُّ لَا يَرِثُ لَهُ أَحَدٌ وَلَا يَرْحَمُهُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ
يَهَاجِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ الْعَاصِيِّ الْأُمَوِيِّ :

فَأَمَّا قَوْلُكَ : الْخُلَفَاءُ مِنَّا فَهُمْ مَنَعُوا وَرِيدَكَ مِنْ وَدَاجٍ
وَلَوْلَاهُمْ لَكُنْتَ كَرَكْبٍ بَحْرٍ هَوَى فِي مُظْلِمِ الْغَمَرَاتِ دَاجٍ
وَكُنْتَ أَذَلُّ مِنْ وَتْدٍ بَقَاعٍ يُشَجُّ رَأْسُهُ بِالْفِهْرِ وَاجٍ
وَلَمَّا وَقَعَ هَذَا بَيْنَهُمَا كِتَابُ مَعَاوِيَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَنْ يُوَدَّ بِهِمَا،
وَكُنَا قَدْ تَقَاذَفَا . فَضَرَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ ثَمَانِينَ، وَضَرَبَ أَخَاهُ عَشْرِينَ . فَقِيلَ لِعَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ : قَدْ أَمَكْنَاكَ فِي مَرْوَانَ مَا تَرِيدُ، فَشَنَعَ أَمْرَهُ وَارْفَعَهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ ! فَقَالَ:
إِذَا، وَاللَّهِ، لَا أَفْعَلُ، وَقَدْ حَدَّثَنِي كَمَا يُحَدِّثُ الرِّجَالُ الْأَحْرَارُ، وَجَعَلَ أَخَاهُ كَنَصِفِ عَبْدِ
فَأَوْجَعَهُ بِهَذَا الْكَلَامِ .

أَذَلُّ مِنْ حِمَارٍ قَبَّانَ .

وَيَقَالُ : عَيْرُ قَبَّانَ دُوَيْبَّةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ ؛ وَقَبَّانٌ - بفتح القاف والباء
المشددة، عَلَى وَزْنِ فَعْلَانٍ، مِنْ قَبٍّ، وَكَأَنَّهُ مِنَ الْقَبِّبِ وَهُوَ ضَمُورُ الْبُطْنِ . قَالَ الشَّاعِرُ :
[يَمْشِينَ مَشْيَ قَطَا الْبَطَاحِ تَأْوُدًا قُبَّ الْبُطُونِ رَوَاجِحَ الْأَكْفَالِ
وَذَلِكَ لَضَمُورِ بَطْنِهِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ فَعْلَانٌ مَنَعُ الصَّرْفِ فِيهِ . قَالَ الشَّاعِرُ] (٦) :

(٦) ما بين معقوفتين ساقط من بـ.

يا عجباً لقد رأيتُ عجباً : حِمَارَ قَبَّانٍ يسوقُ أرنباً
خالطها يَمْنَعُها أن تَذْهَبَا فقال : أرْدِفيني ! قالت : مَرحباً !
ولو كان فعّالاً لصرفه، إلا أن يلاحظ فيه تركيباً .

أذلُّ من السُقْبَانِ بين الحَلَائِبِ .

السُقْبَانُ - بالضم - جمع سَقَبٍ - بفتح فسكون -، وهو لد الناقة مطلقاً أو ساعة
يولد . قال علقمة :

رَغَافَوْقَهُمْ سَقَبُ السَّمَاءِ فِدَاحِصٌ بِشَكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ
أَرَادَ ابْنَ نَاقَةٍ ثَمُودَ، وَالْأُنْثَى سَقْبَةٌ . وقيل : السَقَبُ مخصوص بالذكر ولا يقال للأنثى
سَقْبَةٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهَا حَائِلٌ وَأُمُّهَا أُمٌّ حَائِلٌ، كَمَا مَرَّ . وجمع السَقَبِ : أَسْقَبُ
وَسُقُوبٌ وَسِقَابٌ وَسُقْبَانٌ . وناقة مِسْقَابٌ إذا كانت عاداتها أن تلد السقبان . قال
الراجز :

غَرَاءُ مِسْقَابٌ لِفَحْلٍ أَسْقَبِ

وَالْحَلَائِبُ جمع حَلُوبَةٍ، وَالْحَلُوبَةُ من النوق المحلوبة . قال الشاعر يرثي رجلاً :
يَبِيتُ النَّدَى يَا أُمَّ عَمْرٍو ضَجِيعَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُنْقِيَاتِ حُلُوبُ
وَجَمْعُ الْحُلُوبِ وَالْحَلُوبَةِ الْحَلَائِبُ . وضربوا المثل بالسُقْبَانِ بَيْنَ الْحَلَائِبِ، أَي بَيْنَ النُوقِ
الَّتِي تُحَلَبُ، لِأَنَّهَا تَقْبُضُ وَتَرُدُّ، وَتَدْفَعُ وَتَشُدُّ، فَيُنَالُهَا الْهَوَانُ وَالصَّغَارُ .

أذلُّ من فَرَّاشٍ

الْفَرَّاشُ - بفتح الفاء - وتقدّم في حرف الخاء .

أذلُّ من فَقْعٍ بِقَرَقَرَةٍ .

الْفَقْعُ - بفتح فسكون - الكَمأة البيضاء الرخوة، وتُكسر الفاء . وجمع الكلِّ فِقْعَةٌ
- كَعِنَبَةٍ - قاله الجوهري . والقِرْقَرَةُ والقِرْقَر : الأرض المطمئنة اللَّيْنَةُ، فيقال للذليل :
أَذَلُّ مِنْ فَقْعٍ بِقَرَقَرَةٍ، وَهُوَ فَقْعٌ بِقَرَقَرٍ، لِأَنَّهُ لَا يَتَمَنَعُ عَلَى مَنْ يَجْتَنِيهِ، أَوْ

لأنَّه يُوطأ بأرجل الناس والبهائم ويُمْتَهَن . ويُنسب للنابعة يهجو النعمان بن المنذر :
 حدَّثوني بني الشَّقِيقَةِ مَا يَمْنَعُ فَقْعًا بَقَرَقَرٍ أَنْ يَزُولَا ؟
 وقال بعض العرب لقوم : ما أنتم إلى ريف فتاكلوه، ولا إلى فلاة فتعصمكم، ولا إلى وِزَرٍ
 فيُنْجِيكم ! فأنتم نُهْزَةٌ لمن رامكم، ولُعْقَةٌ لِمَنْ قَصْدكم، وَغَرَضٌ لمن رامكم،
 كالْفِقْعَةِ الشَّرْبَاخِ، يَشْدَحُهَا الْوَاطِئُ وَيَذْرِيهَا السَّافِي . الشرباخ، الفاسدة
 المسترخية .

ذَهَبُوا أَيَادِي سَبَأَ .

الذَّهَابُ معروف، يقال : ذَهَبَ - بِالْفَتْحِ - يَذْهَبُ ذَهَابًا، وَالْأَيَادِي جمع
 أَيْدٍ، وَالْأَيْدِي جمع يَدٍ، وهو بمعنى الجارحة وبمعنى النعمة وبمعنى الطريق . وَسَبَأٌ
 أَبُو قَبَائِلِ الْيَمَنِ، وهو لقب، واسمه عبد شمس بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ . وسمي سَبَأً قِيلَ
 لَأَنَّهُ وَلَّ مِنْ سَبَى السَّبْيِ . وقيل سَبَأٌ اسم أمهم، وتسمَّى البلدة سبأ باسم
 سكَّانها، وكانت أخصب بلاد الله، كما قال الله تعالى : جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ .
 قيل : وكانت مسافة شهر في شهر للراكب المجدِّ، يسير الماشي في الجنان من أولها إلى
 آخرها لا يفارقه الظلّ، مع تدفّق الماء، وصفاء الهواء، واتساع الفضاء . فمكثوا مدّة في
 أمن، لا يعاند ملك إلاّ قصموه . وكانت في بدء الأمر تركبها السيول، فجمع ملك حمير أهل
 مملكته وشاورهم، فاتَّخَذُوا سَدًّا في بدء جريان الماء، وورصفوه بالحجارة والحديد، وجعلوا
 فيه مخارِقَ للماء . فإذا جاءت السيول انقسمت على وجه يعمّم نفعه في الجنّات
 والمزروعات . ويقال بانيه هو لقمان بن عاد، ووقع في شعر الأعشى أن حميرًا هو بُنَاتُهُ
 حيث قال :

رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمِيرٌ إِذَا جَاءَ مَاؤُهُمْ لَمْ يَرْمِ

فلما كفروا نِعِمَّ اللَّهُ تعالى ورأوا أن ملكهم لا يبيده شيء وعبدوا الشمس، سلط الله
 على سدّهم فارة فخرقته وأرسل عليهم السيل فمزّقهم الله كلّ ممزّق وأباد خضراءهم،
 كما في القرآن .

فحكى أنّه لما انتهى الملك إلى عمرو بن عامر، المعروف بمُزَيَّقِيَاءَ، وسُمِّيَ بذلك

لأنَّه كان يلبس حِلَّةً حتَّى إذا أمسى مزَّقها أنفة من أن تعاد عليه أو يلبسها غيره، أو لأنَّه مزَّق الأزد في البلاد . وكان أخوه عمران كاهنا، فأنته كاهنة وأخبرته بدنوّ فسَاد السدِّ وفيض السيل وأنذرتة، فقال لها : وما آية ذلك ؟ فقالت : إذا رأيت جرذا يكتر بيديه الحفر، ويقلب برجليه الصخر، فاعلم أنَّه قد اقترب الأمر . قال : وما الأمر ؟ قالت : وعد من الله ينزل فيغيرك ياعمرؤ ! ثمَّ إنَّ عمرًا يومًا نظر في السدَّ فرأى جرذا يقلب صخرة ما يقلبها خمسون رجلا . فرجع وهو يقول :

أَبْصَرْتُ أَمْرًا هَاجَ لِي بَرَحُ السَّقَمِ مِنْ جُرْدٍ كَفَحَ خِنْزِيرِ أَجَمٍ
لَهُ مَخَالِيبُ وَأَنْيَابٌ قَضُمٌ

فأجمع على الخروج منها . واحتال في بيع ماله وأن لا ينكر النَّاس عليه . فقال لابنه : إنَّي صانعٌ طعاما وداعٍ إليه أهل مَآرِب، فزُدْ عليَّ كلامي إذا تكَلَّمْتُ ! ففعل وردَّ عليه ابنه بأقبح الردِّ، فتغاضب عمرو وصاح : واذلَّاه ! يجيبني صبيٌّ ! وحلف ألاَّ يقيم ببلدسيم فيه . فجعل يبيع أمواله وقومه يقولون بعضهم لبعض : اغتتموا غصبة عمرو قبل أن يرضى ! واشتروا منه . فلمَّا باع واجتمعت له أمواله أخبرهم خبر السدِّ والسيك، وأجمعوا على الجلاء، فقال لهم عمران : إنَّي أصف لكم بلدانا، فاختاروا أيَّها شئتم، مَنْ كان منكم ذا غنم بعيد، وجمال غير شرود، فَلْيَلْحَقْ بالشعب من كؤود ! فلحق به همدان . ثمَّ قال : ومن كان منكم ذا سياسة وصبر، على أزِمَات الدهر، فَلْيَلْحَقْ ببطن مرٍّ ! فلحق به خُرَاعَة . قال : ومن كان منكم يريد الراسخات في الوَحْل، المُطْعَمَات في المَحْل، فَلْيَلْحَقْ بيثرب ذات النخل ! فنزلها الأوس والخزرج . قال : ومن كان يريد الخمر والخمير، والأمرَ والتَّامِير، فليلق بْبُصْرَى وسَدِير ! وهي من أرض الشام . فلحق بها غَسَّان . قال : ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق، والخيال العتاق، والذهب والأوراق، فليلق بالعراق ! فلحق بها مالك بن فهم الأزدي . وتخلَّف مالك بن اليماني في قومه حتَّى أخرجهم السيل منها، فنزلوا نجران وانتسبوا في مذحج، ودخلت جماعة منهم على معدٍّ، فأخرجتهم معدٍّ بعد حروب، ونزلوا بجبل السَّراة⁽⁸⁾، على تخوم الشام . فلمَّا

8 (حرفت «السراة» في ب فكتبت «المسرات». والسراة - كما في معجم البلدان - جبل أو مجموعة جبال تمتد من اليمن إلى الشام.

تَفَرَّقَتْ قِبَائِكَ سَبًا هَذَا التَّفَرَّقَ، وَتَمَزَّقُوا هَذَا التَّمَزَّقَ، ضَرَبَتْ الْعَرَبُ بِهِمِ الْمَثْلَ فَقَالُوا :
 ذَهَبَ الْقَوْمُ أَيَدِي سَبًا وَأَيَادِي سَبًا، أَي تَفَرَّقُوا فِي كُلِّ طَرِيقٍ وَوَجْهَةٍ، إِمَّا عَلَى
 أَنَّ الْيَدَ بِمَعْنَى الْجَارِحَةِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا، إِذْ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ، يَدًا وَاحِدَةً . فَلَمَّا تَفَرَّقُوا
 صَارَتْ الْيَدُ أَيَادِي كَثِيرَةً ؛ أَوْ بِمَعْنَى النِّعْمَةِ، أَي تَفَرَّقُوا تَفَرَّقَ نِعَمَ سَبًا، أَوْ كَائِنِينَ كُنْعَمَ
 أَهْلَ سَبًا ؛ أَوْ بِمَعْنَى الطَّرِيقِ، أَي تَفَرَّقُوا فِي كُلِّ طَرِيقٍ أَهْلَ سَبًا، حَيْثُ تَمَزَّقُوا . وَأَيَدِي
 سَبَا جَعَلَ اسْمًا مُرَكَّبًا - كَمَعْدِي كَرَب - وَسُكِّنَتْ الْيَاءُ تَخْفِيفًا وَإِنْ انْتَصَب .

ذَهَبُوا تَحْتَ كَوَكَبٍ .

هَذَا كَالَّذِي قَبْلَهُ فِي الْمَعْنَى أَيْضًا، وَهُوَ التَّفَرَّقَ، وَالْفَاظَةُ ظَاهِرَةٌ.

ذَهَبَ دَمُهُ أَدْرَاجَ الرِّيَّاحِ

الذَّهَابُ مَرٌّ، وَكَذَلِكَ الدَّمُ، وَالْأَدْرَاجُ جَمْعُ دَرَجٍ - بَفَتْحَتَيْنِ - وَهُوَ الطَّرِيقُ - نَقُولُ :
 رَجَعْتُ أَدْرَاجِي، أَي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ . وَالرِّيَّاحُ جَمْعُ رِيحٍ، قُلِبَتْ الْوَاوُ يَاءً
 فِي الْمَفْرَدِ وَالْجَمْعِ لَانْكِسَارِ مَا قَبْلَهَا . وَهَذَا الْمَثْلُ يُقَالُ فِي بَطْلَانِ الشَّيْءِ . فَإِذَا قِيلَ :
 ذَهَبَ دَمُهُ أَدْرَاجَ الرِّيَّاحِ، أُرِيدَ أَنَّهُ ذَهَبَ هَدْرًا . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ سَلَكَ مَسَالِكَ الرِّيَّاحِ
 الْذَاهِبَةِ، أَوْ كَانَ فِي مَسَالِكِهَا فَتَسَفَّتْهُ وَأَذْهَبَتْهُ . وَكَذَا فِي غَيْرِ الدَّمِ .

ذَهَبَتْ هَيْفٌ لِأَدْيَانِهَا .

الذَّهَابُ مَرٌّ ؛ وَالْهَيْفُ - بِالْفَتْحِ - رِيحٌ حَارَّةٌ تَهْبُ مِنْ نَحْوِ الْيَمَنِ نَكْبَاءٌ بَيْنَ الْجَنُوبِ
 وَالْأُفُقِ . قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

هَيْفٌ يَمَانِيَّةٌ فِي مَرِّهَا نَكْبٌ

وَهِيَ تَيْبَسُ مَا مَرَّتْ بِهِ وَتَعَطَّشَ الْحَيَوَانُ . وَالْهَيْفُ أَيْضًا شِدَّةُ الْعَطَشِ، وَالْأَوَّلُ الْمُرَادُ،
 وَالْأَدْيَانُ جَمْعُ دِينَ - بِكَسْرِ الدَّالِّ - وَلَهُ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ : مِنْهَا الْعَادَةُ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا . قَالَ
 أَمْرُو الْقَيْسِ :

كَدَيْنِكَ مِنْ أَمِّ الْخَوِيرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أَمُّ الرَّبَابِ بِمَا سَلَ

أي كعادتك . ويُرَوَّى كَدَأَبِكْ، بمعناه . وقال الآخر :

تقول إذا دَرَأْتُ لها وضيئي : أَهَذَا دينُهُ أَبَدًا وديني ؟
ومعنى زَهَبَتْ هَيْفٌ لَأَدْيَانِهَا : زَهَبَتْ لِعَادَتِهَا، لِأَنَّهَا تَجَفَّفُ كل شيء .
فيُضْرَبُ عند تَفَرُّقِ القوم كلٌّ لَشأنه، أو لِمَنْ يلزم عادته . وقال أبو عبيد : يُضْرَبُ
في نظر الرجل لنفسه وإقباله على شهوته وهواه . وقيل إِنَّهُ يُضْرَبُ في الشيء إذا انقضى .

الذَّوْدُ إِلَى الذَّوْدِ إِبِلٌ .

الذَّوْدُ - بفتح الذَّال وسكون الواو بعدها دال مهملة -، من الإبل ما بين الثلاث والعشر،
مؤنثٌ ولا واحد له، والجمع أَذْوَادٌ . قال النابغة :

لعمرك ما خَشِيتُ على يَزِيدٍ من الفخرِ المضلِّ ما أَتاني
كَأَنَّ التَّاجَ مَعْصُوبًا عَلَيْهِ لِأَذْوَادِ أَصْبَنَ بَذِي أَبَانِ
وقال امرؤ القيس :

أرى المرءَ ذا الأذوادِ يصبحُ مُحْرَضًا كإِحْرَاضِ بَكْرٍ في الدِّيارِ مريضٍ
والإبلُ معروف، لا واحد له، وقد تُسَكَّنُ الباء . قال
البنانُ إِبِلٌ تَعِلَّةٌ بَنَ مُسَافِرٍ ما دام يملكُها عليَّ حَرَامُ
والجمع آبال .

والمعنى أَنَّ الذَّوْدَ - وهي القليلة العدد - مجموعة إلى ذَوْدٍ أخرى تكونُ إِبِلًا . أو إلى
بمعنى مَعٍ، أي الذَّوْدُ مَعَ الذَّوْدِ . يُضْرَبُ عند اجتماع القليل إلى القليل، وأنَّه
يكون كثيرًا . وتقَدَّمَ مثله .

ذَلِكَ الْفَحْلُ لَا يُقَدِّمُ أَنْفَهُ .

ذَلِكَ : إشارة إلى البعيد، شخصًا كان أو مكانًا . وأصله ذَوِي، أو ذِيي، على
الخلاف المعروف في علم النحو ؛ والفَحْلُ من الإبل معروف، ويكون في غيرها، والجمع
فُحُولٌ وفِحَالٌ وفِحَالَةٌ . قال :

فِحَالَةٌ تُطْرَدُ عَنْ شِوَالِهَا

والقَدْعُ - بالدال المهملة :- الكَفُّ والضَرْب . تقول : قَدَعْتُ الفرس، إذا كَبَحْتَهُ ؛
وقَدَعْتُ الفَحْلَ إذا ضَرَبْتُ أنفه بالرمح حتَّى يرجع، وذلك إذا كان [غير]⁽⁹⁾ كريم
فيريد أن يطرق النَّاقَةُ الكريمة، فيضرب حتَّى يرجع . قال الشَّماخ :
إذا ما اسْتَأْفَهْنَ ضَرْبَنَ مِنْهُ مكان الرُّمَحِ مِنْ أَنْفِ الْقَدْوَعِ
يصف حماراً يَسْتَأْفُ أَتْنًا أَيِ يَشْمُئُهُ، لأنَّ الاستياف والسَّوْف هو الشَّم، كما قال
امرؤ القيس :

على لاجِبٍ لا يهْتَدِي بِمَنَارِهِ إذا سافَهُ الْعُودُ النَّبَاطِيُّ جَرَجَرَا
ومن ذلك سَمَّيتِ المسافة من الأرض، لأنَّ الدليل يشمُّ التراب ليعرف أين هو . وقوله :
مَكَانَ الرُّمَحِ، أي المكان الذي يصيبه الرمح من أنف القَدْوَع . والقَدْوَعُ :
المَقْدُوعُ، وهذا البناء يكون بمعنى مفعول، أو بمعنى فاعل أيضا . فمن الأوَّل قولهم :
دَابَّةٌ رَكُوبٌ، وناقَةٌ حَلُوبٌ، وَحُوَارٌ رَغُوثٌ، وَفَحْلٌ قَدْوَعٌ، أي مَرْكُوبَةٌ
وَمَحْلُوبَةٌ وَمُرْعَتٌ وَمَقْدُوعٌ ؛ ومن الثاني قولهم : رجل قَدْوَعٌ وَرَكُوبٌ للدوابِّ،
وناقَةٌ رَغُوثٌ، أي قَادِعٌ وَرَاكِبٌ وَمُرْعَتٌ . وقال الحجاج في خطبة له : أَيُّهَا النَّاسُ،
اقْدَعُوا هذه الأنفُسَ فَإِنَّهَا أَسْأَلُ شَيْءَ إِذَا أُعْطِيَتْ، وَأَمْنَعُ شَيْءَ إِذَا سُئِلَتْ . فرحم
الله امرءاً جعل لنفسه خِطَامًا وزَمَامًا فَقَادَهَا بِخِطَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَطَفَهَا
بِزِمَامِهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ! فَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ عَنْ مُحَارَمِ اللَّهِ أَيْسَرَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى
عَذَابِهِ .

وهذا المثل قاله وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ بنِ خُوَيْلِدٍ لَمَّا قِيلَ لَهُ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ خُطِبَ
خَدِيحَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال وَرَقَةُ : ذَلِكَ الْفَحْلُ لَا يُقْدَعُ
أَنْفُهُ، أي كريم يروم كريمة، فلا سبيل إلى التعرُّضِ له دونها وصدِّه عنها، وهو أشرف
أكفائها . ويقال إِنَّهُ تَمَثَّلَ بِهِ فَقَط . ويقال : تَمَثَّلَ بِهِ أَبُو سَفْيَانَ بنِ حَرْبٍ لَمَّا خُطِبَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَتَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سَفْيَانَ . ففيل له إِنَّ مُحَمَّدًا تَزَوَّجَ
ابْنَتَكَ، وَأَبُو سَفْيَانَ يَوْمئِذٍ مُشْرِكٌ، فقال ذلك ؛ غير أنَّ اللفظ المرويَّ من كلام أَبِي سَفْيَانَ
هو: الْفَحْلُ لَا يُقْدَعُ أَنْفُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ومن هذا الباب قولهم :

زَهَبَ دَمُهُ خِضْرًا مِضْرًا .

- بكسرهما وسكون الضاد المعجمة -، أي هَدَرًا .

وقولهم :

لَا زَهَبَنَّا فِيمَا هَلَكْ وَإِمَّا مُلْكٌ ،

ومعناه قول امرئ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه وأيقنَ أننا لا حِقَانِ بقيصرا
فقلت له : لا تبكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نحاولُ ملكًا أو نموتُ فنُعْذِرَا !

وقولك :

أذهلُ من صبٍّ .

والذُّهُولُ : الغَفْلَةُ والنسيان، والصبُّ : العَاشِقُ ذو الصَّبابَةِ، وهو لما به يغلب عليه ذلك .

وممَّا يجري على ألسنة القراء تمثلاً قول الله تعالى، إخباراً عن نبيِّه موسى عليه السَّلام:

ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ .

وينبغي أن يكون المتمثل بشيء نحو هذا أن يلاحظ فيه ما يلاحظ عند الاقتباس، ليكون أحفظ للأدب وأبعد عن الاستخفاف والتبذُّل، وترك كَلِّه أحوط وأسلم .
وقوله صلَّى الله عليه وسلَّم :

ذُو الْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا .

ويُحْكى أَنَّهُ لما نصَّب معاوية، رضي الله عنه، ابنه يزيد لولاية العهد، أقعده في قبة حمراء . فجعل النَّاسُ يسلِّمون على معاوية ويميلون إلى يزيد، حتَّى جاء رجل ففعل

ذلك . ثمَّ رجع إلى معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين، اعلم أنَّك لو لمْ تُؤْكُ هذا أمرُ المسلمين لأضَعَّتْهَا . وكان الأحنف بن قيس جالسًا فقال له معاوية : مالك لا تقول . يا أبا بجر ؟ - وهو كنية الأحنف - . فقال الأحنف : أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت . فقال معاوية : جزاك الله عن الطاعة خيرا ! وأمر له بالوف . فلمَّا خرج الأحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له : يا أبا بجر، إني لأعلم أنَّ شرَّ من خلق الله هذا وابنه، ولكنَّهم استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال . فليسنا نطمع في استرجاعها إلا بما سمعت ! فقال له الأحنف : يا هذا، أمسك ! فإنَّ ذا الوجهين خليف أن لا يكون عند الله وجيها .

وقول عمر، رضي الله عنه :

ذلك الظَّنُّ بك يا أبا اسحاق !

وهو سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة، رضي الله عنه، لمَّا شكاه أهل الكوفة، فقال له عمر، رضي الله عنه، : إنَّهم شكَّوكَ في كلِّ شيء حتَّى الصلاة ! فقال : إنِّي أفعل ما رأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم يفعل، أركد في الأوَّلين وأحذف في الأخيرين .

فقال عمر : ذلك الظَّنُّ بك !

وأما الشعر، فقال ضابئ :

لكلِّ جديدٍ لذةٌ غيرَ أنَّني وجدْتُ جديداً الموتِ غيرَ لذير !

وقال الآخر :

طلبتَ الجميعَ ففأتَ الجميعُ فمنَ طولِ حرصِك لا ذا وذا !

غيره :

ما زال جيشُ الحبِّ يغزو قلبهُ حتى وهى وتقطَّعتْ أفلاذهُ !

وقال الصَّابئ :

والعمرُ مثلكَ الكاسِ يرُ سُبُ في أواخرِهِ القذا

ومنه قول ابن النِّبَّيه :

خُذْ من زمانِكَ ما أعطاك مُغتبطاً وأنتَ ناهٍ لهذا الدهرِ أميرُهُ

فالعمرُ كالكَاسِ تُستَحلى أوائلُهُ لكنَّهُ ربَّما مُجَّتْ أواخرُهُ !

ويقال إنَّه، لمَّا سمع ابن التَّعاويذي قول الصَّابئ، قال :

قَذَاهُ وَيَرْسُبُ فِي أَسْفَلِهِ
عَلَى صَفْحَةِ الْكَاسِ مِنْ أَوَّلِهِ !

عَنِّي فَلَمْ أَرَبِي مَا يَقْتَضِي أَرَبِي
وَالشَّيْبُ فِيهِ فِي مَوْضِعِ الْحَبِّ (10)
يَا وَحْشَةً لَشَبَابٍ ذَاهِبِ الذَّهَبِ !

خَوْفَ الْقَبِيحَيْنِ مِنْ كِبَرٍ وَمِنْ بَطَرٍ
لَأَنَّهُ قَدْ نَجَا مِنْ طَيْرَةِ الْعَوَرِ
يَبْكِي عَلَى الشَّيْبِ مِنْ يَأْسَى عَلَى الْعُمَرِ
فَكَيْفَ أَشْكُرُهُ فِي حَالٍ مُنْحَدَرٍ ؟

مَا أَحْسَنَ فِعْلَهُ وَلَوْ كَانَ أَذَى
مَوْلَايَ إِذَا مِتُّ أَسَى قَالَ إِذَا

نَعَمْ إِذَا فَنَيْتُ لَذَاتُ بَعْدَازٍ
فِي بَيْتِ قَوَادِرٍ أَوْ بَيْتِ نَبَازٍ ؟

وَكَانَ الْحَجُّ مِنْ خَيْرِ التَّجَارَةِ ؟
فَمَالَ بَنَا الطَّرِيقُ إِلَى زُرَّارَةٍ
وَأَبْنَا مُوقَرَيْنِ مِنَ الْخَسَارَةِ !

وَنَحْوَهُ مَا يُحْكِي أَنَّ مُوسَى بْنِ دَاوُودَ الْهَاشِمِيَّ عَزَمَ عَلَى الْحَجِّ، فَقَالَ لِأَبِي دَلَامَةَ :
أَحْجُجْ مَعِيَ وَلَكِ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ! فَقَالَ لَهُ : هَاتَهَا ! فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَقَبِضَهَا وَهَرَبَ إِلَى

فَمِنْ شَبَّهِ الْعُمَرِ كَاسًا يَقْرُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْقَذَى طَافِيًا

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْقَاضِي الْفَاضِلِ :

إِلَيْكَ بَعْدَ انْقِضَاءِ اللَّفْوِ وَاللَّعِبِ
فَالْعَمْرُ كَالْكَاسِ وَالْأَيَّامُ تَمْزُجُهُ
أَقُولُ إِذَا فَاضَ مِنِّي فَيْضُ فَضَّتِهِ :

وَقَوْلُ الْخَالِدِيِّ :

لَقَدْ فَرَحْتُ بِمَا عَايَنْتُ مِنْ عَدَمِ
وَرَبَّمَا ابْتَهَجَ الْأَعْمَى بِحَالَتِهِ
وَلَسْتُ أَبْكِي عَلَى شَيْءٍ مُنِيَّتْ بِهِ
وَمَا بَكَيتُ زَمَانِي وَهُوَ يُصْعِدُنِي
وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ الْفَارُضِ، رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَهْوَى رَشًا هَوَاهُ لِلرُّوحِ غِذَا
لَمْ أَنْسَ وَقَدْ قُلْتُ لَهُ الْوَصْلُ مَتَى

وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي مَجُونِهِ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ :

وَقَائِلٍ : هَلْ تَرِيدُ الْحَجَّ قُلْتُ لَهُ :

فَكَيْفَ بِالْحَجِّ لِي مَا دُمْتُ مُنْغَمِسًا

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

أَلَمْ تَرْنِي وَبَشَارًا حَاجِنًا

خَرَجْنَا طَالِبِي سَفَرٍ بَعِيدٍ

فَأَبَ النَّاسُ قَدْ حَجُّوا وَبَرُّوا

(10) فِي د : «يَمْزُجُهُ» وَالشُّطْرُ الثَّانِي كَذَلِكَ فِي الْمَخْطُوطَاتِ كُلِّهَا، إِلَّا أَنَّ بَعْضًا مَشَأ : «لَعَلَّ الصَّوَابَ : وَالشَّيْبُ يَوْضَعُ فِيهِ مَوْضِعُ الْحَبِّ».

السَّوَادُ، فجعل ينفقها هنالك في شرب الخمر . فطلبه موسى فلم يجده وخشي فوت الحج فخرج . فلمّا شارف القادسيّة إذا هو بأبي دلّامة خارجا من قرية إلى أخرى سكران . فأمر به فأخذه وقبّده وطرح في محمل بين يديه . فلمّا سار غير بعيد أقبل على موسى وقال : يَايْهَا النَّاسُ قُولُوا أَجْمَعُونَ مَعًا : صَلَّيْ الْإِلَهِ عَلَى مُوسَى بْنِ دَاوُودَ ! كَأَنَّ دِيْبَاجَتِي خَدِيْهُ مِنْ ذَهَبٍ إِذَا بَدَاكَ فِي أَثْوَابِهِ السُّودِ إِنِّيْ أَعُوذُ بِدَاوُودَ وَأَعْظِمُهُ خُبِرْتُ أَنَّ طَرِيقَ الْحَجِّ مَعْطُشَةٌ وَاللّهِ مَا فِيَّ مِنْ أَجْرٍ فَتَطْلُبُهُ فَقَالَ مُوسَى : أَلْقُوهُ عَنِ الْمَحْمَلِ، لَعْنَةُ اللّهِ ! فَأَلْقَى وَعَادَ إِلَى قَصْفِهِ بِالسَّوَادِ حَتَّى أَنْفَقَ الْمَالَ .

وقد قلت أنا قصيدة أكثرها يتعلّق بالباب، فأثبتّها هنا، وهي :

هَامَ الْفَوَادُ بِسُعْدَى بَعْدَمَا نَزَحَتْ وَأَصْبَحَ الصَّبْرُ عَنْهَا⁽¹¹⁾ وَهُوَ مَجْذُودُ
وَالْعَيْنُ مِنْهَا سَوَابِقُ الدُّمُوعِ عَلَى مِئْدَانِ خَدَّ رَدِيَّاتٍ مَّهَابِيذُ⁽¹²⁾
وَأَصْبَحَتْ فِي الْحَشَى مِنْ بَيْنِهَا حُرُقٌ يَصْلَى بِهَا بَلْ جِرَاحَاتٍ مَّغَاذِيذُ⁽¹³⁾
كَأَنَّمَا الْقَلْبُ إِذْ بَانَتْ رَكَائِبُهَا مِنَ الْجَوَى صُلْبٌ فِي النَّارِ مَحْنُودُ
وَكُنْتُ قَدِمًا بِهَا فِي رَوْضَةٍ أَنْفٍ مِنَ الْوُدَادِ ثَرَاهَا الدَّهْرُ مَرْذُودُ⁽¹⁴⁾
أَيَّامٍ وَرَدُ الْمُنَى عَذْبٌ مَشَارِبُهُ وَغُصْنُ الْوَدُ مَهْصُورٌ وَمَجْبُودُ⁽¹⁵⁾
وَإِذْ غَفَّتْ مُقْلُ الْأَحْدَاثِ وَابْتَسَمَتْ سُنُّ الْمُنَى وَلَنَا فِي الدَّهْرِ تَمْلِيذُ⁽¹⁶⁾

(11) في هامش المخطوطات : «في نسخة : القلب منها».

ملاحظة : في د طرر متعددة نثبها فيما يلي (من رقم 12 إلى 29) وقد أدمجها ناسخ ب في صلب الكتاب.

(12) الردي : فعيل من ردّى الفرس يردّي، إذا جرى.

والمهَابِيذ : جمع مَهْيِذ، من الهَيْذ وهو الاسراع في العدو.
والرَّغْدِيَانِ، والهَيْذ، والمِيدَانِ ترشيحات للاستعارة في السوابق وفي الدموع.

(13) المغاذيذ : جمع مَغْذ . يقال غَذَّ الجرمُ يَغْذُ إذا سال بما فيه.

(14) المرذوذ : المسقي رذاذًا، وهو المطر الساكن الدائم هنا.

(15) في د «مقصور» بدل «مهصور».

(16) العَفْوُ والاعْفَاء : النعاس.

والتَّمْلِيذ : مبالغة من المَلَذ، وهو في عدو الفرس أن يمدّ ضبعيه حتى لا يجد مزيدًا، وجُعِلَ هنا كناية عن الاتساع في الأمر.

فلم يدُم والغواني عهدُ وصلتها
لو أنها أحكمت حبك الوصالِ مسا
وما يُمنّين من جدوى ومن صلة
إنّ الهوى لُجّةٌ سهلٌ مَسَارِعُهَا
وما الفتى غير خِلْوٍ عن عمايته
عاطِر كؤوسٍ رشادٍ لا كؤوسَ هوى
سامٍ إلى كلِّ ما يُعلي مُزاوله
فالهونُ موردُه مُرٌّ مذاقتهُ
وما المني بالهوى يجزين بك بمنى
والدهرُ مخلوجةٌ أحداثُه تركتُ
دُجى حوالِكُ لا يجلو مغالقتها
وللمفكر آياتٌ تبصّره
والناسُ في الحبِّ أخفافٌ وأكثرهم
بورٌ مناكيسُ لا يزكو معاشرهم
فلا منوحٌ نوالاً إن همُ سئلوا
سَحبانُ إن لم يحزُ وفر الغنى حَصيرٌ

آلٌ : من اغترّ منه فهو موقوذ⁽¹⁷⁾
لم يأتِهِ الصُّبحُ إلّا وهو مهذوذٌ
خضراءُ في الحزنِ مرعاها معاويذ⁽¹⁸⁾
لكن يعزُّ بها ناجٍ ومنقوذٌ
ذو هِمّةٍ ذيله للجدِّ مشمُودٌ⁽¹⁹⁾
فالغِيّ مُطرحٌ والرُّشدُ مأخوذٌ
كما سما عن حضيضِ الأرضِ خنذيز⁽²⁰⁾
وإنّ حلاً وأجاجُ العزِّ مكدوذٌ
ما أحدٌ كلٌّ مايرجوه مفلوذٌ⁽²¹⁾
فكرَ اللَّبيبِ لديها وهو مبذوذٌ⁽²²⁾
إلّا فطينٌ ذكيُّ القلبِ خنذيز⁽²³⁾
لا يقطعُ السَّيفُ إلّا وهو مشحوذٌ
وإنّ بدا منعمٌ ودٌ ملاويذ⁽²⁴⁾
جربٌ يعادون عراً كلّما حوذوا
في الجهلِ عندهمُ التَّحقيقُ منبوذٌ
وباقلٌ عندهم إن جدّ خنذيز⁽²⁵⁾

(17) الآك : السراب.

والموقوذ : المصروع.

(18) المَعَاوِيز : جمع مَعْوِذَ، وهو النبت في مكان لا تناله الماشية.

وفي الهامش : «في نسخة : مَواها، يعني بدل مرعاها».

(19) المشمود : المرفوع . يُقال شمدُ إزاره إذا رفعه.

(20) الخنذيز هنا : رأس الجبل المشرف، والحضيض ضده.

(21) المني الثاني - بالفتح - وهو القدر.

والفلذ : العطاء بلا تأخير ولا عدة.

(22) المخلوجة : المضطربة غير المستقيمة، وتقدم في الأمثال في الهمة.

(23) الخنذيز هنا : الحليم العالم.

(24) أصناف : أصناف.

والملاويذ : جمع ملود، وهو الذي يقول ولا يفك ولا يصح وده.

(25) جدّ الرجك فهو مجدود.

والخنذيز هنا : الخطيب البليغ، وضده الحَصير.

فلا تثِقْ إِنْ هُمْ ذَمُّوا وَإِنْ مَدَحُوا :
والصَّدَقُ أَشْرَفُ خِيَمٍ أَنْتَ لَابِسُهُ
وخَيْرُ ذُخْرٍ الْفَتَى دَهْرًا قَنَاعَتُهُ
وعِفَّةٌ وَنَدَى يَحْمِي مَسَارِحَهُ
والمرءُ يَمْضِي وَيَبْقَى بَعْدَهُ نَبَأٌ
والموتُ حَتَمٌ لَدَيْهِ الْكُلُّ مُرْتَهَنٌ
وقلت أيضا :

تَحَلَّ بِسَبْطِ الْخُلُقِ واحْتِمِلِ الْأَذَى
وَكُنْ مُغْضِيًا عَمَّا يَرِيبُكَ بِأَذَلًا
فإِنَّ بَنِي الدُّنْيَا بَنُو الْحَاجِرِ مَا اجْتَنَوْا
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَوْضَ يَغْشَى إِذَا صَفَا
وَلِلنَّحْلِ فَضْلًا دُونَ كُلِّ ذُبَابَةٍ
عَلَى أَنَّ هَذَا الْجِيلَ آسَادُ بَيْشَةٍ
مَتَى تَعْتَلِقَ أَظْفَارُهُمْ كَاهِلَ أَمْرٍ
وَإِنْ يَعْلَقُوا قَلْبًا أَعَارُوهُ حَيْرَةً
فَمَنْ يَسْتَطِيعُ عَنْهُمْ نَوَى فَلْيُجَافِهِمْ
فإِنَّ الْبَحَارَ الْخَضِرَ تَحْمِي ظُهُورَهَا
وَتَعْدُو عَلَى الشَّاءِ الذِّيَابُ بِلَا حِمَى
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا الْفَقْعُ يُوطَأُ بِقَرَقَرٍ

فهم عن الرُّشْدِ عُمِّيٌّ أَوْ مَالِيذٌ⁽²⁶⁾
وخَيْرُ مَا يَحْتَلِي الصَّيْدُ الْمَشَاوِيزُ⁽²⁷⁾
فَذَاكَ أَوْثَقُ مَا عَصَى النَّوَاجِيزُ
أَنْ تَتَحَامَاهُ أَلْسُنٌ مَلَاجِيزُ⁽²⁸⁾
مدحٌ يُخَلَّدُ أَوْ نِيكَ مُنَافِيزُ
إِذَا أَتَى الْحَتَمُ لَمْ تَجِدِ التَّعَاوِيزُ⁽²⁹⁾

مِنَ النَّاسِ إِنْ عَاشَرْتَهُمْ وَدَعِ الْبَدَا
نَدَاكَ وَلَا تَغْلُكْ يَدَيْكَ فَتَنْبَدَا
مِنَ الْعُودِ إِلَّا مُثْمَرًا غَصْنُهُ غَذَا
وَيُقْلَى إِذَا كَانَ الْمَشُوبُ أَوْ الْوَدَا
وَلِلْمَسْكِ وَالْكَافُورِ عَنْ كُلِّ ذِي شَذَا
مِلَاذُكَ مِنْهُمْ لِلْحُسَامِ مُشَحَّذَا
أَصَارُوهُ رُهْنًا لِلْبَلَايَا وَلِلْأَذَا
وَإِنْ يَرْكَبُوا ظَهْرًا تَفْتًا أَوْ ارْتَدَا
بِعَادًا وَمِنَ الْفَتَى مَعَاذًا تَعَوَّذَا
رُخُورًا وَتَعْلُوهَا مَعَ الرُّكْدَةِ الشَّدَا
وَكَتِبَادَهَا مِنْ مَرَبَضِ اللَّيْثِ تَهْتَدَا
وَالْأَحْمَارُ الْحَيُّ إِنْ رُمْتَهُ خَذَا

(26) المماليز : جمع مملز، من الملذ وهو الكذب.

(27) الخيم : الطيع.

والصيد : الملوك والسادات (كذا)، جمع أصيد.

وكذا المشاويذ.

(28) الملاجيز : جمع ملجذ، من اللجذ وهو الأكل.

وأطلقت المسارح على العرض.

(29) التعاويذ : الرقعى.

بعد هذه الطرطرة أخرى يظهر أنها بخط محمد ابن زكور الفاسي، نصها :

«الحمد لله. ما علقه هذا الناسخ - عفا الله عنه - على طرطرة القصيدة موهماً بذلك أنها ليست من الأصل أو كذلك رسمها الناظم - رضي الله عنه - في المواضع التي رسمها هو.

وذو الهمّة العلياء من ليس جاعلاً مقادته للجاهل النذل مأخذاً
ولا تاركاً⁽³⁰⁾ الأقدار تعلو ذيولهُ إليه ولا في عرضهِ الناسُ لجذّاً
ولنكتف بهذا المقدار . من هذا المضمار، واللّه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل !

(30) في د : «ولا تاركو...»

بَابُ الرَّاءِ

أَرَاكَ بَشَرَ، مَا أَحَارَ مِشْفَرٌ .

الرُّؤْيَا : الابْصَارُ . تقول : رَأَيْتُ الشَّيْءَ أَرَاهُ . وأصله أَرَاءَاهُ، فَأَلْقَيْتُ حَرَكَةَ الهمزة على الراء وحذفت الهمزة . والعرب يلتزمون النقل في هذه الكلمة إلاَّ تَيْمُّ اللات . قال شاعرهم :

أَرِي عَيْنِيَّ مَا لَمْ تَرَعْ يَاهُ : كِلَانَا عَالَمٌ بِالْتَّرَهَاتِ⁽¹⁾
والبَشَرُ - بفتحتين -: الانسان، وظاهر الجلد كالْبَشَرَةِ، وهو المراد . والحَوْرُ : الرَّجُوعُ،
وأَحَارَهُ : رَدَّهْ، وتقول : طَحَنْتُ فَمَا أَحَارَتْ شَيْئًا، أي فَمَا رَدَّتْ شَيْئًا من الدقيق .
والمِشْفَرُ - بوزن مِنبَرٍ، ويُفْتَحُ - للبعير بمنزلة الشِّقَّة لِلانسان .
ومعنى المثل أن رؤية الظاهر تغنيك عن رؤية الباطن . وأصله في البعير، وأنتك إذا رأيت
بشرته وجسمه ذلك ما به من سِمَنٍ أو هُزَالٍ، على ما أحار مشفره، أي على كَيْفِيَّةِ أكله .

أَرِيهَا السُّهَى وَتُرِينِي الْقَمَرَ !

الرُّؤْيَا مُرَّتٌ، والسُّهَى - بالضم والقصر - نجم خفيٌّ في بنات نعش الصغرى .
والقَمَرُ معروف . وجمع بينه وبين السُّهَى لما بين وصفيهما من المقابلة بالتَّضَادِّ، لأنَّ
القمر في غاية الظهور، والسُّهَى في غاية الخفاء . فَضُرِبَ بهما المثل في الأمر الجليِّ
والخفيِّ .

وهذا المثل يصحُّ لك أن تضربه في كلِّ من ترمز له وتشير وهو يفصح، أو في مَنْ تنحو به
منحى اللطائف والدقائق وهو يتبع الظواهر، أو مَنْ تاتيه بالأمر المستغرب العزيز ويأتيك
بالأمر المبتذل المطروق، ونحو ذلك، والله أعلم !

1 (البيت لسرافقة الباقعي، وقد رواه الأخفش : «... ما لم تراه » على التخفيف الشائع عن العرب في هذا الحرف . انظر لسان العرب في مادة رأى .

رَأْيُ الشَّيْخِ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ الْغُلَامِ .

الرَّأْيُ : الاعتقاد، والجمع آراءٌ ورُئِيَ . والشَّيْخُ والغُلَامُ معروفان .
وهذا الكلام يُحكى عن عليٍّ، كرَّم الله وجهه، وهو تفضيل للسنِّ، في ملاقاته الخطوب،
على الشباب.

وللعرب في هذا مذهبان : تارة يمتدحون بالسنِّ والتجريب، وتارة بالشباب والقوَّة .
فمن الأوَّل كلام علي المذکور، وقول الشاعر وهو زهير بن مسعود :
فلم أرقه إن ينجُ منها، وإنِمتُ فَطَعْنَةُ لاغْسٍ ولا بمُغمَرِ
الغُسِّ : اللَّئِيم، والمُغمَر : الذي لا تجريب له ولا سنَّ . وقول أبي الطَّيِّب :
سأطلبُ حقِّي بالقنا ومشائخِ كأنَّهم من طول ما التَّثَمَّوا مُردُ
ومن ذلك قول حارثة بن سراقه الكندي، حين منعوا الزكاة أيَّام الرَّدَّة : يمنعها شيخ
بخدَّيه الشَّيْب، لا يحذر الرَّيْب . ومن الثَّاني قول عامر بن الطفيل يخاطب النبيَّ صَلَّى
الله عليه وسلَّم : والله لأملأنَّها عليك خيلاً جُرْدًا ورجالاً مُردًا ! وذلك لحالتين
مختلفتين : فإنَّهم إذا أرادوا الحزم وحسن الرأي والتَّدبير والتَّأَنِّي والثَّبات إذا اشتدَّت
الخطوب، فالشيوخ أولى ؛ وإذا أرادوا الجلادة والقوَّة، فالشَّباب أولى، مع أنَّ كلاَّ من
الأمريْن قد يوجد في كلِّ من الطرفين : فإنَّه، كما لا خير في رأي الشَّاب الغمر الجاهل، لا
خير في رأي الشيخ الخرف . ومن ثمَّ قيل في الحكمة : إيَّاك ومشاورة شابٍّ معجب برأيه،
أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه !

وأما قول قَطْرِيَّ بن الفُجاءة :

ولقد أرايني للرَّماحِ دريعةً من عن يميني مرَّةً وأمامي
حتى خضبت بما تحدَّر من دمي أحناءَ سرجي أو عِنانَ لجامي
ثمَّ انصرفتُ وقد أصبتُ ولم أصبْ جذعَ البصيرةِ قارحَ الاقدامِ
فقد فسَّرَ بمعنيْن : أحدهما - وهو الظَّاهر من العبارة - أنَّه يقول : انصرفتُ وقد أصبتُ
من أعدائي ما أحبُّ من القتل والفتك والنكاية، ولم أصبْ أنا منهم، بل انصرفتُ سالمًا
وأنا جذع البصيرة، أي قويِّها، كامل المريَّة، لم يضعف عزمي ولا وهنتُ بنيَّتي بما أصاب

جسمي من الجراحة، وأنا أيضا قَارِحُ الاقدام - أي كامله شديده -، لأنَّ القَارِحَ من الخيل الذي تناهت سنّه وكملت قوّته .

والثَّاني - هو الخفيّ - أنّه يقول : أصبتُ من الأعداء وانصرفْتُ عنهم وأنا لم أَصَبْ، أي لم أوجد جذع البصيرة قارح الاقدام، بل وَجِدْتُ قارح البصيرة، جذع الاقدام ؛ لأنَّ بصيرة القارح المجرب هي التي لا تضطرب ولا تستحيل، وبصيرة الجذع - أي الصغير - لا تثبت ولا تدوم، وإقدام الجذع قويّ ماضٍ، لأنّه لا يئنثني ولا يردعه شيء .

واستظهر هذا التفسير الثاني، الذي امتدح فيه بالسنّ على الأوّل الجليّ، أنّه يستحيل أن يقول : انصرفْتُ ولم أَصَبْ من أعدائي بشيء . وكيف وهو يقول قبله : حتّى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ من دَمِي : أحناءَ سرجي ؟ فهذا اعتراف بأنّه أصيب بالجراحة . فكيف ينقض كلامه ؟

وأجيب من قبلك أهل المذهب الأوّل بأنّه أراد بقوله : لَمْ أَصَبْ، لم أَقْتَلْ . يقال : فلان أصيب، أي قُتِلَ، كما قال النبيّ صَلَّى اللّهُ عليه وسلّم في أمرائه : أَمِيرُكُمْ زَيْدٌ : فَإِنْ أَصِيبَ فَجَعْفَرٌ، فَإِنْ أَصِيبَ فَعَبْدُ اللّهِ بنُ رَوَاحَةَ . فقتلوا كلّهم .

وقال أصحاب الرأي الثَّاني : كيف يحسن منه أن يقول : لم أَقْتَلْ، وهو ينشدهم الشعر، والمصيبة تطلق على أعمّ من القتل ؟ قال تعالى : الَّذِينَ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

قلت : وهذا الكلام ضعيف، إذ لا مانع من أن يقول - افتخاراً - : فتلّتهم وأهلكتهم ولم يقتلوني. وأمّا عموم المصيبة فغير مانع من التخصيص بقريظة المقام وسياق الكلام، مع أن استنكافه من يكون إقدامه إقدام قارح ورضاه بإقدام الجذع مدخول، فإنّ العرب ما زالت تفضّل القارح على الجذع، كما قال زهير :

يُفْضَلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهَا تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَاءُ
ولذلك قيل في المثل : مُذَكِّيَّةٌ تَقَاسُ بِالْجِذَاعِ . وقيل أيضا : جَرِيّ
المُذَكِّيَّاتِ غَلَابٌ، وقد تقدّم في هذا الكتاب معاً .

وقول زهير بن مسعود السابق : فَلَمْ أَرْقِهِ إِنْ يَنْجُ مِنْهَا، يريد الطعنة التي طعن .

وقَبِلَ البيت :

عَشِيَّةً غَادَرْتُ الْجَلِيسَ كَأَنَّمَا عَلَى النَّحْرِ مِنْهُ لَوْنُ بُرْدٍ مُحْبَرٍ
جَمَعْتُ لَهُ كَفِّي يَلْدَنُ يَزِينُهُ سَنَانٌ كَمِصْبَاحِ الدُّجَى الْمُتَسَعَّرِ
فَلَمْ أَرْقِهِ (البيت)

وإنَّمَا قال هذا لأنَّ العرب كانت تزعم أنَّ المطعون يبرأ إذا نفث عليه الطَّاعن ورقاه . قال
عنتره :

فَإِنْ يَبْرَأُ فَلَمْ أَنْفُثْ عَلَيْهِ وَإِنْ يَفْقَدُ فَحُقَّ لَهُ الْفُقُودُ
وقال عمرو بن ثعلب الشَّيباني :

فَاتَّبَعْتُهُ طَعْنَةً مُرَّةً يَسِيلُ عَلَى النَّحْرِ مِنْهَا صَبِيبُ
فَإِنْ يَنْجُ مِنْهَا فَلَمْ أَرْقِهِ وَإِنْ قَتَلْتَهُ فَجُرْمٌ رَعِيبُ

تَرَى الْفَتِيَّانَ كَالنَّخْلِ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟

الْفَتِيَّانُ جمع فتى . ودخلُ الرجل - بالفتح والكسر - : نِيَّتُهُ ومذهبه من جميع
أمره . وكذا دَخِيلُهُ ودُخْلُهُ ودُخِيلَاؤُهُ .

ومعنى المثل أنك قد ترى الرجال حسان الظواهر والزيِّ، ولا تعرف حقيقة أمرهم وحال
باطنهم . يُضْرَبُ لمن له منظر حسن ولا خير عنده .

قيل : وأوَّلُ من نطق به غَنَمَةٌ - أو عَثْمَةٌ - بنت مطرود البجليَّة، وكانت امرأة عاقلة ذات
رأى مسموع في قومها . وكانت لها أخت يقال لها خَوْدٌ، ذات جمال وكمال . فقدم عليهم
ذات مرَّة خمسة إخوة من غامد - بطن من الأزد - يخطبون أختها خَوْدًا، وهم في زِيٍّ
موتق، لابسو الحلك اليمانيَّة على النجائب المهرية والرحال العلافية مكسوة بالثياب
العبقريَّة . فأنزلهم أبوها وأكرمهم . ثمَّ غدوا عليه خاطبين معهم الشعثاء كاهنة لهم .
فقال لهم مطرود : أقيموا حتَّى نرى رأينا . ثمَّ دخل على بنته فقال : ما ترين ؟ فقالت :
أنكحني على قدري، ولا تُشْطِطْ في مهري : فإن تخط أحلامهم، لا تخط أحسابهم .
لعلِّي لصيب ولدًا، وأكثر عددًا ! فخرج إليهم وقال لهم : أخبروني عن أفضلكم ؟ فقالت له
الشَّعْثَاء : اسمعْ أخبرك عنهم ! هم إخوة، كلُّهم إسوة . أمَّا الكبير فعمرو، بحر غمر،

سيد صقر، يقصر دونه الفخر ؛ وأماً الذي يليه فعاصم، صلد صارم، أبيّ حازم، جيشه غانم، وجاره سالم ؛ وأماً الذي يليه فوثّاب، ليث غاب، سريع الجواب، عتيد الصواب، كريم النصاب ؛ وأماً الذي يليه فمُدْرِك، بذُول لما يملك، عزوف عمّا يترك، يغني ويهلك ؛ وأماً الذي يليه فجندل، مقلّ لما يحمل، يعطي ويبدل، لا يخيم ولا ينك . فأبلغها أبوها ذلك، فشاورت أختها غنمة فيهم، فقالت : تَرَى الْفَتَيَّانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟ اسمعي كلمة ناصحة : إنّ شر الغريبة يعلن، وخيرها يدفن، فانكحي في القرباء، ولا تغررك أجسام الغرباء ! فلم تقبل منها، وأرسلت إلى أبيها : أنكحني مدركاً . فأنكحها منه على مائة بعير برعاتها . فحملها مدرك، فلم يلبث معها إلا قليلاً حتّى أغار على غامد فوارس من بني كنانة، فاقتتلوا ساعة ثمّ انكشف زوجها وقومه فسيّباها بنو مالك ابن كنانة فيمن سبوا، وجعلت تبكي . فقيل لها : وما يُبْكِيكَ ؟ أعلى فراق زوجك ؟ قالت : قَبَّحَ اللَّهُ ! قالوا : لقد كان جميلاً . قالت : قَبَّحَ اللَّهُ جمالاً لا منعة معه ! إنّما أبكي على عصياني أختي . وأخبرتهم خبرها . فقال لها رجل منهم يقال له أبو نواس - وكان أسود أفوه مضطرب الخلق - : أترضين بي على أن أمنعك من ذوّبان العرب ؟ فقالت لأصحابه : أكذلك هو ؟ قالوا : نعم ! إنّه، مع ما ترين، ليمنع الخيلة، وينقب القبيلة . قالت : هذا أجمل جمالاً، وأكمل كمالاً، قد رضيتَه فزوّجوه إيّاها . وقال الشاعر :

تَرَى الْفَتَيَّانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟
وَكُلٌّ فِي الْهَوَى لَيْثٌ وَمَا فِي نَابِهِ فَسْلٌ
وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْوَصْلِ وَلَكِنْ أَنْ يُرَى الْفَضْلُ !
وقالت الأخرى :

وقالتْ قَوْلَةً أَخْتِي وَحَجَّوْا لَهَا عَقْلٌ (١)
تَرَى الْفَتَيَّانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟

أَرَى الْقَدَرَ، سَابِقَ الْحَذَرِ

هذا مثل ظاهر المعنى، وهو من كلام جذيمة الأبرش، وسبق في شرح قصّته مع الرّبّاء.

(١) هكذا في المخطوطات، والصواب كما في لسان العرب (مادة حجا) : وَحَجَّوْا لَهَا عَقْلٌ

أَرَاكَ تَقْدَمُ رَجُلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى .

يُضْرَبُ عند التردّد في الأمر . وأصله أنّ الرجل مثلاً إذا قام ليذهب إلى جهة، ثمّ يبدو [له] ويتحيرّ، فتارة يريد الذهاب فيقدم، وتارة لا يريد فيؤخّر . وهذا ظاهر في المقصود، لكنّ قولهم : يُقَدِّمُ رَجُلًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى، يحتمل، باعتبار دلالة عبارته في أصلها، أربعة أمور :

أحدها أن يكون المعنى أنّه يقف في مكانه ويحرّك إحدى رجليه : فتارة يقدرّ لها للإرادة الذهاب، وتارة يؤخّرها رجوعاً عن الذهاب، حتّى توازي أختها كما كانت أولاً . وعلى هذا، فلفظ الأخرى فيه تجوّز بأن جعل الشخص الواحد متعدداً باعتبار حالتيه، ولفظ التّأخير أيضاً لم يصحّ فيه إلّا بالنسبة .

الثّاني أن يكون المعنى أنّه يقدرّ رجلاً للإرادة الذهاب، ثمّ يبدو له أن لا يذهب فيبقى واقفاً على تلك الحال، إحدى رجليه متقدّمة والأخرى متأخّرة عنها . وعلى هذا ففي لفظ التّأخير تجوّز، إذ معناه إبقاؤها متأخّرة، نحو : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا عَلَى وَجْهِ .

الثالث أن يكون المعنى أنّه يقدرّ إحدى رجليه إلى القدام، ويؤخّر الأخرى إلى الوراء . وهذا ظاهر اللفظ، ولكن لا وجه له ولا وجود من خارج .

الرابع أن يكون المعنى أنّه يقدرّ إحدى رجليه وتبقى الأخرى متأخّرة، ثمّ يقدرّ هذه وتبقى الأخرى، وهكذا . وهذا أيضاً ظاهر من اللفظ، لكن لا يصحّ أيضاً هنا، لأنّه حالة الماشي لا الواقف المتردّد . فقد علمت أنّ في العبارة عند تفتيشها تجوّزاً وخفاءً مع وضوح المراد .

أَرَاكَ الْكَوَاكِبَ بِالنَّهَارِ .

الْكَوَاكِبُ : النُّجُومُ . وهي لا تُرى عادة بالنّهار، لغلبة ضوء الشمس عليها . فضرب [المثل] ⁽²⁾ برؤيتها نهاراً عند اشتداد الأمر وملاقاة ما لم يُعتد ويُظنّ، أو غلبة الهمّ والحزن .

وأصل ذلك أنَّ الحرب إذا اشتدَّت ارتفع النقم وتراكم في الجوَّ وسدَّ الأفق واستحدث
الظلام، فربَّما سترضوء الشمس إذا كانت [في] (2) أحد الجانبين، فتظهر النجوم من الجانب
البعيد عنها .

وزعموا أنَّ النجوم ظهرت يوم حليلة، فضُرب ذلك مثلا . قال طرفة بن العبد :
إِنْ تُنَوِّلَهُ فَقَدْ تَمَنَّعَهُ وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْرِي فِي الظُّهْرِ
وقال الأعشى :

رَجَعْتَ بِمَا رُمْتَ مُسْتَحْسِرًا تَرَى لِلْكَوَاكِبِ ظُهُرًا وَمِيضًا
وللفرزذق :

لَعَمْرِي لَقَدْ سَارَ ابْنُ شَيْبَةَ سِيرَةً أَرْتَكُ نَجُومَ اللَّيْلِ وَاضِحَةً تَجْرِي
فَأَصْبَحُ قَدْ صُبَّتْ عَلَى ظَهْرِ خَالِدٍ شَائِبٌ لَمْ يُرْسَلَنَّ مِنْ سَبَلِ الْقَطْرِ
وهذا المثل باق اليوم في ألسنة العوام يقولون : أراني فلان النجوم في السماء
- أو النجوم في النهار - إذا أراه شدة ومكرا، وأناله من المكروه ما لم يعهد به ذكرا .

لَأُرِيَنَّكَ لَمَحًا بَاصِرًا !

ويقال أيضا : دون ذلك لمحٌ باصر . يضرب في التهديد والايعاد . واللَّمَحُ :
النَّظَرُ . فقيق : المعنى نظر مُفْزَعٍ، وقيق هو النظر بتحديق شديد . وقيق : المعنى
لَأُرِيَنَّكَ نَظْرًا صَادِقًا !

وقال البكري : معنى المثل : لأُرِيَنَّكَ مِنْ إِيْعَادِي لَكَ أَمْرًا وَاضِحًا جَلِيًّا .
وبَاصِرٌ فِي تَأْوِيلِ عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ، أَيْ مَرْضِيَّةٍ، وَمَاءٍ دَافِقٍ أَيْ مَدْفُوقٍ . وكذلك سِرٌّ
كَاتِمٌ . انتهى .

وهو ظاهر، لكن إذا تَوَوَّلَ الْبَاصِرُ فَلَا بَدَّ أَنْ يُتَأَوَّلَ اللَّمَحُ أيضًا . وكأنَّه لذلك
فسرَّ بالأمر الجلي الواضح، ولا إشكال أنَّه يُبصر .

الرَّأْيُ مَعَ الْجَمَاعَةِ .

هذا أيضا من كلام جذيمة في قصته السابقة، كما مرَّ، وهو ظاهر .

أَرَى الْمَوْتَ فِي الْغَرَائِرِ السُّودِ .

الْغَرَائِرُ جمع غِرَارَةٍ - بكسر الغين - وهي الجوالق . والسُّود، جمع سَوْدَاءَ .
وهذا الكلام للزَّبَاءِ، حين رأت إبلَ قَصِيرٍ وعمرُو مَوْقَرَةً بالرجال في الجوالق .
وتقدّمت القصّة مشروحة، فلتراجع ! وأطلّقت الموتَ على سببه الفاعليّ، وهم الرجال
القاتلون، مجازاً .

أَرْنِيهَا نَمِرَةً، أُرْكَهَا مَطِرَةً .

يقال : نَمِرَ السَّحَابُ - بالكسر - يَنْمَرُ، كَفَرَحَ يَفْرَحُ، إذا صار أَرْقَطَ، على لون
النَّمِر، وقولهم نَمِرَةً وصفٌ للسَّحَابَةِ . وقياسه نَمْرَاءَ، والمذكرُ أَنْمَر - كَحَمْرَاءَ
وَأَحْمَر -، كما قالوا للفرس أَنْمَر إذا صار على لون النَّمِر . ولكنّهم جاؤوا به على فَعِلَ،
نحو قوله تعالى : فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا، أي أَخْضَرَ . والمَطَرُ : ماء السَّحَابِ ؛
ومَطَرْتَهُم السَّحَابُ : أصابتهم بمطر ؛ ويوم مُمَطِرٍ ومَطِر - بوزن كَتِفَ - : ذو مَطَر .
ومعنى المثل : تَكْفَلُ لي بوجود السَّحَابِ الأَرْقَطِ، وأنا أَتَكْفَلُ لك بالمطر حينئذ .
يُضْرَبُ لما يُتَيَقَّن وقوعه إذا ظهرت مآثله ولاحت أمارته .

رُبَّ أَخٍ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ !

رُبَّ حرف جارٍ يدلّ على الكثرة والقلّة معاً، أو على إحداهما فقط أو أكثر، أو لا يدلّ
على شيءٍ منها إلاّ بالقرائن، خلاف شهير في النحو لا نطيك بذكره ولا بشواهدة لشهرتها،
والأخ معروف، وفيه لغات معروفة .

وأصل المثل أن لقمان بن عاد رأى مع امرأة رجلاً يلعبها وتلاعبه، خاليين ومعهما صبيّ
صغير يبكي، وهما مقلان على شأنهما لا يكثران به . فقال لها : من الرجل ؟ قالت : أخي .
فقال حينئذ : رُبَّ أَخٍ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ !، تكذيباً لها في دعواها . يقول : إنّه أخوك
في الصداقة والمودّة، لا بالقرابة والنسب .

وقريب من هذه الحكاية ما حكى عن بعضهم أنّه دخل عليه [رجل] (3) نصرانيّ ومعه

فتى وسيم من أهل ملته، فقال له : من هذا الفتى ؟ فقال : بعض إخواني . فأنشد حينئذ :

دعّنتي أخاها أمٌ عمرو ولم أكن أخاها ولم أرضعُ لها بلبان
دعّنتي أخاها بعد ما كان بيننا من الأمر ما لا يصنعُ الأخوان
وقالوا أيضا في معنى هذا المثل : رُبَّ بعيدٍ أقربُ من قريبٍ . وقالوا : القريبُ من
قربٍ نفعُهُ . وقالوا : القريبُ من تقربٍ لا من تنسبٍ . وقال حبيب :
ولقد سبرت⁽⁴⁾ النَّاسَ ثمَّ خبرتهم وبلوتُ ما وصفُوا من الأسبابِ
فإذا القرابةُ لا تُقربُ قاطعًا وإذا المودةُ أقربُ الانسابِ
وقال ابن هرمة في نحو هذا :

هشٌّ إذا نزلَ الوفود ببابه سهلُ الحجابِ مؤدَّبُ الخُدّامِ
فإذا رأيتَ شقيقه وصديقه لم تدر أيُّهما أخو الأرحامِ
غيره :

ذو الودِّ منِّي وذو القُربى بمنزلةٍ وإخوتي أسوةٌ عندي لخلّاني
أحبّةٌ جاورتْ آدابهم أدبي فهُمْ وإن فرّقوا في الأرض جيرانِي
أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وعدتْ أجسامنا بعِراقٍ أو خراسانِ
وقال حبيب أيضا :

أو نفترقُ نسبًا يؤلّفُ بيننا أدبٌ أقمناهُ مقامَ الوالدِ
وتقدّم هذا وما يشبهه، وسيأتي أيضا منه إن شاء الله تعالى .

رُبَّ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكْلَاتٍ .

الأكلُ معروف ؛ والأكلَةُ - بالفتح - : المرأةُ منه، وبالضمّ : شيء يؤكَل وما يجعله
الأكَل فيه .

والمعنى أنَّ الانسان ربّما أكل شيئاً فأدّاه إلى ترك الأكل مدّةً بهيضة وتخمة أو مرض
مثلا . قال ابن هرمة :

(4) حُرِّفَتْ فِي ب فَكْتَبَتْ : «بَسَرَتْ» .

وَرُبَّتْ أَكْلَةٌ مَنَعَتْ أَخَاهَا بِلَذَّةٍ سَاعَةً أَكَلَتْ دَهْرَ
وَكَمَ مِنْ طَالِبٍ يَسْتَعَى لِشَيْءٍ وَفِيهِ هَلَاكُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِي !
وَيُضْرَبُ فِي كُلِّ مَنْ اقْتَحَمَ شَيْئًا يَفُوتُ عَلَيْهِ بِسَبَبِهِ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ أَوْ أَشْرَفُ، كَمَنْ رَضِيَ
مَنْ عَرَضَ الدُّنْيَا الْفَانِي بِمَا فُوتَ عَلَيْهِ مِنَ الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا الْمَقِيمِ، عِيَاذًا بِاللَّهِ !

رُبَّ رَمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ .

الرَّمِيَّةُ فَعْلَةٌ مِنَ الرَّمْيِ⁽⁵⁾ . يُقَالُ : رَمَى يَرْمِي رَمِيًّا وَرَمِيَّةً، وَرَمَى السَّهْمَ
عَنِ الْقَوْسِ وَعَلَى الْقَوْسِ أَيْضًا، رَمِيًّا وَرَمِيَّةً - بِالْكَسْرِ - . وَلَا تَقُلْ : رَمَيْتَ بِالْقَوْسِ .
وَرَامَاهُ مُرَامَةً وَرَمَاءً وَتَرَمَاءً ؛ وَارْتَمَى الْقَوْمُ وَتَرَامَوْا .

وَمَعْنَى الْمَثَلِ أَنَّ الْغَرَضَ قَدْ يَصِيبُهُ مِنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الرَّمَايَةِ . فَيُضْرَبُ عِنْدَمَا يَتَّقِفُ
الشَّيْءَ لِمَنْ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَصْدُرَ مِنْهُ . وَقَدْ يُحْذَفُ « رُبَّ » فَيُقَالُ : رَمِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ
رَامٍ .

وَيُذَكَّرُ أَنَّ الْمَثَلَ لِحَكِيمِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثِ الْمَنْقَرِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَرْمَى النَّبَاسِ . فَحَلَفَ يَوْمًا
لِيَعْقِرَنَّ الصَّيْدَ حَتْمًا . فَخَرَجَ بِقَوْسِهِ فَرَمَى فَلَمْ يَعْقِرْ شَيْئًا فَبَاتَ لَيْلَهُ بِأَسْوَأِ حَالٍ، وَفَعَلَ
فِي الْيَوْمِ الثَّانِي كَذَلِكَ فَلَمْ يَعْقِرْ شَيْئًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لِقَوْمِهِ : مَا أَنْتُمْ صَانِعُونَ ؟ فَأَنبِئُوا
قَاتِلَ الْيَوْمِ نَفْسِي إِنْ لَمْ أَعْقِرْ مَهَاةً ! فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : يَا أَبَتِ، احْمِلْنِي مَعَكَ أُرْفِدَكَ ! فَاَنْطَلَقَا،
فَإِذَا هُمَا بِمَهَاةٍ، فَرَمَاهَا فَأَخْطَاهَا . ثُمَّ تَعَرَّضَتْ لَهُ أُخْرَى فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : يَا أَبَتِ، نَاوِلْنِي
الْقَوْسَ ! فَغَضِبَ حَكِيمٌ وَهُمْ أَنْ يَعْلُوهُ بِهَا . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : أَحْمَدُ بِحَمْدِكَ، فَإِنَّ سَهْمِي
سَهْمُكَ ! فَنَاوَلَهُ الْقَوْسَ فَرَمَاهَا الْابْنُ فَلَمْ يَخْطِئْ . فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ حَكِيمٌ : رُبَّ رَمِيَّةٍ مِنْ
غَيْرِ رَامٍ !

وَالِإِى هَذِهِ الْقِصَّةِ أَشَارَ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ :

رَمَاهَا مُطْعِمٌ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ بِمَسِّ الْقَوْسِ لَمْ يُخْطِئْ صِلَاهَا
وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ آلَى عَلَيْهَا فَلَمْ يُبْرِزْ أَلِيَّتَهُ مَهَاها
وَمُطْعِمٌ هُوَ ابْنُ حَكِيمِ الْمَذْكُورِ . وَقَالَ ابْنُ ظَفَرٍ : هَذَا مَثَلٌ عَامِّيٌّ، وَأَصْلُهُ قَوْلُهُمْ : مَعَ
الْخَوَاطِئِ سَهْمٌ صَائِبٌ .

(5) حُرِفَتْ فِي د فَكُنْتُ «الرَّامِي» .

رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ .

السَّاعِي : الكَاسِبُ، سَعَى يَسْعَى سَعْيًا، والقَاعِدُ ضِدُّه مجازًا، من القُعودِ الذي هو لزوم الأرض . ومعنى المثل أن المرء ربَّما سعى في جمع المال أو إدراك الحاجة، حتَّى إذا تهيأ ذلك رَزَقَهُ بعضُ من لم يسع فيه دون السَّاعي . فيُضرب في اكتساب المرء ما لغيره من مال ونحوه .

وأوَّل من قاله النَّابِغة الذبياني، وكان وفد على النعمان بن المنذر في وفود العرب، ومنهم رجل من عبس يقال له شقيق، فمات عنده . فلمَّا حبا الوفود، بعث إلى أهل شقيق مثل ما حبا به الوفود، فقال النَّابِغة : رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ . وقال في ذلك يخاطب النعمان :

أَبْقَيْتَ لِلْعَبْسِيِّ فَضْلًا وَنِعْمَةً ومُحَمَّدَةً من باقياتِ المحامدِ
أتى أَهْلَهُ مِنْهُ حِبَاءٌ وَنِعْمَةٌ ورُبَّ امْرِئٍ يَسْعَى لِأَخَرٍ قَاعِدٍ⁽⁶⁾

وقيل : أوَّل من قاله معاوية، وذلك أنَّه قال يومًا لابنه يزيد بن معاوية : هل بقي في نفسك أرب من الدنيا ؟ قال : نعم، أمَّ خالد ! وهي امرأة عبد الله بن عامر بن كريز، عامل معاوية على البصرة . فأمر عمرو بن العاصي أن يكتب إليه يشير عليه بالوفادة على أمير المؤمنين معاوية، لعلَّه يعمل له في تزويج بنته هند بنت معاوية . فخفَّ لذلك ابن عامر حتَّى وصل إليه، فأزلفه معاوية وقرَّبه، ثمَّ غفل عنه . فساء ذلك عبد الله واشتكى إلى عمرو بن العاصي، فقال له عمرو إنَّه كره أن يدخل بنته على ضرَّة . فطلَّق أمَّ خالد وأقام أيَّامًا . فقال له معاوية : إنَّ أهل البصرة تواترت كتبهم يذكرون اضطرابا في البلد ! وأمره بالعود إلى عمله، ووعدته بانفاذ ما ابتدأه، فانصرف ابن عامر . فلمَّا انقضت عدَّة أمَّ خالد، بعث معاوية أبا هريرة إلى المدينة يخطبها على يزيد . فلمَّا دخل المدينة بدأ بالمسجد فصلى وألمَّ بالقبر فسلمَّ ودعا، ثمَّ مال إلى حلقة الحسن والحسين فسلمَّ وقعد، فسألوه فأخبرهم، فقال له الحسن : اذكرني لها ! فذهب حتَّى استأذن على أمَّ خالد وخبرها بما بُعث له وبما أوصاه به الحسن . فقالت : بأيَّهما تشير يا عمَّاه ؟ قال : أرددت الأمر إليَّ ؟

6 (زاد الميداني (1 : 300) بين هذين البيتين بيتًا ثالثًا هو :
حباء شقيق فوق أعظم قبره وما كان يُحبى قبله قبرُ وافد .

قالت : نعم ! قال : فأرى ألاَّ تؤثري أحداً على من رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفتح فاه ويلثم ثناياه - يعني الحسن، رضي الله عنه .. وبلغ الخبر معاوية فقال : ربَّ
سَاعٍ لِقَاعِدٍ، واعْلَمِي أُمَّ خَالِدٍ⁽⁷⁾. وكأنَّه شعر من مجزوء الخفيف . ونحوه قول
الشاعر :

وما النَّاسُ إِلَّا جَامِعٌ لِمُضِيْعٍ وذو تَعَبٍ يَسْعَى لِآخِرِ نَائِمٍ !

رُبَّ سَامِعٍ خُبْرِي لَمْ يَسْمَعْ عَذْرِي⁽⁸⁾ .

يُضْرَبُ فِي الْعَذْرِ كَوْنُ لَكَ وَلَا يَمَكُنُ أَنْ تَبْدِيهِ . وهو ظاهر مادَّة وصورة .
ومثلك ذلك في المعنى قول منصور النمرى :

لَعَلَّ لَهُ عَذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ : وَكَمْ مِنْ مَكُومٍ وَهُوَ غَيْرُ مُلِيمٍ
يَقَالُ أَلَمْ يُلِيمْ، فَهُوَ مُلِيمٌ إِذَا أَتَى بِمَا يُلَامُ عَلَيْهِ، وَلِيمٌ فَهُوَ مَكُومٌ إِذَا عُنِبَ
وعُذِلَ .

رُبَّ سَامِعٍ عِذْرَتِي لَمْ يَسْمَعْ قِفُوتِي .

العِذْرَةُ - بالكسر :- العُذْرُ، كما مرَّ في الهمة . والقِفُوتُ : القَذْفُ . يقال : قَفَاهُ
يَقْفُوهُ قَفْوًا، إِذَا رَمَاهُ بِفَجْورٍ . وفي الحديث : لَا حَدَّ إِلَّا فِي الْقَفْوِ الْبَيِّنِ، قاله في
الصحاح . وَقَفَاهُ أَيضًا : رَمَاهُ بِقُبْحٍ . والاسم من ذلك كله قِفُوتٌ - بالكسر - كما في
المثل .

يُضْرَبُ عِنْدَ اعْتِذَارِ الْمَرْءِ مِنْ شَيْءٍ لَمْ يَعْلَمْ مِنْهُ بَعْدَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الْاعْتِذَارَ تَسْمِيْعًا
بِنَفْسِهِ⁽⁹⁾. ويمكن أن يُرَدَّ أَحَدُ الْمُثْلَيْنِ إِلَى الْآخَرِ، فَيَكُونُ وَاحِدًا .

(7) ورد عند الميداني (1 : 300) :

(8) أورده الميداني (1 : 299) بصيغة : رَبَّ سَامِعٍ بَخْرِي لَمْ يَسْمَعْ عَذْرِي، وقال إن الباء في «بَخْرِي» زائدة . وورد هذا
المثل في مخطوطة د هكذا : «رَبَّ سَامِعٍ خَيْرٍ لَمْ يَسْمَعْ عَذْرَه» .

(9) ذكر الميداني (1 : 298) أن هذا المثل يروى أيضًا بصيغة «رَبَّ سَامِعٍ قِفُوتِي، وَلَمْ يَسْمَعْ عَذْرَتِي» قال الاصمعي :
معناه سمع ما أكره من أمري، ولم يسمع ما يغسله عني .

رُبَّ شَدٍّ فِي الْكُرْزِ !

الشَّدُّ - بالفتح -: العَدْوُ، وكذا الاِشْتِدَادُ . قال الرَّاكِزُ :
هَذَا أَوَّانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّيْ زَيْمُ !
والْكُرْزُ - على مثال قُفْلٍ -: خُرْجُ الرَّاعِي، ويسمَّى الْكَبْشُ الذي يَحْمِلُهُ الرَّاعِي عليه
الْكِرَّازُ . قال الرَّاكِزُ :

يَالَيْتَ أَنِّي وَسُبَيْعًا فِي غَنَمٍ والخُرْجُ مِنْهَا فَوْقَ كِرَّازٍ أَجْمٌ !
ولا يكون الكِرَّازُ - فيما يزعمون - إِلَّا أَجْمٌ، لَأَنَّ الْأَقْرَنَ يَشْتَغِلُ بِالنَّطَاحِ عَنْ حَمَلِهِ .
وذكر أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي فِي النُّوَادِرِ أَنَّ الْكُرْزَ الْجَوَالِقَ، وَالْأَوَّلَ هُوَ الْمَعْرُوفُ .
وَأَصْلُ الْمَثَلِ أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ يَرْكُضُ فَرَسًا، فَأَلْقَتْ مَهْرًا، فَأَخَذَهُ وَجَعَلَهُ فِي كُرْزٍ بَيْنَ يَدَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : لِمَ تَحْمِلُهُ ؟ وما تصنع به ؟ فقال : رُبَّ شَدٍّ فِي الْكُرْزِ ! أَيُّ رُبِّ عَدْوٍ
وَسَبْقٍ وَاشْتِدَادٍ فِي هَذَا الْمُهْرِ الَّذِي فِي الْكُرْزِ، كَمَا قَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي أُمِّهِ ! فَذَهَبَتْ مَثَلًا
يُضْرَبُ فِي الرَّجْلِ وَنَحْوِهِ يُحْتَقَرُ عِنْدَكَ وَلَهُ مَخْبَرٌ تَعْلَمُ بِهِ أَنْتَ . وَإِنَّمَا جَعَلَ الشَّدَّ فِي الْكُرْزِ
عَلَى طَرِيقِ الْكِنَايَةِ، لَأَنَّ ذَا الشَّدِّ فِيهِ، كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :
إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ
وَالْآخِرُ :
إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمَرْوَةَ ضُمْنًا قَبِيرًا بِمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ

رُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ .

الصَّلَفُ : قَلَّةُ النَّزَكِ فِي الطَّعَامِ وَقَلَّةُ الْمَاءِ . يُقَالُ : سَحَابٌ صَلِفٌ - عَلَى مَثَالِ
كَتِفٍ -: كَثِيرُ الرَّعْدِ، قَلِيلُ الْمَاءِ ؛ وَالرَّاعِدَةُ : السَّحَابُ ذَاتُ الرَّعْدِ .
وَالْمَعْنَى أَنَّ السَّحَابَ رَجَمًا رَعَدَتْ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهَا خَيْرٌ . يُضْرَبُ لِلْبَخِيلِ مَعَ سَعَةِ ذَاتِ
الْيَدِ . وَقِيلَ لِلرَّجُلِ يَكْثُرُ الْكَلَامُ وَالْمَدْحُ لِنَفْسِهِ وَلَا خَيْرَ عِنْدَهُ . وَقِيلَ لِمَنْ يَتَوَعَّدُ ثُمَّ لَا
يَقُومُ بِهِ، وَهُوَ صَالِحٌ "لِلْكَلِّ" . وَقَدْ اعْتَرَضَ عَلَى قَائِلِ الْأَوَّلِ بَأَنَّ السَّحَابَ إِذَا كَثُرَ فِيهَا الْمَاءُ
لَمْ يُقَلَّ لَهَا صَلَفٌ .

قلت : يعني فلا يشبه بها الرجل الكثير المال لبخله . ويُجاب بأن قلّة الماء المسمّى بالصِّلَف إنّما هو باعتبار النزول إلى الأرض . فصمّ تشبيهه البخيل بذلك وإن كثر ماله، باعتبار قلّة ما يخرج من يده . وإن أريد بالصِّلَف أن لا يكون ماء في السّحابة نفسها أصلاً، فالمراد حينئذ التشبيهُ باعتبار ما فيها من أصوات الرُّعود والبروق، فإنّهُ مظنة السقي ؛ كما أن كثرة المال مظنة النفع . وضمّن هذا المثل ابن الشبّك البغدادي إذ يقول:

صحّة المرء للسّقام طريق	وطريق الفناء هو البقاء
بالذي نغتذي نموت ونحيى	أقتل الداء للنّفوس الدّواء
مالقينا من غدر دنيا فلا كا	نت ولا كان أخذها والعطاء
صلف تحت راعد وسحاب	كرعت منه مومس خرقاء
راجع جودها عليها فمهما	يهب الصّبْح يستردّ المساء
ليت شعري حلم تمرّ به الأيام	أم ليس تعقل الأشياء
من فساد يكون في عالم الكون	فما للنّفوس منها اتقاء
و قليلاً ما تصحب المهجّة الجسم	فقيم الشّقا وقيم العناء ؟
قبّح الله لذة لشقانا	نالها الأمّهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألِم الفقد :	فإيجادنا علينا بلاء

وضمّنته أنا أيضاً في قصيدة يأتي (كذا) في هذا الباب، فقلت :

ولربّ ذي رعدٍ على صلفٍ ومهدّرٍ في العنة الحِجر^(٩)

رُبّ طَمَعٍ، يَهْدِي إِلَى طَبَعٍ .

الطَّمَعُ : الحرصُ، طَمَع فيه - بالكسر - طَمَعًا وطَمَاعًا وطَمَاعِيَّةً، والطَّبَعُ - بفتحين -: الدّئسُ والوسخُ الشديد والشّين والعيب .

والمعنى أن الطَّمَع لا يزال بصاحبه حتّى يتلطّخ بك ريب، ويتلوّث بك عيب . قال

الشاعر :

(٩) في الديوان :

فلربّ ذي مَلِكٍ على أَمَلٍ ومهدّرٍ في العنة الحِجر
ولربّ ذي رعدٍ على صلفٍ فتراه يخلق ثم لا يقرى

لا خير في طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبَعٍ وَغَفَّةٌ مِنْ قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي
 الْغَفَّةُ - بضم الغين المعجمة بعدها فاء -: الْبُلْغَةُ مِنَ الْعَيْشِ . ويقال للفأر أيضا، لأنه
 بُلْغَةُ السَّنَوْر . وأما الْعَفَّةُ - بالعين المهملة المضمومة، فهي بَقِيَّةُ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ،
 ومعناه صحيح في البيت أيضا . وسيأتي ما في ذمِّ الطَّمَعِ والحرص، مستوفى إن شاء
 الله تعالى .

رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا .

العَجَلَةُ معروفة . يقال : عَجَلَ - بالكسر - يَعْجَلُ عَجَلًا وَعَجَلَةٌ فَهُوَ عَجَلٌ
 - بالكسر - وَعَجَلَانٌ ؛ وَالْهَبَةُ : الْعَطِيَّةُ . وَهَبَ الشَّيْءُ يَهَبُهُ - بِالْفَتْحِ فِيهِمَا -
 هَبَةً . وَالرَّيْثُ - بِالْمَثَلَةِ -: الْبُطْءُ . يقال : رَأَتْ يَرِيثُ رَيْثًا . أَي رُبَّ عَجَلٍ مِنْكَ
 تَعْطِيكَ رَيْثًا وَتَهَبُ لَكَ بُطْثًا .

والمعنى أَنَّ الرَّجُلَ رَبَّمَا عَجَلَ فِي أَمْرٍ لِيَفْعَلَهُ سَرِيعًا فَأَدَّاهُ عَجَلُهُ إِلَى الْبُطْءِ، وَذَلِكَ
 بِسَبَبِ تَضْيِيعِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَحَافِظَ عَلَيْهِ، فَيُضْطَرُّ إِلَى الْعُودِ إِلَيْهِ ثَانِيًا . وَعَبَّرَ بِلَفْظِ الْهَبَةِ
 مجازًا لما كان ذلك سببًا لذلك .

ويقال في المثل : رُبَّ عَجَلَةٍ وَهَبَتْ رَيْثًا، وَتَهَبُ رَيْثًا، بلفظ الماضي
 والمضارع، والمعنى واحد .

ورأيت في نسخة عتيقة من نواذر أبي علي القالي : تَهَبُ رَيْثًا - مضموم الهاء، مشدّد
 الباء -، بضبط القلم، على أَنَّهُ مِنَ الْهَبِ . وَهُوَ يُفِيدُ الْمَعْنَى، غَيْرَ أَنَّ الْأَوَّلَ أَوْضَحُ فِي
 الْمَقْصُودِ، وَكَأَنَّ هَذَا تَصْحِيفٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَهَذَا الْمَثَلُ فِي أَلْسِنَةِ الْعَوَامِّ الْيَوْمَ مَوْجُودٌ
 معناه، يقولون : مَنْ عَجَلَ أَبْطَأَ .

رُبَّ قَوْلٍ، أَشَدُّ مِنْ صَوْلٍ .

القولُ معروف، والصَّوْلُ : الْقَهْرُ وَالسَّطْوَةُ وَالْإِسْطَالَةُ . صَالَ عَلَيْهِ يَصُولُ صَوْلًا .
 والمعنى أَنَّهُ رَبَّ كَلَامٍ يُعَابُ بِهِ الْإِنْسَانُ هُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّوْلَةِ . وَهَذَا مِنْ كَلَامِ
 أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِيٍّ .

ويُحكى في مثله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما هجاه المشركون قال
لحسن رضي الله عنه : اهْجُهُمْ، فهجاؤك أشدُّ عليهم من وقع السَّهام في غَبَشِ
الظلام !

ومثله قول الشاعر :

والقولُ يَنْفَذُ ما لا تنفَذُ الأبرُ

وقول الآخر :

وقد يَرْجى لجرِّم السيِّفِ برءٌ وجَرِّمِ الدَّهْرِ ما جَرِّمِ اللِّسانُ

وقالوا : اللِّسانُ، أَجَرِّمُ جَوَارِحِ الانِّسان .

وقال صاحب : حفظُ اللسان، راحةُ الانسان، فاحفظْهُ حفظَ الشكرِ لِلإحسان، فأفقه الانسان
في اللسان !

وقال امرؤ القيس :

إذا المرءُ لم يَخْزُنْ عليه لسانَه فليسَ على شيءٍ سواهُ بخزانِ

رُبَّ مَمْلُولٍ لا يُسْتَطاعُ فِرَاقُه .

المَلِكُ معروف . وهذا من كلام أبي الأسود، وكان دخل في ثوب خلق على بعض
أصدقائه . فلما رآه قال له : يا أبا الأسود، أما أن لهذا الثوب أن يُبدل ؟ فقال أبو الأسود :
رُبَّ مَمْلُولٍ... إلخ . ثم أرسل إليه بعد ذلك أثوابا . فقال أبو الأسود يمدحه :
كَساكُ ولم تَسْتَكْسِه فشكرتهُ أخٌ لك يُعْطيكَ الجَزِيلَ ويأمرُ
وإنَّ أحقَّ النَّاسِ إن كُنْتَ شاكراً بشُكركَ من أعطاكَ والوجهُ وافرُ

الرِّبَّاحُ، معَ السَّماحِ .

الرِّبَّاحُ والرِّبْحُ واحد . قال الشَّاعر :

رأيتُ التَّقَى والجودَ خيرَ تجارةٍ ربَّاحاً إذا ما المرءُ أصْبَحَ ثاقلاً
والسَّماحُ والسَّماحةُ : الجود والكرم .

والمعنى أن السَّامح⁽¹⁰⁾ يَرْبِحُ . ويأتي إن شاء الله ما في هذا المعنى .

ارْبَعُ عَلَى ظَلْعِكَ !

يقال : رَبَعَ يَرْبَعُ إذا وقف وتَحَبَّسَ . ويقال ارْبَعُ عَلَى نَفْسِكَ، أي اِرْقُفْ . وفي الحديث : ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ !

والظَّلْعُ - بالطاء المشالة - في البعير ونحوه : غمزه برجله في مشيته . يقال : ظَلَعَ البعير - بالفتح - يَظْلَعُ .

قال أبو ذؤيب يذكر فرسا :

يَعْدُوْهُ بِهِ نَهَيْشُ الْمُشَاشِ كَأَنَّهُ صَدَعُ سَلِيمٍ رَجَعَهُ لَا يَظْلَعُ⁽¹¹⁾
فهو ظَالِعٌ والأنثى ظَالِعةٌ .

وقول النَّابِغةِ الذبياني :

أَتُوْعِدُ عَبْدًا لَمْ يَخْنُكَ أَمَانَةٌ وَتَتْرُكُ عَبْدًا ظَالِمًا وَهُوَ ظَالِعٌ⁽¹²⁾
يُروى بالمشالة . وفُسِّرَ بالجائر المذنب، من الظَّلْعِ في البعير، وهو غمزه برجله لداء يصيبه، وبالضاد المعجمة، وهو الجائر المائل عن الحق .

ومعنى المثل أنك ظالع، فأرْقُفْ بنفسك في مشيتك لأجل ما بك من الظَّلْعِ ! فيضرب للضعيف، وأنه ينبغي له أن ينتهي عما لا يطيق .

وحكى أبو علي أنه اجتمع طريف بن العاصي الدَّوْسِي والحارث بن ذُبيان عند بعض مقاول حمير فتفاخرا، فقال الملك للحارث : يا حار، ألا تخبرني بالسبب الذي أخرجكم من قومكم حتَّى لحقتم بالنمر بن عثمان ؟ فقال : أخبرك أيها الملك : خرج هجينان منّا يرعيان غنما لهما، فتشاولا بسيفيهما، فأصاب صاحبهما عقب صاحبا، فعاث فيه السيف فنزف فمات . فسألونا أخذَ دِيَةَ صاحبا دِيَةَ الهجين، وهي نصف دِيَةِ الصَّرِيح، فأبى قومي، وكان لنا رِبَاءٌ عليهم، فأبينا إِلَّا دِيَةَ الصَّرِيح، وأبوا إِلَّا دِيَةَ الهجين .

(10) حرف في د فكتب : السامح

(11) نهشُ المُشَاش : خفيف القوائم.

(12) في ب : «ويترك عبد ظالم وهو ظالع».

وكان اسم هجيننا دھين بن زبراء، واسم صاحبهم عنقش بن مھيرة، وهي سوداء أيضا .
فتفاهم الأمرين الحيئين، فقال رجل منا :

حُلُومَكُمُ يا قَوْمُ لا تُعزِبُنَّها ولا تقطعوا أرحامَكُم بالتدابُر
وأدُّوا إلى الأقوام عقلَ ابنِ عمِّهم ولا ترهقوهم سُبَّةً في العشائر
فإنَّ ابنَ زبراءَ الَّذي فاد لم يكن بدون حليفٍ أو أسيّد بن جابر
فإن لم تُعطوا الحقَّ فالسيفُ بيننا وبينكُم والسيفُ أجورُ جائِر
فتصافروا علينا حسدا، فأجمع ذوو الحجا منا أن نلحق بأعظم بطن من الأرذ، فلحقنا
بالنمر بن عثمان . فوالله ما فتَّ في أعضادنا ناينا عنهم، ولقد ائثارنا بصاحبنا وهم
راغمون، فوثب طريف بن العاصي من مجلسه، فجلس بإزاء الحارث ثمَّ قال : تالله ما سمعت
كاليوم قولا أبعد من الصواب، ولا أقرب من خطك، ولا أجلب لِقْدَعٍ، من قول هذا . والله،
أيها الملك، ما قتلوا بهجينهم بَذَجًا، ولا رَمَوْا وَدَجًا، ولا اُنْطَوْا به عقلا، ولا
اجْتَفَوْا به خَشَلًا . ولقد أخرجهم الحقُّ عن أصلهم، وأجلاهم عن محلهم، حتَّى (x)
الازعاج، ولجؤوا إلى ضيق الولا، قلا وذلا ! فقال الحارث : أسمع يا طريف ؟ إنِّي والله
ما إخالك كافئا غرَّبَ لسانك، ولا مُنْهِنِها شِرَّةَ نَزْوانِك، حتَّى أسطوَّ بك سطوة
تَكْفُ طِماحك، وتردَّ جِماحك، وتكبت تترُّعك، وتقمع تسرُّعك ! فقال طريف :
مهلا يا حار، لا تُعْرِضْ لِطَحْمَةِ استناني، وذَرَبِ سِناني، وغرب شبابي، وميسم
سبَّابي، فتكون كالأظك الموطوء، والعجب المَوجوء ! فقال الحارث : إيَّاي تخاطب
بهذا القول ؟ فوالله لو وطئتُكَ لأسختك، ولو وهصتُكَ لأوهطتكَ، ولو نفحتك
لأفدتك ! فقال طريف متمثلا :

وإنَّ كلامَ المرءِ في غيرِ كُنْهِهِ كالنَّبلِ تهوي ليس فيها نِصالُها !
أما والأصنام المحجوبة، والأنصاب المنصوبة، لئن لم ترَبِعْ على ظُلْعِك،
وتَقِفْ عند قَدْرِك، لأدَعَنَّ حَزَنَكَ سَهْلا، وغَمْرَكَ ضَحْلا، وصَفاك وحْلا ! فقال
الحارث : أما والله لورمت ذلك لمُرْغَتَ بالحضيض، وأغصصت بالجريض، وضافت عليك
الرَّحاب، وتقطعت بك الأسباب، ولأُفِيتَ لَقَى تهاداه الرِّواميس، بالسَّهْبِ الطَّامِس !

x- بياض بالأصل، والساقط هو :

«... استلأنوا حُشُونَةَ...»

نقلا عن أمالي القاضي (1 : 72)

فقال طريف : دون ما نَاجَتْكَ به نفسك مقارعةً أبطال، وحياضُ أهوال، وحفر إعجال،
يمنع معه تطا من الإمهال ! فقال الملك : إيهًا عنكما، فما رأيت كالיום نِقَالَ رَجُلَيْنِ لم
يَقْصِبَا ولم يَثْلِبَا، ولم يَلْصُوا ولم يَقْفُوا ! انتهى .
قوله : مَقَاول، المَقَاول : الملوك دون الملك الأعظم ؛ وكذا الأقيال والأقوال . قال امرؤ
القيس :

وماذا عليه إن ذكرتُ أو أنسا كغزلان رملٍ في محاريبِ أقوال ؟
وتشاولا : تضاربا ؛ وعاث السَّيف : أفسد ؛ ونَزِفَ : سال دمه حتَّى ضعف . والهجين
من النَّاس : الذي أبوه عربيّ وأمّه غير عربيّة ؛ والمقرفُ عكسه ؛ والصريح : الخالص
الطرفين، والرِّبَاءُ : الزيادة، والعَقْلُ : الدِّيّة، وأرهفته : كلّفته، وفاد : مات . قال لبيد:
رعى خِرَازِمَ المُلِكِ عشرين حِجَّةً عشرينَ حتى فاد والشَّيبُ شاملُ
وفتً : أوهى وأضعف، واثَّارنا : افتعلنا، من الثَّار، والخطل : الخطأ، والقذع : الكلام
القبيح، والبذَجُ : الخُرُوفُ، فارسيّ معرَّب، وأُنْطُوا : أُعْطُوا . قال الأعشى :
جِيادُكَ في الصَّيْفِ في نعمةٍ تُصانُ الجلالُ وتُنطى الشَّعِيرا
واجْتَفَوْا : صرَعوا، يقال : جفاه إذا صرعه، والخَشَلُ - مسكنا ومحركا - شجر المقل،
الواحد خَشَلَةٌ، والْقَلَّ : القِلَّة، والذَّلُّ : الذَّلَّة، والنَزَوَان : الوثوب ؛ والتترُّعُ :
التسرُّع إلى الشرِّ، يقال : تترَّع تترُّعا إذا كان سريعا إلى الشرِّ، وطحمة السيك : دفعته،
والذَّرَبُ : الحِدَّة، والأَظْلُ : أسفلُ خَفِّ البعير، والعَجَبُ : أصل الذَّنْب ؛ وهصته :
كسرتة ؛ وأوهطته : صرعته ؛ وترَبَّع : تَكَفَّفَ وترَفَّفَ، كما مرَّ، والظَّلْعُ : الغَمَز ؛
والضَّحَل : الماء القليل، والحضيض : القرار الأسفل، والروامس : الرياح، ترمس، أي تدفن .
والحفز : الدفع . وقول الملك : يقصبا، أي يشتما، والقَصْبُ : القَطْع، ويَلْصُوا :
يقذفا، يقال : لَصَا إليه إذا انضمَّ إليه لريبة، ولصا المرأة يلصوها : قذفها، ويقفُوا :
يرميا بالقبيح، قَفَوْتُهُ أَقْفَوهُ : رميته بالقبيح أو قذفته .

وذكر الامام الغزالي رحمه الله تعالى في الاحياء أن عمرَ بن هُبَيْرَةَ دعا بفقهاء أهل
البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرأئها، فجعل يسألهم، وكلَّم عامراً الشعبي،
فجعل لا يسأله عن شيء إلاَّ وجد عنده فيه علما . ثمَّ أقبل على الحسن البصري، فسأله

ثمَّ قال : هما هذان : هذا رجل أهل الكوفة - يعني الشعبي - وهذا رجل أهل البصرة - يعني الحسن . فأمر الحاجب، فأخرج النَّاسَ وَحَلًّا بالشعبي والحسن . فأقبل على الشعبي وقال: يا أبا عمرو، إنِّي أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعيَّة ولزمني حقِّهم، فأنا أحبُّ حفظهم وتعهد ما يصلحهم من النصيحة لهم. وقد يبلغني عن العصاة من أهل الديار الأمر أخذ عليهم فأقبض طائفة من عتائهم فأضعه في بيت المال ومن نيَّتي أنِّي أردُّ عليهم، فيبلغ أمير المؤمنين أنِّي قبضته على ذلك من النحو، فيكتب إليَّ أن لا تردَّه، فلا أستطيع ردَّ أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنَّما أنا رجل مأمور على الطاعة، فهل عليَّ في هذا تبعة وفي أشباهه⁽¹³⁾ من الأمور، والنيَّة فيها على ما ذكرت ؟ قال الشعبي : فقلت، أصلح الله الأمير، إنَّما السلطان والد يخطيء ويصيب . قال فسرَّ بقولي وأعجب به ورأيت البشر⁽¹⁴⁾ في وجهه، قال : فلكلَّ الحمد ! ثمَّ أقبل على الحسن فقال : ما تقول يا أبا سعيد ؟ فقال : قد سمعت قول الأمير يقول إنَّه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليه ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعيَّة ولزمني حقِّهم والنَّصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم، وحقَّ الرعيَّة لازم لك وحقَّ عليك أن تحوطهم⁽¹⁵⁾ بالنصيحة . وإنِّي سمعت عبد الرحمان بن سمرة [القرشي] صاحب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : من استرعي رعيَّة فلم يحفظها بالنصيحة حرم عليه الجنة. وتقول إنَّما قبضت من عطايهم إرادة صلاحهم واستبطلهم⁽¹⁶⁾ وأن يرجعوا إلى طاعتهم، فيبلغ أمير المؤمنين أنِّي قبضتها على ذلك النحو فيكتب إليَّ أن لا تردَّه، فلا أستطيع ردَّ أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه، وحقَّ الله ألزم من حقَّ أمير المؤمنين، والله أحقَّ أن تطيع ولا طاعة في معصية الله . فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عزَّ وجلَّ، فإن وجدته موافقا لكتاب الله عزَّ وجلَّ فأنفذه ! يا ابن هبيرة، اتَّق الله، فإنَّه يوشك أن يأتيك رسول من ربِّ العالمين يزيلك عن سريرك، ويخرجك عن سعة قصرِك إلى مضيق قبرِك، فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك، وتقدم على ربِّك وتنزل على عملِك ! يا ابن هبيرة وإنَّ الله

(13) في د : «في هذا تباعة وأتباعه».

(14) في ب : البشر.

(15) في ب : تخولهم، وسقط فيها لفظ «القرشي» اللَّتَّى.

(16) في ب : واستبطلهم.

يمنعك من يزيد، وإنَّ يزيد لا يمنعك من الله، وإنَّ أمر الله فوق كلِّ أمر، وإنَّه لا طاعة في معصية الله⁽¹⁷⁾، وإنِّي أخذَرك بأَسِ الله الذي لا يردُّه عن القوم المجرمين . فقال ابن هبيرة : اربّعْ على ظُلُوعِكَ أيَّها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين ! فإنَّ أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحلم وصاحب الفضل ؛ وإنَّمَا ولاءُ الله ولاية أمر هذه الأمّة لعلمه به وما يعلم من فضله ونبيته . قال الحسن : يا ابن هبيرة، الحساب من ورائك سوطاً بسوط، وعصا بعصا، والله بالمرصاد. يا ابن هبيرة إنَّك أن تلقى مَنْ ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلاً يغرك ويمنيك !

فقام ابن هبيرة وقد بَسَرَ⁽¹⁸⁾ وجهه وتغيّر لونه . قال الشعبي : فقلت : يا أبا سعيد، أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته . قال : إليك عنِّي، يا عامر ! قال : فخرجت إلى الحسن الطرف والتحف، وكانت له المنزلة، واستخِفَّ بنا وجُفِينَا، فكان أهلاً لما أدنى إليه، وكُنَّا أهلاً أن يفعل ذلك بنا . فما رأيت مثلك الحسن فيما رأيت من العلماء إلاَّ مثلك الفرس العربي بين المقاريف، وما شهدنا مشهداً إلاَّ برز علينا، وقال ليَّهِ عزَّ وجلَّ وقلنا مقاربة . قال عامر الشعبي : وأنا اعاهد الله أن لا أشهد سلطاناً بعد هذا المجلس فأحابيه !

يَرْتَعُ وَسْطًا وَيَرِبْضُ حَجْرَةً .

الرَّتَعُ معروف، وكذا الوسط . وتقدَّم ما فيه من الفرق ؛ والرَّبْضُ - بفتح حين - ما حول المدينة، والجمع أرباضٌ . قال :

حتَّى أقامَ على أرباضٍ خرشنةٍ تشقى به الرُّومُ والصُّلْبَانُ والبيع
والرَّبْضُ أيضاً مأوى الغنم . قال العجاج يصف ثوراً وحشيّاً :
واعْتَاد أرباضاً لها آري⁽¹⁹⁾

والرَّبْضُ أيضاً كلُّ ما يأوي إليه الانسان من أهل ومسكن ونحوه . قال :
جاء الشِّتَاءُ ولمَّا اتَّخَذَ ربضاً يا ويح نفسي من حفر القراميص !

(17) سقط أسم الجلالة من د

(18) حرف لفظ «بسر» في د فكتب «سر» .

(19) تمام هذا البيت : «من معدن الصَّيْرَانِ عُدْ مِلْيُ» .

وَرَبَضَتِ الشَّاةُ - بالفتح - تَرَبِضُ رَبَضًا وَرَبْضَةً وَرُبُوضًا، وهو في الشَّاةِ كالبروك في الابل ؛ والحَجْرَةُ - بالفتح فسكون -: النَّاحِيَةُ، والجمع حَجَرٌ وَحَجَرَاتٌ .
وأَمَّا الحُجْرَةُ - بالضم - فحظيرة الابل والغرفة .

وهذا المثل يُضرب في المرء يشاركك عند النعمة والرخاء والفرح، ويجانبك عند البلاء والكربة والاحتياج، تشبيهاً بالشاة تدخل الوسط عند الأكل، وعند الفراغ تعتزل إلى ناحية.

رَجَعَ بِخَفِّي حُنَيْنٌ .

الرُّجُوعُ معروف . والخَفُّ - بالضم -: الذي يُلْبَسُ، والجمع خِفَافٌ؛ وَحُنَيْنٌ - كزُبَيْرٍ - إسكاف من أهل الحيرة، ساومه أعرابيٌّ خَفَيْنِ حتَّى أحرجه ولم يشترهما . فغضب الاسكاف ورجع بخَفِّيهِ إلى طريق الأعرابيِّ، فوضع أحد الخَفَيْنِ على الطريق، ثمَّ مرَّ ساعة فوضع الآخر، وكَمَنَ فجاء الأعرابي حتَّى وقف على الخَفِّ الأوَّل في الطريق فقال : ما أشبه هذا الخَفَّ بخَفِّ حُنَيْنٍ ! لو كان معه الآخر لأخذتهما . ثمَّ سار حتَّى وجد الآخر، فندم على أن فرط في الأوَّل، فأناخ راحلته وأخذ هذا وعقل راحلته ورجع إلى الأوَّل لياخذه، فخرج حنين إلى الراحلة فأخذها وما معها ومضى لوجهه . فجاء الأعرابي بالخَفَيْنِ إلى أهله، فإذا قيل له : بيمَ جئت ؟ قال : بخَفِّي حُنَيْنٍ، فضربوه مثلاً لمن رجع بالخبية وآب بالخسران.

وقيل : حنين هو رجل ادَّعى إلى أسد بن هاشم بن عبد مناف، فأثنى عبد المطلب وعليه خَفَّان أحمران، فقال : يا عمَّ، أنا ابن أسد بن هاشم بن عبد مناف . فقال عبد المطلب : لا، وثياب هاشم ! ما أعرف شمائل هاشم فيك، فارجع ! فقالوا : رَجَعَ حُنَيْنٌ بِخَفِّيهِ، فذهب مثلاً .

وقيل هو لصٌّ كان أخذ فصلب . فجاءت أمّه نحوه وعليه خَفَّان، فنزعتهما ورجعت، ففيل : رَجَعَتْ بِخَفِّي حُنَيْنٍ، أي رضيت منه بذلك .

رَجَعَ بِصَحِيفَةِ الْمُتَلَمَّسِ .

الصَّحِيفَةُ - بفتح الصَّاد المهملة -: الكتاب، والجمع صَحَائِفُ وصُحُفٌ، على

غير قياس ؛ والمتكلم مس' : شاعر معروف، وهو جرير بن عبد المسيح . ولُقّب بالمتلمس لقوله :

وذاك أوان العريضِ طنَّ ذُبابُه⁽²⁰⁾ زنا بـيرُهْ والأزرقُ المتلمسُ
وصحيفته : كتاب كتبه له عمرو بن هند يذهب به إلى عامله بالبحرين ليُقتل، وأوهمه أن
المكتوب فيها الحباء يأخذه من العامل . فضرب المثل بهذه الصحيفة لمن يستصحب
هلاكه وهو يظنّه نفعاً .

وشرح هذه القصّة أن طرفة بن العبد، الشاعر المشهور البكري الوائلي، هجا عمرو بن
هِنْدَ مضرط الحجارة المتقدمَ ذِكرُه بقوله :

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو ⁽²¹⁾	رَغَوْتُا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخَوْرُ
مِنَ الزَّمَرَاتِ أَسْبَلُ قَادِمَاهَا	وَضَرَّتْهَا مُرْكَنَةٌ دَوْرُ
يُشَارِكُنَا لَهَا رَخْلَانِ فِيهَا	وَتَعْلُوهَا الْكِيشُ فَمَا تَنْوَرُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ بَنِ هِنْدٍ	لِيَخْلِطُ مُلْكُهُ نَوَكٌ كَثِيرُ
قَسَمْتُ الدَّهْرَ فِي زَمَنٍ رَخِيٍّ	كَذَاكَ الدَّهْرُ يَقْصِدُ أَوْ يَجُورُ ⁽²²⁾
لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرْوَانِ يَوْمٌ	تَطِيرُ الْبَائِسَاتُ وَمَا نَطِيرُ ⁽²³⁾
فَأَمَّا يَوْمُنَا فَنَظْلُ رُكْبَا	وَقَوْفَا مَا نَحُلُ وَمَا نَسِيرُ
وَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمٌ سَوْءٍ	يُطَارِدُهُنَّ بِالْحَدَبِ الصَّقُورُ ⁽²⁴⁾

وتقدّم بعض هذه الأبيات . وقوله : قَسَمْتُ الدَّهْرَ، إلخ... إشارة إلى ما يُحكى
أنَّ عمرو بن هند كان دأبه أنَّهُ يصطادُ يوماً ويوماً يقف النَّاسُ ببابه : فإن انتهى
حديث رجل منهم أذن له . فلبث على ذلك دهره . وكان لطرفة أخت تزوّجها عبد عمرو،
وعبد عمرو هذا كان أقرب النَّاسِ إلى عمرو بن هِنْدَ منزلةً . فجاءت أخت طرفة يوماً تشكو
زوجها هذا، فهجاه طرفة بقوله :

يا عجباً⁽²⁵⁾ من عبد عمرو وبغيه لقد رامَ ظُلُمي عبد عمرو فأنعماً

(20) في الحماسة (1 : 269) «...حيّ ذُبابُه».

(21) سقطت الفاء من «فليت...» في مخطوطات زهر الأكم، والتصحيح من كتاب مختار الشعر الجاهلي.

(22) في مختار الشعر الجاهلي : «كذاك الحكم...».

(23) في مختار الشعر الجاهلي : «تطير البائسات...».

(24) في المصدر السابق : «...فيوم نحس».

(25) كذا في جميع النسخ، وهو لا يستقيم وزناً، ولعل الأصل : فياعجباً....

ولا خير فيه غير أن قيلَ واجدٌ⁽²⁶⁾ وأنَّ له كشْحًا إذا قام أهْضَمًا
وأنَّ نساءَ الحيِّ يركُضُنَّ حوله⁽²⁷⁾ يقلُنَّ : عسيبٌ من سرارةٍ ملهُما
له شربتانِ بالنَّهارِ وأرْبَعٌ من اللِّيكِ حتَّى أضَ سُخْدٌ مُورٌ ما
ويشربُ حتَّى يغْمُرَ المحضُ قلبه وإن أُعْطِه أتركُ لقلبي مجئُما
كأنَّ السَّلامَ فوقَ شُعْبَةٍ بانةٍ ترى نَفَخًا وردَ الأسرَّةِ أصحما⁽²⁸⁾

وكان عبد عمرو أجمل أهل زمانه جسمًا وكشحا، ولذلك وصفه بالكشم الأهضم، أي الضامر؛ والعسيبُ : عسيبُ النَّخْل . ومكْنَهُمُ : موضع باليمن ذو نخل، وسرَّارَتُهُ أكرم موضع فيه، وكذا سرَّارَةُ كلِّ وادٍ . والسُّخْدُ : الورم، وقيل السَّلا، شبه جسده في نعمته ورجرجته بالورم أو السَّلا المنتفخ ؛ والنَّفَخُ : انتفاخ البطن، وقوله : ورْدُ الأسرَّةِ ، أي أسرَّته موردة بالطيب والزعفران حتَّى صار أصحَمَ ، وهو الأحمر المائل إلى السَّوَاد . وهذا كلُّه من أوصاف النساء، لا الرجال، وهو هجو خبيث . ثمَّ إنَّ عمرو بن هند خرج يوما إلى الصيد ومعه عبد عمرو، فرمى عمرو حمامًا فعقره، فقال لعبد عمرو : انزل فاذبحه ! فنزل وعالجه فأعياه الحمام وضحك منه عمرو بن هند وقال : لقد أبصرك طرفة حين قال : ولا خَيْرَ فِيهِ ... (البيت) . فيُروى أنَّه لمَّا قال له ذلك، قال عبد عمرو : أبيت اللعن ! ما قال لك أشدَّ ممَّا قال لي . قال : وما قال ؟ فأنشدته الأبيات السابقة . فغضب عمرو وقال : قد بلغ من أمره أن يقول ! فأرسل إليه ليكتب له إلى رجل من عبد القيس بالبحرين، وهو المعلَّى، وكان عامله عليها، ليقتله . فقال بعض جلسائه : إنَّه حليف المتلمِّس، فإن أوقعت بطرفة هجاك المتلمِّس . فأرسل عمرو إلى طرفة والمتلمِّس معًا، فأتياه، وهو بالبقَّة، قريبًا من الحيرة، فكتب إلى عامله بالبحرين ليقتلها، وأخفى ذلك عنهما وأظهر لهما كتابًا بحبائهما . فأقبلا حتَّى نزلا الحيرة، فقال المتلمِّس [لطرفة] : تعلم والله أنَّ ارتياح عمرو لي ولك لأمر مريب، وأنَّ انطلاقي بصحيفة لا أدري ما فيها لُغُور . فقال طرفة : إنَّك لمسيء الظنَّ . وما تخشى من صحيفة إن كان فيها الذي وعدناه، وإلا رجعنا [إليه]⁽²⁹⁾، فأبى المتلمِّس، وأبى طرفة أن يجيبه، ففضَّ المتلمِّس خاتم صحيفته

(26) في مختار الشعر الجاهلي : «... غير أن له غنى».

(27) في المصدر السابق : «يظن نساء الحي يعكفن حوله».

(28) في المصدر السابق : أسحما

(29) سقط من د.

وقام إلى غلام من أهل الحيرة يستقي فدفعها إليه، فقرأها الغلام فقال : أنت المتلمس ؟ قال : نعم ! قال : النجاء ! النجاء ! قد أمر بقتلك . فجاء بالصحيفة حتى قذفها في نهر الحيرة، ثم قال :

القيتها بالثنى من جنب كافر كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قَطٍّ مُضَلِّ
رضيتُ لها بالماءِ لَمَّا رَأَيْتُهَا يَجُورُ بِهَا التَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدُولٍ
وقيل إنهما مرَّ في طريقهما ذلك على رجل يتعدَّى وهو يقضي حاجة الإنسان ويفلي ثوبه . فقال المتلمس : ما رأيتُ أحقَّ من هذا . فقال : وما رأيت من حمقي ؟ إنَّما أكل غذائي وأخرج دائي وأقتل أعدائي . وهل الأحقَّ إلَّا من يحمل حتفه على كتفه ؟ أو كلامًا نحو هذا . فحينئذ استراب المتلمس أمر الصحيفة فاستقرأها كما مرَّ، ثم قال لطفة : تعلم أن في كتابك مثلك ما في كتابي ؟ فقال لطفة : لئن اجتراً عليك، ما كان ليقدِّم عليَّ . فلمَّا أعياه لطفة وأبى أن يطيعه، خرج المتلمس من فوره ذلك إلى الشام هاربا وقال :

من مُبْلِغِ الشُّعْرَاءِ عَنْ إِخْوَانِهِمْ نَبَأٌ فَتَصَدَّقْهُمْ بِذَاكَ الْأَنْفُسُ
أَوْدَى الَّذِي عَلَقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا وَنَجَا حَذَارَ حَيَاتِهِ الْمُتَلَمَّسُ
وَلَقَدْ نَصَحْتُ لَهُ فَرَدَّ نَصِيحَتِي وَجَرَّتْ لَهُ بَعْدَ السَّعَادَةِ أَنْحُسُ
وفي ذلك قيل :

الْقَى الصَّحِيفَةَ كَيْ يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْلَهُ الْقَاهَا
وخرج لطفة حتى أتى صاحب البحرين بكتابه، فدفعه إليه، فقال صاحب البحرين : إنِّي رجل في حسب، وبينني وبين أهلك إخاء قديم، فاهرب إذا خرجت من عندي، فقد أُمِرْتُ بقتلك ! فإنَّ كتابك إن قرئ لم أجد بدًّا من قتلِكَ ! فأبى وظنَّ أنَّه لا يجترئ على قتله . فحبسه حتى قتله . وفيه يقول لطفة، يخاطب العامل :

أَبَا مُنْذَرٍ كَانَتْ غُرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ فِي الطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي
أَبَا مُنْذَرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ !
رَجِعَ فَلَانٌ إِلَى قَرَوَاهُ .

رُوي : الْقَرَوَى - بِأَلْفٍ مَقْصُورَةٍ .. يَقَالُ : رَجِعَ فَلَانٌ عَلَى قَرَوَاهُ، أَي رَجِعَ إِلَى خُلُقٍ

كان يعتاده . يُضرب في عادة السوء يتركها صاحبها ثمَّ يرجع إليها . والمعروف في اللغة:
القرَّوَاءُ - بالمدِّ - ، وهو العادة .

ويُروى هذا حديثاً : لا تَرْجِعْ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى قَرَوَائِهَا ، أي على أمرها الأول ،
والله أعلم .

رَزَمَةٌ وَلَا ذَرَّةَ فِيهَا .

الرَّزَمَةُ - بفتح الراء - صوت الناقّة عندما تَرَامُ ولَدَها تخرجه من حلقها ولا تفتح به
فأها ؛ والدَّرَّةُ فعلة من دَرَّتِ الناقّةُ باللّبن تَدِرُّ .

يُضرب هذا المثل لمن يَعِد ولا يفي ، كالنّاقّة تُرْزَمُ وتَحِنُّ ولا تَدِرُّ ولا خير في
ذلك ، ورَزَمَةٌ خبر مبتدأٍ يُقدَّر بحسب المقام

الرَّشْفُ أَنْقَعُ .

الرَّشْفُ : المَصُّ . يقال : رَشَفَ الماءَ يَرشِفُهُ كَنَصَرَ يَنْصُرُ ، ورَشِفَ
يَرشِفُ - كَسَمِعَ يَسْمَعُ - رَشْفًا وارتشفه وترشّفه إذا مَصَّهُ ، ونَقَعَ الرجلُ
بالشراب يَنْقَعُ - بالفتح فيهما : اشتفى به ، وأنْقَعَهُ الماءُ : أَرَوَاهُ . والمعنى أنَّ
امتصاص الماء وترشّفه شيئاً فشئنا هو أنقع للنفس وأقطع للعطش ، ولذلك أمر النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمصِّ وقال إِنَّهُ أَهْنَى وَأَمَرَى ، ونَهَى عَنِ الْعَبِّ .
فيضرب في ترك العجلة في الأمر .

ارْضَ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالتَّعْلِيقِ !

الرَّضَى ضدَّ السخط ، رَضِيَ - بالكسر - يَرْضَى . والمَرْكَبُ هنا إمّا أن يُراد به
الركوب ، ومنَّ لِلْجِدْلِ ، كقوله :

لو أَنَّ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكَبُوا شَنُّوا الاغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا
والمعنى : ارضَ بدلَ ركوبك بأن تعلّق أمتعتك . وإمّا أن يُراد به المركوب ، ومنَّ

عَلَى بَابِهَا، أَي : اَرْضَ مِنْ هَذَا الْمَرْكُوبِ بَأَنْ تَعْلَقَ أَمْتَعَتَكَ عَلَيْكَ⁽³⁰⁾، أَوْ بَأَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ فِي عَقْبَتِكَ وَنُوبَتِكَ . فَيُضْرَبُ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْقِنَاعَةِ بِإِدْرَاكِ الْيَسِيرِ مِنَ الْحَاجَةِ وَالرَّضَى بِصَغِيرِ الْأَمْرِ دُونَ عَظِيمِهِ .

مَرْعَى وَلَا أَكُولَةٌ .

الْمَرْعَى : مَفْعَلٌ مِنَ الرَّعْيِ، يُقَالُ : رَعَيْتِ الْمَاشِيَةَ - بِالْفَتْحِ - رَعِيًّا وَمَرْعَى . وَيُطْلَقُ الْمَرْعَى أَيْضًا عَلَى الْمَكَانِ وَعَلَى النَّبَاتِ الْمَرْعِيِّ ؛ وَهُوَ الرَّعْيُ أَيْضًا - بِكسْرِ الرَّاءِ - . قَالَ زَهِيرٌ :

تَرْبَعُ بِالْقِنَانِ وَكُلُّ فَجٍّ طَبَاهُ الرَّعْيُ مِنْهُ وَالْخَلَاءُ
أَي دَعَاهُ إِلَيْهِ مَا فِيهِ مِنَ الرَّعْيِ، أَي الْكَلَأُ وَالْخُلُوةُ . وَالْأَكْلُ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَكُولٌ، وَهِيَ أَكُولَةٌ . فَإِنَّ عِلْمَ الْمُوصُوفِ مِنَ الْكَلَامِ كَانَ الْقِيَاسُ حَذْفُ الْهَاءِ، كَغَيْرِهِ مِنْ نَظَائِرِهِ .
وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذَا مَرْعَى أَي نَبَاتٌ كَثِيرٌ وَلَمْ تَوْجَدْ مَاشِيَةً تَرْعَاهُ، أَوْ مَكَانٌ ذُو رَعْيٍ وَلَا رَاعِيَةٍ لَهُ . يُضْرَبُ فِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَجِدُهُ الرَّجُلُ وَلَمْ يَجِدْ مِنْ يَنْفَقُهُ عَلَيْهِ .
وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي مَعْنَى الْمَثَلِ الْأَصْلِيِّ :

أَمْرَعَتِ الْأَرْضُ لَوْ أَنَّ مَالًا لَوْ أَنَّ نَوْقًا لَكَ أَوْ جِمَالًا
أَوْ ثَلَّةً مِنْ غَنَمٍ إِمَالًا

أَي : إِنْ كُنْتَ لَا تَجِدُ غَيْرَهَا .

وَمِنَ اللَّطَائِفِ فِي هَذَا مَا أَنْشَدَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيُّ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

فَجُنِبَتْ الْجِيُوشُ أَبَا زُنَيْبٍ وَجَادَ عَلَى مَسَارِحِكِ السَّحَابُ
فَإِنَّ الْبَيْتَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ فِيهِ الدَّعَاءَ لِلْمَذْكُورِ، عَلَى مَا يَبْدُو فِي بَادِيِ الرَّأْيِ، بَأَنْ يُرْزَقَ الْعَافِيَةَ وَالْأَمْنَ وَالْخَصْبَ وَالِدَسَّةَ ؛ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ الدَّعَاءَ عَلَيْهِ بَأَنْ يِفْتَقِرَ وَيُسْلَبَ الْمَالُ، حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ شَيْءٌ تَقْصِدُهُ الْجِيُوشُ عَلَيْهِ وَتَتَوَجَّهَ بِسَبَبِهِ الْغَارَاتُ إِلَيْهِ، وَيَخْصِبُ مَعَ ذَلِكَ مَا حَوَالِيهِ حَتَّى يَكْثُرَ أَسْفُهُ وَحُزْنُهُ إِذْ لَا رَاعِيَةَ لَهُ . وَهَذَا الْوَجْهُ هُوَ الْأَصَحُّ ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَعَارِضِ الْبُلْغَاءِ .

(30) كَذَا فِي كُلِّ الْمَخْطُوطَاتِ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ : بَأَنْ تَعْلَقَ أَمْتَعَتَكَ عَلَيْهِ.

مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ .

المَرَعَى تَقْدَمُ : والسَّعْدَانُ - بوزن سَكْرَان - : نبت شديد الشوك.
وفي الحديث، في وصف جهنم، أعاذنا الله منها، : إِنَّ فِيهَا كَلَالِيْبَ مِثْلَ شَوْكِ
السَّعْدَانِ .

وقيل لرجل من أهل البادية خرج عنها : أترجع إلى البادية ؟ فقال : أمّا ما دام شوك
السعدان مستلقيا فلا ! يعني : لا أرجع إليها أبدا، لأنّ شوك السعدان لا يفارقها .
ويُحكى عن عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، وذكره أبو العباس المبرّد، أنّه
قال : دخلت على أبي بكر، رضي الله عنه، في علته التي مات منها، فقلت : إنّي أراك
بارئاً يا خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ! [فقال⁽³¹⁾] : أما إنّي على ذلك لشديد
الوجع، ولما لقيت منكم، يا معشر المهاجرين، أشد عليّ من وجعي . إنّي وليت أموركم
خيركم في نفسي، فكلّكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه، والله لتتخذنّ نضائد
الديباج وستور الحرير، ولتألمنّ النوم على الصوف الأذريبيّ كما يألم أحدكم النوم على
حسك السعدان ! والذي نفسي بيده، لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حقّ خير له
من أن يخوض في غمرات الدنيا ! يا هادي الطريق جرت إنّما هو الله الفجر أو البحر ! فقلت:
خفّض عليك، يا خليفة رسول الله، فإنّ هذا يهيضك إلى ما بك . فوالله ما زلت صالحا
مصلحا، لا تأسى على شيء فاتك من الدنيا، ولقد تخلّيت بالأمر وحدك فما رأيت إلّا خيرا !
قوله : نضائد الديباج هو الوسائد، جمع نضيدة أي المنضودة، المجموع بعضها إلى
بعض . قال الراجز :

وَقَرَّبْتُ خُدَامَهَا الْوَسَائِدَا حَتَّى إِذَا مَا عَلَوْا النَّضَائِدَا

سَبَّحْتُ رَبِّي قَائِمًا وَقَاعِدًا

والصوف الأذريبي منسوب إلى أذربيجان ؛ وقوله : إنّما هو الفجر أو البحر، يريد : إن
تربصت حتّى يضيء لك الفجر الطريق عرفت قصدك، وإن خبطت الظلماء وركبت متن عشواء
ضللت . وضرب ذلك مثلا للدنيا وتحييرها أربابها .

(31) ساقط من ب.

ويذكر في بعض الأخبار أنّه يؤمر بالكافر يوم القيامة فيُسحب على حسك السعدان .
وهذا النبت من أفضل مراعي الاب، يسمنها ويغذيها غذاء حسناً . قال النّابغة :
الواهبُ المائّةُ الأُبكارَ زَيْنَها سعدانُ توضّحُ في أوبارها اللّبَدَ
ولذلك ضربت به العرب المثل .

وقال أبو علي البصير يمدح عبيد الله بن خاقان وآله :
يَا وَزَرَءَ السُّلْطَانَ أَنْتُمْ وَأَلْ خَاقَانَ
كَبَعْضِ مَا رَوَيْنَا فِي سَالِفَاتِ الْأَزْمَانِ :
مَاءٌ وَلَا كَصَدْيِ مَرْعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ
وهذان مثلان :

ومثلهما قولهم :

فَتَى وَلَا كَمَالِكِ .

وهي كلّها تضرب في الشيء يكون الفضل، وغيره أفضل منه . وسيأتي بقيّتها، إن شاء الله تعالى .

قيك : وأوّل من قال : مَرْعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ، امرأة من طيء تزوّجها امرؤ القيس بن حجر الكندي، وكان امرؤ القيس مفركاً . فقال لها يوما : أين أنا من زوجك الأوّل ؟ فقالت : مَرْعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ ! وكانت هذه المرأة تزوّجها قبل ذلك رجل آخر، فضوّلته على امرئ القيس . قيك : وهذا الرجل هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد، وهو الذي يقال له ذو الجدّين، لأنّه كان له جدّ عند الملوك وجدّ في الحروب . وقيك لأنّه أسر أسريّن شريفيّن كان لهما فداء كثير، ولم يؤسر أحد في زمانه أشرف منهما ولا أكثر فداء، فسمي ذا الجدّين . وإيّاها يعني الحماسي بقوله :

أَيَابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَتَةُ مَالِكِ وَيَابْنَةُ ذِي الْجَدَّيْنِ وَالْفَرْسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ أَكِلَهُ وَحْدِي !

رَعَى فَأَقْصَبَ .

الرّعَى يُتَقَدَّمُ ؛ وَالْقَصَبُ : الْقَطْعُ، ومنه قيك للجزار قَصَّابٌ، لأنّه يقطع

اللَّحْم . ونقول : قصبت البعير وغيره إذا قطعت عليه شربه قبل أن يروى ؛ وقَصَبَ البعير أيضا شربه إذا امتنع منه قبل أن يروى، فهو بعير قاصِب . قال الرازي :
وهُنَّ مَثَلُ الْقَاصِبَاتِ الْقُمَّحِ

وأَقْصَبَ الرجل إذا فعلت إبله ذلك، فيقال : رَعَى فَأَقْصَبَ، مثلاً للراعي المسيء الرَّعْيِي، وذلك أَنَّهُ إذا أساء رعيها، فخلت أجوافها من الكلأ، امتنعت من الشرب إذ لا تشرب على جوع، فكان امتناعها من الماء كناية عن تجويعه إيَّاهَا .

الرُّغْبُ شَوْمٌ والرَّفْقُ يُمْنٌ .

تقدّم معنى هذا المثل عند الكلام على ضدّه، وهو قولهم :

الْخُرْقُ شَوْمٌ .

وتقدّم ذلك في الحديث .

ارْقَ عَلَى ظَلْعِكَ !

يقال : ارق - بفتح القاف، وكسرهما، وبالهمز . أمّا على الأوّل فمن الرُّقْيِ، وهو الصعود .

والمعنى : تكلف ما تطيق، لأنّ الراقي في السُّلَم إذا كان يَظْلَع يَرْفُق بنفسه . ويقال عند أمر الانسان أن يبصر ما فيه من العيب والنقص، ولا يتجاوز الحدّ في وعيده، ويتخطّى المقدار في تهديده .

وأمّا على الثاني فهو من الرُّقْيَةِ، وكأنّك تقول له : لا ظْلَع بي أنا أدأويه وأرقيه، ولكن ارق أنت ما فيك من الظْلَع ! وأمّا على الثالث فمن الرُّقْوَةِ . يقال : رَقَا الدَّمع يَرْقَا إذا سكن، ورقاً بين القوم : أصْلَحَ .

فيحتمل أن يكون من الأوّل، أي : ارفُقْ بنفسك واعمل على ما فيك من ضعف !

أو من الثاني، أي : أصْلِحْ ما فيك من العيب أو لا !

ارْقَ عَلَى ظَلْعِكَ أَنْ يُهَاضَ !

هذا كالذي قبله ؛ والهِضُ أن يكون العظم قد جُبِرَ من كَسَرٍ، ثمَّ يُكْسَرُ ثانيًا .
قال امرؤ القيس :

ويَهْدَأُ تاراتِ سَنَاهُ وتارةً ينوءُ كتعتَابِ الكَسِيرِ المهِيضِ
وقال الآخر :

ومولَى كمولَى الزُّبُرِ قان دملته كما دملت ساق⁽³²⁾ تهاضُ بها وقر⁽³²⁾

يَرْقُمُ الْمَاءَ .

الرَّقْمُ : الكَتْبُ . فيضرب في الاستقامة والحذف . ويقال : فلان يرقم الماء، أي إذا بلغ من حذفه أنه يرقم حيث لا يثبت الرقم . قال أوس بن حجر :
سَأَرْقُمُ فِي الْمَاءِ الْقَرَارَ إِلَيْكُمْ عَلَى نَأْيِكُمْ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ رَاقِمُ
وقد يقال : يرقمُ على الماء لإرادة أنه لا يثبت من عمله على شيء .

رَقَّةٌ يَنْتَجِهَا ذَنْبٌ، خَيْرٌ مِنْ حَسَنَةٍ يَتْبَعُهَا عَجَبٌ .

هذا، فيما أظنّ، مثلك مصنوع، وهو نحو قول الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله في حكمه:
معصيةٌ أورتك ذلاً وانكساراً، خيرٌ من طاعةٍ أو رثتكَ عزّاً واستكباراً .
وليس هذا محلّ تقرير هذا المعنى .

رَكِبَ جَنَاحِي النَّعَامَةِ .

الرُّكُوبُ معروف، رَكِبَ - بالكسر -، رَكُوبًا، الجَنَاحُ للطائر معروف . والنَّعَامَةُ تقدّم ما فيها . وهذا المثل يقال لمن جدّ في أمر، كانهزام أو غيره . قال الشَّعْمَاخُ :
فمن يسعُ أو يركبُ جناحي نعامةٍ ليدركَ ما قدّمت بالأمسِ يُسْبِقُ

(32) البيت لابن الطيّفان الدارمي، ويروى أيضًا هكذا :

ومولَى كمولَى الزُّبُرِ قان دملته كما اندملت ساق⁽³²⁾ يهاضُ بها الكَسَرُ

وهذا الشعر مرثيٌّ به عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في أبيات معروفة .

رَكِبَ ذَنْبَ الْبَعِيرِ .

ذَنْبُ كُلِّ شَيْءٍ - بفتحيتين -: مؤخره، والجمع أذْنَابٌ، والْبَعِيرُ معروف، وتقدّم ذكر مرتبته في أسنان الابل .

ويقال هذا المثل للانسان يرضى بالهُونِ ويقنع بالْحِظِّ الناقص، كالذي لم يجد مستقرًا على ظهر البعير، وإنّما ارتدّ على الذنب . وقول النّابغة :

فإن يهلك أبو قابوسَ يهلكُ ربيعُ النَّاسِ والشَّفرُ الحرامُ
ونأخذ بعدهُ بذنابِ عيشٍ أَجَبُ الظَّهرِ ليس له سَنَامُ
يحتمل أي يريد أنّه تعلّق بعيش صفته ما ذكر، ويحتمل أن يريد مع ذلك أنّه ما تمسك منه إلاّ بالذنب، فيكون من هذا النّمط

رَكِبَ ذَنْبَ الرِّيحِ .

يقال للذي يسبقُ فلا يُدركُ .

رَكِبَ مَتْنَ عَشَوَاءَ .

العشواءُ : الضّعيفة البصر، وهي مؤنّث الأعشى . ومن ركب متنها خبط وخط .
وتقدّم هذا في قولهم : خبطَ خبطَ عشواءَ .

رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلَتْ .

كان سعد بن زيد مناة بن تميم تزوّج رُهمَ بنتَ الخزرج بن تيم الله بن رفيدة بن كلب بن وبرة . وكانت من أجمل النساء، فولدت له مالك بن سعد . وكان ضرائرها إذا سابّنها يَقلُنَ لها : يا عفلاء ! فشكت ذلك إلى أمّها، فقالت : ابْدئيْهنَّ بعفلكِ إذا سَبَبْتَ⁽³³⁾، فأرسلتها مثلاً . ثمّ إنّها سابّتْها واحدةً من ضرائرها

(33) المشهور في هذا المثل : إذا سابّتكِ فابْدئيْهنَّ بعفالكِ، سُبَيْتٌ .

يومًا بعد ذلك، فقالت لها رهم : يا عفلاء ! كما وصَّتها أمَّا . فقالت الضرة حينئذ : رَمَتْنِي بِدَائِهَا وانْسَلَّتْ ! فذهب مثلاً يُضرب في تعييرك صاحبك بعيب هو فيك .

ونحو هذا قول العامة اليوم : قُولِي لَهَا قَبْلَ أَنْ تَقُولَ لَكَ !
 وكان أصله - فيما زعموا - أَنَّ امرأة عوراء سَابَّتْ امرأة فقامت بُنيَّة للعوراء فقالت لأمَّا : يا أمَّ، قُولِي لَهَا : يا عوراء، قبل أن تقول له لك !
 وكان يقال لبني مالك بن سعد بنو العفلاء⁽³⁴⁾، وبهم عَرَضَ المنقري في قوله :
 ما في الدَّوَائِرِ من رَجُلِيٍّ من عَتَلٍ عند الرَّهَّانِ وَلَا أَكْهَى من الْعَفَلِ !
 رَمَاهُ اللَّهُ بِدَاءِ الذَّيْبِ .

دَاءُ الذَّيْبِ هو الجوع، والذيب أصبر السباع على الجوع .

رَمَاهُ اللَّهُ بِأَفْعَى حَارِيَةٍ !

الأفْعَى معروفة . والحَارِيَّةُ : النَّاقِصَةُ . تقول : حَرَى الشَّيْءُ يَحْرِي حَرِيًّا : نقص، وأحراه الزمان، والحارية : الأفْعَى التي نقص جسمها من الكبر، فلم يبق إلا رأسها ونفسها وسمها، وذلك أخبث ما تكون، فدُعِيَ بها .

رَعَاهُ بِأَقْحَافٍ رَأْسِهِ .

الأَقْحَافُ جمع قِحْف - بكسر القاف وسكون الحاء المهملة - وهو العظم فوق الدماغ . ويقال هو ما انفلق من الجمجمة فبان، ولا يقال لجميع الجمجمة قِحْفٌ إلا أن يتكسَّرَ، فيقال للمتكسَّر قِحْفٌ إذا بان . والجمع أَقْحَافٌ وقُحُوفٌ . والمعنى : رماه بالدَّوَاهِي المهلكة . يقال للرجل تُسَكَّتُهُ بداهية توردها عليه .
 وقيل المعنى : رماه بنفسه ونطحه عمًّا يحاوله .

فعلى الأوَّل يكون المعنى أَنَّهُ لما رماه بالدواهي فكأنَّه رماه بأقلاق رأسه، إذ رماه بما

(34) ويقال لهم أيضًا العَفِيلَى.

يؤول إلى ذلك . ويكون الضمير المضاف إليه رأسه للمرمي . فتقول مثلا : رميت زيدا بأفلاف رأسه .

وعلى الثاني يكون المعنى أنه باشر دفاعه بنفسه، فشبه نفسه بالكبش النطاح برأسه، والتعبير بالأقحاف حينئذ للمبالغة بأن كل جزء باشر النطم . والضمير يكون على هذا للرامي، فنقول : رميت زيدا بأقحاف رأسي، والله أعلم .
ومثله قولهم :

رَمَاهُ بِثَالِثَةِ الْأَثَافِي .

قال خفاف بن ندبة :

وإن قصيدة شنعاء مني إذا حضرت كثالِثَةِ الْأَثَافِي

أَرْمَى مِنْ ابْنِ تِقْنٍ .

ابن تِقْنٍ - بكسر التاء المثناة وسكون القاف بعدها نون - رجل كان جيد الرمي يضرب به المثل . قال الرأجز :

يَرْمِي بِهَا أَرْمَى مِنْ ابْنِ تِقْنٍ

وابن تِقْنٍ هذا هو عمرو بن تِقْنٍ الذي قيل فيه : لَا فَتَى إِلَّا عَمْرُو ! وسيأتي إن شاء الله في موضعه مشروحا .

ووقع في الصحاح والقاموس أن التِقْن هو رجل كان راميا جيدا الرمي وكأنه مسامحة . ثم رأيت للشنتمري ، في شرح قول الحماسي :

أَهْلَكَ عَادًا وَقَبْلَهُ أَهْلَكَ طَسْمًا وَذَا جُدُونِ

وَأَهْلَكَ جَاشِرًا وَمَأْرَبٍ وَحَيَّ لِقَمَانٍ وَالتَّقُونِ

قال : التَّقُون جمع تِقْن، وهو رجل من عاد، وفيه قيل : أَرْمَى مِنْ ابْنِ تِقْنٍ .

الْأَرَوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ .

هذا يروى حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الْأَرَوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

وهذا إخبار بأنَّ بين الأرواح تارة تناسبا باطنياً يوجب الالتئام والتوافق، وتارة تباينا يوجب الوحشة والاختلاف بإذن الله تعالى، وهو مشاهد مجرَّب . ومن ثمَّ قال أبو الطيّب :
أُصادق نفسَ المرءِ من قبل جسمِهِ وأعرِفُها في فعلِهِ والتَّكَلُّمِ
وقال [الآخر] :

وقائِلِ لي : لم تفارقتُما ؟ فقلتُ قولاً فيه إنصافُ :
لم يكُ من شكلي ففارقتهُ والنَّاسُ أشكَّالُ والألفُ
وقال طرفة في أبيات :

وأنتِ امرؤٌ منّا ولستِ بخيرنا وأنتِ على الأقصى وأنتِ بخيلُ
وأنتِ على الأدنى شمالُ عريّةُ شاميةُ تزوي الوجهَ بليكُ
وأنتِ على الأقصى صبا غيرُ قرّةُ تذابِ منها ومُرزغُ ومُسيلُ
وأعلمُ علماً ليس بالظنِّ أنّه إذا ذكَّ مولى المرءِ فهو ذليكُ
وأنَّ لسانَ المرءِ ما لم تكنْ له حصةُ على عوراتِهِ لدليكُ
وأنَّ امرءاً لم يعف يوماً فُكاهةُ لِمَن لم يردَّ سوءاً بها لجهولُ
تعارفُ أرواحُ الرِّجالِ إذا التقتُ : فمنهم عدوٌّ يتقى وخليكُ
وقال المجنون :

تعلّقَ روحي روحها قبل خلقنا وقال ابن الرومي :

ذو الودِّ منّي وذو القربى بمنزلةِ وإخوتي أُسوةُ عندي لخِلانِ
أحبةُ جاورتِ آدابُهُم أدبي فهم وإن فرّقوا في الأرض جيرانِي
أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وغدتْ أجسامنا بغيرِاقٍ أو خراسانِ
والشعر في هذا المعنى لا يَحصى . ومثله المثل الآتي :

وَأَفَقَ نَسْنٌ طَبَقَهُ .

اِسْتَرَا حَ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ .

الاستِراحةُ ضدَّ التَّعبِ . تقول : أرَحْتُ الرَّجُلَ فاستراحَ ؛ وإنَّما استراحَ الذي

لا عقل له، لأنَّ النفس إذا خَلَّت إلى الشهوات الحاضرة ولا تُبالي بِعِزَّةٍ، ولا تستنكف عن مَنَقَصَةٍ كالبهيمة، والعقل ينزع بها إلى طلب الكمال والتخلِّي بالحمد والتخلِّي عمَّا يذمُّ . وفي ذلك إيتاعها لجسمها عن مألوفها المسترذل، واقتحام الأخطار بها لاكتساب الثناء والفضل، وإطالة الهموم والأفكار عليها نظراً في عواقب الأمور، واحترازاً عمَّا يشين ويضير . ولذلك قال الحماسي⁽³⁵⁾.

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَاخُوا !
وقال الآخر :

وقائِلَةٌ : لِمَ عَرَّتْكَ الهمومُ وَأَمْرُكَ مُمْتَلِكٌ فِي الْأَمَمِ ؟
فَقُلْتُ : ذَرِنِي عَلَى حَالَتِي فَإِنَّ الهمومَ بِقَدَرِ الهمَمِ !
وسمع الأحنف رجلاً يقول : ما أُبالي أُمِدحت أم هُجيت ! فقال : استرحتَ من حيث تعب الكِرَامِ !

وممَّا ورد في العقل وفضله أنَّ آدم، لمَّا أهبط إلى الأرض، خيَّرَ في ثلاث : الحياة والدين والعقل . فاختر العقل فقال : الحياة والدين أمرانَا أنْ لا نُفَارِقَ العقل.
وورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ثَلَاثٌ مَنْ حُرِمَهُنَّ فَقَدْ حُرِمَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : عَقْلٌ يُدَارِي بِهِ النَّاسَ، وَحِلْمٌ يُدَارِي بِهِ السَّفِيهَ، وَوَرَعٌ يَحْجِزُهُ عَنِ الْمَحَارِمِ.
وفي حكمة داوود عليه السَّلَام : على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، مالِكاً للسانه، مقبلاً على شأنه.

وقال علي رضي الله عنه : لا مالَ أَعُوذُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا فَقْرَ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ، وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْجَهْلِ، وَلَا مُظَاهِرَ أَحْسَنُ مِنَ الْمَشَاوِرَةِ، وَلَا حَسْبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ.
وقال مُطَرَفُ بْنُ الشَّخِيرِ : عَقُولُ النَّاسِ عَلَى قَدَرِ أَرْزَانِهِمْ.
ويقال : ثَلَاثَةٌ تَدُلُّ عَلَى عَقُولِ أَهْلِهَا : الْكِتَابُ وَالرَّسُولُ وَالْهَدْيَةُ.
وذكر المغيرة يوماً عمر فقال : كَانَ وَاللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَخْدَعُ، وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يَخْدَعُ.

(35) هو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جد طرفة بن العبد . وهذا البيت مطلع قصيدة قالها سعد في حرب البسوس الشهيرة.

وفي كتاب كليله ودمنة : رأس العقل التمييزُ بين الكائن والممتنع .
 وقال الحجاج يوما : العاقل من يعرف عيبه . فقال له عبد الملك بن مروان : فما عيبك
 يا حجاج ؟ قال : حسود حقود . فقال عبد الملك : ما في إبليس شرّ من هاتين !
 ويقال : لا دين لمن لا عقل له .

وقال علي رضي الله عنه : لا تؤاخر الأحمق ولا الفاجر . أمّا الأحمق فدخوله عليك
 وخروجه من عندك شين ، وأمّا الفاجر فيزين لك فعله ويودّ أن تكون مثله .
 وقال أيوب بن القرية : العاقل إن نطق أصاب ، وإن سئل أجاب ؛ والأحمق إن تكلم
 عجل ، وإن سئل ذهب . والفاجر إن ائتمنته خانك ، وإن صحبته شاك .
 وقال عمر بن عبد العزيز : لا يعدم الأحمق خصلتين : كثرة الالتفات وسرعة الجواب .
 وقال الحسن : هجر الأحمق قربة . وقال : لا يتمّ دين امرئ حتّى يتمّ عقله .
 وفي الحكمة : ينبغي للعاقل أن يتمسك بستّ خصال : أن يحوط دينه ، ويصون
 عرضه ، ويصل رحمه ، ويحفظ جاره ، ويرعى إخوانه ، ويخزن عن البذاء لسانه . ويقال :
 الفقر بالعقل ، والرزق بالجهل .

وحكي أنّه قيل لعيسى عليه السلام : ياروح الله ، تبرئني الأكهم والأبرص وتحيي
 الموتى ، فما دواء الأحمق ؟ قال : ذلك أعياني ! وكان كسرى إذا غضب على عاقل سجنه
 مع جاهل .

وقال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين ، وإن كانوا عقلاء : الغضبان والغرثان والسكران .
 وفي الخبر : العاقل إن تكلم غنم ، وإن سكت سلم .

وممّا ينسب لعلي رضي الله عنه :

يُقَاسُ المَرءُ بِالمَرءِ	إِذَا المَرءُ مَاشَاهُ
فَلَا تَصْحَبْ أَخَا الجَهْلِ	وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى	حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
وَلِلشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ	نَظَائِرٌ وَأَشْبَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ	دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

ولصالح بن عبد القدوس :

وَلَا نَ يُعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
فَآرِبًا بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادَقَ أَحْمَقًا
مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ !
ولغيره :

عَدُوُّكَ ذُو الْعَقْلِ أَبْقَى عَلَيْكَ
وَأَجْدَى مِنَ الصَّاحِبِ الْأَحْمَقِ
ولغيره :

قَدْ عَرَفْنَاكَ بِاخْتِيَارِكَ إِذْ كَانَ
دَلِيلًا عَلَى اللَّيْبِ اخْتِيَارُهُ
وَلَا تَلْقَهُمُ بِالْعَقْلِ إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ !
تَحَامَقَ مَعَ الْحَمَقِ إِذَا مَا لَقَيْتَهُمْ
ولآخر :

إِنْ جِئْتَ أَرْضًا أَهْلُهَا كُلُّهُمْ
عُورٌ فَغَمَضْ عَيْنَكَ الْوَاحِدَةَ !
وقال هشام بن عبد الملك : يُعرف الأحمق بأربع : طول اللحية، وشناعة الكنية، ونقش
الخاتم، وإفراط الشهوة.

ودخل عليه يوما رجل طويل اللحية فقال : انظروا فيه غيرها ! فسئل عن كنيته فقال : أبو
الياقوت . ففيل : وما نقش خاتمك ؟ قال : وَجَأَوْا عَلَيَّ قَمِيصِهِ بَدَمٍ كَذِبٍ .
ويُحكى مثل هذه القصة عن معاوية وأنها وقعت له مع رجل، إلا أنه قال في الكنية:
أبو الكوكب الدرّيّ، وفي نقش الخاتم : وتفقد الطير . وتقدّم شبه هذا للمأمون العباسي
مع آخر، في حرف التاء.
وقيل :

أَلَا إِنَّ عَقْلَ الْمَرْءِ عَيْنَا فُؤَادِهِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلٌ فَلَنْ يُبْصِرَ الْقَلْبُ
آخر :

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفُ فُؤَادِهِ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ !
وسياتي من أجوبة الحمقى ومضحكاتهم شيء كثير.

أَرَادَ بَيُّضَ الْأَنْوَقِ !

يُضْرَبُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْمَمْتَنِعِ . وَتَقْدَّمَ فِي الْبَاءِ وَمَا فِيهِ.

أَرَدْتُ عَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ خَارِجَةً !

كثيراً ما يُتَمَتَّلُ به عندما تقصد إيقاع شيء ثم لم يتَّفَقْ لك وأوقعت شيئاً آخر مكانه . وهو من كلام أحد الخوارج الذي أرسلوه إلى مصر ليقتل عمرو بن العاصي، حيث اتفقوا على قتله وقتل أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ومعاوية رضي الله عنه. فذهب إلى كل واحد من الثلاثة من يقتله . فأماً علي كرم الله وجهه فقتل وفاز ؛ وأماً معاوية فأصيب ونجا وقال في ذلك :

نَجَوْتُ وَقَدْ بَلََّ الْمُرَادِيُّ سَيْفَهُ من أبْنِ أَبِي شَيْخٍ الْأَبَاطِحِ طَالِبِ
وأماً عمرو فاستخلف خارجة المذكور، فنجا وقتل خارجة . فقال القاتل : أَرَدْتُ عَمْرًا
وأراد الله خارجة، أي أردت قتل عمرو فلم يتَّفَقْ إذ لم يرده الله تعالى، وأراد الله أن أقتل خارجة، فوقع ما أراد الله تعالى :

فَمَا شِئْتُ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ وما شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
والقصة مشهورة فلا نطيل بها.

وما أحسن قول ابن عبدون في قصيدته :

وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَتْ عَمْرًا بخارجة فَدَتْ عَلِيًّا بما شَاءَتْ من البشر !

رُوِيَِدَ الْغَزْوُ يَنْمَرُقُ !

رُوِيَِدَ : مهلاً، وهو مصغر رَوَدَ . يقال : أَرَوَدَ الرجلُ إِرْوَادًا وَمَرَوَدًا ورُوِيَِدَ إذا رَفَقَ . ويكون لفظ رُوِيَِدَ على أوجه : اسم فعل أمر بمعنى أمهل، وتدخل عليه الكاف، نحو : رُوِيَِدَ زيدًا، ورُوِيَِدَ كَنِيي ؛ وصفة، نحو : سار سيرًا رويِدًا ؛ وحالا، نحو : سار القوم رويداً، وهو محتمل لما قبله ؛ ومصدرا، نحو : رويِدَ زيدٌ، بالاضافة. والغزو معروف . وهو إمَّا منصوب إن جعل رويِدَ اسم فعل، أو مجرور إن جعل مصدرا . والمَرُوقُ : الخروج . يقال : مرقَ السَّهْمُ وغيره، أي خرج.

وفي الحديث : يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ .

والمراد هنا خروج الولد . كانت امرأة تغزو، فحبلت، فذكر لها الغزو فقالت : رُوَيْدُ
الغَزْوِ يَنْمَرُقُ ! أي أمهل الغزو حتى يخرج الولد !

رُوَيْدًا يَعْدُوَانِ الْجَدَدَ !

العَدَاءُ : المجاورة . والجددُ من الأرض خلاف الوعث . وتقدّم هذا المثلث من كلام
قيس بن زهير في رهان بينه وبين بني بدر . والضمير في يَعْدُوَانِ للفرسين
المُجْرِيَيْن .

رُوَيْي جَعَار .

الرَّوْغَانُ : الحيدودة . يقال : راغ الرجل، وراغ الثعلب - بالغين المعجمة - يروغ
رَوْغًا إذا مال وحاد عن الشيء ؛ وجعار علمٌ على الضبع، وتقدّم ما فيه . وقد يقال
رُوَيْي جَعَار وانظر أين المفر⁽³⁶⁾ . يضرب في فرار الجبان، أو للذي يهرب ولا يقدر أن
ينفلت .

أرُوغٌ من ثُعَالَةٍ .

ثُعَالَةٌ - بالضم - اسم لجنس الثعلب، معروفة ؛ ورَوَّغَانُ الثعلب في غاية الخفة
والسرعة . فضرب به المثل . يقال : أرُوغٌ من ثُعَالَةٍ ، وأرُوغٌ من ثُعَلْبٍ، وراغ
رَوَّغَانُ الثُعَلْبِ . قال الشاعر :

فاحتلت حين صرفتني	والمرء يعجز لا محاله
والدهر يلعب بالفتى	والدهر أرُوغٌ من ثُعَالَةٍ
والمرء يكسب ماله	والشم يورثه الكسالة
والعبد يقرع بالعصا	والحر تكفيه المقالة ⁽³⁷⁾

وقال الآخر في الثعلب :

(36) هكذا في كل المخطوطات . والمعروف في نص هذا المثلث : «رُوَيْي جَعَار وانظري أين المفر» .

(37) حرفت «المقالة» في د، فكتبت «الملاة» .

وَكُلُّ خِلٍّ لِي خَالَتُهُ لَا تَرَكَ اللَّهَ لَهُ وَاضِحَهُ
 كُلُّهُمْ أَرْوَعُ مِنْ ثَعْلَبٍ مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ !
 وَيُحْكِي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ يَوْمًا وَهُوَ عَلَى الْمَنبَرِ : إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا
 رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا وَلَمْ يَرَوْغُوا رَوَّغَانَ الثَّعْلَبِ .

وَلَمَّا هَزَمَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ عَبْدَ رَبِّهِ الْأَصْغَرَ وَأَجْلَى قَطْرِيًّا حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ كَرْمَانَ
 نَحْوِ أَرْضِ خَرَّاسَانَ، أَوْفَدَ عَلَى الْحَجَّاجِ كَعْبَ بْنَ مَعْدَانَ الْأَشْقَرِيَّ⁽³⁸⁾ . فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ :
 كَيْفَ كَانَ مُحَارَبَةُ الْمُهَلَّبِ لِلْقَوْمِ ؟ قَالَ : كَانَ إِذَا وَجَدَ الْفُرْصَةَ سَارَ كَمَا يَسُورُ اللَّيْثُ، وَإِذَا
 دَهَمَتْهُ الطُّحْمَةُ رَاغَمَ كَمَا يَرَوِّغُ الثَّعْلَبُ، وَإِذَا مَادَّهُ الْقَوْمُ صَبَرَ صَبْرَ الدَّهْرِ . قَالَ : وَكَيْفَ
 كَانَ فِيكُمْ ؟ قَالَ : كَانَ لَنَا مِنْهُ إِشْفَاقُ الْوَالِدِ الْحَدِيبِ، وَلَهُ مَنَاطَاعَةُ الْوَلَدِ الْبَرِّ . قَالَ : فَكَيْفَ
 أَفْلَتَكُمْ قَطْرِي ؟ قَالَ : كَادَنَا بِبَعْضِ مَا كَدَّنَاهُ بِهِ، وَالْأَجَلَ أَحْصَنَ جُنَّةً وَأَنْقَذَ عُدَّةً .
 قَالَ : فَكَيْفَ اتَّبَعْتُمْ عَبْدَ رَبِّهِ وَتَرَكْتُمُوهُ ؟ قَالَ : أَثَرْنَا الْحَدَّ عَلَى الْفَلَكَ، وَكَانَتْ سَلَامَةُ
 الْجَنْدِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ شَجَبِ الْعَدُوِّ . فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : أَكُنْتَ أَعَدَدْتَ هَذَا الْجَوَابَ قَبْلَ
 لِقَائِي ؟ قَالَ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ !
 قَوْلُهُ : شَجَبَ الْعَدُوَّ، أَيُّ هَلَاكِهِ . يُقَالُ شَجَبَ الرَّجُلُ يَشْجُبُ شَجْبًا . قَالَ أَمْرُو
 الْقَيْسِ :

وَقَالَتْ : بِنَفْسِي شَبَابٌ لَهُ وَلِمَتُّهُ قَبْلَ أَنْ يَشْجُبَ

الرَّأْيِيَّةُ أَحَدُ الْهَاجِجِينَ .

يُقَالُ : رَوَّى الشَّعْرَ - بِالْفَتْحِ - يَرَوِّيه، فَهُوَ رَاوٍ، وَرَأْيِيَّةٌ - بِزِيَادَةِ الْهَاءِ لِلْمُبَالَغَةِ -، كَمَا
 فِي مُدْرَكَةِ وَعَلَامَةٍ، وَرَوِّيتُهُ أَنَا تَرَوِّيَّةٌ . وَالْهَجْوُ وَالْهَجَاءُ مَعْرُوفٌ .
 وَيَعْنُونَ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّ مَنْ رَوَّى الْهَجْوَ وَأَشَاعَهُ فِي النَّاسِ فَهُوَ كَمَنْ قَالَهُ أَوَّلًا، فَيَكُونُ
 أَحَدَ الْهَاجِجِينَ، كَمَا يُقَالُ فِي الْغَيْبِيَةِ إِنَّ الْمُسْتَمَعَ شَرِيكُ الْقَائِلِ إِذَا لَمْ يُنْكِرْ وَلَا عَذْرَ،
 فَكَيْفَ بَمَنْ يَحْكِي وَيَأْتِرُهُ ؟ كَمَا قِيلَ :

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوُّهُ وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْمُبْلَغُ !

(38) حرف «الاشقري» في د فكتب : «الاشعري».

ولأجل ما وقع للنَّابغة الذبياني في بني سيار، وكان النَّابغة قد نهى قومه أن يتربَّعوا حمى النعمان بن الحرث الغسَّاني، فعصوه، وتربَّعوه، فأغار عليهم . وقال النَّابغة في ذلك :

لقد نهيتُ بني ذُبْيَانَ عن أَقْرَرٍ وعن تربُّعِهِمْ في كُلِّ أَصْفَارٍ
وقلتُ : يا قومُ إِنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ على براثينه لوثْبَةُ الضَّارِي⁽³⁹⁾
وهي قطعة مشهورة، منها :

إِما عَصَيْتُ فَإِنِّي غَيْرُ مُنْقَلِتٍ مِنِّي اللَّصَابُ فجنبنا حرَّةَ النَّارِ⁽⁴⁰⁾
أو أَضَعُ البَيْتَ فِي سِوَاءِ مُظْلَمَةٍ تَقْيِدُ الْعَيْرِ لَا يَسْرِي بِهَا السَّارِي⁽⁴¹⁾
يريد أَنَّهُ يلجُ الشَّعَابَ الضَّيْقَةَ أو المَهَامَةَ الفَيْحَ حتَّى لَا يصلَ إِلَيْهِ الْجَيْشُ، ثُمَّ إِنَّهُ لم يفعل ذلك حتَّى أَصَابَتْهُ الْغَارَةُ مع قومه وَأُسِرَ بَعْضُ أَهْلِهِ فِيمَنْ أُسِرَ . فقال في ذلك بدر بن حَزَّاز الْفَزَارِيُّ يَعِيْرُ النَّابِغَةَ :

أَبْلَغُ زِيَادًا وَحِينَ الْمَرْءِ مُدْرِكُهُ وَإِنْ تَكَيَّسَ أَوْ كَانَ ابْنُ أَحْذَارِ^(41م)
اضْطَرَّكَ الْحِرْزُ مِنْ لَيْلَى إِلَى بُرْدٍ تَخْتَارُهُ مَعْقَلًا عَنْ شَجٍّ أَعْيَارِ
حَتَّى لَقَيْتَ ابْنَ كَهْفِ اللُّؤْمِ فِي لَجْبٍ يَنْفِي الْعَصَافِيرَ وَالْغَرِبَانَ جَرَّارِ
فَالآنَ فَاسْمَعْ بِأَقْوَامِ غَرَرْتَهُمْ بَنِي ضَبَابٍ وَدَعْمُ عَنْكَ ابْنُ سِيَّارِ
قَدْ كَانَ وَافِدَ أَقْوَامٍ فَجَاءَ بِهِمْ وَانْتَاشَ عَيْنَيْهِ مِنْ أَهْلِ ذِي قَارِ !
ثُمَّ إِنَّ النَّابِغَةَ بَلَغَهُ أَنَّ زَبَانَ وَخَزِيمَةَ ابْنَيْ سِيَّارِ أَهْلَانَا بَدَرَا وَرَوِيَا شَعْرَهُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :
أَلَا مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي خَزِيمًا وَزَبَانَ الَّذِي لَمْ يَرَعْ صِهْرِي ؟
فَإِيَّاكُمْ وَعُورًا دَامِيَاتٍ كَانَ صَلَاةً هُنَّ صَلَاةُ جَمْرِ !
فإِنِّي قَدْ أَتَانِي مَا صَنَعْتُمْ وَمَا رَشَحْتُمْ مِنْ شِعْرِ بَدْرِ
فَلَمْ يَكُنْ نَوْلُكُمْ أَنْ تُشَقِّدُونِي وَدُونِي عَارِبٌ وَبِلَادُ حَجَرِ⁽⁴²⁾

(39) فِي الدِّيَوَانِ : «... لَعْدُوَةُ الضَّارِي».

(40) فِي الدِّيَوَانِ : فَإِنْ عَصَيْتُ...

(41) فِي الدِّيَوَانِ : فَمَوْضِعُ الْبَيْتِ فِي سِوَاءِ مُظْلَمَةٍ تَقْيِدُ الْعَيْرِ عَنْ شَدٍّ وَتَكَارُرِ

41 م) فِي الْمَخْطُوطَاتِ «ابْنُ حَرَارٍ» وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الْمَرْصُوعِ لَا بَيْنَ الْأَثِيرِ .

(42) فِي الدِّيَوَانِ : «... وَجِبَالُ حَجَرٍ».

فَإِنَّ جَوَابَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلَمْ بِأَنْفُسٍ مِنْكُمْ وَوَفَّرَ⁽⁴³⁾
وَمَنْ يَتَرَبَّصِ الْحَدَثَانَ تَنْزِلُ بِمَوْلَاهُ عَوَانٌ غَيْرُ بَكْرٍ⁽⁴⁴⁾

رَوَّحَزَمُ، فَإِذَا اسْتَوْضَحْتَ فَاعْزِمُ !

يقال : رَوَّيْتُ فِي الْأَمْرِ - بالتضعيف :- نظرتُ فيه وَتَفَكَّرْتُ، وَالْحَزَمُ وَالْحَزَامَةُ : ضبط الأمر والأخذ فيه بالقوَّة والجدّ . يقال : حَزَمَ الرَّجُلُ - بالضم - يَحْزِمُ حِزَامَةً فهو حازم . واستيضاحُ الشيء : استكشافه أو جعله واضحا . والعزم معروف..
ومعنى المثل أَنَّ مِنْ حَزَمِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَرَوَّى فِي الْأَمْرِ وَيَتَفَكَّرُ فِي مَجَارِيهِ وَعَوَاقِبِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَهُ، حَتَّى إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مَحْمُودٌ فَلْيَقْدَمْ عَلَيْهِ بِعِزْمٍ وَلَا يَتَوَانٍ فِيهِ حَتَّى يَدْرِكَهُ فَتَوَرُّ فَيَتَعَطَّلُ .

أَرْوَى مِنْ نَمْلَةٍ .

يقال : رَوَّى مِنَ الْمَاءِ - بالكسر - يَرْوِي رَيًّا، فهو رَيَّانٌ، وَالنَّمْلَةُ وَاحِدَةُ النَّمْلِ، وهو معروف . وَإِنَّمَا وُصِفَ بِالرَّيِّ لِأَنَّهَا تَكُونُ فِي الْفُلُوتِ فَلَا تَرُدُّ الْفُلُوتِ، وَهَذَا مِنَ الْمَجَازِ .

أَرْوَى مِنْ نَعَامَةٍ .

النَّعَامَةُ مَعْرُوفَةٌ، وَتَقْدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا . وَوُصِفَ بِالرَّيِّ أَيْضًا لَمَّا يَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّهَا لَا تَشْرَبُ الْمَاءَ وَلَا تَطْلُبُهُ، وَإِنْ رَأَتْهُ شَرِبَتْهُ عِبْثًا .

رَهْبُوتَى خَيْرٌ مِنْ رَحْمُوتَى .

الرَّهْبُ : الْخَوْفُ . يقال : رَهَبَ - بالكسر - رَهْبَةً وَرَهْبًا - بالضم - وَالْفَتْحُ - وَرَهْبًا - بفتحيتين - وَالاسْمُ مِنْهُ الرَّهْبَاءُ - بِالْمَدِّ - وَالْقَصْرُ مَضْمُومًا وَمَفْتُوحًا . وَيُقَالُ رَهْبُوتٌ - بزيادة تاء للمبالغة - كَمَلْكُوتٍ، وَرَهْبُوتَى - بِالْفِ مَقْصُورَةٌ -، وَالرَّحْمَةُ :

(43) فِي آخِرِ الشُّطْرِ الْأَوَّلِ بِالْأَدْيَانِ : «....مَعَ كُلِّ رَكْبٍ» .

(44) فِي الدِّيَوَانِ : «....يَنْزِلُ بِسَاحَتِهِ عَوَانٌ....» .

وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ بِغَيْرِ هَذَا التَّرْتِيبِ فِي الدِّيَوَانِ، فَلْتَرَجِعْ .

العطف والبرقة، رَحِمَهُ - بالكسر - رحمة، ورُحِمَا - بالضم - وبضمَّتَيْن - ومرحمة ؛
والرَّحْمَت من الرحمة استعمل للازدواج .

والمعنى أنك أن ترهب خير لك من أن تُرحم، لأنَّ المرهوب عزيز ممتنع، والمرحوم
بِمَحَلِّ عُدوان العادين .

تَرْبَعُ وَتَدْسَعُ

وممَّا يلتحق بهذا الباب قوله صَلَّى الله عليه وسلَّم في خطبته يروى عن ربِّه تعالى
يَقُولُ لِعَبْدِهِ : أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا وَأَفْضَلَ عَلَيْكَ، فَمَاذَا قَدَّمْتَ ؟ وفي
رواية : أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا وَجَعَلْتُكَ تَرْبَعُ وَتَدْسَعُ ؟ فقلوه : تربع وتدسع
تمثيل . وأصله في الرئيس من العرب كان يربع قومه، أي يأخذ المرباع وهو ربع
المغنم إذا غزوا ؛ ويدسع، أي يعطي الدَّسِيعَة وهي العطية . ومنه قولهم : فلان ضَخَمَ
الدَّسِيعَة .

وقولهم :

رَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدْتِهِ .

أي رجع في الطريق الذي جاء منه . ويقال أيضا : رَجَعَ فِي عَوْدِهِ وَبَدْتِهِ، وفي
عَوْدَتِهِ وَبَدَّتَتِهِ، وَعَوْدًا وَبَدَاءً .
وقولهم :

مَرْحَبًا وَسَهْلًا .

أي صادفت سعة . ويقال أيضا : مَرْحَبَكَ اللَّهُ وَمَسْهَلَكَ ! وَمَرْحَبًا بِكَ اللَّهُ
وَمَسْهَلًا ! وقولهم في الایعاد والتهديد :

رَعَدَ فُلَانٌ وَبَرََقَ .

وتقدَّم ما فيه .

وقولهم :

ارْقَعْ مَا أَوْهَيْتَ !

أي أصْلِحْ ما أفسدتَ . وأصله في السقاء ونحوه إذا أَوْهَاهُ، أي خرّقه رقعته .

وقولهم :

رَكِبَ فُلَانٌ عُرْعُرَهُ،

أي ساء خلقه . والعُرْعُرُ ما بين المنخرين، وعُرْعُرَةُ الأنف : أعْلَاهُ . وكذا عُرْعُرَةُ الجبل وعُرْعُرَةُ السَّنام . كلٌّ ذلك بضمّ العين . وهذا مثلك قولهم :

رَكِبَ رَأْسَهُ .

وقولهم :

رَمَاهُ بِالذَّرْبَيْنِ،

أي بالشَّرِّ والخِلاف . (45)

وقولهم :

رُوِيَ الشَّعْرَ يَغِيبُ !

يقال : غِبَّ الرجل وأغْب إذا بات . (46)

ومن الأمثال الجارية على الألسن قولهم :

رُبَّ حِيلَةٍ، أَنْفَعُ مِنْ قَبِيلَةٍ .

ولنذكر في هذا الباب من الأمثال الشعرية ما تيسر وما جرى على مثالها، وانتسج على منوالها

(45) في لسان العرب : ويقال : اتَّقَى بَيْنَهُمُ الذَّرْبَ، أي الاختلاف والشَّرَّ.

(46) ذكر الميداني (1 : 288) لهذا المثل معنيين : (1) دع الشعر حتى تأتي عليه أيام فتتظر كيف خاتمته أيحمد أم يئذم، (2) دع الشعر يتأخر عن الناس حتى لا يملّوه.

قال البارقي :

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْأَيَابِ الْمُسَافِرُ

وقبله :

وَحَلَّتْ سُلَيْمَى فِي هَضَابٍ وَأَيْكَةٍ فَلَيْسَ عَلَيْهَا يَوْمَ ذَلِكَ قَادِرُ

قيك : كان يزيد بن عبد الملك يقول : ما يَقِرُّ عيني بما أُوتيت من الخلافة حتى أشتري سلامة وحبابة - جاريَتان لبعض أهل الحجاز - حتَّى اشتريتا له . فلمَّا اجتمعتا في ملكه قال : أنا اليوم كما قال الشاعر : فَأَلْقَتْ عَصَاهَا... (البيت) . ثمَّ قال : ما يشاء بعدُ من أمور الدنيا فَلْيَفْتِنِي.

ويقال لمَّا بُويع لأبي العباس السفاح قام خطيباً، فسقط القضيب من يده فتطير من ذلك . فقام رجل وأخذ القضيب ومسحه ودفعه إليه وأنشد : فَأَلْقَتْ عَصَاهَا... (البيت).

وقيل إنَّ قُتَيْبَةَ بن مسلم لمَّا قدم والياً على خراسان رَقِيَ المنبر ليخطب، فسقطت المخصرة من يده فتطير من ذلك . فقام بعض الأعراب فمسحها وناولها إيَّاهَا وقال : أيَّها الأمير، ليس كما ظنَّ العدوَّ وساء الصديق، ولكنَّه كما قال الشاعر : وَأَلْقَتْ عَصَاهَا... (البيت) ! فسُرِّي عنه . وقيل هو القائل ذلك.

ومثلك هذا ما روي أنَّ خالد بن يزيد لمَّا دخل الموصل والياً عليها اندقَّ منه اللواء في بعض أبوابها، فتطير من ذلك، فبادره أبو الشمقمق، وكان معه، قائلاً :

مَا كَانَ مَنْدَقُ اللَّوَاءِ لَطِيرَةً تَخْشَى وَلَا سُوءٌ يَكُونُ مُعْجَلًا

لَكِنْ هَذَا الرُّمْحُ أَضْعَفُ مَتْنَهُ خَطَرُ الْوَلَايَةِ وَاسْتَقْلُ الْمَوْصِلِ

فسرَّى عن خالد، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون، فزاده ديار ربيعه، فأعطى أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم . ومثلك ذلك ما حكى أنَّ طاهر بن الحسين لمَّا خرج لقتال علي بن عيسى بن ماهان وفي كُمِّه دراهم يفرِّقها على الضعفاء، وغفل عنها فأُسبِلَ كُمُّه فتبدَّدت، فتطير بذلك . فأنشده شاعر كان معه :

هَذَا تَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ لَا غَيْرُهُ وَذَهَابُهَا مِنْهُ ذَهَابُ الْهَمِّ

شَيْءٌ يَكُونُ الْهَمُّ نِصْفَ حُرُوفِهِ لَا خَيْرَ فِي إِمْسَاكِهِ فِي الْكُمِّ

والعرب ضربت المثل بإلقاء العصا في الاستقرار، والراحة من الأسفار، ولذلك قال حبيب :
كريمٌ إذا ألقى عصاهُ مخيمًا بأرضٍ فقد ألقى بها رحله المجدُ
وقال ابن عنيْن :

ولمّا استقرت في ذراه بي النوى تنصّل دهرِي واستراحت من الوجى
وألقت عصاها بين مُزدحم الوفد قلوصي ونامت مُقلتي وعلا جدِي

وقال عمارة اليمني :

إنّ الكفالة والوزارة لم تزلْ كانت مُسافرةً إليكَ وتُبْعِدْ
حتّى إذا نزلت عليك وشاهدتْ ألقّت عصاها في ذراه وعُريتْ
يُومى إليكَ بفعلها وتُشارُ الأخطارَ ما لم تُركبِ الأخطارُ
ملكًا يزينُ الملك منه سوارُ عنها السروجُ مُحطّتِ الأكوارُ

وقال صرّدر :

على رسلِكُم في الهجر إنّ عصابةً سواءٌ على المُشتاقِ والعجزِ حظّها
إذا ظفرت بالحُبّ ضلّ ضميرها ألقّت عصاها أم أجدّ بكورها

وقال أيضا :

أنعمت في نَعْماءٍ مُطمئنّنه ألقّت عصاها وارتمت ركبها
تحكّم الفؤاد في أطرافه في سُرر الوادي وفي شعافه

وقال الحسين بن إبراهيم :

ألا ليت شعري هل أقولنّ مرّةً ومالي إلى باب المُحبّ حاجةً
وقد سكنتُ ممّا أجُنّ الضمائرُ فألقت عصاها واستقرّ بها النوى
وما بي عمّا يخفّضُ العرضَ زاجرُ كما قرّ عينا بالايابِ المسافرُ

وقال الآخر :

إذا لم ير الانسانُ عندَ قدومه فاقسمْ ما ألقّت عصاها يدُ النوى
مُحيّاك مثك البدر والبدرُ سافرُ ولا قرّ عينا بالايابِ المسافرُ

وقال كليب بن ربيعة، أو طرفة :

يا لَكَ من قُبيرةٍ بمعمَرٍ خلا لكِ الجوُّ فيبيضي واصفري
ونَقْري ما شئتِ أن تَنَقْري !

وتقدّم ذكر هذا وما فيه .

وقال المجنون :

أمرُّ على الدِّيارِ ديارِ ليلي وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفَن قَلْبِي
أَقْبَلُ ذا الجدارِ وذا الجدارِ ولكن حُبُّ من سَكَن الدِّيارِ
وتقدّم ما يشبهه في حرف الباء .
ومثله أيضًا قول الآخر :

فإن تدعي نجدًا أدعُهُ ومن به وقبل هذا البيت :

سقى دمنتين ليس لي بهما عهد فيا ربوة الرّبّعين حيّيت ربوة
بحيث التقى الدّاراتُ والجرمُ الكُبدُ قضيت الغواني غير أن مودة
على النّأي منّا واستهلك بك الرّعدُ إذا ورد المسواك ظمآن بالضّحى
لذلفاء ما قضيت آخرها بعدُ وألّين من مسّ الرّخامات يلتقي
عوارض منها ظكّ يَخْصُرُهُ البردُ جرى نائباتُ الدّهرِ بيني وبينها
بمارنِه الجاديّ والعنبرُ الوردُ فإن تدعي نجدًا... (البيت)

وبعده :

وإن كان يومُ الوعدِ أدنى لقائنا وقال تأبّط شراً :

وأبّتُ إلى بهمٍ وما كِدْتُ أثبًا وكم مثلها غادرتها وهني تصفرُ !
والشطر الثاني مثلك سائر في عدم الاكتراث بالشيء .

ومن لطائف شرف الدين الحلاوي أنّه أنشد بين يديه لغز في الشبابة، وهو :

وناطقة خرساء بادر شحوبها تكلّفها عشرٌ وعنهنّ تُخبرُ
يلدُّ إلى الأسماح رجعٌ حديثها إذا سُدَّ منها منخرٌ جاش منخرُ

وهذا الشطر الأخير لتأبَّط شراً أيضاً ضمَّته، فأجاب في الحال :
 نهاني النُّهى والشَّيبُ عن وصلِ مثْلِها وكَم مثْلِها فارقَتْها وهيَ تصفِرُ !
 فضمَّنْ تضميناً حسناً ونقل المعنى إلى الشَّبابَةِ، فوقعت لفظةُ « تصفِرُ » أحسن موقعٍ .
 وقال الآخر :

كَم تركَ الأوَّلُ للآخر !

وهو مثلك مشهور ضمَّته أبو تمام في قوله :

يقول مَنْ تَقَرَّعُ أَسْماعُهُ : كَم تركَ الأوَّلُ للآخر !
 أو هو المختَرع .

وضدَّه قول الآخر :

لَمْ يَدْعَ مَنْ مَضَى الَّذِي قَدْ غَبَرَ
 فَضَلَ عِلْمَ سَوَى أَخَذَهُ بِالْأَثَرِ

وقال الآخر :

سَوْفَ تَرَى إِذَا انْجَلَى الْغُبَارُ أَفْرَسَ تَحْتَكَ أَمَّ حِمَارُ
 غَيْرُهُ :

فِيَا عَطَشَى وَالْمَا الزَّلَالُ أَخُوْضُهُ وَيَا وَحْشَتِي وَالْمُؤَنِّسُونَ كَثِيرُ !

وقال بعض الأعراب :

دَبَبَتْ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَّغُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَالْقَوَا دُونَهُ الْأَزْرَا
 وَكَابَدُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدُ مَنْ وَافَى وَمَنْ صَبَّرَا
 لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ أَكَلِهِ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا !

وقال الأخطل :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ دُونَ النَّسَاءِ وَإِنْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ
 حَكَى أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ أَنَّ صَاحِبَ الْيَمَنِ بَعَثَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
 بِجَارِيَةٍ وَكَتَبَ مَعَهَا : إِنِّي وَجَّهْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِجَارِيَةٍ اشْتَرَيْتَهَا بِمَالٍ عَظِيمٍ وَلَمْ يَرِ
 مِثْلَهَا . وَكَانَ ذَلِكَ وَقْتُ مُحَارَبَتِهِمْ لِابْنِ الْأَشْعَثِ . فَلَمَّا دَخَلَ بِالْجَارِيَةِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، رَأَى
 وَجْهَهَا جَمِيلًا وَخَلَقًا نَبِيلًا . فَأَلْقَى إِلَيْهَا قَضِيْبًا كَانَ فِي يَدِهِ، فَكَسَتْ لِتَأْخُذَهُ فَرَأَى مِنْ جِسْمِهَا

ما بهره . فلمّا همّ بها أعلمه الآن أن رسول الحجّاج بالباب . فأذن له ونحّى الجارية، فأعطاه كتابا من عبد الرحمان بن الأشعث فيه سطور أربعة :

سائل مجاور جرم هل جنّيت لهم حربا تزيك بين الجيرة الخُلط ؟
وهل سموت بجرار له لجب جم الصّواهل بين الحمّ والفرط ؟
وهل تركت نساء الحي ضاحية في صاحة الدّار يستوفدن بالقنط
وتحتّه :

قتل الملوك وسار تحت لوائه شجر العرّى وعراعر الأقسام
فكتب إليه عبد الملك كتابا وجعل في طيه جوابا لابن الأشعث :

ما بالك من أسعى لأجبر كسره حفاظا وينوي من سفاخته كسري⁽⁴⁷⁾ ؟
أظنّ خطوب الدّهر بيني وبينهم ستحملهم مني على مركب وعر
واني وإياهم كمن نبّه القطا ولو لم تُنبّه باتت الطّير لا تسري
أناة وحلما وانتظارا بهم غدا وما أنا بالواني ولا الضّارع الغمر
قال : ثمّ بات يقلب كفّ الجارية ويقول : ما أهدت فائدة أحبّ إليّ منك ! فتقول : ما بالك
يا أمير المؤمنين، وما يمنعك ؟ فقال : ما قاله الأخطل لاني ان خرجت منه كنت ألام العرب :
قوم إذا حاربوا... (البيت)

فما إليك سبيل أو يحكم الله بين وبين عدوّ الرحمن [بن الأشعث . فلم يقربها حتّى قتل
عبد الرحمن]⁽⁴⁸⁾
وقال الآخر :

الله يشكر ما منّنت به إذ كان يقصر دونه شكرى
غيره :

إلهي زد في عمري من حياتنا وأعمارنا حتّى يطول له العمر !
غيره :

أبى الله تدبير ابن آدم نفسه وأن لا يكون المرء إلاّ مُدبرا

(47) كذا في كل المخطوطات، وهو غير مستقيم وزنا، ولعل الصواب : حفاظا وينوي...
(48) ما بين معقوفتين ساقط من به.

غيره :

أخافُ عليكَ من سيفِ ورُمحِ

غيره :

إذا أنتَ لم تزرعْ وأبصرتَ حاصداً

غيره :

إذا صحَّ عونُ اللهِ للمرءِ لم يكنْ

غيره :

إذا لم تكن في منزلِ المرءِ حرَّةٌ

غيره :

تبقى المنايرُ بعد القومِ باقيةٌ

غيره :

تشاؤكم كلُّ أرضٍ تنزلونَ بها

غيره :

تعب المُنجمُ حيثُ أفنى عُمُرَه

غيره :

تُميزُ البعضَ في الألفاظِ إن نطفوا

غيره :

تُنسى مرارةُ كلِّ نازلةٍ

غيره :

ثقةُ الفتى يزمانه

غيره :

ثلاثةٌ موصوفةٌ تجلُّو البصرُ:

غيره :

طويلُ العُمُرِ بينهما قصيرُ

ندمتُ على التَّفريطِ في زمنِ البذرِ

عسيرٌ من الأملِ إلاَّ تيسراً

تُدبِّره ضاعتِ مصالحُ داره⁽⁴⁹⁾

ويذهبُ المالُ والأَيَّامُ والعُمُرُ

كأنَّكم لبقاعِ الأرضِ أمطارُ

في عِلْمِ ما لا تُدرِكُ الأفكارُ

وتعرفُ الحِذْقَ في الألفاظِ إن نظروا

بحلاوةٍ في النّهْجِ والأمرِ

ثِقةٌ مُحَلَّاةٌ العُرى

الماءُ والوجهُ المليحُ والخُضرُ⁽⁵⁰⁾

(49) في د : مديرة ضاعت...

(50) حرفت «تجلو» في د، فكتبت «تجلى».

وأيُّ دهنٍ على الأحرار لم يجز ؟

فمُلئتُ من قولِ البشيرِ سروراً

فالجارُ يشرفُ قدرهُ بالجارِ !

والطَّبْعُ في الإنسانِ لا يتغيَّرُ

فليس حُرٌّ على عجزٍ بمعدور !

والدهرُ يعدلُ تارةً ويجورُ

صالحاتٍ يكنُ خلفَ السُّتورِ

يسيرُ ولكنَّ الخروجَ عسيرُ

فإنَّكَ نصفُ العمرِ تُغبنُ خاسراً

رأيتُ النَّاسَ شرُّهمُ الفقيرُ

على الخائفِ المذعورِ أضيقَ من قبرِ

صحيحاً ويُعطى لُبَّه حين يُكسرُ

وذي غنى بائسٌ فقيرُ

جار الزَّمانِ علينا في تقلُّبه

غيره :

جاء البشيرُ مبشراً بقُدومِكُم

غيره :

جَاوَزُ إذا جَاوَزْتَ بحرًا يا فتى

غيره :

حُبِّي لكم طبعٌ بغيرِ تكلفِ

غيره :

خاطرِ بنفسِك لا تقعدُ بمعجزةٍ

غيره :

خذ ما صفاك فالحياةُ غرورُ

غيره :

خيرُ ما ساعد الرجالَ نساءُ

غيره :

دخولُك من بابِ الهوى إن أردتهُ

غيره :

دعِ النَّوْمَ للنَّوْمِ إنَّكَ إن تَنمَ

غيره :

ذرْوني للغنى أسعَى فإنِّي

غيره :

رأيتُ بلادَ اللهِ وهي عريضةُ

غيره :

رأيتُكَ مثلكَ الجوزَ يمنَعُ لُبَّه

غيره :

رُبَّ فقيرٍ غنيُّ نفسٍ

غيره :

ردّك الله إلينا سالمًا

غيره :

زُرّني قبل أن أزورك شوقًا

غيره :

زعمتُم بأنَّ الصَّبرَ أكرمُ صاحبٍ

غيره :

سأكتُم حاجاتي عن النَّاسِ كلِّهم

غيره :

سرورُ شَهْرِ وغمُّ دَهْرِ

غيره :

سيصرفُ الله ما تخشى وتحذره

غيره :

شبابُ المرءِ ثوبٌ مُستعارُ

غيره :

صفقةٌ غيرُ خاسِرةٍ :

غيره :

ضيَّعتُ وقتك في المُحالِ

غيره :

عبارتُنا شتَّى وحُسْنُك واحدٌ

غيره :

عَتَبْتُ على عمرو فلمَّا فقدته

غيره :

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه

غيره :

(51) حرف الشطر الأخير في ب فكتب : بيع دنيا وآخرة.

بعد غُنمٍ ونجاحٍ وظَفَرٍ !

فلَكِ الفضلُ زائرًا ومَزورًا !

صدقتُم ولكن قد تقضَى به العُمُرُ

ولكنَّها للنَّاسِ تبدو وتظهُرُ

ووزنُ مَهْرٍ ودقُّ ظَهْرِ

فاصبر قليلًا فعقبى صبرك الظَّفَرُ !

وأَيَّامُ الصِّبَا أبدًا قِصارُ

بيعُ دُنْيَا بِآخِرِهِ⁽⁵¹⁾

فلا تُضيِّعْ وقتَ غيرِكَ !

وكلُّ إلى ذاك الجمالِ يُشِيرُ

وجرَّبْتُ أقوامًا بكيِّت على عمرو

وليس عليه أن يُساعده الدَّهْرُ !

قُبِحت مناظرهم فحينَ خبرتهم
غيره :

قد كُنت أبكي وداري منك دانية
غيره :

قد كُنت أسمع ما أرى فيروعنني
غيره :

قد كُنت أحرر من دهري وأحذر
غيره :

قضى الله في بعض المكارم للفتى
غيره :

قف لنا في الطريق إن لم تزرنا:
غيره :

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم
غيره :

كان العام ليس بعام حج
غيره :

كفى حسودي جهلاً أنه رجل
غيره :

كل امرئ حسن في عين والده
غيره :

كل عيب تراه في الغير بالظن
غيره :

كنت من كربتتي أفر إليهم
غيره :

لأستسهل الصعب أو أدرك المني

حسنت مناظرهم لقبح المخبر

فكيف صبري وقد شطت بي الدار ؟

واليوم ليس يروعنني ما أنظر !

حتى قدمت فزال الروع والخذر

بخير وفي بعض الهوى ما يحاذر

وقفة في الطريق نصف الزياره !

واستوثقوا من رتاجر الباب والدار

تغيرت المواسم والدهور !

مُعانِد لقضاء الله والقدر !

والخنفساء تُسمي بنتها القمر

له فيك باليقين نظير

فهم كربتتي فأين الفرار ؟

فما انقادت الآمال إلا لصاير

غيره :

لقد طال هذا القيلُ والقالُ بيننا

غيره :

لقد كُنتُ مُحتاجًا إلى موتِ زوجتي

غيره :

لكُمُ الأرضُ كُلُّها فَأَعِيرُوا

غيره :

ليُّ النِّقابِ على القِباحِ فريضةٌ

غيره :

ليس ارتِحالك في كسبِ العُلا سفرًا

غيره :

ليس التَّفضُّلُ منك أمرًا نادرًا

غيره :

ليس السَّعيدُ الذي دُنياه مسعدةٌ:

غيره :

ليس لما ليستَ له حيلةٌ

غيره :

ما العُمُرُ ما طالت به الدُّهورُ

غيره :

ما بال داركَ حينَ تدخلُ جنَّةً

غيره :

ما حكَ جِسمَكَ غيرَ طِفركَ

غيره :

ما ذاق طَعَمَ الغِنى فلا قناعَ له

وما طال قولُ الشَّرحِ إلَّا ليقصُرَا

ولكنَّ قرينُ السُّوءِ باقٍ مُعمَّرُ

عبدُكم ما احتَوَى عليه جِدارُهُ !

وعلى المِلاحِ خطيئةٌ لا تُغْفَرُ

بك المُقامُ على ذلٍّ هو السَّفرُ

لكنَّ مثلكَ في التَّفضُّلِ نادرُ

إنَّ السَّعيدَ الذي ينجو من النَّارِ

موجودةٌ خيرٌ من الصَّبْرِ

العُمُرُ ما تمَّ به السُّرورُ

وبِبابِ دارِكَ مُنكرٌ ونكيرٌ ؟

فتولَّ أنتَ جميعَ أمركَ !

ولا ترى قانعًا في النَّاسِ مُفتقرًا⁽⁵²⁾

(52) كذا في المخطوطات، ولعل الصواب «...من لا قناع له».

غيره :

لذاتُها ذهبتُ وحلَّ خمارُها

ما كان ذاك العيشُ إلاَّ سكرةً

غيره :

من أهله : أهلاً بهذا الزائر !

ما كلُّ من زار الحمى سمع النَّدَا

غيره :

أن رمى فيه سفيهٌ بحجرٍ !

ما يضرُّ البحرُ أمسى زاحراً

غيره :

إلى حاجةٍ حتَّى تكونَ له أُخرى

متى تنقضي حاجات من ليس واصلاً

غيره :

والنَّارُ مُخبِرةٌ بفضلِ العنبرِ

مِحنُ الفتى يُخبرن عن فضلِ الفتى

غيره :

وكلُّ عسرٍ بعدهُ يُسرُ

مفتاحُ بابِ الفرجِ الصَّبْرُ

غيره :

صيرهُ الدَّهرُ إلى تدميرِ

من أبرمَ الأمرَ بلا تدبيرِ

غيره :

فما له أوفَقُ من عشقِ القمرِ

من كان يهوى منظرًا بلا خبرِ

غيره :

أزفَ البينُ عُدنَ بالدَّمعِ حمرا

نزَلوا والخُدودُ بيضٌ فلمَّا

غيره :

وعاد إلى تجربيه مرَّةً أخرى

وأحمقُ خلقِ الله من جرَّب امرءاً

غيره :

عظمت مُصيبةٌ مُبتلى لا يصبر

وإذا أتتكَ مُصيبةٌ فاصبر فقد

غيره :

فاقتلته بالمعروف لا بالْمُنْكَرِ !

وإذا بغى باغٍ عليك بجهله

غيره :

- وإذا ظلمتُ وليي بكم متعلقٌ
غيره :
- وإذا عتبتُ على الصديق شكوته
غيره :
- وإذا لم يكن من الذلُّ بدٌ
غيره :
- وأفرحُ كلما يزدادُ مالٌ
غيره :
- والعرفُ من يأتيه يحمده عواقبه:
غيره :
- والعمرُ كالكَاسِ تُستحلى أوائلُهُ
غيره :
- والنَّجمُ تستصغرُ الأبصارُ صورته
غيره :
- وربُّ جوادٍ أمسكُ اللهُ جوده
غيره :
- وقى اللهُ مولانا جميعَ المكاره
غيره :
- وقد زعمتُ ليلى بأنِّي فاجرٌ :
غيره :
- وقد يهلكُ الانسانُ من بابِ أمنهِ
غيره :
- وكلُّ أذنيٍّ فمصبورٌ عليه
غيره :
- وكلُّ مَنْ أعيتك أخلاقه
غيره :
- فعلى علاكم لا عليَّ العارُ
- سرًا إليه وفي المحافل أشكرُ
- فالفُ بالذلِّ إن لقيتَ الكبارا !
- ولا أبكي على نقصانِ عمر !
- ما ضلَّ عرفٌ وإن أوليته حبرا !
- لكنَّه ربَّما مُجَّتْ أوَاخِرُهُ
- والذَّنْبُ للعَيْنِ لا للنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ
- كما يُمسِكُ اللهُ السَّحَابَ مِنَ الْقَطْرِ
- ولا دار صرفُ الدَّهرِ يومًا بداره !
- لنفسِي تَقَاهَا أو عليها فُجورُها !
- وينجو بأمنِ الله من حيثُ يحذرُ
- وليس على قرين السَّوءِ صبرُ !
- دواؤُهُ الصَّبْرُ أو الهَجْرُ

غيره :

وَكَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعْتُ أَخَاهَا

بِلَذَّةٍ سَاعَةٍ أَكَلَتْ دَهْرًا !

غيره :

وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ يَسْعَى لِرِزْقٍ

وَفِيهِ هَلَاكُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِي !

غيره :

وَكُنْتُ أَمْشِي عَلَى ثِنْتَيْنِ مُعْتَدِلًا

فَصَرْتُ أَمْشِي عَلَى أُخْرَى مِنَ الشَّجَرِ !

غيره :

وَكَيْفَ يَذْهَبُ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصْرِي

مَنْ كَانَ مِثْلَكَ سَوَادِ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ ؟

غيره :

وَلَا زِمَ الصَّمْتَ إِنْ سَأَلْتَ وَقَلَّ :

لَا عِلْمَ عِنْدِي، بِالْجَهْلِ مُسْتَتْرًا !

غيره :

وَلَسْتُ أَخَافُ الْفَقْرَ مَا عَشْتُ فِي غَدٍ :

لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ مِنَ اللَّهِ بَاكِرٌ

غيره :

وَلَمْ أَرْ بَعْدَ الدَّيْنِ خَيْرًا مِنَ الْغِنَى

وَلَمْ أَرْ بَعْدَ الْكُفْرِ شَرًّا مِنَ الْفَقْرِ

غيره :

وَمَا الرِّزْنُ فِي لُبْسِ الثِّيَابِ وَإِنَّمَا

يَزِينُ الْفَتَى مَخْبُورُهُ حِينَ يُخْبِرُ⁽⁵³⁾

غيره :

وَمَا عُسْرَةُ فَاصِبِرْ لَهَا إِنْ لَقِيتَهَا

بِبَاقِيَةٍ إِلَّا سَيَعْقُبُهَا يُسْرُ

غيره :

وَمَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ أَعِيشَ بِبِلْدَةٍ

وَتَنَائِي، وَلَكِنْ لَا يُغَالِبُ مِقْدَارُ !

غيره :

وَمَا مِنْ نِعْمَةٍ شَمَلَتْ كَرِيمًا

كَنِعْمَةِ عَوْرَةٍ سَتَرَتْ بِقَبْرِ !

غيره :

وَمَنْ كَانَ ذَا عُدْرٍ قَبِلْتُ اعْتِذَارَهُ

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عُدْرٌ فَعِنْدِي لَهُ عُدْرُ

(53) فِي ب : «...مَحْبُورٌ حِينَ يُخْبِرُ» وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

غيره :

ومن يكن الغراب له دليلاً فما غير الخراب له مصير

غيره :

ونعلم أن المال غادر ورائح وخير من المال الأحاديث والذكر

غيره :

وهوّن عندي ما ألقى من الأذى بأنك أنت المبتلي والمقدر!

غيره :

ويُخبرني عن غائب الأمر هديّه كفى الهدى عمّا غيّب المرء مخبراً! (54)

غيره :

ويُعرف فضل عقول الرجال بتدبيرها وبآثارها

غيره :

هي الضلّع العوجاء لست تقيمها ألا إنّ تقويم الضلوع انكسارها

غيره :

هي المقادير فلمني أو فزد إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر! (55)

غيره :

لا تُعاشر إلاّ الأكابر واعلم أنّ في عشرة الصغار صغارا (56)

غيره :

يا ليك طك يا شوق دم: إنّي على الحالين صابر!

غيره :

يفرّ من المنية كلّ حين وما يُغني عن الموت الفرار!

غيره :

يلقى الحسود تجلّدي فيسوءه أنّي على ريب الحوادث أصير

غيره :

(54) كتبت كلمة «مخير» بدون ألف خطأ في ب.

(55) كذا في المخطوطات، ولعل الصواب : «هي المقادير فلمني أو فذر...»

(56) سقطت «إلا» في د.

يَمِينُكَ مِنْهَا الْيُمْنُ وَالْيُسْرُ فِي الْيُسْرِ
فَبُشْرَى لِمَنْ يَرْجُو النَّدَى مِنْهُمَا بُشْرَى!
غِيْرُهُ :

يَنَالُ الْفَتَى مَا لَمْ يُؤْمَكْ وَرَبِّمَا
أَتَاحَتْ لَهُ الْأَيَّامُ مَا لَمْ يُحَازِرْ
غِيْرُهُ :

يَنْسَى صَنَائِعَهُ وَيَذْكُرُ وَعْدَهُ
وَيَبِيْتُ فِي إِنْجَازِهِ يَتَفَكَّرُ
وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ :

وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ كُنْتُ شَاكِرًا
بِشُكْرِكَ مِنْ أَعْطَاكَ وَالْوَجْهَ وَافِرًا
وَتَقَدَّمَ تَمَامُ هَذَا الشَّعْرِ وَسَبَبُهُ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَفَتَى خَلَا مِنْ مَالِهِ
أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ
وَقَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِهِ أَوْ حَقَنْتَ دَمِي !
وَقَوْلُ أَبُو نَوَاسٍ :

إِذَا الْعِشْرُونَ مِنْ شَعْبَانَ وَلَّتْ
وَلَا تَشْرَبُ بِأَقْدَاحٍ صَغَارِ:
فَوَاصِلُ شَرْبِ لَيْلِكَ بِالنَّهَارِ
فَقَدْ ضَاقَ الزَّمَانُ عَلَى الصَّغَارِ !

يُضْرِبُهُ الْوَعَّازُ السَّادَةُ الصُّوفِيَّةُ عِنْدَمَا يُدْبِرُ الشَّبَابَ وَيَقْبَلُ الْمَشِيبَ، وَيَكَادُ يَذْوِي
الْغَصْنَ الرُّطِيبَ، فِي الْكَثَارِ مِنَ الْقُرْبَاتِ، وَالْجَدِّ فِي الْعَمَلِ، وَتَلَا فِي الْخَيْرِ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَجْلِ،
وَكَذَا مَا يَشْبَهُهُ مِنْ كُلِّ مَا يُطَلَّبُ اغْتِنَامُ الْفُرْصَةِ فِيهِ قَبْلَ فَوَاتِهِ .
وَقَالَ أَيْضًا :

أَلَا فَاسْتَقْنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ
وَبُحْ بِاسْمٍ مِنْ تَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى:
وَلَا تَسْقِنِي سَرًّا إِذَا أُمَكَّنَ الْجَهْرُ
فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سَتْرُ !
وَإِنَّمَا قَالَ : وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ، لِأَنَّهُ إِذَا سَمِعَهَا عِنْدَمَا نَظَرَ إِلَيْهَا التَّذَنُّ مَسْمَعُهُ بِاسْمِهَا،
وَمَنْظَرُهُ بِشَخْصِهَا، وَاشْرَأَبَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهَا، فَتَلَقَّتْهَا (57) بِأَعْظَمِ لَذَّةٍ .

(57) فِي ب : فَتَلَقَّاهَا .

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من قصيدة :

لا شيء ضائرٌ عاشقٌ، فإذا نأى عنه الحبيبُ فكلُّ شيءٍ ضائره
ومنها :

أبكرُ فقد بكرتُ عليك بمدحه⁽⁵⁸⁾ غررُ القصائد : خيرُ أمرٍ باكره
ومنها :

وإذا الفتى المامولُ أنجم عقله في نفسه ونداه أنجم شاعره
وقال أيضا :

عفتُ آياتهنَّ وأيُّ ربعم يكونُ له على الزمن الخيارُ
ومنها :

كذاك لكل سائلةٍ قرارُ وبعده :

مضى الأملاكُ وانقرضوا وأضحت وقوفٌ في ظلالِ الذمِّ تحمى
سراة ملوكنا وهم تجارُ دراهمهم ولا يحمى الذمارُ
فلو ذهبت سناتُ الدهر عنه وألقي عن مناكبه الدثارُ
لعدلَ قسمة الأيام فينا ولكن دهرنا هذا حمارُ !
ومنها :

وأيُّ النار ليسَ له شرارُ ؟
ومنها :

وكان المطك في بدءٍ وعودٍ دُخانًا للصنعة وهي نارُ
نسب البخل مذ كانا وإلا يكن نسبٌ فبينهما جوارُ
لذلك قيل بعضُ المنع أدنى إلى مجدٍ وبعضُ الجود عارُ
وقال أيضا :

شرُّ الأوائك والأواخرِ ذمةٌ لم تُصطنع وصنعةٌ لم تُشكر
وقال أيضا :

(58) حرف هذا الشطر في ب : أبكر فقد بكر عليك يمدحه.

إنَّ الكرامَ كثيرٌ في البلاد وإن
لا يدهمَنَّكَ من دهمائِهِم عددٌ
وكلِّما أُمستِ الأخطارَ بينهم
لو لم تُصادفِ شِياتِ البهم أكثرَ ما
ومنها :

بالشَّعرِ طولٌ إذا اصطكَّكتِ مصادره
وقال أيضا :

والْبُخْلُ حُلُوٌّ ولكن غبُّهُ مَضِرٌ
وقال أيضا يرثي محمد بن حُمَيْد :

فأثَّبتَ في مُستَنقَعِ الموتِ رَجُلَهُ
غداً غُدوةً والحمدُ نسجُ رِداءِهِ
تردَّى ثِيابِ الموتِ حُمراً فما أتى
وقال أيضا من أخرى :

سيأكلنا الدَّهرَ الَّذي غالَ مَنْ مَضَى
وأكثرَ حالاتِ ابنِ آدمَ خِلْفَةً
فيفرحُ بالشَّيءِ المُعارِ بَقاؤُهُ
عليكَ بثوبِ الصَّبْرِ إذ فيه ملبسٌ
وما أوحشَ الرَّحمانُ ساحةَ عبْدِهِ
وقال أيضا :

إنَّما البِشْرُ روضةٌ فإذا كان
فاقسِمِ اللَّحْظَ بيننا إن في اللَّحْظِ
وقال أيضا :

فلا تُمكنَنَّ المِطْلَ من ذمَّةِ النَّدَى
فإنَّ الأيادي الصَّالِحَاتِ كِبارُها
وما نفعُ من قد مات بالأمسِ صاديًا

قلُّوا كما غيَّرهُم قلُّوا وإن كثُرُوا
فإنَّ جَلَّهَمُ أو كُلَّهَمُ بقرٌ
هلَكَى تبيَّنَ من أَمسى له خطرٌ
في الخيلِ لم تُحمدِ الأوصاحُ والغُرُرُ

في معشَرٍ وبه عن معشَرٍ قصرُ

فاكْظِمِ فلا تَمرةٌ إلا وزُنْبورُ !

وقال لها: مِن تَحْتِ أَخْمَصِكَ الحِشْرُ
فلم ينصرفُ إلا وأكفَّانُهُ الأَجْرُ
لها اللَّيْلُ إلا وهي من سُنْدُسٍ خُضْرُ !

ولا تنقُضي الأَشْياءُ أو يُوكَلِ الدَّهرُ
يضلُّ إذا فَكَّرْتَ في كُنْهها الفِكرُ
ويحزنُ لَمَّا صارَ وهو له ذُخْرُ
فإنَّ ابنَكَ المَحمودَ بعد ابنِكَ الصَّبْرِ
إذا عاشَ الجَلِيُّ ومُؤنِسُهُ الأَجْرُ !

بِبَذْلِ فَرُوضَةٍ وَغَدِيرِ
لَعْنَوَانٍ ما يَجُنُّ الضَّعِيفُ !

فبيَّسَ أخو الأيدي الغزارَ وجارها
إذا وقَعَتْ تحتِ المِطالِ صغارُها
إذا ما سماءُ اليومِ طالَ انْهَمارُها

وما العُرفُ بالتَّسْويفِ إِلَّا كخَلَّةٍ
وخيرَ عِدَاتِ الحُرِّ مُختصرَاتُهَا
وقال أيضا :

وما القفرُ بالبيدِ القواءِ بل التّي
ومن قامر الأيَّامَ عن ثمرَاتِهَا
فإن كان ذنبي أن أحسنَ مطلبي
ومنها :

هَلِ المجدُ إِلَّا الجودُ والبأسُ والشعرُ؟
وقال أبو الطيّب :

ولا في ذِلَّةِ العُبدانِ عارُ!
وما في سطوة الأربابِ عيبُ
وقال أيضا :

إنِّي لأعلمُ واللَّبيبُ خبيرُ
ورأيتُ كَلَامَ ما يُعَلِّكُ نفسه
أنَّ الحَيَاةَ وإن حُرِصَتْ غرورُ
بتعلَّةٍ وإلى الفناء يصيرُ
ومنها :

إنَّ المُحبَّ على البعادِ يزورُ⁽⁵⁹⁾
وبعده :

وقنعتُ باللُّقيا وأوَّلَ نظرةٍ
وقال أيضا :

فلو كُنْتُ امرءًا تُهْجى هجونا
الْفِتْرُ - بالكسر - : ما بين طرف الإبهام وطرف السبَّابة إذا فتحتهما. وضربه مثلا .
وقال أيضا :

ذُرِ النَّفْسُ تَأْخُذُ وَسُعْهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فمُفْتَرَقٌ جاران دارُهما عُمَرُ⁽⁶²⁾

(59) في زهر الآداب (1 : 386) «وما القفر بالبيد الفضاء... نبت بي...»

(60) في د : فأحجى بها...

(61) أول هذا البيت : يَمُمْتُ شاسعَ دارهم عن نيّة.

(62) في الديوان : دع النفس ... دارهما العُمَر.

ولا تحسبنَّ المجدَّ زَقًا وقينةً : فما المجد إلاَّ السَّيْفُ والفتكة البكر
وتضريبُ أعناقِ الملوك وأن تَرى لك الهبواتُ السُّود والعسكر المجرُ
وتركُك في الدُّنيا دويًا كأنَّما تداولُ سَمْعِ المرء أنملهُ العشرُ
إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقصٍ بلاهةٍ فالفضلُ فيمن له الشُّكرُ (63)
ومن يُنْفَق السَّاعات في جمْع ماله مخافة فقرٍ فالَّذي فعل الفقرُ !
ومنها :

وإنِّي رأيت الصُّرَّ أحسنَ منظرًا وأهونَ من مرأى صغير به كبر (64)
وهذا مثل قول الحكيم : [أعظم ما على الانسان إعظام ذوي الدناءة. ونحو البيت الأول قولُ
الحكيم] (65) : مَنْ قَصَرَ عَنْ أَخْذِ لَذَاتِهِ عَدَمَهَا وَعَدِمَ صِحَّةَ جِسْمِهِ . ونحو
السَّادس قول الحكيم : مَنْ أَفْنَى مَدَّتَهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ خَوْفَ الْعَدَمِ فَقَدْ أَسْلَمَ نَفْسَهُ إِلَى
الْعَدَمِ.

ونظم ابن شرف معنى البيت الأخير فقال :
وَمُنْفِقُ الْعُمْرِ فِي الْأَمْوَالِ يَجْمَعُهَا مُسْتَعْجِلٌ فَقْرَهُ لَوْمًا وَتَسْفِيلًا
غِيْرَهُ :

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غِيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى
وَقَالَ فِيهِ ابْنُ شَرَفٍ :

وَكُلُّ مَنْ لَيْسَ يَدْرِي كُنْهَ قِيَمَتِهِ فَالْنَّاسُ فِيهِ يُحَقُّونَ الْأَقَاوِيلَا
غِيْرَهُ :

طَوَى الدَّهْرَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاشِرُ
وَقَالَ ابْنُ شَرَفٍ :

قَدْ يُوصَلُ الشَّيْءُ مَقْطُوعًا وَمَا قَطَعْتَ يَدِ الْمُنُونِ فَلَنْ تَلْقَاهُ مُوَصُولَا
غِيْرَهُ :

مَنْ عَاشَ أَخْلَقَتِ الْأَيَّامُ جِدَّتَهُ وَخَانَهُ ثِقَاتُهُ : السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

وقال ابن شرف :

ومن يَطْلُ عمرهُ يَفْقِدُ أَحَبَّتَهُ حتَّى الجوارحَ والصِّبرَ الَّذِي عيلا
غيره :

عليَّ نَحْتُ المعاني من معادنها وما عليَّ إذا لم تفْهَمَ البقر !
وينشد :

عليَّ نَحْتُ القوافي من مقاطعها وما عليَّ لهم أن تفْهَمَ البقر !
وقال ابن شرف :

وناطقٍ بصوابٍ ما عليه سوى ما قال إن أخطؤوا ظنًا وتأويلا

لطيفة :

ذكر العلامة محمد بن مرزوق في صدر شرح الجمل أن العلامة أبا القاسم الشيرازي،
شارح ابن الحاجب الأصلي، والعلامة الكاتبية، شارح المحصل، أرادا ذات مرة أن يحضرا
مجلس أبي عبد الله الخونجي، بحيث يخفى مكانهما . فغيرًا حالتهما وحضرا عنده وأوردا
أبحاثا . فكان من ملح ما صار بينهما أنهما لم ينصفاه في بعض أبحاثه، وادّعى عدم
بيان قوله، وجعلا يستعيدان كلامه بزعمهما . فأنشد لهما :

عليَّ نَحْتُ المعاني من معادنها وما عليَّ إذا لم تفْهَمَ البقر !
بفتح تاء « تفْهَم »، مبنيا للفاعل . فقالا له : ضُمَّ التَّاء ! يعني ليبنني للمفعول .
فقال : حينئذ يكون أحدكما شيرازيا والآخر كاتبيا ! فقالا : نعم ! فتناصفا .

وقال أبو العلاء المعري من قصيدة :

لَو اختصرتُم من الاحسان زُرْتُكم والعذب يُهجرُ لافراط في الخصر
وهذا المعنى وقع لعلِّي بن جبلة قال : زرت أبا دلف في الجبل . فلما حلت الكرخ
أظهر من برِّي وإكرامي أمرًا مفراطا، حتَّى تأخَّرت عنه تأخرا كثيرا . فوصل معقل بن عيسى
فقال : يقول لك الأمير : انقطعت عني، وأحسبك استقلت برِّي، فلا يغضبنيك ذلك
فسأزيد فيه حتَّى [ترضى] (66) ! فقلت : واللَّه ما قطعني عنه إلا إفراطه ! وكتبت إليه :

(66) ساقط من ب.

هَجَرْتُكَ لَمْ أَهْجُرْكَ مِنْ كُفْرٍ نَعْمَةٍ
وَلَكِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ زَائِرًا
فِيَالآنَ (٦٦) لَا أَتِيكَ إِلَّا مُسْلِمًا
فَإِنْ زِدْتَنِي بَرًّا تَزِيدْتُ جَفْوَةً
فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ قَالَ : قَاتِلْهُ اللَّهُ، مَا أَشْعَرُهُ وَأَدَقَّ مَعَانِيهِ ! فَأَجَابَنِي لَوْقَتَهُ، وَكَانَ حَسَنَ
الْبَدِيهَةِ :

أَلَا رُبَّ ضَيْفٍ طَارِقٍ قَدْ بَسَطَتْهُ
أَتَانِي يُرْجِيْنِي فَمَا حَالَ دُونَهُ
وَجَدْتُ لَهُ فَضْلًا عَلَيَّ بِقَصْدِهِ
فَزَوَّدْتُهُ مَا لَا يَقْلُ بِقَاوُهُ
وَبَعَثَ إِلَيَّ بِهَا وَبِأَلْفِ دِينَارٍ مَعَ وَصِيْفَةٍ، فَقُلْتُ حِينَئِذٍ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ
مَلِكٌ تَنَدَّى أُنَامِلُهُ
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ
جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاكِبُهُ
كُلٌّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ
مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ
بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمُخْتَضَرَةٍ (٦٨)
وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
كَانْبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
كَابْتَسَامِ الرُّوْضِ عَنْ زَهْرِهِ (٦٩)
أَمِنْتُ عَدْنَانُ فِي ثَغَرِهِ
بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمُخْتَضَرَةٍ
يَكْتَسِيهَا يَوْمَ مُفْتَخَرِهِ (٧٠)

وَيُقَالُ إِنَّ الْبَيْتَ الثَّانِي هُوَ الَّذِي أَحْفَظَ الْمَامُونُ عَلَى ابْنِ جَبَلَةَ حَتَّى سَلَ لِسَانَهُ مِنْ قَفَاهُ .
وَقَوْلُهُ : وَجَدْتُ لَهُ فَضْلًا عَلَيَّ... (الْبَيْتُ) . أَوَّلُ مَنْ رَأَيْنَا اسْتَعْمَلَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الشَّعْرِ
الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ الْمَرْيِيُّ، صَاحِبُ الْحِمَالَاتِ بَيْنَ عَيْسٍ وَدُبْيَانَ، حَيْثُ يَقُولُ :

كَمْ مِنْ يَدٍ لَا أُؤَدِّي حَقَّ نِعْمَتِهَا
عِنْدِي لِمُخْتَبِرِ طَارٍ وَمِنْ مِثْنِ

٦٦ م) فِي الْمَخْطُوطَاتِ قَالَانَ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

٦٧ فِي د : مِنْ نَيْلِهِ تَسْرِي.

٦٨ حَرَفْتُ الْكَلِمَاتِ الْأَخِيرَةَ فِي د فَكَتَبْتُ : وَمُخْتَضَرِهِ.

٦٩ فِي ب : مُسْتَهْلٌ مِنْ...

٧٠ فِي د : يَكْتَسِيهَا، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

إذا جاء يسْعَى إلى رَحلي لاسْعِفَه أليس قد ظنَّ بي خيراً ولم يرني ؟
 وقوله : فزَوَّدته مالا يقلُّ بقاؤه... (البيت)، هو معنى ما حكى عن أمير المؤمنين عمر بن
 الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال لإحدى بنات هرم بن سنان المرِّي : ما أعطى أبوك
 زهيراً إذا امتدحه ؟ فقالت : أعطاه مالا وأثاثاً أفناه الدهر . فقال أمير المؤمنين : لكن ما
 أعطاكم زهير لا يفنيه الدهر، أو كلاماً نحو هذا . وتقدّم شيء منه، وسيأتي.

ومنها :

حسنتَ نظمَ كلامٍ توصفينَ به ومنزلاً بك معموراً من الخفر
 فالحسنُ يظهرُ في شَيْئَيْنِ رونقه بيتٌ من الشعر أو بيتٌ من الشعر
 ومنها :

والخلُّ كالماءِ يُبدي لي ضمائره مع الصِّفاءِ ويخفيها مع الكدر
 ومنها :

فلا يغرَّتْكَ بشرٌ من سواهُ بدا وإن أنارَ فكَم نورٍ بلا ثمرٍ ! (71)

وافقتهمُ في اختلافٍ من زمانكم والبدرُ في الوهنِ مثلَ البدرِ في السَّحر
 الموقدونَ بِنَجْدٍ نارَ باديةٍ لا يحضرونَ وفقدُ العزِّ في الحضرِ
 ومنها :

فالعين يسلمُ منها ما رأت فنبت عنه وتلحق ما تفوى من الصُّور
 ومنها :

هاجتَ نميرٌ فهاجَت منك ذا لبدٍ والليثُ أفتكُ أفعالا من النمرِ
 همُّوا فأمُّوا فلمَّا شافوا وقفوا كوقفةِ العيرِ بين الوردِ والصِّدرِ (72)

والنَّجم تستصغِرُ الأبصارُ صورته والذَّنْب للطرْفِ لا للنَّجم في الصَّغر
 ومنها :

(71) في ب : زبدت « من » قبل « بشر » .
 (72) في د : هموا فأمُّوا فلمَّا شرفوا... وهو تحريف.

والمرء ما لم تُفِذْ نفعاً إقامته
ومنها :

والكبيرُ والحمدُ ضدَّانِ اتَّفَقُهما
يُجْنى تزايدُ هذا من تناقصِ ذا
خَفَّ الورى وأَقَرَّتْكُمْ حُلُومُكُمْ
وقال أيضاً :

جمالُ المجد أن يُثْنى عليه
وللماءِ الفضيلةُ كلَّ حينٍ
ومنها :

وليس يزيدُ في جرِّي المذاكي
وربَّ مُطَوَّقٍ بالتَّبَرِّ يَكْبُو
وزَنَدٍ عَاطِلٍ يحظى بمدحٍ
وقال إبراهيم بن نصر القاضي :

جودُ الكريمِ إذا ما كان عن عِدَةٍ
إن السَّحَابَ لا تُجْدِي بوارقُها
وما طِيلَ الوعدُ مذمومٌ وإن سمحت
يا دوحَةَ الجودِ لا عَتَبٌ على رَجُلٍ
وقال إبراهيم الصولي :

دنتُ بِأُناسٍ عن قنَاءٍ زِيَارَةٍ
وإنَّ مُقِيماتٍ بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
وقال ابن درَّاج القسطلي من قصيدة :

ألم تعلمي أن الثَّواءَ هو التَّوَى
وقال أبو نواس في الخصيب يمدحه في قصيدة :

فما فاتهُ جودٌ ولا حلٌّ دونهُ
وإنِّي جَدِيرٌ إذ بلغْتُكَ بالمنى

غيمٌ حمى الشَّمْسُ لم يُمَطِر ولم يسر

مثل اتَّفَاقٍ فتاء السَّنِّ والكبرِ
واللَّيْلِ إن طال غال اليوم بالقصر (73)
والجمرُ تُعَدُّ فيه خَفَّةُ الشَّرِّ

ولولا الشَّمْسُ ما عُرِفَ النَّهَارُ
ولا سَيِّما إذا اشتدَّ الأَوَارُ

ركابٌ فوقهُ ذهبٌ مُمارٌ
بفارسه وللنَّعَمِ اعتكارٌ
ويُحرمهُ الَّذي فيه السَّوَارُ !

وقد تأخَّرَ لم يسلمَ عن الكَدْرِ
نفعاً إذا هي لم تُمَطِر على الأثرِ
يَدَاهُ من بعدِ طولِ المطبِّ بالبِدْرِ
يَهْرُها وهو مُحْتَاجٌ إلى الثَّمَرِ !

وشطٌّ بليلى عن دنوٍ مزارُها
لأقربُ من ليلى وهاتيكِ دارُها

وأن بيوتَ العاجزين قُبُورُ

ولك يصيرُ الجودُ حيث يصيرُ
وأنت بما أُمَلَّتْ منك جديرُ

(73) حرف «تزايد» في د فكتب «تزايد».

فإن تولني منك الجميل فأهله
وقال صاحب إسماعيل بن عبّاد :

رقّة الرُّجّاج ورّقّتِ الخمرُ
فكأنّما خمرٌ ولا قدحٌ
وقال أبو الفضل بن الحِنْزَابَة :

من أحمَلَ النَّفْسَ أحياءُ وروّحها
إنَّ الرِّيحَ إذا اشتدّتْ عواصفُها
وقال أبو نواس :

تكثرُ ما استطعتَ من الخطايا
ستُبصرُ إن وردتَ عليه عفواً
تَعْصُ ندامةٌ كَفَيْكَ ممّا
وقال الطغرائي لما ولد له مولود بعدما بلغ سبعا وخمسين من عمره :

هذا الصَّغِيرُ الَّذِي وافى على كِبَرِ
سبعٌ وخمسون لو مرّت على حجرٍ
وقال عروة بن أذينة :

قالت وأبثّتها سرّي فبُحْتُ به :
ألست تُبصرُ من حولي ؟ فقلت لها :
وهذا مثلك مشهور عند الصوفيّة وأهل المحبّة والمشاهدة والفناء، رضي الله عنهم .
يُحكى أن السيدة سُكَيْنَة بنت الحسين، رضي الله عنها وعن أسلافها، مرّت يوماً
بعُروّة هذا - وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين - فقالت له : أنت القائل : قالتُ
وأبثّتها سرّي... (البيت) ؟ فقال : نعم ! فالتفتت إلى جوار لها كنّ معها فقالت : هنّ
حرائر إن كان خرج هذا [عن] (74) قلب سليم قط !

ومن ملح ما جرى بينها وبينه أيضاً أنّه مات لعروّة أخ يقال له بكر، فرثاه عروّة بقوله :

سرى همّي وهمّ المرء يسرى
وغاب النّجمُ إلّا قيدَ فتر

أُرَاقِبُ فِي الْمَجَرَّةِ كُلَّ نَجْمٍ تَعَرَّضَ أَوْ عَلَى الْمَجَرَاتِ يَجْرِي
لِيَهْمٌ مَا أَرَاكَ لَهُ قَرِيبًا كَأَنَّ الْقَلْبَ أَبْطِنَ حَرًّا جَمْرًا
عَلَى بَكْرٍ أَخِي فَارَقْتُ بِكْرًا وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرٍ؟

فلما سمعت سكينه هذا الشعر قالت : ومن هو بكر هذا ؟ فوصف لها . قالت : آهو ذلك
الأسيد الذي كان يمر بنا ؟ قالوا : نعم ! قالت : لقد طاب بعده كل شيء حتى الخبز
والزيت !

والأسيدُ تصغير أسود .

ويحكى أن بعض المغنّين غنّى بهذا الشعر عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك
الأموي في مجلس أنسه فقال : من يقول هذا ؟ قيل : عروة بن أذينة . فقال : وأي عيش
بعد بكر هذا العيش الذي نحن فيه ؟ والله لقد حَجَرَ واسعاً .

وقال عبد الله بن المعتز :

فكان ما كان ممّا لستُ أذكره فظنّ خيراً ولا تسأَل عن الخبر !
وهو مثك مشهور . وقبله قوله :

سَقَى الْمَطِيرَةَ ذَاتَ الظِّلِّ وَالشَّجَرِ وَدِيرَ عَبْدُونَ هَطَّالٌ مِنَ الْمَطَرِ
فَطَالَمَا نَبَّهْتَنِي لِلصَّبُوحِ بِهَا فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ وَالْعُصْفُورُ لَمْ يَطِيرِ
أَصَوَاتُ رُهْبَانٍ دِيرٍ فِي صَلَاتِهِمْ سُودُ الْمَدَامِعِ نَعَّارُونَ بِالسَّحَرِ
مُزَنَّرِينَ عَلَى الْأَوْسَاطِ قَدْ جَعَلُوا عَلَى الرُّؤُوسِ أَكَالِيلًا مِنَ الشَّعَرِ
كَمْ فِيهِمْ مِنْ مَلِيحِ الْوَجْهِ مُكْتَحِلٍ بِالسَّحَرِ يَكْسِرُ جَفَنِيهِ عَلَى حَوَرِ !
لَا حَظَّتْهُ بِالْهَوَى حَتَّى اسْتَعَادَ لَهُ طَوْعًا وَأَسْلَمَنِي الْمِيعَادَ بِالنَّظَرِ
وَجَاءَنِي فِي قَمِيصٍ اللَّيْلِ مُسْتَتِرًا يَسْتَعْجِلُ الْخَطُو مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرِ
فَقَمْتُ أَفْرِشُ خَدِّي فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذَلًا وَأَسْحَبُ أَذْيَالِي عَلَى الْأَثَرِ
وَلَا حَ ضَوْءُ هَلَالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا مِثْلُ الْقَلَامَةِ قَدْ قُصِّتْ مِنَ الظَّفَرِ
فكان ما كان ... (البيت)

وقال عبد الله بن طاهر :

اغْتَفِرْ زَلَّتِي لِتَحْرُزَ فَضْلَ الشُّكْرِ مِنِّي وَلَا يَفُوتُكَ أَجْرِي
لَا تَكْلِنِي إِلَى التَّوَسُّكِ بِالْعُذْرِ لَعَلِّي إِلَّا أَقُومَ بِعُذْرٍ !

وقال أبو نواس في مدح أهل البيت :

مُطَهَّرُونَ نَقِيَّاتٌ جُيُوبُهُمْ
من لم يكن علويًا حين تنسبه
اللَّهِ لَمَّا بَرَا خَلْقًا فَاتَّقَنَهُمْ
فَأَنْتُمْ الْمَلَأُ الْأَعْلَى وَعِنْدَكُمْ
تَجْرِي الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا ذَكُرُوا
فَمَا لَهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مُفْتَخِرُ
صِفَاكُمُ وَاصْطِفَاكُمُ أَيُّهَا الْبَشَرُ
عِلْمُ الْكِتَابِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّورُ

وقال القاضي الجرجاني

وقالوا : توصَّك بالخُضُوعِ إِلَى الْغِنَى !
وبيني وبين المال شيئان حرَّما
وإن قيل هذا اليسرُ، أبصرتُ دونه
وما علموا أَنَّ الْخُضُوعَ هُوَ الْفَقْرُ
عليَّ الْغِنَى : نَفْسِي الْأَبْيَةُ وَالِدَّهْرُ
مَوَاقِفَ خَيْرٍ مِنْ وَقُوفِي بِهَا الْعُسْرُ

وقال الفضل بن الربيع :

عَسَى وَعَسَى يَثْنِي الزَّمَانُ عِزَّانَهُ
فَتَقْضَى لِبَنَاتٍ وَتَشْفَى حَسَائِفُ
بتصريفِ حالِ الزَّمَانِ عَثُورُ
وتحدثُ من بعدِ الْأُمُورِ أُمُورُ !

وقال الأمير قابوس :

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْرُنَا :
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفُ
فَإِنْ تَكُنْ عَبَثَتْ أَيْدِي الزَّمَانِ بِنَا
فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَالَهَا عَدَدُ
وحدَّثني بعض الأصحاب أَنَّ مَلِكَ مَرَّاكَشَ كَتَبَ إِلَى الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ، حِينَ اعْتَقَلَهُ
بِمَدِينَةِ أَعْمَاتٍ، بِقَوْلِ الْآخِرِ :

حَسَنْتَ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتَ
وَسَاعَدَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا
ولم تخفِ سوءَ ما يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وعند صفو اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدْرُ !
فأجابه المعتمد من سجنه :

مَنْ ذَا الَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْرُنَا ؟
لَا يُنْكَرُ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ الْقَدَرُ

وفي البساتين أفنانٌ منوعةٌ وليس يُقطفُ إلاَّ الوردُ والزَّهرُ
وفي السَّماءِ نُجومٌ مالها عددٌ وليس يُخسفُ إلاَّ الشَّمسُ والقمرُ !
والله أعلم بالمخترع !

وقال الآخر، وينسب لعثمان، رضي الله عنه :

غنى النفس يُغني النفسَ حتى يكفها وإن عضَّها حتى يضرَّ بها الفقرُ
وما عسرةٌ فاصيرٌ لها إن لقيتها بكائنةٍ إلاَّ ويتبعها اليُسْرُ !
وقال أيضا :

تفنى اللذَّاذةُ ممَّن نال صفوتها من الحرامِ ويبقى الإثمُ والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ من مُعقِّبها لا خير في لذَّةٍ من بعدها النَّارُ !
وقال ابن رفاعه، وكان عبد الملك بن مروان لمَّا قتل المصعب بن الزبير ودخل الكوفة فصعد
المنبر وقال : أيُّها الناس، إنَّ الحربَ صعبة، وإنَّ السَّلمَ أَمَن ومسرَّة : فاستقيموا على سبيل
الهدى، ودعوا الأهواءَ الموجبة للردى، وتجنَّبوا فراق جماعة المسلمين، ولا تكلَّفونا أفعال
المهاجرين الأوَّلين، وأنتم لم تعملوا عملهم، ولم تسلكوا سبيلهم، ولا أظنُّكم تزدادون بعد
الموعظة إلاَّ صعوبة، ولن تزدادوا وابتعدوا إلاَّ إليكم إلاَّ عقوبة . فمن عاد عدنا، وإن زاد
زدنا، وإنَّا معكم كما قال أبو قيس بن رفاعه :

مَنْ يَصِلْ نارِي بلا ذَنْبٍ ولا تِرةٍ يَصِلْ بنارٍ كريمٍ غيرِ غَدَّارٍ
أنا التَّذِيرُ لَكُمْ مِنِّي مُجَاهِرَةٌ كِي لا أَلَامَ على نَهْيٍ وإنْ ذَارَ
فإن عصيتم مقالِي اليوم فاعترفوا أن سوف تلقون خزيًا ظاهرَ العارِ
لا نرجِعَنَّ أحاديثًا مُلقَنةً (75) لهو المقيم ولهو المُلج السَّاري
من كان في نفسها حوجاءُ يطلُّها (76) عندي فإنِّي له رهْنٌ باضمارٍ
أقيمُ عوجتَه إن كان ذا عوجٍ كما يقومُ قدحُ النَّبْعِ الباري
وصاحبُ الوترِ ليس الدَّهرُ يدركُه عندي وإنِّي لَدَرَكَ بَأَوْتَارِ
وقال الآخر :

(75) في ب : لترجعن...

(76) في المخطوطات : «في نفسها» ولعل الصواب : «في نفسه» . وفي ب «حوجاء» وهو تحريف.

رَأَيْتُكَ إِنْ أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَعْجَبَتْكَ الْمَنَازِرُ
رَأَيْتُ الَّذِي لَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ
وهذا مثلك مشهور .

وعن الأصمعي قال : كنت في بعض مياه العرب، فسمعت النَّاسَ يقولون : جاءت ! جاءت !
فنظرت فإذا جارية وردت الماء، ما رأى الراؤون مثلاً . فلمَّا رأت إلحاح النَّاسِ بالنظر إليها،
أرسلت يرقعاً كأنَّه غمامة غطَّت شمسا . فقلت لها : تمنعين النَّاسَ من النظر إلى هذا
الوجه الحسن ؟ فقالت :

رَأَيْتُكَ إِنْ أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ... (البيتين)

فنظر إليها أعرابي فقال : أنا والله ممَّن ولى صبره ! ثمَّ أنشد :

أَوْحَشِيَّةُ الْعَيْنِينَ أَيْنَ لَكَ الْأَهْلُ ؟	أَبَالْحَزَنِ حَلُّوْا أَمْ مَحَلُّهُمْ السَّهْلُ ؟
وَأَيَّةُ أَرْضٍ أَخْرَجَتْكَ فَإِنَّنِّي	أَرَاكَ مِنَ الْفَرْدَوْسِ أَنْشَاكَ الْأَصْلُ
أَمْ الْبَدْرُ أَنْشَاكَ الْمُنِيرُ فَإِنْ يَكُنْ	لِبَدْرِ الدُّجَى نَسْلٌ فَأَنْتَ لَهُ نَسْلُ
حَسُنْتَ فَأَمَّا الْوَجْهُ مِنْكَ فَمَشْرُقٌ	وَعَيْنَانِ كَحُلَاوَانِ زَيْنَهُمَا كُحْلُ
قَفِي خَبْرِنَا مَا طَعَمْتَ وَمَا الَّذِي	شَرِبْتَ وَمَنْ أَيْنَ اسْتَقَلَّ بِكَ الرَّحْلُ ؟
فإِنَّ عِلَامَاتِ الْجَنَانِ مَبِينَةٌ	عَلَيْكَ وَإِنَّ الشَّكْلَ يُشَبِّهُهُ الشَّكْلُ

وقال :

فإِنَّا وَمَنْ يُهْدِي الْقَصَائِدَ نَحُونَا كَمُسْتَبْضَعٍ تَمَرًا إِلَى أَرْضِ خَيْبَرَا
وقال يحيى بن طالب الحنفى :

تَعَزَّيْتُ عَنْهَا كَارَهَا فَتَرَكْتُهَا وَكَانَ فِرَاقُهَا أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ

وكان يحيى هذا سخيًّا جوادا . ثمَّ إنَّه ركبهُ دين فادح، فجلا عن اليمامة إلى بغداد
يسأل السلطان في قضاء دينه . فأراد رجل من أهل اليمامة الشخوص إليها من بغداد،
فشيعه يحيى . فلمَّا جلس الرجل في الزورق ذرفت عينا يحيى فأنشأ يقول :

أَحَقُّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَازِرًا إِلَى قَرَقَرَا يَوْمًا وَأَعْلَامُهَا الْخُضْرُ ؟
إِذَا ارْتَحَلْتَ نَحْوَ الْيَمَامَةِ رَفَقَةً دَعَاكَ الْهَوَى وَاهْتَاكَ قَلْبُكَ لِلذِّكْرِ
أَقُولُ لِمُوسَى وَالْدُّمُوعُ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ مَاءٍ فِي مَسَارِبِهَا تَجْرِي :

بكى طرباً نحو اليمامة من عذري ؟
جناح غراب رام نهضاً إلى وكري
إلى الناس ما جربت من قلة الشكر
ومن مضمّر الشوق الدخيل إلى حجر ؟

ألا هل لشيخ وابن ستين حجة
كأن فؤادي كلما مرّ راكب
يزهّدني في كل خير صنعته
فيا حزناً ماذا أجن من الهوى
تعزيت عنها كارهاً... (البيت)

وحجر - بالفتح - قصبة اليمامة .

ثم إن الرشيد غني بشعر ليحيى هذا، وهو :

حنيني إلى أطلالكن طويك
مسيرى فهل في ظلكن مقيك ؟
بكن وجدوى نيلكن قليك
إلى قرقر قبل الممات سبيك ؟
يُداوى بها قبل الممات عليك
إليك فحزني في الفؤادي دخيل
إذا رُمته دين عليّ ثقيك

أيا أثلات القام من بطن توضح
ويا أثلات القام قد ملّ صحبتي
ويا أثلات القام قلبي موكك
ألا هل إلى سمّ الخزامى ونظرة
فأشرب من ماء الحجيلاء شربة
أحدث عنك النفس أن لست راجعاً
أريد هبوطاً نحوكم فيردني

فقال الرشيد : يُقضى دينه ! فالتمس فإذا هو مات قبل ذلك بشهر .

وقالت جارية تخاطب نفسها :

إذا لم يكن الأمر عندك حيلة
ولم تجدي بُدّاً من الصبر فاصبري !
وكانت هذه الجارية لرجل من قيس عيلان، فكان بها كلفاً . ثم أصابته حاجة وجهه، فقالت
له: لو بعثني فلو نلت طائلاً عدت به عليك ! فأخرجها للبيع، وعرضت على ابن معمر
المذحجي، فأعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم . فلمّا مضت لتدخل القصر ودعت مولاها
وأنشدته :

ولم يبق في كفيّ إلا تفكيري
أقلي فقد بان الحبيب أو اكثري !

هنيئاً لك المال الذي قد أصبته
أقول لنفسي وهي في كرب عيشة :
إذا لم يكن الأمر عندك... (البيت)

فأجابها مولاها :

فَلَوْلَا نُبُوءُ الدَّهْرِ عَنِّيَ لَمْ يَكُنْ
أَوْوَبُ بَحْرُنْ مِنْ فِرَاقِكِ مُوجِعٍ (77)
عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا زِيَارَةَ بَيْنَنَا
فَقَالَ لَهُ : خذ بِيَدَهَا، فَهِيَ لَكَ وَثْمَنُهَا !
وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ :

لَفَرَّقْتِنَا شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ فَاعْذِرِي
أُنَاجِي بِهِ قَلْبًا طَوِيلَ التَّفَكُّرِ ؟
وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ابْنُ مَعْمَرٍ

إِنْ كُنْتَ لَسْتَ مَعِيَ فَالذِّكْرُ مِنْكَ مَعِيَ
الْعَيْنُ تَفْقِدُ مَنْ تَهْوَى وَتُبْصِرُهُ
وَهُوَ مِثْلُ مَشْهُورٍ لِلصُّوفِيَّةِ :

يِرْعَاكُ قَلْبِي وَإِنْ غَيَّبْتَ عَنْ بَصْرِي
وَنَظَرُ الْقُرْبِ لَا يَخْلُو مِنَ النَّظَرِ !

لَئِنْ غَيَّبْتَ عَنْ عَيْنِي لَمَا غَيَّبْتَ عَنْ قَلْبِي
أُنَاجِيكَ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَرِيبِي

أَمَّا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يُخْلَفِ الْهَوَى
يُوهَمُنِيكَ الشَّوْقُ حَتَّى كَأَنَّمَا
وَقَالَ الْآخَرُ :

أَنْبِيَّ وَإِنْ كُنْتَ لَا أَلْقَاهُ أَلْقَاهُ
وَإِنْ تَبَاعَدَ عَنْ مَثْوَايَ مَثْوَاهُ !

أَبْلِغْ أَخَانَا تَوَلَّى اللَّهَ صُحْبَتَهُ
وَأَنَّ قَلْبِي مُوصُولٌ بِرُؤْيَيْتِهِ

وَقَوْلُ الْآخَرِ :

إِذَا اشْتَاقْتَ الْعَيْنَانَ مِنْكَ بِنَظَرَةٍ تَمَثَّلَتْ لِي فِي الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَحَكِي عَنْ الْإِمَامِ الشُّبْلِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ رَأَى يَوْمًا مَجْنُونًا وَالصَّبِيَّانِ خَلْفَهُ يَرْمُونَهُ
بِالْحِجَارَةِ وَقَدْ أَدَمُوا وَجْهَهُ وَشَجَّوْا رَأْسَهُ . فَأَخَذَ الشُّبْلِيُّ يَزْجُرُهُمْ عَنْهُ، فَقَالُوا لَهُ : يَا شَيْخُ،
دَعْنَا نَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ ! فَقَالَ لَهُمْ : وَمَا الَّذِي بَانَ لَكُمْ مِنْ كُفْرِهِ ؟ فَقَالُوا : يَزْعُمُ أَنَّهُ يَرَى
رَبَّهُ وَيُحَادِثُهُ . فَقَالَ : أَمْسِكُوا عَلَيَّ قَلِيلًا ! فَتَقَدَّمَ الشُّبْلِيُّ فَوَجَدَهُ يَتَحَدَّثُ وَيَضْحَكُ
وَيَقُولُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ : هَذَا جَمِيلٌ مِنْكَ، تَسْلُطُ عَلَيَّ الصَّبِيَّانِ لِيَشْغَلُونِي عَنْكَ ! فَقَالَ : يَا
شُبْلِي، وَمَا الَّذِي قَالُوا ؟ قَالَ : تَقُولُ إِنَّكَ تَرَى رَبَّكَ وَتُحَادِثُهُ . فَصَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً، ثُمَّ
قَالَ : يَا شُبْلِي، نَعَمْ وَحَقٌّ مِنْ تَيَمُّنِي بِحَبِّهِ، وَهَيْمَنِي بَيْنَ بَعْدِهِ وَقُرْبِهِ ! لَوْ احْتَجَبَ
عَنِّي طَرَفَةُ عَيْنٍ، لَتَقَطَّعْتَ مِنَ الْبَيْنِ . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَقُولُ :

لَئِنْ غَيَّبْتَ عَنْ عَيْنِي وَشَطَّ بِكَ النَّوَى فَأَنْتَ بِقَلْبِي حَاضِرٌ وَقَرِيبٌ

(77) فِي د : «مَوْجِعًا» فَيَكُونُ حِينَئِذٍ بِصِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ.

أراك بعين الوهم في مضمَر الحشا
خيالك في وهمي وذكرك في فمي
وليس على عين الفؤاد رقيب
ومثواك في قلبي فأين تغيب ؟
وقال سويد بن الصامت :

ألا ربّما تدعو صديقًا ولو ترى
لسانٌ له كالشَّهْد ما دُمْتَ حاضرًا
مقاتلته بالغيب ساءك ما يفري
وبالغيب مطرورٌ على ثُغرة النَّحر !
قوله « مطرور » أي محدود، تقول : طَرَرْتُ السَّكِين . والثُّغرة - بضم المثلثة وسكون
الغين المعجمة - نُقْرة النَّحر بين التَّرْقُوتَيْن .
غيره :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ
مُتَصَنِّعٌ لَكَ فِي مودَّتِهِ
يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءِ وَيُلْحِي
فَإِذَا عَدَا، وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ،
فَارْفُضْ بِإِجْمَالٍ مودَّةَ مَنْ
وَعَلَيْكَ مِنْ حَالِهِ وَاحِدَةٌ
لَا تَخْلِطُنَّهُمْ بِغَيْرِهِمْ
غيره :

اخْطُ مع الدهر إذا ما خطا
من سابق الدهر كبا كبوة
ليس لما ليست له حيلة
ويُروى :

حيلةٌ ما لَيْسَتْ له حيلةٌ
وقال المخزومي :

العيب في الجاهلِ المغمور مغمور
كفوفة الظُّفْرِ تخفى من حقارتها
وعيبُ ذي الشَّرَفِ المذكور مذكور
ومثلها في سواد العين مشهور

(78) في ب : «الغدر مجب هذا وذا الغدر». وهو تحريف.

ونحوه قول إبراهيم بن المهدي :

لولا الحياءُ وأتّني مشهورُ
لحلّلتُ منزلهُ الَّذي يحتلّه
والعيبُ بالرجلِ الكبيرِ كبيرُ
ولكانَ منزلُنا هوَ المهجورُ !

وقال أبو سليمان الخطّابي :

أنستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي
وأدبني الرّمانُ فلا أبا لي
فدامَ الأُنسُ لي ونما السُّرورُ
هُجرتُ فلا أزارُ ولا أزورُ
ولستُ بسائلُ ما دُمْتُ حيّا
أسارَ الجيشُ أم ركبَ الأمير⁽⁷⁹⁾

غيره :

لصيدُ اللّخمِ في البحرِ
وقضمُ التّلجِ في القرّ
وصيدُ الأسدِ في البرّ
ونقلُ الصّخرِ في الحرّ
واقْدامُ على الموتِ
لأشهى في طِلابِ العِزّ
وتحويلُ إلى القَبْرِ
ممن عاش في الفقرِ

اللّخمُ - بالخاء المعجمة - حيوان بحريّ صعب المنال .

غيره :

خاطرُ بنفسك لا تقعدُ بمعجزةٍ
إن لم تنك في مقامٍ ما تُحاوله
فليس حرٌّ على عجزٍ بمعدورٍ
فأبلك عذراً بإدلاجٍ وتهجيرٍ
حتى يبلغ المرءُ بالأحجام حاجته
حتى يواصلَ في أنحاء مَطلبها
حتى يواصلَ في أنحاء مَطلبها
حتى يواصلَ في أنحاء مَطلبها

غيره :

لعمركَ ما الرّزيةُ فقد مالِ
ولكنّ الرّزيةَ موتُ نفسٍ
ولا شاةُ تموتُ ولا بعيرُ
يموتُ بموتها بشرٌ كثيرُ

ونحوه قول الآخر في قيس بن عاصم المنقري، رضي الله عنه :

فما كان قيسٌ هلكه هلكُ واحدٍ
ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدّما

غيره :

(79) في د : ولست سائلاً...

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ يُلَاقِي الَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ
وسياتي تنمिम هذا الشعر وشرح قصته في الكاف، إن شاء الله تعالى.

وقال شيخ من الأعراب نظر إلى امرأته تتصنع وهي عجوز :

عجوزٌ ترجى أن تكونَ فتيةً وقد لحب الجنبان واحدودب الطهرُ
تدسُّ إلى العطار سلةً بيتهَا وهك يَصْلِحُ العطار ما أفسد الدهرُ؟
وزيد فيه :

وما غرّني إلا خِضابٌ بكفّها ونجكٌ بعينيها وأثوابها الطهرُ
وجاؤوا بها قبلَ المحاق بليلةٍ فكان محاقاً كلُّه ذلك الشَّهرُ !
فقالَت امرأته مجيبة :

ألم تر أنَّ النَّابَ تحلبُ عُلْبَةً ويترك ثلبٌ لاضرابٌ ولا ظهرُ ؟
ثمَّ استعاثت بالنساء، واستعاث بالرجال فإذا هم خلوف، فاجتمع عليه النساء فضربنه .
قوله : لَحِبَ الجنبان أي قلَّ لحمها، يقال لحب الرجل - بالكسر - إذا أنحله الكبير .
قوله : سِلْعَةً بَيْتَهَا يريد السوق والدقيق ونحوهما، والعرب تقول لكلِّ عرض سلعة،
والنَّابُ : الناقة المسنة . والعُلْبَةُ - بالضم - : القدم العظيم من الخشب أو من جلود
الابل يُحلب فيه، والتَّلْبُ - بالتاء المثناة - على مثال قِرْد - : الجمل إذا سقطت أسنانه
هرماً وتناثر شعر ذنبه، تقول : إنَّ الانثى فيها نفع وأن أسنت، بخلاف الذكر إذا أسنَّ .
وقال بعض الأدباء :

وأتمُّ الأشياء حُسناً ونوراً بكرُ شكرٍ زُفَّت إلى صهرٍ برُّ
ما قرانُ السَّعدين في الحوت أبهى منظرًا من قرانٍ برٍّ وشكر !

وقال سعد بن ناشب :

تُفَنِّدُنِي فيما ترى من شرَّاسَتِي وشدةً نفسي أمُّ سعدٍ وما تدري⁽⁸⁰⁾
فقلت لها : إنَّ الكريمَ وإن حلاً ليُلَفِّي على حالٍ أمرٌ من الصَّبرِ
وفي اللّين ضغفٌ والشرَّاسةُ هيبةٌ ومن لا يُهبُ يحملُ على مركبٍ وعُرٍ
وما بي على مَنْ لَان لي مِنْ فظاظَةٍ ولكنني فظٌ أبيُّ على القسرِ

(80) في ب : وشدة نفس...

أَقِيمْ صَغَى ذِي الْمِيلِ حَتَّى أَرُدَّهُ وَأَخْطِمْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الْقَدَرِ
فَإِنْ تَعَذَّلِيْنِي تَعَذَّلِي بِيْ مُرْزَأْ كَرِيمَ نَثَا الْاَعْسَارِ مُشْتَرَكِ الْيُسْرِ
إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ هَمَّهُ وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ السَّرِيحِيِّ ذِي الْأَثَرِ
قوله : كَرِيمَ نَثَا الْاَعْسَارِ - بتقديم النون :- ذِكْرُ الرَّجُلِ بِجَمِيعِ أَوْ قَبِيحٍ، فَهُوَ مُشْتَرَكٌ .
يَقُولُ إِنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ فِي الْاَعْسَارِ بِخَيْرٍ وَكَرَمٍ وَعَفَّةٍ، وَالْأَثَرُ - بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكُسْرُهَا :-
فِرْنَدُ السَّيْفِ، وَهُوَ رَوْقُهُ وَمَاؤُهُ.

وقال سالم بن وابصة :

أَحَبُّ الْفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاكِشَةٍ وَقَرَأَ
سَلِيمُ دَوَاعِي النَّصْدَرِ لَا بَاسْطًا أَذَى وَلَا مَانِعًا خَيْرًا وَلَا نَاطِقًا هُجْرًا
إِذَا مَا أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لَزَلَّتِهِ عُذْرًا
غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدٍّ خَلَّةٌ وَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقَرَأَ
وقال كثير، وكان قد دخل على عبد الملك بن مروان، رحمه الله، فقال له : أَنْتَ كَثِيرٌ ؟
قال : نعم ! قال : أَنْ تَسْمَعَ بِالْمُعِيدِي خَيْرٍ مِنْ أَنْ تَرَاهُ ! قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كُلَّ عِزِّ
مَحَلِّهِ رَحْبُ الْفِنَاءِ، شَامَخُ الْبِنَاءِ، عَالِي السَّنَاءِ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدْرِيهُ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَصُورُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ إِذَا تَرَاهُ فَيُخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
بُغَاثُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا رِقَابًا وَلَمْ تَطْلُبِ الْبُرْزَاةُ وَلَا الصَّقُورُ
خَشَاشُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فَرَاحًا وَأُمُّ الصَّقَرِ مِقْلَاتُ نَزُورُ
ضِعَافُ الْأَسَدِ أَكْثَرُهَا زَنْبِيرًا وَأَصْرَمُهَا اللَّوَاتِي لَا تَزِيرُ
وَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
يُنَوِّخُ ثُمَّ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوِي فَلَا عُرْفٌ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ
يُقَوِّدُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ أَرْضٍ وَيَنْحَرُهُ عَلَى الثَّرْبِ الصَّغِيرُ
فَمَا عَظُمَ الرَّجَالِ لَهُمْ بَزِينُ وَلَكِنْ زَيْنُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَيْلَهُ دَرَّةٌ، مَا أَفْصَحَ لِسَانَهُ ! وَأَضْبَطَ جَنَانَهُ ! وَأَطْوَلَ عَنَانَهُ ! وَاللَّهِ إِنِّي
لَأُظَنُّهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ ! قوله : أَسَدٌ هَصُورٌ، الْهَصْرُ - بِالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ :- الْكَسْرُ

والجَذَب . والمِقْلَاتُ : التي لا يعيش لها الأولاد . والنَزَرُ : القليلة الولد، كما مرَّ .
والطَّرِيرُ من الرجال : ذو المنظر والرَّوَاء الحسن . والخَيْرُ - بالكسر -: الكرم والشَّرَف والأصل .
ونُسب هذا الشعر أيضا لغير كثير، وهو في الحماسة .

وقال الزُّبْرَقَانُ بن بدر :

تَعْدُو الذُّئَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي مَرِيضَ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي
يُحْكِي أَنَّ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ بَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ إِذْ بَصُرَ بَامْرَأَةٍ فِي الطَّوَافِ، فَأَعْجَبَتْهُ
فَكَلَّمَهَا فَتَنَفَّرَتْ وَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنِّي فِي حَرَمِ اللَّهِ وَفِي مَوْضِعٍ عَظِيمٍ الْحَرَمَةِ !
فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهَا وَشَغَلَهَا عَنِ الطَّوَافِ ذَهَبَتْ إِلَى بَعْضِ مُحَارِمِهَا فَقَالَتْ لَهُ : احْضُرْ مَعِيَ
تُرْنِي الْمَنَاسِكَ ! فَجَاءَ مَعَهَا فَلَمَّا رَأَاهُ عَمْرُ تَبَاعَدَ عَنْهَا، فَتَمَثَّلَتْ حِينَئِذٍ بِهَذَا الْبَيْتِ .
فَبَلَغَ الْمَنْصُورُ خَبَرَهَا فَقَالَ : وَدِدْتُ لَوْ لَمْ تَبْقَ بِنْتُ فِي خِدْرِهَا إِلَّا سَمِيعَتَهُ (81) .
وقال الحماسي :

وَمَنْ أَنْتُمْ إِنَّا نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَيِّ رِيحِ الْأَعَاصِيرِ ؟
فَأَنْتُمْ أَلَى جِئْتُمْ مَعَ الْبَقْلِ وَالذُّبَا فَطَارَ وَهَذَا شَخْصُكُمْ غَيْرَ طَائِرٍ

الذُّبَا - بالذال المهملة وبالباء الموحدة المفتوحتين :- أصغر الجراد والنَّمَل، الواحدة
دَبَابَةٌ . قال الراجز :

كَأَنَّ خَرْقَ قَرْطِهَا الْمَعْقُوبِ عَلَى دَبَابَةٍ أَوْ عَلَى يَعْسُوبِ
وقال الآخر :

يَا قَلْبُ إِنَّكَ مِنْ أَسْمَاءَ مَغْرُورُ فَاذْكُرْ هَلْ يَنْفَعُنْكَ الْيَوْمَ تَذْكَيرُ ؟
حَتَّى مَتَى أَنْتَ مِنْهَا مُدْنَفٌ وَلِيهِ لَا يَسْتَبِيكَ سِوَاهَا الْبُدْنُ الْحُورُ ؟
تَأْتِي أُمُورٌ فَمَا تَدْرِي أَعَاجِلُهَا خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ ؟
فَاسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَارْضِينَ بِهِ فَبَيْنَمَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذْ صَارَ فِي الرِّمَسِ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ (82)

(81) هنا هامش في ب : «قوله فبلغ المنصور خبرها، هذا خطأ، فإن زمن المنصور متأخر عن زمن عمر بن أبي ربيعة. فإنه من شعراء الأموية». الملاحظة صحيحة من حيث الزمن، لكنها لا تنافي أن يكون المنصور العباسي علم في عصره بالقصة وقال ما قال.

(82) في ب : «إذ صار في الرمس...» وهو تحريف.

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه
حتى كأن لم يكن إلا تذكره
فذاك آخر عمر من أخيك إذا
وقال الآخر :

تصبرت مغلوباً وإنّي لصابر
وقبله :
أيا عمرو لم أصبر ولي فيك حيلة
غيره :

وإن سعيد الجد من بات ليلة
فمولاك لا يهضم لديك وإنما
وجارك لا يذممك إن مسبة
فإن قلت فاعلم ما تقول فإنه
فإنك لا تستطيع رد مقالة
كما ليس رام بعد إرسال سهمه
إذا أنت عديت الرجال فلا تزل
ومن لا يصانع في أمور كثيرة
ترى المرء مخلوقاً وللعين حظها
فذاك كماء البحر لست مسيغه
وتلقى الأصل الفاضل الرأي جسمه
كذلك جفن رث عن طول مكثه
وعاش بعينه لما لا يناله
ومستزل حرباً على غير ثروة
وملتبس ود لمن لا يوده

وذو قرابته في الحي مسرور
والدهر أيتما حال دهاير
ما ضمنت سلوه اللحد الحناشير

كما صبر الظمان في البلد القفر
ولكن دعاني اليأس منك إلى الصبر!

وأصبح لم يوشب ببعض الكبائر⁽⁸³⁾
هزيمة مولى المرء جدع المناخير
على المرء في الأدنى ذم المجاور
إلى سامع ممن تعادي وأثر
شأتك وزلت عن فكاهة فاغبر
على رده قبل الوقوع بقادر
على حذر لا خير في غير حذر
يضرر بأنياب ويوطأ بحافر
وليس بإحناء الأمور بحاير
ويعجب منه ساجياً كل ناظر
إذا ما مشى في القوم ليس بقاهر
على حد مفتوق الغرارين باتر⁽⁸⁴⁾
كسام برجليه لإدراك طائر
كمقتحم في البحر ليس بماهير
كمعتذر يوماً إلى غير عاذر

(83) سقطت الواو (أو الفاء) من أول البيت في المخطوطات، وهو لا يستقيم وزناً بدونها.

(84) في ب : «... الضرايين باتر» وهو تحريف.

كوالِي اليتامى ما لهم غير وافر⁽⁸⁵⁾
 بأنَّ ثناءَ الرِّكْبِ حظُّ المُسافرِ
 فِدَاً لِلَّذِي رُمْتُ كَلالُ الأَباعدِ !
 به الأجرُ وارفَعُ ذكْرَ أهلِ المقابرِ
 كظِلِّ يَفيكَ الظِّلُّ حرَّ الهواجرِ !

وقال عروة بن الورد المعروف بعروة الصعاليك العبسي :

مُصافي المُشاشِ ألفًا كُلُّه مجزِر
 يَحْتُ الحصى عن جنبه المُتَعَفِّر⁽⁸⁶⁾
 فيمضِي طليحًا كالْبَعيرِ المُحَسَّر⁽⁸⁷⁾
 كضوءِ سراجِ القايِسِ المُتَنَوِّر⁽⁸⁸⁾
 بساحتهم زَجَرَ المَنيحِ المُشَهَّرِ
 تشوِّفُ أَهْلَ الغائبِ المُتَنظِّر⁽⁸⁹⁾
 حميدًا وإن يستعنَّ يومًا فأجدر⁽⁹⁰⁾

وَمِنَ الرِّجالِ مُعَمَّرُ الذِّكْرِ

وهاجك منهمُ قُربُ المزارِ
 إذا دَنَتِ الدِّيارُ مِنَ الدِّيارِ

وَمَن ذَا الَّذِي يا عَزَّ لا يَتَغَيَّرُ ؟
 عَهدتِ ولم يُخَيِّرِ بِسَرِّكَ مُخَيِّرُ

وَمَتَّخِذِ عُدْرًا فَعادَ ملائكةُ
 فسارِعِ إذا سافَرتَ في الحمدِ واعْلَمَنَّ
 وطاوَعُهُمْ فيما أرادوا وقُلْ لهم :
 وإن كُنْتَ ذا حَظٍّ من المالِ فالتمِسْ
 فإنِّي رأيتُ المالَ يَفنَى وذكُرْهُ

لَحَى اللّهُ صُعْلوكًا إذا جَنَّ ليلُهُ
 ينامُ ثَقيلًا ثُمَّ يُصبحُ قاعِدًا
 يُعِينُ نساءَ الحَيِّ ما يَستَعِنُّهُ
 وَلَكِنَّ صُعْلوكًا صَفِيحَةً وَجْهُهُ
 مُطِلاً على أَعْدائِهِ يَجزُّونَهُ
 وإن بَعُدوا لا يَأْمَنونَ اقْتِرَابَهُ
 فَذالِكَ إن يَلَقَ المَنيَّةَ يَلقَها
 وقال الشَّريف الرُّضَيَّ :

أودى وما أودتْ مناقِبُهُ
 غيرة :

طَرَبَتْ إلى الأَصْبيبةِ الصُّغارِ
 وأبرحُ ما يكونُ الشَّوقُ يومًا
 وقال كَثِير :

وقد زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَها
 تَغَيَّرَ جِسمي وَالْخَلِيقَةُ مِثْلَما

(85) في د : «كوال اليتامى...» وهو تحريف.

(86) في الحماسة : ينام عشاء ثم يصبح ناعسًا

(87) في الحماسة أيضا : ويسمي طليحًا...

(88) في الحماسة : كضوء شهاب....

(89) في الحماسة : إذا بعدوا...

(90) في د : فذلك إن يلقى... وهو تحريف.

دخلت عَزَّةَ هذه على عبد الملك بن مروان، رحمه الله، فقال : أنت عَزَّةٌ كثيرٌ ؟ قالت : أذ
أمّ بكر الضمرية . فقال لها : أتروين قول كثيرٍ : وقد زَعَمْتُ... (البيتين) ؟ فقالت : لا
أروي هذا، ولكنّي أروي قوله :

صَفوحًا فما تَلْفَاكِ إِلَّا بِخيلةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتْ
وهذا البيت من تائِيَّةِ كثيرٍ المشهورة التي مطلعها :
خِلييَ هذا رُبْعُ عَزَّةٍ فاعقِلَا قَلْوصيكُما ثمَّ ابْكيا حيث حَلَّتْ !
وقال آخر :

ما للكواعِبِ يا عيساءُ قد جعلتُ
قد كُنْتُ فتاحَ أبوابِ مُغلّقةٍ
فقد جعلتُ أرى الشَّخصينَ أربعةً
وكُنْتُ أمشي على رجلين مُعتدلاً
غيره :
تَزورُ عَنِّي وتطوى دوني الحُجْرُ
ذَبَّ الرِّيَادِ إذا ما خولسَ النظرُ⁽⁹¹⁾
والواحدُ اثنينِ ممّا بوركَ البَصَرِ
فصيرتُ أمشي على أخرى من الشجرِ

خَبَرُوها بأنَّني قد تزَوَّجْتُ
وبعده :

ثم قالت لأختها ولأخرى
وأشارتُ إلى نساءٍ لديها
ما لقلبي كأنَّه ليس مِنِّي
مِنْ حديثٍ نَمَى إليَّ فطيمِ
غيره :
جزعاً : ليتَهُ تزَوَّجَ عشراً !
لا ترى دونهنَّ للسَّرِّ سِتْراً :
وعظامي أخالُ فيهنَّ فتراً
خِلْتُ في القلبِ من تلطيهِ جمراً ؟

شربنا من الرّازي حتّى كأنّنا
فلماً انجلت شمس النّهار رأينا
ومثله قول الأعرابي :

ولقد شربتُ الرّاح حتّى خِلْتُني
قابوسٌ أو عمرو بن هِنْدٍ ما ثَلَا
لَمَّا خرجتُ أجُرُّ فضلَ المئزّرِ
يُجْبِي له ما دون دارةِ قيصَرِ

(91) هنا في هامش د : الذَّب : الثور الوحشي، ويقال ذبّ الرياد، لأنه يرود أي يجيء ويذهب ولا يبقى في موضع.

وقال لقيط بن ززارة :

شربتُ الخمر حتَّى خِلْتُ أنِّي
أُمَشِّي في بني عُدُس بن بدر

غيره :

إنِّي هزئتُ من أمِّ الغُمر إذ هزئتُ
ما شقوةُ المرءِ بالافتار يُقْتَرِه
إنَّ الشَّقِيَّ الذي في النَّارِ منزلُهُ
أعوذُ بالله من أمرٍ يُزِينُ لي
وخير دنيا تُنْسِي شرَّ آخِرَةٍ
لا أقْبِبُ البيتَ أحبو من مؤخَّرِهِ
إن يحجُبِ اللهُ أبصاراً أراقِبُها

قوله : لا أقربُ البيتَ إلخ... أي لا آتي لرؤيته، كقول الآخر :

ولستُ بصادِرٍ من بيتٍ جارٍ
كفعلِ العَيْرِ غمرُهُ الوردُ
يقال : تَغَمَّرَ الشارب إذا لم يَرَوْ، فهو يلتفت وراءه، وكذا المُربب، وتقدَّم هذا
قوله : ولا أكَسِّرُ في ابنِ العمِّ أظفاري، أي لا أعتابه، كقول الحطيئة :

مَلُّو قِرَاهُ وهَرَّتُهُ كلابُهُمُ
وجرَّحوهُ بأثيابٍ وأضرَّاسٍ

وقال جرير :

فلا توبسوا بيني وبينكم التَّرى
فإنَّ الَّذي بيني وبينكم مُثَرٌّ !

وقال عبد الحميد بن يحيى الكاتب :

أَسْرَ وفاءً ثمَّ أَظْهَرَ غَدْرَةَ
فَمَن لي بعُذرِ يوسِعُ النَّاسَ ظاهِرُهُ؟
وسياتي سبب هذا الشعر في الاعيان، إن شاء الله تعالى .

غيره :

إذا كُنْتُ في نَجْدٍ وطيبِ نَعِيمِهِ
وإن كُنْتُ فيهِم زدتُ شوقاً ولوعةً
لقد طال ما بين الفريقين موقفي
تدكَّرتُ أهلي باللَّوى فمُحَسَّرُ
إلى ساكني نَجْدٍ وعيلَ تصبُّري
فَمَن لي بنَجْدٍ بين أهلي ومعشري ؟

غيره :

أوليتني نعماً أبوحُ بشكرها وكفيتني كلَّ الأمور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وإن أمتُ فلنشكرنك أعظمي في قبرها !

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه :

إذا المُشكلاتُ تصدَّينَ لي كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا بالنَّظَرِ
وإن برقتُ من فخيرِ الصَّوابِ عمياءُ لا تجتليها الفِكرُ
مَقْنَعَةٌ بغُيُوبِ الأمور وضعتُ عليها صَحيحَ الفِقرِ
لساناً كَشَفَشِقَّةَ الارحبيِّ أو كالحُسامِ اليمانيِّ الذِّكرِ
وقلباً إذا استنطقته الغيوبُ أبرَّ عليهما بود درر
ولستُ بامعةٍ في الرُّجالِ يُسائلُ هذا وما الخبرُ
ولكنني مذرُ الأَصغرينِ يَبِينُ معَ ما مَضَى ما غَبَرُ

يُروى أَنَّهُ سئل عن نازلة، فدخل مبادراً ثمَّ خرج في حذاء ورداء وهو متبسِّم . ف قيل له : يا أمير المؤمنين، إنَّكَ كنت إذا سئلت عن المسألة تكون فيها كالسكَّة المحمَّاة . قال إنَّني كنت حاقناً، ولا رأي لحاقن ! ثمَّ أنشأ يقول : إذا المُشكلاتُ تصدَّينَ ... الأبيات .
وقال أبو العبَّاس التُّطيلي :

والنَّاسُ كالنَّاسِ إلَّا أن تُجرَّبَهُمُ وللبَصيرةِ حُكْمٌ ليس للبَصَرِ
كالأيكِ مُشْتَبِهاتٍ في منابتِها وإنَّما يَقَعُ التَّفْضيلُ بالثَّمَرِ
وقال التهامي في مثله :

ومن الرُّجالِ مجاهِلٌ ومعالِمٌ ومن النُّجومِ غوامِضٌ ودَرَاري
والنَّاسُ مُشْتَبَهُونَ في إيرادِهِمُ وتفاضلُ الأقوامِ في الإصدارِ
ولربِّما اعتَصَدَ الحليمُ بِجَاهِلٍ لا خَيْرَ في يَمْنى بغيرِ يسارِ !
وقال القاضي الجليص المصري :

ومن عجبٍ أنَّ السَّيُوفَ لَدِيهِمُ تحيِضُ دماءُ والسَّيُوفُ ذُكُورُ
وأعجبُ من ذا أنَّها باكُفِّهِمُ تُؤجِّجُ ناراً والأُكُفُّ بجوهِ !
وقال ابن المعتز في التعزية :

لَمْ تَمُتْ أَنْتَ إِنَّمَا مَاتَ مَنْ لَمْ
لَسْتُ مُسْتَسْقِيًّا لِقَبْرِكَ غِيْثًا
وقال الآخر :

وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْسِبَ النَّاسُ أَنَّي
وَلَكِنْ أَرَوْضُ النَّفْسِ أَخْبِرْ هَلْ لَهَا
وقال الآخر :

لَا غَرَوْ أَنْ يُصَلِّيَ الْفُؤَادُ بِهَجْرِكُمْ
قَلْبِي إِذَا غَبْتُمْ يُصَوِّرُ شَخْصَكُمْ
وقال ابن الخطيب :

بَلَدٌ يَحْفُ بِهِ الرِّيَاضُ كَأَنَّهُ
وَكَأَنَّمَا وَادِيهِ مِعْصَمُ فَضَّةٍ
وقال أبو الربيع :

فَتَحُّ الشَّقَائِقِ جِرْحَاهَا وَمَغْنَمُهَا
لَأَجَلَ هَذَا إِذَا هَبَّتْ طَلَائِعُهُ
وقال القاضي الشريف :

وَأَحْوَرُ وَسَنَانِ الْجَفُونِ مُرَابِطُ
حَمَى ثَغْرَهُ عَنِّي بِسَيْفٍ لِحَاطِهِ
وقال ابراهيم بن المهدي :

إِذَا كَلَّمْتَنِي بِالْعَيُونِ الْفَوَاتِرِ
فَلَمْ يَعْلَمْ الْوَاشُونَ مَا دَارَ بَيْنَنَا
وقال الخوارزمي :

عَلَيْكَ بِإِظْهَارِ التَّجَدُّدِ لِلْعِدَا
أَلَسْتَ تَرَى الرِّيحَانَ يُشْتَمُّ يَانَعًا
وقال الآخر :

تَوَاضَعُ إِذَا نِلْتَ الْمَعَالِي تَزْدُ عَلَا

يُبْقَى لِلْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ ذِكْرًا
كَيْفَ يُسْقَى وَقَدْ تَضَمَّنَ بَحْرًا ؟

بِي الْهَجْرُ لَا وَاللَّهِ مَا بِي لَكُمْ هَجْرُ !
عَلَى فُرْقَةٍ مِنْ بَعْدِ أَحْبَابِهَا صَبْرُ

نَارًا تَوْجُّجُهَا يَدُ التَّذْكَارِ
فِيهِ وَكُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ

وَجْهٌ جَمِيلٌ وَالرِّيَاضُ عِذَارُهُ
وَمِنَ الْجُسُورِ الْمُحْكَمَاتِ سَوَارُهُ

وَشَيْءُ الرَّبِيعِ، وَقَتْلَاهَا مِنَ الثَّمَرِ
تَدْرَعُ النَّهْرُ وَاهْتَرَّتْ قَنَى الشَّجَرِ

سَبَى حُسْنُهُ لُبَّ الْحَبِيبِ وَصَبْرُهُ
وَلَا غَرَوْ أَنْ يَحْمِيَ الْمُرَابِطُ ثَغْرَهُ !

رَدَدْتُ عَلَيْهَا بِالْذُّمِّ الْبُودِيرِ
وَقَدْ قَضَيْتُ حَاجَاتُنَا بِالضَّمَائِرِ

وَلَا تُظْهِرْ مِنْكَ الذُّبُولَ فَتَحْقَرَا !
وَيُطْرَحُ فِي الْمِيْضَاتِ مَهْمًا تَغْيَرَا ؟

وَتَكْتَسِبُ الشُّكْرَ الْجَمِيلَ مِنَ الْوَرَى

فلن يشكر الغيث الربيع محله
وقال صالح بن شرف :

الدَّهْر لا يبقى على حالة
فإن تلقاك بمكروهه
وقال الرصافي :

صون الفتى وجهه أوقى لهمة
قنعت، وامتد مالي فالسما يدي
وقال ابن طباطبا العلوي :

قالت : أراك خضبت الشيب، قلت لها:
فاستضحكت ثم قالت من تعجبها:
وقال الآخر :

إن الليلي للأنام مناهل
فقصارهن مع الموم طويلة
وقال الآخر :

النار آخر دينار نطقت به
والمرء بينهما ما لم يكن ورعا
وقال عبد الله بن طاهر :

إلى كم يكون الهجر في كل ساعة
رؤيدك إن الدهر فيه كفاية :
وقال قيس بن الذريح :

لو أن امرأة أخفى الهوى عن ضميره
ولكن سألقى الله والقلب لم يبح
وقال ابن خفاجة :

أرى الناس يولون الغني كرامة
ويولون عن وجه الفقير وجوههم
بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمّة

قرين الثريا أو يعود إلى الثرى

لكنه يُقْبِل أو يُدِير
فاصبر فإن الدهر لا يصبر !

والرزق جار على حد ومقدار
وبدرها درهمي والشمس ديناري

سترتنه عنك يا سمعي ويا بصري
تكاثر الغيش حتى صار في الشعر !

تطوى وتنشر بينها الأعمار
وطوالهن مع السرور قصار

والهم آخر هذا الدهم الجاري
مقلب القلب بين الهم والنار

وكم لا تملّين القطيعة والهجرة !⁽⁹²⁾
بتفريق ذات البين، فانتظر الدهر !

لمت ولم يشعر بذاك ضمير
بسرّك والمستخبرون كثير !

وإن لم يكن أهلاً لرفعة مقدار
وان كان أهلاً ان يلاقى باكبار
ثما صحّحوا إلا حديث ابن دينار !

(92) في ب «الم كم....»

وقال ابن معروف :

احذرْ عدوكَ مرّةً واحذرْ صديقك ألفَ مرّةٍ
فربّما انقلبَ الصديقُ فكان أعلمَ بالمضرةِ !

وقال البستي :

إذا حيوانٌ كان طُعمهَ ضدهُ توقّاهُ كالفارِّ الذي يحذرُ الهرَّ
ولا شكَّ أنَّ المرءَ طُعمهُ دهرهـ فما بالهُ يا ويحهُ يامنُ الدهرا ؟

وقال الآخر :

إذا ذهبَ الحِمَارُ بأُمِّ عمرو فلا رجعتَ ولا رجعَ الحمارُ !

لطيفة : حُكي عن الجاحظ قال : عبرت يوما على معلّم كتاب، فرأيت هيئة حسنة .
وقام إليّ وأجلسني معه، ففاتحته القرآن فإذا هو فيه ماهر . ففاتحته النحو فوجدته ماهرا،
ثمّ في أشعار العرب واللغة فوجدته كاملا في كلّ ما يُراد منه، فقلت : قوِّى واللّه هذا
عزمي على تمزيق دفتر المعلمين ! فصرت أزوره في أكثر الأوقات . فأتيت يوما إلى زيارته،
فوجدت الكتاب مغلقا . فسألت عنه ف قيل : مات له ميت . فسرت إليه لأعزيّه، فدققت الباب
عليه، فخرجت جارية وقالت : ما تريد ؟ فقلت : أريد مولاك . فقالت : هو جالس وحده في
العزا، ما يعطي الطريق لأحد . فقلت : قول لي له : صديقك فلان . فدخلت وخرجت وقالت :
ادخل ! فدخلت وقلت له : أعظم الله أجرَكَ ! لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة،
وهذا سبيل لا بدّ منه، فعليك بالصبر ! ثمّ قلت : هذا الميت ولدك ؟ قال : لا . قلت :
والدك ؟ قال لا . قلت : أخوك ؟ قال لا . قلت : فمن ؟ قال : صفيّتي . فقلت في نفسي :
هذا أول المناحس ! ثمّ قلت : سبحان الله ! النساء كثير، وتجد أحسن منها . فقال لي
وكأنني رأيتهَا ؟ فقلت : وهذه منحسة ثانية ! ثمّ قلت : وكيف عشقت من لم تره ؟ فقال :
كنت في الطارمة فسمعت مغنيا يقول :

يا أُمِّ عمرو جزاك اللهُ مكرمةً ردِّي عليّ فؤادي أينما كانا !

فقلت في نفسي : لولا أنّ أُمّ عمرو هذه ما في الدنيا مثُلهَا، ما قيل فيها هذا الشعر ! فعلق
قلبي بها.

فلمّا كان بعد أيّام، مرّ بي ذلك الرجل وهو يقول :

إذا ذهب الحمارُ بِأَمِّ عمرو فلا رجعتَ ولا رجعَ الحمارُ !
 فعلمت أنَّها ماتت . فحزنت عليها وجلست للعزاء منذ ثلاثة أيَّام . قال الجاحظ : فعادت
 عزيمتي وقويت على إبقاء الدفتر بِأَمِّ عمرو .
 وقال النابغة الجعدي :

ولا خير في حلمٍ إذا لم تكن لهُ بواذرُ تحمي صفوه أن يُكدرًا
 ولا خير في رأيٍ إذا لم يكن لهُ حلِيمٌ إذا ما أوردَ الأمرُ أصدرًا
 يَروى أنَّه لمَّا أنشد قصيدته هذه بين يدي النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وبلغ هذا
 الموضع قال له صلَّى الله عليه وسلَّم : لا يفضُضُ اللهُ فاك ! فعاش مائة وعشرين
 سنة، لم تنفضْ له ثنيَّة بركة دعائه عليه الصلاة والسلام . وقال المكيالي :

إن كنتَ تأنسُ بالحبیبِ وقربهِ فاصبر على حُكمِ الرقيبِ ودارهِ !
 إنَّ الرقيبَ إذا صبرتَ لذلهِ بواكٍ في ربحِ الحبيبِ ودارهِ
 وقال التغري رحمه الله :

مَن لي بزورةِ أحمدَ الهادي الذي مَن زارهُ غُفِرَ له أوزارُهُ ؟
 وأحطُ رحلي في جوارِ مُحَمَّدٍ لمقامِ عزٍّ لا يُضامُ جوارُهُ
 حرمٌ عظيمٌ عظمتْ حرَمَتُهُ واختالَ في خلعِ الرضى زوارُهُ
 وقال أيضا :

يا خيرَ خلقِ اللهِ دعوةُ نازحٍ بانَّت أحبَّتُهُ وشطَّ مزارُهُ
 وتقسمتُهُ يدُ النوى فيمغربٍ أوطانُهُ وبمشرقٍ أوطارُهُ
 وقال :

لأولي الحِجى رُفعَ الحجابُ فشهدوا قمرَ الحجازِ تَلَأَّتْ أنوارُهُ
 واستنشقوا أرجَ النسيمِ فساقهم شوقًا لنجدٍ شيخُهُ وعِزارُهُ
 وقال آخر يهجو قاضي بلده :

لا مِثْلَ قاضٍ رأيناه ببلدنا في الجهلِ منه وفي الجورِ الورى حاروا
 فهو من النفرِ الأدنى منزلةً من حاكمٍ يسدُّوم عنه أخبارُ
 وسدُّوم - بذاك معجزة - بلد بجمص، أو هو قرية قوم لوط . وقاضي سدوم المشهور هو

الذي زعموا أَنَّهُ شكا إليه رجل مرّ بقوم ومعه امرأته على حمار . فضربوا الحمار وقطعوا ذنبه، فتخبّط وطرح المرأة فأسقطت جنينا . فقال له : ادفع إليهم امرأتك يطؤونها حتّى تحمل ويردّونها إليك، وأعطهم الحمار يستخدمونه حتّى ينبت ذنبه ويردّونه إليك ! فيقال إنّ الرجل دعا عليهم، فخُسِفَ بهم ولم يبق من أهل سدوم أحد.

وقال محيي الدين الاسكندراني :

ومُعْتَقِدٍ أَنَّ الرَّئِاسَةَ فِي الْكِبَرِ فَأَصْبَحَ مَمْقُوتًا بِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي
يَجْرُ ذِيولَ الْعُجْبِ طَالِبَ رَفْعَةٍ أَلَا فاعجبوا من طالب الرّفْعِ بالجُرّ !

وقال العرجي العثماني :

أضاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ ثَغْرٍ !
ويُحْكِي أَنَّهُ كَانَ فَتَى يَجَاوِرُ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ يَشْرَبُ كُلَّ لَيْلَةٍ،
فَإِذَا دَبَّ فِيهِ الشَّرَابُ جَعَلَ يَغْنَى . فَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ وَيَسْهَرُ عَلَى النَّظَرِ
وَيَأْنَسُ بِغَنَائِهِ . وَكَانَ أَكْثَرَ مَا يَغْنَى بِقَوْلِ الْعَرَجِيِّ هَذَا : أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى
أَضَاعُوا ... إلخ.

وبعده :

كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطًا وَلَمْ تَكُ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرِ
ثُمَّ إِنَّ الْفَتَى خَرَجَ لَيْلَةً فَأَخَذَهُ الْعَسَسُ وَحُبِسَ، فَفَقَدَ أَبُو حَنِيفَةَ صَوْتَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ .
فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ مُحْبُوسٌ، فَدَعَا بِدَابَّتِهِ وَرَكِبَ إِلَى الْأَمِيرِ عَيْسَى بْنِ
مُوسَى . فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ قَالَ : ائْذَنُوا لَهُ وَأَدْخُلُوهُ رَاكِبًا، وَلَا تَدْعُوهُ يَنْزِلُ حَتَّى يَطَأَ
بِسَاطِي ! فَفَعَلُوا، فَوَسَّعَ لَهُ الْأَمِيرُ فِي مَجْلِسِهِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ وَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : جَارٍ لِي
أَخَذَهُ الْعَسَسُ، فَأَمُرُ بِتَخْلِيَّتِهِ ! قَالَ : نَعَمْ، وَكُلُّ مَنْ أُخِذَ مَعَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ! فَأُطْلِقُوا
جَمِيعًا، وَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ مِنْ حَبْسِهِ . فَقَالَ الْأَمِيرُ : وَكُلُّ مَنْ أُخِذَ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى
وَقْتِنَا . وَأُطْلِقَ الْجَمِيعُ . فَلَمَّا خَرَجُوا دَعَا أَبُو حَنِيفَةَ بِالْفَتَى فَقَالَ لَهُ : أَلَسْتَ كُنْتَ تَغْنَى :
أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا، فَهَلْ أَضَعْنَاكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! بَلْ حَفِظْتُ وَرَعِيَّتِي،
جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، وَعَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ أَلَّا أَشْرَبَ الْخَمْرَ أَبَدًا ! وَتَابَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وقال إسحاق الموصلي :

لاحَ بالمفرق منك القتيرُ وذوى غُصنُ الشَّبابِ النَّصيرُ
هزئتُ أسماءُ منِّي وقالتُ : أنت يا ابنَ الموصليَّ كبيرُ !
ورأتُ شيباً علاني فأنَّتْ وابنُ ستين بشيبٍ جديرُ
إن تري شيباً علاني فإني مع ذاك الشَّيبِ حلُو مزيرُ
قد يُفلُ السَّيفُ وهو جرازُ ويصولُ اللَّيْثُ وهو عَفيرُ
قوله : حلُو مزيرُ المزير : المعظَّمُ المُكرم، وقيل الظريف ؛ والسَّيفُ الجرازُ : القاطع.

وقال الربيع بن ضبع الغزاري :

فارقنا قبلَ أن نُفارقَه لما قَضَى مِن جماعنا وطراً
والضمير للشَّباب .

وقبله :

أقفرَ من ميةَ الحديبِ إلى الرحبين إلاَّ الطَّباءَ والبَقرا ؟
كانَّها دُرَّةٌ مُنعمَةٌ من نسوةٍ كُنَّ قبلَها دُرراً
أصبحَ منِّي الشَّبابُ مُبتكراً إن ينأ عَنِّي فقد ثوى عَصراً⁽⁹³⁾

وبعده :

أصبحتُ لا أحمِلُ السَّلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إن نَفرا
والذَّيبُ أخشاهُ إن مررتُ به [وَحدي] وأخشى الرِّياحَ والمَطرا
ها أنا ذا أملكُ الخلودَ وقد أدركَ عُمري ومولَدي حُجراً
أبا امرئٍ القيسِ قد سمعتُ به هيهاتَ هيهاتَ طالَ ذا عُمراً !

وقال أعرابي من ضُبَّة، قدم البصرة وخطب امرأة فاشتطوا عليه في الصداق :

خطبتُ فقالوا : هاتِ عشرينَ بكرةً ودرعاً وجلباباً فهذا هو المهرُ
وثوبينَ مرويينَ في كلِّ شتوةٍ فقلتُ : الزَّنى خيرٌ من الحربِ القسرُ !

وقال خنافر بن التوام الحميري :

وكان مُضليَّ من هُديتُ بِرشدِه فللَّهِ مُغورٌ عاد بالرُّشدِ آمرا !

وقصَّته في إسلامه مشهورة في السَّير، فلا نطيلُ بسردها .

(93) في د : ثوى بصرا.

غيره :

إِنِّي رَأَيْتُكَ كَالوَرَقَاءِ يُوحِشُهَا

قُرْبُ الْأَلِيفِ وَتَغْشَاهُ إِذَا نُحِرَا

غيره :

فَإِنْ تَبَكَ لِلْبَرْقِ الَّذِي هَيَّجَ الْهَوَى

أُعِينِكَ وَإِنْ تَصْبِرْ فَلَسْتُ بِصَابِرٍ

وقبله :

سَقَى اللَّهُ حَيًّا بَيْنَ صَارَةٍ وَالْحَمَى

حَمَى فِيدَ صَوْبِ الْمُدْجَنَاتِ الْمَوَاطِرِ

أَمِينَ فَأَدَّى اللَّهُ رَكْبًا إِلَيْهِمْ

بَخِيرَ وَوَقَّاهُمْ حَمَامَ الْمَقَادِرِ

كَأَنِّي طَرِيفُ الْعَيْنِ يَوْمَ تَطَاوَلَتْ

بَنَا الرَّمْلُ سَلَّافُ الْقَلَامِ الضَّوَاهِرِ

حِذَارًا عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ

أَحَازِرَ وَشَكَ الْبَيْنَ أَمْ لَمْ يُحَازِرِ

أَقُولُ لِقِمِّقَامِ بْنِ زَيْدٍ : أَمَا تَرَى

سَنَا الْبَرْقِ يَبْدُو لِلْعَيُونِ النَّوَاطِرَ ؟

فَإِنْ تَبَكَ ... (الْبَيْت)

غيره :

وَمَا تَعْرِفُ الْأَعْرَابُ مَشْيًا بِأَرْضِهَا

فَكَيْفَ بَبَيْتٍ مِنْ رُخَامٍ وَمَرْمَرٍ ؟

وهذا القائل أعرابي دخل البصرة على ابن عم له . فلمَّا كان يوم الجمعة رآه البصري

أشعث، فقال له : إِنَّ النَّاسَ يَتَطَهَّرُونَ لِلْجُمُعَةِ وَيَتَنَظَّفُونَ وَيَلْبِسُونَ أَحْسَنَ الْمَلَابِيسِ،

فَتَعَالَ أَدْخِلْكَ الْحَمَّامَ لَتَتَنَظَّفَ مِنْ شُظْفِ الْبَادِيَةِ وَتَتَطَهَّرَ لِلصَّلَاةِ ! فَدَخَلَ مَعَهُ

الْحَمَّامَ . فَعِنْدَمَا وَطِئَ الْأَعْرَابِيُّ فَرْشَ أَوَّلِ بَيْتٍ فِي الْحَمَّامِ لَمْ يَحْسِنِ الْمَشْيَ عَلَيْهَا

لِمَلَّاسَتِهَا، فَزَلَفَ وَسَقَطَ لَوَجْهِهِ وَصَادَفَ حَرْفَ مَدْخَلِ الْبَيْتِ وَشَجَّهَ الْحَرْفَ فِي وَجْهِهِ شَجَّةً

منكرة، فخرج مذعورا ودمه يسيل وهو ينشد :

وَقَالُوا : تَطَهَّرْ إِنَّهُ يَوْمُ جُمُعَةٍ !

فَأُبْتُ مِنَ الْحَمَّامِ غَيْرَ مُطَهَّرٍ

تَزَوَّدْتُ مِنْهُ شَجَّةً فَوْقَ حَاجِبِي

بَغَيْرِ جِهَادٍ يَبُئْسَ مَا كَانَ مُتَجَرِّبِي !

يَقُولُ لِي الْأَعْرَابُ حِينَ رَأَيْتَنِي :

بِهِ لَا بِطَبِّئِي بِالصَّرِيْمَةِ أَعْفَرِ

وَمَا تَعْرِفُ الْأَعْرَابُ ... (الْبَيْت)

غيره :

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَّارٍ نَجْدٍ

فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَّارٍ !

وقبله :

أَقُولُ لِمُصَاحِبِي وَالْعِيسَى تُحَذِي بِنَابِيْنِ الْمُنِيفَةِ فَالضَّمَارُ

وبعده :

أَلَا يَا حَبِذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيًّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقِطَارِ
وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِ
شَهْوَرٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٌ وَلَا سِرَّارِ

وإنما نسوق مثل هذا لأنه ما من موضع أو أمر إلا ولك أن تعتبره لنفسك نجدا، وما من طيب بل وما من خير إلا ولك أن تعتبره عرارا، وتعتبر اغتنامه شميما، فتضرب هذا في انتهاز الفرصة من الشيء قبل فواته . وكثيرا ما نورد مثل هذا أو أعمض منه في هذا الكتاب، والذكي السديد يفقهه، والغبي البليد ينجفه.

وقال أبو صخر الهذلي :

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمَخْبُوتُ هَلْ لَكُمْ بَسَاكِنُ أَجْزَاعِ الْحِمَى بَعْدَنَا خُبْرُ ؟

وقبله :

لِلَّيْلِ بِذَاتِ الْجَيْشِ دَارٌ عَرَفْتُهَا وَأُخْرَى بِذَاتِ الْبَيْنِ آيَاتُهَا سَطَرُ
كَأَنَّهُمَا مِلَأَنَّ لَمْ يَتَغَيَّرَا وَقَدْ مَرَّ لِلدَّارِيْنَ مِنْ بَعْدِنَا عَصْرُ
وَقَفْتُ بِرِسْمَيْهَا فَعَيَّ جَوَابُهَا فَقُلْتُ وَعَيْنِي دَمْعُهَا سَرَبٌ هَمْرُ :
أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ ... (البيت)

فقالوا : طوينا ذاك ليلا وإن يكن به بعض من تهوى فما شعر السَّفرُ
وفي النُّوادر [لأبي علي] (94) عن أبي العباس : قال عبد الله بن شبيب : حدَّثتني
أم المغوار الباهليَّة قالت : كنت بفناء بيتي في السحر، فمرَّ بنا ركب، فتمثَّلت بهذا البيت:
أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ ... (البيت)، فأجابني غلام من صدر راحلته :

فقالوا : طوينا ذاك ليلا وإن يكن به بعض من تهوى فما شعر السَّفرُ
خليليَّ هَلْ يُسْتَخْبَرُ الرَّمْثُ وَالْغَضَا وَطَلَحُ الْكُدَى مِنْ بَطْنِ مَرَّانٍ وَالسُّدْرُ ؟
وقال المعتمد بن عبَّاد، وقد رأى قُمْرِيَّة تنوح وبين يديها وكر فيه طائران يترنَّمان :
بَكَتْ أَنْ رَأَتْ الْفَيْنِ ضَمَّهْمَا وَكُرَّ مَسَاءً وَقَدْ أَخْنَى عَلَى إِلْفِهَا الدَّهْرُ

(94) ساقط من د.

وناحت وباحت واستراحتُ بسرها
فمالي لا أبكي أم القلبُ صخرة
بكتُ واحداً لم يشجها غير فقده
بني صغيراً أو خليك موافق

وقال أيضاً يخاطب نفسه، من أبيات مشهورة :

قد كان دهرُك إن تأمره مُمتلاً
من بات بعدك في ملك يسر به

وقال الرازي بالله لابنه يخاطبه :

لا يكثر ثنك خطبُ الحادثِ الجاري
ماذا على ضيغم أمضى عزيمته
لئن أتوك فمِنْ جُبْنٍ ومِنْ خورٍ

وقال الوزير أبو محمد بن عبدون يرثي بني

ما للليالي أقال الله عثرتنا
تسرُّ بالشئ لكن كي تغرَّ به
كم دولة وليت بالنصر خدمتها
هوتُ بداراً وفلَّتْ غوبُ قاتله
واسترجعت من بني ساسان ما وهبت
وأُتبعَت أختها طسماً وعاد على
وما أقلت ذوي الهيئات من يمن
ومرقت سبئاً في كل قاصية
وأنفذت في كليب حكمها ورمت
ولم ترد على الضليل صحتته
ودوخت آل ذُبيان وجيرتهم
وألحقت بعدي بالعراق على
وبلغت يزد جرد الصين واختزلت

وما نطقتُ حرفاً بيوم به سر
وكم ضخرة في الأرض يجري بها نهر
وأبكي لآلاف عديدهم كثر
يمزقُ ذا قفر ويغرقُ ذا بحر

فردك الدهر منهياً ومأموراً
فإنما بات بالأحلام مغروراً

فما عليك بذاك الخطب من عار
أن خانهُ حَدُّ أنيابٍ وأظفار ؟
قد ينهض العيرُ نحو الضيغم الضاري
المظفر، من قصيدة مشهورة :

من الليالي وخانتها يدُ الغير
كالأيمن ثار إلى الجاني من الزهر ؟
لم تبق منها وسك ذكراك بالخبر !
وكان عضباً على الأيَّام ذا أثر
ولم تدع لبني يونان من أثر
عاد وجرهم منها ناقض الميرر
ولا أجارت ذوي الغايات من مضر
فما التقى رائح منها بمبتكر
مهلهلاً بين سمر الأرض والبصر
ولا ثنت أسداً عن ربها حجر
لخماً وعضت بني بدر على النهر
يد ابنه أحمر العينين والشعر
عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر

ومزّقت جعفرًا بالبيض واختلّست
وأشرفت بخبيب [فوق] فارة⁽⁹⁵⁾
وأجزرت سيف أشقاها أبا حسن
وليتها إذ فدت عمرًا بخارجة
وما رعت لأبي اليقظان صُحبته
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن
فبعضنا قائل " ما اغتاله أحد "
وعمّت بالردي فودي أبي أنس
وأنزلت مُصعبًا من رأس شاهقة
ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا
ولم تدع لأبي الذُبان قاضية
وأظفرت بالوليد بن اليزيد ولم
ولم تعد قُضب السّفاح نابية
وأسبلت دُمعة الرّوح الأمين على
وأشرقت جعفرًا والفضل ينظره
ولا وفّت بعهود المُستعين ولا
وأوثقت في عراها كلّ مُعتمد
وروّعت كلّ مأمون وموتمن

وقال الحاجب أبو مروان بن رزين، وقد سقط عن الفرس :

إنّي سقطت ولا جبن ولا خور
لا يشمتنّ عدويّ إن سقطت فقد
هذا الكسوف يرى تأثيره أبدًا

وقال أبو بكر بن عمّار :

من غيله حمزة الظلام للجُرر
والنصقت طلحة الفيّاض بالعفر
وأمكنّت من حسين راحتني شمر
فدت عليًا بما شاعت من البشر !
ولم تزودّه إلا الضيّم في الغمر
أتت بمعضلة الألباب والفكر
وبعضنا ساكت لم يوت من حصر
ولم تردّ الردي عنه قنا زفر
كانت به مَهجة المُختار في وزر
رعت عيادته بالبيت والحجر
ليس اللّطيم لها عمرو بمنّتصر⁽⁹⁶⁾
تبقي الخلافة بين الكأس والوتر
عن رأس مروان أو أشياعه الفخر⁽⁹⁷⁾
دم هريق لآل المصطفى هدر
والشيخ يحيى بريق الصّارم الذّكر
بما تأكّد للمعتز من مرر
وأشرقت بقذاها كلّ مُقتدر
وأسلمت كلّ منصور ومنّتصر

وليس يدفع ما قد شاءه القدر
تكنو الجياد وينبو الصّارم الذّكر
ولا يعاب به شمس ولا قمر !

(95) سقطت كلمة «فوق» من د.

(96) في د بمقتصر.

(97) في ب نائية.

قالوا : أضرَّ بك الهوى فأجبتهم :
قلني هو اختار السقام لنفسه
عيرتُموني بالتحول وإنما
وقال الوزير أبو القاسم بن الجد :

عجبتُ لمن يهوى من الدرِّ تومة
وقال الوزير الفقيه ابن سراج :

بئ الصنائع لا تحفل بموقعها
كالغيث ليس يبالى حيثما انسكبت
وقال الحماسي :

ولا يكشف الغمَاء إلا ابنُ حرّة
وقال تائب شرًا :

إذا المرء لم يحتك وقد جدَّ جدُّه
ولكن أخو الحزم الذي ليس نارًا
فذاك قريعُ الدهر ما عاش حوّل
ومنها :

هما خطَّتا إمَّا إيسارٌ ومِنَّة
وقال القطامي :

وما يعلمُ الغيبُ امرؤٌ قبل أن يرى
دوايرُ الأمر : أواخرُهُ، جمع دابرة، كالعواقب.
وقال عبد الله بن سبرة :

إذا شالتِ الجوزاء والنَّجمُ طالِعٌ
وإنِّي إذا ضنَّ الأميرُ ببابه
وقال ابن حبناء التميمي :

إذا المرءُ أولاكُ الهوان فأولِه

(98) في ب : منه الصنائع تربًا كان أو حجر

يا حبَّذاهُ وحبَّذا إضراره !
زيًا فخلَّوه وما يختاره !
شرفُ المهتد أن ترقَّ شِفاهه !
وقد سالَ في أرجاء معدنه التبر !

فيمَن نأى أو دنا ما كنتُ مُقتدرا
منه الغمائمُ تربًا كان أو حَجرا⁽⁹⁸⁾

يرى غمراتِ الموتِ ثمَّ يزورها

أضاع وقاسى أمره وهو مُذبر
به الخطبُ إلا وهو للخطب مُبصر
إذا سُدَّ منه منخرٌ جاش منخرٌ

وإمَّا دمٌ والقتلُ بالحرِّ أجدرُ

ولا الأمرُ حتَّى تستبينَ دوايرُهُ

فكلُّ مَخاضاتِ الفراتِ معابرُ
على الإذن من نفسي إذا شئتُ قادرُ

هوانًا وإن كانت قريبًا أوأصرُهُ

إذا أنت عادتِ امرءًا فاطْفِر له
فإن أنت لم تقدر على أن تهينه
وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة
وقال جميل بن عبد الله :

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن
أرى كلَّ عودٍ نابتًا في أرومةٍ
وكلُّ كسيرٍ يعلمُ النَّاسُ أنَّه
فلا تأمنِ النُّوكَى وإن كان أهلهم
قوله : يَعْلَمُ النَّاسُ أنَّه، أي أنَّه لا يجبر سوى عظم سوء، بحذف خبر أنَّ للعلم به .

وقال التميمي يرثي منصور بن زياد :
يُثْنِي عليك لسانُ مَنْ لم تُولِه
وقال سلمة الجعدي يرثي أخاه :

فَتَى كان يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ
وقال مسافع العبسي :

وليس وراءَ الشَّيْءِ شَيْءٌ يَرُدُّهُ
وقال منقذ الكلابي :

الدَّهْرُ لَأَمْ بَيْنَ الْفَتَنِ
وكذاك يَفْعَلُ فِي تَصَرُّفِهِ
كنتُ الضَّئِينَ بَمَنْ فُجِعْتُ بِهِ
ولخيرٍ حظُّكَ فِي الْمُصِيبَةِ أَنْ
غيره :

إِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الدِّيَ إِنْ تَوَسَّعَتْ
فما حسنٌ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ

على عثرةٍ إن أمكنتك عوارفه⁽⁹⁹⁾
فذرهُ إلى اليوم الَّذي أنت قادرهُ
وصمِّم إذا أيقنت أنَّك عاقره

لآباءِ صِدْقٍ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سَيْرًا⁽¹⁰⁰⁾
أبى منبتُ العيدانِ أَنْ يَتَغَيَّرَا
سوى عَظْمٍ سَوْءٍ لَا تَرَى فِيهِ مَجْبِرًا
وراءَ عدولَاتٍ وَكُنْتَ بَقِيسِرَ⁽¹⁰¹⁾ !

قوله : يَعْلَمُ النَّاسُ أنَّه، أي أنَّه لا يجبر سوى عظم سوء، بحذف خبر أنَّ للعلم به .

خيرًا لَأَنَّكَ بِالتَّئَاءِ جَدِيرٌ

إذا ما هُوَ اسْتَغْنَى وَيُجْعِدُهُ الْفَقْرُ

عليكَ إذا وَلَّى سِوَى الصَّبْرِ فَاصْبِرْ

وكذاك فَرَّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ
والدَّهْرُ لَيْسَ يَنَالُهُ وَتَرُ
وَسَلَوْتُ حِينَ تَقَادِمُ الْأَمْرُ
يلقَاكَ عِنْدَ نَزْوِلِهَا الصَّبْرُ

مواردُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
وليس له مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرُ !

99) في ب : على عثرة إن أمكنتك عوارفه.

100) في د : بنو الصالحين الصالحين...

101) في د : «... وكتب بقيصرا» وهو تحريف.

وقال ابن البرصاء المرِّي :

تَبَيَّنْ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتَقَبَّلْ أَشْبَاهَهَا عَلَيْكَ صُدُورُهَا
وقال الآخر :

رَأَيْتُ [أَخَا] الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ خَافِضًا عَلَى سَفَرٍ يَسْرِي بِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي
مُقِيمِينَ فِي دَارِ نَرْوَحُ وَنَغْتَدِي بَلَا أَهْبَةِ الثَّأْوِي الْمُقِيمِ وَلَا السَّفَرِ
وقال الرقاشي :

أَلَا لِيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا يُلَامُ الْفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأَمْرِ !
وقال الآخر، من الحماسيين :

فَإِنَّكَ وَاسْتَبْضَاعَكَ الشَّعْرَ نَحُونَا كَمُسْتَبْضِعٍ تَمَرًّا إِلَى أَرْضِ خَيْبَرَا
وتقدّم إنشاده، على غير هذا الوجه، لغير هذا الحماسي .
غيره :

وَجَاءَتْ لِلْقِتَالِ بَنُو هَلِيكَ فَسُحِّي يَا سَمَاءُ بَغِيرَ قَطْرٍ !
وهذا الشاعر استعظم مجيء هؤلاء للقتال، لصغر شأنهم وهوانهم وحقارتهم عنده، فقال :
سُحِّي يَا سَمَاءُ بَغِيرَ قَطْرٍ، أي بدم لا يقطر، استهزاءً بهم وسخرية .
غيره :

وَمَنْ عَجِبَ أَنْ الصَّوَارِمَ فِي الْوَعَى تَحِيضُ بِأَيْدِي الْقَوْمِ وَهِيَ ذَكُورُ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ أَنَّهَا بِأَكْفِهِمْ تَسْعُرُ نَارًا وَالْأَكْفُ بُحُورُ !
وقال يزيد بن مفرغم الحميري⁽¹⁰²⁾

سَقَى اللَّهَ دَارًا لِي وَأَرْضًا تَرَكْتُهَا إِلَى جَنْبِ دَارِ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارِ
أَبُو مَلِكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثَنٍ فَيَا لَكَ جَارِي ذِلَّةٍ وَصَغَارِ !
وذكر أبو العباس المبرّد في الكامل أن سليمان بن علي سأل خالد بن صفوان عن ابنه
جعفر ومحمّد فقال : كيف إحمادك جوارهما يا أبا صفوان ؟ فقال خالد متمثلاً بهذا البيت :
أَبُو مَلِكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثَنٍ فَيَا لَكَ جَارِي ذِلَّةٍ وَصَغَارِ !
قال : فأعرض عنه سليمان . وكان سليمان هذا من أحلم النّاس وأكرمهم، وهو في ذلك

(102) صحف اسم هذا الشاعر في ب، فكتب يزيد بن مفرغ (بالعين المهملة).

الوقت والي البصرة وعمّ الخليفة المنصور . قال : وكان خالد بن صفوان ممّن إذا عرض له القول [قال] . [قال] : وكان الحسن رحمه الله تعالى يقول : لسان العاقل من وراء قلبه، فإن عرض له القول نظر، فإن كان له أن يقول قال، وإن كان عليه القول أمسك . ولسان الأحمق أمام قلبه، فإذا عرض له القول قال عليه أوله⁽¹⁰³⁾

وقال الآخر :

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِيرَ عَيْنًا لَغَيْرِكَ دَمْعُهَا مِدْرَارُ
مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ ؟

وقال حُجَيَّةُ بن مضرب يمدح يعفر بن زرعة، أحد الأملوک، أملوک ردمان :⁽¹⁰⁴⁾

شَكَرْتُ لَكُمْ أَلَاءَكُمْ وَبَلَاءَكُمْ وَمَا ضَاعَ مَعْرُوفٌ يُكَافِئُهُ شُكْرُ

وقبله :

إِذَا كُنْتَ سَتًّا عَنِ الْمَجْدِ وَالْعُلَا
فَنَقَّبَ عَنِ الْأُمْلُوكِ وَاهْتَفَى بِيَعْفَرِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ شَيَّدَ اللَّهُ فَخْرَهُمْ
أُنَاسٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهَهُ
يَصُونُونَ أَحْسَابًا وَمَجْدًا مُؤْتَلًّا
سَمَوْا فِي الْمَعَالِي رُتْبَةً فَوْقَ رُتْبَةٍ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ فَتَضَاءَلَتْ
فَلَوْ لَامَسَ الصَّخْرُ الْأَصَمُ أَكْفَهُمْ
وَلَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ الْبَسِيطَةُ مِنْهُمْ
شَكَرْتُ لَكُمْ... (البيت)

وقلت أنا معرضاً بقوم يغشون طغاما ليصيبوا منهم طعاما :

إِنَّا أُنَاسٌ لَسْتُ تَبْصُرُنَا نَتَحَيَّنُ الطَّعْمَ الَّتِي تُزْرِي
يَعْرِى الْفَتَى وَيَجُوعُ وَهُوَ يُرَى مُتَجَمِّلًا بِالصَّبْرِ وَالْبِشْرِ

(103) في ب : قال له أو عليه

(104) في ب : حجة بن ضرب.

والحرّةُ الشَّمَاءُ رُبَّتَمَا جاعتْ ولم تَرْضِعْ عَلَى أَجْرٍ
والموردُ العذبُ الفَرَاتُ إِذَا رَأَتْهُ حُمُرٌ سِمْ بِالْهَجْرِ
وَإِذَا تَرَى طَيْرًا بِمَرْبَلَةٍ فَالطَّيْرُ غَيْرُ الْبَازِ وَالصَّقَرُ
وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ مُحْتَسِيًا كَأْسَ الْهَوَانِ فَلَيْسَ بِالْحُرِّ

[ووقف عليها جماعة من فضلاء العصر فاستحسنوها غاية، فحاولت أن أزيد عليها شيئاً من هذا النمط ينتم به الغرض، فانجرّ الأمر بها حتّى كانت قصيدة رأيت أن أثبتها هنا على طولها، لأنّها كلّها أمثال وحكم، وهي:]^(104م)

والحرُّ ليس حياته بسوى لا بالطعام ولا الشراب ولا
وَإِذَا تَزَايَلَكَ الْحَيَاةُ فَمَا وَسْوَالُ ذِي لُؤْمٍ وَذِي بَخْلٍ
أَنْكَى لِقَلْبٍ أَخِي الْمَرْوَةِ مِنْ وَأَشَدُّ مِنْ عَدُوِّ الرِّمَالِ وَمِنْ
وَأَصْرُ مِنْ كُلِّ النَّوَائِبِ إِنْ وَتَقَلَّدُ لِلْمَنْ مِنْ يَدِهِ
بَلْ وَخَزَةٌ فِي الْقَلْبِ بَاكِنَةٌ وَغِنَاكَ عَنْهُ بِالْقِنَاعَةِ فِي
أَجْدَى مِنَ الْمُلْكِ الَّذِي جَمَعَتْ وَأَلْذُ مِنْ سِنَةِ الشَّبَابِ عَلَى
وَلِبَاسُ صَوْنِكَ عَنْ تَمَلُّقِهِ وَحَلَى الْوَقَارِ عَلَيْكَ أَجْمَلُ مِنْ
وَصِبَابَةٍ مِنْ مَاءِ وَجْهِكَ أَنْفَسُ

عِزُّ الْجَنَابِ وَرَفْعَةُ الْقَدَرِ اسْتِلْقَائِهِ بِأَرَائِكِ وَثَرٍ
مِنْ عَيْشَةٍ تَبْقَى وَلَا عُمْرٍ وَرَجَاءُ نَعِشَتِهِ مِنَ الْعَثْرِ⁽¹⁰⁵⁾
إِصْلَائِهِ بِلَوَافِحِ الْجَمْرِ نَقْلُ الْجِبَالِ وَمَحْمَلُ الصَّخْرِ
عَظُمْتَ عَلَيْكَ وَكُلُّ مَا شَرٌّ⁽¹⁰⁶⁾ غُلٌّ عَلَى هَادِيكَ فِي الْأَسْرِ⁽¹⁰⁷⁾
بَلْ طَعْنَةٌ فِي لَبَّةِ النَّحْرِ حَالِيكَ مِنْ يُسْرٍ وَمِنْ عُسْرٍ
أَبْنَاءُ هَرْمُرٍ غَابِرِ الدَّهْرِ جِدَّةٍ وَمِنْ وَثَرٍ عَلَى وَثَرٍ⁽¹⁰⁸⁾
أَبْهَى مِنَ الْإِسْتَبْرَقِ الْخَضِرِ أَنْ تَحْتَلِي بِقَلَائِدِ النَّضْرِ
مِنْ رَحِيقِ سَلْسَلِ غَمْرِ

104م) ما بين معقوفتين ساقط من أ.

105) في هامش كل من ب و د : في نسخة : «ورجأوه لمعاصل الأمر» وفي نسخة أخرى : «لنوائب تجري».

106) في الهامش أيضا : في نسخة «المصائب» بدل «النوائب».

107) الهادي : العنق.

108) في الهامش : الوثر - يفتح الواو - : النكار، والوثر - بكسرهما - : الفراش الوطىء . وهو مثل.

فإذا عرثك الحادثاتُ فثقْ
واصبر لروحِ اللهِ مُرتجياً
إنَّ اضطبارَ المرءِ مُفتتحٌ
ومُنفسٌ عنه الكُروبُ إذا
كم من حزينٍ باتَ مُكتتباً
لا يرتجى جِلبابَ ليلتهِ
فأتتهُ الطافُ مُنفسَةً
ولكم بُعيدُ الضيقِ من سعةِ
هل بعد مُعتكرِ الظلامِ سوى
أو بعد ظمأةٍ هجمةٍ وردتْ
أو بعد خانقةِ التلامِ سوى
وإذا تُحاولُ نيلَ مكرمةٍ
واركب جوادَ الجِدِّ مُكتفياً
فلربَّ ذي أملٍ على مَلَكٍ
ولربَّ ذي رعدٍ على صلفٍ
ومُخاطراً بالنفسِ فيه فما
واعلم بأنَّ الغوصَ في لججِ
وتعسفِ القِنَّ الصُّعابِ عليّ
ولدى الرِّياحِ الكثرِ يَحمدُ ما
ولدى الصُّباحِ يكونُ مُغتبطاً
وتسنَّمُ ذُرَى الأمورِ ولا
واعلم بأنَّك ما استطبَّتْ جَنَى

بملكها ذي الخلقِ والأمرِ
فلتَحمدنَّ عواقبَ الصَّبْرِ !
مُتغلَّقَ البأساءِ والعُسْرِ
ضاقَتْ بهنَّ جوانِحُ الصَّدْرِ
مُتسعرٌ الأحشاءُ ذا أفر⁽¹⁰⁹⁾
أن يَنْتَنِي طرفاهُ بالسفَرِ
لفؤاده من حيثُ لا يدري⁽¹¹⁰⁾
ولكم بُعيدُ العُسْرِ من يُسرِ !
بلجِ الصُّباحِ وطلعةِ الفجرِ ؟
غيرُ ارتواءٍ جانبِ الغدْرِ⁽¹¹¹⁾
فيحِ الفجاءِ وفُسحةِ البُهرِ⁽¹¹²⁾
فانْهَضْ إليها نهضةَ الشَّمْرِ
ذيلَ الملالةِ منكِ والفتْرِ !
ومُهدِّرٍ في العُنَّةِ الحجرِ⁽¹¹³⁾
فتراهُ يَخْلُقُ ثمَّ لا يَقْري
يُرجى الخطيرُ بغيرِ ذي خَطرٍ
خُضرُ يخفُّ لجالبِ الدُرِّ !
خِصبِ يخفُّ لحالبِ الدُرِّ
جابِ المفاوِزِ صاحبِ التَّجَرِّ
وينالُ بُعَيْتهُ الَّذي يسْري
تُخلِدُ إلى سفسافِها الخُضرُ !
إلا لطيبِ الجذرِ والبذرِ !

(109) في العامش : الأفر : غليان القدر. وفي نسخة : ذا زفر.

(110) في العامش : في نسخة : «فَأَجَّتْهُ الطافُ...».

(111) الهجمة - بضم الهاء - : القطعة من الابل.

(112) صحفت كلمة «خانقة» في د، فكتبت «خانقة» بالحاء المهملة. والبهـ : المكان المتسع.

(113) في العامش : الحظيرة المحجورة . وهذا مثك سياطي في الكاف (يدل هذا على أن هذه العوامش للمؤلف نفسه)

والكرُمُ يُجدي المُجتَنِي عِنْبًا
ولكم ترى مرعى ولست ترى
والنَّاس كالغوغاءِ هائمةٌ
والمرءُ كلُّ المرءِ بينهمُ
لا ينظرونَ إلى الوفاءِ ولا
لو أَقْبَلَتْ دُغَّةٌ لهَشًّا لها
أو جاء قيسٌ يستغيثُ صدَى
لم يدروا أنَّ الكمالَ لذي
لا ذي الحلى المسبورِ مائلةٌ
فالعجبُ بالمَلْبُوسِ من سَخَفِ
والسَّيفِ ليس يشينهُ خَلَقٌ
وكذا ذبولُ المتنِ ليس يَرى
والطَّرْفُ ليس يُعَابُ من ضَمُرٍ
ولكم ترى نبتًا يلذُّ على
ولكم ترى دِمْنًا تُعَافُ إذا
فتوخَّ في النَّاسِ الوفيَّ إذا
واسبرهُمُ قبلَ الاخاءِ ولا
كم من آخرِ مَذَقِ الودادِ على
إن تلقَهُ فالشَّفْدُ مقولُه
سيمى بوجهك تستميكُ وإن
وإذا الزَّمانُ دعاكَ نائِبُه
فسيحتبِكُ بوعْدِ غَانِيَةٍ

والشَّوْكُ لا يُجدي سوى الشَّصْرِ⁽¹¹⁴⁾
كرعايةِ السَّعدانِ والتَّغْرِ
لو كان يبُلُو النَّاسَ ذو خُبْرٍ
ذو الملبسِ الزَّاهي وذو الوفرِ
فضلُ الذِّكَاةِ وثاقِبِ الفِكرِ
كلُّ إذا راحتُ إلى دَثَرٍ
لم يَسَقِ إن أمسى أخا فقرِ
فضلُ النَّدَى والحِلْمِ والحِجْرِ
أعطافه بالزَّهْوِ والكِبَرِ⁽¹¹⁵⁾
في اللَّبِّ وهو لربَّةِ الخِدرِ⁽¹¹⁶⁾
في الجفنِ وهو العضْبُ ذو الأثرِ
عيبًا على الخطيئةِ السُّمْرِ
يغشاهُ بعد تداولِ الحُضُرِ
شحبٍ وكم من ناعمٍ مرٍّ !
تُشْتَمُّ وهي أنيقةُ الزَّهْرِ !
عاشرتهم وحذارِ ذا الغدرِ !
تغتَرَّ في الاخوانِ بالسَّبرِ !
ما فيه من إحْنٍ ومن سِبَرِ⁽¹¹⁷⁾
وإذا تغيبُ يكونُ كالصَّبْرِ
أدبرتَ عنه فكيَّةُ الظَّهْرِ
العاريِ إليه ترجيُّ البِرِّ
أو وعدِ عرقوبِ جنَى التَّمْرِ

(114) الشَّصْرُ مصدر شَصَرْتَهُ الشُّوكَةُ : أصابته.

(115) في الغامش : المسبور أي الحسن السبر، وهو الهيئة.

(116) في الغامش : في نسخة الفخر « وفي أخرى «فالزَّهْو» بدل «فالعجب»

(117) في ب : «كم من أخ وذق الوداد على». وفي د : «ذق الوداد...» والسَّبر - بكسر السين - : العداوة.

وإذا تعودُ يظكُ مَكْتَلِحًا
وإذا تُصادفُ ذا الصَّفاءِ فكنُ
وأسيمُ سوائِمَ سرحِه طُررًا
وصنُ السَّراةِ واللَّبابِ ولا
فلربَّما يلوي الزَّمانُ بهِ
وإذا تُصاحبُ أو تُجالِسُ أوُ
فصداقةُ النُّبهاءِ مَفْخرةُ
وصداقةُ اللُّؤماءِ مُعْقبيةُ
والسَّاقطُ الدَّاني مُشاتيْمُهُ
والحظُّ والمقدَّارُ ما حُصِرَا
بك قسمةُ أزليَّةٍ نَشأتُ
وإذا نَظَرْتَ وَجَدْتَ في قرنِ
وترى اللَّيْبَ يبيتُ في ضَفَفِ
ليكونَ فضلكُ حِجى الفتى عِوضًا
وتكونُ أحكامُ الاله جَرتُ
والمرءُ ممدودٌ له أَجَلُ
يُسْدي وَيُلْحِمُ في مَزاولَةٍ
ويبيعُ بالآلِ المَعينِ وبالخِزفِ
ولَمَن تَبَدَّلَ زائِلًا صَرَدَا
فأُعدَّ لليومِ الَّذي خضعتُ
وتحوَّلَت فيه الذِّينَ هُمُ
وتدوسُهُمُ أَقدامُ طائفةِ
وازْمُمُ رِكابك للرحيلِ غداً

مُتغيِّظًا يَنْزو وَيستَشْري
منهُ وَلَوْ صافاكَ ذا حِذرٍ !
مَطْرُوقَةً من مَسْرَحِ السَّرِّ (118)
تَبْذُلُ له مِنْهُ سِوى القِشْرِ !
فَيَكُونُ أَبْصَرَ فَيَكُ بِالضَّرِّ
تَسْتَبُّ فَالْتَمِسَنَّ ذِوى القَدْرِ !
وكذا نِواؤُهُمُ مِنَ الفَخْرِ
لُؤْمًا كَمَثَلِ حِكاكِ ذِي العَرِّ
كَالبائِعِ العَقِيانِ بِالصُّفْرِ
فِي ذِي الذِّكَاكِ يَبِيتُ يَسْتَمْري
بِيَدِي مُدْبِرُها عَلى قَدَرِ
غَمَرُ الغنى وَجَهالَةُ الغُمْرِ
بِهُمُومِهِ مُتَقَسِّمِ الفِكرِ
عَن فَضْلِكَ مالِ الأَنْوَكِ الكَثَرِ
فِي الخَلْقِ عَن غَلَبِ وَعَن قَسَرِ
فُسْحُ مَداهُ نِصائِبِ القَبْرِ
ما لَيْسَ يَدْرِكُهُ مَدَى العُمْرِ
الكَسِيرِ نِصائِدِ التَّبَرِّ (119)
مِن دائِمٍ قَدْ باءَ بالخُسْرِ
فِيهِ الطَّلَا لِرِواجِفِ الذُّعْرِ
قَنَّ الذُّرى شَمَمًا إلى الذَّرِّ
كَانَت لَدِيهِم مَوقِعَ السُّخْرِ !
إِنَّ الخَلِيطَ غَدَوًا عَلى ظَهْرِ !

(118) في د : «... مسرح السر». وفي أ «...ضرار مطرونة...» وهو تحريف.

(119) الآك : السراب.

وتسلَّ عن ليلي فقد أزفتُ
وتخلَّ عن كلِّ الإلافِ إلى
وتسوَّغنُ بجميلِ صبرِك ما
وفٍ بالعُهودِ ولا تكنُ إلْفًا
واعلم بأنَّ الوجهَ ذو شَحَطٍ
فارتدَّ خفيرَ إنابةٍ ولجَا
وتزوَّدنَّ وخيرُ زادِك منْ
واجعلْ مَزَادَ الصَّدقِ مُحْكَمَةً
وتخيَّرِ الرُّفقاءَ مُجْتَنِبًا
وإذا ارتحلتَ فلا تشدَّ وسِرْ
وحذارِ رحلكَ يقتفي سُبُلًا
وارعِ البطاحَ إذا مرَّعنَ ولا
وإذا الرِّياحُ عصفنَ في شَرَفٍ
وإذا ظمئتَ ففي الأصيلِ فردُ
وإذا رأيتَ سفينةَ خرقتْ
وإذا تكونُ نزيلَ ذي كرمٍ
لا يعدمُ العافي نداهُ ولا
فأرحِ فؤادَكَ أن يكونَ بهِ
وحذارِ أن يلقاكَ مُرتجِيًا
وكنِ الخليَّ وأنتَ ضائفُهُ
وإذا الهوى ناواكَ مُحْتَفِلًا
فلتُعِدِّدِ ما اسطعتَ من وجَلٍ

عنها النَّوى ومضاضةُ الهجرِ !
إلْفاءِ إلفٍ واصلِ برَّ !
تُسْقَى بغيرهمُ من الصَّبْرِ^(119م)
نقْضًا ولو قبْضًا على جمرِ !
ومخاوفِ ومجاهلِ غُبرِ !
والعلمَ خريِّتًا إذا تسرَّي !
تَقْوَى المُهيمنِ سامِعِ الأمرِ !
وتخيَّرنَّ نجائبَ الصَّبْرِ !
قُرب الدَّانِ وصُحبةَ المُرْزِي^(120م)
وسُطَ الخليطِ ومُعْظَمِ السَّفَرِ !
عن نهْجهم فيضِلَّ في القَفْرِ !
تترقِّينَ بحالِقِ وعِرِ !
فلتُسهِلْنَ أو غُلَّ في جُحْرِ !
فردًا عن الضَّوضاءِ والكَدْرِ !
فتأنَّ لا تعجَلْ إلى النُّكْرِ !
رحبِ الذَّرى مُتفضِّلِ غَمْرِ
يعتُكُّ عن دُهلٍ ولا فقْرِ
همُّ إلى زادٍ على ذكْرِ !
ما يجتنِيهِ سواهُ من جَبْرِ^(121م)
عارُ النَّزِيلِ على الذي يَقْرِي !
ومُجمِّعًا بمُعسِكرِ مجرِ^(122م)
وضرَاعَةٍ فتُدالِ بالتَّصَرِّ

(119م) في أ «تسقى بغيرهم...».

(120) الدَّان : من لا غناء له. والمُرْزِي : الأحمق.

(121) الجبر : العطاء.

(122) معسكر مجر : أي كثير

واستمددَن من واهِبٍ رُوْفٍ
وَكَلِ الْأُمُورَ إِلَيْهِ مُلتَجِئًا
وَإِذَا حَلَّتْ بِسَاطِهِ فَعَدَا
فَلْتَرَعَيْنَ أَدَبَ الْجَلِيسِ وَلَا
وَإِذَا مَلِكُ الدَّارِ فِي طَرْفٍ
فَالزَّمْ مُنَاخَكَ أَوْ يُحَوِّلْهُ
وَلْتَعْتَزْزِ بِحِمَاهُ مُعْتَصِمًا
وَتَقِنْ بِمَا أَوْلَاكَ مِنْ عِدَةٍ
وَتَجَلَّ فِي ثَوْبِي عُبُودَتِهِ
وَتَحَلَّ بِالْخُلُقِ الْجَمِيلِ عَلَى
وَلْتَلْقَهُمْ وَحْشَاكَ مَشْرَبُهُ
وَبَلِغْ نَصْحِكَ لِلْقَصِيِّ وَالْأَدْنَى
وَاجْعَلْ مُعَاقَرَةَ الْمَنُونِ عَلَى

وقال الآخر :

إِلَى كَمْ يَكُونُ الصَّدُّ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
رُويْدَكَ إِنَّ الدَّهْرَ فِيهِ كِفَايَةٌ

وقال الآخر :

هَبِ النَّسِيمُ فَاهْدَى نَشْرَهُمْ سَحَرًا
إِنِّي وَإِنْ أَبْعَدْتُ عَنِّي مَنَازِلَهُمْ
قُلْ لِلسَّعِيدِ الَّذِي يَحْظَى بِرُؤْيَيْتِهِمْ :

غيره :

وَحَقِّقْكُمْ مَالِي عَلَى فَقْدِكُمْ صَبْرُ

نُورًا يَقيقَ مَدَاحِضَ الْحُكْرِ⁽¹²³⁾
مُتَبَرِّيًا مِلْحُوكٍ وَالْأَزْرُ !
يَسْقِيكَ صِرْفَ عَتِيقَةِ الْخَمْرِ
تَغْتَلَّ حِجَاكَ غَوَائِلُ السُّكْرِ !
مِنْهَا أَنَاخَ مَطَاكَ أَوْ عَقْرُ
بِرِضَى الْجَنَانِ وَغَايَةِ الشُّكْرِ^(123م)
نَاهِيكَ مِنْ سَنَدٍ وَمِنْ حَظَرٍ !
فَالنَّقْدُ مَوْعِدُ مُفْضِلٍ مُثْرِي !
نَاهِيكَ مِنْ شَمَمٍ وَمِنْ ذِكْرِ !
لُقْيَا الْوَرَى وَحَوَادِثِ الْعَصْرِ !
صَافٍ مِنَ الشَّحْنَاءِ وَالْغِمْرِ !
سَوِيُّ السَّرِّ وَالْجَهْرِ
بَالٍ فَيَا نَاهِيكَ مِنْ ذُخْرِ !

وَكَمْ لَا تَمْلَيْنَ الْقَطِيعَةَ وَالْهَجْرَا ؟
لِتَفْرِيقِ ذَاتِ الْبَيْنِ فَاَنْتَظِرِ الدَّهْرَا !

وَأَزْهَرِ الرُّوضُ مِنْ أَنْفَاسِهِمْ عَطْرًا
فَلَا أَرَاكَ أَرُوِّي عَنْهُمْ الْخَبْرَا
إِنِّي لَتَحْسُدُ عَيْنِي فَيْكُمْ النَّظْرَا

وَمَا طَابَ لِي عَيْشٌ وَلَمْ يَصِفْ لِي سَرُّ

(123) الحكر : الظلم.

(123م) في ب : فانزل مناخك

ومنزلكم يا سادتي منزل قفر
لذيذ وحلوا العيش بعدكم مر

وكيف يسر القلب يوماً بلذة
فما الدار دار مذ نأيتكم ولا الكرى

غيره :

لما انتظرت بشرب الرّاح إفتارا
فاشرب ولو حملتك الرّاح أوزارا
دع الجنان ودعني أسكن النّارا !

لو كان لي مُسعد بالرّاح يسعدني
الرّاح أشرف شيء أنت شاربهُ
يا من يلوم على صهباء صافية

وفي لطائف المنن للتاج ابن عطاء الله أن هذا الشعر أنشده منشد بين يدي الشيخ .
فأنكر عليه بعض الحاضرين أن ينشد مثل هذا في هذا الموضع . فقال الشيخ للمنشد : قل
ودع عنك هذا ، فإنّه محجوب ! انتهى بالمعنى وهو بيّن ، فإنّ الخمر خمرة ، والنّار نار ،
والجنان جنانان . فكلّ يشرب بحسب ذوقه ، ويفهم بمقتضى قصده .

وقال الآخر :

أفلا تُسيءُ الظّنّ بالعُمُر ؟
هضباته والعضب ذو الأثر⁽¹²⁴⁾
ويُجاذبُ الأيدي على الفخر
ومواطئ الأقدام للعتَر

هلا رأيت وقائع الدهر
بيننا الفتى كالطود تمنعه
يأبى الدنيّة في عشيرته
زلّ الزّمان بوطء أخمصه

غيره :

ماتوا جميعاً في التراب وساروا
هذي هي الأطلال والأخبار
لم يبق إلا الواحد القهار !

أين الملوك وما بنوه وشيّدوا ؟
آثارهم تنبّيك عن أخبارهم
إن سلّت عنهم قلّ لنفسك بعدهم

غيره :

إنّ الحوادث قد يطرّقن إسحارا !

يا راقداً اللّيل مسروراً بأولّه

وله :

كنت كالغصّان بالماء اعتصار

لو بغير الماء حلقي شرف

غيره :

(124) في ب : هضاته . وهو تحريف .

لا يَسْتَوُونَ كما لا يَسْتَوِي الشَّجَرُ⁽¹²⁵⁾
وذاك ليس له طعم ولا ثمر

ويوم "نساء" ويوم "نسر"⁽¹²⁶⁾

وفاز باللذة الجسور

كم غصن أخضر صار جمراً !

كالنار تخبرنا بفضل العنبر

ترداد أضعافاً على كفره

يزداد إيماناً على فقره !

في صورة الرجل السميع المبصر

وإذا أصيب بدينه لم يشعر !

وتأخير ذي علم فقالت خذ العذرا

فأبناؤها أبناء ضرّتي الأخرى

وتهتك السرّ عن محبوب أستار

دُخانُه حين تُدنيه من النار !

النَّاسُ شَتَّى إذا ما أنت ذُقْتَهُمْ

هذا له ثمر حلو مذاقته

وقال النمر بن تولب :

فيوم علينا ويوم لنا

سلم الخاسر⁽¹²⁷⁾ :

من راقب النَّاسَ ماتَ غَمًّا

ابن المعتز :

لا تأمنوا من بعد خير شر

الصنوبري :

مَحَنُ الْفَتَى يُخْبِرُنَّ عَنْ فَضْلِ الْفَتَى

غيره :

كم كافر بالله أمواله

ومؤمن ليس له درهم

غيره :

يا صاح إنَّ من الرجال بهيمة

فطنًا بكلِّ مُصيبةٍ في حاله

وقال الآخر :

عَتَبْتُ عَلَى الدُّنْيَا لِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ

بنو الجهل أبنائي وكلُّ فضيلةٍ

وقال الآخر :

غائظٌ صديقك تكشف عن ضمائره

فالعود يُنْثِيكَ عَنْ مَكْنُونِ بَاطِنِهِ

(125) في ب : «الناس شيء...» وهو تحريف.

(126) هذا البيت ساقط من ب. ووردت بعض الأبيات والمقطعات في أ على غير الترتيب الموجود في المخطوطات الأخرى

(127) حرف هذا الاسم في ب فكتب سلم الحيار.

وهذا كقول الحكيم : إذا أردت أن تعرف صديقك فأغضبه ! وذلك لأنّ الرضى يصلح معه كلّ أحد، ولا يصلح على الغضب إلاّ الأصفياء الصادقون، وقليل ما هم .
غيره :

سقى الله أياماً لنا لسن رُجّعاً وسقياً لعصر العامريّة من عصر ليالي أعطيت البطالة مقودري تمرّ الليالي والشهور وما ندري !
حكى أبو علي البغدادي في نوادره، عن أبي بكر بن دريد، عن أبي حاتم قال : كان فتى من أهل البصرة يختلف معنا إلى الأصمعي فافتقدته ، فلقيت أباه فسألته عنه فقال :
سألني عن بيتين كان الأصمعي يردّهما :

سقى الله أياماً (البيتين)

فقلت له : يا بنيّ، إنك لست بعاشق، ولولا ذلك لعرفت ما يفعله الذكر بصاحبه ! قال :
فبعثته على أن عشق لجاجاً⁽¹²⁸⁾.

ولنكتف بهذا القدر من هذا الباب مخافة السامة، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل .

(128) في د : «على أن أعشق لجاجاً».

بَابُ الزَّايِ الْمُوَحَّدَةِ

زَبَبْتَ وَأَنْتَ حِصْرَمٌ .

هذا مثل مشهور، غير أنه مولّد . وهو من كلام أبي علي الفارسي، قاله لأبي الفتح عثمان بن جني لمّا مرّ به وهو في حلقة . فلمّا قال له ذلك قام أبو الفتح فترك حلقة وتبعه حتّى تمهّر . ذكر ذلك شمس الدين بن خلكان، رحمه الله تعالى . ويضرب فيمن يتعاطى رتبة قبل أن يصل إليها .

ومنه قول ابن النقيب⁽¹⁾

إذا صرصرَ البازي فلا ديكَ يصرخُ ولا فاخيتُ في أيكةٍ يترنّمُ⁽²⁾
وما الموتُ إلّا طيّبٌ طعمُهُ إذا تدايكَ فرُوجُ وزببَ حصرمُ

زاحِمٌ بَعُودٌ أَوْ دَعَمٌ !

المُزاحمةُ : معروفة . يقال : زَحَمْتُهُ على كذا، زَحْمَةً، وزاحمتُهُ، وازدحمَ القومُ على هذا الأمر، وتزاحموا عليه، ازدحامًا وزحامًا ومُزاحمةً . والعودُ - بفتح العين المهملة وسكون الواو - : المُسنّ من الابل الذي جاوَزَ البازِلَ والمُخْلِيفَ سنًا . قال امرؤ القيس :

على لاجِبٍ لا يهُتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعُودُ النَّبَاطِيُّ جَرَجَرًا
والجمع عِوْدَةٌ - كزَوْجٍ وزَوْجَةٍ - ، والأنثى عَوْدَةٌ، والجمع عُود⁽³⁾ ؛ وَعَوْدٌ البعيرُ تَعْوِيدًا : بلغ ذلك . والعودُ أيضًا : الطريق القديم . قال الرازي :

عَوْدٌ على عودٍ لأَقْوَامٍ أَوَّلُ يموت بالتَّركِ ويحيى بِالْعَمَلِ
أي جمل مسنّ على طريق قديم . وفي الصحاح : ربّما قالوا : سُوْدَدَ عَوْدٌ أي قديم،
وأنشد للطّرماح :

1 (سقطت كلمة «ابن» من د .

2 (في ب : تترنّم

3 (في لسان العرب أن عَوْدَةٌ تجمع على عِيَاد .

هك المجد' إلا السؤدد' العود' والندي ورأب' التأي والصبر' عند المواطن⁽⁴⁾ ؟
والمراد من المثل المعنى الأول، وهو على التمثيل والتشبيه . والمعنى أنك إذا حاولت أمرا
أو زاولت حربا، ينبغي لك أن تستعين عليه بأهل السنّ والمعرفة والتجريب . فإن رأي
المشائخ كثيرا ما كان أنفع من مشاهد الشباب، على أن مشهد الشيوخ وأهل البصيرة
والصدق أيضا هو المشهد، كما قال أبو الطيّب :

سأطلبُ حقِّي بالقنا ومَشَائِخِ كَأَنَّهُمْ من طول ما التثَمُوا مُردُ
ثقالٌ إذا لاقُوا خِفافٌ إذا دُعُوا كثيرٌ إذا شدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا
وعلى أسلوب هذا المثل ما يقال : قَاتِلِ بِسَعْدٍ أو بِجَدٍّ، وإلا فلا !

زَعَمُوا مَطِيَّةَ الكُذِبِ .

الزَّعَمُ : الظَّنُّ، يقال : زَعَمَ كذا واقعًا، يزعمه . قال :
زَعَمْتَنِي شَيْخًا وَلَسْتُ بِشَيْخٍ....⁽⁵⁾
وقال كثير :

وقد زَعَمْتَ أَتَيْتُ تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يَا عَزَّ لَا يَتَغَيَّرُ ؟
ولها معان أخرى غير مرادة هنا . والمَطِيَّةُ : الناقة التي يُركب مَطَاها أي ظهرها . قال
امرؤ القيس :

ويومَ عَقَرْتُ للعَذَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَبًا من رَحْلِهَا المَتَحَمَلِ !
ويحكى أن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال : رأيت رجلا يطوف بالبيت حاملا أمه على
ظهره وهو يقول :

إِنِّي لَهَا مَطِيَّةٌ لَا تَذْعَرُ إذا الرِّكَابُ نَفَرَتْ لَا تَنْفَرُ
ما حَمَلَتْ وَأَرْضَعَتْنِي أَكْثَرُ اللَّهُ رَبِّي ذُو الْجَلَالِ أَكْبَرُ !
وذكر في الصحاح أن المطيئة تَوْنَتْ وتذكَّرَ، وأنشد على التذكير لربيعة بن مَقْرُوم
الضَّبِّي جاهلي⁽⁶⁾

4 (في ب : «هك المحل...»، وفي د : «هك العود...»)

5 (تمامه : انما الشيخ من يدب ديبيا .

6 (حرف اسم الشاعر في أ فكتب : ربيعة بن مضر .

وَمَطِيَّةٌ - مَلَتْ الظَّلَامَ - بَعَثَتْهُ يَشْكُو الكَلالَ إِلَيَّ دَامِي الْأُظْلَلِ
وَكَانَ المَطِيَّةَ، عَلَى هَذَا، هُوَ المَرْكُوبُ، جَمَلًا كَانَ أَوْ نَاقَةً . وَجَمَعَ المَطِيَّةَ مَطِيٍّ
وَمَطَايَا . قَالَ امْرُؤُ القَيْسِ :

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكَلَّ مَطِيئُهُمْ وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدِّنَ بِأَرْسَانِ
وَفِي الْحَدِيثِ عَلَى رِوَايَةِ يُوْشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَبَاطَ المَطِيِّ فِي طَلَبِ
العِلْمِ فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ المَدِينَةِ .
وَقَالَ جَرِيرُ :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ المَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ ؟
وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

وَإِذَا المَطِيُّ بَنَا بَلْعَنَ مُحَمَّدًا فَظَهَرُ هُنَّ عَلَى الرُّجَالِ حَرَاهُ
وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي دَلَامَةَ (X) :

إِنَّ المَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَاسِبًا وَرَمَلًا
وَمَعْنَى الْكَلَامِ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَحَدَّثَ قَالَ : زَعَمُوا كَذَا وَكَذَا، وَزَعَمُوا أَنَّ الْأَمْرَ كَذَا
وَأَنَّ كَذَا وَاقَعَ . فَلَمَّا كَانَ هَذَا اللَّفْظُ يَقْدِمُهُ أَمَامَ كَلَامِهِ وَيَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى حَاجَتِهِ، جَعَلَ
مَطِيَّةً تَشْبِيهَا بِالمَطِيَّةِ المَرْكُوبَةِ، بِجَامِعِ التَّوَصُّلِ بِهِمَا إِلَى الغَرَضِ . ثُمَّ إِنَّهُمْ قَالُوا :
إِنَّمَا يُقَالُ هَكَذَا فِي حَدِيثٍ لَا سَنَدَ لَهُ وَلَا ثَبَتَ فِيهِ، وَإِنَّمَا يَجْرِي عَلَى الْأَلْسِنِ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ
ذَلِكَ كَذِبٌ .

وَفِي الْحَدِيثِ : حَسِبُ الرَّجُلِ مِنَ الكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ . فَجَعَلَ
زَعَمُوا مَطِيَّةً لِلْكَذِبِ، أَيْ لِلتَّحْدِيثِ بِهِ مِنْ أَجْلِ هَذَا . وَقَدْ يَعْبُرُ بِهِ مَنْ يَتَعَمَّدُ
الْكَذِبَ لِسَهُولَتِهِ إِذَا ذَاكَ وَتَسْتَرُّهُ حَيْثُ لَمْ يَتَعَيَّنِ الْمَكْذُوبُ عَلَيْهِ وَلَا الْمَنْقُولُ عَنْهُ حَتَّى
يَفْتَضَحَ النَّاقلُ عِنْدَ سؤَالِهِ .

فَأُثِّدَتَانِ . الْأُولَى . قَالَ الْجَلَالُ السِّيُوطِيُّ فِي كِتَابِهِ الهمم : قَوْلُهُمْ زَعَمُوا مَطِيَّةً
الْكَذِبَ لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْأَمْثَالِ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ رَوَى : مَطْنَةً
الْكَذِبِ - بِالظَّاءِ المَعْجَمَةِ وَالنُّونِ - . وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو

(X) صَوَابُهُ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ، وَسِيحِيلُ عَلَيْهِ الْمُؤَلِّفُ نَفْسَهُ فِيمَا بَعْدَ .

الكلابي، قال : بئسَ مَطِيَّةُ المُسْلِمِ زَعَمُوا إِنَّمَا زَعَمُوا مَطِيَّةَ الشَّيْطَانِ . وأخرج ابن سعد في الطبقات، من طريق الأعمش عن شريح القاضي قال : زَعَمُوا كُنْيَةَ الكَذِبِ . انتهى .

وذكر بعضهم : زَعَمُوا مَطِيَّةُ الكَذِبِ حديثًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقال بعضهم : لا يوجدُ زَعَمٌ في فصيح الكلام إلاَّ عبارة عن الكذب، أو قول انفرد به قائله، أو تبقى عهده على الزاعم . ففي ذلك ما ينحو إلى تضعيف . وقول سيبويه : زعم الخليل كذا، إِنَّمَا يجيء فيما تفرَّد الخليل به . انتهى .

قلت : ولم يكن يأتي به سيبويه على أنَّ ذلك كذب، بل من أجل ذلك التفرَّد وبقاء العهدة فقط . وقد يأتي زَعَمٌ مع القطع بصدق الزاعم، كما في السير من قول سعد، رضي الله عنه، للقرشي بمكةَ إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ، ولم يكن المخبر يشك في صدق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل أيقن القرشي مع كفره بذلك فقال : إِنَّا لَا نَكْذِبُ مُحَمَّدًا في خبره . والقصة مشهورة .

الثانية : قول جرير السابق . قالوا : هو أمدح بيت قالته العرب . وكان امتدح به عبد الملك بن مروان من قصيدة، وكان أولها أن قال :

أَتَصْحُو أَمْ فَوَادُكَ غَيْرُ صَاحِرٍ ٧

فقال عبد الملك : بك فوآدك ! ثمَّ تمادى في الانشاد إلى أن قال :

تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ : رَأَيْتُ الْوَارِدِينَ ذَوِي امْتِيَا ح (٨)

ثِقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ إِلَيَّ رِيْشِي وَأَنْبَتَ الْقَوَادِمَ فِي الْجَنَاحِ (٩)

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بِطُونٍ رَاحٍ ؟

فطرب عبد الملك وأخذته الأريحية وكان متكئا فجلس وقال : من مدحنا فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت ! ثمَّ قال : يا جرير، أترى أم حزرَةَ ترويهَا مائة ناقة سود الحدق ؟

٧ (تماهه : عشية همَّ صاحبك بالرواح .

٨ (ما نحفظه ويوجد في كتب الادب : «امتناح» بالنون، بمعنى العطاء . وستأتي كلمة امتياح قافية لبيت ثالث بعد هذا أهمله اليوسي، فيلزم عليه عيب الإيطاء .

٩ (في المخطوطات «وأثبت» وهو خلاف ما نحفظ ونقرأ في كتب الادب . وتركنا «الجناح» كما هو، ولو أن المشهور «جناحي» المناسب لريشي السابق .

فقال : يا أمير المؤمنين، إنَّ الابل إِباق ونحن مشائخ ليس بأحدنا فضل عن راحلته . فلو أمرت بالرعاة ؟ فأمر له بثمانية أعبد . وكانت بين يدي عبد الملك صحاف فضة يقرعها بقضيب بيده . فقال جرير : والمَحْلَب^(٩)، يا أمير المؤمنين ؟ وأشار إلى صحيفة منها . فنبذها إليه بالقضيب . وفي ذلك قال جرير :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثَمَانِيَةً^{١٠} ما في عطائهم منٌ ولا سرفُ !
قلت : وما ذكر في بيت جرير هو بحسب ما فيه من الشمول بذكر العالمين، وإلا فلزهير أبيات هي الغرر في جبهات المديح، كقوله :

بَلْ اذْكُرْنَ خَيْرَ قَيْسٍ كُلَّهَا حَسْبًا وخيرها نائلاً وخيرها خُلُقًا
فإنَّه يجمع أوصافا من المدح مع السبك العجيب والاتساق البديع . إلا أنَّه خصَّصه بقيس وهو لا يوجب كبير قصور، لأنَّ العناية بتفضيل الممدوح وتعليلته إنما هي بحسب أقرانه ومزاحميه في الشرف، مع أنَّ هذا أقرب إلى الصدق، وليس الكذب البشيع بممدوح في الشعر . إلا أنَّ جرير رهن الممدوح جميعا حتَّى يدخل النبي صلَّى الله عليه وسلَّم فيكون كلامه صدقا . وقوله :

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
فإنَّه ترك إثبات السماحة والندى للممدوح إلى إثبات كونهما من سجايه وخلائقه، إيهامًا لكون ثبوتهما ليس متوقف العقول، لاتّضاحه كالنَّهار، واشتغاره غاية الاشتهار . ووقع لزهير غير هذا ولغيره أيضا ممَّا يطول تتبُّعه .

قالوا : وأهجى بيت قالته العرب قول الأخطل يهجو جريرا :
قومٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الضَّيْفَانُ كَلْبَهُمْ^{١١} قالوا لَأُمِّهِمْ بُولِي عَلَى النَّارِ !
وبعده :

فَتُمْسِكُ الْبَوْلَ بُخْلًا أَنْ تَجُودَ بِهِ^{١٢} فَمَا تَبُولُ لَهُمْ إِلَّا بِمِقْدَارِ !
وتقدَّم هذا :

وأحكم بيت قالته العرب قول طرفة :
سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا^{١٣} وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَا لَمْ تَزُودْ^{١٤}

(٩م) في ب و د : «والصحاف» بدل «والمحلب» وهو تصحيف.

وأحرق بيت قول أبي محجن :

إذا مِتُّ فادفِنِّي إلى جنبِ كرمي
ولا تدفِنِّي في الفلاةِ فإنِّي
وأغزل بيت قالته العرب قول جرير :
إنَّ العيونَ التي في طرفِها حورٌ
قتلنا ثمَّ لم يُحْيَيْنَا قتلنا
وبعده :

يصرعن ذاك اللبُّ حتَّى لا حراكَ به
وهنَّ أضعفُ خلقِ اللهِ أركاناً⁽¹⁰⁾
قلت : وأصدق بيت قالته العرب قبل النبي صلى الله عليه وسلم قول لبيد :
ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ⁽¹¹⁾
وبعده قول الآخر :

وما حمَلت من ناقةٍ فوق رحليها
أبرَّ وأوفى ذمَّةً من مُحمَّدٍ !
عجيبه . أبو العتاهية في شعره السَّابق امتدح عمر بن العلاء، فأمر له بسبعين ألف درهم وأمر من حضره من خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه حتَّى لم يقدر على القيام لِمَا عليه من الثياب . ثمَّ إنَّ جماعة من الشعراء كانوا بباب عمر فقال بعضهم : يا عجا للأُمير ! يعطي أبا العتاهية سبعين ألفاً . فبلغ ذلك عمر فقال : [عليَّ بهم ! فأدخلوا عليه . فقال]⁽¹²⁾ : ما أحسد بعضكم لبعض، يا معشر الشعراء ! إنَّ أحدكم يأتينا يريد مدحنا فيشَبِّب بصديقته في قصيدته بخمسين بيتاً، فما يبلغنا حتَّى يذهب لاذة مدحه ورونق شعره . وقد أتانا أبو العتاهية فشَبِّب بيتين ثمَّ قال :

إنِّي أُمِنْتُ من الزَّمانِ وريِّبه
لَمَّا عُلِقْتُ من الأُميرِ حبالاً
لو يستطيعُ النَّاسُ من إجلالِهِ
لحذَّوا له حرَّ الوجوهِ نعالاً
ما كان هذا الجودُ حتَّى كُنْتُ يا
عُمراً ولو يوماً تزولُ لزالاً
إنَّ المطايا تشكِّيكَ لأنَّها
قَطَعَتْ إليك سباسباً ورمالاً

(10) كذا في المخطوطات . إلا ب كتب فيها «إنساناً» حسب المشهور، ثم كتب في الغامض أن الصحيح بحسب النص هو «أركاناً».

(11) تمامه : وكل نعيم لا محالة زائل.

(12) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

فَإِذَا أَتَيْنَا بِنَا أَتَيْنَا مُخِيفَةً وَإِذَا رَجَعْنَا بِنَا رَجَعْنَا ثِقَالًا
ويُذَكِّرُ أَنَّهُ لَمَّا امْتَدَحَهُ قَالَ لَهُ : أَقِمْ حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِكَ ! فَأَقَامَ أَيَّامًا فَلَمْ يَرِ شَيْئًا .
وكان عمر ينتظر مالا من وجه فأبطأ عليه . فكتب إليه أبو العتاهية :
يَا ابْنَ الْعَلَاءِ وَيَا ابْنَ الْقَرَمِ مِرْدَاسٍ إِنِّي امْتَدَحْتُكَ فِي صَحْبِي وَجَلَّاسِي
أُثْنِي عَلَيْكَ وَلِيَّ حَالٍ تَكْذِبُنِي فِيمَا أَقُولُ فَاسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ
حَتَّى إِذَا قِيلَ مَا أُعْطَاكَ مِنْ صَفْدٍ طَاطَأْتُ مِنْ سَوْءِ حَالٍ عِنْدَهَا رَاسِي
فقال عمر لحاجبه : اكفنيه أيَّامًا ! فقال له الحاجب كلما دفعه به وقال : تنتظر ! فكتب إليه :
أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ الْعَيْنُ يَا عُمَرُ فَحَنُّ لَهَا نَبْغِي التَّمَائِمَ وَالنُّشْرُ
أَصَابَتْكَ عَيْنٌ فِي سَخَائِكَ صَلْبَةً وَيَا رَبَّ عَيْنٍ صَلْبَةً تَفْلِقُ الْحَجَرَ
سَرَقَيْكَ بِالْأَشْعَارِ حَتَّى تَمْلَهَا فَإِنْ لَمْ تُفِقْ مِنْهَا رَقِينَاكَ بِالسُّورِ⁽¹⁾
فضحك عمر وقال لصاحب بيت ماله : كم عندك ؟ قال : سبعون ألف درهم . فقال : ادفعها
إليه ! ويقال إنَّه قال له : اعذرني عنده ولا تُدخله عليَّ، فإنِّي أَسْتَحْيِي مِنْهُ !

زَنْدَانٌ فِي وَعَاءٍ .

الزَّنْدُ - بفتح الأوَّل - العود الذي يُقدِّم به . والوعاءُ معروف . يُضْرَبُ هَذَا فِي
تساوي الرجلين، فيقال : هُمَا زَنْدَانٌ فِي وَعَاءٍ، وَكَزَنْدَيْنِ فِي وَعَاءٍ .
قال أبو عبيد القاسم بن سلام : ولا يكاد يوضع في المدم . إنَّما هو في موضع
الخشاسة والدناءة .

فقال البكري : لا أعلم لِمَ جُعِلَ فِي مَوْضِعِ الدَّعَاءِ إِلَّا أَنْ يَتَنَاولُوا فِيهِ قَوْلَهُمْ :
اللَّيْمُ مُزْنَدٌ، وَالتَّزْنِيدُ : التَّضْيِيقُ .

قلت : ولا يخفى بَعْدَهُ . والمزْنَدُ - بصيغة اسم المفعول - وهو البخيل الضيق . قال
الحماسي :

وَمِنْ الرِّجَالِ أَسِنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ وَمُزْنَدُونَ شُهُودُهُمْ كَالْغَائِبِ
وقد أتى الحريري في مقامته البغدادية بهذا المثل في مطلق الاستواء أو في الاستواء في

(1) فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : بِالنَّثْرِ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الدِّيَوَانِ.

المدح بالحدق والذكاء . فقال ابن ظفر : المشهور استعماله - يعني هذا المثل - في الحقارة والخساسة .

أَزْكَنُ مِنْ إِيَّاسٍ .

الزَّكَنُ : العلمُ، تقول : زَكِنْتُهُ - بالكسر - أَزْكَنُهُ، زَكْنَا إذا علمته . قال ابن أمّ صاحب :

ولن يُراجِعَ قلبي وُدَّهُمْ أَبَدًا زَكِنْتُ من أمرهم مثل الذي زَكِنوا
ويروى : زَكِنْتُ منهم على مثل الذي عَلِموا .

والزَّكَنُ أيضا : التفرّس، وهو علم خاصّ . وإيَّاس هو ابن معاوية، قاضي البصرة . وضرب به المثل في الفراسة والذكاء، وله في ذلك أخبار كثيرة تقدّمت جملة منها في ذكائه، من حرف الذّال . وكان يُحكى أنّه قال : تعلّمت الزَّكَنَ من أمّي، وكانت خراسانيّة، وأهل بيتها يزكّنون، أي يتفرّسون . قيل : وقد ألّف في أخباره كتاب يُسمّى «زكّن إِيَّاس» .

أَزْنَى مِنْ قِرْدٍ .

الزَّئى - بالزاي المكسورة والنون - معروف، يُمدّ ويُقصر . قيل : والقصر لغة الحجاز، لقوله تعالى : ولا تَقْرَبُوا الزَّئى ! والمدّ لغة نجد، كقول الفرزدق :
أبا حاضرٍ مَنْ يَزَنُ يُعْرِفُ زَنَاؤُهُ ومن يشرب الخُطومَ يُصْبِحُ مُسْكِرًا⁽¹³⁾
وزنّى الرجل - بالفتح - يَزْنِي، زَنَى، وزانَى مُزَانَاةً وزَنَاءً . وفي عدّ الكبائر : وأن تزاني حليّة جارك . والقِرْدُ - بكسر القاف - معروف، وتقدم في الحاء، وهو يوصف بالزنى . وقد وقع في السيرة أنّه زنى قرد في الجاهلية فرجمته القردة . وزعموا أنّ القرد أزنى الحيوان .

وقيل إنّ المعنيّ في هذا المثل ليس القرد المعروف، بل رجلا من هُذَيْل يقال له قرد بن معاوية، وبه ضرب المثل، والله تعالى أعلم !

(13) في أ: «ألا يا حاضر.....» وهو لا يستقيم وزنًا.

أَزْهَى مِنْ طَاوُوسٍ .

الزَّهْوُ : الاعجاب والتَّكَبُّر . يقال : زُهِىَ - بالبناء للمفعول - يَزْهَى، فهو مَزْهُوٌ .
ويقال أيضا : زَهَى - بالفتح - يَزْهُو، زَهْوًا . وهي لغة حكاها ابن دُرَيْد . والطَّاوُوسُ :
الطَّائِرُ المعروف، وتقدَّم في الحاء . وإنَّمَا وُصف بالزَّهْوِ لِمَا مَرَّ من أنَّ طبعه حبُّ الزهو
لنفسه والخيلاء والاعجاب بربيشه : ثمَّ إنَّهم بنوا اسم التفضيل هنا من فعل المفعول وعلى
الشدوذ، كما قالوا : أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النَّحْيَيْنِ، وَأَجَنُّ مِنْ دُعَاةٍ، وَأَوْلَعُ مِنْ قِرْدٍ .
وتعجبوا منه أيضا فقالوا : ما أَزْهَاهُ ! وما أَشْغَلَهُ ! وما أَجَنَّهُ ! وهو مسموع في هذه
الألفاظ ونحوها . ولا يقال في المضروب والمجروح ونحوهما : أَضْرَبُ من كذا، ولا أَجْرَحُ،
ولا : ما أَضْرَبَهُ ! وأَجْرَحَهُ !

ومن الشَّاذِّ قول سيبويه، رحمه الله تعالى : واعلم أنَّ العرب يقدِّمون ما هم به أهمُّ
وهم ببيانهِ أعنى، وهو من عَنَاهُمْ وَعَنُوا به، فهم مَعْنِيُونَ به .

قال الامام السُّهَيْلِي، رحمه الله تعالى : وسبب جوازه - يعني في الأفعال المذكورة
دون غيرها - أنَّ المفعول فيها فاعل في المعنى : فالْمَزْهُوُّ متكبر في المعنى . وكذلك
الْمَنْخُوُّ، والمَشْغُولُ مشغول وفاعل لشغله، والمَعْنِيُّ بالأمر كذلك، والمجنون كالأحمق،
فيقال : ما أَجَنَّهُ ! كما يُقال ما أَحْمَقَهُ ! وليس كذلك مضروب ولا مركوب ولا مشتوم ولا
مدروح، فلا يقال في شيء منه : ما أَفْعَلَهُ، ولا : هو أَفْعَلُ من كذا .

قال : فإن قلت : فعلى هذا القياس كان ينبغي أيضا أن يؤمر فيه بغير الأتم، كما أمر
الفاعل إذ قلت إنَّه فاعل في المَعْنَى، يعني وليس الأمر كذلك، لأنَّك تقول في
أمر المخاطب، من عَنِي وزُهِى وشُغِل : لَتَعْنِ وَلَتَزْهَ وَلَتَشْغَل ! كما يؤمر
الغائب في سائر الأفعال .

قال : فالجواب أنَّ الأمر إنَّمَا هو بلفظ المستقبل، وهو : تَضْرِبُ وتَخْرُجُ . فإذا أمرت
حذفت حرف المضارعة، وبقيت حروف الفعل على بنيتها . وليس كذلك زُهِيت، فأنت تَزْهَى،
ولا شُغِلت، فأنت تَشْغَل . لأنَّك لو حذفت منه حرف المضارعة لبقى لفظ الفعل على بنية
ليست للغائب ولا للمخاطب، لأنَّ بنية الأمر للمخاطب : افْعَلْ، وبنيتها للغائب :

فَلْيَفْعَلَ . والبنية التي قد رُناها لا تصلح لواحد منهما، لأنك كنت تقول : ازّه، من زهيت، وكنت تقول من شغلت : اشغَلْ، فتخرج من باب شَغِلْتَ فَأَنْتَ مَشْغُولٌ إِلَى باب شَغِلْتَ غَيْرَكَ، فلم يستقم فيه الأمر باللام . انتهى . وهو حسن، وهذا في زهِي
 إِنَّمَا هُوَ عَلَى أَنَّ التفضيل جاء فيه عَلَى اللّغة المشهورة . وَأَمَّا عَلَى أَنَّهُ عَلَى اللّغة الثانية التي ذكرها ابن دريد فلا بدوذ فيه.

قال الجوهري، بعد ذكره هذه اللغة : ومنه قولهم مَا أَزْهَاهُ، وليس هذا من زَهِي، لأنَّ اسم المفعول لا يُتَعَجَّبُ منه . انتهى .

أَزْهَى مِنْ دِيكَ .

تَقْدَمُ الزَّهْوُ . والدِّيكَ - بكسر الدال المهملة - معروف، جمعه دِيكَةٌ ودِيُوك . وهو موصوف بالزهو والتبختر والتمايل في مشيته، وذلك معروف فيه .

أَزْهَى مِنْ غُرَابٍ .

الزَّهْوُ مَرٌّ، وكذا الغراب، وهو أيضا موصوف بالزهو . قال الشاعر :
 لَنَا صَاحِبٌ مُؤَلِّمٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَايَا قَلِيلُ الصَّوَابِ
 أَلَجُّ لَجَاجًا مِنَ الْخُنْفُسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غُرَابٍ .

زَوْجٌ مِنْ عَوْدٍ، خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ .

الزَّوْجُ ضِدُّ الْفَرْدِ . والزَّوْجُ أَيضاً بَعْلُ الْمَرْأَةِ، وهي أيضا زَوْجُهُ . فالزَّوْجُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى هَذَا هُوَ الْفَصِيحُ . قال تعالى : اُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ! وقد يقال زَوْجَةٌ . قال الفرزدق :

وإِنَّ الَّذِي يَسْعَى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِي كَسَاعِرٍ إِلَى أَسَدٍ الشَّرَّاءِ يَسْتَبِيلُهَا !
 وتَقْدَمُ هَذَا . والعَوْدُ - بضم العين المهملة -: معروف، جمعه عِيدَانٌ وَأَعْوَادٌ، وَالْقُعُودُ: الْجُلُوسُ، وقد يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا فَيُقَالُ : الْقُعُودُ ضِدُّ الْقِيَامِ . فإذا كَانَ أَحَدٌ وَاقِفًا قِيلَ لَهُ : اقْعُدْ ! ولا يُقَالُ : اجْلِسْ ! وإذا كَانَ مُضْطَجِعًا ثَمَّ اسْتَوَى جَالِسًا قِيلَ : إِنَّهُ قَدْ جَلَسَ .

ومعنى المثل أن التزوّج، ولو بأدنى زوج، خير من البقاء بلا زوج . قالت بنت همام بن
 مرة الوائلي البكري . وكان له - فيما زعموا - أربع بنات . فكان يُخطبن إليه فيستأمرهن
 فيمنعهنّ الحيا أن يأذن، فلا يزوّجهنّ . وكانت أمهنّ تأمره بتزويجهنّ فلا يفعل . فخرج
 ذات ليلة إلى متحدثّ لهنّ، فجعل يستمع تحديثهنّ وهنّ لا يعلمن . فقلن : تعالين
 نتمنّ ولنصدّق! فقالت الكبرى :

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى حديث الشّباب طيّب النّشر والعطر
 طيّب بادواء النّساء كأنه خليفة جان لا يبيت على وتر !
 فقلن لها : إنك تحبين رجلا ليس من قومك . وقالت الثانية :

ألا هل أراها مرة وضجيعها أشمّ كماضي الشّفتين مهنّد
 لصوت بأكباد النّساء وأصله إذا ما انتمى من أهل سرّي ومحتدي ؟
 وقالت الثالثة :

ألا ليتّه على الجفان مدلب⁽¹⁴⁾ له جفنة تشقى بها النّيب والجُرز
 به مُحكمات الشّيب من غير كبرة تشين فلا العاني ولا الضّرْعُ العمر !
 فقلن لها : تحبين رجلا شريفا . فقلن للصغرى : تمنّي أنت ! فقالت : ما أريد شيئا . فقلن :
 والله لا تبرحين حتّى نعلم ما في نفسك ! فقالت : زوّج من عود، خير من
 قعود . فلما سمع أبوهنّ ذلك زوّجهنّ .

وهكذا حكى عن بعضهم هذه القصّة . والذي ذكر صاحب القاموس في اللغة أن همام
 بن مرة له ثلاث بنات، وإلى على نفسه ألا يزوّجهنّ . فلما عنسن قالت إحداهنّ بيتا
 وأسمعت إياه، متجاهلة . فقالت :

أهمّام بن مرة إنّ همّي لفي اللّائي يكون مع الرّجال
 فأعطاها سيفا وقال : هذا يكون مع الرجال ! فقالت أخرى : ما صنعت شيئا ولكنّي أقول :
 أهمّام بن مرة إنّ همّي لفي قنّاء مُشرّفة القذال
 والقنّاء تُطلق عند العرب على الغليظة من آذان المعزى، كأنّها نعل مخصوفة . وتُطلق

(14) هكذا في أ وكتب الناسخ فوقها : «كذا» . وفي بو د : «الحقان مدله» وفي أمثال الميداني (1 : 321) : أليته يعطي
 الجمال بديهة.

وتداخل بعض هذه الأبيات في بعض وتغيّرت بعض ألفاظها عند الميداني، فلتراجع.

على الكرمة العظيمة، وهو مراد القائلة . فقال أبوها : وما قنفاء ؟ تريدين معزى . فقالت الصغرى : ما صنعتما شيئاً، ولكني أقول :

أَهْمَامَ بِنِ مُرَّةٍ إِنَّ هَمِّي لَفِي عَرْدٍ أَسْدُ بِهِ مَبَالِي
فقال : أخزاكن الله ! وزوجهن . والعرد - بفتح العين وسكون الراء - : الذكر .

ويُحكى أيضاً، في نحو هذه القصة، أن رجلاً من العرب كان له ثلاث بنات قد عضلن ومنعهن الاكفاء . فقالت إحدهن : إن أقام أبونا على هذا الرأي فارقنا وقد ذهب حظ الرجال منّا، فينبغي لنا أن نعرض له بما في نفوسنا، وكان يدخل إلى كل واحدة منهن يوماً . فلماً دخل على الكبرى تحدثا ساعة . فلماً أراد الانصراف أنشدته :

أَيُزَجَرُ لَاهِينَا وَيُلْحَى عَلَى الصَّبَا وما نحنُ والفتيانُ إلا شقائقُ ؟
يُؤْبِنُ حَيَّاتٍ مِرَارًا كَثِيرَةً وتتباقي أحياناً بهن البوائقُ
فلماً سمع الشعر ساءه . ثم دخل على الوسطى فتحدثا . فلماً أراد الانصراف أنشدته :

أَلَا أَيُّهَا الْفَتَيَانُ إِنَّ فَتَاتِكُمْ دهاها سماعُ العاشقين فَحَنَّتْ
فَدُونَكُمْ ابْغُوهَا فَتَى غَيْرَ زُمْلٍ وإلا صبت تلك الفتاة وجئت !
فلماً سمع الشعر ساءه . ثم دخل على الصغرى في يومها . فلماً أراد الانصراف أنشدته :

أَمَا كَانَ فِي ثِنْتَيْنِ مَا يَزَعُ الْفَتَى ويعقلُ هذا الشيخُ إن كان يعقلُ
فَمَا هُوَ إِلَّا الْحِلُّ أَوْ طَلَبُ الصَّبَا ولا بُدَّ منه فائتِمِرُ كيف تفعلُ !

زُرْ غَيْبًا، تَزِدْ حُبًّا !

الزيارة معروفة، والغيب في الماء أن ترد الابل يوماً وتدع يوماً . فهي إبل غابّة وغواب . وغيب كل شيء : عاقبته .

وأما في الزيارة فقال الجوهري : قال الحسن : الغيب في الزيارة كل أسبوع . يقال : زُرْ غَيْبًا تَزِدْ حُبًّا . انتهى . وهذا الكلام قد يروى حديثاً مرفوعاً، وهو أمر بأوسط الأمور، وأفضلها في الزيارة الموجب للمحبة ودوام الوصلة . ووراء ذلك طرفان كلاهما مذموم :

أحدهما الاكثار من الزيارة والافراط فيها، وهو يوجب السامة والملك والضجر . والثاني الاقلال منها جداً والافراط في الغيبة والقطيعة . وهو يوجب الوحشة والتقاطع والتباغض . ونظم بعض الشعراء الكلام المذكور فقال :

إذا شئت أن تقلّى فزُرْ مُتَتَابِعًا وإن شئت أن تزدادَ حُبًّا فزُرْغِبًا !
وقال الثعالبي :

عليك بإقلالِ الزَّيَارَةِ إنَّهَا تكونُ إذا دامت إلى الهجرِ مسلِّكًا
فإنِّي رأيتُ القطرَ يُسَامُ دَائِمًا ويُطْلَبُ بالأَيْدِي إذا هو أُمْسَكَا !
وقال أبو العتاهية :

أقلِّ زيارتك الصَّدِيقَ ولا تُطِلْ إتيانَه فَيَلْجُ فِي هِجْرَانِهِ !
إنَّ الصَّدِيقَ يُلْجُ فِي غَشْيَانِهِ لِصَدِيقِهِ فَيُملُ فِي غَشْيَانِهِ
حتَّى تراه بعدَ طولِ سُورِهِ وكأنَّه مُتَبَرِّمٌ بِمَكَانِهِ (15)
وإذا تولَّى عن صيانةِ نفسه رجلٌ تنقَّصَ واستخفَّ بِشَانِهِ (16)
وقالوا : قلَّةُ الزيارة أمان من الملاة . وقالوا، في الطرف الآخر، ترك الزيارة سبب القطيعة .
وينسب لعلِّي كرَّم الله وجهه :

الصَّبْرُ من كَرَمِ الطَّبِيعَةِ والمنُّ مفسدةُ الصَّنِيعَةِ
تركُ التَّعَاهُدِ للصَّدِيقِ يكونُ داعيةً القَطِيعَةِ

زيادةُ الأمل، تقتضي نقصانَ العمل .

هذا مثل مصنوع فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى .

زِدْهُمْ عَنَزًا (17)

الرَّيْدُ والرَّيَادَةُ معروف . يقال : زِدْهُ الشيءَ أَزِيدُهُ زيادةً وزِيدًا، وازْدَدْتُ كذا

(15) في أ : متورم بمكانه .

(16) هنا بهامش أطة نصها : قال الحريري رحمه الله :

لا تزر من تحب في كل شهر
فاجتلاء الهلال في السهر يوم
غير يوم ولا تزده عليه
ثم لا تنظر العيون اليه

(17) ورد هذا المثل عند الميداني بصيغة : «زدهم أعنزًا».

ازْدِيَادًا . - والعَنْزُ - بفتح العين وسكون النون - الأنثى من المعز ومن الظباء والأوعال.
والعنز أيضا اسم فرس، وهي التي في قول الشاعر :

دَلَقْتُ لَهُ بِصَدْرِ الْعَنْزِ لَمًّا تَحَامَتُهُ الْفَوَارِسُ وَالرِّجَالُ

والعنز أيضا اسم قبيلة من هوازن، وهي التي في قول الآخر :

وَقَاتَلَتِ الْعَنْزُ نَصْفَ النَّهَارِ ثُمَّ تَوَلَّتْ مَعَ الصَّادِرِ

والعنز أيضا الأكمة السوداء، وهي التي في قول رؤبة :

وَأَرَمَ أَخْرَسَ فَوْقَ عَنْزٍ

وأراد بالآرم العلم المبنى من حجارة، وبكونه أخرس أنه بناء أصم . وقوله : فَوْقَ عَنْزٍ، أي أكمة .

وعنز أيضا امرأة من طسّم سُبَيْت فحملوها في هودج وأطفوها بالقول والفعل، فقالت : هذا شَرُّ يَوْمِي ! أي : حين صرت أكرم للسباء . وقال الشاعر :

شَرُّ يَوْمِيهَا وَأَغْوَاهُ لَهَا رَكِبَتْ عَنْزٌ بِحِجْمٍ جَمَلًا

وسياّتي . والمراد هنا العنز من المعز، وقائله هبنقة القيسي الأحمق ذو الودعات . وكان أخوه اشتري له بقرة بأربع أعنز، فركبها وركضها . فلما أعجبه عدّوها التفت إلى أخيه فقال : زِدْهُمْ عَنْزًا ! فصار مثلا يُضرب في الاعطاء بعد إمضاء البيع .

ويحكى أنّه سار بها، فرأى أنبأ تحت شجرة، ففزع منها وركض البقرة وقال :

اللّٰهُ نَجَّانِي وَنَجَّى الْبَقْرَةَ مِنْ جَاوِظِ الْعَيْنِينَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ!

وأخباره في الحمق كثيرة، تقدّم بعضها في الحاء .

زَيْنٌ فِي عَيْنِ الْوَالِدِ وَلَدُهُ .

يُضرب في عجب الرجل برهطه وعترته ونحو ذلك . وهو في قول الشاعر :

نَعَمْ ضَجِيعُ الْفَتَى إِذَا بَرَدَ اللَّيْلُ سُحَيْرًا قُرْقِفَ الصَّرْدُ

زَيْنُهَا اللَّهَ فِي الْفُؤَادِ كَمَا زَيْنٌ فِي عَيْنِ الْوَالِدِ وَلَدُ !

* ومثله في أمثلة العامة قولهم :

(18) ورد هذا المثل عند الميداني (1 : 319) بلفظ : «زين في عين والد وليد» بحذف الضمير.

كُلُّ خُنْفُسٍ عِنْدَ أُمِّهِ غَزَالٌ .

ومن قول العرب :

كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ .

وسياأتي .

* * *

ولنذكر بعض ما تيسر من الشعر في هذا الباب . قال ابن الرومي :

خيرُ ما استعصمت به الكفُّ غضبٌ ذكرٌ حدُّهُ أنيُّ المَهَرُ
ما تأملتُه بعينيكِ إلا أوعدت صفحته من غير هز
مثلُه أفرع الشُّجاعِ إلى الدُّرِّعِ فغالى بها على كُكِّ بَرٍ
ما يُبالي أَصمَّتْ شَفَرَتاهُ في محزٍّ أم حارتا عن محزٍّ

وقال أبو الطيب يمدح علي بن صالح الروذباري :

ليس كُكُّ السَّراةِ بالروذ باري ولا كُكُّ من يطيرُ ببارٍ !

وقال الآخر :

إذا ما اعترَّ ذو عِلْمٍ بعِلْمٍ فعِلْمُ الفِقهِ أشرف في اعتزاز
فكم طيب يفوحٌ ولا كمسكٍ وكم طيرٍ يطيرُ ولا كَبَّاز !

وقال بعض السادة :

رجالُ اللَّهِ قد سعدوا وفازوا ونالوا رحمةَ المولى وحازوا
رجالُ طَلَّقوا الدُّنيا بتاتًا ولو جازَ الرُّجوعُ لما استجاروا
بدا عِلْمُ النَّجاةِ فمَيَّزوهُ يُحرِّكُهُم بدارٌ وانحِفَّازُ
فَبَعْضُ "تُشْرِقُ" الأَمْصارُ منهُ وِبَعْضُ "تَسْتَنيرُ" به النِّقَارُ
تَمَيَّزَ كُلُّ ذِي دُنْيَا بَدُنْيَا وهُم لَهُمُ بدينهمُ امتِيازُ
وما عَزَّوا بِمَخْلُوقٍ وَلَكِنْ لَهُمُ بِالْخَالِقِ الأَحَدِ اعتِرازُ
أردتُ لحاقَهُمْ فَعَجَزْتَ عَنْهُمْ وَحَدَّتْ عَنِ الإِجازَةِ إِذْ أَجَارُوا
أَتَطْمَعُ فِي اللِّحَافِ وَلَا نُهْوضُ وَتَفْرَحُ بِالرَّحِيلِ وَلَا حِفَّازُ ؟

وأنت أخوهمُ نسبًا ولكن
 دمر الدنيا فلستَ لهمُ بِنِدْ
 وقال آخر :

لبي صديقٌ هو عندي عوزٌ
 وجهه يُذكرني دارَ البلا
 وإذا جالسني جرّعتني
 يصفُ الودَّ إذا شاهدني
 كحمار السوء يُبدي مرحًا
 ليتني أعطيتُ منه بدلا
 قد رضينا بيضةً فاسدةً
 من سِدادٍ لا سِدادٍ من عوزٍ
 كلُّما أقبلَ نحوي وضمز
 غصصَ الموتِ بكربٍ وعلز
 فإذا غابَ وشى بي وهمز
 وإذا سيقَ إلى الحملِ غمز
 بنصيبِي شرَّ أولادِ المعز
 عوضًا منه إذا البيعُ نجز

العوزُ - بفتحتين - : الحاجة . تقول : عوزَ الشيء - بالكسر - أي لم يوجد . وسِداد الشيء : ما يُسدّ به . تقول : هو سِدادٌ من عوزٍ ، ووجدت سِدادا من عيشي ، أي ما تسدّ به الخلّة ، وهو بكسر السين ، والفتح ضعيف أو لحن . والسّدادُ - بالفتح - : الصّواب . والعلزُ - بفتحتين - : القلق والضيق . تقول : علزَ - بالكسر - علزًا في مرضه .

وقال آخر :

أرضنا اللّتْ أوتَ ذوي الفقر والذلّ
 فأضوا ذوي غِنى واعتزاز
 قوله : اللّتْ - بسكون التاء - لغة في التي الموصول .
 وقال ابن الرومي :

وحديثها السّحرُ الحلاكُ لو أنّه
 إن طال لم يُملك وإن هي أوجزتْ
 شركُ العقولِ ونزّهةٌ ما مثّلها
 ونحوه ، في ذكر الحديث ، قول الآخر :

وحديثها كالقطرِ يسمعه
 فأصاخَ يرجو أن يكونَ حيّا

وقول الآخر :

فَعَيْتُنَا عَلَى رَغْمِ الْحَسَدِ وَبَيْنَنَا
حَدِيثٌ لَوْ أَنَّ الْمَيِّتَ نُوْدِي بِبَعْضِهِ
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

مُنْعَمَةٌ يَحَارُ الطَّرْفُ فِيهَا
مِنَ الْمُتَصَدِّياتِ لَعِيرِ سَوْءٍ
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ سَعْدَى بِأَرْضِهَا
مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا
وَتَقَدَّمَتْ قِصَّةُ هَذَا الشَّعْرِ . وَقَوْلُ بَشَّارِ :

وَكَأَنَّ رَفَضَ حَدِيثِهَا
وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا
وَتَخَالُ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ
وَكَأَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَابِ

وَفِي اسْتِكْرَاهِ الْحَدِيثِ قَوْلُ أَبِي عَلِيٍّ الْبَصِيرِ :

غَنَاؤُكَ عِنْدِي يُمِيتُ الطَّرِبَ
وَلَمْ أَرْ قَبْلَكَ مِنْ قَيِّنَةٍ
وَلَا شَاهِدَ النَّاسُ إِنْسِيَّةَ
وَوَجْهَ رَقِيبٍ عَلَى نَفْسِهِ
وَلَوْ مَازَجَ النَّارَ فِي حَرِّهَا
فَكَيْفَ تَصُدِّينَ عَنِ عَاشِقٍ

وَقَالَ الْآخِرُ :

أَوَيْتُ فِي الدَّهْلِيزِ مَذْ أَرْبَعِ
خُبْرِي مِنَ السُّوقِ وَشِعْرِي لَكُمْ

وَقُلْتُ أَنَا :

إِذَا كُنْتُ مُرْتَادًا أَخَا ذَا صِدَاقَةٍ

(19) فِي ب : ذَهْنًا وَعَطْرًا

(20) صَحَّفَتْ كَلِمَةً تَنْتَحِبُ فِي د، إِذْ كَتَبَتْ بِالْخَاءِ.

حَدِيثٌ كَمَثَلِ الْمَسْكِ شَيِيتَ بِهِ الْخَمْرُ
لَأَصْبَحَ حَيًّا بَعْدَمَا ضَمَّهُ الْقَبْرُ !

كَأَنَّ حَدِيثَهَا سَكْرُ الشَّرَابِ
تَسِيلُ إِذَا مَشَتْ سَيْلَ الْحَبَابِ

أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا
إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحْدُوثُهُ لَوْ تُعِيدُهَا

قِطْعُ الرِّيَاضِ كُنْسِينَ زَهْرًا
هَارُوتَ يَنْفُتُ فِيهِ سِحْرًا
ثِيَابَهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا⁽¹⁹⁾
صَفَا وَوَافَقَ مِنْكَ فِطْرًا

وَضَرْبُكَ بِالْعُودِ يُحْيِي الْكُرْبَ
تُغْنِي فَأَحْسِبُهَا تَنْتَحِبَ⁽²⁰⁾
سَوَاكِ لَهَا بَدَنٌ مِنْ خَشَبٍ
يُنْفِرُ عَنْهُ عُيُونُ الرِّيبِ
حَدِيثُكَ أُوْخِمِدَ مِنْهُ اللَّهَبُ
يُودُّكَ لَوْ كَانَ كَلْبًا كَلَبُ

وَلَمْ أَكُنْ أَوِي الدَّهَالِيزَ
تِلْكَ لِعَمْرِي قِسْمَةٌ ضَيْرًا !

فَلَا تَصْحَبِنِ إِلَّا الَّذِي أَنْتَ رَائِزُ

فعيبُ الفتى غيبٌ إذا ما تركتهُ وعند احتكاكِ الجدلِ تبدو الغرائزُ
[وإنَّ أخلاءَ الرفاهةِ جمّةٌ ولكنَّ إخوانَ الكروبِ معاوزُ]⁽²¹⁾
وقلت أيضا على وجه التمليح والمطابقة لبعضهم :

أتهمز يا ابن الأسود اسمي أفكاً فهل حسنٌ لولا الضلالةُ يهْمزُ ؟
نعم تهمزُ الأنذالُ مثلكَ كلِّما تعاورها نظمُ القريضِ وتلمزُ
فهل أنت عن تلكَ السِّفاهةِ مُقصرٌ فتتنجُو من سيِّئٍ له أنتَ مركزُ ؟
والأفبحري لا تكدرُهُ الدِّلالُ وممتنُّ قناتِي لا يرى فيه مغمزُ
توافيكَ منِّي بُكرةٌ وعشيَّةٌ قوافي بها طمرُ الهجاءِ يطرزُ
على أن هجوَ النَّذلِ مثلكَ شائنٌ وما الهجوُ إلاَّ الهجوُ للكُفءِ يبرزُ
وإذْ لستَ بالكفءِ الكريمِ فلا يكنُ بقلبك منِّي أو لحائي مَعْلزُ !
ولعلَّ هذا القدر يكفيني من هذا الباب. واللَّه يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

(21) هذا البيت ناقص من ب.

بَابُ السَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ

المَسْأَلَةُ الْآخِرُ كَسْبُ الْمَرْءِ.

السُّؤَالُ : الطَّلَبُ، والسُّؤَالُ - بِالضَّمِّ مَهْمُوزٌ وَمَخْفَفٌ -: مَا تَسْأَلُهُ ؛ وَسَأَلْتَهُ الشَّيْءَ وَعَنْهُ وَبِهِ، سُؤَالًا وَمَسْأَلَةً وَتَسْأَلَا . وَقَدْ يُقَالُ سَأَلَ - مَخْفَفٌ الْهَمْزُ - قَالَ الشَّاعِرُ :
وَمُرْهَقٌ سَأَلَ إِمْتَاعًا بِأُصْدَتِهِ لَمْ يَسْتَعِنْ وَحَوَامِي الْمَوْتِ تَغْشَاهُ⁽¹⁾
الْأُصْدَةُ : قَمِيصٌ صَغِيرٌ يُلْبَسُ تَحْتَ الثَّوْبِ، وَالْكَسْبُ مَعْرُوفٌ.

وهذا من أمثال أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ، يُضْرَبُ فِي اسْتِقْبَاحِ مَسْأَلَةِ النَّاسِ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ . وَقَالَ الْبَكْرِيُّ : بَلْ هُوَ مِنْ كَلَامِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ لَبْنِيهِ : إِيَّاكُمْ وَمَسْأَلَةَ النَّاسِ، فَإِنَّهَا أَخْرَجَتْ كَسْبَ الرَّجُلِ ! قَالَ : وَأَخْرَجَ عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ، وَمَعْنَاهُ أَبْعَدُ مِنَ الْخَيْرِ وَأَرْذَلُهُ.

وَمِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَسَعِيدٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ الْآخِرَ زَنَى، أَيِ الْأَبْعَدِ . قَالَ : وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ هَذَا آخِرٌ - بِالْمَدِّ - الَّذِي هُوَ نَقِيضُ أَوَّلٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِبَاحَةٌ لِلْمَسْأَلَةِ، وَأَنْ تَكُونَ مِنْ آخِرِ مَا يَكْتَسِبُ بِهِ الْمَرْءُ، وَالْمَسْأَلَةُ مَكْرُوهَةٌ مِنْهِيَ عَنْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ . وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَحْتَطَبَ الْمَرْءُ عَلَى ظَهْرِهِ وَلَا يَسْأَلَ النَّاسَ . انْتَهَى .

وَالَّذِي فِي الصَّحَاحِ : يُقَالُ فِي الشَّتَمِ أَبْعَدَ اللَّهُ الْآخِرَ - بِقَصْرِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْخَاءِ -، وَهُوَ قَرِيبٌ مِمَّا مَرَّ وَدَلِيلٌ عَلَى صِحَّتِهِ.

أَسَاءَتِ الْيَوْمِ وَقَدْ زَالَ الظُّهْرُ ؟

السَّائِرُ : الْبَاقِي، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْجَمِيعِ، وَتَقَدَّمَ مَا فِيهِ . وَالظُّهْرُ مَعْرُوفٌ، وَالْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ.

(1) فِي الْمَخْطُوطَاتِ : «وَحَوَامِ الْمَوْتِ» بِدُونِ يَاءٍ.

وسبب هذا أن قوماً أغير عليهم، فاستصرخوا ببني عمّهم فأبطؤوا عنهم حتّى أُسروا وذُهب بهم . فجأؤوا يسألون عنهم، فقال لهم المسؤول : أسائر القوم وقد زال الظُّهرُ ؟ أي كيف تطمعون فيما بعد، وقد تبيّن لكم اليأس والفوات ؟ وذلك أن من كانت حاجته اليوم جميعه ثمّ زال الظُّهر وجب أن ييأس من الحاجة كما ييأس منها بغروب الشمس.

تَسْأَلُنِي بِرَامَتَيْنِ سَلْجَمًا⁽²⁾

السُّوَالُ تقدّم ؟ ورأمة اسم موضع . قال زهير :

لَمَن طَلَّكَ بِرَامَةٌ لَا يَرِيمُ ؟ عَفَا وَخَلَّاهُ حِقْبٌ قَدِيمٌ !
وثنّوه في هذا المثل اتساعاً .

ومثله قول الآخر :

لَمَن الدَّيَّارُ بِرَامَتَيْنِ فَعَاقِلِ ؟ دَرَسَتْ وَغَيْرَ آيَهَا الْقَطَرُ !
وهذه التثنية هكذا شائعة في أسماء المواضع عند العرب .

ومثله قول ورقة :

بِطْنِ الْمَكْتَتِينَ عَلَى رَجَائِي حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجًا
وإنّما يريد مكّة .

وقول الفرزدق :

عَشِيَّةً سَالَ الْمَرْبَدَانِ كِلَاهُمَا
وإنّما يريد مَرَبَدَ البصرة .

وجعل السهيلي من هذا قول زهير :

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاغِعُ وَشُمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمٍ
وقول عنتره :

شَرِبْتُ بَمَاءِ الدُّخْرِ ضَمِينٍ فَأَصْبَحْتُ زَوْرَاءَ تَنْفَرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ
في أصحّ القولين .

(2) سيقول المؤلف كأنّ هذا المثل شطرُ رجز . وفي هامش المخطوطات : تمامه : يا أم لو طلبت شيئاً أما . والمراد به النبات وهو اللقت المعروف، وهو من خضر الحاضرة فمن طلبه في البادية كرامة فقد أبعد . وانظر شرح الخزرجية لابن فرزدق رحمه الله تعالى انتهى من خط سيدي محمد بن الحسن اليوسي .

وقوله أيضا :

كيف المزارُ وقد تربّعَ أهلُها بعُنِيزَتَيْنِ وأهلُنا بالغَيْلِمِ ؟
وقولهم : صِدْنَا بِقِنَوَيْنِ . ويُقال : عُنِيزَة اسم موضع، وقنا اسم جبل . وقال غيره :
عنيزتان اسم موضع، وأمّا الدحرضان فهو على التغليب لمائِيْن : أحدهما يقال له
دُحْرُضٌ والآخر وسيعٌ، فثَنَّاهما الشاعر وغلَّبَ لفظ أحدهما على الآخر - كالقمرَيْنِ -
وحكى الجوهري، أوَّلَ كلامه، أنَّ الدُّحْرُضَ اسم موضع، وهو يوافق ما قال السهيلي.
وأما الرقمتان، في قول زهير، ففي شرح ديوان الشعراء هما موضعان : أحدهما قرب
المدينة، والآخر قرب البصرة . فأراد أنَّ الدار بين الرقمتين، كما تقول : فلان بمكَّة، أي بين
بيوت مكَّة.

وفي القاموس : الرقمتان روضتان بناحية الصمان . والرقمة أيضا جانب الوادي والروضة،
ومنه قول زهير عند الجوهري . ويُحتمل أن يوافق ما قال السهيلي أو يخالفه، إذ لا مانع من
أن يريد روضَتَيْنِ . فتجيء التثنية على بابها . ووجه تثنية الموضع الواحد، في كلِّ ما
مرَّ، الإشارة الى جانبِيَّه .

قال السهيلي : وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنَّة أو بستان،
فتسميها جنَّتَيْنِ في فصيح الكلام، إشعارًا بأنَّ لها وجهَيْنِ، وأنَّك كلَّما دخلتها
ونظرت يمينا وشمالا رأيت من كلا الطرفين ما يملأ العين قرَّةً والصدر مسرَّةً .
وفي التنزيل : جنَّتَانِ عن يمينٍ وشمالٍ، إلى قوله : وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ . وفيه : جعلنا لأحدهما جنَّتَيْنِ [من أعْنَابٍ] ⁽³⁾ وفي آخرها : ودخل جنَّتَهُ،
فأفرد بعد ماثنَى، وهي هي . قال . وقد حمل بعض الفقهاء على هذا قوله سبحانه : ولمن
خاف مقام ربِّه جنَّتَانِ . انتهى .

ومن هذا، والله أعلم، أيضا عمايتان، في قول الآخر :

لو أنَّ عُصْمَ عَمَايَتَيْنِ وَيَذْبُلُ سَمْعَا حديثَكَ أنزلًا الأوعالا !
وإن وقع في كلام ابن مالك، في شرح «التسهيل» وأتباعه، أنَّهما جبلان، فإنَّ الذي
في متون اللِّغة المتداولة أنَّ عماية جبل من جبال هذيك، وليس فيها ذكر الجبلين . وكما

تَنَتَّ العرب البقاع للمعنى السَّابق، كذلك جمعتها أيضا، إشارة إلى جوانب الشيء، إلاَّ
أنَّ الجمع أقلّ .

ومنه قول مطرود بن كعب الخزاعي :

وهاشم في ضريحٍ عند بَلْقَعَةٍ تسفي الرياحُ عليه وسطَ غَزَاتٍ
يعني غَزَّة، وهو بلد بفلسطين مات به هاشم بن عبد مناف .

ومثله : بخَ أَذِين في بَعْدَان، كما وقع في شعر بعض المولَّدين . ولأبي الطيّب
معه قصّة ذكرها صاحب العمدّة . ويرد هنا سؤال، وهو أنَّ العَلَم إذا تَنَّى سُلِب
التَّعيين، فجازت تحليلته بآل . وهذه التثنيات المذكورات في أعلام البقاع ليست على
وجهها : فإنَّها في اللفظ تثنية وفي المعنى أفراد، إلاَّ على حال واعتبار . والظاهر أنَّ الوجه
الذي به تسوغ التثنية، وقد مرَّ شرحه، يسوغ به إدخال الألف واللام، وبذلك الوجه كان
اللفظ مثنى لفظاً ومعنى . ويدلّ لهذا قول ورقة السَّابق المكَتَيْن . على أنَّ لو
سَلَّمنا أنَّه تثنية في اللفظ خاصّة دون المعنى، منعنا دخول الألف واللام، إذ التثنية
الملزومة لسلب التعيين ودخول أَل هي المعنويّة لا اللفظيّة، وتكون أَل في المكَتَيْن
رائدة، كما تَزَاد في المفرد العَلَم، نحو :

رَأَيْتُ الوليدَ بنَ اليزيدِ مُباركاً شديداً بأعباءِ الخِلافةِ كاهِلُهُ
والسَلْجَمُ نبت - يوزن جَعْفَر - . والسلمج أيضا : الطويك من الخيل أو الرجال .
والسلمج أيضا : البئر العادية الكثيرة الماء .

وهذا المثل لم أقف له بعد على تفسير، وكأنَّه شطر رجز . والظاهر أنَّ المراد بالسَلْجَم
فيه النبت أو البئر، وأنَّه استبعادٌ لسؤال ذلك وطلبه في هذا المكان الذي هو رامة، لعدمه
فيه . فيكون على معنى المثل الآتي :

تَسألُنِي أبا الوليدِ جَمَلاً يَمْشي رُويداً ويكونُ أولاً، في طلب ما لا يكون . ومثله
قول العامة :

في دارِ البَقَرِ تصيبُ التَّبَن .

أَسْأَلُ مِنْ قَرْنَعٍ .

السُّؤَالُ تَقْدَمَ ؛ وَقَرْنَعٍ - بَنَاءٌ مِثْلُتُهُ، عَلَى مِثَالِ جَعْفَرٍ - رَجُلٌ مِنْ تَغْلِبَ، ثُمَّ مِنْ أَوْسٍ، كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ سُؤَالًا، فَضُرِبَ بِهِ الْمِثْلُ .

سُبْنِي وَاصْدُقْ .

السَّبُّ : الشَّتْمُ . وَالسَّبُّ أَيْضًا : الطَّعْنُ فِي السَّبَّةِ، أَيْ الْاِسْتِ . قَالَ :
وَمَا كَانَ ذَنْبُ بَنِي مَالِكٍ بِأَنْ سَبَّ مِنْهُمْ غُلَامٌ فَسُبَّ
أَيَّ شَتَمَ فَعُقِرَ . وَتَسَابَّ الرِّجْلَانِ : تَشَاتَمَا أَوْ تَقَاطَعَا . وَالسُّبَّةُ - بِالضَّمِّ - : الْعَارُ،
وَمَنْ يَسِبُهُ النَّاسُ كَثِيرًا ؛ وَالسُّبَّةُ - كَهَمْزَةٍ - مِنْ يَسِبُهُمْ ؛ وَالسَّبُّ - بِالْكَسْرِ -
الْكَثِيرُ، وَسَبَّكَ مِنْ يَسَابِكُ . قَالَ حَسَّانُ :

لَا تَسُبَّنِي فَلَسْتُ بِسَبِيٍّ إِنَّ سَبِيٍّ مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ⁽⁴⁾
وَالصَّدْقُ ضِدُّ الْكُذْبِ . وَالْمَعْنَى أَنَّكَ إِذَا سَابَبْتَنِي وَجَانَبْتَ الْكُذْبَ، فَلَا أَبَالِي .

سُبَّ مَنْ سَبَّكَ يَا هَبَّارُ !

يُتِمَّتْكَ بِهِ كَثِيرًا، وَهُوَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كَانَ هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ
تَبَعَ زَيْنَبَ ، بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ خَرَجَتْ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرَةً ،
فَرَوَّعَهَا وَأَسْقَطَتْ ذَا بَطْنَهَا، فِي قِصَّةٍ مَشْهُورَةٍ فِي السَّيْرِ . ثُمَّ أَسْلَمَ وَصَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسِبُّونَهُ بِمَا فَعَلَ، حَتَّى شَكَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،⁽⁵⁾ فَقَالَ لَهُ : سُبَّ مَنْ سَبَّكَ يَا هَبَّارُ ! فَكَفَّ النَّاسُ عَنْ سَبِّهِ بَعْدَ .

سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدَلَ !

السَّبَقُ مَعْرُوفٌ، وَالسَّيْفُ كَذَلِكَ، وَالْعَدْلُ - بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ - : الْمَلَامَةُ ؛ وَالْعَدْلُ
- بِالتَّحْرِيكِ - الْأَسْمُ مِنْهُ . وَهَذَا الْمِثْلُ يُضْرَبُ فِي الْأَمْرِ يَفُوتُ وَلَا يُطْمَعُ فِي تَدَارُكِهِ وَتَلَاْفِيهِ .

4 () نَسَبَ صَاحِبُ لِسَانِ الْعَرَبِ هَذَا الْبَيْتَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ، وَقَالَ إِنَّهُ هَجَا بِهِ مَسْكِينًا الدَّارِمِيَّ.

5 () مَا بَيْنَ مَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ ب.

وأصله أن الحارث بن ظالم ضرب رجلاً بسيفه فقتله فأخبر بعذره فقال : سَبَقَ السَّيْفُ
العَدْلَ !

وقيل إن أصله أن سعداً وسعيداً، ابني ضَبَّةَ بن أدّ خرجا في طلب إبل لهما،
فرجع سعد وفقد سعيد . وكان ضَبَّةُ إذا رأى شخصاً مقبلاً قال : أسعد أم سعيد ؟ ثمَّ
إنَّه في بعض مسائره أتى مكاناً ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحرام، فقال : قتلته هنا
فتى صفته كيت وكيت، وأخذت منه هذا السيف . فتناوله ضَبَّةُ فعرفه فقال : إنَّ الحديث
ذو شجون ! ثمَّ ضربه فقتله، فعذل فقال : سَبَقَ السَّيْفُ العَدْلَ !
وقال جرير :

يُكَلِّفْنِي رَدَّ الغرائبِ بعد ما سبقنَ كسبُ السَّيْفِ ما قال عاذلهُ
وذكر البكري أبو عبيد أنَّ أوَّلَ من قال : سَبَقَ السَّيْفُ العَدْلَ، حريم بن نوفل
الهمداني، وذلك أنَّ النعمان بن ثواب العبدي كان له بنون : سعد وسعيد وساعدة . فأما
سعد فكان رجلاً شجاعاً بطلاً ؛ وأماً سعيد فكان جواداً سمحاً ذا إخوان وصنائع ؛ وأماً
ساعدة فكان صاحب شراب وندمان . وكان أبوهما النعمان ذا شرف . وكان يوصيهم ويحملهم
على أدبه . فقال لسعد، وكان صاحب حرب، : إنَّ الصَّارمَ يَنْبُو، والجوادُ يَكْبُو، والأثرُ
يعفو، والحليم يهفو . فإذا شهدت حرباً فرأيت نارها تسعر، وبحرها يزخر، وبطلها يخطر،
وضعيفها يبصر، فأياك أن تكون صيد رماحها ونطيم نطاحها ! واعلم عند ذلك أنهم
ينصرون ! ثمَّ قال لسعيد، وكان جواداً : يا بني، إنَّه يبخل الجواد، ويصلد الزناد، ويحمد
التماد، وتمحل البلاد . فلا تدع أن تجرب إخوانك، وتبلى أخدانك ! ثمَّ قال لساعدة : يا
بني، إنَّ كثرة الشراب يفسد القلب ويقلِّ الكسب، ويحدث اللَّعِبُ⁽⁶⁾ . فانظر نديمك واحم
حريمك، وأعن غريمك . واعلم أنَّ الظَّمَّ القامح، خير من الري⁽⁷⁾ الفاضح . وعليك بالقصد،
فإنَّ فيه بلاغاً!

ثمَّ إنَّ النعمان توفِّي، فقال سعيد : لآخذنَّ بأدب أبي ولأبلونَّ أوثق إخوتي في
نفسي ! وعمد إلى كبش فذبحه، ثمَّ أضجعه في قبَّته وغشاه ثوباً . ثمَّ دعا رجلاً كان

6 (صحفت كلمة «اللغب» في ب فكتبت «الغب» .

7 (صحف «الري» في د فكتب بالراي .

أوثق إخوانه في نفسه فقال : يا أبا فلان، إنَّما أخوك من صدقك بعهد، وحاطك برفده، وقام معك بجهد، وسواك بولده . قال : صدقت ! قال : فإنِّي قتلت فلاناً فما عندك ؟ قال : فالسوءة السَّوْأى وقعت فيها وانغمست . قال : فتريد ماذا؟ قال : أريد أن تعينني عليه حتَّى أغيبه . قال : لست لك في ذلك بصاحب ! فتركه وانطلق . ثمَّ دعا سعيد رجلاً آخر من إخوانه يقال له خريم بن نوفل فقال : يا خريم، ما عندك ؟ قال : ما يسرُّك . قال : فإنِّي قتلت فلاناً . قال : فتريد ماذا ؟ قال : أريد أن تعينني عليه حتَّى أغيبه . قال : لهان ما فرغت فيه إلى أخيك ! ثمَّ قال، وعبد لسعيد معهما : هل أطلع على هذا عبدك هذا ؟ فقال : لا . فأهوى خريم بالسيف إلى العبد فقتله وقال : ليس عبد بأخ لك ! ففرغ لذلك سعيد وقال : ما صنعت إنَّما أردت تجربتك . فقال خريم : سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ ! انتهى .

وقال الطغرائي :

إن كان ينْجَعُ شيءٌ في ثَبَاتِهِمْ على العُهودِ فسَبَقَ السَّيْفُ لِلْعَدْلِ
سَبَقَكَ بها عُكَاشَةٌ .

يُتِمَّتْك به كثيرًا، وهو من كلام النبي صلَّى الله عليه وسلَّم . لمَّا ذكر الذين يدخلون الجنة بغير حساب، قام إليه عكاشة بن محصن، رضي الله عنه، فقال : أمنهم أنا، يا رسول الله، أو ادع الله أن يجعلني منهم ؟ فقال : نعم ! فقام رجل آخر فقال مثلك ذلك، فقال صلَّى الله عليه وسلَّم : سَبَقَكَ بها عُكَاشَةٌ . والحديث مشهور معروف ما فيه من المعنى .

سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ .

[(8)]

سَدَّ ابْنُ بَيْضِ الطَّرِيقَ .

السَّدُّ ضدَّ الفتح معروف، وابنُ بَيْضٍ - بكسر الباء، وقيل بالفتح - رجل من عاد تاجر

8 (بياض بالاصل. وحتى الميداني (1 : 344) لم يزد في شرح هذا المثل على قوله : «يُضْرَبُ فِي انْقِضَاءِ الشَّيْءِ بِسُرْعَةٍ» .

عقر ناقته على ثنيّة فسدّ بها الطريق ومنح الناس من سلوكها . ويقال إنّ ابن بيض، لمّا حضرته الوفاة قال لابنه : لا تقارب لقمان في أرضه ! فإذا متّ فسر بأهلك ومالك حتّى إذا كنت في ثنيّة كذا فاقطعها بأهلك واترك فيها للقمان حقّه، فإنّ له عندنا في كلّ عام حلّة وجارية وراحلة . فإن هو قبله فهو حقّه عرفناه له لاجارته وخفارته ؛ وإن هو لم يقبل وبغى، أخذه الله تعالى ببغيه . فلمّا مات، فعل الفتى ما أمره به . فأتى لقمان الثنيّة وأخذ ذلك وقال : سدّ ابن بيض الطريق ! وقال عمر بن الأبرد في ذلك :
سَدَدْنَا كَمَا سَدَّ ابْنُ بَيْضٍ سَبِيلَهَا فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَ الثَّنِيَّةِ مَطْلَعًا

سَدَادٌ فِي كَفَافٍ، أَفْضَلُ مِنْ غَنَى مَعَ إِسْرَافٍ .

هذا مصنوع فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى . وتقدّم ضبط السَدَادِ .

يُسْدِي وَيُلْحِمُ .

السَّدَا من الثوب معروف . وأسَدَيْتُ الثوبَ وسَدَيْتُهُ . واللُّحْمَةُ - بضمّ اللّام - من الثوب : ما سوى السَّدَا . وألْحَمْتُ الثوبَ : نسَجْتُهُ . ثمّ جُعِلَ مثلاً في الاشتغال بالشيء وإتمامه، كما قالوا في المثل الآخر : ألْحِمْ ما أسَدَيْتَ ! أي تمّم ما ابتدأت ! وقال أبو تمام في الأوّل :⁽⁹⁾

وقلت أنا، من قصيدة تقدّم إنشادها :

يُسْدِي وَيُلْحِمُ فِي مُزَاوَلَةٍ مَا لَيْسَ يُدْرِكُهُ مَدَى الْعُمُرِ

السَّرَاحُ، مِنَ النَّجَاحِ .

السَّرَاحُ - بالفتح - اسم من التّسريح وهو التّطليق، سرّختُ المرأةَ تَسْرِيحًا ؛ والنّجَاحُ معروف . والمعنى أنّك إذا لم تقدر على قضاء حاجة إنسان فأيسّته بمرّة، كان ذلك بمنزلة ما لو قضيت مطلوبه .

(9) هنا أيضًا بياض.

سِرُّكَ أَسِيرُكَ، فَإِنْ نَطَقْتَ بِهِ كُنْتَ أَسِيرَهُ .

هذا من الأمثال الحكمية في حفظ السرّ .

ومثله ما رُوي أنَّ معاوية، رضي الله عنه، أسرَّ إلى الوليد بن عتبة حديثاً، فقال الوليد لأبيه : يا أبت، إنَّ أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً، وما أراه يطوي عنك ما بسط إلى غيرك . قال : فلا تحدّثني به، فإنَّ من كتم سرّه كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه ! قال : قلت : يا أبت، وإن هذا ليدخلُ بين الرجل وبين أبيه ؟ قال : لا والله، يا بني ! ولكن أحبُّ أن لا تذللَ لسانك بأحاديث . قال : فأنتيت معاوية فحدثته، فقال : يا وليد أعتقك أخي من رقِّ الخطأ !

وحكى الامام الغزالي، رحمه الله تعالى، قال : اجتمع أربعة ملوك : ملك الهند، والصين، وكسرى، وقيصر، فقال أحدهم : أنا أندم على ما قلت، ولا أندم على ما لم أقل . وقال الآخر : إنِّي إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم اتكلم ملكتها ولم تملكني. وقال الثالث : عجبت للمتكلّم إن رجعتُ عليه كلمته ضرّته، وإن لم ترجع لم تنفعه . وقال الرابع : أنا على ردٍّ ما لم أقل أقدرُ على ردٍّ ما قلت . وسيأتي إتمام هذا المعنى في الحكم بأشبع من هذا، إن شاء الله تعالى .

أَسْرَعُ مِنْ نِكَاحٍ أُمٌّ خَارِجَةٌ .

السَّرْعَةُ - بالضم -، والسَّرْعُ - بفتحتين -، والسَّرْعُ - بوزن عِنَب - ضدّ البطء . سَرَعَ الرجل - بالضم -، فهو سريع ؛ وأسرعَ أيضاً، فهو مُسرِعٌ . قيل : وأصل الرباعي التعديّ بنفسه، أي أسرع نفسه أو مشيه، كما في الحديث : فليُسْرِعِ المَشْيَ ! لكنّه يُحذف لظهوره .

والنِّكاحُ - بالكسر - : الوطءُ والعقد أيضاً . يقال : نكّحها - بالفتح - ينكحُ - بالفتح والكسر - ؛ ونكّحتُ هي أيضاً، فهي ناكح، أي ذات زوج . قال تعالى : حتّى تنكحَ زوجاً غيره . وقال الشاعر :

لَصَلَصَلَةُ اللِّجَامِ بِرَأْسِ طَرَفٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تُنَكِّحَنِي

وَأَسْتَنْكَحَهَا بِمَعْنَى نَكَحَهَا ؛ وَأَنْكَحَهَا : زَوَّجَهَا ، وَالْأَسْمُ مِنْهُ النَّكْحُ - بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ - ، وَهِيَ كَلِمَةٌ كَانَتْ الْعَرَبُ تَتَزَوَّجُ بِهَا . يَقُولُ الْخَاطِبُ : خِطْبٌ - بِكَسْرِ الْخَاءِ وَضَمِّهَا - ، وَيَقُولُ الْمَخْطُوبُ : نِكَحٌ - بِكَسْرِ النُّونِ أَيْضًا وَضَمِّهَا - ؛ وَأُمٌّ خَارِجَةٌ أَمْرَأَةٌ مِنْ بَجِيلَةٍ وَلَدَتْ قِبَائِلَ كَثِيرَةً مِنَ الْعَرَبِ ، وَاسْمُهَا عَمْرَةَ بِنْتُ سَعْدٍ ، وَخَارِجَةٌ ابْنُهَا .

قَالَ فِي الصَّحَاحِ : وَلَا يَعْلَمُ مِمَّنْ هُوَ ، وَيُقَالُ هُوَ خَارِجَةٌ بِنُ بَكْرِ بْنِ يَشْكُرَ بْنِ عَدَوَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ . وَكَانَتْ أُمٌّ خَارِجَةٌ مِنَ الشَّهْوَةِ وَالشَّبَقِ إِلَى الرِّجَالِ فِي غَايَةٍ . فَكَانَ يُقَالُ لَهَا : خِطْبٌ ، فَتَقُولُ : نِكَحٌ ، فَقَالُوا : أَسْرَعُ مِنْ نِكَاحٍ أُمٌّ خَارِجَةٌ .

وَيُحْكَى أَنَّ السَّيِّدَ الْحَمِيرِيَّ خَرَجَ يَوْمًا سَكَرَانًا ، فَلَقِيَ بِنْتَ الْفَجَاءَةِ بِنَ عَمْرِو بْنِ قَطْرِي الْخَارِجِيَّةَ ، وَكَانَتْ أَمْرَأَةً حَسَنَاءَ . فَوَاقَفَهَا وَأَنْشَدَهَا مِنْ شِعْرِهِ ، فَأَعْجَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ثُمَّ خَطَبَهَا ، فَقَالَتْ : كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَنَحْنُ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ؟ قَالَ : يَكُونُ كَنِكَاحٍ أُمٌّ خَارِجَةٌ ، قِيلَ لَهَا : خِطْبٌ ، قَالَتْ : نِكَحٌ . فَاسْتَضَحَكَتْ وَقَالَتْ : نَنْظُرُ فِي هَذَا ، وَعَلَى ذَلِكَ فَمَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ :

إِنْ تَسْأَلُونِي بِقَوْمِي تَسْأَلُونِي رَجُلًا فِي ذُرْوَةِ الْعَرِزِ مِنْ أَجْوَادِ ذِي يَمَنِ ثُمَّ الْوَلَاءُ الَّذِي أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ مِنْ كِبَةِ النَّارِ لِلْهَادِي أَبِي حَسَنِ فَقَالَتْ : لَا شَيْءَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا : يَمَانِيٌّ وَتَمِيمِيَّةٌ ، وَرَافِضِيٌّ وَإِبَاضِيَّةٌ ، فَكَيْفَ يَجْتَمِعَانِ ؟ فَقَالَ : بِحَسَنِ رَأْيِكَ فِي تَسْخُو نَفْسِكَ ، وَلَا يَذْكُرُ أَحَدُنَا سَلَفًا وَلَا مَذْهَبًا . قَالَتْ : أَفَلَيْسَ التَّزْوِيجُ إِذَا عُلِمَ انْكَشَفَ مَعَهُ الْمُسْتَوْر ؟ قَالَ : إِنَّنِي أَعْرَضْتُ عَلَيْكَ . قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : الْمَتْعَةُ الَّتِي لَا يَعْلَمُ بِهَا أَحَدٌ . قَالَتْ : تِلْكَ أُخْتُ الزُّنَى . قَالَ : أَعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكْفُرِي بَعْدَ الْإِيمَانِ ! قَالَتْ : وَكَيْفَ ؟ [قَالَ لَهَا :] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً . فَقَالَتْ : اسْتَخِيرَ اللَّهُ وَأَقْلَدَكَ إِذْ كُنْتُ صَاحِبَ قِيَاسٍ وَتَفْتِيَشٍ . فَانْصَرَفَتْ مَعَهُ وَبَاتَ مَعْرَسًا بِهَا . وَبَلَغَ أَهْلُهَا مِنَ الْخَوَارِجِ أَمْرَهَا ، فَتَوَعَّدُوهَا بِالْقَتْلِ وَقَالُوا : تَزَوَّجْتَ بِكَافِرٍ . فَجَدَدَتْ ، وَكَانَتْ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ مَرَّةً وَتَوَاصَلَهُ .

قُلْتُ : وَأَيْنَ هَاتَانِ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أُمِّ حَكِيمِ الْخَارِجِيَّةِ ؟ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ زَمَانِهَا وَمِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ وَأَحْسَنِهِمْ بَدِيهَةً . خَطَبَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَشْرَافِ الْخَوَارِجِ ، فَرَدَّتْهُمْ . وَهِيَ الْقَائِلَةُ :

أَلَا إِنَّ وَجْهًا حَسَنَ اللَّهِ خَلَقَهُ لِاجْدِرُ أَنْ تَلْقَى بِهِ الْحُسْنَ جَامِعًا

وأكرم هذا الجرمَ عن أن ينالهُ تورُّكُ فحلِّهِ همُّهُ أن يُجامِعَا
وكانت مع قطريَّ بن الفجاءة في عسكر الاباضيَّة . فكانت ترتجز في تلك الحروب
وتقول:

أحمِلُ رأسًا قد سئمتُ حملَه وقد مللتُ دُهْنَه وغَسَلَه
ألا فتى يحملُ عنِّي ثقلَه ؟

والخوارج يفدونَهَا بالآباء والأمَّهات . وكان قطري يشبَّب بها، وفي ذلك يقول في
وقعة دولا ب :

لعمرك إنِّي في الحياة لزاهدٌ وفي العيش ما لم ألقَ أمَّ حَكيمٍ
من الخِفاتِ البيضِ لم يُر مثْلُها شفاءٌ لذي بَثٍّ ولا لسَقِيمٍ
لعمرك إنِّي يومَ الطَّمِ وجهها على نائباتِ الدَّهرِ جدُّ لئيمٍ
ولو شهدتني يومَ دولا بٍ أبصرتُ طعانَ فتى في الحرب غيرَ ذميمٍ
غداة طَفَّتْ علماء بكرِ بن وائلٍ وعُجنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تَمِيمٍ
فلم أرَ يومًا كان أكثرَ مقطَعًا يُمجُّ دمًا من فائِظٍ وكَلِيمٍ
وضاربةٍ خَدًا كريمًا على فتى أغرَّ نجيبِ الأمَّهاتِ كريمٍ
أُصيبَ بدولا بٍ ولم يكُ موطنًا له أرضُ دولا بٍ وديرُ حميمٍ
فلو شهدتني يومَ ذاكَ وخيلُنا تَبِيحُ من الكُفَّارِ كلَّ حريمٍ
رأتُ فتيةً باعوا الآلهَ نفوسَهُم بجَناتِ عدنٍ عندهُ ونعيمٍ

سُرْعانَ ذَا إِهَالَةٍ ! (10)

السُّرْعَةُ تقدَّمت . ويقال : سُرْعانَ ذَا خُرُوجًا - مثَلْتُ السَّيْنِ - أي سرَّعَ هذا
خروجًا . ويقال : لسُرْعانَ ما صنعتُ كذا ! أي ما أسرَّع ! والاهالة : الشَّحْمُ ، أو ما أذيب
منه أو الزيت ، وكلَّ ما ائْتَدِمَ به ، وهمزتها أصليَّة ، ورجل مستأهل : آخذ الاهالة أو أكل لها .
قال :

لا ، بل كُلِّي يا أمَّ واستأهلي إنَّ الَّذِي أنفَقْتَ من مالِيه !

(10) أورد الزمخشري هذا المثل في أساس البلاغة بلفظ : وشكانَ ذَا إِهَالَةٍ .

وأصل المثل أن رجلاً كانت له نعجة عجفاء يسيل رغامها من أنفها، ف قيل له : ما هذا ؟ قال : ودكها - يظنّ الرغام شحماً .. فقال السائل : سرعان ذا إهالة !
ونصب إهالة، إمّا على التمييز المحول من الفاعل، أي : سرع إهالة هذه، أو على الحال، أي : سرع هذا الرغام حال كونه إهالة
فيضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته.
وسمعت قديماً من بعض الأسيّاح أن أصل هذا المثل أن أعرابيّة كان لها ابن أحمق، فذهب فوجد نعجة عجفاء فاشترها، فقال لأمّه : إنّي اشتريت نعجة بسمينة . فلمّا أخرجها إلى أمّه، ورغامها يسيل من أنفها، قال لها : انظري الى إهالة ما علفتها ! فقالت أمّه : سرعان ذا إهالة.

أَسْرَعُ مِنْ تَلَمُّظٍ وَرَكٍ.

يقال : لَمَظَ يَلْمُظُ - بالطاء المشالة - وتَلَمَّظَ إذا تتبّع بقيّة الطعام في فيه بطرف لسانه أو أخرج لسانه فمسح به شفته ؛ واللُّمَاطَة - بالضّم - : البقيّة التي يتلَمَّظُها.
قال الشاعر يصف الدنيا :

لُماظَةٌ أَيّامٍ كأحلامٍ نائمٍ

والوَرَكُ - بفتحتيّن والراء المهملة - حيوان كالضَّبِّ، جمعه أَوْرَكانٌ ووَرِكانٌ، وهو سريع التَّلَمُّظ - أي الأكل بطرف اللسان ..

أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامُ .

هذا شطر بيت لأبي الطيّب،⁽¹¹⁾ وسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

أَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ .

السَّرْقَةُ معروفة، سَرَقَ الشيء - بالفتح - يَسْرِقُهُ سَرْقاً - بفتحتيّن -، وسَرْقَةٌ - كَنَيْقَةٌ -

(11) وأوله : وَمِنْ الْخَيْرِ بَطْنٌ سَيْبِكٌ عَنِّي
وهذا البيت من قصيدة يمدح بها عليّ بن أحمد المري الخراساني.

والزَّيَابُ - بالزاي وباءين موجدتين، والواحدة زِيَابَةٌ : فارة صمَاء عظيمة تسرق، ويضرب بها المثل في السرقة، وشُبَّه بها الجاهل . قال الشاعر :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا جَمَعُوا لَهُمْ مَالًا وَوُلْدًا
وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا تَسْمَعُ الْأَذَانُ رَعْدًا

أي لا تسمع آذانهم رعداً لصممهم . وحذف الضمير من اللفظ، أو استغني عنه بالآلف واللام، على ما عرف في المذهبين . ويعني أنَّ من النَّاس من رُزِق أموالاً وأولاداً، وهو ما هو في الجهل والحيرة والدناءة . وذلك من الدليل على أنَّ الله تعالى هو مستند الأرزاق لا العقول والحيل، وأنَّه تعالى لم يجعل الدنيا الدنية مقصورة على العقل الشريف ولا كفوّاً له.

أَسْرَى مِنْ جُنْدُبٍ .

السُّرَى - بوزن الهُدَى -: سير اللِّيل . يقال : سَرَى يَسْرِي سُرًى وَمَسْرًى، وأسرى، إذا مشى فيه ؛ والجُنْدُبُ - بضمّتين، ويجوز فتح الدال - ضرب من الجراد، الجمع جنادب . قال كعب رضي الله عنه :

وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ
وُرقُ الجنادب يركضن الحصا قيلوا

أَسْرَى مِنْ قُنْفُذٍ .

السُّرَى تقدّم ؛ والقُنْفُذُ - بالذال المعجمة، بوزن جُنْدُب - معروف، والأنثى قُنْفُذَةٌ، ويقال له الأَنْقَذُ، وتقدّم في حرف الباء، وأنَّه يسري الليل ولا يكاد يظهر إلاّ فيه.

أَسْعَدٌ أَمْ سَعِيدٌ ؟

هذا يقولونه مثلاً في السؤال، أي هذا الشيء ممّا يُحِبُّ أم ممّا يُكْرَهُ ؟ وأصل ذلك أنَّ سعداً وسعيداً، ابني ضَبَّةَ بنِ أَدّ، خرجا في طلب إبل لهما . فرجع سعد وفقد سعيد - وتقدّمت الحكاية في هذا الباب - فصار سعيد يُتَشَاءم به .

وقد رُوِيَ عن عبد الله بن الحارث قال : بعثني أبي، وبعث العباسُ ابنه الفضل، رضي الله عنهما، إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يجعل لنا السقاية . فلمَّا أتيناها منصرفَيْن قالَا : ما وراءكما ؟ أسعد أم سعيد ؟ قلنا ووقع مثلك لبيهس، المعروف بنعامة، إذ قتل إخوته . ذكر ذلك كلُّه أبو عبيد القاسم بن سلام في أمثاله .

السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ .

هذا مثلك في الأمر بحسن التدبير. وتمامه : والشَّقِيُّ مَنْ وُعِظَ بِنَفْسِهِ . ويروى الأوَّل حديثاً والله أعلم . وفي معناه ما أنشد الجاحظ :

لا أعرفنَّكَ إنْ أرسلتَ قَافِيَةً تلقى المَعَاذِيرَ إنْ لم تنفَعِ العِذْرُ
إنَّ السَّعِيدَ لَهُ في غيره عِظَةٌ وفي التَّجَارِبِ تحْكِيمٌ ومُعْتَبَرٌ⁽¹¹⁾

أَسْفَدُ مِنْ دِيكِ .

يقال : سَفَدَ الذَّكَرُ⁽¹²⁾ على الأنثى يَسْفِدُ - كضَرَبَ يَضْرِبُ - وَسَفَدَ يَسْفِدُ - كعَلِمَ يَعْلَمُ ، سَفَادًا، إذا نزل عليها ؛ والديك معروف، وهو كثير السفاد .

أَسْفَدُ مِنْ هِجْرَسٍ .

الهِجْرَسُ - بالكسر - ولد الثعلب، وقيل هو الثعلب والقرد والدب، وقيل كلُّ ما يعسى بالليل ممَّا دون الثعلب وفوق اليربوع .

وفي المثل أيضا : أغْلَمُ مِنْ هِجْرَسٍ، والغُلْمَةُ : شهوة النكاح - وسيأتي -، وأزْنَى مِنْ هِجْرَسٍ، وتقدَّم .

والهجرس أيضا : ابن كليب بن ربيعة التغلبي، ذكر في حرب البسوس .

سَفِيهٌ لَمْ يَجِدْ مُسَافِيَهَا .

السَّفَاهَةُ والسَّفَاهَةُ - بالفتح - ضدُّ الجَلْمِ أو خَفَّتْهُ أو الجهل، وسَفَاهَةٌ

¹¹م) في ب : وفي التجارِبِ...

¹²م) في ب : سَفَدَ الديك...

تَسْفِيهَا : نسبه إليه، وسافهه مُسَافَهَةً : شاتمَه وسابَه؛ وسافه الشراب : أسرف فيه . والمثل عند الجوهري من المعنى الأوّل . وكذا أبو عبيد، ذكره في أمثال الملاحاة والتّشاتم. قال البكري : وهذا المثل يُروى عن الحسن بن علي أنّه قاله لفلان . وأنشد في نحو ذلك لحاجب بن زرارة :

أغرّكُمُ أنّي بأحسنِ شيمةٍ رقيقٌ وأنّي بالفواحشِ أخرقُ
وأنّك قد فاحشتني فغلبتني هنيئًا مريئًا أنت بالفحشِ أرفقُ
ومثلي إذا لم يجز أفضلَ سعيه تكلمُ نعماهُ بفيها فتنطقُ

سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ .

السَّقُوطُ معروف ؛ والعِشَاءُ - بفتح العين المهملة والمدّ - طعام العشي كالعِشَى بالكسر - جمعه أعْشِيَّةٌ ؛ وعَشَوْتُ الرجل وأَعْشَيْتُهُ وَعَشَيْتُهُ تَعْشِيَّةٌ : أطعمته ذلك، وتَعَشَيْ هو . قال الفرزدق :

تَعْشَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونُنِي نَكُنْ مَثَلًا مِنْ، يَا ذُؤَبُ، يَصْطَحِبَانِ⁽¹³⁾
وهو عَشِيَّان ؛ والعِشَى - بالقصر - سوء البصر بالليل والنّهَار، كالعِشَاوة أو العَمَى، عِشِيَّ - بالكسر - يَعْشَى، وَعِشِيًا يَعْشَوُ، فهو عَشِيٌّ، وَأَعْشَى، وهي عِشْوَاء ؛ والسّرْحَانُ - بالكسر :- الذّئْبُ . قال امرؤ القيس :

لَهُ أَيُّطَلَا ظَنِّي وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتَفَلٍ
وهو بلغة هذيل الأسد، قال الشاعر يرثي ميّتا :

هباط أودية حمال ألوية شهاد أندية سرحان فتيان
وهذا المثل يُضرب للرجل يطلب حاجة فيقع في هَلَكَةٍ .
واختلفوا في أصله . ف قيل دابة خرجت تلتمس العِشَاء، فوقع على الأسد أو على الذئب، فأكلها .

وقيل رجل خرج كذلك، فوقع عليه .

وقيل إنّ سِرْحَانًا اسم رجل، وهو سرحان بن معتب اليربوعي . وكان فاتكا، فحمى واديا، فجاء عوف الأسدي فقال : لأرعين إبلي بهذا الوادي ! فرعاها فأتاه سرحان فقتله، وقال هدلة بن معتب، أخوه، لامرأة الأسدي يقال لها نصيحة :

أَبْلِغْ نَصِيحَةً أَنْ رَاعِي إِبْلِهَا سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانِ
سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمَّرٍ طَلَقَ الْيَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لَطْعَانِ
وعلى هذا كله، فالعشاء بالمد.

وقيل إنَّ أصله أنَّ رجلاً أعشى البصر وقع على ذئب فأكله . وعليه، فيكون العَشَى مقصوراً .

اسْقِ أَخَاكَ النَّمْرِيَّ يَصْطَبِحُ !

السَّقِيُّ معروف، يقال : سَقَيْتُهُ وَأَسَقَيْتُهُ، وَسَقَيْتُهُ تَسْقِيَةٌ .
وقيل أسَقَيْتُهُ : دَلَلْتُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَأَسَقَيْتُ مَا شِئْتَهُ أَوْ أَرْضَهُ : جَعَلْتَ لَهَا مَاءً .
وسقاه الله غيثاً : أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ، وَأَسَقَيْتُهُ أَنَا : قُلْتُ لَهُ : سَقَاكَ اللَّهُ أَوْ سَقِيًّا ! قَالَ أَمْرُؤُ
الْقَيْسِ :

فَأَسْقِي بِهِ أَخْتِي ضَعِيفَةً إِذْ نَأَتْ وَإِذْ بَعْدَ الْمَزَارِ غَيْرِ الْقَرِيضِ
أَيُّ أَدْعُو لَهَا بِالسُّقْيَا .

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

فَمَا زِلْتُ أُسْقِي رُبْعَهَا وَأَخَاطِبُهَا
وَقُلْتُ أَنَا فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ :

سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَ بَاكْثِبَةَ الْحِمَى مِنْ الْعَارِضِ الْهَتَّانِ صَوْبَ عِهَادِ
بِلَادٍ بِهَا حَلَّتْ سُلَيْمَى وَأَهْلُهَا فَحَلَّ فُوَادِي عِنْدَهَا وَوَدَادِي⁽¹⁴⁾
وَإِنِّي مَتَى أَسْقَيْتُهَا أَوْ بَكَيْتُهَا هَيَامًا فَمَا أَسْقَيْتُ غَيْرَ فُوَادِي !
وَيَجُوزُ أَنْ يَقَعَ أَحَدُهُمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ، كَمَا قَالَ لَبِيدُ :

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْرًا وَالْقِبَائِلَ مِنْ هِلَالِ
وَالنَّمْرِيَّ - بَفَتْحِ الْمِيمِ - نَسْبَةً إِلَى النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ - بِكسْرِ الْمِيمِ -، وَهُوَ أَبُو قَبِيلَةٍ مِنْ
جَذِيلَةٍ . وَإِنَّمَا فَتَحْتُ الْمِيمَ فِي النَّسْبَةِ، كَنَظَائِرِهِ، كَرَاهِيَةِ تَوَالِي مَا هُوَ فِي حُكْمِ الْكُسَرَاتِ .

(14) فِي ب : حَلَّتْ سُلَيْمَى وَدَارُهَا
وَفِي د : فَحَلَّ فُوَادٍ عِنْدَهَا .

واصطبج الرجل : شرب الصَّبُوح - بالفتح -، وهو ما يُشرب صباحًا ؛ واصطبج أيضًا : أوقد المصباح.

ولم أقف بعد على تفسير هذا المثل، وأظنُّ أنَّ معناه أنَّه لثقله إذا سَقَيْتَهُ انتَظَرَ الصَّبُوحَ فيكون كالمثل السابق : أَجْلَسْتُهُ عِنْدِي فَاتَّكَأَ، والمثل الآتي: أَطْعِمِ الْعَبْدَ الْكِرَامَ، فَيُطْمَعَنَّ فِي الذُّرَاعِ !

اسْقِ رَقَاشَ إِنَّهَا سَقَايَةٌ !

السَّقْيُ مرٌّ ؛ ورقاش اسم امرأة، ويقال : امرأة سَقَايَةٌ وسَقَاءَةٌ - بالتشديد فيهما - وجاز في الياء القلب وعدمه، نظرًا إلى اعتبار زيادة هاء التانيث وإلى لزومها في هذا البناء. ويضرب للمحسن، أي : أحسنوا إليه لكونه محسنًا . قال الحماسي :

(15)

[

]

سَكَتَ أَلْفًا، وَنَطَقَ خَلْفًا .

السكوت معروف ؛ والألفُ عدد معروف ؛ والنُّطْقُ خلاف السكوت ؛ والخلفُ نقيض القَدَام . والخلفُ أيضًا الرَّدِيء من الكلام، ومنه المثل . ومعناه : سكت عن ألف كلمة صواب ثمَّ نطق بخطإ . هكذا فسَّروه.

وحكوا أنَّ أعرابيًّا جلس مع قوم، فَحَبَقَ حَبَقَةً فَتَشَوَّرَ، فأشار بإبهامه إلى أسْتِهِ وقال : إِنَّهَا خَلْفٌ نَطَقْتُ خَلْفًا ! وهذا صحيح في لفظ الخلف في المثل . وأمَّا في لفظ الألف، فالذي يظهر منه لا . والبديهة أنَّ المراد به ألف سنة أو نحو ذلك من الأزمان، ويكون المراد الاخبار عن إطالة السكوت، لا حقيقة الألف . وكأنَّه قيل : إِنَّهُ أَطَالَ السكوت ثمَّ لَمَّا تَكَلَّمَ لم ينطق إلَّا بالرديء من الكلام.

ومن هذا يُحكى أنَّ شابًّا كان يجالس الأحنف وكان صموتا، فأعجب الأحنف ذلك منه . ثمَّ خَلَّتِ الحلقة يومًا فقال له : يا ابن أخي، مالك لا تتكلَّم ؟ فقال : يا عمِّ، أَرَأَيْتَ لو أنَّ رجلا سقط من شرفة هذا المسجد، أضره شيء ؟ فقال الأحنف : ليتنا تركناك، يا ابن أخي !

(15) بياض في المخطوطات. ولعل الحماسي المقصود هو بشامة بن جزء النهشلي في قوله :

إِنَّا مَحْيُوكَ يَا سَلْمَى فَحَيِّنَا وَإِنْ سَقَيْتَ كِرَامَ الْقَوْمِ فَاسْقِينَا

ثم أنشد متمثلاً :

وكائن ترى من صامتٍ لك مُعجبٍ زيادتهُ أو نقصهُ في التَّكَلُّمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ ولم يبق إلا صورةُ اللحمِ والدمِ !
ويُحكى أيضاً أنَّ رجلاً كان يكثرُ مجالسةَ أبي يوسف ويطيحُ الصمت . فقال له أبو يوسف
يوماً : ألا تسأل ؟ فقال : بلى ! متى يفطر الصائم ؟ فقال : إذا غربت الشمس . قال : فإن
لم تغرب إلى نصف الليل ؟ فضحك أبو يوسف وتمثَّل بقول أبي الخطفا :
عَجِبْتُ لِإِزْرَاءِ الْغَبِيِّ بِنَفْسِهِ وصمَّتِ الذِّى قد كانَ بالعلمِ أعلماً
وفي الصَّمتِ سترٌ للغبيِّ وإنَّما صحيفةُ لبِّ المرءِ أن يتكلَّمَا
ومن معنى هذا الشعر قول الآخر :

المرءُ يُعْجِبُنِي وما كَلَمْتُهُ ويُقالُ لي : هذا اللَّيْبِيُّ اللَّهُذَمُ⁽¹⁶⁾
فإذا قَدَحْتُ زنادهُ وسبَرْتُهُ في الكَفِّ زافٌ كما يزيِفُ الدَّرْهَمُ
وقول الآخر :

ترى النَّاسَ أشْباهاً إذا جلسوا معاً وفي النَّاسِ زيفٌ مثلكُ زيفِ الدَّرَاهِمِ
وقال عَدِيُّ بن الرِّقَاعِ :

النَّاسُ أشْباهٌُ وبين حُلُومِهِمْ بونٌ كذاك تشابهُُ الأشياءِ
ومن معنى الحكايتين المذكورتين، من سؤال المغفلين، ما يحكى عن الامام الماوردي،
رحمه الله، قال : كنت بمجلس درسي بالبصرة، فدخل عليَّ شيخٌ مسنٌ قد ناهز الثمانين
أوجاوزها، وقال : قصدتك بمسألة اخترتك لها . فقلت : ما هي ؟ وظننت أنَّه يسأل عن
حادثة نزلت به . فقال : أخبرني عن طالع إبليس وطالع آدم من النجوم ما هو ؟ فإنَّ
هذين لعظيم شأنهما، لا يُسأل عنهما إلاَّ علماء الدين . قال، فعجبت وعجب من في
المجلس من سؤاله . وبادر إليه قومٌ منهم بالانكار والاستخفاف، فكففتهم وقلت : هذا لا
يقنع، مع ما ظهر من حاله، إلاَّ بجواب مثله ! فأقبلت عليه وقلت : يا هذا، إنَّ المنجمين
يزعمون أنَّ نجوم النَّاسِ لا تُعرف إلاَّ بمعرفة مواليدهم . فإن ظفرنا بمن يعرف وقت
ميلادهما أخبرتك بالطالع . فقال : جزاك الله خيراً ! وانصرف مسروراً . فلمَّا كان بعد أيَّام

(16) في غير د: اللهم بالذال المهملة وهو تحريف.

عاد وقال : ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولدهما.

أُسْكَتْ مِنْ سَمَكَةٍ .

السَّمَكَةُ - بفتحتين : واحدة السَّمَك، وهو الحوت.

أُسْلِمَ مِنْ حُبَارَى .

السُّلَامُ - بالضم - كغُرَاب -: النَّجْوُ، يقال : سَلِمَ الرَّجُلُ وَغَيْرُهُ يَسْلَمُ - كَمَنْعَ يَمْنَعُ - . والحُبَارَى : الطائر المعروف.

وذكروا أنَّ للحبارى خزانة في دبرها فيها أبدا سلم رقيق، فمتى ألحَّت [عليها]⁽¹⁷⁾ الجوارح سلحت عليها فينتف ريشها، وفي ذلك هلاكها . قالوا : فجعل سلاحها سلاحا لها . وقال الشاعر :

وَهُمْ تَرْكُوكَ أَسْلَمَ مِنْ حُبَارَى رَأَتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ

أُسْلِمَ مِنْ دَجَاجٍ .

الدَّجَاجُ - مثلث الدال المهملة - معروف، واحده دَجَاجَةٌ . ويقال : أُسْلِمَ مِنَ الحُبَارَى حال الخوف، وأُسْلِمَ مِنْ دَجَاجٍ حال الأمن.

السُّلْطَانُ كَالنَّارِ .

هذا من الأمثال الحكمية، وتمامه : إِنْ بَاعَدْتَهَا بَطَلَ نَفْعُهَا، وَإِنْ قَارَبْتَهَا عَظُمَ ضَرَرُهَا، وسيأتي في الحكم، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، استيفاءُ هذا المعنى.

أُسْمِعَ مِنْ حَيَّةٍ .

السَّمْعُ حِسُّ الْأَذْنِ، يقال : سَمِعَهُ - بالكسر - يَسْمَعُهُ سَمْعًا وَسَمَاعًا وَسَمَاعَةً وَسَمَاعِيَّةً، وَتَسْمَعُ وَاسْتَمِعَ، وَرَجُلٌ سَمِيعٌ : سَامِعٌ أَوْ مُسْمِعٌ . قال

(17) ناقص من د .

عمرو بن معدي كَرَبَ :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ ؟ (18)
والحيَّة اسم يقع على الذكر والأنثى، ويُميَّز باللفظ . يقال : هذه حيَّة، وهذا حيَّة .
والتاء للوحدة الجنسيَّة، لا للتأنيث، إلَّا ما يحكى من قول بعض العرب : رأيت حيًّا على
حيَّة . وهي موصوفة بالسماع القوي .

أَسْمَعُ مِنْ دُلْدُلٍ .

الدُّلدُلُ - بدالين مهملتين، على مثال جُنْدُب :- القُنْفُذُ، أو أعظم القنافذ .
والدلدل أيضا : الاضطراب . أنشد في الصحاح، لأبي مَعْدَانَ البَاهِلِيِّ :
جاء الحزائمُ والزَّبَائِنُ دلدلا لا سابقين ولا معَ القُطَّانِ
أي : لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

أَسْمَعُ مِنْ سِمْعٍ .

ويقال : أَسْمَعُ مِنْ السَّمْعِ الْأَزَكِّ، والسَّمْعُ - بكسر فسكون :- ولد الذئب من
الضبع، وهو سبع مركب من هذين، فاستفاد قوَّة الضبع وجرأة الذئب . ويوصف بقوة
السمع . قال بعض الأعراب :

تراهُ حَدِيدَ الطَّرْفِ أَبْلَجَ وَاضِحًا أَعْرَ طَوِيلَ الْبَاعِ أَسْمَعٌ مِنْ سِمْعٍ
ويوصف أيضا بالسرعة . يقال إنَّه في عدوه أسرع من الطير، ووثبته تزيد على ثلاثين
ذراعا.

وفي بعض المجامع أنَّ ربيعة بن أبي مراد قال : أخبرني خالي قال : لما أظهر الله
علينا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، أشْعَبْنَا فِي كُلِّ شَعْبٍ، لا يَلُوي حَمِيمٌ
على حَمِيمٍ . فبينما أنا في بعض الشعاب قد رأيت ثعلبا قد تحوَّى عليه أرقم، والثعلب
يعدو عَدْوًا شديداً فانتهيت عليه بحجر فما أخطأه . فانتهيت إليه فإذا الثعلب قد
سبقني بنفسه، وإذا الأرقم تقطَّع وهو يضرب . فقامت أنظر إليه، فهتف بي هاتف ما سمعت

(18) . في ب : يُؤَرِّقُنِي وإعجابي هجوعي

أفصح من صوته يقول : تعسا لك وبؤسا ! قد قتلت رمسا موترت تيسا ! ثم قال : يا دامر ،
يادامر ! فأجابه مجيب من العدو الأخرى : لبئيك ، لبئيك ، بادر إلى بني الغدافر ،
فأخبرهم بما صنع الكافر ! فناديت : إنني لم أشعر ، وأنا عائد بك ، فأجبرني ! فقال :
كلا ، والحرّم الأمين ، لا أجبر من قاتل المسلمين ، وعبد غير رب العالمين ! قال .
فناديت : إنني مسلم ! فقال : إن أسلمت سقط عنك القصاص ، وفزت بالخلاص ، وإلا
فلأت حين مناص ! قال . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول
الله . قال . فقال : نجوت وهديت ، ولولا ذلك لرديت . فأرجع من حيث جئت ! قال :
فرجعت أقفو أدراجي ، فإذا هو يقول : امطر السّمع الأزك ، فقد بدا إليك هنالك أبو عامر
يتبع بك ألفان . قال . فالتفت فإذا سمع كالأسد ، فركبته فمرّ ينسل حتّى أتى إلى
تلك عظيم فأسندني إلى تلك فأشرفت منه على خيل المسلمين ، فنزلت عنه وصوبت من
الحدور نحوهم . فلمّا دنوت منهم خرج إليّ فارس فقال : ألف سلاحك ، لا أم لك ! فألقيت
سلاحي فقال : ما أنت ؟ قلت مسلم . فقال : سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ! فقلت :
وعليك السلام والرحمة والبركة ، من أبو عامر ؟ قال : أنا هو . قلت : الحمد لله ! قال : لا
بأس عليك ! هؤلاء إخوانك من المسلمين . ثم قال : إنني رأيت بأعلى تلك فارسا ، فأين
فرسك ؟ قال : فقصصت عليه القصّة ، فأعجبه ما سمع مني ، وسرت مع القوم أقفو آثار
هوازن حتّى بلغوا من الله ما أرادوا .

أَسْمَعُ مِنْ فَرْخٍ عُقَابٍ .

الفرخ ولد الطائر ، والأنثى فرخة ، والجمع أفرخ وأفراخ . قال الحطيئة :
ماذا أقول لأفراخٍ بذي مرخٍ حمُر الحواصل لا ماء ولا شجر ؟
يعني أولاده ؛ والعقاب : الطائر المعروف ، وتقدّم الكلام عليها في حرف الباء .

أَسْمَعُ مِنْ قُرَادٍ .

القراد - كغراب - معروف ، جمعه قرَدان ، وقرَدْتُ البعير تقريداً : أزلتُ عنه
القراد . والتقريد أيضا : الخداع ، وأصله في البعير إذا أراد أن يأخذه وهو صعب قرَدَ يُو

أولاً ليرتاح إليه فيأخذه .

قال الشاعر :

وَهُمْ يَمْنَعُونَ جَارَهُمْ أَنْ يُقَرِّدَ⁽¹⁹⁾

وقال الحطيئة :

لَعَمْرُكَ مَا قَرَادُ بَنِي كُلَيْبٍ إِذَا نَزَعَ الْقَرَادُ بِمُسْتَطَاعٍ

ويزعمون أنَّ القَرَادَ يسمع وطء أخفاف الابل، من مسيرة يوم، فيتحرَّك لها . ويزعمون أيضاً أنَّهم ربَّما رحلوا عن ديارهم بالبادية وتركوها خالية، والقِرْدَانُ منتشرة منتشرة في أعطان الابل، ثمَّ لا يخلفهم فيها ولا يعودون إلى تلك الديار إلاَّ بعد عشر سنين وعشرين سنة، فيجدون القِرْدَانَ حَيَّةً وقد أحسَّتْ بروائح الابل قبل أن توافيها فتتحرك لها . ومن ثمَّ قالوا : أعمرْ من قَرَادٍ، أيضاً .

أَسْمَعُ جَعْجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا.

الجَعْجَعَةُ صوت الرَّحَى، وتُطلق أيضاً بمعنى الحبس والتضييق، كما في كتاب ابن زياد : جَعَجِعَ بالحُسَيْنَ، رضي الله عنه ! والطَّحْنُ معروف، تقول : طَحَنْتُ البُرَّ - بالفتح - إذا صيرته دقيقاً . والطَّحْن - بالكسر - الدقيق نفسه، ومنه المثل . والمعنى : أسمع صوت الرَّحَى ولا أرى دقيقاً . يُضرب في سماع جلبة لا يعقبها نفع، وفي الجبان يُوعَد ولا يُوقِع، والبخيل يَعِدُ ولا يَفِي .

تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ .

المُعَيْدِيُّ تصغير المَعْدِيِّ - مشدَّد الدال -، ثمَّ خَفَّفَتْ عند التصغير كراهية

اجتماع الساكنين . قال النابغة :

ضَلَّتْ حُلُومُهُمْ عَنْهُمْ وَغَرَّهُمْ سَنُ الْمُعَيْدِيِّ فِي رَعْيٍ وَتَعْرِيبٍ
وهذا على ما وقع في الصُّحاح وغيره من المعيدي في هذا المثل نسبة إلى معد

(19) هذا عَجَزُ بيت للحُصَيْن بن القَعْتَاء، وصدره :
هُمْ السَّمْنُ بالسَّنُونُ لا السَّ فِيهِمْ

-بالتشديد - وقيل : المعيدي نسبة إلى مَعْدٍ - بسكون العين وتخفيف الدال -، وهي قبيلة . وتصغيرها مُعَيْد . والمعيدي المذكور رجل من هذه القبيلة كان فاتكا يغير على مال النعمان بن المنذر، فيأخذه ولا يقدرّون . فأعجب به النعمان لشجاعته وإقدامه فأمنّه . فلمّا حضر بين يديه ورآه، استزرى مرآته، لأنّه كان دميم الخلقة، فقال : لأنّ تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ! فقال : أبيت اللعن، إنّ الرجال ليست بجزر، وإنّما يعيش المرء بأصغريّه : قلبه ولسانه ! فأعجب النعمان كلامه وعفا عنه، وجعله من خواصّه إلى أن مات . وقوله : تسمع، مضارع يَنْسَبِكُ مع أن مقدّرة بالمصدر . وربّما أظهرت فقيـل : أن تَسْمَعَ بِالْمُعَيْدِيّ . وهذا المصدر مبتدأ مُخْبَر عنه بما بعده .

والمعنى : أنّ سماعك بالمعيدي خير من رؤيتك إيّاه . يُضرب للرجل يكون له صيت وذكر حسن، فإذا رأيته اقتحمته عينك، وكان عندك خبره دون خبره . وقيل : معناه : اسمع به ولا تره، على الأمر.

وذكر أبو عبيد أنّ هذا المثل أوّل ما قيل لجُشَم بن عمرو النهديّ المعروف بالصقعب النهدي، قاله فيه النعمان بن المنذر . قال : وهذا على من قال إنّ قضاة من معدّ، لأنّ نهداً من قضاة . والصقعب المذكور هو الذي ضرب به المثل، فقيـل : أَقْتَلُ من صَيْحَةِ الصقعب . زعموا أنّه صاح في بطن أمّه، وأنّه صاح بقوم فهلكوا عن آخرهم.

وقيل : المثل للنعمان بن ماء السماء، قاله لشقّة بن جمرّة التميمي، وذلك أنّه سمع بذكره، فلمّا رآه اقتحمته عينه، فقال أن تَسْمَعَ بِالْمُعَيْدِيّ خَيْرٌ من أن تراه ! فقال شقّة : أيّها الملك، إنّ الرجال لا تُكَال بالقُفْزان، ولا تُوزَن بالميزان، ولست بمسوك يُستقى فيها الماء، وإنّما المرء بأصغريّه : قلبه ولسانه، إن قال قال ببيان، وإن صال صال بجنان ! فأعجب المنذر ما سمع منه وقال : أنت ضَمْرَةٌ بنُ ضَمْرَةٍ !

وذكر شمس الدين بن خلّكان أنّ أبا محمّد القاسم بن علي الحريري، رحمه الله، جاءه إنسان يزوره ويأخذ عنه شيئاً، وكان الحريري دميم الخلقة جدّاً . فلمّا رآه الرجل استزرى خلّقه، ففهم الحريري ذلك . فلمّا طلب الرجل أن يملّي عليه قال له : اكتب : ما أنت أوّل سار غرّه قمرٌ ورائد أعجبتّه خُصْرَةُ الدّمّن

فاختر لنفسك غيري إنني رجلٌ مثلُ المعيدي فاسمع بي ولا ترني !
انتهى .

ويُزاد في هذه القصة أن الرجل قال :

كانت مُساءلةُ الرُّكبانِ تخبرنا عن قاسم بن عليّ أطيّبَ الخبرِ
حتّى التقينا فلا والله ما سمعتُ أذني بأحسن ممّا قد رأى بصري !
وربّما جعل في هذا الشعر، مكان القاسم بن عليّ، أحمد بن عليّ، وأنّه قيل في أحمد
بن عليّ، أحد الفقهاء، وأنّ قائله لقي الزمخشري فأنشده إيّاه . فذكر له الزمخشري عن
النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : ما بلّغني عن رجلٍ ثمّ لقيتهُ إلاّ
وجدتهُ دون ما بلّغني عنه، إلاّ ما كان من زيّد الخيل، فإنّي [وجدتهُ]⁽²⁰⁾
فوق ما قيل عنه، أو كلاماً هذا معناه طالع عهدي به.

وحدّثني الرئيس الأجلّ أبو عبد الله محمد الحاجّ بن محمد بن أبي بكر أنّ رجلاً
كان يحضر مجلس والده ويطيل الصمت لا يتكلّم ولا يعرفه أحد . ومكث على ذلك مدّة،
ثمّ كتب رقعة بخطّ رفيع فائق وذهب . فأخذوا الرقعة فإذا فيها مكتوب :

كانتُ مُساءلةُ الرُّكبانِ تُخبرنا عن مجدكم وثناكم أطيّبَ الخبرِ
حتّى التقينا فلا والله ما سمعتُ أذني بأحسن ممّا قد رأى بصري

استسمن ذاً ورَم .

تقول : استسمنت الشيء إذا عددته أو وجدته سمينا ؛ والورَمُ نتوء وانتفاخ في
الجسد يقال : ورَمَ الجسد - بالكسر - ورَماً، وتورّمَ ؛ واستسمن ذي الورم هو أن يرى
الحجم النَّاتِي من علة فيحسب ذلك سمناً وشحماً .

والمثل مشهور عند المتأخّرين يضربونه عند خطإ الرأي في استجادة القبيح واستحسان
الخبث واستصواب الخطإ لأمانة وهميّة كاذبة : قال أبو الطيّب :

أُعيذُها نظراتٍ منك صادقة أن تحسب الشّمَ فيمن شحمه ورَمُ
وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظره إذا استوتتْ عنده الأنوارُ والظلمُ

(20) ناقص من ب.

وفي المقامات الحبرية : قد استسمنت ذا ورم، ونفخت في غير ضرم.

سَمْنُ كَلْبِكَ يُجَوِّعُ أَهْلَهُ .

السَّمْنُ ضدُّ الهُزَالِ، سَمِنَ - كَفَّرَحَ - سَمِنًا وَسَمَانَةً، فهو سامن وسمين، وسمنَّته تسمينا ؛ والكلب كلَّ سبع عقور، إلا أنَّه غلب على النَّابِجِ المعروف ؛ والجوع معروف .

يُضْرَبُ هذا المثل في الرجل يأكل مال غيره فيسمن وينعم . وأصله أنَّ الكلب إذا وقع السُّمُوتَانُ والهلاك سمن هو بأكل الجيف وأهله جياع .

وقيل إن رجلا سلك رهنا فرهن أهله، ثم تمكن من أموال من رهنهم فاستاقها وترك أهله . وحكى أبو علي البغدادي أن رجلا من أهل الشام كان مع الحجَّاج يحضر طعامه، فكتب إلى امرأته يعلمها بذلك . فكتبت إليه :

أَتُهْدِي لِي الْقِرْطَاسَ وَالْخُبْزُ حَاجَتِي وَأَنْتَ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ بَاطِنُ !
إِذَا غَبِثَ لَمْ تَذْكُرْ صَدِيقًا وَإِنْ تَقِمَ فَأَنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ ضَنِينُ
فَأَنْتَ كَكَلْبِ السُّوءِ جَوَّعَ أَهْلَهُ فَيَهْزُلُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَهُوَ سَمِينُ

سَمْنُكُمْ فِي أَدِيمِكُمْ .

السَّمْنُ - بالفتح فسكون - معروف ؛ والأديمُ هنا فسَّرَه بعضهم بالزَّقْ، وأنكر ذلك آخرون وقالوا : الأديم هنا الطعام المأدوم، فعِيل بمعنى مفعول، فيقال أديم ومأدوم، كما يقال قتيل ومقتول . وعلى كلِّ حال فمعناه أنَّ خيرهم موقوفٌ عليهم، وفضلهم راجعٌ إليهم، فيضرب للبخيل ومن لا يتعداه خيره ومن ينفق على نفسه دون غيره . وقد يقال : سَمْنُكُمْ هَرِيقٌ في أديمكم، وهو معناه .

سَمْنُ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ !

التَّسْمِينُ معروف، تقدَّم ؛ والكلب مرَّ أيضًا . وهذا مثل قديم مشهور . وقد تمثَّل به عبد الله بن أبي ركن المناققين في غزوة بني

المُصْطَلِقِ حَيْثُ اخْتَصَمَ المَهْاجِرِيُّ وَالْإِنْصَارِيُّ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي : مَا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ
-يعني المهاجرين- إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : سَمَنْ كَلْبَكَ يَأْكُلُكَ ! وفيها قَالَ : لَا تُنْفِقُوا
على أصحاب محمد ! وقال : لَكِنَّ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَضُ مِنْهَا
الْأَذْكَى، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ فِي سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ.

ولفظ المثل، إمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى مَعْنَى الْإِخْبَارِ كَأَنَّهُ قِيلَ : إِنْ سَمَنْتَ كَلْبَكَ أَكَلَكَ، كَمَا فِي
الْآخِرِ : اسْقِ أَخَاكَ النَّمْرِيَّ يَصْطَبِحُ !، أَيْ إِنْ سَقَيْتَهُ اصْطَبَحَ، وَقَدْ
تَقَدَّمَ ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ إِنْشَاءً عَلَى ظَاهِرِهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ : سَمَنْ كَلْبَكَ لِيَأْكُلَكَ ! كَمَا
يَقَالُ : اضْرِبْ عَبْدَكَ يَسْتَقِمَّ ! أَيْ لِيَسْتَقِيمَ، وَيَكُونَ عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِمْ :
لِيَدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ !

وهو أيضًا رَاجِعٌ إِلَى الْخَبَرِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ. وفي معنى المثل قول الشاعر :
أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ حِينٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
وَكَمْ عَلِمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي !
ثُمَّ رَأَيْتَ فِي عِمَادِ الْبَلَاغَةِ أَنَّ الْكَلْبَ الْمَضْرُوبَ بِهِ الْمَثَلُ لِرَجُلٍ مِنْ طَسَمٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ
ارْتَبَطَ كَلْبًا وَجَعَلَ يَشْبَعُهُ اللَّبَنَ، رَجَاءً أَنْ يَصْطَادَ بِهِ ثُمَّ أَبْطَأَ عَلَيْهِ طَعْمُهُ، فَوُثِبَ عَلَى مَوْلَاهُ
فَافْتَرَسَهُ، فَصَارَ مِثْلًا فِي كِفَرَانِ النِّعْمَةِ وَمَجَازَاةِ الْمُحْسِنِ بِالْإِسَاءَةِ، وَفِيهِ قِيلَ : سَمَنْ
كَلْبَكَ يَأْكُلُكَ !
وقال مالك بن أسماء :

هُمْ سَمَنُوا كَلْبًا لِيَأْكُلَ بَعْضُهُمْ وَلَوْ ظَفَرُوا بِالْحَزَمِ لَمْ يَسْمَنْ الْكَلْبُ !

اسْتَنْتَ الْفِصَالُ حَتَّى الْقَرَعَى !

يَقَالُ : اسْتَنَّ الْفَرَسُ وَغَيْرُهُ إِذَا قَمَصَ، وَهُوَ أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ وَيَضَعُهُمَا مَعًا وَيَعْجَنُ
بِرَجْلَيْهِ ؛ وَالْفِصَالُ جَمْعُ فَصِيكَ مِنَ الْإِبِلِ مَعْرُوفٌ ؛ وَالْقَرَعَى جَمْعُ أَقْرَعٍ، وَالْقَرَعُ دَاءٌ
يَصِيبُ الْفَصْلَانَ فِي أَعْنَاقِهِمَا، وَتَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ فِي حَرْفِ الْحَاءِ، تَقُولُ : مِنْهُ قَرَعُ الْفَصِيلِ
بِالْكَسْرِ - قَرَعًا، فَهُوَ أَقْرَعُ، وَالْأَنْثَى قَرَعَاءُ. وَدَوَاؤُهُ أَنْ يَنْضَحَ الْفَصِيلُ بِالْمَاءِ وَيُجَرَّ فِي أَرْضِ
سَبْخَةٍ أَوْ مَرْشُوشَةٍ بِمَلْحٍ، فَتَقُولُ : قَرَعْتَ الْفَصِيلَ تَقْرِيعًا إِذَا فَعَلْتَ بِهِ ذَلِكَ، فَهُوَ مَقْرَعٌ

قال أوسُ بن حَجَر :

لدى كلِّ أُخْدودٍ يُغادرُنْ دارِعاً⁽²¹⁾ يُجَرُّكُمَا جُرٌّ الفصيصُ المُقَرَّمُ
والقرعى لا يمكنها الاستئنان، فيضرب هذا المثل في الضعيف يباري القويَّ، وعند
تمدُّح الرجل بالشيء ليس من أهله. وقد قيل إنَّ اسْتَنْتَ هُنا معناه سَمِنْتَ، من
قولهم: سَنَّ الراعي إبله، إذا أحسن رعيها وأسمنها، وكأنَّه صقلها بذلك وزينها . قال
النَّابِغَةُ :

ضَلَّتْ حُلُومُهُمْ عَنْهُمْ وَغَرَّهُمْ سَنُّ الْمُعَيْدِيَّ فِي رَعِيٍّ وَتَعَزَّيْبِ
وهو على مضربه أيضاً بأن يراعى في الكلام نوع تهكُّم وسخرية.

سَوَاءٌ عَلَيْكَ هُوَ وَالْقَفَرُ.

يُضْرَبُ لِلْبَخِيلِ الَّذِي لَا خَيْرَ عِنْدَهُ إِذَا نَعَتْ بِمَعْنَى أَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْقَفَارِ الْمَحْلَةِ . قال ذو
الرَّمَّة :

تَخَطَّ إِلَى الْقَفَرِ امْرَأُ الْقَيْسِ إِنَّهُ سَوَاءٌ عَلَى الضَّيْفِ امْرَأُ الْقَيْسِ وَالْقَفَرُ !
يُحِبُّ امْرَأُ الْقَيْسِ الْقَرَى أَنْ يِنَالَهُ⁽²²⁾ وَيَأْبَى مُقَارِبَهَا إِذَا ظَلَعَ النَّسْرُ
النَّسْرُ : أَوَّلَ اللَّيْلِ يَطْلُعُ عِنْدَ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَلْبُ الزَّمَانِ .

سَوْءُ الاسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ [حُسْنِ] الصَّرْعَةِ⁽²³⁾ .

يقال : ساءَ هـ يسوءه إذا فعل به ما يكره، والاسم منه السَّوء - بالضم - ويقال : استمسك
به، ومسك، وأمسك، وتمسك احتبس واعتصم به، والصرع : الطرح في الأرض ؛ صرعه
صرعاً وصرعةً. والصرعة - بالكسر - : النوع من ذلك، ومنه المثل . ويروى فيه
بالفتح، على معنى المَرَّة.

وهذا المثل يُضْرَبُ فِي الْمَدَارَاةِ وَالتَّوَدُّدِ . قاله أبو عبيد القاسم بن سلام، وقال :
معناه لأن يزل الإنسان، وهو عامل بوجه العمل و طريق الاحسان والصواب، خير من أن تأتيه
الاصابة وهو عامل بالاساءة والخرق . وهذا التفسير لا يعطيه المثل ولا يدل عليه ولا يتم

(21) في ب : ضارِعاً.

(22) في ب: الضري بدل القرى.

(23) سقطت هذه الكلمة من د، وكتب في المخطوطات الأخرى : «حمى»، والتصويب من الصحاح.

مضربه المذكور به، وإنَّمَا معناه، كما قال غيره : لأن يستمسك، ولا يصرع، وإن كان سيء الاستمساك، خير من أن يُصرع ولو صرعةً حسنةً لا تضره . وهو واضح، ومضربه أيضا على هذا النحو ظاهر.

سوءُ الاكْتِسَابِ، يَمْنَعُ الانتِسابَ .

هذا ظاهر .

أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً .

الاسَاءَةُ ضدُّ الاحسان ؛ والسَّمْعُ تقدَّم ؛ والجَابَةُ اسم من الاستجابة، يقال : أَجَابَهُ إجابةً، والاسم الجَابَةُ - كالطَّاعَةِ والطَّاقَةِ - بمعنى الطاعة والاطاعة . قال الشاعر :

وما مَن تَهْتَفِينِ بِهِ لِنَصْرٍ بِأَقْرَبِ جَابَةٍ لَكَ مِنْ هَدِيلٍ
يُضْرِبُ فِي سُوءِ الْمَسْأَلَةِ، وَالْإِجَابَةِ فِي الْمَنْطِقِ، وَالْإِجَابَةُ عَلَى غَيْرِ فَهْمٍ . ونظمه أبو العتاهية فقال :

إذا ما لم يكنْ لك حُسْنُ فَهْمٍ أَسَاتَ إجابةً فَأَسَاتَ سَمْعًا
وَلَسْتُ الدَّهْرَ مُتَّسِعًا لِحَلٍّ إذا ما ضِيقَتْ بِالْأَنْصَافِ ذَرْعًا

أَسَافَ حَتَّى مَا يَشْتَكِي السَّوَّافَ .

يقال : سَافَ الْمَالُ يَسُوفُ إذا هَلَكَ ؛ والسَّوَّافُ - كَسَحَابٍ - مُوتَانٌ فِي الْإِبْلِ - وَقِيلَ بِالضَّمِّ - أَوْ هُوَ بِالْفَتْحِ فِي النَّاسِ وَالْمَالِ، وَبِالضَّمِّ مَرَضٌ فِي الْإِبْلِ، وَيَجُوزُ فَتْحُهُ ؛ وَأَسَافَ الرَّجُلُ : هَلَكَ مَالُهُ . قَالَ :

فَأَبْكَ وَاسْتَرْخَى بِهِ الْخَطْبُ بَعْدَمَا أَسَافَ وَلَوْلَا سَعْيُنَا لَمْ يُؤْبِكْ
غَيْرُهُ :

أَسَافَ مِنَ الْمَالِ التَّلَادِ وَأَعْدَمَا
وَيُضْرِبُ فِيْمِنْ تَعَوْدِ الْحَوَادِثِ.

سَالَقَضِيْبٌ حَدِيْدًا .

قَضِيْبٌ اسم وادٍ باليمن، وقد تقدّم هذا وقصّته في حرف الهمزة.
وممّا يلتحق بهذا الباب قولهم في الدّعاء :

سَلَطَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْوَرَى، وَحُمَّى خَيْرًا !

والورَى - بالتّحريك - اسم، من قولك : وَرَى القِيحُ جوفهُ يَرِيهِ إذا أَكَلَهُ: وقولهم :

سَلَّهْ مِنْ كَذَا سَلَّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ .

يُحْكِي أَنَّهُ، لَمَّا هَمَّ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، أَنْ يَهْجُو أَهْلَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ، وَأَنَا مِنْهُمْ ؟ - أَوْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .. فَقَالَ حَسَّانُ : لَأَسْلُنَنَّكَ سَلَّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ !

وَأُتِيَ بِعُضِّ الْمُلُوكِ، فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ، بِرَجُلٍ وَضَاعَ يَضَعُ الْحَدِيثَ كَذِبًا، فَقَالَ
أَضْرِبُوا عُنُقَهُ ! فَذَهَبُوا بِهِ لِيَقْتُلُوهُ . فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ لَهُمْ : أَنْظِرُونِي حَتَّى أَجْرِدَ كَلَامِي
وَأَسْقِطَهُ مِنْ دَوَابِينِ الْحَدِيثِ لئَلَّا يُلَبَسَ عَلَى النَّاسِ ! فَرَجَعُوا إِلَى الْمَلِكِ وَشَاوَرُوهُ، فَقَالَ
لَهُمْ : اقْتُلُوهُ ! فَإِنَّ هُنَا رَجُلًا يَسْلُونُ كَلَامَهُ مِنْهَا سَلَّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ . وَقَوْلُكَ مَثَلًا :

أَسْلَطُ مِنْ ذَنْبٍ مُتَنَمِّرٍ .

وقولهم :

السُّؤْدَدُ مَعَ السَّوَادِ .

أَيُّ إِنَّمَا يَحْصُلُ زَمَانُ الْفِتْوَةِ وَسَوَادِ الشَّعْرِ . وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْحَمَاسِيِّ :
إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَتْهُ السَّيَادَةُ نَاشِئًا فَمَطْلُبُهَا كَهْلًا عَلَيْهِ عَسِيرُ
وقولك مَثَلًا :

أَسِيرُ مِنَ الْمَثَلِ .

ونحو ذلك.

ومن أمثال العامة قولهم :

اسْأَلِ السَّائِلَ عَنِ طَيْبِ اللَّبَنِ !

يضرّبون في المخالط الشيء المعانى له أنّه أعرف به . وقولهم :

سَخَّرَ الْبَخِيلُ يُدَبِّرُ عَلَيْكَ !

وأما الشعر فقالوا :

تَحْسِبُهَا حَمَقَاءَ وَهِيَ بِاخِسٌ

وتقدّم في الحاء . وقال جرير :

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيْسِ

وتقدّم تفسير ابن اللبون والبازل، والقرن - بفتحيتين - : الحبل يجمع فيه البعيران .

ومنه قول جرير :

أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ أَنْتِي لَدَى الْبَابِ كَالْمَشْدُودِ فِي قَرْنٍ !

وَلَزَّتُ الْبَعِيرَ وَغَيْرَهُ لَزًّا وَلِزَازًا، وَالزَّرَزْتُه : شَدَدْتُه وَالصَّقْتُه : وَالْقَنَاعِيْسُ

جمع قنْعاس - بالكسر - وهو العظيم من الابل.

وقال الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَائِزُهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وقبله :

وَلَمْ يَكُنْ لِجِرَاحِي مِنْكُمْ أَسِ

وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ (24)

وَعَادِرُهُ مُقِيمًا بَيْنَ أَرْمَاسِ

وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ

وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

لَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكُمْ عَيْبُ أَنْفُسِكُمْ

أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُرِيحًا مِنْ نَوَالِكُمْ

جَارًا لِقَوْمٍ أَطَالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ

مَلُّوا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمْ

دَعَا الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا

(24) سقط في النسخ بيت بعد هذا، وهو :

مَا كَانَ ذَنْبُ بَغِيضٍ أَنْ رَأَى رَجُلًا ذَا فَاقَةٍ حَلَّ فِي مُسْتَوَعِرٍ شَاسِي

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ... (البيت)

وخاطب بهذا الشعر الزُّبْرَقَان، وعليه سجنه أمير المؤمنين عمر، رضي الله عنه.

وقال زَيْدُ الْخَيْل :

أُقَاتِلُ حَتَّى لَا أَرَى لِي مُقَاتِلًا وَأُنْجُو إِذَا لَمْ يَنْجُ إِلَّا الْمُكَيِّسُ
يُرَوِّى مُقَاتِلًا بِكسر التَّاء، وبفتحها على معنى موضع القتال.

وقال أَوْسُ بْنُ حَجْر :

وليس فرارُ اليوم عارًا على الفتى إذا عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ
ومثلها قول عمرو بن معدي كرب :

ولقد أَجْمَعُ رَجُلِيَّ بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّي لَفَرُّورُ
وَلَقَدْ أَعْطِفُهَا كَارِهَةً حِينَ لِلْقَوْمِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرٌ⁽²⁵⁾
آخر :

رُبَّ مَعْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ عَدِمَتُهُ كَفُّ مُعْتَرِسِهِ
وكذاك الدَّهْرُ مَاتَمُهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ
المأتم - بالتَّاء المثناة من فوق، على وزن مَقْعَد - كلُّ مجتمع في حزن أو فرح،
وقيل خاصًّا بالنساء، وقيل بالشوا ب . وأُطلق هنا على مجتمع الحزن . وأمَّا المأتم
- بالتَّاء المثناة - فهو فعل ما لا يحلُّ كالأتم ؛ والعُرُس - بضمَّتَيْن - : طعام الوليمة . قال
الراجز :

إِنَّا وَجَدْنَا عُرُسَ الْحَنَاطِ لَتَيْمَةً مَذْمُومَةً الْحَوَاطِ⁽²⁶⁾
ويخفف . والعُرُس - بالفتح - : الإقامة في الفرح، والعمود في وسط الفسطاط ؛
والعُرُس - بفتحَتَيْن - : الدَّهَشُ ؛ والعُرُس - بالكسر - : زوج الرجل، ولبؤة الأسد، وزوج
المرأة أيضًا . وأمَّا العُرُوسُ فوصف يقع على الذكر والأنثى، ما دام في أعراسهما .
والمعنى أَنَّ حزن الدَّهْرِ قريب من فرحه، كما أَنَّ فرحه قريبٌ من حزنه ؛ وكذا الصَّحَّةُ
والعافية والضيِّق والسعة ونحو ذلك.

(25) في د : جريز.

(26) تمامه - كما في لسان العرب : تَدْعَى مِنَ النَّسَاجِ وَالْخَيْطِ .

وقال الآخر :

إن كنت لا ترجى ولا تتقى
ونظمها ابن شرف فقال :

إن لم تضر ولم تنفع فكن حجراً
وقال صالح بن عبد القدوس :

وإن من أدبته في الصبا
حتى تراه ناضراً موقفاً
والشيخ لا يترك أخلاقه
ونظم هذا الأخير ابن شرف فقال :

ومن يعيش وهو مطبوع على خلق
وقال الآخر :

من يزرع الخير يحصد ما يسر به
وقال الآخر :

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه
وقال العباس بن الاخنف :

وما مرَّ يومٌ ارتجى فيه راحة
ولمحمود :

أخو البشر محمود على كل حالة
ويسرع بخلك المرء في هتك عرضه
غيره :

يا حبذا الوحدة من أنيس
غيره :

لا تترك الحزم في أمر تحاذره
العجز ضعف وما بالحزم من ضرر
غيره :

فأنت كالميت في رمسه

أو ميتاً عن أمور العيش مشغولاً

كالعود يسقى الماء في غرسه
بعد الذي أبصرت من يبسه
حتى يوارى في ثرى رمسه

لاقى به التراب مضموماً ومنقولا

وزارع الشر منكوس على الرأس

وأحسن الصدق عند الله والناس !

فأخبره إلا بكيت على أمس

ولن يعدم البغضاء من كان غابسا
ولم أر مثلك الجود للعريض حارساً

إذا خشيت من أذى الجليس !

فإن أصبت فما في الحزم من باس !
وأحزم الحزم سوء الظن بالناس

وما نكد الدنيا على طيب ظلها
وقرب حماها العذب شيء سوى الإنس؟
غيره :

ياراكب الفرس السامي بغرته
ولايس السيف يحكي لونه القبس
لا أنت تبقى على سيف ولا فرس
وليس يبقى عليك السيف والفرس !
غيره :

أقول له حين ودعته
لئن رجعت عنك أجسامنا
وللخنساء :

ترى الأمور سواء وهي مقبلة
وفي عواقيها تبیان ما التبسا
ترى الجليس يقول القول تحسبه
نصحاً وهيات ما نصحاً به التمساً⁽²⁷⁾
ويحكي أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه استنشدها فأنشدته هذا الشعر، فقال لها:
أنت أشعر كل ذات هنر ! فقالت : وكل ذي خضيين !

قيك : وكان بشار يقول : ما قالت امرأة شعرا إلا ظهر عليه الضعف . فقيك له : حتى
الخنساء ؟ فقال : لا ! تلك لها أربع خصى !
غيره :

تعب يدوم لذي الرجاء مع الهوى
خير له من راحة في اليأس
وهذا خلاف ما طلب امرؤ القيس في قوله :
أماوي هل لي عندكم من معرس
أبينني لنا، إن الصريمة راحة
لكن طلب البيان من طول الفجر، ولا يقتضي أن يكون التأيس خيرا من الترجية.
غيره :

ثنيت عزمي عن الدنيا وساكنها
فأسعد الناس من لا يعرف الناسا
غيره :

جفوت أناسا كنت أمل قربهم
وما بالجفا عند الضرورة من بأس

(27) في ب : نصحا ووالله ما نصحاً به التمساً

غيره :

والصَّمْتُ عِزٌّ فِي جَمِيعِ النَّاسِ

حِفْظُ اللِّسَانِ سَلَامَةٌ لِلرَّأْسِ

غيره :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَدْ نَفِدَ الْكِيسُ !

رَأَيْتُكَ لَا تَهْوَيْنَ إِلَّا دِرَاهِمِي

غيره :

فَكُنِ اللَّيِّبَ وَأَنْتَ صَدْرُ الْمَجْلِسِ !

صَدْرُ الْمَجَالِسِ حَيْثُ حَلَّ لَيِّبُهَا

غيره :

وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبُوسٍ

ضَحُوكُ السِّنِّ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ

غيره :

وَأَنْتُمْ عِنْدِي نَفُوسُ النُّفُوسِ !

قَالُوا : نَفُوسُ الدَّارِ سَكَّانُهَا

غيره :

وَلَكُنْتُمْ عِنْدِي كِبَعُضِ النَّاسِ

لَوْلَا مَحَبَّتُكُمْ لَمَا عَاتَبْتُكُمْ⁽²⁸⁾

غيره :

لَا شَتَعَلَ النَّاسُ عَنِ النَّاسِ

لَوْ نَظَرَ النَّاسُ لِأَحْوَالِهِمْ

غيره :

إِذَا نَظَرْتُ وَلَمْ أُبْصِرْكَ فِي النَّاسِ !

مَا أَقْبَحَ النَّاسَ فِي عَيْنِي وَأَسْمَجَهُمْ

غيره :

وَتُوبُ جِسْمِكَ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ؟

مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تُدْنِسَهُ

غيره :

كَمْ مِثْلَهَا مَرَّةً عَلَى رَأْسِي !

مَا هَذِهِ أَوَّلُ مَا مَرَّ بِي

غيره :

فَلَا رَأَى الدُّنْيَا وَلَا النَّاسَا

مَنْ لَا رَأَى مِصْرًا وَلَا أَهْلَهَا

غيره :

نَعَمْ ! قَدْ قِيلَ : طُولُ الْعُمَرِ يُنْسِي !

نَسِيتَ مَوَدَّتِي أَنْ طَالَ عَهْدِي

(28) فِي غَيْرِ ب : عَتَبْتُكُمْ

غيره :

وما من هالكٍ في الناس إلا وقال أبو تمام :

ما في النجوم سوى تعلّة باطلٍ
إنّ الملوك هم كواكبنا التي ومنها :

لو أنّ أسباب العفاف بلا تقى
وقال أيضا :

والدمعُ فيه خاذلٌ ومواسي ومنها :

لا تنسين تلك العهود فإنّما
وقال أيضا :

أرى ألفاتٍ قد كتبن على رأسي
فإن تسأليني من يخطُ حروفها
جرت في قلوب الغانيات لشيبيتي
وقد كنتُ أجري في حشاهنّ مرّة
فإنّ أُمسٍ من حظّ الكواعب آيساً
وقال الآخر :

الكلبُ أعلى قيمة
ممنّ يُنازعُ في الرئاسة

غيره :

استودعَ العِلْمَ قِرطاساً فضيعةً
وبئسَ مُستودعُ العِلْمِ القِرطاسُ !
قال أبو علي البغدادي في نوادره : وسمع يونس رجلاً ينشد هذا البيت فقال : قاتله
الله ! ما أشدَّ صبابته بالعلم وصيانته للحفظ ! إنّ علمك من روحك ومالك من بدنك،
فصنْ علمك صيانةً وروحك، ومالك صيانتك بدنك.

وقال محمد بن إبراهيم يخاطب بعض أهله :

أظنُّكَ أَطْعَمَكَ الْغِنَى فَنَسِيتَنِي
وإن كنتَ تَعْلُو عندَ نَفْسِكَ بِالْغِنَى
وقال أعرابي سأل آخر حاجة، فتشاغل عنه :
كَدَحْتُ بِأُظْفَارِي وَأَعْمَلْتُ مِعْوَلِي
وَأَقْبَلْتُ أَنْ أَنْعَاهُ حَتَّى رَأَيْتُهُ
تَشَاغَلَ لَمَّا جِئْتُ فِي وَجْهِ حَاجَتِي
فَقُلْتُ لَهُ : لَا بَأْسَ لَسْتُ بِرَاجِعِ
السَّمَادِيرُ : مَا يَتَرَاى لِلْإِنْسَانِ عِنْدَ السُّكْرِ
غِيَرُهُ :

لئن درستُ أسبابُ ما كان بيننا
وما أنا مِن أنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا
وقال أحد بني شيبان :

وما أنا من ريبِ المنونِ بجبلي
يقال : جبا عن كذا يجبا عنه، إذا هابه، ورجل جباً .
وقال مهلهل :

نُبِئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقِدْتُ
وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ
قوله «المجلس» أي الجالسون، والنَّبَسُ : النُّطْقُ، يقال : نَبَسَ فلانٌ .
غِيَرُهُ :

وَالشَّيْبُ إِنْ يَحُلُّ فَإِنَّ وَرَاءَهُ
لَمْ يَنْتَقِصْ مِنِّْي الْمَشِيبُ قَلَامَةً
ومثله، في مدح الشيب، قول الآخر :

لَا يَرُعُكَ الْمَشِيبُ يَا بَنَّةَ عَبْدِ
إِنَّمَا يَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا

عُمُرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ
الآنَ حِينَ بَدَأَ أَلْبُ وَأَكْيَسُ
اللَّهِ، فَالشَّيْبُ حِلَّةٌ وَوَقَارُ
ضَحِكْتُ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ !

وسنذكر بعدُ ما قيل في الشيب، إن شاء الله.

وقالت الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي!

وقالت أيضا :

وما يبكون مثلك أخي ولكن أعزني النفس عنه بالناسي
وهذان البيتان من قطعة لها تعارض فيها دُرَيْدُ بن الصَّمَّة، وكان دريد خطب
الخنساء، في حياة أخويها . فأراد أخوها معاوية أن يزوجه، وكان أخوها صخر غائبا في غزاة
له، فأبت وقالت : لا حاجة لي به ! فأراد أن يكرهها، فقالت :

تباكرني حميدة كلَّ يوم، بما يُولي معاوية بن عمرو
فإلا أعط من نفسي نصيبا لقد أودى الزمان إذا بصخر
أتكرهني هبلة على دُرَيْد، وقد أحرمت سيّد آل بدر
معاذ الله يرصعني حبركي قصير الشبر من جُشَم بن بكر⁽²⁹⁾
يرى مجدا ومكرمة أتاهَا إذا عَشَى الصديقَ جريم تمر
الحبركي : القصير الرجلين، الطويل الظهر ؛ والقصير الشبر : القليل الخير والعطاء . فقال
دريد :

لِمَن طَلَّ بِذَاتِ الْخَمْسِ أَمْسَى عفا بين العقيقِ فَبَطَنَ طِرْسِ ؟
أشبهها غمامة يوم دجن تَلَأُ بَرَقَهَا أو ضوء شمس ؟
فَأَقْسِمُ ما سَمِعْتُ كَوَجْدِ عَمْرُو بِذَاتِ الْخَالِ مِنْ جَنِّ وَإِنْسِ
وَقَالَكَ اللَّهُ يَا ابْنَةَ آلِ عَمْرُو مِنْ الْفَتَيَانِ أَمْثَالِي وَنَفْسِي
فَلَا تَلِدِي وَلَا يَنْكِحْكِي مِثْلِي إِذَا مَا لَيْلَةٌ طَرَقَتْ يَنْحَسِرُ
وَقَالَتْ إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ وَهَلْ خَبَرْتُهَا أَنْتِي ابْنُ أَمْسِ ؟
تَرِيدُ أَفِيحِمِ الرَّجْلَيْنِ شَتْنًا يَقْلَعُ بِالْجَدِيرَةِ كُلَّ كَرْسِ
إِذَا عَقِبَ الْقُدُورِ عَدَدْنَ مَا أَحَبَ حَلَالُ الْإِبْرَامِ عَرْسِ
وَقَدْ عَلِمَ الْمَرَضِعُ فِي جَمَادِي إِذَا اسْتَعْجَلْنَ عَنْ حَزْنِهِسِ
بِأَنْتِي لَا أَبِيتُ بَغَيْرِ لَحْمِ وَأَبْدَأُ بِالْأَرَامِلِ حِينَ أَمْسِي

(29) في لسان العرب : معاذ الله ينكحني حبركي .

وَأُنِّي لَا يَهْرُ الضَّيْفُ كَلْبِي
واصفر من قدام النبع فرع
دفعت الى المفيض إذا استقلوا
فلمّا مات صخر قالت الخنساء تعارض دريدا في كلمته :

يُورِقُنِي التَّذَكُّرُ حِينَ أُمْسِي
على صخر، وأيُّ فتى كَصَخْرٍ
وعان طارق، أو مُسْتَضِيفٍ
ولم أرَ مِثْلَهُ رُزْءًا لَجِنٍّ
أشدَّ على صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْهُ
ألا يا صخرُ لا أنساكَ حتَّى
ولولا كثرةُ الباكينِ حَوْلِي
ولكن لا أزالُ أرى عجولاً
تُفْجَعُ والهّا تبكي أخاها
يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا

وقال أبو علي، عن ابن دريد : طلوع الشمس للغارات وغروبها للضيغان .

وقال الآخر :

تَقَوَّسَ بَعْدَ مَرِّ الْعُمَرُ ظَهْرِي
فَأَمْسَى وَالْعَصَا تَهْوِي أَمَامِي
ونحوه لآخر :

قَوَّسَ ظَهْرِي الْمَشِيبُ وَالْكَبِيرُ
كَأَنَّني وَالْعَصَا تَدِبُ مَعِي
غيره :

إِذَا تَمَنَّيْتَ بَيْتَ اللَّيْلِ مُغْتَبِطًا
غيره :

اللَّهُ يَعْدِلُ وَالْأَمَالُ كَاذِبَةٌ

وَكُلُّ هَذَا الْمُنَى فِي الْقَلْبِ وَسَوَاسُ

ومثله لحبيب :

من كان مَرعى عَزَمِهِ وهُمومِهِ

ولغيره :

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى

ولمسلم :

لَوْلا مُنَى الْعَاشِقِينَ مَاتُوا

وقال الصابىء :

وَكَمْ مِنْ يَدٍ بِيضَاءَ حَازَتْ جَمَالَهَا

إِذَا رَقَشَتْ بِيضَ الصَّحَائِفِ خِلَتَهَا

ابن المعتز :

إِنِّي إِذَا لَمْ أَجِدْ يَوْمًا مُرَاسَلَةً

لِمُرْسِلٍ عِبْرَةٌ فِي إِثْرِهَا نَفْسٌ

وقال أبو محمد الحريري، رحمه الله تعالى :

جَزَيْتُ مَنْ أَعْلَقَ بِي وَدَّهْ

وَكَلَيْتُ لِلْخِلِّ كَمَا كَالِ لِي

وَلَمْ أَخْسِرْهُ وَشَرُّ الْوَرَى

وَكُلُّ مَنْ يَطْلُبُ عِنْدِي جَنَى

لَا أَبْتَغِي الْغَبْنَ وَلَا أَنْتَنِي

وَلَسْتُ بِالْمُوجِبِ حَقًّا لِمَنْ

وَرُبَّ مَذَاقٍ الْهَوَى خَالَنِي

وَمَا دَرَى مِنْ جَهْلِهِ أَنْتَنِي

فَاهْجُرْ مَنْ اسْتَغْبَاكَ هَجْرَ الْقَلَى

وَالْبَسَ لِمَنْ فِي وَصْلِهِ لُبْسَةٌ

وَلَا تُرْجِ الْوُدَّ مِمَّنْ يَرَى

وله أيضا :

رَوْضَ الْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولًا

وَالْإِلاَّ فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَعْدًا

غَمًّا وَبَعْضُ الْمُنَى غُرُورُ

يَدٌ لَكَ لَا تَسْوَدُ إِلَّا مِنَ النَّفْسِ

تَطَرَّرُ بِالظُّلُمَاءِ أَرْدِيَةَ الشَّمْسِ !

وَضَاقَ بِي مُنْتَهَى أَمْرِي وَمُلْتَمَسِي

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَأْتِيكُمْ نَفْسِي ؟

جَزَاءَ مَنْ يَبْنِي عَلَى أَسِّهِ

عَلَى وِفَاءِ الْكَيْلِ أَوْ بَخْسِهِ

مَنْ يَوْمُهُ أَخْسَرُ مِنْ أَمْسِهِ

فَمَالَهُ إِلَّا جَنَى غَرَسِهِ

بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ فِي حِسِّهِ

لَا يُوجِبُ الْحَقُّ عَلَى نَفْسِهِ

أَصْدَقُّهُ الْوُدُّ عَلَى لَبْسِهِ

أَقْضِي غَرِيمِي الدَّيْنَ مَنْ جِنْسِهِ

وَهَيْهْ كَالْمَلْحُودِ فِي رَمْسِهِ

لِبَاسَ مَنْ يُرْغَبُ فِي أَنْسِهِ

أَنْتَكَ مُحْتَاجٌ إِلَى فَلَاسِهِ !

حيارى يَمِيدُ بِهِم شَجْوَهُمْ
أَسَالُوا الْعُرُوبَ وَعَطُّوا الْجِيُوبَ
وله أيضا :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ
وما الفخر بالعظم الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا
وقال أيضا :

لَيْسَتْ لَكَ زَمَانٌ لَبُوسًا
وَعَاشَرْتُ كُلَّ جَلِيسٍ بِمَا
فَعِنْدَ الرُّوَاةِ أَذِيرُ الْكَلَامَ
وَطَوَّرًا بَوْعَظِي أَسِيلُ الدُّمُوعِ
وَأَقْرِي الْمَسَامِعَ إِمَّا نَطَقْتُ
وَأِنْ شِئْتُ أَرَعُ كَفِّي الْيَرَاعَ
وَكَمْ مُشْكَلاتٍ حَكَيْنَ السُّهَاءِ
وَكَمْ مَلَحٍ لِي خَلَبَنَ الْعُقُولَ
وَعَذْرَاءَ فَهَتْ بِهَا فَاثْنَتْنِي
عَلَى أَتْنِي مِنْ زَمَانِي خُصِصْتُ
يُسَعِّرُ لِي كُلَّ يَوْمٍ وَغَى
وَيَطْرُقُنِي بِالْخُطُوبِ الَّتِي
وَيُدْنِي إِلَيَّ الْبَعِيدَ الْبَغِيبُ
وَلَوْلَا خَسَاسَةُ أَخْلَاقِهِ
وقال أيضا :

ومنها :

وَالْفَقْرُ يُلْجِي الْحُرَّ حِينَ يُمْسِي
وله :

كَأَنَّهُمْ أَرْتَضَعُوا الْخَنْدَرِيْسَا
وَصَكَّوْا الْخُدُودَ وَشَجَّوْا الرُّؤُوسَا

على ما تجلَّى يومُهُ لَا ابْنَ أُمِّسِهِ
فَخَارُ الَّذِي يَبْغِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ !

وَلَابَسْتُ صَرْفِيهِ نُعْمَى وَبُوسَا
يُلَائِمُهُ لَأَرْوَقَ الْجَلِيسَا
وَبَيْنَ السُّقَاةِ أَذِيرُ الْكُؤُوسَا
وَطَوَّرًا بَلْهَوِي أَسْرُ النَّفُوسَا
بِيَانًا يَقُودُ الْحَرُونَ الشَّمُوسَا
فَسَاقَطَ دُرٌّ يُحَلِّي الطُّرُوسَا
خَفَاءً فَصِرْنَ بِكَشْفِي شَمُوسَا
وَأَسْأَرْنَ فِي كُلِّ قَلْبٍ رَسِيْسَا !
عَلَيْهَا التَّنَاءُ طَلِيقًا حَبِيسَا
بَكِيدٍ وَلَا كَيْدَ فِرْعَوْنَ مُوسَى
أَطَا مِنْ لَظَاهَا وَطَيْسَا وَطَيْسَا
يُذْبَنُ الْقَوَى وَيُشْبِنُ الرُّؤُوسَا
وَيُبْعَدُ عَنِّي الْقَرِيبَ الْأَنْبِيَا
لَمَّا كَانَ حَظِّي مِنْهُ خَسِيْسَا

وليسَ كُفَاءَ الْبَدْرِ غَيْرُ الشَّمْسِ

إِلَى التَّجَلِّي فِي لِبَاسِ اللَّبِيسِ

ما لي مَقَرٌّ بِأَرْضٍ
يَوْمًا بِنَجْدٍ وَ يَوْمًا
أُزْجِي الزَّمانَ يَقُوتُ
فَلا أبيتُ وَعِنْدِي
وَمَنْ يَعِشْ مِثْلَ عَيْشِي

غيره :

لا يَصْعُبَنَّ عَلَيْكَ فِي طَلَبِ الْعِلَا
فَالْبَدْرُ لو لَمْ يَنْتَقِلْ عَنْ بَرْجِهِ
وَالْخَمْرُ يُحْجَبُ نُورُهَا فِي دَنِّهَا

وقال ابن المرزبان :

كَمْ لَيْلَةٍ أَحْيَيْتُهَا وَمُؤَانِسِي
شَبَّهْتُ بَدْرَ سَمَائِهَا لَمَّا دَنَّتْ
مَلِكًا مَهِيْبًا قَاعِدًا فِي رَوْضَةٍ

غيره :

ولم أَدْخُلِ الْحَمَّامَ يَوْمَ فِرَاقِهِمْ
وَلَكِنْ لِيَتَجَرَّيَ عِبْرَةً مُطْمَئِنَّةٌ

غيره :

تَذَكَّرْتُ أَخِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
وَلَا تَنْسَ بَعْدَ الْبُعْدِ حَقَّ مَوَدَّتِي

غيره :

أَدْرَاهَا عَلَى أَمْنٍ وَلَا تَخْشَ مِنْ بَاسٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا ضَاكِكَاتُ غَمَائِمٍ
وَوَفْدُ رِياحٍ زَعَزَعَ النَّفْعَ مَرَّةً

غيره :

بَلَدٌ أَغَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا

وَلَا قَرَارٌ لِعَنْسِي
بِالشَّامِ أَضْحَى وَأُمْسِي
مُنْعَصِبٍ مُسْتَخْسٍ
فَلَسْ وَمَنْ لِي بِفَلَسٍ ؟
بِأَمِّ الْحَيَاةِ بِيَخْسٍ !

طُولُ التَّنْقِيلِ أَوْ فِرَاقُ الْمَكْنَسِ
مَا كَانَ يُعْرِفُ نُورُهُ فِي الْحِنْدَسِ
وَتَرَوْقُ مَهْمَا نَقَلْتَ لِلْأَكْوَاسِ

طُرْفُ الْحَدِيثِ وَطِيبُ حَثِّ الْأَكْوَاسِ
مَنْهُ الثَّرِيَّا فِي مَلَاةٍ سُنْدُسٍ
حَيَّاهُ بَعْضُ الزَّائِرِينَ بِنَرْجِسٍ

لَأَجَلَ نَعِيمٍ قَدْ رَضِيتُ بِبُوسِي
فَأُبْكِي وَلَا يَدْرِي بِذَاكَ جَلِيسِي

أَخَا فِي هَوَاكَ الْآنَ أَصْبَحَ أَوْ أُمْسَى
فَمَثَلِي لَا يُنْسَى وَمِثْلُكَ لَا يَنْسَى !

وَإِنْ خَدَّدْتَ آذَانُهَا وَرَقَ الْأَسِي
لَوَاعِبٍ مِنْ وَمُضِ الْبُرُوقِ بِمَقْبَاسٍ
كَمَا وَطِئْتُ دَرْعًا سَنَابِكُ أَفْرَاسٍ

وَكَسَاهُ رِيَشَ جَنَاحِهِ الطَّائِوُوسُ

فكأنَّما الأنهارُ فيه مُدَامَةٌ
وكانَ ساحاتِ الدِّيارِ كُؤُوسُ
غيره :

أكرهُ أن أدنُو من دارِكُم
ضرسِي طَحُونٌ وعلى خُبزِكُم
هُوَ الَّذِي أَقْعَدَنِي عَنْكُم
غيره :

أقْطَرُ نِسْيانِي إلى غَايَةٍ
فصرتُ مَهْمًا عَرَضَتْ حَاجَةً
وصرتُ أنسى الطَّرسَ في راحتي
غيره :

عليَّ ثيابٌ دونَ قيمَتِها الفلَسُ
فتوبُكَ مِثْلُ الشَّمْسِ من دونِها الدُّجَا
وقال أبو الطيب :

ألذُّ من المُدامِ الخَنْدريسُ
مُعَاطَاةُ الصَّفَائِحِ والعَواليِ
فموتِي في الوغَى عيشِي لأنِّي
وقال أيضا يخاطب محمد بن زريق الطرسوسي :

إنِّي نَثَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَانْتَقِدْ
ومنها :

خيرُ الطُّيُورِ على القُصُورِ وشرُّها
لو جادتِ الدُّنْيَا فدتَكَ بِنَفْسِها
وقال أيضا :

أنوكُ من عَبدٍ ومن عَرسِهِ
وإنَّما يُظْهَرُ تحْكِيمُهُ

مَنْ حَكَّمَ العَبْدَ على نَفْسِهِ
تَحَكَّمَ الاِفْسَادِ في حِسِّهِ

(30) في الديوان : لو جادت الدنيا فدتك بأهلها

ما مَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي وَعْدِهِ
العبدُ لا تفضلُ أخلاقَهُ
لا يُنجزُ الميعادَ في يومِهِ
وإنَّما تحتالُ في جذبِهِ
فلا ترجُ الخيرَ عندَ أمرِي
وإن عراكَ الشكِّ في نفسِهِ
كَمَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي حَبْسِهِ
عن فرجِهِ المُنتنِ أوِ ضرسِهِ
ولا يعي ما قالَ في أمْسِهِ
كأنَّكَ الملاحُ في قَلْسِهِ
جالت يدُ النخّاسِ في رأسِهِ⁽³¹⁾
بحالِهِ فانظرْ إلى جنْسِهِ !

وقال أبو العلاء المعري :

لا يوهِمُكَ أنَّ الشَّعرَ لي خُلُقٌ
فإنَّما كان إمامي بساحتِها
العَلَسُ : حَبٌّ معروف، وطيَر الماء لا تأكل الحبوب، وإنَّما تصطاد السمك الصغار .
وأراد بذلك التبرئة من قول الشعر .

وقال أسقف نجران :

منعَ البقاءَ تقاُبُ الشَّمسِ
وطلوعها حمراءُ صافيةً
وتجري على كبدِ السَّماءِ كما
يجري حمامُ الموتِ في النَّفْسِ
لطيفة : حدَّث بعض الأدباء عن الأصمعي قال : حضرت مجلس الرشيد، وعنده مسلم بن الوليد، [إذ] دخل أبو نواس فقال له : ما أحدثتَ بعدنا ؟ يا أبا نواس ! فقال : يا أمير المؤمنين، ولو في الخمر ؟ فقال : قاتلك الله، ولو في الخمر ! فأنشدته :
يا شقيقَ النَّفْسِ من حَكَمَ
نِمتَ عن ليلى ولم أنم !
وفيها قوله :

فتمشَّتْ في مفاصلِهِم كتمشِّي البُرِّ في السَّقَمِ

حتَّى أتى على آخرها . فقال : أحسنت ! يا غلام، أعطه عشرة آلاف وعشر خلع ! فأخذها وخرج . فلمَّا خرجنا من عنده قال مسلم بن الوليد : أَلَمْ تريا أبا سعيد إلى الحسن بن هانئ كيف سرق من شعري وأخذ به مالا وخلعا ؟ فقلت : وأي معنى سرق ؟ قال : قوله :

(31) في الديوان أيضاً : مرَّت يد النخّاس في رأسه

فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ... (البيت). فقلت : وأي شيء قلت ؟ قال : قلت :
 غراءُ في فرعها ليك على قمرِ أركُ ديباجةً من رقةِ النفسِ
 أذكى من المسكِ أنفاسًا وبهجتها كأنَّ قلبي وشاحها إذا خُطرتِ
 تجري محبَّتها في قلبٍ وامِقِها تجري السُلافةُ في أعضاءٍ مُنتكِسِ
 فقلت : ممَّن سُرقت أنت هذا المعنى ؟ فقال : لا أعلم أنني أخذته من أحد . فقلت : بلى !
 من عمر بن أبي ربيعة، حيث يقول :

أما والراقصاتِ بِيذاتِ عِرْقِ وربَّ البيتِ والرُّكنِ العتيقِ
 وزمزمِ والطَّوافِ ومشعريها ومُشتاقِ يحنُّ الى مشوقِ
 لقد دبَّ الهوى لكِ في فؤادي دبيبَ دمِ الحياةِ الى العروقِ !
 قال : ممَّن سرق عمر بن أبي ربيعة ؟ قلت : من بعض العذريَّين، حيث يقول :
 وأُشربَ قلبي حُبَّها ومَشى به كمشيِّ حميمِ الكأسِ في عقلِ شاربِ
 ودبَّ هواها في عِظامي وحبيها كما دبَّ في الملسوعِ سُمُّ العقاربِ
 فقال لي : ممَّن أخذ هذا العذريُّ ؟ قلت : من أسقف نجران - يعني السَّابق - .
 وقال أبو الفتح البستي :

يا أَكْثَرَ النَّاسِ إِحْسَانًا إِلَى النَّاسِ وَأَكْرَمَ النَّاسِ إِغْضَاءً عَنِ النَّاسِ
 نَسِيتُ عَهْدَكَ وَالنِّسْيَانُ مُغْتَفَرٌ فَاعْفِرْ فَأَوَّلُ نَاسٍ أَوَّلُ النَّاسِ !
 وقال مسلم بن الوليد في تفضيل الورد :
 كم من يدٍ للوردِ مشهورةٍ عِنْدِي وَلَيْسَتْ كَيْدِ النَّرْجِسِ
 الوردُ يَأْتِي وَوَجْوهُ الرَّبِّيُّ تَضْحَكُ عَنْ ذِي بَرْدٍ أَمْلَسِ
 وقد تحلَّتْ بعُقودِ النَّدى ثَابِتَةٌ فِي الْأَرْضِ لَمْ تُغْرِسِ
 ولن ترى النَّرْجِسَ حتَّى ترى رَوْضَ الْخُزَامَى رِثَّةَ الْمَلْبَسِ
 وتُخْلِيقُ النَّكْبَاءُ مَا جَدَّدَتْ أَيْدِي الْغَوَادِي فِي سَنَا السُّنْدُسِ
 هُنَاكَ يَأْتِيكَ غَرِيبًا عَلَى شَوْقٍ مِنَ الْأَعْيُنِ وَالْأَنْفُسِ

غيره :

من أَحْسَنَ الظَّنَّ بِأَعْدَائِهِ تَجَرَّعَ الهمَّ بِلَا كَاسٍ
قال الصفيدي : ولو كنت ناظم هذا البيت لقلت : مَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِأَحْبَابِهِ ، ولم أقل :
بِأَعْدَائِهِ .

وللَّهِ دَرَّ القائل :

جَزَى اللّهُ خَيْرًا كُلَّ مَنْ لَيْسَ بَيْنَنَا
وَلَا بَيْنَهُ وَدٌّ وَلَا مُتَعَرِّفُ
فَلَا نَالَنِي ضَيْمٌ وَلَا مَسْنِي أَذَى
مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ فَتَى كُنْتَ أَعْرِفُ !
وقال : يقال إنَّ رجلاً كان على عهد كسرى يقول : من يشري ثلاث كلمات بألف ؟ ولا يجد ،
إلى أن اتصل بكسرى ، فأحضره وسأله عنها فقال : ليس في النَّاسِ كلَّهم خير . قال :
صدقت ! ثمَّ ماذا ؟ فقال : ولا بدَّ منهم ! قال : صدقت ! ثمَّ ماذا ؟ قال : فالبسهم
على حذر ! فقال قد استوجبت المال ، فخذهُ ! قال : لا حاجة لي به ، وإنَّما أردت أن أرى من
يشترى الحكمة !

وقال أبو فراس :

مالي أَعَاتِبُ دَهْرِي أين يذهبُ بي ؟
أَبْغِي الوفاء بدَهْرٍ لا وفاء به
ونحوه في المعنى قوله أيضا :
أين الخليلُ الَّذِي يُرْضِيكَ باطنُهُ
وقول ابن الساعاتي :

لا يَغُرَّتْكَ التَّوَدُّدُ من قَوِّ
والقلوبُ الغِلَظُ لا يَنْزَعُ الأحقادُ
وقول آخر :

لا تَتَّقْ مِنْ أَدَمِيَّ
كَيْفَ تَرْجُو مِنْهُ صَفْوًا
فِي وَدَادٍ بِصَفَاءٍ !
وَهُوَ مِنْ طِينٍ وَمَاءٍ ؟

وقول الآخر :

ومن يَكُ أَصْلُهُ ماءً وَطِينًا
بعيدٌ مِنْ جَبِلَّتِهِ الصَّفَاءُ

وقال ابن قلاقيس :

غاضبُ الوفاءُ وفاضلُ ماءُ الغدرُ أنهاراً وغدراً
وتطابقُ الأقوامُ في أقوالِهِم سرّاً وجَهراً
فانظرْ بعينِكَ هل ترى عرفاً وليسَ تراهُ نكراً !

وهو من قول الطغرائي :

غاضبُ الوفاءُ وفاضلُ الغدرُ وانفجرتْ مسافةُ الخلفِ بين القولِ والعملِ
وما أعدلُ قولَ محيي الدين محمد بن تميم في هذا :
لك الخيرُ كم صاحبتُ في الناسِ صاحباً فما نالني منهم سوى همٍّ والعنا
وجرتُ أبناءُ الزمانِ فلم أجِدْ فتى منهم عند المضيقِ ولا أنا !
ومثله لبعضهم :

طُفْتُ زماناً على مَنْ يُنصِفُنِي فلماً أنصَفَ خُنْتُهُ أنا

وتتميم هذا الغرض في موضع آخر، إن شاء الله تعالى.
غيره :

لم يكفني في الرأي خيبةٌ منْظري حتّى حرمتُ لذاعةَ اليناسِ
كالأعورِ المسكينِ أعدمَ عَيْنَهُ واعتاضَ منها يَغْضَةً في الناسِ
وقال محيي الدين محمد بن تميم في مليح ينسى كثيراً :
بيروحي الَّذي نسيانُهُ صار عادةً وأفرطَ حتّى كاد يُعْدمُهُ الحِساءُ
فلو أَنَّهُ بالهَجَرِ أضْحى مُهدّدي لما ساءني عِلْماً به أَنَّهُ يَنْسى
وقال الآخر :

والله ما طلعتْ شمسٌ ولا غربتْ إلّا وأنتَ مُنى قلبي ووسْواسي
ولا جلستُ الى قومٍ أحدُثْهُم إلّا وأنتَ حديثي بين جلاسي
ولا هممتُ بشربِ الماءِ من ظمإٍ إلّا رأيتُ خيالاً منك في الكاسِ !

وقال الآخر :

إن صَحَبنا الملوكةَ تاهوا علينا واستخَفُّوا جَهلاً بحقِّ الجليسِ
أو صَحَبنا الثجَّارَ عدنا إلى البؤسِ وصرنا إلى عديدِ الفلوسِ
فلزمتنا البيوتُ نستعملُ الحَبْرَ ونملا بهِ وجوهَ الطُروسِ

وَقَنِعْنَا بِمَا رَزَقْنَا فَصَرْنَا
فَقَالَ آخَرُ، مَذِيلًا لِهَذَا الشَّعْرِ :
لو تركنا وذاك كُنَّا ظَفِرْنَا
غير أن الزمان أعني بنيه
وقلت أنا :

إِنِّي امْرُؤٌ لَا أَنْثِي غَبْنًا
وَإِذَا اسْتَطَانَ الْبَوْنُ مِنْ فَرْقٍ
وَإِذَا الزَّمانَ أَحَالَ نَائِبُهُ
وَإِذَا تَطَاوَلَ لَمْ]

وَإِذَا اسْتَطَابَ الْهَوْنَ مُحْتَسِبًا
أَرعى الْهَبِيدَ عَلَى الْقَنَانِ وَلَا
وَالذُّ أَنْيَةَ الْمِيَاهِ إِذَا
وَإِذَا اسْتَسِمْتُ الْخُسْفَ فِي بَلَدٍ
إِنَّ الْبِلَادَ لِيَذِي الْحِجَى وَطَنٌ]

[(33)

نَذَلْ فَلَسْتُ تَرَاهُ فِي كَأْسِي
أَرعى بُوْهْدٍ أَطْيَبَ الْخَلْسِ
كَانَ الْفِرَاتُ يُشَابُ بِالْكَرْسِ
يَوْمًا زَمَمْتُ لغيره عَنَسِي
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو جِنْسٍ !
[(34)

وَيُحْكِي أَنَّ ابْنَ سَكْرَةَ فِي آخِرِ أَمْرِهِ، لَمَّا مَاتَ الْوَزِيرَ الْمَهْلَبِي، سَأَلَ : مَا أَعَدَدْتَ لِلشُّتُوَةِ ؟

فَقَالَ :

قِيلَ : مَا أَعَدَدْتَ لِلْبَرْدِ
قُلْتُ : دُرَّاعَةٌ عُرْيِي
فَقَدْ جَاءَ بِشِدَّةٍ ؟
تَحْتَهَا جُبَّةٌ رَعْدَةٌ !

(32) ساقط من د.
(33) بياض بالاصول
(34) هنا بياض بمقدار صفحة.

وقلت أنا فيها، وجعلتها ثمانيا :

إذا أومَضَ البرقُ اليماني وأظنَّبتُ
على الأرضِ من جونِ الوليِّ قِبابُ
فلذْ بثمانٍ هُنَّ في الدَّهرِ للفتى
وقاءُ إذا ما نالها وحِجابُ :
كبابُ وكانونُ وكنُ وكاعِبُ
وكأسُ وكيسُ كِسوةُ وكتابُ !
وجمع بعضهم للصيف رآت ثمانية قابل بها كافات الشتاء، فقال :

عندي فديتُك رآتُ ثمانية
ألقي بها الحرَّ إن وافى وإن وردا :
رُبُّ وروحُ وريحانُ وريقُ رشا
ورفرفُ ورياضُ ناعِمُ وردا
وقد تفتنَّ الأدباء في هذا الغرض، فجمعوا من هذا النمط أعدادا، كقول بعضهم :
رمثنا يدُ الأيَّامِ عن قوسِ خطبِها
بسبْعٍ وهك ناجٍ من السَّبْعِ سالمُ :
غلاءُ وغاراتُ وغزوُ وغربةُ
وغمُ وغدرُ ثمَّ غَبْنُ ملازمُ !
وكقول ابن التعاويذي :

إذا اجتمعت في مجلس الشُّرب سبعة
شواءُ وشمَّامُ وشهدُ وشادنُ
فبادر فما التَّأخير عنه صوابُ :
وشمعُ وشادُ مطربُ وشرابُ !
وقول الآخر :

عجَّلْ إليَّ فعندي سبعة كملتُ
طارُ وطربُ وطنبورُ وطاسُ طلا
وليس فيها من اللذاتِ أعوانُ :
وطفلةُ وطباهيجُ وطنَّانُ
وقوله :

جاء الخريفُ وعندي من حوائِجِه
موزُ ومنُ ومحبوبُ ومائدةُ
سبعُ بهنُ قوامُ السَّمْعِ والبصرِ :
ومُسِمِعُ ومُدامُ طيبُ ومرى
وقول الصفدي

إذا تبينَّ لي في مصرَ واجتمعت
خِدرُ وخمرُ وخاتونُ وخادمُها
سبعُ فإنِّي في اللذاتِ سلطانُ :
وخِلْسَةُ وخلاعاتُ وخِلانُ
وقوله :

ثمانيةُ إن يسمَحَ الدَّهرُ لي بها
مقامُ ومشروبُ ومزحُ وماكَلُ
فليس عليها بعد ذلكَ مطلوبُ :
ومله ومشمومُ ومالُ ومحبوبُ

وقوله :

إلى متى أنا لا أنفكُ في بلدٍ رهينَ جيماتٍ جورٍ كُلُّها عطبُ :
الجوعُ والجريُّ والجيرانُ والجُدريُّ والجهلُ والجُبْنُ والجُرْدانُ والجربُ ؟

وقول الآخر :

إذا كان في اسم المرء شينٌ هَوَتْ بهِ إلى الشرِّ فليحذر أذاهُ المُحاذِرُ :
شريفٌ وشيعيٌّ وشيخٌ وشاهدٌ وشِمِرٌ وشَرِيبٌ وشرحٌ وشاعرٌ
سوى الشافعي أو شاهد راق حسنه كذا الشهداء المتقون وشاكر

وهذه الأشعار، كما ترى، الكثير من أصحابها يقصد الى إحراز غرض ويفوته أغراض، فتجده إذا وفى بذلك الغرض تعلّك به ولم يتحرّز عن اللفظ الخسيس، ولا عن المقصد السقيم، ولا عن التركيب المختلّ، والسبك الركيك، والحشو، وغير ذلك ممّا ينبىء أن قائله متكلّفٌ، رازمُ العارضة، ليّن الجلدة، غير مطبوع.

وقال أعرابي يهجو قومًا من طيّ :

ولمّا أن رأيتُ بني خريقٍ جُلوسًا ليس بينهمُ جليسُ
يئستُ من التّي أقبلتُ أبغي لديهم إنني رجلٌ يؤوسُ
إذا ما قلتُ : أيُّهمُ لأيّ تشابهتِ المناكبُ والرؤوسُ !

قوله : ليس بينهمُ جليسُ، أي لا ينتجع النَّاسُ معروفهم، فليس فيهم غيرهم، وهذا من أقبح الهجو .

وقال أبو بكر الخوارزمي :

يا من يُحاولُ صرْفَ الرّاحِ يشربُها ولا يفكُ لما يلقاهُ قرطاسا
الكأسُ والكيسُ لم يُقْضَ امتلاؤهُما ففرَّغَ الكيسَ حتّى تملأَ الكاسُ !
وقال عمرو بنُ معد يكرب :
أتوعِدُنِي كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنِ بَأْنَعَمَ عِيشَةٍ أَوْ ذُو نَوَاسٍ ؟
فَلَا تَفْخَرْ بِمُلْكِكَ، كُلُّ مُلْكٍ يَصِيرُ لِدَلَّةٍ بَعْدَ الشَّمَاسِ !
ولنكتف بهذا القدر من هذا الباب ! واللّه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

باب الشين المعجمة

أَشَامُ من البَسُوس .

الشُّؤْمُ ضدُّ اليُمْنِ، شُؤْمُ الرجل - بالضم - على قومه، وشُئِمَ عليهم - بالبناء للمجهول -: صار شُؤْمًا عليهم، وهو مَشُؤُومٌ ومَشُؤُمٌ، والجمع مَشَائِمٌ . قال الشاعر:

مَشَائِمٌ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلَا نَاعِبٍ إِلَّا بَيْنَ غُرَابِهَا^(١)
وَشَأَمَهُمْ، وَشَامَ عَلَيْهِم - بالفتح فيهما - فهو شَائِمٌ ؛ والبَسُوسُ - بالفتح - الناقّة لا تدرّ إلاّ بالابساس، أي التلطف بها بأن يقال لها : بَسْ، بَسْ !، كما مرّ . والبسوس أيضا امرأة مشومة، وهي المضروب بها المثل.

وكانت هذه المرأة أُعطي زوجها ثلاث دعوات مستجابات، فقالت له : اجعل لي واحدة منهنّ ! قال : نعم، فما تريدان ؟ قالت : ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل ! ففعل، فرغبت عنه وهمت بسيئ، فدعا الله أن يجعلها كلبة نباحة . فجاءه بنوها وقالوا : ما لنا على هذا من قرار يعيرنا بها النَّاسُ، فادع الله أن يردّها إلى حالها ! فدعا لها فذهبت الدعوات كلّها بشؤمها .

أَشَامُ مِنْ بَنِي بَسُوس .

ويقال أَشَامُ مِنْ البَسُوسِ . البَسُوسُ أيضا اسم امرأة من العرب، وهي خالة جَسَّاس بن مرّة . وكان لمرّة هذا عشرة من الولد، منهم جَسَّاس، ونضلة، والحارث، وهمّام . بنو مرّة، وهم من بني بكر بن وائل . وكان كليب بن ربيعة التغلبي من العزّة والشرف في وائل بالمحلّ الذي لم يدرك . وكان تحت كليب جلييلة بنت مرّة، أخت جَسَّاس . وكان لكليب حمى حماه لا يقربه أحد . ثم إن جَسَّاسا جاءته خالته البسوس فنزلت عليه،

(١) في د : مشائم . وفي الصحاح (مادة شام) : ولا ناعب إلاّ بشؤْم غرابها . وقال في هامشه إن البيت لأخوض البربوعي .

وكان لها ابن، وناقاة يقال لها سراب بفصيلها. فدخلت سراب حمى كليب، فوجدها فيه، وقد كسرت بيض حُمُرٍ قد أجارها. فرماها بسهم فأصاب ضرعها. ويقال إنَّه سأَلَ عن النَّاقَةِ فقيل له إنَّها لخالَّةُ جَسَّاس، فقال : أو يبلغ من قدره أن يجبر دون إذني ؟ وكان لا يجير أحد إلاَّ بإذن كليب. فقال : يا غلام، ارم ضرعها ! فرماها بسهم وقتل فصيلها ونفى إبل جَسَّاس عن المياه وطردها على شُبَيْثٍ والأحص، وهما ماءان، حتى بلغ غدير الذنائب. فجاء جَسَّاس فقال: نفيت عن المياه مالي حتى كدت تهلكه! فقال كليب: إنا للمياه شاغلون. فقال : هذا كفعلك بناقاة خالتي وفصيلها؟ فقال: أوقد ذكرتها؟ أما إنِّي لو وجدتُها في إبل مرَّةٍ استحللت تلك الإبل! فعطف عليه جَسَّاس فرسه فطعنه. فلما أحس بالموت قال : يا جَسَّاس، اسقني ماء ! فقال : تجاوزت سُيُتًا والأحص ! واحترَّ رأسه وجاء مسرعا . فقالت أخته لأبيه : إنَّ جَسَّاسا جاء خارجة ركبتاه . فقال : واللَّه ما خرجتا إلاَّ لأم ! فلمَّا بلغه قال : ما وراءك ؟ قال : طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصا ! قال : قتلت كليباً ؟ قال : نعم ! قال : وددت أنَّك وإخوتك متُّم قبل هذا ! ما بنا إلاَّ أن تتشاءمنا وائل ! ثمَّ لقيه أخوه نضلة فقال :

وَإِنِّي قَدْ جَنَيْتَ عَلَيْكَ حَرْبًا تُغَصُّ الشَّيْخَ بِالماءِ القَراحِ

فأجابه نضلة :

فَإِنْ تَكُ قَدْ جَنَيْتَ عَلَيَّ حَرْبًا فَلَا وَانَ وَلَا رَتُّ السِّلَاحِ

وكان أخوه همام قد آخى مهلهلا، أخا كليب، وعاهده ألاَّ يكتمه شيئا . فجاءته أمة له وعنده مهلهل، فأسرَّت إليه الخبر . فقال مهلهل : ما قالت ؟ فلم يخبره، فذكره العهد فقال: أُخبرت أنَّ جَسَّاسا قتل أخاك كليباً . فقال : است أخيك أضيق من ذلك ! فقام مهلهل في ثأر أخيه، واجتمعت أشراف تغلب وأتوا مرَّةً فتكلَّموا في القصاص من جَسَّاس وإخوته . فذهب مرَّةً إلى الدِّيَّة، فغضبت تغلب ووقعت الحرب بينهم أربعين سنة حتَّى ضربت بها العرب المثل في السُّؤْم والشدَّة . وهي التي يقال لها حرب البسوس . وكان جملة ما وقع بينهم فيها خمس وقائع عظام، أولها يوم عُنَيْزَة، وهو المذكور في قصيدة مهلهل الرائيَّة المشهورة، حيث قال :

كَأَنَّ غُدُوَّةَ وَبَنِي أَبِينَا بَبْطُنِ عُنَيْزَةِ رَحِيَا مُدِيرِ

وأخراها قتل جَسَّاس بن مرّة . وكان سبب قتله أن نساء تغلب، لما اجتمعن للمأتم على كليب، قلن لأخت كليب : رحّلي جليلة عن مأتمك، فإنّ قيامها عار علينا وشماتة بنا ! فقالت لها : اخرجي ياهذه عن مأتمنا، فإنّك شقيقة قاتلنا ! فرحلت وهي حامل . فولدت غلاما وسمّته هجرسا، وربّاه جَسَّاس، فكان لا يعرف أبا غيره، فزوّجه ابنته . فوقع يوما بينه وبين بكريّ كلام، فقال البكريّ : ما أنت بمنته حتّى ألحقك بأبيك ! (2) فأمسك عنده ودخل إلى أمّه فسألها فأخبرته الخبر . فلما أوى الى فراشه، وضع أنفه بين ثديي زوجته وتنفّس تنفّسة نفط ما بين ثدييها من حرارتها . فقامت الجارية فرعة ودخلت إلى أبيها فأخبرته، فقال : نائر، وربّ الكعبة ! فلما أصبح أرسل الى الهجرس فأتاه فقال : إنّما أنت ولدي ومعّي، وقد كانت الحرب في أبيك زمنا طويلا حتّى تفانينا، وقد اصطالحنا الآن . فانطلق معي حتّى نأخذ عليك ما أخذ علينا ! فقال : نعم، ولكن مثلي لا يأتي قومه إلاّ بسلّاحه ! فأتيا جماعة من قومهما، فقصّ عليهم جَسَّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية، ثمّ قال : وهذا ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه . فلما قربوا الدم، أخذ بوسط رمح وقال : وفرسي وأذنيّه، ورمحي ونصليّه، وسيفي وغراريّه، ودرعي وزرّيّه ! لا يتركّ الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه . ثمّ طعن جَسَّاسا فقتله ولحق بقومه . فكان آخر قتيل منهم .

وفى هذه القصّة اضطراب كغيرها من الحكايات الجاهليّة .

أشأم من خوتعة .

خوتعة - بالتاء المثناة، على مثال جوهرة - هو رجل من بني عقيلة، دلّ كنيّف بن عمرو التغلبي وأصحابه على بني الرّبّان الذهلي ليرة كانت لهم في عمرو بن الرّبّان، فقتلوه . وتقدّم شرح القصّة وما يعرف به وجه السّؤم في حرف الهمزة .

أشأم من الأخيل .

الأخيل هو الشّقرق، وقيل طائر آخر، وهو مشؤوم، وجمعه خيل - بكسر الخاء -

(2) في د : حتّى ألحقك بأبيك .

أَشْأَمُ مِنْ دَاحِسٍ .

دَاحِس - بوزن فَاعِل - فرس لقيس بن زهير، وعليه وقعت المسابقة بينه وبين ابني حذيفة، حتَّى هاجت الحرب بذلك بين عيس وذبيان أربعين سنة . ويقال لهذه الحرب حرب داحس . وتقدَّم تفسير القصة في حرف الناء .

أَشْأَمُ مِنَ الدُّهَيْمِ .

الدُّهَيْمُ - بوزن الزُّبَيْر - الداهية ؛ والدُّهَيْم أيضا : الأحمق ؛ والدُّهَيْم أيضا : ناقة عمرو بن الزَّبان الذهلي، قُتِل هو وإخوته وحُمِلت رؤوسهم عليها وقالوا : أَشْأَمُ مِنَ الدَّهَيْمِ . وتقدَّم أنَّ خوتعة هو الذي دلَّ عليهم . والقصة في حرف الهمزة .

وذكر أبو عبيد أنَّ هذا هو الأصل في إطلاق الدهيم على الداهية .

وذكر البكري أيضا هذه القصة فقال : كان من خبر الدُّهَيْم أنَّ مالك بن كومة الشَّيباني لقي كُنَيْفَ بن عمرو، وكان مالك نحيفا وكان كُنَيْفٌ ضَخْمًا . فلما أراد مالك أسر كنيف اقتحم كنيف عن فرسه لينزل إليه مالك فيبطش به . فأوجرَه مالك السنان وقال : واللَّهِ لتستأسرن أو لأقتلنك . فأدركهما عمرو بن الزَّبان، فأختصما فيه هو ومالك فقالا : قد حكَّمنا كُنَيْفًا . فقال : من أسرك يا كنيف ؟ فقال : واللَّهِ لولا مالك لكنت في أهلي ! فلطمه عمرو بن الزبان، فغضب مالك وقال : أتطم أسيري ؟ ثمَّ قال : إنَّ فداءك يا كنيف مائة ناقة، وقد وهبتها لك بلطمة عمرو وجهك ! فجزَّ ناصيته وأطلقه . ولم يزل كنيف يطلب عمرو بن الزبان باللطمة حتَّى دلَّه عليه رجل من عقيلة وقد ندَّ لهم إبل . فخرج عمرو وإخوته في طلبها وأدركها وذبحوا حوَّارًا واشتووه وجعلوا يأكلون . فغَشِيَهُم كنيف في ضعف عددهم . فلما كثر كنيف عن وجهه قال له عمرو : يا كنيف، إنَّ في خدي وفاء من خدك، وما في بكر بن وائل أكرم من خدي . فلا تشبَّ الحرب بيننا وبينك ! فقال : كلا ! أو أقتلك وأقتل إخوتك . فقتلهم وجعل رؤوسهم في مخال وعلَّقوها على ناقة لهم يقال لها الدُّهَيْم فجاءت الناقة إلى الحيِّ، على نحو ما ذكرنا في الهمزة . فضرب حمل الدهيم مثلا في البلاء العظام .

أَشْأَمُ مِنْ سَرَاب .

سراب - بوزن قَطَام - هي ناقة البسوس، خالة جَسَّاس بن مرّة قاتل كليب، وبسببها وقعت حرب البسوس . فتشاعت العرب بها، وتقدّم أنفا شرح القصّة . وهذا المثل هو المحفوظ في هذه القصّة .

وأما قولنا أولاً : أشأَمُ من بني بسوس، [فهو على ما وقع في كلام بعض الأدباء وليس بجيد، لأنّ المتشاعم به هو إمّا البسوس]⁽³⁾ نفسها لا بنوها، وإمّا ناقة سراب كما هنا . ولو قيل : أشأَمُ من بني مرّة، وهم جَسَّاس وإخوته، لكان أيضاً صحيحاً، كما قال مرّة لجَسَّاس حين قتل كليباً، : ما بنا إلاّ أن تتشاء منا أسيّخ وائل ! وتقدّم هذا كلّه .

أَشْأَمُ مِنَ الشَّقَرَاءِ .

الشَّقَرَاءُ مؤنّث أشقر، وهي هنا علَم فرس شيطان بن لاطم، قتلت وقتل صاحبها، فقالوا : أشأَمُ من الشَّقَرَاءِ . وفيها كلام تقدّم في الهمة .

أَشْأَمُ مِنْ طُوَيْسٍ .

طُوَيْس - على مثال زُبَيْر - مخنّث كان بالمدينة وكان اسمه طاووسا . فلمّا تخنّث سمّي طُوَيْساً، وهو مصغّره - بحذف الزوائد -، ويكنّى أبا عبد النّعيم . ويقال إنّهُ أوّل من غنّى في الاسلام . وكان يقول : إنّ أمّي كانت تمشي بالنّمائم بين نساء الأنصار، فولدتني في الليلة التي توفي فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وفطمتني يوم مات أبو بكر، وبلغت الحلم يوم مات عمر، وتزوّجت يوم قتل عثمان، وولد لي يوم قتل عليّ . فمن مثلي ؟ ويقال إنّهُ قال : يا أهل المدينة، توقّوا الدجال ما دمت بين أظهركم، فإذا متّ فقد أمنتم، لأنّي ولدت في الليلة التي توفي فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، إلخ ما مرّ . وكان يقول في نفسه : أنا أبو عبد النّعيم، أنا طاووس الجحيم، أنا أشأَم من يمشي على ظهر الحطيم، الى غير ذلك ممّا لا نطول به من أخباره.

3 (سقط ما بين معقوفتين من ب..

أَشَامُ مِنْ عِطْرِ مَنْشِمٍ .

العِطْرُ - بالكسر - معروف، وتقدّم في حرف الباء ؛ وَمَنْشِمٍ - على مثال مجْلِسٍ - امرأة كانت بمكة عطّارة، وهي بنت الوجيه . وكانت خزاعة وجرهم إذا اقتتلوا تطيّبوا من عطرها . فكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى، فقالوا : أَشَامُ مِنْ عِطْرِ مَنْشِمٍ .
وقال زهير بن أبي سلمى :

تداركتُما عبساً وذُبْيَاناً بعدما تفانوا ودقّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمٍ
والمنشَمُ أيضاً - بكسر الشين وفتحها - عطر صعب الدقّ، وقيل هو قرون السنب سمّ ساعة، وحمل عليه بيت زهير المذكور .

أَشَامُ مِنْ غُرَابِ الْبَيْنِ .

غراب البين قيل هو الأحمر المنقار والرجلين من الغربان، وقيل الأبقع منها، وهو الذي في صدره بياض . قال عنتره :

ضَعَنَ الَّذِينَ فَرَاقَهُمْ أَتَوْقَعُ وَجَرَى بَيْنَهُمُ الْغُرَابُ الْأَبْقَعُ
وإنّما قال ذلك لأنّه سمع نعيبه قبل رحيلهم فتشأّم به، والعرب تتشأّم به . وسمّوه غراب بَيْنَ، لأنّه بَانَ عن نوح عليه السلام لمّا وجّهه لينظر إلى الماء، فذهب ولم يرجع ولذلك تشأّموا به . وقيل لأنّه ينعب في منازلهم إذا بانوا عنها، وينزل في مواضع إقامتهم إذا ارتحلوا منها . فلمّا كان يوجد عند بينونتهم اشتقّوا له اسما من البينونة وتشأّموا به لإنذاره بالبين وإعلامه بالفرقة، كما تقدّم من كلام عنتره . وعلى هذا، كلّ غراب فهو غراب البين. وقد قيل إنّما اشتقّت الغربة والاعتراب والغريب من الغراب، وأهل الزجر يلمحون ذلك ويتطيّرون به، كما قال قائلهم :

وصاح غُرَابٌ فوق أعوادِ بانهٍ بأخبارِ أحبابي فقسّمني الفِكْرُ
فقلتُ : غرابٌ لإعتِرابٍ وبانهٍ ببينِ النَّوى تلكَ العِيافةَ والزَّجْرُ
وهبّتُ جنوبٌ باجتِنابيّ منهمُ وهاجتُ صباً قلتُ : الصَّبابةُ والهجرُ !

وقال الامام المقدسيّ، في وصف غراب البين : هو غراب أسود ينوح نوح الحزين

المصاب، وينعق بين الخلآن والأحاب، إن رأى شملا مجتمعا أنذر بشتاته، وإن شاهد ربعاً عامراً أنذر بخرابه ودروس عرصاته، يُعرّف النازل والساكن، بخراب الدور والمساكن، ويحذرُ الأكل غصّة المأكّل، ويبشّر الراحل بقرب المراحل، ينعق بصوت فيه تحزين، كما يصيح بالتأذين . وأنشد، على لسان حاله :

أنوحُ على ذهابِ العمرِ منّي وحقَّ أن أنوحَ وأن أنادي
وأندبُ كلّما عاينتُ ربعاً حدا بهمٍ لوشكّ البينِ حادي
وتقدّم تمام هذه القصيدة في الدّال .

أشأمُ من قُدارٍ .

قُدار - بالقاف والدّال المهملة، على مثال غُرَاب - هو قُدار بن سالف، عاقر النّاقة، والقُدار : الجزّار . وقد قيل إنّ قُداراً هذا كان جزّاراً.

وقد يقال في المثل : أشأمُ من أحمرِ ثمودَ ، وهو قُدار المذكور . قال زهير :

فتنتجّ لكم غلمانَ أشأمَ كلّهم كأحمرِ عادٍ ثمّ ترضيع فتفطم

قيل : أراد «أحمر ثمود» فغلط . وقيل إنّ ثمود من عاد، وكان من خبره في عقر النّاقة، على اختصار، أنّ ثموداً كانت تبني على طول أعمارها، فاتّخذوا من الجبال بيوتاً يسكنونها في الشتاء، كما قال الله تعالى ، وَبَنَوْا قُصُوراً يَسْكُنُونَهَا فِي الصَّيْفِ . فلمّا بعث الله إليهم صالحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام، قال له زعيمهم : إن كنت صادقاً فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة على صفة كيت وكيت ! فأتى الصخرة، فتمخّضت كالحامل، وانشقّت عن النّاقة، ثمّ تلاها سقبا . فأمن به كثير منهم . فكان شربها يوماً وشربهم يوماً . فإذا كان يوم شربها جلبوها فملؤوا من لبنها كلّ إناء ووعاء . فلمّا امتنعت إلبهم من الماء، في يوم شربها، استنقلوها . وكان فيهم امرأتان : عنزة وصدوق، بذلتا أنفسهما لقُدار، على أن يعقر النّاقة . وكان قُدار أشقر أزرق قصيراً . وكان له صديق يعينه على الفساد في الأرض، وكانا في تسعة من أهل الفساد . فضرب قُدار عرقوبها بسيفه، وضرب صاحبه العرقوب الآخر، واستمهما لحمها . فخرجت ثمود تعتذر إلى صالح وتزعم أنّها لا ذنب لها .

فقال : انظروا هل تدركون فصيلها، فعسى أن يرفع عنكم العذاب ! فالتمسوه، فصعد الى جبل يقال له الغارة، وطال الجبل به في السماء حتّى ما تناله الطير وبكى . ثمّ استقبلهم ورغا ثلاثا . فقال صالح : دعوة أجلها ذاك تمّتّعوا في داركم ثلاثة أيّام . ذلك وعدّ غير مكذوب ! وآية ذلك أن تصبح وجوههم في اليوم الأوّل مصفرة، وفي الثّاني حمرة، وفي الثالث مسودة . فلمّا رأوا صدقه في أوّل يوم أرادوا قتله، فمنع منهم . فلمّا رأوا صدقه في الثالث تجمّلوا وتكفّنوا وبكوا وضجّوا، وجعلوا ينظرون من أين يأتيهم . فصبحتهم في اليوم الرابع صيحة من السماء قطعت قلوبهم في صدورهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين . فعقروها يوم الأربعاء وأصيبوا يوم الأحد .

قيك : وإنّما أصيبوا والمذنب بعضهم، لأنّهم رضوا فعله، أي فصاروا كلّهم مذنبين بذلك . وبلدهم بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشي . وقد مرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بقريتهم ونهى الناس عن دخولها . ولمّا رأى صالح أنّها دار سخط ارتحل بمن معه إلى مكّة . فلم يزلوا بها حتّى توفّاهم الله تعالى . قيك : وقبورهم في غربي البيت، بين دار الندوة والحجر . وقال الشاعر :

كانت ثمود ذوي عزٍّ ومكرمة
ما إن يضمام لهم في النّاس من جّار
فأهلكوا ناقةً كانت لربّهم
قد أنذروها فكانوا غير أبرار

وقال الآخر في المثل المذكور :

وكان أضرّ فيهم من سهيل
إذا أوفى وأشأم من قدار
ومراد هذا الشاعر، بصدور البيت، ما يزعمون من أنّ أكثر موت البهائم يكون عند طلوع سهيل . قال أبو الطيّب :

وتنكر موتهم وأنا سهيل
طلعت بموت أولاد الزّناء

وقال أبو العلاء :

لا تحسبي إبلي سهيلا طالعا
بالشّام فالمرئيّ شعة قابيس
بل وغير البهائم أيضا، كما قال الأوّل :

بال سهيل في الفضيخ ففسد

أَشَامُ مِنْ قَاشِرٍ .

قَاشِرٍ - بالقاف والشين المعجمة، على وزن صاحب - قال الجوهري : هو فحل كان لبني عُوَافَةَ بن سعد بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تميم . وكانت لقومه إبلٌ تَذَكِرُ . فاستطرقوه رجاء أن تُؤْنِثَ، فماتت الإبل والنسل . وقال الحريري : هو فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد ابن مَنَاة، ما طرق إبلًا إلا ماتت .

وقيل : المراد به العامُّ المُجْدَب . وسمي قاشرا لقشره وجه الأرض من النبات . انتهى . قلت : والمعروف في اللغة أنَّ العام المجذب يقال له القاشور، وسنة قاشورة . قال الرازي : وابعث عليهم سنة قاشورة تحتلق المال احتلاق النُّورَة ! والقاشور أيضا : المشووم . ويقال : قشروهم إذا شأمهم .

شَبَّ عَمْرٌو عَنْ الطَّوْقِ .

الشَّبَابُ : الفتاء، يقال : شَبَّ الغلام يَشِبُّ شَبَابًا ؛ وعمرُو هو ابن عدي بن نصر اللخمي ، ابن أخت جذيمة، أول ملوك لخم بالحيرة، بعد خاله جذيمة، كما تقدّم ذلك في قتله للزبَاء ؛ والطَّوْقُ - بالفتح - حليّ يجعل للعنق، وكلّ ما استدار بالشيء . وكان من خبر عمرو في الطوق أنَّ جذيمة بلغه أنَّ غلاما من لخم يقال له عَدِيّ بن نصر عند أخواله من إِيَادٍ غاية في الظرف والأدب . وكان جذيمة قد أغار على إِيَادٍ، فسرقَت إِيَادٍ صنمين كانا لجذيمة مشهورين . ثمّ عاهدوه على أن يردّوا إليه صنميّه وأن لا يغزوهم أبدا، في قصّة مشهورة . فشرط عليهم⁽⁴⁾ أن يبعثوا مع الصنمين بالغلام الموصوف . فلمّا انتهى إليه ولأه مجلسه وكاسه والقيام على رأسه . فتعشّقته رقاش بنت مالك، أخت جذيمة فقالت له : يا عديّ، إذا سقيتهم فامزج لهم وعرقّ للملك ! - أي امزج له قليلا كالمعروف - فإذا أخذت منه الخمر فاخطبني له وأشهد الجماعة ! ففعل الغلام، وزوّجه جذيمة، وأشهد عليه . فانطلق إليها وعرفها . فعلمت أنّه سينكر إذا أفاق، فقالت له : ادخل بأهلك ! فبات عديّ مُعْرِسًا بها، وأصبح في ثياب جدد . ودخل على جذيمة فقال :

(4) في ب : فشطوا له

ما هذه الآثار، يا عدي ؟ قال : آثار العرس . قال : أي عرس ؟ قال : عرسُ رقاش . فخر
جذيمة وأكبَّ لوجهه غضبا . فهرب عديُّ ولحق بقومه، وبقي هناك حتَّى مات .
وقيل : بل أدركه جذيمة فقتله وبعث إلى أخته رقاش يقول :

حدِّثيني وأنت لا تكذِّبيني أبحرُ زنيته أم بهجين ؟
أم بعبدٍ فأنتِ أهلكِ لعبدٍ أم بدونِ فأنتِ أهلكِ لدونِ ؟
فقالت له : زوَّجتني كفوًّا كريما من أبناء الملوك ! وقالت تحبِّبه :

أنتِ زوَّجتني وما كنتِ أدري وأتاني النساءُ للتزيين
ذاك من شريكِ المُدامةِ صرفًا وتماديكِ في الصِّبا والمُجون !

ثمَّ إنَّه جعلها في قصره، فاشتملت على حمل، فولدت وسمَّته عمرا ورشحته . فلمَّا
ترعرع حلَّته وعطَّرتَه وألبسته كسوة فاخرة وأزارته خاله . فأعجب به وألقيت عليه منه محبةً
وقيل تبناهُ، وكان لا يولد له . وخرج جذيمة في عام مخضب وبسط له في روضة، وخرج
عمرو بن عدي في غلمة يجتنون الكمأة، فكان منهم من وجد طيبةً أكلها، وعمرو إذا أصابها
خبأها . ثمَّ أقبلوا يسرعون، وعمرو يقدمهم وهو يقول :

هذا جنائي وخيارُهُ فيه إذ كلُّ جانٍ يدهُ إلى فيه !

فالتزمه جذيمة وحباه .

ثمَّ إنَّ الجنَّ استهوت عمرا، ففقد فطلبه جذيمة في آفاق الأرض، فلم يسمع له خبرا
حتَّى أقبل رجلان من بلقين وهما مالك وعقيل، ابنا فالج من الشام يريدان الملك بهديَّة
ومعهما قينة يقال لها أم عمرو . فبينما هما على ماء، وقد هيَّأت لهما القينة طعاما وجعلا
يأكلان، إذ أقبل رجل اشعث الرأس قد طالت أظفاره وساءت حاله . فناولته القينة طعاما وسقت
صاحبها . فقال عمرو : اسقيني ! فقالت : لا تُطعم العبدَ الكراع، فيَطمع
في الذِّراع ! وأوكأت سقاءها . فقال عمرو :

صددتِ الكأسَ عنَّا أمَّ عمرو وكان الكأسُ مجرَّها اليمينا

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبكِ الَّذي لا تصحِّبينا !

فقالا له : من أنت يا فتى ؟ فقال : أنا عمرو بن عدي . فأخذه وغسلا رأسه وقلما أظفاره
وأخذا من شعره وقالوا : ما كنَّا لنهدي إلى الملك هديَّة هي عنده أنفُس ولا هو عليها أكثر

صفدا من ابن أخته ! وحمله معها حتّى بلغاه جذيمة . فسرّ به سرورا شديدا وصرفه الى أمّه وقال : تمّنيا عليّ ! فقالا : منادمتك، ما بقيت وما بقينا . فنادمهما . ويقال إنّهما أقاما في منادمته أربعين سنة يحدّثانه، فما أعادا عليه حديثا . وهما ندامانا جذيمة المشهوران المضروب بهما المثل في شدّة الألفة والمصاحبة، في قول أبي خراش :

تقول : أراه بعد عروّة لا هيّا وذلك زُرّ لو علمت جليلُ
فلا تحسبي أن قد تناسيتُ عهدهُ ولكنّ صبري يا أمّيم جميلُ
ألم تعلمي أن قد تفرّق قبلنا نديما صفاء : مالِك وعقيلُ ؟
وفي قول مُتمّم بن نُويّرة يرثي أخاه مالكا :

وكُنّا كندمانيّ جذيمة حِقبة من الدّهر حتّى قيل : لن يتصدّعا
فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكا أطول اجتماع لم نبت ليلة معا !
وفي قول بعض المحدثين :

نحن كنّا في التّصافي مثل ندمانيّ جذيمة
فأتى الصّرمُ بيومٍ دونه يوم حليمة
تقدّم الأيّام حتّى في المودات القديمة

وكان قبل ذلك جذيمة لا ينادم أحدا، زهوا وكبرا، ويقول: هو أعظم من أن ينادم إلاّ الفرقدَيْن ! فكان يشرب كأسا ويريق للفرقدين كأسا . ثمّ إنّ رقاش أخذت ابنها عمرا وأدخلته الحمّام . فلمّا خرج ألبسته من فاخر ثياب الملك وجعلت في عنقه طوقا من ذهب كان له، وأمرته بزيارة خاله . فلمّا رأى جذيمة لحيته، والطوق في عنقه، قال : شبّ عمّر و عن الطّوق ! وقيل إنّها لمّا أرادت أن تعيد الطوق في عنقه قال لها جذيمة : كبر عمّر و عن الطّوق ! فذهبت مثلا يُضرب لسلبس ما دون قدره .

أشبهه [من] الغراب بالغراب .

الشّبه - بالكسر -، والشّبه - بفتحتين -، والشّبيه : المثل، جمعه أشباه ؛ وشابهه، وأشبهه : ما ثله ؛ وأشّبهها وتشابها : تماثلا ؛ وشبّهته إياه وبه تشبيها - مثلته - ؛ والغراب تقدّم . ولمّا كانت الغرابان غالبا على صفة واحدة

ولون واحد، وحصل بينها تشابه مطرد وتساوٍ متَّفَق، ضربوا بتساويها المثل فقالوا : فلان أشبه بفلان من الغراب بالغراب .

ومنه قول الغُرَابِيَّة، من المبتدعة، إنَّ عليًّا أشبه بالنبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغراب بالغراب . وبدعتهم معروفة، تحاشينا عن تلويث الكتاب بها، لعنهم الله وأخلى منهم الأرض !

أَشْبَهَ شَرْجٌ شَرْجًا لَوْ أَنَّ أُسَيْمِرًا .

الشَّيْبَةُ مرّ ؛ وشَرْجٌ - بفتح الشين المعجمة وسكون الراء بعدها جيم - وادٍ باليمن ؛ والشَّرْجُ أيضا مسيل الماء من الحرّة الى السهل مطلقًا، وله معانٍ أخر . وأمّا الشَّرْجُ - بفتححتين - فهو مسيل الوادي ؛ وأُسَيْمِرٌ تصغيرُ أُسْمُرٍ - بضمّ الميم -، والأسْمُرُ جمع سَمُرَةٍ، وهو الشجر المعروف، يقال سَمرة والجمع سَمُر وسَمُرَات وأُسْمُر، وتصغيره أُسَيْمِر .

وهذا المثل يُضرب في الشَّيْئَيْنِ يشتبهان ويفترقان . وكان أصله أنَّ لقمان بن عاد قال للقيم بن لقمان : أقيمْ ها هنا حتّى أنطلق إلى الابن ! فنحر لقيمٌ جزورًا فأكَلها ولم يخبئ شيئًا للقمان، فخاف لومه فحرق ما حوله من السُّمُر الذي بهذا الوادي، وهو شَرْجٌ، ليخفي ذلك المكان . فلمّا جاء لقمان، جعلت الابن تثير الجمر بأخفافها، فعرف لقمان ذلك المكان وأنكر ذهاب السُّمُر منه، فقال حينئذ : أشْبَهَ شَرْجٌ شَرْجًا لَوْ أَنَّ أُسَيْمِرًا !

شَتَّى تَوُوبُ الحَلْبَةِ .

الشَّتَّى جمع شَتِيتٍ، وهو المنفَرَق . وقال رؤبة يصف إبلا :
جاءتْ معًا وأطَرَقَتْ شَتِيتًا وهنيَ تثيرُ السَّاطِعَ السَّخْتِيتَا
والأَوْبُ : الرجوع، يقال : أبَ يَوُوبُ أَوْبًا وإِيَابًا ؛ والحَلْبَةُ، جمع حَالِبٍ وحَلَبُ النَّاقَةِ والشاةِ معروف .

والمعنى أَنَّهُمْ إِذَا ذَهَبُوا اجتمعوا، وَإِذَا قَضَوْا مَآرِبَهُمْ رَجَعُوا مَنفَرَقِينَ . ومضربه ظاهر .

أشجعُ من الديك .

الشَّجَاعَةُ معروفة، شَجَعَ الرجل - بالضم - فهو شُجاع - كغُرَاب - ؛ والديك معروف

يَشْجُ مَرَّةً وَيَأْسُو أُخْرَى .

الشَّجُّ معروف ؛ وَالْأَسْوُ : المُدَاوَاةُ، أَسَاهُ، يَأْسُوهُ أَشْوًا : دَاوَاهُ، وَأَسَى بين القوم أَصْلَحَ . فمعنى المثل أَنَّهُ يُفْسِدُ أَحْيَانًا وَيُصْلِحُ أَحْيَانًا . يُضْرِبُ لِمَنْ يَصِيب مَرَّةً وَيَخْطِئُ أُخْرَى، أَوْ يَضُرُّ مَرَّةً وَيَنْفَعُ أُخْرَى، وَنَحْوَ ذَلِكَ . وَنَظْمُهُ صَالِحٌ بِنِ عَبْدِ الْقَدَّاسِ فَقَالَ :

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَدْرِي مِنْ تَلَوِّمِهِ :	أَنَا صِحٌّ أَمْ عَلَى غِشٍّ يُدَاجِينِي ؟
إِنِّي لِأَكْثَرُ مِمَّا سَمْتَنِي عَجَبًا	يَدٌ تَشْجُ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْكَ الْوُدَّ هَانَ لَهُ	عَلَيَّ بَعْضُ الَّذِي أَصْبَحْتُ تَوَلِينِي
لَا أَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ	مَا فِي ضَمِيرِي لَهُمْ مِنْ ذَاكَ يَكْفِينِي
أَرْضَنِي عَنِ الْمَرْءِ مَا أَصْفَى مَوَدَّتَهُ	وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْبَغْضَاءِ يُرْضِينِي
لَا أَبْتَغِي وَدًّا مِنْ يَبْغِي مُقَاطَعَتِي	وَلَا أَلِينُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِينِي

الشُّجَاعُ مُوقَى، وَالْجَبَانُ مُلَقَى .

معناه أَنَّ الشُّجَاعَ، مع إقدامه وتعاطيه المَهَالِكِ بِنَفْسِهِ، مُحْفُوظٌ غَالِبًا، وَالْجَبَانَ، مع كثرةِ إِحْذَرِهِ، هَالِكٌ . قَالَ الْبَكْرِيُّ : وَهَذَا كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : احْرَصْ عَلَى الْمَوْتِ تَوَهَّبْ لَكَ الْحَيَاةُ !
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

نَاخَرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
انْتَهَى .

قُلْتُ : وَمِثْلُهُ شَاعَ الْيَوْمَ فِي أَلْسِنَةِ الْعَامَّةِ، يَقُولُونَ : مَتَى طَلَبَ الرَّجُلُ الْمَوْتَ لَمْ يَجِدْ قَاتِلًا ؛ غَيْرَ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الْبَكْرِيُّ فِي بَيْتِ الْحُصَيْنِ بْنِ الْحُمَامِ الْمَذْكُورِ

مَحْتَمَلٌ، وأظهر منه أن يريد بالحياة عند التقدّم ما يكتسبه من شرف الذكر الباقي بعده .
 فإنَّ بقاء الاسم والذكر والمآثر والمفاخر حياة أنفع عند ذوي الهمم من حياة الجسم، مع
 سبّة الفرار واللؤم . فكانّه يقول : تأخّرت أستبقي حياة جسمي، فبدالي أنّ الحياة
 الأخرى أفضل لي . ولو كان على ما قاله البكري لم يكن لافتخاره محلّ، لأنّه إنّما يطلب
 الحياة بإقدامه ولم يُقدّم شجاعةً ولقاءً باساً، فأقدامه كالفرار ولا فضيلة له، وهذا باطل .
 وقد قال بعد [هذا] البيت :

وليسَ على الادِّبارِ تَذمُّي كُلُّومُنَا ولكن على أَقدامنا تقطُرُ الدِّمَا
 وقول أبي الطَّيِّب :

يرى الجُبْناءُ أنَّ الجُبْنَ حَزْمٌ وتلك خديعةُ الطَّبْعِ اللَّئيمِ
 محتمل .

شَحْمَتِي فِي قَلْعِي .

الشَّحْمَةُ : القطعة من الشَّحْمِ، وهو معروف ؛ والقَلْعُ - بفتح القاف وسكون اللام،
 وتحرك أيضا - شيء يجعل فيه الراعي زاده وأداته، يشبه الكِنْفَ - بكسر الكاف -، وهو
 وعاء أدوات الراعي . قال الراجز :

يا ليتَ أنِّي وقشامًا نلتقي وهو على ظهر البعير الأورقِ
 وأنا فوق ذاتِ غربٍ خيفَقِ ثمَّ اتَّقَى وأيَّ عَصْرٍ اتَّقِي
 بِعُلْبَةٍ وَقَلْعِهِ الْمُعَلَّقِ

يضرب هذا المثل في الشيء يكون في ملكك وحوزك تتصرّف فيه كيف شئت، كما أنّ
 الشحمة إذا كانت في قلحك كذلك.

شُحَيْمَةٌ فِي حَلْقِي .

الشُّحَيْمَةُ تصغير الشَّحْمَةِ، وتقدّم ؛ والحَلْقُ - بفتح الحاء المهملة -
 الحَلْقُومُ . وهذا المثل ممّا وُضع على لسان الذئب . يقولون : قيل للذئب : ما رأيك في
 غنيمة ترعاها جُوَيْرِيَّة ؟ قال : شُحَيْمَةٌ فِي حَلْقِي - يعني أنّها حاصلة بلا تعب،

وصغَّرَهَا تَقْلًا واستسهلًا . قيل : فغنيمة يربحها غليم . قال شعراءُ في إبْطِي
أخْشَى حَظَوَاتِهِ . الشعراءُ ذبابُ أَرْزَق له لدغ، يقع على الابل والدواب، والحظوات
سِهَامٌ صغارٌ من قُضْب لينة، يتعلَّم عليها الغلمان ؛ وكذلك الجُمَام، ولا نَصْلَ له .
قال الشاعر :

أَصَابَتْ حَبَّةَ الْقَلْبِ بِسَهْمٍ غَيْرِ جُمَامِ

شَحْمَةُ الرُّكْيِ.

شَحْمَةُ الرُّكْيِ - على وزن رُبَى - وهو الذي يذوب سريعًا . يُضْرَبُ لمن يعينك في
الحاجات.

أَشَدُّ مِنَ الْفَرَسِ .

الشَّدَّةُ - بالكسر - اسم من الاشتداد. واشتَدَّ الأمرُ فهو مُشْتَدٌّ ؛ والفَرَسُ معروف
وتقدَّم .

أَشَدُّ مِنَ الْفِيلِ .

الفِيلُ - بالكسر - معروف .

أَشَدُّ مِنَ الدَّلَمِ .

الدَّلَم - بفتحيتين والدَّال المهملة - شيء شبه الحية يكون بالحجاز . وقيل نوع من
القراد .

اشْتَدِّي، زَيْمٌ !

الاشتداد هنا العَدْوُ ؛ وزَيْمٌ - بكسر الزاي وفتح الياء المثناة من تحت، بوزن عِنْبٍ -
اسم فرس . وهذا في شعر للحطيم القيسي،⁽⁵⁾ يقول :

(5) «كذا» وفي هامش الصحاح (مادة زيم) أنه رُشِيد بن رُمَيْض العنزي

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زيم⁽⁶⁾

وتمثَّل به الحجاج في خطبته الكوفيَّة .

قال أبو العباس المبرد في الكامل : حدَّثني الثوريّ في إسناد ذكره آخره عبد الملك ابن عمر الليثي قال : بينما نحن بالمسجد الجامع بالكوفة، وأهل الكوفة إذ ذاك في حال حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه، إذ أتانا آتٍ فقال : هذا الحجاج قد قدم أميراً على العراق ! فإذا به قد دخل المسجد معتملاً بعمامة قد غطّى بها أكثر وجهه، متقلداً سيفاً، مُتَنَكِّباً قوساً، يؤمّ المنبر، فمكث ساعة لا يتكلّم . فقال الناس بعضهم لبعض : قبَّح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق ! حتّى قال عُمَيْرُ بنُ ضَابِيءِ البرجمي : ألا أحصيه لكم ؟ فقالوا : أمهل حتّى تنظر ! فلمّا رأى عيون النَّاسِ إليه، حَسَرَ اللِّثَامَ عن فيه ونهض فقال :

أنا ابنُ جَلَا وطلّاعُ الثَّنَايا متى أضعر العمامة تعرّفوني !

ثمّ قال : يا أهل الكوفة، إنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإنّي لصاحبها، كأنّي أنظر إلى الدماء بين العمام والمحى ! ثمّ تمثَّل فقال :

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زيمٌ قد لفّها اللّيلُ بيسواقٍ حُطِمَ

ليس براعي إبلٍ ولا غنمٍ ولا بجزارٍ على ظهرٍ وضَمَ

ثمّ قال :

قد لفّها اللّيلُ بعصلي⁽⁷⁾ أروعَ خراجٍ من الدّويّ

مهاجرٍ ليس بأعرابيّ

وقال :

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا وجدّت الحربُ بكمُ فجدّوا

والقوسُ فيها وترٌ عرثٌ مثلُ ذراعٍ البكرِ أو أشدُّ !

إي : والله، يا أهل العراق، ما يُقَعِّقَعُ لي بالشتان، ولا يُغَمَزُ جانبي كتغماز التّين . ولقد فرّرتُ عن ذكاء، وفُتِّشتُ عن تجربة . وإنّ أمير المؤمنين نثر كِنانته

6 (يروى أيضاً : هذا مكانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زيم)

7 (في لسان العرب : قد حسّها اللّيلُ بعصليّ)

ثم قال ان الذي في خطبة الحجاج هو : قد لفّها

فعجم عيدانها، فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسراً، فرماكم بي، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة واضطجعتهم في مراقد الضلال . والله لأحزمنكم حزم السلة، ولأضربنكم ضرب غرائب الابل ! فإنكم لكاهل قرية كانت آمنة مطمئنة، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف . وإنني، والله، ما أقول إلا وفيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلف إلا فريت ! وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم إلى محاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإنني أقسم بالله لا أجيد رجلاً تخلف بعد أخذ عطاءه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه ! يا غلام، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين !

فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك، أمير المؤمنين، إلى من بالكوفة من المسلمين... فلم يقل أحد منهم شيئاً . فقال الحجاج : اكفف يا غلام ! ثم أقبل على الناس فقال : أسلم عليكم أمير المؤمنين، فلم تردوا عليه شيئاً ؟ هذا أدب ابن لهيعة ! أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب، أو لتستقيمن ! اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين ! فلماً بلغ إلى قوله : سلام عليكم ! لم يبق أحد في المسجد إلا وقال : على أمير المؤمنين السلام ! ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم . فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبراً فقال : أيها الأمير، إنني من الضعف على ما ترى، ولي ابن هو أقوى مني على الأسفار، أتقبله بدلاً مني ؟ فقال له الحجاج : نفعل، أيها الشيخ ! فلماً ولّى قال له قائل : أتدري من هذا، أيها الأمير ؟ قال : لا . قال : هذا عمير بن ضابئة البرجمي الذي يقول :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالِي

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً، فوطىء بطنه، فكسر ضلعين من أضلعه . فقال : ردوه ! فقال له الحجاج : أيها الشيخ، هلاً بعثت إلى أمير المؤمنين بدلاً يوم الدار، إن في قتلك، أيها الشيخ، لصلاً للمسلمين ! يا حرس، اضربا عنقه ! فجعل الرجل يضيّق عليه أمره، فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده . وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي :

تَجَهَّرَ فإِذَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِيَةٍ عُمِرَ وَإِذَا أَنْ تَزُورَ الْمُهَلْبِيَّ

هُمَا خُطَّتَا خَسْفٍ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا رَكُوبُكَ حَوْلِيًّا مِنَ التَّلَجْرِ أَشْهَبَا
فَأَضْحَى وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا !
وفي هذه القصَّة ألفاظ تخفى . فقوله : أنا ابنُ جِلا ، أي المنكشف الأمر ، وهو لسحيم بن
وائلة ، وفيه كلام يأتي في حرف النون ، إن شاء الله تعالى .

وقوله : أرى رُؤُوسًا قَدْ أَيْنَعَتْ ، أي أدْرَكْتُ ، يقال : أَيْنَعَتِ الثَّمَرَةُ إِيْنَاعًا
وَيَنْتَعَتْ أَيْضًا يَنْعًا . قال تعالى : انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ .
وقال الشاعر في الفعل :

ولها بالماطرُونَ إذا أكل النمل الذي جمعا
خرفه حتى إذا ارتبعت ذكرت من جلق بيعا
في قِبابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الرِّيتُونَ قَدْ يَنْعَا
وقوله : هذا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّيْ زَيْمُ ! وهي فرس ، كما مرَّ . وقال المبرد : يعني
فرسا أو ناقة .

وقوله : يَسْوَاقُ حُطَمٍ ، الحُطَمُ : الذي لا يُبْقِي من السير شيئا ، ويُهْلِك المال
بذلك . ومنه قيل للنَّارِ التي لا تُبْقِي حُطْمَةً .
وقوله : على ظَهْرٍ وَضَمَ ، والوَضَمُ - بفتحين - كَلٌّ ما يُقَطَعُ عليه اللَّحْمُ . وتقدَّم
في التَّاء . قال الشاعر :

وفَتَيانَ صِدْقٍ حِسانَ الوجْوهِ لا يَجِدُونَ لشيءٍ أَلَمَ
من آلِ الْمُغِيرَةِ لا يَشْهَدُونَ عِنْدَ الْمَجَازِرِ لَحْمَ الْوَضَمِ
وقوله : بَعْصَلَبِي ، الْعَصْلَبُ - بالعين والصاد المهملتين ، على مثال جَحْدَبٍ ؛
وَالْعَصْلَبِيُّ - بياء النسبة - ، وَالْعَصْلُوبُ : الْقَوِيُّ ، الشَّدِيدُ الْخَلْقُ ، الْعَظِيمُ ؛
وَأَرُوْع ، أي ذكي .

وقوله : خَرَّاجٌ مِنَ الدَّوِيِّ ، الدَّوِيُّ - بتشديد الواو ؛ والدَّوَى والدَّوَايَةُ : الْفَلَاةُ لَا عِلْمَ
فيها وَلَا أَمَارَةَ . قال الحطيئة :

وَأَنْتَى اهْتَدَتْ والدَّوِيُّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَمَا خِلْتُ سَارِي اللَّيْلِ بالدَّوِّ يَهْتَدِي
يريد : بخروجه من الدَّوِّ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ غَمَاءٍ وَشِدَّةٍ ، على طريق التمثيل .

وقوله : وترٌ عُرْدٌ، أي شديدٌ . ويقال أيضا عُرْدٌ - بالنون .
 وقوله : ما يُقَعِّقُ لي بالشَّنان، واحدها شَنٌّ - بالفتح ، ويقال أيضا شَنَّةٌ ،
 وهي القِرْبَةُ البالية اليابسة، يُقَعِّقُ بها فتنفير الابل من صوتها . وضرب ذلك مثلا
 لنفسه في الثَّبات . قال النَّابِغَةُ :

كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أَقِيشٍ يُقَعِّقُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا بَشَنٌ
 وقوله : فَرَرْتُ عَنْ ذِكَاءٍ، الذِّكَاءُ هنا تمام السن . ومنه قول ابن زهير : جَرِيُ
 المَذَكِّيَّاتِ غِلَابٌ .

ويطلق الذكاء أيضا على حدَّة القلب . ومنه قول زهير بن أبي سلمى :
 يُفْضِلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهَا تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَاءُ
 وقوله : عَجَمَ عِيدَ أَنهْا، أي مَضَّغَهَا ليعرف الأصلب . قال النَّابِغَةُ :
 فَظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرِّوْقِ مُنْقَبِضًا فِي حَالِكِ اللُّونِ صَدَقَ غَيْرُ ذِي أَوْدٍ
 وقال علقمة :

سَلَاءَةٌ كَعَصَلِ النَّهْدِيِّ غُلٌّ بِهَا ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرْآنٍ مَعْجُومٌ
 وقوله : طالما أَوْضَعْتُمْ، الأيضاع : ضرب من السير .
 وقول الاسدي :

فَأُضْحَى وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ
 أي دون سفره، فَإِنَّهُ يَرَاهَا قَرِيبَةً لَخَوْفِهِ وَطَاعَتِهِ . وأمَّا قول ضابيء بن الحارث : هَمَّتْ
 وَلَمْ أَفْعَلْ... (البيت)، فكان من قِصَّتِهِ أَنَّهُ وَجِبَ عَلَيْهِ حَبْسٌ وَأَدَبٌ عِنْدَ عُثْمَانَ، رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ، فَعَثَرَ عَلَيْهِ، فَأَحْسَنَ أَدَبَهُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

وَقَائِلَةٌ : إِنْ مَاتَ فِي السَّجْنِ ضَابِيءٌ لَنِعْمَ الْفَتَى تَخْلُو بِهِ وَتُؤَاصِلُهُ !
 وَقَائِلَةٌ : لَا يَبْعُدُنْ ذَلِكَ الْفَتَى وَلَا تَبْعُدِي أَخْلَاقَهُ وَشَمَائِلَهُ !
 وَقَائِلَةٌ : لَا يَبْعُدِ اللَّهُ ضَابِيئًا إِذَا الْخَصْمُ لَمْ يَوْجِدْ لَهُ مِنْ يُقَاوِلُهُ !
 فَلَا تُتْبِعْنِي إِنْ هَلَكْتُ مَلَامَةً فَلَيْسَ بَعَارٌ قَتْلُ مَنْ لَا أَقَاتِلُهُ !
 هَمَّتْ وَلَمْ أَفْعَلْ... (البيت)
 وما الفتكُ ما آمَرْتُ فِيهِ وَلَا الَّذِي تُخْبِرُ مِنْ لَا قِيَتَ أَنَّكَ فَاعِلُهُ

ويُسبِّه ما وقع لابن ضابيء ما وقع لأبي شجرة السلمي، وكان من فتاك العرب . فأتى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ليحمله، فقال له عمر : ومن أنت ؟ قال : أنا أبو شجرة السلمي . فقال له عمر : ألسن القائل، حيث ارتددت :

ورويْتُ رُمحي من كَتِيبةِ خالدٍ وإنِّي لأرجو بعدها أن أعمراً
وعارضتُها شهباً تُخَطِّرُ بالقنا ترى البيض في حافاتِها والسَّنَوَرا ؟
ثمَّ أنحى عليه بالدِّرة . فسعى إلى ناقته وحلَّ عقالها وأقبل بها حرّة بني سليم بأحث
سير هرباً من الدِّرة وهو يقول :

قد ضنَّ عنها أبو حفصٍ بنائِلُه وكلُّ مُختَبِرٍ يوماً له ورقُ
فماك يضربُنِي حتّى خذيتُ لهُ وجال من دون بعض الرِّغبة الشَّقْفُ
ثمَّ التفتُ إليها وهيَ حانيّةٌ مثلَ الرّتاجِ إذا ما لَزَّهُ الغَلَفُ
في أبيات .

قوله : وكلُّ مُختَبِرٍ يوماً له ورقُ، أي كلَّ مسؤول فله فضل يسديه، ونوال يوليه .
وأصله في الشجرة أنكَ تحتبطها بعصا ونحوها، فيسقط ورقها . قال زهير :
وليس مانِعٌ ذي قُربى ولا رَحِمٍ يوماً ولا مُعَدَمٌ من خابطٍ ورقاً
قوله : حتّى خذيتُ لهُ، يقال : خذالهُ، وخذيتُ لهُ - بالفتح والكسر مهموزا - ،
واستخذيتُ لهُ، إذا خضعَ له وانقاد . وخذا يخذو خذوا إذا استرخى ؛
وخذيتُ أذنه - بالكسر - تخذيتُ، إذا استرخت من أصلها وانكسرت، مقبلة على الوجه .
فيحتمل أن يكون قوله : خذيتُ له، من المهموز أو غيره .

اشتدِّي أزمّةُ تنفّرجي !

الاشتداد تقدّم ؛ والأزمّة : الشدّة والقحطُ، يقال : أصابتهم سنةٌ أزمّتْهم
أزماً، أي استأصلتهم ؛ وأزَمَ الدهرُ، أي اشتدَّ وقلَّ خيره ؛ وأزَمَ الرجلُ بصاحبه : لزمه ،
وأزَمَهُ : عَصَّهُ ؛ والانفراج : الانفتاح والاتساع . وهذا اللَّفْظُ حديث يُروى .
ولمّا كانت الحكمة الإلهية جرت بتنقّلات الحوادث وتحولات الأحوال، وعدم استقرارها
على حال، صارت الشدّة إذا تناهت لم يعقبها إلاّ الفرج، كما أن الفرج إذا تناهى لم يعقبه

إِلَّا شِدَّةً، فصارت الشدَّة مفتاح الفرج وسببا فيه بهذا الاعتبار . فإذا طلبت الشدَّة فذلك طلب الفرج، إقامة للسبب مقام المسبَّب. قال تعالى : فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . وفي الحديث الآخر : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ! احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ! تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشَّدَّةِ ! واعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وما أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ! واعلم أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ! وقال الشاعر :

ضَاقَتْ وَلَوْ لَمْ تَضِقْ لَمَا انْفَرَجَتْ فَالْعُسْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ مَيْسُورٍ
غِيَرُهُ :

خَفَضَ الْجَاشَ وَاصْبِرَنَّ رُوَيْدًا فَالرَّزَايَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ !
قيل : وكان الامام سخنون يقول إذا ضاق عليه أمر ضيقي تنفرجني يا مالك يوم الدين
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ !

شَرَابٌ بِأَمَقْعٍ .

الشَّرْبُ معروف، وتثَلَّثَ شَيْنُهُ، شَرِبَ - بالكسر - شَرِبًا وَتَشَرَّبًا، فهو شارب وشَرَابٌ للمبالغة، وَأَشْرَبْتُهُ أَنَا . وقيل : الشَّرْبُ - بالفتح - مصدر، وبالكسر والضمَّ اسمان، والشَّرْبُ - بالكسر أيضا - الحِظُّ من الماء ؛ وَالْمَقْعُ - بفتح الميم وسكون القاف - : أشدُّ الشرب . وفلانٌ شَرَابٌ بِأَمَقْعٍ، أي معاود للأمر، يَأْتِيهَا حَتَّى يَبْلُغَ أَقْصَى مراده.

شَرَابٌ بِأَنْقَعٍ .

الانْقَعُ جمع نَقَعٍ - بفتح النون وسكون القاف -، وهو الماء المستنقع . وهذا أيضا يُضْرَبُ لِمَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ وَعَاوَدَهَا، كالَّذِي قَبْلَهُ، أَوْ لِلدَّاهِي الْمُنْكَرِ، لِأَنَّ الدَّلِيلَ إِذَا عَرَفَ الْفُلُوتَ حَذَقَ بِسُلُوكِ الطَّرَفِ إِلَى الْمَاءِ، وَعَرَفَ أَيْنَ يَهْتَدِي إِلَى الْانْقَعِ حَتَّى يَشْرَبَ مِنْهَا .

أَشْرَدُ مِنْ نَعَامَةٍ .

الشُّرُودُ : الفرارُ ؛ والنَّعَامُ معروف، ولا أسرع منه عند شروده . قال :
وهم تركوكَ أسلَحَ من حُبَارَى رأت صقراً وأشردَ من نعام
غيره :

وولَّوْا سراعاً كشدَّ النِّعَامُ ولم يكشفوا عن ملط حَصِيرًا
غيره :

وكانوا نعامًا عند ذاك مُنْفَرَا

والعرب تضرب به المثل في الجبن أيضا مع ذلك، كما قال عِمْرَانُ بن حِطَّان :
أَسْدٌ عَلِيٌّ فِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ فَتَخَاءُ تَنْفَرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّاغِرِ
وكما قال محكم اليمامة : إِنَّ خَالِدًا لَقِيَ أَسْدًا وَغُطْفَانًا ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِذَبَابِ السَّيْفِ ، فَكَانُوا
كَالنِّعَامِ الْجَافِلِ ، أَوْ كَمَا قَالَ :

أَشْرَدُ مِنْ وَرَكٍ .

الشُّرُودُ مرَّ ؛ والوَرَكُ - بفتحيتين - حيوان على خلقة الضبِّ ، وهو أعظم منه . وتقْدَمُ
في حرف السين .

فائدة :

ذكر بعضهم أنه لا يجتمع الراء واللام في لغة العرب إلا في أربعة ألفاظ : الورَكُ
المذكور، وأُرْكُ اسم جبل، والغُرْلَةُ وهي القلقة، وجَرَكَ وهو ضرب من الحجارة . انتهى .
قلت : أمَّا الورَكُ فقد ذكرنا ضبطه ؛ وأمَّا أُرْكُ فبضمَّتَيْنِ ، وهو اسم جبل واسم موضع
ببلد فزارة أيضا ؛ وأمَّا الغُرْلَةُ فبضمِّ الغين وسكون الراء . ورجل أُرْغَلُ والجمع غُرْلٌ ،
نما في الحديث : يُحْسِرُ النَّاسُ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا ؛ وأمَّا الجَرَكَ فبالجيم والراء
المفتوحتين، وهو الحجارة، أو مع الشجر أو مع المكان الصَّلب الغليظ، جَرَكَ المكانُ
- بالكسر - فهو جَرَكَ - ككَتِف - والجمع أَجْرَالٌ .

شَرُّ الرَّأْيِ الدَّبْرِيُّ .

شَرُّ اسم تفضيل . يقال : هذا أَشَرُّ من هذا وشَرُّ منه - بغير همز - تخفيفًا، كما يقال : هذا خيرٌ من هذا، وهو الأكثر استعمالًا ؛ والرأيُ : الاعتقادُ، جمعه آراء ورُئيٌّ، والدَّبْرِيُّ - بفتحتين - : الرأي [الذي] (8) يَسْنَحُ للإنسان آخرًا، بعد فوات الحاجة . والدَّبْرِيُّ أيضًا : الصَّلَاةُ آخر وقتها . قيل : والضمُّ فيها من لحن المحدثين .

شَرُّ الرُّعَاءِ الحُطَمَةُ .

الحُطَمَةُ - على مثال هُمَزَةٍ - من الرُّعَاةِ : الذي يهلك الماشية ويهشّم بعضها ببعض، من الحُطَمِ، وهو الكسر . ويضرب في سوء السياسة . قال في الصحاح إنّه مثل، ومثله قول الرّاجز :

قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِفِ حُطَمٍ لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ
ووهّمه صاحب القاموس وقال إنّه حديث صحيح عن النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم .
قلت : وليس فيه كبيروهم، إذا لا منافاة . وكذلك وقع لأبي عبيد في كتابه أنّه
مثلٌ من أمثالهم .

وقال البكريّ في شرحه إنّه كلام يروى في حديث مرفوع عن النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم . قال الحسن : دخل العائدُ بنُ عَمْرٍو المُرْزَبِيّ، وكان من صالحِي أصحاب محمد صَلَّى الله عليه وسلّم، على عبيد الله بن زياد فقال له : أي بني، إني سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يقول : منْ شَرُّ الرُّعَاءِ الحُطَمَةُ . فأيتاك أن تكون منهم ! قال عبيد الله : اجلس، فإنّما أنت من نُخَالَةِ أصحاب محمد صَلَّى الله عليه وسلّم ! قال : وهل كانت فيهم نخالة ؟ إنّما النخالة بعدهم في غيرهم .

فائدة : إذا كان راعي الإبل أو الماشية كلّها أخرف يظلمها قيل له حُطَمَةٌ، كما مرّ ؛ وإذا كان رفيقًا بها يحسن رعايتها قيل له ترعية وترعاية . وقيل إنّ هذا لمنْ كانت صناعته وصناعة آبائه رعاية الإبل .

شَرُّ السَّيْرِ الْقَحْقَحَةُ .

السَّيْرُ معروف ؛ والقَحْقَحَةُ : السير المتعب . ويقال قَهْقَهَةٌ - بقلب الحاء -
ومنه قول رؤبة :

يُصْبِحُ بَعْدَ الْقَرَبِ الْمُقَهَّقِ بِالْهَيْفِ مِنْ ذَاكَ الْبَعِيدِ الْأَمَقِ

قال أبو علي البغدادي في نوادره : قال مطرّف بن الشَّخِير لابنه : عليك بالقصد ،
وإياك وسَيْرَ الْقَحْقَحَةِ ! يريد الاتعاب .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : فيما يُضْرَبُ مِنَ الْأَمْثَالِ فِي التَّوَسُّطِ فِي الْأُمُورِ : مِنْهُ قَوْلُ
مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ : الْحَسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ، وَشَرُّ
السَّيْرِ الْقَحْقَحَةُ . انتهى .

قال البكري : قال مطرّف يوصي ابنه : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتَيْنٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ
بِرَفْقٍ ، وَلَا تَتَغَصَّصْ⁽⁹⁾ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ ! فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ
أَوْسَاطُهَا ، وَشَرُّ السَّيْرِ الْقَحْقَحَةُ ، وَإِنَّ الْمُنْبِتَ ، لَا أَرْضًا قَطَعَ ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى !
انتهى .

قال : وَمِنْ قَوْلِهِ : إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتَيْنٌ ... إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ ، مَرْفُوعٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَسِيرُ بَيْتٍ فِي هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذُلُولًا وَلَا صَعْبًا !

الشَّرُّ الْجَاهُ إِلَى مُخِّ الْعِرَاقِيبِ .

ويقال أيضا :

شَرُّ مَا أَجَاءَكَ إِلَى مُخَّةِ عُرْقُوبٍ .

شَرُّ نَقِیْضِ الْخَيْرِ ؛ وَلَجَأُ الرَّجُلُ إِلَى كَذَا - بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ - لَا ذَبَّه ، وَأَلْجَأَتْهُ إِلَيْهِ :
اضْطَرَّرَتْهُ ، وَأَجَأَتْهُ إِلَيْهِ أَيْضًا بِمَعْنَاهُ ؛ وَالْمُخُّ نَقِیُّ الْعِظْمِ ، وَعِظْمٌ مُمِخٌّ : ذُو

(9) فِي ب : وَلَا تَبْعَضْ .

نِقْيِي ؛ والعراقيب جمع عرقوب، وهو العَصَبُ فوق عقب الانسان . وعُرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها، وكلّ ذات أربع فعرقوبها في رجليها، وركبتها في يديها . والمعنى أنّ الشرّ هو الذي ألجأك إلى سؤال اللّثام . فيُضرب عند الاضطرار الى مسألة البخيل . وإنّما خصّ العرقوب لأنّ مخّه شرُّ المخاخ، كما أنّه شرّ العظام، كما قال الاخطل لكعب بن جعيل :

وَسُمِّيتْ كَعْبًا بِشَرِّ الْعِظَامِ وَكَانَ أَبُوكَ يُسَمِّي الْجُعَلَ

شَرُّ الْمَالِ مَا لَا يُزَكَّى وَلَا يُذَكَّى .

المالُ معروف ؛ والنَزَكِيَّةُ إخراج الزكاة ؛ والنَزَكِيَّةُ الذَّبْحُ للأكل . والموصوف بما ذُكر الحمارُ ونحوه، لأنّه لا زكاة فيه ولا ذكاة له .

شَرُّ أَهْرٍ ذَانَابٍ .

الشَّرُّ تقدّم ؛ وهَرَّ الكلبُ يَهْرِهُ هَرِيرًا : صَوَّتَ ولم يَنْبَحْ . قال حسّان، رضي الله عنه :

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهْرُ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

غيره :

وَيُغْشَوْنَ حَتَّى تَرَى كِلَابَهُمْ يَهَابُ الْهَرِيرَ وَيَنْسَى النُّبَاحَ

وذُو النَّابِ : الكلب ؛ وَأَهْرَرْتُهُ أَنَا : حملته على الهدير .

وهذا المثل يُضرب عند ظهور أمارات الشرّ وتبيّن مخائله .

وأصله أنّ قائله سمع هدير الكلب في الليل، فأشفق من طارق يطرق بشرّ، فقال ذلك تعظيمًا للحال وتهويلًا للأمر عند نفسه ومستمعه، أي : ما أهرّ ذا ناب إلاّ شرّ عظيم . ولأجل هذا الوصف المنويّ، حسن الابتداء بلفظة «شَرّ» حتّى حصل من ذلك الحصر .

شَرُّ يَوْمِيهَا وَأَغْوَاهُ لَهَا .

هذا يُضرب عند إظهار البرّ باللسان لمن يُراد به الغوائل . وهو شطر بيت، تمامه:

رَكِبَتْ غَزْرُ بَحْدَجٍ جَمَلًا

وسياتي في حرف اللام استيفاء الكلام عليه، إن شاء الله تعالى .

الشَّرْطُ أَمْلِكُ، عَلَيْكَ أَمْ لَكَ .

الشَّرْطُ - بفتح فسكون - إلزامُ الشيء والتزامه . ويكون أيضا بمعنى شق الجلود، كفعل الحجام، وأما الشَّرْطُ - بالتحريك - فهو العلامة، ومنه أشرطُ الساعة، أي علاماتها ؛ والمَلِكُ - مثلث الميم - : الاحتواء على الشيء والقدرة عليه .
والمعنى أن ما اشترط فهو لازم وأولى أن يُتَّبَعَ، سواء كان ذلك الشرط عليك أم كان لك.

وهذا المثل نطق به القاضي شريح، ولا أدري أهو المخترع له أم قيل قبله.

ذكر السَّكَّاكِي فِي الْمِفْتَاح أَنَّهُ حَكَى أَنَّ عَدِيَّ بْنَ أَرْطَاطَةَ أَتَى وَمَعَهُ امْرَأَةٌ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَخَاصِمُهَا . فَلَمَّا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ شَرِيحٍ قَالَ عَدِيٌّ : أَيْنَ أَنْتَ ؟ قَالَ : بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْحَائِطِ . قَالَ : إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ . قَالَ : بَعِيدٌ وَسَحِيفٌ . قَالَ : وَإِنِّي قَدِمْتُ الْعِرَاقَ . قَالَ : خَيْرٌ مُقَدِّمٌ . قَالَ : وَتَزَوَّجْتَ هَذِهِ . قَالَ : بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ ! قَالَ : وَإِنَّهَا وَلَدَتْ لِي غُلَامًا . قَالَ : لِيَهْنِكُ الْفَارِسُ ! قَالَ : وَأَرَدْتُ أَنْ أُنْقِلَهَا إِلَى دَارِي . قَالَ : الْمَرْءُ أَحَقُّ بِأَهْلِهِ . قَالَ : قَدْ كُنْتَ شَرِطْتَ لَهَا وَكَرَهَا . قَالَ : الشَّرْطُ أَمْلِكُ مِنْكَ ! قَالَ : اقْضِ بَيْنَنَا ! قَالَ : فَعَلْتُ ! قَالَ : فَعَلَى مَنْ قَضَيْتَ ؟ قَالَ : عَلَى ابْنِ أُمِّكَ !

قوله : أَيْنَ أَنْتَ ؟ يريد : فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ هَذَا الْوَقْتُ ؟ هل أَنْتَ مُتَفَرِّعٌ لِلنَّظَرِ فِيمَا بَيْنَنَا ؟ وَلَا يَرِيدُ السُّؤَالَ عَنِ الْمَكَانِ حَقِيقَةً، لَكِنْ لَمَّا كَانَ فَضُولًا مَعَ مَا فِيهِ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ حَمَلَهُ الْقَاضِي عَلَى حَقِيقَتِهِ وَأَجَابَ بِنَفْسِ الْمَكَانِ، تَجْهِيلًا لَهُ وَتَعْرِيفًا أَنَّ بَيْنَ جَمَادَيْنِ وَهُمَا عَدِيٌّ وَالْحَائِطُ.

وقوله : بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ، مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، أَيِ : تَزَوَّجْتَ وَأَعْرَسْتَ مُصْحُوبًا بِالرِّفَاءِ، أَيِ بِالْمُوَافَقَةِ وَالْأَلْفَةِ، وَبِالْبَنِينَ، أَيِ الذَّكَورِ دُونَ الْبَنَاتِ.

وقوله : لِيَهْنِكُ الْفَارِسُ ! دَعَاءٌ لَهُ وَتَفَاؤُلٌ، أَيِ : لِيَكُنْ وَلَدُكَ هَنِيئًا لَكَ لِاتِّقَابِهِ، وَيَبْلُغُ مَبْلَغَ الْفُرُوسَةِ !

وقوله : الشَّرْطُ أَمْلَكُ مِنْكَ ؟ أي ملكه وتصرّفه أقوى من تصرفك، فلا ينبغي أن يخالف.

وقوله : على ابن أمّك، أي عليك . وإنّما عدل عن التصريح إلى ما ذكر، كراهية مواجهته بالحكم عليه، لما جُبلت عليه النفوس من كراهة ذلك .
ومثلك هذا ما يُحكى عن شريح أيضا من أن رجلا أقرّ عنده بشيء ثم أنكر . فلمّا قال له : أعط الحقّ ! قال : من يشهد عليّ ؟ قال : شهد عليك ابن أخت خالتك . فعدل عن التصريح سترًا عليه وكراهية أن ينسبه إلى الحمف بالانكار بعد الاقرار .

شَرْعُكَ مَا بَلَغَكَ الْمَحَلَّ .

يقال : هذا الشيء شرّعك، أي حسّبك، ومررتُ برجلٍ شرّعك من رجلٍ ! أي حسّبك . والمعنى أنّه من النحو الذي يُشرّع فيه ؛ والتبليغُ معروف ؛ والمحلّ : الموضع الذي تريده .

والمعنى أنّ ما بلغك المحلّ المراد فهو حسبك . يُضرب في التبليغ باليسير .
وقال أبو عبيد : من أمثالهم في جود الرجل بما فضل عن حاجته بماله قولهم :

يَكْفِيكَ مَا بَلَغَكَ الْمَحَلَّ .

قال البكري : المشهور في هذا : شرّعك ما بلغك المحلّ، أي حسّبك .
وقال آخر في هذا المعنى :

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ زَادَ يُبَلِّغُهُ الْمَحَلَّ
خُبْرٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ وَالظِّلُّ حِينَ يُرِيدُ ظِلًّا
قال : والمحلّ هو الدار الباقية .

شَرْقَ مَا بَيْنَ الْقَوْمِ بِشَرِّ .

يقال : شَرَقَ بالماء - بالكسر - إذا غصّ به . قال عديّ بن زيد :
لو يغيّر الماء حلقِي شَرْقٌ كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالماء اعتصاري

ويقال هذا المثل إذا نشب الشرّ بين النَّاسِ .
والمعنى أنّه امتلاً ما بينهم بالشرّ، فكأنّه غصبٌ . وهذا كما تقول : غصبٌ المجلس بأهله،
أي امتلاً، على طريق التمثيل .

اشْتَرَى لِنَفْسِكَ وَلِلسُّوقِ !

هذا مثل يُضرب في الاحتياط . ومثله قولهم : إذا اشْتَرَيْتَ فاذْكُرِ السُّوقَ ! وقد
تقدّم في الباب الأوّل . ومثله ما حكى البكري أنّ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، كان
يقول : إذا اشْتَرَيْتَ بَعِيرًا فاجْعَلْهُ ضَخْمًا، فإن أخطأك خُبْرًا لم يُخْطِئَكَ
سُوقًا.

شَغَلَتْ شِعَابِي جَدُّوَيَ .

الشُّغْلُ - بالضمّ وبضمّتين، وبالفتح وبفتحتين - ضدّ الفراغ، شَغَلَهُ شُغْلًا
- بالفتح -، وأشغله أيضًا ؛ والشّعابُ جمع شِعْبٍ - بالكسر - من الأرض ؛
والجدّوَى: المطر العامّ والعطيّة أيضًا.

ويُضرب هذا المثل فيما إذا لم يكن لمالك أو عطاك أو علمك أو نحو ذلك فضلٌ عن
نفسك أو عن من يتعلّق بك، كالمطر تشغله شعابك، فلا يصل الى موضع آخر.
ومعنى ذلك أنّه إذا قلّ المطر الواقع في الشعاب أو النازل إليها من التلاع، شربته
وشغلته بذلك عن أن يخلص الى ما بعدها من الأودية والبقاع.

أشْغَلَ مِنْ ذَاتِ النَّحْيَيْنِ .

الشُّغْلُ مرّ ؛ والنَّحْيُ - بكسر النون وسكون الحاء المهملة -: الرِّقْ . وقيل مخصوص
بما كان للسّمْنِ ؛ وذاتُ النَّحْيَيْنِ امرأةٌ من تَيْمِ اللهِ بن ثعلبة، كانت خرجت في
الجاهليّة تبيع السمن، فأتاها خَوَاتُ بنُ جُبَيْرِ الأنصاري - رضي الله عنه - فساومها،
فحلّت نَحْيًا مملوءًا، فنظر إليه ثمّ قال : أمسكه حتّى أنظر إلى الآخر ! ثم حلّ نَحْيًا
آخر فقال : أمسكه حتّى أنظر إلى غيره ! فلمّا شغل يديها معًا وقع عليها حتّى قضى

أربه منها فهرب. فضربت العربُ بشغلها المثل وقالوا : أَشْغَلَ من ذاتِ النَّحْيَيْنِ،
وَبَنَوْا أَشْغَلَ من شُغْلٍ، بالبناء لما لم يُسمَّ فاعله، على وجه الشذوذ. وتقدَّم نظيره
وتوجيهه.

وقال خَوَاتٌ في ذلك :

وَذَاتِ عِيَالٍ وَاثْقَيْنَ بِعَقْلِهَا خَلَجْتُ لَهَا جَارَ اسْتِهَا خَلَجَاتٍ
وَشُدَّتْ يَدَاهَا إِذْ أَرَدْتُ خِلَاطَهَا بِنَحْيَيْنِ مِنْ سَمْنٍ ذَوِي عَجَرَاتٍ
فَكَانَ لَهَا الْوَيْلَاتُ مِنْ تَرَكَ سَمْنِهَا وَرَجَعْتُهَا صِفْرًا بِغَيْرِ بَقَاتٍ
فَشَدَّتْ عَلَى النَّحْيَيْنِ كَفًّا شَحِيحَةً عَلَى سَمْنِهَا وَالْفَتَكُ مِنْ فَعْلَاتِي

قال في الصحاح : ثمَّ أسلم خَوَاتٌ وشهد بدرًا، فقال له رسول الله صَلَّى الله عليه
وسلَّم : يا خَوَاتُ، كيف شَرَاؤُكَ ؟ وتبسَّم صَلَّى الله عليه وسلَّم . فقال : يا رسول
الله، قد رَزَقَ اللهُ خَيْرًا، وأعوذُ باللهِ من الحَوَرِ⁽¹⁾ وهجا رجلٌ تيممَ الله فقال :
أَنَاسٌ رِبَّةُ النَّحْيَيْنِ مِنْهُمْ فَعَدَّوْهَا إِذَا عُدَّ الصَّمِيمُ

شَغْلَهُمْ الصَّفَقُ بِالْأَسْوَاقِ .

يُتِمَّتْ به، وهو من كلام عمرو بن أبي هريرة، رضي الله عنهما، لما ذكر لعمر حديث عن
النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم لم يروه . قال : اخفي عليَّ هذا من أمر رسول الله صَلَّى
الله عليه وسلَّم شغلني الصَّفَقُ بِالْأَسْوَاقِ، أي الاشتغال بالبيع والشراء، لأنَّ المشتري
والبائع يضرب أحدهما بيده على يد صاحبه، وهو الصَّفَقُ.
وقال أبو هريرة : إِنَّ إخواني من المهاجرين والأنصار شغلهم الصَّفَقُ بِالْأَسْوَاقِ، وكنت ألزم
رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على شَيْعَرِ بَطْنِي، كما في الصحيح.

شَقُّ الْعَصَا .

الشَّقُّ : الصَّدْعُ ؛ والعَصَا - بالقصر - : العُودُ يُضْرَبُ به . والعَصَا أيضًا : اللِّسَانُ
وَعَظْمُ السَّاقِ وجماعة الاسلام . وقولهم : شَقَّ فُلَانٌ الْعَصَا، أي فارق الجماعة . ويقال

(1) في النهاية : نعوذُ باللهِ مِنَ الحَوَرِ بعد الكور، أي من النقصان بعد الزيادة وأصله من نقض العمامة بعد لفها .

في الخوارج : شقّوا عصا المسلمين، أي فارقوا جماعتهم.
وقال الشاعر :

إلى الله أشكو نيّةً شقّت العصا كذاك النوى بين الخليطِ شقوقُ
وقال الآخر :

إذا كانت الهيّجاءُ وانشقّت العصا فحسبك والضّحّاك سيفٌ مُهندٌ !
أشكرُ منْ برّوقه .

الشُّكْرُ - بالضمّ - أن تعرف الاحسان وتنشره : والشُّكْرُ من الله تعالى : المُجازاة
والثناء الجميل ؛ والبرّوقَةُ - بسكون الراء - واحدة البرّوق، وهو شجر ضعيف، إذا غامت
السماء اخضرّ، فوصف لذلك بالشكر .

أشكرُ منْ كلبٍ .

الشُّكْرُ مرّ ؛ والكلبُ معروف، وشكره رضاه بالموجود وقناعته وحياطته لصاحبه وقيامه
عليه واتّباعه له مع ذلك .

وممّا يحكى في هذا عن بعضهم قال : دخلت على العتّابي، فوجدته جالساً على حصير
وبين يديه شراب في إناء، وكلب رابض حوله يشرب كأساً ويولّغه أخرى . فقلت له : ما أردت
بهذا ؟ قال : إنّه يكفّ عنّي أذاه⁽²⁾ ويكفيني أذى من سواه، ويشكر قليلي، ويحفظ
مبيتي ومقيلي، فهو من الحيوان خليلي.

قال الراوي : فتمنّيت والله أن أكون كلباً لأحوز هذا النعت منه !

ويقال إن الحارث بن صَعْصَعَة كان له نُدماء لا يفارقهم، وكان شديد المحبة لهم .
فخرج في بعض متنزّهاته ومعه ندماءه . فتخلف منهم واحد، فدخل على زوجته، فأكلا
وشربا ثمّ اضطجعا . فوثب الكلب عليهما فقتلها . فلمّا رجع الحارث إلى منزله وجدهما
ميتين وعرف الأمر . فأنشا يقول :

فيا عجباً للخلّ يهتكُ حرّمتي ويا عجباً للكلب كيف يصونُ

2 (في غير ب : يكفّ عنه أذاه . وهو تحريف.

وما زال يرعى ذِمَّتِي ويحُوطُنِي ويحفظُ عِرْسِي والخليلُ يخونُ !
ويؤثرُ في حديث أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم رأى رجلاً مقتولاً فقال : ما
شأنه ؟ قالوا : إنّه وثبَ على غنمِ بني زُهْرة فأخذ منها شاةً ، فوثبَ عليه
كلبُ الماشيةِ فقتله . فقال صَلَّى الله عليه وسلّم : قتلَ نفسه وأضاعَ
دينه وعصى ربّه وخان أخاه وكان الكلبُ خيراً منه .
ويُحكى عن ابن عباس رضي الله عنه : كلبٌ أمينٌ خيرٌ من صاحبٍ خَوّونٍ
وقد ألّف بعض العلماء (3) تأليفاً في فضل الكلاب على كثير من لبس الثياب .

شاكِهٌ أبا فلانٍ .

المُشاكَهَةُ : المُشابهَةُ .

وأصله أن رجلاً عرض فرساً له في السوق ، فقال له رجل : أهذه فرسك التي كنت تصيد
عليها الوحش ؟ فقال : ربُّ الفرسِ : شاكِهٌ ، أي قارب في المدمح ولا تُفرط . فيضرب في
الامر بالقصد في المدمح .

ويُحكى أيضاً في هذه القصة أن الأعرابي أقام فرسه للبيع فقال صاحبه : إنّها
لَتُصاد عليها الوحش وهي رابضة . فقال له : ربُّ الفرس ، لا أبالك ، اكذب كذباً مؤمّناً به
الدَّهر ! أي موافقاً به الدَّهر في تقلّباته وأحواله الجائرة الوقوع .
وقيل إنّ رجلاً أدخل حماراً له السوق ، فجعل رجل يقال له أبو يسار يمدحه ويقول : إنّ
حافِرَه جُلُود ، وإنَّ ظهره حديد . فقال صاحب الحمار : شاكِهٌ أبا يسار ، دونَ ذا
ويَنفُقُ الحمارُ ! وتقدّم هذا في الدّال .

شكا إلى غير مُصمّتٍ .

الشَّكْوَى أن تذكر الغير بسوء فعله بك ، تقول : شكوتُ فلانا أشكوهُ شكوىً
وشكايةً وشكية ، فهو مشكوّ ومشكّى ؛ وأشكّيته : فعلت به ما يشكوه ، أو اعتبته
وأزلت شكواه . فهو من الأضداد . قال الراجز :

(3) هو أبو بكر بن محمد بن خلف ابن المرزبان .

تَمُدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَلْوِيهَا وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَّنَا نُشْكِيهَا
 وَصَمْتُ يَصْمُتُ صُمُوتًا وَصُمَاتًا، وَأَصْمَتَ إِصْمَاتًا، وَصَمْتُ تَصْمِيئًا : سَكَتٌ ؛
 وَأَصْمَتُهُ أَنَا وَصَمَّتْهُ تَصْمِيئًا : أَسْكَتُهُ ، لَا زَمَانَ مُتَعَدِّينَ . فَيَقَالُ : شَكَا فُلَانٌ إِلَى
 غَيْرِ مَصْمِتٍ ، أَيْ إِلَى مَنْ لَا يَبَالِي بِهِ ، فَلَا يُصْمِتُهُ لِأَنَّ مَنْ شَكَا إِلَى مَنْ يُعْنَى بِحَاجَتِهِ
 وَيَهْتَبِلُ بِأَمْرِهِ وَيَقُومُ بِحَقِّهِ يَقْضِي أَرْبَهُ وَيُزِيلُ شُكُوَاهُ وَيُشْفِي مَا فِي صَدْرِهِ فَيَصْمُتُ
 عَنِ الشُّكْوَى حِينَئِذٍ .

قال الراجز :

إِنَّكَ لَا تَشْكُو إِلَى مُصَمِّتٍ فَاصْبِرْ عَلَى الْحِمْلِ الثَّقِيلِ أَوْ مُتِ !
 ونحوه المثل الآتي : هَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَقِيَ الدَّيْرَ .

الشَّمَاتَةُ لَوْمٌ .

الشَّمَاتَةُ : الْفَرْحُ بِمُصِيبَةِ الْعَدُوِّ ، وَيُقَالُ : شَمِتَ بِهِ - بِالْكَسْرِ - يَشْمَتُ شَمَاتًا
 وَشَمَاتَةً ، فَهُوَ شَامِتٌ . قَالَ أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِيُّ :
 وَتَجَادِي لِلشَّمَاتِينَ أُرِيهِمْ أَنِّي لَرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُضِعُ
 وَاللَّوْمُ - بَضْمٍ اللَّامِ وَسُكُونِ الْهَمْزَةِ - ضِدُّ الْكِرَمِ ، لَوْمٌ - بِالضَّمِّ - لَوْمًا ، فَهُوَ لَائِمٌ
 وَهُمْ لَوْمَاءُ . وَهَذَا الْكَلَامُ يُعْزَى لَأَكْثَمِ بْنِ صَيْفِيٍّ ، حَكِيمِ الْعَرَبِ .
 وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَشْمَتُ بِالْغَيْرِ وَلَا يَفْرَحُ بِبَلِيَّتِهِ إِلَّا مَنْ لَوْمٌ أَصْلُهُ .
 وَقَالَ ابْنُ أَبِي عِيْنَةَ .

كَلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ الْحُسَّادِ

وقال الآخر :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ كَلَكَلَهُ أَنْامٌ بِأَخْرِينَا

فَقُلْ لِلشَّمَاتِينَ بَنَا: أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّمَاتُونَ كَمَا لَقِينَا !

أَشْمٌ مِنْ نَعَامَةٍ .

الشَّمُّ حَاسَةُ الْأَنْفِ ، تَقُولُ : شَمِمْتُ - بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ ، أَشْمٌ - مَفْتُوحًا وَمُضْمُومًا -

شَمًا وشَمِيمًا وشَمَّيْمَى ؛ وتَشَمَّمْتُهُ ؛ والنَّعَامُ تَقْدَمُ . يقال إِنَّهُ لَا سَمْعَ لَهُ ، ومن
ثمَّ يُقال إِنَّهُ أَصْلَمُ . فَأَعْطِي من قوَّةِ الشَّمِّ بَأَنفِهِ ما يَنْبُوبُ عَنِ السَّمَاعِ ، حتَّى إِنَّهُ يَشْمُ
رائحةَ القَنَاصِ من بعيد .

شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمَ .

الشِنْشِنَةُ - بالكسر :- الطَّبِيعَةُ والخَلْقُ ؛ وأخْزَمُ - بالزاي - رجلٌ من طَيِّئٍ ، وهو
ابن أبي أخزم ، جدُّ حاتم ، أو جدُّ جدِّه . مات أخزم هذا وترك بنين ، فوثبوا يوماً على
جدِّهم فأدْمَوْهُ ، فقال :

إِنَّ بَنِيَّ زَمَلُونِي بِالْدَّمِ مَنْ يَلْقَ آسَادَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ
ومن يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يُقَوِّمُ شِنْشِنَةً أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ (4)

لأنه كان عاقباً كذلك.

ويُحكى أَنَّ عَقِيلَ بنَ عُلْفَةَ - بضمَّ العين الممهلة وفتح اللَّامِ المشدَّدة بعدها
فاء ، على وزن قَبْرَةٍ - بن الحارث المري ، خرج هو وابناه ، جَثَامَةَ وَعَمَلَسَ ، وأختهما
الْحَوْرَاءُ ، حتَّى أَتَوْا ابنةً له ناكحاً في بني مروان بالشام ، ثمَّ قفلوا حتَّى إذا كانوا ببعض
الطريق قال عقيل :

قَضَتْ وَطْراً من دِيرِ سَعْدٍ وَطالما على عَرْضِ نَطْحَنِهِ بِالْحَمَاجِمِ
ثمَّ قال : أَجِزْ ، يا جَثَامَةُ !

فقال :

[وَأَصْبَحَنَ بِالْهُوَمَاتِ يَحْمِلُنَ فِتْيَةَ نَشَاوَى من الإِدْلاجِ هَيْكَ العَمَائِمِ (4م).]

ثمَّ قال : أَجِزْ ، يا عَمَلَسُ !

فقال :

4 (في لسان العرب ثلاثة أشطر فقط هكذا :

إِنَّ بَنِيَّ زَمَلُونِي بِالْدَّمِ

شِنْشِنَةً أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

مَنْ يَلْقَ آسَادَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

4م) ساقط من ب .

إذا علم غادرته بنتُوفية تذارعن بالأيدي لآخر طاسم
ثم قال : يا حوراء، أجزبي !
فقال : فقال :

كأن الكرى ساقاهم صرخدية تدب ديبياً في المطا والقوائم
فقال عقيل : شربتُها، ورب الكعبة ! ثم شدَّ عليها بالسيف ليقتلها، فقال أخوها : ما
ذنبها ؟ إنما أجازت شعرا ! فشدَّ عليه أحدهم فخدشه بسهم، فجعل يتمعك في دمه
ويقول :

إن بنيَّ ضرَجُوني بالدم من يلقَ أبطال الرجال يكلم
شَنَشَنَة أعرفها من أخزم

ثم توجه ولده للطريق . فلما مروا ببني القين قالوا لهم : هل لكم في جزور انكسرت ؟
قالوا : نعم ! قالوا : الزموا أثر هذه الرّواحل ! فذهب القوم حتّى انتهوا إلى عقيل، فحملوه
وعالجوه حتّى برىء ولحق بهم . فقال أبو عبيد القاسم بن سلام : من أمثالهم في تشبيه
الرجل بأبيه : شَنَشَنَة أعرفها من أخزم . قال : وهذا المثل يروى عن عمر بن
الخطّاب، رضي الله عنه . قاله في ابن عباس، رضي الله عنهما، شبهه في رأيه بأبيه .
قال البكري : أخزم هذا هو جدّ حاتم بن عبد الله الطائيّ، وهو حاتم بن عبد الله بن
سعد بن الحشر بن أخزم بن أبي أخزم . وقيل هو جدّ عقيل بن علفّة . والشَنَشَنَة :
النُّطفة، من شَنَشَنَتْ إذا أرقت . يُراد ما أراق من النطفة في الرحم .

قال أبو بكر : وقال قوم : الشَنَشَنَة : الغريزة والطبيعة . فمن جعل أصل المثل
لأخزم الطائيّ قال : كان أخزم جواداً . فلما نشأ حاتم وعرف جوده قال النَّاس : شَنَشَنَة
من أخزم، أي قَطَرَة من نطفة أخزم . قال : وذكر علي بن الحسين أن عقيل بن علفّة
ابن الحارث المرّي أتى منزله فإذا بنوه مع بناته وأزواجه مجتمعون . فشدَّ على عمّاس
منهم، فحاد عنه وتغنّى ابنه علفّة :

قفي يا ابنة المرّي أسألك ما الذي تريدن فيما كنت منيتنا قبل
فإن شئت كان الصرم ما هبت الصبا وإن شئت لا يفنى التكارم والبذل !
فقال عقيل : يا ابن اللخناء، متى متتك نفسك هذا ؟ وشدَّ عليه بالسيف . فحال

علمس بينه وبينه، وكان أخاه لأمه وأبيه . فشدَّ على عملس بالسيف وترك عُلْفَةً ولم يلتفت إليه. فرماه عملس "بسهم وأصاب ركبته . فسقط عقيك يتمعك في الدم وهو يقول :
 إِنَّ بَنِيَّ سَرَبَلُونِي بِالْدَمِّ مِنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرَّجَالِ يُكَلِّمُ
 وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يَقُومُ شِنْشِنَةَ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ
 قال المدائني : شِنْشِنَةَ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ مَثَلٌ ضربه، وَأَخْزَمُ فَحْلٌ كان لرجل
 من العرب وكان منجبا، فضرب في إبل رجل آخر ولم يعلم صاحبه، فرأى بعد ذلك من
 نسله جملا فقال : شِنْشِنَةَ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ . انتهى كلام البكري.

وقال ابن ظفر، في شرح المقامات : هذا المثل ضربه جدّ حاتم، حين نشأ حاتم وتقيك
 أخلاق جدّه أخزم في الجود، فقال : شِنْشِنَةَ... إلخ. وتمثلك عقيك بن عُلْفَةٍ به حين
 قال: إِنَّ بَنِيَّ... إلخ. ومن ادّعى أنَّ المثل له فقد سها فيه . انتهى.

شَاهِدُ الْبُغْضِ اللَّحْظُ.

مثله قولهم أيضا : رُبَّ لَحْظٍ أَنْمُ مِنْ لَفْظٍ، كما مرَّ من قول زهير :
 فَإِنْ تَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ تُخْبِرُكَ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ
 وقول ابن أبي حاتم :

خُذْ مِنَ الْعَيْشِ مَا كَفَى وَمِنَ الدَّهْرِ مَا صَفَا
 عَيْنُ مَنْ لَا يُحِبُّ وَصَتْ لَكَ تُبْدِي لَكَ الْجَفَا

وقول الآخر :

تُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ : نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسَرَ يَبُوحُ
 وقالوا : يُعَبَّرُ عَنِ الْإِنْسَانِ اللَّسَانِ، وَعَنِ الْمَوَدَّةِ وَالْبُغْضِ الْعِيَانُ.

يَشُوبُ وَيَرْوُبُ.

الشَّوْبُ : الْخَلْطُ، تقول : شُبْتُ اللَّبَنَ وَغَيْرَهُ بِالْمَاءِ، أَشُوبُهُ شَوْبًا ؛ وَالرَّوْبُ :
 الرَّائِبُ وهو اللبن الخائر قبل أن يُمَخَضَ . ولا يزال يُسَمَّى بِذَلِكَ حَتَّى يَمَخَضَ وَيُنْزَعُ
 زَبَدُهُ . ثُمَّ يَبْقَى ذَلِكَ الْأَسْمُ عَلَيْهِ بَعْدَ . قال الشاعر :

سَقَاكَ أَبُو مَاعِزٍ رَائِبًا وَمَنْ لَكَ بِالرَّائِبِ الْخَاطِرُ ؟
 يقول : سَقَاكَ الْمَخْوُضُ، وَمَنْ لَكَ بِالَّذِي لَمْ يُمَخَّضْ ؟ وَهَذَا قَوْلُ أَبِي عُبَيْدٍ.
 وَرَأَيْتُ اللَّبْنَ وَرَوَّبْتُهُ، وَرَابَ هُوَ يَرُوبُ رَوْبًا وَرُؤْبًا . وَالْمِرُوبُ : السَّقَاءُ الَّذِي
 يَرُوبُ فِيهِ.

ويقال : مَا لَهُ شَوْبٌ وَلَا رَوْبٌ، أَي مَرَقٌ وَلَا لَبَنٌ.
 وَقِيلَ الشَّوْبُ الْعَسَلُ، وَالرَّوْبُ اللَّبَنُ، وَفُلَانٌ يَشُوبُ وَيَرُوبُ : يَخْلُطُ وَيُصَفِّي،
 وَيَمْزِجُ الْهَزْلُ بِالْجَدِّ.

يُضْرَبُ فِي إِصَابَتِهِ مَرَّةً وَإِخْطَاؤُهُ أُخْرَى. وَيَقَالُ : يَشُوبُ وَلَا يَرُوبُ، أَي يَخْلُطُ وَلَا
 يَخْلَصُ.

وَأَصْلُ يَرُوبُ فِي الْمَثَالِينِ يَرِيبُ، وَإِنَّمَا قِيلَ يَرُوبُ لِأَزْدِوَاجٍ.

شُبُّ شَوْبًا لَكَ رَوْبَتُهُ !

الشَّوْبُ تَقَدَّمَ ؛ وَالرُّوبَةُ - بضمّ الراء - [روبة] ⁽⁵⁾ اللَّبَنُ، وَهِيَ خَمِيرَةٌ تَلْقَى فِيهِ مِنْ
 الْحَامِضِ لِيَرُوبَ.

وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : احْلُبْ حَلَبًا لَكَ تَنْظُرْهُ ! كَذَا فِي الصَّحَاحِ. وَهُوَ يَنَاسِبُ أَنْ تَكُونَ
 اللَّامُ فِي لَكَ لِلْمَلِكِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ فِيمَا يَسْتَقْبَلُ ؛ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَلْحُوظُ فِيهَا
 الْمُضْيِي، فَيُقَالُ لِمَنْ شَبَّ نَارُ فِتْنَةٍ أَوْ تَسَبَّبَ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ، كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ : اجْرُ فِي
 فِتْنَةٍ أَنْتَ مَثِيرُهَا أَوْ مَنْكَ كَانَ أَقْوَى أَسْبَابُهَا وَالْإِعَانَةُ فِيهَا.

شَاوِرُوهُنَّ وَخَالَفُوهُنَّ !

أَيِ النِّسَاءِ . يُتِمَّتْ لَهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ.

شَالَتْ نَعَامَتُهُ.

يُقَالُ : شَالَتْ النَّاقَةُ بِذَنْبِهَا تَشُولُ شَوْلًا وَشَوْلَانًا، وَأَشَالَتْهُ : رَفَعَتْهُ،

وَشَالَ الذَّنْبُ نَفْسَهُ : ارْتَفَعَ ، لَازِمٌ مُتَعَدٍّ ؛ وَشَالَ بِالْحَجَرِ أَيْضًا وَأَشَالَهُ : رَفَعَهُ ؛
وَالنَّعَامَةُ الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ . وَالنَّعَامَةُ أَيْضًا : جَمَاعَةُ الْقَوْمِ وَبَاطِنُ الْقَدَمِ ، يُقَالُ لِلْقَوْمِ :
شَالَتْ نِعَامَتُهُمْ إِذَا خَفَتْ مَنَازِلُهُمْ أَوْ تَفَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ أَوْ ذَهَبَ عَزُّهُمْ . وَشَالَتْ نِعَامَةُ فَلَانٍ
إِذَا خَفَّ وَغَضِبَ ، ثُمَّ سَكَنَ . هَكَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ . وَقَالَ آخَرُونَ : يُقَالُ شَالَتْ نِعَامَةُ
فُلَانٍ إِذَا هَلَكَ . وَمِنْ هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يَا لَيْتَمَا أَمَّنَّا شَالَتْ نِعَامَتُهَا أَيْمًا إِلَى جَنَّةٍ أَيْمًا إِلَى نَارٍ !
قِيلَ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّعَامَةَ بَاطِنُ الْقَدَمِ ، وَشَالَتْ : ارْتَفَعَتْ ، وَمِنْ شَأْنٍ مِنْ هَلَكَ أَنْ تَرْتَفِعَ
رِجْلَاهُ وَيَنْكَسِرَ رَأْسُهُ فَتُظْهِرَ نِعَامَةَ قَدَمِهِ . وَمِنْ ثَمَّ يُقَالُ : تَنَعَّمَ فُلَانٌ إِذَا مَشَى حَافِيًا عَلَى
نِعَامَتِهِ ، كَقَوْلِهِ :

تَنَعَّمْتُ لَمَّا جَاءَنِي سُوءٌ فَعَلِيهِمْ أَلَا إِنَّمَا الْبِأْسَاءُ لِلْمُتَنَعِّمِ !
وَاخْتَلَفَ فِي قَوْلِ عَنَتَرَةَ :

فَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقُعُودَ وَرَحْلَهُ وَابِنُ النَّعَامَةِ عِنْدَ ذَلِكَ مَرْكَبِي
فَقِيلَ : ابْنُ النَّعَامَةِ : الطَّرِيقُ ، وَقِيلَ : بَاطِنُ الْقَدَمِ . وَسُمِّيَ الطَّرِيقُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَرْكَبُ
لَهَا .

شَوَى حَتَّى إِذَا نَضِجَ رَمَدٌ .

شَيْءُ اللَّحْمِ مَعْرُوفٌ ؛ وَالنُّضْجُ كَمَا لَ الطَّبْخُ ؛ وَالتَّرْمِيدُ : جَعْلُهُ فِي الرَّمَادِ
وَتَعْفِينُهُ بِهِ . فَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ أَفْسَدَ الشَّيْءَ بَعْدَمَا صَلَحَ .

شَيْئًا مَا يَطْلُبُ السَّوْطَ إِلَى الشَّقَرَاءِ !

السَّوْطُ مَعْرُوفٌ ؛ وَالشَّقَرَاءُ فَرَسٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ ، رَكَبَهَا فَجَعَلَ كُلَّمَا ضَرَبَهَا زَادَتْهُ
جَرِيًّا .

يُضْرَبُ لِمَنْ طَلَبَ حَاجَةً وَجَعَلَ يَدْنُو مِنْ قَضَائِهَا وَالْفَرَاغُ مِنْهَا . كَذَا فِي الْقَامُوسِ .
وَمِمَّا يَلْتَحِقُ بِهَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ :

أَشْرَبْتَنِي مَا لَمْ أَشْرَبْ .

أي ادَّعَيْتَ عَلَيَّ ما لم أفعل . وقولهم :

الشَّعْرُ أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ .

أي النظر إليه كالنظر إلى الوجه.

وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

شَاهَتِ الْوَجْوهُ،

فإنَّه كثيرٌ ما يُتَمَثَّلُ به . وقول الحريري :

شَوَى فِي الْحَرِيقِ سَمَكَتَهُ.

والحريقُ اسم، من الاحتراق ؛ والسَّمَكَةُ : الحُوْتَةُ، وهي إِنَّمَا تُشَوَى فِي النَّارِ

القويَّة وفي اللَّهَبِ ما دام ؛ فإذا سَكَنَ تَعَبَ فِي شَيْهَا.

فِيضْرِبُ ذَلِكَ مَثَلًا لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ مِنَ الْقَاضِي ما دام غَضَبُهُ لِلْكَرَامِ بِتَحْرِيكِهِ لِلنَّوَالِ

بِالشَّعْرِ، وَاِنْتَهَازِ الْفُرْصَةَ مِنْهُ قَبْلَ سَكُونِ غَضَبِهِ، فَقَدْ لَا يَوْجَدُ إِذْ ذَاكَ.

وَإِذْ فَرَعْنَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُنْتَوَرَةِ فَلَنَذْكُرْ ما تَسَنَّى مِنَ الشَّعْرِيَّةِ.

قال الشاعر :

لَقَدْ كَثُرَ الظُّبَاءُ عَلَى خِدَاشِ

وهذا المثل مشهور، وتمام البيت :

فَمَا يَدْرِي خِدَاشٌ مَا يَصِيدُ

غير أنَّه إِذَا تَمَّ خَرَجَ عَنْ هَذَا الْبَابِ.

وقال بعض الوُعَاطِ، مضمَّنًا لهذا المثل، فِي ذِمِّ الدُّنْيَا :

يَا رَاكِضًا فِي طَلَابِ دُنْيَا لَيْسَ لِمَنْ تَصْرَعُ انْتِعَاشُ

تَنَحُّ يَا عُرْضَةً لِرَامٍ أَسْهَمُهُ بِالزَّدى تُرَاشُ

لَا تَغْشَى نَارًا] (٦) لَظَاهَا بِيَمَنِ لَهُ نَحْوُهَا انْحِيَاشُ !

أَعْذَرُ مِنْكَ الْفَرَّاشُ حَالاً
تَطْلُبُهَا لَا تَنَامُ عَيْنٌ
مَنْ لَكَ بِالرَّيِّ مِنْ شَرَابٍ
دَعَمَا فَطَلَّابُهَا رَعَامٌ
وَأَظْمَأَ لَتَرَوِي وَكُنْ كَقَوْمٍ
لَمْ يَرُدُّوْهَا فَهَمْ رَوَاءُ
كَأَنَّ أَمَانَنَا ظِبَاءُ
إِنَّ لِأَيَّامِنَا أَنْبِسَاطَا
كَأَنَّ أَجَالَنَا صُقُورٌ

وقال الآخر :

مَا لِقَوِيَّ عَنْ ضَعِيفٍ غِنَى

وقال أبو الطيب :

وَنَهَبُ نَفُوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أُولَى

وقال الآخر :

وَقَدْ كُنْتُ مَرْكَبَكُمْ فِي الصُّدُورِ

وقال سابق البربري :

فَلَا تُخْبِرْ بِسِرِّكَ، كُلُّ سِرٍّ

والاثنتان هنا الشَّفَتَانِ .

ومثله عند بعضهم قول الآخر :

إِذَا جَاوَزَ الْاِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ

وقال القائم بأمر الله، أحد ملوك بني العباس :

عَلِمْتُ مَا يَجْهَلُ الْفَرَّاشُ
عَنْهَا وَلَا يَسْتَقِرُّ جَاشُ
يَشْتَدُّ مِنْ شَرْبِهِ الْعَطَاشُ ؟
طَاشَتْ بِأَلْبَابِهِمْ فَطَاشُوا
مَاتُوا بِهَا عِفَّةً فَعَاشُوا !
وَوَارَدُوهَا هُمْ الْعِطَاشُ
وَأَنْتَ مِنْ حَيْرَةٍ خِدَاشُ
بِهِ لِأَعْمَارِنَا أَنْكِمَاشُ
وَنَحْنُ مِنْ تَحْتِهَا خَشَاشُ

لَا بُدَّ لِلسَّهْمِ مِنَ الرَّيْشِ !

بَاهُكَ الْمَجْدِ مِنْ نَهَبِ الْقُمَاشِ

فَصَرْتُ بِهَا مُلْحَقًا فِي الْحَوَاشِ

إِذَا مَا جَاوَزَ الْاِثْنَيْنِ جَاشَا !

بَيْتٌ وَإِفْشَاءُ الْحَدِيثِ قَمِينٌ

هَلْ لِي غَدِيرٌ مِنْ شَرَابٍ مُعْطِشٍ ؟

وَلَكَمْ قَتِيلٌ فِي الْهَوَى لَمْ يُنْعَشِ !

خَلَّفَنَ قَلْبِي فِي إِسَارٍ مُوَحِّشٍ :

وَمُنَازَعٌ يُغْرِي وَنَمَامٌ يَنْشِي

الْقَلْبُ مِنْ خَمْرِ التَّصَابِي مُنْتَشِ

وَالنَّفْسُ مِنْ بَرْحِ الْهَوَى مَقْتُولَةٌ

جُمِعَتْ عَلَيَّ مِنَ الْغَرَامِ عَجَائِبُ

خِلٌ يَصُدُّ وَعَاذِلٌ مُتَنَصِّمٌ

غيره :

إذا الواشي بَغَى يوماً صديقاً
وقلت أنا :

ولائمة هبَّت بليد تلومني
وليس لِدِيَّاجِ السَّمَاء الَّذِي سما
وقد جَوَّبَتْ آفاقها فكأنَّها
كأنَّ النُّجُوم الرُّهْر في جنباتها
تلومُ على أن لم تر الدَّهر مُسْعِداً
وأشجى حشاها أن تبدَّى بعاتقي
وأن قد تفصَّى من رزاياه طارفي
فباتت يُنَاجِيها الأسي ويجيشها
وتمحضني منها تخالُ نصيحةُ
تقول : التجيُّ للمترفين فإنَّه
فقلت لها إذ كان زوراً مقالها(7)
هو الدَّهر ما يُبقَى على مُتخسِّعٍ
وأحدائه تجري فَمَنْ ذي هوادهٍ
وما الدَّهرُ إلَّا واديانٍ فمُعشِبُ
وداران دارُ ذاتُ نَعْمَى هنيئةٍ
ويومان يومٌ أنت فيه مُتَوَجِّحُ
وما المال إلَّا مَزْنُ صيفٍ وقلَّما
وليلةُ سارٍ بينما هو مُقْمِرُ
وليس الفتى من ليس يَبْرَحُ ضارعاً
كئيبٌ بئيسٌ إن عرته مُلَمَّةُ

فلا تدعِ الصَّدِيقَ لقولٍ واشٍ !

وثوبُ الدُّجَى ما للصَّبَاح به نَقَشُ
علينا سوى تَرْقِيشِ أَنْجُمِهِ رَقَشُ
من السُّنْدُسِ الْخَضِرِ السُّرَادِقُ وَالْعَرْشُ
وجوهٌ زَهْتُهُنَّ المَلاحَةُ والبَشُ
مُنَاي وصرفُ الدَّهر ليس له حَفَشُ
لأنْيَابِهِ عَضُّ وفي عَضْدِي نَفَشُ
وأن قد جرى منه على أعْظَمِي مُحَشُ
إليَّ تَنَاجِني وَيَغْلِبُهَا الجَهْشُ
ولم تذر أنَّ النَّصْحَ آوَنَةُ غِشُ
إلى نارهم مَن نابَه دهره يَعْشُ
مقالة شهمٍ ليس في قِليهِ رَفَشُ :
جزوعٍ ولا يرثي لشاكٍ إذا يَكْشُ
أليفٌ وذِي شَحْناء أَخَذَتْهُ بَطْشُ(8)
أنيسٌ لِمُرْتادٍ وذو جَرْدٍ وَحْشُ
وفرشٍ وأخرى لا نعيمٌ ولا فَرَشُ
على العرش أو يومٌ به حَسْبُكَ الفَرَشُ
يدومُ وَيُجْدِي لِلصَّدَى ذاك الطَّشُ
بصحراء غابَ البدرُ فاستوسف الغِشُ
هلوعاً إذا يرميه من دهره خَدَشُ
وتعشاهُ إن أثرى الشَّرَاسَةُ والفُحْشُ

7 (في الديوان : فقلت لها إذ كان جوراً مقالها.

8 (في الديوان : أخذته بطش.

سَوُولٌ لِمَا وَافَى مُنوعٌ لِمَا حَوَى (9)
 عَزِيزٌ عَلَى الْمَوْلَى ذَلِكَ عَلَى الْعَدَا
 وَلَكِنْ مَنْ إِنْ نَالَهُ لَا شِبَاهَهُ
 ضَنِينٌ بِمَاءِ الْوَجْهِ لَا يَسْتَثِيرُهُ
 صَبُورٌ عَلَى عِلَاتِهِ مُتَجَرِّعٌ
 عَلِيمٌ بِأَنَّ النَّائِبَاتِ إِذَا عَرَتْ
 هُوَ الْمُرْتَجَى فِي فَتْحٍ مَا كَانَ مُرْتَجَاً
 وَثِيقٌ بِهَذَا لَا تَلِينَ صِفَاتُهُ
 قَرِيبٌ مِنَ الْمَوْلَى صَفِيٌّ إِذَا اعْتَنَى (10)
 فَلَا عَرْضُهُ يَبْلَى وَلَا حَزْمُهُ يَهِي
 فَذَلِكَ مَا عَاشَ السَّمِيُّ مَكَانَهُ

قوله : السُّرَادِقُ والعَرْشُ، السُّرَادِقُ : البيت من الكُرْسُف والذِي يمدُّ فوق صحن الدار؛

والعَرْشُ : الخيمة وسقف البيت وما يستظلُّ به

والبَشْءُ والبَشَاشَةُ : طَلَاقةُ الوجه.

والمُقَرَّبَاتُ : الخيل تقرب مرابطها.

والبَرَشُ، فِي شَعَرِ الْفَرَسِ، نَكَتٌ صِغَارٌ تَخَالِفُ سَائِرَ لَوْنِهِ.

والخَفَشُ : الطَّرْدُ (12)

والمَحْشُ : قَشْرُ الْجِلْدِ مِنَ اللَّحْمِ وَشِدَّةُ الْأَكْلِ.

وَالْجَهْشُ : الْفَزَعُ، يُقَالُ : جَهَشَ إِلَيْهِ جَهْشًا إِذَا فَزَعَهُ . وَهُوَ يُرِيدُ الْبَكَاءَ كَالصَّبِيِّ .

وَالرَّقَشُ : الضَّعْفُ وَالْوَهْنُ أَوْ الْخَلَطُ، مِنْ قَوْلِكَ : رَفَشْتُ الشَّيْءَ إِذَا دَقَّقْتَهُ

وَهَرَسْتَهُ، مَجَازًا.

9 (في الديوان : «سَوُولٌ بِمَا وَافَى مُنوعٌ بِمَا حَوَى»

10 (في الديوان : «قَرِيبٌ صَفِيٌّ بِالْصَدِيقِ إِذَا اعْتَنَى» وَهُوَ أَنْسَبُ، لَكِنْ يَظْهَرُ أَنَّ فِيهِ تَصْحِيفَيْنِ وَرَبَّمَا كَانَ الْأَصْلُ : «قَرِيبٌ حَفِيٌّ بِالْصَدِيقِ إِذَا اعْتَنَى».

11 (في الديوان : «خَمَشُ» وَهُوَ أَنْسَبُ.

12 (كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَهُوَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ النِّظْمِ أَيْضًا. لَكِنْ فِي الصَّحَاحِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ أَنَّ الْخَفَشَ ضَعْفٌ فِي الْبَصَرِ وَضَيْقٌ فِي الْعَيْنِ الْخَرِّ وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْ مَعَانِيهِ الطَّرْدُ.

والكَشَوُ : العَضُّ.
والغَبَشُ : ظلمةُ آخر الليل.
وأثرى الرجلُ : كثر ماله.
وغَشَاه يَغْشَاه، وغَشِيَه يَغْشَاه : أتاَه.
ولَشَا الرَّجُلُ : خَسَّ بعد رفعة.
والحرشُ : التحريك والاصطياد.
ولنكتف بهذا القدر، واللّه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

(63) في الديوان : على هبة...

(64) في د : وإنّي رأيت الصبر...

(65) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

باب الصاد

أَصْبَرُ من حِمَارٍ .

الصَّبْرُ خلاف الجزع، صَبَرَ - بالفتح - صَبْرًا فهو صابر وصَبُور، وتَصَبَّرَ واصْطَبَرَ. والصَّبْرُ أيضا : الحبس واللزوم ؛ والحمار معروف، وطبعه الصَّبْرُ على الأثقال والأحمال.

أَصْبَرُ من ذِي الضَّاعِطِ .

الصَّبْرُ مرّ ؛ وذو الضَّاعِطِ : البعير، والضَّاعِطُ انفتاق في إبطه. وفي عبارة بعضهم هو البعير الذي حرّ مَرْفِقُهُ جنبه.

أَصْبَرُ من عَوْدٍ بِدِفْيِهِ الْجُلْبُ .

العَوْدُ : المُسِنَّة من الابل، كما مرّ ؛ والدَّفْقَان : الجنبان ؛ والجُلْبُ جمع جُلْبَةٍ - على مثال غُرْفَةٍ -، وهي أثر الدَّبَرِ .

والمثل الأول من هذين . قال البكري : هو لسعيد بن أبان بن عيينة بن حصن ؛ والثاني لحَلْحَلَةَ بن قيس بن أشيم⁽¹⁾، وكلاهما فَرَارِيَان.

قال : وخبر ذلك أنّ كلبا أوقعت ببني فزارة وقتلوا منهم نيفا وخمسين رجلا. فتلافى عبد الملك أمرهم وتحمل لبني فزارة نصف الحملات وأدّاها إليهم، وضمن النصف الآخر الى العام المقبل . ثمّ إنّ فزارة أخفرت ذلك وغزت كلبا . فلقومهم ببنيات قين فتعدّوا عليهم في القتل، فغضب عبد الملك لاخفارهم ذمّته، فكتب إلى الحجّاج يأمره، إذا فرغ من ابن الزبير، أن يوقع ببني فزارة . فلمّا فرغ الحجّاج من شأن ابن الزبير نزل ببني فزارة . فأتاه سعيد وحَلْحَلَةُ المذكوران، فأوثقهما وبعث بهما إلى عبد الملك . فلمّا مثلا بين يديه

(١) كذا في لسان العرب (مادة عرك) وفي جمهرة أنساب العرب (ص 258) : حَلْحَلَةُ بن قيس بن سيار بن عمرو بن فزارة.

قال عبد الملك : من كان عنده دَيْنٌ وتر فليَقُمْ إليهما ! فقام ابن سُوَيْد الكلبِيّ ، وكان أبوه ممَّن قُتِلَ بِنَاتِ قَيْنٍ فقال : يا حَلْحَلَة ، هل أحسست سويدا ؟ فقال : عهدي به يوم بنات قين وقد انقطع خرويه في بطنه . فقال : اما واللَّهِ لأقتلَنَّكَ ! قال : كذبت ، ما أنت تقتلني ، وإنما يقتلني ابن الزرقاء ! والزرقاء إحدى أمهات مروان بن الحكم ، يُعابون بها . فنادى بشر بن مروان ، وأمه فزاريّة ، فقال : صبرا ، حَلْحَلُ ! فقال حَلْحَلَة : أصْبِرُ من عَوْدٍ بدقيّه الجلبُ قد أثارَ البِطَانُ فيه والْحَقَبُ ثمّ التفت إلى ابن سويد فقال : يا ابن استها ، أجد الضربة ! فقد وقعت بأبيك منّي ضربة أسلحته . فضرب ابن سويد عنقه .

ثمّ قدم سعيد بن أبان ليضرب عنقه ، فناداه بشر : صبرا يا سعيد ! فقال : أصْبِرُ من ذي ضاغطٍ عرْكركِ ألقى بواني زوره للمبرك⁽²⁾ فضرب عنقه وألحق بصاحبه . والعركركُ : البعير الغليظ ؛ والزورُ : الصّدْرُ .

أَصْبِرُ من قَضِيْبٍ .

قصيبٌ - بالقاف والضاد المعجمة ، على مثال أمير - رجل من ضَبَّة .

صاحبُ الدَّابَّةِ أُولَى بمُقَدِّمِها .

يُتمتِك به ، وهو يَروى أثرا أو حديثا . ومعناه ظاهر .

صَادَفَ بَطْنُهُ بَطْنَ تَرْبَةٍ .

يقال : صَادَفَهُ إذا لقيه ووجده ؛ والبَطْنُ خلاف الظَّهْر ، من الحيوان ومن الأرض أيضا ؛ وتَرْبَةٌ - على مثال هُمْزَة - وادٍ معروف يصبُ في بستان ابن عامر . فيقال هذا عند مصادفة الخصب وسعة العيش ، كأنّه صادف هذا الوادي .

(2) نسب في لسان العرب هذا البيت لحَلْحَلَة بدل البيت السابق .

صاحبُ السُّلطانِ كراكِبِ الأسدِ يهابُهُ النَّاسُ وهوُ لمركُوبِهِ أَهْيَبُ.

هذا من الأمثال الحكيمَّة، وهو قول الشاعر :
لا تَصْحَبِ السُّلطانَ في حالةٍ صاحِبُهُ لَيْثَ الشَّرى يركَبُ
يَهابُهُ النَّاسُ لمركُوبِهِ وهو لما يركَبُهُ أَهْيَبُ
وسياأتي استيفاء هذا المعنى في الحكمة، إن شاء الله تعالى.

أَصَحُّ من عَيْرٍ أَبِي سَيَّارة.

الصَّحَّةُ ضدَّ السَّقَمِ ؛ والعيرُ - بالفتح -: الحمار الوحشي . قال امرؤ القيس :
كَأَنِّي ورِدْفِي والقَرابُ ونُمرُقي على ظَهْرِ عَيْرٍ وارِدِ الخِبراتِ
وقد يُطلق على الأهلِيّ، كما قال الآخر :
ولا يُقيم على ضِيقٍ يرادُ به إلاَّ الأذْلالَ عير الحيِّ والوتدُ
هذا على الخَسَفِ مربوطٌ برمَّتِهِ وذا يُشجُّ فلا يرثي له أحدُ !
وأبو سَيَّارة - بفتح السين وتشديد الياء - عُمَيْلَةُ بن خالد⁽³⁾ العدَواني . وكان له
حمار أسود جاز عليه من مُزْدَلِفَةٍ إلى مِنى أربعين سنة . قيل : ولا يُعرف حمار أهليَّ
عاش أكثر من هذا الحمار . وضُرب به المثل في الصَّحَّة وقال السُّهَيْلي : هي أَتانُ
عوراءُ سوداءُ خطامها ليف . وكان أبو سَيَّارة يقول :

لا هَمَّ لي في الحمارِ الأسودُ أَصْبَحْتُ بينَ العالمينَ أَحْسَدُ
بِتْ أبا سَيَّارةَ المحسَدُ من شرِّ كلِّ حاسِدٍ يُحسَدُ !

وهو الذي يقول : أَشْرَقَ ثَبِيرٌ، كَيْمًا نَغِير !
وكان يقول في دعائه : اللَّهمَّ بَغْضُ بين رِعاثِنَا، وَحُبُّ بين نِساءِنَا، واجْعَلْ
المالَ في سَمَحَاتِنَا !

3 () في جمهرة انساب العرب (ص. 243) عُمَيْلَةُ بن الاعزَّاء - بالعين المهملة أو الغين المعجمة - وكذلك في البيان والتبيين (1 : 307) . ونقل في العمامة 6 عن ثمار القلوب أن اسمه عُمَيْلَةُ بن خالد بن أعزل، وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه مُزْدَلِفَةً إلى مِنى أربعين سنة . انتهى . فيظهر أن اليوسي نقل عن ثمار القلوب، وأن العبارة حُرِّفَتْ قليلاً منه أو من الناسخ.

وفيه يقول الشاعر :

خَلَّ الطَّرِيقَ عَنْ أَبِي سَيَّارَهُ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَّارَهُ
حَتَّى يُجِيزَ سَالِمًا حِمَارَهُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهُ !
وَقَدْ أَجَارَ اللَّهُ مَنْ أَجَارَهُ

صَرَّحَ حُجَيْرُ !

التَّصْرِيحُ خلاف التعريض ؛ وَحُجَيْرُ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَامَةِ كَانَ مَوْذَنًا لِمُسَيِّلِمَةَ الْكَذَّابِ لَعَنَهُ اللَّهُ ! وَكَانَ أَوَّلَ مَا أَمَرَ أَنْ يَذَكَرَ مُسَيِّلِمَةَ فِي الْإِذَانِ تَوَقَّفَ . فَقَالَ لَهُ مُحَكَّمُ بْنُ الطَّفِيكِ : صَرَّحَ حُجَيْرُ ! فَذَهَبَتْ مَثَلًا .

صَرَّحَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ .

التَّصْرِيحُ خلاف التعريض، وَصَرَّحَ فَلَانٌ بِمَا فِي نَفْسِهِ : كَشَفَهُ ؛ وَالْمَحْضُ : الْخَالِصُ . وَصَرَّحَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ : انْكَشَفَ وَاتَّضَحَ .

وَأُورِدَهُ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ ، لِإِعْلَانِ السَّرِّ وَإِبْدَائِهِ بَعْدَ كِتْمَانِهِ بِاللَّفْظِ السَّابِقِ . فَقَالَ الْبَكْرِيُّ : جَمِيعُ الْعُلَمَاءِ إِنَّمَا أُوْرِدُوهُ : صَرَّحَ الْحَقِيقِينَ . قَالَ . وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ الْحَقِيقِينَ وَتَفْسِيرُهُ ؛ وَمَحْضُهُ : خَالِصُهُ . انْتَهَى .

قُلْتُ : وَهَذَا اللَّفْظُ أَحْسَنُ وَأَبِينُ تَمْثِيلًا ، وَأَنْسَبُ لِذِكْرِ الْمَحْضِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا نَحْنُ أَيْضًا تَفْسِيرُ الْحَقِيقِينَ مِنَ اللَّبَنِ ، وَالْمَحْضُ : الْخَالِصُ مِنْهُ . قَالَ طَرْفَةُ :

وَيَشْرَبُ حَتَّى يَغْمُرَ الْمَحْضُ قَلْبَهُ وَإِنْ أُعْطِيَ أَتْرَكَ لِقَلْبِي مَجْثَمًا
فَإِذَا انْكَشَفَ الْأَمْرُ عَنْ سِتْرِهِ وَظَهَرَ بَعْدَ التَّبَاسِهِ ، كَانَ كَاللَّبَنِ الْمُنْكَشَفِ رَغْوَتُهُ عَنْ مَحْضِهِ .

صَدَقَنِي سِنْ بَكْرِهِ .

الصَّدْقُ خلاف الكذب، وَصَدَقْتُ الرَّجُلَ : أَخْبَرْتُهُ بِصَدَقٍ ، فَهُوَ مُصَدِّقٌ ؛ وَالسِّنُّ - بِالْكَسْرِ - وَاحِدَةُ أَسْنَانِ الْفَمِ ، وَمَقْدَارُ الْعُمُرِ أَيْضًا ؛ وَالْبَكْرُ - بِالْفَتْحِ - : الْفَتْيُ مِنَ الْإِبِلِ ، جَمْعُهُ بَيْكَارٌ وَبَيْكَارَةٌ - بِكَسْرِهِمَا - .

وهذا المثل يُضرب لمن يُخبرك بسرّه، وما انطوت عليه ضلوعه.
وأصله أن رجلاً ساوم آخر في بَكَرٍ فقال : ما سنّهُ ؟ قال : بازل . ثمَّ نَفَرَ البكرُ، فدنا إليه صاحبه يسكنه وجعل يقول : هدم ! هدم ! وهي كلمة يُسَكِّنُ بها الصغار من الابل . فلمّا سمعه المشتري قال: صدّقني سنُّ بَكَرِهِ . وهو، إمّا أن يكون برفع سنٍّ على إسناد الصدق إليه مجازاً، وإمّا بنصبه على حذف المضاف أو الجارّ، أي : صدّقني خبر سن بكره، أو في سنِّ بكره، وهما وجهان في المثل، وفاعل الفعل على هذا البائع، وهو إمّا أن يكون صدقه إيّاه بإخباره الأوّل أنّه بازل، ويكون هذا الكلام خرج مَخْرَجَ الهُزْءِ والسُّخْرِيَّةِ، أو بكلامه الثاني الذي يسكّن به البعير، وهو الأظهر.

أَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا .

الصّدقُ مرّ ؛ والقَطَا طائر معروف، وتقدّم أيضاً.
قيل : وسُمِّيَتْ قَطَاً لأنّها تقول في صوتها : قَطَا ! قَطَا ! فسُمِّيَتْ بحكاية صوتها .
ومن ثمَّ قالوا : أصدّقُ من القَطَا وأنسبُ من القَطَا قال الكُمَيْتُ :
لا تكذبِ القول إن قالت قطا صدقت إذ كلُّ ذي نسبةٍ لا بُدَّ يَنحْتَلُ

صِدْقُكَ يُنْبِي عَنْكَ لَا الْوَعِيدُ .

الصّدقُ مرّ ؛ ويُنبِي، من النَّبُوَّةِ وهو الارتفاع . تقول : نبأ الشيء - غير مهموز -، يَنْبُو، نَبُوَّةً، أي ارتفعَ ؛ ونَبَأَ الشيءُ عن الشيء : تجافى عنه ولم يعمل فيه، أو لم يطمئنَّ عليه . قال الشاعر(4)

إِنَّ جَنِّيَّ عَنِ الْفِرَاشِ لَنَابٍ كَتَجَافِي الْأَسْرِ فَوْقَ الظَّرَابِ
وَالْأَسْرِ : البعير يُصِيبُهُ السَّرَرُ داء في صدره يمنعه البروك والطمأنينة . وأنْبِيَّتُهُ عَنِّي : جافيتُهُ ودافعته ؛ والوَعِيدُ : الوعد بشرّ .
والمعنى أن صدقك في لقاك عدوك ودفاعهم هو الذي يدفعهم عنك، لا وعيدك إيّاهم من غير فعل . وكذا كلُّ أمر تزاوله إنّما يظفرُك منه بما ترغب، ويُنجيك ممّا ترهب،

(4) هو معد يكرب يرثي أخاه شر حبيب.

صِدْقُكَ وَجِدُّكَ وَسَعِيكَ جَلْبًا وَدَفْعًا، لَا مَجْرَدَ اللِّسَانِ.

أَصْرَدُ مِنْ عَنَزِ جَرَبَاءَ.

الصَّرْدُ : البَرْدُ - بفتح فسكون -، وصَرِدَ الرجل - بالكسر - صَرْدًا، فهو صَرْدٌ :
وجد البرد سريعًا . قال الشاعر :

أَصِيحَ قَلْبِي صَرْدًا لَا يَشْتَهِي أَنْ يَرِدَا
والعَنَزُ معروف ؛ والجَرَبُ - بفتحتين - معروف، جَرَبَ - بالكسر - فهو أَجْرَبُ، وَجَرَبْتُ
فهو جَرَبَاءُ . والعنز الجرباء لا تستطيع أَلَمَ البرد، ولا تمسك نفسها عنده . فَضَرَبَ بها
المثل لمن يجد البرد سريعًا.

أَصْرَدُ مِنْ عَيْنِ الْحَرْبَاءِ .

الصَّرْدُ مرءٌ ؛ والحَرْبَاءُ : الحيوان المعروف، وتقدَّم ما فيه، وأنه يستقبل عين
الشمس أبدًا ويدور معها حيثما دارت . ومن ثمَّ شَبَّهَ ابن الرومي الرقيب بالحرباء حيث قال:
ما بالها قد حَسُنَتْ وَرَقِيبُهَا أَبْدًا قَبِيحٌ قُبْحَ الرُّقْبَاءِ !
ما ذاك إِلَّا أَنَّهَا شَمْسُ الضُّحَى أَبْدًا يَكُونُ رَقِيبَهَا الْحَرْبَاءُ
فصارت الحرباء لذلك كأنَّها صَرْدَةٌ أَبْدًا غاية الصَّرْدِ .
وذكر الحريري عن بعضهم أنَّ المثل الأوَّل تصحيف هذا.

صَرَفَانِيَّةٌ رُبْعِيَّةٌ، تُصَرِّمُ بِالصَّيْفِ وَتُؤَكِّلُ بِالشَّتِيَّةِ.

الصَّرْفَانُ - بالفتح والتحريك - : تمرٌ رززين صلب يُعَدُّهُ العبيد والأجراء وذوو العيال
لعيشهم لكفايته . ومنه قول الزبَّاء :

ما للجمالِ مَشْيُهَا وَثِيدًا أَجْنَدًا يَحْمِلُنَ أَمْرَ حَدِيدَا
أَمْ صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيدَا أَمْرَ الرُّجَالِ جُنْمًا قَعُودَا ؟
وفي الصحاح : قال أبو عبيدة : ولم يكن يُهْدَى إليها شيء كان أحبَّ إليها من التَّمْرِ
الصَّرْفَانُ . وأنشد :

ولمّا أَتَتْهَا الْعِيرُ قَالَتْ : أَبَارِدُ" من التَّمَرِ أم هذا حديدٌ وَجَنَدَلُ ؟
وصَرَمَ التَّمَرُ قَطْعَهُ ؛ وَالشُّتَيْتَةُ تصغير الشتاء.
والمثل ظاهر المعنى، ولم أف بعد على أصله ونسبته.

الصَّارِمُ يَنْبُو.

الصَّارِمُ : السَّيْفُ القاطع ؛ وَنَبُوهُ : تَجَافِيهِ عَنِ الضَّرِيْبَةِ، كما مرَّ أَنْفًا فِي تَفْسِيرِ النَّبْوَةِ.

وهذا من أمثال أَوْسَ بْنِ حَارِثَةَ . ومثله : الْجَوَادُ يَكْبُو . والمراد من ذلك أَنَّ الْكَرِيمَ تَكُونُ لَهُ الزَّلَّةُ، وَالشَّرِيفُ تَكُونُ لَهُ السَّقْطَةُ، وَاللَّيِّبُ تَكُونُ لَهُ الْهَفْوَةُ، وَالْجَوَادُ تَكُونُ لَهُ الْوَقْفَةُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

أَصْغَرُ الْقَوْمِ شَفَرْتُهُمْ .

الصَّغَرُ ضِدُّ الْكِبَرِ ؛ وَالشَّفَرَةُ - بفتح فسكون -: السَّكِينُ الْعَظِيمُ، جَمْعُهُ شِفَارٌ .
والمعنى أَنَّ أَصْغَرَ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ.

صَفِرَتْ وَطَابُهُ.

يَقَالُ : صَفِرَ الشَّيْءُ - بِالْكَسْرِ - فَهُوَ أَصْفَرُ، وَالصَّفَرَةُ لَوْنٌ مَعْرُوفٌ . وَصَفِرَ الْبَلَدُ أَيْضًا وَالْبَيْتَ وَنَحْوَهُ إِذَا خَلَا مِنْ سَكَانِهِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ صَفَرِ الْإِنَاءِ ! أَيْ خُلُوِّهِ بِهَلَاكِ الْمَوَاشِيِّ ؛ وَالْوَطْبُ - بِالْفَتْحِ - سَقَاءُ اللَّبَنِ، وَالْجَمْعُ أَوْطُبٌ وَأَوْطَابٌ وَوُطَابٌ .
وَيَقَالُ صَفِرَتْ وَطَابُهُ، أَيْ مَاتَ فَخَلَا وَطْبُهُ مِنْ رَوْحِهِ . قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

أَلَا يَا لَهْفٍ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ هُمُ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا
وَقَاهُمُ جَدُّهُمْ بَبْنِي أَبِيهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ
وَأَفْلَتْهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الْوُطَابُ
أَي : لَوْ أَدْرَكْنَهُ لِمَاتَ.

أَصْفَى مِنْ عَيْنِ الدِّيكِ .

الصَّفَاءُ ضدُّ الكَدَرِ، صَفَا الشَّيْءَ - بِالْفَتْحِ - يَصْفُو صَفَاءً، فَهُوَ صَافٍ ؛
والديك معروف ؛ والعَيْنُ تُطْلَقُ عَلَى الْبَاصِرَةِ وَعَلَى ذَاتِ الشَّيْءِ . والمراد هنا الأوَّلُ .
ضربوا المثل بعين الديك في صفائها . قال الأخطل :
وكأْسٍ مِثْلَ عَيْنِ الدِّيكِ صِرْفٍ تَنْسِي الشَّارِبِينَ لَهَا الْعُقُولُ
وسمعت أعرابيَّةً رجلاً ينشد :

وكأْسٍ سَلَفٍ يَحْلِفُ الدِّيكُ أَنَّهَا لَدَى الْمَرْجِ مِنْ عَيْنِيهِ أَصْفَى وَأَحْسَنُ

فَقَالَتْ : بَلْغَنِي أَنَّ الدِّيكَ مِنْ صَالِحِي طَيْرِكُمْ وَمَا كَانَ لِيَحْلِفَ كَاذِبًا !

ويحكى عن دُعْبِلٍ قَالَ : كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ، فَأَطْلَنَا الْحَدِيثَ حَتَّى أَضْرَّ
بِهِ الْجُوعَ . فِدَعَا بِغِذَائِهِ، فَإِذَا بِصَحْفَةٍ فِيهَا مَرْقٌ لَحْمِ دِيكٍ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ ضَرْسٌ . فَأَخَذَ
قِطْعَةً مِنْ خُبْزَةٍ فَقْلَعَ بِهَا جَمِيعَ الْمَرْقِ ثُمَّ بَقِيَ مَطْرَقًا سَاعَةً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الْغَلَامِ فَقَالَ لَهُ:
أَيْنَ الرَّأْسُ ؟ قَالَ : رَمَيْتُ بِهِ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : ظَنَنْتُ أَنَّكَ لَا تَأْكُلُهُ . قَالَ : وَلِمَ ظَنَنْتَ
ذَلِكَ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَمَقْتُ مَنْ يَرْمِي بَرَجْلَهُ، فَضَلَا عَنْ رَأْسِهِ، وَالرَّأْسُ رَأْسِي، وَفِيهِ الْحَوَاسُ
الْخَمْسُ، وَمِنْهُ يَصِيحُ الدِّيكُ، وَفِيهِ عَيْنَاهُ اللَّتَانِ يُضْرَبُ بِهِمَا الْمَثَلُ فَيُقَالُ : شَرَابٌ مِثْلُ
عَيْنِي الدِّيكِ، وَدِمَاغُهُ عَجِيبٌ لَوْجَعِ الْكَلْبِ . فَإِنْ كَانَ بَلْعٌ مِنْ جَهْلِكَ أَنَّي لَا أَكُلُهُ فَإِنَّ
عِنْدَنَا مَنْ يَأْكُلُهُ . انْظُرْ أَيْنَ هُوَ ! قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيْنَ رَمَيْتُ بِهِ ! قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ أَدْرِي :
رَمَيْتُ بِهِ فِي بَطْنِكَ !

وَسَهْلٌ هَذَا مِمَّنْ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْبُخْلِ، وَنَسَلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِهِ بَعْدَ، إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

قَدَّمَتهُ عَلَى عُقَارِ كَعِينِ الدِّيكِ صَفَا سِلَافُهَا عَلَى الرَّأْوُوقِ
ولهذا الشعر حكاية حسنة لحمَّاد الراوية، وهي مشهورة، وعسى أن نذكرها في موضع آخر.

صَلَاحُ رَأْيِ النِّسَاءِ فَسَادٌ، وَنَفَاقُهُ كَسَادٌ .

مَثَلٌ مَصْنُوعٌ، فِيمَا أَظُنُّ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْمَعْنَى.

أَصْلَحَ غَيْثٌ مَا أَفْسَدَ بَرْدُهُ.

الصَّلَاحُ ضدُّ الفسادِ كالصُّلُوحِ، صَلَحَ الشَّيْءُ - بالفتح والضم - صلاحًا فهو صَلِحٌ - بالكسر - وصَالِحٌ وصَلِيحٌ ؛ والغَيْثُ : المَطَرُ، وقد غَاثَ المطرُ الأرضَ أي أَصَابَهَا، وغَاثَهَا اللَّهُ بِغَيْثِهَا، فهي أرضٌ مَغِيثَةٌ ومَغْيُوثَةٌ . والغَيْثُ أيضا : النبات، سُمِّيَ بما نشأ عنه . قال امرؤ القيس :

وقد أَغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا لَغَيْثٍ مِنَ الوَسْمِيِّ رَائِدُهُ خَالٍ
وقال :

وغيثٍ مِنَ الوَسْمِيِّ حَوْءٌ تِلَاعُهُ تَبَطَّنَتْهُ بِشَيْظَمٍ صَلَتَانٍ
ويحتمل الآخر.

وهذا المثل يُضْرَبُ للرجل يكون فاسدًا ثمَّ يصلح . والأنسب لمعناه أَنَّهُ للشَّيْءِ يصلح من وجه يعد ما فسد من وجه آخر، كالجواد يَجْبِيهِ السَّائِلُ بالشتَمِ ثم يحسن إليه ويعتبه أو يملك زمانًا ثم يوسع براً ومعروفًا فيكون إكثارُهُ الخير جبراً لما في المطلق من الإساءة، ونحو هذا من الاعتبار.

أَصْنَعُ مِنْ دُودِ الْقَزِّ.

الصَّنَاعَةُ - بالكسر - حرفة الصَّانِعِ ؛ والصَّنْعَةُ - بالفتح - عمله، صَنَعَ الشَّيْءَ - بالفتح - يَصْنَعُهُ صَنْعًا، ورجل صَنَعَ الْيَدَيْنِ - بالكسر وبفتحتين -، وصَنِيعَ الْيَدَيْنِ وصَنَاعُهُمَا : حاذقٌ في الصنعة، وصَنَعَ اللِّسَانَ، وَلِسانُ صَنِيعٍ⁽⁵⁾ أي بليغٌ ؛ وامرأةٌ صَنَاعُ الْيَدَيْنِ : حاذقة، وتقْدَمُ هذا ؛ ودودُ الْقَزِّ هي دودُ الحرير، وصناعتها فيه أمرٌ عجيب . ولو قيل أيضا : أَصْنِيعُ مِنْ دُودِ الْقَزِّ - بالضاد والياء المثناة من تحت، كان حسنًا، لأنَّها تلفُّ على نفسها حتَّى تموت . وبها يضرب الحكماء المثل لجامع المال الحريص عليه، ثمَّ يخرزُه ويمنعه الحقوق حتَّى يهلك في جمعه، فيأخذه الوارث، كما يؤخذ الحرير بعد موت الدودة.

(5) في ب : صَنِيع

أَصْنَعُ مِنْ سُرْفَةٍ.

الصنع مرّ ؛ والسُرْفَةُ - بضمّ السين وسكون الراء المهملتين وبالفاء - دُوَيْبَةٌ، ويقال هي الأرضة، وهي تتخذ بيتا من دقاق العيدان، ثمّ تلزقه بعود بمثل نسج العنكبوت، إلاّ أنّه أصلب . ثمّ تلزقه بعود من أعواد الشجر وقد غطّت رأسها وجميعها فتكون فيه . ويقال تدخل فيه. فتموت.

أَصْنَعُ مِنْ تَنَوُّطٍ .

التَنَوُّط - بفتح التاء وضمّ الواو المشدّدة، وبضمّها وكسر الواو -: طائر، والواحدة تَنَوُّطَةٌ. وهذا الطائر يُدَلِّي خيوطا من شجرة وينسج عشّه كقارورة الدهن منوطا بتلك الخيوط فيفرّخ فيه . ولذلك سُمِّي التَنَوُّطُ.

صَابَتْ بِقَرٍّ.

الصَّوْبُ مجيء السماء بالمطر، وصَابَ : نَزَلَ . قال :
فَلَسْتُ لَانْسِيَّ وَلَكِنْ لِمَلَأَكِ تَنْزَلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ
وصابه المطر، أي مطر ؛ والصَّوْبُ أيضا : القَصْدُ، تقول : صاب السهم أي قَصَدَ ولم يَجُرْ ؛ والصَّوْبُ أيضا والصَّوَابُ ضدّ الخطأ ؛ والقَرُّ - بضمّ القاف - البَرْدُ، وقَرَّ الرجل - بالضمّ - أصابه القَرُّ، فهو مَقْرورٌ ويوم قَرٌّ - بالفتح -: بارد . قال امرؤ القيس :
لا وأبيكَ أبنَةَ العَامِرِيَّ لا يدَّعي القومُ أنِّي أفرُّ
تميمُ بنُ مُرٍّ وأشْياعُها وكِنْدَةُ حولي جميعا صُبُرُ
إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا تحرَّقتِ الأرضُ واليومُ قَرٌّ
والقَرُّ أيضا - بالضمّ - القَرَارُ، ومنه قولهم : صَابَتْ بِقَرٍّ، أي صارت الشدّة في قرارها .
قال طرفة :

كنت فيكم كالمُعْطِي رأسه فأنجلى اليومَ قِنَاعِي وخُمُرُ

سادر٢ [أَحْسَبُ غَيِّي رَشَدًا فتناهيْتُ وقد صابَتْ بقره٦]

* * *

[هذا تمام ما وُجد من هذا التآليف العجيب، والأسلوب الغريب، بخط الشيخ المؤلف، رحمه الله تعالى ونفعنا به، على يد كاتبه وناسخه عبد السلام بن عبد الرحمن العدلوني، كان الله له وليًا ونصيرًا، في ثاني عشر رجب الفرد الحرام، عام أربعة وثلاثين ومائة وألف]^(٧)

* * *

[الحمد لله !

قوبلت هذه النسخة بأصلها، أصل المؤلف رحمة الله عليه، بجدّ، وجدّ في طرق تصحيحها بذلك أحسن جدّ، وساعدها في ذلك أيمنُ جدّ، فشاركت أصلها المذكور في الحدّ، وقد كانت منه بفقدتها ما وجدته في حيز الضدّ. والحمد لله الذي هو سنى ذلك حقّ الحمد حمدًا واريّ الرّند، سامي البنّد، ذاكي الرّند، وصلاة الله العديمة النّدّ، الفاتحة النّدّ، على من ليس لمن يرتجي شفاعته من الصلاة عليه من بدّ، وعلى آله وسلّم تسليمًا.

قال هذا وكتبه بيده مصحّحها محمّد بن قاسم بن محمّد ابن زاكور الفاسي، عامه الله !]^(٨)

* * *

[هنا انتهى ما وجد في أصل منقول من خط المؤلف رضي الله عنه]^(٩)

6 (سقط ما بين معقوفتين من د.

وقد سقط من جميع المخطوطات بيت في الأصل بين هذين البيتين، وهو :

ولقد كنتُ عليكم عاتبًا فعقبتم بذنوب غير مرّ

7 (هذه الزيادة في نهاية ب.

8 (هذه الزيادة بخط العالم الأديب محمد ابن زاكور في د.

9 (هذه كلمة الختام في المخطوط أ.

الفهارس العامة

- 1 - فهرس موضوعات الكتاب
- 2 - فهرس الأمثال النثرية
- 3 - فهرس الأمثال النثرية العامية
- 4 - فهرس القوافي
- 5 - فهرس الاعلام
- 6 - فهرس الأماكن والقبائل والأمم
- 7 - فهرس الكتب الواردة في النص
- 8 - مصادر المقدمة والتحقيق
- 9 - مستدركات

فهرس موضوعات الكتاب

الجزء الأول

5	تقديم المحققين
11	مقدمة المؤلف
19	السمط الأول في الأمثال وما يلتحق بها
19	الفصل الأول في معنى المثل والحكمة
31	الفصل الثاني في فائدة المثل والحكمة
43	الفصل الثالث في فضل الشعر
50	الفصل الرابع في الأمثال الشعرية
58	خاتمة في اصطلاح الكتاب
59	باب الألف
177	باب الباء
309	باب التاء

الجزء الثاني

5	باب الثاء
37	باب الجيم
95	باب الحاء
185	باب الخاء المعجمة
237	باب الدال المهملة

الجزء الثالث

7	باب الذال المعجمة
29	باب الراء
137	باب الزاي
155	باب السين المهملة
205	باب الشين المعجمة
247	باب الصاد
259	الفهارس العامة

فهرس الأمثال النثرية

مرتبة بحسب الحروف المنطوقة، أصلية كانت أو زائدة (دون اعتبار ال)

الألف

66:1	أَتَّخِذْ فَلَانَ حِمَارًا لِلْحَاجَاتِ	70:1	أَخِيرُ النَّبَرِ عَلَى الْقُلُوصِ
66:1	أَتَّخِذْ اللَّيْلَ جَمَلًا	71:1	أَخْرُهَا أَقْلُهَا شَرِبًا
61:1	أَتَّكَ بِيحَاتِنِ رَجُلَاهُ	77:1	أَكَلُ مِنْ أَرْضَةٍ
63:1	أَتَّهَمُ فَالِيَةَ الْأَفَاعِي	77:1	أَكَلُ مِنْ سَوْسِ
312:1	أَتَّجِرُ مِنْ عَقْرِب	79:1	أَلْفُ مِنْ حِمَامِ مَكَّةَ
313:1	أَتَّخَمُ مِنَ الْفَصِيلِ	81:1	أَلْفُ مِنْ غُرَابِ عَقْدَةٍ
329:1	أَتَّرَكَ صَاحِبَ الْغَاسُولِ يَسْكُتُ	83:1	أَمَّنُ مِنْ حِمَامِ مَكَّةَ
318:1	أَتَّقْ مَأْثُورَ الْقَوْلِ	143:1	الآنُ يَمْدُ أَبُو حَنِيفَةَ رَجُلَهُ
325:1	أَتَمِيمِيًّا مَرَّةً وَقَيْسِيًّا أُخْرَى	59:1	أَبَى الْحَقِينُ الْعِذْرَةَ
62:1	أَتَيْتُهُ صَكَّةَ عَمِيٍّ	144:1	أَبَى مَنَبِتِ الْعِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَ
5:2	أَتَّقْ مِنْ سِنُورٍ	177:1	أَبْخَرُ مِنَ الْأَسَدِ
5:2	أَتَّقْ رَأْسًا مِنْ فَهْدٍ	178:1	أَبْخَرُ مِنْ صَقَرٍ
6:2	أَتَّقْ مِنْ حَدِيثِ مُعَادِرٍ	181:1	أَبْرُ مِنْ هَرَّةٍ
9:2	أَتَّقْ مِنْ حِمْلِ الدُّهْنِ	183:1	أَبْرَمًا قَرُونًا
9:2	أَتَّقْ مِنَ الرَّؤْأَقِيِّ	185:1	أَبْصَرُ مِنْ عَقَابٍ
11:2	أَتَّقْ مِنَ الْفِيلِ	185:1	أَبْصَرُ مِنْ غُرَابٍ
9:2	أَتَّقْ مِنْ مَغْنٍ وَسَطَرٍ	186:1	أَبْصَرُ مِنْ فَرَسٍ
37:2	أَجْبِنُ مِنْ صَافِرٍ	186:1	أَبْصَرُ مِنَ الثَّمَانِ، بِاسْتِ الثَّمَانِ
38:2	أَجْبِنُ مِنَ الْكَرَّانِ	187:1	أَبْصَرُ مِنْ هُدْهُدٍ
38:2	أَجْبِنُ مِنَ الْمَنْزُوفِ ضَرْطًا	187:1	أَبْصَرُ مِنْ وَطُوطٍ بِاللَّيْلِ
39:2	أَجْبِنُ مِنْ نَعَامَةٍ	192:1	أَبْطَأُ مِنْ غُرَابِ نُوْحٍ
64:2	أَجْدَتْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ قَرُونِي	192:1	أَبْطَأُ مِنْ فِينْدٍ
64:2	أَجْدُ فَلَانٌ بِهَا أَمْرٌ	195:1	أَبْعَدُ مِنْ بَيْضِ الْأَنْوَقِ
64:2	أَجْدَكَ تَقُولُ هَذَا ؟		أَبْعِدِي عَنِّي طَيْلَكَ، أَحْمِلِي حِمْلِي
46:2	أَجْرِي مِنْ ذُبَابٍ	197:1	وَحِمْلِكَ
42:2	أَجْرًا مِنْ خَاصِي الْأَسَدِ	199:1	أَبْلَعْنِي رِيقِي
42:2	أَجْرًا مِنْ خَاصِي خِصَافٍ	204:1	أَبْلُهُ مِنْ ضَبٍّ
43:2	أَجْرًا مِنْ فَارِسٍ خِصَافٍ	205:1	أَبْنُكَ ابْنُ أَبِيكَ، لَيْسَ بِذِي أَبِي غَيْرِكَ
45:2	أَجْرًا الْأُمُورِ عَلَى أَدْلَاهَا	205:1	أَبْنُكَ ابْنُ بُوْحِكٍ
47:2	أَجْلَسْتُهُ عِنْدِي فَاتَّكَ	206:1	أَبْنُكَ مَنْ دَمَى عَقْبِيكَ
51:2	أَجْلُ مِنَ الْمُدِّ هَبٍ	59:1	أَتَى الْأَبَدَ، عَلَى لَبَدٍ
53:2	أَجْنَاؤُهَا أَبْنَاؤُهَا		أَتَّبِعِ الْفَرَسَ لَجَامِهَا، وَالنَّاقَةَ زَمَامِهَا،
51:2	أَجْنُ مِنْ دَقَّةٍ	309:1	وَالدَّلَّوْ رِشَاءَهَا
52:2	أَجُودُ مِنْ لَافِظَةٍ	311:1	أَتَّبِعُ مِنَ الظِّلِّ

189:2	أَخْرَقُ مِنْ حَمَامَةٍ	56:2	أَجُوعُ مِنْ ذَنْبٍ
190:2	أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ أَبِي غَبْشَانَ	57:2	أَجُوعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْملَ
212:2	أَخْشَنُ مِنْ لَيْفَةٍ	57:2	أَجُوعُ مِنْ لِقْوَةٍ
190:2	أَخْطَأْتُ اسْتَكَّ الْحَفْرَةِ	57:2	أَجُولُ مِنْ قُطْرُبٍ
191:2	أَخْطَأُ مِنْ ذُبَابٍ	95:2	أَحْبُ الْحَدِيثِ أَصْدَقُهُ
191:2	أَخْطَأُ مِنْ فَرَّاشٍ	127:2	أَحْتَكِمُ حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ
193:2	أَخْفُ رَأْسًا مِنْ ذَنْبٍ	64:1	إِحْدَى حُطَيَّاتِ لُقْمَانَ
193:2	أَخْفُ رَأْسًا مِنَ الذُّبَابِ	105:2	أَحْذَرُ مِنْ ضَبٍّ حَرَشْتُهُ
193:2	أَخْفُ رَأْسًا مِنَ الطَّائِرِ	105:2	أَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ
192:2	أَخْفُ حِلْمًا مِنْ بَعِيرٍ	117:2	أَحْذَرُ مِنْ قِرْلَى
192:2	أَخْفُ عِلْمًا مِنْ عَصْفُورٍ	111:2	أَحْزُ مِنْ دَمْعِ الْمِقْلَاتِ
224:2	أَخْفُ مِنْ دِينَارٍ يَخْنِي	112:2	أَحْزُ مِنَ الْقَرَعِ
193:2	أَخْفُ مِنْ لَا عَلَى اللِّسَانِ	112:2	أَحْزَسُ مِنَ الْكَرْكِيِّ
193:2	أَخْفُ مِنْ يَرَاعَةِ	113:2	أَحْزَصُ مِنْ نَمْلَةٍ
195:2	أَخْلَفُ مِنْ صَقَرٍ		أَحْزَمُ أَوْ أَحْذَرُ مِنْ قِرْلَى، إِنْ رَأَى خَيْرًا تَدَلَّى، وَإِنْ رَأَى شَرًّا تَوَلَّى - أَوْ تَعَلَّى
195:2	أَخْلَفُ مِنْ عِرْقُوبٍ	117:2	أَحْزَمُ مِنَ الْحِرْبَاءِ
71:1	أُخْوِكَ أَمْ الذُّنُوبُ ؟	115:2	أَحْزَمُ مِنْ عُنَابٍ
71:1	أُخْوِكَ الْبَكْرِيُّ وَلَا تَأْمَنُهُ	116:2	أَحْزَمُ مِنْ قِرْلَى
211:2	أُخْلِكُ مِنْ مُدَالَةٍ	117:2	أَحْمَقُ مِنْ ذِي الْوُدَعَاتِ
242:2	أُدْهَى مِنْ ثَعْلَبٍ	134:2	أَحْمَقُ مِنْ رَجُلَةٍ
72:1	إِذَا ارْجَحَنَ شَاصِيًا فَارْفَعُ يَدًا	135:2	أَحْمَقُ مِنْ رَحْمَةٍ
143:1	إِذَا امْتَلَأَتِ الْقَدْرُ تَرَشَّحَتْ	135:2	أَحْمَقُ مِنْ صَاحِبِ ضَائِرِ ثَمَانِينَ
141:1	إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ السِّتِينَ فَلْيَاهُ وَإِيَّا الشَّوَابَ	136:2	أَحْمَقُ مِنْ نَاطِمِ الصَّخْرَةِ
72:1	إِذَا دَخَلْتَ أَرْضَ الْحَصِيبِ فَهَرُولُ	137:2	أَحْمَقُ مِنْ نِعَامَةٍ
72:1	إِذَا سَمِعْتَ بِسَرَى الْقَيْنِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُصْنِعٌ	138:2	أَحْمَقُ مِنْ هَبْنَقَةٍ
73:1	إِذَا طَلَبْتَ الْبَاطِلَ أَنْجَحَ بَكَ	148:2	أَحْنَى مِنْ ضَبٍّ
73:1	إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهِنُ	147:2	أَحْنِيرُ مِنْ بَرْغُوثٍ
143:1	إِذَا لَمْ تَجِدُوا نَارًا فَاقْتُلُوا قَلْبِيَّةً	150:2	أَحْنِيرُ مِنْ بَقَّةٍ، فِي حَقَّةٍ
74:1	إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ	150:2	أَحْنِيرُ مِنْ طَيْرٍ، فِي سَبَكَةٍ
76:1	إِذَا لَمْ تَغْلِبْ فَاخْلِبْ	194:2	أَخْتَلَطُ الْخَائِلُ بِالنَّائِلِ
75:1	إِذَا نَزَلَ بِكَ الشَّرُّ فَاقْعُدْ	194:2	أَخْتَلَطُ الْخَائِرُ بِالرُّبَادِ
75:1	إِذَا نَزَلَ الْقَضَاءُ عَمِيَ الْبَصَرُ	186:2	أَخْذَعُ مِنْ ضَبٍّ
	إِذَا وَجَدْتَ الطَّيَّاءَ الْمَاءَ فَلَا عِيَابَ،	141:1	أَخَذَ يَلْعَبُ رَقَبَتَهُ
141:1	وَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فَلَا أَبَابَ	65:1	الْأَخْذُ سُرَيْطٌ، وَالْقَضَاءُ ضَرْيَطٌ
11:3	أَذْكَى مِنْ إِيكَاسٍ	64:1	الْأَخْذُ سَلْجَانٌ، وَالْقَضَاءُ لَيْيَانٌ
13:3	أَذْلُ مِنْ بَيْضَةِ الْبَلَدِ	141:1	أَخَذَ فَلَانَ رُمَيْحُ أَبِي سَعْدٍ
14:3	أَذْلُ مِنْ حِمَارٍ	141:1	أَخَذَهُ بِحَذَائِفِهِ
14:3	أَذْلُ مِنْ حِمَارِ قَبَّانٍ	68:1	أَخَذَهُمْ مَا قَدَّمُوا مَا حَدَّثُوا
15:3	أَذْلُ مِنَ السَّقْبَانِ بَيْنَ الْحَلَائِبِ	212:2	أَخْرَجْتُ لَهُ حَرِيشَتِي

168:3	أَسْفَدُ مِنْ هَجْرَسِ	15:3	أَذَلُّ مِنْ فَرَّاشِ
170:3	أَسْفَ أَخَاكَ النَّصْرِيَّ يَصْطَبِخُ	15:3	أَذَلُّ مِنْ فَتَقِعٍ بِقِرْقَرَةٍ
171:3	أَسْفَ رِقَاشِ إِنَّهَا سَقَايَةٌ	21:3	أَذْهَلُ مِنْ صَبٍّ
173:3	أَسْكَتْ مِنْ سَمَكَةٍ	66:3	أَرَادَ بَيْضُ الْأَنْثُوقِ
173:3	أَسْلَحُ مِنْ حِبَارِي	29:3	أَرَاكَ بَشَرٌ، مَا أَحَارَ مَشْفَرُ
173:3	أَسْلَحُ مِنْ دِجَاجِ	34:3	أَرَاكَ تَقْدُمُ رَجُلًا وَتَوَخَّرَ أُخْرَى
183:3	أَسْلَطُ مِنْ ذَنْبٍ مُتَنَمِّرٍ	34:3	أَرَاكَ الْكَوَاكِبَ بِالنَّهَارِ
176:3	أَسْمَعُ جَعْجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا	36 3	أَرَى الْمَوْتَ فِي الْعَرَائِرِ السُّودِ
174:3	أَسْمَعُ مِنْ دَلْدَلٍ	45:3	أَرْبَعُ عَلَى ظَلْعِكَ
174:3	أَسْمَعُ مِنْ سَمْعٍ	67:3	أَرْدَتُ عَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ خَارِجَةً
174:3	أَسْمَعُ مِنَ السَّمْعِ الْأَزَلِّ	54:3	أَرْضُ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالتَّعْلِيلِ
175:3	أَسْمَعُ مِنْ فَرْخِ عُنُقَابٍ	58 3	أَرْقَ عَلَى ظَلْعِكَ
175:3	أَسْمَعُ مِنْ قِرَادٍ	59:3	أَرْقَ عَلَى ظَلْعِكَ أَنْ يَهَاضَ
183:3	أَسِيرُ مِنَ الثَّمَلِ	73:3	أَرْقِعْ مَا أَوْهَيْتَ
211:3	أَشَامُ مِنْ أَحْمَرِ ثَمُودِ	62:3	أَرْمَى مِنْ ابْنِ تَقْنَرِ
207:3	أَشَامُ مِنَ الْأَخِيكَ	36:3	أَرْبِهَا نَمِرَةً، أَرَكْهَا مَطِيرَةً
205:3	أَشَامُ مِنَ الْبِسُوسِ (أَوْ مِنْ بَنِي الْبِسُوسِ)	62:3	الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ
207:3	أَشَامُ مِنْ خَوْتَعَةٍ	71:3	أَرَوَى مِنْ نَمَلَةٍ
208:3	أَشَامُ مِنْ دَاحِسٍ	68:3	أَرَوَغُ مِنْ ثُعَالَةٍ
208:3	أَشَامُ مِنَ الدُّهْنِ	29:3	أَرِيهَا السُّهَى وَتَرِيْنِي الْقَمَرِ
209:3	أَشَامُ مِنْ سَرَابٍ	144:3	أَزْكَنُ مِنْ إِيَّاسٍ
209:3	أَشَامُ مِنَ الشَّقَرَاءِ	144:3	أَزْنَى مِنْ قِرْدٍ
210:3	أَشَامُ مِنْ عِطْرِ مَنْشِمٍ	146:3	أَزْهَى مِنْ دِيكَ
210:3	أَشَامُ مِنْ غَرَابِ الْبَيْتِ	145:3	أَزْهَى مِنْ طَاوُوسٍ
213:3	أَشَامُ مِنْ قَاشِرٍ	146:3	أَزْهَى مِنْ غُرَابٍ
211:3	أَشَامُ مِنْ قِدَارٍ	155:3	أَسَائِرُ الْيَوْمِ وَقَدْ زَالَ الظُّهْرُ
216:3	أَشْبَهَ شَرْجَ شَرْجًا لَوْ أَنَّ أَسِيرًا	182:3	أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إِجَابَةً
215:3	أَشْبَهُ مِنَ الْغُرَابِ بِالْغُرَابِ	182:3	أَسَافَ حَتَّى مَا يَشْتَكَى السَّوَافَ
224:3	أَشْدَى أَرْمَةٌ تَنْفَرُجِي	159:3	أَسْأَلُ مِنْ قِرْتَعٍ
219:3	أَشْدَى زَيْمُ	63:3	أَسْتَرَّاحَ مِنْ لَا عَقْلَ لَهُ
232:3	أَشْتَرُ لِيْنَفْسِكَ وَلِلْسَوَفِ	178:3	أَسْتَسَمِّنُ ذَا وَرَمٍ
217:3	أَشْجَعُ مِنَ الدِّيَكِ	180:3	أَسْتَنْتَ الْفِصَالُ حَتَّى الْقِرْعَى
219:3	أَشَدُّ مِنَ الدَّكَمِ	167:3	أَسْرَى مِنْ جُنْدُبٍ
219:3	أَشَدُّ مِنَ الْفَرَسِ	167:3	أَسْرَى مِنْ قَنْفَدٍ
219:3	أَشَدُّ مِنَ الْفِيلِ	166:3	أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامُ
241:3	أَشْرَبْتَنِي مَالَمَ أَشْرَبَ	166:3	أَسْرَعُ مِنْ تَلَمُّظِ وَرَكٍ
226:3	أَشْرَدُ مِنْ نَعَامَةٍ	256:3	أَسْرَعُ مِنْ تَنْوُطٍ
226:3	أَشْرَدُ مِنْ وَرَكٍ	166:3	أَسْرَعُ مِنْ زِيَابَةٍ
232:3	أَشْعَلُ مِنْ ذَاتِ النَّحْيَيْنِ	163:3	أَسْرَعُ مِنْ نِكَاحٍ أَمْ خَارِجَةٍ
234:3	أَشْكُرُ مِنْ بَرُوقَةٍ	167:3	أَسْعَدُ أَمْ سَعِيدٌ ؟
234:3	أَشْكُرُ مِنْ كَلْبٍ	168:3	أَسْفَدُ مِنْ دِيكَ

92:1	أَنْتَ سَوَّلَ النَّاصِحَةَ	236:3	أَسْمُ من نَعَامَةٍ
92:1	أَنْتَ صَاحِبَةُ النِّعَامَةِ	247:3	أَصْبِرُ من حِمَارٍ
92:1	أَنْتَ غَيْرِي نَغِيرَةٍ	247:3	أَصْبِرُ من ذِي الضَّاعِطِ
96:1	إِنْ جَرَجِرَ الْعَوْدُ فَرْدُهُ وَقَرَأَ	247:3	أَصْبِرُ من عَوْدٍ يَدْفَعِيهِ الْجَلْبُ
96:1	إِنْ ذَهَبَ عَيْرٌ فَعَيْرٌ فِي الرِّهْطِ	248:3	أَصْبِرُ من قَضِيبٍ
98:1	أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ	249:3	أَصْحَمُ من عَيْرٍ أَبِي سَيَّارَةٍ
142:1	إِنْ كَذَبْتَ فَحَلَبْتَ قَاعِدًا	251:3	أَصْدَقُ من الْقَطَا
142:1	إِنْ كَذَبْتَ فَشَرِبْتَ غَبُوقًا بَارِدًا	252:3	أَصْرَدُ من عَنَرٍ جَرَبَاءَ
100:1	إِنْ كُنْتَ ذَا طِبِّ فَطِيبٌ لِعَيْنَيْكَ	252:3	أَصْرَدُ من عَيْنِ الْحَرْبَاءِ
99:1	إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَارًا	253:3	أَصْغَرُ الْقَوْمِ شَفَرُ تَهْمٍ
101:1	إِنْ لَا أَكُنْ صَنْعًا فَإِنِّي أَعْنَتُهُ	254:3	أَصْفَى من عَيْنِ الدَّيْكَ
100:1	إِنْ لَا حَظِيَّةَ، فَلَا أَلِيَّةَ	255:3	أَصْلَحَ غَيْثٌ مَا أَفْسَدَ بَرْدُهُ
102:1	إِنَّ الْبُعَاثَ بَارِضًا يَسْتَنْسِرُ	255:3	أَصْنَعُ من دُودِ الْقَرِ
105:1	إِنَّ الْبَكْرِيَّ لِيُحْسِبُ السَّعْدِيَّ	256:3	أَصْنَعُ من سُرْقَةٍ
105:1	إِنَّ تَحْدِطِي يَقْتَبِهْ لِعِنْدَاوَةٍ	47:2	أَعْطَى الْعَبْدَ كِرَاعًا، فَطَلَبَ ذِرَاعًا
148:1	إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ	176:3	أَعْمَرُ من قُرَادٍ
106:1	إِنَّ الْجَوَادَ عَيْنُهُ فَرَارُهُ	133:2	أَعْيَيْتَنِي بِأَشْرٍ، فَكَيْفَ يَدُرُّ
107:1	إِنَّ الْحَذَرَ، لَا يُغْنِي من الْقَدَرِ	168:3	أَعْلَمُ من هِجْرَسٍ
145:1	إِنَّ الْحُرَّ حُرٌّ	136:2	أَقْنَعُ من صَاحِبِ الثَّمَانِينَ وَرَاعِيهَا
146:1	إِنَّ الْحِسَانَ مَطِينَةٌ لِلْحُسُودِ	162:3	أَلْجِمُ مَا أَسْدَيْتَ
108:1	إِنَّ دُونَ الظُّلْمَةِ خَرْطُ قِتَادٍ	58:2	أَلُوطُ من عُدَّارٍ
108:1	إِنَّ الرِّثِيَّةَ تَفْتَأُ الْعَضْبُ	81:1	إِلَيْكَ يُسَاقُ الْحَدِيثُ
109:1	إِنَّ الرَّقِيقِينَ، تَغْطِيهِ أَفْنُ الْأَقِينِ	83:1	الْأَمْرُ أَشَدُّ من ذَلِكَ
110:1	إِنَّ السَّقَطَ يَحْرِقُ الْحَرْجَةَ	81:1	أَمْرُ مُبْكِيَاتِكَ، لَا أَمْرُ مُضْحِكَاتِكَ
148:1	إِنَّ السُّمَّ مَشْرُوبٌ	84:1	أَمَّا الدِّينُ، فَلَا دِينَ
112:1	إِنَّ الشَّفِيقَ بِسُوءِ الظَّنِّ مُوَلِّعٌ	82:1	الْأُمُورُ مَخْلُوجَةٌ وَلَيْسَتْ بِسُلُوكِي
113:1	إِنَّ الشَّقَاءَ لَمْ يَعْدُ شَرُّهَا رَجُلِيهَا	84:1	أَنَا ابْنُ بَحْدَتِهَا
114:1	إِنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبَرَاجِمِ	146:1	أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي
118:1	إِنَّ الْعَصَا قَرَعَتْ لِيذِي الْحِلْمِ	90:1	أَنَا أَتْلُوْصُ قَبْلَ أَنْ أَرْمَى
120:1	إِنَّ فَلَانًا بِأَقْبَعَةٍ		أَنَا بِالْقَوْسِ، وَأَنْتَ بِالْقَرْقُوسِ، مَتَى
142:1	إِنَّ فَلَانًا لَتَدْبُهُ عَقَابُهُ	84:1	نَجْتَمُ ؟
130:1	إِنَّ فِي الْمَرْئِعَةِ، لَكُلِّ قَوْمٍ مَقْنَعَةٌ	85:1	أَنَا تَبَقٌ، وَأَنْتَ مَبَقٌ، فَكَيْفَ نَتَّبَقُ ؟
130:1	إِنَّ فِي مِضْبٍ لِمَطْمَعًا		أَنَا جَذِيلُهَا الْمُحْكَكُ، وَعَذِيقُهَا
141:1	إِنَّكَ بِمَحْشٍ صَبْدَقٍ فَلَا تَبْرَحْهُ	86:1	الْمُرْجَبُ
149:1	إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا خَادَعْتَهُ انْخَدَعِ		أَنَا عَرَبِيْدٌ، وَأَنْتَ رَعْدِيْدٌ، وَبَيْنَنَا بَوْنٌ
127:1	إِنَّكَ لَا تَجْنِي من الشُّوْكَ الْعِنَبُ	143:1	يَعِيْدُ
	إِنَّكُمْ لَتَكْتَبِرُونَ عِنْدَ الْفَرْعِ، وَتَقْلُتُونَ	90:1	أَنَا كَلِيفٌ، وَأَنْتَ صَلِيفٌ، فَكَيْفَ نَأْتَلِفُ ؟
128:1	عِنْدَ الطَّمَعِ	90:1	أَنَا من هَذَا الْأَمْرِ فَالِجُ بْنُ خَلَاوَةٍ
129:1	إِنَّ لِلَّهِ جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَلُ	91:1	أَنَا من هَذَا الْأَمْرِ كَحَاقِيْنِ الْإِهَالَةِ
131:1	إِنَّ اللَّهَ لَنْ يَرْفَعَهُ شَيْئًا من الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ	91:1	أَنَا التَّذِيرُ الْعَرِيَانِ
		97:1	إِنْ أَعْيَى فَرْدُهُ نَوْطًا

140:1	إِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةَ	130:1	إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ
139:1	أَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟	131:1	إِنَّ اللَّفْعَى، تَفْتَحُ اللَّفْعَى
150:1	أَيُّ الرَّجَالِ الْمُهْذَبُ؟	149:1	إِنْ لَيْتَا وَإِنْ لَوْ عَنَاءُ
		132:1	إِنَّمَا سُمِّيَتْ هَانَتْا لِهَنْئًا
	الْبَاء	133:1	إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ الْغَنَمَ حِذَارَ الْعَازِبَةِ
		142:1	إِنَّمَا فَلَانٌ هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
207:1	بَاءَتْ عَرَارٍ بِكَحَلٍ	133:1	إِنَّمَا الْقَرَمُ مِنَ الْأَفِيلِ
208:1	بَاتَتْ بِلَيْلَةٍ أَنْقَدَ	132:1	إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ
208:1	بَاتَتْ بِلَيْلَةٍ شَيْبَاءُ	133:1	إِنَّمَا هُوَ كِبَارُحِرُ الْأَرْوَى
208:1	بَاتَتْ الْمَرْأَةُ بِلَيْلَةٍ حُرْمَةٍ	144:1	إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارٌ
207:1	بَاتَ فَلَانٌ بِلَيْلَةٍ ابْنِ الْمُنْذِرِ	135:1	إِنَّ مَنْ بِالْجَفِّ مِنْ ذَوِي قُدْرَةٍ لَقَرِيبٌ
207:1	بَالَتْ عَلَيْهِ التَّعَالِبُ	136:1	إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا
207:1	بَالَ حِمَارٌ فَاسْتَبَالَ أَحْمِرَةَ	138:1	إِنَّ مِنَ الشَّرِّ خِيَارًا
177:1	بَحَثَ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ	138:1	إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةٌ
178:1	الْبَدَلُ أَعْوَرُ	134:1	إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا
194:2	بَرَّتْ قَائِبَةٌ مِنْ قُوبٍ	138:1	إِنَّ مِنْكُمْ مُنْقَرِنِينَ
179:1	بِرَحِّ الْخَفَاءِ		إِنَّهُ أَحَدُ الْأَحْدِيثِ، وَوَاحِدُ الْأَحْدِيثِ،
181:1	بِالرَّقَاءِ وَالْبَنِينَ	142:1	وَإِحْدَى الْإِحْدِ
180:1	بِيرُ الْكَرِيمِ طَبْعٌ، وَبِيرُ الْبَخِيلِ دَفْعٌ	142:1	إِنَّهُ ابْنُ إِحْدَاهَا
182:1	بِرَقٍّ لِمَنْ لَا يَعْرِفُكَ	139:1	إِنَّ الْعَدَايَا عَلَى مِقْدَارِ مُهْدِيهَا
213:1	الْبَرَكَاتُ فِي الْحَرَكَاتِ	120:1	إِنَّهُ لَيُسِرُّ حَسْبًا فِي ارْتِعَاءِ
187:1	بَصْبُصْنُ إِذْ حُذِينَ بِالْأَذْنَابِ	120:1	إِنَّهُ لَذُو بَرٍّ
187:1	بِضَرْبِ خِيَابٍ وَرَيْشِ الْمُقْعَدِ	120:1	إِنَّهُ لَحَبِيبٌ مِنْ أَحْبَابِهَا
192:1	الْبَيْطَنَةُ، تَذْهَبُ الْفَيْطَنَةُ	121:1	إِنَّهُ لَسَاكِنُ الرِّيحِ
194:1	بَطْنِي عَطْرِي، وَسَائِرِي ذَرِي	122:1	إِنَّهُ لَشَرَّابٌ بِأَنْقَعٍ
212:1	بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي	122:1	إِنَّهُ لَصَلْبٌ أَضْلَالُ
197:1	بِعَضِّ السَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ	123:1	إِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعَصَا
198:1	بِعِلَّةِ الْوَرِشَانِ، يَأْكُلُ رُطَبَ الْمِشَانِ	123:1	إِنَّهُ لَصَلْبٌ أَضْلَالُ
199:1	الْبُغَاثُ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ	124:1	إِنَّهُ لِعَضٍّ
212:1	بِفَلَانٍ تَقْرَنُ الصَّعْبَةُ	142:1	إِنَّهُ لَفِي حُورٍ وَبُورٍ
202:1	بَلَّغَ السَّكِينُ الْعَظَمَ	125:1	إِنَّهُ لِلَّيْنِ الْعَصَا
202:1	بَلَّغَ السَّيِّلُ الزُّبْيَ	125:1	إِنَّهُ لَنِقَابٌ
203:1	بَلَّغَ الشُّطَّاطُ الْوَرَكِينَ	126:1	إِنَّهُ لَنَكْدُ الْحَظِيرَةِ
204:1	بَلَّغَ اللَّهُ بِكَ أَكْثَلَ الْعُمُرِ	126:1	إِنَّهُ لَهَيْتَرُ أَهْتَارِ
204:1	بَلَّغَ مِنَ الْعِلْمِ أَطْوَرِيَهُ	142:1	إِنَّهُ لَوَابِصَةٌ سَمْعٍ
206:1	بِهِ لَا يَظْبِي	127:1	إِنَّهُ لَوَاقِعُ الطَّائِرِ
208:1	بِيَدِي لَا يَبِيدُ عَمْرُو	5:2	أَنْوَمُ مِنْ فَهْدٍ
210:1	بِيَدَيْنِ مَا أَوْرَدَهَا زَائِدَةً	100:1	إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنَ اللَّهِ يُمَضِّيه
211:1	بَيْضُ الْقَطَا يَحْضُنُهُ الْأَجْدَلُ	139:1	أَهْلُ مَكَّةَ أَعْرَفُ بِشِعَابِهَا
211:1	بَيْنَ الصُّبْحِ لِذِي عَيْنَيْنِ	96:1	الْإِنْسَاسُ، قَبْلَ الْإِنْسَاسِ
		139:1	أَيْنَمَا أَذْهَبَ أَتَقُ سَعْدًا

التاء

15:2 تَكُنْ أَرَامَهَا وَلَدًا
18:2 الثَّورُ يَحْمِي أَنْفَهُ بِرُوقِهِ

الجيم

83:1
309:1
45:2
47:2
51:2
53:2
328:1
122:2
313:1
126:2
126:2
149:2
187:2
193:2
315:1
315:1
329:1
316:1
329:1
316:1
317:1
315:1
318:1
32:3
158:3
156:3
176:3
212:2
324:1
324:1
325:1
328:1
جاء بالأمر على قناريده
جاء بأم الرُّبَيْفِ، على أريق
جاء بالحظير الرُّطْبِ
جاء بالصقور والبقر
جاء بالضم والريح
جاء بالطم والرَّم
جاء بما صأى وصمت
جاء به من حسه وبسه
جاءت بدات الرعد والصليل
جاء صريم سحر
جاء على غبيراء الظهر
جاء مضطرب العينان
جاء يضرب أسد ربه
جاؤوا على بكرة أبيهم
جاء وقد لفت لجامه
جاؤوا قضهم بقضضهم
جاء ولكن لم يجيء لعصم
جاؤوا مخليين فلاقوا حمضا
جاء يفري ويقد
جاء ينفض مذكرويه
الجاء قبل الدار
الجحش لما بذك الأعيار
جحش وحده
جدك كدك
جدم مازن أنفه بكفه
جرب، ثم باعد أو قرب
جروا له الخطير ما انجر لكم
جري المذكيات غلاب
جري المذكي حسرت عنه الحمر
جزاه جزاء سيمار
جعده البنان
جعد التقفا
جعلوا الأرض عليه حيص بيص،
وحيصا بيصا
جلى محيا نظره
جمع بين الأروى والنعام

تأمير الأراذل، تدمير الأفاضل
تتابعي بقر
التجريد لغير نكاح مثله
تجنس لقيم من غير شيع
تجنب روضة وأحال يعدو
تجوم الحرة ولا تاكل بئديها
تحت طريقتك عنداوة
تحسبها حمقاء وهي باخس
تحفة المؤمن الموت
تحقره وينتأ
تحكت العقب بالافعى
تحالت عقد فلان
تخرسي يا نفس لا مخرس لك
تخلصت قائبة من قوب
تركت الرأي بيقية
تركت فلانا بلاحس البقر أولادها
تركته بإست الأرض
تركته ترك الطبي طلبه
تركته على أنقى من الراحة
تركته كجوف حمار
تركتهم لحما على وضم
ترك الخدام من أجرى من المائة
ترك الوطن أحد السباعين
ترى الفتان كالنخل وما يدريك ما
الدخل
تسألني أبا الوليد جملا، يمشي ويؤد
ويكون أولا
تسألني برامتين سلجما
تسمع بالمعدي خير من أن تراه
تعجيل اليأس أحد اليسرين
تلك التجارة لا انتقاد الدهم
تمرة خير من جرادة
التمر في البئر على ظفر الجمك
تيسي جعار

الثاء

ثار حابلهم على نابيلهم
الثبات، يكسر الوثبات

125:2	الحَقُّ أَبْلَجٌ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجٌ	50:2	جَمَعَ بَيْنَ الضَّبِّ وَالنُّونِ
126:2	حَقَّتْكَ أَخَذَتْ	51:2	الْجَمْلُ مِنْ جَوْفِهِ يَجْتَرُ
128:2	حَلَّاتٌ حَالِيَةٌ عَنْ كُوعِهَا	66:2	الْجَوَابُ مَا تَرَى لَا مَا تَسْمَعُ
128:2	حَلَبَتْ صُرَامُ	52:2	الْجَوَادُ يَكْتَبُو
129:2	حَلَفَ لَهُ بِالْمُحَرَّجَاتِ	55:2	جَوْعُ كُلِّكَ يَتَّبِعُكَ

129:2	حَلِمَ الْأَدِيمُ
130:2	الْحَمْدُ مَعْنَمٌ، وَالْمَذْمَةُ مَعْرَمٌ
140:2	الْحُمَى أَضْرَعْتَنِي إِلَيْكَ
141:2	الْحُمَى أَضْرَعْتَنِي لِلنُّومِ
142:2	الْحِمِيَّةُ إِحْدَى الْمَوْتَتَيْنِ
142:2	حَمِيَّ الْوُطَيْسِ
143:2	حَنَنْتُ وَلَا تَهَنَّتْ
142:2	حَنَ حَنِينِ الثَّكَلَى
143:2	حَنَّ قِدْمٌ لَيْسَ مِنْهَا
146:2	حَوَالِينَا لَا عَلَيْنَا
144:2	حُورٌ فِي مَحَارَةِ
146:2	حَوْلَ حَابِلِهِ عَلَى نَابِلِهِ
147:2	حَيْثُ لَا يَضَعُ الرَّاقِي أَنْفَهُ
145:2	حِيلَ بَيْنَ الْعَبِيرِ وَالنَّزْوَانِ
148:2	الْحَيَّةُ مِنَ الْحَيَّةِ

الخاء

212:2	الْخَالُ أَحَدُ الْأَبْوِينِ	105:2
200:2	خَامِرِي أُمِّ عَامِرٍ	106:2
184:2	خَبَاءٌ خَيْرٌ مِنْ يَفْعَةٍ سَوْءٍ	106:2
184:2	خَبِطَ خَبِطَ عَشَوَاءُ	107:2
185:2	خَبِيقَةُ خَبِيقَةٍ، تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ	
68 1	خَذَ مِنْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ	110:2
69:1	خَذَهُ وَلَوْ بَقَرُطِي مَارِيَةً	110:2
187:2	خَرَقَاءُ ذَاتُ نَيْيَقَةٍ	114:2
189:2	خَرَقَاءُ عِيَابَةٍ	115:2
189:2	خَرَقَاءُ وَجَدَتْ صُوفًا	112:2
188:2	الْخَرْقُ سُوءٌ	114:2
190:2	خَشَى ذُوَالَةَ، بِالْحَبَالَةِ	115:2
190:2	خَشِيَّةٌ خَيْرٌ مِنْ مَلَأَ وَادٍ حُبًّا	185:2
114:2	الْخَطُّ الْحَسَنُ يُزِيدُ الْحَقَّ وَضُوحًا	118:2
212:2	خَفَتِ الظَّهْرُ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ	123:2
213:2	خَفِيفُ الثَّخَاذِ	214:2
213:2	خَفِيفُ الرُّدَاءِ	149:2
197:2	خَلَاؤُكَ أَقْنَى لِحَيَائِكَ	125:2

الحاء

145:2	حَالَ الْجَرِيضُ، دُونَ الْقَرِيضِ
95:2	حُبُّكَ الشَّيْءُ يُعْنِي وَيُصِمُّ
149:2	حُبًّا وَكِرَامَةً
96:2	حُبُّكَ فَلَانٌ يَفْتَكِلُ
98:2	حَتَّامٌ تَكْرُمُ وَلَا تَنْفَعُ؟
97:2	حَتَفَهَا تَحْمِلُ ضَانٌ بِأُظْلَافِهَا
99:2	حِدَا حِدَا وَرَاءَكَ بِنْدَقَةٍ
99:2	حَدَّثَ حَدِيثَيْنِ الْمَرْأَةِ، فَإِنْ أَبَتْ فَعَشْرَةٌ
99:2	حَدَّثَ الْمَرْأَةَ حَدِيثَيْنِ، فَإِنْ لَمْ تَقْنَعْ فَأَرْبَعٌ
103:2	حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ
104:2	حَدَّثَ عَنْ مَعْنٍ وَلَا حَرَجَ
100:2	حَدِيثُ خُرَافَةٍ يَا أُمَّ عَمْرُو
102:2	الْحَدِيثُ سُجُونٌ
104:2	الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ يُفْلُ
104:2	الْحَذَرُ قَبْلَ إِرْسَالِ السَّفْمِ
105:2	حَذَوُ النَّعْمَلِ بِالنَّعْمَلِ
106:2	الْحَرْبُ خُدْعَةٌ
106:2	الْحَرْبُ سِجَالٌ
107:2	حَرْبٌ عَوَانٌ
	الْحَرُّ إِذَا خُوْدَعِ تَخَادَعِ، وَإِذَا عَظَمَ
	تَوَاضَعَ
	حِرَّةٌ، تَحْتِ قِرَّةٍ
	حَرَكٌ خَيْشَاشَةٍ
	حَرَكٌ لَهَا حَوَارِهَا تَحِينُ
	حُرٌّ انْتَصَرَ
	حَرَقَ عَلَيْهِ الْأَرَمُ
	حَرَّتْ حَارَةً مِنْ كُوعِهَا
	حُرْقَةُ حُرْقَةٍ، تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ
	حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ
	الْحُسْنُ أَحْمَرُ
	حُسْنُ الْخَطِّ إِحْدَى الْفَصَاحَتَيْنِ
	حُطْنِي الْقَصَا
	الْحُقَاقِظُ تَحْلُكُ الْأَحْقَادُ

خَلَائِكَ الْجَوِّ فَيَبْضِي وَاصْفَرِي
خَلَطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ
خَلَعَ الدَّرْعَ بِيَدِ الزَّوْجِ
الْخَالَةَ، تَدْعُو إِلَى السَّلَاةِ
خَلَّ سَبِيلَ مَنْ وَهَى سِقَاؤُهُ
خَلَّه دَرَجَ الضَّبِّ
الْخُنْفُسَاءُ إِذَا مُسَّتْ نَتْنَتْ
الْخَنِيقُ، يُخْرِجُ الْوَرَقَ
خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا
خَيْرُ الْعِشَاءِ سَوَافِرُهَا
خَيْرُ الْعِلْمِ مَا حُوضِرَ بِهِ
خَيْرُ التَّغْدَاءِ بَوَاكِرُهَا
خَيْرُ الْغِنَى الْقَنُوعُ، وَشَرُّ الْفَقْرِ الْخُضُوعُ
خَيْرٌ مَا رُدَّ فِي أَهْلِ وَمَالٍ
خَيْرُ الْمَالِ سَكَنٌ مَأْبُورَةٌ، وَمُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ
الْخَيْلُ أَعْلَمُ بِفُرْسَانِهَا
الْخَيْلُ أَعْلَمُ مِنْ فُرْسَانِهَا
الْخَيْلُ تَجْرِي عَلَى مَسَاوِيهَا

198:2
214:2
194:2
197:2
196:2
195:2
192:2
201:2
202:2
203:2
204:2
204:2
205:2
208:2
208:2
210:2
211:2
209:2

الذَّال

الذَّئِبُ يُغَيِّطُ بَدِي بَطْنِهِ
الذَّئِبُ يُكْنَى أَبَا جَعْدَةَ
ذَكَرُ أَيَّامِ الْجَفَاءِ فِي أَيَّامِ الصَّفَاءِ جَفَاءُ
ذَكَرُ مَافَاتٍ، يُكَدِّرُ الْأَوْقَاتِ
ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ
ذَلِكَ الْفَحْلُ لَا يُقَدِّمُ أَنْفَهُ
ذَلِكُ عَازِ بِقَرْمَلَةٍ (أَوْ ضَعِيفٌ...)
ذَهَبَتْ هَيْفٌ لَأَدْيَانِهَا
ذَهَبَ دَمُهُ أَدْرَاجَ الرِّيَّاحِ
ذَهَبَ دَمُهُ خَضِرًا مِضْرًا
ذَهَبُوا أَيَادِي سَبَلٍ
ذَهَبُوا تَحْتَ كَوِكِبٍ
الذَّوْدُ إِلَى الذَّوْدِ إِبِلٌ
ذُو الْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا
ذِيَابٌ فِي ثِيَابٍ

الراء

الرَّأْيَةُ أَحَدُ النَّهَاجِيِّينَ
رَأْيُ الشَّيْخِ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ الْغَلَامِ
الرَّأْيُ مَعَ الْجَمَاعَةِ
الرَّيَّاحُ، مَعَ السَّمَاحِ
رُبَّ أَخٍ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ
رُبَّ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكْلَاتِ
رُبَّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ
رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ
رُبَّ سَامِعٍ خُبْرِي، لَمْ يَسْمَعْ عُدْرِي
رُبَّ سَامِعٍ عِذْرَتِي، لَمْ يَسْمَعْ قِفْوَتِي
رُبَّ شَدٍّ فِي الْكَرَرِ
رُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ
رُبَّ طَمَعٍ، يَهْدِي إِلَى طَبَعٍ
رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رِيثًا (أَوْ وَهَبَتْ)
رُبَّ قَوْلٍ أَشَدُّ مِنْ صَوْلِ
رُبَّ لَحْظٍ، أَثَمُّ مِنْ لَفْظٍ
رُبَّ مَمْلُولٍ لَا يُسْتَطَاعُ فِرَاقُهُ
رَبِّضْكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ سَمَارًا
رَجَمَ يَخْفَتِي حُنَيْنٍ
رَجَمَ بِصَحِيفَةِ الْمُتَكَلِّمِ

الدَّال

دَارُ الْفُسُوقِ جَدْتُ، وَحَدِيثُهُ حَدَثٌ
دَاجَاةٌ وَتَرْكُلٌ
دَعَمَ بُنْيَانَاتِ الطَّرِيقِ
دَعَا دَعْوَةً كَوَكْبِيَّةً
دَعَا دَمًا ضَيَّعَهُ أَهْلُهُ
دَرْدَبَ لَمَّا عَضَّهُ التَّقَافُ
دَفَعْتُ إِلَيْهِ الشَّيْءَ بِيَرْمَتِهِ
دَفَنُ الْبَنَاتِ، مِنَ الْمَكْرُمَاتِ
دَقَّكَ بِالْمِنْحَازِ حَبَّ الْقَلْقَلِ
دَقَّكَ بِالْمِنْحَازِ حَبَّ الْقَلْقَلِ
دَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمٍ
الدِّمُّ لَا يَنَامُ
دَمْتُ لِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجِعًا
دَهْدُرَيْنِ، سَعْدُ الْقَيْنِ
(أَوْ سَاعِدِ الْقَيْنِ)
الدَّهْرُ حُبْلِي لَا يَدْرِي مَا تَلِدُ
دُونَ ذَلِكَ خَرَطُ الْقِتَادِ
دُونَ ذَا وَيَنْتَفِقُ الْحِمَارُ

	72:3	رَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدَنِهِ
السَّيْن	53:3	رَجَعَ فُلَانٌ إِلَى قَرْوَاهُ
183:3	214:2	رَدَاءَةُ الْخَطِّ زَمَانَةُ الْأَدَبِ
183:3	54:3	رَزْمَةٌ وَلَا دَرَّةٌ فِيهَا
159:3	54:3	الرَّشْفُ أَنْقَعُ
159:3	57:3	رَعَى فَأَقْصَبَ
159:3	61:3	رَعَاهُ بِأَقْحَافٍ رَأْسِهِ
161:3	72:3	رَعْدُ فُلَانٍ وَبَرْقُ
161:3	58:3	الرُّغْبُ سُؤْمٌ، وَالرُّقْفُ يُمْنٌ
		رَقَّةٌ يَنْتَجِعُهَا ذَنْبٌ، خَيْرٌ مِنْ
162:3	59:3	حَسَنَةٍ يَتْبَعُهَا عُجْبٌ
161:3	59:3	رَكِبَ جَنَاحِي النَّعَامَةِ
162:3	60 3	رَكِبَ ذَنْبَ الْبَعِيرِ
163:3	60:3	رَكِبَ ذَنْبَ الرِّيحِ
165:3	73:3	رَكِبَ رَأْسَهُ
165:3	73:3	رَكِبَ فُلَانٌ عُرْعُرَهُ
168:3	60:3	رَكِبَ مَتْنُ عَشْوَاءَ
168:3	62: 7	رَمَاهُ بِثَالِثَةِ الْأَثَافِي
169:3	73:5	رَمَاهُ بِالذَّرْبَيْنِ
171:3	61:3	رَمَاهُ اللَّهُ بِأَفْعَى حَارِيَةٍ
173:3	61:3	رَمَاهُ اللَّهُ بِدَاءِ الذَّيْبِ
183:3	60:3	رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلَّتْ
183:3	71:3	رَهْبُونَتِي خَيْرٌ مِنْ رَحْمَوَتِي
179:3	68:3	رُوغِي جَعَارُ
179:3	71:3	رَوْ تَحْزَمُ، فَإِذَا اسْتَوْصَحْتَ فَاعْزَمُ
	73:3	رُوَيْدُ الشَّعْرِ يَغِيبُ
179:3	67:3	رُوَيْدُ الْعَزْوِ يَنْمَرُقُ
181:3	68:3	رُوَيْدٌ يَعْدُو أَنْ الْجَدُّ
181:3		سَوْءُ الْأَسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصَّرْعَةِ
182:3		سَوْءُ الْاِكْتِسَابِ، يَمْنَعُ الْاِكْتِسَابَ

الزَّاي

الشَّيْن	137:3	زَاحِمٌ يَعُودُ أَوْ دَعُ
	137:3	زَبَبْتُ وَأَنْتَ حِصْرُمُ
235:3	149:3	زَدَهُمْ عَنَزًا
240:3	148:3	زُرْغِيَا، تَزْدُدُ حُبًا
242:3	138:3	زَعَمُوا مَطِيَّةَ الْكَذِبِ
239:3	143:3	زَنْدَانٌ فِي وَعَاءٍ (أَوْ كَزَنْدَيْنِ...)
240:3	146:3	زَوْجٌ مِنْ عَوْدٍ، خَيْرٌ مِنْ قَعُودٍ
213:3	149:3	زِيَادَةُ الْأَمَلِ، تَقْتَضِي نَقْصَانَ الْعَمَلِ
240:3	150:3	زَيْنٌ فِي عَيْنٍ وَالِدٌ وَلَدُهُ
216:3		شَاكُهُ أَبَا فُلَانٍ
		شَالَتْ نِعَامَتُهُ
		شَاهَدْتُ التَّوَجُّهَ
		شَاهِدُ الْبُغْضِ اللَّحْظُ
		شَاوَرُهُنَّ وَخَالَفُوهُنَّ
		شَبَّ عَمَرٌ وَعَنِ الطَّوْقِ
		شَبَّ شَوْبًا لَكَ رُوبَتُهُ
		شَبَّيْتُ تَوُوبَ الْحَلْبَةِ

253:3	صَفِيرَتُ وَطَابُهُ	217:3	الشُّجَاعُ مُوقَى، وَالْجَبَانُ مُلْقَى
254:3	صَلَامُ رَأْيِ التَّسَاءِ فَسَادُ، وَنَفَاقُهُ كَسَادُ	219:3	شَحْمَةُ الرُّكْبَى
		218:3	شَحْمَتِي فِي قَلْعِي
	الْعَيْن	218:3	شَحِيمَةٌ فِي حَلْقِي
		225:3	شَرَّابٌ بِأَمْقَعٍ (أَوْ بِأَنْقَعٍ)
190:2	عَبْدٌ وَخَلَى فِي يَدَيْهِ	228:3	الشَّرُّ أَلْجَأَهُ إِلَى مَخِّ الْعَرَاقِيْبِ
243:2	عَرَضَ عَلَيْكَ خَصْلَتِي الشَّعْلَبِ	229:3	شَرُّ أَهْرَ ذَا نَابِ
325:1	عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى	227:3	شَرُّ الرَّأْيِ الدَّبْرِيُّ
77:1	الْعِيَالُ، سَوْسُ الْمَالِ	227:3	شَرُّ الرِّعَاءِ الْحَطْمَةُ
81:1	عَيْشٌ لَا يَطِيرُ غَرَابُهُ	228:3	شَرُّ السَّيْرِ الْقَحْقَحَةُ
		228:3	شَرٌّ مَا أَجَاعَكَ إِلَى مَخَّةِ عُرُقُوبِ
	الفاء	229:3	شَرُّ الْمَالِ مَا لَا يَرْكَبُ وَلَا يَذْكَبُ
		229:3	شَرُّ يَوْمِيهَا وَأَغْوَاهُ لَهَا
57:3	فَتَى وَلَا كَمَالِكِرِ	230:3	الشَّرْطُ أَمْلَكَ، عَلَيْكَ أَوْ لَكَ
		231:3	شَرَعَكَ مَا بَلَغَكَ الْمَحَلَّ
	القاف	231:3	شَرَفٌ مَا بَيْنَ الْقَوْمِ بِيَشَرٍ
		242:3	الشَّعْرُ أَحَدُ الْوَجْهِينِ
132:2	قَطَعْتَ جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبِ	232:3	شَغَلْتَ شِعَابِي جَدَّ وَآيِ
212:2	الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ	233:3	شَغَلَهُمُ الصَّفَقُ بِالْأَسْوَفِ
		235:3	شَقَّ الْعَصَا
	الكاف	235:3	شَكَاَ إِلَيَّ غَيْرُ مُصَمَّتٍ
		236:3	الشَّمَانَةُ لَوْهٌ
151:3	كُلُّ فِتَاةٍ بِأَبْيَهِهَا مُعْجَبَةٌ	237:3	شَنْشَنِةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ
77:3	كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ	241:3	شَوَى حَتَّى لِيَا نَضَجَ رَمْدٌ
		242:3	شَوَى فِي الْحَرِيقِ سَمَكْتَهُ
	اللام	241:3	شَيْئًا مَا يَطْلُبُ السَّوْطُ إِلَى الشَّقَرَاءِ
			الصاد
52:2	لَا تَعْدِمُ الْحَسَاءُ ذِمَّتًا		صَابَتْ بِقَرٍّ
21:3	لَاذْهَبْنَ فَلِمَا هَلَكَ، وَإِمَا مَلِكُ	256:3	صَاحِبُ الدَّابَّةِ أَوْلَى بِمُقَدِّمِهَا
35:3	لَأَرْبِنَنَّكَ لَمَحًا بِأَصْبَرٍ	248:3	صَاحِبُ السُّلْطَانِ كِرَاكِبُ الْأَسَدِ، يَهَابُهُ
	لَأَنَّ يَهْدِي اللَّهَ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ		النَّاسُ وَهُوَ لَمَرْكُوبِهِ أَهْيَبُ
102:1	مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ	249:3	صَادَقَ بَطْنُهُ بَطْنَ تَرْبَةِ
212:2	اللَّبَنُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ	248:3	الصَّارِمُ يَنْبُو
129:2	لِتَحْلُبَنَّهَا مَصْرًا	253:3	صِدْقَكَ يُنْبِي عَنْكَ لَا الْوَعِيدُ
52:2	لِكُلِّ جَوَادٍ كِبْوَةٌ	251:3	صِدْقَنِي سَنُ بَكَرِهِ
		250:3	صِرْحٌ حُجَيْرٌ
	الميم	250:3	صِرْحُ الْحَقِّ عَنْ مَخْضِهِ
340:3	مَالُهُ شَوْبٌ وَلَا رُوبٌ	250:3	صِرْحُ الْحَقِّينِ عَنْ مَخْضِهِ
240:2	مَايَوْمُ حَلِيمَةٍ بَيْسَرٍ		صِرْفَانِيَّةٌ رُبْعِيَّةٌ، تَصْرُمُ بِالصَّيْفِ
76:1	مَا رَبٌّ لَا حِفَاوَةٌ	252:3	وَتَوَكَّلُ بِالشَّيْئَةِ

فهرس الأمثال النثرية العامية

الفاء	الألف
158:3 في دار البقر تصيب اللبن	329:1 اترك الحب، تحب
القاف	إذا أراد الله إهلاك النملة جعل لها
قال الذئب : لا آمنك يا قرع ولو	أجنحة تطير بها
112:2 كنت في الماء	143:1 اسأل السائل عن طيب اللبن
202:1 قطره إلى قطرة فيسيل النهر	184:3 استند المريض إلى المريض
61:3 قولي لها قبل أن تقول لك	13:3 إمش بالنعليين حتى تجد
11:3 قياس البيض على البادنجان	202:1 السباط
الكاف	الغيم
151:3 كل خنفس عند أمه غزال	جاء يعينه في قبر أمه فهرب له
73:1 كما تشتري تبيع	68:2 بالفاس
اللام	جزاؤه على حماره
لا هم إلا هم الدين، ولا وجع	الحاء
205:2 إلا وجع العين	الحر لا يكون إلا رجلا، والعبد لا يكون
202:1 لا يجيء دفعة واحدة إلا الموت	146:1 إلا عبدا
الميم	حل عبستك، ما أردت خبزك
217:3 متى طلب الرجل الموت لم يجد قاتلا	151:2 الحمار حماري أونا أركب من وراء
78:1 من أكله السبع خير ممن أكله الذيب	الخاء
213:1 من ذا يقدر أن يقول للأسد فوك أبخر	225:2 خالف تعرف
من رأى الجمال الأبيض ظنّه كله	الراء
7:3 شحما	الراحة تنزل شيئا فشيئا
43:3 من عجل أبطأ	202:1 رب حيلة، أنفع من قبيلة
220:1 من لم يكن ذئبا أكلته الذئاب	73:3 السين
202:1 المهل يبلع	184:3 سخر البخيل يدبر عليك
الياء	الشين
يبرا الجرح السوء، ولا يبرا	الشتاء على قرني، والعطش
178:1 الكلام السوء	111:2 قتلني
204:2 ينسى الرأس، ولا ينسى الكراس	الطاء
	الطرية للهاثي، والقسيّة
	لأخواتي

فهرس القوافي

القافية	عدد الآبيات	الشاعر	الجزء والصفحة
---------	----------------	--------	---------------

الألف المقصورة

أبى	5	المتنبى	166:1 - 167
الجنى	2	ابن دريد	174:1
الذرى	1	المتنبى	164:1
الزبى	1	ابن دريد	203:1
الصبا	1	ابن دريد	255:1
الفتى	1	ابن دريد	164:1
تجتلى	1	ابن دريد	178:2
غلا	1	الجعدى	108:1
فامتطى	1	ابن دريد	106:1
فكبا	1	ابن دريد	52:2
نجا	1	ابن دريد	253:1
واحتمى	2	ابن دريد	220:1
وعى	1	ابن دريد	335:1

الهمزة

ء

أحياء	1	سابق البربري	175:1
أدلاء	2	علي بن أبي طالب	264:1
أردوها	2	ابن هرمة	182:1
أشياء	1	ابن هرمة	154:1
أعداء	1	ابن هرمة	147:1
أكفاء	2	المتنبى	217:1
الأقضاء	5	الحسين بن مطير الأسدي	167:1 - 168
الأناء	1	الحطيئة	293:2
البقاء	10	ابن الشبل البغدادي	42:3

164:1	المتنبي	2	الجوزاء'
115:2	ابن الرومي	1	الحرباء'
149:1	الحماسي	5	الحسناء'
158:1	الحماسي	2	الحكماء'
150:1	أمية بن أبي الصلت الثقفي	6	الحياة'
174:1	أمية بن أبي الصلت الثقفي	2	الحياة'
180:1	حسن	1	الخفاء'
197:2	زهير	1	الخلا'
154:1	أبو نواس	1	الداء'
151:1	أبو نواس	4	الداء'
310:1	زهير	1	الرشاء'
252:3	ابن الرومي	2	الرقباء'
199:3	ابن الرومي	1	الصفاء'
167:1	القاسم بن حنبل	3	العماء'
158:1	إسحاق بن سويد العدوي	4	الماء'
160:1	الحماسي	3	انطواء'
157:1	الحماسي	2	انقضاء'
161:1	البحثري بن المغيرة بن أبي صفرة	3	بلاء'
166:1	المتنبي	2	ثناء'
174:1	زهير	1	جلاء'
264:1	علي بن أبي طالب	1	حواء'
197:2	حسن	1	خلاء'
125:2	زهير	1	داء'
167:1	محرز الضبي	2	رجاء'
27:2	أبو فراس	2	سواء'
233:2	بشار	2	سواء'
160 - 159:1	قيس بن الخطيم الأنصاري	8	عناء'
205:2	قيس بن الخطيم الأنصاري	1	غناء'
196:2	قيس بن الخطيم الأنصاري	1	ماؤه'
174:1	صالح بن جناح	1	ماؤه'
74:1	الحماسي	2	ما تشاء'
18:2	زهير	2	هواء'
175:1	ليبيد	1	والامساء'
55:3	زهير	1	والخلا'
223 و 31:3.106:1	زهير	1	والذكاء'
159:1	زهير	2	والرجاء'
174:1	زهير	2	وسماء'
176:1	الحماسي	1	وماء'

ع

164:1	الحماسي	4	الأسواء
158:1	ذو الرمة	3	الماء
310:1	قيس بن الخطيم	1	رشاءها
233:2	بشار	2	سواء
160:1	قيس بن الخطيم	2	غطاءها
162 - 161:2	اليوسي	8	وإخاء
175:1	ابن الرومي	1	والآباء
198:1	ابن الرومي	2	والبُصراء

ع

60:1	ابن الرومي	1	إثراء
80:2	ابن الرومي	2	أثنائه
159:1	عدي بن الرعاء	2	الأحياء
160:1	اليوسي	6	الاخاء
172:3	عدي بن الرقام	1	الأشياء
165:1	عدي بن الرقام	1	الأعداء
175:1	عبد الله بن عيينة	1	الأعداء
266:2	حبيب	1	الأعداء
175:1	ابن الرومي	1	الأقضاء
166:1	المتنبي	2	البُعداء
172:1	عبد الله بن رواحة الأنصاري	2	الحساء
276:1	الحُصيري	2	الداء
172:1	أبو الأسود الدؤلي	2	الدلاء
212:3	المتنبي	1	الزَّناء
222:1	أبو تمام	1	الضعفاء
166:1	المتنبي	1	الضياء
203:2	ابن دريد	1	العشاء
159:1	عدي بن الرقام	4	الفقراء
166:1	المتنبي	1	القباء
174:1	المتنبي	2	القضاء
172:1	أبو سعيد الخوارزمي	2	الوفاء
159:1	أبو سعيد الخوارزمي	1	بالخُلِيصاء
97:1	أبو سعيد الخوارزمي	1	بالدهماء
155:1	أبو سعيد الخوارزمي	2	بالماء
199:3	أبو سعيد الخوارزمي	2	بصفاء

164 - 163:1	أبو تمام	2	بكائي
194:1	أبو تمام	1	بكائي
156:1	أبو تمام	1	بماء
160:1	أبو تمام	2	بماء
174:1	أبو تمام	1	ثناء
161:1	خالد الكاتب	2	داء
164:1	المتنبي	1	سودائه
163:1	أبو تمام	3	شوساء
165:1	أبو تمام	1	للأصدقاء
157:1	أبو تمام	2	والرائي
172:1	ابن نقطة	2	والسراء
132:1	ابن نقطة	1	واللهاء

الباء

ب'

129:1	ابن نقطة	1	أب'
253:1	ابن نقطة	1	أبواب'
251:1	علي بن الجهم	2	اجتناب'
16:2	الحماسي	2	أجرب'
258:1	الحماسي	1	أحياب'
242:1	بعض بني أسد	3	أحرب'
252:1	بعض بني أسد	1	أدبه'
286:1	الميكالي	4	أديب'
284:1	الميكالي	2	أركب'
250:1	عبد القادر الجليلي	1	أشهب'
280:1	أبو فتيان المصري	6	أصحبوا
288:1	أبو فتيان المصري	2	أعجب'
302:1	كشاجم	3	إغضايبها
301:1	ابن المعتز	1	أقاربته'
241:1	أبو النشاش	4	أقاربته'
299:1	امراة غاب زوجها	6	اللاعبه'
157:2	أبو الوفاء	1	اللاعبه'
220:1	رجل من مذحم	3	الأجنب'
292:1	الحريري	3	الأدب'
302:1	الحريري	2	الأدب'

245:1	بعض الأعراب	1	الأديب'
303 - 302:1	عبد الله بن سليمان بن وهب	4	الأديب'
255:1	عبد الله بن سليمان بن وهب	1	الأغلب'
255:1	عبد الله بن سليمان بن وهب	1	التجارب'
207:1	حميد بن ثور	2	الثعالب'
248:1	راشد بن عبد ربه	1	الثعالب'
288:1	بعض الأعراب	2	الجلباب'
29:2	ابن العفيف	2	الربيب'
326:1	ليلي الأخليلية	3	الركاب'
55:3	أنشده أبو علي البغدادي	1	السحاب'
303:1	النايعة	1	الشباب'
281:1	النايعة	2	الطرب'
232:1	المتنبي	1	العتب'
232:1	المتنبي	1	العراب'
220:1	المتنبي	1	العقرب
271:1	المتنبي	1	العائب'
222:1	أنشده الأصمعي	4	القلب'
66:3	أنشده الأصمعي	1	القلب'
251:1	أنشده الأصمعي	1	القلوب'
259:1	أنشده الأصمعي	1	القلوب'
186:1	ذو الرمة	1	الكرَب'
223:1	أبو تمام	1	الكلب'
180:3	مالك بن أسماء	1	الكلب'
221 و 150 و 54:1	النايعة	1	المهذب'
282:2	محمد بن حسام الدين	2	النجائب'
257:1	محمد بن حسام الدين	1	الهيوب'
145:2	امرؤ القيس	4	الوطاب'
225:1	أبو تمام	4	باب'
257:1	أبو تمام	1	تائب'
298:1	أبو تمام	2	تؤوب'
252:1	أبو تمام	1	تتعب'
234:1	المتنبي	1	تتهيب'
176:2	المتنبي	2	تُحذَب'
277:1	الامام الشافعي	1	تحيه'
303:1	الكميت	1	تخطب'
257:1	الكميت	1	تذهب'
287:1	الكميت	2	ترتيب'
252:1	الكميت	1	تصح'

267 و 256:1	الكميت	5	تُعَاتِبُهُ
246 - 245:1	بشار	3	تُعَاتِبُهُ
85:2	بشار	2	تُعَقِبُ
189:2	اسماعيل بن القاسم	2	تُعِيبُ
277:1	الامام الشافعي	1	تُعِيبُهُ
233:1	المتنبي	11	تُكَذِّبُ
245:1	المتنبي	1	تُكَذِّبُ
264:1	الكميت	1	تُنْصَبُ
256:1	الكميت	1	تَتُوبُ
331:1	ضابطي بن الحارث	1	تَتُوبُ
231 - 230:1	المتنبي	1	تَهَابُ
262 و 257 و 221:1	المتنبي	1+1+1	جَانِبُ
161:1	البحثري بن المغيرة بن أبي صفرة	4	جَانِبُهُ
242:1	قيس بن المغيرة	2	جَانِبُهُ
274:1	حاتم أو عمرو بن الأهثم	2	جَدِيبُ
140:2	حاتم أو عمرو بن الأهثم	1	جُنْدُبُ
226:1	أبو تمام	2	جَنُوبُ
274:1	رجل من عبس	3	جَنِيبُ
84:2	الوزير المهلب	2	حَاجِبُ
243:1	إيأس بن الأرت	1	حَبِيبُ
273:1	أبو فراس	2	حَبِيبُ
120 - 119:2	نُصَيْبُ	8	حَسْبُ
15:3	نصيب	1	حَلُوبُ
108:2	حبيب	1	خَطْبُ
262:1	حبيب	2	خَطُوبُهَا
286:1	حبيب	4	ذَاهِبُ
256:1	حبيب	1	ذَبُ
289 و 156 و 252:1	حبيب	1+1+1	ذَنُوبُ
250:1	حبيب	1	ذَهَبُوا
294:2	مسكين الدارمي	2	رَاغِبُ
245:1	عجوز بدوية	3	رَبِيبُ
167:2	عجوز بدوية	1	رَطِيبُ
242:1	عبد الله بن الدُمَيْنَةُ	1	رَقِيبُ
303:1	الكميت	1	رُكُوبُهَا
246:1	الكميت	2	سَحَابُهَا
281:1	الكميت	2	سَكْنُ
156:1	الكميت	1	شَارِبُهُ
240:1	نهشل الدارسي	2	صَاحِبُهُ

258:1	نهشل الدارسي	1	صاحبة
265:1	أبو الطمحان	4	صاحبة
32:3	عمرو بن ثعلب الشيباني	2	صبيب
275:1	أبو بكر الشيلي	2	صعب
300:1	ابن بسام	3	صعب
202:3	ابن التعاويذي	2	صواب
243:1	فرعان بن الأعراف	9	طالبه
276:1	أبو الوفاء	1	طالبه
285:1	أبو الوفاء	2	طبيب
191 - 289:1	أبو المغاور	48	طبيب
121:2	عدي بن الرقام	3	طبيبها
294:1	عدي بن الرقام	2	عاتب
150:1	عدي بن الرقام	1	عتاب
259:1	عدي بن الرقام	1	عتاب
230:1	المتنبي	2	عتاب
97:1	الناطقة الذبياني	1	عجب
203:3	الناطقة الذبياني	1	عطب
143:1	أبو العتاهية	1	عطبه
120:2	أنشده الأصمعي	5	عقابها
262, 254:1	أنشده الأصمعي	1+1	عواقبه
250:1	أنشده الأصمعي	1	عيوب
253:1	الحماسي	1	غائب
243:1	ابن ميادة	2	غالبه
115:2	ابن ميادة	1	غباغبه
295, 245:1	ابن ميادة	1+1	غضاب
334:1	المتنبي	1	فتصاب
61:1	عبيد بن الأبرص	1	فالذئوب
170:1	كثير	4	فالمسارب
254:1	كثير	1	فيحاسبه
295:2	نصيب الأسدي	7	قارب
202:3	اليوسي	3	قياب
261, 259, 250:1	اليوسي	1+1+1	قريب
244:1	منار بن فرعان	2	كتائبه
226:1	أبو تمام	2	كتب
244:1	أبو تمام	1	كذبوا
275 - 274:1	أبو تمام	4	كذوب
225:1	أبو تمام	4	كوادب
303:1	عبيد بن الأبرص	1	لا يؤوب

303:1	الفضل بن عباس بن عتبة	2	لبيب
268:1	الفضل بن عباس بن عتبة	2	لِعَارِزُ
223:1	أبو تمام	5	اللعب
265:1	ضايء بن الحارث	4	لَغَرِيبُ
221:1	ضابيء بن الحارث	1	لَقَرِيبُ
275:1	المجنون	2	لهيبها
250:1	المجنون	1	ما يغالب
282:1	المجنون	2	مُجْتَنَّبُ
225:1	أبو تمام	1	مُحْتَلَبُ
118:2	أبو تمام	1	مُحْسِبُ
257:1	أبو تمام	1	مَذَاهِبُ
257:1	أبو تمام	1	مذهب
288:1	ابن الرومي	3	مذهب
298 - 297:1	ابن الرومي	2	مُسْتَعْتَبُ
75:2	ابن الرومي	9	مَشْرَبُ
54:1	الحماسي	1	مشروب
224:1	أبو تمام	1	مصائب
52:1	النايعة	1	مطلب
301:1	النايعة	1	مطلوب
301:1	النايعة	1	معاييه
243:1	ابن مفرغ	2	ملعب
267:1	رجل من بني ضبة	3	نتطالب
341:1	رجل من بني ضبة	1	نسيب
257:1	رجل من بني ضبة	1	نَصِيبُ
272:1	المجنون أو ابراهيم بن العباس	3	نصيها
239:1	الأخنس بن شهاب	1	نُضَارِبُ
231:1	المتنبي	1	نُطَالِبُ
301:1	ابراهيم بن هرمة	3	نكوب
277:1	الشريف الرضي	1	نَهَبُ
256:1	الشريف الرضي	1	هبوب
99:1	الشريف الرضي	1	هبوبها
275:1	ذو الرمة	2	هبوبها
225:1	أبو تمام	2	والأداب
170:3	ذو الرمة	1	وأخاطبه
272:1	ذو الرمة	1	وأرغب
253:1	ذو الرمة	1	وأقاربه
175:2	النايعة	2	وأنصب
258:1	النايعة	1	وتطلب

284:1	أبو الحسن الورد	2	وتُنِيبُ
250:1	أبو الحسن الورد	1	والحيائبُ
262:1	محمد بن أبي عيينة	3	والحجابُ
255:1	محمد بن أبي عيينة	1	وراعِبُ
215:1	المتنبي	1	وركابُ
15:(3)، 50:2	علقمة	1	وسليبُ
253:1	علقمة	1	وشرايهُ
261:1	الفرزدق	2	والصنّابُ
259:1	الفرزدق	1	والعتابُ
287:1	الفرزدق	2	والغارِبُ
222:1	أبو تمام	5	وغاريهُ
104 - 103:3	مجنون صوفي	3	وقريبُ
40:2	علقمة	1	وكليبُ
269 و 268:1	علقمة	1	ولا أبُ
148:1	عبد الله بن عَنَمَة الضبي	4	ومرهوبُ
300:1	ابراهيم بن حسان	1	ومناسِبُهُ
281:1	مالك بن المرحل	5	ووحيبُ
53:1	ضابيء بن الحارث	1	ويُصِيبُ
192:(2)، 252:1	ضابيء بن الحارث	1+1	ويُلبِصُ
240:1	الغَطَمَش الضبي	5	ويُنسَبُ
238:1	بعض الفقعيين	3	يُتَقَلَّبُ
301:1	بعض الفقعيين	1	يُتَقَلَّبُ
257:1	بعض الفقعيين	1	يُتَوَّبُ
153:1	عفيف الدين التلمساني	2	يُجبُ
255:1	عفيف الدين التلمساني	1	يُخربُ
249:3	عفيف الدين التلمساني	2	يُركبُ
239:1	قُرَاد بن عَتَّاب	3	يُركبُوا
253:3	امرؤ القيس	3	يُصَابُوا
251:1	امرؤ القيس	1	يُصَعَّبُ
256:3	امرؤ القيس	1	يُصَوَّبُ
278 و 265:1	امرؤ القيس	1+1	يُطَيَّبُ
256:1	امرؤ القيس	1	يُعَاتِبُهُ
226:1	أبو تمام	2	يُعِيبُ
252:1	أبو تمام	1	يُعِيبُ
251:1	أبو تمام	1	يُكذِبُ
282 - 281:1	أبو تمام	3	يُنْجَابُ

ب

252:1	أبو تمام	1	أَحْيَهُ
15:3	أبو تمام	2	أَرْنَبَا
256:1	أبو تمام	1	أَصَابَا
302:1	أبو تمام	3	أَعَابَا
25:1	جرير	1	أَغْضَبَا
266:1	بعض بني نمير	4	التَّهَابَا
86:2	أبو بكر الخوازمي	4	التَّجْرِبَةُ
240:1	الحكم بن عبدك الاسدي	8	الطَّلَبَا
230:1	ابن أبي عيينة	3	الغَضَابَا
239:1	ربيعة بن مقروم الضبي	5	الغَلَابَا
250:1	ربيعة بن مقروم الضبي	1	الغَلَابَا
292:1	الحريري	5	المرتَبَةُ
286:1	الحريري	3	المَعْذَبَا
222 - 221:3	عبد الله بن الزبير الاسدي	3	المَهْلَبَا
230:1	المتنبي	1	مَاتَبَا
218:1	حبيب	1	تَغَيَّبَا
237:1	سعد بن ناشب	3	جَالِبَا
238:1	سعد بن ناشب	2	جَانِبَا
152:3	سعد بن ناشب	2	جَدُّبَا
300:1	سعد بن ناشب	1	ذَاهِبُهُ
288:1	الحماسي	1	ذَهَبَا
241:1	أم ثواب الهزائنية	3	زَغَبَا
125:1	أبو تمام	2	سَبَاسِيَا
223:1	أبو تمام	6	سَبَاسِيَا
256:1	أبو تمام	1	شَاتِبَا
27:2	ابن الدماميني	2	شَرَابَا
223:1	أبو تمام	1	شِيْبَا
228:(3)202:(2)301:1	أبو تمام	1+1+1	صَعْبَا
232:1	بعض الأعراب	2	عَجَبَا
186 و 105:2	بعض الأعراب	1+1	عَقْرَبَا
302 و 128 و 127:1	صالح بن عبد القدوس	2	عَيْنَبَا
253:1	صالح بن عبد القدوس	1	غَائِبَا
27:2	اليوسي	4	غَائِبَا
149:(3), 251:1	اليوسي	1+1	غَيْبَا
293 - 292:1	الحريري	5	غَرِبَهُ
252:1	الحريري	1	غَرِيبَا

231:1	المتنبى	1	غَلَبَا
232:1	المتنبى	1	غَلَبَا
159:3	المتنبى	1	فَسَبَّ
266:1	الغنوى	1	فيعجبَا
217:1	الغنوى	2	قَتَبَا
163, 253:1	الغنوى	1+1	قريبَا
221:2	الغنوى	2	قَصَبَهْ
280:1	ابن المعتز	2	قَلَبَا
266:1	جرير	1	كَلَبَا
266:1	جرير بن الخطافى	2	كَلَبَا
236:1	المتنبى	1	كَلَبَهْ
230 - 229:1	المتنبى	11	لَبَا
283:1	عبد الجليل المرسى	3	محرِبَا
232:1	المتنبى	4	مصاقِبَا
301:1	ابن الرومي	1	مُهَذَّبَا
285:1	ابن الرومي	2	نَهَبَا
295:1	أبو حمو الملك الزياتى	4	هَبَا
254:1	أبو حمو الملك الزياتى	1	والكذبَا
236:1	أنشده الأصمعي	3	وطنَبَا
286:1	أبو محمد المصري	2	ومرحَبَا
216:1	الأعشى	2	ومُسْحَبَا
192:1	الأعشى	1	وندوبَا
69:3	امرؤ القيس	1	يَشْجُبَا
276:1	أبو علي الفارسي	3	يُعَابَا

بـ

278:1	صُرْدَرَّ	2	احتجابه
225:1	أبو تمام	5	أديب
302:1	أبو تمام	1	أربابها
23:3	القاضي الفاضل	3	أربى
303:1	القاضي الفاضل	1	أركب
226:1	أبو تمام	1	أطايبيه
216:1	أبو تمام	1	اغتراب
300:1	التنيسي	1	اقتراب
221, 50:1	لبيد	1	الأجرب
309, 267:1	عنقرة	1	الأجرب
255:1	عنقرة	1	الأحاب

226 - 225:1	أبو تمام	2	الأحساب
37:3	حبیب	2	الأدب
37:3	حبیب	2	الأسباب
341:1	حبیب	1	الایاب
300:1	حبیب	1	التجارب
285 - 284:1	كشاجم	2	الجنب
238:1	موسى بن جابر	3	الحاجب
306:1	الحماسي	3	الحائب
254:1	الحماسي	1	الحُب
276:1	عبد الله بن سعد الموصلي	3	الحبيب
292 - 291:1	جميل بن معمر العذري	2	الحبيب
177:2	الأعرابي	1	الحبيب
283:1	نجم الدين بن بطريق	2	الحرب
259:1	نجم الدين بن بطريق	1	الحساب
263:1	نجم الدين بن بطريق	2	الحسب
351:1	نجم الدين بن بطريق	1	العطب
287:1	نجم الدين بن بطريق	5	الحقب
260:1	نجم الدين بن بطريق	1	الحلاب
259:1	نجم الدين بن بطريق	1	الطيب
242:1	قيس بن ذريح	1	الخطب
288:1	القاضي الفاضل	2	الخطوب
197:2	أوس بن حجر	1	الذاهب
56:2	امرؤ القيس	1	الذئاب
297:1	أحد الطفيليين	6	الذباب
251:1	أحد الطفيليين	1	الذئوب
265:1	السلامي	1	الذئوب
233:1	المتنبي	5	الرعابيب
304:1	السري الموصلي	1	الرقاب
241:1	حاتم	3	الركائب
350:1	ابن الساعاتي	2	السحب
228:1	أبو تمام	1	السلب
228:1	أنشده الخليفة المعتصم	1	السلب
153:3	أنشده الخليفة المعتصم	2	الشراب
156:1	أنشده الخليفة المعتصم	1	الشروب
288:1	أنشده الخليفة المعتصم	3	الشغب
89(2)301, 165:1	أبو تمام	2	الصحاب
256:1	أبو تمام	1	الطالب
255:1	أبو تمام	1	الطيب

254:1	أبو تمام	1	الطَّلَب
251:3	معد يكرِب	1	الظُّرَاب
67: (2)، 128:1	سلامة بن جندب	1	الظَّنَّابِيب
253، 251:1	سلامة بن جندب	1+1	العَجَب
253:1	سلامة بن جندب	1	العُطَب
257:1	سلامة بن جندب	1	العقرب
231:1	المتنبّي	10	العِنَب
257:1	المتنبّي	1	العواقب
221:1	المتنبّي	1	العيوب
304:1	المتنبّي	1	الغرائب
259:1	المتنبّي	1	الغضب
254:1	المتنبّي	1	القرائب
254:1	المتنبّي	1	القُرْب
41:2	عاجية بن حاتم	2	القريب
303، 255:1	عاجية بن حاتم	1+1	القلب
259، 253:1	عاجية بن حاتم	1+1	القلوب
48:2	عاجية بن حاتم	1	القلوب
239:3	زهير	1	القلوب
257:1	زهير	1	الكتاب
226:1	أبو تمام	2	الكاذب
304:1	النابعة	1	الكتائب
224:1	أبو تمام	1	الكتاب
252:1	أبو تمام	1	الكتاب
222:2	أبو تمام	1	الكتاب
127:2	أبو تمام	1	الكرب
226:1	أبو تمام	2	الكرب
260:1	أبو تمام	2	الكرب
254:1	أبو تمام	1	الكروب
220:1	أبو تمام	1	الكلاب
249:1	أعرابي	1	الكلاب
260، 257، 167:1	أعرابي	1+1+1	الكلب
256:1	أعرابي	1	الكواكب
175:2	النابعة	3	الكواكب
294:2	القاضي التنوخي	4	المترهب
260:1	القاضي التنوخي	1	المُجَرَّب
224:1	أبو تمام	2	المُذنب
224:1	أبو تمام	1	المَذْهَب
256:1	أبو تمام	1	المراتب

208:2	ابراهيم بن العباس الصولي	2	المغيب
352:1	ابن عنين	3	المناسب
232:1	المقنبي	3	المناسب
101:1	امرؤ القيس	1	المنقب
263 - 262:1	عامر بن الطفيل	3	المهذب
298:1	عامر بن الطفيل	2	النحيب
254:1	عامر بن الطفيل	1	النوائب
287:1	ابن عمار	2	النوائب
260:1	ابن عمار	1	النؤب
261:1	ابن عمار	2	الهرب
255:1	ابن عمار	1	أنبوب
259:1	ابن عمار	1	باب
227 - 226:1	أبو تمام	19	بالتأويب
171:1	أبو تمام	2	بالحاجب
165:1	أبو تمام	2	بالشراب
294:2	الفرزدق	3	بالعصائب
125:1	أوس بن حجر	1	بالغائب
227:1	أبو تمام	4	بالنشب
286:1	أبو تمام	3	بتعذيبها
216:1	اليوسي	3	بتغرّب
80:2	اليوسي	2	بجانبيه
85:1	المعري	1	بجواب
281 - 280:1	المعري	2	بخطابه
283:1	المعري	2	بذهاب
304:1	أعرابي يهجو بنيّه	3	بسبب
255:1	أعرابي يهجو بنيّه	1	بعتاب
305:1	أعرابي يهجو بنيّه	2	بعديب
252:1	أعرابي يهجو بنيّه	1	بغائب
303:1	أبو الأسود	1	بليبيب
299 - 177:1	أبو الأسود	2+2	بانتهاب
294 - 293:1	طرفة	9	بـ
154:1	الأعشى	1	بها
157:1	الأعشى	1	بها
304:1	ابن المعتز	1	بها
261:1	ابن المعتز	3	بواجب
195:2	علقمة	1	بيثرب
245:1	علقمة	2	تجريب
224:1	أبو تمام	1	تحلب

275:1	أمرؤ القيس	1	تدرب
335:1	أمرؤ القيس	1	تربّي
287:1	أبو محمد بن عبد البر	2	ثوابي
245:1	أبو مسلم الخراساني	1	جانب
103:3	أبو مسلم الخراساني	1	جانب
237 - 236:1	المتنبي	6	جَنَبِه
258:1	المتنبي	1	جواب
275:1	بعض الأعراب	5	حُبّي
281:1	بعض الأعراب	2	حِبّي
303:1	بعض الأعراب	3	حبيب
237:1	المتنبي	3	حربه
351:1	المتنبي	1	حَطْبِه
223:1	أبو تمام	4	خائب
93 - 92:2	أبو تمام	3	خُطَايَها
285:1	ابن الخطيب	2	دَبِيب
255:1	ابن الخطيب	1	ذنب
47:2	ابن الخطيب	4	ذنب
285:1	اب الخطيب	2	ذنيه
294:1	طرفة	2	رُطْبِي
19:2	طرفة	1	رَعَابِيْب
249 و 196:1	طرفة	1+1	سراب
198:3	بعض العذريين	2	شارب
224:1	أبو تمام	1	شُحوب
242:1	إياس بن الأرت	2	شَعْب
21:2	إياس بن الأرت	1	شهاب
254:1	إياس بن الأرت	1	صاحب
287:1	المعتصم العباسي	3	صاحب
271:1	الأحوص	8	صبّ
305:1	الأحوص	2	صَبِي
224:1	أبو تمام	5	صواب
67:3	معاوية بن أبي سفيان	1	طالب
237:1	المتنبي	1	طَبْه
260:1	المعري	3	طُحْلَب
76 - 75:2	المعري	7	طَلَايِي
258:1	المعري	1	عُجَاب
86:2	المعري	1	عجيب
262:1	المعري	2	عَرَبِي
224:2	البحثري	5	عَضْبِه

304:1	محمود	1	عَطِيَّة
70 - 69:1	الناطقة الذبياني	6	عقارب
259 و 254:1	الناطقة الذبياني	1+1	عُيُوبِي
260:1	المعري	3	غَابِه
205:3	المعري	1	غَرَابِهَا
259:1	المعري	1	غَرِيب
254:1	المعري	1	فَارْعَب
350:1	ابن قلاقس	3	فَاعْتَرَب
303:1	النمر بن تولب	1	فَاعْضَب
280:1	ابن رثيف	4	قَبَابِه
285:1	ابن الخطيب	3	قَبَابِي
259:1	ابن الخطيب	1	قَرِيب
252:1	ابن الخطيب	1	قَلْبِي
305:1	سحيم الفقعسي	2	قَلْبِي
103:3	سحيم الفقعسي	2	قَلْبِي
143:3	الحماسي	1	كَالْغَائِب
305:1	اليوسي	2	كَرَب
250:1	اليوسي	1	لِلْحَطَب
180:3	اليوسي	1	لِلْخَرَاب
238:1	القتال الكلابي	1	لِلسَّيَاب
278:1	صُرْدُر	4	مَابِه
283:1، (2): 9	مالك بن المرحل	2	مَذْهَبِي
242:1	خالد بن نضلة الأسدي	4	مَرْكَب
241:3	عنتر	1	مَرْكَبِي
238:1	بعض بني مازن	2	مَطْلَب
278:1 - 279	علي بن الجهم	2	مُعْذَب
222:1	امرؤ القيس	1	مُغْلَب
237:1	المتنبي	1	مَكْسَب
281:1	أبو المظفر	1	مَنْصَبِي
244:2	أبو المظفر	4	مَنْصَبِي
224:1	أبو تمام	1	مُهْذَب
281:1	أبو تمام	3	نَسِيب
224:1	أبو تمام	4	نَصِيب
31:2	ابن الخطيب	3	هُبُوب
282:1	ابن الخطيب	2	وَأَصْحَابِه
227:1	ابن الخطيب	1	وَالْأَدَب
50:2	الصابي	1	وَالْأَدَب
239:1	محمد بن بشير	1	وَالْأَقَارِب

253:1 و 217 و 216:1	1+1+1 محمد بن بشير	والتعب
249:1	1 أبو الغريب	والجُنُب
284:1	2 أبو الفتح البستي	والحرب
261:1	2 جرير	والصَّنَاب
121:2	2 العباس بن الأحنف	والكُرب
222:1	3 أبو تمام	واللَّعِب
255:1	1 أبو تمام	قاللَّعِب
283:1	2 ابن المهدي	وبالْعَتَب
181 و 176:3	1 النابغة	وتعزيب
215:1	1 البحتري	وتغرَّب
254:1	1 البحتري	وتغرَّب
306:1	3 البحتري	وطيب
285:1	2 ابن أبي العافية	وطيبيها
268 - 267:1	5 ضمرة بن ضمرة	وعتايي
76:2	3 ضمرة بن ضمرة	وعذاب
72:2	4 النمر بن تولب	وقريبي
229-288:1	14 المتنبي	وقلوب
133:2	1 ابو نواس	وكاذبها
222:1	1 -	ومغرَّب
241:1	1 الأحوص	ومنكيي
88:1	1 امرؤ القيس	يثرِب
255:1	1 -	يُنْقَب
276:1	2 ابو العرب الصقلي	يشب
108:3	1 الرازي	يعسُوب

ب

305:1	2 ابن المعتز	أَب
306:1	3 اليوسي	أَب
198:1	2 اليوسي	أَرْكَب
302:1	3 اليوسي	الأدب
146:1	4 الأعشى	الذَّرب
153:1	2 الأعشى	الشَّنَب
146:3	2 الأعشى	الصَّوَاب
253:1	1 الأعشى	الغَضَب
306:1	3 أبو الغريب	الغَضَب
277 - 276:1	6 يحيى بن خالد بن برمك	القريب
106:2	1 الفضل بن عباس	الكُرب
293:1	7 طرفة	الكُرب

153:3	أبو علي البصير	6	الْكُرْبُ
15:2	أبو علي البصير	1	اللَّهَبُ
220:1	مسكين الدارمي	1	النَّسَبُ
294:1	طرفة	2	تَكْتَبُ
300:1	التنسي	2	حِجَابُ
256:1	التنسي	1	حَسَبُ
292:1	الحريري	5	قَلْبُ
231:1	المتنبي	3	وَالْغَبَبُ
171:1	ابن المعتز	5	يَجِبُ
251:1	ابن المعتز	1	يَعْيِبُ

التاء

ت

354:1	تميم بن جميل	9	أَتَلَفْتُ
342:1	الفرزدق	1	الْحَبِطَاتُ
333:1	الفرزدق	1	السُّكُوتُ
339:1	الفرزدق	1	المَوْتُ
332:1	الفرزدق	1	أَمْوَاتُ
345:1	سنان بن فحل الطائي	5	انْتَشَيْتُ
346:1	سنان بن فحل الطائي	5	أُنَعْتُ
356:1	اليوسي	4	بَابَتُهُ
266:2	اليوسي	3	بَاهَتُ
341:1	اليوسي	2	بَلَيْتُ
59:2	اليوسي	1	بَيْتُ
355:1	اليوسي	2	تَثَبْتُ
339:1	اليوسي	1	تَكْفَتُهُ
343 - 342:1	بعض الأعراب	5	دَرَيْتُ
334:1	الحريري	2	رَوَيْتُ
331:1	الحريري	1	سَيْفُوتُ
345:1	تأبط شراً	2	شَخِيتُ
342:1	تأبط شراً	2	صَمْتُ
331:1	تأبط شراً	1	عَيَّيْتُ
336:1	محمود الوراق	3	قَوْتُ
199:2	طرفة	3	لَقَيْتُ
342:1	طرفة	3	مَيْتُ
332:1	طرفة	1	هَاتُوا
337 - 336:1	محمود الوراق	7	واعتديتُ

333:1	المعري	5	وممات'
343:1	الحريري	1	ياقوت'
332:1	الحريري	2	يموت'
357:1	الحماسي	1	يموت'

ت

332:1	الحماسي	1	الأقواتا
216:3	رؤبة	1	السختيتا
333:1	المعري	3	القوتا
341:1	ابن زهر الاشبيلي	5	رأتا
334:1	الحريري	14	سبروتا
332:1	الحريري	1	سكوتا
341:1	الحريري	2	متى
341:1	الحريري	3	نبتا

ت

347:1	أعرابي من بلحارث	2	أبات
16:2	أعرابي من بلحارث	1	أبة
332:1	أعرابي من بلحارث	1	أبت
354:1	أعرابي من بلحارث	3	أجنت
144:2	جحل بن نضلة الباهلي	2	أجنت
338 - 337:1	كثير	11	استحطت
339:1	الامام المقدسي	11	استحطت
338:1	فتى قرشي	2	استقلت
348:1	فتى قرشي	2	أظلت
332:1	فتى قرشي	1	الأحية
333:1	القاضي التنوخي	2	البشاشات
331:1	القاضي التنوخي	1	البنات
330:1	القاضي التنوخي	2	الحماقات
249 : (3)، 40:2	امرؤ القيس	1	الخبرات
344:1	أمامة العامرية	2	الدبرات
8:3	فتى قرشي	1	السبرات
353:1	دعبل الخزاعي	3	الشفة
354:1	ابن رشيق	4	الصموت
331:1	امرؤ القيس	1	المروعات
267:2	الامام الشافعي	2	المروعات
24:2	أبو الحسن الأنباري	1	المعجزات
224:2	أبو الحسن الأنباري	2	المنيات

356:1	أبو الحسن الأنباري	1	أمواتي
236:3	الراجز	1	أومت
29:3	الراجز	1	بالترهات
222:2	الراجز	2	بالغداة
343:1	الراجز	2	بالياقوت
347:1	دعبل الخزاعي	3	بَهت
335:1	دعبل الخزاعي	2	تَتَقَلَّتْ
197:2	دعبل الخزاعي	1	تَجَلَّتْ
332:1	المعري	4	تحتها
338:1	المعري	1	تَغَنَّتْ
334:1	عثمان بن عفان	3	جَلَّتْ
357:1	الوزير أبو عامر بن يَنْف	4	حَبَرَاتِهَا
355:1	الوزير أبو عامر بن يَنْف	7	حسنا
233:3	خوأت بن جبير الأنصاري	4	خَلَجَات
198:2	خوأت بن جبير الأنصاري	2	خَلَّتِي
331:1	كثير	2	ذَلَّتْ
329:1	بعض شعراء البصرة	2	ذَمَّتْهُ
340:1	سليمان العدوي أو الخزاعي	1	زَلَّتْ
205:2	سليمان العدوي أو الخزاعي	1	زَلَّتْ
342:1	سليمان العدوي أو الخزاعي	2	سَبَّتْ
346:1	سليمان العدوي أو الخزاعي	2	سُرَّتْهُ
273:1	سليمان العدوي أو الخزاعي	2	سَعَتْ
201:1	ابن سريج	3	سَنَاتِهِ
332:1	المتنبي	1	سُوِّدَاوَاتِهَا
351:1	ابن سناء الملك	5	شَبِيبَتِهِ
346:1	ابن سناء الملك	1	شَجَرَات
333:1	ابن سناء الملك	3	صَمَّتْهَا
114:2	امرؤ القيس	1	عَبْرَاتِي
158:3	مطروود بن كعب الخزاعي	1	غَزَات
331:1	عمر بن معديكرب	1	فَاسْتَقَرَّتْ
331:1	عمر بن معديكرب	2	فَاسْتَقَلَّتْ
331:1	سيار بن قصير الطائي	1	فَاطَمَانَّتْ
148:3	بنت عانسة	2	فَحَنَّتْ
347:1	الحماسي	8	فَشَلَّتْ
348:1	أبو الفرج بن هند	2	فَلَات
344:1	الوزير ياقوت	1	كَالْعَنْكَبُوتِ
210:2	الوزير ياقوت	1	كَرَّتْ
348:1	ابن الفارض	9	لِرُؤْيِي

339:1	ابن الفارض	2	لَضَنَّتْ
328:1	ابن الفارض	1	لَعَلَّتْ
344:1	اعرابي استوزر	2	للعنكبوت
353:1	اعرابي استوزر	2	للولايات
122:1	اعرابي استوزر	1	لنُكْرَتِه
15:2	الحماسية	1	مُصْطَبِرَاتِ
175:2	امرؤ القيس	2	مُعْتَكِرَاتِ
297:1	امرؤ القيس	1	موت
345:1	المامون العباسي	2	هَيْئَتِه
337:1	طفيل الغنوي	3	وَزَلَّتْ
353:1	البحثري	4	وعداتي
343:1	البحثري	4	والجبروت
344:1	جَحْدَر	2	وَشَمَّتْ
352:1	جَحْدَر	2	وَلَّتْ
325:1	الحماسي	3	وَلَّتْ

ت

144:2	الحماسي	1	الغَلَصَمَتْ
238 : (2)، 352:1	الحماسي	2	المكر مات
237:1	الحماسي	2	الممات
225:3	الحماسي	1	تَوَلَّتْ
61:2	الراجز	3	فَرَّتْهَا
21:2	الراجز	1	حديث
35:2	ابن شرف	2	حديث
33:2	ابن العربي	2	عَابَتْ
24:2	ابن نباتة	2	عَبَتْ
22:2	أبو دلامة	1	مباحث
22:2	الصفدي	2	ميراث
25:2	ابن خفاجة	3	وتُدْمَتْ
32:2	ابن جابر	2	يتحدَّثْ

ث

23:2	ابن الحداد	2	حَدَّثَا
21 : (2)، 152:1	ابن الحداد	1+1	حديثا
26:2	الحموي	2	حديثا
26:2	أبو النصر بن عبد الجبار	2	رثائا

21:2

6 ابن الرومي

وعثا

ث

35:2

2 البستي

الاجداث

35:2

2 البستي

البراغيث

34 - 33:2

18 اليوسي

نقته

ث

81:1

2 بشار

الخبيث

الجيـم

ج

70:2

4 صالح بن جناح

أحوج

94:2

4 اليوسي

اللحن

69:2

1 اليوسي

اللهم

84:2

2 ابراهيم بن العباس الصولي

المخرج

84:2

2 ابراهيم بن العباس الصولي

انفراج

73:2

3 ابن فارس اللغوي

حاج

92:2

1 ابن فارس اللغوي

حرج

72:2

3 ابن فارس اللغوي

خروج

93:2

2 اليوسي

ضجاج

72:2

3 الحارث اليشكري

عالم

77:2

1 الحارث اليشكري

فأعيج

77:2

2 أحمد المقرئ الفاسي

محتاج

85:2

1 أبو فراس

مخرج

80:2

2 أبو فراس

مزعج

69:2

2 أبو فراس

منسج

72 - 71:2

3 أم الضحاك الحارثية

منضج

69:2

1 أم الضحاك الحارثية

وتبج

74:2

5 الحريري

ويروج

80:2

4 الحريري

ويموج

68:2

1 أبو تمام

يموج

ج

69:2	أبو تمام	3	أَبْلَجَا
68:2	أبو تمام	4	أَحْجَا
79:2	أبو الفرج جعفر اليماني	2	الوجَا
68:2	عبد الله بن الزبير الأسدي	2	الودَجَا
74:2	عبد الله بن الزبير الأسدي	3	أَمْوَجَا
305:2	ابن الوكيل	2	أَوْجَهْ
88:2	الغزي	2	حِجَا
92:2	عمر بن أبي ربيعة	8	حِجَجَا
69:2	عمر بن أبي ربيعة	1	حَجَا
156:3	ورقة	1	خُرُوجَا
68:2	محمد بن بشير	5	فَلَجَا
74 - 73:2	الحريري	15	واحدَجَا
69:2	الحريري	1	ولَجَا

ج

41:3	الحريري	1	ابن' الحَشْرَج
90:2	الحريري	2	أَرْج
81:2	ابن رشيق	4	الأمَواج
91:2	الراعي	6	الحاج
79:2	الراعي	2	الديباج
77:2	الراعي	2	العاج
69:2	الراعي	1+1	الفرج
70:2	أبو الفضل يوسف بن النحوي	2	الهرج
69:2	أبو الفضل يوسف بن النحوي	1	بالفرج
81:2	البستي	2	بمنهاجي
91:2	ابن الفارض	1	تَهْج
71:2	جارية عربية	3	حَاَج
69:2	جارية عربية	1	رَاَج
65:1	حسان	1	سَلَجَج
309:1	حسان	1	عَرْقَج
81:2	ابن الخطيب	2	عِلَاجِهَا
94:2	اليوسي	3	مُعَالِج
92 - 91:2	اليوسي	4	هُودَج
83:2	اليوسي	2	وتَغْنَج
14:3	عبد الرحمان بن حسان بن ثابت	3	وداج

ج

73:2	الحريري	3	الفرج
274:1	الحريري	2	بالحجج

الحاء

ح

341:1	الحيص بيص	1	أبطح
158:2	الحيص بيص	2	أبطح
153:2	المتندي	1	المدائح
177:2	القاضي الفاضل	2	الشرم
158 - 157:2	سعد بن قيس	3	الصراح
160:2	ابن المعتز	1	الطوامح
227:2	ابن المعتز	2	تبرح
161:2	ابن المعتز	3	تبريح
72:2	ابن المعتز	1	تذبح
159:2	ابن المعتز	2	تذبح
155:2	ابن المعتز	1	تسامح
173:2	اليوسي	4	جناح
180:2	اليوسي	2	جناح
155:2	اليوسي	1	رائح
158:2	أحد بني الحارث بن كعب	1	رائح
164:2	شهاب الدين الخفاجي	2	راجح
155:2	شهاب الدين الخفاجي	1	شحيح
169 - 168:2	قيس بن ذريح	2	صافح
182:2	ابن دريد	1	صالح
162:2	ابن الرقاق	2	صباح
156:2	معن بن أوس	2	صوالح
64:3	الحماسي	1	فاستراحوا
159:2	الحماسي	6	فاضح
166:2	عوف بن محلم	10	فتريح
156 - 155:2	عوف بن محلم	1+1	قبيح
164 - 163:2	عبد المحسن الصوري	5	قرح
179:1	سعد بن مالك	1	لا يراح
74:2	بشار	3	لا يتوضح
160:2	أشجع السلمي	5	مادح
144:2	الراعي	1	متيح

121:1	نَضْلَةُ السلمي	5	مُشِيحٌ
162:2	الحسن بن هانئ	2	مُصباحٌ
178:1	الحسن بن هانئ	2	مُفتوحٌ
156:2	الحسن بن هانئ	1	ناصرٌ
173:2	أبو عيسى بن لبون	3	وارتياحٌ
174:2	أبو عيسى بن لبون	4	والراحٌ
172:2	أبو بكر بن عمار	2	وأوضحٌ
156:2	أبو بكر بن عمار	1	وتروحٌ
298:2	الاعرابي	1	وتصووحٌ
172، 156:2	الاعرابي	+1	وتمدحٌ
180:2	فخر الدين التكريتي	6	وصدوحٌ
9:2	فخر الدين التكريتي	2	وصفائحٌ
78:1	العجير السلولي	3	ولقحٌ
154:2	المتنبي	1	يَبُومٌ
239:(3)، 48:2	المتنبي	1+1	يَبُومٌ
156:2	المتنبي	1	يَرِيحٌ
154:2	المتنبي	1	يَصْلحٌ
172:2	المتنبي	1	يُفَصِّحٌ
155:2	المتنبي	1	يُمَدحٌ

ح

171:2	المتنبي	2	المَلاحَة
229:3	المتنبي	1	النُّباحا
173:2	أبو عيسى بن لبون	2	التباريحا
91:2	أبو عيسى بن لبون	2	تَلاحى
159:2	مالك بن أسماء	4	جُناحا
174:2	مالك بن أسماء	2	راحا
138:2	ابن هرمة	2	شَحاا
151:2	مالك بن أسماء	2	شَحاا
154:2	المعري	5	صَحِيحا
229:2	المعمار	2	ضُحاها
178:2	ابن زيدون	1	فالْبَطْحا
172:2	ابن الفارض	2	فَسِيحا
182:2	ابن الفارض	5	قَدْحا
78:2	ابن الفارض	2	لاحا
163:2	ابن الرومي	1	مارجحا
357:1	ابن النبيه	3	ماصَفَحَتْ

163 - 162 و 81:2	ابن النبيه	3	مِرَاحَةُ
171:2	ابن عبد المنان	2	مِرَاحًا
79:2	ابن الخطيب	2	مَصْبَاحًا
162:2	ابن الخياط	2	مَصْبَاحًا
163:2	مهيار	3	نَزْحًا
157:2	مهيار	2	نَصِيحًا
215:2	مهيار	1	وَامَّحَى
69:3	مهيار	2	وَاضِحَةً

حـ

168:2	المجنون	2	الْأَيَّاطِمْ
163:2	أبو اسحاق بن الحاج	2	الْأَوْضَحْ
183:2	اليوسفي	5	الْبَرَّاحِ
158:2	أحد بني يشكر	4	الْبِطَاطِمْ
89:1	سُوَيْد بن صامت	1	الجَوَائِمْ
162:2	ادريس بن اليماني	2	الرَّاحِ
155:2	ادريس بن اليماني	1	الرَّيِّحِ
152: (2)، 45:1	عمرو بن الاطنابة	4	الرَّيِّحِ
170:1	عمرو بن الاطنابة	2	الرَّيَّاحِ
162:2	عمرو بن الاطنابة	3	الرياح
243:2	عمرو بن الاطنابة	1	الرياح
206:3	نَضْلُهُ	1	السَّلَاحِ
156:2	نَضْلُهُ	1	الصَّالِحِ
162:2	ابن المعتز	2	الصَّبَّاحِ
163:2	سيف الدولة	2	الصَّرِيحِ
154:2	المتنبي	1	الفلاح
206:3	جساس	1	الْقَرَّاحِ
58:3	الراجز	1	القُمْمِ
152:2	ابن هرمة	2	المَادِحِ
182:2	ابن هرمة	2	المَدِيحِ
78:2	ابن هرمة	2	المِزَاحِ
171:2	أبو الفتخ البستي	2	المَزْحِ
180:2	ابن الزيات	4	المِلَاحِ
154:2	ابن الزيات	1	النَّجَاحِ
181 - 180:2	مؤيد الدين الموصلبي	7	النُّصْمِ
41:3	مؤيد الدين الموصلبي	1	الواضح
173:2	اليوسفي	3	الوضَّاحِ
30:2	اليوسفي	2	الوضَّاحِ

140:3	جرير	5	امتياح
338:1	جميل	1	بالقوادح
179:1	الراجز	1	براح
160:2	مجد الدين الاربلي	2	يقرحه
142:2	جرير	1	بمستباح
219:3	جرير	1	جمّاح
161:2	جرير	2	جوانحي
139:3	جرير	1	راح
151:2	عروة بن الورد	4	رّاح
181:2	ابن الساعاتي	2	رواح
151:2	ابن الساعاتي	2	سلاح
154:2	ابن الساعاتي	1	صباح
181:2	ابن ميادة	2	صباح
154:2	المتنبي	2	صراح
182:2	ابن نباتة السعدي	2	صلاح
157: (2)، 51:1	فاطمة بنت الأحجم الخزاعية	5	ضاح
173:2	أبو محمد بن عبدون	6	فصاح
169:1	عبيد بن الأبرص	7	لمّاح
169:2	ابن الدمينّة	4	مُييح
162:2	الحسن بن هانئ	2	مجروح
174 - 173:2	بعض الصوفية	4	والأرواح
165:2	الحريري	10	والرفاح
153 - 152:2	جميل بن معمر	6	والصلاح
160:2	أبو بكر بن النطاح	2	وقاح
181:2	أبو بكر بن النطاح	3	يجنّح

ح

179:2	ابن حمديس الصقلي	2	اقتراح
181:2	ابن حمديس الصقلي	2	الجنّاح
161:2	القاضي عياض	2	الرياح
166:2	الحريري	10	السّماح
171:2	الحريري	2	الصّبّاح
179:2	ابن حمديس الصقلي	2	الصّبّاح
165 - 164:2	الحريري	19	الفرح
156:2	الحريري	1	المُستراح
155:2	الحريري	1	ذبح
182:2	ابن قاضي ميلة	2	راح
163:2	شرف الدين الحموي	9	واسرّح

164:2	شهاب الدين الخفاجي	2	والنجاح
164:2	ابن الوردي	2	وسبّح

الخاء

خ

234:2	الحريري	4	راسخ
227:2	الحريري	2	صارخ
225:2	الحريري	2	يشيخوا

خ

234:2	اليوسي	3	أخى
225:2	اليوسي	2	نقأخا

خ

234:2	اليوسي	4	ياخ
-------	--------	---	-----

الدال

د

293:2	عروة بن أذينة	2	أبترد
307:2	أعرابي	2	أبترد
309:2	أعرابي	4	أجد
279:2	أعرابي	2	أجده
263:2	أعرابي	1	أحد
200:1	امرؤ القيس	1	أحمد
200:1	المرقش	1	أحمد
308:2	أبوبكر بن عمار	1	أحمد
278:2	عقيل بن علفقة المري	4	أذود
282:2	الحسن بن مطير	2	أذودها
267:2	الحسن بن مطير	2	أرشد
281:2	الحسن بن مطير	3	أسعد
247:2	بعض العرب	2	أعضادها
263:2	بعض العرب	1	أفقده
288:2	حاتم	1	أقود
276:2	حاتم	4	أكتاد
278:2	قيس بن كلثوم	1	الأسد
279:2	شبيب الفزاري	1	الأسود

279:1	شُبَيْلُ الْفَزَارِيِّ	2	الْحَاسِدُ
246:2	شُبَيْلُ الْفَزَارِيِّ	1	الْحَدُّ
104:2	بَكْرُ بْنُ النَّطَاحِ	2	الْحَدِيدُ
248:2	أَبُو تَمَامٍ	1	الْحَسَدُ
261:1	أَبُو تَمَامٍ	1	الْخُدُودُ
252 - 251:2	الْمُتَنْبِي	8	الْخِرَائِدُ
288 و 73:2	الْمُتَنْبِي	1+1	الْخُلْدُ
260:2	الْمُتَنْبِي	1	الدَّوْدُ
257 - 256:2	الْمُتَنْبِي	3	الرَّائِدُ
282:2	شُبَيْبُ بْنُ الْبِرْصَاءِ	1	الرُّبْدُ
218:1	حَبِيبٌ	1	الشَّهْدُ
150:3	حَبِيبٌ	2	الصَّرْدُ
295 - 294:2	الْفَرْزَدَقُ	1	العَبِيدُ
32:3	عَنْقَرَةُ	1	الْفَقُودُ
128:2	الْمُتَنْبِي	1	الْقِرْدُ
246:2	الْمُتَنْبِي	1	الْغَمْدُ
245:2	الْمُتَنْبِي	1	الْكَدُّ
120:1	الرَّاعِي	1	الْلَبْدُ
265 و 262:2	الرَّاعِي	1+1	الْوَاحِدُ
112:3	الرَّاعِي	1	الْوَرُودُ
81:2	الرَّاعِي	2	الْوَلْدُ
166 و 52:1	الْمُتَنْبِي	1	بُدُّ
282:2	الْمُتَنْبِي	2	بِرْدُ
286 - 285:2	جَمِيلٌ	36	بَعِيدُ
309 و 298:2	جَمِيلٌ	2+2	بَعِيدٌ
153 : (3)، 7:2	جَمِيلٌ	2+2	بَعِيدُهَا
215:1	دِيكَ الْجَنِّ	1	بِلَادُ
112:2	دِيكَ الْجَنِّ	1	تَبَرْدُ
278:2	تَأْبِطُ شَرَا	3	تَتَوَدَّدُ
263:2	تَأْبِطُ شَرَا	1	تَجِدُ
255 - 254:2	الْمُتَنْبِي	8	تَرْدُهُ
253:2	الْمُتَنْبِي	2	تُرْشِدُهَا
279:2	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ	3	تَزِيدُ
256:2	الْمُتَنْبِي	1	تَعْدَادُهُ
233:2	أَبْنُ مِرَاقٍ	2	تَعُودُ
265:2	أَبْنُ مِرَاقٍ	1	جُحُودُهَا
247:1	أَبْنُ الرُّومِيِّ	2	جَدِيدُ
31:2	الْيُوسَيُّ	1	جَدِيدُ

279:1	ابن عبدوس الفارسي	2	جسد'
299:2	أبو الفتح البستي	2	جماد'
284:2	أبو الفتح البستي	1	جمود'
297:2	ابن الرومي	3	حائد'
281:2	ابن الرومي	1	حاسد'
181:2	محمد بن أبي شحاذ الطبي	7	حامد'
266:2	محمد بن أبي شحاذ الطبي	1	حد'
271:2	محمد بن أبي شحاذ الطبي	3	حسد'وا
271:2	محمد بن أبي شحاذ الطبي	3	حسد'وا
270:2	أبو مسلم الخراساني	4	حشد'وا
264:2	أبو مسلم الخراساني	1	حمد'
292 - 291:2	أبو مسلم الخراساني	5	خالد'
249:2	أبو تمام	5	رد'
264:2	أبو تمام	1	رقاد'
206:1	مسكين الدارمي	1	زياد'
248 - 247:2	الحطيئة	13	سعد'
261:2	الحطيئة	1	سند'
218:1	المتنبي	1	سواده'
292:2	المتنبي	2	سواده'
41:2	الحسل' بن حاتم	5	شاهد'
292:2	ابن الجهم	2	شديد'
261:2	ابن الجهم	1	عضد'
287:2	هاتف	1	عمود'ها
254:2	المتنبي	6	عهد'
260:2	المتنبي	1	عهد'
135:1	الحماسي	1	غد'
176:2	سعيد بن حميد	5	غد'
278 - 277:2	العباس بن مرداس السلمي	2	فارد'
290:2	العباس بن مرداس السلمي	2	فارد'
264:2	العباس بن مرداس السلمي	1	فاسد'
220:3	تمثك بها الحجاج	2	فجد'وا
283:2	تمثك بها الحجاج	1	فيعود'
264:2	تمثك بها الحجاج	1	قواد'
253:2	المتنبي	1	لا ينفد'
246:2	المتنبي	1	لسعيد'
269:2	أعرابي	5	لشديد'
290:2	الوزير المهليبي	2	لواجد'
172:(2), 110:1	المتنبي	1	مجد'

270 - 269:2	كلثوم بن عمرو	3	مجهود'
246:2	كلثوم بن عمرو	1	محسود'
138و30:(3)، 254:2	المتنبي	1	مرد'
305:2	محمد بن كنانة الأسدي	2	مريد'
176:2	ابن الرومي	2	مزيد'
299:2	ابن الرومي	2	معتاد'
256:2	المتنبي	7	مفقود'
30:2	اليوسي	1	ممدود'
234:(3)، 287و118:2	اليوسي	1	مهند'
296:2	اليوسي	1	موجود'
176:2	الحصري	1	موعده'
76:3	الحصري	8	نجد'
263:2	الحصري	1	واحد'
287:2	الحصري	3	واحد'
300:2	الحصري	2	واحد'
301:2	المتلمس	3	والأسد'
248:2	أبو تمام	2	والجلد'
40:2	أبو تمام	1	والوتد'
249و 14:3	أبو تمام	2	والوتد'
309:2	أبو تمام	2	وتخمد'
330:1	أبو تمام	2	وجليد'
280:2	رجل من بني قريع	4	وجليد'
288:2	رجل من بني قريع	1	وخلود'
258:2	المعري	5	وساد'
264:1	المعري	1	ولدوا'
251:2	أبو تمام	1	ولدوا'
261:2	أبو تمام	1	ومعهود'
296:1	أبو تمام	3	ويزيد'
265:2	أبو تمام	1	ياسعد'
298:2	أبو تمام	3	يبيد'
304:2	الارجاني	1	يجدد'
289:2	أبو جعفر البطروني	3	يحصد'
254:2	المتنبي	1	يحمد'
134:1	علي بن الجهم	4	يد'
178:2	عبد الصمد بن المعذل	4	يد'
261:2	عبد الصمد بن المعذل	1	يده'
260:2	عبد الصمد بن المعذل	1	يرمد'
266:2	عبد الصمد بن المعذل	1	يريد'

296 و 13:2	عبد الصمد بن المعذل	2+2	يَزْدَادُ
296 و 110:2	عبد الصمد بن المعذل	1+1	يَزِيدُ
287:2	يزيد بن الصيقل العقيلي	2	يَزِيدُ
261:2	يزيد بن الصيقل العقيلي	1	يُسْتَشْهَدُ
242:3	يزيد بن الصيقل العقيلي	1	يَصِيدُ
61:1	عبيد بن الأبرص	1	يُعِيدُ
60:2	الخوارزمي	2	يُفْسِدُ
271:2	الوزير المهلب	1	يَقْوِدُهُ
187:2	ابن الرومي	1	يَلْبُدُ
229:2	ابن الرومي	1	يُولَدُ
د			
9:3	عبيد بن الأبرص	2	أَبَاجَعْدَةُ
286:2	عبيد بن الأبرص	1	أَبْدَأَ
299:2	عبيد بن الأبرص	2	أَبْدَأَ
308:2	الفقيه أبو الحسن بن زنباع	1	أَتَقَادَأَ
299 و 262:2	الفقيه أبو الحسن بن زنباع	1	أَحْدَأَ
295:2	أحد العلويين	3	الْحَدِيدَ
312:2	اليوسي	3	السَّدَأَ
212:2	الاسعريدي	3	السِّيَادَةُ
228:2	الاسعريدي	2	الْعِدَأَ
262:2	الاسعريدي	2	المائدة
259:2	المعري	1	المستفاد
265:2	المعري	1	النَّدَأَ
66:3	المعري	1	الواحدة
56:3	الراجز	3	الوسائد
118:2	الخنساء	1	الوليد
217:2	الاعشى	1	أَنْشَدَأَ
313:2	الاعشى	2	أَوْحَدَأَ
181:1	الاعشى	1	أَوْلَادَهَا
308:2	أبو جعفر التطيلي	5	بَدَدَأَ
277:2	عمر بن معد يكرب	8	بُرَدَأَ
300:2	شرف الدين الحموي	2	بُرَدَأَ
201:(3), 290:2	لبن سكرة	2	بِشْدَةُ
261:2	ابن سكرة	1	بَعِيدَأَ
260:2	الاعشى	2	تَرْوَدَأَ
253 - 252:2	المتنبي	7	تَصَيَّدَأَ
264:2	المتنبي	1	تَعَوَّدَأَ
299:2	المتنبي	1	جَاهِدَأَ
304:2	المتنبي	5	حِدَادَأَ

252 : (3), 210:1	الزباء	2	حَدِيدًا
281 - 280:2	المقنع الكندي	12	حَمْدًا
250:2	أبو تمام	7	خُدودًا
282:2	رجل من بلحارث بن كعب	1	رَغْدًا
193:3	رجل من بلحارث بن كعب	1	رَغْدًا
313:2	رجل من بلحارث بن كعب	3	رَتْدًا
134:1	رجل من بلحارث بن كعب	2	سَرْمَدًا
143:2	عبد الله بن الزبير الأسدي	4	سُمُودًا
140:1	عبد الله بن الزبير الأسدي	6	سَيْدًا
290:2	عبد الله بن الزبير الأسدي	3	شَاهِدًا
300:2	الحريري	2	صَعْدَةً
304, 89:2	ابن سناء الملك	2	ضِدَّةً
291:2	أبو البركات	3	طَرِيدًا
231:2	اليوسي	2	عَائِدَةً
263:2	اليوسي	1	عَبْدًا
261:2	اليوسي	1	عَدًا
259:2	المعري	8	عِنَادًا
265:2	المعري	1	عِنْدَةً
266:2	المعري	1	عُودًا
263:2	المعري	1	غَدًا
291:2	ابن حجاج	2	فَائِدَةً
271:2	أبو الفتح بن جني النحوي	2	فَاسِدَةً
202:1	الراجز	1	فَاصْطِيدًا
88:2	المعري	2	فُؤَادًا
283 - 282:2	المعري	2	فَصْرَخْدًا
185:2	المعري	1	قَرْدًا
66:1	حبيب	1	قُعودًا
299:2	حبيب	2	مَأْسَدَى
303:2	حبيب	1	مُبْتَدًا
90:2	حبيب	1	مُتَبَاعِدَانِ
179:1	حبيب	1	مُجِيدًا
282:2	حطائط أخو الأسود بن يعفر	1	مُخَلَّدًا
303:2	اليوسي	2	مَدًا
299:2	اليوسي	2	مُسْتَرْدَّةً
195:2	الاعشى	1	مَوْعِدًا
308:2	أبو بكر بن الملح	6	مَوْعِدًا
287:2	أعرابي سجين	5	نَجْدًا
62 - 61:1	عبيد بن الأبرص	3	وَاحِدَةً

305:2	عبيد بن الأبرص	3	واحدة
289:2	عبيد بن الأبرص	2	والِدَا
270:2	عبيد بن الأبرص	3	والوالِدَة
313:2	عبيد بن الأبرص	2	وجَدَا
202:3	عبيد بن الأبرص	2	ورَدَا
307:2	المعتمد بن عباد	5	ورَدَا
313:2	المعتمد بن عباد	3	ورَدَا
262:2	المعتمد بن عباد	1	ولَدَا
307:2	الرئيس أبو مروان بن رزين	7	ومُقْعِدَا
250:1	الرئيس أبو مروان بن رزين	1	ومَشْهُدَا
298:2	الرئيس أبو مروان بن رزين	4	ومَشْهُدَا
167:3	الرئيس أبو مروان بن رزين	2	وولَدَا
288:2	الحارث بن كلدة	2	وولَدَا
293:2	أبو جعفر المنصور العباسي	2	يتَرَدَّدَا
251:2	أبو تمام	1	يتَبَلَّدَا
289:2	ابن اللبابة	2	يُجْتَدَى
174:1	الأعشى القيسي	1	يَدَا
265:2	الأعشى القيسي	1	يَدَا
252: (3), 50:2	الأعشى القيسي	1	يَرَدَا
232:1	عبد الله بن همام السلولي	2	يزيدا
176:3	عبد الله بن همام السلولي	1	يُنْقَرَّدَا
د			
102:2	الراجز	3	أَبْدِي
279:2	دريد بن الصمة	2	ابنُ عُد
24:3	أبو دلامة	5	ابن داوود
271:2	السهروردي	2	أَحَد
13: (3), 313:2	السهروردي	2+2	أَحَد
245:2	دريد بن الصمة	2	أَرشُد
266:2	دريد بن الصمة	1	أَسودِه
313:2	دريد بن الصمة	4	أَضْدَاد
13:3	الشده البكري	2	الأَبْد
165:1	الشده البكري	1	الأَحْقَاد
263:2	الشده البكري	1	الاخْمَاد
249 - 248:2	أبو تمام	4	الأسَاوِد
287:2	الأشهب بن رحيلة	1	الأسَاوِد
111:1	الأشهب بن رحيلة	2	الأسَد
202:1	الطرمّاح	1	الأسَد
264:2	الطرمّاح	1	الأسَد

119:1	الأسود بن يعفر	1	الأعداد
283:2	الأسود بن يعفر	6	الأعواد
281:2	أحد بني فقحس	3	الأقناد
263:2	أحد بني فقحس	1	الأكباد
265:2	أحد بني فقحس	1	الأولاد
156:1	أحد بني فقحس	2	البارد
253:2	المتنبي	7	البُؤد
278:2	العباب العجلي	4	البُعد
268:2	حُرثان بن عمرو	1	الثرائد
79, 27:1	النابعة	1	الثمد
265:2	النابعة	1	الجاهد
262:2	النابعة	1	الجحود
303:2	النابعة	2	الجِدْ
308:2	أبو محمد بن عبد البر	3	الجسد
6:2	أبو محمد بن عبد البر	8	الجهاد
251:2	أبو تمام	1	الجود
266:2	أبو تمام	1	الجود
301:2	أبو دلف	2	الجياد
283:2	أرطاة بن سهية	3	الحديد
236:2	أرطاة بن سهية	2	الحسد
256 - 255:2	المتنبي	8	الحسَاد
263:2	المتنبي	1	الحسَاد
291:2	المتنبي	2	الحسَاد
236:(3) 266:2	ابن أبي عيينة	1	الحسَاد
83:2	ابن طباطبا العلوي	2	الحسود
261:2	المتنبي	1	الحمد
224:2	البحثري	6	الحميد
263:2	البحثري	1	الخدود
262:2	البحثري	1	الخلد
113:1	دريد بن الصمة	1	الردي
259:2	عدي بن زيد	3	الردي
303:2	البحثري	1	الرند
292:2	البحثري	2	الساheid
299:2	البحثري	1	السؤدد
299:2	البحثري	1	السواد
298, 265:2	البحثري	1+1	الشدائد
303:2	البحثري	2	الشديد
263:2	البحثري	1	الصّد

199:1	النايعة	1	الصَّدي
28:2	أبو تمام	2	الصَّفَد
279:1	ابن المعتز	4	العائد
265 و 261:2	ابن المعتز	1+1	العباد
302:2	عزالدين بن هبة الله المعتزلي	5	العبد
291:2	عزالدين بن هبة الله المعتزلي	2	العقد
51:1	دريد بن الصمة	1	الغد
261:2	دريد بن الصمة	1	الفاصد
251 - 250:2	أبو تمام	6	الفؤاد
291 و 244:2	أبو تمام	2+2	الفرقد
262:2	أبو تمام	1	الفساد
260:2	أبو تمام	1	الفوائد
244:2	أبو تمام	1	القتاد
308:2	أبو الحسن بن الحاج اللورقي	3	القتاد
229:2	المعمار	2	القَد
246:2	المعمار	1	القَد
256:2	المتنبي	2	القَد
284:2	المتنبي	1	القراد
71:1	حبيب	1	القعود
297:2	محمد بن عبد الملك الزيات	5	اللحد
288:2	نبهان العيشمي	3	المتقاود
210:2	عنقرة	1	المُتوقد
289:2	ابن الخطيب	2	المجد
292:2	البستي	2	المجد
39:3	النايعة الذبياني	2	المحامد
288:2	أبو الحسن بن أبي الطيب	2	المحتد
283:2	أبو الحسن بن أبي الطيب	3	المزید
271:2	ابن الضرير النّهرواني	2	المعد
199:1	شاس بن عبده	3	المقلد
296:1	شاس بن عبده	3	المقد
63:3	المجنون	1	المهد
259:2	طرفة	1	المهند
307:2	أبو بكر بن عمار	1	النَد
267:2	علقمة الفحل	2	الندي
59:1	النايعة	1	النكد
262:2	النايعة	1	الوالد
37:3	حبيب	1	الوالد
228:2	حبيب	3	الود

78:1	الصامبيء	3	الورْد
131:2	الحماسي	6	الورْد
282:2	قيس بن عاصم	6	الورْد
57:3	الحماسي	2	الورْد
75:3	ابن عُنين	2	الوقْد
211:3	ابن عُنين	2	أَنادي
247:2	عزالدين المقدسي	11	أَنادي
267:2	دريد بن الصمة	1	أَنجِد
223:3	النايعة	1	أود
115:1	الاسود بن يعفر	3	إيَاد
290:2	الراشي بن عباد	2	إيقَاد
292:(2)، 142:1	كثير	2	بالتجلْد
41:2	كثير	1	بالجدود
139:2	اليزيدي	3	بالجدود
293:2	القاضي عبد الوهاب بن نصر	6	بالحدّ
300:2	ابن الساعاتي	1	بالحدّ
279:2	رجل من خثعم	1	بالسؤْدَد
14:2	رجل من خثعم	2	بالسُفْد
262:2	رجل من خثعم	1	بالصَيَاد
249:2	أبو تمام	6	بالمودود
52:1	طرفة	1	باليْد
294 و 176 - 175:1	طرفة	2+2	بأوْحَد
287:2	الامام الشافعي	1	بأوْحَد
265:2	الامام الشافعي	1	ببَعِيد
289:2	الامام الشافعي	2	بجْدود
164:1	المتنبي	1	بجْدودي
31:2	ابن جابر	2	بجْدود
286:2	ابن جابر	2	براشِد
352:1	ابن الرومي	1	بِرُّ الوالِد
116:1	ابن الرومي	3	بِرَاد
290 و 289 - 23:2	ابن الحداد	2	بَعْدِه
124:1	النمر بن تولب	1	بَعْدِي
270:2	النمر بن تولب	1	بَعْدِي
263:2	النمر بن تولب	1	بَعِيد
268 - 267:2	المثقب	9	بقائِد
282:1	سهل بن مالك	2	بَلَد
264:2	سهل بن مالك	1	بَلَد
228:2	الصفدي	2	بِمُخَلَّد

254 - 253:2	المتنبى	3	بِمُسْتَعَادٍ
264:2	المتنبى	1	بِمُسْتَعَادٍ
291:2	أبو العباس بن الفياض	2	بِمَوْجُودٍ
309:2	أبو العباس بن الفياض	2	بِمَوْجُودٍ
214:1	أبو تمام	2	تَتَجَدَّدُ
54:1	ابن رشيق	1	تُحْمَدُ
281:2	أعرابي	2	تُرَدُ
141:2	هاتف	1	تُرْشَدُ
141:(3)، 245:2	طرفة	1	تُرْوَدُ
274:1	طرفة	2	تَعْدِيهِ
247:2	طرفة	1	تُنَادِي
248:2	أبو تمام	6	جَامِدٍ
261:2	أبو تمام	1	جَسَدِي
15 - 14:2	أنشده سهل بن هارون	3	جُهْدٍ
249:2	أبو تمام	1	حِدَادٍ
290:2	أبو تمام	2	خَالِدٍ
293:2	جارية أبي جعفر المنصور	2	خَدْيٍ
14:1	اليوسي	6	خَالِدٍ
306:2	شاعر + جارية	2+2	رَغْدٍ
260:2	اليوسي	1	رُكُودٍ
227:2	اليوسي	3	رُودٍ
130:2	عبيد بن الأبرص	1	زَادٍ
277:2	عبيد بن الأبرص	2	زَادِي
289 - 288:2	ابن اللبابة	10	زَنْدٍ
258 - 257:2	المعري	11	زَنْدِهِ
222:2	المعري	2	زِيَادٍ
284:2	الفرزدق	1	زِيَادٍ
251:2	أبو تمام	1	سَدِيدٍ
279:2	غسان بن ولة	2	سَعْدٍ
257:2	المعري	15	شَادٍ
253:2	المتنبى	2	شَهِيدٍ
196:(2)، 249:1	المتنبى	1+1	صَلْدٍ
218:1	المعري	2	ضِدِّهِ
264:1	المعري	3	عَبْدِهِ
293:2	الامام الشافعي	2	عَمْدٍ
262:2	الامام الشافعي	1	عَنْدِي
290:2	الامام الشافعي	2	عَنْقُودٍ
170:(3)، 248:1	اليوسي	3	عِفَادٍ

259:2	المعري	1	عَمْد
301:(2), 347:1	طرفة	4	عَوْدِي
126:1	طرفة	1	غَد
142:1	دريد بن الصمة	1	غَد
266:2	دريد بن الصمة	1	غَد
280:2	دريد بن الصمة	2	غَد
182:1	المتلمس	1	فَارْعُد
284:2	المتلمس	1	فَارْعُد
295:2	فاطمة بنت عبد الملك بن مروان	3	فَوَّادِي
264:2	فاطمة بنت عبد الملك بن مروان	1	فَتَزُود
80:2	الصنوبري	2	قَدَّه
270:2	بنية عدي بن الرقام	1	قِرْنٌ وَاحِدٌ
265:2	بنية عدي بن الرقام	1	قُرُود
132:2	بنية عدي بن الرقام	1	قَصْد
264:2	بنية عدي بن الرقام	1	قَصْدِه
276:2	بشار	4	قُعُودِي
289:2	أبوبكر بن النطاح	2	قِيَادِي
279 - 278:2	الفرزدق	2	كَبِلَاد
305:2	أبو نواس	4	لَبَد
60:1	النابعة	1	لَبَد
238:2	النابعة	1	لَحْد
301:(2), 349:1	ابن قلاقس	3	لَحْدِه
24:2	ابن عبدون الوراق	5	لَحْدِه
300:2	ابن عبدون الوراق	4	لَأْعَادِي
251:2	أبو تمام	2	لِهَاد
214:1	أبو تمام	2	مُبَدَّد
250:2	أبو تمام	6	مُبَدَّد
146:1	الحماسي	2	مُبَرَّد
186:1	علقة	1	مُتَجَرَّد
293:2	مسكين الدارمي	3	مُتَعَبَّد
305:2	اليوصيري	1	مُجَلَّد
351:1	ابن سناء الملك	2	مَحْنَدِي
264:2	ابن سناء الملك	1	محسود
142:(3), 264:2	ابن سناء الملك	1+1	محمَّد
251:2	المتنبي	3	محمود
62:1	عبد الله بن زياد	1	مُرَاد
306:2	عمرو بن معديكرب	1	مُرَاد
172:2	الحلي	1	مُرَادِهِمْ

244:2	أبو تمام	1	مِرْقَد
298:2	أبو تمام	1	مُسْنَد
91:2	أبو تمام	2	مُطَرَّد
213:2	أبو تمام	1	مُعْتَد
300:2	الحريري	2	مَقَاصِدُه
236:2	الاعشى	1	مُقْتَادِهَا
307 - 306:2	زيد الخيل	1	مُنْجِد
147:3	بنت همام بن مرة الوائلي	2	مُهَنْد
245:2	الأسود بن يعفر	1	مِيعَاد
298:2	الأسود بن يعفر	1	نَدِي
304:2	الأسود بن يعفر	2	وَاحِد
182:1	ابن أحمر	1	وَارْعُد
284:2	ابن أحمر	1	وَارْعُد
299:2	ابن الرومي	2	وَاقْتَصِد
249:2	أبو تمام	1	وَالْجِلْد
83, 80:1	الذابغة	1	وَالسَّعْد
258:2	المعري	6	وَالْغَد
262:2	المعري	1	وَالْمَوَاعِيد
43:2	المعري	2	وَتَقَقَّد
170:2	المعري	4	وَجَد
295:2	المعري	2	وَجْهَاد
261:2	المعري	1	وَحْدِي
301:2	المعري	2	وَحْدِي
304:2	بعض أهل المجون	2	وَرْد
307:2	بعض أهل المجون	4	وَسَادِي
156:1	بعض أهل المجون	2	وَسَاعِدِي
271:2	أبو فراس	2	وَسَاعِدِي
262:2	أبو فراس	1	وَعْد
32:2	الغزالي	2	وَعْدِه
29:2	بهاء الدين زهير	2	وَوَارِد
92:2	بهاء الدين زهر	2	وَيَغْتَدِي
312 - 309:2	اليوسي	79	يُبْدِي
108:1	الحماسي	1	يَبْرُد
303 - 302:2	الصفدي	5	يُرْدِي
222:3	الحطيئة	1	يَهْتَدِي
265:2	الحطيئة	1	يَهْوُدِي
282:2	يزيد الحارثي	1	يُولَد

د°

300:2	الحريري	5	أَحَدٌ
249:3	أبو سيارة	2	أَحْسَدُ
263:2	أبو سيارة	1	البريدُ
291:2	بعض المشاركة	2	الخدودُ
290:2	بعض المشاركة	2	بالحسدُ
72:1	بعض المشاركة	1	عَضْدُ
298:2	بعض المشاركة	2	فَسَدُ
212:3	بعض المشاركة	1	فَقَسَدُ
266:2	بعض المشاركة	1	في العَدَدُ
285 - 284:2	بعض المشاركة	5	قَعْدُ
271:2	بعض المشاركة	4	والعَقْدُ
292:2	أبو القاسم الأصبهاني	2	وَكَمَدُ

الذَّال

ذ°

22:3	أبو القاسم الأصبهاني	1	أَفْلَاذُهُ
26 - 24:3	اليوسي	29	مَجْدُودُ

ذ°

23:3	ابن الفارض	2	أَذَى
27 - 26:3	اليوسي	14	الْبَذَا
22:3	الصابيء	1	الْقَذَا
22:3	اليوسي	1	ذَاوَدَا
306:2	الصابيء	1	مَآذَا
306:2	الصابيء	1	مَلَاذَا

ذ°

23:3	أبو نواس	2	بَعْدَ أَذٍ
22:3	ضابيء	1	لَذِيذٍ
30:2	السليماني	1	لِلْذِي

الرَّاء

ر°

22:3	ابن النبيه	2	أَمْرُهُ
66:3	ابن النبيه	1	اِخْتِبَارُهُ

58:2	ذو الرمة	1	أخضر
85:3	ذو الرمة	1	أشكر
87:3	ذو الرمة	1	أصير
124:3	أبو بكر بن عمار	3	إضراره
181:2	التهامي	2	اعتذار
178:1	ابن همام السلولي	1	أعور
117:1	ابن همام السلولي	4	أكثر
99:1	ابن همام السلولي	1	الأنصير
115:3	ابن همام السلولي	2	الأنصار
79:3	ابن همام السلولي	1	الأفكار
97:3	الصاحب بن عباد	2	الأمر
175:1	منصور الفقيه	2	البشير
192:2	الحماسي	2	البعير
93:3	الحماسي	3	البيقر
124:3	الوزير أبو القاسم بن الجد	1	التبش
312:1	امرؤ القيس	1	التجر
69:2	امرؤ القيس	1	الجنسور
135:3	سلم الخاسر	1	الجنسور
88:1	أبونواس	2	الجهر
57:1	زهير	2	الجوار
111:3	زهير	4	الحجر
207:1	زهير	1	الحجر
90:3	أبو تمام	8	الحشر
117 - 116:(3)، 148:2	خالد بن علقمة	1	الحفر
117 - 116:3	خالد بن علقمة	2	العمار
120:2	الأعرابي	1	الخمر
152:3	الأعرابي	2	الخمر
89:3	أبو تمام	10	الخيار
82:3	أبو تمام	1	الدأر
296:1	أبو تمام	2	الدأر
81:3	أبو تمام	1	الدهر
122 - 121:3	المعتمد بن عباد	5	الدهر
125:3	منقذ الكلابي	4	الدهر
299:1	منقذ الكلابي	2	السرائر
149:2	منقذ الكلابي	1	السراير
83:3	منقذ الكلابي	1	المشور
105:3	أبو سليمان الخطابي	3	المشور
83:(3)، 215:1	أبو سليمان الخطابي	1	المشور

135:3	أبو سليمان الخطابي	2	الشَّجَرُ
75:3	الحسين بن ابراهيم	3	الضَّمَانُ
81:3	الحسين بن ابراهيم	1	الظَّفَرُ
106:3	شيخ من الأعراب	4	الظَّفَرُ
85:3	شيخ من الأعراب	1	العارُ
168:3	أنشده الجاحظ	2	العذرُ
87, 78:3	أنشده الجاحظ	1+1	العُمُرُ
156:1, (3), 82:	أنشده الجاحظ	1+1+1	الفرارُ
129:1	أنشده الجاحظ	1	الفَقْرُ
207:2	الأبيد اليربوعي	1	الفقرُ
99:3	القاضي الجرجاني	3	الفقرُ
100:3	عثمان بن عفان	2	الفقرُ
125:3	سلمة الجعدي	1	الفقرُ
80:3	سلمة الجعدي	1	الفقيرُ
210:3	سلمة الجعدي	3	الفِكْرُ
288:1	سلمة الجعدي	2	القَدْرُ
99:3	تمثل به ملك مراکش	2	القَدْرُ
100 - 99:3	المعتمد بن عباد	3	القَدْرُ
123:3	الحاجب أيومروان بن ززني	3	القَدْرُ
173:1	السلامي	1	القَصْرُ
156:3	السلامي	1	القطرُ
91:3	أبوتمام	4	الفقرُ
203:3	أبوتمام	2	المُحَادِرُ
74:3	البارقي	2	المسافرُ
83:1	عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي	3	المشاعرُ
125:3	عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي	2	المَصَادِرُ
27:2	عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي	2	المَقَابِرُ
101:3	عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي	2	المَنَاطِرُ
119:3	أعرابي	2	المَقَرُ
99:1	حارثة بن بدر	6	المُورُ
175:1	عدي بن زيد	3	المَوْفُورُ
145:1	فتاة من بني عجل	2	النارُ
119:3	إسحاق الموصلي	5	النَّصِيرُ
96:3	المعري	5	النهارُ
85:(3), 153:1	المعري	1+1	الهِجْرُ
209:2	المعري	1	أَمِيرُ
209:2	المعري	1	أَمِيرُ
79:3	المعري	1	أَمطارُ

151:1	المعري	2	أَمَارُ
82:3	المعري	1	أَنْظَرُ
87:3	المعري	1	انكسارُها
117:3	المعري	2	أَنْوَارُهُ
85:3	المعري	1	أَوَاخِرُهُ
125 - 124:3	ابن حبناء التميمي	4	أَوَاصِرُهُ
117:3	المعري	3	أَوَزَارُهُ
114:1	بشر بن أبي حازم الأسدي	1	أَوْفَرُ
86:3	بشر بن أبي حازم الأسدي	1	بَاكِرُ
105:3	بشر بن أبي حازم الأسدي	2	بَعِيرُ
121:2	أعرابي	6	بِكْرُ
76:3	لغز	2	تَخْبِيرُ
276:2	طرفة	3	تَخْوَرُ
51:3	طرفة	8	تَخْوَرُ
57:1	زهير	2	تَذَرُ
109 - 108:3	زهير	8	تَذْكِيرُ
76:3	تأبط شراً	1	تَصْفِيرُ
77:3	شرف الدين الحلوي	1	تَصْفِيرُ
82:2	الصفى الحلي	4	تَطِيرُ
278:1	الصفى الحلي	4	تَذْكِيرُ
173:1	ذو الرمة	1	جَارُ
83:3	ذو الرمة	1	جِدَارُهُ
125:3	التميمي	1	جَدِيرُ
73:2	مهلهل	1	جَزُورُ
170:1	ابن المعتز	1	جَمَرُ
117:3	ابن المعتز	2	حَارُوا
77:3	ابن المعتز	1	حَمَارُ
121:3	أبو صخر الهدلي	5	خَبِيرُ
99:3	الامير قابوس	4	خَطَرُ
84:3	الامير قابوس	1	خُمَارُها
73:2	حاتم	2	خَمَرُ
124:3	القطامي	1	دَوَابِرُهُ
99:3	أبو نواس	4	ذُكُرُوا
126 و 113:3	أبو نواس	2+2	ذُكُورُ
75:3	أبو نواس	2	سَافِرُ
134 - 133:3	أبو نواس	3	سِرُّ
198:1	أبو نواس	2	سَفَرُ
215:1	أبو نواس	3	سَفِيرُ

47:2	أبو نواس	1	سِنِمَارُ
137:1	أبو نواس	1	شاعرُ
175:3	الخطيئة	1	شَجَرُ
127:3	حُجِيَّةُ بن مضرب	10	شَكْرُ
85:3	حُجِيَّةُ بن مضرب	1	صَبْرُ
126:3	ابن البرصاء المري	1	صُدُورُها
222:2	سليمان بن وهب	5	صَرِيرُها
112:1	المسكين	1	صِغَارُهُ
89:3	أبو تمام	3	ضائِرُهُ
115:3	قيس بن الذريح	2	ضَمِيرُ
75:3	صَرَّ دُرَّ	2	ضَمِيرُها
199:3	أبو فراس	1	ظَاهِرُهُ
112:3	عبد الحميد بن يحيى الكاتب	1	ظَاهِرُهُ
106:3	عجوز	1	ظَهْرُ
219 - 218:1	الخنساء	10	عارُ
91:3	المتنبي	1	عارُ
340:1	المتنبي	1	عَبِيرُ
99:3	الفضل بن الربيع	2	عَنُورُ
114:3	ابن الخطيب	2	عِذَارُهُ
80:3	ابن الخطيب	1	عِذْرُ
80:3	ابن الخطيب	1	عَسِيرُ
183:3	الحماسي	1	عَسِيرُ
92 - 91:3	المتنبي	7	عَمْرُ
168:2	المجنون	3	عَمْرُ
107:1	راجز	3	غَبَارُهُ
91:3	المتنبي	4	غُرُورُ
193:3	مسلم	1	غُرُورُ
192:3	مسلم	2	غَيْرُ
85:3	مسلم	1	فُجُورُها
80:3	مسلم	1	فَقِيرُ
178:2	مسلم	2	فِيْعَارُ
86:3	ابن دراج القسطلبي	1	قَبُورُ
182 - 181:2	ابن دراج القسطلبي	5	قِدْرُ
81:(3), 178:2	ابن دراج القسطلبي	1+1	قِصَارُ
315:1	نهشل بن ضمة	1	قَصِيرُ
79:3	نهشل بن ضمة	1	قَصِيرُ
24:2	الحاجري	4	كافِرُ
75:2	الحاجري	4	كافورُ

105:3	ابراهيم بن المهدي	2	كبير
90:3	أبو تمام	5	كثروا
77:3	أبو تمام	1	كثير
83:3	أبو تمام	1	لا تغفر
138:3	رجل يطوف بالبيت	2	لا تنفر
80:3	رجل يطوف بالبيت	1	لا يتغير
110:3	كثير	2	لا يتغير
138:3	كثير	1	لا يتغير
84:3	كثير	1	لا يصير
185:3	عمرو بن معديكرب	2	لقرور
116:1	عمرو بن معديكرب	1	لمعمر
240:2	تأبط شرا	1	مبصر
240:2	تأبط شرا	4	مدبر
127:3	تأبط شرا	2	مدرار
104:3	المخزومي	2	مذكور
145:1	مخيس بن أرتاة الأعرج	4	مر
228:2	مخيس بن أرتاة الأعرج	1	مزاره
117:3	المعري	2	مزاره
96:3	ابراهيم الصولي	2	مزارها
145:1	فتى من بني عجل	2	مسمار
87:3	فتى من بني عجل	1	مصير
124:3	عبد الله بن سيرة	2	معابر
83:3	عبد الله بن سيرة	1	معمر
248:1	عبد الله بن سيرة	2	مقاديير
86:3	عبد الله بن سيرة	1	مقدار
170:1	ابن المعتز	2	منتثر
54:1	ابن المعتز	1	منتظر
83:3	ابن المعتز	1	نادر
92:3	ابن المعتز	1	ناشر
328:1	ابن المعتز	1	ناصره
102:1	الحماسي	1	نزور
111:2	جرير	1	نزور
79:3	جرير	1	نظروا
82:3	جرير	1	نظير
114:3	جرير	2	هجر
107:3	كثير	9	هصور
88:3	أبو الأسود	1	وافير
143 - 142:2	الخنساء	3	واسرار

111:3	الخنساء	2	والبَحْرُ
92:3	الخنساء	1	والبَصْرُ
147:3	بنت همام بن مرة الوائلي	2	والجَزْرُ
82:3	بنت همام بن مرة الوائلي	1	والحَذْرُ
188:1	عدي بن زيد العبادي	2	والخابورُ
82:3	عدي بن زيد العبادي	1	والدَّهْورُ
87:3	عدي بن زيد العبادي	1	والذِّكْرُ
90:2	عدي بن زيد العبادي	2	والزَّهْرُ
100:3	عثمان بن عفان	2	والعارُ
79:3	عثمان بن عفان	1	والعُمُرُ
181:3	ذو الرُّمة	2	والقَفْرُ
90:2	ذو الرُّمة	1	والقَمَرُ
87:3	ذو الرُّمة	1	والمَقْدَرُ
144:1	ذو الرُّمة	2	وأَعَارُ
168:2	المجنون	3	وتَخَصَّرُ
75:3	عمارة اليميني	4	وتَشَارُ
81:3	عمارة اليميني	1	وتظَهَرُ
350:1	ابن درّاج القسطلبي	2	وتَعَوَّرُ
91 - 90:3	أبو تمام	5	وجارُها
135:1	أبو تمام	14	ودبورُ
90:3	أبو تمام	1	وزُنْبُورُ
134:3	أبو تمام	3	وسارُوا
279:1	بشار	1	وستُورُ
59:3	بشار	1	وقرُ
90:3	أبو تمام	2	وغديرُ
195:1	أبو تمام	1	وكرُ
83:3	أبو تمام	1	ونكيرُ
190:3	أبو تمام	2	ووقارُ
44:3	أبو الأسود	2	ويأصيرُ
80:3	أبو الأسود	1	ويَجُورُ
88:3	أبو الأسود	1	يَتَفَكَّرُ
177:1	الفرزدق	2	يُجِيرُها
82:3	الفرزدق	1	يُحاذِرُ
85:3	الفرزدق	1	يَحْدَرُ
86:3	الفرزدق	1	يُخْبِرُ
115:3	صالح بن شرف	2	يُدِيرُ
124:3	الحماسي	1	يَرُورُها
86, 84:3	الحماسي	+1	يُسَرُ

179:2	الفرزدق	1	يَسْفَرُ
244:1	الفرزدق	1	يَسِيرُهَا
81:3	الفرزدق	1	يُنْشِيرُ
97 - 96:3	أبو نواس	3	يَصِيرُ
179:2	جميل	2	يَضِيرُ
178:2	عمر بن أبي ربيعة	1	يَقْصُرُ
80: (3)، 201:2	عمر بن أبي ربيعة	+1	يَكْثُرُ

272:1	امرؤ القيس	1	أَخْرَأَ
119:3	خنافر بن التوأم الحميري	1	أَمْرَأَ
250:3	خنافر بن التوأم الحميري	5	أَبْي سَيَّارَهُ
84:3	خنافر بن التوأم الحميري	1	أُخْرَى
96:1	امرؤ القيس	2	أَزُورَأَ
171:1	الطائي	3	اسْتَطَارَأَ
168:1	امرؤ القيس	5	استعارَأَ
134:3	امرؤ القيس	1	إِسْحَارَأَ
26:2	مالك بن المرحل	3	أَسْفَرَأَ
206:1	أبو تمام	1	أَعْفَرَأَ
224:3	أبو شجرة السلمي	2	أَعْمَرَأَ
134:3	أبو شجرة السلمي	3	إِفْطَارَأَ
77:3	بعض الأعراب	3	الْأَزْرَأَ
54:1	بعض الأعراب	1	الْأَكْبَرَأَ
313:1	الفضل بن العباس	4	النَّاجِهَ
23:3	الفضل بن العباس	3	التَّجَارَهَ
349:1	أبو الغنائم	12	التَّثْرَى
76:3	المجنون	2	الجِدَارَأَ
243:1	قيس	1	الديارَأَ
82:3	قيس	1	الزِّيَارَهَ
265:1	أبو نواس	1	النَّشْرُورَأَ
150:(3)، 139:2	هينقة	1	الشَّجَرَهَ
47:3	الأعشى	1	الشَّعْبِيرَأَ
135:3	الأعشى	2	العُذْرَأَ
79:3	الأعشى	1	العُرَى
89:2	الأعشى	2	أَلْفَ مَرَّةَ
116:3	ابن معروف	2	لَفَ مَرَّةَ
82:3	ابن معروف	1	القَمَرَأَ
85:3	ابن معروف	1	الْكِبَارَأَ

112:1	عدي بن زيد	5	الكبيراً
198:2	امرؤ القيس	1	المُسْتَرَا
88:1	امرؤ القيس	2	المُشَقَّرَا
205:2	النايعة	1	المفارقاً
213:3	الراجز	1	النُورَة
116:3	البستي	2	الهيراً
115 - 114:3	البستي	2	الورى
81:3	البستي	1	بأخرة
186:1	بشار	1	بأعوراً
127:1	أوس بن حجر	2	بأكرا
349:1	ابن قلاقس	3	بدرأ
141:1	ابن قلاقس	1	بيزو برأ
88:3	ابن قلاقس	1	بُشْرَى
21:3	امرؤ القيس	2	بقيصرأ
28 - 27:2	اليوسي	2	تواتراً
79:3	اليوسي	1	تيسراً
137, 20:3	امرؤ القيس	1	جرجرأ
300:1	خالد الكاتب	3	جُلَنَارَا
135:3	ابن المعتز	1	جَمْرَا
313:1	ابن المعتز	1	حاضيه
85:3	ابن المعتز	1	حَجْرَا
226:3	ابن المعتز	1	حَصِيرَا
84:3	ابن المعتز	1	حُمْرَا
80:3	ابن المعتز	1	خاسراً
101:3	ابن المعتز	1	خيبراً
126:3	أحد الحماسيين	1	خيبراً
114:(3), 23:2	ابن المعتز	2	ذكرأ
116 - 115:1	الأعشى	4	زُرَارَة
153:3	بشار	4	زهرأ
111:3	بشار	5	سِرْ
80:3	بشار	1	سُرورأ
125:3	جميل بن عبد الله بن معمر	4	سَيْرَا
144:1	جميل بن عبد الله بن معمر	3	سَيْرَا
8:2	جميل بن عبد الله بن معمر	2	الشَّرَا
115:1	عمرو بن مَلِقط الطائي	4	صُبَارَة
87:3	عمرو بن مَلِقط الطائي	1	صَعَارَا
297:2	عمرو بن مَلِقط الطائي	3	صِفْرَا
309:1	عمرو بن مَلِقط الطائي	1	صُورَا

53:2	عمرو بن ملقط الطائي	1	ظُهِرَها
110:2	عمرو بن ملقط الطائي	1	عِبْرَة
133:3	عمرو بن ملقط الطائي	3	عَطْرًا
62:2	عنقرة	1	عُمَارًا
97:3	أبو نواس	3	غَفُورًا
214:1	الناطقة الجعدي	2	فَأَكْثَرًا
206:1	الفرزدق	2	فَتَحْدَرًا
114:3	الخوارزمي	2	فَتُحْقِرًا
225:2	الخوارزمي	1	فَتَذَكَّرًا
140:1	نهشل بن مالك الفزاري	2	فَزَارَه
207:2	إبراهيم بن العباس الصولي	2	قَدَرًا
14:3	إبراهيم بن العباس الصولي	1	قَقْرًا
22:2	إبراهيم بن العباس الصولي	1	قَبِصْرًا
46:1	إبراهيم بن العباس الصولي	1	لَا سَتَقَرَّتْ
83:3	إبراهيم بن العباس الصولي	1	لِيَقْصُرًا
274:1	إبراهيم بن العباس الصولي	2	مَا أَغْرَاهُ
96 - 95:1	طرفة	10	مُجَاوِرًا
87:3	طرفة	1	مُخْبِرًا
78:3	طرفة	1	مُدْبِرًا
165:1	منصور الفقيه	2	مَرَّةً
86:3	منصور الفقيه	1	مُسْتَتِرًا
144:3	الفرزدق	1	مُسَكَّرًا
83:3	الفرزدق	1	مُفْتَقِرًا
124:3	الوزير الفقيه ابن سراج	2	مُقْتَدِرًا
226:3	الوزير الفقيه ابن سراج	1	مُنْقَرًا
120:3	الوزير الفقيه ابن سراج	1	نَحِيرًا
172:2	ابن جابر	2	نَظِيرًا
80:2	ابن جابر	1	نَوْرًا
176:2	العباس بن الأحنف	2	وَأَسْتَجَارًا
33:2	ابن جابر	2	وَحُمْرَةً
114:3	القاضي الشريف	2	وَصَبْرَةً
119:3	الربيع بن ضبعم الفزاري	8	وَطَرًا
175:2	الناطقة	2	وِظَاهِرًا
141:2	قرين بن مصاد الكلبي	2	وَعِبْرَةً
200:3	ابن قلافس	3	وَعُدْرًا
107:3	سالم بن وابصة	4	وَقَرًا
247:1	ابن غالب الرصافي	3	وَكْرًا
122:3	المعتمد بن عباد	2	وَمَأْمُورًا

81:3	المعتمد بن عباد	1	ومزُورا
115:3	عبد الله بن طاهر	2	والعَجْرَا
133:3	عبد الله بن طاهر	2	والعَجْرَا
92:3	عبد الله بن طاهر	1	يَرَى
54:1	جميل بن عبد الله	1	يَتَغَيَّرَا
117:(3), 70:2	النابعة الجعدي	2	يُكَدَّرَا

ر

177:2	خالد الكاتب	2	آخِر
191:3	الخنساء	5	ابن عَمَر
126:3	يزيد بن مفرّج الحميري	2	ابن يَسَار
99:3	عبد الله بن طاهر	2	أَجْرِي
70:3	بدر بن حراز الفزاري	5	أَحْذَار
118:1	علي بن الجهم	1	أَدْرِي
135:3	علي بن الجهم	2	أَسْتَار
186:2	النابعة الذبياني	2	أَصْفَار
70:3	النابعة الذبياني	4	أَصْفَار
156:1	النابعة الذبياني	1	اعْتِصَارِي
231:3	عدي بن زيد	1	اعْتِصَارِي
29:2	أبو عبد الله الشّرّان	2	إِعْذَارِهِ
108:3	الحماسي	2	الأَعَاصِر
227:2	الحماسي	2	الأَمِر
126:3	الرقاشي	1	الأَمِر
74:2	الرقاشي	4	الْبَحَار
79:3	الرقاشي	1	الْبَذَر
105: (3), 53:1	الرقاشي	4	الْبِرِّ
67:3	ابن عبدون	1	الْبِشَر
212:1	ابن عبدون	1	الْبِصَر
161:1	ابراهيم بن المهدي	4	الْبَوَادِر
114:3	ابراهيم بن المهدي	2	الْبَوَادِر
28:2	ابراهيم بن المهدي	3	التَّجَرِّي
114:(3) 161 - 160:2	ابراهيم بن المهدي	2	التَّذْكَار
195:2	اليوسي	1	التَّمَر
161:2	اليوسي	2	التَّمَر
114:3	أبو الربيع	2	التَّمَر
115:3	أبو الربيع	2	المَجَارِي
195:1	الشاعرة	1	الْجُرَر
184:1	الشاعرة	1	الْجُرُور

231:2	اليوسي	1	الجَوْهَر
42:3	اليوسي	1	الحِجَر
215:2	اليوسي	1	الحَمِيرِي
240:3	اليوسي	1	الْخَائِر
98:3	ابن المعتز	10	الْخَبَر
178:3	ابن المعتز	2	الْخَبَر
93:3	المعري	1	الْخَصَر
96 - 95:3	المعري	14	الْخَفَر
303:2	أعرايبي	3	الدَّهْر
351:1	أعرايبي	2	الدِّيَار
110:3	الشريف الرضي	1	الذَّكْر
84:3	الشريف الرضي	1	الزَّائِر
28:2	الشريف الرضي	3	الزَّهْر
321:1	الربيع بن زياد	10	السَّارِي
80:3	الربيع بن زياد	1	السُّتُور
186:1	ابن اللبابة	2	السَّرَر
215:1	ابن صارة	3	السَّفَر
86:3	ابن صارة	1	الشَّجَر
150:3	ابن صارة	1	الصَّادِر
39:2	ابن صارة	2	الصَّافِر
226:3	عمران بن حطان	1	الصَّافِر
83:3	عمران بن حطان	1	الصَّبَر
102 - 101:3	يحيى بن طالب الحنفي	8	الصَّبَر
231:2	اليوسي	3	الصَّدْر
85:3	اليوسي	1	الصَّغَر
108:3	الزبرقان بن بدر	1	الصَّارِي
82:1	مهلل	2	العَبِير
284:1	مهلل	3	العَذَر
194:1	مهلل	1	العَشَر
192:2	حسان	1	العصافير
162:3	اليوسي	1	العُمَر
84:3	اليوسي	1	العَنْبَر
135:3	الصنوبري	1	العَنْبَر
88 - 87:1	رجل من بني عامر	6	العُبَر
90:2	اليوسي	12	العَدَر
123 - 122:3	الوزير أبو محمد بن عبدون	31	الغَيْر
96:2	الوزير أبو محمد بن عبدون	1	الفَخَّار
86:3	الوزير أبو محمد بن عبدون	1	الفَقَر

85:3	الوزير أبو محمد بن عبدون	1	القَطَر
109:3	الوزير أبو محمد بن عبدون	2	القَفَر
110 - 109:3	الوزير أبو محمد بن عبدون	20	الكبائر
96:3	ابراهيم بن نصر القاضي	4	الكدر
94:3	علي بن جبلة	4	الكُفَر
25:2	علي بن جبلة	12	الكوثر
111:3	الأعرابي	2	المئزر
135:3	الأعرابي	2	المُبَصِّر
82:3	الأعرابي	1	المُخَبِّر
110:3	الأعرابي	2	المزار
80:2	الأعرابي	2	المُشْتَرِي
82:2	الصفى الحلي	4	المُعْسير
74:1	الصفى الحلي	1	المكبر
83:3	الصفى الحلي	1	النَّار
141:3	الأخطى	2	النَّار
83:2	الوزير المهلبى	3	النَّظَر
274:1	الوزير المهلبى	2	الهَجَر
239:2	الامير ابن أبي حفصة	2	الوكر
230:2	اليوسى	4	إمَر
83:3	اليوسى	1	أمرَك
106:(3)، 200:2	اليوسى	1	أمَّ عامر
215:1	أبو الفتح البستي	1	أنوار
184:1	العردس الكلابى	2	أيسار
87:3	العردس الكلابى	1	بأثارها
113:3	العردس الكلابى	2	بأسرها
77:3	الأخطى	1	بأطهار
94:3	أبودلف	4	بالبشر
46:3	أبو دلف	4	بالشدابر
80:3	أبو دلف	1	بالجار
131:1	النابعة	1	بالحناجر
157:1	ابن ذريح	1	بالخمر
215:1	البحتري	1	بالخيار
65:2	مهلل	1	بالذُكُور
134:3	مهلل	4	بالعُمَر
86:3	مهلل	1	بقبر
105:3	مهلل	4	بمعذور
84:3	مهلل	1	بالمُنكر
88:3	أبو نواس	2	بالنَّهار

85:3	أبو نواس	1	بِدَارِهِ
77:2	أبو نواس	2	بِشَائِهِ
103:3	الخليل بن أحمد	2	بَصْرِي
120:3	الخليل بن أحمد	6	بِصَائِرِ
182:1	الكميت	1	بِضَائِرِ
23:3	الخالدي	4	بَطْرَ
107:2	النايعة	1	بِكْرَ
80:3	النايعة	1	بِمَعْذُورِ
76:(3)، 199:2	كليب بن ربيعة أو طرفة	3	بِمَعْمَرِ
30:3	زهير بن مسعود	1	بِمُعْمَرِ
117:1	الأخطل	2	تَبْرِي
35:3	الفرزدق	2	تَجْرِي
174، 145:2	مهازل	1	لَخُورِي
106:3	سعد بن ناشب	7	تَدْرِي
84:3	سعد بن ناشب	1	تَدْمِيرِ
133 - 127:3	اليوسي	123	تَزْرِي
89:3	أبو تمام	1	تَشْكُرَ
118:3	العرجي العثماني	2	ثَعْرَ
27 - 26:2	ابن العفيف	3	ثَعْرَهُ
160:2	ابن العفيف	2	جَابِرِ
212:3	ابن العفيف	2	جَارَ
104:2	ابن اللبانة	1	جَزَرَ
145:2	ابن اللبانة	1	خُورِ
79:2	ابن اللبانة	2	خَصْرَهُ
78:2	ابن اللبانة	5	خُمُورِهِ
79:3	ابن اللبانة	1	دَارِهِ
38:3	ابن هرمة	2	دَهْرَ
86:3		1	دَهْرَ
84:2	ابن خفاجة	1	دِينَارِ
153:1	ابن خفاجة	1	ذَرَّ
104:3	ابن خفاجة	7	سَيَّرَ
82:2	أثير الدين بن حيان	7	سَفَرَ
10:2	ابن الرومي	3	شَاعِرِ
32:2	اليوسي	1	شَطَرَ
78:3	اليوسي	1	شَكَّرَ
211:1	اليوسي	1	صَبَّرَ
38:2	الكميت	2	صَفَّارِ
106:3	الكميت	2	صَهْرَبَرَّ

71 - 70:3	الناخبة	6	صِغْرِي
97:3	أبو الفضل بن الحِنْزَلَانَة	2	ضَجَر
81:3	أبو الفضل بن الحِنْزَلَانَة	1	ظَفَر
112:3	أبو الفضل بن الحِنْزَلَانَة	7	عَار
122:3	الراضي بالله	3	عَار
121 - 120:3	الراضي بالله	5	عَرَار
136:3	الراضي بالله	2	عَصْر
221:2	ابنة كلمن	2	عَمْر
81:3	ابنة كلمن	1	عَمْر
200:2	معاوية بن زهير	2	عَمْر
85:3	معاوية بن زهير	1	عَمْر
100:3	أبو قيس بن رفاعَة	7	غَدَار
81:3	أبو قيس بن رفاعَة	1	غَيْرَكْ
97:3	عروة بن أذينة	2	فاشْتَر
125:3	مسافع العبسي	1	فاصْبِر
102:3	جارية	3	فاصْبِرِي
103:3	مولى جارية	3	فاعْذِرِي
98 - 97:3	عروة بن أذينة	4	فِتْر
28:2	عروة بن أذينة	3	فَدَارَه
97:3	الطغرائي	2	فِكْرِي
112:3	الطغرائي	3	فمُحْسَر
80:3	الطغرائي	1	قَبْر
212:3	الطغرائي	1	قُدَار
178:(2)، 282:1	الطغرائي	2	قَدْر
126:3	الطغرائي	1	قَطْر
179:1	دحية بن خليفة	8	قَيْصَر
172:2	اليوسي	1	كِبَار
78:3	عبد الملك بن مروان	4	كَسْرِي
135:3	عبد الملك بن مروان	2	كُفْر
118:3	محيي الدين الاسكندراني	2	لا يَدْرِي
126:3	محيي الدين الاسكندراني	2	لا يَدْرِي
61:2	زهير	1	لا يَفْرِي
82:3	زهير	1	لِصَابِر
77:3	أبوتمام	1	لِلْأَخِر
170:1	أبوتمام	1	لِلْأَمَاطَر
90:2	أبوتمام	2	لِلْبَصَر
113:3	أبو العباس التطيلي	2	لِلْبَصَر
158 و 142:2	أبو العباس التطيلي	1	مِثْرَزِي

112:3	جربير	1	مُتَر
110:3	عروة بن الورد	7	مَجَزَّر
32:3	زهير بن مسعود	3	مُحَبَّر
206:3	المهمل	1	مُدِير
314:1	النابعة	1	مَذْكَار
91:3	المتنبي	1	مَسِير
46:2	ناثلة بنت الفرافصة	2	مِصْر
230:2	اليوسي	3	مُعَذَّر
115:3	ابن خفاجة	3	مِقْدَار
84:2	الوزير المهلب	1	مُقْمِر
145:1	فتى من بني عجل	3	مُنْتَصِر
225:3	فتى من بني عجل	1	مَيْسُور
241:3	فتى من بني عجل	1	نَار
178:1	فتى من بني عجل	2	نَسْر
267:1	ابن مناذر	1	نَمِير
199:2	طرفة	2	نَوَافِر
30:2	اليوسي	1	والأمر
88 - 87:2	اليوسي	11	والأمر
79:3	اليوسي	1	والأمر
55:2	اليوسي	2	والبِشْر
86:3	اليوسي	1	والْبَصْر
202:3	اليوسي	2	والْبَصْر
305:1	اليوسي	2	والْخَبَر
231:1	اليوسي	1	والْخِمَار
82:3	اليوسي	1	والدَّار
147:3	بنت همام بن مرة الوائلي	2	والْعِطْر
82:3	بنت همام بن مرة الوائلي	1	والْقَدْر
84:2	بنت همام بن مرة الوائلي	2	والنُّور
51:2	حاتم الأصم	2	والْيَسْر
117:3	المكيالي	2	وداره
113:3	التهامي	3	ودراري
120:3	أعرابي دخل البصرة	4	ومرمر
147:2	امراة من العرب	1	وقرها
94:3	علي بن جبلة	7	ومختصره
115:3	الرصافي	2	ومقدار
115:3	ابن طباطبا العلوي	2	ويأبصري
167:2	أبو صخر	1	ويستشري
80:3	أبو صخر	1	يَجُر

104:3	أبو صخر	4	يَجْرِي
88:3	أبو صخر	1	يُحَاذِرُ
86:3	أبو صخر	1	يَدْرِي
70:2	أبو صخر	1	يَسَارُ
330:1	اليوسي	6	يَسْتَمْرِي
312:1	امرؤ القيس	1	يُسْرُ
262:1	يحيى بن نوفل	2	يَسِيرُ
89:(2)، 166:1	الأنصاري	2	يَقْرِي
104:3	سويد بن الصامت	2	يَقْرِي

°
)

134:3	سويد بن الصامت	1	اعْتَصَارُ
256:3	امرؤ القيس	3	أَقِرَّ
310:1	طرفة	3	البِكْرُ
35:3	طرفة	1	الظُّهْرُ
87:3	طرفة	1	القَدْرُ
84:3	طرفة	1	القَمَرُ
208:2	طرفة	1	المُؤْتَبِرُ
113:3	علي بن أبي طالب	7	بالنَّظَرِ
84:3	علي بن أبي طالب	1	يَحْجَرُ
112:2	طرفة	1	يَحْرُ
112:2	امرؤ القيس	1	يَقْرُ
179:2	بشار	3	تَغُورُ
311:1	امرؤ القيس	2	حَجْرُ
201:2	البهاء زهير	2	خَاطِرُ
87:3	البهاء زهير	1	صَابِرُ
37:2	البهاء زهير	1	صَافِرُ
85:2	البهاء زهير	2	عَسِيرُ
77:3	البهاء زهير	2	غَبِرُ
229:2	البهاء زهير	2	قَدْرُ
107:1	علي بن أبي طالب	2	قَدْرُ
350:1	صَرْدَرُ	2	للقصورُ
226:2	صَرْدَرُ	2	مانسِرُ
11:2	الأشعر الأسدي	1	مَرُ
141:1	الأشعر الأسدي	1	مُقْتَقَرُ
111:2	طرفة	1	نَزْرُ
135:3	النمر بن تولب	1	نُسْرُ

79:3	النمر بن تولب	1	والخُضْرُ
93:1	عمرو بن أمامة	4	والسَّديْرُ
143:3	أبو العتاهية	3	والنُشْرُ
75:1	أبو عمر الزاهد	4	وبَصْرُ
168:1	امرؤ القيس	2	وتدِرُ
257 - 256:3	طرفة	2	وخَمْرُ
81:3	طرفة	1	وظَفْرُ

الزَّاي

153:3	اليوسي	3	رائِزُ
74:1	اليوسي	2	وأخِرُ
152 - 151:3	اليوسي	10	وحَازُ
154:3	اليوسي	7	يُهْمَرُ

ز

153:3	اليوسي	2	الدَّهَالِيزُ
-------	--------	---	---------------

ز

229:2	ابن جعفر العسقلاني	2	الابْرِيزُ
152:3	ابن الرومي	3	المُتَحَرِّزُ
151:3	ابن الرومي	4	المَهْرُ
151:3	المتنبي	1	بِيَّازُ
150:3	رؤبة	1	عَنْزُ
151:3	رؤبة	2	في اعتِزَارِ
152:3	رؤبة	1	واعْتِزَارِ

ز

152:3	رؤبة	7	من عَوَزُ
204:1	رؤبة	1	ونَاجِزُ

السَّيْنُ س

196:3	رؤية	2	الانْسُ
53:3	المتلمس	3	الأنْفُسُ
113:2	عبد الله بن همام	4	الحمَارِسُ
77:1	امرؤ القيس	1	السُّوسُ
196 - 195:3	امرؤ القيس	2	الطاوُوسُ
187:3	امرؤ القيس	2	القَبَسُ
189:3	امرؤ القيس	1	القرَاطيسُ
32:2	امرؤ القيس	2	القَوَانِسُ
188:3	امرؤ القيس	1	الكيسُ
51:3	امرؤ القيس	1	المتلمسُ
190:3	مهمل	2	المجلسُ
185:3	زيد الخيل	1	المَكِيسُ
184:3	زيد الخيل	1	باخِسُ
17:2	زيد الخيل	1	بِيَهَسُ
208:1	المتلمس	1	بِيَهَسُ
217:1	المتلمس	1	جالسُ
203:3	أعرابي	3	جَلِيسُ
124:2	بعض الرجاز	4	رئيسُ
188:3	بعض الرجاز	1	عَبُوسُ
210:2	بعض الرجاز	1	لِفَارِسُ
190:3	بعض الرجاز	2	مُتَنَفِّسُ
187:3	بعض الرجاز	2	مُلْبَسُ
87:2	بعض الرجاز	2	والأَسُ
192:3	بعض الرجاز	1	وسواسُ

س

196:3	المتنبى	3	التَدْلِيسُ
200:3	محي الدين محمد بن تميم	2	الحِسَّ
189:3	محي الدين محمد بن تميم	2	الخَسَاسَةُ
194:3	الحريري	2	الخَنْدَرِيسُ
189:3	الحريري	1	الرياسةُ
188, 187:3	الحريري	1	النَّاسُ
195:3	الحريري	2	أَمْسَى
190:3	أعرابي	4	أَمْلَسَا

17:2	بيهس	1	بُوسَهَا
189:3	أبوتمام	3	تَاسِيَسَا
209:2	امرؤ القيس	1	تَنَفَتَسَا
196:3	امرؤ القيس	3	حِسَا
186:3	محمود	2	عَابِسَا
201:2	محمود	1	عَرَائِسَا
203:3	أبو بكر الخوارزمي	2	قِرطَاسَا
187:3	الخنساء	2	مَالَتَبِسَا
194:3	الحريري	14	وَبُوسَا
85:2	أبو فراس	2	وَعَسَاهُ

س

193:3	الحريري	11	أَسَه
186:3	العباس بن الأحنف	1	أَمْس
195:3	العباس بن الأحنف	3	الْأَسِي
195:3	ابن المرزبان	3	الْأَكْؤُس
187:3	ابن المرزبان	1	الْأَنَس
197:3	المعري	2	الْأَنَس
200:3	المعري	2	الْإِنَاس
186:3	المعري	1	الْجَلِيس
200:3	المعري	4	الْجَلِيس
188:3	المعري	1	الدَّئَس
198:3	مسلم بن الوليد	4	الدَّهَس
186:3	مسلم بن الوليد	1	الرَّأَس
194:3	الحريري	2	الشَّمْس
213:1	أبوتمام	2	الْقَدُس
184:3	جرير	1	الْقَنَاعِيَس
196:3	المتنبي	3	الْكُؤُوس
188:3	المتنبي	1	الْمَجْلِيس
192:3	المتنبي	1	الْمَقَالِيس
195:3	المتنبي	3	الْمَكْنِيس
158:1	ابن الرومي	2	الْمَوَامِيس
14:2	ابن الرومي	2	النَّاس
188:3	ابن الرومي	1+1+1	النَّاس
198:3	أبو الفتح البستي	2	النَّاسِي
198:3	مسلم بن الوليد	6	النَّرَجِيس
188:3	مسلم بن الوليد	1	النُّفُوس

193:3	الصايبىء	2	النَّقَس
201:3	اليوسى	9	الوكَّس
187:3	اليوسى	1	الياس
194:(3), 264:1	الحريرى	2	أَمْسِه
189:3	أبوتمام	5	أَنَقَاسِي
190:3	أحد بنى شيبان	1	بَايِس
186:3	أحد بنى شيبان	2	بَاس
187:3	أحد بنى شيبان	1	بَاس
75:2	أحد بنى شيبان	4	بالأكياس
185:3	أوس بن حجر	1	بالأمس
97:1	أوس بن حجر	1	بالايناس
195:3	أوس بن حجر	2	بيوسى
190:3	أوس بن حجر	2	بِدارس
76:2	أوس بن حجر	2	بِنُحوس
190:3	محمد بن ابراهيم	2	تَنَسِي
11:2	محمد بن ابراهيم	1	جَلَا سِنَا
143:3	أبو العتاهية	3	جَلَا سِي
263:1	أبو العتاهية	2	حِسَّه
192:3	أبو العتاهية	2	دوَس
188:3	أبو العتاهية	1	راسي
192 - 191:3	دريد بن الصمة	12	طرس
183:1	دريد بن الصمة	1	عَرَسِي
186:3	صالح بن عبد القدوس	3	عَرَسِه
212:3	المعري	1	قابيس
199:3	المعري	1	كاس
197:3	أسقف نجران	3	لا تَمَسِي
195:3	الحريري	5	لَعَنَسِي
340:1	الحريري	1	لَمَلَتَمَس
185:3	الحريري	2	مُعْتَرَسِه
197 - 196:3	المتنبي	8	نَفْسِه
240:1	الخنساء	1	نَفْسِي
191:3	المتنبي	2	نَفْسِي
196:3	المتنبي	3	نَفْسِي
201:3	الخنساء	1	نَفِيس
192:3	الخنساء	10	نُكْسِي
203:3	عمرو بن معديكرب	2	نَوَاس
187:3	امرؤ القيس	2	نَيَّاس
112:3	الحطيئة	1	وَأَصْرَاس

57:1	أبو تمام	2	والباس
184:3	الخطيئة	6	والناس
186:3	الخطيئة	1	والناس
199:3	أبو فراس	2	والباس
229:2	ابن العفيف	2	وأنفاسي
193:3	ابن المعتز	2	وملّتمسي
189:3	أبو تمام	2	ومواسي
200:3	أبو تمام	3	ووسواسي
188:3	أبو تمام	1	ينسي

س

103:1	ربيعة بن مكدّم	3	عابيس
-------	----------------	---	-------

الشين

ش

243 - 242:3	بيغص الوعاظ	12	انتعاش
245:3	اليوسي	31	نقش

ش

203:2	كشاجم	4	أشا
155:3	كشاجم	1	تغشاه
243:3	سابق البربري	1	جاشا

ش

243:3	سابق البربري	1	الحواش
243:3	سابق البربري	1	الرّيش
243:3	المتنبي	1	القماش
191:2	المتنبي	2	كالفراش
243:3	القائم بأمر الله العباسي	4	مُعْطِش
244:3	القائم بأمر الله العباسي	1	واش

الصَّاد

ص'

30:2	ابن جابر	2	مخصوص'
117:1	ابن جابر	1	قَمِيص'
166:1	ابن الخالدي	2	يَرْخُص'
58:2	ابن الخالدي	2	يُنْعَض'

ص

268:2	ابن الخالدي	1	خَمَائِصًا
194:1	ابن الخالدي	1	قَمِيصًا

ص

31:2	ابن الخالدي	2	الخَرِص
49:(3), 340:1	ابن الخالدي	1	القَرَامِيص
283:1	ابن الخالدي	2	تَرْقِيصِهِ

الضَّاد

ض'

171:1	الطائي	2	النَّضَائِض'
84:2	ابن الرومي	2	تَمْرُض'
14:2	ابن الرومي	3	يُمْرُض'

ض

80:2	ابن الرومي	2	تَعَرَّضًا
271:1	ابن الرومي	1	عَرِيضًا
88:2	المعري	1	غَرَضًا
77:1	القاضي عبد الوهاب	2	مُنْقِضُهُ
35:3	الاعشى	1	وَمِيضًا

ض

119:1	ذو الاصبع العدواني	5	الأَرْض
-------	--------------------	---	---------

198:1	ذو الاصبع العدواني	2	الأرض
13:2	العباس بن الحسن العلوي	1	الأرض
145:2	امرؤ القيس	1	الجريض
170:3	امرؤ القيس	1	القريض
59:3	امرؤ القيس	1	المهريض
216:2	امرؤ القيس	1	بالمقراض
197:1	أبو خراش الفذلي	8	بعض
168:1	امرؤ القيس	3	بيض
53:(3), 197:1	طرفة	2	عريض
21:2	ابن الرومي	5	عريض
35:2	ابن الرومي	2	غموض
126:2	الراجز	1	لعض
19:3	امرؤ القيس	1	مريض

ض

146:2	الحريري	1	الجريض
228:2	أبو بكر بن حجة	2	تعارض

طاء

ط

177:2	ابن شهيد	3	وخطا
202:2	ابن شهيد	1	وسطا

ط

185:3	الراجز	1	الحواط
78:3	عبد الرحمان بن الأشعث	3	الخلط
243:2	أنشدته الجوهري	1	النمط
31:2	ابن حجة الحموي	4	بالبسط

طاء

ظ

158:1	إسحاق بن سويد	3	حفاظ
-------	---------------	---	------

ظ

52:2	إسحاق بن سُويد	3	غَائِظَةٌ
52:2	إسحاق بن سُويد	1	لَاقِظَةٌ

الْعَيْنُ

ع

236:3	أبو صخر الهذلي	1	أَتَضَعُضَعُ
354:1	أبو صخر الهذلي	1	أَصْنَعُ
210:3	عنبرة	1	الْأَيْقَعُ
117:1	النابعة	1	التَّدَافِعُ
95:1	الجُعِيد المُرَادِي	1	الْجَزَعُ
205:2	الجُعِيد المُرَادِي	1	الْقَنْوَعُ
116:1	جرير	1	المُسْتَرْضَعُ
181:3	أوس بن حَجَر	1	المُقَرَّعُ
138:2	أوس بن حَجَر	2	الودعُ
156:2		1	أَوْسَعُ
63:1	ليبيد	1	يَلَاقِعُ
101:1	أبو ذئيب	1	تَبَعُ
200:2	أبو ذئيب	3	تَخْمَعُ
7:3	أبو ذئيب	1	جَائِعُ
122:2	عاتكة بنت عبد المطلب	6	سَمَاعُهُ
82:2	عاتكة بنت عبد المطلب	3	شَرَّعُ
101:1	حسان	1	صَنَعُ
45:3	النابعة الذبياني	1	ظَالِعُ
206:2	ليبيد	1	قَانِعُ
45:3	أبو ذئيب	1	لَا يَظْلَعُ
156 - 155:2	أبو ذئيب	6	مَا تَصْنَعُ
172:1	أبو ذئيب	1	مَدَامِعُ
175:2	النابعة	3	نَاقِعُ
193:2	النابعة	1	هَاجِعُ
174:3	عمرو بن معديكرب	1	هَجُوعُ
219:1	النابعة	1	وَاسِعُ
49:3	النابعة	1	وَالْبَيْعُ
171:1	النابعة	2	وَيَهْجَعُ
297:1	النابعة	2	يَسْتَمْتِعُ
99 - 98:1	قُرَاد بن جَرَم	3	يَنْفَعُ

ع

123:1	الراعي	1	أَصْبُعًا
203:1	الراجل	1	الْجَلَنَفَعَةُ
149:3	علي بن أبي طالب	2	الصَّنِيعَةُ
252:1	المراكشي	1	الطَّبَاعَا
156:2	أبو زياد الاعرابي	2	الْقِنَاعَا
103:1	ربيعة بن مُكْدَم	5	الْمَنِيْعَةُ
138:2	ربيعة بن مُكْدَم	1	الْوَدْعَةُ
183:1	متمم	2	تَقَعَقَعَا
165 - 164:3	أم حكيم الخارجية	2	جَامِعَا
222:3	أم حكيم الخارجية	3	جَمْعَا
141:2	قرين بن مصاد الكلبي	6	جَمِيعَا
126:1	قرين بن مصاد الكلبي	1	سَمْعَا
182:3	أبو العتاهية	2	سَمْعَا
273:1	الحكيم	2	صَنَعَا
205:2	عدي بن زيد العبادي	1	قَانِعَا
98:2	عدي بن الرقام	1	كَرْعَا
128:1	هُبَيْرَةُ اليربوعي	1	لَا قَرْعَا
341:1	هُبَيْرَةُ اليربوعي	1	مُتَمَتِّعَا
162:3	عمر بن الأبرد	1	مَطْلَعَا
131:2 ، 193:1	حاتم الطائي	4	مَعَا
302:2	الزبير بن عبد الله	2	نَفْعَةُ
215:3	متمم بن نويرة	2	يَتَصَدَّعَا

ع

226:2	متمم بن نويرة	5	الْأَسْمَاعُ
63:1	العبدى	1	الْأَفَاعِي
325:1	العبدى	1	الزَّرْعُ
78:2	العبدى	2	الطَّلُوعُ
20:3	الشماخ	1	الْقُدُوعُ
205:2	الشماخ	1	الْقَنُوعُ
185:2	ذو الرمة	1	المَوَانِعُ
225:3	ذو الرمة	1	بِأَمَقِّعٍ
273:1	ذو الرمة	5	بِإِدْيَعٍ
118:2	ذو الرمة	1	بِجَائِعٍ
176:3	الحطيطه	1	بِمُسْتَطَاعٍ
33:2	الحطيطه	2	بِنَافِعِي
172 - 171:1	عبد الله بن طاهر	2	دَاعِيَه

177:2	ابن المد: توفي	1	داعيه
174:3	بعض الأعراب	1	سمِع
174:3	بعض الاعراب	1	شفيِع
84:2	أبو حفص بن برد	2	طالِع
75:1	أبو دلف العجلي	1	فاصنَع
340:1	الخطيئة	1	لَكَام
28:2	ابن الرومي	2	منَعِي
33:2	ابن الرومي	3	نافِع

ع°

192:1	سويد بن أبي كاهل	1	بالخدَع°
176:2	سويد بن أبي كاهل	3	فرَجَع°

الغَيْن

غ°

69:3	سويد بن أبي كاهل	1	المُبَلَّغ°
------	------------------	---	-------------

غ°

355:1	ابن رشيق	2	بِمُسِيغ°
-------	----------	---	-----------

الفاء

ف°

199:1	ابن رشيق	1	الرَّصَف°
90:1	القطامي	1	الصَّلَاف°
105:1	القطامي	1	الكتَّاف°
125:2	القطامي	1	الكتَّاف°
274:1	المتنبي	1	أَوف°
63:3	المتنبي	2	إنصاف°
285:1	ابن النبيه	3	تُشَرَف°
83:2	اليوسي	7	تُشَرَف°
23:2	العطوي	2	تَقْصَف°
87:2	العطوي	2	خلاف°
141:3	جرير	1	سَرَف°
313:1	جرير	2	لا تُعرَف°
89:2	جرير	2	مُتعارَف°
199:3	جرير	2	لمتعرَف°
296:2	جرير	2	وأضعف°
335:1	جرير	2	والسَّرَف°

ف

54:2	جرير	1	أكافاً
353:1	جرير	2	انطفأ
352:1	جرير	2	كفاه
48:2	جرير	2	ماصفاً
239:3	ابن أبي حاتم	2	ماصفاً
30:2	ابن جابر	1	معرفته
228:2	ابن جابر	2	نشفاً
121:2	أبو تمام	1	وكفى

ف

104:2	الفارعة بنت طريف	2	ابن طريف
75:3	صرّكّر	2	أطرافه
62:3	خفاف بن ندبة	1	الاثافي
353:1	ابن طباطبا	2	المكتفي
109:2	الفارعة بنت طريف	1	بأنوف
177:1	أبو الأسود	2	بفيها
29:2	شرف الدين عنين	2	تلاف
91:2	شرف الدين عنين	2	خفي
235:2	شرف الدين عنين	1	شاف
23:2	شرف الدين عنين	2	شرف
214:3	عمرو بن عدي	1	فيه
139:1	عمرو بن عدي	3	فيها

ف

166:1	منصور الفقيه	2	التخلف
169:1	الحماني	7	المطارف

القاف

ق

330:1	الصابيء	3	أحذق
66:3	صالح بن عبد القدوس	2	أحمق
169:3	حاجب بن ززارة	3	أخرق
157 - 156:1	ابن سناء الملك	2	أرزق
95:2	أنشده الجوهري	2	أرفق
142:1	أنشده الجوهري	1	اسقوني
148 و 52:1	الحماسي	1	الخلق
170 - 169:1	عبيد	7	بروقه

85:1	عبيد	1	تَنَقُّ
52:1	عبيد	1	تَنَقُّ
204:2	عبيد	2	تَفَرَّقَهَا
53:1	كثير عزة	2	تَوَافَقَهُ
202:1	كثير عزة	1	حَازَقُ
351:1	ابن سناء الملك	3	سَاقُ
171:1	ابن سناء الملك	2	شَاقُّ
148:3	بنت عانسة	2	شَقَائِقُ
234:3	بنت عانسة	1	شُقُوقُ
283:1	بنت عانسة	2	ضَيِّقُ
96:2	بنت عانسة	2	طَرِيقُ
131:2	عمر بن الأهتم	2	طَرِيقُ
171:1	عمر بن الأهتم	1	فَتَحْتَرَقُ
142:3	أبو محجن	2	عُرُوقُهَا
218:2	أبو محجن	1	لَحَقُ
88:1	رجل من بني عامر	8	لَطَرُوقُ
199:3	ابن الساعاتي	2	نِفَاقُ
224:3	أبو سجرة السلمي	3	وَرَقُ
217:2	الأعشى	1	وَيَأْفِقُ
81:1	الأعشى	1	يُسَاقُ
40:2	الأعشى	1	يَسْبِقُ
59:3	الشماخ	1	يَسْبِقُ
79:2	ابن صارة	2	يُشْرِقُ
157:1	البحثري	1	يَشْرِقُ
35:2	ابن سكرة	2	يَعْشَقُوهُ
273:1	ابن سكرة	2	يَقْلَقُ

ق

228:3	رؤبة	1	الْأَمَقَه
76:2	رؤبة	3	السَّرَقَا
30:2	ابن جابر	2	الطَرِيقَه
103:3	ابن جابر	2	أَلْقَاهُ
53:3	ابن جابر	1	أَلْقَاهَا
44:2	زهير	2	أَعْتَنَقَا
141:3	زهير	1+1	خَلَقَا
116:2	زهير	1	سَاقَا
89:2	ابن قلافس	2	غَرِيقَا
25:1	ابن قلافس	1	لَيْقَا

25:1	زهير	1	والأبقا
224:3	زهير	1	ورقا

ق

66:3	زهير	1	الأحمق
216:1	المتنبي	1	الأصاقد
196:1	معاوية بن أبي سفيان	1	الأنوف
236:2	ابن مُنَازِر	2	الحقوق
356:1	اليوسي	12	الخلق
13:2، 185:1	اليوسي	2	الرافيف
254:3	عدي بن زيد	1	الراؤوق
91:2	عدي بن زيد	1	الزرق
198:3	عمر بن أبي ربيعة	3	العنيف
155:1	عمر بن أبي ربيعة	5	النطوق
78:1	المتنب العبدى	1	أمرق
203:1	المتنب العبدى	1	أمرق
239:1	المتنب العبدى	1	تلحف
165:1	المتنب العبدى	1	صديق
255:2	الامام الشافعي	1	ضيق
58:2	الامام الشافعي	2	طريق
19 - 18:2، 94:1	عمرو بن أمامة	2	فوقه
318:3	الراجز	3	نلتقي
282:1	القاضي عبد الوهاب بن نصر	2	والضيق
92:2	بعض الأعراب	1	وريقى
204:2	الامام الشافعي	2	وصندوقى
186:1	الامام الشافعي	2	يستقي

ق

85:1	رؤبة	1	المأق
62:1	عبيد بن الأبرص	3	برق
85:1	عدي بن زيد	1	تئق
185:2	الراجز	1	لا تئق

الكاف

ك

152:1	الراجز	3	هواكم
-------	--------	---	-------

ك

158:1	الراجز	1	تَارِكًا
276:1	أبو القاسم الجنيد	2	رَأَيْتُكَ
280:1	صالح بن موسى	3	فَاشْتَكَا
247:1	ابن الرومي	4	مَالِكًا
26:2	ابن الرومي	1	مَسْلُكًا
149:3	الثعالبي	2	مَسْلُكًا
135:2	الثعالبي	1	مَعْنَاكَ
85:2	ابن حمديس	2	مُنْسَلِكَةً
98:1	قُرَاد بن جَرَم	3	مُفْرَكًا

ك

32 - 31:2	قُرَاد بن جَرَم	4	اِنْتَك
160:2	قُرَاد بن جَرَم	2	بِالتَّارِكِ
210:2	قُرَاد بن جَرَم	1	بِيَالِكِ
105:1	طرفة	2	مَالِكِ
93:2	برذعة الموسوس	3	مَالِكِ
236:3	الراجز	1	نُشْكِيهَا
191:2	الراجز	5	يَحْكِيهِ

ك

228:2	الراجز	2	لَكَ
312:1	الراجز	2	مَعَكَ

الـ لـ

191:2	الراجز	1	أَجْهَلُ
240:2	الراجز	1	أَعَزَلُ
195:2	كعب بن زهير	1	الْأَبَاطِيكُ
105:1	الكميت	1	الْخَضِيلُ
101:3	أعرابي	6	السَّهْلُ
305:2	الصفدي	2	الْعَذُولُ
168:2	قيس بن ذريح	2	الْقَبَائِلُ
167:1	زهير	1	الْقَتْلُ
202:2	المعري	2	الْمُنْتَطَاوِلُ
20:2	زهير	1	النَّعْلُ
137:2	الاعشى	1	الْوَعْلُ
118:1	المعري	1	أَهْوَالُ

149:1	المعري	1	أَوَائِلُهُ
295 - 294:1	معن بن أوس	7	أَوَّلُ
63:3	طرفة	7	بَحْيِلُ
268:1	زهير	1	بَسَلُ
309:1	حميدة بنت النعمان بن بشير	1	بَعْلُ
155:2	من شعراء الحماسة	1	جَلِيلُ
215:3	أبو خراش	3	جَلِيلُ
54:1	السموأل	1	جَمِيلُ
200:2	الشنفرى	1	جَيْتَلُ
221:3	عمير بن ضابىء البرجمي	1	حَلَائِلُهُ
57:2	عمير بن ضابىء البرجمي	1	حَوْمَلُ
264:2	عمير بن ضابىء البرجمي	1	رَائِلُ
142:3	ليبيد	1	رَائِلُ
147:2	الاعرابي	1	سَبِيلُ
107:2	زهير	1	سَجَلُ
47:3	ليبيد	1	شَامِلُ
8:2	ليبيد	2	شَعْلُ
122:1	صاحب تأبط شرا	1	صَلُ
81:2	صاحب تأبط شرا	2	صَلِيلُ
284:1	صاحب تأبط شرا	2	طَائِلُ
179:(2)، 165، 161:1	صاحب تأبط شرا	1+1+1	طَوِيلُ
12:2	ابن المبارك	1	طَوِيلُ
102:3	يحيى بن طالب الحنفي	7	طَوِيلُ
160:3	جرير	1	عَاذَلُهُ
107:2	زهير	1	عُصْلُ
33:3	زهير	2	عَقْلُ
112:1	السموأل	1	فَعُولُ
238:3	عَلَّاقَةُ	2	قَبْلُ
200:2	الهلذلي	1	قَلِيلُ
12:2	ثَقِيلُ	1	قَلِيلُ
155:2	ثَقِيلُ	2	قَلِيلُ
167:3	كعب بن زهير	1	قَبِيلُوا
221:1	كعب بن زهير	1	كَامِلُ
158:3	كعب بن زهير	1	كَاهِلُهُ
8:3	كعب بن زهير	1	لَا تَتَنَقَّلُ
33:3	كعب بن زهير	3	مَا الدَّخْلُ
127:2	كعب بن زهير	1	مَجَاهِلُهُ
114:2	زهير	1	مَعَاقِلُهُ

95:2	كعب بن زهير	1	مَقْبُولُ
107:1	كعب بن زهير	1	مُكْتَحِلُ
115:2	كعب بن زهير	1	مَمْلُوكُ
134:1	معن بن أوس المزني	2	مَنْزَلُ
175:2	جندح	8	مَوْصُولُ
311:1	زهير	1	نَائِلُهُ
263:1	بعض الأشراف الطالبين	2	نَتَكِلُ
46:3	بعض الأشراف الطالبين	1	نِصَالُهَا
155:1	زهير	4	نَوَافِلُهُ
235:1	أنشده الأصمعي	21	هَاطِلُ
355:1	اليوسي	2	وَابِلُ
150:3	اليوسي	1	والرجالُ
270:1	زهير	1	والفعلُ
223:2	أبو تمام	10	والمفاصلُ
351:1	أبو السكن	2	وترتحلُ
125:1	أبو السكن	1	وتساجلُهُ
223:3	ضايء بن الحارث	6	وتواصلُهُ
11:2	بعض الثقلاء	3	وثَقِيلُ
19:2	أنشده بلال	2	وحَلِيلُ
253:3	أنشده بلال	1	وجَنَدِلُ
40:2	زهير	1	وحلائلُهُ
124:1	القطامي	1	ودَغَفَلُ
76:1	الحماسي	3	وسَيَالُهَا
131:2	الحماسي	5	وصُولُ
57 - 56:2	العجيز السلولي	8	يُجَادِلُهُ
146:3، 207:1	الفرزدق	1	يَسْتَبِيلُهَا
35:2	أعرابي	2	يَطُولُ
178:2	أعرابي	1	يَطُولُ
148:3	بنت عانسة	2	يَعْقِلُ
268:2	زهير	5	يُغْلُوا
251:3	الكميت	1	يَنْتَحِلُ
29:2	الكميت	2	يُؤَاصِلُ

ل

216:1	الكميت	2	الاقبالُ
157:3	الكميت	1	الأوعالُ
186:1	الكميت	1	الدلالُ
254:3	الأخطل	1	العقولُ

231:3	الأخطل	2	المَحَلَّ
221:2	ابنة كلمن	3	المَحَلَّة
38:2 ، 102:1	ابن كلمن	1	أَجْدَلَا
97:2	ابن كلمن	1	أَحْبَلَا
161:2	ابن كلمن	2	بَدِيلَا
133:1	ابنة كلمن	1	بَقْلَا
355:1	ابنة كلمن	1	تَسَلَّتْ
245:2	ابن شرف	3	تَطْفِيلَا
252:2	ابن شرف	2	تَعْدِيلَا
246:2	ابن شرف	6	تَقْلِيلَا
221:1	ابن شرف	1	تَكْمِيلَا
44:3	ابن شرف	1	ثَاقِلَا
352:1	ابن شرف	3	جَلَّتْ
230 و 150:3	ابن شرف	1	جَمَلَا
84:1	ابن شرف	2	جَمِيلَا
143 - 142:3	أبو العنثاهية	5	حَبَالَا
348:1	ابن الساعاتي	5	حَمَلَكْ
165:3	أم حكيم الخارجية	3	حَمَلَهْ
355:1	أم حكيم الخارجية	1	خَبَالَا
246:1	أم حكيم الخارجية	2	خَلَّهْ
354 - 353:1	أم حكيم الخارجية	3	دَلِيلَهْ
64:2	أم حكيم الخارجية	1	سَبَالَهَا
38:3	أم حكيم الخارجية	2	صَلَاهَا
27:2	ابن النبيه	1	طَوِيلَا
346:1	ابن النبيه	3	طَوِيلَهْ
221:2	أبو الفتح السبتي	2	عَامِلَهْ
287:1	أبو الفتح السبتي	2	عَلَيَّ
93:3	ابن شرف	2	عِيلَا
355:1	ابن شرف	2	فَشَلَّتْ
346:1	ابن شرف	2	فَضْلَا
15:2	كنشاحم	2	فَلَا
221:1	ابن شرف	1	فَمَرْدُولَا
124:1	السُّلُكَة أم السُّلُك	1	قَتَلَكْ
122:2 ، 146:1	السُّلُكَة أم السُّلُك	1	قِيلَا
193:2	السُّلُكَة أم السُّلُك	1	كَلَاوَلَا
282:1	ابن الخطيب	2	كَمَالَا
68:3	ابن الخطيب	4	لَا مَحَالَهْ
25:2	ابن الخطيب	2	لَكْ

272 - 271:1	ابن أدينة	8	لها
55:3	راجز	3	مالا
31:2	ابن جابر	2	متصلة
178:2	ابن جابر	2	مثلا
221:1	ابن شرف	1	محبولا
272:1	ابن شرف	2	مجملا
179:2	بعض العارفين	3	مخلا
186:3	ابن شرف	2	مشغولا
74:3	أبو الشمقمق	2	مُعجلا
255 - 254:2	ابن شرف	4	معزولا
111:3	كثير	2	ملت
193:3	حبيب	1	مهزولا
92:3	ابن شرف	3	وتسفيلا
89:1	لبيد	1	وتعملا
139:3	أبو العتاهية	1	ورمالا
50:1	الغنوي	3	وزلت
78:2	أبو بكر بن زهر	3	وغالني
221:1	ابن شرف	1	ومعسولا
89:1	الحماسي	1	وملت
357:1	الحماسي	3	وملت
137:2	أمية بن أبي الصلت	2	يزولا
16:3	النابعة	2	يزولا

ل

85:2	أمية بن أبي الصلت	2	احتياال
106:2	الهذلي	1	أخذولي
23:3	ابن التعاويذي	2	أسفله
123:1	ابن التعاويذي	1	أصلال
47:3	امرؤ القيس	1	أقوال
102:1	دريد بن الصمة	1	الأجدل
170:1	كثير	3	الأشوال
139:3	ربيعة بن مقروم الضبي	1	الأظلل
14:3	ربيعة بن مقروم الضبي	1	الأكفال
155:2	حسان بن حنظلة	2	الأموال
197:2	العطوي	1	الأنامل
144:2	الأعشى	1	الأهوال
34:1	أبو تمام	1	الأول
69:1	حسان	2	الأول

124:2	امرؤ القيس	1	البالي
50:2	امرؤ القيس	2	البقل
12:2	بشار	3	الثقال
349:1	ابن قلاقس	2	الجبال
78:2	ابن قلاقس	2	الجلال
227:2	ابن قلاقس	4	الجهال
196:1	ابن قلاقس	1	الحويل
135:2	الكميث	1	الحويل
340:1	امرؤ القيس	1	الخالبي
137:1	امرؤ القيس	2	الذليل
222:2	عبد الله بن سليمان	1	الرجال
270:2	عبد الله بن سليمان	2	الرجال
147:3	بنت عانسة	1	الرجال
53:1	امرؤ القيس	1	الرحل
204:1	امرؤ القيس	1	الرحيل
119:2	امرؤ القيس	3	الرواحل
156:1	ابن حيوس	3	السؤال
231:2	اليوسي	4	السفل
50:2	اليوسي	2	الشكل
62:2	بعض هذيل	1	الشمال
350:1	أبو إسحاق الغزي	2	الشمال
56:1	أبو إسحاق الغزي	1	الطول
66:1	أبو إسحاق الغزي	1	الطويل
61:3	المنقري	1	العقل
90:2	المتنبي	1	الغزال
314:1	المتنبي	1	الفصيل
148:2	المتنبي	2	الفطحل
99:2	المتنبي	1	القبيل
147:3	بنت عانسة	1	القذال
13:3	جرير	1	القرمل
239:2	أبو النجم	1	القليل
185:1	امرؤ القيس	1	القواعل
119:2	امرؤ القيس	2	الملك
131:1	الحماسي	2	المثاقيل
138:3	امرؤ القيس	1	المثحمل
137, 48:2	امرؤ القيس	1	المجادل
245:2	امرؤ القيس	1	المركل
284:1	ابن الساعاتي	2	المقبل

229:3	حسان	1	المُقبِل
185:2	امرؤ القيس	1	المنَاهِل
58:2, 194:1	أبو تمام	1	المنَزَل
148:1	أبو تمام	1	النَّاقِل
121 - 120:2	أنشد للأصمعي	1	الهول
159:1	الحماسي	2	أهل
248 - 247:1	رجاء بن هارون	2	أهلي
248:1	ابن ميادة	2	أهلي
248 - 247:1	رجاء بن هارون	2	أول
86:1	امرؤ القيس	1	باجدال
211:2	زيد الخيل	3	بالذليل
208:2	الراجز	1	بالفحول
228 - 227:2	الراجز	2	بالمال
235:2	ذو الكلب الهذلي	1	بالي
123:1	امرؤ القيس	1	بتضلال
123:1	عمرو بن شاس الاسدي	1	بتضلال
120:1	كثير	1	بحبُول
137:2	كثير	1	بعسيل
98, 77:2	كثير	1	بفتيل
18:3	امرؤ القيس	1	بمأسل
197:2	عنزة	3	بمعزل
20:2	امرؤ القيس	1	بنبال
97:2	امرؤ القيس	1	بيذيل
169:3	امرؤ القيس	1	تتفل
45:1	عبد الله بن رواحة	2	تنزليه
289:1	امرؤ القيس	1	تنسل
44:2	امرؤ القيس	1	جندل
153:1	ابن سناء الملك	2	جهل
108:2	ابن سناء الملك	3	جهول
314:1	الهذلي	1	حائك
76:2	الهذلي	7	حال
83 - 82:1	الحارث بن عباد	3	حيال
230:2	اليوسي	2	خال
88:3	اليوسي	2	خال
255:3	امرؤ القيس	1	خال
238:1	الهمداني	2	خدول
38:1	الهمداني	1	دليل
193:2	الهمداني	1	رحل

156:1	الهمداني	1	زُلال
57:2	امرؤ القيس	1	شِمْلالي
152:1	امرؤ القيس	2	عَذْلِي
66:3	امرؤ القيس	1	عَقْل
147:1	ابن أبي الطاهر	1	فَضْلِهِ
88:2	ابن أبي الطاهر	4	قَبْلِي
130:2	مالك بن جريز	2	قَلِيل
193:1	طرفه	1	كَذَلِكَ
161:3	الطغرائي	1	لِلْعَذَلِ
174:2	امرؤ القيس	5	لِيَبْتَلِي
267:2	الامام الشافعي	2	مَالِي
148:3	بنت عانسة	1	مَبَالِي
107:2	موسى بن حابر	1	مِثْلِي
242:2	امرؤ القيس	1	مُحَوَّل
211:2	عبد الصمد بن المعذل	3	مُذَال
217:2	المتلمس	1	مُضْلَك
53:3	المتلمس	2	مُضْلَك
203:1	امرؤ القيس	3	مِغْزَل
51 - 50:1	أبو كبير الهذلي	2	مُغْفِل
129:1	امرؤ القيس	2	مُكَلَّل
129:1	امرؤ القيس	1	مَوَالِي
230:2	اليوسي	2	مِيَال
20:2، 82:1	امرؤ القيس	1	نَابِل
19:2	أنشده أبو بكر الصديق	1	نَعْلِهِ
182:3	أنشده أبو بكر الصديق	1	هَدِيك
170:3	لبيد	1	هَلَال
100:1	امرؤ القيس	1	وَلَا أَل
169:1	كنير	1	وَالْجَبَلِ
200:3	الطغرائي	1	وَالْعَمَلِ
81:2	الأرجاني	1	وَالْقَنَابِلِ
183:2	الحماسي	2	وَأَوْصَالِي
49:1	الأحوص	2	وَبِأَزَلِ
301:1	الأحوص	2	وَحَالِ
220:1	الأحوص	1	وَرَحْلِي
229:2	ابن العفيف	2	وَصَالِي
82:2	الصفى الحلي	2	وِطْلَهُ
182:3	الصفى الحلي	1	يُؤْيِك
103:1	دريد بن الصمة	6	يُقْتَل

يُقْتَلُ 1 دريد بن الصمة 198:2

ل

322:1	دريد بن الصمة	1	الأَجَلُ
84:2	ابن المعتز	1	الأَشَلُ
229:3	الأخطل	1	الجُعَلُ
132:1	لبيد بن ربيعة	3	الجَمَلُ
14 - 13:2	حظوة البرمكي	11	الحُمُولُ
229:2	ابن العفيف	2	الخليفُ
152:1	ابن العفيف	2	العَدُولُ
137:3	الراجز	1	بالعَمَلُ
32:2	اليوسي	3	كَحِيلُ
30:2	ابن جابر	3	وعَسَلُ

الميم

م

144:1	زهير	1	أرومُ
129:2	الوليد بن عقبة	3	الاديمُ
223:2	الوليد بن عقبة	3	الأممُ
312:1	ذو الرمة	1	اليومُ
100:1	ذو الرمة	1	التعليمُ
154:2	المتنبي	1	الجَهَامُ
60:3	النابعة	2	الحرامُ
51:1	قيس بن زهير	1	الحليمُ
132:1	قيس بن زهير	1	السَّوَاجِمُ
333:3	قيس بن زهير	1	الصَّمِيمُ
335:1	حبيب	2	الكَلِمُ
172:3	حبيب	2	اللَّهْذَمُ
154:1	أبو الشيص	1	اللَّوْمُ
110:1	حسان	1	النَّعِيمُ
16:1	حسان	1	الهُشِيمُ
172:2	حسان	1	تَدْوَمُ
110:1	حسان	1	جريمُ
173:1	أبو نواس	2	حرامُ
139:3	أبو نواس	1	حرامُ
198:2	زهير	1	حرمُ
29:2	ابن حجة الحموي	3	خيموا
59:3	أوس بن حجر	1	اقمُ

175:1	أوس بن حجر	2	رميم
202:3	أوس بن حجر	2	سالم
128:2	أوس بن حجر	1	ضرام
112 - 111:1	أوس بن حجر	2	ضرام
126:1	أوس بن حجر	1	عالم
164:1	أوس بن حجر	2	عظيم
187:2	الهذلي	1	فطيها
16:2	أسماء المرية	6	قدومها
165:1	أسماء المرية	2	قديم
156:3	زهير	1	قديم
207:2	طرفة	1	قيمه
333:1	طرفة	1	كريم
103:2	طرفة	1	كلام
157:2	ابن الخياط	5	كلام
24:2	ابن الخياط	2	لائم
322:1	قيس بن زهير	5	لا يريم
111:1	العجاج	1	مخرنجه
129:2	خالد بن معاوية السعدي	3	مركوم
13:3, 138:2	علقمة	1	مركوم
18:2	علقمة	1	مصلوم
223:3	علقمة	1	معجوم
183:1	علقمة	1	مقروم
159:1	علقمة	1	هم
182:1	أبو خراش	1	هم
147:1	أبو الأسود أو غيره	2	وخصوم
132:1	المتنبي	1	ورازمه
178:3	المتنبي	2	ورم
137:3	ابن النقيب	2	يترنم
217:2	طرفة	1	يشمه
304:2	بهاء الدين بن النحاس	3	يهيم

م

218 - 27:3	بهاء الدين بن النحاس	2	أتقدما
172:3	أبو الخطفا	2	أعلما
213:2	أبو الخطفا	1	إقداما
114:2	الراجز	1	الأرما
189:2	عبيد بن الأبرص	2	الحمامة
207:1	عبيد بن الأبرص	1	الدما

87:2	الخوارزمي	2	الدِّيمَا
126:2	الراجز	1	الشَّحْعَمَا
116:1	أحد بني كلاب	1	الطَّعَمَا
223:2	البحثري	1	الْقَلَمَا
27:1	النمر بن تولب	1	تَحْكَمَا
105:3	النمر بن تولب	1	تَهْدَمَا
215:3	النمر بن تولب	3	جَذِيمَهْ
79:1	النمر بن تولب	1	حَمَامَا
219:1	حسان	2	دَمَمَا
226:2	حسان	1	صَامَا
237 - 236:2	حسان	2	عَدَمَا
60:1	معاوية بن بكر	5	غَمَامَا
79:1	معاوية بن بكر	1	غَنَمَاهَا
52 - 51:3	طرفة	6	فَانْعَمَا
105 - 104:1	ربيطة بنت جذل الطعان	7	قَدَّمَا
128:1	أبو بكر الخوارزمي	2	لِمَامَا
118:1	المتلمس	1	لِيَعْلَمَا
250:3، 121:1	طرفة	1	مَجْثَمَا
200:1	أبو بكر محمد بن داوود الظاهري	4	مُحَرَّمَا
228:1	أبو بكر محمد بن داوود الظاهري	2	مُقَسَّمَا
130:2	خالد بن معاوية السعدي	2	هَشَمَا
182:3	خالد بن معاوية السعدي	1	وَأَعْدَمَا
64:2	حصين بن الحمام المري	1	وَأَلَمَا
167:2، 79:1	حميد بن ثور	6	وَتَرْنَمَا
270 - 269:1	الملك مرشد الخبير	6	وَمِيْثَمَا
150:2	الملك مرشد الخبير	2	وَهَجَرْتُمَاهَا
8:3	الملك مرشد الخبير	1	وَيَظْلِمَا
182:1	الملك مرشد الخبير	1	يَلَامَا

مـ

324:1	الملك مرشد الخبير	2	اَقْدِم
104:1	ربيعة بن مُكْدَم	7	الأخْزَم
196:1	ربيعة بن مُكْدَم	2	الأعْصَم
78:3	عبد الرحمان بن الأشعث	1	الأقْوَام
13:2	عبد الرحمان بن الأشعث	2	الألِيم
116:1	جرير	1	الْبِرَاجِم
172:3	جرير	2	التَكَلُّم
224:2	كُشَاجِم	3	التَنْعُم

113:1	خَلَفَ بن خليفة	1	الْحُرْمِ
35:2	الكتاني	2	الْحُرْمِ
27:2	محيي الدين البغدادي	2	الْحُرْمِ
80:1	العجاج	1	الْحَمِ
166:2	العجاج	2	الحمائم
37:3	ابن هرمة	2	الْخُدَامِ
9:2	عنبرة	1	الْخَيْمِ
172:3	عنبرة	1	الدَّرَاهِمِ
56 و 51:2	عنبرة	1	الدَّهْمِ
173:1	الفرزدق	1	الدَّوَامِي
157 و 156:3	عنبرة	2	الدَّيْلَمِ
226:2	عنبرة	3	العائِمِ
202:1	عنبرة	1	العَظْمِ
29:2	البوصيري	1	العَلَمِ
237:3	جَنَامَة	1	العمائم
215:2	جَنَامَة	1	القَلَمِ
159:3	حسان	1	الكَرِيمِ
70:2	المتنبي	1	اللَّئِيمِ
218:3	المتنبي	1	اللَّئِيمِ
317:1	الحماسي	1	اللَّحْمِ
247:1	الحماسي	2	المتقادم
96:2	الحماسي	2	الْمُنَيَّمِ
109:2	زهير	5	الْمُرْجَمِ
128:1	عنبرة	1	المَطْعَمِ
95:2	عنبرة	1	المُكْرَمِ
165:3	قطري بن الفجاءة	10	أَمَّ حَكِيمِ
177:2	قطري بن الفجاءة	3	المنام
74:3	قطري بن الفجاءة	2	الْهَمِّ
237:3	عقيل بن عُلْفَة المري	1	بِالْجَمَاجِمِ
224:1	زهير	4	بِالدَّكِّ
81:2	عنبرة	1	بِالدَّهْمِ
338:1	عنبرة	3	بِالدَّهْمِ
201:1	عنبرة	1	بِالْقَضْمِ
67:2	الحماسي	1	بِالتَّكْلُمِ
168 - 167:2	عدي بن الرقاع	4	بِالتَّنَسُّمِ
227 - 226:2	عدي بن الرقاع	2	بِثُومِ
199:2	عدي بن الرقاع	2	بِالدَّهْمِ
79:2	عدي بن الرقاع	2	بِظَلَامِهِ

289:1	عنقرة	1	بمحرّم
86:2	عنقرة	2	تذم
228:1	عنقرة	4	تعلم
88:3	أبو تمام	1	جلم
126:1	ابن الرومي	1	راجم
129:1	ابن الرومي	1	سهم
119:1	الحرث بن ويلة الجرمي	7	سهمي
196:2	الحرث بن ويلة الجرمي	1	شم
209:2	عنقرة	1	شيظم
96:2,153:1	البوصيري	1	صمم
238:3	عمّاس	1	طاسم
298:1	عمّاس	2	فتفهمي
86:2	زهير	1	فيهرّم
85:1	صفي الدين الحلي	1	قسّمي
200, 159:2	عنقرة	1	قعشم
183:1	النابعة	1	كالأدم
168:1	امرؤ القيس	1	للتوءم
223:2	المتنبي	2	للقلم
241:3	المتنبي	1	المتنعم
133:1	زهير	1	مزنّم
18:2	عنقرة	1	مصلّم
156:3	زهير	1	معصم
184:1	عنقرة	2	معلم
311:1	عنقرة	1	ملوّم
40:3	منصور النمري	1	مليم
210:3,240:2	زهير	1	منشم
207:2	عنقرة	1	ميثم
40:3	عنقرة	1	نائم
226, 173:3	عنقرة	1	نعام
352:1	عنقرة	1	نم
330:1	صالح بن عبد القدوس	2	وأقسام
167:2	صالح بن عبد القدوس	3	والحمّام
66:3	صالح بن عبد القدوس	1	والدّم
201:1	اليوسي	2	والعمّ
238:3	حوراء	1	والقوائم
30:3	قطري بن الفجاءة	3	وأمامي
317:1	البوصيري	1	وضم
317:1	صفي الدين الحلي	1	وضم

197:3	أبو نواس	2	وَلَمْ أَنْمِ
117:1	زهير	1	وَمُحَرَّمٌ
233:2	ابن حجام	2	وَهَاشِمِيهَا
329:1	زهير	1	يَسْأَمُ
311:1	عنقرة	2	يُكَلِّمُ
239 و 237:3	أبو أوزم الطائي	2	يُكَلِّمُ

م

97:2	أرقم بن علباء اليشكري	1	ابن عَمٍّ
152:1	ابن سناء الملك	2	أَصَمٌ
41:3	الراجز	1	أَجَمٌ
64:3	الراجز	2	الأمم
222:(3)، 179 و 12:2	الراجز	4+2+1	أَلَمٌ
17:3	الراجز	3	السَقَمُ
14:2	الراجز	3	النُّجُومُ
41:3	الراجز	1	زَيْمٌ
220:3	الحطيم القيسي	2	زَيْمٌ
227:3	الراجز	1	عَنَمٌ
87:2	الصاحب	2	نَعَمٌ
223:2	أبو الفتح البستي	2	والكَرَمُ
317:1	أبو الفتح البستي	1	وَضَمٌ
16:3	الاعشى	1	يَرَمُ

النَّـون

ن

23:2	الاعشى	3	أَجْفَانُ
177:2	الاعشى	1	أَجْفَانُ
96:2	الاعشى	1	أَذْنُوا
202:3	الاعشى	2	أَعْوَانُ
109:1	قيس بن عاصم المنقري	2	أَقْنُ
79:2	قيس بن عاصم المنقري	2	الْبَانُ
112:1	المعري	1	اللُّبَانُ
59:1	زهير	1	الْحَقِيقُ
44:3	زهير	1	اللسانُ
179:3	امراة من أهل الشام	3	بَطِينُ
219:2	أبو نواس	2	بُنْيَانُ
229:2	أبو نواس	1	تُعَنَّوْنَ
103:2	الفرزدق	2	تَكُونُ

87:2	الأبيوردي	2	تَهْنُونَ
284:1	الأبيوردي	2	جُنُونُ
170:2	الأبيوردي	4	حَزِينُ
176:2	الأبيوردي	3	حَزِينُ
192:2	الأبيوردي	2	دَفَنُوا
144:3	ابن أم صاحب	1	زَكَنُوا
202:3	الصفدي	2	سلطان
350:1	ابن الساعاتي	2	عين
243:3	ابن الساعاتي	1	قَمِينُ
168:2	قيس بن ذريح	3	كَائِنُ
266:2	قيس بن ذريح	1	كُهَانُ
340:1	قيس بن ذريح	2	لَعَبِينُ
272:1	قيس بن ذريح	2	هَوَانُ
254:3	قيس بن ذريح	1	وأحسن
9:2	هاتف	2	والوطن
152:1	هاتف	2	وبُهْتَانُ
103:2	اليوسي	2	وجُنُونُ
298:1	اليوسي	2	ويكون
235 - 234:3	الحارث بن صعصعة	2	يَصُونُ
72:2	الحارث بن صعصعة	1	يكون
216:1	زهير	1	يهونوا
238:1	أبو مخزوم النهشلي	1	أَغْلَيْنَا
182:2	ابن سناء الملك	6	أَمَانَا
200:3	ابن سناء الملك	1	أَنَا
70:2	ابن سناء الملك	1	الجاهلين
194:1	ابن كلثوم	1	الجاهلينا
197:1	الحطيئة	1	الْمُتَحَدِّثِينَ
314:3	الحطيئة	2	الْيَمِينَا
146:2	الصاحب بن عباد	2	إِلَيْنَا
236:(3)، 175:1	الصاحب بن عباد	2	بِأَخْرِينَا
296:1	الصاحب بن عباد	2	تَعْلَمِينَ
7:2	الصاحب بن عباد	1	ثَامِنَهُ
315:1	عدي بن الرقام	2	ثَمِينَا
188:1	عدي بن زيد	1	جَنِينَا
167:(2)، 198:1	الأصمعي	3	حَيْرَانَا
74:1	ابن أحرمر	2	حِينَا
241:2	الراجز	1	دَهْدُنَا
223:3	الاسدي	1	دُونَهُ

235:2	عمرو بن كلثوم	1	زبونا
108:2	حميد بن ثور الهلالي	3	عونا
178:2	الوليد بن يزيد	2	عينناها
38:2	أنشده الجوهري	3	فاكبننا
34:1	أنشده الجوهري	1	فتمكنا
112:1	الحماسي	1	فيينا
142:3	جرير	2	قتلانا
116:3	جرير	1	كانا
228:2	البدر الدماميني	2	كونها
106:1	ابن أحمر	1	مستكينا
295:1	ابن أحمر	2	معينا
158:1	ابن الرومي	2	ملوته
226:2	محمود الوراق	2	والامانه
200:3	محيي الدين محمد بن تميم	2	والعنا
54:3	محيي الدين محمد بن تميم	1	وركنانا
220:2	محيي الدين محمد بن تميم	1	وقرانا
229:2	ابن جعفر العسقلاني	2	ولكننا
192:1	ابن جعفر العسقلاني	1	ومينا
186:1	الراجز	1	يحمدونكا
350:1	أبو الفضل التميمي	2	يفرزاننا

ن

62:3	الراجز	1	ابن تقن
19:3	النابعة	2	أتاني
87:2	النابعة	2	اثنتين
147:1	بشار	2	أحبوني
273:1	بشار	2	أدنيها
147:1	محمود	2	أعياني
218:1	حبيب	1	الاحسان
89:2	اليوسي	4	الأزمان
205:2	اليوسي	2	الأمانبي
12:1	المتنبي	1	الانسان
216:2	المتنبي	1	الجلمان
110:1	أعرابي	4	الحدثان
217:1	اليوسي	5	الحرمان
225 - 224:2	اليوسي	3	الحرمان
161:1	اليوسي	2	العزن
221:1	اليوسي	1	الخلان

178 - 177:3	الحريري	2	الدَّمن
154:1	الخزاعي	1	السلطان
124:1	سُحيم بن وثيل	1	الشُّؤون
217:1	أبو تمام	1	العُقَيَّان
222:2	ابراهيم بن العباس	3	العيان
173 - 172:1	الشَّماخ	4	القربين
174:3	أبو معدان الباهلي	1	القُطَّان
112:3	لقيط بن ززارة	1	المدان
216:1	لقيط بن ززارة	3	المغربيين
86:2	لقيط بن ززارة	1	المهين
138:3	الطرماح	1	المواطنين
12:2	بشار	3	الميزان
147:1	عمار بن عقيق بن بلال بن جرير	1	النقصان
328:1	عمران بن حِطَّان	2	ألوان
125:1	أبو تمام	3	أوطاني
139:3	امرؤ القيس	1	يارسان
85:2	امرؤ القيس	3	بيجنين
44:3	امرؤ القيس	1	بخزان
223:3	النايعة	1	بيش
37:3	النايعة	2	بليان
247:1	العسكري	5	بمكين
152:1	العسكري	2	بميينه
214:3	جذيمة	2	بهجين
279:1	ابن الرومي	4	تدان
94:1	الجعيد المرادي	5	تراني
220:3	أنشده الحجاج	1	تعرفوني
151:1	ابن قلافس	1	تغريني
43:3	ابن قلافس	1	تكفيني
163:3	ابن قلافس	1	تنكحيني
62:3	الحماسي	2	جدون
316:1	امرؤ القيس	1	حسن
16:2	امرؤ القيس	2	الحسن
23:2	أبو الفرج الجوزي	2	الحسين
67:2	عنقرة	5	دعاني
56:2	عنقرة	1	ذئبتين
111:1	حُرَيْقِيص الأسدي	3	ذبيان
180:3	حُرَيْقِيص الاسدي	2	رماني
171:2	حُرَيْقِيص الأسدي	5	رياحين

86:2	حُرَيْقِيصُ الْأَسَدِي	4	زَمَانِه
103:1	رَبِيعَةُ بْنُ مَكْدَمَ	2	سَاكِنَ
170:3	هَدَلَةُ بْنُ مَعْتَبَ	2	سِرْحَانَ
147:2	عُرْوَةُ بْنُ حَزَامَ	1	سَقْيَانِي
23:2	الزَّمْخَشَرِي	2	سِمَاطِينَ
107:2	أَبُو جَهْلَ	1	سِنَ
79:2	ابن رَشِيقَ	3	سَيِّقِينَ
322:1	قَيْسُ بْنُ زُهَيْرَ	3	شَفَانِي
255:3	أَمْرُو الْقَيْسِ	1	صَلْتَانَ
146:2	جَوْشَنُ الْكَلَابِي	1	عَنِّي
269:1	ذُو الْأَصْبَعِ الْعَدَوَانِي	1	فَتَحْزُونِي
169:3	ذُو الْأَصْبَعِ الْعَدَوَانِي	1	فَتَيَانَ
320:1	عَنْتَرَةُ	5	فَرَسَانَ
140:2	أَمْرُو الْقَيْسِ	1	فَقْدَانِي
184:3	جَرِيرَ	1	قَرْنَ
214:3	رِقَاشُ أُخْتِ جَذِيمَةَ	2	لِلتَّرْبِيِّينَ
63:3	ابن الرومِي	3	لِخِلَانِ
37:3	ابن الرومِي	3	لِخِلَانِي
95 94:3	الْحَارِثُ بْنُ عَوْفِ الْمَرِي	2	مِنْدَ
52:2	الْيُوسَي	1	نُقُصَانَ
41:2	الْيُوسَي	1	هَانَ
88:2	الْأَرْجَانِي	5	هَتُونِ
149:3	أَبُو الْعَتَاهِيَةِ	4	هَجْرَانِه
330:1	أَبُو الْعَتَاهِيَةِ	3	هَلْعَانَ
69:1	أَعْرَابِي	1	وَأَرْقَمِينَ
12:3, 284:2	أَعْرَابِي	1+1	وَأَفَانَ
223:2	سَلِيمَانُ بْنُ جَرِيرِ النَّمَرِي	2	وَالطَّعَانَ
145:2	صَخْرُ بْنُ عَمْرُو بْنِ الشَّرِيدِ	1	وَالنَّزْوَانَ
215:1	صَخْرُ بْنُ عَمْرُو بْنِ الشَّرِيدِ	2	وَأَوْطَانَ
19:3	صَخْرُ بْنُ عَمْرُو بْنِ الشَّرِيدِ	1	وَدِينِي
217:3	صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُوسِ	6	يُدَاجِينِي
210:1	عُرْوَةُ بْنُ حَزَامَ	1	يَدَانَ
335:1	عُرْوَةُ بْنُ حَزَامَ	1	يَرْجِينِي
169:3	الْفَرَزْدَقَ	1	يَصْطَحِيحَانَ
151:1	ابن شَرْفَ	3	يَعْنِينِي
164:3	السَّيِّدُ الْحَمِيرِي	2	يَمْنَ

26:2	أبو محمد بن السيد البطليوسي	3	المُخْفُونُ
57:3	أبو علي البصير	3	خَاقَانُ
126:2	أبو علي البصير	1	عُقْرَبَانُ
152:1	أبو علي البصير	2	يَخُونُ
67:3	أبو علي البصير	1	يَكُنْ

الهاء

222:2	أبو علي البصير	2	بَدِيهْ
153:1	أبو علي البصير	4	رَأَهْ
65:3	علي بن أبي طالب	5	مَاشَاهْ

132:1	عبد الجليل بن وهب	2	اللَّهَى
-------	-------------------	---	----------

32:2	العزالي	2	التَّشْبِيهْ
217:1	العزالي	2	الدَّاهِي
336:1	محمود الوراق	1	بِاللَّهْ
274:1	محمود الوراق	1	مَسَاوِيهْ
70:2	محمود الوراق	1	مَعْتُوهْ

الواو

144:1	زهير	1	ذَوْوَهَا
-------	------	---	-----------

165:1	منصور الفقيه	2	بِالْحَلَاوَهْ
176:1	منصور الفقيه	1	سَوَا

الياء

170:1	أبو الغمر	1	حَبَشِيْ
118:2	امرؤ القيس	5	وَرِيْ

302:2	أنير الدين	4	الأَحْيَا
-------	------------	---	-----------

65:1	ذو الرمة	1	التَّقَاضِيَا
302:2	ذو الرمة	5	الدُّنْيَا
153:1	حفص العليمي	2	الْعَوَانِيَا
210:2	حفص العليمي	1	المَسَاوِيَا
215:1	حفص العليمي	1	المَرَامِيَا
179:1	حفص العليمي	1	الْمَنَائِيَا
38:2	حفص العليمي	1	بَارِيَا
340:1	حفص العليمي	1	صَبِيََّا
248:1	الطائي	2	مَابِيَا
165:3	الطائي	1	مَالِيَهْ
198:1	الطائي	2	وَالنَّهَائِيَهْ
208:2	الطائي	3	وَرِيََّا
211:2	الطائي	2	وَعَشِيََّا

يـ

85:2	ابن الحجاج	1	أَرْضِيَّ*
220:3	تمثك بها الحجاج	3	بَعَصْلِيَّ*

فهرس الأعلام

الألف

(1) الأبناء :

- ابن ابراهيم (محمد) : (1) 295، (3) 190:
- ابن أبي الطاهر : (1) 147.
- ابن أبي العافية : (1) 285.
- ابن أبي بكر، أبو عبد الله محمد الحاج (الدلائي) (3) 178.
- ابن أبي حاتم : (3) 239، 139.
- ابن أبي حفصة (الأمير) : (2) 239.
- ابن أبي عيينة (محمد) (1) 262، 230 (2) 266.
- ابن أذينة (عروة) : (1) 272، 271 (2) 293 (3) 98، 97.
- ابن اسحاق : (2) 18.
- ابن الأبرد : (3) 162.
- ابن الأثير : (1) 313.
- ابن الأحمر : (1) 182، 106، 73.
- ابن الأحنف (العباس) (2) 176، 121 (3) 186.
- ابن الأزرق : (1) 187.
- ابن الأشعث (عبد الرحمان) (3) 78.
- ابن الأشعث (محمد) : (1) 62.
- ابن الأعرابي : (1) 127.
- ابن الأهتم (حاتم أو عامر) : (1) 274.
- ابن البرصاء (3) 126.
- ابن التعاويذي : (3) 202، 22.
- ابن الحاج (أبو اسحاق) : (2) 352، 301، 288، 163 (2) 21، 10، 28، 84، 89، 115، 162، 176، 187.
- ابن الحاج (أبو اسحاق) : (3) 299، 297، 292، 152، 151، 63.
- ابن الحاج (ابن حجاج) : 252.
- ابن الحداد : (2) 291، 284، 85.
- ابن الدماميني : (2) 289، 23، 22.
- ابن الدمينه : (2) 27.
- ابن الدمينه : (2) 169.

(1) 127، 165، 175، 246، 247، 279،
288، 301، 352 (2)، 10، 21، 28، 84،
89، 115، 162، 176، 187، 292، 297،
299 (3)، 63، 151، 152، 252.

(2) 200.
(2) 162.
(2) 180.
(1) 284، 348، 350 (2)، 181 (3) 300،
199.

(2) 26، 218.
(3) 42.
(2) 314.
(2) 271.
(2) 26، 29، 229.
(3) 142، 143.

(1) 348 (2)، 91 (2) 172 (3) 23.
(2) 291.
(1) 13.
(2) 127.
(1) 316، 268 (2) 147.
(1) 186 (2) 288، 289.
(2) 12.
(3) 195.
(2) 177.

(1) 170، 171، 279، 280، 301، 303،
305 (2) 23، 84، 160، 162 (3) 98،
113، 135، 193.

(2) 178.
(1) 112 (هامش 43)
(2) 308.
(1) 283.
(2) 201.
(2) 304.
(1) 157 (2) 70، 189.
(2) 160، 289.
(1) 224.
(2) 164.

- ابن الرومي :

- ابن الزبير
- ابن الزقاق
- ابن الزيات
- ابن الساعاتي

- ابن السيد البطليوسي (ابو محمد)
- ابن الشبل البغدادي
- ابن الصائغ (أبو الحسن الأنصاري)
- ابن الضربير النهرواني
- ابن العفيف
- ابن العلاء (عمرو)
- ابن الفارض
- ابن الفيّاض (أبو العباس)
- ابن القاسم
- ابن القبطرنة (أبو بكر)
- ابن الكلبي
- ابن اللبانة
- ابن المبارك
- ابن المرزبان
- ابن المستوفي
- ابن المعتز (عبد الله)

- ابن المعذل (عبد الصمد)
- ابن المعلى
- ابن الملمح (أبو بكر)
- ابن المهدي
- ابن المهلب
- ابن النحاس (بهاء الدين)
- ابن النحوي (الامام أبو الفضل يوسف)
- ابن النطاح (أبو بكر)
- ابن الهيثم (محمد)
- ابن الوردي

- ابن الوكيل
- ابن أمغار (الشيخ عبد الله الصنهاجي)
- ابن أم صاحب
- ابن برد (أبو حفص)
- ابن بيسام
- ابن بشير (محمد)
- ابن بطريق (نجم الدين)
- ابن بيض
- ابن تميم (محيي الدين محمد)
- ابن ثعلبة (عبد الله)
- ابن جابر
- ابن جبلة (علي)
- ابن جرير النمري (سليمان)
- ابن جني النحوي (أبو الفتح عثمان)
- ابن الجهم (علي)
- ابن جهور
- ابن حبناء التميمي
- ابن حيوس
- ابن حجة الحموي (أبو بكر)
- ابن حراز الفزاري (بدر)
- ابن حسان (إبراهيم)
- ابن حسان (عبد الرحمان الأنصاري)
- ابن الحكم (عبد الرحمان بن العاصي الأموي)
- ابن حمديس الصقلي
- ابن حميد (سعيد)
- ابن حميد (محمد)
- ابن حيان (أثير الدين)
- ابن الخالدي
- ابن الخطيب (لسان الدين)
- ابن خفاجة
- ابن خلكا (شمس الدين)
- ابن الخنزابة (أبو الفضل)
- ابن الخياط
- ابن داوود الظاهري (أبو بكر محمد)
- ابن ديبوس
- (2) 304
(2) 314
(3) 144
(2) 84
(1) 352, 300
(1) 239 (2) 68
(1) 283
(3) 162
(3) 200
(2) 279
(2) 30, 31, 32, 172
(3) 94, 93
(1) 123 (2) 223
(2) 271 (3) 137
(1) 117, 118, 180 (2) 177, 292
(2) 115
(3) 124
(1) 156
(1) 304 (2) 26, 29, 31, 163, 228
300
(3) 70
(1) 300
(3) 14
(3) 14
(2) 85, 179
(2) 176
(3) 90
(2) 82
(1) 166
(1) 198, 232, 282, 285 (2) 15, 31
79, 81, 153, 289 (3) 114
(2) 84 (3) 115
(1) 132, 134 (2) 180 (3) 137, 177
(3) 97
(2) 157, 162
(1) 200, 201
(1) 157

(1) 350، (هامش 32) (3) 96.
 (1) 106، 174، 180، 189، 203، 220.
 253، 270، 317، 335 (2) 52، 175،
 182، 203 (3) 136، 145، 146، 192.
 (1) 157 (2) 168.
 (2) 307 (3) 123.
 (1) 54، 55، 57، 214، 280، 354 (2)
 10، 22، 79، 81.
 (3) 100.
 (1) 48، 173.
 (3) 169.
 (1) 341، (2) 78.
 (3) 176.
 (1) 11.
 (2) 115، 178.
 (3) 124.
 (3) 124.
 (1) 200، 201.
 (3) 140.
 (2) 35، 290 (3) 201.
 (1) 106، 107.
 (1) 152، 156، 157، 351 (2) 89، 182،
 304.

- ابن دراج القسطلبي
 - ابن دريد (أبو بكر)

- ابن ذريح
 - ابن رزين (أبو مروان) الرئيس الحاجب
 - ابن رشيف

- ابن رفاعه، أبو قيس
 - ابن رواحة
 - ابن زراره الحاجب
 - ابن زهر الأشبلي (أبو بكر)
 - ابن زياد
 - ابن زيد
 - ابن زيدون (أبو الوليد)
 - ابن سبرة (عبد الله)
 - ابن سراج (الوزير الفقيه)
 - ابن سريح (الفقيه الشافعي)
 - ابن سعد
 - ابن سكرة
 - ابن سماعة (محمد القاضي)
 - ابن سناء الملك

27 (2)
 48، 46 (1)
 237 (1)
 252، 246، 245، 35 (2) 221، 151 (1)
 186، 115، 93، 92 (3) 255، 254
 79 (2)، 214 (1)
 102، 101 (3)
 115، 98 (3) 306، 171 (2) 171 (1)
 115 (3) 83 (2) 353 (1)
 239، 144، 38 (3) 210، 58 (2)
 200، 93 (2) 187، 75، 46، 9 (1) (3)
 238، 235
 308 (2)
 26 (2)
 170 (2)
 53 (هامش 8) (2) 216
 122، 67 (3) 173، 24 (2) 212 (1)
 279 (1)
 33 (2)
 134، 59 (3) 289 (1)
 48، 9 (1)
 198 (1)
 138 (3)
 307، 172 (2) 286 (1)
 75 (3) 29 (2) 352 (1)
 56 (3)
 236 (3)
 247 (1)
 73 (2)
 182 (2)
 301، 89 (2) 350، 348، 151 (1) (3)
 199
 194 (1)
 305 (2)
 173 (2)
 184 (2) 109 (1)
 74 (3)
 93 (3)

- ابن سهل الاسرائيلي
 - ابن سيرين
 - ابن سينا
 - ابن شرف الأندلسي
 - ابن صارة
 - ابن طالب الحنفي (يحيى)
 - ابن طاهر (عبد الله بن عبد الله)
 - ابن طباطبا العلوي
 - ابن ظفر
 - ابن عباس
 - ابن عبد البر (أبو محمد)
 - ابن عبد الجبار (أبو النصر)
 - ابن عبد المنان
 - ابن عبد ربه
 - ابن عيدون (أبو محمد) الوراق
 - ابن عبروس الفارسي
 - ابن العربي
 - ابن عطاء الله (تاج الدين أحمد)
 - ابن عطية
 - ابن عكاشة
 - ابن عمر
 - ابن عمار (أبو بكر الأندلسي)
 - ابن عنين (شرف الدين)
 - ابن عوف (عبد الرحمان)
 - ابن عيينة
 - ابن غالب الرصافي
 - ابن فارس اللغوي
 - ابن قاضي ميلة
 - ابن قلاؤس
 - ابن كلثوم
 - ابن كنانة الأسدي (محمد)
 - ابن ليون
 - ابن مالك
 - ابن ماهان (علي بن عيسى)
 - ابن مرزوق (محمد)

- ابن مسعود
 - ابن مطير (الحسن)
 - ابن معروف
 - ابن معمر المذحجي
 - ابن مفرغ
 - ابن ملجم
 - ابن مناذر
 - ابن ميادة
 - ابن ناشب سعد
 - ابن نباتة السعدي
 - ابن النبيه
 - ابن هبة الله المعتزلي (عزالدين)
 - ابن نقطة
 - ابن النقيب
 - ابن هبيرة عمر
 - ابن هرمة (ابراهيم)
 - ابن هند (أبو الفرج)
 - ابن همام السائلولي
 - ابن وهيدون (عبد الجليل)
 - ابن ينف (الوزير أبو عامر)
- 204، 198 (2)
 282 (2)
 116 (3)
 103، 102 (3)
 243 (1)
 306 (2)
 236 (2)، 267 (1)
 181 (2)، 248، 243 (1)
 106 (3)
 182، 24 (2)
 22 (3)، 27 (2)، 357، 285 (1)
 302 (2)
 172 (1)
 137 (3)
 49، 48، 47 (3)، 333 (1)
 37 (3)، 152، 138 (2)، 182 (1)
 348 (1)
 113 (2)، 178 (1)
 132 (1)
 357 (1)

الأبـاء

- أبو الأسود الدؤلي
 - أبو البركات
 - أبو الجراح العقيلي
 - أبو الربيع
 - أبو السائب المخزومي
 - أبو السكن
 - أبو السموعل
 - أبو الشمقمق
 - أبو الشيص
 - أبو الطمخان
 - أبو العباس المرسي
 - أبو العتاهية
 - أبو العرب الصقلي
 - أبو الغريب
- 88، 44 (3)، 303، 177، 172، 17 (1)
 291 (2)
 105 (1)
 114 (3)
 272، 271، 46 (1)
 351 (1)
 306 (2)
 74 (3)
 154 (1)
 265، 112 (1)
 305 (2)
 182، 149، 142 (3)، 143 (1)
 176 (1)
 306، 249 (1)

(1) 170.
 (1) 349.
 (1) 350.
 (1) 281، (2) 244.
 (1) 289.
 (1) 117.
 (1) 146، (2) 239.
 (1) 241.
 (1) 78.
 (1) 276، (2) 157.
 (1) 343، 337، 85، 84، 68، 50، (2)
 55، 18، 217، 209، 56، (3)

(1) 34 (هامش 5) 50 (هامش 5)، 55، 57،
 66، 70، 79، 125، 163، 194، 206،
 213، 214، 217، 218، 222، 223، 224،
 225، 226، 227، 335، (2) 28، 58،
 68، 108، 121، 211، 224، 244، 248،
 266، (3) 11، 37، 75، 77، 88، 89،
 136، 162، 189، 193.

(2) 56، 292.
 (2) 107، 231.
 (1) 295.
 (1) 143.
 (1) 182، 197، (3) 215.
 (3) 172.
 (2) 22، (3) 23، 24، 139.
 (1) 75، 223، 226، 301، (3) 93، 94.
 (1) 101، (3) 45.
 (2) 156.
 (1) 204، (2) 242.
 (1) 71، (2) 106، 127، 158، (3) 20.
 (3) 249.
 (3) 224.
 (2) 167، (3) 121، 236.

(1) 83، 126، (2) 54، 63، 97، 100،
 122، 124، 147، (3) 10، 19، 143.

- أبو الغمر
 - أبو الغنائم
 - أبو الفضل التميمي
 - أبو المظفر
 - أبو المغوار
 - أبو المهوس الأسدي
 - أبو النجم
 - أبو النشاش
 - أبو الورد البغدادي
 - أبو الوفاء
 - أبو بكر (الصديق)

- أبو بكر = ابن حجة الحموي
 - أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي)

- أبو جعفر المنصور (العباسي)
 - أبو جهل
 - أبو حمو (موسى بن يوسف الملك الزياتي)
 - أبو حنيفة
 - أبو خراش الهذلي
 - أبو الخطفا
 - أبو دلامة
 - أبو دلف العجلي
 - أبو ذؤيب
 - أبو زياد الأعرابي
 - أبو زيد
 - أبو سفيان بن حرب
 - أبو سيارة
 - أبو شجرة السلمي
 - أبو صخر الهذلي
 - أبو عبيد = البكري
 - أبو عبيد (القاسم بن سلام)

155، 168، 169، 177، 181، 208، 227.
 228، 231، 238، 240، 250.
 (1) 123، 326، (2) 57 (3) 13، 252.
 (3) 57، 153.
 (1) 276، (3) 137.
 (1) 268، 270، 326، 338 (2) 140،
 147. (3) 41، 43، 45، 55، 121، 136،
 179، 189، 192، 228.
 (1) 75.
 (1) 154.
 (1) 201، (2) 85، 271.
 (1) 280.
 (1) 273، (2) 27، 85، 271، (3) 199.
 (1) 50.
 (3) 142.
 (1) 280.
 (1) 143، 286.
 (1) 238.
 (1) 245 (2) 270.
 (3) 174.
 (2) 116، 117.
 (1) 45، 51، (2) 245.
 (2) 314.
 (1) 151، 154، 155، 173، 265 (2)
 133، 134، 162، 219، 305 (3) 23، 88،
 96، 97، 99، 139، 197.
 (1) 47، (3) 39، 233.
 (2) 209.
 (1) 183.
 (2) 314.
 (2) 66، (3) 172.

- أبو عبدة
 - أبو علي البصير
 - أبو علي الفارسي النحوي
 - أبو علي القالي البغدادي

- أبو عمر الزاهد
 - أبو عمر (قاضي القضاة)
 - أبو عمرو بن العلاء
 - أبو فتيان المصري
 - أبو فراس الحمداني
 - أبو كبير الهذلي
 - أبو محجن
 - أبو فتيان المصري
 - أبو محمد المصري
 - أبو مخزوم النهشلي الدارمي
 - أبو مسلم الخراساني
 - أبو معدان الباهلي
 - أبو مهدي
 - أبو موسى الأشعري
 - أبو موسى الدكالي السلاوي
 - أبو نواس الحسن بن هانئ

- أبو هريرة
 - أبو وجزة
 - أبو يزيد
 - أبو يعزى
 - أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المومن.

سائر حرف الألف

(1) 13، 137، 192. (2) 77، 220، 283،
 291، 304، 308. (3) 64، 78.
 (1) 26، 235.
 (2) 169.

- آدم
 - ابراهيم (الخليل)
 - ابراهيم الموصللي

- إبراهيم بن أدهم
 - إبراهيم بن العباس
 - إبراهيم بن المهدي
 - أنثير الدين
 - أحمد المريني (والسلطان)
 - أدريس (عليه السلام)
 - أدريس بن اليماني
 - الأذفونش
 - أرسطاطاليس
 - أرقم بن علباء البشكري
 - أردشير
 - أرطاة بن سهية
 - اسحاق بن خلف
 - اسحاق بن سويد العدوي
 - أسد بن هاشم بن عبد مناف
 - أسعد بن المنذر
 - أسقف نجران
 - أسماء المرية
 - أسماء بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين)
 - اسماعيل (عليه السلام)
 - اسماعيل بن القاسم
 - أشجع السلمي
 - أصيل الغفاري
 - أكثم بن صيفي
 - الأبيرد البربوعي
 - الأبيوردي
 - الأحزن بن عوف العبدي
 - الأحنف بن قيس
 - الأحوص
 - الأخطل
 - الأخفش
 - الأخنس بن شهاب
 - الأرجاني
 - الأزهرى
 - الاسعدي
 - الاسكندراني (محيي الدين)
- (1) 249، (2) 315
 (1) 272، (2) 222
 (1) 161، (2) 297، (3) 105، 114
 (2) 302
 (2) 171
 (2) 220
 (2) 162
 (2) 66
 (1) 234، 237
 (2) 97
 (2) 160
 (2) 283
 (1) 112، (هامش 43)
 (1) 158
 (3) 50
 (1) 114
 (3) 197، 198
 (2) 16، 142
 (3) 7
 (1) 138، (2) 220
 (2) 189
 (1) 56، (2) 160
 (2) 19
 (1) 23، 128، 154، 305، 335، (2)
 (3) 43، 155، 236، 283
 (2) 207
 (2) 87
 (1) 205
 (1) 109، 116، 146، 222، 261، 335
 (3) 22، 64، 171
 (1) 49، 211، 241، 271
 (1) 117، (3) 77، 78، 141، 229، 254
 (3) 29 (هامش 1)
 (1) 239
 (2) 81، 88، 304
 (1) 313
 (2) 212
 (3) 118

303 (2)
 282 ، 245 (2) 119 ، 115 (1)
 287 (2)
 129 (1)
 292 (2)
 204 ، 198 ، 182 ، 111 ، 87 ، 86 ، 79 (1)
 120 ، 119 (2) 245 ، 234 ، 222 ، 219
 (3) ، 279 ، 271 ، 270 ، 239 ، 203 ، 149
 197 ، 136 ، 101
 139 (1)
 216 ، 173 ، 157 ، 154 ، 115 ، 44 (1)
 195 ، 144 ، 137 (2) 246 ، 219 ، 218
 16 (3) ، 301 ، 260 ، 235 ، 218 ، 217
 47 ، 35
 140 (3) 14 ، 11 (2) 185 (1)
 171 (2)
 24 (2)
 89 (2) ، 166 (1)
 74 (3)
 224 ، 223 (2) 353 ، 215 ، 157 (1)
 303
 161 (1)
 221 ، 171 ، 81 ، 35 (2) 284 ، 215 (1)
 198 ، 116 (3) 299 ، 292 ، 223
 289 (2)
 147 ، 100 ، 43 (2) 322 ، 188 ، 123 (1)
 160 ، 155 ، 143 ، 35 ، 13 ، 10 (3) ، 194
 231 ، 228 ، 227 ، 218 ، 217 ، 208 ، 169
 250 ، 247 ، 238 ، 232
 305 ، 96 ، 29 (2) 317 ، 153 (1)
 46 (2)
 180 (2)
 38 (هامش 9)
 308 (2)
 113 (3)
 195 (1)
 300 (1)
 294 (2) 333 (1)

- الأسود بن كلثوم
 - الأسود بن يعفر
 - الأشهب بن رحيلة
 - الأشر النخعي
 - الأصمعي (أبو القاسم)
 - الأصمعي
 - الأضبط بن قريع السعدي
 - الأعشى
 - الأعمش
 - الأمين بن الرشيد
 - الأنباري (أبو الحسن)
 - الأنصاري
 - البارقي
 - البحري (أبو الوليد)
 - البحري بن المغيرة بن أبي صفرة
 - البستي (أبو الفتح)
 - البطروني (جعفر)
 - البكري (أبو عبيد)
 - البوصيري
 - التجيبي
 - التركيبي (فخر الدين)
 - الترمذي
 - التُّطيلي (أبو جعفر)
 - التُّطيلي (أبو العباس)
 - التفتزاني (سعد الدين)
 - التَّنَسي
 - التنوخي (القاضي)

.113 (3)، 181 (2)
 (1) 53 (هامش 8) 117، 295 (2) 10،
 202، 225، 303 (3) 116، 168.
 (1) 139، 140.
 (3) 99.
 (2) 314.
 (1) 275.
 (2) 23.
 (1) 53 (هامش 8) 316 (2) 38، 53، 95،
 100، 194، 243 (3) 15، 146، 148،
 157، 169، 213.
 (1) 250.
 (2) 24.
 (2) 53.
 (3) 234.
 (3) 160.
 (1) 82، 83.
 (1) 342.
 (1) 319، 322 (3) 94.
 (1) 193، 288 (2).
 (2) 72.
 (1) 118، 124.
 (1) 86.
 (1) 41، 106، 137، 138، 144، 201 (2)،
 39، 67، 85، 238 (3) 20، 65، 69، 78،
 179، 220، 247.
 (1) 264، 292، 334، 341، 343 (2).
 26، 73، 146، 164، 234، 300 (3).
 143، 149 (هامش 16) 177، 193، 213،
 242، 252.
 (2) 60، 63، 71، 204 (3) 47، 48، 49.
 (2) 150.
 (1) 106.
 (1) 26، 41، 203 (2) 149، 150، 190
 (3) 39، 40، 65، 127، 169.
 (1) 149.
 (1) 346.
 (3) 75.

- التفاهي
 - الجاحظ

- الجدّ بن قيس
 - الجرجاني (القاضي)
 - الجزولي (محمد بن سليمان الشيخ)
 - الجنيد (أبو القاسم)
 - الجوزي (أبو الفرج)
 - الجوهرى

- الجيلاني (لقب أبو محمد عبد القادر)
 - الحاجري
 - الحارث الأزدي (أو الأسدي)
 - الحارث بن صعصعة
 - الحارث بن ظالم
 - الحارث بن عباد
 - الحارث بن عمرو بن تميم
 - الحارث بن عوف المري
 - الحارث بن كلدة
 - الحارث البشكري
 - الحارث بن ولة الجرهمي
 - الحباب بن المنذر
 - الحجاج بن يوسف الثقفي

- الحريري (أبو محمد)

- الحسن البصري
 - الحسن المثنى
 - الحسن بن سهل
 - الحسن (بن علي)

- الحسن بن قحطبة
 - الحسن بن المثنى
 - الحسين بن ابراهيم

(1) 62، 138، 244، 263، 340، (2) 23،
 150، 158، 200.
 (1) 167.
 (1) 53 (هامش 7) 99 (هامش 29، 30،
 (2) 276، (31) 67.
 (1) 137.
 (3) 219.
 (1) 44، 340، (2) 119، 196، 203،
 205، 247، (3) 175، 176، 184، 222.
 (1) 240.
 (1) 169.
 (2) 158.
 (3) 23.
 (2) 260.
 (1) 153.
 (2) 164.
 (3) 96.
 (3) 103، 140.
 (1) 218، 240، (2) 118، (3) 187، 191،
 192.
 (1) 128، 172، (2) 86، 87، 260 (3)
 114، 203.
 (1) 172.
 (3) 93.
 (2) 228.
 (2) 290، (3) 122.
 (1) 120، 123، (2) 91، 144.
 (1) 21، 26، 27.
 (1) 44، 318، 320.
 (1) 97، 111، 143، 149، 154، 163،
 193، 219، 277، (2) 21، 104، 169،
 170، 203، (3) 102، 197.
 (3) 115.
 (3) 126.
 (1) 23، 188، 189، 191، 208، 210،
 315، (2) 237، 241، (3) 33، 36، 213،
 252.

- الحسين بن علي
 - الحسن بن مطير الأسدي
 - الحصري القيرواني
 - الحصين بن المنذر
 - الحظم القيسي
 - الحطيئة
 - الحكم بن عبدل الأسدي
 - الحماني
 - الحموي = ابن حجة
 - الحيص بيص
 - الخالدي
 - الخرمي
 - الخزاعي
 - الخفاجي (شهاب الدين)
 - الخصيب
 - الخليل بن أحمد
 - الخنساء
 - الخوارزمي (أبو بكر)
 - الخوارزمي أبو سعيد
 - الخوارزمي (أبو عبد الله)
 - الدماميني (البيدر)
 - الراضي بالله بن المعتمد بن عباد
 - الراعي
 - الراغب
 - الربيع بن زياد العيسي
 - الرشيد (هارون)
 - الرصافي
 - الرقاشي
 - الزبهاء

- الزيان الذهلي (1) 70.
 - الزبقان بن بدر (1) 136 (3) 185.
 - الزبير (بن العوام) (1) 68، 187.
 - الزبير بن عبد الله (2) 302.
 - الزرقاء (1) 27، 79.
 - الزمخشري (1) 53 (هامش 8) (2) 23، 178.
 - الزهري (2) 70 (3) 155.
 - الزيات، محمد بن عبد الملك (2) 297.
 - السائح، الشيخ أبو العباس أحمد الهشتركي (2) 314.
 - السبتي (أبو العباس) (1) 180، 181.
 - السري الموصلي (1) 304.
 - السفاح (أبو العباس) (3) 74.
 - السكاكي (3) 23.
 - السلّكة أم سلّيك (1) 124.
 - السلامي (1) 173، 265.
 - السليمانبي (2) 30.
 - السموأل بن عاديّا (1) 54، 112.
 - السهروردي (الامام) (2) 271.
 - السهيلى (الامام) (1) 91 (هامش 22) (2) 10، 19، 20، 54،
 (3) 145، 156، 157.
 (3) 164.
 (3) 139.
 (1) 289.
 (1) 175، 277 (2) 11، 160، 204،
 255، 287، 293 (3) 203.
 (1) 275 (3) 103.
 (2) 29.
 (1) 277 (3) 110.
 (1) 53 (هامش 8).
 (1) 121، 337 (3) 135.
 (1) 172، 173 (3) 20، 59.
 (1) 109، 244 (3) 62.
 (2) 200.
 (3) 93.
 (1) 330 (2) 50 (3) 22، 193.
 (2) 87، 146 (3) 219، 44، 97.
 (1) 280.
 (2) 22، 83، 228، 302، 305 (3) 199،
 202.
- السيد الحميري
 - السيوطي جلال الدين
 - الشاذلي (الشيخ أبو الحسن)
 - الشافعي (الامام)
 - الشبلي (أبو بكر) الامام
 - الشران (أبو عبد الله)
 - الشريف الرضي
 - الشريف المرتضى
 - الشعبي
 - الشمّاخ
 - الشنتمري
 - الشنفرى
 - الشيرازي أبو القاسم (شارح ابن الحاجب)
 - الصابىء
 - الصاحب بن عباد (اسماعيل)
 - الصالح بن موسى
 - الصفدي

135 (3) .80 (2)
 .163 (2)
 .96 (3) .207 ، 84 (2)
 .281 (2)
 .171 (1)
 .196 (3)
 .137 (3) .202 (1)
 .200 ، 97 (3)
 .56 (2)
 .302 ، 301 (2)
 .198 (1)
 .227 (3)
 .278 (2)
 .13 (2)
 .138 (1)
 .277 (2)
 .63 (1)
 .234 (3) .97 (1)
 .22 (2)
 .118 (3)
 .49 (3) .80 ، 29 ، 28 (1)
 .56 (2) .78 (1)
 .184 (1) (هامش 7)
 .229 (2)
 .247 (1)
 .197 ، 23 (2)
 .296 (2)
 .172 (2)
 .163 ، 47 (3) .32 (2) .26 (1)
 .88 (2) .350 (1)
 .240 (1)
 .207 ، 109 ، 104 (2)
 .340 ، 261 ، 206 ، 177 ، 173 ، 116 (1)
 .294 ، 284 ، 278 ، 179 ، 103 (2) .342
 .169 ، 156 ، 146 ، 144 ، 35 (3) .295
 .99 (3)
 .214 (2)
 .106 (2) .312 ، 303 (1)

- الصنوبري
 - الصوري (عبد المحسن)
 - الصولي (ابراهيم بن العباس)
 - الضبي (محمد بن أبي شحاد)
 - الطائسي
 - الطرسوسي (محمد بن زريق)
 - الطرمّاح
 - الطغرائي
 - الطوسي (أبو العباس)
 - الطوسي (حميد)
 - الظافر بن المعتمد
 - العائد بن عمرو المزني
 - العباب العجلي
 - العباس بن الحسن العلوي
 - العباس بن علي
 - العباس بن مرداس السلمي
 - العبيدي
 - العتّابي
 - العتبي
 - العثماني العرجي
 - العجاج
 - العجير السلولي
 - العرندس الكلابي
 - العسقلاني (ابن جعفر)
 - العسكري
 - العطوي
 - العلوي
 - العماد الاصبهاني (عماد الدين)
 - الغزالي
 - الغزي (أبو اسحاق)
 - الغطّس الضبي
 - الفارعة بنت طريف
 - الفرزدق
 - الفضل بن الربيع
 - الفضل بن سهل
 - الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب

(1) 277.
 (3) 243.
 (1) 167.
 (2) 293 (3) 96.
 (3) 113.
 (3) 114.
 (1) 288 : (2) 172 ، 177 (3) 23.
 (1) 238.
 (1) 317.
 (1) 90 ، 105 (3) 124.
 (1) 69 (هامش 12).
 (3) 93.
 (2) 35.
 (1) 132 (2) 139.
 (1) 105 ، 131 ، 182 ، 257 ، 264 ، 303.
 (2) 37 ، 46 ، 135 (3) 8 ، 251.
 (1) 301.
 (2) 308.
 (1) 228.
 (1) 214 ، 263 ، 264 ، 345 ، 346 (2).
 232 ، 297 (3) 66 ، 94.
 (2) 214 (3) 172.
 (1) 261 ، 331 (2) 15 ، 133 ، 134 ، 185 ،
 214 (3) 56 ، 77 ، 126 ، 220 ، 222.
 (1) 118 ، 182 ، 208 (2) 217 ، 218 ،
 301 (3) 50 ، 51 ، 52 ، 53.
 (1) 12 (هامش 38) ، (هامش 10) ، 52 ،
 110 ، 132 ، 164 ، 166 ، 215 ، 217 ،
 218 ، 228 ، 229 ، 230 ، 231 ، 232 ، 234 ،
 236 ، 237 ، 264 ، 274 ، 332 (2) 66 ،
 90 ، 128 ، 153 ، 154 ، 172 ، 211 ،
 223 ، 251 ، 261 (3) 30 ، 63 ، 91 ، 138 ،
 151 ، 158 ، 166 ، 178 ، 196 ، 212 ، 218 ،
 243.
 (1) 134 ، 135 ، 295.
 (1) 78 ، 267 (2).
 (3) 104.
 (1) 252.

- الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك
 - القائم بأمر الله العباسي
 - القائم بن حنبل
 - القاضي ابراهيم بن نصر
 - القاضي الجليس المصري
 - القاضي الشريف
 - القاضي الفاضل
 - القتال الكلابي
 - القتيبي
 - القطامي
 - القلقشندي
 - الكاتبي (شارح المحصل)
 - الكتاني
 - الكسائي
 - الكميت
 - الكندي
 - اللورقي (أبو الحسن بن الحاج)
 - المازيار
 - المامون العباسي
 - الماوردي (الامام)
 - المبرد (أبو العباس)
 - المتلمس (جرير بن عبد المسيح)
 - المتنبي (أبو الطيب)
 - المتوكل
 - المثقب العبدى
 - المخزومي
 - المراكشي

239 (3)
 283 (1)
 200 (1)
 130 (1)
 232، 146، 109 (1)
 67 (2)، 354، 228 (1)
 287 (1)
 306، 288 (2)، 276، 198، 132 (1)
 121، 99
 260، 217، 118، 117، 112، 85 (1)
 202، 154، 88 (2)، 332، 280، 263
 212، 197، 93 (3)، 257
 229 (2)، 304 (1)
 64 (3)، 261 (1)
 154 (1)
 210 (3)، 247 (2)، 339 (1)
 77 (2)
 280 (2)
 77 (1)
 42 (2)
 9 (3)
 135 (1)
 138 (1)
 105، 61 (3)
 139 (2)
 221، 69 (3)، 161، 145 (1)
 201 (3)، 290، 271، 260، 83 (2)
 180 (2)
 286 (1)
 117 (3)، 70 (2)، 214 (1)
 80، 79، 69، 59، 55، 54، 52، 27 (1)
 199، 183، 150، 131، 117، 97، 83
 303، 221، 220، 219، 218، 208
 205، 186، 175، 107 (2)، 314، 304
 70، 60، 57، 45، 39، 19، 16 (3)
 223، 181، 176
 44 (1)
 70 (3)

- المدائني
 - المرسى (عبد الجليل)
 - المرقش
 - المسعودي
 - المصعب بن الزبير
 - المعتصم العباسي
 - المعتصم بالله (الاندلسي)
 - المعتمد بن عباد الأندلسي

- المعري (أبو العلاء)

- إلمعمار
 - المعيرة بن سعد
 - الفضل الضبي
 - المقدسي عز الدين (الامام)
 - المقرئ (أبو العباس أحمد الفاسي)
 - المقنع الكندي
 - الملك الأشرف
 - المنذر بن امرئ القيس
 - المنذر بن ماء السماء
 - المنتصر (بن المتوكل)
 - المنصور
 - المنقري (قيس بن عاصم)
 - المهدي (العباسي)
 - المهلب بن أبي صفرة
 - المفلحي (الوزير)
 - الموصلبي (مؤيد الدين)
 - الميكالسي
 - النابغة الجعدي
 - النابغة الذبياني

- النجاشي
 - النعمان بن الحارث الغساني

(1) 44، 59، 140، 150، 207 (2) 97،
 129، 130، 146، (3) 16، 39، 177.
 (3) 177.
 (1) 27، 124، 303 (2) 72، (3) 135.
 (1) 26.
 (1) 314 (2) 105، 187، 200، 235.
 (1) 74.
 (1) 238.
 (1) 284.
 (1) 137 (2) 55، 219.
 (2) 129، 46 (3) 163.
 (2) 178، 98 (3) 158.
 (2) 139.
 (2) 78.
 (1) 344.
 (1) 53، 77، 82، 83، 86، (وهامش 19)،
 88، 96، 100، 101، 115، 123، 168،
 185، 200، 203، 222، 272، 275،
 289، 311، 312، 312، 316، 340 (2)،
 18، 20، 40، 44، 46، 48، 97، 112،
 114، 119، 124، 137، 140، 145، 152،
 174، 185، 198، 209، 217، 242، 245،
 (3) 8، 18، 19، 20، 21، 44، 47، 59،
 69، 137، 138، 139، 169، 170، 181،
 187، 249، 253، 255، 256.
 (2) 71.
 (3) 121.
 (1) 241.
 (3) 166، 165.
 (3) 40، 39.
 (2) 5، 207.
 (2) 55، 280.
 (2) 244.
 (1) 150، (2) 137.
 (2) 143.
 (2) 5.
 (1) 90.
 (1) 322، 323 (2) 206، 209 (3) 253.

- النعمان بن المنذر
 - النعمان بن ماء السماء
 - النمر بن تولب
 - النـووي
 - الهذلي (ذو الكلب)
 - الهذيل بن هبيرة
 - الهمداني
 - الورد (أبو الحسن)
 - الوليد بن عبد الملك بن مروان
 - الوليد بن عقبة
 - الوليد بن يزيد بن عبد الملك
 - اليزيدي
 - اليماني (أبو الفرج جعفر)
 - أمامة العامرية
 - امرؤ القيس
 - أم الضحاک المحاربة
 - أم المغوار الباهلية
 - أم ثواب العزّانية
 - أم حكيم الخارجية
 - أم خالد
 - أم زرع
 - أم سلمة
 - أمية
 - أمية بن أبي الصلت الثقفي
 - أمية بن عبد شمس
 - أنس
 - أنيس
 - أوس بن حارثة

(1) 125، 127، 200 (2) 197 (3)
.185، 181، 59

(1) 242

(1) 113، 11، 12، 144

(2) 266

(3) 65

- أوس بن حجر

- إياس بن الأرت

- إياس بن معاوية بن قرّة

- أيوب (عليه السلام)

- أيوب بن القرية

- الباء -

(1) 80

(1) 307

(1) 82

(1) 114

(1) 309

(1) 145

(1) 81، 147، 186، 245، 279 (2)

11، 174، 179، 232، 233، 276 (3)

153، 187

(1) 154

(2) 104

(1) 173 (2) 18، 19

(2) 29، 201

(2) 16، 17

- باقل

- بثينة

- بجير بن الحارث

- بشر بن أبي حازم الأسدي

- بشر بن الحارث الأسدي

- بشر بن مروان

- بشار (بن برد)

- بقراط

- بكر بن النطاح

- بلال بن أبي رباح

- بهاء الدين زهير

- بيّهس

- التاء -

(1) 122 (وهامش 50) 345 (2) 240،

278، 76 (3) 124

(1) 357

- تأبط شرا

- تميم بن جميل

- الثاء -

(1) 213 (3) 149

- الثعالبي

- الجيم -

(1) 237 (2) 11

(1) 70

- جالينوس

- جبلة بن الأيهم

213 (2) 344 (1)
 13 (2)
 144 (2)
 68 (1)
 191، 190، 189، 188، 187 (1)
 241، 237 (2)، 315، 209، 208، 192
 215، 214، 213، 35، 33 (3)
 66 (1)
 266، 261، 118، 116، 84، 44، 25 (1)
 112، 13 (3)، 169، 120، 111 (2)، 267
 184، 160، 142، 141، 140، 139
 207 (3)
 172، 50 (1)
 296، 219، 214 (2) 163 (1)
 338، 307، 291، 144، 54 (1) (2)
 125 (3)، 284، 179، 152
 175 (2)

- جحدر
 - لحظة البرمكي
 - جحل بن نضلة الباهلي
 - جذع بن عمرو الغساني
 - جذيمة الأبرش

- جرجير
 - جريـر

- جساس بن مرة
 - جعفر
 - جعفر بن يحيى
 - جميل بن معمر بن عبد الله العذري
 - جندح

- الحاء -

50 (2)
 41 (2)
 187، 73 (2)، 248، 241، 193، 80 (1)
 238، 237
 99 (1)
 304 (3)
 140 (1)
 41 (1)
 154 (1)
 127 (3)
 322، 320، 319، 318، 315 (1)
 268 (2)
 97 (2)
 101، 70، 69، 65، 48، 45، 44 (1)
 59 (2) 219، 218، 180، 148، 110
 229، 183، 159، 44 (3) 197، 192
 155 (2)
 217 (3)، 64 (2)

- حاتم الأصم
 - حاتم بن عميرة الهمداني
 - حاتم طيئـى
 - حارث بن بدر
 - حارثة بن سراققة الكندي
 - حارثة بن لأم الطائي
 - حازم بن خزيمة
 - حامد بن عباس
 - حجية بن مضرب
 - حذيفة بن بدر الفزاري
 - حرثان بن عمرو
 - حريث بن حسان الشيباني
 - حسان بن ثابت
 - حسان بن حنظلة
 - حصين بن الحمام المري

- حطائط، أخو الأسود بن يعفر
- حفص العليمي
- حليلة السعدية
- حليلة بن سلمة
- حماد الراوية
- حمار بن مالك بن نصر بن الأسد
- حمار بن مؤيلع
- حمل بن بدر
- حميد المقلبي
- حميد بن ثور الهلالي
- حميدة بنت النعمان بن بشير
- (2) 282.
(1) 153.
(2) 54، 55.
(2) 14.
(1) 52، (3) 254.
(1) 317.
(1) 316.
(1) 318، 319، 321، 322.
(1) 306.
(1) 79، 207، (2) 108، 167.
(1) 309.

- الخاء -

- خارجة
- خارجة بن سنان
- خالد بن الوليد
- خالد بن صفوان
- خالد بن عبد الله القسري
- خالد بن عقلمة
- خالد بن معاوية بن سنان السعدي
- خالد بن نضلة الأسدي
- خالد بن يزيد الكاتب
- (3) 67.
(1) 44، 322، 323.
(1) 84، 108، (2) 232.
(1) 77، (3) 126، 127.
(1) 137، 261، 352.
(2) 50، 148.
(2) 129، 130.
(1) 242.
(1) 161، 163، 299، 300، (2) 177، (3) 74.
(3) 62.
(1) 112.
(3) 119.
(3) 232، 233.
(1) 70.
- خفاف بن ندبة
- خلف بن خليفة
- خنافر بن التوأم الحميري
- خوات بن جبير الأنصاري
- خوتعة الغفيلي

- الدال -

- داوود (عليه السلام)
- دحية بن خليفة
- دريد بن الصمة
- (3) 64.
(1) 178.
(1) 51، 102، 103، 113، 142، 183، (2) 245، 267، 279، (3) 191، 192.
(1) 346، 353، (2) 295، (3) 254.
(1) 129.
(1) 215.
- دعلج بن علي الخزاعي
- دهقان
- ديك الجن

الذال

- ذو الأصبع العدوانى
ذو الرمة
(1) 119.
(1) 158، 173، 186، 275، 311 (2)، 58، 185،
(3) 18، 170، 181.

الراء

- راشد بن عبد ربه
- رؤبة
- ربيعة بن مقروم الضبي
- ربيعة بن مكرم
- رجاء بن هارون
- رستم
- رياح بن زيد
- ريطة بنت جذل الطعان
(1) 248.
(1) 85 (3) 150، 216، 228.
(1) 238 (3) 138.
(1) 104، 105.
(1) 247.
(1) 35، 36.
(1) 123.
(1) 104.

الزاي

- زارة بن عدس الدرامى
- زهير بن أبي سلمى
- زهير بن مسعود
- زياد (بن عبد الله)
- زيد
- زيد بن أسلم
- زيد الخيل
(1) 114، 115.
(1) 14، 44، 56، 59، 106، 117، 132، 144،
155، 167، 174، 216، 268، 270، 310، 311،
324، 329 (2)، 18، 20، 40، 44، 61، 86،
106، 107، 109، 114، 125، 197، 198، 240،
268 (3) 31، 55، 95، 141، 156، 157، 210،
211، 223، 239.
(3) 30، 31.
(1) 99 (2) 11.
(1) 172.
(1) 11.
(2) 211، 306 (3) 178، 185.

السين

- سابق البربري
- سالم بن وابصة
- سبأ (عبد شمس بن يشجب بن يعرب)
- سبطه بن المنذر السليحي
(3) 243.
(2) 216 (3) 107.
(3) 16، 18.
(1) 68.

.225 (3)	- سخنون
.305 (1)	- سحيم الفقعسي
.222 (3)	- سحيم بن وائلة
.124 (1)	- سحيم بن وثيل
.29 (3) (هامش 1).	- سراقفة الدارقي
.17 (1)	- سرحان
.22 (3) ، 36 ، 192 ، 35 (1)	- سعد بن أبي وقاص
.46 (1)	- سعد بن المسيب
.86 (1)	- سعد بن عبادة
.157 (2)	- سعد بن قيس
.322 (1)	- سعد بن معاذ
.238 ، 237 (1)	- سعد بن ناشب
.314 (2) ، 41 (1)	- سفيان الثوري
.98 ، 97 (3)	- سكينه بنت الحسين
.128 (1)	- سلامة بن جندل
.135 (3)	- سلم الخاسر
.125 (3)	- سلمة الجعدي
.218 (2) 187 ، 139 ، 75 (1)	- سليمان (عليه السلام)
.340 (1)	- سليمان العدوي (أو الخراعي)
.246 (1)	- سليمان بن عبد الله بن طاهر
.295 ، 294 (2) 137 (1)	- سليمان بن عبد الملك بن مروان
.222 (2)	- سليمان بن وهب
.344 (1)	- سنان بن فحل الطائي
.282 (1)	- سهل بن مالك
.254 ، 65 (3) ، 14 (2) 137 (1)	- سهل بن هارون
.176 (2) 192 (1)	- سويد بن أبي كاهك
.104 (3) 89 (هامش 20)	- سويد بن صامت
.145 ، 140 (3) ، 57 (2) 192 (1)	- سيبويه
.17 (2)	- سيف بن ذي يزن الحميري
.163 ، 66 (2) 230 ، 229 (1)	- سيف الدولة (الحمداني)
.331 (1)	- سيار بن قصير الطائي

الشين

.199 (1)	- شاس بن عبدة
.281 (2)	- شبيب بن البرصاء
.279 (2)	- شبيل الفزاري
.76 (3)	- شرف الدين الحلوي

(1) 135، (3) 140، 230، 231.
(1) 77، 78.
(1) 77.

- شريح (القاضي)
- شمس الدين بن السلعوس
- شمس الدين قراسنقر

الصاد

(3) 211، 212.
(1) 174 (2) 70.
(1) 55، 127، 302، 330 (3) 65، 217.
(2) 145.
(1) 278، 350 (3) 75.
(1) 85، 317 (2) 82.
(3) 139.

- صالح (عليه السلام)
- صالح بن جناح
- صالح بن عبد القدوس
- صخر بن عمرو بن الشريد
- صرّ دُرّ
- صفى الدين الحلبي
- صفوان بن عمر الكلابي

الضاد

(1) 53، 265، 331، (3) 22، 223.
(1) 310.
(1) 267.

- ضابيء بن الحارث
- ضرار بن عمرو
- ضمرة بن ضمرة

الطاء

(3) 74.
(2) 71.
(1) 15، 50، 52، 54، 95، 105، 121، 197،
293، 310، 311، 347 (2) 11، 112، 199،
207، 208، 217، 245، 259، 301، 302،
303 (3) 35، 51، 52، 53، 63، 75، 141،
250، 256.
(3) 45، 46، 47.
(1) 50، 265، 337.
(1) 129.

- طاهر بن الحسين
- طاوس بن كيسان
- طرفة (بن العبد)
- طريف بن العاصي الدوسي
- طفيل الغنوي
- طلحة

العين

(1) 44، 46، 47، 48، 50، 51، 100، (2) 18،
19، 55، 100، 241.
(2) 122.

- عائشة (رضي الله عنها)
- عائكة بنت عبد المطلب

- عاصم بن أيوب (شاح ديوان امرئ القيس) (1) 316.
- عامر الشعبي (3) 47، 48، 49.
- عامر بن الطفيل (1) 90، 262 (3) 30.
- عامر بن الظرب العدواني (1) 118، 119.
- عامر بن حُمّة (1) 118.
- عامر بن عبد الله القيسي (2) 303.
- عامر بن فهيرة (2) 18، 19.
- عبد الحميد (الكاتب) (1) 245.
- عبد الرزاق (1) 123.
- عبد الله بن أبيّ (3) 179.
- عبد الله بن الدُمينة (1) 242.
- عبد الله بن الزبير (1) 66، 304 (2) 150 (3) 7، 9.
- عبد الله بن الزبير الأسدي (2) 68، 143، 149 (3) 221.
- عبد الله بن جدعان القرشي التيمي (1) 150.
- عبد الله بن جعفر (1) 336.
- عبد الله بن رواحة الأنصاري (1) 44، 45، 172.
- عبد الله بن زياد (1) 62.
- عبد الله بن سعد (1) 66، 276.
- عبد الله بن سليمان بن وهب (1) 302.
- عبد الله بن عامر بن كريز (1) 329، 330.
- عبد الله بن عمرو بن الفوعاء الخزاعي (1) 71.
- عبد الله بن عنمة الضبي (1) 148.
- عبد الله بن عيينة (1) 175.
- عبد الله بن همام السلولي (1) 232.
- عبد الله بن يزيد الهلالي (1) 117.
- عبد المطلب (3) 50.
- عبد الملك بن مروان (1) 28، 46، 126، 146، 199، 200، 263.
- عبيد الله بن زياد (2) 55، 71، 137، 268، 267.
- عبيد الله بن سليمان (3) 11، 12، 65، 77، 107، 111، 283، 284.
- عبيد بن الأبرص (1) 140، 141، 221، 247.
- عبيد بن حصين (2) 282، 77 (1) 293.
- عبيدة الجرهمي (3) 138 (1) 227.
- عتبة بن جعفر بن كلاب (2) 214.
- عتبة بن جعفر بن كلاب (1) 61، 62، 168، 169، 303 (2) 146، 189.
- عتبة بن جعفر بن كلاب (3) 9.
- عبيد بن حصين (1) 266.
- عبيدة الجرهمي (1) 278.
- عتبة بن جعفر بن كلاب (1) 114.

- عثمان بن عفان (1)، 66، 126، 187، 203، 333، 338 (2)، 44.
45، 46، 133 (3)، 100، 209، 221، 223.
(1)، 205.
(3)، 230.
(1)، 159.
(1)، 159، 315 (2)، 98، 121، 167، 270 (3)، 172.
(1)، 85 (هامش 18)، 112، 175، 188 (2)، 205، 259 (3)، 231، 213، 23 (1)، (1)، 162، 173.
(1)، 304.
(2)، 151 (3)، 97، 110.
(1)، 210 (2)، 147.
(1)، 271.
(2)، 24.
(2)، 71، 180.
(1)، 153.
(1)، 312.
(1)، 182.
(2)، 278 (3)، 237.
(3)، 161.
(1)، 183، 186 (2)، 18، 40، 49، 58، 138، 195، 267 (3)، 13، 15، 223.
(1)، 51، 93، 105، 107، 128، 129، 193، 263، 264 (2)، 157، 158، 205، 245، 306.
(3)، 30، 64، 65، 67، 149، 209، 216، 217.
(1)، 134، 251، 278 (2)، 248.
(1)، 154.
(1)، 232.
(3)، 75.
(1)، 326 (3)، 226.
(2)، 92، 178، 260 (3)، 198.
(1)، 224.
(1)، 47، 49، 149، 150 (2)، 219، 287، 295، 65 (3)، 12.
(1)، 147.
(2)، 44، 55.
- عجل بن لحيم بن بكر بن وائل
- عدي بن أرطاة
- عدي بن الرعاء
- عدي بن الرقاع
- عدي بن زيد العبادي
- عدي بن نصر اللخمي
- عراية الأوسي
- عروة بن الزبير
- عروة بن الورد (عروة الصعاليك)
- عروة بن حزام
- عروة بن عبد الله
- عضد الدولة
- عطاء بن أبي رباح، الامام الفقيه المشهور
- عفيف الدين التلمساني
- عقرب
- عقيل بن أبي طالب
- عقيل بن علفة بن الحارث المري
- عكاشة بن محصن
- علقمة
- علي بن أبي طالب
- علي بن الجهم
- علي بن عيسى الوزير
- علي بن منصور
- عمارة اليمني
- عمران بن حطان
- عمر بن أبي ربيعة
- عمر بن طوف
- عمر بن عبد العزيز
- عمار بن عقيل بن بلال بن جرير
- عمار ابن ياسر

- عمرو بن أبي هريفة (3) 233.
 - عمرو بن الجموح (1) 140، 139.
 - عمرو بن الحارث بن مضاص الجرهومي (1) 83.
 - عمرو بن الزيان الذهلي (1) 70، (2) 9 (3)، 207، 208.
 - عمرو بن الظرب (1) 188.
 - عمرو بن العاصي (1) 129، 146 (2)، 115، 137 (3)، 39، 67.
 - عمرو بن المنذر (1) 93، 94، 95، 96.
 - عمرو بن أمامة (2) 18، 19، 103.
 - عمرو بن الاطنابة الانصاري (1) 45 (2) 152.
 - عمرو بن أمية الضمري (1) 71.
 - عمرو بن الاهتم (1) 136 (2) 131.
 - عمرو بن تقن (3) 62.
 - عمرو بن ثعلب الشيباني (3) 32.
 - عمرو بن ثعلبة (1) 41.
 - عمرو بن دينار (2) 93.
 - عمرو بن شاس الاسدي (1) 123.
 - عمرو بن عامر، المعروف بمزقياء (3) 16، 17.
 - عمرو بن عدي بن نصر اللخمي (1) 190، 191، 208، 209، 210، 331 (3) 213.
 - عمرو بن كلثوم (2) 235.
 - عمرو بن معدي كرب الزبيري (1) 210، 277، 306 (3) 174، 185، 203.
 - عمرو بن ملفط الطائي (1) 115 (2) 210.
 - عمرو بن هند (1) 93، 114، 115 (2) 118، 218 (2) 276، 277.
 - عمير بن جندب (3) 51، 111.
 - عمير بن ضابىء البرجمي (2) 15.
 - عُمَيَّ (3) 220، 221.
 - عنترة (بن شداد) (1) 62، 63.
 - عوف بن بدر (1) 128، 184، 228، 267، 289، 309، 311.
 - عوف بن عامر (2) 9، 18، 62، 63، 67، 81، 95، 159.
 - عوف بن محكم (3) 210، 209، 206، 200 (3) 32، 156.
 - عياض (القاضي) (1) 20 (2) 161.
 - عيسى (عليه السلام) (1) 138 (3) 65.

الغِين

- غسان بن وعلة (2) 279.
- غيلان (1) 15.

الفَاء

- فاطمة الزهراء (1) 51، 263 (2) 157.
- فاطمة بنت الاجم الخزاعية (1) 51 و(هامش 5م) (2) 157.
- فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (2) 295.
- فالج بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن الشجع (1) 90.
- فرعان بن الاعرف (1) 243.

القَاف

- قابوس الأمير (3) 99، 111.
- قاسم بن ثابت (2) 43.
- قتادة (1) 10.
- قتيبة بن مسلم الباهلي (1) 178 (3) 74.
- قراب بن عتاب (1) 239.
- قزمان بن الحارث (1) 130.
- قصير (بن سعد) (1) 187، 189، 190، 191، 192، 208، 209.
- قطري بن الفجاءة (2) 315، 210 (2) 17، 141 (3) 36.
- قيس بن الخطيم الانصاري (1) 159، 160، 310، 311.
- قيس بن المغيرة (1) 241.
- قيس بن ذريح (1) 242، 243، 254 (3) 115.
- قيس بن زهير (1) 51، 211، 315، 318، 319، 320، 321 (2).
- قيس بن عاصم المنقري (3) 44 (3) 68، 208.
- قيس بن كلثوم (2) 109 (2) 282 (3) 155.
- قيل (1) 59، 60.
- قيلة التميمية (2) 97.

الكَاف

- كافور (الاشيدي) (1) 166، 233، 234.

- كثير عز. (أبو الحسن بن أبي الطيب)
 (1) 53 (هامش 5) 120، 142، 169، 170، 331،
 337، 338 (2) 77، 98، 288، 292 (3) 107،
 110، 111، 138.
 (1) 166 (2) 135 (3) 65، 199.
 (1) 284، 302 (2) 15، 203، 224.
 (1) 138.
 (1) 48، 49 (2) 115، 195 (3) 167، 223.
 (2) 95.
 (2) 269.
 (2) 198، 199 (3) 75، 168، 206.
 - كسري
 - كشاجم
 - كعب الاحبار
 - كعب (بن زهير)
 - كعب بن مالك
 - كلثوم بن عمرو
 - كليب بن ربيعة الثعلبي الوائلي

اللام

- لبيد
 (1) 44، 46، 50، 63، 89، 132، 175، 221 (2)
 206، 264 (3) 47، 142، 170.
 (1) 27، 59، 60، 64، 116 (2) 308 (3) 16،
 36، 162، 216.
 (3) 112.
 (1) 326 (2) 9.
 - لقمان بن عاد
 - لقيط بن زرار
 - ليلى الاخيلية

الميم

- مارية بنت أرقم بن ثعلبة أو مارية بنت ظالم
 (1) 69، 70
 (1) 12، 193 (2) 226.
 (2) 159 (3) 180.
 (1) 281، 283 (2) 25، 29.
 (2) 130.
 (1) 318، 320، 322.
 (2) 147.
 (1) 183 (3) 215.
 (1) 111.
 (1) 272، 275 (2) 168 (3) 63، 76.
 (1) 167.
 (3) 226.
 (1) 44.
 (1) 173.
 (1) 129.
 (1) 282.
 - مالك (الامام)
 - مالك بن أسماء
 - مالك بن المرحل
 - مالك بن جرير
 - مالك بن زهير
 - مالك بن عمرو بن تميم
 - متمم
 - مجاهد
 - مجنون ليلى
 - محرز الضبي
 - محكم اليمامة
 - المخلّط (عبد العزيز بن حنتم)
 - محمد الامين بن هرون الرشيد
 - محمد بن أبي بكر (أمير مصر)
 - محمد بن حسام الدين

- محمد بن حميد الطوسي
- محمود
- محمود الوراق
- محمود بن عباد
- محيي الدين البغدادي
- مخيس بن أرطاة الاعرج
- مرثد الخير بن ينكف (أوينوف)
- مرثد بن سعد
- مرار
- مروان بن الحكم (الخليفة)
- مسافع العبيسي
- مسكين الدارمي
- مسلم بن الوليد
- مسلم بن عقيل بن أبي طالب
- مسلمة بن عبد الملك
- مسيلمة الحنفي الكذاب
- مطرف بن الشخير
- مطرود بن كعب الخزاعي
- معاوية بن أبي سفيان

- معاوية بن بكر
- معاوية بن زهير
- معاوية بن عبد الله بن خالد بن أسيد
- معاوية بن يزيد
- معبد المغني
- معروف الكرخي
- معقل بن عيسى
- معمر
- معن بن أوس المزني
- معن بن معد كرب
- منازل بن فرعان
- منصور الفقيه
- منصور النمرى
- منقذ الكلابي
- مهمل

- مهيار الديلمي
- (1) 297.
(1) 147، 304 (3) 186.
(1) 336 (2) 226.
(1) 336.
(2) 27.
(1) 145.
(1) 268.
(1) 60.
(1) 111، 112.
(1) 245 (2) 296 (3) 14.
(3) 125.
(1) 112، 206، 220 (2) 293، 294.
(3) 197، 198.
(1) 62 (3) 193.
(1) 137 (2) 120.
(1) 84، 250 (3).
(3) 64، 228.
(3) 158.
(1) 45، 49، 51، 116، 129، 196، 278، 326.
(2) 335 (2) 46، 115، 116، 129 (3) 14، 21، 22.
(1) 39، 40، 66، 67، 163.
(1) 59، 60.
(2) 200.
(2) 268.
(1) 232.
(2) 150.
(1) 213.
(3) 99.
(1) 123.
(1) 125 (1) 134، 294 (2) 156.
(1) 177.
(1) 243، 244.
(1) 165، 166، 175.
(3) 40.
(3) 125.
(1) 82، 83، 207 (2) 65، 73، 120، 144.
(3) 174 (3) 190، 206.
(2) 163.

- (3) 21. موسى (عليه السلام) -
- (1) 238 (2) 107. موسى بن جابر -
- (1) 166. موسى بن جعفر -
- (3) 24، 23. موسى بن داود الهاشمي -
- (1) 213 (2) 88. موسى بن عمران -

النون

- (1) 187، 75. نافع -
- (1) 78. نافع بن علقمة الكناني -
- (2) 288. نيهان العيشمي -
- (1) 121. نضلة السلمي -
- (2) 106، 119، 120، 294، 295. نصيب (ابن السوداء) -
- (1) 239. نهشل الدراسي -
- (1) 315. نهشل بن ضمرة -
- (1) 140. نهشل بن مالك الفزاري -
- (1) 192 (3) 210. نوح (عليه السلام) -

الهـاء

- (3) 158. هاشم بن عبد مناف -
- (1) 62. هاني بن عروة المرمادي -
- (1) 107. هاني بن قضيبة الشيباني -
- (3) 159. هبار بن الاسود -
- (3) 150. هبة القيسي الاحمق ذو الودعات -
- (1) 128. هبة اليربوعي (الملقب الكحلبة) -
- (1) 94. هبيرة بن يفيوث -
- (3) 169. هدلة بن معتب -
- (2) 106. هرقل -
- (1) 44، 319 (2) 44 (3) 95. هرم بن سنان المري -
- (1) 134، 137، 262، 294، 295 (3) 66. هشام بن عبد الملك بن مروان -
- (3) 206، 147. همام بن مرة -
- (1) 60، 59. هود (النبي) -

الواو

- (1) 118، 115. وafd البراجم -
- (3) 158، 156، 20. ورقة بن نوفل بن خويلد -

الياء

- | | |
|---------------------------|--------------------------|
| .171 (2) 263 (1) | - يحيى بن أكثم |
| .277، 276 (1) | - يحيى بن خالد بن برمك |
| .224 (2) | - يحيى بن علي |
| .262 (1) | - يحيى بن نوفل |
| .193 (1) | - يحيى بن يحيى |
| .36 (1) | - يزدجرد |
| .282 (2) | - يزيد الحارثي |
| .287 (2) | - يزيد بن الصيقل العقيلي |
| .178 (1) | - يزيد بن المهلب |
| .60 (1) | - يزيد بن سعد |
| .326 (1) | - يزيد بن شيبان بن علقمة |
| .74 (3) 292 (2) 294 (1) | - يزيد بن عبد الملك |
| .39، 21 (3)، 143، 138 (1) | - يزيد بن معاوية |
| .126 (3) | - يزيد بن مفرغ الحميري |
| .68 (2) 225 (1) | - يوسف السراج |
| .189 (3) | - يونس |

فهرس الأماكن والقبائل والأمم والطوائف

الألف

.80 (1)	أبو قبيس
.155 (3)	أسلم
.90 (1)	أشعر
.66 (1)	إفريقية
.71 (1)	الابواء
.46، 32 (3)	الازد
.71 (1)	الاصناف
.66 (2)	الاندلس
.143 (1)	البرامكة
.157، 47 (3) 71 (2) 329، 266 (1)	البصرة
.172	
.212 (3)	الحجاز
.72 (1)	الحصيب
.188 (1)	الحضر
.218 (2)	الروم
.230، 212، 179، 47، 17 (3) 129 (1)	الشام
.163 (3)	الصين
.36 (1)	العجم
.230، 63، 17 (3)	العراق
.35 (1)	القادسية
.69 (1)	الكعبة
.22 (3) 99 (2) 261، 135، 99، 62 (1)	الكوفة
.230، 221، 47	
.19 (2) 340، 325، 312، 229، 162 (1)	المدينة المنورة
.209، 180، 157، 47 (3) 22	
.135 (1)	النجف
.163 (3)	الهند
.250، 101 (3)	اليمامة
.99 (2) 316، 93، 84، 73، 72، 68 (1)	اليمن
.216، 77، 52، 18 (3)	
.28 (1)	اليونان
.28 (1)	أهل الصين
.159، 17 (3)	أوس
.213 (3) 188 (1)	إياد بن تميم

الباء

.266 (1)	باهلة
.164 (3)	بحيلة
.65، 45 (1)	بدر
.101 (3)	بعداد
.105 (1)	بكر بن عبد مناة
.208، 205، 165 (3) 107، 105 (1)	بكر بن وائل
.214 (3)	بلقين
.105 (1)	بنو أبي بكر بن كلاب
54، 41 (2) 242، 117، 144، 111 (1)	بنو أسد
.226 (3)	
.205 (3) 104 (2) 41 (1)	بنو اسرائيل
.17 (3) 206 (2)	بنو الخزرج
.211 (2) 57، 56 (1)	بنو الصدياء
44 (1)	بنو العجلان
.238 (3)	بنو القين
.220 (3) 268، 244 (2) 132 (1)	بنو أمية
44 (1)	بنو أنف الناقة
.68 (3)	بنو بدر
.150 (1)	بنو تيم
.102 (1)	بنو جُشم بن بكر
.158 (2)	بنو الحارث كعب
.63 (1)	بنو حميس
.327، 211 (1)	بنو حنظلة
.145، 84، 78، 11 (1)	بنو حنفيه
.144 (1)	بنو دارم
.183 (1)	بنو ذبيان
.158 (2) 124 (1)	بنو ذهل (بن ثعلبة)
.115 (1)	بنو زرة
.122 (2)	بنو زياد
.86 (1)	بنو ساعدة
.213 (3) 248، 128، 55، 54 (2)	بنو سعد
.189 (1)	بنو سليط
.326 (1)	بنو سلم
.167 (1)	بنو سنان
.190 (3)	بنو شيبان
.267، 148، 74 (1)	بنو ضبة

.71 (1)	بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناف
.168 (2) 266 ، 262 ، 149 ، 87 (1)	بنو عامر
.82 (1)	بنو عباد
.133 (2) 145 (1)	بنو عجل
.167 (1)	بنو عدي بن جندب
.207 (3) 70 (1)	بنو عقيلة
.184 (1) (هامش 7).	بنو عمرو الغنويون
.105 ، 104 (1)	بنو فارس بن كنانة
.250 (3) 151 (2)	بنو فزارة
.281 (2)	بنو فقعس
.280 (2)	بنو قريع
.150 (2)	بنو قطن
.150 (2) 340 ، 325 (1)	بنو قيس
266 ، 194 ، 116 ، 114 (1)	بنو كلاب
.33 (3) 102 (1)	بنو كنانة
.238 (1)	بنو مازن
.108 (1)	بنو مخزوم
.270 (2)	بنو مروان
.119 (2)	بنو نبهان
.263 ، 132 ، 77 (1)	بنو هاشم
.170 (3) 124 (1)	بنو هلال (بن ربيعة)
.209 (3) 119 (2) 82 (1)	بنو وائل
.320 (1)	بنو يربوع
.70 (3)	بنو يسار
.158 (2)	بنو يشكر
.123 (3)	بنو يقطان

التاء

.206 ، 159 ، 10 (3) 83 (1)	تغلب
.97 (2) ، 325 ، 136 ، 117 ، 116 ، 115 (1)	تميم
.165 (3) 279 ، 129	
.141 (1)	تنوخ
.233 ، 232 (3)	تيم الدين ثعلبة

الثاء

.267 (1)	ثقيف
.212 ، 211 (3)	ثمود

الجيم

جذم	(1) 326.
جذيلة	(3) 170.
جرهم	(1) 124، 269 (2) 240 (3) 122، 210.

الحاء

حيمر	(2) 55 (3) 16، 45.
------	--------------------

الخاء

خشعم	(1) 91 (2) 279.
خراسان	(1) 178 (2) 87 (3) 63.
خزاعة	(1) 84 (2) 40 (3) 17، 210.

الذال

ذبيان	(1) 318 (2) 340 (3) 70، 94، 122، 208، 210.
-------	---

السين

سعد العشيرة	(2) 99.
سعد بن مالك بن ضبيعة	(1) 105.
سعد بن مناة بن تميم	(1) 139.
سليح (قبيلة باليمن)	(1) 68.

المصاد

صفّين	(1) 45.
-------	---------

الضاء

ضبة	(3) 24.
-----	---------

الطاء

(3) 62، 180.	طسم
(1) 114، 76 (2) 221 (3) 57، 237.	طيء

العين

(1) 59، 60، 62، 214، 316، 317 (2)	عاد
110 (3) 62، 122، 161، 211.	
(1) 274، 318، 322 (2) 340 (3) 39،	عيس
94، 208، 210.	
(1) 13.	عدنان

الغين

(3) 158.	غزة
(1) 68، 70 (3) 17.	غسان
(1) 320 (2) 64 (3) 226.	غَطَفَان

الفاء

(1) 35، 36.	فارس
(3) 247.	فزارة
(3) 158.	فلسطين

القاف

(1) 13، 230.	قحطان
(1) 45، 71، 77، 230، 232.	قريش
(3) 13.	قضاة
(3) 102.	قيس عيلان

الكاف

(1) 226.	كعب
(3) 247.	كلب
(2) 46.	كندة

اللام

(3) 213.

لخم

الميم

(1) 117.

(1) 220 (3) 17.

(1) 93، 96.

(3) 17.

(3) 205.

(1) 129.

(1) 326.

(3) 17، 177.

(1) 60، 71، 79، 80، 83، 84، 137،

(2) 139، 187، 201، 277، 318، 336

(3) 19، 71، 129، 132، 133، 158، 314

156، 157، 183، 210، 212.

(1) 80.

(1) 172.

محارب

مذبح

مراد

مر

مِرّة

مِصْر

مِصْر

معد

مكة

منى

موتة

النون

(1) 76 (3) 13.

(1) 44، 266، 267 (3) 95.

نِزار

نمير

الماء

(2) 62، 71 (3) 144، 157.

(2) 41 (3) 17.

(2) 62، 95 (3) 150، 175.

هذيل

همدان

هوازن

الواو

(1) 71.

ودان

فهرس الكتب المذكورة في المتن

- أساس البلاغة للزمخشري
 الامثال لأبي عبيد القاسم بن سلام
 الاحياء للامام الغزالي
 التسهيل لابن مالك
 التشوف (الى رجال التصوف)
 التفسير لابن أبي حاتم
 التواتر
 الحماسة
 الرسالة الحكيمة لارسطاطاليس
 الروض الانف (للسهيلي)
 الروضة، للمرد
 السحر والشعر للسان الدين ابن الخطيب
 الصحاح للجوهري
 (1) 53 (هامش 8).
 (3) 168، 169، 227.
 (1) 26 (3) 47.
 (2) 184.
 (1) 157، 180 (2) 116، 313، 314.
 (3) 139.
 (1) 138، 213.
 (1) 109 (2) 155 (3) 108.
 (1) 234.
 (1) 91 (2) 54.
 (2) 134.
 (2) 153.
 (1) 53 (هامش 8) 64، 79، 105، 127،
 185، 202، 208، 270، 316 (2) 9، 58،
 95، 102، 106، 112، 149، 184، 185،
 209، 245 (3) 40، 62، 137، 155،
 164، 174، 176، 227، 233، 240،
 252.
 (1) 131، 138.
 (3) 140.
 (1) 53 (هامش 8) (2) 134.
 (1) 46 (هامش 3).
 (2) 10.
 (3) 235.
 (1) 81، 130، 185، 249، 316 (2) 59،
 245 (3) 62، 147، 157، 227، 241.
 (1) 198.
 (2) 134، 186 (3) 77، 126، 220.
 (1) 24.
 (3) 93.
 (2) 55.
 (2) 237.
 (3) 41، 43، 121، 136، 189، 228.
 (3) 139.
 الصحيح للبخاري
 الطبقات، لابن سعد
 العقد الفريد لابن عبد ربه
 الفائق للزمخشري
 الفصيح
 فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب لابي بكر بن
 محمد بن خلف ابن المرزبان
 القاموس
 القلائد (قلائد العقيان)
 الكامل المبرد
 الكشف للزمخشري
 المحصل
 المسند
 المدخل
 النوادر، لأبي علي القالي البغدادي
 المعجم للجلال السيوطي

- تاريخ ابن خلكان
تاريخ المسعودي
تقديم أبي بكر، لابي بكر ب حجة الحموي
شرح الجمل لابن مرزوق
شرح الامثال للبكري
شرح التسهيل لابن مالك
شرح الحماسة، للشنتمري
شرح ديوان الشعراء
شرح المفتاح
شرح المقامات، لابن ظفر
عماد البلاغة
كتاب الأمالي، للشريف المرتضى
كتاب الحيوان، للجاحظ
كليلة ودمنة لابن المقفع
لسان العرب
- لطايف المنن للتاج بن عطاء الله
مقامات الحريري
مقامات بديع الزمان الهمداني
نهاية الارب، للقلقشندي
- (2) 180.
(1) 130.
(1) 304.
(3) 94.
(2) 194.
(3) 157.
(1) 244.
(3) 157.
(1) 195.
(3) 239.
(3) 180.
(1) 53 (هامش 8).
(1) 53 (هامش 8).
(3) 65.
(1) 130 (هامش 56) 131 (هامش 58) 142
(هامش 62) 169 (هامش 72) 179 (هامش)
(1) (2) 245 (3) 73 (هامش 45).
(3) 134.
(3) 179، 143.
(1) 89.
(1) 69 (هامش 12).

مصادر المقدمة والتحقيق

- 1 (ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (أربعة أجزاء) المطبعة العثمانية بمصر 1311 هـ.
- 2 (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1977.
- 3 (ابن دريد، ديوان ابن دريد، تحقيق عمر بن سالم، الدار التونسية للنشر، 1973.
- 4 (ابن المعتز، ديوان ابن المعتز، تحقيق ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت، دون تاريخ.
- 5 (ابن منظور، لسان العرب، (3 أجزاء)، دار لسان العرب - بيروت، 1970.
- 6 (ابن قيس الرقيات، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت 1958.
- 7 (أبو تمام، ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي (4 أجزاء)، دار المعارف، القاهرة، 1964.
- 8 (أبو تمام، ديوان الحماسة، بمختصر شرح التبريزي، (جزآن)، المطبعة الاهرية، القاهرة، 1927.
- 9 (أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، دار صادر، بيروت، 1964.
- 10 (أبو علي المروزي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين ومن معه، (4 أجزاء) القاهرة 1967.
- 11 (الأب انطوان صالحاني، رنات المثلث والمثنائي، في روايات الأغاني، (جزآن)، بيروت 1946.
- 12 (الأعلام الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين (جزآن) دار الأفاق الجديد، بيروت، 1979.
- 12 (البحتري، ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، (5 أجزاء) دار المعارف، القاهرة 77 - 1978.
- 14 (الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، (4 أجزاء) دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- 15 (الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، (6 أجزاء) دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
- 16 (الحريبي، مقامات الحريبي، دار الكتب العربية الكبرى بمصر، 1333 هـ.
- 17 (الحصري القيرواني، زهر الآداب، وثمر الألباب، تحقيق علي محمد البجاوي، (جزآن) دار إحياء الكتب العربية بمصر، 1969.
- 18 (الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1979.
- 19 (الصولي، أخبار أبي تمام، تحقيق محمود عساكر ومن معه، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، بدون تاريخ.
- 20 (الفرزدق، ديوان الفرزدق، (جزآن)، دار صادر، بيروت، 1966.
- 21 (القالي أبو علي البغدادي، الامالي، (4 أجزاء) دار الثقافة الجديدة، بيروت، دون تاريخ.
- 22 (المبرد، الكامل في اللغة والأدب، (جزآن) مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.
- 23 (المتنبي، ديوان المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا ومن معه (4 أجزاء) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1936.
- 24 (المعري، لزوم ملا يلزم، (جزآن) دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- 25 (المقرئ، نغم الطيب، تحقيق إحسان عباس، (8 أجزاء) دار صادر بيروت، 1968.
- 26 (الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (جزآن) دار الفكر 1972.
- 27 (النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، 1977.

- (28) اليوسى، ديوان اليوسى، المطبعة الحجرية بفاس، بدون تاريخ.
- (29) اليوسى، المحاضرات، تحقيق محمد حجي، دار المغرب بالرباط، 1976.
- (30) امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- (31) رؤبة بن العجاج، ديوان رؤبة ابن العجاج، تحقيق وليم بن الورد البروسى، ليبسىغ، 1903.
- (32) طرفة، ديوان طرفة ابن العبد، دار صادر، بيروت، 1961.
- (33) طه حسين ومن معه، المنتخب من أدب العرب، (جزآن) المطبعة الأميرية ببولاق، 1934.
- (34) عنتر، ديوان عنتر، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- (35) فؤاد أفرام البستاني، سلسلة الروائع، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- (36) كثير عزة، ديوان كثير عزة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1971.
- (37) كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير، تحقيق سعيد الحسن السكري، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة، 1965.
- (38) لبيد، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، 1966.
- (39) لويس معلوف، المنجد، بيروت 1956.
- (40) مجد الدين الفيروزبادي، القاموس المحيط، (أربعة أجزاء) المطبعة المصرية، 1933.
- (41) مجنون ليلى، ديوان مجنون ليلى، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مكتبة القاهرة، بدون تاريخ.
- (42) محمود كامل فريد، ديوان أبي نواس، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، 1956.
- (43) مصطفى السقا، مختار الشعر الجاهلي (جزآن) دار العلم للجميع، 1969.

مستدركات الجزء الأول

الصفحة	السطر	بدلاً من	إقرأ
15	18	الفضل،	، الفضل
24	3	وأعلم	واعلم
33	20	الضُّور	الصُّور
36	3	عِرْق	عِرْق
52	12	أخطأ	أخطأ
54	2	وروحُ الله مُنتظرٌ	والروحُ مُنتظرٌ
55	9	فيفع	فيفع
62	24	مَرٌّ	مَرٌّ
68	15	مِنْ جِذْعٍ	مِنْ جِذْعٍ
69	7	المُخَفِّفَةُ	المُخَفِّفَةُ
75	21	يَا مَرءٍ	يَا مَرءٍ
78	18	لَا نَرْتَجِي	لَا نَرْتَجِي
78	19	فَإِنْ أَكْ	فَإِنْ أَكْ
79	17	وساقٌ	وساقٌ
80	5	بين الغيلِ والسَّعدِ	بين الغيلِ والسَّعدِ
80	14	وأعلم	واعلم
82	10	كَلِيبًا	كَلِيبًا
82	11	كَلِيب	كَلِيب
82	15	نِعَمَ القَتِيلِ قَتِيلٌ	نِعَمَ القَتِيلِ قَتِيلٌ
85	13	المُمْتَلِيءِ	المُمْتَلِيءِ
86	1	لِغَصْبِهِ	لِغَصْبِهِ
87	14	خيمته	خيمة
88	1	لَا تَزْدَارُ	لَا تَزْدَارُ
88	18	أَثِيتِ	أَثِيتِ
89	1	رَجِيْبَةٍ	رُجْبِيَّة
89	15	جذيلة	جذيلُه
89	18	وسرها	وسرها
94	5	صُبَيْرَةٌ	هَبِيرَةٌ
94	20	فَتَقَرَّقَ	فَتَقَرَّقَ
95	5	الجزعُ	الجزعُ
95	25	فيامًا	قيامًا

عداوة بَيْنَنَا	عداوة بَيْنَنَا	1	96
عُكَابَةٌ	عُكَابَةٌ	3	96
شَمَهُ	أشْمَهُ	17	96
فَزَدَهُ	فَرَدَهُ	21	97
وأعلم	وأعلم	8	101
بِأَخِرٍ	بِأَخِرٍ	11	104
رَبِيعَةٌ	رَبِيعَةٌ	21	104
لِيَحْسُ السَّعْدِي	لِيَحْسُ السَّعْدِي	8	105
بِظَنِّينَ	بِظَنِّينَ	19	106
فَمَا	فَلَمَّا	22	107
أَبِي حَازِمٍ	أَبِي حَازِمٍ	2	114
جَدِيمَةٌ	جَدِيمَةٌ	14	114
وَبَارِقٍ	وَبَارِقٍ	22	115
فَضَحِكْتَ	فَضَحِكْتَ	1	118
سَقَطَ كَلَامٌ مِنَ النَّصَبِ بَعْدَ قَوْلِهِ	سَقَطَ كَلَامٌ مِنَ النَّصَبِ بَعْدَ قَوْلِهِ	1	118
	: فَقُلْتُ لَهَا		
الْمَنْكُرُ	الْمَنْكُرُ	2	124
قَرَعُ	فَرَعُ	7	128
أَتَى	أَتَى	8	128
اللَّهِ	إِلَهَ	9	131
الْحَمَاسِيُّ	الْحَمَاسِيُّ	19	131
اللَّحْمَةُ	اللَّحْمَةُ	23	131
مَنْكَ	مَنْكَ	7	132
رَوْضٍ	رَوْضٍ	17	133
وَسَلَّمَ وَفِيهِمُ الزَّبْرَقَانُ	وَسَلَّمَ الزَّبْرَقَانُ	5	136
أَخْبِرْ بِهِ	أَخْبِرْ بِهِ	13	139
بِهِ	بِهِ	13	139
يَا جَدُّ بْنُ	يَا جَدُّ بْنُ	12	140
وَالْحَضَارَةُ	وَالْحَضَارَةُ	21	140
وَحَبَاهُ	وَحَيَاهُ	2	141
وَضَمَّهَا	وَضَمَّهَا	10	141
أَفْنَانِهِ	أَفْنَانِهِ	17	141
يَا عَمْرُو	بَاعَمْرُو	13	142
أَنْتُمَا	إِنْتُمَا	16	142
أَمَامِي وَأُنِي	إِمَامِي وَأُنِي	17	142
نَكْبَةٌ	نَكْبَةٌ	8	143
يَمِينِكَ	يَمْنِيكَ	5	150
الْمُهَذَّبُ	الْمُهَذَّبُ	8	150

قلبي سواكم	20	152
صدورهم	6	158
يذعرك	10	158
ذا وفاء	11	160
أصل... أذني وأذن	7	161
لعظمية	14	164
العالمون	16	166
يقتلوا	18	167
كلم	15	167
كما دماؤكم من الكلب	20	167
الكلب		
المقتل	8	168
هزيمه	21	168
هب	18	168
تألقه	12	171
فشانك	16	172
جلها	7	174
بينهم	23	174
نكهة نسر	11	178
نفوس	6	179
من جد الشبيبة	3	182
أخيطها	3	182
فأجار	3	183
(البيتان من قصيدتين مختلفتين، وبينهما كلام سقط من النص)	14 - 15	183
بمجيئة	14	190
وأبو ملك الملك بالخدع	5	192
أقترح	15	194
ريقها	9	199
زيادة	18	206
تعرضت تيم لي لأهجوها	الحاشية 17	207
لأهجوها		
قين	14	211
يبر الجرم	16	212
أداة	17	212
كهولهم... أمرهم	1	224

كثرة السفر... نفيسة	23	217
العقيان		
ضيعته	17	227
واحتتاب	19	227
لم تعلم	14	228
فمن شئت	14	228
فراق	21	228
ويختلف	8	230
تشرك	14	231
العجب	20	231
محبوب	2	233
الرسالة الحكيمة	1	234
الوفى قضاء	3	235
الحب	11	336
لا بد	22	236
نواد	14	244
والثعلبان	23	248
جارية	17	249
كبر حسب	23	251
والقلب	18	154
المرء	15	261
حسبي	19	262
الدار، فتى	18	263
ابن... ابن	5	264
المؤمنون	10	264
تجدبني	4	268
لا أفصلت	14	269
مستقرها	20	272
وإذا المليحي	17	273
الوشيات	23	273
أراد	1	276
البك	2	276
لما	6	282
وتغضب	5	285
النفس	21	285
شعوب	23	289
حتى	11	295
كثرة السفر... نفيسة		
نفاضة العقيان		
ضعته		
واحتتاب		
لم تعلمي		
فمن شئت		
فراق		
ويختلف		
تشرك		
العجب		
محبوب		
الرسالة الحكيمة		
الوفى قضاء		
الحب		
لا بد		
نواد		
والثعلبان		
جارية		
كبر حسب		
والقلب		
المرء		
حسبي		
الدار، فتى		
ابن... ابن		
المؤمنون		
تجدبني		
لا أفصلت		
مستقرها		
وإذا المليحي		
الوشيات		
أراد		
البك		
لما		
وتغضب		
النفس		
شعوب		
حتى		

أَبَثَّتْهُ	أَبَثَّتْهُ	23	299
وَسِرَّهَا	وَسِرَّهَا	1	299
التَّجَارِبِ	التَّجَارِبِ	23	300
بُؤْسٌ	بُؤْسٌ	1	303
بَنِي	بَنِي	8	303
وَيْسْتَرِي	وَيْسْتَرِي	11	312
الْأَنَاثُ	الْأَنَاثُ	11	314
بِوزْنِهِ	بِوزْنَةٍ	19	314
جَبَّارٌ	جَبَّارٌ	9	317
مَأْتُورٌ	مَأْتُورٌ	8	318
حَمَلُ بَدْرٍ	حَمَلُ بَدْرٍ	14	318
حَذِيقَةٌ	حَذِيقَةٌ	19	318
وَوْدَاهُ	وَوْدَاهُ	21	318
أَنْ أَرَدَدَ	أَنْ أَرَدَدَ	22	318
وَمُسْتَقِيمٌ	وَمُسْتَقِيمٌ	5	322
مَذْحَجٌ	مَذْحَجٌ	14	322
أُمِّهِمْ	إِمِّهِمْ	13	326
قَصَّتْهُ	فَصَّتْهُ	9	336
وَلَمْ أَجْنِ	وَلَمْ أَجْدُ	4	337
يَا مَفْرَدًا سَكَنَ الثَّرَى وَبَقِيَتْ لَوِيَا مَفْرَدًا سَكَنَ الثَّرَى وَبَقِيَتْ	يَا مَفْرَدًا سَكَنَ الثَّرَى وَبَقِيَتْ لَوِيَا مَفْرَدًا سَكَنَ الثَّرَى وَبَقِيَتْ	4	341
لَوْ كُنْتُ أَصْدَقُ....	كُنْتُ أَصْدَقُ....		
لَظَلَى	لَظَلَى	15	343
يُعْرَضُ	يُعْرَضُ	8	344
فَأَحْسَنَ	بِأَحْسَنَ	18	345
وَأَيْنَ غَيْرُ لَانٍ	وَعَزْلَانٍ	15	349
وَحَظُّ أَصْحَابِ	وَأَصْحَابِ	19	349
الْعَيْثِرَا	الْعَيْثِرَا	21	349
صَرٌّ دُرٌّ	ابْنُ صَرٍّ دُرٍّ	5	350
لَا يَحْمِلُ	لَا يَحْمِلُ	13	350
وَكُنْ غَانِيًا	وَكُنْ غَنِيًّا	19	350
بَحْرُهُ	بَحْرُهُ	20	350
أَنْتَى	أَنْتَى	23	351
وَأَعْتَادَهَا	وَأَعْتَادَهَا	7	354
كَانَ النَّاسُ صِنْفَيْنِ	كَانَ النَّاسُ صِنْفَيْنِ	19	354
خَضِرَ الصَّوْحَرُ	خَضِرَ الصَّوْحَرُ	15	356
وَأَحْسَنَ إِذَا أَخْطَأْتُ أَنْ	وَأَحْسَنَ إِذَا أَخْطَأْتُ إِنْ ..	23	356
حَمَائِمُ الْحِلِّ	حَمَائِمُ الْحَلِيبِ	10	357
لَفَحَتْ	لَفَحَتْ	11	357

الجزء الثاني

تعهدَه	20	5
الشَّرَا	17	8
فَأَعْرَهْ	23	14
إِئْتِ	25	16
وطفيلُ	9	19
بِذِي	16	20
ولمَّا اشْتَهَرَتْ	11	24
الْبِرِّ	22	26
يُرِيدُ	2	27
إِذَا	12	37
كُلْ	1	38
وهذا	12	41
فلمَّا	7	46
واخْمُومَتْ	17	48
ويُخَفِّفُ	9	56
بِقَضِيضِهِمْ	19	63
مُلْجَمٌ	4	70
يُؤْمَرُ	12	96
الرُّوعِ	8	99
أُولَها	13	103
لِمِثْلٍ	17	107
تَحْتِ	1	111
المَقْلَاتِ	5	111
حَكَّهُ	3	114
اكتَبُوا	16	121
تُعَايِنُهُ	1	122
الرُّجَّازِ	10	124
تَفْدِيهِ	2	140
شَنَ	6	140
فَأَتْرَكُهُ	20	141
صَفُورِيَّة	14	143
خالد	4	148
مِبْتَلٌ	20	148
يَسْتَحِقُّهُ	15	153
اللحظات	7	161
أذكرُونا	12	163

الله	الله	21	163
بِسْعَدِي	بِسْعَدِي	1	168
مَقْمَعَة	مَقْمَعَة	18	169
مُطْلَا	مُطْلَا	9	177
الدَّهْر	الدَّهْر	3	183
تُخْرَسَ	تُخْرَسَ	15	188
خَلَّهْ يَذْهَبْ	خَلَّهْ هَبْ	22	196
وَقَدْ	وَقَدْ	6	198
فَمِنْ	فَمِنْ	8	198
بِالْمَوْضِع	بِالْمَوْضِع	19	200
بِشْي	بِشْي	3	203
مَعْنَى	مَعْنَى	3	207
فَقَالَ أَوْسٌ :	فَقَالَ : الْاَوْس	11	207
اتَّبَاعًا	اتَّبَاعًا	23	209
قَرِيبَة	قَرِيبَة	2	210
بِالدَّوَى	بِالدَّوَى	12	216
فَلَيْسَ	فَلَيْسَ	5	232
رَجُلٌ	رَجُلٌ	16	246
السَّوْدُ	السَّوْدُ	22	253
قَطْعٌ	قَطْعٌ	13	255
يَجْتَنِي	يَجْتَنِي	24	256
وَأَجْلُهنَّ	وَأَجْلُهنَّ	2	267
دِرَاهِمٌ - شَتَّى	دِرَاهِمٌ - شَتَّى	8	271
غَيْظًا	غَيْظًا	11	273
فَلَيْتَ	فَلَيْتَ	18	276
الرَّمَرَاتِ	الرَّمَرَاتِ	19	276
الصَّمَّةُ	الصَّمَّةُ	7	279
أَذُودُ	أَذُودُ	6	282
الضَّيْفُ ... مَخَافَة	الضَّيْفُ .. مَخَافَة	3	283
عَلَمِي	عَلَمِي	6	283
وَكُلُّ	وَكُلُّ (11	283
اسْمُهُ	إِسْمُهُ	17	283
تَفَرَّقَن	تَفَرَّقَن	14	292
غَدِ	غَدِ	23	292
فَكُنْ	فَكُنْ	1	293
وَأَنْ أَتَاهُ الدَّهْرُ	وَأَنْ أَتَاهُ الدَّهْرُ	10	302
غَيْرُهُ	غَيْرُهُ	16	204
يُعْشَى	يُعْشَى	7	305
لِلنَّوَى	لِلنَّوَى	25	307
طَرْفِي	طَرْفِي	13	309
مُبِينٌ	مُبِينٌ	25	309

مطبعة النجاشي الجديدة
الناظرية

رقم الايداع القانوني 63 - 1981